تفسير ابي السعود

سبحان من أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وبين له من الشعائر والشرائع كل ما جل ودق وأنزل عليه
أظهر بينات وأبهر حجج قرآنا عربيا غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من الكتاب ليدبروا
آياته وليتذكر أولوا الألباب ناطقا بكل أمر رشيد هاديا إلى صراط العزيز الحميد آمرا بعبادة
الصمد المعبود كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود تكاد الرواسي لهيبته تمور ويذوب منه
الحديد ويتصدع صم الصخور حقيقا بأن تسير به الجبال ويتيسر به كل صعب محال معجزا أفحم
كل مصقع من مهرة قحطان وبكت بلغاء من سحرة البيان بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على معارضته
ومباراته لعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته نزله على فترة من الرسل يرشد الأمة
إلى أقوم السبل فهداهم إلى الحق وهم في ضلال مبين فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين
فمن اتبع هداه فقد فاز بمناه وأما من عانده وعصاه واتخذ إلهه هواه فقد هام في بوادي
الردى وتردى في مهاوي الردى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور صلى الله عليه وعلى آله
الأخيار وصحبه الأبرار ما تناوبت الأنوار وتعاقبت الظلم والأضواء وعلى من تبعهم بإحسان
مدى الدهور والأزمان يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الهادي أبو السعود بن محمد
العمادي إن الغاية القصوى من تحرير نسخة الإمام العالم وما كان نحوها منها مسطورا ملحكمة
الكبرى في تخمير طينة آدم ولم يكن شيئا مذكورا ليست إلا معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ
المبدئ المعيد ولا سبيل إلى ذلك المطلب الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل فإنه عز سلطانه
وبهر برهانه وإن سطرت آيات قدرته في صحائف الأكوان ونصبت رايات وحدته في صفائح
الأعراض والأعيان وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العيلم وكل نقطة

جرى عليها قلم الإبداع وكل حرف رقم في لوح الاختراع مرآة لمشاهدة جماله ومطالعة [لمعات]
صفات كماله حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون برهانا جليا لا ريب فيه
ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه بل ناطقا يتلو آيات ربه فهل من سامع واع ومجيبا
صادقا فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويبرز تجاههم بحسب عقولهم تارة
بإيضاح عبارته ويلوح أخرى بألطاف إشارته لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل والاستشهاد
بتلك الأمارات والمخايل والتنبه لتلك الإشارات السنية والتفطن لما في تلك
العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز أسرار القضاء والقدر وكنوز آثار التعاجيب والعبر
بما لا يطيق به عقول البشر إلا بتوفيق خلاق القوى والقدر فإذن مدار المداد ليس إلا كلام
رب العباد إذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية والكاشف
عن خفايا الحظائر القدسية والمطلع على خبايا سرائر الأنس وبه يكتسب الكمال الفاخر وبه
يتوسل إلى السعادات الدنيا والآخرة خلا أن أفنانه مع علو الشأن وسمو المكان ونهاية
الغموض والإعضال وصعوبة المأخذ وعزة المنال في غاية الغايات القاصية ونهاية
النهايات النائية أعز من بيض الأنوق وأبعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج إلى معارجه
الرفيعة ولا يتأتى الرقي إلى مدارجه المنيعة كيف لا وإنه مع كونه متضمنا لدقائق العلوم النظرية
والعملية ومنطويا على حقائق الغيوب الخفية والجلية حاويا لأطوار الملك والملكوت عليه يدور
فلك الأوامر والنواهي وإليه تستند معرفة الأشياء كما هي وقد نسج على أعرب منوال وأبدع
طراز واحتجب طلعته بسبحات الإعجاز طويت حقائقه الأبية عن العقول وزويت
دقائقه الخفية عن أذهان الفحول برد عيون العقول سبحاته ويخطف أبصار البصائر
بريقه ولمعانه ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته أساطين أئمة التفسير
في كل عصر من الأعصار وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين أساود التحرير
والتقرير في كل قطر من الأقطار فغاصوا في لججه وخاضوا في ثبجه فنظموا فرائده في سلك
التحرير وأبرزوا فوائده في معرض التقرير وصنفوا كتبا جليلة المقدار وألفوا زبرا
جميلة الآثار أما المتقدمون من المحققين فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني و
تبيان المرام وترتيب الأحكام حسبما بلغهم من سيد الأنام عليه شرائف التحية والسلام
وأما المتأخرون من المدققين فراعوا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة وإبراز خفاياه
الفائقة ليتبين للناس دلائل إعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر
الكتب الكريمة الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدونوا أسفارا بارعة جامعة
لفنون المحاسن الرائقة يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الأعيان وعوائد لطيفة
تشنف بها آذان الأذهان لا سيما الكشاف وأنوار التنزيل المنفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل

فلله كل منهما قد احرز قصب السبق ابي احراز كانه مرآة لاجتلاء وجوه الاعجاز صحايفهما مرايا
للمزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلايد العقيان ولقد كان في سوابق الايام وسوالف
الدهور والاعوام اوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما
يدور في خلدي على استمرار آناء الليل واطراف النهار ان انظم درر فوايدهما في سمط دقيق
وارتب غرر فرايدهما على ترتيب انيق واضيف اليهما ما الفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من
جواهر الحقايق وصادفته في اصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقايق واسلك خلالها
بطريق الترصيع على نسق انيق واسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شان التنزيل ويستدعيه
جزالة نظمه الجليل بما سنح للفكر العليل بالعناية الربانية وسمح به النظر الكليل بالهداية
السبحانية من عوارف معارف تمتد اليها اعناق الهمم من كل ماهر لبيب وغرايب رغايب ترنو
اليها احداق الامم من كل نحرير اريب وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الافهام في مداحض الاقدام
وتدقيقات متينة تزيل خطرات الاوهام من خواطر الانام في معارك افكار تشتبه فيها الشئون
ومدارك انظار تختطف فيها الظنون وابراز من وراء استار المكنون من دقايق السر المخزون في
خزاين الكتاب المكنون ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز و
اهديها الى الخزانة العامرة العامرة للجناب الرفيع لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض
واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض الا وهو السلطان الاسعد الاعظم والخاقان الامجد
الافخم مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع
رايات الدين الازهر موطد آيات الشرع الانور مخمد انوف الفراعنة والجبابرة معفر جباه القياصرة
والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب الهمام الذي شرق
عزمه المتين فانتهى الى المشرق الاقصى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس لو ادنى بجيش عرمرم تتزاحم الافواج
وعسكر كخضم متلاطم الامواج فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب وما بين نقطتي الشمال والجنوب
منتظما في سلك ولاياته الواسعة ومندرجا تحت ظلال راياته اللامعة فاصبحت منابر الربع المسكون
مشرفة بتذكار اسمه الميمون فياله من ملك استوعب ملكه البر البسيط واستغرق فلكه وجه البحر المحيط
فكانه فضاء ضربت فيه خيامه او نصبت عليه الرتبة اعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل
على كافة الامم قاصم القياصرة وقاهر القروم سلطان العرب والعجم والروم سلطان المشرقين
وخاقان الخافقين الامام المقتدر بالقدرة الربانية والخليفة المعتز بالعزة السبحانية المفتخر
بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين وحماية المقامين الجليلين المفخمين ناشر القوانين السلطانية
عاشر الخواقين العثمانية السلطان ابن السلطان سليمان خان ابن السلطان المظفر المنصور والخاقان
الموفق المشهور صاحب المغازي المشهورة في اقطار الامصار والفتوحات المذكورة في صحايف الاسفار
السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان لازالت سلسلة

سلطنته

سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان وارواح اسلافه العظام متنزهة
في روضة الرضوان وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام لقصور شاني وعزة المرام
اين الحضيض من الذرى شتان بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد العنقا بالشباك و
اقتباس الجذوة من فلوح الافلاك فمضت عليه الدهور والسنون وتغيرت الاطوار وتبدلت الشئون
فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد واخرى في قضاء العساكر والاجناد
فحال بيني وبين ما كنت اخال تراكم المهمات وتزاحم الاشغال وهجوم العوارض والعلايق
وهجوم الصوارف والعوايق والتردد الى المغازي والاسفار والتنقل من دار الى دار ان كنت و
في تضاعيف هاتيك الامور اقرر في نفسي ان انتهز نهزة من الدهور ويتيسر لي القرار وتطمين
بالبال واظفر حينئذ بوقت خال انبتل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال واوجه اليه
وجهي واسلم اليه سري وعلانيتي وانظر الى كل شي بعين الشهود واتفرغ لما هو في كل خود
تلذ فيها الملذات واستعد للممات وانتصدي لتحصيل ما عزمت عليه واتولى تكميل
ما توجهت اليه برفاهية واطمينان وحضور قلب وفراغ جنان فبينما انا في هذه الحال
اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال تحولت الاحوال والدهر حول فوقعت في امر اشق من الاول امرت بحل
مشكلات الانام فيما يجري بينهم من النزاع والخصام فلقيت معضلات تطول لها الذيول وصرت
كالهارب من المطر الى السيول فبلغ السيل الزبى وغمرني غمر عوادي المجرى بين زيد وعمرو
فاصبحت في ضيق المجال ممن يضرب بها الامثال فجعلت اتمثل بقول من قال

لقد اشكو الحوادث برهة ... واستمرض الايام وهي صحايح
الى ان تغشتني وقت حوادث ... تحقق ان السالفات منايح

فلما انصرمت عرى الآمال عن العروة بمجموع البال ورأيت ان الفرصة على جناح الفوات وشمل
الاسباب في شرف الشتات وقد مسني الكبر وتضاءلت القوى والقدر ودنى الاجل من الحلول
واشرفت شمس الحيوة على الافول عزمت على انشاء ما كنت انويه وتوجهت الى املاء ما ظللت ابتغيه
ناويا ان اسميه عند تمامه بتوفيق الله تعالى وانعامه **ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم**
فشرعت فيه مع تفاقم المكاره علي وتزاحم المشاغل بين يدي متضرعا الى رب العظمة
والجبروت خالق عالم الملك والملكوت في ان يعصمني عن الزيغ والزلل ويقيني مصارع السوء
في القول والعمل ويوفقني لتحصيل ما اؤمله وارجوه ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه ويجعله
خير عدة وعتاد اتمتع به يوم المعاد فيامن توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابك الرفيع ورفعت
ايدي الضراعة والسؤال الى جنابك الرفيع افض علينا شوارق انوار التوفيق واطلعنا على دقايق اسرار
التحقيق وثبت اقدامنا على مناهج هداك واوزعنا بما فيه امرك ورضاك ولا تكلنا الى انفسنا
في لحظة ولا آن وخذ بنواصينا الى الخير حيث كان جئناك على جباه الاستكانة ضارعين ولابواب

فيضك قادرين انت الملاذ في كل امر مهم وانت المعاذ في كل خطب ملم لا رب غيرك
ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور لك الخلق والامر واليك النشور

سورة فاتحة الكتاب مكية وهي سبع آيات

الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة
في فتح الكل ثم اطلقت على اول كل شيء فيه تدرج بوجه من الوجوه كاوائل التدريجي حصولا والسطور
والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح
اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات
وبالباقي بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة في تعلقه بما في ثانيا حتى يرد انه لا يتسنى في
الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه
بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطة كونه
جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته على
الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة
على السورة الكريمة تمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر
المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة
بهذا الاسم في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه
او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفي فيه تحصله باعتبار تحققه في علمه عز وجل او في
اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه الصلاة والسلام على السفرة ثم كان
ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في
جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية
كونه مبدا للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلاة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول
فبين اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرا في الصلاة حتى يعتبر في التسمية مبدئيتها
له واما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من حيث التعليم ومن حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في
بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب ان الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على وفق الترتيب المعهود
وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشا له اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله
عز وجل والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام
العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن
هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى اللوح المحفوظ بها لكونه اصلا لكل الكائنات والآيات الواضحة
الدالة على معانيها لكونها اصلا يحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما اورده

الامام

الامام البخاري في صحيحه من انه يبدا بقراءتها في الصلاة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما لا يخفى
على اللبيب وتسمى سورة الكنز لقوله عليه الصلاة والسلام انها انزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر في
ام القرآن كما انه الوجه في تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم
المسالة لاشتمالها عليها وسورة الصلاة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه الصلاة
والسلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات تثنى في الصلاة او لتكرر نزولها
على ما روي انها نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة
وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم
اختلف الائمة في شان التسمية في اوائل السور الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول ابن مسعود
ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها
وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية
تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر ايضا وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن
الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر انها نزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن
جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول
الجديد للشافعي ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول
من الشافعي لم يسبقه اليه احد وقيل انها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا في سائر السور
ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها اولا ولا لكونها آية تامة اولا وهو احد قولي الشافعي
على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة وقيل انها آية تامة
في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وآية تامة في البواقي وقيل انها
بعض آية في الكل وقيل انها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان
تكون جزءا منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض المتاخرين
ولم ينسبه الى احد وهو انها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور ولولا اعتبار
كونها آية تامة لكان ذلك احد محتملي تردد الشافعي فانه قد نقل عنه انها بعض آية في الفاتحة
واما في غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرآنا اولا وقيل بين ان يكون آية تامة
اولا قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي هو التردد الثاني وعن احمد بن حنبل في كونها
آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول
انها ليست من القرآن هذا والمشهور من هذه الاقاويل هي الثلاثة الاول والاتفاق على اثباتها
في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقضي بنفي القول الاول وثبوت
القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزءا من القرآن
لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها آية منفردة منه واما ما روي

عن ابن عباس بان من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى وما روي عن ابي
هريرة من انه صلى الله عليه وسلم قال الفاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وما روي عن ام سلمة من انه عليه الصلوة والسلام قرأ سورة الفاتحة
وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين منها واية لكل واحد منها على نفي القول الثاني قلين
بشيء منها نصا في اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا على كونها آيات من كتاب الله تعالى
متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل واحد منها الا ان
يلتجأ الى ان يقال لا تكونها آيات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها
قول لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور واما الثالث فلحق
لحله فيه مع مشاركته للثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل
المصدر بها كما انها كذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة
الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اي بسم الله اقرأ او اتلو وتقديم المعمول للاعتناء
به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقدير ابدأ لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية
مخل بما هو المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ
والمعنى معا وفي تقدير اقرأ من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية
لا تقدير فعلها ان لم يقل في الحديث الكريم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه او لم يضم فيه ابدا او هذا
الى آخر السورة الكريمة مقولة على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك باسمه
تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم
المسئلة وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت
لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينها وبين لام الابتداء والاسم عند
البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون قد ادخلت عليها عند
الابتداء همزة لان من دأبهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصريفهم على
اسمي وسمية وسمي كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به
ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين
من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد عليه بان
الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره من كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال
بسم الذي في كل سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو المقصود
بالاستعانة هاهنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل
واحداثه اي افاضة القدرة المقصودة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد
من اداء ما لزمه المنقسمة الى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة باياك نستعين فتارة اخرى

باسمه

باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه ما لم يصدر
باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم فلما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين
المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم
هي الاستعانة الاولى الى ان قيل فلتحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك
لا يكون به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر الا فيه فلا بد من ذكر الاسم
لاحتمال ارادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية او التبرك وانما لم تكتب الالف
لكثرة الاستعمال قالوا وطولت الباء تعويضا عنها والله اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس كما
ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك
قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام
والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز
بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس
يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا
بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم
يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما
نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها بدليل
انه يوصف ولا يوصف به حيث قال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب
والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه
بها فمدلولها مركب من ذات يقوم بها ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال ولذلك تعمل عملها
كاسم الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من
ذينك المعنيين من غير رجحان المعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم تعمل عملها وقيل اشتقاقه
من اله بمعنى تحير لانه سبحانه وتعالى تحار في شأنه العقول والافهام واما اله كعبد وزنا ومعنى
فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا تأله واستأله اشتقاق استنوق واستحجر من
الناقة والحجر وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح
الى معرفته وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به واله غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى يفزع
وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه بمعنى احتجب وارتفع لاطلاق على الفاعل
مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا
الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف
في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل وقد
هو وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا كالعلم ويرده امتناع الوصف

ونعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب
بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة
وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة
الشعر في قوله الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال والرحمن الرحيم
صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور
وقد قيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم
فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد
بها هاهنا التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه
البعيد او القريب فان اسماء الله تعالى توجد باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي هي
انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم تطلق على غيره تعالى فانما اختص فيه لحاقا له
بالاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما لحظ وجود فعلى لحظ وجود فعلانة
فاعتباره يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى الاصل هذه الكلمة تقبل الاختصاص بان
يقاس الى نظائرها من باب فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق فعلى فيها علم ان
هذه الكلمة ايضا في اصلها تمام لتحقق فيها وجود فعلى فتمنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في
الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تاخيره رعاية
لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه لاختصاصه
به عز وجل صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولانه لما يدل على جلائل
النعم وعظائمها احق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين
بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة الحمد لله الحمد هو الثناء بالجميل على الجميل الاختياري كان او مبدأ
على وجه يشعر بتوجهه الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك
الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق
الثاني بمفعوله يشبه تعلق عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله مبني
عن معنى الانهاء كما في قولك كلمته فانه معرب عما يفيده لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره
شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها مبني عن المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل
في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف
اصلا واما المفعول به الذي هو محل لوقوعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء
مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان
يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة
اما بالانتهاء اليه كالاعطاء المتعدية او بالابتداء منه كالاستعانة منك اعتبر فيه من انحاء

تعلقه

تعلقه به كيفية لا تفي بها تلك المعاني ثم ان الغير في النحويين الاخيرين فنظم القسم الاول من التعلق
في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين من قبيل
التعلق بواسطة الجار المناسب فان قولك اعطيته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته
بابتدائها منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالآخر على
الثانية او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسألني المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا
قد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث على الاولى وكذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك
على الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في اختلاف هذه الكيفيات الثلاث وتباينها
واختصاص كل من الافاعيل المذكورة بما نسب اليه منها بحيث لا يتصور فيه تردد ولا تكثر وان لا ينبغي
حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف الفعل او
اختلاف المفعول فاذا لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية
التعلق لاختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت
زيدا على حسنه ورشاقة قده واياما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق
الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتاييد يتناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما
من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول فانما مرادف النصر الاعانة ومرادف التاييد التقوية
فقد تم ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائق بالارادة في مقام التعظيم واما
ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضا مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
وفي قولهم هذا الامر عاقبته حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود تام لا يختص بما لا يختص
بالمفاعلة فضلا عن الاختيار فبمعزل من استحقاق الارادة منها استقلالا او استتباعا
بحمل الحمد على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فائدة يعتد بها واما الشكر فهو
مقابلة النعمة بالثناء وآداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال
من قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فاذن هو
اعم منهما من جهة واخص من اخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من شعب الشكر ادخل
في اشاعة النعمة والاعتداد بشأنها وادل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي اعمال
الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاك الامر في قوله صلى الله عليه وسلم الحمد
راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما
هو المشهور بشأن المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة التي لا يكاد يستعمل معها كشكرا وعجبا
كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية كما هو في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد
الفاعل في الكل واما ما قيل ان بيان الحمد هو له تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد
فمما لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه

انتظام الكلام وتنساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده
تعالى على تلك الكيفية الآنفة لا يخطر ببال احد ان يسأل عن كيفيته على ان ما قرر من السؤال غير
مطابق للجواب فان سوقه لتعيين المعبود لا لبيان العباد حتى يتوهم كونه بيانا لكيفية تحمدهم
والاعتذار بان المعنى نخصك بالعبادة ويستبين كيفية الحمد تعكيس للكلام وتحول التوفيق
المنزل المقرر بالموسوم القدر وبعد اللتيا والتي ان فرض السؤال من جهته تعالى عز وجل فات نكتة
الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير لتحل النظام لا يتيان الجواب
على خطابه تعالى فلهذا يتضح فساد ما قيل انه استيناف جوابا للسؤال المقتضيه لجلاء تلك
الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه فاجيب
نخصك بالعبادة والاستعانة فيه فان نشاشئ جانب السائل بالكلية توهينا للجواب على خطابه
عز وجل بما يجب نزاهة ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيد عنه انه استيناف صدر عن الحامد
بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان
يتوسطه هناك شيء كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للدلالة على ثبوت
الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة
النصب وهو السر في كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قولهم قالوا
سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث حاضرة في ذهن السامع
والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق
البرهاني لكن لا ينافي ان افعال العباد مخلوقة له تعالى لكون الافراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم
من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي
منزلة العدم كيفا وكما وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها
في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام • وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام
وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة
كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل **رب العالمين** بالجر على انه صفة الله فان اضافته
حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا على
المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه
بالحمد لقلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب
في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ووصف به الفاعل مبالغة كالعدل
وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما
هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب
الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من

انه صلى

انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل
سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه على الله
تعالى جاز في اطلاقه الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ءارباب متفرقون خير الاية • والعالم
اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك
بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم
العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع كما في قولنا العالم بجميع اجزائه
محدث • وقيل هو اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع
وقيل اريد به الناس فقط فكل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر
والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في
الآفاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الحق الاظهر وايثار صيغة الجمع لبيان
شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما
توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي
اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف العالم وان لم يطلق على آحاد مدلوله
منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق آحاد مفرده وان لم
يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد
الجنس المسمى به وان لم يطلق عليها كانها آحاد مفردة التقديرية ومن قضية هذا التنزيل
تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع كما ان الاقاويل يتناول كل واحد من آحاد الاقوال يتناول لفظ
العالمين كل واحد من آحاد الاجناس التي لا تكاد تحصى • روي عن وهب بن منبه انه قال لله
ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات
العقلاء وما في حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم
واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الآحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح
واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما فانه كما يستدل
على الله سبحانه وتعالى بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء
من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته فالكل
فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان دليل لائح على
الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة
الى بيانه اذ لا شيء مما احدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات
والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية
عنه آنا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم ومهاوي البوار

لكن يفيض عليه من الجناب الأقدس تعالى شانه وتقدس من كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي
قبول الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وكمالاته وصفاته ما لا يحيط به فلك التعبير
ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق شي من الممكنات بذاته الوجود ابتداء ولا
يستحقه بقاء وافاد ذلك من جناب المبدا الاول عز وعلا انه كما لا يتصور وجوده ما لم ينسد
عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه
جميع انحاء عدمه الطاري علما ان الدوام من خصائص الوجود الوجوبي فظاهر انما يتوقف عليه
وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب تناهي
ما هو كل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي المعبر عنها بارتفاع
الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة ان يكون لشي واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده
وبقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في انفسها فانتفاء تلك
الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشي من وجوده غير متناهية وقبل الجمل شانا
موجب عز وجل من المقابضة على فرد من افراد الموجودات في آن من آنات الوجود غير متناهية
فسبحانه سبحانه ما اعظم شانه لا تلحظ العيون ولا تطالع العقول بافكارها شانه
لا يضاهي واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته متحايرون وفي اقامة مراسيم شكره قاصرون
نسالك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك
لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك **الرحمن الرحيم** صفتان لله تعالى فان اريد بما فيهما من
الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يفيض على الكل على طور الوجود من النعم فوجه تاخيرهما
عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد بها النعم التي في الاطوار كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي
وسعت كل شي فوجه التعقيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في عقبها للايذان
بانه تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة
على احسن ما يكون والاقتصار على نسبته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك
المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده **مالك يوم الدين** صفة رابعة له تعالى
وتاخيرها عن الصفات الاول لما انها الاحاطة الجلية لا توجهها وقرا اهل الحرمين المحترمين
ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الظاهر والغلبة التامة
والقدرة على التصرف الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة
الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك
بلفظ الماضي ومالكا بالنصب على المدح من عادة عما بين مطلع الشمس وغروبها من الزمان
وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت
والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدين تدان وقول الاول في

بيت الحماسة

بيت الحماسة ولم يبق سوى العداوة دناهم كما دانوا واما الاول فمن الاول والثاني
في الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشي باسم مسببه كما سميت
ارادة القيام والقراءة باسمهما في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلوة وقوله تعالى فاذا
قرات القرآن فاستعذ بالله ولعله السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها
بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره فان قيام السرقة التي هي سبب العقوبة باللص نزل
منزلة قيام المسبب وهي العقوبة به فصار كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت
صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة
كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح
وتخصيصه من بين سائر ما وقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب
والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى
اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء
المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين كلها في يوم الدين
وخلو اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال
او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة
حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين
وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر
ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر في
اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة
لفظية الا ترى انك تقول في مالك عبده امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه مالك
معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما لتعظيمه وتهويله او لبيان تفرده
تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ
بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه وتعالى تعليل لما سبق من اختصاص
الحمد به تعالى والمستلزم للاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار
العبادة والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منها
له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهرة لانهما متعارضتان من رحمته
لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان
اتصافه بهما تعالى ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان لا يكون لكل منهما
عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى
دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعني بالاختصاص **اياك نعبد واياك**

تنبيه الالتفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين النظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة
في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضيه المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل
في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد
من الاخرين كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الآية وقوله تعالى حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار يقتضيها
ومزايا يستدعيها ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على ان تخصيص
العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى
تعين واتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب
والايذان بان حق التالي بعدما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب
للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية
المميزة له عن افراد جميع العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على
التفصيل الذي مرت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل
في عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حضرات القدس حاضرا في محاضر الانس
كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعو بالخضوع والاخبات ويقرع بانامل الضراعة
باب المناجاة قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة
فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد او يستعان
ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلاة التي هي
مناجاة العبد لمولاه ومنته للتبتل اليه بالكلية واياك ضمير منفصل منصوب وما يلحقه
من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب
كالتاء في انت والكاف في ارايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن
بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياه الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي الضماير وايا
دعامة لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة
والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد
اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة ما يرضى به الله تعالى والعبودية الرضى بما فعل
الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما
لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام
به قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير للتنصيص على تخصيصه
تعالى بكل واحد من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب
وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه

واما الاستعانة

واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله
تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة
للمستعان في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول
هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة عن المفعول ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد
قيل ان المسؤول هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق
بشأن التنزيل والمناسب لحال الحامد فان استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله
ليستعينه سبحانه وتعالى في ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه
تعالى واشتغاله باداء ما توجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله
واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه وقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى
اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه ثانيا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه
من امور دنياه او بما يعمها وغيرها كانه قيل واياك نستعين في ذلك فانا عاجزون عن اداء
حقوقه من غير اعانة منك ووجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته
تعالى وعزة منالها وبكونها عند العابد اشرف المباغي والمقاصد وكونها من مواهبه تعالى لا من
اعمال نفسه ومن المؤاخذة لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي انا نعبدك مستعينين
بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف
في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك
انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وفرقتهم كما هو ديدن الملوك والاشعار باستتباع ساير
الموحدين له في الحالة العارضة له بناء على تعاضد الادلة الملجئة الى ذلك وقرئ نستعين
بكسر النون على لغة بني تميم اهدنا الصراط المستقيم افراد لمعظم افراد المعونة المسؤولة بالذكر
وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بتلطف على
ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على
التهكم والاصل تعديتها بالى واللام كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل
الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى
لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة
فمنها النفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء افاعيله
الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة
مصالحه المعاشية والمعادية ومنها افاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي
نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة
عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية

علي فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الي سلك الاستدلال بتلك الأدلة التكوينية
الافاقية فاما الكونية والانفسية علي مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالي وفي الارض
آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله عز وجل ان في اختلاف الليل والنهار وما
خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون   ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار
علي قلب المهدي بالوحي والالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحلها وطالب
يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالي والذين اهتدوا زادهم هدى
واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية علي الوجه الاخير
مجاز قطعا واما علي الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه كان
مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة
هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز   وقرئ ارشدنا
والصراط الجادة اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء اذا
ابتلعه سميت به فانها تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد
تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص
الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعها صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق
والسبيل في التذكير   والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة
المتوسطة بين الافراط والتفريط
صراط الذين انعمت عليهم
بدل من الاول بدل الكل وهو في
حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التاكيد والتنصيص علي ان طريق الذين
انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة المشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم
عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان
النعم كلها فمن فاز بها فقد حاز النعم بحذافيرها   وقيل المراد بهم الانبياء عليهم الصلوة
والسلام ولعل الاظهر انهم المذكورون في قوله تعالي عز وجل فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالي
ولهديناهم صراطا مستقيما   وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام
قبل النسخ والتحريف   وقرئ صراط من انعمت عليهم   والانعام ايصال النعمة وهي
في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت علي ما يستلذه
النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالي مع استحالة احصائها تنحصر اصولها في دنيوي
واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه
واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة
الاعضاء   والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات

البهية

البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المرضية وحصول الجاه والمال   والثاني
مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع الملائكة المقربين والمطلوب هو
القسم الاخير وما هو ذريعة الي نيله من القسم الاول   اللهم ارزقنا ذلك بفضلك
العظيم ورحمتك الواسعة
غير المغضوب عليهم ولا الضالين
صفة للموصول علي انه
عبارة عن احدي الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام باستقامة المسلك ومن ضرورة هذه
الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين
المذكورين اعني المغضوب عليهم والضالين فاكتسبت بذلك تعرفا مصححا لوقوعها
صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا
بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة
التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال   وقيل المراد بالموصول طائفة
من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد
لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى لما روي في مسند
احمد والترمذي فيدل لفظ غير علي ابهامه نكرة مثل موصوفه وانت خبير بان جعل الموصول
عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدلية ما اضيف اليه ما قبله فان مدارها كون صراط
المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء علي الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن
البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الي كلهم لا الي بعض منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الي
جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شأن البدل ان يفيد متبوعه مزيد
تاكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب ان قصارى ما يفيده ان يلتبس بما اضيف فيه
نوع تعريف مصحح لوقوعه صفة الموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما
ذكر من الفوايد فكلا   وقرئ بالنصب علي الحال والعامل انعمت او علي المدح او علي الاستثناء ان فسر
النعمة بما يعم القبيلتين   والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الي الله تعالي
يراد به غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا علي مسببه القريب ان اريد به ارادة
الانتقام وعلي مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام علي التمثيل بان شبه
الهيئة المنتزعة من سخطه تعالي للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال
الملك اذا غضب علي الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم   وعليهم مرتفع بالمغضوب
قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالي كالانعام جرى علي منهاج الآداب
التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالي الذي خلقني
فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالي وانا لا ندري
اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مرية في ان تاكيدهما افاده غير من معنى

النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب جواز أنا زيدا لا ضارب وإن امتنع أنا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين

آمين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد ألفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال إنه كالختم على الكتاب وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن أبي حنيفة رحمه الله أن المصلي يأتي بها مخافتة وعنه أنه لا يأتي بها الإمام لأنه الداعي وعن الحسن مثله وروى الإخفاء عبد الله ابن مغفل وأنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها لما روي عن وائل بن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وعن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله سبحانه وتعالى فيرفع عنهم بسببه العذاب أربعين سنة

سورة البقرة مائتان وثمانون وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الم الألفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة أسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك أساطين أئمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة وأما ما روي عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي لا أقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فإن إطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه أئمة الصناعة وإنما الحرف عند الأوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة أيضا تجوزا فأريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين إرادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك أن الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله أو القرآن

هذا من

وهذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة إنما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها بأسمائها أو بأنفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول إلا على ذات الموضوع لا أسماؤها المؤلفة كما إذا قلت الألف مؤلفة من ثلاثة أحرف كما أن الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها لا بمقابلة أسمائها الملفوظة والألفاظ الموافقة في العدد إذ الحكم بأن كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بأنه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل العدول عن ذكر مثال التسمية الشرفية أن استتباع الحسنة منوط بإفادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما أن سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها إلا بتلفظ حروفها بأنفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة إلا بالتعبير عنها بأسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الأول من غير فرق بينهما إلا بكون الأول ملفوظين بأنفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائقة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الألفاظ صدرا لاسمه ليتأدى بالمفهوم منه أثر ذي أثير خلا أن الألف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة إذ لا مناسبة بينها وبين مبني الأصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الأعجاز على الوقف كأسماء الأعداد وقلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة أين وكيف وهؤلاء وإن وليها عامل مسها الإعراب وقصر ما آخره ألف عند التهجي لابتغاء الخفة لا لأنه وزانه وقد لا تقصر فتارة تكون حرفا وتارة أخرى فيكون اسما لها كما في قول حسان ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد لم تسمع له لاء هذا وقد تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمة وما أريد بها فقيل إنها من العلوم المستورة والأسرار المحجوبة روي عن الصديق رضي الله عنه أنه قال في كل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور وعن علي رضي الله عنه أن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال عجزت العلماء عن إدراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل إنها أسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها إشارة إلى اسم من أسمائه تعالى أو صفة من صفاته تعالى وقيل إنها صفات الأفعال الألف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل إنها من قبيل الحساب وقيل أقسم الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث إنها أصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني أسمائه الكريمة وقيل إشارة إلى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل ولكن الذي عليه التعويل إما كونها أسماء السور المصدرة بها وعليه إجماع الأكثر وإليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها إيذانا بأنها كلمات عربية معروفة

التركيب من مسميات هذه الألفاظ فلولا أنه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من أنها أسماء القرآن والتسمية بثلاثة أسماء فصاعدًا إنما تستنكر في لغة العرب إذا ركبت وجعلت اسمًا واحدًا كما في حضرموت فأما إذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غايته دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه حسبما تحققته آنفًا وإنما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الأسماء لأنه أدل على كيفية التلفظ بها وهي أن تكون على نهج التهجي دون التركيب ولأن فيه سلامة عن التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على أن خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس وأما كونها مسرودة على نمط التعديد وبحسبه جنح أهل التحقيق فقالوا إنما وردت هكذا لتكون إيقاظًا لمن تحدي بالقرآن وتنبيهًا لهم على أنه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا أنه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار وأمراء الكلام في نادي الفخار دون الإتيان بما يداني فضلًا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعاورة والمعارة أو ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلًا بضرب من الغرابة أنموذجًا لما في الباقي من فنون الإعجاز فإن النطق بأنفس الحروف في تضاعيف الكلام وإن كان على طرف الثمام يتناول الخاص والعام من الأعراب والأعجام لكن التلفظ بأسمائها إنما يتأتى ممن درس وخط وأما من لم يحم حول ذلك قط فأعز من بيض الأنوق وأبعد من مناط العيوق لا سيما إذا كان على نمط عجيب وأسلوب غريب منبئ عن سر سري مبني على نهج عبقري بحيث يحار في فهمه أرباب العقول ويعجز عن إدراكه ألباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على أنصاف أساميها تحقيقًا أو تقريبًا كما يتضح عند الفحص والتنقير حسبما فصله بعض أفاضل أئمة التفسير فسبحان من دقت حكمته من أن تطالعها الأنظار وجلت قدرته عن أن تنالها أيدي الأفكار وإيراد بعضها أفراديًا وبعضها ثنائيًا إلى الخماسية جري على عادة الافتنان مع مراعاة أبنية الكلم وتفريقها على السور دون إيراد كلها مرة لذلك ولما في التكرير والإعادة من زيادة إفادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل إلى المطالبة بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبني على التوقيف البحت أما الم فآية حيثما وقعت وقيل في آل عمران ليست بآية والمص آية والمر ليست بآية في شيء من سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وكهيعص آية وحمعسق آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأي الكوفيين وقد قيل إن جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها وأما من عداهم فلم يعدوا شيئًا منها آية ثم إنها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم ريحة الإعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها أسماء للسور أو للقرآن كان لها حظ منه إما

الرفع على

الرفع على الابتداء أو على الخبرية وإما النصب بفعل مضمر كما ذكر أو بتقدير فعل القسم على طريقة الله لأفعلن وأما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الأعجاز إلا أن ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتأتى فيها الإعراب اللفظي أيضًا وقد قرئ بالنصب على إضمار فعل أي اذكر أو اقرأ صاد وقاف ونون وإنما لم ينون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث أجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب أسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن فكأنه جعله اسمًا أعجميًا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي أيضًا عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز أن يكون ذلك في الكل تحريكًا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب بإضمار فعل القسم لأن ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الأول وهو السر في جعل ما عدا الواو الأولى في قوله تعالى والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الأول والثاني في الإعراب نعم يمكن ذلك بجعل الأول مجرورًا بإضمار الباء القسمية مفتوحًا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طاسين ميم أن تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه وما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها إلا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر الأحكام كل منها في مواقعها بإذن الله عز سلطانه أما هذه الفاتحة الشريفة فإن جعلت اسمًا للسورة أو للقرآن فمحلها الرفع إما على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم أي مسمى به وإنما صحت الإشارة إلى القرآن بعضًا أو كلًا مع عدم سبق ذكره لأنه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان وإما على أنه مبتدأ أي المسمى به والأول هو الأظهر لأن ما يجعل عنوان الموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الإخبار بها وادعاء شهرتها بأنه التحدي في أن المسمى هو السورة أو كل القرآن ذلك اسم إشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار إليه والكاف للخطاب والمشار إليه هو المسمى فإنه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف إثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من أنه باعتبار التقضي أو باعتبار الوصول من المرسل إلى المرسل إليه في حكم المتباعد وإن كان مصحح الإيراد لكنه بمعزل من ترجيحه على إيراد ما وضع للإشارة إلى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هو السورة لأن المشار إليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة ولئن ادعي اعتبار الحيثية الثانية في الأولى بناء على أن التسمية لتمييز السورة بعضها عن بعض فذلك لتذكيرها بعده وأما على الوجه الأول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان وقوله عز وعلا الكتاب إما بدل منه أو صفة له وأما إذا كان نجيبًا فالجملة على الوجه الأول مستأنفة مؤكدة لما أفادته الجملة الأولى من نباهة شأن المسمى لا محل لها من الإعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على أنها خبر للمبتدأ الأول واسم الإشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب إما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والصنع للمخلوق والمصنوع وإما فعال بني للمفعول كاللباس من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها إلى بعض وأصله الجمع والضم في الأمور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما أن أصل القراءة الجمع والضم في الأشياء الخافية عليه والمراد بالكتاب [illegible] على تقدير كون المسمى هو السورة جميع القرآن الكريم وإن لم يتم نزوله عند نزول السورة إما باعتبار تحققه في علم الله تعالى أو باعتبار ثبوته في اللوح أو باعتبار نزوله جملة إلى السماء حسبما ذكر في الفاتحة والمعنى أن هذه السورة هي الكتاب أي العمدة القصوى منه كأنه في إحراز الفضل كل الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام

الحروف وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن فاللام اما للجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل
الحقيق بان يختص باسم الكتاب بعنا يستغرق على بقية الافراد في حيازة بحيث كان ما عداه في الكتب
السماوية خارج منها بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من
مرضي الخصال وعليه قول من قال هو القوم كل القوم فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من
افراده وفي الصورة الاولى من جهة حصر كل الكل من الجنس ولا مساغ هنا لحمل الكتاب على الجنس لان
مفرده المعهود هو مجموع القرآن الشامل لسائر افراده من الكتب السماوية لا بعضه الذي ينطلق عليه اسم الكتاب
باعتبار كونه جزءا لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ولان حصر الكمال في الصورة مشعر بنقصان
سائر السور وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبر ذلك واما
اذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير كون آلم خبر مبتدأ محذوف اما خبر كان او بدل من الخبر الاول او مبتدأ
مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدأ اما خبر له او مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر المبتدأ الاول
او مبتدأ مستقل والمشار اليه على كل التقديرين هو المسمى لا ريب سواء كان عين السورة او القرآن ومعنى البعد
ما ذكر من الاستبعاد بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه
الكتاب الموعود فمعنى البعد حينئذ ظاهر خلا انه ان كان المسمى هي السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القرآن فهو ما في التوراة والانجيل هذا على تقدير كون آلم اسم السورة
او القرآن واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبر او صفة والخبر ما بعده
على نحو ما سلف او يقدر مبتدأ اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ آلم تنزيل الكتاب وقوله تعالى
لا ريب فيه اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاث المذكورة او على انه خبر ثان لآلم او
لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدأ المقدر لحوا على رأي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى
فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة
مستأنفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها ولا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان لحملها
عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها
به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه
تضمنه معنى من الاستغراقية حتما انه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا ريب
موجود او نحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله فالظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق
وسلبه عن الريب المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه من الريب المطلق وقد يحمل الخبر
المحذوف ظرفا فيجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول
ان ذلك موجب للاستغراق وهذا محتمل له والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها
قلق النفس واضطرابها ثم استعمل للشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث
دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث ليس فيه
مظنة ان يرتاب في حقيته وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا ترى
كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الخ فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا
او ان ارتبتم فيما نزلنا الخ لانه مخالف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه
ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد هاهنا ذلك الاشعار
كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول
هدى مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك

وقيل هي

وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا شك في ان عدم الوصول
معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في
مفهوم الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر ومحصل الهدى المتعدي هو التوجيه
الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل المقابلة الذي هو الضلال اي التوجه غير موصل قطعا وهذا كما
ترى مبني على ما بين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي
وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلانه مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه
على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى
لا بد فيه من اعتبار توجه من علم الى ما من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور
عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحققة
للمقابلة بينهما وانما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحقق مفهوم الهدى او لا بد فيه
من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر
هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا بحسب اعتبار
عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي به قطعا لاستحالة
التوجه الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته ولان
التوجه الى المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم الوصول
فحيث كان امرا مستمرا مثل ما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه
في آن من آنات تلك الازمنة تقارنه في ذلك الآن مقابله الذي هو الوصول فيما فرضناه ضلالا لا يكون
ضلالا وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد
في السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا من غير نقص ولا
جور من قبل التوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد
اصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي
ايضا واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان الفعل
الفاعل على حقيقته هو الذي يصدر عنه ويتم من قبله بحيث لم يبق له في تحققه في نفسه بعد تعلقه
بمفعوله تعلق بمدلول اسمه قطعا ثم لما كان له آثار باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية
تعلقه بمفعوله وقوع تلك الآثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام مقتضية
لافرادها باسماء خاصة وعرض له بالقياس الى كل مترتب عليه اثر من تلك الآثار اضافة مخصوصة
ممتازة بها عما عداها من الاضافات العارضة بالقياس الى سائرها كانت تلك الآثار تابعة له في
التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا امر لها سوى فاعله عند تمامه ولعدم اعتبار الاضافة
العارضة لكل منها داخلة في مدلوله كالاعطاء المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة
العارضة له بالقياس الى الآثار اللازمة له وهذا امر مطرد في آثاره الطبيعية واما الآثار التي لها
مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها تترتب عليه تارة وتفارقه اخرى بحسب وجود
اسبابها الوجودية وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعيا
اليها فحيث كانت مستقلة في انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية لمساقه
له لم تعد من تتمة ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة

لانه من حيث امتثال المامور والاضافة العارضة للمدعو بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة
وان عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين
للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم تعتبر
الاضافة العارضة لهما بحسبه امتثالا واجابة داخلة في مدلول اسم الامر والدعوة بل جعلا
عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو حتى وجد الامتثال والاجابة اولا اذا تمهد هذا
فنقول كما ان الاجابة والامتثال فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن المدعو والمامور باختيارهما
غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين
عليهما في الجملة كذلك هدي المرشد اي توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل صادر عنه باختياره
غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة
فلما لم يعد من متممات الامر والدعوة ولم تعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في
مدلولهما علم انه لم يعد الهدي اللازم من متممات الهداية ولم تعتبر الاضافة العارضة لها بحسبه
داخلة في مدلولها ان قيل نسبة الهدي الى الهداية كنسبة الامتثال والاجابة بالقياس الى صيغتيهما فان
تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما مامورا او مدعوا وليس من ضرورته
اتصافهما بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين لعدم تخلف الهدي بالنسبة الى الهداية
فان تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه
بمصدره الماخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا عينه
وجه اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يستدعي الا
اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن
الدلالة المذكورة بالمهدي لا تستدعي الا اتصافه بالمهدية التي هي عبارة عن المصدر الماخوذ من المبني
للمفعول من غير تعرض لقبوله تلك الدلالة كما هو معنى الهدي اللازم والمقدم وقوله بل الهداية عين الدعوة
الى الطريق الحق والاهتداء عين الاجابة تكلف يخدش مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي
المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار
والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست كذلك كما تحققته فيما سلف فان فعل التعلم
من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم قطعا فليكن الهدي مع الهداية كذلك قلت
ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان
المعلم ليس بمستقل في ذلك فان اسناده اليه ضرب تجوز لان كلا منهما مفتقر في تحققه وتحصيله الى الآخر
فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم وسوقها اليه شيئا فشيئا على ترتيب تقتضيه
بحيث لا يساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما معتبر في مدلوله واما
الهدي الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري يستقل به فاعله لا مدخل للهداية فيه سوى
كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من متمماتها ولا معتبرا في مدلولها فان قيل التعليم نوع من
نوع الهداية والتعلم نوع من نوع الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للهدي في مدلول
الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسالك واستعداد المتعلم لسلوكه من غير
دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا اليه وقد عرفت حقيقة الامر في ذلك التعليم الذي يتخلف الهدي
عن الهداية لتخلف التعلم عن التعليم بحيث لم يكن ذلك تعليما في الحقيقة فلا يكون هداية ايضا كذلك
ولعل تسمية ما لا يستتبع الهدي بها على التجوز قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن

التعليم يكون

التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك واما تخلف الهدي عن الهداية
فليس بشائبة قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدي بعد تكامل ما يتم
من قبل الهادي وبهذا التقرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مدلول الدلالة على ما من
شانه الايصال الى البغية بحيث يتعادل طرفا سلوكه وتركه من غير ان يشترط في مدلولها الوصول
ولا القبول وان الدلالة المقارنة لهما او لاحدهما قد لا تلقاذفة عنهما بكل ذلك مع قطع النظر عن قيد
المقارنة اي حقيقية لها وان ما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى ولو شاء
لهداكم ونحو ذلك تعلق النفي فيه بالوصول من قبيل المجاز والكشف عن الدلالات التكوينية المنصوبة
في الانفس والآفاق والبيانات الشرعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى
كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من عند الله تعالى والحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله للمتقين اي المتصفين بالتقوى حالا او مالا وتخصيص
الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون باثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن
وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية
وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة قال عليه
الصلوة والسلام جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية
وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض وعن شهر بن حوشب المتقي من ترك
ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما فيه باس وعن ابي يزيد التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة
وعن محمد بن حنيف مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقي من تبرأ عن حوله وقوته
وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن ميمون بن مهران لا يكون
الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي تراب بين يدي التقوى
خمس عقبات لا ينالها من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة وايثار الذل
على العز وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحيوة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى
الا ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي من نظر اليه وقيل التقوى ان
تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد
بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك
حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا
واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي
المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته فهذه المراتب عرض عريض تتفاوت طبقات
اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية الالهية المبنية على الحكم
الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة
والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح
الخلق عن الاستغراق في شهود الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية
الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل
المرتبة الاولى فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره على
العبارة المعينة مع ما فيه من الايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اولياء الله تعالى وتفخيم شانهم وان اريد
به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت

الحقيقة وان عني بهم اصحاب الطبقتين الاخيرتين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهداية القرآن
وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فانه اريد بالهدى الارشاد لتحصيل المرتبة الثالثة
فان عني بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعين الحقيقة وان عني بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين
المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه هدى تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم
الى الزيادة فيه فينبغي ان يكون منهم ما هو خارج في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة
على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع على انه خبر
لمبتدأ محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ خبره الظرف المقدم كما اشير اليه او النصب
على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور
من معنى الفعل المنفي كانه قيل لا يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على ان تقيد النفي لا المنفي وحاصل النفي
الريب في حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب لما للمبالغة كانه نفس الهدى ومحل المصدر
بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شان ترتيب هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر
اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالجملة برأسها على انها خبر لمبتدأ محذوف
او مضمر وطائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون
منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق
ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا افضل اعلام الحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له المبتدا
جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او يستتبع السابقة منها
اللاحقة استتباع الطريق الدليل للمدلول لانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم
وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة
عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت
الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى على حاذق شأنه تحسين الحقيقة **الذين يؤمنون بالغيب** اما موصول
بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب
التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات
معا لانها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو اصول
الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات
البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام
ومادحة للموصوفين بالمتقين المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال
الثلاث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على
المدح بتقدير اعني والرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة
باسم الاشارة كما سياتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده
ايضا مستقل واما على الوجوه الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده وتبعيته
له اما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير النصب والرفع على المدح فلان المرفوع والمنصوب
كذلك وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما
تابعان له حقيقة الا ترى كيف التزم حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما
بصورة متعلق من متعلقاته كما قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب

فقد خولف

فقد خولف للافتنان اي للتفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغيير الكلام
المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب
مزيد رغبة فيه من المخاطب لا يقال لا ريب في ان محل الموصول عند كونه خبرا لمبتدأ محذوف كمحله عند
كونه مخبرا عنه باولئك على هدى في انه يتسبب بجملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة
ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه
واحرازهم للهدى والفلاح من النعوت الجليلة فما السر في انه جعل ذلك اي الموصول في الصورة الاولى
من توابع المتقين وعدّ الوقف غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه وعدّ الوقف تاما قلنا السر في ذلك
ان المبتدا في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدا
حسبما تحققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح
نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد
اشتهر في الفن ان الخبر اذا كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه حقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم
يكن معلوم الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار
بعد العلم بها صفات واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبئ عنه المبتدا
من المعاني الدقيقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا عما قبله محافظة
على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى
اثنين يقال امنته غيري ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اي يجعله امنا من التكذيب
والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمأنينة
ومنه ما حكي عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما صرت ذا امن وسكون وكلا الوجهين حسن وهو في الشرع
لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا عليه الصلوة والسلام كالتوحيد والنبوة
والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه والاول رأي
الشيخ الاشعري ومن تابعه فان الاقرار عنده منشأ لاجراء الاحكام والثاني مذهب ابي حنيفة ومن تابعه
وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة
امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد
وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند
المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله
تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيّل وهين في هيّن وميت في ميّت لكن لم يستعمل فيه
الاصل كما استعمل في نظائره واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد
منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا
يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها
من الشرائع والاحكام واليوم الآخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء
صلة للايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا عن الوثوق وهو واقع موقع المفعول به وان جعل مصدرا على
حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله
تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يؤمنون ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اي غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم
غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان

بنفيهم تلك عن [illegible] الآية وانما عن الناس اي غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا
قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى
يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء حينئذ للآلة وترك ذكر المؤمن به
على التقادير الثلاثة اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان
واما للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به **ويقيمون الصلوة** اقامتها
عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه
وعدله وقيل عن المواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها
اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام
بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر
عنها بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لانه الاشهر والى الحقيقة
اقرب والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبت بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص
بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما العظمان الناتئان في اعالي الفخذين لان المصلي
يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي
مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة العطاء
ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به
الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع عن الانتفاع وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول
الحرام الا يرى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الصرف فان انفاق الحرام
بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم
ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق لهما بما روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو
بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغناء
من غير فاحشة فقال صلى الله عليه وسلم لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله لقد
رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن
الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق
والانفاد اخوان خلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى
سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه
بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤوس
الآي [illegible]
[illegible]
لكن لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما**
انزل اليك وما انزل من قبلك معطوف على الذين يؤمنون بالغيب [illegible]
مندرج معه في زمرة المتقين من حيث اللفظ والمعنى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بالكلية مما فيهما من كمال القباحة والمباينة للشرائع كلها الموجبة للاتفاق عليها بخلاف الاخرين فانهم
غير قائلين بما كانوا عليه بل كانوا متمسكين باصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الاعصار
ويجوز ان يجعل كل الموصولين عبارة عن الكل متحد حقيقة الصفتين ولا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف
الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب للايذان بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور
الغائبية والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله وشان خطير مستتبع لاحكام
جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل احدهما تتمة للآخر وقد شفع الاول باداء الصلوة
والصدقة لثبوتهما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها اجمالا ايذانا بكمال العلم بالعمل
وقرن الثاني بالايقان بالآخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما في اعتقاد
اهل الكتابين من الخلل [illegible] بناء على تقدير تعلق الباء بالايمان [illegible] عند تعلقها بالمحذوف
فالكلام في الايمان الغيبي للشرع بما يصدقه من العبادات مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان
بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها مقرون بما قرن به فضيلة باهرة
مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمله ذلك على انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة
والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر
الموصول للتنبيه على تغاير القبيلين وتباين السبيلين فليتامل وان يراد بالموصول الثاني بعينها اندرج
الكل في الاول فريق خاص منهم وهم مؤمنو اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر تخصيص جبرائيل وميكائيل به
انحرجا بان ذكر الملائكة عليهم الصلوة والسلام تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم في تحصيل
ما لهم من الكمال [illegible] الانزال النقل من الاعلى الى الاسفل [illegible] انما هو بتوسط لحوقه بالاعيان المستتبعة
لها فنزوله ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم الصلوة والسلام والله تعالى اعلم بان
يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها
عليهم عليهم الصلوة والسلام والمراد بما انزل اليك هو القرآن باسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن
انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه
منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع
اذ ذاك نازلا وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل اليه من
الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا
بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم [illegible] الآية والايمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث
انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان وجوبه على الكل عينا حرج بين واخلال بامر المعاش وبناء المفعول
للفعل للايذان بتعين الفاعل [illegible] وقرئ على البناء للفاعل **وبالآخرة هم يوقنون**
الايقان اتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه [illegible] اي يعلمونها علما قطعيا
مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا
او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا
او لا وهل هو دائم او لا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم
في امر الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين والآخرة تانيث الآخر كما ان الدنيا تانيث
الادنى غلبتا على الدارين [illegible] وقرئ يؤقنون
بقلب الواو همزة [illegible] ونظيره ما في قوله [illegible]

موقع وجذوة إذ أضاءها الوقود. وقوله تعالى أولئك إشارة إلى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى على هدى خبره وما فيه من الإبهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كأنه قيل على أي هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وإيراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد أو على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه أو على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للإيذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه. وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الإضافية إثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها أي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع أنواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف إليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد أدغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الإعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما هم فيه واستقروا عليه من الهدى حسبما حققته لا سيما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كأنه قيل ما للمنعوتين بما ذكر من النعوت اختصوا بهداية الكتاب العظيم الشأن وهل هم أحقاء بتلك الأثرة فأجيب بأنهم بسبب اتصافهم بتلك الصفات مالكون لزمام أصل الهدى الجامع لفنون المستتبع للفوز والفلاح فأي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جار عن سنن الصواب من قال في تقدير الجواب أولئك الموصوفون غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وأما على تقدير كونهما مفصولين عنه فهي في محل الرفع على أنها خبر للمبتدأ الذي هو الموصول الأول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق إليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كأنه قيل ما بال المتقين مخصوصين به فأجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم إجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة أي الذين هذه شؤونهم أحقاء بما هو أعظم من ذلك كقولك أحب الأنصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجتهم في سبيل الله أولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وأخرى بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك ولا ريب في أن هذا أبلغ من الأول لما فيه من بيان الموجب للحكم وإيراد اسم الإشارة بمنزلة إعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الإشعار بكمال تميزهم بها وانتظامهم بسبب ذلك في الأمور المشاهدة والإيماء إلى بعد منزلتهم هذا وقد جوز أن يكون الموصول الأول مجرى على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدأ وأولئك الخ خبره ويكون تخصيصهم بالهدى والفلاح تعريضا بمن عداهم من أهل الكتاب حيث كانوا يزعمون أنهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح. وأولئك هم المفلحون تكرير لاسم الإشارة لإظهار مزيد العناية بشأن المشار إليهم وللتنبيه على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الأثرتين وأن كلا منهما كاف في تمييزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فإن التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة الثانية مقررة للأولى وأما الإفلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى

نتيجة

نتيجة له وكان كل منهما في نفسه أعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل. وهم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لأولئك وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة حسبما أشير إليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاء أثرهم والإرشاد إلى اقتداء سبيلهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق. إن الذين كفروا كلام مستأنف سيق لشرح أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة إثر بيان أضدادهم المتقين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل وإنما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الأسلوب والتباين في الغرض فإن الأولى مسوقة لبيان رفعة شأن الكتاب في باب الهداية والإرشاد وأما التعرض لأحوال المهتدين به فإنما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله أو مفصولا عنه فإن الاستئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة وأما الثانية فمسوقة لبيان أحوال الكفرة أصالة وترامي أمرهم في الغواية والضلال إلى حيث لا يجديهم الإنذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون في فلوات المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وإنما أوثرت هذه الطريقة ولم يسلك الكلام على بيان أن الكتاب هاد للأولين وغير مجد للآخرين لأن العنوان الأخير ليس مما يورث كمالا حتى يتعرض له في أثناء تعداد كمالاته. وإن من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء ودخول نون الوقاية عليها كإنني ولعلني ونظائرهما وإعطاء معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الأول ورفع الثاني إيذانا بكونه فرعا دخيلا وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب وأجيب بأن ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل وإلا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحروف وأثرها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الأجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والإنكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قائم إخبار عن قيامه وقولك إن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه. وتعريف الموصول إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم فإنها جارية للعهد أو للجنس وقد خص منه غير المصرين بما أسند إليه من قوله تعالى سواء عليهم الخ. والكفر في اللغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح أي الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر قال [illegible] قول لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه. وفي الشريعة إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام به وإنما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فإن من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على أمثال ذلك إذ لا داعي إليه كالزنا وشرب الخمر واحتج المعتزلة بما جاء في القرآن من لفظ الماضي على وجه الإخبار فإن ذلك يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة وأجيب بأنه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما في حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم. سواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى عليهم متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على أنه خبر لأن وقوله تعالى أأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية لأن الهمزة وأم مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الأمر والنهي لذلك عن

معنيهما في قوله عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كما تقول الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا
يختصم اخوه وابن عمه او مبتدأ وسواء عليهم خبر قدم عليه اعتناء بشانه والجملة خبر لان والفعل
انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا
على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل
انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال
الهمزة وام عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتدأ
وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوي
الانذار وعدمه والانذار اعلام للتخويف للتحذير منه افعال من نذر بالشيء اذا علم فحذره
والمراد هاهنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما انهم
ليسوا باهل البشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار
اهم من جلب المنافع فحيث لم يؤثر فيهم كان عدم تاثير البشارة راسا اولى وقرئ بتوسط الف بين
الهمزتين مع تحقيقهما وتوسطها والثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسط
وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب
الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن **لا يؤمنون** جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه
من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل عنه او خبر لان وما قبلها
اعتراض بما هو علة الحكم او خبر ثان على رأي من يجوز عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدل به على
جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه
للمستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف
ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا
من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع
الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان
بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء
به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا على ان كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة الانذار
بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة ولحيازة الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك
قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وفي الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات
ختم الله على قلوبهم استئناف تعليل لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه او بيان وتاكيد له
فالمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم
عليه صيانة له او لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المختوم الاول والثاني
اذ ليس المراد به صيانتها في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد
واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اذا ما على
طريقة الاستعارة التبعية بان شبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب ... المنازل ...
تشبيها معقولا بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع ... ثم يستعار

له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على طريقة التمثيل بان تشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم
وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور
الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحل فيها
حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله
بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور عدة
قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي
منوي مراد قصد بالفاظ متخيلة بها تحقق التركيب فتلك الالفاظ وان كانت مما له دخل في تحقيق
وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن
في شيء منها على الانفراد مجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا
او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود
ولم تكن الهيئة المنتزعة منها من معانيها المدلولة لها وضعا لم يكن ما دل على الهيئة المشبه بها عند
استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز
اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له ذهب فريق من المحققين كالشيخ عبد القاهر
والعلامة ... الى جعل التمثيل قسما براسه ومن رام تقليل الاقسام عد تلك الهيئة المشبه بها من قبيل
المدلولات الوضعية فجعل الكلام الدال عليها عند استعماله فيما تشبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور
اخرى من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى
لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم
ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه ليس بطريق
الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم
ونحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم
لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه
ومنها ان المراد تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن كما في سال به الوادي اذا هلك
وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته ومنها ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه
باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعناقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق
الى تحصيل ايمانهم سبيل سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك
بالختم لانه سد لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بتمادي امرهم في الغي والعناد وتناهي
انهماكهم في الشرك والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه
بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما ومنها ان المراد
بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم **وعلى سمعهم** عطف
على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه
لا على قلوبهم لاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب ولاعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير
الختمين ... ... لانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها
ليس على طريق التبعية ... على ... الختم عليه ختم عليها بل هي مختومة
بختم على حدة ... عدم الختم على سمعهم وباق على حاله ... عنه قوله تعالى ولو علم

الشرفية حق لا يسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق
عليها وعلى العضو الحامل وهو المراد ههنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حاله على حالة
ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحالة لا لان جنايتهم من حيث السمع الذي يتلقى
الاحكام الشرعية ومن به يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد الاحوال الدالة على
التوحيد فانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما
قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى
استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل والتقدير
المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل وعلى ابصارهم غشاوة
الابصار جمع بصر والكلام فيه كما سلف في السمع والغشاوة فعالة من الغشاء اي التغطية بنيت
لما اشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم وانه نوع وهي على رأي سيبويه مبتدأ خبره
الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما يدرك
بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة في الآفاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا
كذلك واما الآيات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا اوثر في بيان الختم عليها
وعلى ما هي احد طريقي معرفته اعني القلب الجملة الفعلية وعلى رأي الاخفش مرتفع على الفاعلية مما
تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة وقيل على حذف
الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما
لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة
والرفع ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى
يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا
فانه ينقخ العطش ويكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم
يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية
والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم
فوق الكبير ويستعملان في الجثث والاحداث يقال رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ووصف العذاب
به لتأكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من
الغشاوة خارجا عما يتعارفه الناس وهو غشاوة التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع
عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين ومن الناس
شروع في بيان ان بعض من لحق حالهم السالفة ليس بالمتقين بل على ما اشكل من محض الاصرار على
الكفر والعناد بل يضمون اليه نوعا آخر من الشر والفساد وتعديدا لها بانهم الشنيعة المستتبعة
لفنون الهائل عاجلة وآجلة واصل ناس اناس كما يشهد له الانسان والاناسي والانس حذفت همزته تخفيفا
لوقوعها في الوقف وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما ما في قوله ان المنايا يطلعن
على الاناس الآمنينا فشاذ سموا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم
وذهب بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم الى انه
مأخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الفا فقيل ناس سموا بذلك لنسيانهم
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما
للعهد او للجنس المقصود على الموصول بمن حسبما ذكر في الموصول كانه قيل ومنهم او من اولئك ومن

اي الناس الذين بلغك انهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه
ونعت لمقدر هو المبتدأ كما في قوله عز وجل ومنا دون ذلك اي جمع هنا الى آخره ومن في قوله تعالى من
يقول موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي
يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الى آخره او فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الى آخره
على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة وما يتعلق به من
الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو الشائع في موارد الاستعمال
فيأباه جزالة المعنى لان كونهم من الناس ظاهر فالاخبار به عار عن الفائدة كما قيل فان مبناه على
كون المراد بالناس الجنس مطلقا ولذا مدار الجواب عنه بان الفائدة هي التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي
الانسانية فحق من يتصف بها ان لا يعلم كونه من الناس فيخبر به ويتعجب منه وان تخيير بان الناس
عبارة عن المعهودين او عن الجنس المقصود من المصرين وايا ما كان فالفائدة ظاهرة بل لان تخبرته
الظرف تستدعي ان يكون اتصافهم بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة مما يتفرع ثانيا
للموضوع متفرعا عنه غير مقصود بالذات فيكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب
لاحد في انه يجب حمل النظم الجليل على اجزل المعاني واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظة من
وجمعه في قوله تعالى آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت
الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم
للايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء للادعاء بانهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه
وانهم قد آمنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحت ما هم عليه من العقائد الفاسدة
حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله تعالى الله عما
باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعواهم
فان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف
وهم يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم وما هم بمؤمنين رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما
حجازية فان جواز دخول الباء في خبرها للتأكيد للنفي اتفاقي بخلاف التميمية وايثار الجملة الاسمية
على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة
لا في الماضي فقط كما تفيده الفعلية ولا يتوهمن ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول
النفي عليها تنعكس الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع
الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع
لا على امتناع الاستمرار كما في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير الآية فان عدم اقتضاء الآية
لاستمرار عدم التعجيل لا عدم استمرار التعجيل واطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا من
جنس الايمان في شيء اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد جوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور
وقد دلت الآية الكريمة على ان من اظهر الايمان واعتقد خلافه لا يكون مؤمنا فلا حجة فيها على الكرامية القائلين
بان من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه مؤمن يخادعون الله والذين آمنوا بيان
ليقول فيتضح لم يجترئون بما يقولون واستئنافا في جواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل
ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الى آخره يخدعون وقد قرئ كذلك وايثار صيغة
المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة
والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخداع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه

ليوقع فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة
من قولهم ضب خادع وادع وهو الذي اذا امر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من
بابه الاخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين
فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة وايا ما كان فنسبته الى الله تعالى
اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اي يعاملون معاملة المخادعين
واما على طريقة المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول عليه الصلوة والسلام
ابانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق
ايديهم وقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما المجرد التي
والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين آمنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى
والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وايقاع صيغة المخادعة على
معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجيح اعتقادهم الباطل كما قيل يزعمون انهم يخدعون
الله والله يخدعهم او على تجريدها استعارة تبعية او تمثيلا لتصوير قصتهم مع الله تعالى والمؤمنين
وصنعه تعالى معهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار
واستدراجهم وامتثال الرسول عليه الصلوة والمؤمنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل
صنيعهم صورة صنيع المخادعين كما قيل كما قيل ثم الا ان نصيبه الذوق للتسليم اما الاول فلان الناس
لا يقصدوا الى الله تعالى بخدعهم مقابل خدعهم له لو يتصورونه من التصدي للخديع واما الثاني
فلان المقام يقتضي ايراد الخديعة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان رجوع وبالها
اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله تعالى وما يخدعون الا انفسهم فالتعرض لحال
الجانب الاخر مخل بتوفية المقام وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم
ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث
يغرونها دائما بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردي وقرئ وما يخدعون والمعنى هو المعنى وقد
حافظ على الصيغة فيما قبل قال وهم يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين
الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل
وهي تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يختدعون
ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته
وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به
وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد هاهنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم
راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير ما يخدعون اي يقتصرون
على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي ما يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وجعل الضلال
ما ظهروه او لعمومه بما يشعرون به لتنزيل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور منزلة الامر
المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس تحميل للشاعر والشعور الاحساس ومشاعر الانسان
حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض المرض عبارة عما يعرض البدن فيخرجه عن
الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في افاعيله ويؤدي الى الموت استعير هاهنا لما في قلوبهم من الجهل
وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك
الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض لحله متقررة

لما يفيده

لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار عدم ايمانهم وتعليل له كأنه قيل ما لهم لا يؤمنون
فقيل في قلوبهم مرض يمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر
فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتيب مضمونها عليه
عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا
بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفرا ويجوز
ان يكون المرض مستعارا لما داخل قلوبهم من الضعف والجبن عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته
تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعلاء الدين بامداد النبي
صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة وتاييده بفنون النصر والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض
الى اخره استيناف لتعليل قوله تعالى يخادعون الله الى آخره كأنه قيل ما لهم يخادعون الله تعالى
ويداهنون ولم لا يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف متضاعف عن مجاهرتهم في
الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب
للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة
للمؤلم والموجوع كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما
سيجيء في قوله تعالى بديع السموات والارض بما كانوا يكذبون الباء للتسبيب او للمقابلة وما
مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده
اي بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الاخر وهم غير
مؤمنين فانه اخبار بحدوث الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان ولو سلم فهو متضمن للاخبار
بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان
يكون محمولا على الظاهر بناء على رأي من يجوز ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به في قول
الشاعر ببذل وحلم ساد في قومه الفتى وكونك اياه عليك يسير اي لهم عذاب يستحقونه
بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجباته القوية اما لان
المراد به العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ما يشركهم المجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب
اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الى آخره واما للايذان
بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للرمز الى كمال سماجة الكذب
نظرا في عظام الجنايات للتجلية لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم
من جهات شتى فان الاقتصار عليه للاشعار بانه لقبحه في الشريعة عن الصديق رضي الله عنه وروي
مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روي ان ابراهيم
عليه الصلوة والسلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض وانما سمي به لشبهه به صورة وقيل ما
موصولة والعائد محذوف اي بالذي يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبي
صلى الله عليه وسلم او القرآن وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام او القرآن او موصولة
اي بالذي يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون من كذب الذي هو للمبالغة كما في بين في بان
وقلص في قلص او للتكثير كما في موتت البهائم وبركت الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى
شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد في رايه ولذلك قيل له مذبذب
واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض شروع في تعداد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكي عنهم
من الكفر والنفاق واذا ظرف زمان مستقبل لزمتها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او

المهج ووقوعه مع الاسم متعلقة بقيل معناها الانهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا
على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمون تفسيره المذكور والفساد خروج الشي عن الحالة اللائقة به
والصلاح مقابله والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن
احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار
المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك
ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة
ولا محل لها من الاعراب ولا بأس بتخلل البيان والاستيناف وما يتعلق بهما من الجملة الصلة فان ذلك ليس
توسطا بالاجنبي وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين
عما هم عليه من الافساد في الارض قالوا اراد ان الناهين ان ذلك غير صادر عنهم [illegible]
الاصلاح انكارا لكون ذلك افسادا او ادعاء لكون ما اصلحه حالا محضا كما سيأتي توضيحه انما نحن مصلحون
اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد والافساد مشيرين بكلمة انما
الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه واما الكلام مستأنف سيق لتقرير شناعتهم واما
عطف على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون
فيأباه ان هذا النحو في التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية
عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان
مضمونه عبارة عما حكي عنهم من قولهم امنا بالله وباليوم الاخر او لذكر ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما
في قوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من
الضلال عن سبيل الله مما يوجب نسيان جانب الاخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك
فحقه ان يخبر بثبوته قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما وقوله تعالى ذلك
بان الله نزل الكتاب بالحق الى غير ذلك ولا ريب في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها
ليس مضمون شي منها معلوم الانتساب عند السامع بوجه من الوجوه المذكورة حتى يستحق الانتظام
في سلك التعليل المذكور فاذا حقها ان تكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على احد الوجهين
مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا كيف لا وقوله عز وجل الا انهم
هم المفسدون ينادي بذلك نداء جليا بالحدة من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله
على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستيناف المؤدي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت
الجملة بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان الهمزة الانكارية الداخلة على النفي تفيد
تحقيق الاثبات قطعا كما في قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ولذلك لا تكاد تقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة
بما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح
وان المقررة للنسبة وعرف الخبر ووسط ضمير الفصل ارد ما في قصر القلب على الاصلاح من التعريض
بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى ولكن لا يشعرون للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة
لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطية الاتية وما بعدها من ردهم [illegible] وقولها
ان المراد تفصيل جناياتهم وهيئاتهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها كما تفتح عنه الاية والله
تعالى اعلم بالصواب واذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما
للنصح واكمالا للارشاد امنوا حذف المؤمن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان كما امن الناس
الكاف في محل النصب على انه نعت مصدر محذوف اي ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة

كما

كما في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصححه لدخوله على الجملة وتفيد تحقيق التشبيه بين مضموني الجملتين اي
حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون بقضية
العقل فان اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه
ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال اذ الناس ناس والزمان زمان
او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من امن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه
والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم قالوا مقابلين
للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين [illegible] انؤمن كما امن السفهاء
مشيرين باللام الى من اشير اليه في الناس [illegible] او الى الجنس باسره وهم مندرجون
فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي [illegible] ويقابله الحلم والاناة
وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم في
السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى
يسمي الهدى لا محالة ضلالة او لتحقير شأنهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب
وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام
وامثاله واياما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأن الجليل ان يكون صدور
هذا القول عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير
الاعلام والقدح في ايمانهم [illegible] مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السياق والسباق
وعن هذا قالوا [illegible] فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الامام الواحدي انهم كانوا يظهرون
هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام والمؤمنين بذلك
عنهم [illegible]
[illegible]
عنهم [illegible] فانهم يضمرون الكفر [illegible]
على شاكلة قولهم سمع غير مسمع فانه كلام ذو وجهين [illegible] على معنى اسمع منا
غير مسمع كلاما ترضاه [illegible] على معنى اسمع غير مسمع مكروها [illegible] يخاطبون به
رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم
المعنى الاول [illegible] هذا الكلام [illegible] كما ذكر في تفسيره [illegible]
[illegible]
[illegible] الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون [illegible]
سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم [illegible] الى حيث لا يدرون انهم سفهاء ومن هذا التضاحك
بنوع ما مر في تفسير قوله تعالى انما نحن مصلحون فان حمل على المعنى الاخير كما هو راي الجمهور [illegible]
ضرورة ان المشافهة [illegible] الناصحين بادعاء كونهم مما نهوا عنه من الافساد واضلالكما [illegible] لاظهار
منهم الشقاق وبروز اشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بان المراد مما نهوا عنه [illegible] كما
ذكر في بعض التفاسير فالاصلاح الذي يدعونه فيما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تعالى
الا انهم هم المفسدون انهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية
وانبائها عن ضعفهم الملجئ الى [illegible] من تصدى لاصلاح ذات البين فضلا عن كونهم مصلحين

تقوت

مما لا سبيل اليه قطعا فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه يقتضي ان يكونوا
في تلك الدعوى صادقين قاصدين للاصلاح وبانهم الافساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في انهم فيما
كاذبون لا يما اشعروا بهم الا مضارة الدين وخيانة المؤمنين فاذا طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه
فان قولهم انما نحن مصلحون يحتمل الحمل على الكذب وانكار صدور الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى
انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا عنه من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم
وارادة للارادة مع هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم هم المفسدون
الآية والله سبحانه اعلم بما اودعه في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق
والهداية الى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون لانه اكثر طباقا لذكر السفه الذي
هو فن من فنون الجهل ولأن الوقوف على ان المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين
الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال واما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد
وما يترتب عليه من بين من يفسد فامر بديهي يقف عليه من له شعور فلذلك فصلت
الآية الكريمة السابقة واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم
في اثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين اثر سياق ما صدرت به قصتهم من
مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض هاهنا لتعلق الايمان فليس فيه شائبة التكرير
روي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن ابي انظروا كيف
ارد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني
تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا
بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت وقيل قال له علي يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله
تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن اني تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم
ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا
عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبروه بذلك فنزلت واذا لقوا الذين آمنوا واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته
وقرئ واذا لاقوا واذا خلوا من خلوت الى فلان اي انفردت معه وقد يستعمل بالباء او من خلاك
بمعنى مضى ومنه القرون الخالية ومنه خلاك ذم اي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من
خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته بالى في قوله تعالى الى شياطينهم لتضمنه معنى الانهاء اي اذا
انهوا اليهم السخرية الى اخره وانت خبير بان تقييد قولهم المحكي بذلك الانهاء مما لا وجه له والمراد
بشياطينهم الماثلون منهم للشياطين في التمرد والعناد والمظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة
في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية
ووزنه فيعال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن
واخرى زائدة ووزنه فعلان على انه من شاط اي هلك او بطل ومن اسمائه الباطل وقيل
معناه هاج واحترق قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال
وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان مدعاهم عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه

من الدين

من الدين والتأكيد للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار الشياطين بخلاف
معاملتهم مع المؤمنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء
الكمال فيه او الثبات عليه انما نحن في اظهار الايمان مستهزؤن بهم من غير ان يخطر
ببالنا الايمان حقيقة وهو استيناف مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كأنه قيل لهم
عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزؤن بهم
ولا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم انهم يهينون المؤمنين ويعدون
ذلك نصرة لدينهم او تأكيد لما قبله فان المستهزئ بالشيء مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر
الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشيء والسخرية منه يقال هزأت واستهزأت بمعنى
واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته اي
تسرع به وتخف الله يستهزئ بهم اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما
سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة في اللفظ او للمقارنة في الوجود اي يرجع وبال
الاستهزاء عليهم فيكونون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم
للاستهزاء او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم
واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبما
روي انه يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك
قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف للايذان بانهم قد بلغوا فيما
بالغوا في استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعته عند السامعين وتعاظم ذلك عليهم
حتى اضطرهم الى ان يقولوا ما مصير امر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه ان الله تعالى هو الذي
يتولى امرهم ولا يحوجهم الى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم
عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف وايثار
صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله تعالى او لا يرون انهم
يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا خالين في اكثر الاوقات من تهتك استار وتكشف اسرار
ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ذلك كما انبأ عنه قوله عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل
عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم الآية ويمدهم اي يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده
اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اصلحتهما بالحبر والزيت واشارة على تزيدهم
للرمز الى ان ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انه انما يتحقق عند الاستمداد وما يجري مجراه من الحاجة
الداعية اليه كما في الامثلة المذكورة وقرئ يمدهم من الامداد وهو صحيح في ان القراءة المشهورة
ليست من المد في العمر فانه يستعمل باللام كالاملاء قال تعالى ونمد له من العذاب مدا او حذف الجار
وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل في طغيانهم متعلق بيمدهم والطغيان
مجاوزة الحد في كل امر والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان
ولقيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتأييد لما اشير اليه من ترتب المد على سوء
اختيارهم يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه
في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد هذا المد
الى الله تعالى مع اسناده في قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي تحقيق لقاعدة اهل الحق من ان جميع
الاشياء من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم والمعتزلة

لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مشاكلة نكثوا الى شعاب التأويل فلجأوا اولا الى انهم لما اصروا
على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم ألطافه فتزايد الرين في قلوبهم فسمي ذلك مددا في الطغيان
فاسند اليه سبحانه ففي المسند مجاز لغوي وفي الاسناد عقلي لان اسناد الفعل الى
المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بان المراد بالمد في الطغيان ترك القسر والالجاء
الى الايمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا بان المراد
بمعناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه لانه بتمكينه تعالى واقداره
أولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عن عداهم اكمل تمييز
بحيث صاروا كأنهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم
في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى **الذين اشتروا الضلالة بالهدى** والجملة
مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جهالتهم فيما حكي عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها
وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد
والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء
استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذلها لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد
الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب الذي هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء باعطاء ما في يده
عينا كان كل منهما او معنى لا للاعراض عما في يده محصلا به غيره كما قيل [illegible]
ومنه قوله: أخذت بالجمة رأسا أزعرا ۞ وبالثنايا الواضحات الدردرا ۞ وبالطويل العمر عمرا جيدرا
كما اشترى المسلم اذ تنصرا ۞ فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا
بالرغبة فيها والاعراض عنه وقد اقتضى ذلك كون الهدى الجاري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد
وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم اذ ذاك حسبما هو في البيت ولا ريب في انهم بمعزل من الهدى مستمرون
على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما يجري مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق
به الاشتراء هاهنا جنس الضلالة الشامل لجميع اصناف الكفرة حتى تكون حاصلة لهم من قبل بل هو
فردها الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمد في طغيانهم المترتب على ما حكي
عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند اليأس عن اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما في حيز الثمن
نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتآخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة
كأنه نفس الهدى بل هو جامع المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت
حاصلة لهم بما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما
سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض والامر بالايمان الصحيح
وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه الطغيان ان يحمل الهدى
على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد فان اضاعتها غير مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الاضاعة التامة
الواصلة الى الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الشناعة ما في اضاعتها مع ما يؤيدها
من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى هنا لغوا
وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه
يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة
بالمرة مخل برونق الترشيح الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية
وهو الانسب بجزالة النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى

ما كانوا عليه

ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه
من التوراة من نعوته عليه الصلاة والسلام وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على
المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد
اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا [illegible]
والانسلاخ عن الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة **فما ربحت
تجارتهم** عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة
صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال يقال ربح فلان في
تجارته اي استشف فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران اليها وهو لاربابها
بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار
بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم وايرادهما اثر الاشتراء المستعار للاخذ
المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى
كل احد الاشتراك في [illegible] والتخسير ولا ينافي ذلك ان التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم
فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة
اذ ليس من ضرورة الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها
كما في قولك رأيت اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير الشجاع وانه اسد كامل من غير ان
تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل قد يكون مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له ومع
ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله: فلما رأيت النسر عز ابن داية ۞ وعشش في وكريه
جاش له صدري ۞ فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه
الطائر للتفريخ للرأس واللحية او للفودين الى جانبي الرأس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ
النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول
المستمرين ترشيح لتينك الاستعارتين بالاعتبار المذكور وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف
اليهم **وما كانوا مهتدين** اي الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح
ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من
باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين كان رأس مالهم الهدى فاستبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتي الطلبتين
فبقوا خائبين يائسين عن طرق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها
مشاركة له في الترتب على الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا الى آخره **مثلهم** لا زيادة
كشف لحالهم وتصويرها عقب تصويرها بصورة ما يؤدي الى الخسار بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخسار
من حيث النفس تهويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله
من مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الابي كيف لا
وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها في معرض المحسوسات الجلية وابداء للمنكر في صورة
المعروف واظهار للوحشي في هيئة المألوف والمثل في الاصل بمعنى المثيل والنظير يقال مثل ومثيل
كشبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا
فيه غرابة صيرته مستحقا للتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل
حال او صفة او قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينهما وبين شيء آخر تشبيه ومنه
قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شأن عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة

التي وعد المتقون اي قصتها العجيبة الشأن **كمثل الذي** اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا
خاضوا اخره انه وحد الضمير في قوله تعالى **استوقد نارا** نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم
جواز وضع القائم مقام القائمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه
بل انما هو وصلة لوصفها بالمعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه
فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزئه
فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شان اخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه
مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد
او الفوج او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان
فيها حركة واضطرابا والاستيقاد طلب وقودها اي سطوعها وارتفاع لهبها الشفيفهم **فلما**
اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وتجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتيبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت النار ما حول
المستوقد وقيل اضاءت ما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها
فيما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها لا لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول
للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم** النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير
للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفأ الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون
نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستيقاد ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم
يقل فلما اشتعلت او نحو ذلك وهو جواب لما او استئناف اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم
اشبهت حالهم حال مستوقد انطفأت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين
للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به الآية وكانه قيل فلما
اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمة خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في احيائها وإسناد
الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلق الله تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي
كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب
والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل له من بعده
ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة
لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى
وتركهم في ظلمات لا يبصرون فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا
كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها
من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر كما ان المراد بالظلمات الا ما يضح
الله تعالى من النار المجازية التي هي الفتنة والعشاء كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله
ووصفها بالاضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة للتوصل
بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث والفساد فاطفأها الله تعالى وخيب آمالهم وترك
في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب قال
فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم والظلمة مأخوذة من قولهم
ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ ظلمات بسكون اللام
وبفتحها بالتجديد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والمعنى انحلتهم الحيرة

التي هي اشتروا وهو الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين وظلمة سخط الله تعالى
وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي
بالهدى الذي هو النور والفطري المؤيد بما يشاهدونه من دلائل الحق او بالهدى الذي كانوا حصلوه من
النور كمثل من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفأها الله تعالى وتركهم في ظلمات هائلة
لا يتسنى فيها الابصار **صم بكم عمي** اخبار لمبتدا محذوف وهو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتاويل
المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم آفة مانعة من السماع واصل الصلابة وكتنازة الاجزاء
ومنه الحجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة سدادها سمي به فقدان الة السمع لان سببه اكتناز
باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى
عدم البصر عما من شانه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا مسامعهم
عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول فتنطق بها السنتهم ولم يجتلوا
ما شاهدوه من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة
في الآفاق والانفس بعين التدبر والتبصر واعلى ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه كما قد يتلك الشاعر
بالكلية وهذا عند مفلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال ويصعد
حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء لما ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها
ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير لدى اسد شاكي
السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم **فهم لا يرجعون** الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها
اي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي اخذوها
والآية نتيجة التمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى ما في التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير
تعرض لشمول السمع والنطق ولاختلال مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى فالآية
المتقدمة من الآية الكريمة تتمة التمثيل وتكميل له اي ان ما اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات
كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة
التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين في مكانهم لا يرجعون ولا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون وكيف
يرجعون الى ما ابتدؤوا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما
بكما عميا بالنصب على الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون والمستوقدون واما على الحال
من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم فالضمير للمستوقدين **او كصيب**
تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفي حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون
الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في شانه الامثال ويرخى في حلبته عنان المقال
في ترجمة الاطناب المتعيين على الاسلوب الآتي ان الكل كلامهم لمحض النباهة مقسط من الجملة
على الحقيقة فيه كثير في غير الايجاز وطالت في حارة الاعجاز من التنزيل الجليل والقدر
والمعنى في هذا التمثيل او كمثل ذوي صيب وهو عطف على الاول على حذف المضاف كما سيأتي من الضمائر المسندة
اليه كذلك وجيء بكلمة او لان الشان تساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل
بكل واحدة منهما والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتأثير يطلق على المطر وعلى
السحاب قال الشاعر حتى تسكن الجنوب سقيت من صادق الغيث صيب ولعل الاول هو المراد
هنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل كما ان النار في التمثيل الاول لم يرد بها فيه
للمبالغات من جهة مادته الاصلية التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومادته

الثابتة لغيبي الصوت المنبي عن شدة الانسكاب ومن جهة تصببها الدال على الثبات وفي او كصيب
من السماء متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له قيل المراد بالسماء ههنا المظلة وهي في الاصل كل
ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة الله تعالى من السيلان
وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها اي كل ما يحيط به كل افق منها سماء
على حدة قال ومن بعد ارض بيننا وسماء كما ان كل طبقة منها سماء قال تعالى واوحى في كل سماء امرها فالمعنى
انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه
ظلمات اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام
الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجمعها لكلاحها مع ان بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل
لما انها جعلت من توابع ظلمته مبالغة في شدة هوله وفظاعة امره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث
تعد ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات هي الاصل المستتبع للبواقي مع ظهور ظرفيتها
للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب الى آخره لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها
غالبة على غيرها ورعد وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب
بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياها سوقا عنيفا وبرق وهو
ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب
باعتبار كونهما في اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين في الكل للتفخيم
والتهويل كانه قيل ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف
على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال
منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن في الظرف الاول على تقدير كونه
صفة لصيب والضمائر في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم للمضاف الذي اقيم مقام المضاف
اليه فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها
فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية
قال حسان يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل فان تذكير
الضمير المستكن في يصفق لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والا لانثت وايثار الجعل المنبي
عن دوام الملابسة واستمرار الاستقرار على الادخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج الى الداخل
للمبالغة في بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما ان ايراد الاصابع بدل الانامل للاشباع في بيان
سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانا ملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون
ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج المعتاد
وكذا الحال في عدم تعيين الاصبع المعتاد اعني السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة
استئناف لا محل لها من الاعراب مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الهائلة
فماذا يصنعون في تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله تعالى من الصواعق متعلق
بيجعلون اي من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد
هائل تنقض معها شقة من نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما
ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية
وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة
الصوت وسد الآذان انما يفيد على التقدير الثاني وهو الاول وقرئ من الصواقع وليس ذلك

بقلب من

بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اي مجهر
بخطبته حذر الموت منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله واغفر
عوراء الكريم ادخاره واصفح عن شتم اللئيم تكرما ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل
بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية اي يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار
هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى
خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين
اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى اياهم وانطواء ملكوته عليهم
باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة الفوت او شبهت الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم
بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة تبعية على الاول تمثيلية على الثاني وتقتصر
من طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني الاحاطة ولا باس في مثلها
بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم
والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من سد الآذان بالاصابع لا يغني عنهم شيئا فان
القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد باس الله تعالى وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع
الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج
قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشي من السخط
اشد وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون قد دل به على انه
لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس تقديمه
او تأخيره لاظهار كمال العناية به وفرط الاهتمام بشأن المشبه يكاد البرق استئناف آخر وقع جوابا
عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك يخطف ابصارهم اي
يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتاخذ
اسبابه وتعاضد مباديه لكن لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا
مضارعا عاريا عن كلمة ان وشذ مجيئه اسما صريحا كما في قوله فابت الى فهم وما كدت آيبا وكذا
مجيئه مع ان حملا لها على عسى كما في مثل قول رؤبة قد كاد من طول البلى ان يمصحا وكربها
فارقتها وهي تضعيف اسما حمل عليه باطل افعالها بينهما من المقاربة في اصل المقاربة وليس فيهما شائبة
الانشائية كما في عسى وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف بضم الياء على انه يختطف فنقلت فتحة
التاء الى الخاء فادغمت في الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الياء للخاء ويخطف من صيغ التفعيل
ويتخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم كلما ظرف وما مصدرية والزمان محذوف
اي كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف اي كل وقت اضاء
لهم فيه والعامل في كلما جوابها وهو استئناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي ذلك الهول المهول
بابصارهم فاجيب بانهم كلما نور لهم البرق ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد والمفعول
محذوف اخذوه مشوا فيه اي في ذلك المسلك او في مطرح نوره
خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو للاشعار بعدم
استطاعتهم لهما واذا اظلم عليهم اي خفي البرق واستتر والمظلم وان كان معديه لكن لما كان الاظلام
دائرا على استتار البرق عبر عنه بالاظلام مبالغة وقد جوز ان يكون
متعديا منقولا من ظلم الليل في قول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه

مرة ذا شيب وبعض قرأه أظلم على البناء للمفعول **قاموا** أي وقفوا في أماكنهم على ما كانوا عليه من
الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة أخرى عسى يتيسر لهم الوصول إلى المقصد أو الالتجاء إلى ملجأ يعصمهم
وإيراد كلما مع الإضاءة وإذا مع الإظلام للإيذان بأنهم حراص على المشي متوقون لما يصححه فكلما
وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم كلمة لو لتعليق حصول أمر ماض هو الجزاء بحصول أمر
مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة أو ادعاء ومن قضية مفروضية الشرط دلالتها
على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر وأما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذي لا محيد
عنه أنه إن كان ما بينهما من الدوران كليا أو جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها
الوضعي لاستحالة مضمونه استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول أما في مادة الدوران الكلي كما في قوله تعالى
ولو شاء لهداكم أجمعين وقولك لو جئتني لأكرمتك فظاهر لأن وجود المشيئة علة لوجود الهداية
حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الإكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولاهما حتما ورده
ثم إنه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشائع
الكثير ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الأول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ملزوما
أو مسببا على انتفاء الأول لكونه لازما أو سببا كما في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا إليه فإن فسادهما لازم لتعدد الآلهة حقيقة وعدم سبق أولئك
إلى الإيمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازمين فتعين انتفاء الملزومين حقيقة في
الأولى وادعاء في الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية
الخارجية كما في المثالين الأولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة إلى سببية العلم بانتفاء الثاني
للعلم الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فإن الجزاء المنوط بالشرط الذي هو وجود الضوء الخاص
الناشئ من الطلوع ولا ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا إذا بني الحكم على اعتبار الدوران وأما إذا بني على
عدمه فإما أن يعتبر هناك تحقق مدار آخر له أولا فإن اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فإن كان بينه
وبين انتفاء الأول منافاة تعين الدلالة كما إذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فإن تعلق صورة بعدم
الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب آخر له ضرورة أن عدم الطلوع من حيث هو ليس مدارا لوجود الضوء
في الحقيقة وإنما وضع موضع المدار لكونه كاشفا عن تحقق مدار آخر له كأنه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء
بسبب آخر كالقمر مثلا ولا اشتباه في أن هذا الجزاء منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري
عند طلوع الشمس وإن لم يكن بينهما منافاة تعين عدم الدلالة كما في قوله عليه الصلاة والسلام في بنت أبي
سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي إنها ابنة أخي من الرضاعة فإن المدار المعتبر في ضمن الشرط أعني
كونها ابنة أخيه عليه الصلاة والسلام من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبته عليه الصلاة
والسلام بل مجامع له ومن ضرورته مجامعة أثريهما أعني الحرمتين الناشئة إحداهما من كونها ربيبته عليه الصلاة
والسلام والحرمة الناشئة من كونها ابنة أخيه من الرضاعة وإن لم يعتبر ذلك تحقق مدار آخر بل بني
الحكم على اعتبار عدمه سواء كان لعدم مشعر على ذلك أصلا كيف لا ومساق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء على كل
حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الأولى كما في قوله تعالى قل لو أنتم تملكون
خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم وقوله عليه الصلاة والسلام لو كان الإيمان في الثريا لناله رجال من فارس وقوله
عليه الصلاة والسلام لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فإن الأجزية المذكورة قد نيطت بما ينافيها تنبيها على
تقاضيها أبدا بأنها لا تنتهي بحيث تجب ثبوتها مع فرض انتفاء أسبابها أو مع فرض أسباب انتفائها فكيف إذا لم يكن

كذلك على

ربع

كذلك على الطريقة لو الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهنا تفاصيل
حررناها في تفسير قوله تعالى أولو كنا كارهين وفي قول عمر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله تعالى لم يعصه
إن حمل على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بمدار آخر نحو الحياء والإجلال وغيرهما مما يجامع
الخوف كان من قبيل حديث ابنة أبي سلمة وإن حمل على بيان استحالة العصيان مبالغة كان من هذا القبيل
والآية الكريمة واردة على الاستعمال الشائع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من المشاق وأنها
قد بلغت من الشدة إلى حيث لو تعلقت مشيئة الله تعالى بإزالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه اقتضاء
تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء أحدهما لانتفاء الآخر
بمنزلة كلمة إن ومفعول المشيئة محذوف جريا على القاعدة المستمرة فإنها إذا وقعت شرطا وكان مفعولها
مضمون الجزاء فلا يكاد يذكر إلا أن يكون شيئا مستغربا كما في قوله فلو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه
ولكن ساحة الصبر أوسع أي ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما تقتضيه
من الحكم والمصالح وقرئ لأذهب بأسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة
الآية والإفراد في المشهور لأن السمع مصدر في الأصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل
الاستئنافية وقيل على كلما أضاء وقوله تعالى **إن الله على كل شيء قدير** تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها
الناطق بقدرته تعالى على إزالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما
يصح أن يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على أنه في الأصل مصدر شاء أطلق على المفعول واكتفي في ذلك باعتبار
تعلق المشيئة به من حيث العلم والإخبار عنه فقط وقد خص هاهنا بالممكن موجودا كان أو معدوما
بقضية اقتضاء تعلق القدرة به لما أنها عبارة عن التمكن من الإيجاد والإعدام الخاصين به وقيل
هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء
ولذلك لم يوصف به غير الباري تعالى ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده أنه إن شاء
إبقاءه على الوجود أبقاه فإن علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب
العالمين وإن شاء إعدامه أعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه أنه إن شاء إيجاده أوجده
وإن لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الإنسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة
عن نفي العجز عنه واشتقاق القدرة من القدر لأن القادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه إرادته أو بقدر قوته
وفيه دليل على أن مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لأنه شيء وكل شيء مقدور لله تعالى واعلم
أن كل واحد من التمثيلين وإن احتمل أن يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي بأن يشبه المنافقون في التمثيل الأول بالمستوقد وهداهم الفطري
بالنار وما نيط بهم بآثاره مما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع بإضاءتها ما حولهم
وإزالتها بإذهاب النور الذي واختلال الضلالة بمقابلة ما لابسهم من الظلمات الكثيفة وبقاؤهم فيها
ويشبه في التمثيل الثاني أنفسهم بأصحاب الصيب والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحياة الأبدية بالصيب
الذي هو سبب الحياة الأرضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والأكدار والأحزان وانكشاف الأخطار
وما فيه من الوعيد والوعد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع أسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد
والبرق فيجعل أصابعه في آذانه ولا خلاص لهم منهما وهو معنى إحاطته بهم وانتهازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد
يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم في أمرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم
إذا أظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في أحد
الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الآخر على وجه التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات

الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة أخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بأن يشبه نوع من المنافقين وأحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة فيشبه نوع من كل واحد من المستوقدين وأصحاب الصيب وأحوالهم المحكية هيئة تحاذيها فيشبه كل واحد من الأولين بما يضاهيه من الآخرين هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وتستدعيه فخامة شأنه الجليل لاشتماله على التشبيه الأول إجمالا مع أمر آخر جليل به فهو تشبيه الهيئة بالهيئة وإيذانه باجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بأن تكون مثلا في الغرابة **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** لما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شأنه إلى ثلاث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والأحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهورها بالمجاهرة والشقاق وأخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والأحوال وبين ما لهم من المصير والمآل أقبل عليهم بالخطاب فأمرهم كافة بالعبادة ونهاهم عن الإشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد إما لعظمته كما في قول الداعي يا الله يا رب وهو أقرب إليه من حبل الوريد أو استقصارا لنفسه واستبعادا لها من مظان الزلفى ومنازل المقربين وإما لتنبيهه على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على أن ما بعده أمر خطير يعتنى بشأنه وأي اسم مبهم جعل وصلة إلى نداء المعرف باللام لا على أنه المنادى أصالة بل على أنه صفة موضحة له مزيلة لإبهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلا إشعارا بأنه المقصود بالنداء وأقحمت بينهما كلمة التنبيه تأكيدا لمعنى النداء وتعويضا لما يستحقه أي من المضاف إليه ولما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من أسباب المبالغة والتأكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد فيه من قبله تعالى على العباد من الأحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بأن تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الأبية ويتلقونها بآذان واعية وأكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتأكيد في الإيقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما أن الجموع وأسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعمومها شائعا ذائعا وأما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وإنما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم إلى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من أن كل ما نزل فيه يا أيها الناس فمكي إذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه بأهلها ولا من قضيته اختصاصه بالكفار إذ لم يكن كل أهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا الأمر لما أن المأمور به القدر المشترك الشامل لإنشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع أنها متكررة حسب تكرر أسبابها ولا في انتفاء شرطها في الآخرين منهم أعني الإيمان لأن الأمر بها منتظم للأمر بما لا يتم إلا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به كما أن أمر المحدث بالصلاة مستتبع للأمر بالتطهير لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم أفعال القلب أيضا لما أنها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا وأطيعوا ولا في كون بعض من الفرقتين الأخيرتين ممن لا يجري فيهم الإنذار لما نطق به النظم الكريم إذ المراد بالأمر قطع الأعذار وليس فيه تكليفهم ما ليس في وسعهم من الإيمان بعدم إيمانهم أصلا مع أنه لا قطع لأحد منهم

بدخوله

بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في أنفسهم بسوء اختيارهم كذلك لا لأن كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر أصلا ثم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف يتفق عليه عند قوله تعالى وأنتم تعلمون وإيراده تعالى بعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الأمر بالإشعار بعليتها للعبادة **الذي خلقكم** صفة أجريت عليه تعالى للتبجيل والتعليل إثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أربابا والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل أي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بإدغام القاف في الكاف **والذين من قبلكم** عطف على الضمير المنصوب ومنتظم لما قصد من التعظيم والتعليل فإن خلق أصولهم من موجبات العبادة كخلق أنفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف أي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم قبل خلقكم فحذف الخلق وأقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الأمم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي إلى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم وإخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصول عند المخاطب أيضا مع أنهم غير معترفين بغاية الخلق وإن اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله للإيذان بأن خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لأحد إنكاره وقرئ وخلق من قبلكم بإقحام الموصول الثاني بين الأول وصلته توكيدا كما أقحم اللام بين المضافين في لا أبا لك أو بجعله موصوفا بالظرف خبرا لمبتدأ محذوف أي الذين هم أناس كائنون قبلكم **لعلكم تتقون** المعنى الوضعي لكلمة لعل هو إنشاء توقع أمر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول إما محبوب فيسمى ترجيا أو مكروه فيسمى إشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل إما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الأصل الشائع في الاستعمال لأن معاني الإنشاءات قائمة به وإما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقد يعتبر تحققه بضرب من التجوز إيذانا بأن ذلك الأمر في نفسه مئنة للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير أن يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع أصلا فإن روعيت في الآية الكريمة جهة المتكلم يستحيل إرادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب تعالى فيصار إما إلى الاستعارة بأن يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها لتعاضد أسبابها برجاء الراجي من المرجو منه أمرا هين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع وإما إلى التمثيل بأن يشبه خلقه تعالى إياهم مستتبعين للتقوى وطلبه إياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لأسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بها هيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل في الهيئة الأولى ما حقه أن يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من ألفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها أعني كلمة الترجي والباقي منوي بألفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا وأما الحمل على إرادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فأمره مبني على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن إرادته تعالى فالجملة حال إما من فاعل خلقكم أي طالبا منكم التقوى أو من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لأنهم المأمورون بالعبادة أي خلقكم وإياهم طالبا منكم التقوى

او معلمه فان خلقهم على تلك الحالة في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي
تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى بالاغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل الترتيب
واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله
تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان تكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها
مما لا نزاع فيه وتقييد ما ذكر من الحال او العلة لتكميل علية سائر المامورية تاكيدها فان اتيانهم
بما خلقوا له ادخل في الوجوب واشار بتفوتهم الى ان يعبدوه مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما ان التقوى قصارى امر العابد
ومنتهى جهده فاذا لزمتهم التقوى كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة المخاطب فلعل
في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين الانتظام في زمرة
المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله تعالى
بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عنه موافقته ترمي الى اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون
وبالانتظام القدر المشترك بين اشتمال نعوت ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي
التوقي عن العذاب والتجنب عن كل ما يوثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال
من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية
وكونه عنوانا في ايجاب العبادة وفي التاخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق
التوقع بالفعل فاما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة
المذكورة اي خلقكم واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجى منكم كل راج ان تتقوا فانه تعالى لما برأهم مستعدين
للتقوى جامعين لمباديها الآفاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجوها منهم كل راج ان يتقوا لا محالة
وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء قطعا واعلم ان الاية الكريمة مع كونها بعبارتها
ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة
الايات التكوينية المنصوبة في الانفس والافاق مما يقتضي بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من
الايات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق
بمعاشهم فقيل الذي جعل لكم الارض فراشا وهو في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة
او مادحة او على تقدير اخص او امدح او في محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدا قال ابن مالك
الزم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشاء كما في المنادى وحذف المبتدا في المرفوع
لاجراء الوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدا خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط
النهي في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه
اعظم شانا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على
الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون
ما يعقبه من منافع المخاطبين والتشويق اليه لان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما عند
الاشعار بنفعه تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن او لما في المؤخر وما
عطف عليه نوع طول فلو قدم لفات تجاذب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها
بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود
عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها مسطحة حقيقة فان كرية شكلها
مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا وقرئ مهادا والسماء بناء عطف على

المفعولين

المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اي جعلها
قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماوة او سماءة والبناء
في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امرأته لما انهم كانوا
اذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء عطف على جعل اي انزل من جهتها
او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روي عليه الصلوة والسلام والمراد بالسماء جهة العلو
كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار وهي على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة
بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف
على الوجه الاول مع ان حقه التاخير عن المفعول الصريح فلما ان السماء اصل ومبدأ ولما مر
من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد الانتظام بينه وبين قوله تعالى فاخرج به اي بسبب الماء من
الثمرات رزقا لكم وذلك بان اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف
الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المختلفة على المادة الممتزجة منهما
وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيئته فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا
مباد ومواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له تعالى في انشائها متقلبة في الاحوال ومتبدلة
في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولي الابصار عبرا ومزيد طمانينة الى عظيم قدرته ولطيف
حكمته ما ليس في ابداعها دفعة ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرج به من الثمرات ولوقوعها بين منكرين اعني
ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع
اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا
مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من
الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق والفاسق ورود الثمرات دون
الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده
القراءة على التوحيد ولان الجموع يتعاقب بعضها في موقع بعض لقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة
قروء او لانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على
تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا كائنا لكم او دعامة لقوة عامل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه
قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا امرتم
بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما
قيل اندادا باعتبار الواقع لا لان مدار النهي هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع اسم الجليل موقع
الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي عليها
يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات واما معطوف
عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات
المجراة عليه تعالى للنهي او للانتهاء او لان مآل النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المبني على اصلها
كانه قيل اعبدوه فخصوها به والاظهار في موضع الاضمار لما مر آنفا وقيل هو نفي منصوب باضمار ان
جوابا للامر بناء على ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد
الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات فاطلع الى اله موسى اي خلقكم لتتقوا عذابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان
مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم للرجاء القريب منزلة

للمترجي البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل لكم الخ على تقدير رفعه على المدح اي هو الذي
خلقكم بهذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه ما مر من لزوم ترك نظم خلقهم
وخلق اسلافهم بمعزل من مناطية النهي مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتأويل مقول
في حقه وقد عرفت ما فيه من لزوم المصير الى راي الاخفش في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما
في قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المناوي من ند ندودا اذا نفر
وناددته خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في القدر وتسمية
ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى في صفاته ولا انها
تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها آلهة تشابهت حالهم حال
من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله تعالى وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى
بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفي ذلك قال
موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه ءاربا واحدا ام الف رب ادين اذا
تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وقوله تعالى وانتم
تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهي من قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب
ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كما قيل لا تجعلوا ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم
على الانتهاء عما نهوا عنه فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق
الامور واصابة الراي او مقدر حسبما يقتضيه المقام وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون
انه لا يماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله
كما في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء او غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم
على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي بجعل المنهي عنه القدر
المشترك المنتظم للانشاء والانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة والثبات عليه كما هو شان المؤمنين
حسبما مر مثله في الامر واما صرف التقييد الى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة
اذ لا يتأتى ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم ضرورة شمول التكليف العالم والجاهل المتمكن من
العلم بل انما يتأتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالمين بقبحها
اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى معنى النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا
فقد نأى عن التحقيق ان قلت اليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص من امثال ما مر من التكلفات
وحسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا يحتاج في بيان التحدي الى تجريد الخطاب وتخصيصه
بالكفرة لا محالة مع ما فيه من ابانة للمؤمنين ورفع شانهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان
بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما مر في صدر السورة الكريمة مستغنون في ذلك
عن الامر والنهي قلت بلى انه وجيه سوي ذو مسلك الافضل من جهة الهدى ولا بد لمن ثبت قدمه
على نهج الحق وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته
ما تلي من الآيتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله تعالى على رسوله
عليه الصلاة والسلام كما ان ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية الدالة على الصادرة عنه تعالى
لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها انه لا ريب فيه
ريبتهم والتبعيد عن اعتقادهم في حقه من ريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه
قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للتنبيه بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من

المجاهرة والعناد هو الارتياب في شانه واما الجزم المذكور فخارج عن دائرة الاحتمال كما ان
تنكيره وتنفيذه بان تحققه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك
بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما
نزلنا الخ لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع
الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته
العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه
ذلك هو دوام ملابستهم له لا قوته وكثرته ومن في قوله تعالى مما نزلنا متعلقة بمحذوف وقع صفة
لريب وحملها على السببية ياباه كونه محل الريب في الجمل ومحاشاه ذلك وما موصولة كانت
او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم في
ريب منه ارتيابهم في استقامته في نفسه حتى يكون من كلامنا بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله
تعالى واياما كان فالتعبير عنه بالتنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي
عليه ارخاء للعنان وتوسعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى انكاره فجعل ذلك
من مبادي الاعتراف به كانه قيل ان ارتبتم في شان ما نزلنا على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة
فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل الجملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا
كما ترى غاية ما يكون في التبكيت وازاحة العلل وفي ذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان العبودية
مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به تعالى وانقياده
لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه الصلاة والسلام وامته او جميع الانبياء
عليهم الصلاة والسلام ففيه ايذان بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا له مهيمنا
عليه والامر في قوله تعالى فاتوا بسورة من باب التعجيز والقام الحجر كما في قوله تعالى فات بها من المغرب
والفاء للجواب وسببية الارتياب للامر او للاتيان بالمامور به لما اشير اليه من ان تحقق
المذكور فانه سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام
البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر ابناء نوعكم والسورة الطائفة من
القرآن المعظم المترجمة واقلها ثلاث آيات وواوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة
بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على فنون من العلوم احتواء سور المدينة
على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها
بمطار فان سور القرآن مع كونها في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف والطول والقصر فهي من حيث
انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القارئ شيئا فشيئا وقد وها مبدلة من الهمزة
فمعناها البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى من مثله بيانية متعلقة بمحذوف
وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم
الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا
قد عجزوا عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض ما هو مثل له فلكم لهم منه متاركون المماثلة
من تمام المعجز بحسب حكمهما لكنها مدار التحدي مع ان المراد تبكيتهم الامر على المماثلة منهم بحسب
حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم بايهام ما سبق من تنزيله
منزلة الريب فاذا سبق الى التهكم على تقليله منهم وتسويفه فلو بعيد جدا وقيل هي زائدة على ما هو
رأي الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا بسورة مثله وقيل هي ابتدائية والضمير لعبدنا المتعلق

على تحتما لما ان رجوعه الى المنزل يوهم ان له مثلا تحققا فورد الأمر التعجيزي بالاتيان بشيء
منه وقد عرفت ما فيه من تخوف رجوعه الى المنزل عليه فالحق مثله عليه الصلوة والسلام في البشرية
والعربية والامية بدون الحظ في الجملة من تخصيص التحدي بفرد نبينا كما عليه الصلوة والسلام
فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمأمور به لا يدل على عجز ليس كذلك من علما انهم بل ربما وهم
قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى او مجتمعين مع انه يستدعي عدم المنزل عليه افضل من النعوت
الموجبة لاستحالة وجود مثل له فان هذا من تحدي الامة جمعا وامرهم بان يحشدوا في حلبة
المعارضة تخيلهم وزجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله
وتبعا وتوا على الاتيان بقدر سيرة تماثل في صفات الكمال التي جمعته ولكن من ابناء جنسهم
والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان
من شيء يقال هذا دون ذلك اذا كان انحط منه قليلا ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل
زيد دون عمرو اي في الشرف والرتبة ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم من
بلا تخطيت الخطاط الحد ما من الاخر يجري مجرى اداة الاستثناء وكلمة من ابتدائية متعلقة بادعوا
فكونه لابتداء الغاية وظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من حضركم
كائنا من كان او الحاضرين من مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم في
الملمات وتعولون عليهم في المهمات تبشيا نكم الجارية والقائمين بنصرتكم حقيقة او زعما فيما
بينكم من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة والقائمين بنصرتكم حقيقة
او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه تعالى من حكم الدعاء في الاول مع اندراجه في الحضور
لتاكيد تناوله ساعدة للاتيان باستبداده بقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم
لو دعوه تعالى لاجابهم اليه واما ثانيا للرجوع فللتصريح من اول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم
في عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما سواه والالتفات لتربية المهابة
لادخال الروعة وقيل المعنى ادعوا من دون اولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان
المقاولة والمناقلة ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فانهم يأنفون ان يرضوا لانفسهم
الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه انه يؤذن بعدم شمول التحدي لاولئك
الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فصححوا بهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى فانه من الله
يشهد انما ان يشهد بحق فان ذلك دين المحجوج وفيه ان ما ان دليل يدعون حقية ما هو عليه من
الدين الباطل فلكساني اليه مقام التحدي وان اريد به مثلية ما اتوا به المتحدى به مع عدمه
ملحقة لابتداء التحدي يوهم انهم قد تصدوا للمعارضة واتوا بشيء مشتبه الحال متردد بين
المثلية وعدمها وانهم ادعوا مستشهدين في ذلك بالله تعالى اجبه عند ذلك شغلهم الحاجة
الى الامر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى واني لهم ذلك وما نبض لهم عرق
ولا تفوهوا بشفة واما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها
ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين
اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ مبتدأ من
التجاوز والتعبير عن الاصنام بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار بها تبكيتهم بما يزعمون انها تكون
من الله تعالى وانها تنفعهم بشهادتها لهم بانهم على الحق فان من هذا شانه حقيق بان يكون مدخرا لهم
في كل امر مهم وملجأ يأوون اليه في كل خطب ملم كانه قيل فليأت عنكم فاخفوهم جمعهم الذهبية التي

دهشتكم

دهشتكم توجيه الالتفات الايذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الالوهية
الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة من لا احقر منه وقيل لفظ دون مستعار من معناها
الوضعي الذي هو ادنى مكان من شيء لقدام مجازا كما في قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه
اي تريك القذى قدامها وهي قدام فيكون ظرفا لغوا معمولا لشهداءكم لكفاية رائحة الفعل
فيه من غير حاجة الى الاعتماد ولا الى تقدير يشهدون والمعنى ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي
الله تعالى ليحققوا في المعارضة وايرادها بهذا العنوان للتهكم بهم والاشعار بمناط الاستعانة
بها وتوجيه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فان ما يقوم بهذا الامر في ذلك المقام
الخطير لحقه ان يستعان به في كل مرام وفي امرهم على الوجهين بان يستظهروا في معارضة القرآن
الذي اخرس كل منطيق بالجماد من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من هنا تبعيضية كما انهم يقولون
جعل بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يقع في بعض
تلك الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع
المواقع بمعنى في كما في سائر الظروف التي لا تنصرف وتكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تجر الا بمن خاصة
وقيل الشهداء المراد بهم رؤساء القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية
اي ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما اتيتم به مثله متجاوزين في ذلك اولياء الله ليحصل شهداءكم مقابلين
لهم ايذانا بانهم ايضا لا يشهدون بذلك واعتبار التجاوز عن اولياء الله تعالى لرعاية المقابلة فان اولياء الله
تعالى يقابلون اولياء الاصنام كما ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ارخاء
العنان والاستدراج الى غاية التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الى احد الجانبين
كما هو المعتاد واكتفينا بشهداءكم المعروفين بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشهدون لكم حذرا من الائمة
والنفرة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل
قطعا وفيه ما مر من عدم الملائمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لاولئك الشهداء وايهام انهم
تعرضوا للمعارضة واتوا بشيء احتاجوا في اثبات مثليته للمتحدى به الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك
ان كنتم صادقين اي في زعمكم انه من كلام البشر عليه الصلوة والسلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة
ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله الى آخره واستلزام المقدم للتالي من حيث ان صدقهم في
ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بقضية مشاركتهم له عليه الصلوة والسلام في البشرية
والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة
في حفظ الوقائع والايام لا سيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان
به ودواعي الامر به فان لم تفعلوا اي ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم في السعي غاية
المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وانما لم يصرح
به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهور تهالككم على ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل
وجعل مصدرا للفعل المذكور مفعولا له لما في ايجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سر سري
ليتنقل به المقام وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المأمور به لاظهار عجزهم
عنه لا تحصيل المفعول ضرورة استحالته فان مناط الجواب في الشرطية اعني الامر باتقاء
النار هو عجزهم عن ايقاعه لا عن تحصيل المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس الافعال الخاصة
لا من حيث انها مكانات ومتعدية من غير اعتبار تعلقاتها بالمفعول لانها الخاصة فاذا علق بفعل خاص من تعدد
فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى الفعل واما تعلقه بمفعوله المخصوص

خارج عن مدلول الفعل المطلق وإنما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك
إلى تجريد الأفعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الأفعال اللازمة فيقولون مثلاً
فلان يعطي ويمنع بمعنى يفعل الإعطاء والمنع يرشدك إلى هذا قوله تعالى فإن لم تأتوني به فلا كيل
لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى ائتوني بأخ لكم من أبيكم فإن لما كان مقصود يوسف عليه
الصلاة والسلام بالأمر وهو تحريضهم بالتكليف باستحضار بنيامين لم يكتف في الشرطية الداعية
لهم إلى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المأمور به بالإشارة الإجمالية إلى الفعل الذي ورد به الأمر
بأن يقول فإن لم تفعلوا بالإعادة بعينه متعلقاً تقوية لتحقيق المطلوب ولعل باعث مقصد هذا
وقد قيل إطلاق الفعل وإرادة الإتيان مع ما يتعلق به إما على طريقة التعبير عن الأشياء الظاهرة
بالضمائر أو الجملة المبهمة حذراً من التكرار أو على طريقة ذكر اللازم وإرادة الملزوم لما بينهما من التلازم
المصحح للانتقال بمعونة قرينة الحال فقد برز وأشار كلمة أن المفيدة للشك على إذ أمر تحقق الجزم بعدم
فعلهم محاذاة بعينهم بحسب حسبانهم قبل التجربة أو التهكم بهم **ولن تفعلوا** كلمة لن لنفي المستقبل
خلا أن في لن زيادة تأكيد وتشديد وأصلها عند الخليل لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نوناً وعند
سيبويه حرف مقتضب للمعنى المذكور وهي إحدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي
الشرطية مقرر لمضمون ما تقدمها ومؤكد لإيجاب العمل بها وهذه معجزة باهرة حيث أخبر بالغيب
الخاص علمه به تعالى وقد وقع الأمر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة
خلفاً عن سلف **فاتقوا النار** جواب للشرط على أن اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد إذ
بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كأنه قيل فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله كما هو المقرر
فاحترزوا من إنكار كونه منزلاً من عند الله تعالى فإنه مستوجب للعقاب بالنار لكن أوثر عليه الكناية
المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة
في تهويل شأنه وتفظيع أمره وإظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم
على الجد في تحقيق المكنى عنه وفيه من الإيجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الأصل فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا
فقد صدق عندكم وإذا صح كذلك وعاندتم وتركتم الإيمان به سبب الاستحقاق للعقاب بالنار فاحترزوا
النار **التي وقودها الناس والحجارة** صفة للنار موضحة لها زيادة تهويل وفظاعة لما فيها
من ذلك والوقود ما توقد به النار ويرفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول
مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى أنها من الشدة بحيث لا يمر شيء من حطب أو نحوه
لحرقته كنار الدنيا تفتقر في التهابها إلى وقود من حطب ونحوه وإنما جعل هذا الوصف صلة
للموصول مقتضية لكون انتسابها إليه معلوماً للمخاطبين على أنهم سمعوه من أهل الكتاب قبل
ذلك أو من الرسول صلى الله عليه وسلم أو سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى ناراً وقودها الناس
والحجارة فأشير هاهنا إلى ما سمعوه أولاً وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك
لما هو المشهور وأما أن الصلة يجب أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند المخاطب
فيجب أن المخاطب هناك المؤمنون وظاهر أنهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد
بالحجارة الأصنام وبالناس أنفسهم حسبما ورد في قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم الآية **أعدت للكافرين** أي هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم وقيل هي لما هو نار
الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولاً أولياً وأما هو خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم
لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على أن النار

مخلوقة

مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة
لإيجاب العمل ومبينة لما يراد بالنار بحيث أفصحت الإجمال العموم وقيل حال بإضمار قد من النار لا الضمير
في وقودها للفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة أو عطف على الصلة بترك
العاطف **وبشر الذين آمنوا** أي بأنه منزل من عند الله تعالى وهو معطوف على الجملة السابقة
لكن لا على أن المقصود عطف نفس الأمر حتى يطلب به مشاكل فيعطف عليه بل على أن يعطف
قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جرياً على السنة
الإلهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد تقريباً لتشبيه حال الشاكرين بحال الفريقين
وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنياً للمفعول عطفاً على أعدت فيكون استئنافاً وتعليق
التبشير بالموصول للإشعار بأنه معلل بما في حيز الصلة من الإيمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فإنهما لا يكافئان
النعم السابقة فضلاً عن أن يقتضيا ثواباً فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته
فعلاً مفيداً للحدوث بعد إيراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالاتقاء على إحداث
الإيمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يتأتى
منه التبشير كما في قوله عليه الصلاة والسلام بشر المشائين إلى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام
يوم القيامة فإنه عليه الصلاة والسلام لم يأمر بذلك واحداً بعينه بل كل أحد ممن يتأتى منه ذلك
وفيه رمز إلى أن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يتولى التبشير به كل من يقدر عليه. و
البشارة الخبر السار الذي يظهر به أثر السرور في البشرة ويستعمل في القبيح أو بل صوبه **وعملوا الصالحات**
الصالحات كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل
واللام للجنس والجمع لإفادة أن المراد بها جملة من الأعمال الصالحة التي أشير إلى أمهاتها في مطلع
السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة بحسب تفاوت المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل
على الإيمان دلالة على تغايرهما وإشعار بأن مدار استحقاق البشارة مجموع الأمرين فإن الإيمان
أساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأس لا بناء به **أن لهم جنات** منصوب بنزع الجار
وإفضاء الفعل إليه أو مجرور بإضماره مثل الله لأفعلن والجنة البستان من جن إذا
ستره يطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير كأن عيني في غربي
مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا أي نخلاً طوالاً كأنها لفرط تكاثفها والتفافها وتظليلها
سميت بالجنة التي هي المرة من جن وعلى الأرض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخل والفردوس
ما فيه الكرم فحق المصدر حينئذ أن يكون مأخوذاً من الفعل المبني للمفعول وإنما سميت دار الثواب بها
لاشتمالها على ما لا يوصف من الغرفات والقصور مع أنها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع
التنكير لأنها سبع على ما ذكره ابن عباس جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم وجنة المأوى
ودار الخلد ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة بحسب تفاوت
الأعمال وأصحابها **تجري من تحتها الأنهار** في حيز النصب على أنه صفة جنات فإن أريد بها الأشجار
فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف أي
من تحت أشجارها وإن أريد بها مجموع الأرض والأشجار فاعتبار التحتية بالنظر إلى الجزء الظاهر المصحح
لإطلاق اسم الجنة على الكل عن منبع وقلما أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود واللام في الأنهار
للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب أو عوض عن المضاف إليه كما في قوله
تعالى واشتعل الرأس شيباً أو للعهد والإشارة إلى ما ذكر في قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن

الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة
والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي او المجاري انفسها وقد اسند اليها الجريان مجازا
عقليا كما في سال الميزاب **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل**
صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى لجريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف
لها باعتبار اهلها المتمتعين بها او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كأنه لما وصفت
الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها
وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال
كأنه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة على ان الرزق قد قيد بكونه مبتدأ من الجنات
وابتداؤها منها قيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره
المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا قدم على المبين كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة
الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك وان
اشرت الى ما يعاينه بحسب الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر والمعنى هذا مثل الذي
رزقناه من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل
ثمرة الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى لان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غير
معروف ويتبين لها مزية وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك
او مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما حكي عن الحسن رحمه الله ان
احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة
كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه عليه الصلاة والسلام قال والذي نفسي بيده ان الرجل
من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها ولعل الاول اظهر لمحافظة
عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا الى ما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح
وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كأنهم قالوا هذا
عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس
من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان احتمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن
والهيئة لا لبيان ان لا اشتباه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسم منوط باتحاد النوع قطعا هذا
وقد فسرت الآية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات
متفاوتة الحال فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص
ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب على الطاعات **واتوا به متشابها**
اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما
في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق
ولهم فيها ازواج مطهرة مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس
الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما
لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال فاذا العذارى بالدخان
تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة
بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن
وما هو الا الله تعالى واما التطهير فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج

يطلق على

يطلق على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي
هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلو جهم فيها واستغنائهم عن الاولاد
كما ان المدار لبقاء الفرد ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يجعل ذلك مانعا عن اطلاقه على ثمار الجنة **وهم**
فيها خالدون اي دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار
الخوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد في قوله تعالى
خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه ولكن المراد هاهنا الدوام لما قيد بالتأبيد بما يقتضيه
من الآيات والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات
مؤدية الى الانفكاك لا يتأتى الانفكاك مدانه فيما بعد ذلك العالم الكامل فانما يشاهد في عالم الكون والفساد
على انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال بان يجعل اجزاءها
متفاوتة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة الآخر متعانقة
متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينها لا يعتريها التغير بالاكل
والشرب والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم
والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء وكان ملاك الامر في جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت
حيث كانت في شرف الزوال وعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين
بها وقدم ما يكملها بالبهجة والسرور الكاملة فوقفها الملك وتبين على ما يؤدي اليها من المعتقد
والعمل **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة** شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب
خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما
اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والزام العجز والافحام كافة البلغاء من اهل المدر والوبر روى ابو صالح
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا
الله اجل واعلى من ضرب الامثال وروى عطاء عنه ان هذا الطعن كان من المشركين وروي
عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا
من دون الله اولياء الآية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله تعالى بهما المثل وجعلوا
ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له فهم انه ليس مما يتصور
فيه التردد فضلا عن التنكير بل هو من اوضح ادلة كونه من عند الله تعالى جاريا على طريق البيان لان عند
خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود
وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله
عن معارضته العقل واستعصائه عليه في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه
فيما يقتضيه ويشايعه الى ما لا يرتضيه ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية
وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء ومن قضية وجوب التماثل بين المثل والمثل به ان
التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل بالانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة
السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغاء اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واضعف
من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى والحياء تغير النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه
يقال حيي الرجل فهو حي واشتقاقه من الحياة اشتقاق نسي وحشي وخشي من النسا والحشا يقال
نسي الفرس وحشي وخشي اذا اعتلت منه تلك الاعضاء كأن من يعتريه الحياء تعتل قوته الحيوانية
فتنتقص واستحيى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت

منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدى الياءين ومنه قوله الا يستحي منا الملوك
ويتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم وقوله اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء
من الورد وانما اسند اليه تعالى بطريق الايجاب في مثل قوله عليه الصلاة والسلام ان الله
يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع
العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا يراد به الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث
مثل في الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطاياه بترك من
يتركهما حياء كذلك اذا التحقيق منه تعالى في المواضع الخاصة كما في هذه الاية الشريفة وفي قوله تعالى
والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهي ترك المستحيي منه لا سلب صفة الحياء
عنه تعالى راسا كما في قولك ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون
الايجاب من شانه تعالى في الجملة فالمراد هاهنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من
ضربه وفيه رمز الى ان ضد الدواعي الى ضربه تاخذ البواعث اليه اذ الاستحياء في الافعال
المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم كانوا يقولون
اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة كما في قول من قال من يبلغ افناء يعرب كلها
اني بنيت الجار قبل المنزل وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعة انشائه
في نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة في مواردها ضربا لها دون استعمالها في مضاربها غير
انشائها في انفسها بعد ذلك في مضاربها لفقدان الانشاء هناك والامثال الواردة في التنزيل لو
كان استعمالها في مضاربها غير انشائها في انفسها لم يكن التعبير عنه بالضرب بهذا الاعتبار بل باعتبار
الاول قطعا وانما هو من ضرب الخاتم بجامع التطبيق كما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك
استعمال الامثال في مضاربها تطبيقها بها كان المضارب قوالب تضرب الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى
انها انشاء تخيلها بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء كان انشاؤها
حينئذ كعامة الامثال التنزيلية وقبل ذلك كسائر الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة
من قبل الا ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند الضرب واما من ضرب
الطين على الجدار ليلتزق به بجامع الالصاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها
ضربة لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعدية يستحيي بنفسه
النصب على المفعولية واما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض باضمار من وعند
سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما اسمية ابهامية
تزيدها تقارن به الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما في قولك اعطني كتابا ما كانه قيل مثلا ما
من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في
قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات او
مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولان لتضمنه معنى الجعل والتصيير
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة
صلة لها محذوفة الصدر كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن على قراءة الرفع وعلى تقدير
كونها موصوفة صفة لها لذلك ومحل ما على الوجهين النصب على انه بدل من مثلا او على انه مفعول
ليضرب وعلى تقدير كونها استفهامية فهي خبرها كانه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما
واي مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها

يستحيي

على ما

على ما وقع في قوله عليه الصلاة والسلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى
الكافر منها شربة ماء والبعوضة فعولة من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا
النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش **فما فوقها** عطف على بعوضة على تقدير
نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية
فهو عطف على خبرها اعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشيء
فوقها حتى لا يضرب بها المثل فكذا على تقدير كونها صفة النكرة او زائدة وبعوضة خبر المضمر
وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص
ولا يخل بالشيوع بل يقرره ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة في المعنى
الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ بل في
الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى تقدير الاول يجوز ان تكون الفاء تفريعية خاصة باستفهامية
الجارية والمعنى ان الله تعالى لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شيء فوقها في الصغر
والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان رجلا بمنى
خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها لمن حولها ذلك سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه
بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلاة والسلام ما اصاب
المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها في الالم كما في مثال الخرور
فاما الذين آمنوا شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقية صدوره
عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضربه
فاما الذين الى آخره وتقديم بيان المؤمنين على ما حكي من الكفرة لما لا يخفى من الحسبان والتشريف وفي
تصدير الجملتين باما من احماد امر المؤمنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهي حرف يتضمن معنى
اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء ولذلك يجاب بالفاء وفائدته توكيد ما صدرت به
وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد تذكر جميعا وقد يقتصر على واحد منها كما في قوله تعالى
فاما الذين في قلوبهم زيغ الى آخره قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فهو ذاهب
لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها
حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدأ عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين
كما ان المراد بالموصول الآتي فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلال المعنى ايضا انما
للمؤمنين **فيعلمون انه الحق من ربهم** كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق
ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره لا الثابت مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود له
بالحقية وانه حق وصالح ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من
الضمير المستكن في الحق او من الضمير العائد الى المثل اي كائنا وصادرا من ربهم والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والايذان بان ضرب المثل تربية لهم وارشاد
اليهم ليوصلهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد مفعوله
الاول والثاني محذوف عند الاخفش اي فيعلمون حقيته ثابتة وفي تفصيل الاكتفاء بحكاية علمهم
المذكور عن حكاية اتفاقهم بموجبه كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند
ربنا الخ ايذان بقوة ما بينهما من التلازم ظهورا بحيث يغني عن الذكر **واما الذين كفروا** من حكيت احوالهم

فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا أو ثم يقولون على الأول تحسينا لقضيته ظاهر قرينة
دالة على كمال غلوائهم وتمادي لجهم في العتو فإن مجرد عدم العلم بحقيقته ليس بمثابة
إنكارها والاستهزاء بمضربها فهذه التعداد ما نوعتهم في تضاعيف الجواب من الضلال
والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شنائعهم مترتبة على قولهم المذكور على أن عدم العلم
بحقيته لا يعم جميعهم فإن منهم من يعلم بها وإنما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمل على عدم
الإذعان والقبول الشامل للجهل والعناد والتعسف ظاهر وقد قيل كان من حقه وأما
الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه ولكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا
على جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتأمل وكن على الحق المبين
وماذا إما مؤلفة جعلت ما استفهاما ونعت مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي تصلته ما بعده فالعائد
محذوف والأحسن أن يجيء جوابه مرفوعا وإما متوالية منزلة اسم واحد بمعنى أي شيء فالأحسن
في جوابه النصب والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه والقوة التي هي مبدؤه
والأول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في إرادته
تعالى فقيل إرادته تعالى لأفعاله أنه غير ساه فيه ولا مكره ولأفعال غيره أمره بها فلا تكون المعاصي
بإرادته تعالى وقيل هي علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل والوجه الأصلح فإنه يدعو القادر
إلى تحصيله والحق أنه عبارة عن ترجيح أحد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون
وجه أو معنى يوجب هذا الترجيح وهي أعم من الاختيار فإنه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذه تحقير واستر
ذال ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كما في قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية ولم ليس
مرادهم بهذه العظمة استفهاما عن الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الفائدة مع اعترافهم
بصدوره عنه تعالى بل غرضهم التنبيه بادعاء أنه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق أن يتعلق
به أمر من الأمور الداخلة تحت إرادته تعالى على استحالة أن يكون ضرب المثل به من عنده تعالى فقوله
تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان أنه
مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة في كونه ذريعة إلى هداية المستعدين للهداية
وإضلال للمنهمكين في الغواية فوضع الفعل في موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة في
الدلالة على تحققهما فإن إرادتهما دون وقوعهما بالفعل وتحاشيا عن نظم الإضلال مع الهداية
في سلك الإرادة لإيهامه تساويهما في تعلقها وليس كذلك فإن المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر
والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وأما الإضلال
فهو أمر عارض مترتب على سوء اختيارهم وصيغة الاستقبال للإيذان بالتجدد والاستمرار
وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما لا أنه قيل إرادة إضلال كثير وهداية كثير وقدم
الإضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون أول ما يقرع
أسماعهم من الجواب أمرا فظيعا يسوءهم ويفت في أعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفائدة
وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين بأما وتسجيل بأن العلم بكونه حقا هدى وأن الجهل بوجه
إيراده محسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق إنما هي بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابليهم
فلا يقدح في ذلك قلة أهل الهدى بالنسبة إلى أهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل
من عبادي الشكور ونحو ذلك وإن اعتبرت قلتهم الذاتية دون قلتهم الإضافية لتكميل فائدة تصوير المثل
وكثرتهما بمعنى أن يراد في الأولين الكثرة من حيث العدد وفي الآخرين من حيث الفضل والشرف

كما في قول من قال إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا وإسناد الإضلال
إليه تعالى مبني على أن جميع الأشياء مخلوقة له تعالى وإن كان أفعال العباد من حيث الكسب مستندة
إليهم ويحتمل أن يكون إسناد الفعل إلى السبب مجازا لأنه التصريح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدى
به كثير على البناء للمفعول وتكريره مع جواز الاكتفاء بالأول لزيادة تقرير السببية وتأكيدها
وما يضل به أي بالمثل أو بضربه إلا الفاسقين عطف على ما قبله وتكملة الجواب والرد وزيادة
تعيين لمن أريد إضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له وإشارة إلى أن ذلك ليس إضلالا
ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به
الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفأرة عن جحرها
أي خرجت قال رؤبة يذهبن في نجد وغور غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا وفي
الشريعة الخروج عن طاعة الله تعالى بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الإصرار على الصغيرة وله طبقات
ثلاث الأولى التغابي وهو أن يرتكبها أحيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة
المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن
لاتصافه بالتصديق الذي عليه يدور الإيمان ولقوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية
والمعتزلة لما ذهبوا إلى أن الإيمان عبارة عن مجموع التصديق والإقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده
ولم يتبين لهم إدخال الفاسق في أحدهما جعلوه قسما بين قسمي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض
أحكامه والمراد بالفاسقين هاهنا العاتون المارقون في الكفر الخارجون عن حدوده وعن حكمهم المحكي
عنهم من كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الإضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما أجري عليهم
من القبائح للإيذان بأن ذلك هو الذي أعدهم للإضلال وأدى بهم إلى الضلال فإن كفرهم وعدولهم عن الحق
وإصرارهم على الباطل صرف وجوه أفكارهم عن التدبر في حكمة المثل إلى حقارة الممثل به حتى رسخت
جهالتهم وازدادت ضلالتهم فأنكروه وقالوا فيه ما قالوا الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
صفة للفاسقين للذم وتقرير لما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل
والغزل ونحوهما واستعماله في إبطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط أحد المتعاهدين
بالآخر فإن شبه بالحبل وأريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وإن قرن بالعهد كان رمزا إلى ما هو من روادفه
وتنبيها على مكانه وأن المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على أنه
أسد في شجاعته بحر في إفاضته والعهد الموثق يقال عهد إليه كذا إذا وصاه به ووثقه عليه والمراد
هاهنا إما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق
رسوله عليه الصلاة والسلام وبه أول قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى [illegible]
أو المأخوذ من جهة الرسل على الأمم بأنهم إذا بعث إليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم
يكتموا أمره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين
أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة الأول ما أخذه على جميع
ذرية آدم بأن يقروا بربوبيته والثاني ما أخذه على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأن يقيموا
الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما أخذه على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الميثاق
اسم لما يقع به الوثاقة وهي الإحكام والمصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الأول يرجع
الضمير إلى العهد وكان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام وإن رجع إلى لفظ الجلالة فالمراد به
آياته وكتبه وإنذار رسله عليهم الصلاة والسلام وعلى المضاف محذوف على الوجهين أي من بعد تحقق ميثاقه

[illegible]

وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل او للمفعول من بعد ذلك وتقويه بالقبول
والالتزام من بعد ذلك وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل من المبني للمفعول او للمفعول من بعد كونه
موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثقته تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل **ويقطعون ما امر الله**
به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين
والتفرقة بين الانبياء عليهم الصلوة والسلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر
ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة
بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي
الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما يؤمر به كما يقال له شأن وهو القصد
والطلب لما انه اثر الشأن وكذا يقال له شيء وهو مصدر شاء لما انه اثر المشيئة ومحل ان يوصل اما
النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض** بالمنع من
الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه **اولئك**
اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون
بها اكمل تمييز ومنتظمون بسببها في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو
بعد منزلتهم في الفساد **هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة
الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والتأمل في حقائقها والاقتباس من
انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب **كيف**
تكفرون بالله التفات الى الخطاب بالمذكورين مبني على ايراد ما عدد من قبائحهم السابقة لتزايد السخط
الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون
للمشركين عهد عند الله وعند رسوله بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من
المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده
على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله
تعالى **وكنتم امواتا** الى آخر الآية حال من ضمير الخطاب في تكفرون مؤكد للانكار والاستبعاد بما عدد
فيها من الشؤون العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعما جساما ومن حيث دلالتها
على قدرة تامة كقوله وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه
وبالحال عند الاخفش اي في اي حال او على اي حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما
لا حيوة لها وعناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت كالاقوال
جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله
تعالى وآية لهم الارض الميتة **فاحياكم** بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء
حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتب بعضها متراخ عن بعض كما
اشير اليه بالفاء **ثم يميتكم** اي عند تقضي آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما
كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة والنعمة العظيمة والتراخي المستفاد من كلمة
ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه **ثم يحييكم** بالنشور
يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ايا ما كان فهو متراخ عن زمان الاماتة وان كان ابعد زمان بالنسبة
للتسمية **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه
تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الافعال وان كانت بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يستدعي تفاوته

شيء منها

شيء منها انما هو حال الحال في الزمان بل الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله
وانتم عالمون بهذه الاحوال المنافية له مع ما التعجب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه ولما قطع
ما ينكرونه من الاحياء الاخير والترجيع في سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا
لتمكنهم من العلم لما عاينوا من الدلائل القاطعة منزلة العلم به لكن بالفعل في ازاحة العلل والاعذار
والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لكونها
من طلائعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها
فلذلك بان انها تطلق على ما يقابلها في كل مرتبة من تلك المراتب قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم
وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به
في الناس واذا وصف بها الباري تعالى يراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللذين هما من آثار القوة
ومعنى قائم بذاته يقتضي ذلك الاتصاف وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول هو الانسب بالمقام
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا تقرير للانكار وتأكيد له ببيان الحجة المذكورين غير
منسبكة عن سلك ما قبل مع انتظامها في المقصود اياته لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم
من الاحياء والاماتة والحشر ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما
يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف
على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين والتشويق اليه كما سلف اي خلق لاجلكم
جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال
بها على شؤون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الآخرة
وآلامها فما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو
نعم يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول
الثاني مؤكد لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل
في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة
المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ما من شيء في العالم مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا
وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد
بالفعل **ثم استوى الى السماء** اي قصد اليها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه
ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من قولهم استوى اليه
كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر هاهنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روي من تخلل
خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رحمه الله خلق الله تعالى الارض في بيت المقدس كهيئة
الفهر عليها دخان يلتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط
منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات
وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما فيه من المزية والفضل على
خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض المتأخر عن دحوها لا مرية
فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها لما روي عن الحسن والمراد بالسماء اما الاجرام
العلوية فان القصد اليها بالارادة سابقة الوجود واما جهات العلو **فسواهن** اي اتمهن
وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم تكن كذلك
وما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير لهن بالفتق والخرق

كما في السفليات والضمير على الوجه الأول للسماء فإنها في معنى الجنس قيل هي جمع سماءة أو سماوة وهو على هذا الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى سبع سموات كما في ربه رجلا وهو على الوجه الأول بدل من الضمير وتأخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الأرض مع كونه أقوى منه في الدلالة على كمال القدرة كما نبه عليه لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإن كان في إبداع العلويات أيضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحصى هذا ما قالوا وسيأتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل بإذن الله وهو بكل شيء عليم اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والأرض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فإن علمه عز وجل بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي أن يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد وإذ قال ربك بيان لأمر آخر من جنس الأمور المتقدمة المؤكدة للإنكار والاستبعاد فإن خلق آدم عليه الصلاة والسلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من جلائل النعم الداعية لذريته إلى الشكر والإيمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للإيذان بأن فحوى الكلام ليس مما يهتدي إليه بأدلة العقل كالأمور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل إنما طريقه الوحي الخاص به عليه الصلاة والسلام من الإنباء عن تشريفه عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى وإذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه من نحو لما وقع بالذكر إلى الوقت من بعد ذا دون توجيه الأمر واذكروا إذ جعلكم خلفاء إذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى المثل في قوله عز وجل واذكروا إلى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثلها قبله حيث أضاف إليها نسبة مستقبلة تقع فيه أخرى كما أن إذا موضوع لزمان في نسبة أخرى مثلها من الحوادث مع أنه المقصود بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها فإذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه بمفعولية بل على تأويل ذكر الحادث فيه بحذف المظروف وإقامة الظرف مقامه وأيا ما كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل له عليه الصلاة والسلام غب ما أوحي إليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الأمور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه ويتوبوا عنه وأما ما قيل من أن المقدر اذكر شكر النعمة في خلق السموات والأرض أو تدبر ذلك فبعيد بمراحل ضرورة أن مقتضى المقام تذكير المخاطبين بموجب الشكر على ما يقتضيه وأين ذاك من مقام الجليل صلى الله عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا أتجعل وأباه أنه يستدعي أن يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم إذ قال إلى آخره ولا ريب في أنه لا فائدة في تقييده به الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم أو بأحياكم مضمرا وفيه ما فيه وقيل إذ زائدة ويعزى ذلك إلى أبي عبيدة ومعمر وقيل إنه بمعنى قد واللام في قوله عليه الصلاة والسلام قال ربك للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملأك باعتبار أصله الذي هو ملأك على أن الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال

والتاكيد

والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة واشتقاقه من ملأك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على أنه مقلوب من ألك من الألوكة وهي الرسالة أي موضع الرسالة أو مرسل على أنه مصدر بمعنى المفعول فإنهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسله عز وجل أو بمنزلة رسله عليهم السلام واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المتكلمين إلى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء إلى أنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وأنها أكمل منها قوة وأكثر علما تجري منها مجرى الشمس من الأضواء منقسمة إلى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات أمرا فمنهم سماوية ومنهم أرضية وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان ونقل في شرح كبير أنه عليه الصلاة والسلام قال أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع وروي أن بني آدم عشر الجن وهم عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا إلى السماء السابعة ثم كل أولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السموات والأرض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرافيل عليه الصلاة والسلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه الصلاة والسلام لا يحصى أجناسهم ولا مدة أعمارهم ولا كيفيات عباداتهم إلا باريهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك إلا هو وروي أنه عليه الصلاة والسلام حين عرج به إلى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسأل صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام إلى أين يذهبون فقال جبريل عليه الصلاة والسلام لا أدري إلا أني أراهم منذ خلقت ولا أرى واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سألا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا أدري غير أن الله تعالى يخلق في كل أربعمائة ألف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني أربعمائة ألف كوكب فسبحانه من إله ما أعظم قدرته وما أوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الأرض وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم المختارون لصحبة إبليس حيث بعثهم الله عز وجل لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم إلا قليلا وقد أخرجوهم من الأرض وألحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وأخرى في الجنة فأخذه العجب فكان من أمره ما كان وقال أكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين هم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص إني جاعل في الأرض خليفة في حيز النصب على أنه مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عملها فيهما ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي إلى مفعولين فقيل أولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم عليه لما هو مقتضى الصناعة فإن مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره أولهما الأول وثانيهما الثاني وهما خبر

مبتدأ والأصل في الأرض خليفة ثم قال صار في الأرض خليفة ثم مصير في الأرض خليفة فمعناه
نصب للمبتدأ والخبر أي جاعل خليفة من الخلافة فيكون خليفة تعيينه كائنا في الأرض فإن خبر صار في
الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في أنه ليس مما يقتضيه المقام أصلا كيف لا وإنما الذي
يقتضيه هو الإخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم الصلوة والسلام فإذن
قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق إلى ما أخر
أو محذوف وقع حالا لما بعده لكونه نكرة وأما المفعول الأول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما
في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف فيه المفعول الأول وهو ضمير الأموال
لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف
فيه المفعول الأول لدلالة يبخلون عليه أي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق
القرينة هاهنا إما الحمل على الحذف عند وقوع الحكاية فهي واضحة لوقوعه في أثناء ذكره عليه الصلوة
والسلام على ما ستفصله حكاية الذي خلق بشرا من طين وجاعل في الأرض خليفة وأما الحمل على
أن يحذف هناك بل قيل مثلا جاعل إياه خليفة في الأرض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر
من جواب الملائكة عليهم الصلوة والسلام فإن العلامة الزمخشري قال في تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة
إني خالق بشرا من طين إن قلت كيف صح أن يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه أن يكون
قد قال لهم إني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز ترك الصفات
عند الحكاية تعويلا على ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فلأن يترك المفعول فيه ومعه قرينة
ظاهرة أولى ويجوز أن يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي إلى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق
والتقديم كما مر فحينئذ لا يكون ما سيأتي من كلام الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة كأنه
روي أنه تعالى لما قال لهم إني جاعل في الأرض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون
ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله أعلم
والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به إما آدم وبنوه
وإنما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر أبيها كمضر وهاشم ومنه
الخلافة في قريش وإما من الخلفاء ومن خلق فيهم عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته
والمراد بالخلافة إما الخلافة من جهته سبحانه في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره بين الناس وسياسة
الخلق لكن لا لحاجة به تعالى إلى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض الإلهي
فتختص بالخواص من بنيه وإما الخلافة ممن كان في الأرض قبل ذلك فتعم حينئذ الجميع **قالوا** استئناف
وقع جوابا عما ينساق إليه الأذهان كأنه قيل فماذا قالت الملائكة حينئذ فقيل قالوا **أتجعل فيها**
من يفسد فيها وهو أيضا من الجعل المتعدي إلى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الأول والظاهر الأول وكلمة من
والثاني محذوف ثقة بما ذكر من الكلام السابق كما حذف الأول فيه تعويلا على ما ذكر هاهنا قال قائلهم
لا تجعلنا على عزائك أنا طالما قد وشينا الأعداء نخلف حذف المفعول الثاني أي لا تجعلنا قبيحا زاعين
على عز آيك والمعنى أتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الأول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر مرارا
والثاني بيفسد وفائدته تأكيد الاستبعاد لما أن في استخلاف المفسد في محل إفساده من البعد ما ليس في
استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي إلى مفعول واحد هو كلمة من وأنت
خبير بأن مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الأرض كيف لا وأنه لا يقتضيه من الجملة الحالية الناطقة
بدعوى أحقيتهم منهم مقتضي بطلانه حتما إذ لا صحة لدعوى الأحقية من ينسب الخلق وهم مخلوقون

بل مداره

بل مداره أن يستخلف لعمارتها وإصلاحها بإجراء أحكام الله تعالى وأوامره أو يستخلف مكان المطيعين
على الطاعة من شأن ذريته الإفساد وسفك الدماء وهو عليه الصلوة والسلام وإن كان منزها
عن ذلك إلا أن استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وإنما أظهروا تعجبهم
استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بهرت على تلك المفاسد وألغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم
ويرشدهم إلى معرفة ما فيه عليه الصلوة والسلام من الفضائل التي جعلته أهلا لذلك كسؤال
المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا شكا في اشتماله على الحكمة
والمصلحة إجمالا ولا طعنا فيه عليه الصلوة والسلام ولا في ذريته على وجه الغيبة
فإن منصبهم أجل من أن يظن بهم أمثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بأمره يعملون وإنما عرفوا ما قالوا إما بإخبار من الله تعالى حسبما نقل أو تلقي
من اللوح أو باستنباط عما ارتكز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم أو بقياس لأحد الثقلين على
الآخر **ويسفك الدماء** السفك والسفح والسبك والسكب أنواع من الصب والأول مختص
بالدم بل لا يستعمل إلا في الدم المحرم أي يقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك
الدماء قيل لأنه أقبح أنواع القتل وأفظعه وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من
أسفك وسفك وقرئ يسفك على البناء للمفعول فحذف الراجع من موصولة أو موصوفة أي
يسفك الدماء فيهم **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** جملة حالية مقررة للتعجب السابق
ومؤكدة له على طريقة قولك من يجد في خدمة مولاه وهو يأمر جهلا غيره أتستخدم العصاة وأنا
مجتهد فيها كأنه قيل أتستخلف من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك أصلا
والمقصود عرض أحقيتهم منه بالخلافة واستفسار عما رجحه عليهم مع ما هو متوقع منهم من
الموانع لا العجب والتفاخر وكأنهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها الإفراطية الفساد في
الأرض والقوة الغضبية التي رذيلتها الإفراطية سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما إذا
بحثهما القوة العقلية وعونهما على الخير فيحصل بذلك من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبته
القوة العقلية عند انفرادها في أفاعيلها كالإحاطة بتفاصيل أحوال الجزئيات واستنباط
الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة إلى الفعل وغير ذلك مما نيط به أمر الخلافة
والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح
في الأرض والماء إذا أبعد فيهما وأمعن ومنه فرس سبوح أي واسع الجري وكذلك التقديس تفعيل
من قدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد ويقال قدس إذا طهر فإن مطهر الشيء مبعد عن الأقذار
والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير أي ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك
ملتبسين بحمدك على ما أنعمت به علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح
لإظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الإنعام واللام في لك إما مزيدة والمعنى نقدسك
وإما صلة للفعل كما في سجدت لله وإما للبيان كما في سقيا لك فتكون متعلقة بمحذوف أي
نقدس تقديسا لك أي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل
المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لأجلك كأنهم قابلوا الفساد الذي أعظمه الإشراك بالتسبيح وسفك
الدماء الذي هو تلويث النفس بأقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك ولا إظهارا
للمنة بل بيانا للواقع **قال** استئناف كما سبق **إني أعلم ما لا تعلمون** ليس المراد به بيان أنه تعالى
يعلم ما لا يعلمونه من الأشياء كائنا ما كان فإن ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا إلى

التنبيه عليه لا استيما بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه الصلوة والسلام معاني تستدعي
لاستخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبنوا عليه سؤالهم لا التنبيه على الاستبعاد فما موصولة كانت
او موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه وانما لم
يقتصر على بيان تحققها فيه عليه الصلوة والسلام بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض
لاحاطته تعالى به وغفلتهم عنه تفخيما لشانه وايذانا بابتنائه تعالى على العلم الرصين
والحكمة المتقنة وصدوره عنهم عن الغفلة وقيل معناه اني اعلم من المصالح في استخلافه
ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تعالى كلها حسنة وجميلة
وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل
فيكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتمال هذا الفعل الحكمة ما وذلك مما لا يليق بشانهم فانهم
عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في انها ماذا هل هي امر راجع الى محض حكمة
الله عز وجل والى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا على وجه الاجمال
والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم يستشرفون اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه ويظهر
لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم بالكلية **وعلم آدم الاسماء كلها** شروع في تفصيل
ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا للابهام وهو عطف على قال والابتداء بحكاية
التعليم يدل بظاهره على ان ما مر من المقاولة انما جرت بعد خلقه عليه الصلوة والسلام
بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله عليه الصلوة والسلام بان قيل اثر نفخ الروح
فيه اني جاعل اياه خليفة تعقيبا لما قيل كما اشير اليه وايراده عليه الصلوة والسلام باسمه
العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مباديها
وهو اسم اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وعابر وفالغ لا افعل والتصدي
للاشتقاق من الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض بناء على ما روي عنه عليه الصلوة
والسلام من انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك اختلف
الوان ذريته او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق يعقوب من العقب وادريس
من الدرس وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا
يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا
كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه
غير مقترن بالزمان والمراد هاهنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ
من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم
بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد التعلم لقبول الفيض
فتلقيه من جهته كما في تفسير الهدى وهو السر في بنائه على الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان
على سماع الخبر الذي يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر حقيقة الخلافة منهم عليهم السلام
لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا فمعنى تعليمه
تعالى اياه ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات
واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشانه كيت وكيت
وذاك بعير وحاله كذا وكذا الى غير ذلك من احوال الموجودات فيتلقاها عليه الصلوة والسلام
حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبائع

متباينة

متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة وابن جبير
رضي الله عنهما علمه اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وفي
منفعة كل شي الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما سيكون الى يوم القيمة وقيل معنى قوله
وعلم آدم الاسماء خلقه تعالى من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات
من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء
واسمائها وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات
استعمال آلاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه الصلوة والسلام وقيل التعليم على ظاهره
ولكن هناك جملة مطوية عطف عليها المذكور اي فخلق فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه الى آخره
ثم عرضهم على الملائكة الضمير للمسميات المدلول عليها بالاسماء كلها كما في قوله تعالى واشتعل الرأس
شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن
ومسمياتها وفي الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع
ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها **فقال انبئوني باسماء هؤلاء**
تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير
واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن
والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كل منهما والمراد هاهنا ما خلا عنه وايثاره
على الاخبار للايذان برفعة شان الاسماء وعظم خطرها فان النبأ انما يطلق على الخبر الخطير
والامر العظيم **ان كنتم صادقين** اي في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه
مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من
الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل من ان المعنى في
زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سافكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وان اول بان يقال
في زعمكم اني استخلف من غالب امره الفساد وسفك الدماء من ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا
تعلق لها بامر الانباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه **قالوا** استئناف واقع موقع الجواب
كانه قيل فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه او لا فقيل قالوا **سبحانك** هو علم
للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ وغير منصرف للتعريف والالف
والنون المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر واما في قوله سبحانه ثم سبحانا نعوذ له وقبل
صرفه للضرورة وقيل انه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الاول نسبحك عما لا يليق
بشانك الاقدس من الامور التي من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشئا
عن كمال طمانينة النفس والايقان باشتمال استخلاف آدم عليه الصلوة والسلام على الحكم البالغة
وعلى الثاني تنزهت عن ذلك تنزها ناشئا عن ذاتك وقدموه ايذانا بانهم قالوه من اذعان لعلو الحال
بانه عليه الصلوة والسلام يكلف ما كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة
وقوله عز وعلا **لا علم لنا الا ما علمتنا** اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما
علمتنا وحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة
استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في ما علمتنا موصولة حذف
من صلتها عائدها او مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على
بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمون واشعروا بان كونه من تلك

إليه تغني عن البيان **إنك أنت العليم** الذي لا يخفى عليه خافية وهذا إشارة إلى تحقيقهم
لقوله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون **الحكيم** أي المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة وهو خبر بعد خبر أو صفة له وأنت ضمير الفصل لا محل له من الإعراب أو له محل من شأن
ما قبله كما قال الفراء وما بعده كما قال الكسائي وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك أنت
وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر إن وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم على ما علمه
تعالى وما فيهم من خلاف من تعلم آدم عليه الصلاة والسلام ما خفي عليهم فكأنهم قالوا أنت العالم
بكل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عليه الصلاة والسلام لما نحن بمعزل من الاستعداد
له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الأرض من أنواع المخلوقات التي عليها يدور فلك الخلافة الذي
لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عليه الصلاة والسلام ما هو قابل له من العلوم
الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالأحكام الواردة عليها في الأرض وبناء أمر الخلافة عليها
قال استئناف كما سلف **يا آدم أنبئهم** أي أعلمهم أوثر على أنبئني كما وقع في أمر الملائكة عليهم السلام
مع حصول المراد معه أيضا وهو ظهور فضل آدم عليهم لإبانة ما بين الأمرين من التفاوت الجلي وإيذانا
بأن علمه عليه الصلاة والسلام بها أمر واضح غير محتاج إلى ما يجري مجرى الامتحان وأنه عليه الصلاة
والسلام حقيق بأن يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها أيضا والهاء مكسورة فيهما **بأسمائهم**
التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها **فلما أنبأهم بأسمائهم** الفاء
فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام للإيذان
بتقرره وغنائه عن الذكر والإشعار بتحققه في أسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده
بعد قوله سبحانه أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وإظهار الأسماء في موضع الإضمار لإظهار كمال
العناية بشأنها والإيذان بأنه عليه الصلاة والسلام أنبأهم على وجه التفصيل دون الإجمال
والمعنى فأنبأهم بأسمائهم مفصلة وبين لهم أحوال كل منهم وخواصه وأحكامه المتعلقة بالمعاش
والمعاد فعلموا ذلك لما رأوا أنه عليه الصلاة والسلام لم يتلعثم في شيء من التفاصيل التي ذكرها مع
مساعدة ما بين الأسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته
عليه الصلاة والسلام فلما أنبأهم بذلك قال عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الإجمالي واستحضارا له **ألم
أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض** لكن لا بالتصريح بنفسه كما في قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعدا
حسنا ونظائره بل بالتصريح بما يقيده من تحقق دواعي الخلافة في آدم عليه الصلاة والسلام لظهور مضمونه
وإيراد ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضافا إلى السموات والأرض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية
سعته مع الإيذان بأن ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليه الصلاة والسلام من الأمور المتعلقة بأهل السموات
وأهل الأرض وهذا دليل واضح على أن المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما أشير إليه هنا كأنه قيل ألم أقل لكم إني
أعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينتموه وقوله تعالى **وأعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون** عطف على جملة ألم أقل لكم لا على أعلم إذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين
موصولة حذف عائدها أي أعلم ما تبدونه وما كنتم تكتمونه وتغيير الأسلوب للإيذان باستمرار كتمهم
قيل المراد بما تبدون قولهم أتجعل فيها الخ وبما تكتمون استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لا يخلق
خلقا أفضل منهم روي أنه تعالى لما خلق آدم عليه الصلاة والسلام رأت الملائكة فطرته العجيبة
قالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا إلا كنا أكرم عليه منه وقيل هو ما أسره إبليس في نفسه من الكبر
وترك السجود فإسناد الكتمان حينئذ إلى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم

قالوا في

قالوا في الآية الكريمة دلالة على شرف الإنسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأن ذلك هو المناط
للخلافة وأن التعليم يصح إطلاقه على الله تعالى وإن لم يصح إطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن
يحترف به وأن اللغات توقيفية إذ الأسماء تدل على الألفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في إلقائها
على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو إلا من الله تعالى وأن مفهوم الحكمة زائد
على مفهوم العلم وإلا لزم التكرار وأن علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك
في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وأن آدم عليه الصلاة
والسلام أفضل من هؤلاء الملائكة لأنه أعلم منهم وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها **وإذ قلنا
للملائكة** عطف على الظرف الأول منصوب بناصبه من المضمر أو بناصب مستقل معطوف على ناصبه
عطف القصة على القصة أي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام أي أطاعوا وقت قولنا
إلى آخره وقد عرفت ما في أمثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر إيراده على منهاج
ما قبله من الأقوال المحكية للتنبيه بأن ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر
والتذكير على حيالها والالتفات إلى التكلم لإظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال
وكذا إظهار الملائكة في موضع الإضمار واللام للتبليغ وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ
بضم تاء الملائكة إتباعا لضم الجيم في قوله تعالى **اسجدوا لآدم** كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى
الحمد لله إتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع
وضع الجبهة على الأرض على قصد العبادة فقيل أمروا بالسجود له عليه الصلاة والسلام على وجه
التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله وأداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شأنه
وقيل أمروا بالسجود له تعالى وإنما كان آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشأنه أو سببا لوجوبه فكأنه تعالى
لما براه أنموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني والعالم الجسماني ومن ثم
على فطرة بديعة أمرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله عنه
أليس أول من صلى لقبلتكم وأعرف الناس بالقرآن والسنن وفي قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس
والأول هو الأظهر وقوله عز وجل **فسجدوا** عطف على قلنا والفاء لإفادة مسارعتهم إلى الامتثال
وعدم تلعثمهم في ذلك روي عن وهب أن أول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم
سائر الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم وقوله تعالى **إلا إبليس** استثناء متصل لما أنه كان
جنيا مفردا مغمورا بالألوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء
واحد منهم أو لأن من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو
منهم أو لأن الجن أيضا كانوا مأمورين بالسجود لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم أو منقطع وهو
اسم أعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله من الإبلاس وهو اليأس قال إنه شبيه بالعجمة حيث لم يسم به أحد
فكان كالاسم الأعجمي والظاهر أن الذي تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الأعراف من قوله تعالى
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا والآية التي في سورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة
طه من قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية أن سجود الملائكة إنما ترتب
على الأمر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية
امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد الأمر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله
تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت
فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى

اذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين إلى آخر الآية يستدعيان بظاهرهما ترتبه
على ما فيهما من الأمر التعليقي من غير أن يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق
والتسوية ونفخ الروح فيه عليه الصلاة والسلام وقد روي عن وهب أنه كان السجود كما نفخ فيه
الروح بلا تأخير وبأن قيل الآيات السابقة تحمل ما فيهما من الأمر على حكاية الأمر التعليقي بعد
تحقق المعلق به إجمالا فحينئذ يكون في حكم التنجيز يأباه ما في سورة الأعراف من كلمة ثم المفيدة
لتأخر ورود الأمر عن التصوير المتأخر عن الخلق المتأخر عن الأمر التعليقي والاعتذار بحمل التراخي
على التراخي الرتبي أو التراخي في الإخبار أو بأن الأمر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم إيجاب المأمور
به بمنزلة العدم جعل حكايته إنما جرت بعد تحققه على صورة التنجيز يؤدي بعد اللتيا والتي
إلى أن ما جرى بينه وبينهم عليهم الصلاة والسلام ما قالوا فيه وما سمعوا إنما جرى بعد السجود
المسبوق بمعرفة جلالة محله عيانا وهل هو إلا خرق لقضية العقل والنقل لا إلجاء في التقصي عنه
إلى أن قيل نفخ الروح يحمل على ما يعم إفاضة ما به حياة النفوس التي من جملتها تعليم الأسماء تعسف ينبئ
عن ضيق الحال فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الأنيق بعد التفصي في مسنوعات الكتاب
المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون أن سجودهم له عليه الصلاة والسلام إنما ترتب على الأمر
التنجيزي المتفرع على ظهور فضله المبني على المحاورة المسبوقة بالإخبار بخلافته المنتظم جميع
ذلك في سلك ما نيط به الأمر التعليقي من التسوية ونفخ الروح إذ ليس من قضيته وجوب السجود
عقيب نفخ الروح فيه فإن الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود
الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء لقوله تعالى إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة
فاسعوا إلى ذكر الله الآية وبعدم وجوب إقامة الصلاة عقيب الاطمئنان بقوله تعالى فإذا اطمأننتم
فأقيموا الصلاة بل إنما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية إلى ورود الأمر في هذا الأمر
التعليقي أثرى ذي أثر إنما هو حمل الملائكة عليهم الصلاة والسلام على التأمل في شأنه ليتدبروا
في أحواله طرا ويحيطوا بما لديه خبرا ويسألوا عما عسى يشتبه عليهم في أمره لا سيما على الحكمة
البينة وأسرار خفية طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الأمر التنجيزي
وتحتم الامتثال وقد فعلوا بحسب ذلك ما قالوا وما فعلوا وعدم نظم الأمر التنجيزي في سلك
الأمور المذكورة في السورتين عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحكي
كما أن عدم ذكر الأمر التعليقي عند حكاية الأمر التنجيزي في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب
عدم مسبوقيته به فإن حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه
حسن الانتظام ليس بعزيز في الكتاب العزيز فما هنالك منقول في ... وإنباء الله تعالى بخلق البشر مع عدم
سبق معرفة الملائكة بذلك وحسبما يليه مع أنه لم يرد به نقل فلعله لما وقع التصريح به
في مواضع عديدة فلعل في التقابل هو أن تنبيههم جميعا مما يتوقف عليه الأمر التنجيزي إجمالا بأن قيل
مثلا إني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل إياه خليفة في الأرض فإذا سويته ونفخت فيه من روحي
وتبين لكم شأنه فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا
وألقى إليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بأن قيل إثر نفخ الروح فيه إني جاعل هذا
خليفة في الأرض فهناك ذكروا في حقه عليه الصلاة والسلام ما ذكروا فأيده الله عز وجل
بتعليم الأسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الأمر التنجيزي اعتناء بشأن المأمور
به وتعيينا لوقته وقد حكي بعض الأمور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن

ثم اترك

عما ترك في موضع آخر والذي يحسم مادة الاشتباه أن ما في سورة ص من قوله تعالى إذ قال ربك
للملائكة بدل من قوله تعالى إذ يختصمون في حيز ما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون
بكلامهم عند اختصامهم وقيل الملأ الأعلى الملائكة وآدم عليهم الصلاة والسلام وإبليس حسبما
أطبق عليه جمهور الأئمة واختصامهم ما جرى بينهم في شأن خلافة آدم عليه الصلاة والسلام
من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه من الإنباء بالأسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام
المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الأمر التعليقي وما علق به من الخلق والتسوية
ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم الصلاة والسلام وعناد إبليس وما انتهى
من لعنه وإخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الأفعال والأقوال وأن ليس تمام الاختصام
بعد سجود الملائكة ومكابرة إبليس المستتبعة لطرده من بينهم ما لا يخفى فإنه لا أحد من المختصين
ثم إن ليس قبل الخلق من ضرورة استحالة الإنباء بالأسماء حينئذ ثم إن بعد نفخ الروح
وقبل السجود حتما بأحد الطريقين والله سبحانه أعلم بحقيقة الأمر **أبى واستكبر** استئناف مبين
لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وأنه لم يكن للتردد والتأمل والإباء الامتناع
بالاختيار والتكبر أن يرى نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع أي امتنع عما أمر به واستكبر
من أن يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الإباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه
لظهوره ووضوح أمره والاقتصار في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الإباء
حيث قيل أبى أن يكون مع الساجدين **وكان من الكافرين** أي في علم الله تعالى أو كان أصله من كفرة
الجن فلذلك ارتكب ما ارتكب كما يفصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه والجملة
تذييلية مقررة لما سبق من الإباء والاستكبار وعصيانهم باستقباح أمره تعالى إياه بالسجود
لآدم عليه الصلاة والسلام زعما منه أنه أفضل منه والأفضل لا يحسن أن يؤمر بالخضوع للمفضول
كما يفصح عنه قوله تعالى أنا خير منه جوابا لقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت
من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وإيثار الواو على الفاء للدلالة على بعض
الإباء والاستكبار كفر لا أنهما سبب له كما تفيده الفاء **وقلنا** شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين
آدم عليه الصلاة والسلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وإبليس من الأقوال والأفعال
تركت حكاية توبيخ إبليس وجوابه ولعنه واستنظاره وإنظاره لما فصل في سائر السور الكريمة
وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف وقتيهما فإن الواقع بالزمان الذي دل عليه كلمة
إذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو معطوف على إذ قلنا بإضمار إذ وهذا أنزل لتعدد الحري بتوجيه التذكير
ما فيه من الكرم وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى **يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** للتنبيه على
الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به عليه الصلاة والسلام للإيذان بأصالته في
مباشرة المأمور به والسكنى من السكون وهو اللبث والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وأنت
ضمير أكد به المستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود
وابن عباس رضي الله عنهم وناس من الصحابة رضوان الله عليهم أن الله تعالى لما أخرج إبليس من الجنة وأسكنها
آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فألقى الله تعالى عليه النوم ثم أخذ ضلعا من جانبه
الأيسر ووضع مكانه لحما فخلق حواء منها فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة فسألها ما أنت قالت
امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن إلي فقالت الملائكة تجربة لعلمه عليه الصلاة والسلام من
هذه قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لأنها من المرء أخذت قالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت

حوا قال لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث الله تعالى جندا من الملائكة
فحملوا آدم وحوا على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل
على خلقهما قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين
او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عليه الصلوة والسلام وحمل الاهباط على النقل
منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لان خلقه عليه الصلوة والسلام كان في الارض بلا خلاف
ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها
لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط
الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة
فوجب التوقيف وترك القطع وكلا منها اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والترفيه
ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بانهما في مباشرة المأمور به سيان فحوا اسوة له عليه
الصلوة والسلام في الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه رغدا صفة للمصدر اي اكلا
واسعا رافها حيث شئتما اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها
على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة
للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله ولا تقربا بفتح الراء من قربت الشيء بالكسر اقربه
بالفتح اذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا
دنوت منه هذه الشجرة نصب على نعت له من اسم الاشارة او عطف بيان ولها مشتق اي هذه الحاضرة
من الشجرة اي لا تاكلا منها وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد
بها الحنطة او العنب او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع
وقرئ هذي بالياء وكسر شين الشجرة وتا تقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء فتكونا
من الظالمين مجزوم معطوف على تقربا او منصوب على جواب النهي ايا ما كان فالقرب اي الاكل
منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية ونقصوا حظوظهم بمباشرة
ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله فازلهما الشيطان عنها اي اصدر زلتهما اي زلقهما
او حملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى
اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في
المعنى فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله هل ادلكم
على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وهذه الآيات مشعرة بانه عليه الصلوة والسلام لم يؤمر بسكنى
الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما قدر من خلافة الارض الى حين انتهائها
واختلف في كيفية توصله اليهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على
وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم الصلوة والسلام ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء
لآدم وحوا وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة
وقيل دخل في فم الحية فدخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه
فاخرجهما مما كانا فيه اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها
وجلالتها وملابستهما له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان
كان الضمير للجنة وقلنا اهبطوا الخطاب لآدم وحوا بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا

وجمع الضمير لانهما اصل الجنس فكانهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية ولابليس على انه اخرج منها
ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او يدخلها مسارقة او من السماء وقرئ
بضم الباء بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم
على بعض بتضليله او استيناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض
واما لان وزانه وزان المصدر كالقبول ولكم في الارض التي هي محل الاهباط والظرف متعلق
بما تعلق به الخبر اعني لكم من الاستقرار مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع
بالعيش وانتفاع به الى حين هو حين الموت على ان المعنى تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة
على ان المعنى تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا اي مستحقين للاستقرار
والتمتع او استينافا فتلقى آدم من ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين
علمها ووفق لها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله
تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا
اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم
تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فيّ من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك
قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي الى الجنة قال نعم والفاء
للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المأمور به والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة اليه عليه الصلوة والسلام للتشريف والايذان بعلية ما ذكر للتلقي والكلمات المتلو
عليه بتلقيها فتاب عليه اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه
على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم
العود اليه واكتفي بذكر شان آدم عليه السلام لما ان حوا تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء
في اكثر مواقع الكتاب والسنة انه هو التواب اي الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم
على التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري
عز وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين
وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه قلنا
اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع
في امنيته عليه الصلوة والسلام من استتباع قبول التوبة العفو عن ذلك واظهارا لنوع رافة
به عليه الصلوة والسلام لما بين الامرين من الفرق فان الاول مشوب بضرب سخط مذيل
ببيان ان مهبطهم دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي
الى النجاة والفلاح واما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما
هو دائر على سوء اختيار المكلفين وقيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة
حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف بالمقترن بهما فتأمل وقيل الاول من
الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض ويأباه التنصيص على ان مستقرهم في الارض في الاول ورجوع
الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتأكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون
ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤوا جميعا بخلاف قولك
جاؤوا معا فاما ياتينكم مني هدى الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به واما

مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله
بنون التاكيد وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني
والا اعرب نحو ليسجنن وليكونا وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى ان ما ياتينكم مني هدى
برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون** كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان
لا محالة للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه
افاضة العقل ونصب الادلة الافاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال والمجيء
على سنن العظماء في ابواب عسى ولعل في مواقع القطع والجزم والمعنى ان من اتبع هداي منكم فلا خوف
عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل
يستمرون على السرور والنشاط كيف واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه
وهيبته واستقصار الجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين
والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية
مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل في نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام
واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتاكيد وجوب اتباعه او لان المراد
بالثاني ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الافاقية
والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا باياتنا**
عطف على من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه تولفا او تحليه بما ذكر تعظيما لحال
الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر
والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة
وادخال الروعة واضافة الايات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها والذين كفروا برسلنا المرسلة
اليهم وكذبوا باياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التي انزلها على الانبياء
واظهرها بايديهم من المعجزات وقيل معنى كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين
متوجها الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة توهمت آيات لها
فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على الصانع تعالى
وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما
قبلها مما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان باياتهم اي بجماعتهم
قال خرجنا من النقبين لا حي مثلنا باياتنا نزجي اللقاح المطافلا واشتقاقها من اي
لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه اي تجمع واصلها اوية او ايية فابدلت عينها الفا على غير قياس
او ايية كرمكة فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة
الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وهو مبتدأ وقوله عز وجل **اصحاب
النار** اي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة
بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبره وقوله تعالى **هم فيها خالدون** في حيز النصب
على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار
لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على انه خبر اخر لاولئك

على ان من يكون من نوع الجملة تجيء ثانيا وفيها متعلقة بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد
انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام **يا بني اسرائيل** تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة
من الكفرة المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بتذكير كلهم النعم العامة تلقي آدم قاطبة بقوله تعالى
واذ قال ربك للملائكة الخ فقلنا للملائكة الى اخره لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكر لهم اذ جعلنا
اباهم خليفة في الارض واسجدنا له الملائكة عليهم الصلاة والسلام وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته
والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل
لقب يعقوب عليه الصلاة والسلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرايل بحذف
الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء واسرائل بهمزة مفتوحة واسرائل بهمزة مكسورة بين الراء واللام
وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها **اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم** بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اغفلوا
شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة
بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما افاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضى والشكر قيل اراد
ما انعم به على آبائهم من النعم التي سيجيء تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي اجلها ادراك عصر النبي صلى
الله عليه وسلم وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي باسكان الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا
يحرك الياء المكسور ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم** بحسن الاثابة والعهد
يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم
بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء
بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي باتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم برفع الاصار والاغلال
وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب واوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف
بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان
والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى
قوله لادخلنكم جنات الى اخره وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة والتاكيد **واياي فارهبون** فيما تاتون وما
تذرون خصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه من التقديم وتكرير المفعول
والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهبة
خوف مع تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان
لا يخاف الا الله **وآمنوا بما انزلت** افراد الايمان بالقرآن بالامر به لما انه العمدة القصوى في شان الوفاء بالعهود
مصدقا لما معكم من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مظنة التكرير
المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه
نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس
والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب
تفاوت الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره
وزمانه متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وليس في التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة
حتى يخالفها ما نسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة

نسخ تلك الأحكام فإن نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فإذن مناط المخالفة في الأحكام
المنسوخة إنما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول
المتأخر لوافق المتقدم قطعاً ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي وتقييد
المنزل بكونه مصدقاً لما معهم من الكتب يوجب الامتثال بالأمر فإن إيمانهم بما معهم مما يقتضي الإيمان بما
يصدقه قطعاً **ولا تكونوا أول كافر به** أي لا تسارعوا إلى الكفر به فإن وظيفتكم أن تكونوا أول من آمن
به لأنكم تعرفون شأنه وحقيقته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الإلهية كما تعرفون أبناءكم وقد
كنتم تستفتحون وتبشرون بزمانه كما سيجيء فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوقع
صدوره عنكم من كونكم أول كافر به ووقوع أول كافر به خبراً عن ضمير الجمع بتأويل أول فريق أو فوج أو
بتأويل لا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع سبق مشركي
العرب قد منهم لما أن المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك أما أنا فلست بجاهل
أو لأن المراد نهيهم عن كونهم أول كافر به من أهل الكتاب أو ممن كفر بما عنده فإن من كفر بالقرآن فقد كفر بما
يصدقه أو مثل من كفر من مشركي مكة وأول أفعل لا فعل له وقيل أصله أوأل من وأل إذا نجا فخلص
فأبدلت الهمزة واواً تخفيفاً غير قياسي أو أأول من آل فقلبت همزته واواً وأدغمت **ولا تشتروا بآياتي**
ثمناً قليلاً أي لا تأخذوا لأنفسكم بدلاً منها ثمناً قليلاً وهي الحظوظ الدنيوية فإنها وإن جلت قليلة مسترذلة
بالإضافة إلى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم
وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الإيمان وإنما
عبر عن المشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شأنه أن يكون
وسيلة فيها وقرنت الآيات التي حقها أن يشترى بها بالباء التي تصحب الوسائل
إيذاناً بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الأصلي وسيلة والوسيلة مقصداً **وإياي فاتقون**
بالإيمان واتباع الحق والإعراض عن حطام الدنيا فلما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو
كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى أو لأن الخطاب بها لما
عم العالم والمقلد أمرهم فيها بالرهبة الشاملة للفريقين وأما الخطاب بالثانية لما خص
بالعلماء أمرهم فيها بالتقوى الذي هو المنتهى **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف على ما قبله واللبس
الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه
وتكتبونه حتى يشتبه أحدهما بالآخر ولا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه
أو تذكرونه في تأويله **وتكتموا الحق** مجزوم داخل تحت حكم النهي كأنهم أمروا بالإيمان وترك الضلال
ونهوا عن الإضلال بالتلبيس على من سمع الحق والإخفاء عن من لم يسمعه أو منصوب بإضمار أن على
أن الواو للجمع أي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده أنه في مصحف ابن مسعود رضي
الله عنه وتكتمون أي وأنتم تكتمون أي كاتمين وفيه إشعار بأن استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان
الحق وتكرير الحق إما لأن المراد بالأخير ليس عين الأول بل هو نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم وإما لزيادة
تقبيح المنهي إذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره **وأنتم تعلمون** أي عالمين بأنكم لابسون كاتمون
أو أنتم تعلمون أنه حق أو أنتم من أهل العلم وليس إيراد الحال لتقييد النهي به كما في قوله تعالى ولا
تقربوا الصلاة وأنتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم إذ الجاهل عسى يعذر **وأقيموا الصلاة**
وآتوا الزكاة أي صلاة المسلمين وزكاتهم فإن غيرهما كلا صلاة ولا زكاة أمرهم الله تعالى

بوقوع

بوقوع الإسلام بعد الأمر بأصوله **واركعوا مع الراكعين** أي في جماعتهم فإن صلاة الجماعة
تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في المناجاة وعبر عن
الصلاة بالركوع احترازاً عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع
قال الأضبط بن قريع السعدي: لا تحقرن الضعيف علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه
أتأمرون الناس بالبر تجريد الخطاب بتوجيهه إلى بعضهم بعد توجيهه إلى الكل والهمزة فيها
تقرير بعد توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع أصناف
الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الأقارب وبر في معاملة الأجانب
وتنسون أنفسكم أي تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في أحبار من
المدينة كانوا يأمرون سراً من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعاً في الهدايا
والصلات التي كانت تصل إليهم من أتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون
وقال السدي إنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون
الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وهم يتركونهما
ومدار الإنكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة دون ما عطفت هي عليه **وأنتم تتلون الكتاب** تبكيت
لهم وتقريع كقوله وأنتم تعلمون أي والحال أنكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم
والآمرة بالإيمان به أو بالوعيد على ترك الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة
القول العمل **أفلا تعقلون** أي أفلا تتأملون فلا تعقلون ما فيه أو قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا
عنه فالإنكار متوجه إلى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه والمبالغة من حيث التبكيت أو الإتيان على
فلا تعقلون فالإنكار متوجه إلى كلا الأمرين والمبالغة من حيث التركيب والعقل في الأصل الحبس سمي به الإدراك الإنساني
ثم للعقال الذي يشد به وظيف البعير ونحوه ليحبسه عن الحركة سمي به النور الروحاني
الذي به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لأنه يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما
يحسن والآية ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره وأن
فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالي عن العقل والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس
والإقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ يروى أنه كان عالم
من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيراً ما يموت من أهل مجلسه واحد أو اثنان
من شدة تأثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز
عليه وتمنعه من حضور مجلس الوعظ فحضره يوماً على حين غفلة منها فوقع من أمر الله تعالى ما وقع
ثم إن العجوز لقيت الواعظ يوماً في الطريق فقالت: أتهدي الأنام ولا تهتدي ألا إن ذلك لا ينفع
فيا حجر الشحذ حتى متى تسن الحديد ولا تقطع فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه
مغشياً عليه فحملوه إلى بيته فتوفي إلى رحمة الله تعالى **واستعينوا بالصبر والصلاة** متصل بما قبله
كأنهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والإعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا
على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلاً على الله تعالى أو بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات
لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والالتجاء إليها فإنها جامعة لأنواع العبادات
النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه إلى الكعبة والعكوف
على العبادة وإظهار الخشوع بالجوارح وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق
وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الأطيبين حتى يجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب

روي انه عليه الصلوة والسلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء
وانها اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واشتمالها على ضروب من الصبر
كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة
لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الخشوع الاخبات ومنه
الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب
وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما ادخر لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا
يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه الصلوة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلوة
فالجملة حالية او اعتراض او لعلها تذييل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي
الذين يتوقعون لقاءه تعالى وما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان
بفيضان احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة
واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة
فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين والتعرض لعنوان الملاقاة للاشعار بعلية الربوبية والمالكية
للحكم ويؤيده ما في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق
عليه لتضمين معنى التوقع قال فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف
وجعل خبران في الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتاكيد وربط ما بعده من الوعيد الشديد به واني فضلتكم
عطف على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اي فضلت اباءكم على العالمين اي عالمي زمانهم بما منحتهم
من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا في عصر موسى
عليه الصلوة والسلام وبعده قبل ان يغيروا واتقوا يوما اي حساب يوم او عذاب يوم لا تجزي
نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق وانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من
الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ اي لا تغني عنها فيتعين النصب على المصدرية وايراده
منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف اي لا تجزي فيه
ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في
قول من قال فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا اي اصابوه ولا يقبل منها شفاعة
ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان
فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت
بالمفدي وتجري مجراه ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس
الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد او الاناسي
والنصرة هاهنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب
احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة والثاني اما ان يكون
بان اداء عنه ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا او قد
تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للايات
الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم
من اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم من ال فرعون تذكير لتفاصيل
ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الالاء واذكروا وقت تنجيتنا

ابائكم

اياكم اي اباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره اهيل
وخص بالاضافة الى اولي الاخطار كالانبياء عليهم الصلوة والسلام والملوك وفرعون لقب
لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوهم اشتق منه
تفرعن الرجل اذا عتا وتجبر وكان فرعون موسى عليه الصلوة والسلام مصعب بن ريان وقيل
ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر
الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر فراى في ظاهرها حملة من البطيخ بدرهم
وفي نفسه ان يبيع كل بطيخة بدرهم فقال لنفسه ان تيسر لي ذلك اديت الديون فتهيأ لطريقه فخرج الى السواد
واشترى حملة بدرهم فتوجه به الى السوق وكل من لقيه من المكاسين اخذ منه بطيخة فدخل البلد
وما معه الا بطيخة فباعها بدرهم ومضى لوجهه وراى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى
احد سياستهم وكان قد وقع بهم وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فراى ميتا يدفن فتعرض
لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه
ومضى لاخر فاخر حتى جمع في مقدار ثلثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض لاحد له قط الى ان تعرض
يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب
فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام فقال لم يقمني احد وانما فعلت ما فعلت
ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار
من المال ودفعه الى فرعون وقال ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة
حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية فلبث فيهم دهرا طويلا وترادى امره
في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف
ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم اي يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه
ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب اي افظعه فانه قبيح بالنسبة الى سائره
والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم
او من ال فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان
ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لان فرعون
راى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله عز وجل
شيئا فقتلوا بتلك الطريقة تسعين الف مولود او تسعمائة الف وقد اعطى الله عز وجل موسى عليه الصلوة
والسلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته
ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء وجمع الضمير
للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون الاستحياء بلاء مع انه اي استبقاءهم
على الحيوة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني
نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان لا يجري مجرى
الاختبار للعباد تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة
ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما من ربكم من جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث
موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما جميعا عظيم صفة بلاء وتنكيرهما
للتفخيم وفي الاية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار
فعليه الشكر في المسار والصبر في المضار واذ فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية

وتصوير كيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة
اخرى هي الانجاء من الغرق اي ذكروا اذ فلقناه بسلوككم او ملتبساً بكم كقوله تعالى تنبت
بالدهن اي بسبب انجائكم اي فصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد
للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اي من الغرق بانجائكم الى الساحل
كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال وكذا قوله تعالى واغرقنا آل فرعون اريد به فرعون وقومه وانما
اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى منهم وقيل شخصه كما روي ان الحسن رضي الله عنه كان يقول اللهم صل على آل
محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق
البحر عن طريق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضاً روي انه تعالى
امر موسى عليه الصلاة والسلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم
على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقاً يابساً فسلكوها
فقالوا نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا
البحر فلما وصل اليه فرعون ورآه منفلقاً اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه كانت لموسى
عليه الصلاة والسلام معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم
شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة عظيمة تطمئن بها القلوب
الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا اوائلهم رعوها
ورعوها ولا تذكرت اواخرهم بتذكيرها ودونها فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى عليه الصلاة
والسلام ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه السلام
بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون
فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهي شهر ذي القعدة ثم زاد عشراً من ذي
الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها تنزيلاً
لقبول موسى عليه الصلاة والسلام منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف
اي تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا ثم اتخذتم العجل بتسويل السامري الهاً ومعبوداً ثم للتراخي
الرتبي من بعده اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف وانتم ظالمون باشراككم ووضعكم
للشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلي اي وانتم قوم عادتكم الظلم ثم
عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجيء لازماً فان عرفت التنزيل
الى عفا من بعد احوال عفاه كل جثجاث كثير الوبل هطال وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد
الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون
لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اي التوراة
الجامعة مع كونها كتاباً وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق
والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق
بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل
بما فيه واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية وقوع العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم
العجل اي معبوداً فتوبوا اي فاعزموا على التوبة الى بارئكم اي الى من خلقكم بريئاً من العيوب والنقصان
والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب الخلوص عن الغير اما بطريق

التفصي

التفصي كما في برئ المريض او بطريق الانشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان
البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغواية منتهاها حيث تركوا عبادة
العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئاً من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل
في الغباوة فان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان تسترد هي منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب
فاقتلوا انفسكم تماماً لتوبتكم بالبخع او بقطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضاً وقيل امر من
لم يعبد العجل ان يقتل من عبده روي ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل
ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى
وهارون عليهما الصلاة والسلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفاً والفاء
الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم اشارة الى ما ذكر من التوبة والقتل خير لكم عند بارئكم
لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف
على ان الخطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه
فان مبني الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع للايذان
بعلية عنوان البارئية والخالقية والاحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره
ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك
نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقاً بمحذوف
على انه من كلام موسى عليه الصلاة والسلام لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم
ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شان التنزيل كيف لا وهو حكاية لوعد موسى عليه الصلاة
والسلام قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى حتماً وقد عرفت ان الآية الكريمة لتفصيل كيفية
القبول المحكي فيما قبل وانما لم يذكر للمخاطبين تلك النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله
الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى
لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ
العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله تعالى التوراة او تكليمه اياه
او انك نبي او ان الله جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة اي عياناً وهي في الاصل مصدر
قولك جهرت بالقراءة استعير للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول في المسموعات
والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ
بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالاً من الفاعل اي جاهرين والقائلون هم السبعون
المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روي انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا
ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام ان يجمع سبعين رجلاً ويحضر
بهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله
موسى عليه الصلاة والسلام يأمره وينهاه وكان كلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نوراً ساطعاً لا يستطيع
من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام افعل ولا تفعل فعند
ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة الاف من
قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى
مما يشبه الاجسام فتتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحياز ولا ريب في
استحالته انما الممكن في شانه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة

للافراد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كانهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد
نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم
وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن
وهب انهم لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين
مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه الصلوة والسلام
ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم تكن صعقة
موسى عليه الصلوة والسلام موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اي
ما اصابكم بنفسه او باثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بتلك الصاعقة قيد البعث به لما انه
قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم لعلكم تشكرون اي
نعمة البعث او ما كفرتموه عند ما رأيتم من بأس الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اي جعلناه بحيث
تلقي عليكم ظله وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس
وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن
والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان
صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة القول اي قيل لهم
كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن
والسلوى وما ظلمونا كلام عدل به من نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين
للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمون قد حذف
للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما
ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول
للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى من
جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت قولنا لآبائكم اثر ما انقذناهم من
التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش
وهي بيت المقدس وقيل اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدر
او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان المامور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى
فيؤول الى ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب اي باب القرية
على ما روي انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عليه الصلوة والسلام كما سيجيء في سورة المائدة
او باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه الصلوة
والسلام سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا
حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل
بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة
اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون من السجود والدعاء
وقرئ بالياء والتاء وعلى البناء للمفعول واصل خطايا خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت
الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف فاجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا
وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر و

سنزيد

وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسنين واخرج
ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه
يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه
واوردوا مكانه قولا آخر مما لا خير فيه روي انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا
بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل غير الذي قيل لهم
نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا للمخالفة وتنصيصا
على المغايرة من كل وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل وانما
وضع الموصول موضع الضمير العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح
بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله رجزا من السماء اي عذابا مقدرا منها
والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين
صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان
ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوه من القبائح لا بعدم
توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس
وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة
وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين
استولى عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا من قصد ابراز كل من الامور المعدودة
في معرض امر مستقل واجب التذكير والتذكر ولو روعي الترتيب الوقوعي لفهم ان الكل امر واحد
امر بتذكيره واللام متعلقة بالفعل اي استسقى لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر
روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاث اعين تسيل كل
عين منه في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او كان حجرا
اهبطه الله تعالى مع آدم عليه الصلوة والسلام من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه موسى عليه
الصلوة والسلام مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبراه
الله تعالى عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل عليه الصلوة والسلام ان يحمله او كان حجرا
من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه الصلوة والسلام بضرب حجر بعينه ولكن لما
قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة فيها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل
فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى
اليه لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر رخاما حجمه ذراع في ذراع
والعصا عشرة اذرع على طول موسى عليه الصلوة والسلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة
فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار
كأنه حصل عقيب الامر بالضرب اي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا واما تعلق
الفاء بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شأن النظم الكريم كما لا يخفى على
احد وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس كل سبط
مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم
من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار
ورد بان المامور به اكل النعم المعهودة لا ما سيطلبونه واضافته اليه تعالى مع استناد الكل

اليه خلقا وملكا اما التشريعي اما الظهور بعينه بسبب عادي واما لو تنبل من رزقنا كما يقتضيه قوله
تعالي فخلنا ابدا نا بان الاكل والشرب لو يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسي عليه الصلوة والسلام
ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي اشد الفساد كما في مقابلة الظالم المعتدي بفعله وقد يكون
فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام الغلام وخرق السفينة ونظيره العيث خلا انه
غالب فيما يدرك حسا واذ قلتم تذكير لجناية اخري لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل
واخلادهم الي ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكي الي اخلافهم وتوجيه
التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسي لن نصبر علي طعام واحد لعلهم لم يريدوا بذلك
جميع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه التعرض للوحدة
بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخري روي انهم كانوا فلاحة فنزعوا الي عكرهم فاجتووا ما كانوا
فيه من النعمة العتيدة لو تحدثها التوحيد وطلاحها وتاقت نفسهم الي الشقا فادع لنا ربك
اي سل لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعا والتعرض لعنوان الربوبية
لتمهيد مبادي الاجابة يخرج لنا اي يظهر لنا ويوجد فالجزم لجواب الامر مما تنبت الارض
اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي في قوله تعالي من بقلها وقثائها
وفومها وعدسها وبصلها بيانية لمفعول واقعة موقع الحال الحكاية من بقلها وقيل بدل
باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي توكل كالنعناع والكرفس والكراث
واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقري قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال اي الله تعالي
او موسي انكارا عليهم وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال لهم فقيل
قال اتستبدلون اي اتأخذون لانفسكم وتختارون الذي هو ادني اي اقرب منزلة وادون قدرا
سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه تافها مرذولا قليل القيمة واصل الدنو
القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة
وقري ادنا من الدناءة وقد حملت المشهورة علي ان الفها مبدلة من الهمزة بالذي هو خير اي
بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتي الحاصل كما في التبدل والتبديل في
مثل قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وليس فيه
ما يدل قطعا علي انهم ارادوا زوال المن والسلوي بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال
فيما تم من صورة المناوبة اهبطوا مصرا امروا به بيانا لدناءة مطلبهم او اسعافا الي مرادهم اي
انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي وقري بضم الباء والمصر البلد العظيم واصله الحد
بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه اي لتاويله بالبلد دون المدينة
ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه غير منون وقيل اصله مصرايم فعرب فان
لكم ما سألتم اي تعليل للامر بالهبوط اي فان لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الاشياء
المسئولة بما للاستهجان بذكرها كانه قيل فان ما تشتهونه مبتذل يناله كل احد بغير مشقة وضربت
عليهم الذلة والمسكنة اي جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا
بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم علي كفرهم من ضرب الطين علي الحائط بطريق
الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما علي الحقيقة واما لخوف ان تضاعف
جزيتهم وباءوا اي رجعوا بغضب عظيم وقوله تعالي من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لغضب
مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن من الله تعالي

اوصادوا

او صادوا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان اي صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من
قال بوء بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة ذلك اشارة الي ما سلف من ضرب الذلة
والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بانهم بسبب انهم كانوا يكفرون علي الاستمرار بايات الله
الباهرة التي هي المعجزات الساطعة الظاهرة علي يدي موسي عليه الصلوة والسلام مما عد وما
لم يعد ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيي عليهم الصلوة والسلام
وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير
الحق اذ لم يكن احد معتقدا لحقية قتل احد منهم عليهم الصلوة والسلام وانما حملهم علي ذلك
حب الدنيا واتباع الهوي والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالي ذلك بما
عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي في العدوان الي ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء
عليهم الصلوة والسلام فان صغار الذنوب اذا دووم عليها ادت الي كبارها كما ان مداومة صغار
الطاعات تؤدي الي تحري كبارها وقيل كررت الاشارة للدلالة علي ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر
والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالي وقيل الاشارة الي الكفر والقتل
والباء بمعني مع ويجوز الاشارة الي المتعدد بتاويل ما ذكر او تقدم كما في قول رؤبة بن العجاج فيها
خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ما ذكر والذي حسن ذلك في المضمرات
والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا علي الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعني الذين ان الذين امنوا اي
بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون
عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم
من ورطة الكفر قطعا والذين هادوا اي تهودوا من هاد اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي
من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة
واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليهم الصلوة والسلام والنصاري جمع
نصران كندامي وندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري
سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه الصلوة والسلام او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران فسموا
باسمها او باسم من اسسها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصاري نصري كمهري ومهاري
والصابئين هم قوم بين النصاري والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه الصلوة والسلام
وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج من دين الحق
وقري بالياء اما للتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لما انهم مالوا من سائر الاديان الي ما هم
فيه او من الحق الي الباطل من امن بالله واليوم الاخر اي من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا
بالمبدأ والمعاد علي الوجه اللائق وعمل صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر فلهم
ذلك اجرهم الموعود لهم عند ربهم اي مالك امرهم ومبلغهم الي كمالهم اللائق فمن اما في محل الرفع علي
الابتداء وخبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معني الشرط كما في قوله تعالي ان الذين فتنوا
المؤمنين الاية وجمع الضماير الثلاثة باعتبار معني الموصول كما ان افراد ما في الصلة باعتبار ما في
لفظه والجملة كما هي خبر ان والعائد الي اسمها محذوف اي من امن منهم واما في محل النصب علي
البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معني
الثبوت وفي اضافته الي الرب المضاف الي ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت
مامون عن الفوات ولا خوف عليهم عطف علي جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار

العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام
انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان
النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين
آمنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فالمراد بمن آمن من اتصف
منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق سوى كان ذلك بطريق الاحداث والانشاء
كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب
الباقين في الايمان ببيان ان تاخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة اولئك الاقدمين
في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل
ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى
المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه
فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه
في الجملة على ان المنافقين والصابئين لا ينبغي في حقهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من
اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما
الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان دينهم دين سماوي
ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن
ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف
من حيث هو لا الى كل واحد منها قصدا الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا
بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتمالها على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين
والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم في حيز
خبرها لا عين ولا اثر فتامل وكن على الحق المبين واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية
اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما في التوراة ورفعنا
فوقكم الطور عطف على اخذنا او حال اي وقد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة روي ان موسى
عليه الصلوة والسلام لما جاءهم بالتوراة فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا
قبولها فامر جبريل عليه الصلوة والسلام فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا
على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اي احفظوه ولا
تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او لتنجوا من
عذاب الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طمعا لذلك وقد مر تحقيقه ثم توليتم
اي اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد فلولا فضل
الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم
اليه لكنتم من الخاسرين اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي الضلال
عند الفترة وقيل لولا فضل الله تعالى عليكم بالامهال وتاخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو
الانسب بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة من لو الامتناعية ولا النافية والاسم
الواقع بعدها عند سيبويه مبتدا خبره واجب الحذف لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده
والتقدير فلولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اي لولا ثبت فضل الله عليكم
ولقد علمتم اي عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت روي انهم امروا بان يتمحضوا يوم السبت

للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم في زمن داود عليه الصلوة
والسلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم
السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا
اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد والمعنى
وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم
بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي جامعين بين صورة القردة والخسوء
وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجوز عمل
كان في الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لانه في معنى ممسوخين وقال
مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار
يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده عز وجل
وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة والعقوبة
نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها
لما قبلها وما بعدها من الامم اذا ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين
اي لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها ولاهل تلك القرية وما
حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين من قومهم
او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه توبيخ آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات
صدرت عن اسلافهم اي اذكروا وقت قول موسى عليه الصلوة والسلام لاجدادكم ان الله
يامركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا
في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا
بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله قالوا استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه
الكلام كانه قيل فما صنعوا هل سارعوا الى الامتثال او لا فقيل قالوا اتتخذنا هزوا بضم
الزاي وقلب الهمزة واوا وقرئ بالهمزة مع الضم والسكون اي اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ
او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به قال اعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في اثناء تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه
عليه الصلوة والسلام ما توهموه من قبله على ابلغ وجه وآكده باخراجه مخرج ما لا مكروه
ورداه بالاستعاذة منه استفظاعا لما اقدموا عليه من العظيمة التي شافهوه عليه الصلوة
والسلام بها قالوا استئناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال
وقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي لاجلنا جواب هذا السؤال وقد سالوا عن حالها
وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فان ما
وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها
الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يقولوا اي بقرة هي لكنهم لما
راوا ما امروا به على حالة مغايرة لما عليه الجنس اخرجوها عن الحقيقة فجعلوها جنسا على حياله
قال اي موسى عليه الصلوة والسلام بعد ما دعا ربه عز وجل بالبيان واتاه الوحي انه
تعالى يقول انها اي البقرة المامور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا مسنة ولا فتية يقال
فرضت البقرة فروضا اي اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها وبلغت آخرها

وتركيب البكر للأولية ومنه البكرة والباكورة **عوان** أي نصف لا قحم ولا ضرع قال طوال
مثل أعناق الهوادي نواعم بين أبكار وعون **بين ذلك** إشارة إلى ما ذكر من الفارض والبكر
ولذلك أضيف إليه بين لاختصاصه بالإضافة إلى المتعدد **فافعلوا** أمر من جهة موسى عليه
الصلاة والسلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المأمور به **ما تؤمرون** أي ما تؤمرونه
بمعنى تؤمرون به كما في قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فإن حذف الجار قد شاع في هذا
الفعل حتى لحق بالأفعال المتعدية إلى المفعولين وهذا الأمر منه عليه الصلاة والسلام
لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى **قالوا** استئناف
كما مر كأنه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الشافي والأمر المكرر فقيل قالوا **ادع لنا ربك**
يبين لنا ما لونها حتى تتبين لنا البقرة المأمور بها **قال** أي موسى عليه الصلاة والسلام بعد
المناجاة إلى الله تعالى ومجيء البيان **إنه** تعالى **يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها** إسناد
البيان في كل مرة إلى الله عز وجل لإظهار كمال المساعدة في إجابة مسئولهم بقولهم يبين لنا وصيغة
الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك تؤكد به فيقال
أصفر فاقع كما يقال أسود حالك وأحمر قانئ وفي إسناده إلى اللون مع كونه من أحوال الملون لملابسته
به ما لا يخفى من فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده وعن الحسن
رضي الله عنه سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر ولعل التعبير عن السواد بالصفرة
لما أنها من مقدماته أو لأن سواد الإبل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى **تسر الناظرين**
كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة بالقلب عند حصول نفع أو توقعه من السر وعن
علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه **قالوا** استئناف كنظائره **ادع لنا ربك يبين**
لنا ما هي زيادة استكشاف عن حالها كأنهم سألوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها
مما يشاركها في الأوصاف المذكورة والأحوال المشروحة في أثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم **إن**
البقر تشابه علينا يعنون أن الأوصاف المعدودة تشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي
إلى تشخيص ما هو المأمور بها ولذلك لم يقولوا إن البقرة تشابهت إيذانا بأن النعوت المعدودة ليست
بمخصصة للمأمور بها بل صادقة على سائر أفراد الجنس وقرئ إن الباقر وهو اسم لجماعة البقر
والأباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء والإدغام على التذكير والتأنيث
وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة
ومتشبه ومتشبهة وفيه دلالة على أنهم ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة وإنما بقي اشتباه
يسير فلو لم يبينها نبي عند قولهم **وإنا إن شاء الله لمهتدون** مؤكدين بوجوه من التوكيد أي لمهتدون
بما سألنا من البيان إلى المأمور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما تبينت لهم آخر الأبد **قال إنه**
يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث أي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول
صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتأكيد الأولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل
لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح أي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان
أي حيث هو وقرئ تسقي بضم التاء من أسقى **مسلمة** سلمها الله تعالى من العيوب وأهلها
من العمل وأخلص لونها من سلم له كذا إذا خلص له وبين قوله تعالى **لا شية فيها** أي لا لون
فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية
إذا خلط بلونه لونا آخر **قالوا** عند ما سمعوا بهذه النعوت **الآن جئت بالحق** أي بحقيقة

وصف البقرة

وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه أصلا بخلاف المرتين
الأولتين فإن ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد رأوها
ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الأوصاف المشروحة في المرات الثلاث من غير مشارك لها
فيما عد في المرة الأخيرة والأظهر أنهم عرفوا اختصاص النعوت الأخيرة بها دون غيرها وقرئ
الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام **فذبحوها** الفاء فصيحة
كما في فانفجرت أي فحصلوا البقرة فذبحوها **وما كادوا يفعلون** كاد من أفعال المقاربة وضع لدنو
الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا أي فذبحوها والحال أنهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه
أو اعتراض تذييلي ومآله استثقال استعصائهم واستبطائهم وأنهم لفرط تطويلهم وكثرة
مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط إسهابهم فيها قيل مضى من أول الأمر إلى الامتثال أربعون سنة
وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روي أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة
فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فنشأ فشبت
العجلة فكانت من أحسن البقر وأسمنها فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا
لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم أنه لا خلاف
في أنه مدلول لظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة متعينة بحيث يكون الامتثال في آخر الأمر إنما وقع بذبح بقرة
معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الأمر لكن اختلف في أن المراد المأمور به أولا هل هي
هي المعينة وقد أخر البيان عن وقت الخطاب أو المبهمة ثم لحقها التعيين إلى المعينة بسبب تثاقلهم
في الامتثال وتماديهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم إلى الأول تمسكا بأن الضمائر في الأجوبة
أعني إنها بقرة إلى آخره للمعينة قطعا ومن قضيته أن يكون في السؤال أيضا كذلك ولا ريب في أن السؤال
إنما هو عن البقرة المأمور بذبحها فتكون هي المعينة وهو مدفوع بأنهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب
بعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها فرجعت
الضمائر إلى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وإن لم يكن المراد من أول
الأمر هي المعينة والحق أنها كانت في أول الأمر مبهمة بحيث لو ذبحوا أية بقرة كانت لحصل الامتثال
بدلالة النظم الكريم وتكرير الأمر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة وقد قال عليه الصلاة والسلام
لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروي مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
ثم رجع الحكم الأول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق
بالكلية وانتقاله إلى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا فكيف لا ولو لم يكن كذلك
لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادات فإن الامتثال بالأمر بدون الوقوف
على المأمور به مما لا يكاد يتأتى فتكون سؤالاتهم من باب الاهتمام بالامتثال **وإذ قتلتم نفسا** منصوب
بمضمر معطوف على نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناد القتل
والتدارؤ إليهم لما مر من نسبة جنايات الأسلاف إلى الأخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصها
بالإسناد دون ما مر من هناتهم لظهور قبح القتل وإسناده إلى الغير أي واذكر وقت قتلكم
نفسا محرمة **فادارأتم فيها** أي تخاصمتم في شأنها إذ كل واحد من الخصماء يدفع الآخر ويدفع
بأن طرح كل واحد قتلها إلى الآخر وأصلها تدارأتم فأدغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل
والله مخرج ما كنتم تكتمون أي مظهر لما تكتمونه لا محالة وإعمال مخرج بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على الاستمرار وإنما أعمل مخرج لأنه حكاية حال ماضية **فقلنا اضربوه** عطف على

فادّارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها
عبارة عن الرجل او بتاويل الشخص او القتيل (ببعضها) اي ببعض البقرة اي بعض كان وقيل باصغريها
وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل باذنها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا اول القصة
كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة
فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل
النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة
الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان ينعى عليهم جناياتها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع
لما علم استقلال كل منها بما يخص بها من التوبيخ وانما حكى الامر بالذبح عن موسى عليه الصلوة والسلام
مع ان امر الله عز وجل كالامر بالضرب لما ان جناياتهم كانت بمراجعتهم اليه عليه الصلوة والسلام
والافتيات على رأيه (كذلك يحيي الله الموتى) على ارادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي
فاضربوه فيحيى وقلنا كذلك فحذف الفاء الفصيحة في فيحيى مع ما عطف هو عليه لدلالة كذلك
على ذلك فالخطاب في كذلك للحاضرين عند حيوة القتيل ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند نزول
الآية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل تنتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة
معترضة اي مثل ذلك الاحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيمة (ويريكم آياته) ودلائله الدالة على
انه تعالى قدير ويجوز ان يراد بالايات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على امور بديعة
من ترتب الحيوة على عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة (لعلكم تعقلون)
اي لكي تكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على
قضية عقولكم ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه
ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه
على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين وان من حق الطالب ان يقدم
قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه
ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات
لا تاثير لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه
ان يذبح بقرة نفسه التي هي قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف
الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية
بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى بها حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف
الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والجدال (ثم قست قلوبكم) الخطاب للمعاصرين
النبي صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر
استعيرت لنبو قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع التي تميد بها الجبال وتلين بها الصخور
وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لما ان المراد بيان بلوغهم
الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما الاصرار على شيء بعد ورود
ما يوجب الاقلاع عنه لا يحتاج الى بيان حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها
كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (من بعد ذلك) اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل او
الى جميع ما عدد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اي من بعد سماع ذلك
وما فيه معنى البعد للايذان ببعد منزلته عليه الصلوة والسلام وعلو طبقته في التوجيه

حرف الخطاب

حرف الخطاب بعد الخطاب بين اثنين وعلى الفرق ولان المراد مجرد الخطاب لا تعيين
المخاطب كما هو المشهور (فهي كالحجارة) في القساوة (او اشد قسوة) اي هي في القسوة مثل الحجارة
او زائدة عليها فيها وانما مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية
مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع مشابهتها
لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد
واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل او اقسى منها لما في التصريح
بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتمال
المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة في القساوة
وعدم التأثر واستحالة صدور الخير منها يعني ان الحجارة تتأثر حيث يكون منها ما ينفجر
منه الماء او قال هي اقسى من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه الامن من الالتباس (وان من
الحجارة لما يتفجر منه الانهار) لبيان العظيمة (وان منها لما يشقق) او يتشقق (فيخرج
منه الماء) اي العيون (وان منها لما يهبط من خشية الله) اي يتردى من الاعلى الى الاسفل
بقضية ما اودع الله عز وجل فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز من الانقياد لامره
تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره عز وعلا آت بما خلق له من
غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فتكون اشد منها قسوة لا محالة واللام في لما لام
الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة واللام فارقة
وقرئ يهبط بالضم (وما الله بغافل عما تعملون) عن متعلقة بغافل وما موصولة
والعائد محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما
يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات قوله تعالى (افتطمعون)
تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود الى من عدت هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم الى النبي
صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما في قولك اتضرب
ابي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على ان يتوجه
الانكار الى المعطوف فقط كما في قولك افلا تنصرون على تقدير المعطوف عليه منفيا اي الا تنظرون
فلا تنصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه
نقيضه كما اذا قدر الاول مثبتا اي تنظرون فلا تنصرون فالمنكر ترتب الثاني على الاول مع
وجوب ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى
ابعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم فتطمعون (ان يؤمنوا) فانهم متماثلون
في شدة الشكيمة والاخلاق الدنية لا يتأتى من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان
فان مصدرية حذف عنها الجار واصله في ان يؤمنوا وهي مع ما في حيزها في محل النصب او الجر
على الخلاف المعروف واللام في (لكم) لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله تعالى فآمن له لوط
اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان
محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية باذن الله تعالى
(وقد كان فريق منهم) الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور
في محل الرفع اي فريق كائن منهم وقوله تعالى (يسمعون كلام الله) خبر كان وقرئ كلم الله

والجملة حالية مؤكدة للإنكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف
على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني
اي والحال ان طائفة منهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم قوم من السبعين المختارين للميقات
كانوا يسمعون كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه الصلاة والسلام بالطور وما امروا به ونهوا
عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما يقتضيه استيلاء
الدهشة والمهابة بحسبما تقتضيه الكبرياء بل من بعد ما عقلوه اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم
يبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون
اليهم كما سمعوا وهؤلاء قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه
الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس فهم الذين يحرفونه او زينته وقال القفال
رحمه الله سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فأولوه تأويلا فاسدا وقيل هم رؤساء
أسلافهم الذين تولوا تحريف التوراة فيما سلف لا ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول
الآية الكريمة لا على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع
والكلام اذ التوراة وان كانت كلام الله عز وجل لكنها باسم الكتاب اشهر وانواع التحريف فيه اظهر
ووصفها بأوصاف تلك الأنواع التي لا استماد وقساوتهم المباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة
دون السماع كانت الانسب ان يقال يتلون كما قال الله تعالى فالمعنى افتطمعون في ان يؤمن
هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم بالحال ان اسلافهم لو اتفق لهم في خلاف الشرع كانوا
يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه يقينا فلم يستجيبوا لهم هيهات
ومن ههنا ظهر ما في ايثاركم على الشهير من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل وهم يعلمون
جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم موضحة ان تحريفهم ذلك لم يكن بناء
على نسيان ما عقلوه او على الخطأ في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين
له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون وإذا لقوا جملة مستأنفة سيقت اثر بيان ما صدر
عن اشياعهم ببيان ما صدر عنهم حكاية من الشنائع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب بعض
لبعض عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما ستقف عليه من الانباء
خاصة كما قيل نحو الاتحاد الفاعل فعل الشرط والجزاء حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قالوا اي الذين لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بالمباشرة
منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا
ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا العاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف
احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم
آمنا لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة
وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتي وإذا خلا
بعضهم الى بعض اي الساكتون منهم اذا فرغوا من الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين
آخرين منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في نفاق
المؤمنين كما اشير اليه آنفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض
الخلو فلولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان فيه
زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما

صنعوا أتحدثونهم يعنون المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف
اي بما بينه لكم خاصة في التوراة من نعت النبي صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح
للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد ويجوز كون هذا التوبيخ من جهة
المنافقين لاعقابهم ارادة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه بعض بعيدا لا يليق بشأن التنزيل
الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم به متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تأكيد
النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا
الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي لتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والحال انكم
لم تحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور
اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم عند ربكم اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله
كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيامة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذهم
عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا والاعتذار بان التزام المؤمنين اياهم
وتبكيتهم بان يقولوا لهم ألم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا افحش
فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير فيه الى التحديث دون المحدث به
ولا ريب في انه مدفوع بالاخفاء لا يساعده الآية الكريمة الآتية كما ستقف عليه باذن الله تعالى
أفلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي ألا تلاحظون
فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش او شيئا من الاشياء التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل
ابتداء او تعقلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجوا الى التنبيه عليه
فالمنكر عدم التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه وتعالى
للمؤمنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم
فيأباه قوله تعالى أولا يعلمون فانه الى آخره تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون توسيط
خطاب المؤمنين في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب بالمؤمنين
من التعسف وفي تعميمه للنبي ايضا صلى الله عليه وسلم كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى
والهمزة للانكار والتبكيت كما قبلها والواو للعطف كما على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين
اي أيلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اي
يسرونه فيما بينهم من المؤمنين او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الاولى
وما يعلنون اي يظهرونه للمؤمنين ولاصحابهم حسبما سبق حظ الله تعالى المؤمنين ما ارادوا
اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم فتحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع
في آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فأي فائدة في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور
عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا به ام لا لا بالتحديث به حتى
يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم وللموبخين او لآبائهم المحرفين اي يفعلون ما
يفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم
الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم
الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان
شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة
على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة

اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وجل
قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء
على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل في تعلق المحاسبة
بها هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة
على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الاسرار
غالباً فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية **ومنهم اميون** وقرئ
بتخفيف الياء جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف في نسبته فقيل الى الام
بمعنى انه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شؤون النساء بل من شؤون الرجال
او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه في الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على
سذاجتها خال عن معرفة الاشياء كقولهم عامي اي على عادة العامة روي عن عكرمة والضحاك
ان المراد بهم نصارى العرب وقيل قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين
وعن علي رضي الله عنه هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مسوقة
لبيان قبائحهم اثر بيان شنائع الطوائف السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية وان
منافذ رجاء الخير منهم وان لم يكن فيهم ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما هو مضمون الجمل الحالية
وما بعدها فان الجهل بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه
والعلم بمعانيه كما وقع في الاولين والنفاق والنهي عن اظهار ما في التوراة كما وقع من الفرقتين
الاخريين او ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة **لا يعلمون الكتاب**
اي لا يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على
الكتابة يأباه سباق النظم وسياقه **الا اماني** بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها
افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى قرأ كالتمني في قوله تمنى كتاب الله اول ليلة فاعلت
اعلال سيد وميت ومعناها على الاول ما يقدره الانسان في نفسه ويتمناه وعلى الثاني
ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب اي لا يعلمون
الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو عنهم وان آباءهم الانبياء
يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم او لا يعلمون
الكتاب لكن يتلقون بقدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الاماني
على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم
وان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فاني يرجى
منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين فلما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الاماني واتباع الظن عقب
ببيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة وبكشف كيفية اضلالهم وتبيين مرجع الكل بالآخرة فقيل
على وجه الدعاء عليهم **فويل** هو وامثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة
بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة
رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه
ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك
المعنى او بينه وبينها فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رضي الله
عنهما الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثوري انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري

رضي الله

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين
خريفاً قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا
لماعت من حره وقال ابن بريدة جبل قيح ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه
باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وجل **للذين يكتبون الكتاب** اي المحرف
وما كتبوه من التأويلات الزائغة **بايديهم** تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبته بيميني **ثم يقولون
هذا** اي جميعاً على الاول وبخصوصه على الثاني **من عند الله** روي ان احبار اليهود خافوا
ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا
في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة
وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال
ازرق العينين سبط الشعر فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه
مخالفاً لصفته عليه الصلاة والسلام فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فان نسبة المحرف
والتأويل الزائغ الى الله سبحانه صريحاً اشد شناعة من التحريف والتأويل **ليشتروا به**
اي يأخذوا لانفسهم بمقابلته **ثمناً** هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف
والتأويل وانما عبر عن المشترى الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي
هو وسيلة والوسيلة مقصودة لا بالذات **قليلاً** لا يعبأ به فان ذلك وان جل في نفسه فهو
قليل عندما استوجبوه من العذاب الخالد **فويل لهم** تكرير لما سبق للتأكيد وتصريح بتعليل ما
قدمنا به بهم بعد الاشعار به فيما سلف بل احضنه في جنب الصلة وبعضها في معرض
الغرض والفاء للايذان بترتبه عليه ومن في قوله عز وجل **مما كتبت ايديهم** تعليلية
متعلقة بويل او بالاستقرار في الخبر فما موصولة اسمية والعائد محذوف اي كتبته او
مصدرية والاول ادخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التحريف **وويل لهم
مما يكسبون** الكلام فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر من التأكيد والتشديد او القصد الى
التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما انه من مبادي ترويج ما كتبت
ايديهم فهو داخل في التعليل به **وقالوا** بيان لبعض آخر من جناياتهم وفضائحهم عما قبله تشعر
بكونه من الاكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب **لن تمسنا النار** في الآخرة **الا اياماً
معدودة** قليلة محصورة عدد ايام عبادتهم العجل اربعين يوماً مدة مغيب موسى عليه الصلاة
والسلام وحكى الاصم عن بعض اليهود ان عدد ايام عبادتهم العجل سبعة وروي عن ابن عباس
ومجاهد ان اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة الاف سنة وانا نعذب بكل الف سنة يوماً
واحداً وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود زعمت انهم وجدوا في التوراة
ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانهم يقطعون في كل
يوم مسيرة سنة فيكملونها **قل** تبكيتاً لهم وتوبيخاً **اتخذتم** باسقاط همزة الوصل لوقوعها
في الدرج واظهار الذال وقرئ بادغامها في التاء **عند الله عهداً** خبراً او وعداً بما تزعمون
فان ما تدعون لا يكون الا بناء على وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد **فلن يخلف الله عهده**
الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا
ثم القفول فقد جئنا خراسانا اي ان كان الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية والاظهار
الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان عدم الاخلاف من قضية الالوهية واظهار العهد مضافاً

الي ضميره عز وجل لما ذكر ولان المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود
دخولا اوليا وفيه تجافٍ عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة
الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد ام تقولون على الله ما لا تعلمون وقوعه او اما تعلق
التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلم
عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والتنكيت فان التوبيخ على الادنى يستلزم التوبيخ على الاعلى بالطريق
الاولى وقولهم المحكي وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم
لا يكون الا باسناد سببه اليه تعالى وام اما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدي الى التبكيت لتحقق
العلم بالشق الاخير كانه قيل أم لم تتخذوه بل تتقولون عليه تعالى واما منقطعة والاستفهام
لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد
الى ما تفيده همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله عز وعلا قل آلله اذن لكم ام على الله
تفترون بلى الخ جواب عن قولهم المحكي وابطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال
تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد ما اظهر كذبهم اجمالا او تفويض ذلك الى النبي
صلى الله عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الاشعار بانه
امر هين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب يختص بجواب النفي خبرا او استفهاما من كسب سيئة
فاحشة من السيئات اي كبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة استحقاقا للنفع وتعليقه بالسيئة على
طريقة فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه
وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت عليه خطيئته التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبي
عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر وحسبما اخرجه ابن ابي حاتم
عن ابن عباس وابي هريرة وابن جرير عن ابي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع وقيل السيئة
الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية
تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ خطيئته وخطاياه على القلب والادغام فيهما
وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم فاولئك مبتدأ اصحاب النار خبره
والجملة خبر المبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار
اليه بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد
منزلتهم في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد
مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلاثة لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تلك الحالتين فان
كسب السيئة واحاطة خطاياهم بهم وصاحبية النار اي ملازمتها في الاخرة حسبما لازموا
في الدنيا ما يستوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى وتحريف
كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الحكم بهم بان يقال بلى انهم اصحاب النار
لما في التعميم من التهويل وبيان تحقق الحكم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الاشعار بالتعليل هم
فيها خالدون دائما ابدا فانى لهم التقصي عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حجة
في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود
على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما
تقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى

وإذ أخذنا

وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل شروع في تعداد بعض آخر من قبائح اسلاف اليهود مما ينادي
بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
لتوجيههم التامل في احوالهم الى قطع الطمع عن ايمانهم واليهود الموجودين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اي اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم لا تعبدون الا الله على ارادة
القول اي وقلنا او قائلين لا تعبدون وهو اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد
وكما تقول تذهب الى فلان وتقول له كيت وكيت وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع
الى الانتهاء عما نهي عنه فكانما انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه
وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف الناصب وقع الفعل كما في قوله ألا ايهذا الزاجري احضر الوغى
وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له
بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ
بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر اي وتحسنون او احسنوا وذي القربى
واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين
مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه من الحراك واثقله عن التقلب وقولوا للناس حسنا اي قولا
حسنا سماه حسنا مبالغة وقرئ كذلك وحسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به
ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة هما ما فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم
ان جعل ناصب اذ خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهذا التفات الى خطاب بني اسرائيل
جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكرهم على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة
لاسلافهم محكية بتقدير القول فحين القول المقدر قبل لا تعبدون كانهم استحضروا عند ذكر جناياتهم
فنعيت هي عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم للخطاب
بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اي اعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه

الاسلاف منزلة الاخلاف حتى انه تعميم للتغليب بتنزيل الاخلاف

الا قليلا منكم وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف من اسلم
كعبد الله بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن
الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض
وإذ أخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة تحقيقا لما ذكر من التغليب ونعيا عليهم اخلالهم
بموجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم
في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراه على سبيل الامر فان المقصود الاصلي من النهي عن عبادة غير الله
تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التوراة وقوله تعالى لا
تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قبله اخبار في معنى النهي غير انه اكد
من تلك للمبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن
ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجهم من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من
الاتصال القوي نسبا ودينا للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة
تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم
كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث
انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سيأتي من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب هاهنا باعتبار تنزيل
ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع وانما

ميمونا بكم فيحتمل الوجهان مفاد الاول كونه للمسفوك دمه اذ غايته المخاطبين حقيقة ومفاد الثاني
كونه حقيقة للمخاطبين كما حقق فهما متقاربان في افادة المبالغة بتقرير ما قيل من ان المعنى
لا ترتكبوا ما يؤدي الى قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا
ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة
التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي فما لا يساعده النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه
ثم اقررتم اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه **وانتم تشهدون** توكيد للاقرار كقولك اقر فلان
شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق
ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ وتشديد وتشنيع واستبعاد لما ارتكبوه بعد ما كان
من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه فانتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الافادة اختلاف
الصفات المنزلة منزلة اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء الشاهدون يعني الناقضون
حسبما يعرب عنه الجمل الآتية فان قوله عز وجل **تقتلون انفسكم** الخ بيان له وتفصيل لاحكامهم
المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كانه قيل كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم اي الجارين مجرى انفسكم
كما اشير اليه وقرئ تقتلون بالتشديد للتكثير **وتخرجون فريقا منكم** الضمير اما للمخاطبين والمنتظم
عنوان انهم انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم جعلوا نفس المخاطبين ولافادة ان يتحقق
التعاقد بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان الذي عليه يدور فلك المبالغة في تاكيد الميثاق حسبما
نص عليه ولا يظهر كمال قباحة جناياتهم في نقضه **من ديارهم** الضمير للفريق وايثار الغيبة
مع جواز الخطاب ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز عن توهم
كون المراد اخراجهم من ديارهم المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين
وقيل هؤلاء موصول والجملتان في حيز الصلة والمجموع هو الخبر لانتم **تظاهرون عليهم**
بحذف احدى التاءين وقرئ باثباتهما وبالادغام فتظاهرون بطرح احدى التاءين
من تتظاهرون والمعنى الكل تتعاونون وهو حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا
مبينة لكيفية الاخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال
دون المظاهرة والمعاونة **بالاثم** متعلق بتظاهرون حال من فاعله اي متلبسين بالاثم وهو
الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما تنفر عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب
والعدوان وهو التجاوز في الظلم **وان ياتوكم اسارى** جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا
فعيل بمعنى مفعول من الاسر وهو الشد او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقد قرئ
اسرى ومحل النصب على الحالية **تفادوهم** اي تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء وقرئ
تفدوهم قال السدي ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج
بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد وامة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت
قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن
فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل
من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون
امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة
وهو محرم عليكم اخراجهم هو ضمير الشان وقع مبتدأ ومحرم خبره وفيه ضمير قائم مقام الفاعل واخراجهم
مرتفع به والجملة خبر لضمير الشان وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم مفعول ما لم يسم

فاعله

فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم وراجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم
تاكيد او بيان والجملة حال من الضمير في تخرجون او من فريقا او منهما جميعا بعد اعتبار التقييد
بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة هاهنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل عند اخذ الميثاق لكونه
مظنة للمساهلة في امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على
جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشيء
من دية او قصاص هو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق واما تاخيره عن الشرطية المعترضة
مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدي فلان نظم افاعيلهم المتناقضة في سمط واحد من الذكر
ادخل في اظهار بطلانها **افتؤمنون ببعض الكتاب** اي التوراة الذي اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة
للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اي تفعلون ذلك فتؤمنون ببعض
الكتاب وهو المفاداة **وتكفرون ببعض** وهو حرمة القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان
ببعضه الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض
مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعي في المقام الخطابي
اصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما وان ليس ذلك هاهنا باعتبار الانكار والتوبيخ
عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لا ان ايمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون
ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ولا مجرد كفرهم بالبعض وايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال افتجمعون
بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس **فما جزاء من يفعل ذلك** ما نافية ومن موصولة
موصوفة ولا محل لمفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحل الجر على انه صفتها وذلك اشارة
الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا من القتل والاخراج مع مفاداة الاسارى **منكم**
حال من فاعل يفعل **الا خزي** استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ والخزي الذل والهوان مع الفضيحة
والتنكير للتفخيم وهو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل
الجزية **في الحيوة الدنيا** في محل الرفع على انه صفة خزي اي خزي كائن في الحيوة الدنيا او في
حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم
الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر له اصلا مع الكفر ببعض **ويوم القيمة
يردون** وقرئ بالتاء اوثر صيغة الجمع نظرا الى المعنى من بعد ما اوثر الافراد نظرا الى لفظها لما ان
الرد انما يكون بالاجتماع **الى اشد العذاب** لما ان معصيتهم اشد المعاصي وقيل اشد العذاب
بالنسبة الى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل واشد
العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافي بين جزائي النشاتين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه
لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر **وما الله بغافل عما تعملون** من القبائح التي من جملتها هذا المنكر
وقرئ بالياء على نهج يردون ونكتة تاكيد الوعيد **اولئك** الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **الذين اشتروا الحيوة الدنيا** اي آثروا الدنيا واستبدلوها **بالاخرة** واعرضوا
عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما
يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدنيئة الدنيوية **فلا يخفف عنهم العذاب** دنيويا كان او اخرويا
ولا هم ينصرون بدفعه عنهم بشفاعة ونحوها والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية
على الفعلية او ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها **ولقد
آتينا موسى الكتاب** شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال

الاغتنآء به . وقال ابو حيان الكتاب التوراة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان التوراة لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى بحملها فلم يطق بذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله تعالى لموسى عليه الصلوة والسلام فحملها وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اي ارسلنا على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم الصلوة والسلام وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ضليل اهوآء الصبا تندمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اي قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة وهي روح عيسى عليه الصلوة والسلام كقولك حاتم الجود ورجل صدق . وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه الصلوة والسلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث . وقيل بجبريل عليه الصلوة والسلام . وقيل بالانجيل كما قيل في القرآن وروحا من امرنا . وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم الصلوة والسلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتاييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التوراة وتقريرها واما عيسى عليه الصلوة والسلام فقد نسخ بشرعه كثير من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه الصلوة والسلام ببيان حقيته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه الصلوة والسلام افكلما جآءكم رسول بما لا تهوى انفسكم من الحق الذي لا محيد عنه اي لا تحبه من هوي بالكسر اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهوآء انفسهم والموافقة لها لا شيء اخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا وللتعجيب من شانهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اي الم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم استكبرتم عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله تعالى ففريقا منهم كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشيء اخر من المضار والفاء للسببية او للتعقيب وفريقا اخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم الصلوة والسلام وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام والتشويق الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة او للدلالة على انهم بعد على تلك النية حيث هموا بقتل النبي لولا ان عصمه الله عليه الصلوة والسلام وسحروه وسموا له الشاة حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا بيان لفن اخر من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية لنظائرها الى اهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم قلوبنا غلف جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية خلقية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعني انها اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قال ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله

بكفرهم

بكفرهم رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم الله سبحانه وتعالى عن رحمته فان خذلهم وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا تنفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فاني لهم ادعاء العلم الذي هو اجل آثارها وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي اليها فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب او فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء للسببية للكفر بعدم الايمان ولما جاءهم كتاب هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله اي كائن من عنده للتشريف مصدق لما معهم من التوراة عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا بالنصب على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف وكانوا من قبل اي من قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم . قال ابن عباس وقتادة والسدي نزلت في قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما في استعجب اي يسالون انفسهم الفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا فلما جاءهم تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي الايمان به ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية وقوله تعالى كفروا به جواب لما الاولى كما هو راي المبرد او جواب لهما معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد اخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المراد مما كانوا يستفتحون به فالمعنى فلما جاءهم كتاب مصدق لما معهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم واياما كان فهو تحقيق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفته اي بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب وما بأباه انه لابد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله اي بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقته وتبديل الانزال بالمجيء للايذان بعلو شانه الموجب للايمان به بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا دون اشتروا لما قيل من الفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فصل الذم وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا

لاسيما وهو معلل بما سيأتي من تنزيل الله تعالى من فضله على ما يشاؤه وقيل الذي بينه وبينه بعدها فيه
هو كفرهم بما انزل الله وللعني بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم بالمنزل بغيهم وحسدهم الكائن لاجل ان ينزل
الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء اي يشاؤه ويصطفيه من عباده المتأهلين لتحمل
اعباء الرسالة وما آله تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل اما للايذان
بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكثره حسبما تكثر فباءوا بغضب على غضب
رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا
بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من
فنون كفرهم وللكافرين اي لهم والاظهار في موضع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم
عذاب مهين يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني
على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه عليه الصلاة والسلام
واذا قيل لهم من جانب المؤمنين اي لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما في الامر التبليغ
آمنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا قالوا به الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم
ايذانا بتحتم الامتثال من حيث اشتراك الكل فيما آمنوا به في علة الصحة ووقوعه في المضي لنوبتها
على ان الايمان بما عداه من غير ايمان ليس بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن اي نستمر على الايمان بما انزل
علينا يعنون به التوراة وما انزل على انبياء بني اسرائيل عليهم الصلوة والسلام لتقرير حكمها ويدسون
فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في
المنزل من الاحكام واما انبياء بني اسرائيل عليهم السلام وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان
بان عدم ايمانهم بالقرآن ناشئ من حسدهم وبغيهم على نزوله على من ليس منهم ولانتقاء التعهم بالموصول
لما كان نحو التوراة وما في حكمها خاصة لكن ابرازها بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداها
ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن
لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم
عدم كونه منزلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول عنه الاغراض عن ضربه بتعسف
لا يخفى ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتواري به وهو خلف والى المفعول
فيراد به ما يواريه وهو قدامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدا اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه
وليس المراد به مجرد بيان ان افرادهم بالايمان بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من الايمان
ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز شانه وهو الحق اي المعروف بالحقية الحقيق بان يخص باسم
الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق
وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقا واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اي احقه مصدقا
لما معهم من التوراة والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال انه حق مصدق لما
معهم فمن اين يتأتى لهم دعوى الايمان بالتوراة والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة الله تعالى
وتجليا ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا
بين الاستفهامية والخبرية تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق
التغليب بحيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال
حكاية للحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اي قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلاي شيء كنتم
تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها محرم وقرئ انبياء الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير

للتعرض لتأكيد الالزام وتشديد التهديد اي ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من
الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى فقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك انما يتأتى
على راي الكوفيين والي زيد وقيل ان نافية اي ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى
بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها
العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اي وبالله لقد جاءكم ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا
واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها
التوراة وليس بواضح فان المجيء بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده اي من بعد مجيئه
بها وقيل في الرتبة تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا انما هو للتراخي في الرتبة وانتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم
العجل ظالمين بعبادته واضعين لها في غير موضعها او بالاخلال بحقوق آيات الله تعالى او اعتراض
اي وانتم قوم عادتكم الظلم توبيخ من جهته سبحانه وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان
بما انزل عليهم منتظم في سلك التوبيخات الناطقة بتكذيبهم اي واذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور قائلين خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي خذوا ما امرتم به في التوراة واسمعوا ما فيها
سماع طاعة وقبول قالوا استئناف مبني على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا
قولك وعصينا امرك فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة
بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التوراة فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها
واشربوا في قلوبهم العجل اي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اي تداخلهم
حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب
اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا والجملة حال
من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية
ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود اثر
ما بين من احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون ويذرون بئسما يأمركم
به ايمانكم بما انزل عليكم من التوراة حسبما تزعمون والمخصوص بالذم محذوف اي ما ذكر من
قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان
اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبي عنه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين تهكما على من
فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم به ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك
القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كرر
الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما انه امر بتبكيتهم واظهار كذبهم في فن آخر من اباطيلهم
لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفي بالاشارة في تضاعيف الكلام حيث قيل ان كانت
لكم الدار الآخرة اي الجنة او نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة اي سالمة لكم خاصة بكم كما
تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار
في الخبر اعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال خلص لي كذا من كذا والمراد
بالناس الجنس اي الناس كافة او المعهود اي المسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الى
التخلص اليها من دار البوار وقرارة الاكدار لا سيما اذا كانت خالصة له كما قال علي كرم الله وجهه
لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا
وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وكان يتمنى الموت قبل ذلك حبيب جاء على فاقة لا افلح

من تمنوا اي على التمني وقوله تعالى ان كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الالزام والتنبيه على ان
ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل في اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب
محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا
كلام مستأنف غير داخل تحت الامر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا
اليه الدال على كذبهم في دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار
كالكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان
مناط عامة صنائعه ومدار اكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم
بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور
التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم
وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز
عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موت احد اذ لو وقع لنقل واشتهر وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه
الارض ولتجدنهم احرص الناس من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما
يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص والتنكير في قوله تعالى على حياة للايذان بان
مرادهم نوع خاص منها وهي الحياة المتطاولة وقرئ بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله
بحسب المعنى كانه قيل احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان
بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد
من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف
ثقة بانباء المعطوف عليه عنه اي واحرص من الذين اشركوا فقوله تعالى يود احدهم بيان لزيادة
حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتدأ محذوف خبره الظرف
المتقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اي ومنهم طائفة يود احدهم
اي كل واحد منهم لو يعمر الف سنة وهو حكاية لودادتهم كانه قيل ليتني اعمر وانما
اجري على الغيبة لقوله تعالى يود كما في قولك حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول يود
اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العائد
الى احدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة و ان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم
بمن يزحزحه اي يبعده وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وان
يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وان يعمر مفسره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا على انها
حال من ضميره لفساد المعنى او اعتراض واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة
كجبهة لقولهم سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما
يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اي عليم بخفيات
اعمالهم فهو مجازيهم لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان
عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسأله عمن ينزل عليه بالوحي فقال عليه الصلاة والسلام جبريل عليه الصلاة والسلام فقال هو عدونا
ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك لآمنا بك
وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله

فلقيه

فلقيه ببابل غلاما مسكينا فرفعه جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ان كان ربكم امره
بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه والا فباي حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فيهم فجعلها
في غيرهم وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس
اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم
لشك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى آثاره في كتابكم
ثم سألهم عن جبريل عليه الصلاة والسلام فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب
خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل اقرب
منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وانهما متعاديان فقال عمر رضي الله عنه لئن كانا كما تقولون فما هما
بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله
سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه الصلاة والسلام قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر رضي الله عنه لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وفي جبريل
لغات كسلسبيل وجبرئيل كجحمرش وجبرئل كجحمرش وجبرائيل وجبرايل وجبرال وجبرين ومنع الصرف فيه
للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله فانه نزله تعليل لجواب الشرط القائم مقامه والبارز الاول
لجبريل عليه الصلاة والسلام والثاني للقرآن اضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة شأنه واستغنائه عن الذكر
لكمال شهرته ونباهته لاسيما عند ذكر شيء من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي
القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ باذن الله بامره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح
بكمال توجه جبريل عليه الصلاة والسلام الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله
تعالى مصدقا لما بين يديه من الكتب الالهية التي معظمها التوراة حال من مفعوله وكذا قوله تعالى وهدى
وبشرى للمؤمنين والعامل في الكل نزله والمعنى ان من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه
محبته فانه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابه موافق له
وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها يوجب الايمان به وذلك يستدعي
انتكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت
غيظا او فهو عدو لي وانا عدو له من كان عدوا لله اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا او الخروج
عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنهم وايذانا
بان عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل وملائكته
ورسله وجبريل وميكال وانما افردا بالذكر مع انهما اول من يشمله عنوان الملائكية والرسالة لاظهار فضلهما كانهما
عليهما الصلاة والسلام من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على
ان عداوة احدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة
الى ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وان من عادى احدهم فكانما عادى
الجميع وقوله تعالى فان الله عدو للكافرين اي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد
العقاب وايثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة
المذكورين كفر فان ذلك مما لا يحتاج الى الاخبار به وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة
والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائيل كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل ولقد
انزلنا اليك آيات بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل وما يكفر بها
الا الفاسقون اي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ

على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم افراد ذلك
النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا
بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت واللام للعهد اي الفاسقون المعهودون وهم اهل الكتاب
المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا **اوكلما عاهدوا عهدا**
الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا
عهدا ومن جملته ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد
اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو على ان تقدير
النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا ونقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله
تعالى عهدا اما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد **نبذه**
فريق منهم اي رموا بالذمام ورفضوا وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه
بل اكثرهم لا يؤمنون اي بالتوراة وهذا دفع لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا فهم
يؤمنون بها سرا **ولما جاءهم رسول** **من عند الله** هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم متعلق
بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتأكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية **مصدق لما معهم** من التوراة من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر صحتها وحقق
حقية نبوة موسى صلى الله عليه وسلم بما انزل عليه او من حيث انه عليه الصلاة والسلام جاء على وفق
ما نعت فيها **نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب** اي التوراة وهم الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
ممن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عليه الصلاة والسلام كما قيل لان النبذ
عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل
اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لما يتلوه من اتباعهم ما تتلو الشياطين
وايثارهم له عليه والمراد بايتائها اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول
عبارة عن علمائهم واما مجرد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه
موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ
كتاب الله اي الذي اوتوه قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة
فاتفقت التوراة والفرقان فنبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت
فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى فلما جاءهم رسول من عند الله وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا
لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترءوا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن
نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعدما كانوا يستفتحون به من قبل فان ذلك قبول له
وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كما قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجيء الرسول معرب
عن مجيء الكتاب **وراء ظهورهم** مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية تمثيلا بما يرمى به وراء الظهر
استغناء عنه وقلة التفات اليه **كانهم لا يعلمون** جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين
بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمونه على وجه الايقان ولا يعرفون ما فيه
من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون وكانهم
لا يعلمون انه كتاب الله اصلا ولا يعلمون بشيء منه كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في
اعراضهم عما في التوراة من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي
في قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو العلم بانه كتاب الله ففيه مما في الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون

في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جملة اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا
بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ
العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم
يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا
ونبذوها خفية وهم المتجاهلون **واتبعوا ما تتلو الشياطين** عطف على جواب لما اي نبذوا
كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية
حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع
كان حاصلا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل
هو معطوف على الجملة وقيل على اشربوا **على ملك سليمان** اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين
وهم المتمردون من الجن يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة
وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهده عليه الصلاة والسلام حتى قيل ان الجن
تعلم الغيب فكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن
والطير والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان عليه الصلاة والسلام كان قد دفن كثيرا
من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة من الزمان توصل اليها
قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من
بعض الوجوه ثم بعد ذلك ابرزوه واطلعوا الناس على تلك الكتب فاوهموهم انه من عمل سليمان
عليه الصلاة والسلام وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء **وما كفر سليمان** تنزيه
لساحته عليه الصلاة والسلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض
لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه الصلاة والسلام وكذب باهتيه بذلك **ولكن الشياطين**
كفروا وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها
ولكن المخففة عند الجمهور للعطف لمنافاتها عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا كفروا باستعمال السحر
وتدوينه **يعلمون الناس السحر** اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من
الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انها خبر ثان للكن او بدل
من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستأنفة هذا على
تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه واما مستأنفة
فحسب واعلم ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون
الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة
ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى
ابراهيم عليه الصلاة والسلام لابطال مقالتهم وهم ثلاث فرق ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك
والنجوم واجبة الوجود لذاتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون
لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب
فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها
سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان تبلغ روحه بالتصفية في القوة
والتأثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها
سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الآخذة

بالعيون وتسمى الشعوذة والاختلاف بين الأئمة في أن من اعتقد الثاني وهو سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية كفر وأما من اعتقد أن الإنسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والتوغل في الخبث بحيث يخلق الله سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جري العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على أنه كافر لأنه لا يمكنه بعد هذا الاعتقاد معرفة صدق الأنبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل المحققين أن ذلك الإنسان مختار فإن استشرع في كل ما يأتي ويذر وكان ممن يستعين بالأرواح الخيرة وكانت عن آفة سورتاه غير مخالفة للأحكام الشرعية ولم يكن فيما ظهر فيه من الخوارق ضرر شرعي لأحد فليس ذلك من قبيل السحر وإن كان شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر أنه ممن يستعين بالأرواح الخبيثة الشريرة لاحتمال الضرورة امتناع تحقق الانتظام والتعاون بينهما بغير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا وأما الشعوذة وما يجري مجراها من إظهار الأمور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الأدوية والأحجار فإطلاق السحر عليها بطريق التجوز لما فيها من الدقة لأنه في الأصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه أو من الصرف عن الجهة المعتادة مثلا لأنه في أصل اللغة الصرف على ما حكاه الأزهري عن الفراء ويونس **وما أنزل على الملكين** عطف على السحر أي يعلمونهما أنزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو هو نوع أقوى منه أو على ما تتلو وما بينهما اعتراض أي واتبعوا ما أنزل على الملكين وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر أو تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس ولأن السحر كثرت في ذلك الزمان واستنبطوا أبوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس وأما ما يحكى من أن الملائكة عليهم الصلوة والسلام لما رأوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا لله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الأرض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني فقالوا سبحانك ما ينبغي لنا أن نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلحهم وأعبدهم فأهبطا إلى الأرض بعدما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا إلى السماء مساء فقد نهيا عن الإشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم فصعدا إلى السماء فاختصمت إليهما ذات يوم امرأة من أجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من أهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما رأياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فقالت لا إلا أن تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا إلا أن تقتلاه ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا إلا أن تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كل ذلك ثم بعد التشبث إليها ثم سألاها ما سألا فقالت لا إلا أن تعلماني ما تصعدان به إلى السماء فعلماها الاسم الأعظم فدعت به وصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان في عهد إدريس عليه الصلوة والسلام ثم فالتجآ إلى إدريس ليشفع لهما فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الأول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد إلى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما أن مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل ولعله من مقولة الأمثال والرموز التي لا يقصد بها إلا إرشاد اللبيب الأديب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر **ببابل** الباء بمعنى في وهي متعلقة بأنزل أو بمحذوف وقع حالا من الملكين أو من الضمير في أنزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنه بابل أرض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية أو للتأنيث والعلمية **هاروت وماروت** عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا وأما من قرأ

الملكين بكسر اللام وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت **وما يعلمان من أحد** من مزيدة في المفعول به لإفادة تأكيد الاستغراق الذي يفيده أحد لا لإفادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الإعلام **حتى يقولا إنما نحن فتنة** الفتنة الاختبار والامتحان وإفرادها مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطأة للمبالغة كأنهما نفس الفتنة والقصر لبيان أنه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها لينصرف الناس عن تعلمه أي وما يعلمان ما أنزل عليهما من السحر أحدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له إنما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به واتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الإيمان **فلا تكفر** باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر أن غاية النفي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان الاعتناء من الملكين بشأن النصح والإرشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل أي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما أنزل على الملكين ويحملونهم على العمل به إغواء وإضلالا والحال أنهما ما يعلمان أحدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه ولعل ما قيل من أن ما في قوله تعالى وما أنزل إلخ وما كفر سليمان نافية جيء بها لتكذيب اليهود في القصة أي لم ينزل على الملكين إباحة السحر وأن هاروت وماروت بدل من الشياطين على أنهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لأصالتهما وكون باقي الشياطين أتباعا لهما وأن المعنى ما يعلمان أحدا حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فلو ثبت شيئا فإنه انتقام وصف الشياطين بكونهم مضلين للناس بعد الإيذان بوصف فسادهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الإخلال بنظام الكلام فإن الإبدال في حكم تنحية المبدل منه **فيتعلمون منهما** عطف على الجملة المنفية فإنها في قوة الحقيقة كأنه قيل يعلمانهم بعد قولهما إنما نحن إلى آخره والضمير لأحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين **ما يفرقون به** أي بسببه وباستعماله **بين المرء** وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد الراء بلا همزة **وزوجه** بأن يحدث الله تعالى بينهما التباغض والنشوز عندما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الإلهية من خلق المسببات عقيب حصول الأسباب العادية ابتلاء لا أن السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيرى الناس ويعتقدون السحر فيكفرون وتبين أزواجهم **وما هم بضارين به** أي بما تعلموه واستعملوه من السحر **من أحد** أي أحدا ومن مزيدة لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من أحد فلم يحول كان زيادة في معمول فعل منفي لأن الجملة الاسمية في ذلك المعنى الفعلية كأنه قيل وما يضرون به من أحد **إلا بإذن الله** لأنه وغيره من الأسباب بمعزل من التأثير بالذات وإنما هو بأمره تعالى فقد يحدث عند استعماله السحر فعلا من أفعاله الملائكة وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين أو من مفعوله وإن كان نكرة لاعتمادها على النفي أو الضمير المجرور في به أي وما يضرون به أحدا إلا مقرونا بإذن الله تعالى وقرئ بضاري على الإضافة فجعل الجار جزءا من المجرور وفصل ما بين المتضايفين بالظرف **ويتعلمون ما يضرهم** لأنهم يقصدون به العمل أو لأن العلم يجر إلى العمل غالبا **ولا ينفعهم** صرح بذلك إيذانا بأنه ليس من الأمور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لأنهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار بأكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة أو تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه أن الاجتناب عما لا يؤمن أن يجر إلى الغواية خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية وإن قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا

استبدل

يعرف الشيء من الناس بنفع فيه ﴿ولقد علموا﴾ اي اليهود الذين حكيت جناياتهم ﴿لمن اشتراه﴾ اي
ما تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى لجواب قسم محذوف والثانية لام الابتداء
علق بها علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى ﴿ما له
في الآخرة من خلاق﴾ اي من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة في المبتدأ وفي الآخرة متعلق بمحذوف
وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل
الرفع على انها خبر الموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او
مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد والجملة ولقد علموا مقسم عليها دون جملة لبئس ما شروا هذا
ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام هي الموطئة للقسم ومن
شرطية في موضع رفع بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط
محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا ويكون الجملتان
نفسها عليهما ﴿ولبئس ما شروا به انفسهم﴾ اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف
اي وبالله لبئسما باعوا انفسهم السحر او الكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم
فقد عرضوا انفسهم للهلاك وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا ويجوز كون الشرى بمعنى الاشتراء
مما لا سبيل اليه لان المشترى انما هو ما تتلو الشياطين ولانه متعلق الذم هو المأخوذ لا المبذول
كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله ﴿لو كانوا يعلمون﴾
اي يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون
قبحه على اليقين وحقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا هو التوكيد القسمي العقلي الغريزي
او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب عليه من غير تحقيق وجواب لو محذوف اي لما فعلوا ما فعلوا
﴿ولو انهم آمنوا﴾ اي بالرسول المومى اليه في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله وما انزل اليه من الآيات
المذكورة في قوله تعالى ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتوراة التي اريد
بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول صلى الله
عليه وسلم كفر بها ﴿واتقوا﴾ المعاصي المحكية عنهم ﴿لمثوبة من عند الله خير﴾ جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم
الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب
اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة او للتنبيه على ان المثوبة
كائنة من عند الله خير وقيل لجواب لو محذوف اي لاثيبوا وما بعده جملة مستأنفة فان وقوع
الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمني ومعناه انهم من فظاعة
الحال بحيث يتمنى لهم العارف ايمانهم وتقواهم تحسرا عليهم وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة
لان المحسن يثوب اليه ﴿لو كانوا يعلمون﴾ ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم ﴿يا ايها
الذين آمنوا﴾ خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود ﴿لا تقولوا
راعنا﴾ المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون
اذا القى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا
وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت عند اليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها
فيما بينهم وهي راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة
الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم يعنون به تلك المسبة او نسبته صلى الله

عليه وسلم الى

اعدا

عليه وسلم الى الرعن وهو الحمق والهوج روي ان سعد بن عبادة رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا
الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت الآية ونهي فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة اليهود
عن التدليس وامروا بما في معناها ولا يقبل التلبيس فقيل ﴿وقولوا انظرنا﴾ اي انظر الينا بالحذف
والايصال وانظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرئ
راعونا على صيغة الجمع للتوقير وعلى صيغة الفاعل اي قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم
راعينا وكان سببا للسب اتصف بالرعن ﴿واسمعوا﴾ واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب
المراعاة ﴿واسمعوا﴾ ما كلفتموه من النهي والامر بجد وعناية حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا
سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا ﴿وللكافرين﴾
اي لليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالوا له ما قالوا ﴿عذاب اليم﴾ لما اجترؤوا عليه من العظيمة وهو تذييل لما
سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه ﴿ما يود الذين كفروا﴾ الود
حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما وفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع
الضمير للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول
المنهي عنه كان مما يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الآية بالخير فكأنه اشير الى سبب
تحريفهم له الى ما حكي عنه لوقوعه في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود
يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله
تعالى ﴿من اهل الكتاب ولا المشركين﴾ للتبيين كما في قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
ولا مزيدة لاستغراق النفي ﴿ان ينزل عليكم﴾ في حيز النصب على انه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول
للثقة بتعين الفاعل والتصريح به في الآتي وقوله تعالى ﴿من خير﴾ هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة
للاستغراق والنفي وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله على ما يعمه
وغيره من العلم والنصرة كما قيل يأباه وصفه فيما سيأتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع
ان حقه التأخر عنه لاظهار كمال العناية به لان مدار عدم ودهم ما فيه من القول ومن
في قوله تعالى ﴿من ربكم﴾ ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعليته لتنزيل الخير
والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم
بما فيه وتعريضهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير
من حيث وقوع التنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل هو الخلو عن
الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم
فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم اصل الكتاب وابناء الانبياء
الناشئون في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما
منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر ولاسيما في اثناء
ذكر اباطيلهم بصولة من نعمهم وجادة بهما ذكر نفي ودادة المشركين له فزيدت كلمة لا لتاكيد النفي
﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾ جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على

حلته وإرغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه أهم يقسمون رحمة ربك
عبر عنه باعتبار نزوله على النبي بالخير وباعتبار إضافته إليه تعالى بالرحمة قال علي رضي
الله عنه بنبوته يختص بها محمدًا صلى الله عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال للإنباء
عن الاصطفاء والشأن أن الحال أدخل في المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى أن ينزل الله من فضله على من
يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم وإقناطهم مما علقوا به أطماعهم الفارغة ولا
دخلة على المقصود ذي لون خصه من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه
الذاتي الفائض عليه بحسب إرادته عز وعلا تفضلاً لا لاستداد الغرض وقيل الفعل لازم ومن يشاء
فاعله والضمير العائد إليه محذوف على التقديرين وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم
تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه إيذان بأن إيتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى إن فضله كان عليك
كبيرا وأن حرمان بعض ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة
البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للإيذان بفخامة مضمونهما وكون كل منهما مستقلة بشأنها
فإن الإضمار في الثانية ينبئ عن توقفها على الأولى ما ننسخ من آية أو ننسها كلام مستأنف
مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من أفراد تنزيل الوحي وإبطال مقالة الطاعنين فيه إثر تحقيق
حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له رأسًا قيل نزلت حين قال المشركون أو اليهود ألا ترون إلى محمد
صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة الإزالة
والنقل يقال نسخت الريح الأثر أي أزالته ونسخت الكتاب نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها
أو بالحكم المستفاد منها أو بهما جميعًا وإنساؤها إذهابها من القلوب وما شرطية جازمة
لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من أنسخ أي نأمرك أو جبريل بنسخها أو نجدها
منسوخة وننسها من النسيان أي ننسخها وقرئ بالتشديد وننسها وتنسها على خطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم مبنيًا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من آية أو ننسكها وقرئ
ما ننسك من آية أو ننسخها والمعنى أن كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة
من إزالة لفظها أو حكمها أو كليهما معًا إلى بدل أو إلى غير بدل نأت بخير منها أي نوع آخر هو خير
للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة ألفًا أو مثلها أي فيما ذكر من
النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها أيضًا وتخصيصها
بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الآيات التي عليها يدور فلك
الأحكام الشرعية إنما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الأحوال ويتبدل
حسب تبدل الأشخاص والأعصار كأحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في حال أخرى
نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والأحكام من النظام ألم تعلم الهمزة للتقرير كما في قوله
سبحانه وتعالى أليس الله بكاف عبده وقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وقوله تعالى أن الله على كل شيء قدير ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله
الأول والثاني محذوف عند الأخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته
تعالى على النسخ وعلى الإتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لأن ذلك من جملة الأشياء المقهورة
تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع الأشياء علم قدرته على ذلك قطعًا والالتفات
بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والإشعار بمناط الحكم فإن شمول القدرة لجميع الأ
من الأحكام الألوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه ألم تعلم أن الله له ملك السموات

والأرض

والأرض فإن عنوان الألوهية مناط أحكام مالكيتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات
والأرض مبتدأ والجملة خبر لأن وإيثاره على أن يقال ألم تعلم أن الله له السموات والأرض للقصد إلى تقوي
الحكم بتكرير الإسناد وهو ما تكرر للتقرير والإعادة والاستشهاد على ما ذكر وإنما لم يعطف على ما
في حيزها على ما سبق من مثلها دفعًا لزيادة التأكيد وإشعارًا باستقلال العلم بكل منهما وكفايته
في الوقوف على ما هو المقصود أما تقرير ما سبق فالاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الأشياء أي ألم
تعلم أن الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي
فيهما إيجادًا وإعدامًا وأمرًا ونهيًا حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض لأمره ولا معقب لحكمه
فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شيء من الأشياء وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير معطوف على الجملة الواقعة خبرًا لأن داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه إشارة
إلى تناول الخطاب بين السابقين للأمة أيضًا وإنما أفرده عليه الصلاة والسلام بما لأن علمه
مستند لعلمه عليه الصلاة والسلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع إلى اسم أن لتربية المهابة
والإيذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم
تعلم أن الله تعالى على ما ذكر من الإتيان بما هو خير من المنسوخ أو بمثله فإن مجرد قدرته تعالى على ذلك
لا يستدعي حصوله البتة وإنما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليًا ونصيرًا لهم فمن علم أنه تعالى
وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعًا أنه لا يفعل به إلا ما هو خير له فيفوض أمره إليه تعالى
ولا يخطر بباله ريبة في أمر النسخ وغيره أصلاً والفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن
النصرة والنصير قد يكون أجنبيًا من المنصور وما إما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي
مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق وإما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجيز تقديمه
واسمها من ولي ومن مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لأنه في الأصل
صفة له فلما قدم انتصب حالاً ومعناه سوى الله والمعنى أن قضية العلم بما ذكر من الأمور الثلاثة
هو الجزم والإيقان بأنه تعالى لا يفعل بهم في أمر من أمور دينهم أو دنياهم إلا ما هو خير لهم والعمل
بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه من غير إصغاء إلى أقاويل الكفرة وتشكيكاتهم
التي من جملتها ما قالوا في أمر النسخ أم تريدون تجريد الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيصه
له بالمؤمنين وأم منقطعة ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر
عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وأمارات التأثر من أقاويل الكفرة إلى التحذير من ذلك ومعنى
الهمزة إنكار وقوع الإرادة منهم واستبعاده لما أنه لا يصدر عن العاقل إرادته فضلاً عن صدوره
نفسه والمعنى بل أتريدون أن تسألوا وأنتم مؤمنون رسولكم وهو في الرتبة من علو الشأن
وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في أموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه
سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه الصلاة والسلام بيان تفاصيل الحكم الداعية إلى
النسخ وقيل سأله عليه الصلاة والسلام قوم من المسلمين أن يجعل لهم ذات أنواط كما كانت للمشركين وهي
شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر
تشبيهي أي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية أي سؤالاً مشبهًا بسؤال موسى حيث قيل له
اجعل لنا إلهًا وأرنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر أن يقال كما سأل موسى لأن المشبه هو المصدر
من المبني للفاعل أعني سائلية المخاطبين أو المبني للمفعول أعني مسئولية الرسول عليه الصلاة
والسلام حتى يشبه مسئولية موسى عليه الصلاة فلعل إيراد التشبيه فيهما معًا ولكنه أو

النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسؤولية واكتفى بما ذكر في كل موضع عما
ترك في الموضع الآخر كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله وقد جوز ان تكون ام متصلة على ان المعادل محذوف اي ام تقترحون كالسؤال الذي سئل موسى
عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل جيء به للتأكيد وقرئ سيل بالياء
وكسر السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اي يختره ويأخذه لنفسه بالايمان
مقابلا به بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اي
السؤال المذكور او ارادته ومحاصله ومن يترك الثقة بالايات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من
جملتها الايات الناسخة التي هي خير محض وحق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي عدل
وجاد من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى
في مهاوي الردى دائما او ترك ذلك ما عليه النظم الكريم من التصريح من اول الامر فانه كفر وارتداد وكونه
كذلك امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يفعل حقيق بان يعد من المسلمين ويجعل
مقدما الشرطية ردا يا المبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف
الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السواء على منهاج حصول الصورة في
الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين
حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فاضافة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم على الوجهين
باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان دفعهم عمل من الايمان ترك صرف قدرتهم اليه
مع تمكنهم من ذلك وايثارهم الكفر عليه ود كثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص
ابن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد
الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم
سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم
ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام
دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه
فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة
كما في قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها
مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم
كفارا لسروا بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين
الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن
له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا وقيل هو حال من مفعوله والاول
ادخل لما فيه من الدلالة تصريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه
ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين
المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبح الصارف للعاقل
وغاية تبعده من الوقوع اما لزيادة قبح الصارف العاقل عن مباشرته [illegible] المانعة الايمان له
قيل من بعد ايمانكم [illegible] وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدا علة لود او حال اي حاسدين نعت
الجميع وحاسدين لكم والحسد الاسف على [illegible] من عند انفسهم متعلق بود اي ودوا
ذلك من اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق [illegible] الحسد

منبعثا

منبعثا من اصل نفوسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة والنعوت المذكورة
في التوراة [illegible] بالباطل فاعفوا واصفحوا العفو
ترك المؤاخذة والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب [illegible] حتى يأتي الله بامره الذي
هو [illegible] عليهم والاذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه منسوخ بآية السيف [illegible] ولا يخرج
الوارد بذلك [illegible] فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ ان الله على
كل شيء قدير فينتقم منهم [illegible] واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا واصفحوا امروا بالصبر [illegible] والالتجاء الى الله
تعالى بالعبادة البدنية والمالية وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة وصدقة
ذلك اي اي خير كان [illegible] تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه وقرئ
تقدموا من اقدم ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل [illegible] وقرئ
بالياء [illegible] وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب جميعا لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة
الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله [illegible] وقالوا كونوا هودا
او نصارى [illegible]
[illegible]
[illegible] تلك امانيهم [illegible]
[illegible]
عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة الى ما في قوله
من ان لا ينزل خير عليكم من ربكم وان يردوهم كفارا او يرجعوه قوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان
كنتم صادقين فانها الياسا [illegible] له البرهان لانها تحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله آتوا
قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم هذا
ما تقتضيه المقام بحسب النظم الجليل والذي يستدعيه ايجاز التنزيل ان يحمل التبكيت على طلب
البرهان على اصل الدخول الذي تتضمنه دعوى الاختصاص فان قوله تعالى بلى الخ اثبات لما نفته
تعالى اليه نفوسهم [illegible] لنفيهما اثبتوه وادليل الاثبات بمجرد دخول غيرهم الجنة لتوهمهم [illegible] النفي
مجرد اختصاصهم بمع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو لاختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله
تعالى [illegible] ان النفي لاصل دخولهم [illegible] يكونوا هم الذين كلفوا اقامة البرهان عليه بالاختصاص
بما [illegible] وجوه الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه [illegible] هذا المسلك مبالغة
في [illegible] وتعجيزهم عن اثبات [illegible] عجزهم
عن اثبات ما فهم من الاختصاص [illegible] بلى من اسلم وجهه
لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع
السجود ومظهر آثار الخضوع الذي هو من اخص خصائص الاخلاص او توجهه وقصده بحيث لا يلوي
عزيمته الى شيء غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم اي والحال انه محسن في جميع اعماله التي من جملتها
الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه

الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك **فله**
اجره الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا واياما كان فتصويره
بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى **عند ربه** حال من اجره
والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم
موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة اي فله اجره عند مالكه ومدبر اموره
ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى
الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر اي بلى يدخلها من اسلم
وقوله تعالى فله اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام
والاحسان المختصين باهل الايمان قاض بان اولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل من الاختصاص
به فضلا عن الانفراد **ولا خوف عليهم** في الدارين من لحوق مكروه **ولا هم يحزنون** من فوات مطلوب اي لا يعتريهم
ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما ان
الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء** بيان لتضليل كل فريق
صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء اي امر
يعتد به من الدين او على شيء ما اصلا مبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء وكفروا بعيسى والانجيل
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء على الوجه المذكور وكفروا بموسى والتوراة ثم انهم ما قالوا ذلك بناء للامر
على منسوخية التوراة **وهم يتلون الكتاب** الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق
من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله
تعالى متصادقة **كذلك** اي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف في محل النصب اما على انها نعت لمصدر
محذوف قدم على عامله لافادة القصر اي قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له **قال الذين لا**
يعلمون من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اي قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء واما
على انها حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال اي قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول
الذي سمعت به **مثل قولهم** اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله اي مثل ذلك القول قال الجاهلون
مثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا
فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى فان سياق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم
لاظهار كمال بطلان مقالهم ولان المحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم **يوم القيامة** متعلق بيحكم
وكذا ما قبله وما بعده ولا يضر فيه الاختلاف المعنى **فيما كانوا فيه يختلفون** قدم عليه للمحافظة
على رؤوس الآي لا اختلاف **ومن اظلم ممن منع مساجد الله** انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل
ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال
المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل
وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في اي مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد
مخصوص روي ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم
غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان طيطوس الرومي
ملك النصارى واصحابه غزوا بني اسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التوراة وخربوا
بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله

عنه وانما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب
ونحوها متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله ونظم الآية الكريمة في سلك القبائح من حيث انها مبطلة
لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل
المسجد الحرام عام الحديبية فنظمها فيما انتظم منها من حيث ان المشركين من جملة الجهلة القائلين لكل من
عداهم ليسوا على شيء **ان يذكر فيها اسمه** ثاني مفعولي منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى
وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان ويجوز ان
يكون ذلك مفعولا له اي كراهة ان يذكر فيها اسمه **وسعى في خرابها** بالهدم والتعطيل بانقطاع الذكر
اولئك المانعون الظالمون الساعون في خرابها **ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين** اي ما
كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها وتعطيلها او ما كان الحق
ان يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا
عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالآخرة الا ذلك فيكون وعدا
للمؤمنين بالنصر واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد روي انه لا يدخل
بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا لما رقبه وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف
الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة رضي الله عنه مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام
وغيره **لهم** اي لاولئك المذكورين **في الدنيا خزي** اي خزي فظيع لا يوصف بالقتل والسبي
والاذلال بضرب الجزية عليهم **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** وهو عذاب النار لما ان سببه
ايضا وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من العذاب
والعقاب لما مر من ان تأخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عند وروده
فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك **ولله**
المشرق والمغرب اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي الشرق والغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف
ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة في المسجد الاقصى او المسجد الحرام
فاينما تولوا اي ففي اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة **فثم وجه الله** ثم اسم اشارة للمكان
البعيد خاصة مبني على الفتح لا ينصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة
في محل الجزم على انها جواب الشرط اي هناك جهته التي امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد
او مكان دون آخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمي اي فهو عالم بما يفعل فيه ومثيبكم على ذلك وقرئ
بفتح التاء واللام اي فاينما توجهوا القبلة **ان الله واسع** باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة
على عباده **عليم** بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضي
الله عنه نزلت في صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهت وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا
الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه
التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في جهة **وقالوا اتخذ الله ولدا**
حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوف على ما قبلها من قوله تعالى وقالت
صلة من بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون
وقرئ بغير واو على الاستئناف فقد قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو
العرب الملائكة بنات الله تعالى الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى
التصيير والمفعول الاول محذوف اي صير بعض مخلوقاته ولدا **سبحانه** تنزيه وتبرئة له تعالى

عما قالوا وسبحانه علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أي أسبح سبحانه أي أنزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه أي تنزه بذاته تنزها حقيقا بشأنه ففيه مبالغة من حيث إسناد التنزه إلى الذات المقدسة فكأن التنزيه باعتقاد تنزهه تعالى عما لا يليق به لا إثباته له تعالى بل له ما في السموات والأرض رد لما زعموه وتبيين لبطلانه وكلمة بل للإضراب أي عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشيء من المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوجة إلى اتخاذ ما يقوم مقامه فإن مجرد الإمكان والفناء لا يوجب ألا ترى أن الأجرام الفلكية مع إمكانها وفنائها بالآخرة مستغنية في بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان أي ليس الأمر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح والملائكة كل التنوين عوض عن المضاف إليه أي كل ما فيهما كائنا ما كان من أولي العلم وغيرهم له قانتون منقادون لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان هذا شأنه لم يتصور مجانسته لشيء ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد وإنما جيء بما المختصة بغير أولي العلم تحقيرا لشأنهم وإيذانا بكمال بعدهم عما نسب إليه بعض منهم وصيغة جمع العقلاء في قانتون للتغليب كل من جعلوه لله ولدا قانتون أي مطيعون عابدون له مقرون بربوبيته تعالى كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة بديع السموات والأرض أي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فإن البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه أساطين أهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى أنشأه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله أمن ريحانة الداعي السميع وقيل من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور أي بديع سمواته من بدع إذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة أخرى لإبطال مقالتهم الشنعاء تقريرها أن الوالد عنصر الولد المنفعل من أبيه بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الأشياء كلها على الإطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هو بديع وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على أنه بدل من الضمير في له على رأي من يجوز الإبدال من الضمير المجرور كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم وإذا قضى أمرا أي أراد شيئا كقوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا وأصل القضاء الإحكام أطلق على الإرادة الإلهية المتعلقة بوجود الشيء لإيجابها إياه البتة وقيل الأمر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فإنما يقول له كن فيكون كان تامة من الكون أي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الأمر والامتثال وإنما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع وفيه تقرير لمعنى الإبداع وتلويح لحجة أخرى لإبطال ما زعموه بأن اتخاذ الولد شأن من يفتقر في تحصيل مراده إلى مبادي يستدعي ترتيبها مرور زمان وتبدل الأحوال وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع آخر من قبائحهم وهو قدحهم في أمر النبوة بعد حكاية قدحهم في شأن التوحيد بنسبة الولد إليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي ولعدم عملهم بموجب علمهم أو لأن ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم أصلا وقال قتادة

وأكثر أهل

وأكثر أهل التفسير هم مشركو العرب لقوله تعالى فليأتنا بآية كما أرسل الأولون وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لولا يكلمنا الله أي هلا يكلمنا بلا واسطة أمرا ونهيا كما يكلم الملائكة أو هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك أو تأتينا آية حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار إلى حيث أملوا نيل مرتبة المفاوضة الإلهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة إلى حيث لم يعدوا ما آتاهم من البينات الباهرة التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات قاتلهم الله أنى يؤفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد قال الذين من قبلهم من الأمم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا أرنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد الآية وقالوا هل يستطيع ربك وقالوا اجعل لنا إلها تشابهت قلوبهم أي قلوب هؤلاء وأولئك في العمى والعناد وإلا لما تشابهت أقاويلهم الباطلة قد بينا الآيات أي نزلناها بينة بأن جعلناها كذلك في أنفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا أنا بيناها بعد أن لم تكن بينة لقوم يوقنون أي يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الآية وفي تعريف الآيات وجمعها وإيراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الإتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى أنهم اقترحوا آية فذة ونحن قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وإنما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله إيذانا بأنه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له إلى الرد والجواب إنا أرسلناك بالحق أي ملتبسا بالقرآن كما في قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم أو بالصدق كما في قوله تعالى ويستنبئونك أحق هو وقوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من المفعول اعتبار تقييده بالحال الأولى أي أرسلناك ملتبسا بالقرآن حال كونك بشيرا لمن آمن بما أنزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به أو أرسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لأنفسهم ما أحبوا لا قاسرا لهم على الإيمان فلا عليك إن أصروا وكابروا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما أرسلت به وقرئ لن تسأل وما تسأل وقرئ ولا تسأل على صيغة النهي إيذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كأنها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على إجرائها على لسانه أو لا يستطيع السامع أن يسمع خبرها وحمله على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال أبويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتأجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد وإيذان بأنهم مطبوع على قلوبهم لا يرجى منهم الإيمان قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة إثر بيان ما يعمهما والمشركين من الإصرار على ما هم عليه إلى الموت وإيراد لا النافية بين المعطوفين لتأكيد النفي لما مر من أن تصلب اليهود في أمثال هذه العظائم أشد من النصارى والإشعار بأن رضى كل منهما مباين لرضى الأخرى أي لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشأنهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فأوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في إقناطه صلى الله عليه وسلم من إسلامهم ما لا غاية وراءه فإنهم حيث لم يرضوا عنه عليه الصلاة والسلام ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل أملوا منه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت الإمكان من اتباعه عليه الصلاة والسلام لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عليه الصلاة والسلام وهذه حالتهم في أنفسهم ومقالتهم فيما بينهم وأما إنهم أظهروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وإن بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فإن قوله عز وجل قل إن هدى الله هو الهدى صحيح في أن ما وقع في هذا

جوابا عنه ليس عين تلك العبادة بل ما يستلزم مضمونها او بيان لما هو الداعي الى اليهودية والنصرانية
وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله عز وجل حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اي قل
ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى
كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن
اتبعت اهواءهم اي آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها
فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الانبياء وهو
المعنى الحقيقي للملة فقد غيروه تغييرا بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته
ما لك من الله من جهته العزيزة من ولي يلي امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث
لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط بينهما حرف النفي للتأكيد لا بين المعطوفين لتأكيد النفي وهذا من
باب التهييج والالهاب والا فانى يتوهم امكان اتباعه عليه الصلاة والسلام لملتهم وهو جواب القسم
الذي وطأته اللام والنفي يسد مسد جواب الشرط الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن
سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه
وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له اولئك اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب
وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم في الفضل يؤمنون به اي
بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به فان الايمان ببعضه مع الكفر ببعض منه ومن يكفر به
بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ومن جملتها التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع
ما فيها ومن جملته نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به عليه الصلاة
والسلام واني فضلتكم على العالمين افرد تفضيل النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة
السالفة لانافتها فيما بين فنون النعم واتقوا ان لم تؤمنوا يوما لا تجزي فيه اي في ذلك اليوم نفس من
النفوس عن نفس اخرى شيئا من الاشياء او شيئا من الجزاء ولا يقبل منها عدل اي فدية
ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح
وللايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم
بها اشد وافحش واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله
عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان ما عليه اهل
الكتابين اهواء زائغة وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه الصلاة والسلام فرية بلا مرية ببيان
ما صدر عن ابراهيم وابنائه الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية
التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبكونه ذلك النبي الذي
استدعاه ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فاذ منصوب
على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي اذكر لهم وقت
ابتلائه عليه الصلاة والسلام ليتذكروا ما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك
فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم عليه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث
مع انها المقصودة بالذات قد مر وجهه في اثناء تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر اي واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء من قوله تعالى
قال والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو اسرائيل

ليتأملوا

ليتأملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته من ابراهيم وابنائه عليهم الصلاة والسلام من الافعال والاقوال
فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار اي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه
لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور
واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه
شيئا هو من مباديه العادية كمن يختبر عبده ليتعرف حاله من الكياسة فيأمره بما يليق بحاله من مصالحه
وابراهيم اسم اعجمي قال السهيلي وكثيرا ما يقع الاتفاق والتقارب بين السرياني والعربي الا ترى ان
ابراهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا
الى يوم القيامة على ما روى البخاري في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في الروضة ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية
تشريف له عليه الصلاة والسلام وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر عظيم والمعنى عامله
سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي يظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج
عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه المعاملة تحق تكريرها للناس لارشادهم الى طريق
اتقان الامور ببنائها على التجربة وللايذان بان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ايضا مبنية على تلك
القاعدة الرصينة واقعة بعد استحقاقه عليه الصلاة والسلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيب بها
دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما سيأتي واختلف في الكلمات قال مجاهد هي المذكورة بعدها ورد
بانه يأباه الفاء في فاتمهن ثم الاستئناف وقال طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال
كانت فرضا في شريعته وهي سنة في شريعتنا خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس
وقص الشارب والسواك وخمس في البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء
بالماء وفي الخبر ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم
الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم ابتلاه
الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة التائبون الخ وعشر في الاحزاب ان
المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلواتهم يحافظون
وقيل ابتلاه الله سبحانه وتعالى بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد
والهجرة فوفى بالكل وقيل هي محاجة قومه والصلاة والزكوة والصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي
مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عليه الصلاة والسلام
الذي خلقني فهو يهدين الآيات ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة كما هو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي
سابقة الوحي واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه اي دعاه
بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن او لا فاتمهن اي قام بهن حق القيام واداهن احسن التأدية
من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله تعالى اياها
من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل ان الكلمات ما سأل ابراهيم ربه بقوله رب اجعل الآيات
وقوله عز وجل قال على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان
الابتلاء تمهيد لامر معظم فظهور فضيلة المبتلى من دواعي الاحسان اليه فيتوقع عند حكايتها ترقب النفس الى
ما وقع بعدها كأنه قيل فماذا كان بعده فقيل قال اني جاعلك للناس اماما اي بيانا لقوله تعالى
ابتلى فعلى هذا من جملة الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك
وعلى تقدير انتصاب اذ بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والاوفق بالمعنى

داخلة على قال اي وقال اذ ابتلي والجعل بمعنى التصيير لحد مفعوليه الضمير والثاني اماما واسم الفاعل
بمعنى المضارع وان كان الدلالة على انه جاعل الآن من غير صارف غالبا ويتعلق به وللناس
متعلق بجاعل اي لاجل الناس او بمحذوف فهو حال من اماما اذ لو تأخر عنه لكان صفة له والامام
اسم لمن يؤتم به وكل نبي امام لامته وامامته عليه الصلوة والسلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده
نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباع ملته **قال** استيناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال
ابراهيم عليه الصلوة والسلام عنده فقيل قال **ومن ذريتي** عطف على الكاف فمن تبعيضية متعلقة
بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيدا لمن يقول سأكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي
اماما وتخصيص البعض بناء على بداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا
يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذرؤت او ذريت والاصل ذروورة او ذرووية
فاجتمع في الاولى ثلاث واوات زائدة واصلية فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء
وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصارت ذريئة او فعلية منها
والاصل في الاولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق احداهما بالسكون فصارت
ذريئة كالثانية فادغمت الياء في مثلها فصارت ذرية او فعلية من الذر بمعنى خلق الاصل
ذريئة فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة في المبدلة او فعلية
من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي الامثال كما في تسريت وتقضي وتظني
فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام في
وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرأ ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها **قال** استينا
مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق **لا ينال عهدي الظالمين** ليس هذا ردا لدعوته
عليه الصلوة والسلام بل اجابة خفية لها وعدول عن اجمالها منه تعالى الى تشريف البعض تبيينه
عليه السلام بنيل عهد الامامة تحتهما وقع في استدعائه عليه الصلوة والسلام من غير تعيين
لهم بوصف يميزهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه يعين من عداهم لذلك التمييز اذ
ليس معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه
الطريقة على تعيين الجامعين لمبادي الامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا وارسال الكلام
على وجه يحتمل ان يكون الظلمة في فريق منها من الائمة في تلك الجهة وبيان وتفصيل لكل فرقة من الاطناب ما لا
يخفى مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة
من نيلها قائما او بثيل على الجعل ايها الآن امامة الانبيا عليهم الصلوة والسلام كاسمعيل
واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى
ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن
امامة ابراهيم عليه الصلوة والسلام تنال كلا منهم في وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون
على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبيا عليهم
الصلوة والسلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وهو قوله تعالى **واذ**
جعلنا البيت اي الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلي على ان
العامل فيه اذكر مضمرا مستقلا معطوف على المضمر الاول وقيل الجعل بمعنى التصيير فقوله عز وجل
مثابة اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعدما تفرقوا عنه وامثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره
مفعول ثاني وان بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله **للناس** متعلقة بمحذوف

وقع صفة

وقع صفة لمثابة اي مثابة كائنة للناس او بجعلنا اي جعلناه لاجل الناس وقرئ مثابات
باعتبار تعدد الثائبين **وامنا** اي امنا كما في قوله تعالى حرما امنا على ايقاع المصدر موقع اسم
الفاعل للمبالغة او على تقدير مضاف اي ذا امن او على الاسناد المجازي اي آمنا من حج من عذاب
الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة سوا كان جانيا حتى يخرج
ما هو راي ابي حنيفة ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شي كائنا ما كان ويدخل فيه امن الناس
دخولا اوليا وقد اعتيد فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه
فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى** على ارادة قول هو عطف
على جعلنا او حال من فاعله اي وقلنا او قائلين لهم اتخذوا الى آخره وقيل هو بنفسه معطوف على الامر
الذي تضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كانه قال ثوبوا اليه واتخذوا الى آخره وقيل على المضمر العامل
في اذ وقيل هي مستانفة والخطاب على الوجوه الاخيرة لمن عليه الصلوة والسلام ولامته والاول هو الاليق
بجزالة النظم الكريم والامر فيها كان او منقوما من الحكاية للتشريف واما من تبعيضية والمقام اسم مكان
وهو الحجر الذي عليه اثر قدميه عليه الصلوة والسلام والموضع الذي كان عليه حين قام ودعى الناس الى الحج
او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمصلى اما موضع الصلوة او موضع الدعاء روي
انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رضي الله عنه افلا
نتخذه مصلى فقال لم اؤمر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى
جابر رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي رحمه الله في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله
وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرئ
واتخذوا على صيغة الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به
واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها **وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل** اي امرناهما امرا مؤكدا **ان**
طهرا بيتي بان طهرا على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا وجاز كون صلتها امرا او نهيا
كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار وصلها بفعل انما هو دلالته على المصدر وهي محققة
فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها
الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشا في الدلالة على المصدر سواء
ساغ وقوع الامر والنهي صلة حيث وقع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة
الفعلية عن معنى المضي والاستقبال او اي طهراه على ان ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة
البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير ها هنا اليهما عليهما الصلوة والسلام لا ينافي
ما في سورة الحج من تخصيصه بابراهيم عليه الصلوة والسلام فان ذلك وقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه
قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وكان اسمعيل عليه الصلوة والسلام حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان
هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام البنا بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده اثر حكاية جعله مثابة
للناس والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به **للطائفين**
حوله **والعاكفين** المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصلوة كما في قوله عز وعلا
للطائفين والقائمين **والركع السجود** جمع راكع وساجد اي للطائفين والمصلين لان القيام والركوع
والسجود من هيئات المصلي لتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما ولعل هذه
هؤلاء ليلا تحيشا مغيرهم وقيل لما ان ملخيسه غيرهم سواء كانت مع مقارنة امر مباح من قبيل

تلويثه وقد نبسه وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا اما بالذات او بعامل المضمر كما
مر رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ذا امن كعيشة راضية وامنا اهله كليله نائم اي اجعل هذا الوادي من
البلاد الآمنة وكان ذلك اول ما قدم عليه الصلوة والسلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهم انه عليه الصلوة والسلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام
تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا
فقال نعم فقالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كدا اقبل على الوادي فقال ربنا
اني اسكنت الآية وتعريف البلد مع جعل صفة له في سورة ابرهيم لانه حمل على تعدد السؤال اما لانه عليه
الصلوة والسلام سأل اولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له في احدهما وتأخر الآخر
الى وقته المقدر لما تقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان
المسؤول اولا البلدية ومجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن
المعهود او كان المسؤول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على سؤال مع
جعل البلد صفة لهذا لان المقصد الاصلي اولا لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف
الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي
ذلك هاهنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الجعل افئدة من الناس تهوي اليهم كما سيأتي تفصيله هنالك باذن
الله عز وجل وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه
من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية
في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم عليه
الصلوة والسلام بهذه الدعوة دفعها الله تعالى فوضعها بحيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه
تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابرهيم عليه الصلوة والسلام مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما
بشأن اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر كما ان في حكايته ترغيبا
وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب قَالَ استيناف مبني على السؤال كما مر مرارا وقوله تعالى وَمَنْ
كَفَرَ عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى فَأُمَتِّعُهُ معطوف على
ذلك الفعل او في محل رفع بالابتداء وقوله فامتعه خبره اي فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها
له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار
وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كانه قيل قل وارزق من كفر فانه ايضا احق بالرزق كأنه عليه الصلوة
والسلام قاس الرزق على الامامة فنبهه الله تعالى على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة
الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه قَلِيلًا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا ثُمَّ
أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ اي ألزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ
ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء
ابرهيم عليه الصلوة والسلام وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبك الكلام للدلالة
بان الكفر سبب لاضطراره الى عذاب النار واما رزق من آمن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان
وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة واطره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة
فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يليها دون العكس وَبِئْسَ الْمَصِيرُ المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير
النار او عذابها وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ عطف على ما قبله من قوله عز وعلا واذ قال ابرهيم

على الحد الطريقين المذكورين في واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود
بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه ينقلها من
هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والرفع حقيقة وان كان هو الذي يجعلها كذلك لما ان ما صار
شيئا واحدا فكأنها نقلت وارتفعت وقيل المراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة لما يبنى عليه
وبرفعها بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى
حجه وفي ابهامها اولا وتبيينها ثانيا من تفخيم شأنها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت
وسقوطها يعني جعل هيئة القواعد المبسوطة مرتفعة حال البناء روي ان الله عز وجل
انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف
به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم عليه الصلوة والسلام اربعين حجة من ارض الهند
الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله تعالى ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور
وكان موضعه خاليا الى زمن ابرهيم عليه الصلوة والسلام فامره سبحانه ببنائه وعرفه جبريل
مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابرهيم حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله
تعالى سحابة على قدر البيت فسار ابرهيم في ظلها الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي
ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان
والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد
خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود
وقال الفاسي في شفاء الغرام بتاريخ البلد الحرام والذي يتحصل من مجموع ما قيل في عدد بناء الكعبة
انها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة عليهم الصلوة والسلام ذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات
والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق آدم عليه الصلوة والسلام ومنها بناء آدم عليه الصلوة والسلام
ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعث الله عز وجل جبريل الى آدم عليهما الصلوة والسلام فقال لهما وحواء ابنيا لي بيتا فخط جبريل عليه
الصلوة والسلام وجعل آدم عليه الصلوة والسلام يحفر وحواء تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته
حسبك يا آدم فلما بنياه اوحى الله اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكر الازرقي
في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بني آدم عندما رفعت الخيمة التي عزى الله بها آدم
عليه الصلوة والسلام وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل
معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى زمن الغرق في عهد نوح عليه الصلوة والسلام ذكره الازرقي بسنده
الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه الصلوة والسلام وهو منصوص عليه بالقرآن مشهور فيما بين قاص
ودان ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الازرقي بسنده الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء
عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من
جدرانها وقال الحافظ السهيلي بناؤها الذي ثبت في الدهر خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه الصلوة
والسلام انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم وَإِسْمَاعِيلُ عطف على ابرهيم ولعل تأخيره عن المفعول للايذان بان
الاصل في الرفع هو ابرهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه

من طرفين **ربنا تقبل منا** على ارادة القول اي يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما الصلوة
والسلام وقيل على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير يقولان ربنا تقبل منا
اذ يرفعان اي وقت رفعهما وقيل واسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف هو العامل في ربنا تقبل منا فيكون
ابرهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية اي واذ يرفع ابرهيم القواعد قائلا
اسمعيل ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاحهما مع الاضافة
الى ضميرهما عليهما الصلوة والسلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا
وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه
جعل الجملة الدعائية حالية **انك انت السميع** لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا **العليم** بكل
المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه
تعالى سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما
في اعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتاكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم
عليه تعالى لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان
اول ما جرى من الامور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع
قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية
لنظم الشئون الصادرة عنه جل وعلا في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابرهيم واسمعيل
عليهما الصلوة والسلام من الافعال والاقوال في سلك آخر واما قوله تعالى ومن كفر فانما وقع في تضاعيف
الاحوال المتعلقة بابرهيم لاستقصاء المقام واستيفاء ما سبق من الكلام وذلك حيث لم يكن بد
منه اصلا حتما ان دفع توهمه عليه الصلوة والسلام وهو رزق ذريته في خلال كلامه سبحانه لذلك
ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد
ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كانا عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين
على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعاء او لان التثنية من مراتب الجمع **ومن ذريتنا**
امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا
صلحوا صلح الاتباع وانما خصا بعضهم لما علما ان منهم ظلمة او لان الحكمة الالهية لا تقتضي
اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامور المعاش ولذلك قيل
لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان تكون
من للتبيين قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن
وامة مسلمة لك ومن ذريتنا **وارنا** من الرؤية بمعنى الابصار او بمعنى التعريف او بصرنا وعرفنا
مناسكنا اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه
من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة
منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس **وتب علينا** استتابة لذريتهما
او عما فرط منهما سهوا او لعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما **انك انت التواب الرحيم**
وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله تعالى
بما يناسبه من اسمائه وصفاته **ربنا وابعث فيهم** اي في الامة المسلمة **رسولا منهم** اي من
انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله عليه وسلم
روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فكان عليه الصلوة والسلام انا دعوة ابي ابرهيم

وبشرى عيسى

وبشرى عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابرهيم عليه الصلوة والسلام بالاستجابة لانه الاصل
في الدعاء واسمعيل تبع له عليهما الصلوة والسلام **يتلو عليهم آياتك** يقرأ عليهم ويبلغهم ما
يوحى اليه من البينات **ويعلمهم الكتاب** بحسب قوتهم النظرية اي القرآن **والحكمة** وما يكمل به
نفوسهم من الاحكام الشرعية والمعارف الحقة **ويزكيهم** بحسب قوتهم العملية اي يطهرهم عن دنس
الشرك وفنون المعاصي **انك انت العزيز** الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد **الحكيم** الذي لا يفعل الا
ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة المسؤل فان وصف الحكمة مقتض لافاضة
ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع
بالمرة **ومن يرغب عن ملة ابرهيم** انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي
الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء **الا من سفه نفسه** اي اذلها واستمهنها
واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق او جهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر
متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل
نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ونحوه قوله
ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام وقوله وما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة
الشعر الرقابا وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بالغ في اذلال نفسه واذالتها
واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى
الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به
فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت **ولقد اصطفيناه
في الدنيا** اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل الاجتباء
اتخاذ جبى واللام جواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي وبالله لقد اصطفيناه
وقوله تعالى **وانه في الآخرة لمن الصالحين** اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح
معطوف عليه داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر له ولا حاجة الى جعله اعتراضا آخر واما الاول
فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الآخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا
سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل وارشاد الاسمية الى ان انتظامه في
زمرة صالحي اهل الآخرة امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الآخرة والتأكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية
خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التأكيد اشد من الامور التي تشاهد آثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين
على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا
يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا او بمحذوف من لفظه
اي وانه لصالح في الآخرة لمن الصالحين او من غير لفظه اي اعني في الآخرة نحو لك بعد رعيا وقيل هو متعلق
باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتأخيرا تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين
اذ قال له ظرف لاصطفيناه وما بينهما اعتراض او التوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفيناه في الدنيا انما هو
للنبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى
الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به
واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له **ربه اسلم** اي لربك **قال اسلمت لرب العالمين**
وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلائل التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية
الى الاسلام من الكواكب والقمر والشمس وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام

والاخلاص واشعر وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية
والاضافة اليه عليه الصلاة والسلام لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة الرب
في جوابه عليه الصلاة والسلام الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عليه الصلاة والسلام حيث
ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المأمور به **ووصى بها**
ابراهيم بنيه شروع في بيان تكميله عليه الصلاة والسلام لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه
توكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه الصلاة والسلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير
وصلاح للمسلمين من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله فان الموصي
يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت لرب العالمين بتأويل الكلمة كما عبر عنها
عن قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ
اوصى والاول ابلغ **ويعقوب** عطف على ابراهيم اي وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا
على بنيه **يا بني** على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول
كما في قوله رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا فهو عند الاولين بتقدير القول
وعند الآخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنو ابراهيم عليه الصلاة
والسلام كانوا اربعة اسماعيل واسحاق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرون
وكان بنو يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويسسوخور وزبولون ودان ونفتونا ويجودا
ويوسف وبنيامين عليهم الصلاة والسلام **ان الله اصطفى لكم الدين** دين الاسلام الذي
هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى **فلا تموتن الا وانتم مسلمون** ظاهره النهي عن الموت
على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اي فاثبتوا عليه ولا
تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت
لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذر وقوعه ونظيره مت وانت شهيد
روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين
عن ملة ابراهيم وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر وايثاره على شهيد اولى لخصوص ملاءمته
اسباب تقديم يعقوب عليه الصلاة والسلام لاهتمام بما ذكر من بيان كيفية وصيته لبنيه
بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم عليه
الصلاة والسلام اي توبيخهم على افترائهم على يعقوب عليه الصلاة والسلام باليهودية حسبما حكي
عنهم وانما تعميمه لافترائهم على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب
عليه الصلاة والسلام بالذكر وما سيأتي من قوله عز وجل ام تقولون ان ابراهيم الى آخره ومعنى الهمزة
انكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه الصلاة والسلام وتبكيتهم وقوله تعالى **اذ قال لبنيه** بدل
من اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه الصلاة والسلام وقوله لبنيه **ما تعبدون**
من بعدي اي اي شيء تعبدونه بعد موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه الصلاة والسلام ما ادعيتم رجما
بالغيب فعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى حينئذ على خلاف ما زعموا
وانه عليه الصلاة والسلام اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على
الثبات عليهما اذ به تتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف
فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن شيء بعينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب

فقوله تعالى

فقوله تعالى **قالوا** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن حكاية سؤال يعقوب عليه الصلاة والسلام
كأنه قيل فماذا قالوا عنده فقيل قالوا **نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق**
حسبما كان مراده عليه الصلاة والسلام بالسؤال اي نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب
عبادته وعد اسماعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو ابيه
وقوله عليه الصلاة والسلام في العباس هذا بقية آبائي وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله فلما
تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان
له واسماعيل واسحاق معطوفان عليه **الها واحدا** بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية
ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على
المجرور او نصب على الاختصاص **ونحن له مسلمون** حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا
ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق **تلك امة** مبتدأ وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب
وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها **قد خلت**
صفة للخبر اي مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصلها صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها **لها ما**
كسبت جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة
والعائد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية لا يتخطاها فان تقديم المسند يوجب قصر
المسند اليه على المسند كما هو المشهور **ولكم ما كسبتم** عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتدأة على
الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال اي
لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل في قوله تعالى
لكم دينكم ولي دين اي لا دينكم وحمل الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا كما
قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذي
يتوهم هؤلاء انتفاعهم بكسب اولئك فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس
لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم في الاعمال كما قال عليه الصلاة
يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم **ولا تسألون عما كانوا يعملون** ان اجري السؤال على
ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقريرا ظاهرا وان اريد به مسببه اعني الجزاء فهو
تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له واياما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة
عن الانتفاع بحسنات الامم الخالية وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة
كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن السيئات فقيل اي لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا
تثابون بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشأن التنزيل كيف وهم منزهون من كسب السيئات فمن اين
يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفائه **وقالوا** شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم
وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات للايذان
باستيجاب حالهم لابعادهم عن مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم اي قالوا للمؤمنين
كونوا هودا او نصارى هذا القول منهم لا كلهم اي لا كل طائفة كانت من الطائفتين بل هو موزع
اليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنيا عن التصريح به اي قالت اليهود كونوا هودا وقالت
النصارى كونوا نصارى فصل بالنظم ما فصل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
اعتمادا على ظهور المرام **تهتدوا** جواب للامر اي ان تكونوا كذلك تهتدوا **قل** خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم اي قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه **بل ملة ابراهيم** اي بل نكون اهل

كما تقولون بل نكون أهل ملته عليه الصلاة والسلام وقيل بل نتبع ملته عليه الصلاة والسلام وقد جوز أن
يكون المعنى بل اتبعوا أنتم ملته عليه الصلاة والسلام أو كونوا أهل ملته وقرئ بالرفع أي بل ملتنا
أو أمرنا ملته أو نحن ملته بمعنى أهل ملته حنيفاً أي مائلاً عن الباطل إلى الحق وهو حال من المضاف
إليه كما في رأيت وجه هند قائمة أو المضاف كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً الآية
وما كان من المشركين تعريض بهم وإيذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه الصلاة والسلام مع
إشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله تعالى الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه
الصلاة والسلام برد مقالة أولئك الشنعاء على الإجمال وإرشاد لهم إلى طريق التوحيد والإيمان على ضرب من
التفصيل أي قولوا لهم مقابلة بما قالوا تحقيقاً للحق وإرشاداً لهم إليه آمنا بالله وما أنزل إلينا
يعني القرآن قدم على سائر الكتب الإلهية مع تأخره عنها نزولاً للاختصاص به وكونه سبباً للإيمان
بها وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط الصحف وإن كانت نازلة إلى إبراهيم
عليه الصلاة والسلام لكن من بعده عليه الصلاة والسلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين
تحت أحكامها جعلت منزلة إليهم كما جعل القرآن منزلاً إلينا والأسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد
بهم حفدة يعقوب عليه الصلاة والسلام أو أبناؤه الاثنا عشر وذراريهم فإنهم حفدة
إبراهيم وإسحاق وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والإنجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة
بأيديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وإيراد الإيتاء لما أشير إليه من التعميم وتخصيصهما
بالذكر لما أن الكلام مع اليهود والنصارى وما أوتي النبيون أي من جملة المذكورين وغيرهم من
ربهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات لا نفرق بين أحد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا
ببعض وكفروا ببعض وإنما اعتبر عدم التفريق بينهم مع أن التفريق بين ما أوتوه وهمزة أحد إما
أصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح أن يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث
ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله عليه الصلاة والسلام ما أحلت
الغنائم لأحد سود الرؤوس غيركم حيث وصف بالجمع وإما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد
وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره أي بين
أحد منهم وبين غيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالماً أبو حجر إلا ليال قلائل أي
بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحاً على تحقق عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين من عداه
كائناً من كان ما ليس في أن يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في آمنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون
أي مخلصون له عطف على آمنا فإن آمنوا الفاء للترتيب ما بعدها على ما قبلها
فإن ما تقدم من إيمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لإيمان أهل الكتابين لما أنه مشتمل على ما هو مقبول
عندهم بمثل ما آمنتم به أي بما آمنتم به على الوجه الذي فصل على أن المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد
شاهد من بني إسرائيل على مثله أي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما آمنتم به وقراءة أبي بالذي آمنتم
به ويجوز أن يكون المثل مستعملاً إلى ربه محذوف أو على أن الفعل أجري مجرى اللازم
أي فإن آمنوا إيماناً مثل إيمانكم بما ذكر مفصلاً وأن لا يكون للملابسة أي
فإن آمنوا ملتبسين بمثل ما أنتم ملتبسون به أو فإن آمنوا إيماناً ملتبساً بمثل ما آمنتم إيماناً ملتبساً
به من الإذعان والإخلاص وعدم التفريق بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن ما صدقهم وصدر
عنهم من الشهادة والإذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه لا يتصور فيه التعدد
فقد اهتدوا إلى الحق وأصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق وأما ما قيل من أن المعنى فإن

تحرّوا

تحروا الإيمان بطريق يهدي إلى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فإن وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطريق
فيأباه أن مقام تعيين طريق الحق وإرشادهم إليه بعينه لا يلائم تجويز أن يكون له طريق آخر وراءه وإن
تولوا أي أعرضوا عن الإيمان على الوجه المذكور بأن أخلوا بشيء من ذلك كأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما
هو حينهم ودينهم فإنما هم في شقاق المشاقة والشقاق المخالفة والخلاف من الخلف
والمعاداة والعداوة من العدوة أي الجانب فإن أحد المخالفين يعرض عن الآخر صورة أو معنى ويوليه
خلفه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم أي هم مستقرون في خلاف عظيم
بعيد من الحق وهذا الوقوع إنما هو من احتمال الوفاق بسبب إيمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة جواب
الشرط كما هي على أن المراد مشاقتهم الحادثة بعد توليهم عن الإيمان جواب الشرط الأولى عما أوثرت
الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك وأما ما قيل فاعلم أنما هم في شقاق هذا
هو الذي يستدعيه فخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فإن آمنوا الخ من باب التعجيز
والتبكيت على منهاج قوله فأتوا بسورة من مثله والمعنى فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مماثلاً له في الصحة
والسداد فقد اهتدوا وإذ لا إمكان له فلا إمكان لاهتدائهم ولا ريب في أن مما لا يليق بجمل النظم الكريم
عليه وما في تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وأن ذلك يؤدي إلى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصرة والغلبة وضمان التأييد والإعزاز بالسين
الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل فسيكفيكهم الله أي سيكفيك شقاقهم فإن الكفاية لا تتعلق بالأعيان
بل بالأفعال وقد أنجز عز وجل وعده الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير وكون الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم مع أن الكفاية شاملة للكل لما أنه الأصل والعمدة في ذلك وللإيذان
بأن القيام بأمور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الأعداء من وظائف الرؤساء
فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عليه الصلاة والسلام أتم وأكمل وهو السميع العليم تذييل لما
سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى أنه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من إظهار الدين فيستجيب لك
ويوصلك إلى مرادك أو وعيد للكفرة أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون في قلوبهم مما لا خير فيه
وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق فإن وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله
الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الإيمان بما ذكر على الوجه
الذي فصل لكونه تطهيراً للمؤمنين من أوضار الكفر وحلية تزينهم بآثاره الجميلة ومتداخلاً في قلوبهم
كما أن شأن الصبغ بالنسبة إلى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم
في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويزعمون أنه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم وإضافتها إلى الله عز وجل
مع استناده فيما سلف إلى ضمير المتكلمين للتشريف والإيذان بأنها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد
بتحصيلها فهي أخص مصدر مؤكد لقوله تعالى آمنا داخل معه في حيز قولوا انتصب عنه انتصاب وعد الله
عما تقدم مما يدل عليه كأنه قيل صبغنا الله صبغته وقيل هي منصوبة بفعل الإغراء أي الزموا
صبغة الله وإنما وسطت بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان أن الإيمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة
إلى تسليته عليه الصلاة والسلام ومن أحسن من الله مبتدأ وخبر والاستفهام للإنكار والنفي
وقوله تعالى صبغة نصب على التمييز من أحسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته أحسن من
صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما أي لا صبغة أحسن من صبغته تعالى على معنى
أنها أحسن من كل صبغة حسبما أشير إليه في قوله تعالى ومن أظلم ممن منع الخ حيث كان مدار التفضيل
على تعميم الحسن الحقيقي والغرض للتبني على زعم الكفرة لم يكن من الحسن أن يكون في صبغة غيره تعالى حسن في

بالجملة والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج **ونحن له** اي لله الذي اولانا
تلك النعمة الجليلة **عابدون** شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل
وهو عطف على آمنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية لاشعار بدوام العبادة او على فعل
الاغراء بتقدير القول اي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فهو لقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة
حيث تجري مجرى التعليل للاغراء **قل اتحاجوننا** تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بحيث
لا يكون الكلام داخلا تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما انه المأمور بهذه الوظائف الخاصة به عليه الصلوة والسلام
وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا **في الله** في دينه وتدعون دين الحق هو
اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا **وهو ربنا وربكم** جملة حالية وكذلك ما عطف
عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اي مالك امرنا وامركم **ولنا
اعمالنا** اي الحسنة الموافقة لامره **ولكم اعمالكم** السيئة المخالفة لحكمه **ونحن له** تعالى **مخلصون**
في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فانى يكون لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة
بسببه ودعوة الناس اليه وكلمة ام في قوله تعالى **ام تقولون** اما معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا
داخلة في حيز الامر على معنى اي الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال
ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون **ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا او نصارى** فنحن بهم مقتدون فالمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما
او التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة
لا غير داخلة تحت الامر وبدءه من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه الصلوة والسلام
على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شان الله واصطفائه نبيا من العرب
دونكم بما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا
وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان
يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما
تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين بها بالمواظبة على الطاعة والتحلي
بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم
فمع عدم ملايمته لسياق النظم الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة فغير صحيح في نفسه
لان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في ان لا مدخل للصالح والسوء
منها لموافقة الدين المبني على البعثة وفي لغته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها
المتقدم على البعثة بمراتب **قل أانتم اعلم ام الله** اعادة الامر ليست لمجرد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار
عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما
لحق وقد ضرب عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم بما نحوا قبله من الافتراء على الانبياء عليهم الصلوة
والسلام كما في قوله عز وجل ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عز وجل
قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي فان تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قوليه
ليدل على تخلل ما بينهما كلاهما مما اصلحتهما تعلقا بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر في محله كانه
قيل في تكبيتهم فان الله يعلم وانتم لا تعلمون حيث ما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء معطوفون عليه
عليهم الصلوة والسلام اتباعهم في الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله عما يصفون **ومن اظلم**

انكار لان يكون احد اظلم **ممن كتم شهادة** ثابتة **عنده** كائنة **من الله** وهي شهادته تعالى له عليه الصلوة
والسلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلي آنفا فعنده صفة للشهادة وكذا من الله
جيء بهما للتعليل الانكار وتاكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من اقوى الدواعي الى
اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متاخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى
الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق
الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان
او لا احد اظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمها عدم اقامتها في مقام الحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل
الكتاب على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم
شهادة عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التورية والانجيل **وما الله بغافل عما تعملون** من فنون
السيئات فيدخل فيها كتمانهم بشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم الصلوة والسلام دخولا اوليا
اي هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة
فالضمير لمن كتم باعتبار المعنى او لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الى آخر الآية مسوق من جهته تعالى
لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد **تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا
تسئلون عما كانوا يعملون** تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم وقيل
الخطاب للسابق لهم وهذا لتحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وبالثانية اسلاف اليهود **سيقول السفهاء** اي الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن
التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف
ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هؤلاء اليهود على ما روي عن ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم
قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته عليه الصلوة والسلام لهم في القبلة
وقيل اهل النفاق وهو الانسب بقوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن
لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون وانما قالوه
كراهة للتحويل الى الكعبة بل طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن ملة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى ديننا
ايضا وقيل هم القاصدون في الطعن منهم جميعا ويكون قوله تعالى **من الناس** اي الكفرة لبيان ان ذلك القول
المحكي لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلاث بل عن اشقيائهم المعتادين للخوض في فنون الفساد
وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم
بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل وانتفاءهم اياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة المحكية
ما ولاهم اي اي شيء صرفهم وفي الاستفهام من الانكار والنفي **عن قبلتهم** القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من
المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي يجلس عليها الجالس يقال لا قبلة له ولا دبرة
اذا لم يهتد لجهة امره ثم غلبت على الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلوة والمراد بها هنا بيت المقدس
واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى **التي كانوا عليها** اي ثابتين مستمرين على التوجه اليها
ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتأكيد الانكار فان الاختصاص بالشيء والاستمرار عليه مما يعتبر حقيته
مما ينافي الانصراف عنه فان اريد بالقائلين اليهود افاد الانكار كراهتهم التحويل عنها وزعمهم انه خطأ فان
اريد بهم المشركون فمداره محض القصد الى الطعن في الدين والقدح في احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها
والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لا لكراهتهم عنها والتوجه الى الكعبة وتعليق الانكار بما ولاهم عنها
لا بما وجههم الى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان ترك الدين القديم ابعد من المعقول وانكار سببه ادخل

للديانات بأن المنكرين هم اليهود بناء على أن المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذي هو
القبلة الحقة عندهم لا التوجيه إلى خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه إلى
خصوصية قبلة أخرى أو هم المشركون بناء على أن المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن وكونه
لا التوجه إلى الكعبة لا تسلحهم فإنه يعترف في ذلك كيف والمنافقون من أحد الفريقين لا محالة والإخبار بذلك
قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما أخبر لتوطين النفوس وإعداد ما يبكتهم فإن مفاجأة المكروه
على النفس أشق وأشد والجواب العتيد لشغب الخصم الألد أرد وقوله عز وجل **قل لله المشرق والمغرب**
استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا أقول عند ذلك فقيل قل الخ أي له تعالى الناحيتان الأرض أي
الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة بحيث يمتنع ما عداها بل إنما هو
بأمر الله سبحانه ومشيئته **يهدي من يشاء** أي يهديه بمشيئته التابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها إلا
هو **إلى صراط مستقيم** موصل إلى سعادة الدارين وقد هدانا إلى ذلك حيث أمرنا بالتوجه إلى بيت المقدس تارة
وإلى الكعبة أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة لحكم أبيته ومصالح خفية **وكذلك جعلناكم**
توجيه الخطاب إلى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتأييد ما في مضمون الكلام من
التشريف وذلك إشارة إلى مصدر جعلناكم لا إلى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد
إلى المؤمنين لما أن المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد
للدلالة على علو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الأمور
المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر
محذوف وأصل التقدير جعلناكم أمة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت
الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له أي ذلك الجعل البديع جعلناكم **أمة وسطا**
لا جعلا آخر أدنى منه والوسط في الأصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال
المحمودة البشرية لكن لا لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعوار والأوساط محمية محوطة كما قيل والتشبث
عليه بقول ابن أوس الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفها الحوادث حتى أصبحت طرفا فإن تلك العلاقة
بمعزل من الاعتبار في هذا المقام إذ لا ملابسة بينها وبين أهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون
تلك الخصال أوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور
والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية
متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الأوساط المحفوفة بأطرافها ثم أطلق على المتصف بها مبالغة كأنه نفسها
وسوي فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الأصل كدأب سائر الأسماء التي يوصف بها وقد روعيت
هاهنا نكتة رائقة هي أن الجعل المشار إليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى إلى الحق الذي عبر عنه بالصراط
المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب فإنا إذا فرضنا خطوطا كثيرة
واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة
كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الأمة المهدية إليه أمة وسطا بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة أي
متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل **لتكونوا شهداء على الناس** بأن الله عز وجل قد
أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا وفيهم من تذكر وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فإن
العدالة كما أشير إليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة للثلاثة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة
التي هي فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار إليها بقوله عز
وعلا ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي

على الأحكام

على الأحكام الدينية لأحوال الأمم أجمعين جاريا لشهادة عليهم روي أن الأمم يوم القيامة
يجحدون تبليغ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو أعلم إقامة للحجة على المنكرين وزيادة
لخزيهم بأن تكذبهم من بعدهم من الأمم فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون وتقول الأمم
علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي صلى الله
عليه وسلم ويسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز وجل **ويكون الرسول**
عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على
الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص
شهادته عليه الصلاة والسلام **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها** رجوع إلى خطاب النبي صلى الله
عليه وسلم رمزا إلى أن مضمون الكلام من الأسرار الخفية التي يختص معرفتها به عليه الصلاة والسلام
وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل إذ المراد به التحويل والنقل من حالة إلى أخرى فالمتلبس
بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قوله تعالى جعلنا الطين خزفا فينبغي أن يكون المفعول الأول هو الموصول
والثاني هو القبلة كلام صائب ينساق إليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل الدقيق يهدي
إلى العكس فإن المقصود إفادة تحويل الجهة قبلة لا تحويلها عنه كما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة
لوجوه هذه الجهة دون غيرها فالمراد بالموصول هي الكعبة فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي إليها
أولا ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفا لليهود أو هي الصخرة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن
قبلته عليه الصلاة والسلام بمكة كانت بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه
الرواية لا يمكن أن يراد بالقبلة الأولى الكعبة وأما الصخرة فيتأتى إرادتها على الروايتين والمعنى
على الأول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها أولا بمكة وهي الكعبة وعلى الثاني وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة **إلا لنعلم** استثناء مفرغ من أعم العلل أي وما جعلنا ذلك لشيء
من الأشياء إلا لنمتحن الناس أي لنعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ **من يتبع الرسول** في
التوجه إلى ما أمر به من الدين والقبلة والالتفات إلى الغيبة مع إيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان
الرسالة للإشعار بعلة الاتباع **ممن ينقلب على عقبيه** يرتد عن دين الإسلام أو لا يتوجه إلى القبلة الجديدة
أو لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الأول ما رددناك إلى ما كنت
عليه إلا لنعلم الثابت على الإسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف إيمانه وقيل المراد بالعلم ما يدور
عليه مدار الجزاء من العلم الحالي أي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين وإسناده إليه سبحانه لما أنهم خواصه أو لتمييز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز
الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمجهول
من صيغة الغيبة والعلم إما بمعنى المعرفة أو معلق لما في من معنى الاستفهام أو مفعوله الثاني ممن ينقلب
أي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه **وإن كانت لكبيرة** أي شاقة ثقيلة وإن
هي المخففة من الثقيلة ضمير الشأن على ناسخ المبتدأ والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله
تعالى إن كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون أنها نافية واللام بمعنى إلا أي ما كانت إلا كبيرة والضمير
الذي هو اسم كانت راجع إلى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة أو من التولية
أو التحويلة أو الردة أو القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على أن كان مزيدة كما في قوله وإخوان لنا كانوا
كرام والتقدير لهي كبيرة كقوله إن زيدا لمنطلق **إلا على الذين هدى الله** أي إلى سر الأحكام الشرعية
المبنية على الحكم والمصالح إجمالا أو تفصيلا هم المهديون إلى الصراط المستقيم الثابتون على اتباع الرسول

القبلة

صلى الله عليه وسلم وما كان الله ليضيع إيمانكم أي ثباتكم على الإيمان
بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب العظيم وقيل إيمانكم بالقبلة المنسوخة وصلاتكم اليها لما روي انه عليه
الصلوة والسلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت
واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر لكان هو اي للضيعة وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة
اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع ايمانكم وفي توجيه النفي الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليس في
توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة الفعل بنفسها كما هو راي الكوفية ولا يقدح في ذلك
زيادتها كما لا يقدح زيادة حرف الجر في عملها قوله تعالى ان الله بالناس لرءوف رحيم تحقيق
وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم
والباء متعلقة برءوف وتقديمه على رحيم مع كونه ابلغ منه لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم
وقيل الرحمة اكثر من الرافة في الكمية والرافة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم صافية
عن الالام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد تكون مع الالم كقطع العضو المتاكل وقرئ رؤف بحذف مد
كندس قد نرى تقلب وجهك في السماء اي تردده وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم
وادعى للعرب الى الايمان بمخبتهم ومطافهم ومخالفة اليهود وكان يراعي نزول جبريل عليه الصلوة
والسلام بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهي في الحقيقة
داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اي فوالله لنولينك فلنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك
وليته كذا اي صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها او فلنحولنك على ان نصب قبلة بحذف الجار وقيل
هو متعد الى مفعولين ترضاها تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينية توافق مشيئته تعالى وحكمته
فول وجهك الفاء لتفريع الامر بالتولية على وعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار
التوجه ومعياره وقيل المراد كل البدن اي فاصرفه شطر المسجد الحرام اي نحوه وهو نصب على الظرف
من قولك او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان لول وقيل الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشيء
ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالشطر والحرام المحرم
اي محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية
مراعاة الجهة لان في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما لا تخلو عن الغريب روي عن البراء بن عازب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة
وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني
سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان
النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين
مع التعرض لجميع اماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكلية العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة على
المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها فتكون هي منصوبة على الظرفية
بكنتم نحو قوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب من فريقي اليهود والنصارى
ليعلمون انه اي التحويل او التوجه المفهوم من التولية الحق لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى
جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة ومعاينتهم لما هو مسطور في كتبهم من انه صلى الله عليه وسلم
يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول باتيان الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد

مسد مفعولي

مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم
متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض
صلته اي الحق الكائن من ربهم وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين فالخطاب للكل تغليبا وقرئ
على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب فيه وضع الموصول موضع المضمر
للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما ينزع عنه من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في
قوله بكل آية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا
قبلتك جواب القسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما
خالفوك مكابرة وعنادا وتحريك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تفهيمه الكرمة بما اتى الى الحاجة
والاتيان بالاية من الوظائف الخاصة به عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم
جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة على قطع اطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود
لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له عليه الصلوة والسلام وطمعا
في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم
مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق وليلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد
وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة
والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه
ولئن اتبعت اهواءهم الاتية المخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية
ما انت عليه وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اي
ولئن اتبعت اهواءهم فرضا انك اذا لمن الظالمين وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة
الهوى فان ليس من شانه ذلك اذا نهي عنه وترتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الظالمين
في النظم كما ظن من لم يكن كذلك واذن حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما
من النسبة اذ كان حقها ان تتقدم او تتاخر فلم تتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة التي بين الشرط
وجوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم ولم تتاخر لرعاية الفواصل وقد بولغ في التاكيد من وجوه
تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب من الانبياء
عليهم الصلوة والسلام الذين اتيناهم الكتاب اي علماؤهم اذ هم العمدة في اتيانه ووضع الموصول موضع
المضمر قد يلاحظ للاشعار بعليته ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه
للرسول صلى الله عليه وسلم والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عليه الصلوة والسلام
من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها انه عليه
الصلوة والسلام يصلي الى القبلتين كانه قيل الذين اتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر
جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه عليه الصلوة والسلام وانه علم
معلوم بغير اعلام وفيه ما فيه وقيل الضمير للعلم اي سببه الذي هو الوحي او القران او التحويل ويرده الاول
قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه عليه الصلوة والسلام باوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم
لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم
منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل
والدته خانت فقبل عمر راسه رضي الله عنهما وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا

وعاندوا الحق والباقون هم الذين آمنوا منهم فإنهم يظهرون الحق ولا يكتمونه سواء الجهلة منهم فليس لهم
معرفة بالكتاب ولا إيمان في نفس عرفانه فإنهم بصدد الإظهار ولا يتصدون للكتم وأما أكثرهم فعلى وجه التقليد
بالوقوف على الحق ... وقوله تعالى **الحق من ربك** خبر والألف واللام للعهد والإشارة إلى ما عليه النبي صلى
الله عليه وسلم أو إلى الحق الذي يكتمونه أو للجنس والمعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله تعالى كالذي أنت عليه
لا غيره كالذي عليه أهل الكتاب أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق وقوله تعالى من ربك إما حال أو
خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على أنه بدل من الأول أو مفعول يعلمون وفي التعرض لعنوان الربوبية مع
الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام من إظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى **فلا
تكونن من الممترين** أي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به وقيل في أنه من ربك وليس المراد به نهي
الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لأنه غير متوقع منه عليه الصلاة والسلام وليس بقصد
واختيار بل إنما هو لتحقيق الأمر وأنه بحيث لا يشك فيه ناظر أو أمر الأمة باكتساب المعارف المزيحة للشك
على الوجه الأبلغ **ولكل** أي لكل أمة من الأمم على أن التنوين عوض من المضاف إليه **وجهة** أي قبلة
وقد قرئ كذلك أو لكل قوم من المسلمين جهة من جوانب الكعبة **هو موليها** أحد المفعولين محذوف
أي موليها وجهه أو الله موليها إياه وقرئ ولكل وجهة بالإضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها
أهلها واللام مزيدة للتأكيد وجبر ضعف العامل وقرئ مولاها أي هو مولى تلك الجهة قد وليها
فاستبقوا الخيرات أي تسابقوا إليها بنزع الجار كما في قوله ... سواكم
فإنه يهتدي ... فهو أبلغ من الأمر بالمسارعة لما فيه من الحث على إحراز قصب السبق والمراد
بالخيرات جميع أنواعها من أمر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين أو الفاضلة من الجهات وهي
المسامتة للكعبة **أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا** أي في أي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الأجزاء
ومتفرقها يحشركم الله تعالى إلى المحشر للجزاء أو أينما تكونوا من أعماق الأرض وقلل الجبال يقبض أرواحكم أو أينما
تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلاتكم كأنها إلى جهة واحدة **إن الله على كل شيء قدير**
فيقدر على الإماتة والإحياء والجمع وهو تعليل للحكم السابق **ومن حيث خرجت** تأكيد لحكم التحويل
وتصريح بعدم تفاوت الأمر في حالتي السفر والحضر ومن متعلق بقوله تعالى **فول** أو بمحذوف عطف هو
عليه أي من أي مكان خرجت إليه ... فول **وجهك** عند صلاتك **شطر المسجد الحرام** أو الفعل اللازم
به أي من أي مكان خرجت ... على ما ذكر **وإنه** أي هذا الأمر **للحق من ربك** أي الثابت الموافق للحكمة **وما
الله بغافل عما تعملون** فيجازيكم بذلك أحسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء على صيغة الغيبة
فهو وعيد للكافرين **ومن حيث خرجت** إليه في أسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة
فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر آنفا **وحيثما كنتم** من أقطار الأرض مقيمين أو مسافرين
حسبما يعرب عنه ما تشاركتم على خروجكم فإن الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين في الآفاق من الحاضرين
والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لتناول الخطاب المقيمين في الأماكن المختلفة من حيث إقامتهم
فيها **فولوا وجوهكم شطره** والتكرير لما أن القبلة لها شأن خطير والنسخ من مظان الشبهة
والفتنة فيجب المؤكد أن يؤكد أمرها مرة بعد أخرى مع أنه قد ذكر في كل مرة حكم مستقل **لئلا يكون للناس
عليكم حجة** متعلق بقوله تعالى فولوا أو بفعل محذوف يدل عليه الكلام كأنه قيل فعلنا ذلك لئلا إلى آخره
والمعنى أن التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة من أوصافه أنه يحول إلى الكعبة واحتجاج
المشركين بأنه يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته **إلا الذين ظلموا منهم** وهم أهل مكة أي لئلا يكون لأحد من الناس
حجة إلا المعاندين منهم الذين يقولون ما تحول إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحبا للبلد أو بدا له فرجع إلى

قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع أنها محض الافتراء ... وقيل من قبيل
ما في قوله ... تسمية كانوا يسوقونها مساق الحجة يبقى مطابق الاحتجاج وقيل
الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا كالذي في قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب ضرورة أن لا حجة للظالم وقرئ ألا الذين بحرف التنبيه على أنه استئناف **فلا تخشوهم**
فإن مطاعنهم لا تضركم شيئا **واخشوني** فلا تخالفوا أمري **ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون**
علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم أي وأمرتكم بما أمرتكم لإتمامي النعمة عليكم بما أنعمت تجلية
ولإرادتي اهتداءكم إلى صراط مستقيم موصل إلى سعادة الدارين كما أشير إليه في قوله عز وجل
يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وفي التعبير عن الإرادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة
الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية به ما لا يخفى أو عطف على علة مقدرة أي واخشوني لأحفظكم
عنهم ولأتم إلى آخره أو على قوله تعالى لئلا يكون إلى آخره وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم إلى آخره بينهما
للمسارعة إلى التسلية والتنبيه وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام
النعمة الموت على الإسلام **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم** متصل بما قبله والظرف الأول متعلق بالفعل
قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمحذوف صفة لرسولا مبينة لتمام
النعمة أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة إتماما كائنا كإتمامي لها بإرسال رسول كائن منكم
فإن إرسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافئها نعمة قط وقيل متصل بما بعده أي كما ذكرتكم
بالإرسال فاذكروني إلى آخره وإيثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد تفنن في الافتنان وجريان على
سنن الكبرياء **يتلو عليكم آياتنا** صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة **ويزكيكم** عطف على يتلو
أي يحملكم على ما تصيرون به أزكياء **ويعلمكم الكتاب والحكمة** صفة أخرى مترتبة في الوجود على التلاوة
وإنما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها
بحسب القوة النظرية الحاصلة بالتعليم المترتب على التلاوة للإيذان بأن كل واحد من الأمور المترتبة نعمة جليلة
على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة وهو السر في التعبير
في قصة البقرة ... عن ... بالإباء ... الحكمة ...
عنوان نعمة على حدة ... في ... الشرائع وقوله عز وجل
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح في ذلك ... مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف
تعليمه على تعليمها وما ذاك إلا لتفرد ... بتمام تفصيلها كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ
عقيب قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم أنه ليس من شأنهم أن
يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي **فاذكروني** الفاء للدلالة على ترتب
الأمر على ما قبله من موجباته أي فاذكروني بالطاعة **أذكركم** بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الإشعار
بما يوجبه **واشكروا لي** ما أنعمت به عليكم **ولا تكفرون** بجحدها وعصيان ما أمرتكم به **يا أيها الذين آمنوا**
وصفهم بالإيمان إثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الأمر **استعينوا**
في كل ما نابكم وما تريدون **بالصبر** على الأمور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقاساتهم
المؤدية إلى مقاتلتهم **والصلاة** التي هي أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين **إن الله
مع الصابرين** تعليل للأمر بالاستعانة بالصبر خاصة لما أنه المحتاج إلى التعليل وأما الصلاة فحيث
كانت عند المؤمنين أجل المطالب ... قوله عليه الصلاة والسلام جعلت قرة عيني في الصلاة

ثم شفع الأمر بالاستعانة بها بالتعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة وإجابة
الدعوة ومجيء مع الصابرين لما أنهما أساس الصلاة حقيقة فهم معهم من تلك الحيثية ولا تقولوا
عطف على استعينوا الخ مسوق لبيان أن لا غائلة للأمور بهما وأن الشهادة التي ربما يؤدي إليها الصبر
حيوة أبدية لمن يقتل في سبيل الله أموات أي هم أموات بل أحياء أي بل هم أحياء ولكن لا تشعرون
بحياتهم وفيه رمز إلى أنها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية وإنما هي أمر روحاني
لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رحمه الله أن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم
فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل إليهم الألم والوجع قلت
رأيت في المنام سنة تسع وثلاثين وتسعمائة أني أزور قبور شهداء أحد رضي الله عنهم وأنا أتلو هذه الآية
وما في سورة آل عمران وأرددهما متفكرا في أمرهم وفي نفسي أن حيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما
أنا على ذلك إذ رأيت شابا قاعدا في قبره تلقاء وجهه كامل الخلقة في أحسن ما يكون من الهيئة والمنظر
ليس عليه شيء من اللباس قد غيب منه ما فوق السرة كالباقي في القبر حلاء إلى أن علمت يقينا أن ذلك تعليما
لما ظهر وأنما الأبيض لكونه عورة فنظرت إلى وجهه فنظر إلي متبسما كأنه ينبهني
على أن الأمر بخلاف ما رأيت فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الآية نزلت في شهداء
بدر وكانوا أربعة عشر وفيها دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به
من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين
وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك لما ينسد عنه مقام التحريض
على مباشرة مبادي الشهادة ولاختصاصهم بمزيد القرب من الله عز وجل ولنبلونكم لنصيبنكم
إصابة من يختبر لحوالكم أتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع
أي بقليل من ذلك فإن ما وقاهم عنه أكثر بالنسبة إلى ما أصابهم بالقهرة وقليلا ما يصيبه فيه
معاندتهم وإنما أخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم
حسبما أخبر به وليعلموا أنه شيء يستأهل عاقبة حميدة ونقص من الأموال والأنفس والثمرات
عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان
والنقص من الأموال الزكوة والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد وعن
النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين
إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون الخطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الإنسان من مكروه لقوله عليه
الصلوة والسلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل
بالقلب بأن يتصور ما خلق له وأنه راجع إلى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى أن ما أبقى عليه أضعاف
ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده أولئك
إشارة إلى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للدلالة بعلو رتبتهم
عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه
على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رأفة ورحمة ورؤف رحيم
والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لإظهار مزيد العناية بهم أي

أولئك

أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرأفة الفائضة من مالك أمورهم
ومبلغهم إلى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة
جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وأولئك إشارة إليهم أيضا
بالاعتبار السابق والتكرير لإظهار كمال الاعتناء بهم وإما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوة
والرحمة المترتبة على الاعتبار الأول فعلى الأول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون
هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا والاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة
لما أنه متقدم عليهما فلا بد من جعله عبارة عما ينتجهما من الاهتداء بوجه ليس ظاهرا في الجملة
لعنوان مقرر لمضمون ما قبلها كأنه قيل وأولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك
استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى
أولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فإن من نال رأفة الله تعالى ورحمته لم يفته
مطلب إن الصفا والمروة علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم من شعائر الله من
أعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت أو اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار
الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الأعيان
وحيث أظهر البيت وجب تجريد عن التعلق به فلا جناح عليه أن يطوف بهما أي في أن يطوف بهما أصل يطوف
يتطوف قلبت التاء طاء وأدغمت في الطاء وفي إيراد صيغة التفعل إيذان بأن من حق الطائف أن يتكلف في الطواف
ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعند مالك والشافعي ركن وأيا ما كان فالتعبير عنه بنفي الجناح المشعر
بالتخيير إنما أنه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له إساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا
إذا سعوا بينهما مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسر الأصنام تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك فنزلت
وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ألا يطوف بهما ومن تطوع خيرا أي
فعل طاعة فرضا كان أو نفلا أو زاد على ما فرض عليه من حج أو عمرة أو طواف وخيرا حينئذ نصب على
أنه صفة لمصدر محذوف أي تطوعا خيرا أو على حذف الجار وإيصال الفعل إليه أو على تضمين معنى فعل
وقرئ يطوع وأصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يتطوع بخير فإن الله شاكر أي مجاز على
الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الإحسان إلى العباد عليم مبالغة في العلم بالأشياء فيعلم
مقادير أعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من أجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كأنه قيل ومن
تطوع خيرا جازاه الله تعالى إن الله شاكر عليم إن الذين يكتمون قيل نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا
ما في التوراة من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الأحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة
والحسن والسدي والربيع والأصم أنها نزلت في أهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم
شيئا من الأحكام الدينية لعموم الحكم للكل والأقرب هو الأول فإن عموم الحكم لا يأباه خصوص السبب والكتم
ترك إظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة إليه وتحقق الداعي إلى إظهاره وذلك قد يكون بمجرد
ستره وإخفائه وقد يكون بإزالته ووضع شيء آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما أنزلنا
من البينات الواضحة الدالة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى أي والآيات الهادية إلى كنه
أمره ووجوب اتباعه والإيمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للأصل وهي المرادة بالبينات
أيضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات من الهدى وقيل المراد بالهدى
الأدلة العقلية ويأباه الإنزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون وللناس أي للكل
لا للكاتمين فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى في الكتاب فإن تعلق جارين بفعل

ولجد عند اختلاف للمبين ما الاريب في جوازه او الاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي
كائنا في الكتاب فتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون فيه شبهة
وهذا عنوان مغاير لكونه بيّنا في نفسه وهدى مؤكد لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه الصلوة
والسلام والاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بالكتاب التورية ووضع غيره في موضعه فانهم محوا
نعت عليه الصلوة والسلام وكتموا ما نعتوا به الفة ما ذكرنا في تفسير قوله عز وعلا فويل للذين
يكتبون الكتاب بايديهم اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم
وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الفساد يلعنهم الله اي يطردهم
ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة
وادخال الروعة والاسناد باعتبار مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال الغالبة
لما هو مبدأ الانزال والتبيين من صفة الجمال والرحمة ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن
اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين والجمع بين دوام اللعن واستمراره وعليه
يدور الاستثناء المتصل بقوله تعالى الا الذين تابوا اي عن الكتمان واصلحوا اي ما افسدوا بان ازالوا
الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا ما بينه في تعين الاصلاح
المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا وآخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق
الضلال الذي كانوا اوقعوهم فيه او ليمحوا عن انفسهم بتوبتهم سمة ما كانوا فيه ويقتدي بهم اضرابهم
وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها
لم يصرح بالايمان وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه
بعليته للحكم والفاء لتاكيد ذلك اتوب عليهم اي بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله وانا
التواب الرحيم اي المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات
الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدأ في فعليه
السابق واللاحق ان الذين كفروا جملة مستأنفة سيقت لبيان بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتاكيد
دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة
من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه من ان وجود تلك الامور
الثلاثة للتعيان ملزم لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اي ان الذين استمروا
على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالهم لا اولى اولئك
الكلام فيه كما فيما قبل عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين اي مستقر عليهم ممن يعتد
بلعنتهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي وقيل الاول لعنتهم احياء وهذا
لعنتهم اموات وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله تعالى لانه فاعل في المعنى كقولك
اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد ان ضرب زيد وعمرو او كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة الخ
وقيل هو فاعل لفعل مقدر اي وتلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار على انها اضمرت
من غير ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما استئناف لبيان كثرة عذابهم من حيث
الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من الضمير في عليهم
طريقة الترادف ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة
دوام النفي واستمراره اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة
والهكم خطاب عام لكافة الناس اي المستحق منكم للعبادة اله واحد اي فرد في الالوهية لا صحة لتسمية

غيره لها اصلا لا اله الا هو خبر ثان للمبتدأ او صفة اخرى للخبر او اعتراض وايا ما كان فهو مقرر للوحدانية
ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبران آخران للمبتدأ
او لمبتدأ محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى حيث كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها جليلها
ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع اليه من نعمة لا يستحق شيئا
بل بغيره وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلثمائة
وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت ان في
خلق السموات والارض اي في ابداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز
عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقائق دون الارض واختلاف
الليل والنهار اعتقابهما وكون كل منهما خلفة للآخر كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او تفاوت
كل منهما في نفسه بالزيادة والنقصان على ما قدره الله تعالى والفلك التي تجري في البحر عطف على ما قبله
فتانيثه اما باعتبار السفينة او باعتبار معنى الجمع فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير اذ الاولى كـ
في ضمة والثاني كما في فعل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس اي بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من
انواع المنافع او بنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك وتاخيره عن ذكرها مع كونه
اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك
بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم ذكرها على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في
غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية وايا ما كان فتأخيرها لما مر
مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو فاحيا به الارض بانواع النبات
والازهار وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها
كما يؤذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء وبث فيها اي فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم
والجملة معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيا الخ متصل بالمعطوف
عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها الخ او على احيا بحذف
الجار والمجرور العائد الى الموصول وان لم يتحقق الشرط المعهود كما في قوله وان لساني شهدة يشتفى
بها وهو على من صبه الله علقم وقوله لعل الذي اصعدتني ان يردني الى الارض ان لم يقدر
الخير قاتلي على معنى فاحيا بالماء الارض وبث فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا
وتصريف الرياح عطف على ما قبله في تقليبها من مهب الى آخر ومن حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف
على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السماء والارض
صفة السحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا ومعنى تسخيره
تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى ولعل تاخير تصريف الرياح وتسخير
السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي لما مر في قصة البقرة من الاشعار
باستقلال كل من الامور المعدودة في كونها آية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب
بعضه على بعض آية واحدة لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا
اي آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص
الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض
بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم آية تصدقه في قوله تعالى والهكم اله واحد
وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا فمن تأمل في تلك الآيات وجد كلا منها ناطقا بوجوده تعالى

ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها عن سائرها
فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة [illegible]
بعينه واحكام مخصوصة من غير ان تقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط معين مستتبع
لآثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان تقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط معين
مستتبع لحكم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه
مشيئته متعاليا عن معارضة الغير اذ لو كان معه اله آخر يقدر على ما يقدر عليه لزم اما اجتماع
المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدي الى فساد العالم ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله﴾ بيان لكمال
ركاكة آراء المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاذعان
بها القاضية باستحالة ان يشاركه شيء من الموجودات سبحانه في صفة من صفاته الكمال فضلا عن ان يشاركه
في صفة الالوهية والكلام في اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
الآخر الخ ومن دون الله متعلق بيتخذ اي من الناس من يتخذ من دون الله لا الاله الواحد الذي ذكرت
شؤونه الجليلة وايثار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات وتعينه بالصفات ﴿أندادا﴾ اي امثالا
وهي رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون لا سيما في الاوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سيأتي
من وصفهم بالتبري من المتبعين وقيل هي الاصنام ولا يلائمه رجع ضمير العقلاء اليها في قوله عز وجل ﴿يحبونهم﴾
مبني على انهم ابطال في شأنها من وصفهم بما لا يوصف الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب
استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها والفعل منه حب على حد
لكن الاستعمال المستفيض على احب محبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه
ومحبة العبد له سبحانه وتعالى ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه
فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب على انها صفة لانداد او حال من فاعل
يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها ﴿كحب الله﴾ مصدر تشبيهي اي حبا
[illegible] الفعل السابق ومن قضية كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد
فاعلهما فانهم كانوا يحبون الله تعالى ايضا ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحب الله
اي يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون
فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في اصل الحب لا في وصفه
كما او كيفا لما سيأتي من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول اي كما يحب الله تعالى
ويعظم وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وانت خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم
لانداده وبين محبوبيته تعالى فالمصحح ما استشهد في تفسيره على قائل كما سيأتي
[illegible] الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة كمال قبح ما ارتكبوه
﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ جملة مبتدأة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه
حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اي المؤمنون اشد حبا له تعالى منهم لانداده [illegible]
اولئك له تعالى اشد من حب هؤلاء لانداده وفيه من الدلالة على كون محبتهم من المبني للمفعول
مما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لان الفصيح بيان انقطاعها وانقلابها [illegible]
لها بغضا في حبهم لانداده لكونه منوطا باغراض فاسدة ومبان موهومة تزول بادنى [illegible] ولذلك
كانوا يعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما ايا ما فاذا وجدوا احسن
دفعوا اليه وقد اكلت باهلة الهتهم لعام المجاعة وكانت من حيس وانت خبير بان مدار التفاضل

الخلاد لحجهم بها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعها في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال
ومعاينة الاحوال [illegible]
[illegible]

لا يوصف من الصولة والفظاعة وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول وان الله شديد العذاب على
الاستئناف واضمار القول ﴿اذ تبرأ الذين اتبعوا﴾ بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ الرؤساء ﴿من الذين اتبعوا﴾
من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال
واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابليس لعنه الله اني كفرت بما اشركتمون من قبل وقرئ
بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل ﴿ورأوا العذاب﴾ حالية وقد مضمرة
وقيل عاطفة على تبرأ والضمير للكل اي الاتباع والمتبوعين جميعا ﴿وتقطعت بهم الاسباب﴾ اي الوصل التي كانت
بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الدين الزائغ والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب
الحبل الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة
التبري وقد جوز عطفها على الجملة الحالية ﴿وقال الذين اتبعوا﴾ حين عاينوا تبرؤ الرؤساء منهم
وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا ﴿لو ان لنا كرة﴾ اي ليت لنا رجعة الى الدنيا ﴿فنتبرأ
منهم﴾ هناك ﴿كما تبرؤوا منا﴾ اليوم ﴿كذلك﴾ اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شيء آخر مما
سبق وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو درجة المشار اليه وبعد منزلته في كمال الفظاعة
وانتظامه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحم لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحل
النصب على المصدرية اي ذلك الاراء الفظيع ﴿يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم﴾ اي ندامات شديدة
فان الحسرة شدة الندم والكمد وهو تألم القلب وانحساره [illegible]
[illegible] حال [illegible]
حسرات عليهم فلا يرون [illegible] ﴿وما هم بخارجين من النار﴾ كلام مستأنف
[illegible]
[illegible]
بمقابلتها ﴿يا ايها الناس كلوا مما في الارض﴾ [illegible]
[illegible] قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف وبني
عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والانعام [illegible]
والوصيلة والحام وقوله تعالى ﴿حلالا﴾ حال من الموصول [illegible]

اي من انبتكم اياه وقد يجوز كونه صفة لمصدر محذوف اي اكلا حلالا او من الاولين في لفظ الحلال طيبا
فانه صفة له ووصف للاكل بغير مستلذ وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم رفيع
الاطعمة والملابس ورية وقوله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا به في اتباع
الهوى فانه صريح في ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم الحلال على انفسهم من باب اتباع خطوات
الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى واما الذين يرفعونها في سورة المائدة من قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآيات وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما لغتان
في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو
على انها جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي اي ظاهر العداوة عند ذوي
البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم
بالسوء والفحشاء استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته
معهم في ذلك والسوء في الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي
سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراكها في انها تسوء صاحبها والفحشاء اقبح انواعها
واعظمها مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على الله بانه
حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون
وقوعه منه تعالى ولا يتقولون عليه ما يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر
فان التحذير من الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه وآكده
وللايذان بان العاقل يجب عليه ان لا يقول على الله ما لم يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن تقوله
عليه ما يعلم عدم وقوعه منه تعالى وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما
ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله التفات الى الغيبة للتنبيه على كمال ضلالهم وانهم احقاء بتعداد ما ذكر من جناياتهم
لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم على نهج المباينة اي اذا قيل
لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه
آباءنا اي وجدناهم عليه على انها ظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من آباءنا فالفينا متعد الى واحد
واما علينا فانه مفعول ثان له مقدما على الاول نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى
من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد وقيل الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم للنداء على
الطباق ونحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا
منا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام وقوله عز وجل اولو كان
آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استئناف مسوق من جهته تعالى ردا لمقالتهم الحمقاء وابطالا
لما ادعوا من آرائهم واظهار لكمال الواقع واستقباحه والتعجب منه لا لانكار الوقوع كالتي في قوله تعالى
كما هي مجملة في امثال هذا المقام لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه
فلا يلاحظ بها حكم في حيز فيها بل لاستقبال هاهنا مثل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام
السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب والمنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له
على الاجمال ادخلها على ابعدها منه واشدها منافاة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او
انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء يتحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق

مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها
المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند التفصيل وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال
وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا
بخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقاء المعنى على حاله
واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد لان الكلمة في الصورة
المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وانما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله
فان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وانما في حيز النفي او على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا فلا
ما نحن فيه لما ان كلمة لو متصلة بفعل مقدر يقتضيه المذكور وانما يقصد بيان تحققه على كل
حال مدلوله لا مدلول المذكور حيث هو مدلول فان الجملة حال مما يتعلق به لا فيما يتعلق بالمذكور من
حيث هو متعلق وان المقصود الاصلي الحال مدلول لبعض الاحوال المقارنة للحالة المذكورة واما
تقدير مقدمة لعبرها فاللو ثبت الدالة فلما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل لا يقصد
الاستبعاد بانه امر محقق لا ريب فيه بل نوع يخرج الاستبعاد منه مع المخاطبين على معتقدهم
لتلك بلبسوا بالتصحيح بنسبة آبائهم الى كمال الجهل بالحق والضلال عن جادة الرشد في كونهم متبعين بالفساد
في الحال من جهلهم ان اتباعهم لآبائهم حيث كان منكر مستقبح عند احتمال كون آبائهم كما ذكر احتمالا
بعيدا فان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير ايتبعونهم لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون
شيئا من الدين ولا يهتدون الى الصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من آبائهم
على طريقة قوله تعالى اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل ايتبعون آباءهم حال كونهم غافلين
وجاهلين ضالين وكان لا افادة كلامهم من اتباع آبائهم على اي حال كانت في الحالتين غير انه التفى
بذكر الحالة الثانية تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضائها الحالة الاولى اقتضاء
بينا فان اتباعهم الذي تلقوهم من ذلك حين تحقق كون آبائهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع
كونهم غافلين مهتدين اولى قلت لا تحار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي عند الحالة
المسكوت عنها النفي وعدم الفعل وعدم الاعتدال الافضل فكان ينبغي ان يكون لا اولى بالتحقق فيما نحن فيه
عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون آبائهم عاقلين ومهتدين لما ان الاتباع لا انما هو الذي
يدل عليه تلبيسهم الحق فلو اختلف الحال بينهما قلت لما لا امتناط الاولوية بالحكم الذي اريد بيان تحققه
على كل حال فمعلوم ان النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس
الاتباع المستفاد من الفعل المقدر فهو الذي يقتضيه من حيث السياق نفي فهو بل تتبع الحق
واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباحه لا انه من تمامه كما في صورة
النفي فكان الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه غير الله صريح النفي كما سيأتي في
تحقيقه في قوله تعالى او لو كنا كارهين وقيل الواو للحالية ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى
العطف في سائر اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التشبيه
وفيها مضاف قد حذف لما لا يستقل عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر
السابقة لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلية ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك الكفار
في حالة الحقيقة لغرابتها ان تسمى مثلا وتوصف بالاشاق في ذكر من دعوتهم آباءهم الى اتباع الحق وعدم
يقينهم اليه بانسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة
الداعي الا الدعاء من غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقي عليهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء

وينعق من البهائم فإنها لا تسمع إلا الصوت الداعي وهتفه بها من غير فهم لكلامه أصلا وقيل إنما
حذف المضاف من الموصول الثاني إذ لا دلالة ما عليه مقابلتها عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة
بل هو بدل للتمثيل بعقل الذين كفروا فيما ذكر أن آبائهم فيما هو فيه وعدم التدبر فيما ألقي إليهم
من الآيات بمثل البهائم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه إلا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل
المراد تمثيلهم في دعائهم الأصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا يغني عن
الإضمار لكن لا يساعده قوله إلا دعاء ونداء فإن الأصنام بمعزل عن ذلك وقد عرفت أن حسن التمثيل
فيما اشتابه في أحد الطرفين بالرفع على الذم أي هم **صم بكم عمي فهم لا يعقلون**
شيئا لأن طريق التعقل على التدبر في مبادئ الأمور المعقولة والتأمل في ترتيبها وذلك المحصل
باستماع آيات الله ومشاهدة تحجي إلى الصحة والنطق وقضية مع من يأخذ منه العلوم فإذا كانوا صما
بكما عميا فقد انسد عليهم أبواب التعقل وطرق الفهم بالكلية **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات**
ما رزقناكم أي من مستلذاته **واشكروا لله** الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة
إن كنتم إياه تعبدون فإن عبادته تعالى لا تتم إلا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل إني والإنس والجن في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري **إنما**
حرم عليكم الميتة أي أكلها والانتفاع بها وهي التي تموت على غير ذكاة والسمك والجراد
خارجان عنها بالعرف واستثناء الشرع خروج الطحال من الدم **والدم ولحم الخنزير** أي المخصص
لحم مع أن سائر أجزائه أيضا في حكمه لأنه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه بمنزلة التابع له
وما أهل به لغير الله أي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والإهلال أصله رؤية الهلال
لكن تلك جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي ذلك إهلالا ثم قيل لرفع الصوت ولكل ما رفع
فمن اضطر غير باغ ولا عاد بالاستثناء على مضطر آخر ولا عاد متعد للرخصة وقيل
غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي
وقول أحمد رحمهما الله **فلا إثم عليه** في تناوله **إن الله غفور رحيم** بالرخصة
إن قيل الكلمة إنما لقيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة علينا
ذكر مما استحلوه لا مطلقا أو قصر حرمته على حالة الاختيار كأنه قيل إنما حرم عليكم هذه
الأشياء ما لم تضطروا إليها **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب** المشتمل على فنون الأحكام
التي من جملتها أحكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر آنفا وقال ابن عباس رضي الله عنهما
نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم **ويشترون به** أي يأخذون
بدله **ثمنا قليلا** عوضا حقيرا وقد مر تفسير التعبير عن المأخوذ الذي هو وسيلة في عقود
المعاوضة ومنه قوله تعالى **أولئك** إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة
من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عن عداهم أكمل تمييز الجاعلين إياهم بحيث كأنهم حضار
مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشر
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **ما يأكلون في بطونهم إلا النار** والجملة خبر لأن أو الإشارة
مبتدأ ثان أو بدل من الأول والخبر ما يأكلون إلخ ومعنى أكلهم النار أنهم يأكلون في الحال ما يستتبع
النار ويستلزمها فكأنه عين النار وأكله أكلها كقوله أكلت دما إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى
القرط طيبة النشر أو يأكلون في المآل يوم القيامة عين النار عقوبة على أكلهم الرشا في الدنيا
وفي بطونهم متعلق بيأكلون وفائدته تأكيد الأكل وتقرير بيان مقدار المأكول وقيل معناه ملء بطونهم

كما يقال أكل في بطنه وأكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفّوا فلا بد من الانحاء
في تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقدمها على حرف الاستثناء لا تعلقه
بيأكلون يؤدي إلى قصر ما أكلوه إلى النار والمقصود قصر ما يأكلونه مطلقا عليها
ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن العقوبة العظيمة وتعريض بحرمانهم ما أتيح
للمؤمنين من فنون الكرامات السنية قوله تعالى **ولا يزكيهم** أي لا يثني عليهم مع ما ذكر
ولهم عذاب أليم مؤلم **أولئك** إشارة إليهما اشتراكهم بنظائرها بالاعتبار المذكور خاصة لا يتم بما يتلوه
من أحوالهم الفظيعة إذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد إثباته هنا فإن المقصود تصويرهم بأشرفه
من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا استعطاف إليها بل يفيد بيان حقيقة
ما أتيته وأظهار كنه ما يخدعه فإنك فظاعة شناعته وهو منتهى خبره للموصول الجليل أولئك
المشترون بعذاب الصحو وجاعلها قليلا خسيسا بعقبات الثمن وإن قل برهم **الذين اشتروا**
بالنسبة إلى الدنيا **الضلالة** التي ليس مما يمكن أن يشترى قطعا **بالهدى** ليس من قبيل ما يبذل
بمقابلة شيء وأن جل **والعذاب** أي اشتروا بأن نطق إلى الآخرة العذاب الذي لا يتوهم كونه مما يشترى
بالمغفرة التي يتنافس فيها المتنافسون **فما أصبرهم على النار** تعجيب من حالهم الهائلة
التي هم ملابسهم بما لا يمكن إنما يليها فاقطعا كأنه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة تفيد
معنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصيص كالتخصيص شر في شيء أهر ذا ناب خبرها بعدها
أي شيء عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها
أي أي شيء أصبرهم وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف أي الذي أصبرهم
على النار أي شيء أصبرهم على النار لمعجب فظيع **ذلك** العذاب **بأن الله نزل الكتاب** أي جنس
الكتاب **بالحق** أي ملتبسا بحق لكونهم رفضوه بالتكذيب والكتمان ويركب متن الجهل والغواية
مثل الجهل هذا لم يكن لهم العذاب **وإن الذين اختلفوا في الكتاب** أي في جنس الكتاب الإلهي بأن آمنوا ببعض
كتب الله تعالى وكفروا ببعضها أو في التوراة بأن آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالآيات المنبئة المشتملة
على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وما في القرآن الكريم بمعنى الاختلاف التخلف عن طريق الحق
أو الاختلاف في تأويلها أو في القرآن بأن قال بعضهم إنه سحر وبعضهم إنه شعر وبعضهم أساطير
كما يحكى عن المشركين **لفي شقاق بعيد** عن الحق والصواب مستوجب لأشد العذاب **ليس البر أن تولوا**
وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضي الخصال والخطاب لأهل الكتابين فإنهم كانوا
يخوضون في أمر القبلة حين حولت إلى الكعبة وكان لكل فريق يدعي خيرية التوجه إلى قبلته من
القطرين المذكورين فقد غلب المشرق والمغرب ملحوظ بما للملة النصرانية أما ملاحظة ما بينهما من
الترتيب المتفرع على ترتيب المشرق والمغرب وأما الابتداء بجهة إلى المغرب ليس لكونه معربا بل لكون
المقصود من النسبة بطريق وقوعا في جانب المغرب حيث أيضا ما ذكر من التوجه إلى القبلتين على
الترتيب المتقدم إلى ما أمرهما كما في قوله سكت على جملة الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول
وقوله التي عظمت المسألة وليس علينا في الخطوب معول وكذا الحير في الملائكة المصدر إذ الأول أعرف
من الثاني لأنه أشبه الضمير من حيث إنه لا يوصف به والمعرف بالاسمية ولأن في الاسم طولا فلو بقي
الترتيب المعهود لما تسنى تعاطي أطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على أنه اسمها وهو أقوى حسب المعنى لأن كل
فريق يدعي أن البر هذا فيجب أن يكون الرد موافقا لدعواهم وما ذاك إلا بكون البر اسما كما يفصح عنه جعل المحكي
عنه في الاستدراك بقوله عز وجل **ولكن البر من آمن بالله** وهو تحقيق الحق بعد بيان بطلان الباطل

وتفضيل لخصال البر بما لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها اي ولكن البر الذي يحق
ان يهتم بشانه ويجد في تحصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود
والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله تعالى الله **واليوم الآخر** اي على ما هو
عليه لا كما يزعمون من ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فيه
بان ايمان اهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق البر بهما من اول الامر
عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق والمغرب في الحقيقة **والملائكة** بانقياء الوحي وانزال الكتب **والكتاب**
جنس الكتاب الذي من افراده الفرقان الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي صلى
الله عليه وسلم واشترائهم بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا **والنبيين** جميعا من غير تفرقة بين
احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين حملة الوحي وبين النبيين ما مر
في قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله **وآتى المال على حبه** حال من الضمير في آتى والضمير
للمال اي آتاه كائنا على حب المال كما في قوله عليه الصلوة والسلام حين سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى
الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اي آتاه
كائنا على حبه تعالى لا لغرض نحو الشرى والفساد ففيه نوع تعريض بما فعله الرشى واخذها للتغيير
للتوراة وقيل للمصدر اي كائنا على حب الايتاء **ذوي القربى** مفعول اول لآتى قدم عليه مفعوله
الثاني اعني المال للاهتمام به او لان في الثاني مع ما عطف عليه طولا لو روعي الترتيب لفات
تجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثاني **واليتامى**
المحاويج منهم ما ابدا لعلية الحال وتقديم ذوي القربى عليهم لان ايتاءهم صدقة وصلة
والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الخلة اسكنته حيث لا حراك به او دائم السكون
الى الناس **وابن السبيل** اي المسافر سمي به لملازمته اياه كما يسمى القاطع ابن الطريق وقيل
الضيف **والسائلين** الذين الجأتهم الحاجة الى السؤال قال عليه الصلوة والسلام
اعطوا السائل ولو جاء على فرس **وفي الرقاب** اي في تخليصها بمعاونة المكاتبين حتى
يفكوا رقابهم وقيل في فك الاسارى وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها واياما كان فالعدول
عن ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم قرارهم في ملكهم فيما تري كما في الوجهين
الاولين او لعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الاخير واما للايذان برسوخهم في الاستحقاق والحاجة
لما ان في للظرفية المنبئة عن تمكنهم لا الوقتي **واقام الصلوة** اي المفروضة منها **وآتى الزكوة**
اي المفروضة على ان المراد بما مضى من ايتاء المال التنفل بالصدقات قدم على الفريضة مبالغة في الحث
عليه او المراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف والثاني لبيان وجوب الاداء **والموفون بعهدهم**
عطف على من آمن فانه في قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار
بالوفاء [illegible] فيما بين الناس وقوله
تعالى **اذا عاهدوا** [illegible] **والصابرين** نصب على الاختصاص
غير سبك على الاول تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله قال
ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح او الذم وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى
قطعا لان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه كما في قصيدة
السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفون **في البأساء** اي في الفقر والشدة **والضراء**

اي في المرض

اي في المرض والزمانة **وحين البأس** اي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة
الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه **اولئك** اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بالنعوت الجميلة المذكورة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من التنبيه على علو طبقتهم وسمو
رتبتهم **الذين صدقوا** اي في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم
الاهوال **واولئك هم المتقون** عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شأنهم
وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات
البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع تكثر فنونها وتشعب شؤونها منحصرة في خلال ثلاث
صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى بالايمان بما فصل
والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الخ ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق
نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه
يشير قوله عليه الصلوة والسلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان **يا ايها الذين آمنوا** شروع
في بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعد
التي عليها بني اساس المعاش والمعاد **كتب عليكم** اي فرض عليكم لكن عند مطالبة صاحب الحق
فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام والقاتلين **القصاص**
في القتلى اي بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار في هرة ربطتها
اي بسبب ربطها اياها **الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى** كان في الجاهلية بين حيين
من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى
فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباءوا وليس فيها دلالة
على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي ايضا الا ان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه
سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رأيت ان وجهه ههنا وانما يتمسك في ذلك بما روي عن علي
رضي الله عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
كانا لا يقتلان الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قص علينا من غير
دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة
وهي بالدين او بالدار وهما متساويان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص **فمن عفي له**
من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط
القصاص وهو الواقع ايضا في العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل
بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وجعل الشيء عفوا على
قول من قال ديار عفاها كل معاند وقوله عفاه كل حنان كثير الوبل هطال
فيحق لشيء صرف العبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور الى ما ليس بمعهود
في استعمال الناس فانهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا بما ذكر من قبل وعفا يتعدى بعن الى
الجاني والذنب قال الله تعالى عفى الله عنك وقال عفى الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت
لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له من جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وايراده بعنوان
الاخوة الثابتة بينهما لكونهما من بني آدم عليه الصلوة والسلام لتحريك سلسلة الرقة والعطف
عليه **فاتباع بالمعروف** فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي بان يطالب
الدية بالمعروف من غير تعنيف وقوله عز وجل **واداء اليه باحسان** حث المعفو عنه على ان

يؤديها بالاحسان من غير مماطلة وبخس ذلك اي ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما
فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى
العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بين الثلاث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن
اعتدى بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد العفو واخذ
الدية فله عذاب اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما في الآخرة فبالنار
ولكم في القصاص حياة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال غايته حيث جعل الشيء
محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحياة عظيما لا يبلغه الوصف
وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل
والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم
وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحياة هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه
في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة والظرفان اما خبران لحياة او احدهما خبر والآخر صلة له او حال
من المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة او في القرآن حياة القلوب
يا اولي الالباب اي ذوي العقول الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الايمان
لتنشيط الهمم الى التامل في حكمة القصاص لعلكم تتقون اي تتقون انفسكم من المساهلة في امره والاهمال في
المحافظة عليه والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفون عن القتل المؤدي اليه كتب عليكم بيان
حكم آخر من الاحكام المذكورة اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهرت اماراته او دنا نفسه من
الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها ان ترك خيرا
اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه
وقال قال الله ان ترك خيرا وهذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد
الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر الوصية فسالته كم مالك
فقال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير
فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعله للفصل
مع جواز تانيثه بالفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعد
ما سمعه واذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدوره عن مبدئه بل من حيث تعلقه به تعلقا
فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما يشعر به تقديم المفعول او كلمة الايجاب لامتناع عمل العامل
هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما في قوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم
في بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول آية المواريث بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله قد اعطى كل ذي حق
حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الآحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك
المتواتر في صلاحية النسخ عند ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ آية المواريث والحديث مبين لجهة
نسخها ببيان انه تعالى كان قد كتب عليكم ان توصوا للوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من
غير تبيين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى آرائكم حيث قال بالمعروف
اي بالعدل فالآن قد رفع ذلك الحكم عنكم وتولى بيان تلك الحقوق واستحقاق كل واحد منهم فلتعيين
مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذي حق منهم حقه الذي يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا
زيادة ولم يدع لكم شيئا فيه مدخل لرأيكم حسبما يعرب عنه الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها

بجملة التنبيه اذ التحقيق هذا ظهر ان ما قيل ان آية المواريث لا تعارضها بل تحققها فانها من حيث
انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة اياه بالقبول لا يلحقه بالمتواتر
ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى
يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من
ان الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الآية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت آية المواريث بيانا
للانصباء بلفظ الايصاء فهم منها بتنبيه النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية
التي كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى قد وصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام
الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول آية الوصية حيث كان
تفويض الامر الى آراء المكلفين على الاطلاق وتسليم الخروج عن عهدة التكليف فاما ما ادى اليه
آراؤهم بالمعروف فكون آية المواريث ناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق الناطقة
بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخ لها رافع لحكمها مما لا يشتبه على احد
وقوله تعالى حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله اي غيره من الاوصياء والشهود
بعد ما سمعه اي بعد ما وصل اليه وتحقق لديه فانما اثمه اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل
على الذين يبدلونه لانهم هم الذين خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول في موضع الضمير الراجع الى من
لتاكيد الابدال في تحتم الصلة الاولى ايذانا بالجمع للاشعار بتعدد المبدلين اولا وكلهم افرادا
والابدال يشمول الاثم لجميع الافراد ان الله سميع عليم وعيد شديد للمبدلين فمن خاف من موص
اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرئ من موص جنفا اي ميلا بالخطا في الوصية
او اثما اي تعمدا للحيف فاصلح بينهم اي بين الموصى لهم بالحجر على مناهج الشريعة الشريفة
فلا اثم عليه اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد
للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم
الصيام بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام
والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم الآية
وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه صامت الريح اي امسكت عن الهبوب والفرس اي امسكت عن العدو
قال خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشريعة هو الامساك
نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الانفس كما كتب في حيز النصب على انه
نعت لمصدر مؤكد اي كتابا كائنا كما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبها
بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب
على من قبلكم فما موصولة او على انه حال كونه مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم الصلاة
والسلام والامم من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس
المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت
والمقدار كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركته وصامت
يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم
صاموا رمضان حتى صادفوا حرا شديدا فاجتمعت آراؤهم على تعيين فصل واحد بين الشتاء والصيف
فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم
موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية

اليها كما قال عليه الصلوة والسلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال باداته
لاصالته او تتصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل
فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام
ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر وانتصابها ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما
باجنبي بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه او على الظرفية او على المفعولية لكتب اتساعا وقيل انه
تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا للمكتوب فلا تتحقق الظرفية ولا المفعولية
المتفرعة عليها اتساعا فمن كان منكم مريضا اي مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر
مستمر عليه وفيه ايماء الى ان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر فعدة اي فعليه صوم
عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف للعلم بالظهور وقرئ بالنصب اي
فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة
رضي الله عنه وعلى الذين يطيقونه اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية اي اعطاء فدية
وهي طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز
وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص
لهم في الافطار والفدية وقرئ يطيقونه اي يكلفونه او يتقلدونه او يتطوقونه او يطوقونه
بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يتطيقونه ويتطيوقونه من
فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار
وفيه وجهان احدهما نفي معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم
الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا
معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية
فهو اي التطوع او الخير الذي تطوع به خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا
على انفسكم وتجهدوا طاقتكم او المرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية
او من تطوع الخير او منهما او من التاخير للقضاء والالتفات الى الخطاب للهز والتنشيط ان كنتم
تعلمون اي ما في صومكم من تحقق المنيع للافطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة تختارونه اي
اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من
ذلك شهر رمضان مبتدأ سيأتي خبره او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك شهر رمضان او بدل من الصيام
على حذف المضاف اي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول
تصوموا او بدل من ايام معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف
اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب وقوله عليه الصلوة
والسلام من صام رمضان الحديث فعلى حذف المضاف للامن من الالتباس وانما سمي به
اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه في ايام رمض
الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن خبر المبتدأ على الوجه الاول
وصفة لشهر رمضان على الوجوه ومعنى انزل فيه انه ابتدئ انزاله فيه وكان ذلك ليلة
القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه المشية الربانية ثم
او انزل في شانه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت
صحف ابراهيم عليه الصلوة والسلام اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل

لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان
من القرآن اي انزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة
الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر اي حضر
فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع
والترتيب او لتضمن المبتدأ معنى الشرط او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول
صفة له وهذه الجملة خبره وقيل هي جزاء ما تقدمه كانه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر
فمن حضر فيه فليصمه اي فليصم فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى المجرور اتساعا وقيل
من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ما بعده
تخصيصا له كانه قيل ومن كان مريضا او على سفر ولكان نقيضهما وان كان صحيحا فعدة
من ايام اخر اي فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك
او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر بهذا الترخيص
لما بين رفقه وسعة رحمته ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم
الشهر والمرخص له بمراعاة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة
الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة الترخيص
والتيسير وتعديته فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على
ما هداكم ويجوز ان تكون معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا
الى اخره ويجوز ان يعطف على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الى اخره كقوله تعالى يريدون ليطفئوا الى اخره
والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير
عند الاهلال وما تحتمل المصدرية والموصولة اي على هدايته اياكم او على الذي هداكم اليه
وقرئ ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني في تلوين الخطاب وتوجيهه الى الرسول
صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من تشريفه ورفع محله فاني قريب اي فقل لهم اني قريب
وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روي ان
اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت
اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا
لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات
على ما هم عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين
وكسرها فلما امرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر
عقبه بهذه الاية الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجاز
على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا
العشاء الاخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله
عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام
التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب
ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبوه

ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل للاهتمام والتشويق
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل
تمكن هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف يبين سبب الاحلال وهو صعوبة الصبر
عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما
على الاخر شبه باللباس قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا
او لان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب
فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم
وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا
ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه
الولد فانه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير
المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين
ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه
وبذلك خرجا من الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما
روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود وطفقوا ياكلون ويشربون
حتى يتبينا لهم فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى
اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز
تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان اخر وقته ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد اي معتكفون فيها فلا تباشروهن فيها وعن قتادة كان الرجل
يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص
بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود
الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد
الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا عن ان يتخطى عنه كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك
حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه
ومناهيه كذلك يبين الله آياته للناس مثل ذلك التبيين يبين سائر الاحكام لعلهم
يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهي عن اكل بعضهم
لاموال البعض وقيل نهي عن اكل اموال انفسهم في نهار رمضان اي ولا ياكل بعضكم
مال البعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية او الحالية من اموالكم وتدلوا بها
الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا
في التحاكم اليهم فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة
او ملتبسين بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون
انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي
قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ

عليه رسول

عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن
اليمين فسلم الارض الى عبدان فنزلت وروي انه اختصم اليه خصمان فقال عليه الصلوة
والسلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو
ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما
حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل منكما صاحبه يسئلونك عن الاهلة
سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج كانوا قد سألوه عليه الصلوة والسلام
عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة في ذلك
ان يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء وكذا في معاملاتهم
على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان
المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة منقسمة الى الماضي والحال
والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار
اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه
ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر فقيل ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى المحارم والشهوات
ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج ذكر عقيبه ما هو من
افعالهم في الحج استطرادا او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه الصلوة
والسلام مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة
عقبه بذكره جواب ما سألوا عنه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها
او اريد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال لكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بان
تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله واتقوا الله في تغيير احكامه او في جميع اموركم
امر بذلك صريحا بعد بيان ان البر هو التقوى لظهورها لزيادة اعتناء بشان التقوى وتمهيدا لقوله
لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعزاز دينه
ولعله بكلمة تنوقف بين الظن والتعويل الصحيح لا بان تحمل العناية بشان المقدر الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه
الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبانية
والنساء او الكفرة جميعا فان الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله
تعالى ثلاثة فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا
ذلك فنزلت ويعضده ايراده في اثناء بيان احكام الحج ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد
والمفاجأة به من غير دعوة او بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ونحوهم
ان الله لا يحب المعتدين اي لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهي واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث
وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما او عملا وفيه معنى الغلبة
ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث
اخرجوكم اي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها والفتنة اشد من القتل
اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم

المفتونين بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام اي لا تفاتحوهم بالقتال هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان
قاتلوكم ثمة فاقتلوهم فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد
العذاب وفي العدول عن صيغة المفاعلة التي عبر بها في الشرط عدة بالنصر والغلبة
وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا
بنو اسد كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فان انتهوا عن القتال والكفر بعد ما
ذاقوا قتالكم فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك
ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان
الا على الظالمين اي فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم الا لمن ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية
الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم
للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر
الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم
لعمرة القضاء في ذي القعدة ايضا وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذاك الشهر الحرام وهتكه
بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص اي كل حرمة وهي ما يجب المحافظة عليه يجري فيه
القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم
ان قاتلوكم كما قال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة لتقرير
ما قبلها واتقوا الله في شان الانتصار واحذروا ان تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا
ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شئونهم بالنصر والتمكين وانفقوا في سبيل الله ولا
تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف
عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب
الانصاري رضي الله عنه انه لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا
نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي
البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وتعديته بالى لتضمنه
معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهي
والهلاك واحد اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم
او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اي اعمالكم واخلاقكم وتفضلوا على
الفقراء ان الله يحب المحسنين اي يريد بهم الخير وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله بيان
لوجوب اتمام افعالهما عند التصدي لادائهما وارشاد للناس الى تدارك ما عسى يعتريهم
من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه
كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان لوجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب
اصله وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما ان وجوب الحج بقوله تعالى ولله على الناس
حج البيت الآية فان الامر باتمام فعل من افعاله ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا فليس فيه
دليل على وجوب العمرة قطعا وادعاء ان الامر باتمامهما امر بانشائهما تامين كاملين بحسبهما
بقضية قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل مما لا يدل له
ضرورة انه ليس لبيان مقصود على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بان الحج ان بتلك القراءة

ايضا محمولة

ايضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما في انفسهما
فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال
منكم بشيء منها هذا وقد قيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن
عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية
وعمرة كوفية افضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا
تشوبوهما بشيء من الاغراض الدنيوية واياما كان فلا تعرض في الآية الكريمة لوجوب العمرة اصلا
واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضي الله عنه هديت
لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما وفي رواية فاهللت بهما جميعا
فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا بما روي عن جابر انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل
الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه الصلاة والسلام الحج مكتوب والعمرة تطوع فان
احصرتم اي منعتم من الحج يقال احصره العدو وحصره اذا حبسه ومنعه من المضي لوجهه
مثل صده واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله لقوله تعالى فاذا امنتم
ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل من منع من عدو
او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج
فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي اي فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا
ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح اي هدي تيسر عليه من بدنة
او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا
جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا
تحلوا حتى تعلموا ان الهدي بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث
يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما وحجتهم في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام
الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره عليه الصلاة والسلام طرف الحديبية الذي الى اسفل
مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي
الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي
جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا
محوجا الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة او قمل ففدية اي فعليه فدية من صيام او صدقة او نسك بيان
لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك
قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق
ثلاثة اصوع فاذا امنتم اي الاحصار وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي
فمن استمتع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل
من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسر
عليه بسبب التمتع وهو دم جبر يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه عند الشافعي وعندنا دم نسك
فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج اي في اشهره بين الاحرامين وقال الشافعي في ايام
الاشتغال باعماله بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يصح
صوم يوم النحر وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اي نفرتم وفرغتم من اعماله وفي احد قولي الشافعي اذا
رجعتم الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها

لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر
العرب لا تعرف الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا **كاملة**
صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة كمال العشرة فانها اول عدد كامل
اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي **ذلك** اشارة الى التمتع عندنا
والى الحكم المذكور عند الشافعي **لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام** وهو من كان من الحرم على
مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس
واهل مكة عند مالك **واتقوا الله** في المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما في الحج **واعلموا**
ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موقع
الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة **الحج** اي وقته **اشهر معلومات** معروفات بين الناس
هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند
مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره
من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد
استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل واطلاقا للجمع على ما فوق
الواحد وصفة جمع المذكر في غير العقلاء يجي بالالف والتاء **فمن فرض فيهن الحج** اي اوجبه على نفسه
بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي **فلا رفث ولا فسوق** اي لا جماع او فلا فحش من الكلام
ولا خروج عن حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب **ولا جدال**
اي لا مراء مع الخدم والرفقة **في الحج** اي في ايام الحج والاظهار في مقام الاضمار لكمال الاعتناء
بشانه والاشعار بعلية الحكم فان زيارة البيت المعظم بالتقرب بها الى الله تعالى عز وجل موجبة لترك
الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا
مستقبحا في نفسه ففي اشهر الحج اقبح كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن
مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام
فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفات **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** فيجزي به خير جزاء
وهو حث على فعل الخير اثر النهي عن الشر **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** اي تزودوا لمعادكم التقوى
فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا
على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس **واتقون يا اولي الالباب**
فان قضية اللب خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود
بذلك هو الله تعالى فيتبرأ عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص
بهذا الخطاب اولي الالباب **ليس عليكم جناح ان تبتغوا** اي في ان تبتغوا اي تطلبوا **فضلا من ربكم**
عطاء ورزقا منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها
ايام مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا منه فنزلت **فاذا افضتم من عرفات**
اي دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف
من دفعت من البصرة وعرفات جمع عرفة سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث
لما ان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين
من غير عوض لعدم الصرف وههنا ليس كذلك ولان التانيث اما بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التانيث

وانما هي

وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث وبتاء مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه
لان المذكورة تابى تقديرها لما انها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف
عرفة لانه نعت لابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما ابصره عرفه ولان جبريل عليه الصلاة والسلام
كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال عرفت ولان آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام التقيا فيه
فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف قيل وفيه
دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله تعالى ثم افيضوا
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج او مقدمة الذكر
المامور به وفيه نظر اذ الذكر واجب لا امر به غير مطلق **فاذكروا الله** بالتلبية والتهليل والدعاء
وقيل بصلاة العشائين **عند المشعر الحرام** هو جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما
بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه الصلاة والسلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة
بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا
لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه
افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر **واذكروه كما هداكم** اي كما علمكم واذكروه
ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة **وان كنتم من قبله**
اي من قبل ما ذكر من هدايته اياكم **لمن الضالين** عن العالمين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام
هي الفارقة وقيل هي نافية واللام بمعنى الا كما في قوله عز وجل وان نظنك لمن الكاذبين **ثم افيضوا من**
حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس
بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا ان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك
تحسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب
عام وقرئ الناس بكسر السين اي الناسي على ان يراد به آدم عليه الصلاة والسلام من قوله تعالى فنسي
فالمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه **واستغفروا الله** من جاهليتكم في تغيير المناسك
ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه وهو تعليل للاستغفار او للامر به **فاذا قضيتم مناسككم**
عبادات الحج وفرغتم منها **فاذكروا الله كذكركم آباءكم** اي فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا في
ذلك كما تفعلون في المفاخرة بآبائكم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل
فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم **او اشد ذكرا** اما مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا
على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل ذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف
اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى
او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم
فمن الناس تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين والمراد
به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الاخيرين **من يقول** اي في ذكره **ربنا آتنا في الدنيا** اي اجعل
ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة **وما له في الآخرة من خلاق** اي من حظ ونصيب لاقتصار همته
على الدنيا فهو بيان لحاله في الآخرة او من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر همته
على المطالب الدنيوية **ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة** اي الصحة والكفاف والتوفيق للخير
وفي الآخرة حسنة هي الثواب والرحمة **وقنا عذاب النار** بالعفو والمغفرة وروي عن علي
كرم الله وجهه ان الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء

وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا
من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار اولئك اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من
النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم
في الفضل وقيل اليهما معا والتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتفخيم وعلى الثاني
للتنويع اي لكل منهما نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا او مما
دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب
يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا
شان قدرته او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعة واكتساب الحسنات
واذكروا الله اي كبروه في اعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات
هي ايام التشريق فمن تعجل اي استعجل في النفر او النفر فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين
ومتعديين يقال تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتأخر كما في قوله قد
يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل في يومين اي في تمام يومين بعد يوم
النحر وهو يوم القر ويوم الرؤوس واليوم بعده فينفر اذا فرغ من رمي الجمار فلا اثم عليه بما صنع من [illegible]
والمراد التخيير بين التعجل والتأخر ولا يقدح فيه افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تصريحا
بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للتعجل ومؤثم للتأخر لمن اتقى خبر لمبتدأ محذوف
اي الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة
والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم بفعل الواجبات
وترك المحظورات ليعبأ بكم وتنتظموا في سلك المتقين بالاحكام المذكورة والخص به ليحذروا
الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله عز وجل واعلموا انكم اليه تحشرون اي للجزاء
على اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تأكيد للامر بالتقوى وموجب
للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعي الى ملازمة التقوى ومن
الناس من يعجبك قوله تجريد الخطاب وتوجيهه الى النبي عليه الصلاة والسلام وهو كلام مبتدأ
سيق لبيان تحزب الناس في شأن التقوى الى حزبين وتعيين ما لكل منهما ومن موصولة او موصوفة
واعرابه كما بين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي ومنهم من يروقك كلامه
ويعظم موقعه في نفسك لما تشاهد فيه من ملاءمة الفحوى ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض
للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بقوله اي ما يقوله في حق
الحيوة الدنيا ومعناها فانها الذي يريد بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم
وفيه اشارة الى انه لا حظ له في الآخرة او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا بحلاوته
وفصاحته لا في الآخرة لما انه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة
وانت خبير بانه لا مبالغة حينئذ في سوء حاله فان مآل الحسن كلامه في الدنيا وقبحه في
الآخرة وقيل معنى في الحيوة الدنيا اي لا يصدر منه فيها الا القول الحسن ويشهد الله على
ما في قلبه اي يحلف ويقول الله يعلم ان ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف على
يعجبك وقرئ ويشهد الله على ما في قلبه ما هو بخفية وفي قراءة ابن عباس
رضي والله يشهد على ما في قلبه على ان كلمة على لكون المشهود به مضرا له والجملة اعتراضية
وقرئ ويستشهد الله وهو الد الخصام اي شديد العداوة والخصومة للمسلمين على ان

الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعنى في او جعلت العداوة اشد الخصوم خصومة
على المبالغة او جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنطق حلو المنطق
يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير
في قوله او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين الاخيرتين واذا تولى اي عن مجلسك
وقيل اذا صار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس
بثقيف حيث بيتهم واحرق زرعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف
او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل
على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول
من الاهلاك والله لا يحب الفساد اي لا يرتضيه ويبغضه ويبغض من يتعاطاه والجملة اعتراض
تذييلي واذا قيل له اتق الله على نهج العظة والنصيحة واترك ما تباشره من الفساد او النفاق
واحذر سوء عاقبته اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي
نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم
مبتدأ وخبر اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى
الفاعل وقوي لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي كفته
جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد
الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض ومن الناس من يشري نفسه مبتدأ وخبر كما مر
اي يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهالك في الحروب او بالامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وان ترتب عليه القتل ابتغاء مرضات الله اي طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وايراده
قسيما لما قبله من حيث ان ذلك يأنف من الامر بالتقوى وهذا يأمر بذلك وان ادى الى الهلاك
وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير
ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله
فاتى المدينة فيشري حينئذ بمعنى يشتري اجراء للكلام على صورة الشرى والله رءوف بالعباد
ولذلك كلفهم التقوى وعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلي يا ايها الذين آمنوا ادخلوا
في السلم اي الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح
اللام ايضا وقوله تعالى كافة حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا كما في قوله خرجت
بها تمشي تجر وراءنا على اثرينا ذيل مرط مرحل وهي في الاصل اسم للجماعة التي تكف مخالفيها ثم استعملت
في معنى جميعا وتاؤها ليست للتأنيث حتى يحتاج الى حمل السلم على التأنيث مثل الحرب كما في قوله عز
وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك
من انفاسها جرع وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى
واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا
تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد
الاسلام او في شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم
بالايمان اما على طريق التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه كلها
فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح ايمان
الا بما كلفوه الآن ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق

والتفرق او مخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل
للنهي والانتهاء فان زللتم اي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد
ما جاءتكم البينات اي الحجج القطعية الدالة على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز
غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما تقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين
على اوامره هل ينظرون استفهام في معنى النفي اي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة
في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه الا ان ياتيهم الله اي امره وباسه او ياتيهم الله بامره
وباسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بما قبله والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض
عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم
لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها في ظلل جمع ظلة
كقلل في جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال في جمع قلة من الغمام اي السحاب الابيض وانما
ياتيهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى فيه العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان
الشيء من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل
فانهم الواسطة في اتيان امره تعالى بل هم الاتون ببأسه على الحقيقة وتوسيط الظرف
بينهما للايذان بان الاتي اولا من جنس ما يلبس الغمام ويترتب عليه عادة وان الملائكة وان كان اتيانهم
مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر
اي اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على ياتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي
دلالة على تحققه فكانه قد كان او جملة مستأنفة جيء بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء
الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور بالتانيث على البناء للمفعول من الرجع وقرئ
بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتانيث من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجيء البينات كم آتيناهم
من آية بينة معجزة ظاهرة على ايدي الانبياء عليهم الصلاة والسلام او آية ناطقة بحقية الاسلام
المأمور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء
على حذف العائد من الخبر وآية مميزة ومن يبدل نعمة الله التي هي آياته الباهرة فانها سبب للهدى
الذي هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس ومحو نعمتها او تحريفها وتاويلها الزائغ
من بعد ما جاءته ووصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل
المجيء للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه
وهم يعلمون وقيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح به
لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة
فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين كفروا
الحياة الدنيا اي حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها
معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله سبحانه كما يعرب عنه القراءة
على البناء للفاعل اذ ما من شيء الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الامور
البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا عطف على زين وايثار صيغة
الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب كانوا
يسخرون منهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية كانهم جعلوا

السخرية

السخرية مبتدأة والذين اتقوا هم الذين آمنوا بعينهم عبر عنهم بعنوان التقوى للايذان بان
اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها تبعدهم عن جناب القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيامة لانهم
في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة او
لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار
الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء اي في الدارين بغير حساب بغير
تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على كلمة
الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان فبعث الله النبيين اي فاختلفوا
فبعث الخ وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين
ومنذرين عن كعب الذي علمته من عدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام مائة واربعة وعشرون الفا
والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة
على الكفر والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم
الكريم وانزل معهم الكتاب اي جنس الكتاب او مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص به لا مع كل واحد
على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص
الضمير العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وجل وبالحق
انزلناه وبالحق نزل ليحكم اي الكتاب او الله سبحانه او النبي المبعوث بين الناس اي
المكلفين والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا
فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه اي في الحق او في الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية
الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف واماطة الشقاق عبر عن الانزال بالايتاء
والتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد ذلك
اي عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم
البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام اي فاختلفوا وما اختلف فيه
الخ وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الاستثناء كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا
بينهم متعلق بما تعلق به من اي اختلفوا بغيا وحرصا على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا
لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما وفي ابهامه اولا وتفسيره
ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق
في جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد بين فيما اختلف
وما لقي الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم النصر
وام منقطعة والهمزة فيها للانكار والاستبعاد بل حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل
الذين خلوا من قبلكم من الانبياء ومن معهم من المؤمنين اي والحال انه لم ياتكم مثلهم بعد ولم
تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر
منهم ايضا استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم
البأساء اي الشدة من الخوف والفاقة والضراء اي الآلام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا
ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اي

انتهى أمرهم من الشدة إلى حيث اضطرهم الضجر إلى أن يقول الرسول وهو أعلم الناس بشئون الله
تعالى وأوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بأنواره **متى**
نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعنا ○ وقرئ حتى يقول بالرفع على أنه حكاية
حال ماضية وهذا منه ترقي غاية لغايات القاصية ونهايات النهايات النائية كيف لا والرسل
مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغ بهم هذا المبلغ من الضجر والضجيج
علم أن الأمر قد بلغ من الغاية لا مطمح وراءها **ألا إن نصر الله قريب** على تقدير القول أي فقيل لهم
حينئذ ذلك إسعافا لمرامهم ○ والمراد بالقرب القرب الزماني وفي إيثار الجملة الاسمية على الفعلية
المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقريره ما لا
يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما أنها في حكم إنشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه للإيذان بعدم الحاجة إلى ذلك
لاستحالة التخلف ويجوز أن يكون هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا
عند وقوع المحكي وفيه رمز إلى أن الوصول إلى الجناب القدسي لا يتأتى إلا برفض اللذات ومكابدة
المشاق كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ○
يسألونك ماذا ينفقون أي من أصناف أموالهم **قل ما أنفقتم من خير** ما إما شرطية وإما
موصولة حذف العائد إليها أي ما أنفقتموه من خير أي خير كان ففيه تجويز الإنفاق من جميع أنواع
الأموال وبيان لما في السؤال إلا أنه جعل من جملة ما في حيز الشرط والصلة وأبرز في معرض البيان الحري
حيث قيل **فللوالدين والأقربين** للإيذان بأن الأهم بيان المصارف المعدودة لأن الاعتداد
بالإنفاق بحسب وقوعه في موقعه ○ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمرو بن الجموح وهو شيخ
هم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت **واليتامى** أي المحتاجين
منهم **والمساكين وابن السبيل** ولم يتعرض للسائلين والرقاب إما اكتفاء بما ذكر في المواقع الأخر
وإما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى **وما تفعلوا من خير** فإنه شامل لكل خير واقع في أي
مصرف كان **فإن الله به عليم** فيوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كما نقل
عن السدي **كتب عليكم القتال** بناء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء أي قتال الكفرة ○ وقرئ ببنائه
للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال ○ وقرئ كتب عليكم القتل أي قتل الكفرة ○ والواو في قوله تعالى
وهو كره لكم حالية أي والحال أنه مكروه لكم طبعا على أن الكره مصدر وصف به المفعول مبالغة
أو بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز ○ وقرئ بالفتح على أنه بمعنى المضموم كالضعف والضعف أو على
أنه بمعنى الإكراه مجازا كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم **وعسى أن تكرهوا
شيئا وهو خير لكم** وهو جميع ما كلفوه من الأمور الشاقة التي من جملتها القتال فإن النفوس تكرهه
وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على أن في القتال خيرا لهم **وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم**
وهو جميع ما نهوا عنه من الأمور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لها من الإعراب **والله
يعلم** ما هو خير لكم فلذلك يأمركم به **وأنتم لا تعلمون** أي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه ○ أو والله
يعلم ما هو خير وشر لكم وأنتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا في ذلك آراءكم وامتثلوا بأمره تعالى **يسألونك
عن الشهر الحرام** روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى
الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه
فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم

يظنونه

يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه
الناس إلى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب السرية
وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى ○ وعن ابن
عباس رضي الله عنهما لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى سألك الكفار أو
المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على أن قوله عز وجل **قتال فيه** بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما أن سؤالهم
كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر
الحرام ○ وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ○ وقرئ قتل
فيه **قل** في جوابهم **قتال فيه كبير** جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب بقل وإنما جاز وقوع
قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه إما بالوصف إن تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له أي قتال كائن
فيه وإما بالعمل إن تعلق به ○ وإنما أوثر التنكير حذرا من توهم التعيين وإيذانا بأن المراد مطلق القتال
الواقع فيه أي قتال كان ○ عن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا
في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا فيها وما نسخت والأكثر على أنها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وصد عن سبيل الله مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعده أي ومنع عن الإسلام الموصل للعبد إلى الله
تعالى **وكفر به** عطف على صد عامل فيما بعده مثله أي وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل
الله تعالى فردا من أفراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله تعالى **والمسجد
الحرام** على سبيل الله لأنه ليس بأجنبي محض ○ وقيل هو أيضا معطوف على الصد بتقدير المضاف
أي وصد المسجد الحرام **وإخراج أهله** وهو النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون **منه** أي من المسجد
الحرام وهو عطف على كفر به **أكبر عند الله** خبر للأشياء المعدودة أي كبائر الشأن أكبر عند
الله مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن ○ وأفعل يستوي فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث **والفتنة** أي ما ارتكبوه من الإخراج والشرك وصد الناس عن الإسلام ابتداء وبقاء **أكبر
من القتل** أي أفظع من قتل الحضرمي **ولا يزالون يقاتلونكم** بيان لاستحكام عداوتهم وإصرارهم
على الفتنة في الدين **حتى يردوكم عن دينكم** إلى دينهم الباطل وإضافة الدين إليهم لتذكير تأكد
ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق **إن استطاعوا** إشارة إلى تصلبهم في الدين وثبات
قدمهم فيه كأنه قيل وأنى لهم ذلك **ومن يرتدد منكم عن دينه** تحذير من الارتداد أي ومن يفعل
ذلك بإضلالهم وإغوائهم **فيمت وهو كافر** بأن لم يرجع إلى الإسلام وفيه ترغيب بالرجوع إلى
الإسلام بعد الارتداد **فأولئك** إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد
والموت عليه وفيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد وتجميع النظر إلى المعنى
أي أولئك المصرون على الارتداد إلى حين الموت **حبطت أعمالهم** الحسنة التي كانوا عملوها في حالة
الإسلام حبوطا لا تلافي له قطعا **في الدنيا والآخرة** بحيث لم يبق لها حكم من الأحكام الدنيوية
والأخروية **وأولئك** الموصوفون بما ذكر من القبائح **أصحاب النار** أي ملابسوها
وملازموها **هم فيها خالدون** كدأب سائر الكفرة **إن الذين آمنوا** نزلت في أصحاب السرية لما ظن بهم
أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر **والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله** كرر الموصول مع أن المراد بهما
واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء **أولئك** المنعوتون بالنعوت الجليلة
المذكورة **يرجون** بما لهم من مبادي الفوز **رحمة الله** أي ثوابه أثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للإيذان
بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر وإنما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لأن في فوزهم اشتباها

والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ رحيم يجزل لهم الأجر والثواب والجملة تقرير
محقق لمضمون ما قبلها يسألونك عن الخمر والميسر روي أنه نزلت في شأن الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن
ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم إن عمر رضي الله
عنه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين قالوا أفتنا يا رسول الله في شأن الخمر فإنها مذهبة
للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا
فأم أحدهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فقل
من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكروا تفاخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء
الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه شجة موضحة فشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم
بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله تعالى فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا
يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لما أذنت عليها ولو وقعت
في بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لما رعيته وعن عمر رضي الله عنه لو أدخلت أصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الإيمان
والتقى حقا رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخمر مصدر خمره إذا ستره سمي به عصير العنب إذا غلى واشتد
وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لأنها تسكرهما أي تحجزهما والميسر مصدر
ميمي من يسر كالموعد من وعد سمي به القمار لأن فيه أخذ المال بيسر وسهولة من غير كد وتعب أو سلب
يساره لأنه سلب ... وصفته أنه كانت لهم عشرة أقداح هي الأزلام والأقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس
والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها فللفذ سهم
وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة فيجعلونها
في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا فمن
خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور
جميعا ثم كانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه
ويسمونه البرم وفي حكمه جميع أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
إياكم وهاتين اللعبتين المشؤومتين فإنهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه أن النرد والشطرنج من الميسر
وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما قل فيهما إثم
كبير أي في تعاطيهما ذلك لأن الأول مسلب للعقول التي هي قطب الدين والدنيا ومحق لكل منهما متلفة للأموال
ومنافع للناس من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ
إثم كثير بالثلثة وفي تقديم بيان إثمهما ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعهما مع تخصيصها بالناس من الدلالة
على غلبة الأول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى وإثمهما أكبر من نفعهما أي المفاسد المترتبة على تعاطيهما
أعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ أقرب من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون عطف على يسألونك
عن الخمر إلخ عطف القصة على القصة أي أي شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح أيضا سأل أولا عن أي جنس
ينفق من أجناس الأموال فلما بين جواز الإنفاق من جميع الأجناس سأل ثانيا عن أي أصنافها ينفق أمن خيارها
أو من غيرها أو سأل عن مقدار ما ينفق منه فقيل قل العفو بالنصب أي ينفقون العفو أو أنفقوا العفو
وقرئ بالرفع على أن ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون أي الذي ينفقون العفو قال الواحدي
أصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل عن الكفاية وهو قول
قتادة وعطاء والسدي كانت الصحابة رضوان الله عليهم يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون
بالفضل وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغانم

فقال خذها

فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه حتى كرر ذلك مرارا حتى قال صلى الله عليه وسلم مغضبا هاتها
فأخذها فحذفه بها حذفا لو أصابته لشجته ثم قال يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف
الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى كذلك إشارة إلى مصدر للفعل الآتي وما فيه من معنى البعد لـ
علو درجة المشار إليه في الفضل وكمال تميزه وانتظامه مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل
كالفريق أو لعدم القصد إلى تعيين المخاطب كما مر ومحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك
البيان الواضح الذي هو عبارة عما مضى في أجوبة الأسئلة المارة يبين الله لكم الآيات الدالة على الأحكام
الشرعية المذكورة لا بيانا أدنى منه وقد مر تحقيق المقام في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا
فتبيين الآيات تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا أنه تعالى يبينها بعد أن كانت مشتبهة ملتبسة
وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون أي تتفكروا فيها فتقفوا على معاقدها
وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق إما بيبين أي يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والآخرة
من الآيات ولما حذف وقع حالا من الآيات أي يبينها لكم كائنة فيهما أي مبينة لأحوالكم المتعلقة بهما وما
قدم عليه التعليل لمزيد الاهتمام بشأن التفكر وإما بقوله تعالى تتفكرون أي تتفكرون في الأمور المتعلقة
بالدنيا والآخرة في الأحكام الواردة في أجوبة الأسئلة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون
عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الأحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الأمور المتعلقة
بالدنيا والآخرة فذلك حينئذ إشارة إلى ما مر من البيانات كلا أو بعضا لا إلى مصدر الفعل فإنه
حينئذ فعل مستقل لبيان هادية عن تلك البيانات وإلى الآيات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان
الوارد في المواضع المذكورة يبين الله لكم الآيات والدلائل لعلكم تتفكرون في أموركم المتعلقة بالدنيا
والآخرة وتأخذون بما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك الآيات المبينة
ويسألونك عن اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روي أنه لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى
ظلما امتنع الناس عن مخالطة اليتامى وتعهد أموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت قل إصلاح لهم خير أي التعرض لأحوالهم وأموالهم على طريق الإصلاح خير من مجانبتهم اتقاء
وإن تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فإخوانكم أي فهم إخوانكم أي في الدين الذي هو أقوى
من العلاقة النسبية ومن حقوق الأخوة ومواجبها المخالطة بالإصلاح والنفع وقد حمل المخالطة
على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح لعلم بمعنى المعرفة المتعدية إلى واحد ومن لتضمنه
معنى التمييز أي يعلم من يفسد في أمورهم عند المخالطة ومن يقصد بمخالطته الخيانة والفساد
مميزا له ممن يصلح فيها ويقصد الإصلاح فيجازي كلا منهما بعمله ففيه وعد ووعيد خلا أن في تقديم
المفسد مزيد تهديد وتأكيد للوعيد ولو شاء الله لأعنتكم أي لو شاء إعناتكم أي تكليفكم ما
يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم إن الله عزيز غالب على أمره لا يعجز
عليه أمر من الأمور التي من جملتها إعناتكم فهو تعليل للشرطية وقوله عز وجل حكيم
أي فاعل لأفعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية إلى بناء التكليف على أساس الطاقة دليل على
ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات أي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من
الإنكاح أي لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن إما ما يعم الكتابيات أيضا حسبما يقتضيه
عموم التعليل في الإيتان كقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله
سبحانه عما يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإما ما عدا
الكتابيات فهي ثابتة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة

ليخرج منها اناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا نخلو
فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاستأمره فاستأمره فنزلت **ولأمة مؤمنة** تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة
المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في افادة التأكيد مبالغة في الحمل على الانزجار
واصل امة امو حذف لامها على غير قياس وعوض عنها تاء التأنيث ودليل كون لامها واوا رجوعها
في الجمع قال الكلابي اما الاماء فلا يدعونني ولدا اذا تداعى بنو الاموات بالعار وظهورها في المصدر
يقال هي امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وتنكيرها في الابتداء والوصف ولامة
مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر **خير** بحسب الدين والدنيا **من مشركة** اي امرأة
مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشأن **ولو اعجبتكم** فان كلمة لو في مثل هذه المواقع ليست لبيان
انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية
الا عند القصد الى تفصيل الاعراب بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من
الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر
شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال
المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم
والجملة في حيز النصب على الحالية من المنوي في خير اذ المعنى ولامة مؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم
اعجابها وحال اعجابها بكم بجمالها ومالها ونسبها ونحو ذلك من مبادي الاعجاب وموجبات الرغبة
فيها اي على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيها على انها حيث تحققت معه فلأن
تحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة
لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان تكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها
ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر اي لا تزوجوا منهم المؤمنات
سواء كن حرائر او اماء **حتى يؤمنوا** ويتركوا ما هم فيه من الكفر **ولعبد مؤمن** مع ما به من ذل المملوكية
خير من مشرك مع ما به من عز المالكية **ولو اعجبكم** بما فيه من دواعي الرغبة الراجعة الى ذاته
وصفاته **اولئك** استئناف مقرر لمضمون التعليلين المارين اي اولئك المذكورون من المشركات والمشركين
يدعون من يقارنهم ويعاشرهم **الى النار** اي ما يؤدي اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن معاشرتهم
ومقارنتهم **والله يدعو** بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم **الى الجنة والمغفرة** اي الى الاعتقاد الحق
والعمل الصالح الموصلين اليهما فتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية ان تتقدم على التحلية لرعاية مقابلة
النار ابتداء **باذنه** متعلق بيدعو اي يدعو متلبسا بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم
الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم الاحقاء بالمواصلة **ويبين آياته** المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم
الرائقة **للناس لعلهم يتذكرون** اي لكي يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران
هذا وقيل معنى والله يدعو اولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير في المعطوف على الخبر اعني قوله تعالى ويبين آياته لله تعالى فيلزم التفكيك وقيل
معناه والله يدعو بالاحكام المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستتبعا
لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين لكن يفوته حسن المقابلة
بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما ذكر اولا وانما لم يذكرها هنا

للاستشعار

للاستشعار بانه وقع لابتناء الى المتمكن كما في الاحكام السابقة **ويسألونك عن المحيض** عطف على ما تقدم
من مثله ولعل حكاية هذه الاسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها
بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المرأة كالمجيء والمبيت روي ان
اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا ياكلون من كد ايديهن كعمل المجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سأل
عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله عليهم فنزلت **قل هو اذى** اي شيء يستقذر منه
ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له **فاعتزلوا النساء في المحيض** اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة
الحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد
شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه
وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل
ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر المسلمين بالاقتصاد بين
الامرين **ولا تقربوهن حتى يطهرن** تأكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم
القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة رحمه الله فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان
كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال او مضي وقت صلاة وعند الشافعي لا بد من ان يغتسل بعد الانقطاع كما ينبئ
عنه القراءة بالتشديد وينبئ عنه قوله عز وجل **فاذا تطهرن** فان التطهر هو الاغتسال **فأتوهن
من حيث امركم الله** من المأتى الذي حلله لكم وهو القبل **ان الله يحب التوابين** مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض
الناس لما نهوا عنه ومن سائر الذنوب **ويحب المتطهرين** المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر
التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر
نساؤكم حرث لكم اي مواضع حرث لكم شبهن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن وبين البذور من المشابهة
من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه **فأتوا حرثكم** لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان
وهو بيان لقوله تعالى فأتوهن من حيث امركم الله **انى شئتم** من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون
ان من اتى امرأته في قبلها من دبرها ياتي ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت **وقدموا
لانفسكم** اي ما يدخر لكم الثواب وقيل طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة **واتقوا الله** بالاجتناب
عن معاصيه التي من جملتها ما عد من الامور **واعلموا انكم ملاقوه** فتزودوا ما تنتفعون به فتجتنبوا
اقتراف ما تفتضحون به **وبشر المؤمنين** الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال
بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور التي تنشرح بها الصدور وتقر بها العيون
وفيه مع ما في تلوين الخطاب وجعل المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا
يخفى **ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم** قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير
ابن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه في
حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزا
بينه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى المعرض للامر كما في قوله فلا تجعلوني عرضة للوائم فالمعنى على الوجه
الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فالمراد بالايمان الامور المحلوف عليها كما في
قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير
وكفر عن يمينك وقوله تعالى **ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس** عطف بيان لايمانكم او بدل
او بيانها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة
فيكون الايمان بمعناها لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة

أي برزخاً حاجزاً بأن تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة أي شيئاً يعرض للأمور المذكورة
فتجعلها بما ذكر من الحلف به تعالى على تركها وقد بين ذلك بكون الاسم للتعليل ويتعلق النهي على الحلف بالفعل او
بعرضة فيكون الايمان بمعناها كانه قيل بأن يؤدي الى الفصل بين العامل ومعموله وعلى الوجه الثاني
لا تجعلوا الله معرضاً لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بأشنع
المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف
مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون براً متقياً ولا يثق به الناس فلا يكون سبباً من التوسط في اصلاح
ذات البين والله سميع يسمع ايمانكم عليم يعلم نياتكم فحافظوا على ما كلفتموه لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به من الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما
يستبجع عنه قول المتكلم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعنى بقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب
وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على
الاول لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظاناً انه صادق فيه ولكن يؤاخذكم بما
اقترفت قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى
اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان فقط والله غفور حيث لم يؤاخذكم
باللغو مع كونه ناشئاً من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة للمعاقبة لا يجاب الكفارة
اذ هي التي يتعلق بها المغفرة والحلم للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى
واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد اي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم
تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من
المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعداً على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما
دون ذلك وحكمه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكن وبالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر ولزمته
كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف اضيف
الى الظرف اتساعاً اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان فاءوا اي رجعوا من
الحنث والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما
اتحول فان الله غفور رحيم يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبة اثم حنثه عند التكفير او ما قصد بالايلاء من
ضرار المرأة وان عزموا الطلاق وصمموا عليه فان الله سميع لما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من
الدمدمة والمقاولة التي لا تخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة
ما لا يخفى والمطلقات اي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة
من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرآن او شهران يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة
للتأكيد باشعاره بان المأمور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكأنهن امتثلن بالامر بالتربص فهو يخبر عنه
محققاً وبناؤه على المبتدأ مفيد لزيادة تأكيد بانفسهن الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها على الانتظار
بل يبنى عليها من التربص وفيه تهييج وبعث لهن على ذلك لما فيه من الاستنكاف عما يستنكفن منه من
كون نفوسهن طوامح الى الرجال فيحملهن ذلك الى الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلاثة قروء نصب على الظرفية
او المفعولية بتقدير مضاف اي يتربصن مدة ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض لقوله عليه الصلاة و
السلام دعي الصلاة ايام اقرائك وقوله عليه الصلاة والسلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة

استبراء

استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن
معناه مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلاث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان
ايراد كل من الجمعين مكان الآخر شائع ذائع وقرئ ثلاثة قرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله
في ارحامهن من الحيض والولد استعجالاً في العدة وابطالاً لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفياً
واثباتاً ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن
على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعاً وبعولتهن
البعول جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة او مصدر بتقدير
مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقاً رجعياً كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة
لبعض افراد المطلقات احق بردهن الى النكاح بالرجعة اليهن في ذلك اي في زمان التربص وصيغة التفضيل
لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمرأة تأباها وجب ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضاً حقاً في الرجعة
ان ارادوا اي الازواج بالرجعة اصلاحاً لما بينهم وبينهن والاحسان اليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد
شرطية قصد الاصلاح لصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرار ولهن عليهم من الحقوق
مثل الذي عليهن بالمعروف من الحقوق التي يجب مراعاتها وتحتم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة
اي زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضل
لما انهم قوامون عليهن وحراس لهن وما في ايديهن يشاركونهن فيما هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة
الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم تنطوي شرائعه على الحكم
والمصالح الطلاق مرتان بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان التساوق الاول حكمه
فانه روي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام او تسريح باحسان وهو
مبتدأ بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين آنفاً
مرتان اي اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة
واحدة وان كان حكم الرد ثابتاً ايضاً فامساك اي فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اي
بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم
او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي وبالمرتين مطلق التكرير لا
التثنية بعينها كما في قوله ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد
تطليقة على التفريق دون الجمع بين التطليقتين والثلاث فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك
حكم مبتدأ وتخيير مستأنف فالفاء فيه للترتيب على التعليم كأنه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم
احد الامرين ولا يحل لكم ان تأخذوا نهي عن مقالة الطلاق مما آتيتموهن اي من الصدقات وتخصيصها
بالذكر وان شاركتها في الحكم سائر اموالهن لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان يأخذوا مما
آتوهن بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان يأخذوا مما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئاً
اي نزراً يسيراً فضلاً عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مراراً والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء
اليهم لانهم الآمرون بهما عند المرافعة وقيل انه مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش
النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير
الخوف بالظن الا يقيما حدود الله اي ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء
للمفعول وابدال ان لا يقيما من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب
فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما حدود الله اي الزوجان بمشاهدة بعض الامارات والمخايل

فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج في اخذ ما افتدت به ولا عليها
في اعطائها اياه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس
فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب
عليه في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام لا اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته
اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة
كان اصدقها اياها تلك اي الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد
حدود الله فاولئك المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون اي لانفسهم بتعريضها
لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلاثة الاخيرة موقع الضمير لتربية المهابة
وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد فان طلقها اي بعد التطليقتين
السابقتين فلا تحل له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اي حتى
تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على
اشتراط الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني
فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال صلى الله عليه وسلم
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه الصلوة والسلام لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق
عسيلتك فمثل هذا يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطي والعقد مستفاد من لفظ الزوج
والحكمة من هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها
والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا وفي عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد عند
الآخرين لقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح
عليهما اي على الزوج الاول والمراة ان يتراجعا اي يرجع كل منهما الى الآخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود
الله التي وجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لان العواقب غير معلومة
ولان ان الناصبة للتوقع المنافي للعلم فلذلك لا يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الى
الاحكام المذكورة الى هنا حدود الله اي احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة
يبينها بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سياتي بناء على ان بعضها يحتاج الى زيادة كشف وبيان
بالكتاب والسنة فالجملة تحتمل ان تكون من نحو كونه حالا كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حالا من
حدود الله تعالى والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون اي يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة
والتبليغ لانهم المنتفعون بالبيان ولان ما سيلحق بعض النصوص من البيان لا يقف عليه الا الراسخون
في العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة
يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد هنا
بقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ
الاجل اي فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى ينقضي اجلهن بالاحسان من غير تطويل وهذا تكرير
اعادة الحكم في بعض صوره اعتناء بشانه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه ولا تمسكوهن ضرارا
تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن
ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة
فيها بل ليطول عليها العدة فنهي عنه بعدما امر بضده مبالغة وضرارا نصب على العلة او الحالية
اي لا تمسكوهن للمضارة او مضارين والجار في قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا اي لتظلموهن

بالالجاء الي

بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الامساك المؤدي الى الظلم وما فيه من معنى
البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمهن بتعريضها
للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهي داخلة فيها دخولا
اوليا هزوا اي مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام
والحدود من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزؤ بها واريد ما يستلزمه من الامر
بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا
ولعبا ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب آيات الله
الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزء وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت العب
فنزلت فلذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق
واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر
والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله اي كائنة عليكم او صفة لها على راي
من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام
لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح في عمله تاء التانيث لانه مبني كما في قوله فلولا رجاء
النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد وما انزل عليكم عطف على نعمة الله وموصوله
لها حذف عائدها من الصلة ومن في قوله عز وجل من الكتاب والحكمة بيانية من القرآن والسنة او القرآن
الجامع للعنوانين على العطف لتغاير الوصفين كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وفي ابهامه اولا ثم
بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل في النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره
ومبالغة في البعث على مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام يعظكم به اي بما انزل حال من فاعل انزل او من
مفعوله او منهما معا واتقوا الله في شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله
بكل شيء عليم فلا يخفى عليه شيء مما تاتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين العقاب واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة
بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت
الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وقيل ذلك والخطاب اما للاولياء لما روي انها نزلت في معقل
بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين
عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل المذكور وفيه
دلالة على ان المراة لا تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهي الاولياء والعضل لما ان النهي لدفع الضرر
عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما
للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية
واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق
فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج او من غيرهم وفيه تهويل
لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره
عن الكل في استتباع اللائمة وسراية الغائلة ان ينكحن اي من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه
والفراء والجر عند الخليل على الحذف المشهور وقيل هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن
وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن ازواجهن ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار
ما كان واما باعتبار ما يكون والا فالاعتبار الاخير اذا تراضوا ظرف لان تعضلوهن وصيغة

التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لنفي المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى بينهم ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه وقوله تعالى بالمعروف اي بالجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف واما بتراضوا اي تراضوا بما يحسن في الدين والمروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفو او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل ذلك اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما فيما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما بتأويل القبيل والفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فيسارع الى الامتثال باوامره ونواهيه اجلالا له وخوفا من عقابه وقوله تعالى منكم اما متعلق بكان عند من يجوز عملها في الظروف وشبهها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن اي كائنا منكم ذلكم اي الاتعاظ به والعمل بمقتضاه ازكى لكم اي انفع واطهر من ادناس الآثام وقاذورات الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله يعلم ما فيه صلاحكم من الاحكام والشرائع التي من جملتها ما بينه هاهنا وانتم لا تعلمونها فدعوا رأيكم وامتثلوا امره تعالى ونهيه في كل ما تأتون وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن شروع في بيان الاحكام المتعلقة بالاولاد خصوصا واشتراكا وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب او الوجوب فيخص بمادة عدم قبول الصبي ثدي الغير او فقد الظئر او عجز الولد عن الاستيجار والتقييد [illegible] المذكورات والحكم عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين التأكيد بصيغة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقي لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن يتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود له اي فان الوالد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤنة المرضع عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت في النكاح او العدة جائز عند الشافعي رضي الله عنه بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافي امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقرير اي لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب الولد وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او بالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر الوالدة الولد فتفرط في تعهده وتقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه والتنبيه على انه جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله تعالى وعلى المولود له وما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعي رضي الله عنه هو وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من

مالا عند

ماله عند موت الاب فلا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي مال وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث منا وكلا الاشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا اي الوالدان فصالا اي فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للدلالة بانه فصال غير معتاد عن تراض منهما متعلق بمحذوف صفة لفصالا اي صادرا عن تراض منهما اي من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المرأة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وتشاور في شأن الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهي استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته وتنكيرها للتكثير فلا جناح عليهما في ذلك لما ان تراضيهما لا يكون الا بعد استقرار ارائهما واجتهادهما على ان صلاح الولد في الفطام وقلما يتفقان على الخطأ وان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات لخطاب الآباء لهزهم الى الامتثال لما امروا به ان تسترضعوا اولادكم بحذف المفعول الاول استغناء عنه اي ان تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها اياه وقيل انما يتعدى الى الثاني بحرف الجر يقال استرضعت المرأة للصبي اي ان تسترضعوا المراضع لاولادكم بحذف الجار ايضا كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم فلا جناح عليكم اي في الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع للولد ويمنع الام من الارضاع اذا سلمتم اي الى المراضع ما آتيتم اي ما اردتم ايتاءه كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اي من جهة الله عز وجل كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس هذا التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قررن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل في استصلاح شؤون الاطفال واتقوا الله في شأن مراعاة الاحكام المذكورة واعلموا ان الله بما تعملون بصير تعاد بذلك واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم اي تقبض ارواحهم بالموت فان التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته منه اي اخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا [illegible] وعلى الحذف لعائد الخبر اي يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير في مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين من ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كان انثى يتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة والامة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله عز وجل واولات الاحمال خص الحامل منه وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الحكام والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم على اعمالكم ولا جناح عليكم خطاب

لكل فيما عرضتم به التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل
جئتك لاسلم عليك واصل بامالة الكلام عن نحوه الى جانب يدل على الغرض منه اي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء
بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء
الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل
هي ماخوذة من الخطب اي الشان الذي له خطر لانها شان من الشئون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب
لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض
بخطبتهن ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد
نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم في قلوبكم
فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن اظهار
الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه
ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا واكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح
بالسر لانه سبب للذي هو الوطء مما يسر به وايثاره على اسمه للدلالة على انه مما ينبغي ان يسر به وكنتم
وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرف
اي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بالمواعدة ما يستهجن وفيه ما فيه الا ان تقولوا قولا معروفا
استثناء مما يتعلق به النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا وهي ما تكون
بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف اي لا تواعدوهن بشيء من الاشياء الا بان تقولوا
قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك
ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه الصلاة
والسلام لا صيام لمن لم يعزم من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة
عقد النكاح اي لا تعزموا عقد عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي العدة المكتوبة المفروضة آخرها
وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموها ولا تنفذوا عقدها فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه
بالاجتناب عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور رحيم لمن يقلع عن
عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم عنه
من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة لا جناح
عليكم اي لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من وزر اذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان
النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفى ذلك ان طلقتم النساء ما لم
تمسوهن اي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء في جميع المواقع اي مدة عدم مسيسكم اياهن
على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب اعتراض الشرط
على الشرط فيكون الثاني داخلا في الاول كما في قولك ان تاتني ان تحسن الي اكرمك اي ان تاتني محسنا الي والمعنى
ان طلقتموهن غير ماسين لهن وهكذا المعنى لعدم الاول وليها ان ما الظرفية انما يجيء موقعها فيما اذا
كان المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليها من المدة او الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت
السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلا يخفى ان التطليق ليس كذلك وتعلق
الظرف بنفي الجناح ربما يوهم امكان المسيس بعد الطلاق فالوجه ان يقدر الجار مكان الزمان او المدة
او تفرضوا لهن فريضة اي الا ان تفرضوا لهن او حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان فريضة

فعيلة بمعنى

فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابها على المفعولية ويجوز
ان يكون مصدرا كالصيغة واو عاطفة او للنفي في اللفظ على الطلاق بشرط انتفاء الامرين اذا كان الطلاق
قبل المسيس ولا حال الا في حال التسمية لانه يجب عليه نصف المسمى وفي حال عدم التسمية عليه المتعة
لا نصف مهر المثل فاما اذا كان بعد المساس فعليه في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر
المثل وقيل كلمة او [illegible]
فرضا ومتعوهن عطف على مقدر [illegible] اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب
المتعة جبر ايحاش الطلاق [illegible] على حسب الحال على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره اي ما يليق بحال كل واحد وقرئ بسكون الدال وهي لغة
من الاعراب النظر الى حال المطلقة
اي الموسع والمقتر
لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها الاقل من نصفه ولا ينقص من خمسة دراهم
متاعا تمتيعا بالمعروف اي بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا او
مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات
بالتمتيع بالمعروف وانما سماهم محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة قبل ذلك او بعده اي فان طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق عند
النكاح بناء على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الربط بالنسبة
اليهما بنفس الفرض من المبني للفاعل او من المفعول وان لم يفد الا حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية
فيما سبق تم الادب في مقارنتهما وكذلك الحال في اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها فيما سبق فنصف ما
فرضتم اي فلهن نصف ما سميتم لهن او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة الاولى
انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اي فادوا نصف ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع انها الاصل في العقد
والاكثر في الوقوع لما ان الآية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امرأة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل
الدخول بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام عند طلبها ان لا شيء له
متعها بقلنسوتك الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال
الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق في
الاعتبار والتقدير فالواو في الاولى ضمير والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل
مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ها هنا وقد عطف عليه محل ما بعده قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي
بيده عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساق اليها كملا
على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة عدم السوق مشاكلة
او تغليبا لحال السوق على حال عدمه وفي الاستثناء تجمع الى منع الزيادة في المستثنى منه كما اشير في الصورة
الاولى الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر بلا نقصان ولا زيادة في جميع الاحوال الا حال عفوهن فانه
لا يكون لهن القدر المذكور بل ينتفي ذلك او ينحط او في حال عفو الزوج فانه يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا
على النفس الثاني لا بد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا لان في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه
هذا عندنا وفي القول القديم للشافعي رضي الله عنه ان المراد بعفو الولي الذي بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو
ظاهر المأخذ خلا ان الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى فان اسقاط حق الصغيرة ليس في
شيء من التقوى وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول واكمل لها الصداق

وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض
كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما
تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اي داوموا على ادائها
لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان
احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها والمثابرة عليها من غير
اشتغال عنها بشأنهم بل بشأن انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال
بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الآخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى اي المتوسطة
بينها والفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة
العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه الصلوة والسلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود عليهما الصلوة
والسلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها باشغالهم ومكاسبهم ولاجتماع ملائكة الليل والنهار وقيل
هي صلوة الظهر لانها وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها وقيل صلوة الفجر
لانها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل صلوة
المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ولانها تقع بين صلوتي الليل والنهار وهي وتر النهار ولا تنقص
في السفر وقيل صلوة العشاء لانها بين جهريتين واقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس
رضي الله عنهما انه عليه الصلوة والسلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون احدى الاربع
فخصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ وعلى الصلوة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ
الوسطى وقوموا لله اي في الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل
هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب رضي الله عنه
المراد به القنوت في الصبح فان خفتم اي من عدو او غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم اي فصلوا
مشاة راجلين وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد وقرئ رجلا اي راجلا او ركبانا
جمع راكب اي فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف في الجملة وقد
جوز الشافعي رضي الله عنه اداءها حال المسايفة ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله
اي فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم اي كتعليمه اياكم ما لم
تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة والمراد به التشبيه اي تكون الصلوة المؤداة موافقة لما علمه الله
تعالى وايرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم ما لم
تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتي الخوف والامن هذا
وفي ايراد الشرطية الاولى بكلمة ان المنبئة عن مشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية
الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في جواب الاولى والاطناب في
جواب الثانية المبنيين على تنزيل مقام وقوع المأمور به فيهما منزلة وقوع الامن تنزيلا حسنا
لا جرى مقتضى المقام الاول في كل منهما لجري مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار
ما فيه عبرة لاولي الابصار والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام
المفصلة فيما سلف اثر بيان الاحكام وتوسيطه بينهما لما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك وصية
لازواجهم اي ليوصوا وصية او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيده قراءة من قرأ كتب
عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدأ او الخبر اي حكم الذين يتوفون

منكم ويذرون

منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم
وصية او عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية متاعا الى الحول نصب بيوصون
ان اضمرته والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد
كما في قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين
يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يتمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك
اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما في التلاوة
متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع والثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي
باقية فان خرجن من منزل الازواج باختيارهن فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن
في انفسهن من معروف لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه
دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة الورثة وملازمتها مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها
ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب
على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعي في احكامه مصالح عباده وللمطلقات سواء كن مدخولا
بهن او لا متاع اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير
وابو العالية والزهري للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير
المدخول بهن والتكرير للتأكيد بالمعروف شرعا وعادة حقا على المتقين اي حقا
لا ينبغي كذلك اي مثل ذلك التبيان الواضح يبين الله لكم آياته الدالة على الاحكام التي شرعها
لعباده لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل
الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شأنهم البديع فان اسماعهم بمنزلة الرؤية البصرية او العلمية
او لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشياع بحيث يحق لكل احد ان يحمل على
الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويتعجب منها وان لم يكن من اهل ذلك او سمع قصتهم بان هذا الكلام قد
جرى مجرى المثل في مقام التعجيب لانه شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور
امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجرى مع الرائي
قصدا الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الى الذين خرجوا
من ديارهم على تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا
لتضمينه معنى الوصول والانتهاء على معنى الم ينته علمك اليهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل
عشرة الاف وقيل ثلاثون الفا وقيل سبعون الفا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل
حذر الموت مفعول له روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها
هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه
وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه
واصابعه تعجبا مما رأى من امرهم فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا
هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى
الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال
لهم الله موتوا اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم
ميتة نفس واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان واقصاه بامر آمر مطاع لمأمور مطيع
كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف اما على مقدر يستدعيه

للمقام أي فماتوا ثم أحياهم وأما حذف فللدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى
عن إرادته وأما على التفسير الثاني فلما أن الاعتبار بعد الإماتة تتوقف به تشجيع المسلمين على الجهاد
والتعرض لأسباب الشهادة وأن الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه الفرار فأولى أن يكون في سبيل الله تعالى
إن الله لذو فضل على الناس قاطبة أما أولئك فقد أحياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا
بالسعادة العظمى وأما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم إلى مسالك الاعتبار والاستبصار والجهاد
لنا في مقام الإيجاد الموجب للتشجيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يعينه ما قبله كأنه قيل
فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيل الله لما علمتم أن الفرار لا ينجي من الحمام وأن
المقدر لا محالة فإن كان قد حان الأجل فموت في سبيل الله عز وجل وإلا فنصر عزيز وثواب
واعلموا أن الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في أنفسهم وهو من وراء
الجزاء ثوابا وعقابا فسارعوا إلى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة من ذا الذي يقرض الله من
استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبرها والموصول صفة لذا أو بدل منه وإقراض الله تعالى
مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد هاهنا إما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس
والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته وإما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما أوليا قرضا
حسنا أي إقراضا مقرونا بالإخلاص وطيب النفس أو مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له
بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فإنه في معنى أيقرض الله وقرئ بالرفع أي يضاعف أجره
وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة
المغالبة وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب أضعافا جمع ضعف ونصبه على أنه حال من الضمير
المنصوب أو مفعول ثان لتضمن المضاعفة معنى التصيير أو مصدر مؤكد على أن الضعف اسم المصدر
والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها إلا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط
أي يقتر على بعض ويوسع على آخرين أو يقتر تارة ويوسع أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح
فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يتبدل الحال عليكم ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر للإيماء إلى أنه
يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط بالصاد لمجاورة الطاء وإليه ترجعون فيجازيكم على
ما قدمتم من الأعمال خيرا أو شرا ألم تر تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه التذكار لما استعد له في التعجب
مع أنه مزيد ارتباطها وسطيتها بما من الأمر بالقتال إلى الملإ من بني إسرائيل الملأ من القوم وجوههم
وأشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لأنهم يملؤون العيون
مهابة والمجالس بهاء أو لأنهم مليئون بما ينبغي لهم من نحو ... وما في ... تعالى من بعد
موسى وعاملهما مقدر وقع حالا من الملإ أي كائنين من بعض بني إسرائيل من بعد وفاة موسى عليه الصلاة
والسلام لأخبر في اتحاد الحرفين لفظا عند اختلافهما معنى إذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام
أي اذكر قصة الملإ أو حديثهم حين قالوا لنبي لهم هو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليه الصلاة
والسلام وقيل شمعون بن صفية بنت علقمة من ولد لاوي بن يعقوب عليهم الصلاة والسلام وقيل
إشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية إسماعيل قال مقاتل هو من نسل هارون عليه الصلاة والسلام
قال مجاهد إشمويل بن هلقايا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله أي أنهض للقتال معنا أميرا نصدر في
تدبير الحرب عن رأيه وقرئ نقاتل بالرفع على أنه حال مقدرة أي ابعث لنا مقدرين القتال أو استئناف
مبني على السؤال وقرئ يقاتل بالياء بالجزم والرفع على أنه وصف لملكا قال استئناف وقع
جوابا عن سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فماذا قال لهم النبي حينئذ فقيل قال هل عسيتم إن كتب

ولكن أكثر الناس لا يشكرون أي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز أن يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار صح

عليكم

عليكم القتال ألا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به أي هل قاربتم أن لا تقاتلوا
كما أتوقعه منكم والمراد تقرير أن المتوقع كائن وأن المترقب في معرض الشرط فالمنسوب بأن يقال هل عسيتم
إن بعثت لكم ملكا إلى آخره مع أنه أظهر تعلقا بكلامهم بل لذكر كتابة القتال عليهم للإيذان بأن تخلفهم
فإنهم إذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بإيجاب الله تعالى فلأن لا يقاتلوا عند عدم فرضيته
أولى ولأن ما ذكروه رعاية لما هو أن سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ
عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استئناف كما سبق وما لنا ألا نقاتل أي أي سبب لنا
في أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا أي والحال أنه قد عرض لنا ما يوجب
القتال إيجابا قويا من الإخراج عن الديار والأوطان والاغتراب عن الأهل والأولاد وإفراد الأبناء بالذكر
لمزيد تقوية أسباب القتال وذلك أن جالوت رأس العمالقة وملكهم وهو جبار من أولاد عمليق بن عاد
كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني إسرائيل
وأخذوا ديارهم وسبوا أولادهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية وأخذوا
توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي عليه الصلاة والسلام ذلك وبعث الملك تولوا أي أعرضوا
وتخلفوا لكن لا في ابتداء الأمر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله وإنما ذكر هاهنا
مآل أمرهم إجمالا إظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين إلا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا
بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد أهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم
على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد ونسيان ... في أقوالهم وأفعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع
في تفصيل ما جرى بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من الأقوال والأفعال إثر الإشارة الإجمالية إلى مصير حالهم
أي قال لهم بعدما أوحي إليه ما أوحي إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا
من الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روي أنه عليه الصلاة والسلام لما دعا ربه أن يجعل لهم ملكا أتي بعصا
يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت قالوا استئنافا كما مر أنى يكون له الملك علينا أي من أين يكون
أو كيف يكون ذلك ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الأولى حالية والثانية عاطفة
جامعة للجملتين في الحكم أي كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق منه ولعدم ما يتوقف
عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد أن النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من أسباط بني إسرائيل
وهو سبط لاوي بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام وسبط المملكة بسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما
الصلاة والسلام ولم يكن طالوت من أحد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل
سقاء قال إن الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك أولا بأن
مدار الأمر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانيا بأن العمدة فيه وفور العلم
ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة
الأعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وجل وزاده بسطة في العلم
أي العلم المتعلق بالملك أو به وبالديانات أيضا وقيل قد أوحي إليه ونبئ والجسم قيل بطول القامة فإنه كان
أطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى إن الرجل القائم كان يمد يده حتى ينال رأسه والله يؤتي ملكه أي الذي له
من يشاء من عباده والله واسع عليم يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك وبمن لا يليق به وإظهار
الاسم الجليل لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيطه فيما بين قوليه المحكيين عنه عليه الصلاة والسلام
للإشعار بعدم اتصال أحدهما بالآخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق
طلبوا منه عليه الصلاة والسلام آية تدل على أنه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم روي أنهم قالوا ما آية ملكه

فقال إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت أي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما أنه لا يزال
يرجع إليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت ورهبوت والمشهور أن يوقف على تائه من غير قلبها هاء
والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه الصلاة والسلام سخطا على بني
إسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت
من السماء والملائكة يحفظونه فأتاهم كما وصف والقوم ينظرون إليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن
عباس وقال أرباب الأخبار إن الله تعالى أنزل على آدم تابوتا فيه تماثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
من أولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين فكان عند آدم عليه الصلاة والسلام
إلى أن توفي فتوارثه أولاده واحدا بعد واحد إلى أن وصل إلى يعقوب عليه الصلاة والسلام ثم بقي في أيدي بني
إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى عليه الصلاة والسلام فكان عليه الصلاة والسلام يضع فيه التوراة وكان إذا قاتل
قدمه فكانت تسكن إليه نفوس بني إسرائيل وكان عنده إلى أن توفي ثم تداولته أيدي بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا
في شيء تكلم التابوت وحكم بينهم وكانوا إذا حضروا القتال يقدمونه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم
وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فإذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا
وأفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما أراد الله
تعالى أن يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى إن كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس مدائن
فعلم الكفار أن ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فأخرجوه وجعلوه على ثورين فأقبل الثوران يسيران وقد
وكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما حتى أتوا منزل طالوت فلما أتاهم البينة على ملك طالوت
قال لهم النبي إن آية ملكه أنكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده أيقنوا بملكه فيه سكينة من
ربكم أي في إتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم أو في التابوت ما تسكنون إليه وهو التوراة الموعودة
فيه بناء على ما مر أن موسى عليه الصلاة والسلام إذا قاتل قدمه فتسكن إليه نفوس بني إسرائيل وقيل
السكينة صورة كانت فيه من زبرجد وياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فيئن فيزف
التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان
لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون هي رضاض الألواح
وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه الصلاة والسلام
وآلهما أبناؤهما أو أنفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما أو أنبياء بني إسرائيل تحمله الملائكة حال من التابوت أي إن آية
ملكه إتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك وحمل الملائكة على الرواية الأخيرة عبارة
عن سوقهم للثورين الحاملين له إن في ذلك إشارة إلى ما ذكر من شأن التابوت وهو من تمام كلام النبي
عليه الصلاة والسلام لقومه أو إلى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهته الله تعالى جيء
به في تمام القصة لإظهار كمال العناية به وإفراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على
التقدير بتأويل الفريق أو غيره كما سلف لآية لكم دالة على ملك طالوت أو على نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم حيث أخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر إن كنتم مؤمنين
أي مصدقين بتمليكه عليكم أو بشيء من الآيات والشرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله
وقيل هي بمعنى إذ فلما فصل طالوت بالجنود أي انفصل بهم عن بيت المقدس وأصل فصل فصل
نفسه ثم اتخذ فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل
وقيل فصل فصولا وفرج وكونه أصله بنفسه هناك من المتعدي بصدده كوقف وقفا ووقفه
وقفا وكصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع

حالا من طالوت أي ملتبسا بهم مصاحبا لهم روي أنه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم
يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا أبتغي إلا الشاب النشيط
الفارغ فاجتمع إليه ممن اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا أن يجري الله
تعالى لهم نهرا فقيل لما ظهرت آية ما تعلقت به مشيئته تعالى من جهة النبي عليه الصلاة والسلام
أو بطريق الوحي عند من يقول بنبوته قال إن الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن
شرب منه أي ابتدأ شربه من النهر بالكرع لأن الشرب منه حقيقة فليس مني أي من جملتي
وأشياعي المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لكمال الاتحاد
ومن لم يطعمه أي لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه مأكولا كان أو مشروبا أو غيرهما قال وإن شئت
حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا أي لم يذقه فإنه مني إلا من اغترف
غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وإنما أخر عن الجملة الثانية لإبراز
كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة ما يغرف
وقرئ بفتح الغين على أنها مصدر والباء متعلقة باغترف أو بمحذوف وقع صفة لغرفة
أي غرفة كائنة بيده روي أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته وأما
الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فشربوا منه عطف على مقدر
يقتضيه المقام أي فابتلوا به فشربوا منه إلا قليلا منهم وهم المشار إليهم فيما سلف بالاستثناء
من التولي وقرئ إلا قليل منهم ميلا إلى جانب المعنى وإضرابا عن عداوة اللفظ جانبا فإن قوله تعالى
فشربوا منه في قوة فلم يطيعوه فحق أن يحمل المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق وعض زمان
يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف فإن قوله لم يدع من المال في حكم لم يبق فلما جاوزه
أي النهر هو أي طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق
بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا عن الموصول كأنه قيل فلما
جاوزه والحال أن الذين آمنوا كائنون معه وهم أولئك القليل وفيه إشارة إلى أن من عداهم بمعزل من الإيمان
قالوا أي بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده أي بمحاربتهم
ومقاومتهم فضلا عن أن يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة
ألف مقاتل شاكي السلاح قال استئناف مبني على سؤال كأنه قيل فماذا قال المخاطبون فقيل قال الذين
يظنون أنهم ملاقو الله أي الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه
وإفرادهم بذلك الوصف لا ينافي إيمان الباقين فإن درجات المؤمنين في التيقن والتوقع متفاوتة
أو الذين يعلمون أنهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة
والضمير في قالوا للمتخلفين منهم كأنهم قالوا اعتذارا عن التخلف وقال بينهم كم من فئة أي فرقة
وجماعة من الناس من فأوت رأسه إذا شققته أو من فاء إذا رجع فوزنها على الأول فعة وعلى
الثاني فلة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت أو استفهامية مفيدة للتكثير ومحلها في
حيز الرفع بالابتداء وخبرها غلبت أي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة بإذن الله
أي بحكمه وتيسيره فإن دوران كافة الأمور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وإن قل عدده
ولا يعز من خذله وإن كثر أسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل لطاقة
بفئة كثيرة حسبما وقع في كلام المخاطبين مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وفيه أن ما تراءى
ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد

وان العلم به ربما يورث اليأس من الغلبة ولا ينقطع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة
ينبغي ان يكون مدار الحكم الوارد على الموصول لا اقل من ان يكون وصفا ملائما له فالمراد بلقائه
تعالى نصره وتاييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنة نصره تعالى بمعيته سبحانه حيث
قيل والله مع الصابرين فان المراد به معية نصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة
كما فعل بازاء ما فعلوا لا يليق بحالهم فيما بصدده من الاغراض للتنبيه على تشجيعا للخاطبهم
وتسلية لهم على الصبر لوقوعه على الغلبة ولا الغلبة لما اخرس الغيبة بانه تابع لها وكذلك اذا
حمل ذلك الاثبات على كلام من رجحه الله تعالى يجيء به تقويما لكلامهم وللمعنى قال الذين يظنون اي
يعلمون من جملة النبي او من رجحه التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى فهي ايضا تغلب جالوت وجنوده والله وايضا خبر انه سامع ان اللقاء
مستقبل الدلالة على تقرره وتحققه ولما برزوا اي ظهروا لجالوت ومن معه من المؤمنين فصاروا
الى براز من الارض في موطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعُدد وايقنوا انهم
غير مطيقين بهم عادة قالوا اي جميعا متضرعين وقول الفريق الاول منهم تقوية الفريق الثاني
الى الله تعالى مستغيثين به ربنا افرغ علينا صبرا في مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده
الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ المعرب عن
الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى وثبت اقدامنا في مداحض القتال ومزال
النزال وتثبيت القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة
لا مجرد التقرر في حيز واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في موضع
الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا
حيث قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال التثبيت المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذي
هو الغاية القصوى فهزموهم اي كسروهم وهزموهم بنصرته باذن الله بنصره وتاييده اجابة لدعائهم
وايثار هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا الخ للمحافظة على ما سبق من
توهم غلبة فئة كثيرة باذن الله وقتل داود جالوت كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت
مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه
الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار كل منها يقول احملني فانك بنا
تقتل جالوت فحملها في مخلاته ثم قيل لما ابطأ على ابيه خبر اخوته في المصاف ارسل داود اليهم ليأتيه
بخبرهم فأتاهم وهم في المصاف وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان يكل مبيلا
فقال داود لاخوته اما منكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فقام الى ناحية اخرى ليس فيها اخوته
وقد مر به طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف
قال طالوت انكحه ابنتي واعطيه شطر مملكتي فبرز له داود فرماه بما معه من الاحجار بالمقلاع
فاصابه في صدره فنفذت الحجارة منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل انما كلمته الاحجار حين برز
لجالوت في المعركة فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه
فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه الصلاة والسلام واعطي النبوة وذلك قوله عز وجل
وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها والحكمة اي النبوة
ولم تجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر وما اجتمعا
قبل عليه السلام قط وعلمه مما يشاء اي مما يشاء الله تعليمه اياه لا مما يشاء داود عليه السلام

كما قيل

كما قيل الا ان معظم ما علمه الله اياه ثم الا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع في امنية بشر ليتمكن من طلبه
ومشيئته كالسرد والانة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفية ولولا دفع
الله الناس بعضهم الذين يباشرون الشر والفساد ببعض آخر منهم يردونهم عما هم عليه بما قدر
الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية او غيره وقرئ دفاع على ان صيغة المبالغة للمبالغة
لفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها وقيل
لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيثهم فيها وقتلهم المسلمين او لو لم يدفعهم بالمسلمين
لعم الكفر ونزلت السخطة فاستاصلت اهل الارض قاطبة ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره
على العالمين كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض
التالي خلا انه وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه اعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا
بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد
من افراد فضله العظيم كانه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الارض وتنتظم به
مصالح العالم وينصلح احوال الامم تلك اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وتمليك طالوت على التفصيل
المرقوم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه آيات الله المنزلة من عنده تعالى والجملة
مستأنفة وقوله تعالى نتلوها عليك بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام اما حال من الآيات
والعامل معنى الاشارة واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب بالحق في حيز النصب على انه حال
من مفعول نتلوها اي ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها
موافقة لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي
ملتبسا بالحق وانك لمن المرسلين اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالتنا واجراء اوامرنا
واحكامنا عليهم فان هذه القصص لا تجري بينك وبين غيرك فهي شهادة منه سبحانه برسالته صلى
الله عليه وسلم اثر بيانه ما يستوجبها والتأكيد بان واللام لمقتضيات مقام المجاحدين بها تلك الرسل اشير به
الى من ذكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل العظام عليهم الصلاة والسلام اثر بيان كونه من
جملتهم او للاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واللام في الكل للاستغراق وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل
الى الذين ثبت علمه عليه الصلاة والسلام فضلنا بعضهم على بعض في مراتب الكمال بان خصصناه بمناقب
تقتضيه بمشيئتنا مما ليس تحليته لغيره منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل المذكور اجمالا اي منهم من فضله
بان كلمه تعالى من غير سفير وهو موسى عليه الصلاة والسلام حيث كلمه ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ
كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمة فانه كلم الله تعالى كما انه تعالى كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالم والعدول
الى الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع بيتما سبق من مطلق التفضيل
وما يلحق من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على
غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب سامية وتغيير الاسلوب لتربية
ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه
الاخبار بكونه صلى الله عليه وسلم منهم فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج
والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم
شأنه والاشعار بانه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث
خصه تعالى بكرامة الخلة وقيل ادريس عليه الصلاة والسلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولوا

العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من إحياء الموتى وإبراء
الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات والإنجيل وأيدناه أي قويناه بروح القدس بضم الدال
وقرئ بسكونها أي بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق وهي روح عيسى عليه الصلاة والسلام وإنما
وصفت بالقدس للكرامة أو لأنه عليه الصلاة والسلام لم تضمه الأصلاب ولا أرحام الطوامث وقيل
جبريل عليه الصلاة والسلام تمامه وإفراده عليه الصلاة والسلام بما ذكر لرد ما بين الكتابيين في شأنه
عليه الصلاة والسلام من التفريط والإفراط والآية ناطقة بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متفاوتة
الأقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم أي جاؤوا
من بعد الرسل من الأمم المختلفة أي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل
المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره
لو شاء هدى الناس جميعا ما اقتتل الآخرون بعد ذلك من بعد ما جاءتهم من جهة أولئك الرسل البينات
المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الإعراض عنهم
المؤدي إلى الاقتتال فمن متعلقة باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية أشير به إلى قياس استثنائي مؤلف
من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها إلا أنه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه
للإيذان بأن الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كأنه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لأنهم اختلفوا
اختلافا فاحشا فمنهم من آمن أي بما جاءت به أولئك الرسل من البينات وعملوا به ومنهم من كفر بذلك كفرا
لا ارعواء له عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء أحوالهم
ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة أيضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال
بحسب العادة ما اقتتلوا وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما أن الكل تحت ملكوته تعالى
فالتكرير ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على أن اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته تعالى لعدم
اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء
بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد أي
من الأمور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئة عدم اقتتالهم فإن الترك أيضا من جملة الأفعال
أي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير أن يوجب عليه موجب أو يمنعه مانع وفيه دليل بين على أن
الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خيرا كان أو شرا إيمانا كان أو كفرا يا أيها الذين آمنوا أنفقوا في سبيل
الله مما رزقناكم أي شيئا مما رزقناكم على أن ما موصولة حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى
للحث على الإنفاق كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الإنفاق الواجب لاقترانه بالوعيد
من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من متعلقة بما تعلقت به أختها ولا
ضير فيه لاختلاف معنييهما فإن الأولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية أي أنفقوا بعض ما رزقناكم
من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم فيه إذ لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه أو تفتدون
به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به أخلاؤكم أو يعينوكم عليه ولا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن
ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذمتكم وإنما رفعت الثلاثة مع قصد
التعميم لأنها في التقدير جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون أي التاركون
للزكاة وإيثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللإيذان بأن ترك
الزكاة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة هم الظالمون أي الذين ظلموا أنفسهم
بتعريضها للعقاب أو وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه الله لا إله إلا هو مبتدأ

وخبر

وخبر أي هو المستحق للعبودية لا غير وفي إضمار خبر لا مثل في الوجود أو يصح أن يوجد خلاف
النحاة معروف الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء وهو إما خبر ثان أو خبر مبتدأ
محذوف أو بدل من لا إله إلا هو أو بدل من الله أو صفة له ويعضده القراءة بالنصب على المدح
لاختصاصه بالنعت القيوم فيعول من قام بالأمر إذا حفظه أي دائم القيام بتدبير الخلق
وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تأخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم
النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع العاملي وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه
سنة وليس بنائم والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات
الأبخرة المتصاعدة فتمنع الحواس الظاهرة عن الإحساس رأسا والمراد بيان انتفاء
اعتراء شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى لا لأنهما قاصرات بالنسبة إلى القوة الإلهية
فإنه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل إلى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء
على أن القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوي كما في قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة
ولا نوم وإنما تأخير النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي وتوسيط كلمة لا للتنصيص
على شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية وأما
التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الأخذ فلما أن الواقع أن عروض السنة والنوم
لمعروضهما إنما يكون بطريق الأخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تأكيد لما قبلها
من كونه تعالى حيا قيوما فإن من يعتريه أحدهما يكون مؤوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير وقيل
استئناف مؤكد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم له ما في السموات وما في
الأرض تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الألوهية والمراد بما فيهما ما هو أعم من أجزائهما
الداخلة فيهما ومن الأمور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم من ذا الذي يشفع
عنده إلا بإذنه بيان لكبرياء شأنه تعالى وأنه لا يدانيه أحد ليقدر على تغيير ما يريده بشفاعة
وضراعة فضلا عن أن يدافعه عنادا أو مناصبة يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي ما
قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لأنك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي أو أمور الدنيا وأمور الآخرة
أو بالعكس أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والأرض
بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم أو لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة
والسلام ولا يحيطون بشيء من علمه أي من معلوماته إلا بما شاء أن يعلموه وعطفه على ما قبله
لما أن مجموعهما دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات
والأرض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب إلى الكرس الذي هو الملبد وليس
ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وإنما هو تمثيل لعظمة شأنه عز وجل وسعة سلطانه وإحاطة
علمه بالأشياء قاطبة على طريقة قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه أخذا من كرسي العالم وقيل عن ملكه
أخذا من كرسي الملك فإن الكرسي كلما كان أعظم بلغت عظمة القاعد أكثر وأوفر وعن شمول علمه
أو عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه وإحاطته بالأقطار العلوية والسفلية وقيل
هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلاة ما السموات السبع والأرضون
السبع مع الكرسي إلا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله
الفلك الثامن وعن الحسن البصري أنه العرش ولا يؤوده لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما أي حفظ

السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه **وهو العلي** المتعالي
بذاته عن الاشباه والانداد **العظيم** الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه فتامل كيف ارتبط
هذه الاية الكريمة على امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجليلة فانها
ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره كما ان
القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه
وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع
ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له فيه العالم وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها
وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله
شان عن شان متعال عما تناله الاوهام عظيم لا تحدق به الافهام تفرد بفضائل رائقة وخواص
فائقة خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم اية في القرآن اية الكرسي من قراها بعث الله
تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيآته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه الصلاة والسلام
ما قرئت هذه الاية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين
ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم
من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق
او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات
حوله وقال عليه الصلاة والسلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان
وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد
الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وتخصيص سيادته صلى الله عليه
وسلم للعرب بالذكر في اثناء تعداد السادات الخاصة لا يدل على نفيها عما عداهم لما دلت عليه الاخبار المستفيضة
والانعقاد عليه الاجماع من سيادته صلى الله عليه وسلم لجميع افراد البشر **لا اكراه في الدين** جملة
مستانفة جيء بها اثر بيان تفرده سبحانه ونعوته الجليلة الموجبة للايمان به وحده
ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم
وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري
من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما
ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما
قد تبين الرشد من الغي استئناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في
قوله عز وجل فقد بلغت من لدني عذرا اي قد تميز بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره
في شيء منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المؤدي الى الشقاوة
السرمدية **فمن يكفر بالطاغوت** هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه
ولامه فقيل هي في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتانيث
لارادة الالهة وهو راي سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد
والجمع والتذكير والتانيث اي فمن يكفر بما يطغيه ويصده عن الحق من الباطل بموجب الدلائل الواضحة والايات البينة
ويكفر بالشيطان او الاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته تعالى لما تبين له كونه
بمعزل من استحقاق العبادة **ويؤمن بالله** وحده لما شاهده من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص

الالوهية

الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد فتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه
عليه فان التخلية متقدمة على التحلية **فقد استمسك بالعروة الوثقى** اي بالغ في التمسك بها
كانه وهو متلبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه **لا انفصام لها** الفصم الكسر بغير
ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة اما استئناف
مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى
ولها في حيز الخبر اي كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة
الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض لصلابته لكونه مستندا الى البراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة
من التمسك بالحبل المحكم المامون انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز ان تكون العروة الوثقى مستعارة
للاعتقاد الحق ضمنا لما ذكر من الملازمة او ترشيحا للاستعارة الاولى **والله سميع** بالاقوال **عليم**
بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد
والوعيد **الله ولي الذين آمنوا** اي معينهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم
في الجملة مآلا او حالا **يخرجهم** تفسير للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في
ولي **من الظلمات** التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبهات بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية
من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية بل مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما
ستعرفه **الى النور** الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه
كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع
الظلمات لتعدد فنون الضلال **والذين كفروا** اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم **اولياؤهم الطاغوت**
اي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدا واولياؤهم مبتدا ثان والطاغوت
خبره والجملة خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز
عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين
بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا **يخرجونهم** بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال
والاغواء **من النور** الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة
النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها **الى الظلمات** ظلمات
الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت او
خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح في اسناده من حيث الخلق الى قدرته
سبحانه **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح **اصحاب النار**
اي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم **هم فيها خالدون** ماكثون ابدا **الم تر الى الذي حاج
ابراهيم في ربه** استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى الم
تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا
لرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله اولا ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو اجتراؤه على
المحاجة في الله عز وجل وما اتى بها في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما بعده تعددا
وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم على انه قد اشير في تضاعيفه الى هداية الله تعالى ايضا بواسطة
ابراهيم عليه الصلاة والسلام فان ما يحكي عنه من الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافر من آثار ولايته
تعالى وهمزة الاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر او الم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف
تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور

يحب الإيجاد فيفضي إلى الحدوث كما يحط من الخطاب فظهر أن الكفرة أولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام تشريف له وإيذان بتأييده في المحاجة أن آتاه
الله الملك أي لأن آتاه أي أبطره إيتاء الملك وحمله على المحاجة أو حاج لأجله وضعا للمحاجة التي هي أقبح
وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاداني فلان لأني أحسنت إليه أو وقت أن آتاه الله الملك
وهو حجة على من منع إيتاء الله الملك للكافر إذ قال إبراهيم ظرف لحاج أو بدل من آتاه على الوجه الأخير ربي الذي يحيي ويميت
بفتح ياء ربي وقرئ بحذفها روي أنه عليه الصلاة والسلام لما كسر الأصنام سجنه نمرود
ثم أخرجه فقال من ربك الذي تدعو إليه فقال ربي الذي يحيي ويميت أي يخلق الحياة والموت في الأجساد
قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال اللعين في هذه المقالة القوية فقيل قال أنا أحيي وأميت
روي أنه دعا برجلين فقتل أحدهما وأطلق الآخر فقال ذلك قال إبراهيم استئناف كما سلف كأنه
قيل فماذا قال إبراهيم لمن في هذه المرتبة في الحماقة وماذا فعل فقيل قال فإن الله يأتي بالشمس
من المشرق حسبما اقتضته مشيئته فأت بها من المغرب إن كنت قادرا على مثل مقدوره تعالى
لم يلتفت عليه الصلاة والسلام إلى إبطال مقالة اللعين إيذانا بأن بطلانها من الجلاء والظهور
لا يكاد يخفى على أحد وأن التصدي لإبطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل وانتقل إلى ما لا يجد اللعين
فيه مجالا للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر أي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل أي الموصول
مفعوله أي فغلب إبراهيم الكافر وأسكته وإيراد الكفر في حيز الصلة للإشعار بعلية الحكم والتنصيص
على كون المحاجة كفرا والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي لا يهدي الذين
ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب إعراضهم عن قبول الهداية إلى مناهج الاستدلال أو إلى سبيل
النجاة أو إلى طريق الجنة يوم القيامة أو كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى
للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وإيثار أو الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز
عن توهم اتحاد المستشهد عليه من أول الأمر والكاف لما أن منكر الإحياء كثير فتحقق بها التنبيه
على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل نصر [illegible]
آخر وقيل المعنى أو أرأيت مثل الذي مر على قرية كيف هداه الله وأخرجه من ظلمة الاشتباه
إلى نور العيان والشهود أي فرأيت ذلك وشاهدته فإذن لا ريب في أن الله ولي الذين آمنوا إلى آخره
هذا وإن جعل الهمزة لمجرد التعجيب تأويل المنفي في الأول إلى انظر إلى الذي حاج إلى آخره أي انظر إليه
وتعجب من أمره وفي الثاني أو أرأيت الذي إلى آخره إيذانا بأن حاله ومما يجب عليه في الغرابة بحيث لا يرى له
مثل لما استقر عليه رأي الجمهور [illegible]
عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي
وقيل هو أرميا بن حلقيا من سبط هارون عليه الصلاة والسلام قاله وهب وعبد الله بن عبيد
وقيل أرميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية
بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي
هي دير سابر آباد وقال السدي هي دير سلما باد والأول هو الأظهر والأشهر روي أن بني
إسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد بعيد سلط
الله عليهم بختنصر البابلي فسار إليهم في ستمائة ألف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس
وجعل بني إسرائيل أثلاثا ثلثا منهم قتلهم وثلثا منهم أقرهم بالشام وثلثا منهم سباهم وكانوا مائة
ألف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم أربعة غلمة

وكان عزير

وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على
أفظع مرأى وأوحش منظر وهو قوله عز وجل وهي خاوية على عروشها أي ساقطة حيطانها على سقوفها
بأن سقطت السقوف ثم الحيطان من خوى البيت إذا سقط أو من خوت الأرض إذا تهدمت والجملة
حال من ضمير مر أو من قرية بتخصيصها بالوصف أو مطلقا قال أي تلهفا عليها وتشوقا
إلى عمارتها مع استشعار اليأس عنها أنى يحيي هذه الله وهي على ما ترى من الحالة العجيبة
المباينة للحياة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث إن الاستبعاد ناشئ من جهتها
لا من جهة الفاعل وأنى نصب على الظرفية إن كانت بمعنى متى والعامل يحيي وأيا ما كان
فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من تقاعد أهلها الذين تفرقوا أيدي سبا ومن غيرهم
وإنما عبر عنها بالإحياء الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطب وتأكيدا للاستبعاد
كما أنه لأجل ذلك عبر عن خرابها بالموت حيث قيل بعد موتها وحيث كان هذا التعبير معربا
عن استبعاد الإحياء بعد الموت على أبلغ وجه وآكده أراه الله عز وجل أبعد الأمرين
في نفسه ثم في غيره كما أراه ما استبعده صريحا مبالغة في إزاحة ما عسى يختلج
في خلده وأما حمل إحيائها على إحياء أهلها فيأباه التعرض لحال القرية دون حال أهلها
والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه أدخل في الاستبعاد لشدة
مباينته للحياة وغاية بعده عن قبولها على أنه لم يتعلق إرادته تعالى بإحيائهم كما تعلقت
بعمارتها ومعاينته إياها كما ستحيط به خبرا فأماته الله والبثه ميتا مائة عام
روي أنه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها أحدا فقال ما قال وكانت أشجارها
قد أثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فأماته الله تعالى في منامه وهو شاب
وأمات حماره وبقيت تينه وعنبه وعصيره عنده ثم أعمى الله تعالى عنه عيون الخلق فلم
يره أحد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس يقال
له نوشك إلى بيت المقدس ليعمره ومعه ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل فجعلوا يعمرونه
وأهلك الله تعالى بختنصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني إسرائيل وردهم إلى
بيت المقدس ونزل إليه من تفرق منهم في الأكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا
عليه فلما تمت المائة من موت عزير أحياه الله تعالى وذلك قوله تعالى ثم بعثه وإيثاره
على أحياه للدلالة على سرعته وسهولته وإيذانا بأنه بعثه كما يبعث النائم من النوم وللإيذان بأنه
أعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنطق والاستدلال قال استئناف مبني على
السؤال كأنه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن الإحاطة بشؤونه
تعالى وأن إحياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم أنه لبث في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به
مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على أمر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو إبقاء الغذاء
المتسارع إلى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير وكم نصب على الظرفية
مميزها محذوف أي كم وقتا لبثت والقائل هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك من قبله تعالى
فقيل نودي من السماء يا عزير كم لبثت بعد الموت قال لبثت يوما أو بعض يوم قاله بناء على التقريب
والتخمين أو استقصارا لمدة لبثه وأما ما يقال من أنه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب
فقال قبل النظر إلى الشمس يوما ثم التفت إليها فرأى منها بقية فقال أو بعض يوم على وجه الإضراب
فبمعزل من التحقيق إذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناه على حسبان الغروب لتحقق النقصان

من اوله قال استئنافا فكأنه سائل قيل **بل لبثت مائة عام** عطف على مقدر اي ما لبثت ذلك القدر
بل هذا المقدار **فانظر** لتعاين امرا اخر من جملة ايات قدرتنا **الى طعامك وشرابك لم يتسنه**
اي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روي انه وجد تينه وعنبه كما جنى
وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو كقوله لم يمسسهم سوء اذ المراد بالطعام
والشراب وافراد الضمير لجريانهما مجرى الجنس كالغذاء واما لان الاخير يكفيما يدل على
حال الاول لتوحده قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسنه والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه
من السنة لما ان لامها هاء او واو وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة
كما في تقضي البازي وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت عليه يعني
هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه بادغام التاء في السين **وانظر**
الى حمارك كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من لبثك
المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل **ولنجعلك آية للناس** عطف على مقدر متعلق بفعل
مقدر قبله بطريق الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق اي فعلنا ما فعلنا من احيائك بعد ما ذكر
لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن
بان يشاهدوك وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ احقاب من علم
التوراة كما سيأتي او متعلق بفعل مقدر بعده اي ولنجعلك آية لهم على البعث المذكور فعلنا ما فعلنا
فهو على التقديرين تعليل على ما ذكر من اللبث المديد كما قرر بينه وبين الامر بالنظر الى الحمار وكرر
الامر في قوله تعالى **وانظر الى العظام** مع ان المراد عظام الحمار ايضا لما ان المأمور به اولا هو النظر
اليها من حيث انها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث تعتريها الحياة ومباديها
اي وانظر الى العظام الحمار لتشاهد كيفية الاحياء في غيرك بعدما شاهدته في نفسك **كيف ننشزها**
بالزاي المعجمة اي نرفع بعضها الى بعض ونردها الى اماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا
بها وقال الكسائي نلينها ونعظمها ولعل من فسره بنحييها اراد بالاحياء هذا المعنى وكذا
من قرأ ننشرها بالراء من انشر الله تعالى الموتى اي احياها لا معناه الحقيقي لقوله تعالى **ثم نكسوها لحما**
اي نسترها به كما يستر الجسد باللباس واما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله اراد به ضد
الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة اما حال من العظام اي فانظر اليها محياة مكسوة
لحما او بدل اشتمال اي فانظر الى العظام كيفية انشارها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية
نفخ الروح لما انها مما لا تقتضي الحكمة بيانه روي انه نودي ايتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمع
فاجتمع كل جزء من اجزائها التي ذهب بها الطير والسباع وطارت بها الرياح من سهل وجبل فانضم بعضها الى
بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمكانها والرأس بموضعه ثم الاعصاب والعروق
ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق **فلما تبين له** اي
ما دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحياء ومباديه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الامر
المذكور وانما حذف للايذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله
عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشرها
الله تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اي اتضح اتضاحا تاما **قال**
اعلم ان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها ما شاهدته في نفسه وفي غيره من تعاجيب الاثار
قدير لا يستعصي عليه شيء من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر

نظر الى ذلك كله لم يتغير ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان وتحققه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء
على الاستبعاد العادي واستعظاما للامر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اي فلما
تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف وقرئ تبين له على صيغة المجهول
وقرئ قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الامر روي انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر الناس
وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت زمن عزير
فقال لها يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكر عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء
شديدا فقال لها فاني عزير فقالت سبحان الله انى يكون ذاك قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت
ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله يرد علي بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بيده
عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت
اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في انديتهم وكان في المجلس ابن
لعزير بلغ من العمر مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها
فقالت انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة
سوداء على كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قرأ التوراة
اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا احد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه
من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بخت نصر
حدثني ابي عن جدي انه دفن التوراة يوم سبينا في خابية في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها
لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوه فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عزير عن ظهر القلب فما اختلفا
في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **واذ قال ابراهيم** دليل اخر
على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما لم يسلك به مسلك الاستشهاد
كما قيل بان يقال او كالذي قال الخ جريا على ما يليق بشأنه عليه الصلاة والسلام في اثناء المحاجة ولا يكون
[illegible] عليه الصلاة والسلام في لحوق الاذى [illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible]
احياءه بعد مائة عام من جملة الشهود على قدرته تعالى [illegible] والظرف منصوب بمضمر صريح
بمثله في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء اي واذكر وقت قوله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كانها مشاهدة عيانا **رب** كلمة استعطاف [illegible]
ارني من الرؤية البصرية [illegible] الجملة الاستفهامية
المعلقة لها [illegible] **كيف تحيي الموتى** [illegible]
انظر اليه وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه او بالحال عند الاخفش والعامل
فيها تحيي اي في اي حال او على اي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال
شيء موجود متقرر الوجود عند السائل [illegible] الاحياء [illegible]
احياء الموتى وانما سأله عليه الصلاة والسلام [illegible] ويزداد قلبه اطمئنانا
واما ما قيل من انه لما قال انا احيي واميت قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان احياء الله

ثم احيى برد الارواح الى الاجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير
آخر ثم سأل ربه ان يريه ذلك فيأباه تعليل السؤال بالاطمئنان قال استيناف كما مر غير مرة
اولم تؤمن عطف على مقدر اي الم تعلم ولم تؤمن بأني قادر على الاحياء كيفما اشاء حتى تسألني
اراءته قال له عز وعلا ذلك وهو عالم بانه عليه الصلوة والسلام اثبت الناس ايمانا ليجيب بما
اجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين قال بلى علمت وآمنت بانك قادر على الاحياء على اي كيفية
شئت ولكن سألت ما سألت ليطمئن قلبي بمضامة العيان الى الايمان والايقان وازداد بصيرة
بمشاهدة تلك الكيفية بعينه قال فخذ الفاء لجواب شرط محذوف اي ان اردت ذلك فخذ اربعة من الطير
قيل هو اسم جمع طائر كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو
تخفيف طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة على انه
كائنة من الطير قيل هي طاووس وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الاخير وتخصيص
الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتي ما يفعل به من التجزية والتفريق
وغير ذلك فصرهن من صاره يصوره اي اماله وقرئ بكسر الصاد من صاره يصيره لغة فيه
وقرئ فصُرّهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وقرئ فصرّهن
من التصرية من الجمع اي اجمعهن اليك لتتأملها وتعلم شأنها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء
ان جزءا من اجزائها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤوسها ثم امر بان يجعل
اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي جزئهن وفرق اجزاءهن
على ما بحضرتك من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعا او سبعا من كل
طائر وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا او تشديده عند الوقف ثم اجراء
الوصل مجرى الوقف ثم ادعهن يأتينك جزم على انه جواب الامر ولكنه بني لاتصاله
بنون جمع المؤنث سعيا اي ساعيات مسرعات او ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية امره
عز وجل من غير تعرض لامتثاله عليه الصلوة والسلام ولا لما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى
كما روي انه عليه الصلوة والسلام نادى فقال تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى
صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤوسهن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحدة
منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها
عنها من الجلالة والظهور بحيث لا حاجة له الى الذكر اصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل
ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال حيث اراه الله تعالى ما سأله في الحال على ايسر ما يكون
من الوجوه واري عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام عليهما الصلوة والسلام واعلم ان الله عزيز
غالب على امره لا يعجزه شيء عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في افاعيله فليس بناء افعاله على الاسباب
العادية لعجزه عن ايجادها بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله اي في وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل حبة لا بد من تقدير مضاف
في احد الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل اي
اخرجت ساقا تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد
في الذرة والدخن وفي الاراضي المغلة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى الارض
والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها حاضرة بين يدي الناظر والله يضاعف تلك المضاعفة

انما

او فوقها الى ما شاء الله تعالى لمن يشاء ان يضاعف له بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه
وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل
الله جملة مبتدأة جيء بها لبيان كيفية الانفاق الذي بين فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما
انفقوا اي ما انفقوه او انفاقهم منا ولا اذى المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب
بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة
وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار
علو رتبة المعطوف قيل نزلت في عثمان رضي الله عنه حين جهز جيش العسرة بالف بعير
باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حين اتى النبي صلى الله عليه وسلم
باربعة آلاف درهم صدقة ولم يكن يخطر ببالهما شيء من المن والاذى لهم اجرهم اي حسب
ما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفي تكرير
الاسناد وتقييد الاجر بقوله عند ربهم من التأكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء
المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك
اتباع المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم
يفعلوا فيأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه من
المكاره ولا هم يحزنون لفوات مطلوب من المطالب قل او جل اي لا يعتريهم ما يوجبه لا انه يعتريهم ذلك
لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط
والسرور وكيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله وهيبته واستقصارا
للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخلص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان
انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر ان النفي وان دخل على نفس المضارع
يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف اي كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره
يرد به السائل من غير اعطاء شيء ومغفرة اي ستر لما وقع من السائل من الالحاف في المسألة
وغيره مما يثقل على المسؤول وصفح عنه وانما صح الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف
وفي الثاني بالعطف او بالصفة المقدرة اي ومغفرة كائنة من المسؤول خير للسائل من صدقة
يتبعها اذى لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاول من الضرر والجملة مستأنفة مقررة
لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وقيل المغفرة نيل المغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل
او عفو السائل اعتبارا للخيرية بالنسبة الى المسؤول يؤدي الى ان يكون في الصدقة الموصوفة نسبة
اليه خير في الجملة مع بطلانها بالمرة والله غني لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى
ويرزقهم من جهة اخرى حليم لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها
بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتملة على الوعد والوعيد مقررة لاعتبار الخيرية بالنسبة الى
السائل قطعا يا ايها الذين آمنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة
في ايجاب العمل بموجب النهي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اي لا تحبطوا اجرها باحدهما
كالذي في محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تبطلوها ابطالا كابطال الذي ينفق
ماله رئاء الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اي لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق
اي الذي يبطل انفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو رأي سيبويه وانتصاب رئاء

اما على الحال مشبهة بالمنفق اي لاجل رئاء الناس او على انه حال من فاعل ينفق اي ينفق ماله مرائيا
والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الآخر حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا
فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اي فمثل المرائي في الانفاق وحالته العجيبة كمثل صفوان
اي حجر املس عليه تراب اي شيء يسير منه فاصابه وابل اي مطر عظيم القطر فتركه صلدا
املس ليس عليه شيء من الغبار اصلا لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء
اي لا يجدون له ثوابا قطعا لقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استئناف مبني على السؤال
كانه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون … ومن ضرورة كونه مثلهم كما ذكر كون
مثل من يبطل صدقته بالمن والاذى كذلك والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى كما في
قوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا لان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضمائر الاربعة
السابقة له باعتبار اللفظ والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر
لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا من الرياء والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان
يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم
اي وليثبتوا بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه
فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه
فقد ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تعالى
حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان
مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق
تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات الثلاث
وقد قرئ بها المكان المرتفع اي مثل نفقتهم في الزكاء كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من ان
يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح المسلطة عليه فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى
ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد فهو ابعد من هبوب الرياح وقرئ
كمثل حبة اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين
اي مثلي ما كانت تثمر في سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل فالمراد بالضعف المثل وقيل
اربعة امثال ونصبه على الحال من اكلها اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فطل يكفيها
لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل والطل المطر الصغير القطر وقيل
فالذي يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من الاحوال ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله باعتبار ما صدر عنهم من النفقة
الكثيرة والقليلة بحال الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من
المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة
في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء منه وهو ترغيب في
الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة
لانكار الوقوع كما في قوله اضرب … لا لانكار الواقع كما في قولك اتضرب اباك فان مناط الانكار ليس مجرد تعلق
بالود بل … واصابة الاعصار وما يتبعها من الاحتراق ان تكون له جنة وقرئ جنات من نخيل
واعناب اي كائنة منهما على ان يكون الاصل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين الجامعين
لفنون المنافع والباقي من المستتبعات لا على ان لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق

على الاشجار

على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة
سحقا وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجري من تحتها الانهار اذ
على الثاني لا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وكذا لا بد من جعل اسناد الاحراق اليها فيما
سيأتي مجازيا فالجملة في محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او
في محل النصب على انها حال منها لانها موصوفة له فيها من كل الثمرات الظرف الاول خبر والثاني حال
والثالث مبتدأ اي صفة المبتدأ قائمة مقامه اي له رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا الا له
مقام معلوم اي وما منا احد الا له مقام معلوم وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو التكثير كما في قوله
تعالى واوتيت من كل شيء واصابه الكبر اي كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها
ومظنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اي وقد اصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء حال من الضمير في اصابه اي اصابه الكبر والحال ان له ذرية صغارا لا يقدرون على الكسب
وترتيب مبادي المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اي ريح عاصفة تستدير في
الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود فيه نار فاحترقت عطف على
فاصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها كالرياء
ثم يجدها يوم القيامة عند كمال حاجته اليها وقد جعلها هباء منثورا في الحسرة والاسف عليها
كذلك اي مثل ذلك البيان الواضح الجاري
في الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون كي تتفكروا فيها وتعتبروا
بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما ينفق
منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اي انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اي من طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار
والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بفتح التاء اصله ولا تتيمموا وقرئ بضمها
وقرئ ولا تأمموا والكل بمعنى القصد اي لا تقصدوا الخبيث اي الردي الخسيس وهو كالطيب من
الصفات الغالبة التي لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث
والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اي لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه
او من الخبيث اي مختصا به الانفاق وايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث
خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر
وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بما يقتضيه
المقام او للموصولين على طريقة قوله كأنه في الجلد توليع البهق او للثاني وتخصيصه بذلك لما ان
التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اي لا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم
او مما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم بآخذيه حال على كل حال من واو تنفقون
اي تنفقونه والحال انكم لا تأخذونه في معاملاتكم في وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه الا
ان تغمضوا فيه اي الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية
او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض
وتدخلوا فيه او توجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام
عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استؤنف فقيل على طريق التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال
انكم لا تأخذونه الا اذا اغمضتم فيه ومآله الاستفهام الانكاري فكأنه قيل أمنه تنفقون

إلى نحوه واعلموا أنّ الله غنيّ عن إنفاقكم وإنما يأمركم به لمنفعتكم وفي الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور علمهم
به توبيخ لهم على ما يصنعون من إعطاء الخبيث وإيذان بأن ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فإن إعطاء
مثله إنما يكون عادة عند اعتقاد المعطي أن الآخذ محتاج إلى ما يعطيه بل مضطر إليه حميد
مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والإثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد
هو الإخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتباً على شيء من زمان وغيره يستعمل في الشر استعماله في الخير
قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا أي يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا
وإنما عبر عن ذلك بالوعد مع أن الشيطان لم يضف مجيء الفقر إلى جهته لتنزيل تسببه له في الإخبار
بتخويفه منزلة نزوله في نفس الوقوع منزلة أفعاله الواقعة بحسب تدبيره أو لوقوعه في مقابلة
وعد الله تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء وبسكون القاف وبضمتين وبفتحتين ويأمركم بالفحشاء
أي بالخصلة الفحشاء أي ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور
والعرب تسمي البخيل فاحشاً قال طرفة بن العبد أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش
المتشدد وقيل بالمعاصي والسيئات والله يعدكم أي في الإنفاق مغفرة لذنوبكم وقوله تعالى
منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التي أفادها تنكيرها أي مغفرة
كائنة منه عز وجل وفضلاً صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل أي فضلاً كائناً منه تعالى أي خلفاً مما أنفقتم زائداً عليه
في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثواباً في الآخرة والله واسع قدرة وفضلاً فيتحقق عنه
ما وعدكم به من المغفرة والخلف فيما تنفقونه عليم مبالغ في العلم فيعلم إنفاقكم فلا يكاد يضيع أجركم ويعلم
ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يؤتي
الحكمة قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه وروي عن ابن نجيح أنها الإصابة في القول والعمل
وعن إبراهيم النخعي أنها معرفة معاني الأشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الأشياء وقيل
هي الإقدام على الأفعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل أنها تفسر في القرآن بأربعة أوجه
بمواعظ القرآن والحري ملقيه من كتاب الأسرار ومن ثم بالعلم والفهم والحري بالنبوة ولعل الأنسب
بالمقام ما ينتظم الأحكام المبينة في تضاعيف الآيات الكريمة من أحكام الحسنين الأولين ومعنى إيتائها
تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها أي يبينها ويوفق للعلم والعمل بها من يشاء من عباده أن يؤتيها
إياه بموجب سعة فضله وإحاطة علمه كما آتاكم ما بينه في تضاعيف الآي من الحكم البالغة التي يدور عليها
فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا إلى العمل بها وللوصول لفضل العناية تقدم المفعول الثاني للعناية به
والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل
أي ومن يؤته الله الحكمة وإظهارها في مقام الإضمار لإظهار الاعتناء بشأنها وللإشعار بعلة الحكم
فقد أوتي خيراً كثيراً أي أي خير كثير فإنه حيز الدارين وما يذكر أي وما يتعظ بما أوتي من الحكمة
أو وما يتفكر فيها إلا أولوا الألباب أي العقول الخالصة من شوائب الهوى والركون إلى متابعة الهوى وفيه
من الترغيب في المحافظة على الأحكام الواردة في شأن الإنفاق ما لا يخفى والجملة إما حال أو اعتراض
تذييلي وما أنفقتم من نفقة بيان لحكم كلي شامل لجميع أفراد النفقات إثر بيان حكم ما كان
منها في سبيل الله وما إما شرطية أو موصولة حذف عائدها من الصلة أي وما أنفقتموه
من نفقة أي نفقة كانت في حق أو باطل في سر أو علانية أو نذرتم النذر عقد القلب على شيء
والتزامه وهو كضرب ونصر من نذر أي نذر كان في طاعة أو معصية بشرط أو بغير شرط

متعلق بالمال

متعلق بالمال أو بالأفعال كالصيام والصلاة ونحوهما فإن الله يعلمه الفاء على الأول داخلة
على الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون
العطف بكلمة أو كما في قولك إن جاءك زيد أو عمرو فأكرمه ولا يقال أكرمهما فهو عائد إلى الثاني كما في قوله تعالى إن يكن
غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما بل إنما وحد الضمير تارة إلى المقدم رعاية للأولية كما في قوله تعالى وإذا رأوا
تجارة أو لهواً انفضوا إليها وأخرى إلى المؤخر رعاية للقرب كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ومن يكسب
خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً وحمل النظم على ما قبلها بالمذكور تعسف ظاهر أو على حذف الأول لدلالة
الثاني عليه كما مر في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله وقول من قال نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف فيجري فيما عطف فيه بالواو
ولكن معه تعسف مستغنى عنه ثم نحو إرجاع الضمير إليهما ملاحظة لكونهما موصولة وتصدير
الجملة بأن لتأكيد مضمونها وإفادة لتحقيق الجزاء أي فإنه تعالى يجازيكم عليه البتة إن خيراً
فخير وإن شراً فشر ففيه ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وما للظالمين بالإنفاق والنذر
في المعاصي أو بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور أو بإنفاق الخبيث أو بالرياء والمن والأذى
ونحو ذلك مما ينتظم معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق أن يوضع فيه
من أنصار أي أعوان ينصرونهم من بأس الله تعالى لا شفاعة ولا مدافعة وإيراد صيغة
الجمع لمقابلة الظالمين أي وما لظالم من الظالمين من نصير من الأنصار والجملة ابتدائية مقررة لما
فيها قبلها من الوعيد مفيد لتفظيع حال من ينضم إلى الظالمين ورعاية لحال إن تبدوا الصدقات
فنعما هي نوع تفصيل لبعض ما أجمل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما أي إن تظهروا
الصدقات فنعم شيئاً إبداؤها بعد أن لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين على الأصل
وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون وإخفاء حركة العين وهذا في الصدقات
المفروضة وأما في صدقة التطوع فالإخفاء أفضل وهو الذي يشير إليه قوله تعالى وإن تخفوها أي
تعطوها خفية وتؤتوها الفقراء وتشكل التصريح بإيتائها الفقراء مع أنه واجب في الإبداء أيضاً لما أن
الإخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فإن الغني ربما يدعي الفقر ويقدم على قبول الصدقة سراً
ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم أي فالإخفاء خير لكم من الإبداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف
بالمال وأما في الواجب فالأمر بالعكس ليدفع التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل
علانيتها بسبعين ضعفاً وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً
ويكفر عنكم من سيئاتكم أي والله يكفر أو الإخفاء ومن تبعيضية أي شيئاً من سيئاتكم كما
ستعرفونه وقيل مزيدة على رأي الأخفش وقرئ بالنون مرفوعاً ومجزوماً على أن الفعل للصدقات
وقرئ بالياء مرفوعاً عطفاً على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نكفر أي
أنها جملة مبتدأة من فعل وفاعل وقرئ مجزوماً عطفاً على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط
والله بما تعملون من الإسرار والإعلان خبير فهو ترغيب في الإسرار ليس عليك هداهم أي
لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الإتيان بما أمروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من
القبائح المعدودة وإنما الواجب عليك الإرشاد إلى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه
بما أوحي إليك من الآيات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتماً
من يشاء هدايته إلى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جيء بها على
طريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات إلى الغيبة فيما

بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك
امورهم على النبي صلى الله عليه وسلم مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية
وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق على المشركين كي تحملهم
الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت اي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة
لاجل دخولهم في الاسلام فالالتفات حينئذ في الكلام وضع الهدى موضع فقراء المشركين
بارهاب تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى خطاب المكلفين
لزيادة برهم على الامتثال وعلى الثاني تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي صلى الله عليه
وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف
وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اي اي شيء تنفقوا كائنا من مال فلانفسكم اي فهو
لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الديني
لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا
ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست نفقتكم لشيء من الاشياء الا لابتغاء
وجه الله او ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما لكم تمنون بها وتنفقون من الخبيث الذي لا
توجهون مثله الى الله تعالى وقيل هو نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي اجره
وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم فان تنقصوا عن الانفاق سيما على الحسن الوجه
ويجملها فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوفى اليكم ما يخلفه وهي من دعائه عليه
الصلاة والسلام اللهم اجعل للمنفق خلفا وللممسك تلفا وقد حجت اسماء بنت ابي بكر رضي الله
عنهما فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها عن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان
يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وكانوا
ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب
فلا يجوز صرفه الى الكافر ولو ذميا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب او الخلف
اهو الخلف للفقراء متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع ايات الى فرعون
اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله
من الغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة
وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون
صفة المسجد ويستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من اجل تعففهم عن المسالة تعرفهم
بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسالون
الناس الحافا اي الحاحا وهو ان يلازم السائل المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه
اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسالونهم شيئا وان سالوا لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا
وقيل هو نفي لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار ولا
اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء وهو ترغيب في التصدق
لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال
بالخير والصدقة وقيل نزلت في شان الصديق رضي الله عنه حيث تصدق باربعين الف دينار

وعشرة الاف

عشرة الاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله
وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة
فلعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار
وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة
على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اي منهم الذين الخ ولذلك
جوز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين ياكلون الربا
اي ياخذونه فالتعبير عنه بالاكل لما انه معظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما
فيه من زيادة تشنيع وهو الزيادة في المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما
كتب بالواو كالصلاة على لغة من يفخم في امثالها وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون
اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام المصروع
وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء
كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك
يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم
الربا او بيقوم او بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم
بل لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون
ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشناعة بانهم قالوا انما البيع
مثل الربا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه
استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا
الربا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضائع حتما
وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة اليه في السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربا
انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص على انه اشارة اليه
من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي
فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف
وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره للاشعار بكون مجيء الموعظة
للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف اي ما اخذه
قبل التحريم لا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت
شرطية على راي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه
ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد
اي الى تحليل الربا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار
اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب النار اي
ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربا اي يذهب
بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد
المال الذي اخرجت منه الصدقة روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة فيربيها
كما يربي احدكم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب كل

لا يرضى لان الحب يختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات أثيم منهمك في ارتكابه إن الذين
آمنوا بالله ورسله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة تخصيصهما
بالذكر مع اندراجهما في الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكائيل
عقيب الملائكة عليهم الصلاة والسلام لهم أجرهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة خبراً لأن أي
لأجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من أجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أي قوا أنفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربا أي واتركوا بقايا
ما شرطتم على الناس تركاً كلياً إن كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما أمرتم
به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله أي ان كنتم مؤمنين فاتقوه وذروا الخ روي انه
كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت فإن لم تفعلوا أي ما أمرتم
به من الاتقاء وترك البقايا إما مع انكار حرمته وإما مع الاعتراف بها وقوله تعالى
فأذنوا بحرب من الله ورسوله أي فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به وهذا على الأول فخرج
عن المؤمنين وأما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فآذنوا أي فأعلموا غيركم من الأذن وهو الاستماع
فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لفخامتها أي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله ورسوله
روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وإن تبتم من الارتباء مع الايمان
بحرمتها بعدما سمعتموه من الوعيد فلكم رؤوس أموالكم تأخذونها كملاً لا تظلمون غرماءكم
بأخذ الزيادة والجملة إما مستأنفة لا محل لها من الاعراب أو حال من الضمير في لكم والعامل ما
في الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف عليه أي لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص ومن
ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لأن عدمها ان كان مع انكار الحرمة
فهم مرتدون ومالهم المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند أبي حنيفة رحمه الله وكذا سائر اموالهم
عند الشافعي وعندنا بعد لحوقهم ولا شيء لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كانت لهم شوكة
فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رؤوسهم فكيف برؤوس اموالهم والا فكذلك عند ابن عباس رضي الله
عنهما فان من يعامل الربا يستتاب والا ضرب عنقه وأما عند غيره فهم محبوسون الى اظهار
توبتهم لا يمكنون من التصرفات رأساً فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء من اموالهم بل انما يسلم بموتهم لورثتهم
وإن كان ذو عسرة أي ان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على أنها تامة وقرئ ذو عسرة
على أنها ناقصة فنظرة أي فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار والامهال
وقرئ فناظره أي فالمستحق ناظره أي منتظره او فصاحب نظرته على طريق النسب وقرئ فناظره
امر من المفاعلة أي فسامحه بالنظرة الى ميسرة أي الى يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة
ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله واخلفوك عِدَ الأمر
الذي وعدوا وأن تصدقوا بحذف احدى التاءين وقرئ بتشديد الصاد أي وان تتصدقوا
على معسري غرمائكم بالابراء خير لكم أي اكثر ثواباً من الانظار
او خير مما تأخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه فهو تدبير الى ان يتصدقوا برؤوس اموالهم كلاً او بعضاً
على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله
عليه الصلاة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم

جوابه محذوف أي ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوماً يوم القيامة وتنكيره للتفخيم والتهويل
وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون فيه على البناء للمفعول
من الرجع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ بالياء على طريق الالتفات
وقرئ تردون وتصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتفخيم للمبالغة
في تهويل اليوم أي تعطى كاملاً ما كسبت أي جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس يفيد
ان المعاقبين ايضاً لا يظلمون بزيادة عقابهم على مقدار جنايتهم وقيل انه من قبيل النسب وجمع الضمير
لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد اوفق بحال الكسب عن ابن عباس رضي الله عنهما انها آخر آية نزل بها
جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعدها احداً وعشرين يوماً وقيل احداً وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات
يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف
المعاملات الجارية فيما بينهم من بيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربا أي اذا داين بعضكم بعضاً
وعامله بنسيئة معطياً او آخذاً وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه
على تنوعه الى الحال والمؤجل فانه الباعث على الكتب ولتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر الى
أجل متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام او الاشهر ونظائرهما مما يفيد
العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد وقدوم الحاج ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه أي الدين بأجله لانه اوثق
وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما
حرم الله الربا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين
لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالاً وقيل فصل لما أمر به او للقصد الى ايقاع نفس الفعل أي
ليفعل الكتابة وقوله تعالى بالعدل أي وليكن المتصدي للكتابة من شأنه ان يكتب بالسوية من غير
ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه
موثوقاً به معدلاً بالشرع ويجوز ان يكون حالاً منه أي ملتبساً بالعدل وقيل متعلق بالفعل أي
فليكتب بالحق ولا يأب كاتب أي ولا يمتنع احد من الكتاب أن يكتب كتاب الدين كما علمه الله على طريقة
ما علمه من كتبة الوثائق او كتابته بقوله تعالى بالعدل او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله
بتعليم الكتابة كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد
النهي عن إبائها تأكيداً لها ويجوز ان تتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة
ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق الاملال والاملاء واحد أي وليكن المملي من عليه الحق
لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل
للمبالغة في التحذير أي وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه أي من الحق الذي
يمليه على الكاتب شيئاً فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة
كما يتوقع منه النقص فلو أريد نهيه لنهي عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد
في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه
فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فإن كان الذي عليه
الحق صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لا لأن الامر والنهي لغيره سفيهاً ناقص
العقل مبذراً مجازفاً او ضعيفاً صبياً او شيخاً مختلاً او لا يستطيع ان يمل هو أي غير
مستطيع للإملاء بنفسه لخرس او عيّ او جهل باللغة او غير ذلك من العوارض فليملل وليه الذي

يملي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل من غير نقص ولا زيادة لم يكلف من يمليها
كلف به من عليه الحق لانه يتوقى من الزيادة كما يتوقى منه النقص واستشهدوا شهيدين اي اطلبوهما
ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن
من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية
اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم
العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفار او كان من عليه
الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا اي الشهيدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا
شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او بسبب آخر من الاسباب فرجل وامرأتان اي فليشهد رجل
وامرأتان او فرجل وامرأتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة
عند الشافعي رحمه الله ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اي كائنين ممن ترضونهم
عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل
نعت لشهيدين اي كائنين ممن ترضون وقد رد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم
بتكرير العامل وقد ضعف ذلك من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا فقيل لزم الفصل
بين الشرط الرابط وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من
الضمير الراجع الى الموصول اي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم
بهم وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى تعليل
لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته
كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت
الشهادة بان نسيتها ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احداهما فتذكرها الاخرى
لتاكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحداهما بعينها والتذكير بالاخرى
وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى
ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم
شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة كان الرجل
يطوف في الحي العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد ولا تسأموا اي لا تملوا من كثرة مداينتكم
ان تكتبوه اي الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى به عن الكسل الذي هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا
او كبيرا حال من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا اي قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا الى
اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اي مستقرا في الذمة الى وقت حلوله الذي اقر به
المديون ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين اقسط اي اعدل عند الله اي في
حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام
فانه قياسي عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت
في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده
ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء منقطع من الامر بالكتابة اي لكن
وقت كونه تبايعكم او تجارة تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم تتعاطونها يدا بيد
فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها اي فلا بأس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ

بتجارة

بنصب تجارة على انها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا
اذا تبايعتم اي وقت هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة في الآية الكريمة
للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد
نهي عن المضارة محتمل للبناء للفاعل والمفعول ويؤيده قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن
ترك الاجابة والتغيير والتحريف في الكتبة والشهادة او نهي الطالب عن الاضرار بهما بان يعجلهما عن
مهم لهما او يكلفهما الخروج عما حد لهما ولا يعطي الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفي في معنى النهي
وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج عن الطاعة ملتبس
بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه
المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة
في الجمل الثلاث لادخال الروعة وتربية المهابة والتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حيالها
فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على
سفر اي مسافرين او متوجهين اليه في المداينة ولم تجدوا كاتبا وقرئ كتابا وكتبا وكتابا
فرهان مقبوضة اي فالذي يستوثق به او فعليكم او فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس
هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لانه صلى الله عليه
وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق
بالارتهان مقام التوثق بالكتابة في السفر الذي هو مظنة لاعوازها وانما الرهن على حال الشاهد لانه
في حكم الكاتب توثقا او اعوازا والجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن
كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا
اي بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه واستغنى بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن
بعضكم اي آمنه الناس ووصفوه بالامانة فيكون انتصاب بعضا حينئذ على نزع الخافض
اي على متاع بعض فليؤد الذي اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا
للاعلام ولحمل على الاداء امانته اي دينه وانما سمي امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان
وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة
لا تدغم لانها في حكمها وليتق الله ربه في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية
وصفة الربوبية من التاكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون
اي شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه آثم خبر ان وقلبه مرتفع به
على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد
الاثم الى القلب لان الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس
الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه قيل تمكن الاثم في نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق
سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه
الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ اثم
قلبه اي جعله آثما والله بما تعملون عليم فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات
وما في الارض من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولي العلم
وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه وان
تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقول او بالفعل او تخفوه بان

تكتموه منهم ولا اظهرتموه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس وحديث
النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع **يحاسبكم به الله** يوم القيمة وهو
حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به
واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه
يعلمه الله فلان المعلق بما في انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية واما
العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون
بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا
لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة
الابداء اذ ما من شيء يبدي الا وهو قبل ذلك مخفي في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته
الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون **فيغفر** بالرفع على الاستيناف اي فهو يغفر بفضله **لمن يشاء** ان يغفر
له **ويعذب** بعدله **من يشاء** ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح
وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب
الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على انهما بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظيره في
البدلية من الشرط قوله ومتى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا
وادغام الراء في اللام لحن **والله على كل شيء قدير** تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته
تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة
والتعذيب **آمن الرسول** لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة ان ما انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم من
الكتاب العظيم الشان هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الايمان
بما انزل اليه من الكتب الالهية وانهم حائزون لاثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا
تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ ليس فيما ذكر من حيث الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به
من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار
الامم السالفة وغير ذلك مما يقتضي حكمة التشريع عين في خاتمتها المتصفين بها وحكم باتصافهم على
طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم
بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما ان حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب بها
المشهود له ولم يذكر ههنا بيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الآتية ايذانا
بانه امر محقق غني عن التصريح به لا سيما بعدما نص عليه فيما سلف وايراده عليه الصلاة والسلام
بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه عليه الصلاة والسلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه
من قوله تعالى **بما انزل اليه** وتمهيد لتوضيح لا ازدواجه في الرسل الذين هم عليهم الصلاة والسلام
والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه ففيه تحقيق لكيفية ايمانه صلى الله عليه وسلم والتعرض
لعنوان ان يكون عليه الصلاة والسلام بكل ما انزل اليه **من ربه** ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع
والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان
بحقية احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الاجمال
اجلال له عليه الصلاة والسلام واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى
عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى الذكر اصلا وما في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه

الصلاة

الصلاة والسلام تشريفا له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه **والمؤمنون** اي
الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولية لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو
مبتدأ وقوله عز وجل **كل** مبتدأ ثان وقوله تعالى **آمن** خبره والجملة خبر المبتدأ الاول والرابط
بينهما الضمير الذي ناب عنه التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد
بيان ان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع آمن كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين ولتغيير
سبك النظم الكريم عما قبله من تاكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه الصلاة والسلام المبني على المشاهدة
والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كانهما
مختلفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم من
كمال الاعتناء به **بالله** وحده لا شريك له في الالوهية والمعبودية **وملائكته** اي من حيث
انهم عباد مكرمون له تعالى من شانهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان
مدار الايمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة
كما يلوح به الترتيب في النظم **وكتبه ورسله** اي من حيث مجيئهما من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما
شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى
على رسول معين من اولئك الرسل عليهم الصلاة والسلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما
اوتي النبيون من ربهم الآية ولا على ان مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان
بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومستند اليه كما نطق به الآية
الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة
اليها بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها
الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيمة ولما لم يذكرها هنا
الايمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين
لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في افراد الجنس والجمع في جموعه
فلذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا لا يخفى ان تفصيلها اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه فقط ولا يبعد
ابدا ان كما يعتبر في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فرد من افراد الحقيقيات يعتبر في الزيادة ضرورة
اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال
في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه الصلاة والسلام بما انزل اليه
من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق وتوارد الامور المذكورة فيه من
الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في صدر
السورة الكريمة من الايمان بالغيب واما الايمان بكتب الله تعالى فالاشارة اليه في قوله تعالى يؤمنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك وهذا على تقدير ان يراد بالتنزيل والخفي يقتضيه تقدير الجليل وقد يجوز ان
يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى
المعطوفين معا كانه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من
الرسول والمؤمنين آمن بالله الخ خلا انه يلزم منه ان يكون مدلوله مساويا لذلك عليه
عليه الصلاة والسلام في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال الجزالة يشابه

عليه الصلاة والسلام وتفخيم لشأنه من تغيير النظم الكريم لا لان تعلق الحكم من الايمان على ما يليق بشأنه
صلى الله عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل لاستحالة استنادها الى غيره عليه الصلاة
والسلام وضاع النكير وان لحمل على ما يليق بشأن آحاد الامة كما تدل عليه حطا رتبته العلية عليه
الصلاة والسلام وما حملها على ما يليق بكل واحد ممن نسبت اليه من الآحاد ذاتا وتعلقا بان
يحمل بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل
وبالنسبة الى آحاد الامة على الايمان المكتسب من جهته عليه الصلاة والسلام اللائق بحالهم
في الاجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى لا نفرق
بين احد من رسله في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى
منصوب على انه حال من ضمير آمن او مرفوع على انه خبر آخر لكل اي يقولون لا نفرق
بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم وقيد به
اماتهم لحقيقة الحق وتخطئة لاهل الكتاب من حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم
واستقل اليهود بالكفر بعيسى عليه الصلاة والسلام ايضا على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم
بما كفروا به من رسالته عليه الصلاة والسلام لا اظهار موافقتهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى
صريح في ان القائلين آحاد الامة خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه الصلاة والسلام ان
يقول لا نفرق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواه
وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم
من الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم
بناء على اسناد الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل أتوه داخرين
فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور بعضا من خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من
اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول فهمزة احد في دخول بين
عليه لعموم تفصيلية عند قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقق
عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله
وايثار الاظهار على الاضمار الواقع في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد
منهم اما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء
الى عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة وقالوا
عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية
ايمانهم سمعنا اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته واطعنا ما فيه من الاوامر والنواهي
وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك غفرانك ربنا اي اغفر لنا غفرانك او نسألك
غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر
السمع والطاعة على طلب المغفرة لما ان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم لما مر من تحقيق التضرع والجؤار واليك المصير اي الرجوع
بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع للحساب والجزاء
وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه
تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة
ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم

او تخفوه

او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا يا
رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزل الله عليك هذه الآية ولا نطيقها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا
بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل
اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فنسخ الله تعالى ... عز وجل في
قوله عز وجل فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي لا يؤاخذهم بما
بما في انفسهم مما عزموا عليه من السوء خاصة لا بما يعم الخواطر التي لا يستطاع الانفكاك عنها والتكليف
الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تعالى انه لا يكلف
نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى
ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل
على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته
لنعمة التخفيف والتيسير يتضمن مراعاة منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع
الاخلال بمضمونه تحقيقها لا الى غيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى
تحصيله وانتفاء مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب ما كسبت من الخير الذي
كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة تعلمها الكل خيرا مكسوبها وعليها لا
على غيرها بالطريق المذكور عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب
في جانب الشر لما فيه من اعتمال الناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطأنا شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف اي لا تؤاخذنا بما صدر
عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوها مما يدخل تحت التكليف او
بانفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلا فان المعاصي كالسموم فكما
ان تناولها ولو سهوا او خطأ مؤد الى الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عن
عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا انه يجب ... رحمة وفضلا وبه ... عن قوله
عليه الصلاة والسلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان وقد روي انه ... كان اذا نسي شيئا
غلظت عليهم العقوبة ... وللايذان بالاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا ولا تحمل علينا اصرا عطف على ما قبله وتوسيط النداء
بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه والمراد به
التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا
وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا في حيز النصب على انه صفة
لمصدر محذوف اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او على انه صفة لاصرا اي اصرا مثل الاصر الذي
على من قبلنا وهو ما كلف به بنو اسرائيل من بخع النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة
في كل يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة
حرم عليهم من الطعام بعض ما كان يحل لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم وقد عصم الله بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل في شأنهم
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية

التسهيل الشيء آمر ومعنى ... التي ... قبيحها الأولون من المسخ والخسف وغير ذلك وقال عليه
الصلاة والسلام رفع عن أمتي الخسف والمسخ والغرق ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به عطف على
ما قبله واستبعاد ... من العقوبات التي لا تطاق بعد الاصر ... وما يؤدي اليها التفريط فيه من التكاليف
الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلص من التفريط فيها كما قيل ... التكاليف والاختصار
في المحافظة تعريضا بما ... من العقوبات بالعفو ... يؤدي اليها وقيل هو تكرير
للأول وتصوير للاصر بصورة ما لا يستطاع ... من التكليف بما لا يفي به الطاقة
البشرية ... تكليفات ... والتشديد هاهنا للتعدية
الفعل الى مفعول ثان واعف عنا أي امح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا على
رؤوس الأشهاد وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة
لما أن التخلية سابقة على التحلية أنت مولانا فان من حق المولى أن ينصر عبده ومن يتولى أمره
على الأعداء والمراد عامة الكفرة وفيه إشارة إلى إعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله حسبما
أمر في تضاعيف ... غاية مطالبهم روي أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه
الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه الصلاة والسلام أنزل الله آيتين من كنوز الجنة
كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي عام من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل وعنه
عليه الصلاة والسلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من أنكر أن يقال سورة البقرة
وقال ينبغي أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلاة والسلام السورة التي يذكر فيها البقرة
فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا إله إلا هو قد سلف أن ما لا يكون منها من هذه الفواتح مفردة
كصاد وقاف ونون ولا موازنا لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وطاسين
ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الأعجاز
على الوقف سواء جعلت أسماء أو مسرودة على نمط التعديد وإن لزمها التقاء الساكنين لما أنه مغتفر في
باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة أن يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله أبو بكر رواية عن عاصم وأما
ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فإنما هي حركة همزة الجلالة ألقيت على الميم لتدل على ثبوتها إذ ليس
إسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي مبقاة حكما أي في حكم الثابت المبتدأ به والميم تلك تحركت ببقائها في حكم
الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واستشهد بالتخفيف موجود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء الساكنين
التي هي الياء والميم ولا ... لعدم سقوط همزتها وأنت خبير بأن سقوطها يبتني على وقوعها
في الدرج وقد عرفت أن سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها
كما في الحروف فالأسماء المبنية على السكون فإن حقها الاتصال بما بعدها وضعا واستعمالا فيسقط
بها همزة الوصل فيحرك أعجازها لالتقاء الساكنين ثم إن جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا
محل لها من الإعراب كنظائرها من الفواتح وإن جعلت اسما للسورة فمحلها إما الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف
وإما النصب على إضمار فعل يليق بالمقام كما ذكر وأقرأ ونحوهما وأما الرفع بالابتداء أو النصب بتقدير
فعل القسم أو الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لما أن ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للإقسام
عليه فإن الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره فالجملة مستأنفة أي هو المستحق للعبودية لا غير

سورة آل عمران مائتا آية مدنية

وقوله عز وجل الحي القيوم خبر آخر له او لمبتدأ محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة
للمبتدأ او بدل منه او من الخبر الاول او هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيده الاسم
الجليل او حال منه وأيا ما كان ففيه دليل على اختصاص استحقاق العبودية به سبحانه وتعالى
لما مر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير
الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق العبودية به تعالى
لاستحالة تحققه بدونهما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الأعظم في ثلاث
سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه
للحي القيوم وروي ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان اذا اراد ان يحيي الموتى يدعو يا حي يا قيوم
ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي القيام وهذا رد على النصارى الزاعمين ان
عيسى عليه الصلاة والسلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم اميرهم وصاحب
مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وصاحب رحلهم السيد واسمه الأيهم وثمالهم
حبرهم واسقفهم وصاحب مدراسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم
شرفوه وموّلوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له الكنائس فلما خرجوا من نجران
ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال
كرز تعسا للأبعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو حارثة بل تعست امك فقال
كرز ولم يا اخي فقال والله انه النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا
قال لأن هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لأخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز وكان يضمره
الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فأتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة
العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم
فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله
لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة
اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان
واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال
عليه الصلاة والسلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا
حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام الستم تعلمون ان ربنا قيم
على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا
قالوا لا قال عليه الصلاة والسلام الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال عليه الصلاة
والسلام الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث
قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته
كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث
قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا وأبوا الا الجحود ...

عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين آية لما احتج به عليه الصلاة والسلام واجاب به عن
شبههم وتحقيق الحق الذي فيه يمترون ﴿نزل عليك الكتاب﴾ اي القرآن عبر عنه باسم الجنس
ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كأنه هو الحقيق بان يطلق عليه
اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التوراة والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة
على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما
مستأنفة او خبر آخر من الاسم الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو الى آخره اعتراض او حال
وقوله عز وجل الحي القيوم صفة له او بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب والظاهر
حينئذ تكون مستأنفة وفي كونها خبرا بعد خفاء ما لا يخفى اي نزله من عنده ﴿بالحق﴾ حال
من الفاعل او المفعول اي نزله محقا في تنزيله اياه عليك او ملتبسا بالعدل في احكامه او
بالصدق في اخباره التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه وفي وعده ووعيده او بما يحقق انه من
عند الله تعالى من الحجج البينة ﴿مصدقا﴾ حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالا من فاعل
نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فمن يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية جعله حالا منه بعد
واما عند من منعه فقيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار
والمجرور لانه حينئذ يتحمل ضمير الفاعل لقيامه مقام فاعل المجعول له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال
فهي حال مؤكدة وفائدة تقييد التنزيل بها حث اهل الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه
فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه حتما ﴿لما بين يديه﴾ متعلق بمصدقا واللام
دعامة لتقوية العمل ... اي مصدقا لما قبله من الكتب السالفة ووصفها بالحضور
فكمال ظهورها بين الناس وتصديقه لها في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما
لا يليق بشأنه الجليل والامر بالعدل والاحسان وفي انباء الانبياء والامم الخالية وكذا
في نزوله على النعت المذكور فيها وكذا في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر
لا ريب فيه واما في الشرائع المختلفة باختلافهما فمن حيث ان احكام كل واحد منهما واردة حسبما
تقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح
اللائقة بشأنهم ﴿وانزل التوراة والانجيل﴾ تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محلهما تأكيدا
لما قبله وتمهيد لما بعده اذ بذلك يترقى شأن ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد في القلوب
قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد
والانتقام اي انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وانما لم يذكر لان الكلام في الكتابين
لا فيمن نزلا عليه وهما اسمان اعجميان الاول عبري والثاني سرياني ويعضده القراءة بفتح همزة
الانجيل فان افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الوري وعن النجل تعسف ﴿من قبل﴾
متعلق بانزل اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهوره للمبالغة في البيان ﴿هدى﴾
﴿للناس﴾ في حيز النصب على انه علة للانزال اي انزلهما لهداية الناس او على انه حال منهما اي انزلهما حال
كونهما هاديين لهم والافراد لانه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف اي ذوي
هدى ثم ان اريد بهدايتهما ما يعم جميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين
نزولهما الى زمن نسخهما وان اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه
لما ان هدايتهما ما عدا الشرائع المنسوخة من الامور التي يصدقهما القرآن فيها ومن جملتها البشارة
بنزوله وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا تختص بالناس قاطبة ﴿وانزل الفرقان﴾ الفرقان في الاصل

مصدقا

مصدر كالغفران لاطلاقه على الفاعل مبالغة والمراد به هاهنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها
بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها
بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة وابا واما نفس الكتب المذكورة
اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريق العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي
منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل
الداعية الى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تأخره عنه نزولا
لقوة مناسبته للتوراة في الاشتمال على الاحكام والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر واما القرآن
نفسه ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما لشأنه ورفعا لمكانه وقيل لما ذكر تنزيله
التدريجي الى الارض ذكر ثانيا انزاله الدفعي الى السماء الدنيا او اريد بالانزال القدر المشترك العاري عن
قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين الحق والباطل
﴿ان الذين كفروا بآيات الله﴾ وضع موضع الضمير العائد الى ما فصل من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات
الآيات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتأكيدا لاستحقاقهم العذاب
الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منه
فالمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون
فيه دخولا اوليا اي ان الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لا سيما بتوحيده تعالى
وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل جحدا او بعضا منه كانها من النعوت الموجبة للايمان بها بان
كذبوا بالقرآن نصا او بتحريفها من الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما
يصدقه حتما او اصالة ايضا بان كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وبآياتها المبشرة
بنزول القرآن ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها ﴿لهم عذاب﴾ بسبب كفرهم بها ﴿شديد﴾ مرتفع
اما على الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة خبر ان والتنوين للتفخيم اي عذاب
﴿شديد﴾ لا يقادر قدره [illegible]
بذلك من الكتب الالهية [illegible] ﴿والله عزيز﴾
لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد [illegible] ﴿ذو انتقام﴾ [illegible]
وهي السطوة والتسلط [illegible]
وقوله تعالى ﴿ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء﴾ استئناف كلام سيق لبيان سعة
علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا
وجهرا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

العالم لا بمجرد احاطته فتقديم الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشأن احوال اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا. وقوله عز وجل **هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء** جملة مستأنفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى وجريان احوال الخلق في اطوار الوجود حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة مقررة لما قبلها من العلم مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب. وكيف متعلق بيصوركم او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول اي يصوركم كائنا على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول الاحوال المتغايرة من كونهم نطفا ثم علقا ثم مضغا مخلقة وغير مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه الصلوة والسلام وهو من جملة ابناء النواسيت المتقلبين في هذه الاطوار على مشيئة الباري عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى. وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اي صوركم لنفسه وعبادته. **لا اله الا هو** اذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الشئون العظيمة الخاصة بالالوهية احد لتتوهم الوهيته. **العزيز الحكيم** المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع. **هو الذي انزل عليك الكتاب** شروع في ابطال شبههم الناشئة مما نطق به القرآن في نعت عيسى عليه الصلوة والسلام بطريق الاستئناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيئته. قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم يا محمد ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه الصلوة والسلام بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه من الضلال. والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه. ولام الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما سلف من الاعتناء بشأن بشارته عليه الصلوة والسلام بتشريف الانزال عليه من التشويق الى ما انزل فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار برفعة شأنه او بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه الى قسميه. **منه آيات** الظرف خبر وآيات مبتدأ او بالعكس بتأويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني ادخل في جزالة المعنى اذ المقصود الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكر. والجملة مستأنفة او في حيز النصب على الحالية من الكتاب اي هو الذي نزل الكتاب كائنا على هذه الحالة اي منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية. **محكمات** صفة آيات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه. **هن ام الكتاب** اي اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدي الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات. والجملة اما صفة لما قبلها او مستأنفة. وانما افرد الام مع تعدد الآيات لما ان المراد بيان امومة كل واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين

وقيل كالتبني

وقيل كالتبني بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر: بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب. اي واما جلودها. **واخر** نعت لمحذوف معطوف على آيات اي وآيات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر او من آخر. **متشابهات** صفة لاخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف اي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتأمل الانيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول. وقيل لما كان من شأن الامور المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها وان لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجهة. وانما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمئنان الى المعارج القاصية. واما قوله عز وجل كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل او من النسخ او بترتيب الحجج القاطعة الدالة على حقيقتها او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها. وقوله تعالى كتابا متشابها مثاني معناه متشابه الاجزاء اي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول. **فاما الذين في قلوبهم زيغ** اي ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة. قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم على الشر والفساد. **فيتبعون ما تشابه منه** معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتأويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل **ابتغاء الفتنة** اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد. **وابتغاء تأويله** اي وطلب ان يؤولوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل **وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم** فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله والحال ان التأويل مخصوص به تعالى وبمن وفقه الله تعالى له من عباده الراسخين في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام ومداحض الافهام. وفي تعليل الاتباع بابتغاء تأويله دون نفس تأويله وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة والحقية ايذان بانهم ليسوا من التأويل في شيء وانما يبتغون شيئا ليس بتأويل اصلا لانه تأويل غير صحيح قد يعتد به صاحبه. ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به. **يقولون آمنا به** اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب. والجملة على الاول استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون. وقوله تعالى **كل من عند ربنا** من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اي كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده تعالى لا مخالفة بينهما او آمنا به وبحقيته على مراده تعالى. **وما يذكر الا اولوا الالباب** حق التذكر اي الا ذوو العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة. وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تأويله

من نحو دالة العقل عن نحو لبس الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبث به النصارى
من نحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه تعليقا بوجه الاجمال وسيجيء الجواب المفصل
بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ربنا لا تزغ قلوبنا
من تمام مقالة الراسخين اي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال
صلى الله تعالى عليه وسلم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه
عنه وقيل معناه لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا اي الى الحق والتأويل
الصحيح والى الايمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرفية واذ في محل الجر باضافته اليه
خارج من الظرفية اي بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك
كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول
اي كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان
او مكان او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد تكون فضلة ولذا الذي
وقفت بجنبها بظرف للمكان وتضاف الى صريح الزمان كما في قوله تنتفض الرعدة في ظهري
من لدن الظهر الى العصير ولا تقطع عن الاضافة بحال والاكثر اضافتها الى المفردات والى ان وصلتها
كما في قوله ولم تقطع اضلاعه من لدن ان وليتنا قرابة ذي رحم ولا حق مسلم اي من لدن ولايتك
ايانا وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما في قوله تذكر نعماه لدن انت يافع والى الجملة الفعلية
ايضا كما في قوله لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم فلا يك منكم للخلاف جنوح وقد تخلو عن من
كما في البيتين الاخيرين رحمة واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات
على الحق وتأخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الاشعار بكونه من
المنافع بالتمام فاذا ورد لها فضل تمكن انك انت الوهاب تعليل للسؤال او لاعطاء
المسئول وانت اما مبتدأ او فصل او تأكيد لاسم ان واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه
دلالة على ان الهدى والضلال من جهته تعالى وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه
شيء ربنا انك جامع الناس ليوم اي لحساب يوم او لجزاء يوم حذف المضاف واقيم مقامه
المضاف اليه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر
والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا العرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصد الاسنى
عندهم والتأكيد لاظهار ما هم عليه من كمال الطمأنينة واليقين باحوال الآخرة ان الله لا يخلف
الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء الريب والتأكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع
الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في آخر السورة
الكريمة فان مقام طلب الانعام كما سيأتي وللتعرض لهذا الحكم فان الالوهية منافية للاخلاف
وقد يجوز ان تكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات
واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدليل منفصل كما هو مشروط
بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا اثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة
به وشرح شأن القرآن العظيم وكيفية ايمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال من كفر به والمراد
بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة والنضير او مشركو
العرب لن تغني عنهم اي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا في استثقال الحركة على حروف

اللين اموالهم التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار ولا اولادهم الذين بهم يتناصرون
في الامور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتأخير الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف
النفي بينهما اما لعراقة الاولاد في كشف الكروب او لان الاموال اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب
من الله من عذابه تعالى شيئا اي شيئا من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة
الله او بدل طاعته كما في قوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا
الجد منك الجد اي لا ينفعه جده بدلك اي بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سداد اموالهم واولادهم مسد رحمة الله تعالى او طاعته
مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاولى هو الاول لانه منطبق على حال الكفرة وتهويل امرهم والانسب بما
بعده قوله تعالى واولئك هم وقود النار ومن قوله تعالى فاخذهم الله واولئك المتصفون بالكفر
حطب النار وحصبها الذي تسعر به فان اريد بها حالهم عند التسعير فايراد الجملة الاسمية
للدلالة على تحقق الامر وتقرره والا فهو للدلالة على ان حقيقة حالهم ذلك وانهم في الظاهر في حالة
العدم في حال كونهم في الدنيا وقود النار باعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار
ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء والفصل والجملة اما مستأنفة مقررة لعدم الاغناء
او معطوفة على خبر ان واياما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين ان اموالهم واولادهم لا تغني
عنهم منه شيئا وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر اي اهل وقودها كدأب آل فرعون
الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والعادة ومحل
الكاف الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم كما لم
تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الدأب انما هو الكفر
والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء لا سيما على تقدير كونه بمعنى البدل كما هو راي الجمهور ولا الايقاد
النار فيحمل على التعليل وهو خلاف الظاهر على انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي على تقدير
النصب بلن تغني وهو قوله تعالى واولئك هم وقود النار الا ان يجعل استئنافا او معطوفا على خبر ان
فالوجه هو الرفع على الخبرية اي دأب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون
والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون من الامم الكافرة فالموصول في محل الجر عطفا على ما قبله وقوله
تعالى كذبوا باياتنا بيان وتفسير لدأبهم الذي فعلوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال كانه
قيل كيف كان دأبهم فقيل كذبوا باياتنا وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم اي
فاخذهم وعاقبهم ولم يجدوا من بأس الله تعالى محيصا فدأب هؤلاء الكفرة ايضا كدأبهم وقيل كذبوا الى
آخره حال من آل فرعون والذين من قبلهم على اضمار قد اي دأب هؤلاء كدأب اولئك وقد كذبوا الخ وقيل انه
خبر عن الموصول كما قيل فيما نحن بصدده وفق النظم الكريم والالتفات الى التكلم اولا للجري على سنن الكبرياء
والى الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة بذنوبهم ان اريد بها تكذيبهم بالايات
فالباء للسببية تجيء بها تاكيدا لما يفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد بها سائر
ذنوبهم فالباء للملابسة تجيء بها للدلالة على انهم اخذوا وهم ملتبسون بذنوبهم غير تائبين
عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو والتابع وسميت الجريمة ذنبا
لانها تتلو اي تتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ
وتكملة له قل للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا
غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى وفي التوراة

نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة له أخرى فلما كان يوم أحد شكوا
وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الأشرف
في ستين راكبا إلى أهل مكة فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد
بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصاب قريشا ببدر
ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك أنك
لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت أي
قل لهم ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة وإجلاء
بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من أوضح شواهد النبوة وأما ما روي عن مقاتل
من أنها نزلت قبل بدر وأن الموصول عبارة عن مشركي مكة فلذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
يوم بدر إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم وبئس المهاد فيؤدي إلى انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لأن نزوله
بعد وقعة بدر وتحشرون إلى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على أنه عليه الصلاة والسلام أمر
بأن يحكي لهم ما أخبره الله تعالى به من وعيدهم بعبارته كأنه قال أد إليهم هذا القول وبئس
المهاد إما من تمام ما يقال لهم أو استئناف لتهويل جهنم وتفظيع حال أهلها والمخصوص بالذم محذوف
أي بئس المهاد جهنم أو ما مهدوه لأنفسهم قد كان لكم جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المأمور
به جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود أيضا والظرف خبر كان على أنها ناقصة
ولتوسطه بينها وبين اسمها لكن ترك التأنيث كما في قوله: إن امرأ غره منكن واحدة
بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور على أن التأنيث ها هنا غير حقيقي وهو متعلق بكان
على أنها تامة وإنما قدم على فاعلها لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر
أي والله قد كان لكم أيها المغترون بعددهم وعددهم آية عظيمة دالة على صدق ما أقول
لكم إنكم ستغلبون في فئتين أي فرقتين أو جماعتين فإن المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها
معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها فيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع على أنه صفة لآية
وقيل النصب على الخبرية لكان والظرف الأول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا في حيز
الجر على أنه صفة فئتين أي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي
إحداهما فئة كما في قوله: إذا مت كان الناس نصفين شامت وآخر مثن بالذي كنت
أصنع أي أحدهما شامت والآخر مثن وقوله: حتى إذا ما استقل النجم في غلس وغودر
البقل ملوي ومحصود والجملة مع ما عطف عليها مستأنفة لتقرير ما في الفئتين من
الآية وقوله تعالى تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على أنه صفة فئة كأنه قيل فئة مؤمنة
ولكن ذكر مكانه من أحكام الإيمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وإيذانا
بأنه المدار في تحقق الآية وهو دفعة القليل الكثير وقرئ يقاتل على تأويل الفئة بالقوم أو
الفريق وأخرى نعت لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الأولى أي وفئة أخرى
وإنما نكرت والقياس تعريفها لقرينتها لوضوح أن التفريق لنفي المعنى المقدم ذكره وعدم الحاجة
إلى التعريف وقوله تعالى كافرة خبر المبتدأ المحذوف وإنما لم توصف هذه الفئة بما يقابل صفة
الفئة الأولى إسقاطا لقتالهم من درجة الاعتبار وإيذانا بأنهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم
من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة لكن
ضمير محذوف وقع عائدا إلى البدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية عن ضمير المبدل منه

تقاتل في

تقاتل الخ وفئة أخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر أي منهما فئة تقاتل
الخ وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل البعض من الكل وقد مر أنه لا بد من ضمير عائد
إلى المبدل منه ويسمى بدلا تفصيليا كما في قول كثير عزة: وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل
رمى فيها الزمان فشلت وقرئ فئة الخ بالنصب على المدح أو الذم أو على الحالية من ضمير
التقتا كأنه قيل التقتا مؤمنة وكافرة فتكون فئة وأخرى موطئة لما هو الحال حقيقة لاختصاص
بالذكر وصفاهما كما في قولك جاءني زيد رجلا صالحا يرونهم أي يرى الفئة الأخيرة الفئة
الأولى رأيا بعينه يتخيله لأنه متلبس الرؤية بكل واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع
على أنها صفة للفئة الأخيرة أو مستأنفة مبينة لكيفية الآية مثليهم أي مثلي عدد
الرائين قريبا من ألف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا رئيسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
وفيهم أبو سفيان وأبو جهل وكان فيهم من الخيل والإبل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن أصناف
الأسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن أبي الفرات عن سعيد بن أوس أنه قال أسر المشركون رجلا من المسلمين
فسألوه كم كنتم فقال ثلاثمائة وبضعة عشر فقالوا لما كانوا أكثر من الضعف فغلبنا أو مثلي عدد الرائين
أي ستمائة ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعين رجلا من
المهاجرين ومائتين وستة وثلاثين من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وكان صاحب
راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الأنصار
سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه وكان في العسكر تسعون بعيرا وفرسان أحدهما للمقداد
ابن عمرو والآخر لمرثد بن أبي مرثد وست أدرع وثمانية أسياف وجميع من استشهد يومئذ من
المسلمين أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار رضوان الله عليهم أجمعين
أراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه وتعالى
كما أمدهم بالملائكة عليهم الصلاة والسلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ما قللهم في أعينهم
عند ترائيهما ليجترئوا عليهم ولا يهابوهم [illegible] وقيل يرى الفئة الأولى
الفئة الأخيرة مثلي أنفسهم مع كونهم ثلاثة أمثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى
فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين [illegible]
[illegible] قال
نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا
ثم قللهم الله أيضا في أعينهم حتى رأوهم عددا يسيرا أقل من أنفسهم قال ابن مسعود
رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم
مائة فأسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال كنا ألفا [illegible]
في نفس الأمر كما في سورة الأنفال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كما قيل إنما تحمل العبارة [illegible] الفئة التي شاهدت تلك الآية [illegible]

هم المخاطبين بحيث يُدفع التعجيب عنهم بغيبة مبهمة تارة وموصوفة أخرى ثم أسند المشاهدة إليها مع كون إسنادها إلى المخاطبين أوقع في إلزام الحجة وأدخل في التبكيت لا دلالة على أن بهذا تتبين حال حمل الخطاب الثاني للمؤمنين وأما قراءة ترونهم بتاء الخطاب فظاهرها وإن اقتضى توجيه الخطاب الثاني إلى المشركين لكنه ليس بنص في ذلك لأنه وإن اندفع به المحذور الأخير فالأول باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤيتهم لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعدما وقع بينهم بواسطة كعب بن الأشرف من المعاهدة على الميثاق فأسندت الرؤية إليهم مبالغة في البيان وتحقيقا لعروض تلك الحالة لهم فتدبر وقيل الخطاب لجميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يُرونهم وتُرونهم على البناء للمفعول من الإراءة أي يريهم أو يريكم الله تعالى كذلك رأي العين مصدر مؤكد ليرونهم إن كانت الرؤية بصرية أو مصدر تشبيهي إن كانت قلبية أي رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد أي يقوي بنصره من يشاء أي تأييده من غير توسيط الأسباب العادية كما أيد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به إن في ذلك إشارة إلى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلة المشار إليه في الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فإنه نوع من العبور أي لعبرة عظيمة كائنة لأولي الأبصار لذوي العقول والبصائر وقيل لمن أبصرهم وهو إما من تمام الكلام المقول داخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل وإما وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته صلى الله عليه وسلم زين للناس كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية بأصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى إثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كأنها نفس الشهوات أو إيذانا بانهماكهم في حبها بحيث أحبوا شهواتها كما في قوله تعالى إني أحببت حب الخير أو استرذالا لها فإن الشهوة مسترذلة قال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم الآية فإنها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة ووسيلة إلى بقاء النوع وإيثارها بصيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما أن مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين المباح والمحرم فأسند تزيين المباح إليه تعالى وتزيين المحرمات إلى الشيطان من النساء والبنين في محل النصب على أنه حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس فتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فإنهن حبائل [illegible] وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل ملء مسك الثور وقيل سبعون ألف مثقال وقيل أربعون ألف مثقال وقيل ثمانون ألفا وقيل مائة رطل وقيل ألف ومائتا مثقال وقيل ألف ومائتا دينار وقيل مائة من وقيل مائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلف في وزنه فقيل فعلال أو فنعال ولفظ القنطرة مأخوذ منه والتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض أو المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير أو حال والخيل عطف على القناطير قيل هو جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده

خايل

خايل وهو مشتق من الخيلاء المسومة أي المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها إذا أرسلها وسيبها للرعي أو المطهمة التامة الخلق والأنعام أي الإبل والبقر والغنم والحرث أي الزرع مصدر بمعنى المفعول ذلك أي ما ذكر من الأشياء المعهودة متاع الحياة الدنيا أي ما يتمتع به في الحياة الدنيا أياما قلائل فيفنى سريعا والله عنده حسن المآب أي المرجع وفيه دلالة على أن ليس فيما عدده عاقبة حميدة وفي تكرير الإسناد بجعل الجلالة مبتدأ وإسناد الجملة الظرفية إليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم إثر ما بين شأن مزخرفات الدنيا ذكر ما عنده تعالى من حسن المآب إجمالا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير أي أأخبركم بما هو خير مما فصل من ذلك المستلذات المزينة لكم وإبهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق إليه وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم استئناف مبين لذلك المبهم على أنه مبتدأ والجار مع المجرور خبر ومعنى أن جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل إلى الله تعالى والإعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات أو متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المتقين لإظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلق بخير ولكنا الظرف وجنات خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة للخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير والمعنى أن تعليق الإخبار والبيان بما هو خير لطائفة [illegible] ههنا أشبه من الأخير تجري في محل الرفع والجر صفة لجنات على حسب القراءة بين من تحتها الأنهار متعلق بتجري فإن أريد بالجنات نفس الأشجار كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وإن أريد بها مجموع الأرض والأشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وأزواج مطهرة عطف على جنات أي منزهة مما يستقذر من النساء من الأحوال البدنية والطبيعية ورضوان التنوين للتفخيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة أي رضوان وأي رضوان لا يقادر قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء والله بصير بالعباد وبأعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها أو بصير بأحوال الذين اتقوا ولذلك أعد لهم ما ذكر وفيه إشعار بأنهم المستحقون للتسمية باسم العبد الذين يقولون ربنا إننا آمنا في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من أولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الخ أو النصب على المدح أو الجر على أنه صفة للمتقين أو للعباد أو بدل من أحدهما وقوله تعالى والله بصير بالعباد إلخ معترضة وفي تأكيد الجملة لإظهار أن إيمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد الإيمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار الصابرين هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح بإضمار أعني وأما على تقدير كونه في محل النصب أو الجر فنعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين في أقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين على

الطاعات والمواظبين على العبادات **والمنفقين** اموالهم في سبيل الله تعالى **والمستغفرين بالاسحار**
قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة
وقال الحسن مدوا الصلوة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليلة
ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن
الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار
بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع لا سيما
للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها
او لتغاير الموصوفين بها **شهد الله انه** بفتح الهمزة اي بانه او على انه **لا اله الا هو** اي بين وحدانيته
بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والانفس وانزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه
بالشهادة على طريقة الاستعارة وقرئ انه بكسر الهمزة اما باجراء شهد مجرى قال واما بجعل
الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين الخ على قراءة ان بفتح الهمزة كما سياتي
وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين او على المدح وبالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
وما له الرفع على المدح اي هم شهداء لله وهو اما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء
في جمع شاعر **والملائكة** عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار
والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا بذلك **واولوا العلم** اي آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة
التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقيل المهاجرون والانصار
وقيل علماء مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين
عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على الفاعلية للاخيرين قيل بالعطف
على الضمير في شهد ولو فرع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك على قراءة النصب يؤدي الى جعل
حال المذكورين شهادة للملائكة واولي العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه حينئذ كون
ارتفاعهما بالابتداء والخبر على المدح نصبا ورفعا فحينئذ يحسن العطف على المستتر على كل حال
قائما بالقسط اي مقيما للعدل في جميع اموره بيان لكماله تعالى في افعاله اثر بيان كماله في ذاته
وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده بها دون المعطوفين
مع امتناع جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة ولعل
تاخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى قيام شهودهما
اعتناء بشانه ورفعا لمحله وهو السر في تقديمهما على المعطوفين مع ما فيه من الايذان
باصالته تعالى في الشهادة به كما مر في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو
الا هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح منه
وقرئ القائم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة او على انه خبر
مبتدا محذوف وقرئ قيما بالقسط **لا اله الا هو** تكرير للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة
ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى **العزيز الحكيم** فيعلم انه المنعوت
بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته تعالى على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او الصفة
لفاعل شهد او الخبرية لمبتدا مضمر وقد روي في فضلها انه عليه الصلوة والسلام قال يجاء
بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي
الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وروي عن سعيد بن جبير انه كان حول

البيت

البيت ثلاثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الآية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى
نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة
قال احدهما ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا
عليه عليه الصلوة والسلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه الصلوة والسلام انت محمد
قال عليه الصلوة والسلام نعم قالا وانت احمد قال عليه الصلوة والسلام وانا محمد واحمد قالا
فانا نسألك عن شيء فان اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال عليه الصلوة والسلام سلا
فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الآية فاسلم الرجلان
ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضيا لله تعالى
سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة وعن قتادة انه شهادة ان لا اله الا الله
والاقرار بما جاء من عند الله وقرئ ان الدين عند الله الاسلام بالفتح وقرئ ان الدين الخ
على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة
او على ان شهد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه **وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب** نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة لزيادة تقبيح حالهم فان
الاختلاف ممن اوتي ما يزيله ويقطع شافته في غاية القبح والسماجة وقوله عز وجل **الا
من بعد ما جاءهم العلم** استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات اي وما اختلفوا في
حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه او بعد ان علموا
حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والآيات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامي
حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن
العاقل وقوله تعالى **بغيا بينهم** اي حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء
في الامر تشنيع اثر تشنيع **ومن يكفر بآيات الله** اي بآياته الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله
هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او باي آية كانت من آيات الله تعالى على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا
اوليا فان الله سريع الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له اي ومن يكفر بآياته تعالى **فان الله**
تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه **سريع الحساب** اي ياتي حسابه عن قريب او يتم ذلك
بسرعة واظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة على ترتيب العقاب على مطلق الكفر
بآياته من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه
وكون ذلك للبغي لا يخفى كمال الشدة في عقابهم **فان حاجوك** اي في كون الدين عند الله الاسلام او
جادلوك فيه بعد ما اقمت عليهم الحجج **فقل اسلمت وجهي** اي اخلصت نفسي وقلبي وجملتي وانما
عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة
من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى كل شيء **لله** لا اشرك به فيها غيره وهو الدين القويم الذي
قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل عليهم الصلوة والسلام **ومن اتبعن** عطف على المتصل في
اسلمت وحسن للفصل الجاري مجرى التاكيد بالمنفصل اي واسلم من اتبعني او مفعول
له **وقل للذين اوتوا الكتاب** اي من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل
بين وصفي المتعاطفين **والاميين** اي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب **أأسلمتم** متبعين لي كما فعل
المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او

انتم على كفركم بعد كما يقول من يلخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه
فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله تعالى فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه
من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة
ما لا يخفى فان اسلموا اي كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به حسما
لباب اطلاق اسم الاسلام على شيء آخر بالكلية فقد اهتدوا اي فازوا بالحظ ونجوا عن مهاوي
الضلال وان تولوا اي اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام فانما عليك البلاغ قائم مقام الجواب
اي لم يضروك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما قرا هذه الآية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود ا
تشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل
وان تولوا والله بصير بالعباد عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد ان الذين
يكفرون بآيات الله اي آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقيقة الاسلام
على الوجه الذي تفصيله دخولا اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولوهم
الانبياء عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حاموا
حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان عصمه الله عز وجل سلحته المنيفة وقد اشير اليه
بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للدلالة بانه كان عندهم
ايضا بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس اي بالعدل ولعل تكرير الفعل
للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما في الوقت عن ابي عبيدة بن الجراح قلت
يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن
المنكر ثم قرأ ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة
واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم
عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين فبشرهم بعذاب اليم خبر ان
والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تاكيدا وكذا
الحال في التشبيه بالمفتوحة كما في قوله فانما فازكم عن مدلوله ولكن ما يقتضي فسوف يكون
وانما يتغير معنى الابتداء في التمني والترجي بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند
النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كما في
قولك الشيطان فاحذر عدو مبين وعلى الاول هو استئناف واسم الاشارة مبتدأ وما فيه من
معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول مع ما في حيز
صلته خبره اي اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المشار اليهم بسوء الحال الذين حبطت
اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب
اليم في الآخرة وما لهم من ناصرين ينصرونهم من باس الله وعذابه من احدى الدارين وصيغة
الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى وما للظالمين
من انصار الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من تتاتى منه الرؤية من حال اهل
الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم حقيقته
اي الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة على ان اللام للعهد والجملة على جنس
الكتب الالهية وتطويل المسافة اذ تمام التقريب حينئذ بكون التوراة من جملتها لان مدار التشنيع

والتعجب انما هو لاعراضهم عن المحاكمة الى ما ادعوا اليه وهم لم يدعوا الى التوراة والمراد بما اوتوا
منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه
وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنها بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم
التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام
المبالغة في تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذين اوتوا نصيبا منه وهو التوراة والتعبير عنها
والاظهار في مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتاكيد وجوب
المراجعة اليه والجملة استئناف مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل ماذا يصنعون
حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث
ابن زيد على اي دين انت فقال عليه الصلوة والسلام على ملة ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا
فقال صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم
وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ
ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الآخرون
ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما
حال من فريق لتخصصه بالصفة اي يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اي وهم قوم
ديدنهم الاعراض وهو منبئ لخبث ذلك اي حاصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا
النار بارتكاب الذنوب وركوب المعاصي الا اياما معدودات وهي مقدار عبادتهم العجل
وسبع اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم
ذلك وما اشبهه من قولهم ان اباءنا الانبياء يشفعون لنا او ان الله تعالى وعد يعقوب عليه الصلوة
والسلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم
لتكذيبهم وابطال لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل له اي فكيف يكون
حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه روي
ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد
ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون
وانما وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شيء واحد وفيه دلالة
على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل
دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان بزيادة
عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كل منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء
ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخولها عليه مع حرف التعريف وقطع همزته
ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء
ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك اي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث
يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك
ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك بيان لبعض وجوه
التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره
بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية

حقيقة من تشاء اي تعطيه اياه وتنزع الملك ممن تشاء اي تنزعه منه فالملك الاول حقيقي عام والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والآخران بعضان منه فتأمل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى آخرين وتعز من تشاء اي تعزه في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء اي تذله في احدهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله لا يقدر احد غيرك تتصرف فيه فضلا وبسطا حسبما اقتضته مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ ما من شيء جزئي الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لكسب العبد في الجملة لانه من اجزية اعمالهم واما الخير ففضل محض او لمراعاة الادب او لان الكلام فيه فانه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فخرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء صلى الله عليه وسلم واخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل عليه الصلاة والسلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شيء قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار اي تدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة الثاني وتولج النهار في الليل على الحد المذكور وتخرج الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من موادها او من النطفة وقيل تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب بغير تقتير ... قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب او بغير المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هذه الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل بي حلفت لا يقرأكن احد دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني المكنونة كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة ونصرته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم

اولياء وقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين في موضع الحال اي متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس من الله في شيء اي من ولايته تعالى في شيء يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان موالاة المتعاديين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب والجملة اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كأنه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا او باطنا في حال من الاحوال الا حال اتقائكم من جهتهم تقاة اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء الفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا ريب فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي المتأخرين بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا هائلا لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة يعلمه الله فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر في تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما في السموات وما في الارض كلام مستأنف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تأكيدا له وتقريرا والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الضمير لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات المتصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا من النفوس المكلفة عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية تود عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحائف اعمالها من الخير والشر او جزاءهما محضرا لو ان بينها وبينه اي بين ذلك اليوم امدا بعيدا لغاية تهوله وفي اسناد الودادة الى كل نفس سواء كان لها عمل سيء او لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكروا وتود اما حال من كل نفس او استئناف مبني على السؤال الناشئ من الامر باذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا وداة ان بينها وبينه امدا بعيدا وكأن سائلا قال حين امروا بذكر ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقال تود لو ان بينها وبينه الى

آخره او تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت من سوء ولا تكون ما شرطية لارتفاع
تود وقرئ ودت فحينئذ يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية
واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة لكن لا للتاكيد فقط
بل للافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤف بالعباد من ان تحذيره تعالى من ذاته في
بهم ورحمته الواسعة او ان رأفته بهم لا تمنع تحقق ما يحذرهم من عقابه وان تحذيره
ليس مبنيا على تناهي صفة الرأفة بل هي متحققة مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية
المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث
يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا
من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة
طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة
لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرضى عنكم
ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم
في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة والله غفور رحيم اي لمن تحبب
اليه بطاعته وتقرب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة
وعد للمحبة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للتشعير باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة
روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا
نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في اقوام زعموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم
يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام
وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر
قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى
ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون
الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم
قل اطيعوا الله والرسول اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة باتباعه عليه الصلاة
والسلام دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة
والاشعار بعلتها فان الاطاعة المامور بها اطاعته عليه الصلاة والسلام من حيث انه رسول الله لا من
حيث ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها فان تولوا اما من تمام مقول
القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التاءين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى
فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الاطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل
منهم فان الله لا يحب الكافرين نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه تعالى عليهم اي لا يرضى
عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان
سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة
بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين لما بين الله عز وجل
ان الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي

والحسد

والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كافة
والتبعية ذكر مبدأ عيسى عليه الصلاة والسلام وامه وكيفية دعوته الناس الى التوحيد والاسلام
تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شأنهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان
محاجتهم في ابراهيم عليه الصلاة والسلام وادعائهم الانتماء الى ملته ونزه ساحته العلية
عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام دعاة الى
عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم
من الملائكة والنبيين وان اممهم قاطبة مامورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما
معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيقا لكونه مصدقا لما بين يديه من التوراة
والانجيل وتحتيم الطاعة له افتتح ذلك بتقرير فضلهم وتخصيص آدم عليه الصلاة والسلام
بالذكر لانه ابو البشر ومنشأ النبوة وكذا حال نوح عليه الصلاة والسلام فانه آدم الثاني واما
ذكر ابراهيم فلتمهيد امر من اصطفاهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ولزوم
انتمائهم بدعوى الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من ذريته ومع ما مر من التنبيه على كونه
عليه الصلاة والسلام عريقا في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع
اندراجهم في آل ابراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عليه الصلاة والسلام
لكمال رسوخ الخلاف في شأنه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادل على تحققه في الآل وهو
الداعي الى اضافة الآل الى ابراهيم دون نوح وآدم عليهما الصلاة والسلام والاصطفاء الاخذ
لما صفي من الشوائب مثل به اختياره تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية
والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام
او في قرابته وبشأنه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عليه الصلاة والسلام بان خلقه بيده
في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكان الجنة واصطفى نوحا عليه الصلاة
بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزوج المحارم محرما وباطالة عمره وجعل ذريته هم
الباقين وبالنجاة بما يدعونه في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء والمراد بآل ابراهيم اسمعيل
واسحاق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاؤه نفسه عليه
الصلاة والسلام فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى عنه
لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وكون اصطفاء
آله بدعوته بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انا دعوة ابي
ابراهيم وبآل عمران عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العازر بن ابي يود بن يوزن بن زربابل بن ساليان
بن يوحنا بن اوشيا بن اموص بن منشكن بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن ساقط
بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام بن ايشا بن عوبد بن سلمون بن باعز
بن نحشون بن عمينا بن آرام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وقيل موسى
وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وبين العمرانين
الف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عليه الصلاة والسلام حينئذ بالاندراج في آل ابراهيم
عليه الصلاة والسلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون
عليهما الصلاة والسلام بالانتظام في سلك آل ابراهيم انتظاما ظاهرا على العالمين اي اصطفى
كل واحد منهم على عالمي زمانه ذرية نصب على البدلية من الاولين او على الحالية منهما وقد مر بيان

اشتقاقهما في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله تعالى **ذرية بعضها من بعض** في محل النصب على انه صفة
لذريته اي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ
عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين والاستقامة على الوجه الاول تقريبية
وعلى الثاني برهانية **والله سميع** لاقوال العباد **عليم** باعمالهم البادية والخافية فيصطفي
من يشاء لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا على نحو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته
والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها **اذ قالت امرأت عمران** في محل النصب على المفعولية بفعل
مقدر على طريقة الاستيناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اي اذكر لهم وقت قولها الى
آخره وقد مر مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث
وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها المحكي عليم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف
بمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كأنه قيل واصطفى آل عمران اذ قالت الخ فكان
من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت
وامرأة عمران هي حنة بنت فاقوذا جدة عيسى عليه الصلاة والسلام وكان لعمران بن يصهر بنت
اسمها مريم اكبر من موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام فظن ان المراد زوجته وليس بذاك فان
قصة كفالة زكريا عليه الصلاة والسلام قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه عليه الصلاة
والسلام كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه الصلاة والسلام ولما
قوله عليه الصلاة والسلام في شأن يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام هما ابنا خالة فقيل تأويله
ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلهما عليهما الصلاة والسلام ابني خالة وقيل كانت
ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت له ايشاع ثم نكح حنة
بناء على تحليل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها من الام
لانها اخت حنة من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ رأت طائرا
يطعم فرخه فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت
المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل وحينئذ
فقولها **رب اني نذرت لك ما في بطني** لا بد من حمله على التكرير لتأكيد نذرها واخراجه عن صورة
التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع
الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه
فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتأكيد الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم
الجار والمجرور لكمال الاعتناء به وانما عبر عن الولد بما لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء
محررا اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغل بشأن آخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية
من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر
في بطني ولا يخفى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب الى الله تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من
الاستقرار في بطنها **فتقبل مني** اي ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء
للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى **انك انت السميع** لجميع المسموعات
التي من جملتها تضرعي ودعائي **العليم** بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء
القبول لا من حيث كونه تعالى سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها مصححا للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى
بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتأكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها

وقصر صفتي

وقصر صفتي السمع والعلم عليه لغرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه
بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهال **فلما وضعتها** اي ما في بطنها وتأنيث الضمير العائد اليه لما
ان المقام يستدعي ظهور انوثته واعتباره في جزء الشرط اذ عليه يترتب ما اعني قوله تعالى **قالت
رب اني وضعتها انثى** لا على وضع ولد ما كأنه قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل
لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى ولانه مؤول بالحبلة او النفس او النسمة وانت خبير
بان اعتبار شيء مما ذكر في جزء الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله انثى حال
مؤكدة من الضمير او بدل منه وتأنيثه للمسارعة الى عرض ما دهمها من خيبة الرجاء او لما مر من
ان ما في بطنها مؤول بالحبلة او النسمة فالحال حينئذ مبينة وانما قالت تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها
وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتأكيد للرد على اعتقادها
الباطل **والله اعلم بما وضعت** تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل
لها بقدره اي والله اعلم بالشيء الذي وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعلها وابنها
آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى
لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشأن وسمو المقدار وقرئ
وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون
ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت بولد لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها
على معنى لعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات حينئذ
ظاهر وقوله تعالى **وليس الذكر كالانثى** اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع
منزلته واللام في الذكر والانثى للعهد اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه
ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التي وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها
من جلائل الامور هذا على القراءتين الاوليين واما على القراءة الاخيرة فمعناه
وليس الذكر كهذه الانثى في الفضيلة بل ادنى منها [illegible]
[illegible]
من ذلك واللام للجنس وقوله تعالى **واني سميتها مريم** عطف على اني وضعتها انثى وغرضها
من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم في لغتهم بمعنى
العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب [illegible]
انثى وانها وان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه **واني اعيذها بك**
عطف على اني سميتها وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اي اجيرها بحفظك وقرئ
بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين بعهدي اوف واتوني افرغ
وذريتها عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه [illegible] **من الشيطان
الرجيم** اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود
يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه
ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما
ببركة هذه الاستعاذة **فتقبلها** اي اخذ مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر **ربها** مالكها
ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى **بقبول حسن** قيل الباء زائدة والقبول
مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اي تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر ليكون مقابلة

التقبل بكمال الرضى مع موافقته للعناية الازلية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف
وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان لا يليق بها في حقه تعالى لما يترتب عليه من كمال قوة
الفعل وكثرته ● وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو
اختصاصه تعالى اياها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها
عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة ● روي ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة
وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة
فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان
بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم ● وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عليه
الصلوة والسلام في الكتب الالهية فقال زكريا عليه الصلوة والسلام انا احق بها عندي
خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا
قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها وفيه نوع مصدر وفيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي
قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن ● وقيل التقبل بمعنى الاستقبال كتقضى بمعنى استقضى وتعجل بمعنى
استعجل اي استقبلها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن **وانبتها نباتا** مصدر مؤكد للفعل المذكور
بحذف الزوائد ● وقيل لفعل مضمر مقدر تقديره فنبتت نباتا حسنا **وكفلها زكريا**
اي جعله عليه الصلوة والسلام كافلها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحي
بل على ما ذكر من التفصيل فان رغبته عليه الصلوة والسلام في كفالتها كون خالتها عنده وطفو قلمه
ورسوب اقلامهم ونحو ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من آثار تقديره تعالى ● وقرئ اكفلها
وقرئ زكرياء بالنصب والمد ● وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكرياء ممدودا ● وقرئ وتقبلها
ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر في الكل ونصب ربها على الدعاء اي فاقبلها يا ربها وربها
تربية حسنة واجعل زكريا كافلها فهو تعيين لجهة التربية ● قيل بنى عليه الصلوة والسلام
لها محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم ● وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت
في اشرف موضع من بيت المقدس ● وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب ● روي انه كان لا يدخل
عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب **كلما دخل عليها زكريا المحراب** تقديم
الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلما ظرف على ان ما
مصدرية والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها
جوابها اي كل زمان دخوله عليها او كل وقت دخل عليها فيه **وجد عندها رزقا** اي نوعا
منه غير معتاد اذ كان ينزل لها ذلك من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء
فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط **قال** استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه
الصلوة والسلام عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال **يا مريم انى لك هذا** اي من اين يجيء لك هذا
الذي لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها
جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لعيسى عليه الصلوة والسلام واما جعله معجزة لزكريا عليه الصلوة
والسلام فيأباه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها عليه الصلوة والسلام بذلك مع كونها بمعزل من
منصب الخطاب لما علمه بمشاهدة انها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة **قالت** استئناف
كما قبله كانه قيل فماذا صنعت مريم وهي صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت
هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد **ان الله يرزق من يشاء** ان يرزقه **بغير حساب** اي

بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها
فيكون في محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستأنف ● روي ان فاطمة الزهراء رضي الله عنها
اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي يا بنية
فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب فقال عليه الصلوة والسلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني
اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله عليهم اجمعين وجميع اهل بيته فاكلوا
وشبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها **هنالك** كلام مستأنف وقصة مستقلة
سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها
من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الاقرباء ادلة على
فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب اي في ذلك المكان
حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان **دعا زكريا**
ربه لما رأى كرامة مريم على الله تعالى وان كانت امرأته عاقرا عجوزا وقد كانت حنة كذلك
وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز الولادة من العاقر من الشيخ الفاني فلم يقل على الذي
من غير ان يخطر بباله ما يخطر تقديم الظرف على الفعل للاعلام بان ذلك المكان هو الموجب للاقبال
على الدعاء بان كان تحولا حتى يتحول لتمام ... كبرت سنه عليه الصلوة والسلام وضعف
قواه وخوفه مواليه حسبما فصل في سورة مريم **قال** تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من
الاعراب **رب هب لي من لدنك** كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء
الغاية مجازا اي اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد **ذرية طيبة** كما وهبتها لحنة
ويجوز ان يتعلق بمحذوف وقع حالا من ذرية اي كائنة من لدنك والذرية النسل يقع على الواحد
والجمع والذكر والانثى والمراد هنا ولد واحد فالتانيث في الصفة لتأنيث لفظ الموصوف كما في قول

[illegible]

عليه الصلاة والسلام في الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء كما في قولهم الخليفة امير المؤمنين يرسم لك كذا للايذان بان ما حكي هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتأمل بيحيى لعقر امه وقال قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان قال القرطبي كان اسمه في الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف يقوى اليه الحال اي بولادة يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى بكلمة من الله اي بعيسى عليه الصلاة والسلام وانما سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه به وقيل هو اول من امن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلي فقالت مريم واني ايضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما الصلاة والسلام بستة اشهر وقيل بثلاث سنين وقيل قبل من عيسى عليه الصلاة والسلام بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد فان مريم ولدت وهي بنت ثلاث عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اي بكتاب الله سمي كلمة كما قيل للقصيدة كلمة وسيدا عطفا على مصدقا اي يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيالها من سيادة ما اسناها وحصورا عطف على ما قبله اي مبالغا في حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة من الصالحين اي ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم الصلاة والسلام او كائنا من جملة المشهورين بالصلاح كما في قوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بد منه في منصب النبوة البتة من اقصى مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عليه الصلاة والسلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال زكريا حينئذ فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادي بملاحظة انه المباشر للخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج حكاية السابق مبالغة في التضرع والمناجاة وجدا في التبتل اليه تعالى واحترازا عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه سبحانه يتوقف على توسطه في عامة الاحوال وان لم يتوسط عنه سبحانه في بعضها وقوله تعالى انى يكون لي غلام فيه دلالة على انه قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى بمعنى كيف او من اين وكان تامة واني واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما اني واللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو الخبر واني منصوب على الظرفية وقد بلغني الكبر حال من ياء المتكلم اي ادركني كبر السن واثر في كقولهم ادركته السن واخذته السن وفيه دلالة على ان التعرض لعنوان السن من حيث كونه من مطالع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون

سنة وقيل ما بين تسع وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر اي ذات عقر وهي ايضا حال من ياء لي عند من يجوز تعدد الحال ومن يلغي اي كيف يكون لي غلام والحال اني وامرأتي على حالة منافية لكل منهما فانه وانما قاله عليه الصلاة والسلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى لا سيما بعد مشاهدته عليه الصلاة والسلام للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله سبحانه وتعالى وتعجبا منها واعتدادا بنعمته عز وجل عليه في ذلك لا استبعادا له وقيل بل كان ذلك استبعادا حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه قال استئناف كما سلف كذلك اشارة الى مصدر يفعل في قوله عز وجل الله يفعل ما يشاء اي ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدا ويفعل خبره والكاف في محل النصب على انها في الاصل نعت لمصدر محذوف اي والله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر وقدم على الفعل لافادة القصر بالنسبة الى ما هو ادنى من ذلك ولعل تأخير الكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اي يفعل الفعل كائنا مثل ذلك او في محل الرفع على انها خبر والجلالة مبتدا اي على نحو هذا الشان البديع شان الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك الشان المبهم او كذلك خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل وانما سألها لان العلوق امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بستة اشهر او بثلاث سنين لان الظاهر ان الحبل كان عقيب تعيينها لقوله في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية اللهم الا ان تكون الفاء فصيحة في حال ذكرها وقد علقت من جملة تعلق في الصدر ووجب تقديمها على الجعل الداعي والتعرض متعلقة به والتقديم لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر فتحذف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المتعدي لمفعولين اولهما آية وثانيهما لي والتقديم لانه لا مسوغ لكون آية مبتدا عند تحليل الجملة الى مبتدا وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس اي ان لا تقدر على تكليمهم ثلاثة ايام اي متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ثلاث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة كأنه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك الا عن شكرها واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اي اشارة بيد او راس او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اي تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب في كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخادم وخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك اي في ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية

سنة وقيل

كثيرا أي ذكرا كثيرا وسبح أي سبحه أو افعل التسبيح بالعشي أي من الزوال إلى الغروب وقيل
من العصر إلى ذهاب صدر الليل والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى قيل المراد بالتسبيح الصلاة بدليل
تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللساني كما أن
المراد بالذكر الذكر القلبي وقرئ والأبكار بفتح الهمزة على أنه جمع بكر كسحر وأسحار وإذ قالت الملائكة
شروع في شرح بقية أحكام اصطفاء آل عمران إثر الإشارة إلى نبذ من فضائل بعض أقاربهم
أعني زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام لاستدعاء المقام إياها حسبما أشير إليه وقرئ بتذكير
الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه الصلاة والسلام وقد مر ما فيه من الكلام وإذ منصوب
بمضمر معطوف على المضمر السابق أعني قوله تعالى إذ قالت امرأة عمران منصوب بناصبه وقد مر
أي واذكر أيضا من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم الصلاة والسلام يا مريم وتكرير
التذكير للإشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من أحكام الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها
عن الأحكام السالفة فإنها من أحكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم وهذه من باب
التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها وإرهاصا
لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام لما عرفت من الإجماع على أنه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل ألهموها إن الله
اصطفاك أولا حيث تقبلك من أمك ولم يتقبل قبلك أنثى ورباك في حجر زكريا ورزقك
من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية وطهرك أي مما يستقذر من الأقوال والأفعال
ومما قذفتك به اليهود بإنطاق الطفل واصطفاك آخرا على نساء العالمين بأن وهب لك
عيسى عليه الصلاة والسلام من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء وجعلكما آية للعالمين
فعلى هذا ينبغي أن يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عليه الصلاة والسلام
لما مر مرارا من التنبيه على أن كلا منهما مستحق للاستقلال بالذكر ولو روعي الترتيب الخارجي لحسب
أن الكل شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفاءين واحد والتكرير للتأكيد وتبيين من اصطفاها عليهن
فعليه يحسم الإشكال في ترتيب النظم الكريم إذ حينئذ يجعل الاصطفاء على ما ذكر أولا ويجعل هذه المقاولة
قبل بشارتها بعيسى عليه الصلاة والسلام أبدا إنما يكون بها قبل ذلك توفرها على العبادة التي أمرت
حسبما أمرت بها بجهة يدفعها بعد قبولها تعالى إليها بمنزلة تأليف عن أحكام المشيخة مستبعد
لبعثها الروح عليها يا مريم تكرير النداء للإيذان بأن المقصود بالخطاب ما يرد بعده وأن ما قبله
من تذكير النعم كان تمهيدا لذلك وترغيبا في العمل بموجبه اقنتي لربك أي قومي في الصلاة أو أطيلي
القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان الربوبية للإشعار بعلة وجوب الامتثال بالأمر واسجدي
واركعي مع الراكعين أمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في إيجاب رعايتها وإيذانا
بفضيلة كل منها وأصالته وتقديم السجود على الركوع إما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك وإما
لكون السجود أفضل أركان الصلاة وأقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك
للذوق بما للترقي من الأدنى إلى الأعلى وإما ليقترن اركعي بالراكعين للإشعار بأن من لا ركوع في صلاته
ليسوا مصلين وأما ما قيل من أن الواو لا توجب الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتقييد الأمر
بالركعتين الأخيرتين عما قيد به الأولى لما أن المراد تقييد الأمر بالصلاة بذلك وقد فعل حيث قيد به
أولاهما وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعات كما في قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا
وقائما وبالسجود الصلاة لما أنه من أفضل أركانها وبالركوع الخشوع والإخبات قيل لما
أمرت بذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا ذلك إشارة إلى ما

من الأمور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شأن المشار إليه وبعد منزلته في
الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى من أنباء الغيب أي من الأنباء المتعلقة بالغيب والجملة مستأنفة
لا محل لها من الإعراب وقوله تعالى نوحيه إليك جملة مستقلة مبينة للأولى وقيل الخبر هو الجملة
الثانية ومن أنباء الغيب إما متعلق بنوحيه أو حال من ضميره أي نوحيه حال كونه من أنباء الغيب أو نوحيه حال
كونه من جملة أنباء الغيب وصيغة الاستقبال للإيذان بأن الوحي لم ينقطع بعد وما كنت لديهم
أي عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة
التهكم بمنكريه كما في قوله وما كنت بجانب الغربي الآية وما كنت ثاويا في أهل مدين الآية فإن طريق معرفة
أمثال هاتيك الحوادث والوقائع إما المشاهدة وإما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة
المستحيل ضرورة فنفيت تهكما بهم إذ يلقون أقلامهم ظرف للاستقرار العامل في لديهم وأقلامهم
أقداحهم التي اقترعوا بها قيل اقترعوا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا أيهم يكفل مريم
متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي يلقونها ينظرون أو ليعلموا أيهم يكفلها وما كنت
لديهم إذ يختصمون أي في شأنها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع
تحقق المقصود بعطف إذ يختصمون على إذ يلقون كما في قوله عز وجل نحن أعلم بما يستمعون به إذ
يستمعون إليك وإذ هم نجوى للدلالة على أن كل واحد من عدم حضوره صلى الله عليه وسلم
عند إلقاء الأقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه الصلاة
والسلام لا سيما إذا أريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فإن تغيير الترتيب في الذكر مؤكد له
إذ قالت الملائكة شروع في قصة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو بدل من وإذ قالت الملائكة
منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بأن
يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب والمخاطب وإيذانا بتقارب
الخطابين وانتقائهما في الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من إذ
يختصمون كأنه قيل وما كنت حاضرا في ذلك الزمان المديد الذي وقع في طرفه الاختصام وفي
طرفه الآخر هذا الخطاب إشعارا بإحاطته عليه الصلاة والسلام بتفاصيل أحوال مريم من أوائلها إلى أواخرها
والقائل جبريل عليه الصلاة والسلام وإيراد صيغة الجمع لما مر يا مريم إن الله يبشرك بكلمة
منه من لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة أي بكلمة كائنة منه عز وجل
اسمه ذكر الضمير الراجع إلى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدأ خبره المسيح وقوله تعالى
عيسى بدل منه أو عطف بيان وقيل خبر آخر وقيل خبر مبتدأ محذوف وقيل منصوب بإضمار
أعني مدحا وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما به يتميز المسمى عن
سواه والخبر حينئذ مجموع الثلاثة إذ هو المميز له عليه الصلاة والسلام تمييزا عن جميع من عداه
والمسيح لقبه عليه الصلاة والسلام وهو من الألقاب المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا
ومعناه المبارك وعيسى معرب من إيشوع واشتقاقهما من المسح والعيس تعليل
بأنه عليه الصلاة والسلام مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب أو مسحه جبريل عليه الصلاة والسلام
أو مسح الأرض ولم يقم في موضع أو كان عليه الصلاة والسلام يمسح ذا العاهة فيبرأ وبأنه
كان في لونه عيس أي بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وإنما قيل ابن مريم مع كون
الخطاب لها تنبيها على أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه وبذلك فضلت على نساء العالمين
وجيها في الدنيا والآخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة

فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال فتذكيرها باعتبار المعنى. وجيها في الدنيا والآخرة وجاهته في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة. ومن المقربين اي من الله عز وجل وقيل اشارة الى رفعه الى السماء وصحبة الملائكة وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف عليه قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت. والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه. وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله. وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل من الالوهية. ومن الصالحين حال ثالث من كلمة معطوفة على الاحوال السابقة او من الضمير في يكلم. قالت استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قالت حين قالت لها الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها رب أنى يكون لي ولد اي كيف يكون او من اين يكون على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله تعالى وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بانه بالتزوج او بغيره. ويكون اما تامة وأنى واللام متعلقتان بها وتأخير الفاعل عن الجار والمجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز ان تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تأخر لكان صفة له. واما ناقصة واسمها ولد وخبرها اما أنى واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا كما مر او لي وأنى نصب على الظرفية. وقوله تعالى ولم يمسسني بشر جملة حالية محققة للاستبعاد اي والحال اني على حالة منافية للولادة. قال استئناف كما سلف والقائل هو الله تعالى او جبريل عليه الصلاة والسلام. كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكريا بعينه خلا ان ايراد يخلق هاهنا مكان يفعل هناك لما ان الولادة من العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان فكان الخلق المنبئ عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل اذا قضى امرا من الامور اي اراد شيئا كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا. واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة. وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك. فانما يقول له كن فيكون من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تأتي المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شيء من الاسباب والمواد. ويعلمه الكتاب اي الكتابة او جنس الكتب الالهية والحكمة اي العلوم وتهذيب الاخلاق والتوراة والانجيل افردهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ سيق تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زوج. وقرئ ونعلمه بالنون. ورسولا الى بني اسرائيل منصوب بمضمر يعود اليه المعنى معطوف على يعلمه اي ويجعله رسولا الى بني اسرائيل اي كلهم. وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين. ثم قيل كان رسولا حال الصبي وقيل بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما الصلاة والسلام. وقيل اولهم موسى وآخرهم عيسى عليهما الصلاة والسلام. وقوله تعالى اني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اي رسولا ناطقا باني الى آخره. وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه اي ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الى آخره. وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما

عرفت من ان فيه معنى النطق كأنه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا باني الى آخره. وقرئ ورسول بالجر عطفا على كلمة. والباء في قوله تعالى بآية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل جئتكم او للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها. وقرئ بآيات اي محتجا بها. ومن في قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لآية اي قد جئتكم ملتبسا بآية عظيمة كائنة من ربكم او اتيتكم بآية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد ايجاب الامتثال بما سيأتي من الاوامر. وقوله تعالى اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تعالى اني قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على رأي الخليل والكسائي او بدل من آية. وقيل منصوب بفعل مقدر اي اعني اني الى آخره. وقيل مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي اني اخلق لكم. وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف اي اقدر لكم اي لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيئا مثل صورة الطير. فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير. وقرئ فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اي اخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فانفخ فيها. فيكون طيرا اي حيا طيارا كسائر الطيور. باذن الله بامره تعالى اشار بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه. قيل لم يخلق غير الخفاش روي انه عليه الصلاة والسلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض. قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله. قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا واسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان وتطير بغير ريش ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر. وقيل خلق انواعا من الطير. وابرئ الاكمه اي الذي ولد اعمى او الممسوح العين. والابرص المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ويقال له الوضح ايضا. وتخصيص هذين الدائين لانهما مما اعيى الاطباء وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عليه الصلاة والسلام فأراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس. روي انه ربما كان يجتمع عليه عليه الصلاة والسلام الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه الصلاة والسلام وما يداويهم الا بالدعاء. واحيي الموتى باذن الله كرره مبالغة في دفع توهم من توهم فيه اللاهوتية. قال الكلبي كان عليه الصلاة والسلام يحيي بيا حي يا قيوم. احيى عاذر وكان صديقا له فعاش وولد له. ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له. وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك. فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره فخرجوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وهو شائب الراس فقال عليه الصلاة والسلام كيف شبت ولم يكن في زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتني سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك شبت. فسأله عن النزع فقال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتي وقد كان بينه وبين موته اكثر من اربعة آلاف سنة. وقال للقوم صدقوه فانه نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا. فذلك قوله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها. وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف. ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام لآية عظيمة. وقرئ لآيات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة. ان كنتم مؤمنين جواب الشرط

محذوف لانهما بمعنى الذي او دلالة المذكور عليه اي انتفعتم بها او كنتم ممن يتاتى منهم
الايقان دليلكم على صحة رسالتي والايمان بها ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على
المضمر الذي تعلق به قوله بآية اي قد جئتكم بآية الى آخره ومصدقا لما بين يدي الى آخره او على رسولا على
الاوجه الثلاثة فان مصدقا فيه معنى النطق كما في رسولا اي ويجعله مصدقا ناطقا باني
اصدق الى آخره او بتقدير ارسلت رسولا باني قد جئتكم الى آخره او حال كونه مصدقا ناطقا باني اصدق
الى آخره او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم مصدقا الى آخره وقوله من التورية اما حال من الموصول
والعامل مصدقا واما من ضميره المستقر في الظرف الواقع صلة فالعامل الاستقرار المضمر في الظرف او في
نفس الظرف لقيامه مقام الفعل ولاحل لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل الى آخره
وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئته معتذرا ولاجتلب رضاه كانه قيل جئتكم لاصدق ولاحل
الى آخره وقيل عطف على بآية اي جئتكم بآية من ربكم لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة
موسى عليه الصلوة والسلام من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت قيل احل
لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلف في احلال السبت وقرئ حرم على تسمية
الفاعل وهو ما بين يدي وهو الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على ان شرعه كان
ناسخا لبعض احكام التورية ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في
الازمان وقيل المفعول من الحاق والمجرور على الحرم او من الباهرة الى ما ... كرر من المخاطبين
والتشويق الى الآخر وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وقرئ بآيات من ربكم فاتقوا
الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون فيما امركم به وانهاكم عنه بامر الله
تعالى فتلك الآية انتهى قوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فان الحق
الصحيح الذي اجمع عليه الرسل قاطبة فتكون آية بينة عليه الصلوة والسلام من جملتهم
وقرئ ان الله بالفتح بدلا من آية او قد جئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وقوله تعالى
فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت
لكم من خلق الطير وابراء الاكمه والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن
كلامي في المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه
بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة
واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى
لايلاف قريش ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال
القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية
فانه يلازم الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين
الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلوة والسلام قل آمنت بالله ثم
استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع في بيان ما آل اليه حاله عليه الصلوة والسلام اثر ما
اشير الى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالت الملائكة
عليهم الصلوة والسلام وخروجها من القوة الى الفعل حسبما شرحت في قوله تعالى فلما رآه مستقرا
عنده بعد قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملت فولدت فكان كيت
وكيت وذيت وذيت فاما ترك ذلك اكتفاء بحكاية الملائكة وايذانا بعدم الخلف وثقة بما فصل في المواضع
الاخر فاما عدم تعرض نظير قصته لاحواله عليه الصلوة والسلام في مسلك النقل فاما للاعتناء بامرها

اولعدم

اولعدم مناسبتها للمقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عليه الصلوة والسلام الشدائد
ومعاناته المكائد قيل المراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم
عليه وعتوهم وهمهم بقتله مع البرهنة على نبوته عليه الصلوة والسلام كما ينبئ عنه الاحساس
فانه انما يستعمل في امثال هذه المواقع عند كون المتعلق امرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما
احسوا باسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير لليهود من بني اسرائيل ابتداء
الاحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاهتمام به
والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الكفر قال اي لخلص اصحابه الاخيار بني
اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى بن مريم للحواريين الآية وقوله تعالى فآمنت طائفة من بني اسرائيل
وكفرت طائفة ليس بتصحيح في توجيه الخطاب الى الكل بل يكفي فيه بلوغ الدعوة اليهم من انصاري
الانصار جمع نصير كالاشراف جمع شريف الى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اي من انصاري
متوجها الى الله ملتجئا اليه او بانصاري متضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون
انفسهم الى الله عز وجل ينصرونني كما ينصرون انفسهم كانه قيل فماذا قالوا في جوابه عليه الصلوة
والسلام فقيل قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور
وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن فقيل لهم سمي به اصحابه عليه
الصلوة والسلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وانوارها
وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان
عيسى عليه الصلوة والسلام على قصعة لا يزال ياكل منها ولا ينقص فذكروا ذلك للملك فاستدعاه
عليه الصلوة والسلام فقال له من انت فقال عيسى بن مريم فترك ملكه فتبعه مع اقاربه فاولئك
هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون
ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عليه الصلوة والسلام فقال لهم انتم تصيدون السمك فاذا اتبعتموني
صرتم بحيث تصيدون الناس بالحيوة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله
فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامره بالقائها في
الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى
وملؤا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه الصلوة والسلام وقيل كانوا اثني عشر رجلا اتبعوا
عيسى عليه الصلوة والسلام وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض
فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء
فيشربون فقالوا من افضل منا قال عيسى عليه الصلوة والسلام افضل منكم من يعمل بيده وياكل
من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الى الصباغ فاراد
الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال لعيسى عليه الصلوة والسلام ههنا ثياب مختلفة وقد
جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عليه الصلوة والسلام
الثياب كلها في جب واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فساله فاخبره بما صنع فقال
افسدت علي الثياب فقال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على
احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به عليه الصلوة والسلام وهم الحواريون
قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك
وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام

واعوانه المخلصين فيطلق على من يجيبه نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله آمنا بالله
استينافا في جواب يجري مجرى العلة لما قبله فان الايمان يبعث على نصرة دينه
والحارث تتبع لعداوته واشهد بانا مسلمون مخلصون في الايمان منقادون لما تريد منا ليشهد لنا
مضمونك طلبوا منه عليه الصلوة والسلام الشهادة بذلك يوم القيمة يوم تشهد الرسل عليهم
الصلوة والسلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرجع غرضهم السعادة الاخروية ربنا آمنا بما
انزلت تضرعا الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في اظهار
امرهم واتبعنا الرسول اي في كل ما ياتيه ويذره من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في الشريعة
دخولا اوليا فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء
الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم شهداء على الناس قاطبة
وهو حال من مفعول اكتبنا ومكروا الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم من اليهود بان وكلوا به من
يقتله غيلة ومكر الله بان رفع عيسى عليه الصلوة والسلام والقى شبهه على من قصد اغتياله
حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى المضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه
الا بطريق المشاكلة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله
عليه الصلوة والسلام امره جبريل عليه الصلوة والسلام ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه
جبريل عليه الصلوة والسلام من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم
ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت
فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه الصلوة والسلام جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال
ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه
فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم
عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه الصلوة والسلام ورفعه الى السماء فاخذوا الذي دلهم
وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن
صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل
لما صلب المصلوب جاءت مريم عليها السلام ومعها امرأة فقالت ان الله تعالى ابرأ بدعاء عيسى
وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله تعالى عيسى فجاءهما فقال على من تبكيان قالتا عليك فقال ان الله
رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد بن اسحاق ان اليهود عذبوا الحواريين
بعد رفع عيسى عليه الصلوة والسلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود
من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص ففعل ما فعل فقال لو علمت ذلك لما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين
فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فدفنه واخذ
الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم
ثم جاء بعده ملك يقال له طيطوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى بنحو من اربعين سنة فقتل
وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل
التواريخ حملت مريم بعيسى عليه الصلوة والسلام وهي بنت ثلث عشرة سنة وولدته بارض اوري
شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة اسكندر على ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على راس ثلثين
سنة ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة وعاشت

امه بعد رفعه بست سنين والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على
ايصال الضرر من حيث لا يحتسب فلفظها بالعدول في موضع الاضمار للتربية للمهابة والجملة تذييل
مقرر لما قبلها اذ قال الله ظرف لمكر او لخير الماكرين او لمضمر نحو وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي
مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت
مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع وهو نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء
ورافعك الآن او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته
الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله
رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي
الله عنهما وتفصيل القصة انه لما رام اليهود قتله عليه الصلوة والسلام اجتمع الحواريون
وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فاخبرهم بانه بعث اليهود
قريبا فنبههم انه لا يفتحن فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي
في الجنة فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه
والقي عليه شبه عيسى عليه الصلوة والسلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى فكساه
الريش والنور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب فطار مع الملائكة ثم ان
اصحابه حين رأوا ذلك تفرقوا ثلث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية
وقالت فرقة اخرى كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة
اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت
عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث محمد صلى الله عليه وسلم
ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا اي من سوء جوارهم
وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل
والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين
كذبوه وكذبوا عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه الصلوة والسلام ومن
سلك سبيلهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم
الحواريون فينبغي ان يحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتفاق في الاسلام والتوحيد وقيل هم
الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والا فاولئك الكفرة منكرون رسالته
عليه الصلوة والسلام الى يوم القيمة غاية للجعل او للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى ان
الجعل والفوقية تنتهي حينئذ ويتخلص الكفرة من الذل بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك
الغاية فاما بعدها فيفصل الله تعالى بينهم ما يريد ثم الي مرجعكم اي رجوعكم بالبعث والضمير
لتغليب المخاطب في الجار والمجرور للقصد الى بيان الوعد والوعيد لعيسى وغيره من المتبعين له
والكافرين به على تغليب المخاطبين على الغائب في ضمن الالتفات فانه ابلغ في التبشير والانذار
فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون
قدم عليه لرعاية الفواصل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم
الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته والبداءة ببيان حال الكفرة لان مساق الكلام لتهديدهم
وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق باعذبهم لا بمعنى
ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الآخرة واحداثهما يوم القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما

يومئذ وقيل الى الحج عمن الدين بعد الاخروي وقوله تعالى **الى يوم القيمة** غاية للفوقية
لا للجعل او للرجوع متراخ عن الفوقية فهي غير محدودة لا عن الفوقية المحدودة على نهج قولك
سأعيرك هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك خلعة لم تأخر الخلع عن الاعارة لا عن السكنى **ثم الي مرجعكم** [illegible]
[illegible] **فاما الذين كفروا** [illegible]
ناصرين [illegible] **واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات** كما هو [illegible] **فيوفيهم**
اجورهم اي يعطيهم اياها كاملة [illegible]
والاثابة من الاختلاف [illegible] وقرئ فنوفيهم بنون العظمة والكبرياء **والله**
لا يحب الظالمين اي يبغضهم فان هذه الكناية شائعة في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة
والمراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم [illegible] وواضعون الكفر مكان الايمان
والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه **ذلك** اشارة الى ما سلف من نبأ عيسى عليه الصلوة والسلام
وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شان المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلو كونه في ظهور
الامر ونباهة الشان بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدأ وقوله عز وعلا **نتلوه** خبره وقوله
تعالى **عليك** متعلق بنتلوه وقوله **من الايات** حال من الضمير المنصوب او خبر بعد خبر او
هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة وذلك تخبير لمبتدأ مضمر اي الامر ذلك ونتلوه حال والعامل معنى
وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معناها اذ التلاوة لم تتم بعد **والذكر الحكيم**
اي المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية او بعض
مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية **ان مثل عيسى** اي شانه البديع
المنتظم لغرابته في سلك الامثال **عند الله** اي في تقديره وحكمه **كمثل آدم** اي كحاله العجيبة التي
لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع **خلقه من تراب** تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل
فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى عليه الصلوة
والسلام بلا اب ممن اعترف بخلق آدم عليه الصلوة والسلام بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى
خلق قالبه من تراب **ثم قال له كن** اي انشأه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر او
قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم لتراخي الاخبار لا لتراخي المخبر به **فيكون** حكاية
حال ماضية روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا
قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول
فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله
تعالى فقال عليه الصلوة والسلام ان آدم عليه الصلوة والسلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك
كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه الصلوة والسلام **الحق من ربك** خبر مبتدأ محذوف
اي هو الحق اي ما قصصنا عليك من نبأ عيسى عليه الصلوة والسلام وامه والظرف متعلق بمحذوف هو حال
من الحق او خبر ثان اي كائنا من ربك وقيل هو مبتدأ وخبر اي الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام للتشريف والايذان بان تنزيل هذه
الايات الحقيقية الناطقة بكنه الامور من احكام ربوبيته تعالى له صلى الله عليه وسلم ولطفه به **فلا تكن**
من الممترين في ذلك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة
التثبيت والاشعار بان الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه
فكيف بمن هو بصدد الامتراء او لكل من له صلاحية الخطاب **فمن حاجك** اي من النصارى اذ

من المتصدي

هم المتصدون للمحاجة **فيه** اي في شان عيسى وامه زعما منهم انه ليس على الشان المحكي **من بعد ما**
جاءك من العلم اي ما يوجبه ايجابا قطعيا من الايات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا
عما هم عليه من الغي والضلال **فقل** لهم **تعالوا** اي هلموا بالرأي والعزيمة **ندع ابناءنا وابناءكم**
ونساءنا ونساءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن من جهة اخرى
وانفسنا وانفسكم اي ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم
بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها فتقديمهم على النفس في اثناء المباهلة التي هي من باب المهالك
ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه صلى الله عليه
وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه وهو السر في
تقديم جانبه عليه الصلوة والسلام على جانب المخاطبين في كل من المقدم والمؤخر مع رعاية
الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في الاسناد **ثم نبتهل** اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا
والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اي تركتها بلا صرار **فنجعل**
لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا
حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد
عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل
قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة
على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا
محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم اجمعين وهو يقول
اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل
جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا
القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا
ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا قال فاني اناجزكم
فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على
ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم
على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير
ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول
على النصارى كلهم حتى يهلكوا **ان هذا** اي ما قص من نبأ عيسى وامه **لهو القصص الحق** دون ما
عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها
ان تدخل المبتدأ وقرئ لهو بسكون الهاء والقصص خبر ان او هو مبتدأ والقصص خبره
والجملة خبر لان **وما من اله الا الله** صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم
وان الله لهو العزيز القادر على جميع المقدورات **الحكيم** المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في القدرة
والحكمة ليشاركه في الالوهية **فان تولوا** عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعدما عاينوا تلك
الحجج النيرة والبراهين الساطعة **فان الله عليم بالمفسدين** اي بهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم بان
الاعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعدما قامت به الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد
ما لا يخفى **قل يا اهل الكتاب** امر بخطاب اهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي **ان لا نعبد الا الله** اي نوحده

بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئاً ولا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلاً
لأن يُعبد ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله بأن نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع
الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلاً منهم بعضنا بشر مثلنا روي أنه لما نزلت اتخذوا
أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال عليه الصلاة
والسلام أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال عليه الصلاة والسلام هو ذاك
فإن تولوا عما دعوتهم إليه من التوحيد وترك الإشراك فقولوا أي قل لهم أنت والمؤمنون اشهدوا بأنا
مسلمون أي لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم واعترفوا بأنكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت
عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام تنبيه انظر إلى ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الإرشاد
وحسن التدريج في المحاجة حيث بيّن أولاً أحوال عيسى عليه الصلاة والسلام وما تعاور عليه من الأطوار
المنافية للإلهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام فلما ظهر عنادهم دعاهم إلى المباهلة
بنوع من الإعجاز ثم لما أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعاهم إلى ما اتفق عليه عيسى والإنجيل وسائر
الأنبياء والكتب ثم لما لم يظهر عند ذلك أيضاً أثر بأن يقال لهم اشهدوا بأنا مسلمون يا أهل الكتاب
من اليهود والنصارى لم تحاجون في إبراهيم أي في ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى في إبراهيم
عليه الصلاة والسلام وزعم كل منهم أنه عليه الصلاة والسلام منهم وترافعوا إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون أنه عليه الصلاة والسلام كان منكم وما أنزلت التوراة على موسى
عليه الصلاة والسلام والإنجيل على عيسى عليه الصلاة والسلام إلا من بعده حيث كان بينه
وبين موسى عليهما الصلاة والسلام ألف سنة وبين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ألفا سنة
فكيف يمكن أن يكون منكم أفلا تعقلون أي ألا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم
أو تقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه ها أنتم هؤلاء جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه
ثم بينت بجملة مستأنفة إشعاراً بكمال غفلتهم أي أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به
علم في الجملة حيث وجدتموه في التوراة والإنجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم أصلاً إذ لا ذكر
لدين إبراهيم في أحد الكتابين قطعاً وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها أنتم أصله
أأنتم على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وكل شيء فيدخل فيه ذلك دخولاً
أولياً وأنتم لا تعلمون أي محل النزاع أو شيئاً من الأشياء التي من جملتها ذلك ما كان إبراهيم يهودياً
ولا نصرانياً تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفاً أي مائلاً عن العقائد الزائغة كلها
مسلماً أي منقاداً لله تعالى وليس المراد أنه كان على ملة الإسلام وإلا لاشترك الإلزام وما كان من المشركين
تعريض بأنهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين أنهم على ملته عليه
الصلاة والسلام إن أولى الناس بإبراهيم أي أقربهم إليه وأخصهم به للذين اتبعوه أي في زمانه
وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم على الأصالة وقرئ والنبيَّ بالنصب
عطفاً على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفاً على إبراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى
بإيمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم في النبي عليه الصلاة والسلام بدلالة النص ودّت
طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهودية
ولو بمعنى أن وما يضلون إلا أنفسهم جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم
على ما هم عليه من الدين القويم أي وما يتخطاهم الإضلال ولا يعود وباله إلا إليهم إذ يتضاعف
به عذابهم وقيل وما يضلون إلا أمثالهم ويأباه قوله وما يشعرون أي باختصاص ضرره بهم

وزره

يا أهل

يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله أي بما نطقت به التوراة والإنجيل ودلت على نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم وأنتم تشهدون أي والحال أنكم تشهدون أنها آيات الله أو بالقرآن وأنتم تشهدون
نعته في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات أنه حق يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وإبراز الباطل في
صورته أو بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد وتلبَسون بفتح الباء أي تلبسون
الحق مع الباطل كما في قوله عليه الصلاة والسلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق أي نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم ونعته وأنتم تعلمون أي حقيقته وقالت طائفة من أهل الكتاب وهم رؤساؤهم
ومفسدوهم لأعقابهم آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا أي أظهروا الإيمان بالقرآن المنزل عليهم
وجه النهار أي أوله واكفروا آخره أي أظهروا ما أنتم عليه من الكفر به آخره ترائي
لهم أنكم آمنتم به بادي الرأي من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الأول فرجعتم عنه
لعلهم يرجعون أي المؤمنين عما هم عليه من الإيمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن
الأشرف ومالك بن الصيف قالا لأصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة
وصلوا إليها أول النهار ثم صلوا إلى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون
وقيل هم اثنا عشر رجلاً من أحبار خيبر تقاولوا أن يدخلوا في الإسلام أول النهار ويقولون
آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمداً صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد في التوراة
لعل أصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أي لا تقروا بتصديق قلبي إلا لأهل دينكم
أو لا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم من قبل فإن رجوعهم أرجى وأهم قل إن الهدى
هدى الله يهدي به من يشاء إلى الإيمان ويثبته عليه أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم متعلق
بمحذوف أي دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أي ما بكم أن يؤتى أي ولا تظهروا إيمانكم
بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأشياعكم ولا تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا إلى المشركين
لئلا يدعوهم إلى الإسلام وقوله قل إن الهدى هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجدٍ
لطائل أو خبر إن على أن هدى الله بدل من الهدى وقرئ أأن يؤتى على الاستفهام التقريعي وهو
مؤيد للوجه الأول أي ألأن يؤتى أحد دبرتم وقرئ إن على أنها نافية فيكون من كلام الطائفة
أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عطف
على أن يؤتى على الوجهين الأولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو
ضمير أحد لأنه في معنى الجمع إذ المراد به غير أتباعهم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
والله واسع عليم تحقيق وإبطال لما زعموه بالحجة الباهرة يختص برحمته من يشاء أي يجعل رحمته مقصورة
على من يشاء والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ومن أهل الكتاب شروع
في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع على الابتداء حسبما مر تحقيقه في تفسير قوله
ومن الناس من يقول أي خبره قوله تعالى من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك على أن المقصود بيان
اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات أولئك المذكورين كما مر قيل بعض أهل الكتاب يختانون
تأمنه بقنطار أي بمال كثير يؤده إليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفاً ومائتي أوقية ذهباً
فأداه إليه ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر ديناراً فجحده
وقيل المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب
فيهم الخيانة إلا ما دمت عليه قائماً استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو الأوقات أي لا يؤده إليك في
حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا في حال دوام قيامك أو في وقت دوام قيامك على رأسه مبالغاً

في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده اليك وما فيه من معنى البعد للدلالة على كمال غلوهم في الشر والفساد بانهم اي بسبب انهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل اي في شان من ليس من اهل الكتاب سبيل اي عتاب ومؤاخذة ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التوراة حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله تعالى وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو عام للوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون اي يستبدلون ويأخذون بعهد الله اي بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا اولئك الموصوفون بتلك الصفات القبيحة لا خلاق لهم في الآخرة لا نصيب لهم من نعيمها ولا يكلمهم الله اي بما يسرهم او بشيء اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب من الملائكة عليهم الصلاة والسلام او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى وآياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله من ذلك لقوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيمة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم او لا يطهرهم من اوضار الاوزار ولهم عذاب اليم على ما فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت في ابي رافع واصحابه وابن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع في بئر فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وان منهم لفريقا اي من اليهود المحرفين ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واضرابهما يلوون السنتهم بالكتاب اي يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون بالتشديد بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن لتحسبوه اي المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون من الكتاب وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب اي من جملته وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المنصوب اي قصدوا التلبيس من نفس الامر وفي اعتقادهم ايضا ويقولون مع ما ذكر من التحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض هو اي المحرف من عند الله اي منزل من عند الله وما هو من عند الله حال من ضميره المستكن في الخبر اي قصدوا التلبيس من عنده تعالى في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جرأتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل في محل الاضمار لتهويل ما اقدموا

عليه من التقول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون على الله تعالى وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم على الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث قال نصارى نجران ان عيسى عليه الصلاة والسلام امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه الصلاة والسلام وابطال لما اثبتوا له ... وانما قيل البشر اشارة الى علة الحكم فان البشرية منافية لهذا الامر الذي اسندوه اليهم ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهي عن الاشراك والحكم الفهم والعلم او الحكمة وهي السنة والنبوة ثم يقول للناس ذلك البشر بعدما شرفه الله تعالى وجعله اكمل من البشريات وعرف الحق واطلعه على شؤون عالية كونوا عبادا لي الجار متعلق بمحذوف هو صفة عبادا اي عبادا كائنين لي من دون الله متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية ويحتمل الحال ... متجاوزين الله تعالى سواء كان استقلالا او اشتراكا فان التجاوز متحقق فيهما جميعا قيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله تعالى او ان نأمر بعبادة غير الله تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك فقال عليه الصلاة والسلام لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا اي ولكن يقول كونوا ربانيين الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اي قراءته ... لافادة الاستمرار التجددي ... باستمرار التعليم واستمرار القراءة بالفضل مخصوص للربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثاني لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى الدرس كاكرم بمعنى كرم ويجوز كون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بالنصب عطفا على ثم يقول ولا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة وقرئ بالرفع على الاستئناف ويحتمل الحال ايأمركم بالكفر انكار والضمير للبشر وقيل لله سبحانه بعد اذ انتم مسلمون وهذا دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له عليه الصلاة والسلام واذ اخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين وامتهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل

الشرطية ولتومنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرى لما بالكسر على ان ما
مصدرية اي لاجل ايتاي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق له وقرى لما بمعنى حين اتيتكم او
لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا قال اي الله تعالى
بعد ما اخذ الميثاق ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد
وقرئ بضم الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا استيناف مبني
على سؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا اقررنا وانما لم يذكر اخذ الاصر اكتفاء به
قال تعالى فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا
معكم من الشاهدين اي وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وادخال مع على المخاطبين
لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى فمن تولى اي اعرض عما ذكر
بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فمعنى البعد في اسم الاشارة لتفخيم الميثاق فاولئك اشارة
الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للتنبيه على تراخي
امرهم في الفسق وبعد منزلتهم في الشر والفساد اي فاولئك المتولون المتصفون بالصفات القبيحة
هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان
متجاوزا عن الحد افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اي ايتولون فيبغون غير دين الله فقدم
المفعول لانه المقصود انكاره وعلى الجمل المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بتاء
الخطاب على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض جملة حالية مفيدة لكمال الانكار
طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق
الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم
لا يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم واليه يرجعون اي من فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرئ
بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية ولما استانف تسبيق الله تهديد
والوعيد قل آمنا بالله امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين
بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله تعالى وما انزل علينا وهو القرآن لان المنزل عليه منزل عليهم بتوسط
تبليغه اليهم او لان النسبة الى واحد من الجماعة قد تسند الى الكل او عن نفسه فقط وهو الانسب لقوله
والجمع لاظهار جلالة قدره عليه الصلوة والسلام ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على عادة
الملوك ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه عليه الصلوة
والسلام اصل في ذلك كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وما انزل على ابراهيم واسمعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه
من فوق ومن رام الفرق بان علة كون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكون الخطاب للمؤمنين فقد
تعسف الا ترى الى قوله تعالى بما انزل اليك وقوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وانما قدم المنزل على
الرسول صلى الله عليه وسلم على ما انزل على سائر الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه وجودا لانه
المعرف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه الصلوة
والسلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم عليه الصلوة والسلام وما اوتي
موسى وعيسى من التورية والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء
على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لان الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى
وعيسى عليهما الصلوة والسلام اي وما اوتي النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات

لانفرق

لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم
وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد مر
تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع
لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه
كما في مثل المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول
بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة فما
كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني ونحن له مسلمون اي
منقادون او مخلصون لله تعالى انفسنا لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل
من ذلك ومن يبتغ غير الاسلام اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين
للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين دينا يدين به وهو منصوب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام
حال منه لانه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصبت او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من
الابهام او بدل من غير الاسلام فلن يقبل منه ذلك ابدا بل يرد اشد رد واقبحه وقوله تعالى وهو
في الآخرة من الخاسرين اما حال من الضمير المجرور او استيناف لا محل له من الاعراب اي من الواقعين
في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة
السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين
بغير الاسلام واطمأن بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل
والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى الحق
قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما آمنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن كان بنواحيهم
كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول حق
وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال
بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف
على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله
فانه في قوة ان يقال بعد ان آمنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج من
حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع
الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية اولئك اشارة
الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وهو
مبتدا وقوله تعالى جزاؤهم مبتدا ثان وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين خبره والجملة خبر لاولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم
ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون عن الرحمة
وانما لمحل وغيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه
ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يذكر لدلالة الكلام عليها
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد
الارتداد واصلحوا اي ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم
ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم
على ردته فارسل الى قومه هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الآية فرجع الى المدينة فتاب

ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان
بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به عليه الصلوة والسلام
بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان
ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص به ريب المنون
او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك
فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة
او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم تدخل فيه الفاء واولئك
هم الضالون الثابتون في الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم
ملء الارض ذهبا ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية دخلت
الفاء هاهنا للاشعار به ومِلء الشيء ما يملؤه وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على انه
بدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو
افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو
تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى
ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء
واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب
اليم هو اسم الاشارة مبتدأ والظرف خبره ولاعتماده على المبتدأ ارتفع به عذاب اليم اي مؤلم
وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع
لمراعاة الضمير اي ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من نال نيلا اذا اصاب والخطاب
للمؤمنين وهو كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة
ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن
تلحقوا بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته وجنته ورضاه حتى تنفقوا اي
في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده مما تحبون اي بعض ما تحبون ويؤيده قراءة
من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة اي مما تهوون ويعجبكم من
كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما يعمها وغيرها من الاعمال
والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف
رضي الله عنهم اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال
يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم
بخ بخ ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة
بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد
فكأن زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما
ان الله تعالى قد قبلها منك قيل وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل
وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان يشتري له جارية من سبي جلولاء
فبعث بها [illegible] فلما جاءته اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر
راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه فلما ولي الخلافة زينتها وارسلتها

اليه فقالت

اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتغش منك قال من اين ملكتيها قالت جيء بها من بيت
ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت
من تركته ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية
وكان يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت
عن امرها كل شبهة فقال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى وما تنفقوا من شيء ما شرطية جازمة
لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط
اي اي شيء تنفقوا كائنا من الاشياء فان الفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار
والمجرور النصب على التمييز اي اي شيء تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم
تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عالم بكل شيء
تنفقونه علما كاملا لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل
وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الرديء ما لا يخفى كل الطعام اي كل افراد
المطعوم او كل انواعه كان حلا لبني اسرائيل اي حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك
استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل
على نفسه استثناء متصل من اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل اي يعقوب عليه الصلوة والسلام على نفسه وهو لحوم الابل والبانها قيل كان به وجع
النسا فنذر لئن شفي لا يأكل احب الطعام اليه وكان ذلك احب اليه وقيل فعل ذلك للتداوي
باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن من الله تعالى
فيه وهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التوراة متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط
الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان التنصيص على ان تحريمه عليه الصلوة والسلام قبل تنزيل
التوراة ليس فيه مزيد فائدة اي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل ان تنزل التوراة مشتملة على
تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة مما
نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح
وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ
والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقة ابراهيم عليه الصلوة والسلام بتحليله لحوم
الابل والبانها قل فأتوا بالتوراة فاتلوها امر له عليه الصلوة والسلام بان يحاجهم بكتابهم
الناطق بان تحريم ما حرم عليهم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم [illegible]
حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم [illegible]
واظهار اسم التوراة [illegible] ان كنتم صادقين
فأتوا بالتوراة فاتلوها [illegible] فبهتوا ولم يجسروا على اخراج
التوراة [illegible] صدق النبي صلى الله عليه وسلم
[illegible] فمن افترى على الله الكذب اي
اختلقه عليه سبحانه [illegible]
من بعد ذلك [illegible] التوراة [illegible]

والتنبيه على الدلالة على كمال القبح فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان اي فاولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال
وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال هم الظالمون المفرطون في الظلم والعدوان المتعدون فيهما
والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل
النصب داخل تحت القول عطفا على قوله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا قل صدق الله اي في كل شأن
من الشؤون وهو داخل في ذلك دخولا اوليا وفيه تعريض بكذبهم فاتبعوا ملة ابراهيم ٥١
اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانكم ما كنتم متبعين لملة كما
تزعمون او فاتبعوا مثل ملة ابراهيم حتى تتخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة
وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنيئة الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات محللة لابراهيم عليه
الصلاة والسلام ومن تبعه والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا
عليه حنيفا اي مائلا عن الاديان الزائغة كلها وما كان من المشركين اي في امر من امور دينهم
اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عليه الصلاة والسلام ليس بينهم وبينه
علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام
في الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل
لما قبلها ان اول بيت وضع للناس شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملة ابراهيم عليه
الصلاة والسلام اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلا له عليه الصلاة والسلام روي
انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء وفي الارض المقدسة وقال المسلمون
بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اي ان اول بيت وضع للعبادة وجعل
متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى للذي ببكة
خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصيصها بما بعدها من الاضافة والصفة بالجملة بعدها
اي للبيت الذي ببكة اي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فان
العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع
بالدهناء وقولهم امر راتب وراتم وسبد راسه وسمده واغبطت الحمى واغمطت وهي
علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم
بعضا ولانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله عز وجل وقيل
بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وايد هذا
بان التباك وهو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة
اسم للبلد لقوله تعالى للذي ببكة وروي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن اول بيت وضع
للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول
من بناه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل آدم عليه الصلاة والسلام وقد استوفينا
ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع
لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من
المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيها ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار
وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى

وبالغ حكمته

وبالغ حكمته كما قال فيه آيات بينات واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على
مدى الاعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى
لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم
اي اثر قدميه عليه الصلاة والسلام في الصخرة التي كان عليه الصلاة والسلام يقوم عليها
وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل راسه على ما روي انه عليه السلام
جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسماعيل عليهما السلام انزل حتى اغسل راسك
فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه
ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه وهو اما مبتدأ حذف
خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده لكونه
بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابراهيم عليه
الصلاة والسلام لقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا او باعتبار اشتماله على آيات ثلاث فان كل
واحد من اثر قدميه في صخرة صماء وغوصهما فيها الى الكعبين والانة بعض الصخر دون بعض وابقائه
دون سائر آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحفظه مع كثرة الاعداء الف سنة آية
مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد واما بما يفهم من قوله عز وجل ومن دخله كان آمنا
فانه وان كان جملة مستانفة ابتدائية او شرطية لكن في قوة ان يقال وامن من دخله
فيكون بحسب المعنى والمآل معطوفا على مقام ابراهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فيكتفى
بذلك او يحمل على انه ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوي ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن
داخله امنه من التعرض له كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك
بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة
ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج
منه وكذلك قال ابو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم
يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه صلى الله
عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذان باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها
يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر
ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر
ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت
منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت جملة من مبتدأ هو حج البيت وخبر
هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في
الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به
الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه تقدم
الحال على عاملها المعنوي
عاملها المعنوي واللام في البيت للعهد
وكسر الحاء لغة نجد وهو اسم المصدر وقرئ بفتحها من استطاع اليه سبيلا في محل

الجر على أنه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد إلى المبدل منه محذوف أي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على أن المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة إلى الضمير وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر أي هم من استطاع إلى آخره وقيل في حيز النصب بتقدير أعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد إلى الناس أي من استطاع منهم إليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في إليه راجع إلى البيت أو الحج وكلاهما متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشأنه كما في قوله عز وجل هل إلى خروج من سبيل وهل إلى مرد من سبيل لما فيه من معنى الإفضاء والإيصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال أو غيره فإنه مقدر روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا قال يا رسول الله ما السبيل فقال الزاد والراحلة ومعنى المراد بما روي أنه عليه الصلاة والسلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وعليه أكثر العلماء وحكي أن الشافعي رحمه الله أخذ بظاهره فأوجب الاستنابة على الزمن القادر على أجرة من ينوب عنه والظاهر أن عدم تعرضه عليه الصلاة والسلام لصحة البدن لظهور الأمر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع إلى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير أنه على قدر القوة ومذهب مالك أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك أنه إذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع **ومن كفر** وضع الكفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال في خطبته أيها الناس إن الله فرض الحج على من استطاع إليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على أي حال شاء يهوديا أو مجوسيا أو نصرانيا **فإن الله غني عن العالمين** وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيهم دخولا أوليا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبار المعربة عن كمال الاعتناء بأمر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث أوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقيق وأبرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد أنه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن أدائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والإبهام ثم التبيين والإجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبيح وراءه وجعل جزاءه استغناءه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فإنه قد ضرب عنه صفحا إسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب هذا وقال ابن عباس والحسن وعطاء رضي الله عنهم ومن كفر أي جحد فرض الحج وزعم أنه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فإنهم قالوا الحج إلى مكة غير واجب وروي أنه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فإنه قد هدم البيت مرتين ويرفع إلى السماء في الثالثة وروي حجوا قبل أن يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل أن تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة إلا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا

قل يا أهل الكتاب هم اليهود والنصارى وإنما خوطبوا بعنوان أهلية الكتاب الموجبة للإيمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بهما وقوله عز وجل **لم تكفرون بآيات الله** توبيخ وإنكار لأن يكون لكفرهم بها سبب من الأسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج وغيره وما في التوراة والإنجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم **والله شهيد على ما تعملون** حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتأكيد الإنكار وإظهار الجلالة في موضع الإضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما إما عبارة عن كفرهم أو ما يعمه وغيره من المعاصي وهو داخل فيها دخولا أوليا والمعنى لأي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال أنه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع أعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في أن ذلك يسد جميع أنحاء ما تأتونه ويقطع أسبابه بالكلية **قل يا أهل الكتاب** أمر بتوبيخهم بالإضلال إثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه الصلاة والسلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك العطف على الأمر السابق للإيذان باستقلالهما كما أن قطع قوله تعالى **لم تصدون** عن قوله تعالى لم تكفرون للإشعار بأن كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان أهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فإن ذلك العنوان كما يستدعي الإيمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في أقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وقرئ تُصدون من أصده **عن سبيل الله** أي دينه الحق الموصل إلى السعادة الأبدية وهو التوحيد وملة الإسلام **من آمن** مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون إن صفته عليه الصلاة والسلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل أتت اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا إلى ما كانوا عليه **تبغونها** على إسقاط الجار وإيصال الفعل إلى الضمير كما في قوله فتولى غلامهم ثم نادى أظليما أصيدكم أم حمارا بمعنى أصيد لكم أي تطلبون لسبيل الله التي هي أقوم السبل **عوجا** اعوجاجا بأن تلبسوا على الناس وتوهموا أن فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول عليه الصلاة والسلام عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله **وأنتم شهداء** حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الأولى أو من فاعل تبغونها أي والحال أنكم شهداء تشهدون بأنها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وأن الصد عنها إضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما أي شهداء أن في التوراة أن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام أو وأنتم عدول فيما بينكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الأمور **وما الله بغافل عما تعملون** تذييل فيه تهديد ووعيد شديد قيل ولما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من إحاطة علمه تعالى بأعمالهم كما أن كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادة الله تعالى على ما يعملون **يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين** تلوين للخطاب وتوجيه له إلى المؤمنين وتحذير لهم عن طاعة أهل الكتاب والافتتان بفتنتهم إثر توبيخهم بالإغواء والإضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وإيجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فإنه في قوة أن يقال لا تطيعوا فريقا إلى آخره كما أن تعميم

التوبيخ في الفعل للمبالغة في الزجر والحمل فإن طاعتهم سبب لذلك قطعاً روي أن نفراً من الأوس
والخزرج كانوا جلوساً يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد
الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم من تألف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأي بعد ما
بينهم ما كان من العداوة والشنآن فأمر شاباً يهودياً كان معه بأن يجلس إليهم ويذكرهم
يوم بعاث وكان ذلك اليوم يوماً عظيماً اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للأوس وينشدهم ما قيل
فيه من الأشعار ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من
القبيلتين خلق عظيم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم مع أصحابه فقال أتدعون
الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف
بينكم فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضاً
وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الإمام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الآيات
إلى قوله لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع صوته
فلما سمعوا صوت النبي صلى الله عليه وسلم أنصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ ألقوا السلاح
وعانق بعضهم بعضاً وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين إما مفعول ثان ليردوكم على تضمين
الرد معنى التصيير كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد
شعورهن السود بيضاً ورد وجوههن البيض سودا أو حال من مفعوله والأول أدخل في تنزيه
المؤمنين عن نسبتهم إلى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وإيراد الظرف
مع عدم الحاجة إليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد إلى الكفر بدون
سبق الإيمان مع توسطه بين المفعولين لإظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع إما
لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته أي لممانعة الإيمان له كما ينبئ عنه بعد إيمانكم الراسخ
وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى **وكيف تكفرون** استفهام إنكاري بمعنى إنكار الوقوع كما في
قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد إلى آخره لا بمعنى إنكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم
أمواتاً إلى آخره وفي توجيه الإنكار والاستبعاد إلى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى نفسه
بأن يقال أتكفرون لأن كل موجود لا بد أن يكون وجوده على حال من الأحوال فإذا أنكر ونفي جميع أحوال
وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل **وأنتم تتلى عليكم
آيات الله** جملة وقعت حالاً من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للإنكار والاستبعاد بما فيها من الشؤون
الداعية إلى الثبات على الإيمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى **وفيكم رسوله** معطوف عليها داخل
في حكمها فإن تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم يعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وإزاحة الشبه من أقوى الزواجر عن الكفر وعدم إسناد التلاوة
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للإيذان باستقلال كل منهما في الباب **ومن يعتصم بالله** أي
ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام
والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله **فقد هدي** جواب الشرط وقد لإفادة معنى التحقيق
كما أن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلاً ومعنى التوقع فيه ظاهر فإن المعتصم به تعالى متوقع
للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للندى **إلى صراط مستقيم** موصل إلى المطلوب والتنوين للتفخيم
والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجاً وهذا وإن كان هو دينه الحق
في الحقيقة وما الاهتداء إليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتبارات وكان العنوان

الأخيرة مما

الأخيرة مما يتنافس فيه المتنافسون أبرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن
زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز **يا أيها الذين آمنوا** تكرير الخطاب بعنوان الإيمان تشريف
إثر تشريف **اتقوا الله** الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة **حق تقاته** أي حق تقواه
وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى
فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو أن يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى
ويشكر ولا يكفر وقد روي مرفوعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقيل هو أن لا تأخذه في الله
لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات
إليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة
من اتقى كالتؤدة من اتأد أصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها
المفتوحة ألفاً **ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** أي مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها
شركة لما سواه أصلاً كما في قوله تعالى ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من
أعم الأحوال أي لا تموتن على حال من الأحوال إلا حال تحقق إسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة
الاسمية ولو قيل إلا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل إلا بعد النقض وظاهر النظم
الكريم وإن كان نهياً عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال غير حال الإسلام حينئذ لكن
الخطاب للمؤمنين كان المراد إيجاب الثبات على الإسلام إلى الموت وتوجيه النهي إلى الموت للمبالغة في النهي
عن قيده المذكور فإن النهي عن المقيد نفي له عن أصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فإن
قولك لا تصل إلا وأنت خاشع يفيد من المبالغة في إيجاب الخشوع في الصلاة ما لا يفيده قولك لا تترك
الخشوع في الصلاة فإن الصلاة بدونه حقها أن لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله
عز وعلا **واعتصموا بحبل الله** أي بدين الإسلام أو بكتابه لقوله عليه الصلاة والسلام القرآن حبل الله المتين
لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم
إما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان
رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات وإما استعارة للحبل لما ذكر من الدين أو
الكتاب والاعتصام ترشيح لها أو مستعار للوثوق به والاعتماد عليه **جميعاً** حال من فاعل اعتصموا أي
مجتمعين في الاعتصام **ولا تفرقوا** أي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو كما كنتم
متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضاً أو لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الألفة التي أنتم عليها **واذكروا
نعمة الله** مصدر مضاف إلى الفاعل وقوله تعالى **عليكم** متعلق به أو بمحذوف وقع حالاً منه وقوله تعالى
إذ كنتم أعداء ظرف له أو للاستقرار في عليكم أي اذكروا إنعامه عليكم أو اذكروا إنعامه مستقراً عليكم وقت كونكم
في الجاهلية بينكم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الأوس والخزرج كانا أخوين
لأبوين فوقعت بين أولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة **فألف بين
قلوبكم** بتوفيقكم للإسلام **فأصبحتم** أي فصرتم **بنعمته** التي هي ذلك التأليف **إخواناً** خبر أصبحتم
أي إخواناً متحابين مجتمعين على الأخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى
فأصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء حينئذ متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الفاعل وكذا إخواناً أي فأصبحتم
متلبسين بنعمته حال كونكم إخواناً **وكنتم على شفا حفرة من النار** شفا الحفرة وشفتها حرفها أي كنتم
مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها **فأنقذكم** بأن هداكم
للإسلام **منها** الضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وإنما أنث لتأنيث المضاف إليه كما في قوله وشرقت بالقول الذي قد

اذ عنه كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها وجانبها كالجانب
والجانبة واصله شفو قلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي
بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه
به عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي مثل ذلك التبيين الواضح يبين الله
لكم آياته اي دلائله لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم
امة يدعون الى الخير امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها
بما قبله من الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها
ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويرغبهم على عدم الاخلال بها والجمهور
على اسكان لام الامر وقد قرئ بكسرها على الاصل وهي من كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالامر
او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو امة وقد جوز ان تكون صفة لها اي لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة
هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها ومن الناقصة وامة اسمها ويدعون
خبرها اي لتكن منكم امة داعين الى الخير وايا ما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض
لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو
اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا
كافة الآية ولانها من عظائم الامور وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب
وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يامر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام
الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادي في الاصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات منهم الآية والامر من كان الناقصة والمعنى كونوا امة تدعون على منهاج قوله تعالى كنتم
خير امة اخرجت للناس الآية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته
بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فعطف الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر عليه في قوله تعالى ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع اندراجهما فيه من باب
عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة
عليهم الصلاة والسلام وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلاثة اما للايذان بظهوره اي يدعون الناس
ويامرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واولئك اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال
تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو شانهم وبعد منزلتهم في الفضل والافراد في كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح
للخطاب واما لان التعيين غير مقصود اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اي هم
الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند
بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما
يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن خير الناس فقال
آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه عليه الصلاة والسلام من امر
بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه الصلاة
والسلام والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده

ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ
الفاسقين وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمامور به واما النهي عن المنكر
فواجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره
فلا يسقط بترك احدهما وجوب تركهما والتوبيخ في قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما
هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا ولا تكونوا كالذين
تفرقوا هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا واختلفوا باستخراج التاويلات الزائغة
وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءهم البينات
اي الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة
اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز وجل
وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه الامة
وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا
للنصوص البينة او الاجماع لقوله عليه الصلاة والسلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه الصلاة والسلام
من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بما في حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم خبره وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع بالظرف على
الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول وفيه من التاكيد والمبالغة
في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى يوم تبيض وجوه اي وجوه كثيرة
وقرئ تبياض وتسود وجوه كثيرة وقرئ تسواد وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار
وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار في لهم اي لثبوت العذاب
العظيم لهم او على انه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق بعد مجيء البينات
وترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين اي اذكروا يوم تبيض وجوه الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان
عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة
واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين
اسودت وجوههم تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان
هؤلاء لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء
الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة
القول اي فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد
ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه
صلى الله عليه وسلم او جميع الكفرة حيث كفروا بعدما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعدما
تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل
اهل البدع والاهواء والفاء في قوله عز وجل فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود الموصوف
بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريقة الاهانة مرتب على كفرهم المذكور كما ان قوله
تعالى بما كنتم تكفرون صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله
اعني الجنة والنعيم المخلد عبر عنهما بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله
تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت هم فيها خالدون

استئنافاً وقع جواباً عن سؤال نشأ من السياق كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون
عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي تلك إشارة إلى الآيات المشتملة على
تنعيم الأبرار وتعذيب الكفار وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلو شأنها وسمو مكانها في الشرف وهو
مبتدأ وقوله تعالى آيات الله خبره وقوله تعالى نتلوها جملة حالية من الآيات والعامل فيها
معنى الإشارة أو هي الخبر وآيات الله بدل من اسم الإشارة وفي الالتفات إلى التكلم بنون العظمة مع كون
التلاوة على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام إبراز لكمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها
على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوها وقوله تعالى بالحق حال مؤكدة
من فاعل نتلوها أو من مفعوله أي ملتبسين أو ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص
ثواب المحسن أو بزيادة عقاب المسيء أو بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم
بأعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى وما الله يريد ظلماً للعالمين تذييل مقرر لمضمون
ما قبله على أبلغ وجه وآكده فإن تنكير الظلم وتوجيه النفي إلى إرادته بصيغة المضارع دون نفسه
وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعرف والالتفات إلى الاسم الجليل إشعار بعلة الحكم وبيان لكمال نزاهته
عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه أي ما يريد فرداً من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين في وقت
من الأوقات فضلاً عن أن يظلمهم فإن المضارع كما يفيد الاستمرار في الإثبات يفيده في النفي
بحسب المقام كما أن الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل
على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع إيماء إلى التعريض بأن الكفرة هم ظلموا
أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون
ولله ما في السموات وما في الأرض أي له تعالى وحده من غير شركة أصلاً ما فيهما من المخلوقات
الفانية المختصة ملكاً وخلقاً إحياءً وإماتةً وإثابةً وتعذيباً وإرادة كلمة ما إما للتغليب على
العقلاء وإما لتنزيلهم منزلة غيرهم إظهاراً لحقارتهم في جنب عظمته تعالى وإلى الله
أي إلى حكمه وقضائه لا إلى غيره شركة واستقلالاً ترجع الأمور أي أمورهم فيجازي كلاً منهم
بما وعد له وأوعده من غير دخل في ذلك لأحد قط والجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين
وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فإن كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه
يستدعي إرادة الخير بهم كنتم خير أمة كلام مستأنف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه
من الاتفاق على الحق والدعوة إلى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة في
الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق ولا لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفوراً رحيماً وقيل
كنتم كذلك في علم الله تعالى أو في اللوح وفيما بين الأمم السالفة وقيل معناه أنتم خير أمة أخرجت
للناس صفة لأمة واللام متعلقة بأخرجت أي أظهرت لهم وقيل بالخيرية أي كنتم خير الناس
فهو صريح في أن الخيرية بمعنى النفع للناس وإن فهم ذلك من الإخراج أيضاً أي أخرجت
لأجلهم ومصلحتهم قال أبو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل
فتدخلونهم في الإسلام وقال قتادة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال
فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الإسلام فهم خير أمة للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر استئناف مبين لكونهم خير أمة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم
أو خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وإن كان خاصاً
بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد أمة محمد صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم وقال الزجاج أصل هذا الخطاب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر
أمته وروى الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله
تعالى وظاهر أن المراد بكل منها آحادهم وأواخرهم لا أوائلهم فقط فلا بد أن يكون المخاطبون بهذه
الآية أيضاً داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روي أن مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين وأبي
بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة رضي الله تعالى عنهم فقالا لهم نحن أفضل منكم وديننا
خير مما تدعوننا إليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كنتم خير أمة الذين
هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وروي عن الضحاك أنهم أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم وتؤمنون بالله أي
إيماناً متعلقاً بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وإنما لم يصرح به تفصيلاً
لظهور أنه الذي يؤمن به المؤمنون فلا بد أن يراد بأنه الإيمان بالله تعالى حقيقة ولا بد من الخلوص عن شيء
من ذلك كإيمان أهل الكتاب فليس من الإيمان به تعالى في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض و
نكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وإنما أخر ذلك عن الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجوداً ورتبة لأن دلالتهما على خيريتهم للناس أظهر من
دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم أي لو آمنوا إيماناً كإيمانكم لكان ذلك
خيراً لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ
الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية
إنما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وإنما لم يتعرض للمؤمن به لظهور أنه الذي يطلق
عليه اسم الإيمان لا يذهب الوهم إلى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا أيضاً قيل لربما توهم أن لأهل الكتاب إيماناً
في الجملة لكن إيمان المؤمنين خير منه وهيهات ذلك منهم المؤمنون جملة مستأنفة سيقت جواباً
عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الإيمان عنهم كأنه قيل هل منهم من آمن أو
كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام وأصحابه
وأكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود لن يضروكم إلا أذى استثناء مفرغ
من المصدر العام أي لن يضروكم أبداً ضرراً ما إلا ضرر أذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا أثر له وإن
يقاتلوكم يولوكم الأدبار أي ينهزموا من غير أن ينالوا منكم شيئاً من قتل أو أسر ثم لا ينصرون عطف
على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة أي لا ينصرون من جهة أحد ولا يمنعون منكم قتلاً وفيه تثبيت
لمن آمن منهم فإنهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بأنهم
لا يقدرون على أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يعبأ به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم
وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل وإنما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لأن المقصود هو الوعد بنفي
النصر مطلقاً ولو عطف عليه لكان مقيداً بمقاتلتهم كتولية الأدبار ولم يبق الوعدين كأنه قيل ثم
شأنهم الذي أخبركم عنه وأبشركم به أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك
بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم أمر وكان كذلك حسبما لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع
ويهود خيبر ما لقوا ضربت عليهم الذلة أي هدر النفس والمال والأهل أو ذل التمسك بالباطل أينما ثقفوا
أي وجدوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من أعم الأحوال أي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة
على من هي عليه في جميع الأحوال إلا حال كونهم معتصمين بذمة الله أو كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين أو بذمة

قالا لنفر من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم منهم ابن
مسعود وأبي

للمسلمين واتباع سبيل المؤمنين **وباءوا بغضب من الله** اي رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم
والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افادة التنكير من الفخامة
والهول اي كائن من الله عز وجل **وضربت عليهم المسكنة** فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود
كذلك في غالب الحال مساكين تحت ايدي المسلمين او النصارى **ذلك** اشارة الى ما ذكر من ضرب
الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم **بانهم كانوا يكفرون بايات الله** اي ذلك الذي
ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بايات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها
وبسائر الايات القرانية **ويقتلون الانبياء بغير حق** اي في اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم
مع انه فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم ينسب الى كل من يسير بسيرهم
ذلك اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل **بما عصوا وكانوا يعتدون** اي كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم
حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها
يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في الاخرة كما هو
معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا
بالمؤاخذة **ليسوا سواء** جملة مستانفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مؤمني اهل الكتاب وتذكيرا
لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وهو اسم
ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل
الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في اصل الاتصاف
بها اي ليس جميع اهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات
وقوله تعالى **من اهل الكتاب امة قائمة** استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من
الابهام كما ان ما سبق من قوله تعالى تامرون بالمعروف الاية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة الخ
ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك
الامة ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من اراذلهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود
فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد
واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثلاثة من الروم
كانوا على دين عيسى وصدقوا بمحمد عليهما الصلوة والسلام وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم
النبي صلى الله عليه وسلم منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة
بن انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث الله
النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى **يتلون ايات الله** في محل الرفع على انه
صفة اخرى لامة وقيل في محل النصب على انه حال منها لتخصيصها بالنعت والعامل فيها الاستقرار
الذي تضمنه الجار او من ضميرها في قائمة او من المستكن في الجار لوقوعه خبرا لامة والمراد بايات الله
القران وقوله تعالى **اناء الليل** ظرف ليتلون اي في ساعاته جمع انى بزنة عصا او انى بزنة معا او انى
بزنة ظبي او انى بزنة نحي او انو بزنة جرو **وهم يسجدون** اي السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلوة
لكونه ادل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم ايات الله في الصلوة مع انها مشتملة عليها قطعا
لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا انفا بالكفر بها وهو السر في
تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد بصلاتهم التهجد اذ هو ادخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم
التلذذ بتلاوتها في المكتوبة وصيغة الابهام واعتبار حالهم عند الصلوة على الانفراد يأباه مقام المدح

وهو الانسب

وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس لتبادر هيئة الصلوات المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالاناء
الليل المبهمة وقيل صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه
الساعة غيركم وقرأ هذه الاية وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد لتقوية
الحكم وتاكيده وصيغة المضارع للتجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستانفة والمعنى انهم
يقومون تارة ويسجدون اخرى ويبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة من الخضوع لله
عز وجل كما في قوله عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود الخضوع كما في قوله
ولله يسجد ما في السموات والارض **يؤمنون بالله واليوم الاخر** صفة اخرى لامة مبينة لمباينتهم اليهود
من جهة اخرى اي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد لظهور
انه الذي يطلق عليه الايمان بهما لا يذهب الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله
وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الاخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما في شيء
اصلا ولو قيده بما ذكر لما توهم ان المنفي عنهم هو المقيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان
على ايمانهم بالاصل وهيهات **ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** صفتان اخريان لامة
اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم
لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر
باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهي عن المعروف **ويسارعون في الخيرات**
صفة اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط
الرغبة فيه لان من رغب في امر سارع في توليه والقيام به واثر الفور على التراخي اي يبادرون
مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل
بمبادرتهم الى الشرور وايثار كلمة في على الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الى اخره
للايذان بانهم مستقرون في اصل الخير متقلبون في فنونها المترتبة في طبقات الفضل لا انهم خارجون
عنها منتهون اليها **واولئك** اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما
فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والايثار على الضمير للاشعار
بعلة الحكم والمدح اي اولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها **من الصالحين**
اي من جملة من صلحت احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناه **وما يفعلوا من خير** كائنا
ما كان مما ذكر او لم يذكر **فلن يكفروه** اي لن يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب
بالشكر لما ان ذلك بتنزيهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى
من القبائح وتعديته الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول الجاري على
سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب **والله عليم بالمتقين** تذييل مقرر لمضمون
ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة
المعهودة وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا بمناط
اثابتهم وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفة واما جنس المتقين عموما فهم مندرجون تحت حكمه
اندراجا اوليا **ان الذين كفروا** اي بما يجب الايمان به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو قريظة والنضير
فان معاندتهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركو قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله
وقيل ابو سفيان واصحابه لانه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر وقيل هم الكفار كافة فانهم

والاولاد

فاخبروا لا الاموال انفع لهم حال حيث قال الخير اكثر لهم لا الاولاد اقرب الحق بعذابين فرد الله عز وجل
عليهم وقال لن تغني عنهم اي لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه
شيئا اي شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء واولئك اصحاب النار اي صاحبوها على الدوام
وملازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا بيان لكيفية عدم اغناء
اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وما
موصولة اسمية محذوف عائدها اي حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافق
رياء وخوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة كمثل ريح فيها صر اي برد شديد
فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة في تجريد
كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر
والمعاصي فيها دعاء غضب من الله تعالى وان في وصفهم بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ
فاهلكته عقوبة لهم ولم تدع منهم اثرا ولا اثاثا فلم ينتفعوا بما انفقوا في ضياعه وذهابه
بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما كحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة
ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد
نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون
كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله بما
بين من ضياع ما انفقوا ولكن انفسهم يظلمون لما انهم ضيعوها بانفاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول
لرعاية الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول اي ما ظلمهم الله ولكن
ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار ويجوز ان يكون المعنى وما ظلم الله
تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة بانهم اتمموا التعرض
لسخط الله وقرئ بالتشديد ولكن انفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة
اي ولكن انفسهم يظلمونها واما تقدير ضمير الشان فلا سبيل اليه لاختصاصه بالشعر ورد في قوله
وكل من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل وليجته من يعرفه
اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس
دثار قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود فيما بينهم من القرابة والصداقة
والحلف فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا
عن ذلك ويؤيده قوله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل وهو صفة المنافق واياما
ما كان فالحكم عام للكفرة كافة من دونكم اي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع
صفة لبطانة اي كائنة من دونكم مجاورة لكم لا يألونكم خبالا جملة مستانفة مبينة لحالهم داعية الى
الاجتناب عنهم وصفة لبطانة يقال الا في الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا الوك
نصحا ولا الوك جهدا على التضمين بمعنى المنع والنقص والخبال الفساد اي لا يقصرون لكم في الفساد ودوا ما
عنتم اي تمنوا عنتكم اي مشقتكم وشدة ضرركم وهو ايضا استئناف مؤكد للنهي لزيادة الاجتناب عن المنهي
قد بدت البغضاء من افواههم استئناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهي عنه اي قد بدت البغضاء
في كلامهم لانهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم
بغضهم للمسلمين وقرئ البغضاء والافواه جمع فم واصله فوه ولامه هاء يدل على ذلك جمعه على افواه
وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهي وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار

قريبا

قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان
كنتم تعقلون اي ان كنتم من اهل العقل او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة
المذكور عليه ها انتم اولاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه لظهورها اذ الحال الغائية بمضمونها
اي انتم هؤلاء المخطئون في موالاتهم وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في ذلك او
خبر ثان لانتم او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة له او حال والعامل معنى
الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة تحبونهم وتؤمنون بالكتاب كله اي
بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم
لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا واذا خلوا
عضوا عليكم الانامل من الغيظ اي من اجل الغيظ تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم
دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله الى ان تهلكوا به او باشتداده الى ان
يهلكهم ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق وهو
يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله تعالى عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون
خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بذات الصدور وقيل هو امر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا
باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم
من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابكم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة
اما للايذان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة واما
لان المس مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا اي على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا
ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لا يضركم كيدهم اي مكرهم وحيلتهم التي دبروها لاجلكم
وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره وضمة الراء
في القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية اي لا يضركم شيئا
من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر
يكون جريا على الخصم ان الله بما يعملون في عداوتكم من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك
وقرئ بالتاء الفوقانية اي بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت
كلام مستانف مسوق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على ان
وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة عن مضرة كيد الاعداء واذ نصب على المفعولية بمضمر
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا لما وقع فيه من الاحوال
الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها
واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة والمراد
به خروجه عليه الصلاة والسلام الى احد حين دخلت من منزل عائشة رضي الله عنها وهو المراد من
قوله تعالى من اهلك اي من عند اهلك تبوئ المؤمنين اي تنزلهم او تهيئ وتسوي لهم مقاعد
ويؤيده قراءة من قرأ تبوي للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على انها حال مقدرة اي ناويا
وقاصدا للتبوئة كما قيل بل على ان المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة وما

يترتب عليها إذ هو المذكور للقصة وإنما عين ما بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه
عليه الصلاة والسلام بعد صلاة الجمعة كما ستعرفه إذ حينئذ وقعت التبوئة التي هي العمدة
في الباب إذ المقصود بتذكير الوقت تذكير مخالفتهم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتزايلهم عن
أحيازهم المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا يتبين خلل رأي من احتج به على جواز
أداء صلاة الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تعالى **للقتال** أي متعلقة بتبوئ أي لأجل
القتال وإما بمحذوف وقع صفة لمقاعد أي كائنة ومقاعد القتال أماكنه ومواقفه فإن
استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شائع ذائع كما في قوله تعالى قبل أن تقوم من مقامك
روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه
ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عبد الله وأكثر الأنصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم والله ما خرجنا منها إلى عدو
قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منهم فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا
بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا
رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا إلى هذه الأكلب لا يرون أنا جبنا عنهم قال
عليه الصلاة والسلام إني قد رأيت في منامي بقرا تذبح حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي
ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن
تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله تعالى بالشهادة يوم أحد
اخرج بنا إلى أعدائنا وقال النعمان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه يا رسول الله لا تحرمني الجنة
فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة فقال له بم قال بأني أشهد أن لا إله إلا الله وأني لا أفر من الزحف فلم يزالوا
به صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه كذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي أن
يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت
للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح
إن رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمر
عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن
نزال غالبين ما ثبتم مكانكم **والله سميع** لأقوالكم **عليم** بضمائركم والجملة اعتراض للإيذان بأنه
قد صدر عنهم هناك من الأقوال والأفعال ما لا ينبغي صدوره عنهم **إذ همت** بدل من إذ غدوت
مبين لما هو المقصود بالتذكير وتوسيط سميع عليم حيث يقتضي التشاكل الجامع بين سماع الأقوال
والعلم بالضمائر في ذلك الوقت والتوجه للتنبيه لكونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء
معنى في المضرب وكل من ذلك نصب بهما وأنهما تسلط عليه معا **طائفتان منكم أن تفشلا**
متعلق بهمت والأصل بأن تفشلا أي بأن تجبنا وتضعفا وهما حيان من الأنصار بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ألف رجل
وقيل تسعمائة وخمسين وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح إن صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة
وكانوا ثلاثة آلاف انخذل عبد الله بن أبي بثلث الناس فقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا
فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله تعالى في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم
قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن ابن

وعن ابن عمر رضي الله عنه أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر أنها ما كانت
إلا همة وحديث نفس كما لا تخلو النفس عنه عند الشدائد **والله وليهما** أي عاصمهما من اتباع تلك
الخطرة والجملة اعتراض ويجوز أن تكون حالا من فاعل همت أو من ضميره في تفشلا مفيدة لاستبعاد
فشلهما أو همهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالى وإن طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا **وعلى الله** وحده دون ما عداه استقلالا أو اشتراكا **فليتوكل المؤمنون** في جميع أمورهم
فإنه حسبهم وإظهار الاسم الجليل للتبرك به والتعليل فإن الألوهية من موجبات التوكل
عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا أوليا وفيه إشعار بأن وصف الإيمان
من دواعي التوكل وموجباته **ولقد نصركم الله ببدر** جملة مستأنفة سيقت لإيجاب الصبر والتقوى
بتذكير ما ترتب عليهما من النصر إثر تذكير ما ترتب على عدمهما وقيل لإيجاب التوكل على الله تعالى بتذكير
ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي
لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع أو الوادي وكانت وقعة بدر في السابع
عشر من رمضان سنة اثنين من الهجرة **وأنتم أذلة** حال من مفعول نصركم وإنما لم يجمع ذليلا وإنما
جمع جمع القلة للإيذان باتصافهم حينئذ بوصفي القلة والذلة إذ كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان
ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير ولم يكن في العسكر إلا فرس
واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وتسعون بعيرا وست أدرع وثمانية سيوف وكان العدو قريبا
زهاء ألف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة **فاتقوا الله** اقتصر على الأمر بالتقوى مع كونه مشفوعا
بالصبر فيما سبق وما لحق للإشعار بأصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك قدم عليه في
الذكر وفي ترتيب الأمر بالتقوى على الإخبار بالنصر إيذان بأن نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم
أي إذا كان الأمر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ **لعلكم تشكرون** أي راجين أن تشكروا
ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل أو لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر
كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الإنعام **إذ تقول** تلوين للخطاب
بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه والإيذان بأن وقوع النصر كان
ببشارته عليه الصلاة والسلام وإذ ظرف لنصركم قدم عليه الأمر بالتقوى لإظهار
كمال العناية به وقيل بدل ثان من إذ غدوت على أن الوقت المتسع الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوي ذكره تعويلا
على شهادة الحال عما يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها أي نصركم وقت قولك **للمؤمنين** حين أظهروا العجز عن المقاتلة قال الشعبي بلغ
المؤمنين أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك على المسلمين فنزل جبريل ثم حكي
هاهنا **ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف** الكفاية سد الخلة والقيام بالأمر و
الإمداد في الأصل إعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والإعانة
يقال فيه أمده يمده إمدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده مدا ومنه والبحر يمده
من بعده سبعة أبحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله ونمد
له من العذاب مدا والإمداد في الخير كما في قوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين والتعرض لعنوان
الربوبية هاهنا وفيما سيأتي مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار العناية بهم والإشعار بعلة
الإمداد والمعنى إنكار عدم كفاية الإمداد بذلك المقدار ونفيه وتعليق الاستفهام بالنفي للإشعار بأنهم كانوا
حينئذ كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم **من الملائكة** بيان أو صفة

لا الاف انما الشيف اليه اي كاينين من الملائكة منزلين صفة لثلاثة الاف وقيل حال من
الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم
صاروا ثلاثة الاف وقرئ مبنيا للفاعل من المنتقين اي منزلين النصر بلى ايجاب لما
بعد لن وتحقيق له اي بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما
وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية الله
ومخالفة نبيه عليه الصلاة والسلام ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا اي من ساعتهم
هذه وهو في الاصل مصدر من فارت القدر اي اشتد غليانها ثم استعير للسرعة ثم اطلق على كل حالة
لا ريب فيها اصلا ووصفه بهذا للتاكيد بسرعته بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم
بسرعة في سلك شرطي الامداد المستتبع اي الموجود او عدمه اعني الصبر والتقوى مع تحقق
الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطؤوا لتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق اصله او لبيان تحققه
على اي حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق
الاولى فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد
ايذانا بانه يتحقق مع ما ينافيه عادة فلان يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف
درع بغاية الحصانة تقول لو لبستها وبارزت بها الاعداء فضربوك باي وشديد وسيوف
حداد لم تتاثر فيها قطعا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين من التسويم
الذي هو اظهار سيما الشيء اي معلمين انفسهم او خيلهم فقد روي انهم كانوا بعمائم بيض الا
جبرئيل عليه الصلاة والسلام فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروي انهم كانوا
على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم
وقال هشام عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد علموا بالعهن في نواصي الخيل واذنابها
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه رضي الله عنهم تسوموا فان الملائكة قد تسومت
وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل من سومين
من التسويم بمعنى الاسامة وما جعله الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه
تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون
ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه وامارته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام
ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه
على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى وتعيين وقت معه مما يقتضي وقوعه حينئذ
قضاء قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على شهادة الايات فاخذ الامارات والخبايا ايذانا
بكمال الغنى عنه بل بالحرى اذ اعتراه شائبة التكرير او وقع ايهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كانه
قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين فامدكم به وما جعله الله
الاخ والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى المصدر المقدر وقيل عوده الى المصدر
المذكور اعني قوله تعالى ان يمدكم والى المصدر المدلول عليه بقوله يمددكم كما قيل فمع تحقق
لما له التنزيل الان لتعيينه بالبسطة تقدمه على التركيبية فيتبين العلة الغائية لوجود الامداد
كما هو اللائق بادب النظم الكريم حقه الا ان يكون تعيينا لوجوده في نفسه ولا ريب في ان المصدرين
المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع عند الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام
وجودهما بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلاثة

الاف والواقع هو الامداد بخمسة الاف وقوله تعالى الا بشرى لكم استثناء مفرغ من اعم
العلل فقول من خطاب التشريف للمؤمنين مع العذاب بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب
بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنهما بما له من التاييد الرباني
اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن
قلوبكم به اي بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك مما علق شعائه
الجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل
وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة ايضا الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله
تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بان الملائكة عليهم الصلاة
والسلام لم يباشروا القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير السواد ونحوه
كما هو راي بعض السلف رحمهم الله وقيل الجعل متعد الى اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من
اعم المفاعيل اي وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة
بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج
في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اي الا كائن من عنده تعالى من غير ان تكون فيه
شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جري السنة الالهية او وما النصر المعهود
الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التاثير وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة
وتقوية القلوب العزيز الذي لا يغالب في حكمه وقضيته ولاجراء هذا الوصف عليه تعالى اشعار
بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله الحكيم اي الذي يفعل كل ما يفعل حسبما
تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملائكة عليهم الصلاة والسلام فان ذلك
من مقتضيات الحكمة البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم الله وما بينهما تحقيق لحقيته
وبيان لكيفية وقوعه والمقصود منه التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة
على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه ومما تعلق به الخبر في
قوله عز وعلا وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان التعليل
بالبشارة انما هو الامداد الصوري لا ما في ضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك الامر واما تعلقه
بنفس النصر كما قيل ففيه ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى
كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلة معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر
حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يوم بدر او وما على الوجه الثاني النصر
الظاهر عند امداد الملائكة الا ثابت من عند الله ليقطع به ليهلك وينقص طرفا من الذين كفروا اي
طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون او يكبتهم
اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ اي وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده اذا
ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين
جنبيه مبدلة او للتنويع فينقلبوا خائبين اي فيرجعوا منقطعي الامال غير فائزين من مرامهم
بشيء كما في قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شيء اعتراض
وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعامل المحقق ان لا تاثير للمنصورين لا تاثير للناصرين
وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره
بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله

صلى الله عليه وسلم وليس لأمر مباشري القتال مدخل في الجملة {أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ} عطف
على يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مأمور
بإنذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الأخروي المخصوص بأشد الكفرة كفرا وإلا
فمطلق التعذيب الأخروي متحقق في الفريقين الأولين أيضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور في
سلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث إن قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من
علمهم بحقية الإسلام بسبب غلبة أهله المترتبة على النصر وأن تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب
على إصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل إن عتبة بن أبي وقاص شج رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم أحد وكسر رباعيته فجعل عليه الصلاة والسلام يمسح الدم عن وجهه وسالم
مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم
إلى ربهم فنزلت ليس لك من الأمر شيء كأنه نوع معاتبة على إنكاره عليه الصلاة والسلام لفلاحهم
وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بأن فيهم من يؤمن فقوله تعالى أو يتوب عليهم حينئذ
معطوف على الأمر أو على شيء بإضمار أن أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء أو
ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل أو بمعنى إلا أن والمعنى ليس لك
من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح به أو يعذبهم فتتشفى منهم وأيا ما كان فهو كلام مستأنف
سيق لبيان بعض الأمور المتعلقة بغزوة أحد إثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب
الظاهر لأن كلا منهما مبني على اختصاص الأمر كله بالله تعالى إذ تقول بدل ثان من إذ غدوت على أن قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم أحد ولأن الإمداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى
فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل وقد يستأنس له بعدم النظم الكريم إياها ولا فلا دون المشروط بالصبر والتقوى
إنما هو الإمداد بخمسة آلاف لا بثلاثة آلاف مع أنه لم يقع الإمداد يومئذ ولو بملك واحد قلنا ثانيا
فلأنه كان ينبغي حينئذ أن يبقى عليهم عتابهم وتحصيلهم بسببها تلك النعمة الجليلة وتحقق ظهوره
مع عدم دلالة السياق عليه بل مع دلالته على خلافه حسبما ستحيط به وأما ثالثا فلأنه لا سبيل
إلى حمل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله إلا للإمداد الموعود لأنه لم يتحقق فكيف يمكن جعله إنما
ولا إلى الوعد به على معنى أنه تعالى إنما جعل ذلك الوعد بشارة لكم ولتطمئن به قلوبكم ولا تفعلوا ما شرط
عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع إنجاز الموعود بها إذ قوله تعالى وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم صريح
في أنه قد وقع الإمداد الموعود وكان أثره إنما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصلا وأما النصر الحقيقي
فليس ذلك الأمر عنده تعالى ويجعل استئنافا مقررا لعدم وقوع الإمداد حمل على معنى أن النصر الموعود
به تعالى فلا ينصر من يخالف أمره بترك الصبر والتقوى اعتساف بين يجب تنزيه التنزيل عن أمثاله على أن
قوله تعالى ليقطع طرفا الآية متعلق حينئذ إنما يتعلق بقوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار
ضرورة أن تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الآية مع كون ما بينهما من التفصيل منقطعا بوقعة
أحد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بفأس أبعد من عناد وجود النصر قطعا لأن تفصيل الأحكام المترتبة
على وجود شيء بصدد بيان انتفائه مما لا يتعهد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد الحق الذي لا يأتيه
إن قوله تعالى إذ تقول ظرف لنصركم وأنه حكى في أثنائه الحال قوله تعالى خطابا به لنفسه متعلق بيوم بدر قطعا
وما بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى {فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} تعليل لما في حال القول تعالى
أو يعذبهم ببيان أن لهم ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} كلام
مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل إثر بيان اختصاص ملكوت كل الكائنات

به عز وجل إثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار
للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء أيضا تغليبا أي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل
فيه لأحد أصلا فله الأمر كله {يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ} أي يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح
{وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} أن يعذبه بعدل مشيئته كذلك وإيثار كلمة من في الموضعين لاختصاص المغفرة
والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للإيذان بسبق رحمته تعالى غضبه
وبأنها من مقتضيات ذاته دون مقابلها فإنه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب
والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن
يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون قرينه من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة ما لا
يخفى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا} كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الأمر في كل باب
لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما لا بد منها من الأمور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب
جيء به في تضاعيف القصة مسارعة إلى إرشاد المخاطبين إلى ما فيه [illegible] المحافظة
عليه فيما هم فيه من الجهاد فإن الأمور المذكورة فيه مع كونها مناط الفوز في الدارين على الإطلاق
عمدة في أمر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم لما لقوا ما لقوا ولعل إيراد النهي عن الربا في أثنائها لما أن الترغيب في
الإنفاق في السراء والضراء الذي عمدته الإنفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال
فكان مظنة مبادرة الناس إلى طرق الاكتساب ومن جملتها الربا فنهي عن ذلك والمراد بأكله أخذه
وإنما عبر عنه بالأكل لما أنه معظم ما يقصد بالأخذ وشائع في المأكولات مع ما فيه من زيادة
تشنيع وقوله عز وجل {أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً} ليس لتقييد المنهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه
من العادة توبيخا لهم بذلك إذ كان الرجل يربي إلى أجل فإذا حل قال للمدين زدني في المال حتى أزيدك
في الأجل فيفعل وهكذا عند محل كل أجل فيستغرق بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية
من الربا وقرئ مضعفة {وَاتَّقُوا اللَّهَ} فيما نهيتم عنه من الأمور التي من جملتها الربا {لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ} راجين الفلاح {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي
ما يتعاطونه كان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين
بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه {وَأَطِيعُوا اللَّهَ} في كل ما أمركم به ونهاكم
عنه {وَالرَّسُولَ} الذي يبلغكم أوامره ونواهيه {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} راجين لرحمته عقب الوعيد
بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وإيراد لعل في الموضعين للإشعار بعزة
منال الفلاح والرحمة قال محمد بن إسحاق هذا معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
أمرهم بما أمرهم يوم أحد {وَسَارِعُوا} عطف على أطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستئناف
أي بادروا وأقبلوا وقرئ وسابقوا {إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ} أي إلى ما يؤدي إليهما وقيل
إلى الإسلام وقيل إلى التوبة وقيل إلى الإخلاص وقيل إلى الجهاد وقيل إلى أداء جميع الواجبات
وترك جميع المنهيات فيدخل فيهما ما مر من الأمور المأمور بها والمنهي عنها دخولا أوليا وتقديم
المغفرة على الجنة لما أن التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة
أي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار مزيد
اللطف بهم وقوله تعالى {عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} أي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض
بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسط على طريقة التمثيل فإن العرض في العادة أدنى من

الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض **أعدت للمتقين** في
محل الجر على الصفة لجنة او في محل النصب على الحال لانها تخصصت بالصفة او هيئت
لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم **الذين ينفقون** في محل الجر على
انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان او في محل النصب او الرفع على المدح ومفعول ينفقون
محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او منزول منزلة اللازم كما في قولك يعطي ويمنع **في السراء والضراء**
في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة
اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير **والكاظمين الغيظ** عطف على الموصول
والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق فحيث كان امرا متجددا عبر عنه
بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس كظمت السقاء اذا ملأته وشددت عليه اي الممسكين
عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه
وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا **والعافين عن الناس** اي التاركين عقوبة من استحق
مواخذته روي ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفى
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت
في هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه الصلاة والسلام الى ترك ما عزم عليه من
مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة حين قال حين رآه قد مثل به لامثلن بسبعين مكانك **والله يحب
المحسنين** اللام للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد فعبر عنهم بالمحسنين ايذانا
بان النعوت المعدودة من باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها
الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره عليه الصلاة والسلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم
تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها **والذين** مرفوع على الابتداء وقيل مجرور
معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما
من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى درجة من هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم وعلى نعت المتقين
فيكون التنافي وتكرير واظهر **اذا فعلوا فاحشة** اي فعلة بالغة في القبح كالزنا **او ظلموا انفسهم** بان
اتوا ذنبا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة ما تتعدى
الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا
كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره افعل كذا فانزل الله تعالى هذه الآية
وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود
منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصاري وامرأة ثقفي كان بينهما
مواخاة فندم الانصاري وحثا على رأسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائبا مستغفرا
ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وايا ما كان فاطلاق اللفظ ينتظم ما فعله الرماة انتظاما
اوليا **ذكروا الله** تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه او عقابه
فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء للدلالة على ان تذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة
ومن يغفر الذنوب استفهام انكاري والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك فلان يلبس الثياب ويركب
الخيل لا كلها حتى يحل بها على الفصيح من استغراق الصدور مغفرة في حقها عن غيره وقوله تعالى **الا الله**
بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس الذنوب احد الا الله [illegible] دلالة الاستفهام على الانتفاء

اوى وابلغ

اقوى وابلغ لان ادلته تسلكل احد حتى احظ بن الخطاب يعرف ذلك الاستغفار فيسارع الى الجواب به والى ذ
وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين اي بين الحال
وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول **ولم يصروا** عطف على فاستغفروا
فداخل معه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشان الاستغفار
واستحقاق المسارعة اليه عقيب ذكره تعالى وحال من فاعل اي ولم يقيموا او غير مقيمين **على ما
فعلوا** اي ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار
وهم يعلمون حال من فاعل يصروا اي لم يصروا على قبيح فعلهم وهم عالمون بقبحه او بالنهي عنه والوعيد عليه
والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به **اولئك**
اشارة الى المذكورين لكونها باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى **جزاؤهم** بدل اشتمال منه
وقوله تعالى **مغفرة** خبر له او جزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك وهذه
الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الى آخره على الوجه الاول وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة
المنبئة عن سابقة الذنب في سلك الجزاء او على الوجهين الاخيرين يكون قوله تعالى اولئك الى
آخره جملة مستانفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم
يذكر من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء والتعرض لها المغفرة وتخصيص
الاشارة بالاخيرين مع اشتراكهما في حكم اعداد الجنة لهم تعسف ظاهر **من ربهم** متعلق بمحذوف
وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة
من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم [illegible] والتشريف
وجنات تجري من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى من الجنة السابقة
ما يؤيد كون الوجه الاول **خالدين فيها** حال مقدرة من الضمير المجرور في جزاؤهم لانه مفعول به في
المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي
لاصحابها في المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير **ونعم اجر العاملين** المخصوص بالمدح محذوف
اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما
يستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي
والجملة تذييل [illegible] وقد اهتم مضمونها
[illegible]
[illegible] **قد خلت من قبلكم سنن** رجوع الى تفصيل بقية
القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخلو المضي
والسنن الوقائع وقيل الامم والطرق [illegible]
مضت من قبل زمانكم وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله تعالى
سنة الله في الذين خلوا من قبل والفاء في قوله تعالى **فسيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين** للدلالة على سببية الخلو للسير والنظر او الامر بهما وقيل المعنى على
الشرط اي ان شككتم فسيروا [illegible]
[illegible] **هذا** اشارة الى ما سلف من قوله تعالى قد خلت الى آخره

هذا بيان للناس أي تبيين لهم على أن اللام متعلقة بالمصدر أو كائن لهم على أنها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون أي هذا إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فإن الأمر بالسير والنظر وإن كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين أيضا على أن ينظروا في عواقب من قبلهم من أهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وإن لم يكن الكلام مسوقا لهم **وهدى وموعظة** أي زيادة بصيرة وموعظة لكم وإنما قيل للمتقين بدل لكم للإيذان بأن مدار كونهما هدى وموعظة لهم هو تقواهم ويجوز أن يراد بالمتقين الصائرون إلى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما أي هذا بيان لمآل أمر الناس وسوء عاقبتهم وهداية لمن تقيهم وموجب لهم عما هم فيه من التكذيب وأن يراد بهما الهداية والموعظة للمتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة ما يعمهما الثبات عليهما والزيادة فيهما وإنما قدم كونه بيانا للمكذبين مع أنه غير مسوق لهم على كونه هدى وموعظة للمتقين مع أنه المقصود بالسياق لأن أول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك أسلافهم ظهور حال أخلافهم وأما زيادة الهدى أو أصله فأمر مترتب عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين أيضا لما أن المراد به مجرد البيان ومعنى الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما أنهما المقصد الأصلي ويجوز أن يكون تعريف الناس للجنس أي هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة **للمتقين** منهم خاصة وقيل كلمة هذا إشارة إلى ما لخص من أمر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض للبعث على الإيمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين وأنت خبير بأن الاعتراض لا بد أن يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله ونعم ما بينه آثار هلاك المكذبين ثم الانطلاق لبيان أحد الأصناف الثلاثة للمؤمنين وإنما كان باعثا على الإيمان بذلك لحذره من التكذيب وقيل إشارة إلى القرآن ولا يخفى بعده **ولا تهنوا ولا تحزنوا** تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما أصابهم يوم أحد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد الله ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة رضي الله عنهم ومن الأنصار سبعون رجلا رضي الله عنهم أجمعين أي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم **وأنتم الأعلون** جملة حالية من فاعل الفعلين أي والحال أنكم الأعلون الغالبون دون عدوكم فإن مصير أمرهم إلى الدمار حسبما شاهدتم من أحوال أسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصرة والغلبة بعد الإشعار به فيما سبق أو وأنتم المعهودون بغاية علو الشأن لما أنكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وأنتم الأعلون حالا منهم حيث أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم **إن كنتم مؤمنين** متعلق بالنهي أو بالأعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه أي إن كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فإن الإيمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة بأعدائه أو إن كنتم مؤمنين فأنتم الأعلون فإن الإيمان يقتضي العلو لا محالة أو إن كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فأنتم الأعلون وأيا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به كما في قول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني أجري ولذلك قيل معناه إذ كنتم مؤمنين وقيل معناه إن بقيتم على الإيمان **إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله** القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أحق بأن لا تضعفوا فإنكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم أحد فإن المسلمين

نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل **وتلك الأيام** إشارة إلى الأيام الجارية فيما بين الأمم الماضية والآتية كافة لا إلى الأيام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم أحد بل هي داخلة فيها دخولا أوليا والمراد بها أوقات الظفر والغلبة **نداولها بين الناس** نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولأخرى أخرى كقول من قال: فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت بينهم فتداولوه أي عاورته فتعاوروه واسم الإشارة مبتدأ والأيام نعت له أو بدل منه أو عطف بيان له ونداولها خبره أو خبر والأيام خبر ونداولها حال من الأيام والعامل معنى اسم الإشارة أو خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للإيذان بأن تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الأمم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله تعالى **وليعلم الله الذين آمنوا** إما من باب التمثيل أي ليعاملكم معاملة من يريد أن يعلم المخلصين الثابتين على الإيمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أو هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث إنه موجود بالفعل إذ هو الذي يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث إنه موجود بالقوة وإطلاق الإيمان مع أن المراد هو الرسوخ والإخلاص فيه للإيذان بأن اسم الإيمان لا ينطلق على غيره والالتفات إلى الغيبة بإسناده إلى الاسم الجليل المستجمع لتربية المهابة والإشعار بأن صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من أفعاله تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من أفراد مطلق المداولة التي نطق بها قوله تعالى نداولها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين أو بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة أخرى لها معتبرة إما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من مباديها كأنه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر أمركم وليعلم الخ فإن ظهور أعمالهم وخروجها من القوة إلى الفعل من مبادي تميزهم عن غيرهم ومن موجب تعلق العلم الأزلي بها من تلك الحيثية وكذلك الحال في باب التمثيل فتأمل وإما على العموم والإبهام للتنبيه على أن العلل غير منحصرة فيما عد من الأمور وأن العبد يسوءه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر بأن لله تعالى في ذلك من الألطاف الخفية ما لا يخطر بالبال كأنه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الخ وفيه من تأكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر أفرادها الإشارة لكمال الاعتناء إلى أن كل فرد من أفرادها له علة داعية إليها كأنه قيل نداولها بين الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية إلى تلك الأفراد وليعلم الخ فاللام الأولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تقييده بتلك الأفراد والثانية باعتبار تقييده بذلك الفرد الملحوظ وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك **ويتخذ منكم شهداء** جمع شهيد أي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء أحد فمن ابتدائية أو تبعيضية متعلقة بيتخذ أو بمحذوف وقع حالا من شهداء أو جمع شاهد أي ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الأمم يوم القيامة وفي بيانه لأن تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط وأيا ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شأنهم ما لا يخفى وقوله تعالى **والله لا يحب الظالمين** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله

ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمن يقابلهم من
المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم واما الكفرة الذين اديل لهم فالتقرير من حيث انه ليس
بطريق النصرة لهم فانها مختصة باوليائه تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة الى المؤمنين وقوله
تعالى وليمحص الله الذين آمنوا اي ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير
التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشأن
التمحيص وهذه الامور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر لانها
المحتاجة الى البيان ولعل تأخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين
او ليقترن بقوله تعالى ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه محو الآثار وازالة الاوضار كما ان المحق
عبارة عن النقص والاذهاب قال القفال هو ان يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى
يمحق الله الربا اي يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله جميعا ام حسبتم كلام مستأنف مسوق
لبيان ما هي الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء
واظهار عزة منالها والخطاب للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب
عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادي الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة
للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكد للانكار فان رجاء الاجر من غير عمل ممن يعلم انه منوط
به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق
الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وايثارها على التصريح للمبالغة في
تحقيق المعنى المراد فانها انبأ عن عدم جهادهم البرهاني بان مدار ترتب الجزاء على الاعمال
انما هو علم الله تعالى بها كانه قيل والحال انه لم يتحقق الذين جاهدوا منكم ولما موجبة للنفي الى الوقت
مع ان للنفي بها الوصف فقط وكان يكفي ان ينفي انتفاء علم الله جهادكم كناية عن معنى فلما تجاهدوا ليتبين
في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا
انه غير معتبر في تأكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون واعطي طريقة اتباع الميم لما
قبلها في الحركة لابقاء تفخيم اسم الله ومنكم حال من الذين ويعلم الصابرين منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع
وصاحبها الموصول والتشديد لا يعد وفي ولم يعلم الصابرين كانه قيل ولما تجاهدوا الا وانتم صابرون ولقد
كنتم تمنون الموت اي تمنون الحرب فانها من مبادي الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا
بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا فيه ما نال شهداء بدر
من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك من قبل ان تلقوه
متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ
تلاقوه فقد رأيتموه اي ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى وانتم
تنظرون حال من ضمير المخاطبين وفي ايثار الرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مبالغة في مشاهدتهم
له والفاء فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رأيتموه معاينين له حين قتل بين
ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فقد فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب
وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما ان مطلب من تمناها
نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة وما محمد

الا رسول

الا رسول مبتدأ وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لانتقاض نفيه بالا وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل
صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد
خلوه لا محالة كانه قيل قد خلت من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما انقلبوا
على اعقابهم فكانهم اعتقدوا انه عليه الصلاة والسلام رسول لا كسائر الرسل في انه سيخلو كما خلوا
ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بانه ليس الا رسولا كسائر
الرسل سيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر افراد فانهم لما
استعظموا عدم بقائه صلى الله عليه وسلم فيهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كانهم يعتقدون
فيه عليه الصلاة والسلام وصفين الرسالة والبعد من الهلاك فرد عليهم بانه مقصور على الرسالة
لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بد من جعل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا
لتقرير عدم براءته عليه الصلاة والسلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم الصلاة
والسلام واياما كان فالكلام خارج على خلاف مقتضى الظاهر افان مات او قتل انقلبتم على
اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله
وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع العلم به البتة لتنزيل
المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال في سائر الموارد فان كلمة ان في
كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع او لا وقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع
او امر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذي ثار منه الفتنة وعظم فيه
المحنة لما ان الموت في شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك اهم ولان
الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الخلو بالموت دون القتل روي انه لما التقى
الفئتان حمل ابو دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن ابي طالب رضي
الله عنه قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن ابي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما
نظر الرماة اليهم وقد انهزموا قالوا نغتنم فاقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهي اميرهم عبد الله بن جبير
فلم يبق عنده منهم الا ثمانية نفر فلما رآهم خالد بن الوليد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في مائتين
وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب فقتلوا من بقي من الرماة وحملوا خلف اعقاب المسلمين
ففرقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى اصيب هناك نحو
ثلاثين رجلا كل منهم يجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء ونفسي لنفسك الفداء
وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى
قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ
قيل انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد
الله قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت باعلى
صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه
وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا
من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم
فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون

بالجنة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه
ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى
قتل ● ومن أين لهم قتله عليه الصلاة والسلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس إن مثل هذه الآية
ليس يسمعها كل أحد ولا كل من يسمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل
وقد غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام في الناس
فقال إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وإن رسول الله ما مات
ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مات فلم يزل يكرر ذلك إلى أن قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل وأثنى عليه
ثم قال يا أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم قرأ
وما محمد الآية ● قال الراوي فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر وقال عمر رضي الله عنه والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر رضي الله
عنه تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ومن
ينقلب على عقبيه بإدباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الجهاد وغيره
وقيل بارتداده عن الإسلام وما ارتد يومئذ أحد من المسلمين إلا ما كان من المنافقين ● فلن يضر
الله بما فعل من الانقلاب شيئا من الضرر وإنما أضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب ● وسيجزي
الله الشاكرين ● أي الثابتين على دين الإسلام الذي هو أجل نعمة وأعز معروف سموا بذلك لأن الثبات
عليه شكر له وإيفاء لحقه وفيه إيماء إلى كفران المنقلبين ● وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن
المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين والأنصار ● وعن علي رضي الله عنه أبو بكر وأصحابه
وعنه رضي الله عنه أنه قال أبو بكر من الشاكرين ومن أحباء الله تعالى ● وإظهار الاسم الجليل
في موضع الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء بشأن جزائهم ● وما كان لنفس أن تموت كلام مستأنف
سيق للتنبيه على خطئهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الإرجاف بقتله صلى الله عليه
وسلم ببيان أن موت كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وإن
خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل هائل مخوف وفيه إشارة إلى أنهم لو تمكنوا منه لما تعلقت
بموتهم في الوقت الذي يحذرونه فيه ولذلك لم يقتلوا حينئذ لإحجامهم عن مباشرة القتال ● وكان
ناقص اسمها أن تموت وخبرها الظرف وعلى تمامه متعلق بمحذوف ● وقوله تعالى إلا بإذن الله ●
استثناء مفرغ من أعم الأسباب أي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الأسباب
إلا بمشيئة الله تعالى على أن الإذن مجاز منها لكونها من لوازمه أو إلا بإذنه لملك الموت في قبض
روحها ● وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة إلى النفوس بصورة الأفعال الاختيارية
التي لا ينبغي للفاعل الإقدام عليها ولا الإقدام عليها بدون إذنه تعالى وتنزيل إقدامها على مباديه
أعني القتال منزلة الإقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام فإن موتها حين استحال وقوعه
عند إقدامها عليه وعلى مباديه وسعيها في إيقاعه فلأن يستحيل عند عدم ذلك أولى
وأظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى ● كتابا مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أي كتب الله كتابا
مؤجلا موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة ● وقرئ موجلا بالواو بدل الهمزة
على قياس التخفيف ● وتحقيقه أن مدار الموت والحياة محض مشيئة الله تعالى من غير أن يكون فيه

مدخل للأحداث أصلا إلى أن توفيه ثمرات الأعمال دائرة على إرادتهم بتصرفها عن الأغراض الدنية
إلى المطالب السنية فقيل ومن يرد أي بعمله ثواب الدنيا نؤته بنون العظمة على طريقة
الالتفات منها أي من ثوابها ما نشاء أن نؤتيه إياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم يومئذ وقد مر تفصيله ● ومن يرد
أي بعمله ثواب الآخرة نؤته منها أي من ثوابها ما نشاء من الأضعاف حسبما جرى به
الوعد الكريم ● وسنجزي الشاكرين نعمة الإسلام الثابتين عليه الصارفين ما آتاهم الله
تعالى من القوى والقدر إلى ما خلقت هي لأجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف أصلا
والمراد بهم إما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم وإما جنس الشاكرين
وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه ● وفي
تصديرها بالسين وإبهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء وكونه بحيث
يقصر عنه البيان ما لا يخفى ● وقرئ الأفعال الثلاثة بالياء ● وكأين كلام مبتدأ ناع عليهم
تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدورهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل
الخالية عليهم السلام ● وكأين لفظة مركبة من كاف التشبيه وأي حدث فيها بعد التركيب معنى
التكثير كما حدث في كذا وكذا ● والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي
إحداهن ● والثانية كائن مثل كاعن ● والثالثة كأي مثل كعي ● والرابعة كيئن
بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها ● والخامسة كأن مثل كعن وقد
قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء ● وقوله تعالى من نبي تمييز لها لأنها مثل كم الخبرية
وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله ● اطرد اليأس بالرجا فكأين ● آملا حم يسره بعد عسر
وقوله تعالى قاتل معه ربيون كثير ● وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة
● والربي منسوب إلى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب ● وقرئ بضمها وبفتحها
أيضا على الأصل ● وقيل منسوب إلى الربة وهي الجماعة أي كثير من الأنبياء قاتل معه لإعلاء
كلمة الله وإعزاز دينه علماء أتقياء أو عابدون أو جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل أو بمحذوف
وقع حالا من فاعله كما في القراءتين الأخيرتين لاحتمال فيهما التعلقه بالفعل أي قتلوا أو قتلوا
كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ما سمعنا بنبي قتل في القتال
● وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط ● وقيل الفعل مسند إلى
ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه قال ابن عطية وهو الجيد
الراجح إليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف أي كم من نبي قاتل كائنا معه في القتال
ربيون كثير وأما على القراءتين الأخيرتين فيضاهر لا سيما في قراءة التشديد وقد جوز بعضهم
وأيده بأن مدار التوبيخ انخذالهم بالإرجاف بقتله صلى الله عليه وسلم أي كم من نبي قتل كائنا معه
في القتل أو في القتال ربيون كثير ● وقوله تعالى فما وهنوا عطف على قاتل على أن المراد به عدم
الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فإن الإتيان بالشيء
بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة
صنع جديد مصحح لدخول الفاء المترتبة له على ما قبله أي فما فتروا وما انكسرت همتهم لما أصابهم
في أثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي وتعليله قوله تعالى في سبيل الله فإن كون ذلك في
سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم ● وما موصولة أو موصوفة فإن جعل الضمير

لجميع الربانيين ثم بعبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية للكل ۞ وان حمل على البعض
الباقين بعد ما قتل الآخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ المنهزمين بعد ما استشهد الشهداء فهو عبارة
عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة واما على
القراءتين الاخيرتين فان اسند القتل الى الربيين فالضمير للباقين منهم حتما وان اسند الى ضمير النبي
صلى الله عليه وسلم كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخذال بسبب الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم
فهما للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتل وللجميع ان اعتبر
كونهم معه في القتال **وما ضعفوا** عن العدو ۞ وقيل عن الجهاد ۞ وقيل في الدين **وما استكانوا**
اي وما خضعوا للعدو ۞ واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده
والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له ۞ وهذا تعريض بما اصابهم
من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي
المنافق في طلب الامان من ابي سفيان **والله يحب الصابرين** اي على مقاساة الشدائد ومعاناة
المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم ۞ والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار في
موضع الاضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه
دخولا اوليا والجملة تذييل لما قبلها ۞ **وما كان قولهم** كلام مبين لمحاسنهم القولية
معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية ۞ وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها
ان وما في حيزها في قوله تعالى **الا ان قالوا** والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان قولا
لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال
شيء من الاشياء الا ان قالوا **ربنا اغفر لنا ذنوبنا** اي صغائرنا **واسرافنا في امرنا** اي تجاوزنا
الحد في ركوب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط في جنب الله
تعالى هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو
الاهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم **وثبت اقدامنا** اي في مواطن الحرب بالتقوية والتأييد من عندك
او ثبتنا على دينك الحق **وانصرنا على القوم الكافرين** ۞ تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون
بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء
من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من
التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى ۞ وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم
والخبر ان وما في حيزها اي ما كان قولهم حينئذ شيئا من الاشياء الا هذا القول المنبئ عن
احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار بكون
قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكي عنهم مفصلا كما تفيده قراءتهما اكثر افادة للسامع من الاخبار
بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر
فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة
بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك هاهنا في ان مع ما في حيزها اتم
واكمل واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت سهلة الحصول خارجا
وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات
في باب البيان ۞ وانما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان

فالاعرف

فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفية ان قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان
الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به ۞ وقولهم مضاف الى مضمر في
منزلة العلم فتأمل **فآتاهم الله** بسبب دعائهم ذلك **ثواب الدنيا** اي النصر والغنيمة
والعز والذكر الجميل **وحسن ثواب الآخرة** الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص
وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى **والله يحب المحسنين**
تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير
به فهو مبدأ لكل سعادة ۞ واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للاشعار
بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان ۞ واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا
اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة **يا ايها**
الذين آمنوا شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها للخسران الدنيوي والاخروي
اثر ترغيبهم في الاقتداء بانصار الانبياء عليهم الصلاة والسلام ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة
الدارين ۞ وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتناء بما في حيزه ۞ ووصفهم بالايمان
لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين بالكفر في
قوله تعالى **ان تطيعوا الذين كفروا** لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم
قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا
في دينهم فوقوع قوله تعالى **يردوكم على اعقابكم** جوابا للشرط مع كونه في حق ان يقال ان تطيعوهم في قولهم
ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى **فتنقلبوا**
خاسرين اي الدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على ان الارتداد
على العقب علم في انتكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور ۞ وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا
يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه
ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه ۞ وقيل ابو سفيان واصحابه
وقيل المراد بطاعتهم استئمانهم والاستكانة لهم ۞ وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين
عن طاعتهم في امر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة الى تعيين القائلين
حينئذ من البيان **بل الله مولاكم** اضراب عما يفيده مضمون الشرطية كأنه قيل فليسوا انصارا لكم
حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم ۞ وقرئ بالنصب كأنه
قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله مولاكم **وهو خير الناصرين** على انه صفة له فخصوه
بالطاعة والاستعانة **سنلقي** بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية
المهابة ۞ وقرئ بالياء والسين لتأكيد الالقاء **في قلوب الذين كفروا الرعب** بسكون العين
وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حين تركوا القتال ورجعوا
من غير سبب ظاهر مع القوة والغلبة ۞ وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا
شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فعند ذلك القى الله تعالى في قلوبهم
الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحال واعقبها قضائه ۞ وقيل هو ما القي
في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب **بما اشركوا بالله** متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية اي بسبب
اشراكهم به تعالى الذي هو من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكل منهما من دواعي الرعب **ما لم**
ينزل به اي باشراكه **سلطانا** اي حجة سميت به لوضوحها وانارتها او لقوتها او لحدتها

ونفوذها فذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب بها ينجحر
اي لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع في هذا الباب هو البرهان السماوي دون الاراء والاهواء
الباطلة ومأواهم النار بيان لاحوالهم في الاخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي مأواهم ومرجعهم
في الاخرة النار لا ملجأ لهم غيرها وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر
للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه والمخصوص
بالذم محذوف اي بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز الى خلودهم
فيها فان المثوى موضع الاقامة المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذي يأوي اليه الانسان
ولقد صدقكم الله وعده نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا وقيل بنزع الجار اي في وعده
نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى
بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا
مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين
ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم
بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى اذ تحسونهم
اي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى باذنه
اي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق قتلهم لما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى
ان تصبروا وتتقوا الاية وقد مر تحقيق ان ذلك يوم بدر ليس لاحد الموعود بها ذكر امداده عز وجل
بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت قتلهم باذنه تعالى الصريح في ان
الموعود هو النصر المعنوي والتيسير لا الامداد بالملائكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله
سنلقي الى اخره وانت خبير بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب وبعد ذلك
في الطريق على اختلاف الروايتين وايا ما كان فلا سبيل الى كونه مغيا بقوله تعالى حتى اذا
فشلتم اي جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب وتنازعتم
في الامر فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا
وقتلا فما موقفنا هاهنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا نخالف امر الرسول
صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى
وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون اي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون
ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ورده
جمل الابتلاء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله
تعالى منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الاخرة وهم
الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة
على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى
متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم
وتنازعكم الى اخره وعلى هذا قوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك وعلى الاول عطف على جواب محذوف
كما اشير اليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين اي كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة
وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اي يعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر

ثباتكم

ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا لما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل
على المؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق
الوجوب عليه اي شانه ان يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم
اذ الابتلاء ايضا رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون والاظهار في موضع الاضمار
للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ تصعدون
متعلق بصرفكم او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض وقرئ
تصعدون من الثلاثي اي في الجبل وقرئ تصعدون من التفعل بطرح احدى التاءين وقرئ
يصعدون بالالتفات الى الغيبة ولا تلوون على احد اي لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم
لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون
كيصعدون والرسول يدعوكم كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الي عباد الله الي عباد الله انا رسول
الله من يكر فله الجنة وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته عليه الصلاة
والسلام كانت بطريق الرسالة من جهته سبحانه اشباعا في تقبيح الانهزام عنه في اخراكم في ساقتكم
وجماعتكم الاخرى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله تعالى بما عصيتم غما متصلا بغم من
الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة
فالتنكير للتكثير او غما بمقابلة غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم اي لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا على نفع فائت
او ضرر آت وقيل لا زائدة والمعنى لتتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح
والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي واساكم في الاغتمام فاغتم
بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل به ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لئلا تحزنوا على ما
فاتكم من النصر وما اصابكم من الجراح وغير ذلك والله خبير بما تعملون اي عالم باعمالكم وبما قصدتم
بها ثم انزل عليكم عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب للمؤمنين حقا من بعد الغم اي الغم المذكور والتصريح
بتأخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا
من بعد ذلك واصلحوا الآية امنة اي امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى نعاسا بدل منها او عطف
بيان او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على حذف
مضاف اي ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها مرة من الامن وتقديم
الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص
نوع من بين فنون النعم بالانزال لانه لم يتم عندهم حينئذ الا النعاس لكنهم لما انصرفوا كانوا يتوعدون
بالرجوع فلم يامنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متاهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم
النعاس قال ابن عباس رضي الله عنهما امنهم يومئذ بنعاس غشاهم بعد خوف وانما ينعس من
امن والخائف لا ينام وقال الزبير رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد
الخوف فانزل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا
كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وقال ابو طلحة لقد رفعت راسي يوم احد
فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن القي عليه النعاس
يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فآخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه وفيه دلالة
على ان من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل يغشى طائفة منكم

وقال ابن عباس هم المهاجرون وعامة الانصار ولا ينافيه ذلك في حقهم لا انه الكل والجملة
في محل النصب على انها صفة لنعاسا وقرئ بالتاء على انها صفة لامنة وقيل الصفة
حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان لعله وطائفة قد اهمتهم انفسهم اي اوقعتهم في الهموم
او الاحزان وما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم همني الشيء اي كان من همي وقصدي
والقصد تنفيها ذعوته للمقام وطائفة مبتدا وما بعدها اما خبرها وانما جاز ذلك مع
كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا محياك اخفى
ضوءه كل شارق او لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت له
بشق وشق عندنا لم يحول واما صفتها والخبر يظنون او محذوف اي ومعكم طائفة او وهناك طائفة
وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه انه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب بانزال الامنة واياما
ما كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله
تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم واما مستانفة مسوقة لبيان
حال المنافقين وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصصها بالصفة
او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق في حكم
المصدر اي يظنون به تعالى غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به سبحانه وقوله تعالى ظن الجاهلية
بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والاضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله
تعالى يقولون بدل من يظنون لما ان مسالتهم كانت صادرة عن الظن اي يقولون لرسول الله صلى الله عليه
وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الامر اي من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر
من شيء اي من نصيب قط او هل لنا من التدبير وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اي الغلبة بالاخرة
لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى فانه تعالى قد دبر
الامر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى يخفون
في انفسهم اي يضمرون فيها او يقولون فيها بطريق الخفية ما لا يبدون لك استئناف او حال من
ضمير يقولون وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وصاحبها اي يقولون ما يقولون
مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون استئناف وقع
جوابا عن سؤال نشا مما قبله كانه قيل اي شيء يخفون فقيل يحدثون انفسهم او يقول بعضهم لبعض فيما
بينهم خفية لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم من ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه
وان الامر كله لله او لو كان لنا من التدبير والراي شيء ما قتلنا ها هنا اي ما غلبنا وما قتل من
قتل منا في هذه المعركة على ان النفي راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط فهذا بحكم مسارعتنا
كما ذكره ابن ابي وغيره لعينين مكان القتل وكذا قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم اي لو لم تخرجوا الى احد
وقعدتم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم القتل اي في اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب
الداعية الى البروز الى مضاجعهم اي الى مصارعهم التي قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هنالك
البتة ولم تنفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه
مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت
بل عين مكانه ايضا ولا ريب في تعين زمانه ايضا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون روي ان ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام فنظر الى رجل من اهل
المجلس نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا قال سليمان عليه الصلاة والسلام ملك الموت قال ارسلني

مع الربع

مع الريح الى عالم اخر فاني رايت منه مرة نظرا هائلا فامر عليه الصلاة والسلام فالقته في قطر
بعيد من اقطار العالم فما لبث ان عاد ملك الموت الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال كنت امرت
بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في ارض كذا فلما وجدته في مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد
ارسلت بالريح الى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى امر الله تعالى في زمانه ومكانه من غير اخلال
بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ
لبرز بالتشديد على البناء للمفعول وليبتلي الله ما في صدوركم اي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما
في صدوركم من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة
على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي الخ
فجملتها علة لبرز باء الذوق والتسليم فان مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول
لا بيان حكمة البروز المفروض او لفعل مقدر بعدها اي وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية
بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقديم الفعل المقدر عليه اخل بما يقتضيه المقام وليمحص ما في قلوبكم من خبائث
الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور اي بالسرائر والضمائر الخفية التي لا
تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة اما اعتراض للتنبيه على ان الله تعالى غني عن
الابتلاء وانما يبرز بصورة الابتلاء لتمييز المؤمنين واظهار حال المنافقين او وعد ووعيد
تحذيرا للمؤمنين ومزيد وعيد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم
احد حسبما مر من حكايتهم انما استزلهم الشيطان اي انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب
منهم الزلل ببعض ما كسبوا من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة امر النبي صلى الله عليه وسلم وترك
المركز والحرص على الغنيمة والحياة فمنعوا التاييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك
بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سبقت منهم
فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم
ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل
التحقيق وفي اظهار الجلالة تربية للمهابة وتاكيد للتعليل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
كفروا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا وانما ذكر في صدد الصلة
كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم اثر ذي اثر وقوله تعالى وقالوا
لاخوانهم تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها اي قالوا لاجلهم وفي حقهم ومعنى اخوتهم
اتفاقهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وايثار
اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان
المستمر المنتظم للحال الذي يدور عليه استحضار الصورة قال الزجاج اذ ها هنا تنوب عما مضى من
الزمان وما يستقبل يعني انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هي باعتبار
ما وقع فيها بل التحقيق انها ظرف له لا لقولهم كما تستقل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين ضربوا الخ
او كانوا اي اخوانهم غزى جمع غاز كعفى جمع عاف قال وعمرة الافاق خاشعة الصوى هذا
قلب على الحياض جديد وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع
اندراجه تحت الضرب في الارض لان المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الارض توطئة لئلا يتفقد
كثرة وقوعه ولكنه قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد وانما لم يقل الغزو
للايذان باستمرار اتصافهم به او بانقضائه ذلك لجميع انواع الغزو فيما مضى وقوله تعالى

لو كانوا عندنا اي مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا وتدليل على ان هنالك مضمرا قد حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه اي اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما انه المنبئ على قائله الا ترى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي جعل حسرة فيها قطعا واليه اشير بذلك فيما نقل عن الزجاج انما اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا اي تعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله تعالى ذلك حسرة في قلوبهم خاصة فيصون منها قلوبكم فذلك كما مر اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مضادتكم لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته اي هو المؤثر في الحياة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة او للسفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وبما تعملون عام متناول للقول المذكور ولمنشئه الذي هو اعتقادهم وما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد ولئن قتلتم في سبيل الله او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء والتنوين في الموضعين للتعليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدأ وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة جواب القسم سادة مسد جواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى كائنتين بذلك خير مما يجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اي مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خيريتهما من ذلك بلا تعرض للاخبار بحصولهما لهم لان ذلك يعد الحاجة اليه بناء على استحالة الخلف منه تعالى بعد الاطلاع وقد قيل لا بد من حذف اخر اي لمغفرة لكم من الله الخ وحينئذ يكون الجار والمجرور صفة دون الخبر لكن ما ذكر من اصالة الظهور والغنى عن الاضمار ولتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة على كثرة الوقوع وقدمت المبالغة في الترغيب في الجهاد وتبيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وانافته في استيجاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة لتواضح تعلقها ما مر من ان المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول المذكور فان موجبه الاولى النطق به واصلاح التأثير به ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات لالى الله اي الى المعبود بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي اجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام في لا في الجملة كما مر في اختها فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه

والفاء لترتيب

والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتأكيد او نكرة ورحمة بدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة اي برحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم باللطف والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو ولو كنت فظا جافيا في المعاشرة قولا وفعلا وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ الجانب السيء الخلق غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك وتردوا في مهاوي الردى والفاء في قوله تعالى فاعف عنهم لترتيب العفو والامر به على ما قبله اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفى الله عنهم واستغفر لهم فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله مما تجري فيه المشاورة عادة استظهارا بآرائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت عقيب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه مختص به تعالى وقرئ فاذا عزمت على صيغة المتكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل والامر بعنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال مستلزم للتوكل عليه والامر به ان الله يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويهديهم الى ما فيه خير لهم وصلاح والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على اللجأ اليه وتحذيرهم عما يفضي الى خذلانه اي ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط وعلم نفي الذوات من ظاهر النظم لكن عدل الى ما ذكر لنفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم عنه نفيا قطعيا هو نفي المساواة واثبات الغالبية للمخاطبين فاذا قلت لا اكرم من فلان او لا افضل منه فالمفهوم منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل وقد مر تحقيقه فيما ذكرنا كما وقع في سورة هود حيث بعده فيحتم لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل خاسر يستدعي كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما فعل يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا فمن ذا الذي ينصركم استفهام انكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اي من بعد خذلانه تعالى او متجاوزا ونرعوا وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه او لترتيب الامر به على ما مر من غلبته على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه كما للتحالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات واياما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان اشتراكا او استقلالا وتعليل لتحتم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا وما كان لنبي اي وما صح لنبي من الانبياء

عليهم الصلاة والسلام ولا استقامة له (أن يغل) أي يخون في المغنم فإن النبوة تنافيه منافاة بينة
يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه خفية والمراد إما تنزيه ساحة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز وأفاضوا في الغنيمة وقالوا نخشى أن يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي
صلى الله عليه وسلم ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية إخواننا وقوفا
فقال عليه الصلاة والسلام بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم بينكم وإما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما روي أنه بعث طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم فقسمها بين الحاضرين
ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبي أن يعطي قوما من العسكر ويمنع آخرين بل عليه
أن يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا وأما ما قيل من أن المراد تنزيهه عليه
الصلاة والسلام عما اتهمه به بعض المنافقين إذ روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين
لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فمما لا يكاد يصح وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان لنبي أن
يوجد غالا أو ينسب إلى الغلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالذي غله بعينه يحمله على
عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال ألا لا أعرفن أحدكم يأتي ببعير
له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئا فقد بلغتك
أو بما احتمل من إثمه ووباله (ثم توفى كل نفس ما كسبت) أي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا أو شرا
كثيرا أو يسيرا ووضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كأنهما
شيء واحد وفي إسناد التوفية إلى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع أن المقصود بيان حال الغال عند إتيانه
بما غل يوم القيامة من الدلالة على فخامة شأن اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال
ما لا يخفى فإنه إذا كان كل كاسب مجزيا بعمله ولم ينقص منه شيء وإن كان جرمه في غاية القلة والحقارة
فلأن لا ينقص من جزاء الغال مع عظم جرمه أظهر وأجلى (وهم) أي كل الناس المدلول عليهم بكل
نفس (لا يظلمون) بزيادة عقاب أو بنقص ثواب (أفمن اتبع رضوان الله) أي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حسبما
كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته (كمن باء) أي رجع (بسخط) عظيم لا يقادر
قدره كائن (من الله) تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يحذو حذوه والمراد تأكيد نفي الغلول عن النبي صلى
الله عليه وسلم وتقرير تحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به
الآخر فقوبل رضوان الله تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الإنكار إلى ترتب
توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كأنه قيل أبعد ظهور حاله يكون من ترقى إلى أعلى
عليين كمن تردى إلى أسفل سافلين وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لإدخال الروعة وتربية
المهابة (ومأواه جهنم) إما كلام مستأنف مسوق لبيان مآل أمر من باء بسخط الله تعالى وإما
معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الجملة الاسمية على الفعلية وأيا ما كان فلا محل لها من
الإعراب (وبئس المصير) اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف أي وبئس المصير جهنم والفرق بينه
وبين المرجع أن الأول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الأولى بخلاف الثاني (هم) راجع إلى الموصولين
باعتبار المعنى (درجات عند الله) أي طبقات متفاوتة فيعم تحكيمه شبههم في تفاوت الأحوال
وتباينها بالدرجات مبالغة وإيذانا بأن بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات أو ذوو درجات (والله
بصير بما يعملون) من الأعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها (لقد من الله) جواب قسم محذوف أي والله
لقد من الله أي أنعم (على المؤمنين) أي من قومه عليه الصلاة والسلام (إذ بعث فيهم رسولا من

أنفسهم

(أنفسهم) أي من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله
في الصدق والأمانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وقرئ
من أنفسهم أي أشرفهم لأنه عليه الصلاة والسلام كان من أشرف قبائل العرب بطونا وقرئ
لمن من الله على المؤمنين إذ بعث إلخ على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي منه إذ بعث إلخ وقيل إن إذ في محل
الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة
للأسود والأحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من أنفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا
أي كائنا من أنفسهم وقوله تعالى (يتلو عليهم آياته) صفة أخرى أي يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا
أهل جاهلية لم تطرق أسماعهم شيء من الوحي (ويزكيهم) عطف على يتلو أي يطهرهم من دنس الطبائع
وسوء العقائد وفساد الأعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أي القرآن والسنة وهو صفة أخرى لرسولا
مترتبة في الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية
وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيذان بأن كل
واحد من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر إلى الفهم عد الجميع
نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة أخرى رمزا إلى أنه باعتبار
كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الأحاديث الكريمة من الشرائع كما
سلف في سورة البقرة (وإن كانوا من قبل) أي من قبل بعثته عليه الصلاة والسلام وتزكيته وتعليمه (لفي
ضلال مبين) أي بين لا ريب في كونه ضلالا وإن هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف
واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الأول لغو متعلق بكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لإن
المخففة التي حذف اسمها أعني ضمير الشأن وقيل هي نافية واللام بمعنى إلا أي وما كانوا من قبل إلا في ضلال
مبين وأيا ما كان فالجملة إما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم أو مستأنفة وعلى التقديرين فهي مبينة
لكمال النعمة وتمامها (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) كلام مبتدأ
مسوق لإبطال بعض ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة والأقاويل الباطلة الناشئة منها إثر إبطال
بعض آخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم
مضاف إلى ما بعده وقد أصبتم في محل الرفع على أنه صفة لمصيبة والمراد بها ما أصابهم يوم أحد
من قتل سبعين منهم وأنى هذا مفعول لقلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع أنه المقصود
إنكاره والمعطوف على المحذوف حقيقة لتأكيد النكير وتشديد التقريع فإن فعل القبيح في غير وقته أقبح والإنكار
على فاعله أدخل والمعنى حين أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم
من أين أصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الإنكار والتقريع إلى صدور ذلك القول عنهم في ذلك
الوقت خاصة بناء على كونه مظنة لعدمه داعيا إلى العدم بحاله لكون مصيبة العدو ضعف
مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة أي أفعلتم ما فعلتم فلما أصابتكم غائلته قلتم أنى هذا على توجيه
الإنكار إلى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم سببها وتذكير اسم الإشارة في أنى هذا مع كونه إشارة إلى المصيبة
ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما أن إشارتهم ليست إلا إلى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو هو من غير أن
يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وإنما هي عند الحكاية وقوله عز وجل (قل
هو من عند أنفسكم) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيب عن سؤالهم الفاسد ويحقق فساده
بالإنكار والتقريع ويبكتهم ببيان أن ما أصابهم إنما هو من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل

باختيارهم الخروج من المدينة ورأيا ان الرعب المنصوص كان بغية الشيخ حكم ... قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الآية وان حمل النبي صلى الله عليه وسلم بمحاربتهم بعد ما خطر عنه وخفف جناياتهم فبني على ان اختيار الخروج والاصرار عليه كان من تكرمه الله تعالى بالشهادة وان منهم من النفوس ما يقتل الكلية وقيل باخذهم الفداء يوم بدر وقيل ان نوخذ منهم والاول هو الاظهر والاوفق لما يعضده من توسط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبكيت اليه عليه الصلاة والسلام فان توبيخ الفاعل على الفعل انما يكون ممن نهاه عنه كان اشد تاثيرا **ان الله على كل شيء قدير** وهو جملة النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر **وما اصابكم** رجوع الى الخطاب بالمؤمنين اثر خطابه عليه الصلاة والسلام بما تقتضيه ارشادهم الى حقيقة الحق فيما سالوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى هو من عند انفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والمراد به ما اصابهم يوم احد من القتل والجرح والهزيمة ... حيث ذكر الله تعالى بيانا لوقته بقوله تعالى **يوم التقى الجمعان** ليجمعكم جمع المشركين **فباذن الله** عطف السبب على المسبب والمراد بالاذن التخلية او ... للاظهار فيما بين الناس **وليعلم المؤمنين** عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه بالشاق وبالمنافقين على نهج جديد وهو السر في ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئ عن الاستمرار والاخيرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يوم ... فهو كائن ليتميز الثابتون على الايمان والذين اظهروا النفاق **وقيل لهم** عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتدأ قال ابن عباس رضي الله عنهما هم عبد الله بن ابي واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى **قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا** قال السدي اي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن اهليكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد هو الثاني وذكر الاول توطئة له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون **قالوا** استئناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا **لو نعلم قتالا لاتبعناكم** اي لو نحسن قتالا ونقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبروا عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما ان القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء النفس الى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا للمقدم مستحيل الوقوع **هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان** الضمير مبتدأ واقرب خبره وللكفر في الكفر والايمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد انما هو اذا كان بطريق العطف او البدلية اغلاها وفيما عدا افعل التفضيل من العوامل اذ لا يعتمد تعلقهما معمولا بها وامّا فعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل وزيادته يجري مجرى عاملين كانه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل لعلق الجارين به تشبيههما بالظرفين اي هم للكفر يومئذ اذ قالوا اقرب منهم للايمان لانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة موذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين وقوله تعالى **يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم** جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه للتاكيد

تضوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ما في ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به اما نفس الكلام في اللسان تارة وفي القلب اخرى فالمثبت في الافواه والمنفي في القلوب وان تعلقا بهما معا واما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشاؤه الذي لا ينفك عنه القول الصادق وانما عبر عنه بانتفائه لتحقيق شدة الاتصال اي يتفوهون بقول لا وجود له او لمنشائه في قلوبهم من الاباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال والاخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به مصرين مع ذلك على الانخذال عازمين على الارتداد **والله اعلم بما يكتمون** زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف اقوالهم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما ان بعض ما يكتمونه من احكام النفاق من ذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك وكيفياتها مختصة بالعلم الالهي **الذين قالوا** مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او من الضمير المنفصل المذكور وقيل مبتدأ خبره قل فادرؤا والعائد محذوف وقيل تقديره قل لهم ادرؤا او منصوب على الذم او نعت للذين نافقوا او بدل منه وقيل مجرور على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم وقوله كما في قوله على جاله الذهب الذي في القوم حاتم على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه **لاخوانهم** اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم فيدخل فيهم بعض الشهداء **وقعدوا** حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخذال **لو اطاعونا** اي فيما امرناهم به ووافقونا في ذلك **ما قتلوا** كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخذال حين انخذلوا وانهم ... وحمل القعود على ما استضعفوا ابن ابي عبد المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رايه والعمل به يرده كون الجملة حالية فانها لتعيين ما فيه من العصيان والمخالفة مع ان ابن ابي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم الطاعة بالاخوان يشعر باختصاص الامر ايضا بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة **قل** تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم **فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين** كما انه شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه كذلك جواب الشرط قد حذف لتعويل على ما بعده من قوله تعالى ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا للهلاك روي انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل اريد ان كنتم صادقين في مضمون الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرؤا عن انفسكم حينئذ استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دافعين لاسباب الموت فادفعوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا كما ادرأتم في زعمكم هذا السبب الخاص **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا** كلام مستانف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه

عليه وسلم او بكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الاسناد الى ضميره عليه الصلاة والسلام
او ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد
من توجيه النهي اليهم تنبيه السامعين على انهم احقاء بان يتسلوا بذلك ويبشروا بالحيوة الابدية والكرامة
السنية والنعيم المقيم لكن في جميع اوقاتهم لا عند ابتداء القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى ل
تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد
لكثرة المقتولين **بل احياء** اي بل هم احياء وقرئ منصوبا اي بل احسبهم احياء على ان الحسبان
بمعنى اليقين كما في قوله حسبت التقى والجود خير تجارة رباحا اذا ما المرء اصبح ثاقلا او على انه
وارد على طريق المشاكلة **عند ربهم** في محل الرفع على انه خبر ثان للمبتدأ المقدر او صفة لاحياء او
في محل النصب على انه حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية
التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم
مزيد تكرمة لهم **يرزقون** اي من الجنة ففيه تأكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواحدي
الاصح في حياة الشهداء ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم في جوف طيور خضر وانهم
يرزقون ويتنعمون وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في
جوف طير خضر تدور في انهار الجنة وروي ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث
شاءت وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب
البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس البشرية يقول المراد ان نفوس الشهداء تتمثل
طيرا خضرا او تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة
كمال **فرحين بما آتاهم الله من فضله** وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والزلفى من الله تعالى
والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا **ويستبشرون** يسرون بالبشارة **بالذين لم يلحقوا بهم** اي باخوانهم الذين
لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم **من خلفهم** متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم
او وقع حالا من فاعل يلحقوا اي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا **الا خوف عليهم ولا**
هم يحزنون بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هي المخففة من ان
واسمها ضمير الشأن المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين
تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحيوة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب او لا خوف
عليهم في الدنيا من القتل فانه تعقبه الحيوة التي يجب ان يرغب فيها فضلا عن ان تخاف وتحذر لا يعتريهم ما يوجب ذلك
لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما
كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب
المقام **يستبشرون بنعمة** كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه
من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا
بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل في قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله **من الله** متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة
مؤكدة لما افادها التنكير من الفخامة الاضافية اي كائنة من الله تعالى **وفضل** اي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة **وان الله لا يضيع اجر المؤمنين** بالفتح عطف على فضل منتظم معه في سلك
المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه
مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية اجورهم على ايمانهم وعدت
من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة في الدين وقرئ بكسر الهمزة على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم

ويكلمونهم

على ايمانهم

على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة
والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما**
اصابهم القرح صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة او نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى
للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل
لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا
الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من
نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر
يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة
على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب
في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت **الذين قال لهم الناس** يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او
نعيم بن مسعود الاشجعي واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال
فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له سوى فرس واحد وثوب واحد او لانه انضم اليه ناس
من المدينة واذاعوا كلامه **ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم** روي ان ابا سفيان نادى
عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله
تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى الرعب في قلبه
وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بني عبد القيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان
يثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل
وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم
يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام والذي
نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل
قيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين القي في النار **فزادهم ايمانا** الضمير المستكن
للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به
يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على
ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا
ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنه قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل
صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار **وقالوا حسبنا الله** اي محسبنا وكافينا
من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا
رجل حسبك **ونعم الوكيل** اي نعم الموكول اليه والمخصوص بالذم محذوف اي الله عز وجل **فانقلبوا**
عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روي انه عليه الصلاة والسلام
وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها فاصابوا خيرا كثيرا والباء
في قوله تعالى بنعمة متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم اي فرجعوا من
مقصدهم ملتبسين **بنعمة** عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل **من الله** متعلق بمحذوف وقع
صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اي كائنة من الله
تعالى وهي العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم **وفضل** اي ربح في التجارة
وتنكيره ايضا للتفخيم **لم يمسسهم سوء** حال اخرى من الضمير في فانقلبوا او من المستكن في الحال

تجاته قيل منهم اي حال كونهم سالمين عن السوء والحال اذا كانت مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذي الحال
جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وعدمه كما في هذه الاية الكريمة
وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ○ واتبعوا ○ في كل ما اتوا من قول وفعل ○ رضوان
الله ○ الذي هو مناط الفوز بخير الدارين ○ والله ذو فضل عظيم ○ حيث تفضل عليهم بالتثبيت
وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة على العدو وبحفظهم
عن كل ما يسوءهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير للمتخلفين عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث
حرموا انفسهم ما فازوا به هؤلاء ○ وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله تعالى ثواب
الغزو ورضي عنهم ○ انما ذلكم ○ اشارة الى المثبط والى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ
وقوله تعالى ○ الشيطان ○ اما خبره ○ وقوله تعالى ○ يخوف اولياءه ○ جملة مستأنفة مبينة لشيطنته
او حال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ○ واما صفته والجملة خبره ○ ويجوز ان تكون
الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان اي ابليس يخوف اما القعدة واما الشيطان
حذف المفعول ... الى المقدار اي يخوفكم به ○ قيل اولياءه ابا سفيان واصحابه فالمفعول الاول محذوف
اي يخوفكم اولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ويؤيده قوله تعالى ○ فلا تخافوهم ○
اي اولياءه ○ وخافون ○ في مخالفة امري ○ واما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم الخروج
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ○ والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا
عن القتال وتجبنوا ○ وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به ○ والخطاب لفريقي الخارجين والقاعدين
والفاء لترتيب النهي او الانتهاء على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه ○ ان كنتم
مؤمنين ○ فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان واوليائه
ولا يحزنك ○ تلوين للخطاب وتوجيه له الى الرسول صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية مع الايذان
باصالته في تدبير امور الدين والاهتمام بشؤونه ○ الذين يسارعون في الكفر ○ اي يقعون فيه سريعا لحرصهم عليه
وشدة رغبتهم فيه ○ وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الاية للدلالة على استقرارهم
في الكفر ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى وكانوا يسارعون في الخيرات فان ذلك
مؤذن بملابستهم الخيرات وتقلبهم في فنونها في المسارعة وتضاعيفها ○ واما ايثار كلمة الى في قوله تعالى
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الاية فلان المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها ○ والموصول عبارة عن
المنافقين من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما عين في قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في
الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا ○ وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم
بذلك للاشعار بما في حيز الصلة ... رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا
يحزنك مسارعتهم في الكفر ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهله ...
المقصود نهيه عليه الصلاة والسلام عن التأثر منهم للمبالغة في ذلك لان النهي عن التأثر نهي عن اسبابه ونفي
للمسبب ... وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا ○ وقرئ لا يحزنك من احزن
المنقول من حزن بكسر الزاي والمعنى واحد ○ وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه جعل فيه دهنا ومعنى
احزنه جعله حزينا ○ انهم لن يضروا الله ○ تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي ضررهم ابدا اي لن يضروا بذلك
اولياء الله البتة ○ وتعليق نفي الضرر به تعالى لتشريفهم والايذان بان مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة
في التسلية ○ وقوله تعالى ○ شيئا ○ في حيز النصب على المصدرية اي شيئا من الضرر ○ والتنكير لتاكيد ما فيه من
القلة والحقارة ○ وقيل على نزع الجار اي بشيء ما اصلا ○ وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه

شيئا كما روى ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اولكم واخركم وجنكم وانسكم كانوا
على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملك الله شيئا ولو ان اولكم واخركم وجنكم وانسكم كانوا
على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله سبحانه جناح بعوضة والاول هو الانسب بمقام التسلية والتعليل
يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة ○ تشنيعا مبين لمنشأ تماديهم فيما هم فيه من الانهماك في الكفر
وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما ارادة ارحم الراحمين
ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الارادة واستمرارها اي يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم في
الاخرة حظا ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر ○ ولهم ○ مع ذلك الحرمان
الكلي ○ عذاب عظيم ○ لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم شأنه وجلالة قدره عند
المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه
والجملة اما مبتدأة مبينة لحظهم من العقاب اثر بيان ان لا شيء لهم من الثواب واما حال من الضمير في لهم اي يريد الله
حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم ○ ان الذين اشتروا الكفر بالايمان ○ اي اخذوه بدلا منه رغبة
فيما اخذوه واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى ○ لن يضروا الله شيئا ○ تفسيره كما مر خلا ان فيه تعريضا ظاهرا باقتصار الضرر
عليهم كانه قيل وانما يضرون انفسهم فان حمل الموصول على المسارعين المعهودين بان يراد باشترائهم
الكفر بالايمان ايثاره عليه اما بأخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة القريبة
منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو شأن اليهود ومنافقيهم كان التكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان
علته بتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في لحوق ضرره بانفسهم وعدم
تعديه الى غيرهم اصلا كيف وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الابدي دع التعدي كما يستخف عقولهم ركاكة
آرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ووفور الرأي ورصانة التدبير من مضادة حزب الله وهو
اعز من الابلق الفرد وامنع من عقاب الجو ○ وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر
المشترك الشامل للعنوانين المذكورين وللاخذ بالكفر بدلا مما يتمكن من تحصيل الايمان من الاستعداد القريب له
الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الافاق والانفس كما هو دأب جميع الكفرة فالجملة
مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام ○ هذا وقد جوز كون الموصول
الاول عاما للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بها
شأن التنزيل لما ان صدور المسارعة في الكفر المبني على الكفر السابق وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وحاجته عليه الصلاة والسلام الى النهي عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بها واما ما لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن
البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه عليه الصلاة والسلام مما لا وجه له
وقوله تعالى ○ ولهم عذاب اليم ○ جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكرها بعظمه
قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند
كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك ○ ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم
عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الاية والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه
عند سيبويه لتمام المقصود بما هو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر وسد احدهما والاخر محذوف
عند الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف عائدها وفصلها في الكتابة لاتباع الامام اي لا يحسبن الكافرون
ان املاءنا لهم او ان الذي نمليه لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة
او واقعة ومآله نهيهم عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبانه خيرية لهم وتحسيرهم ببيان انه

شوجب وقصر بعض كما ان مآل النظم فعلية نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء
على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه الصلاة والسلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية ولو اخذ الموصول
اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكم الكلي الكلام المعهود بين اندراجا اوليا واما اليهود خاصة فاثبات الكلام
على الاخبار لما بينه المقارنة الدائمة بين الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشانهم دهرا
طويلا فان المقارن له دائما انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور نعم هما من الاحوال المتجددة
المقتضية في تضاعيف الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا
يقام التسلية او لكل من يتأتى منه الحسبان قصدا الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول اول وانما نملي لهم بدل
منه وحيث كان التعويل على البدل اقتصر على مفعول واحد كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يقتصر هو
مفعول ثان لحلته كما في قول الشاعر بعض سوق بعض واما مفعول ثان بتقدير مضاف اي ولا تحسبن الذين
كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم وفي المفعول الاول اي لا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم
ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم **انما نملي لهم ليزدادوا اثما** استيناف مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام
لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليه وكسرها فيما سبق
انه اعتراض بين الفعل ومعموله لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان ورده ومعنى ولا يحسبن الكافرون ان املاءنا
لازديادهم الاثم حسبما هو شأنهم بل انما هو ليتلافوا فيما فرطوا منهم بالتوبة والدخول في الايمان **ولهم** في الاخرة
عذاب مهين لما تضمن الاملاء التمتيع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف
عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة اما مستأنفة لتشديد التهديد ببيان حالهم في الاخرة اثر بيان حالهم في
الدنيا واما حال من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة **وما**
كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه كلام مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين
بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي اثر بيان عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما
الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد بما
هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم في اجراء احكام الاسلام عليهم وغير ذلك من القدر المشترك بين الفريقين
وقيل انه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي واكثر المفسرين رضي الله عنهم
ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين بعطف تفسيري والافراد المشركين بين المؤمنين والجاهدين في امر من الامور والمراد
بما هم عليه ما مر من القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته الى الفريقين معا يجوز نسبته الى كل منهما الكفر والنفاق
كما قيل فان المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل
المعاني ففيه تلوين والتفات كما مر والغرض لاتمامه قبل الخطاب الجنسيما بمساق الحكم والمراد بما هم عليه ما مر
غير مرة والاول هو الاقرب والذي يحتج المحققون من اهل التفسير لكونه صحيحا في كون المراد بما هم عليه ما ذكر من
القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما اذ على القولين الاخيرين فانهما اعرا على مرة التكليف لا
فلعلهم يحملونه على ما كانت عليه المنافقون من الكفر والنفاق وما عليه المؤمنون من الجهاد والاخلاص لا الذي به الاشتراك بينهما
قلين فهم من ذلك فانما يتم من حيث الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر
الاختلاط المحوج الى الافراز واللام في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب
الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يذر المؤمنين الخ ففيه توجيه النفي
الى ارادة الفعل تاكيدا ومبالغة ليس في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد خاصية للفعل بنفسها
كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حرف الجر في عملها وقوله عز وجل
حتى يميز الخبيث من الطيب غاية لما يفيده النفي المذكور كأنه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط

بل يقيد

بل يفيد الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن والتعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم
لتسجيل على كل منهما بما يليق به والاشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعددهما اريد بكل منهما
وتكثره لا سيما بعد ذكرهما اريد باحدهما اعني المؤمنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار افراد احد
الفريقين من الآخر مع اتصافهما بوصفهما لا خصوصية ذاتهما وتعدد آحادهما كما في قوله تعالى
ذلك ادنى ان لا تعولوا ونظيره قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت حيث قصد الدلالة على
الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء او غيرهم وتعليق الميز بالخبيث مع تعلقه به
عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تخليصهم منهم وافرازهم
عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال
المغايرة لها مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم
لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار
ولان فيه مزيد تاكيد للوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وانما لم
ينسب عدم الترك اليهما لما انه مشعر بالاعتناء بشأن من نسب اليه فان المتبادر منه عدم
الترك على حالة غير ملائمة كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى
وما كان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين
تشريفا لهم وقوله عز وجل **ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء** اشارة الى كيفية وقوعه على
سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين
على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك بالاطلاع علم
على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عليه الصلاة والسلام فيخبره بذلك وبما
ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكي عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ويخلصكم
من خبث الشركاء وسوء جوارهم والتعرض لاجتباء الرسل لان الاطلاع بالوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية
لا يتأتى الا لمن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه على الجماهير لارشادهم
وتعميم الاجتباء ببيان انه اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عليهم الصلاة
والسلام وتعميم الامر في قوله تعالى **فآمنوا بالله ورسله** مع ان سوق النظم الكريم للايمان بالنبي صلى الله
عليه وسلم لايجابه بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق
لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عليه الصلاة والسلام والمأمور به الايمان بكل ما جاء به
عليه الصلاة والسلام فيدخل فيه تصديقه عليه الصلاة والسلام فيما اخبر به من احوال المنافقين دخولا
اوليا هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث
من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح
في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم
بعضكم ما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فان ذلك مما استأثر الله تعالى
به وانت خبير بان الاستدراك باجتباء الرسل المنبئ عن مزيد مزيتهم وفضل معرفتهم على الخلق اثر بيان
قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا السرائر صريح في ان المراد اظهار تلك السرائر بطريق الوحي لا بطريق
التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفاء واقرب من ذلك حمل الآية الكريمة على ان تكون مسوقة
لبيان الحكمة في املائه تعالى الكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط
ابدا كما تركهم كذلك الى الآن لسر يقتضيه بل يفرز عنهم المنافقين ولذلك فعل يوم احد حيث خلى الكفرة

وشانهم فابرزهم صورة الغلبة تواطئهم من في قلوبهم مرض وما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤوس
الاشهاد وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وان تؤمنوا اي ايمانا
ذكر حق الايمان وتتقوا اي عدم مراعاة حقوقه او النفاق فلكم بمقابلة ذلك الايمان والتقوى اجر
عظيم لا يبلغ كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بيان
لحال البخل وشناعة عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته حسب بيان حال الانفاق وايراد ما
يخلي به بعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات بذله في
سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول
محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن البخلاء بما آتاهم الله من فضله من غير ان
يكون لهم مدخل فيها واستحقاق لها هو خيرا لهم من نفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله
عليه وسلم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة
الخطاب اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شريته
لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى سيطوقون ما بخلوا
به يوم القيمة بيان لكيفية شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه محذوف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه ايذانا بكمال التناسب بينهما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لا
يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية في عنقه تنهشه
من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك ولله وحده لا لاحد غيره استقلالا او اشتراكا ميراث
السموات والارض اي جميع ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون
عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيل الله تعالى عند هلاكهم
وتبقى عليهم الحسرة والندامة والله بما تعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم
الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن
الناشي من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه الصلوة والسلام كتب مع
ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا
حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم
من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع حينئذ مع كون
القائل واحدا لرضا الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه واعد له من العذاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع
للايذان بانه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة
في الوعيد سنكتب ما قالوا اي سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته
في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتاكيد اي لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه في غاية العظم
والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى وقتلهم الانبياء
ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترأ على قتل
الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم وقوله تعالى
بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر وقرئ
سيكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم
بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغة ما لا يخفى وقرئ

ويقول

ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول ذلك اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم
شانه وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت ايديكم اي بسبب ما
اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدي لما
ان عامة افاعيلها تزاول بهن ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب
من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا
عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم
كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها
ضياعها وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم
وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كيفا هذا
وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي
لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا
حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل في سورة الانفال وقيل سببيته لخلو ظلمهم
بعذابهم متقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير
بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى
يحتاج الى اعتبار عدمه وانما يحتاج الى ذلك اذا كان المدعى ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين
الذين قالوا نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازوراء
ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا اي امرنا في التوراة واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا
بقربان تاكله النار كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبي
فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان
اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل
عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان
رد عليهم بقوله تعالى قل اي تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم قد جاءكم رسل كثيرة كبيرة المقدار من
قبلي بالبينات المعجزات الواضحات وبالذي قلتم بعينه من القربان الذي تاكله النار فلم
قتلتموهم ان كنتم صادقين اي فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه
فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قد جاؤوكم بما قلتم في معجزات اخر فما
لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثر ما اوحي اليه ما يجري عليه الصلوة والسلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى فقد
كذب رسل من قبلك تعليل لجواب الشرط اي فلا تحزن فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب او بمحذوف هو
صفة لرسل اي كائنة من قبلك جاؤوا بالبينات اي المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر جمع زبور
وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اي حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا
زجرته والكتاب المنير قيل اي التوراة والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام
ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقرئ وبالزبر باعادة الجار دلالة على انها
مغايرة بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة
الموت بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم اي تعطون اجزية

أعمالكم على التمام والكمال يوم القيامة أي يوم قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية إشارة إلى أن بعض
أجورهم يصل إليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة
من حفر النيران فمن زحزح عن النار أي بعد عنها يومئذ ونحي والزحزحة في الأصل تكرير الزح
وهو الجذب بعجلة وأدخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم
الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه وما الحياة الدنيا أي لذاتها وزخارفها إلا متاع الغرور
شبهت بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة أما من طلب بها
الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور إما مصدر أو جمع غار لتبلون شروع في تسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره إثر تسليتهم عما قد
وقع منهم ليوطنوا أنفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات
فإن هجوم الأوجال مما يزلزل أقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب وأصل الابتلاء الاختبار
أي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لأمر يشق عليه غالبا ملابسته أو مفارقته وذلك إنما يتصور حقيقة
ممن لا وقوف له على عواقب الأمور وأما من جهة العليم الخبير فلا يكون إلا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار
أحد الأمرين أو الأمور قبل أن يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف أي
والله لتبلون أي لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والأعمال الحسنة وفائدة
التوكيد إما تحقيق معنى الابتلاء وتهوين الخطب وإما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما أريد منهم
من التهيؤ والاستعداد في أموالكم بما يقع فيها من ضروب الآفات والجوائح المهلكة لها أو بما تنفقونها في سبيل
الله الخير مطلقا فالحق نظمه في سلك الابتلاء لما أنه من باب الإضعاف لا من قبيل الإتلاف وأنفسكم
بالقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أصناف المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك وتقديم
الأموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أي من قبل إيتائكم القرآن
وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للإشعار بمدار الشقاق والإيذان بأن بعض ما يسمعونه
منهم مستند على زعمهم إلى الكتاب كما في قولهم إن الله عهد إلينا الآية والتصريح بالقبلية لتأكيد
الإشعار وتقوية المدار فإن قدم نزول كتابهم مما يؤيد تمسكهم به ومن الذين أشركوا أذى كثيرا
من الطعن في الدين الحنيف والقدح في أحكام الشرع الشريف وصد من أراد الإيمان وتخطئة من آمن
وما كان من كعب بن الأشرف وأضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه وإن تصبروا أي على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها
بحسن التحمل وتتقوا أي تتبتلوا إلى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث تتساوى عندكم وصول
المحبوب ولقاء المكروه فإن ذلك إشارة إلى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهما
وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب مع اعتبار كل واحد منهما للمخاطبين لما أن المراد بالخطاب
مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية أحوال المخاطبين من عزم الأمور من معزوماتها التي
يتنافس فيها المتنافسون أي مما يجب أن يعزم عليه كل أحد لما فيه من كمال المزية والشرف أو مما عزم الله تعالى
عليه وأمر به وبالغ فيه يعني أن ذلك عزمة من عزمات الله لا بد أن تصبروا وتتقوا وجوابه محذوف أو
فافعلوا فقد أحسنتم أو فقد أصبتم فإن ذلك إلخ ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى صبر المخاطبين
وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي إبراز الأمر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من إظهار كمال
اللطف بالعباد ما لا يخفى وإذ أخذ الله كلام مستأنف مسوق لبيان بعض أذياتهم وهو كتمانهم

ما في كتابهم

ما في كتابهم من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وغيرها وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تلوين الخطاب لاشتماله عليه الصلاة والسلام
وللمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة والسلام وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت
دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها على ما مر بيانه في
تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل الآية أي اذكر وقت أخذه تعالى ميثاق الذين أوتوا
الكتاب وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان إيتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم لتبيننه
حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه أخذ الميثاق كأنه قيل لهم لتبيننه
للناس فتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار التي من جملتها أمر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو
المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لأنهم غيب ولا تكتمونه عطف على الجواب وإنما لم يؤكد بالنون لكونه
منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل النفي للتأكيد في الأول لأنه تأكيد له وقيل هو حال من ضمير
المخاطبين إما على إضمار مبتدأ بعد الواو أي وأنتم لا تكتمونه وإما على رأي من جوز دخول الواو على المضارع
المنفي بمدة وقوعه حالا أي لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الأمر بالبيان إما للمبالغة في
إيجاب المأمور به وإما لأن المراد بالبيان المأمور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته عليه الصلاة والسلام
وبالكتمان المنهي عنه إلقاء التأويلات الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله فنبذوه
النبذ الرمي والإبعاد أي طرحوا ما أخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التأكيد وألقوه وراء ظهورهم
ولم يراعوه ولم يلتفتوا إليه أصلا فإن نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والإعراض عنه بالكلية
كما أن جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين وإظهار
ما علموه من العلم للناس أجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الأغراض الفاسدة أو طمعا في عرض من الأعراض
الفانية الخاسئة ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن
طاوس أنه قال لوهب بن منبه إني أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب فقال والله لو كنت نبيا فكتمت
العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على علمه ولا يحل للجاهل
أن يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على
أهل العلم أن يعلموا واشتروا به [illegible]
[illegible] ثمنا قليلا
[illegible]
[illegible] فبئس ما يشترون [illegible]
[illegible] لا تحسبن
الذين يفرحون بما أتوا [illegible]
[illegible] قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك وأحبوا

ان يصفوا بالديانة والفضل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا
فلم يخبروه بالحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان
النصوص الناطقة بنبوته عليه الصلاة والسلام واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون ملة ابراهيم عليه الصلاة
والسلام فالموصول عبارة عن المذكورين وضع مشاهيرهم موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما
يستتبعه اعمالهم الحكية من العقاب الاخروي اثر بيان قباحتها وقد دمج فيها بيان بعض آخر من شنائعهم
هو اصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم بان يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة
وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم
بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون
كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا لشهرة انهم كانوا يفرحون بما
فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف
منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من
المذكورين وغيرهم لان اكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتي
بشيء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود ان يمدحه الناس بما هو عار عنه من الفضائل منتظما للمعهودين
انتظاما اوليا واياما كان ثم فمفعولا لا تحسبن وقوله فلا تحسبنهم تاكيد له والفاء زائدة والمفعول
الثاني قوله تعالى بمفازة من العذاب اي ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي ولا يضر تأنيثها
بالتاء لما انها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله ولي مجال الثغر منك ورهبة عقابك قد
كانت لنا بالموارد ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اي بمفازة كائنة
من العذاب لانها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص يصح به المعنى اي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف
الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا وقرئ بالغيبة
وفتح الباء في الثاني فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف وكذلك عين الفاعل والثاني بمفازة اي لا يحسبن
الذين يفرحون انفسهم فائزين وقوله تعالى فلا يحسبنهم تاكيد له والفاء زائدة كما مر ويجوز ان يجعل
الفعل الاول او كليهما او تعليقات للفعل الاول للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل حاسب ومفعوله الاول الموصول
والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف
لظهور تفرع عدم حسبانه عليه الصلاة والسلام ومفعوله الاول الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة والتصدير
الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا
يزعمون انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من المواخذة الدنيوية وعليه كان يبنى فرحهم واما
نهيه صلى الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم
ولهم عذاب اليم بعدما اشير الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حقق ان لهم فردا منه لا غاية له في الشدة
والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف ولله خاصة ملك السموات والارض اي
السلطان فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا
واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى
والله على كل شيء قدير تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى
قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا له ومن ضرورته
اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شيء من الاشياء في القدرة على شيء من الاشياء فضلا عن المشاركة
في ملك السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقرير واظهار الاسم الجليل

في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما
فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ان في خلق السموات جملة مستأنفة سيقت لتقرير
ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة مصدرة بكلمة التأكيد اعتناء بتحقيق مضمونها
اي في انشائها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الامور التي تحار في فهم اجلاها العقول والارض على ما هي
عليه ذاتا وصفة واختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر
بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص
الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما
وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول
ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون
بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك
والليل قيل انه اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع الجمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ
له جمع والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما في كيكة وكياكي كانها جمع كيكاة والنهار
اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار
اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار الآية لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما ينبئ عنه
اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاصه بالملك
العظيم والقدرة التامة سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب
لما ان المقصود هاهنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة التي يعظم الشاهد له التعليقات واما
هناك فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة تفصيل دلائل
الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فان ما فصل هناك من آيات رحمته تعالى كما انه من آيات الالوهية والوحدة
لاولي الالباب اي لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية
المتخلصين عن العوائق الظلمانية المتأملين في حقائق الحقائق واحكام النعوت المراقبين في اطوار الملك والملكوت
المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع الحكمة المودعة في الانفس والآفاق
الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود مترقبين على مراقيه
وذكر اعتبارهم لنفسيين الى شهود ما سواه الامر حيث تصير المشاهدة مجالية مرآة يلمح فيها صفات كمال
فان كل من ظهر في مظاهر الابداع وحصص مكامن التكوين والاختراع سبيل سوي الى عالم التوحيد ودليل
قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته لكل من سامع واع ومخبر بانباء جلاله وجماله لكل من لحظ لعيانه
على قدر عقولهم وبرهان حجولهم بحسب مقولهم بتاوره تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة
مولع في الحواس ايامهم ونصت بهم وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتأمل في هذه الشؤون والاسرار
ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل لك يا عائشة
ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء
في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله
واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة
فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا
شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض الى آخره ثم قال ويل

لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وروي ويل لمن قرأها ولم يتأمل فيها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض الى آخره
الذين يذكرون الله الموصول اما موصول باولي الالباب مجرور على انه نعت كاشف له ثم ما في حيز
الصلة واما مفصول عنه مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف
وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل
ما لا يخفى واياما كان فقد اشير بما في حيز صلته الى ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة
اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فايض منه
وعائد اليه فلا يشاهدون حالا من الاحوال في انفسهم والية اشير بقوله عز وجل قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ولا في الآفاق والية اشير بما بعده الا وهم يعاينون في ذلك شانا من شؤونه تعالى
فالمراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء قارنه
الذكر اللساني اولا وما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم من انهم خرجوا يوم
العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا
يذكرون الله تعالى على اقدامهم فليس مرادهم به تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا به
التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها واما حمل الذكر على الصلاة في هذه الاحوال
حسب الاستطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان
لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فمما لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه والقيام والقعود جمع
قائم وقاعد كصيام ورقود جمع صائم وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اي يذكرونه قائمين
وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين اي وكائنين على جنوبهم اي مضطجعين
فالمراد تعميم الذكر للاوقات كما مر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال
المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا ويتفكرون في خلق السموات والارض عطف على يذكرون منتظم
معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل محله النصب على انه معطوف على الاحوال السابقة وليس
بظاهر وهو بيان لتفكرهم في افعاله سبحانه اثر بيان تذكرهم في ذاته تعالى على الاطلاق واشارة الى نتيجته
التي تؤدي اليها من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به السنة الرسل وآيات الكتب كما ان الآيات التشريعية
هادية للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات آيات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك فالاولى
منبهات لهم الى الثانية ودواع الى الاستشهاد بها كهذه الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواضع مخصوصة
من التنزيل والثانية مؤيدات لذلك وشواهد دالة على صحتها وحقية مضمونها فان من تأمل في
تعاجيب خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من
الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والسلطان القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من
صفات الكمال وحكم بان من قدر على انشائه بلا مثال يحتذيه او قانون ينتحيه فهو على اعادته بالبعث اقدر
وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم اي علومهم واعتقاداتهم
التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والامارات والمخايل وسائر اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل
غير مختص بعمل الجوارح بل له فرد هو العمل القلبي بل هو اشرف افراده لما ان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به ومن
قضية كون الاول اشرف من الثاني كون عمله ايضا اشرف من عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفته تعالى التي هي اول الواجبات
على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون
كما نبه عنه قوله عليه الصلاة والسلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وانما

طريقها

طريقها النظر والتفكر فيما ذكر من شؤونه تعالى وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لا تفضلوني
على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله تعالى
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت انه مستتبع لتحقيق ما جاءت به
الشريعة الحقة من الاحكام فتبين قول النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا كيف قال عليه الصلاة والسلام ايكم احسن
عقلا واورع عن محارم الله تعالى فان التورع عن محارمه تعالى موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة
بالكتاب والسنة فحينئذ تتصادق الآيات الكونية وتتوافق الآيات العقلية والسمعية ولما انتظم في
نظم ما حكي عن المتفكرين من الامور المستدعية للايمان بالشريعة في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه
ولظهور خلق السموات والارض مع كفاية الايمان الاجمالي بكمال العناية ببيان تحاشيهم والابداع يكون
تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره
فيما سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيما ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير
اليه واما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات من غير حاجة الى بعض آخر
منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله اي يتفكرون في انشائهما وابداعهما بما فيهما من عجائب الصنع
وقيل بمعنى المخلوق على ان الاضافة بمعنى في اي يتفكرون فيما خلق فيهما اعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما
او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانية ربنا ما خلقت هذا باطلا كلمة هذا اشارة الى السموات
والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والتذكير لما انهما باعتبار
تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق على التقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد
محذوف او حال من المفعول اي ما خلقت هذا الخلق البديع العظيم الشان عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن
المصلحة لا ينبغي عنه وضع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة
من جملتها ان يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدأ والمعاد حسبما افصحت عنه
الرسل والكتب الالهية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
سبحانك [illegible]
[illegible]
[illegible] فقنا عذاب النار [illegible]

الحميدة والغاية بما يقتضيه من الاعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة ثم ما يحيق
بالمخلين بذلك من تحتم الحدها الوقوع على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد
لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو اعني الوقاية على ذلك كأنه قيل اذ قد عرفنا سرك واطعنا امرك ونزهناك
عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع واللجوء والجؤار وتأكيدها
لاظهار كمال اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال
في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدي للخزي معان متقاربة يقال اخزاه
الله اي ابعده وقيل اهانه وقيل فضحه وقيل اهلكه قال ابن الانباري الخزي لغة الهلاك بتلف او بانقطاع
حجة او بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك
اي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى وما
للظالمين من انصار تذييل لاظهار فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقد من ينصرهم ويقوم
بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم
النار بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جميع الظالمين اي ما لظالم من الظالمين
نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين
هم الكفار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان حكاية لدعاء آخر لهم مبني على تأملهم في الدليل
السمعي بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكر في الادلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار
كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للايذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالدعاء النداء
وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء وباللام لاشتماله على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه
وسلم وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه
من الايذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة
كان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الخ ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع
يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل الى تفصيله
واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم من بينه بمزية زائدة حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي ثم وصف
بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند
النفس واجلب للقبول وقيل المنادي القرآن العظيم ان آمنوا اي آمنوا على ان ان تفسيرية او بان آمنوا على انها مصدرية
بربكم بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان عن تقييده تفخيم لشأنه فآمنا اي فامتثلنا بامره واجبنا
نداءه ربنا تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايمان به والفاء في قوله تعالى
فاغفر لنا ذنوبنا اي كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله وكفر عنا سيئاتنا اي صغائرنا فانها مكفرة
عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار اي مخصوصين بصحبتهم مغتنمين بجوارهم معدودين في زمرتهم
وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لتأخر التحلية
عن التخلية وتكرير النداء لما مر مرارا والمراد بالموعود الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما في قولك وعد
الله الجنة على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف اي
وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك وقيل التقدير منزلا على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير
الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع ان المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم

وحدها ان دعوته عليه الصلاة والسلام لاسيما في باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة
الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم الصلاة والسلام كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه الصلاة والسلام
بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية ولذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنة
جميع الرسل وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا يوم القيامة قصدوا
بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه مظهرين انهم ممن آمن معه رجاء الانتظام
في سلكهم يومئذ وقوله انك لا تخلف الميعاد تذييل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما
في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة
الموعودين بسوء الحال وسوء الخاتمة فمرجعها الى الدعاء بالتثبيت او للمبالغة في التعبد
والخشوع والميعاد الوعد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه البعث بعد الموت وفي الآثار من حزبه امر
فقال ربنا ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية فاستجاب
لهم ربهم الاستجابة بمعنى الاجابة وقال تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة
باعطاء المسؤول وتتعدى باللام وبنفسها كما في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب وهو عطف
على الاستئناف المقدر فيما سلف مترتب على ما خبر من الادعية كما ان قوله عز وجل ثم قيل للذين
ظلموا الى آخره عطف على ما قيل المقدر قبل الآن اي قيل لهم الآن اتستمر به ثم قيل الآية وكما ان قوله تعالى
في سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه المعنى اولم يهد لهم كأنه قيل يغفلون
عن الهداية ونطبع الى آخره والتعبير في المعطوفين بصيغة الماضي لما ان الصيغة للمستقبل هنالك للدلالة على الاستمرار
المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضي ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما في الاخير وفي الاخلال
بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتي ويجوز ان
يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب الى آخره واما على تقدير
كون المقدر حالا فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا الى
آخره فان الاستجابة مترتبة على تضرعاتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي من اوصافهم الجميلة
المترتبة على اعمالهم الآخرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم واما على
تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حق ما في حيز الصلة
ان يكون من مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فاين الاستجابة
المتأخرة عنها وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم
واظهار اللطف بهم ما لا يخفى اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني وهكذا قرأ ابي رحمه الله والباء
للسببية كأنه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنته السنية مستمرة
على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف
الخطاب والمراد تأكيدها ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء
وتعميم الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير
عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من
تخلفه عنها اضاعتها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح
وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول اي قائلا اني الى آخره
فلا التفات حينئذ وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل كائن
منكم وقوله تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل وتأكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة

مبينة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما في الدين والعمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت قوله تعالى فالذين هاجروا الخ ضرب تفصيل لما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده مع المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشائر للدين وقوله تعالى واخرجوا من ديارهم على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا في سبيلي اي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا اي الكفار في سبيل الله تعالى وقتلوا استشهدوا في القتال وقرئ بالعكس لما ان الواو لا تستدعي الترتيب ولان المراد قتل بعضهم وقتال الآخرين اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو راي الكوفيين كيف لا والحكم على اتصاف كل فرد بالكل يجعل التعداد ضائعا من تضعيف البعض وقرئ قتّلوا بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدأ الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما اشير للعاملين لخصوصه بعد ما وعد لهم عموما ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه بالعود فيما قبل بقولهم وآتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى من عند الله متعلق بمحذوف هو صفة له مشرفة اي لاثيبنهم اثابة كائنة او ثوابا كائنا من عند الله تعالى بالغا الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او هو مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والعندية عبارة عن اختصاصه به تعالى مثل كونه تعالى قادرا عليه بحيث لا يقدر عليه غيره فان الاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب اولا وفي ضيمة الوعد الكريم بتقديم ضلعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شان المحسن ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شانها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما اوتي المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مدارة القوم ورؤسائهم والمراد افناؤهم او لكل احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب مبالغة اي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فاذن لا يجدي وجوده لواجديه ولا يضر فقده لفاقديه ثم مأواهم اي مصيرهم الذي ياوون اليه لا يبرحونه جهنم التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى وبئس المهاد ذم لهم وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين غب بيان وخامة مآل الكفرة وايراد التقوى في

حين الصلة

حين الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي والموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر وجنات مبتدأ والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اي في الجنات حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا وعطاء من عند الله تعالى وما عند الله خير مبتدأ وخبر وقوله تعالى للابرار متعلق بمحذوف هو صفة لخير اي ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستانفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على الاسم لفصل الظرف بينهما كما في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين وتاخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما ايمانهم من غير تحريف ولا كتم كما هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبلها وتوسيطها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمنها اظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عدد من صفاتهم الحسنة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى لهم وقوله اجرهم اي المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كالصفة ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى التامل والمراد سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة من الفنون والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اي على مشاق الطاعات وغير ذلك من المكاره والشدائد وصابروا اي غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور مرابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما

وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة **واتقوا**
الله في مخالفة أمره على الإطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا أوليا
لعلكم تفلحون أي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب والناجين عن كل مكروه عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه
صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه
وملائكته
حتى تحجب الشمس

يا أيها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند
النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة عند انتظامهم
فيه لكن لا بطريق الحقيقة فإن خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف إلا
عند الحنابلة بل إما بطريق تغليب الفريق الأول على الآخرين وإما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي
فإن الإجماع منعقد على أن آخر الأمة مكلف بما كلف به أولها كما ينبئ عنه قوله عليه الصلاة والسلام
الحلال ما جرى على لساني إلى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني إلى يوم القيامة وقد فصل في موضعه
وأما الأمم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الأوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال
وأما اندراجهم في خطاب ما عداهما مما له دخل في تأكيد التكليف وتقوية الإيجاب فستسمع حاله ولفظ
الناس ينتظم الذكور والإناث حقيقة وأما صيغة جمع المذكر في قوله عز وجل **اتقوا ربكم** فواردة على
طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للإناث عند غير الحنابلة وأما إدخالهن في الأمر بالتقوى
بما ذكر من الدليل الخارجي وإن كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس
ببعض أفراده والمأمور به إما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك وإما التقوى
فيما يتعلق بحقوق أبناء الجنس أي اتقوه في مخالفة أوامره ونواهيه على الإطلاق أو في مخالفة تكاليفه
الواردة ههنا وأيا ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الإضافة
إلى ضمير المخاطبين لتأييد الأمر وتأكيد إيجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف
الرب بقوله تعالى **الذي خلقكم من نفس واحدة** فإن خلقه تعالى إياهم على هذا النمط البديع
لأنبأ عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة
لا يقادر قدرها من أقوى الدواعي إلى الاتقاء عن موجبات نقمته وأتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله
تعالى إياهم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة هي نفس آدم عليه الصلاة والسلام من موجبات الاحتراز
عن الإخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الأخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للأمم السالفة أيضا
مع اختصاصه فيما قبل بالمأمورين بناء على أن تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الأمر
بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لأن خلقه تعالى للمأمورين من نفس آدم
عليه الصلاة والسلام حيث كان بواسطة ما بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام من الآباء والأمهات
كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته
تعالى لأصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل **وخلق منها زوجها** فإنه مع ما عطف عليه
صريح في ذلك وهو معطوف على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لأن تفريع الفروع من أصل واحد
يستدعي إنشاء ذلك الأصل لا محالة كأنه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها أولا وخلق منها زوجها
إلخ وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما أجمل أولا أو صفة
مفيدة لذلك وإما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر وإعادة الفعل مع جواز

عطف

عطف مفعوله على مفعول الفعل الأول كما في قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم لإظهار ما بين الخلقين من التفاوت فإن الأول بطريق التفريع من الأصل والثاني
بطريق الإنشاء من المادة فإنه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام روي أنه عز وجل
لما خلقه عليه الصلاة والسلام وأسكنه الجنة ألقى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء
من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما أن تذكير خلقهم
أدخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالأمر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار
والمجرور للاعتناء ببيان مبدئية آدم عليه الصلاة والسلام لها مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر
وإيرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل **وبث منهما** أي نشر من تلك النفس وزوجها
المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل **رجالا كثيرا** نعت لرجالا مؤكد لما أفاده التنكير من الكثرة
والإفراد باعتبار معنى الجمع أو العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل أي بثا كثيرا **ونساء** أي
كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وإيثارهما على ذكورا وإناثا لتأكيد الكثرة والمبالغة
فيها بترشيح كل فرد من الأفراد المبثوثة لمبدئية غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدأ أي
وهو خالق وباث **واتقوا الله الذي تساءلون به** تكرير للأمر وتذكير لبعض آخر من موجبات الامتثال
فإن سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بأن يقولوا بالله وأنشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي
الاتقاء من مخالفة أوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التأكيد والمبالغة في الحمل على
الامتثال بتربية المهابة وإدخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من أسمائه تعالى وصفاته و
تساءلون أصله تتساءلون فطرحت إحدى التاءين تخفيفا وقرئ بإدغام تاء التفاعل في السين
لتقاربهما في الهمس وقرئ تسألون به من الثلاثي أي تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة الأولى
والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رأيت الهلال وتراءيناه ويعضده قراءة تسألون
على وجهه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة إلى السين **والأرحام** بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة تساءلون به وبالأرحام فإنهم كانوا يقرنونها في السؤال
والمناشدة بالله عز وجل ويقولون أسألك بالله وبالرحم أو عطفا على الاسم الجليل أي اتقوا الله والأرحام
وصلوها ولا تقطعوها فإن قطيعتها مما يجب أن يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء
والزجاج وقد جوز الواحدي نصبه على الإغراء أي والزموا الأرحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا
على أن صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا وعنه صلى الله
عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله **إن الله كان**
عليكم رقيبا أي مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا إذا أحد
النظر لأمر يريد تحقيقه أي حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال والأقوال وعلى ما في ضمائركم
من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للأمر ووجوب الامتثال به وإظهار الاسم الجليل لتأكيد
تقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل **وآتوا اليتامى أموالهم** شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه
بتكليف ما يقابلها أمرا ونهيا عقيب الأمر بنفسه مرة بعد أخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لإظهار كمال
العناية بأمرهم ولملابستهم بالأرحام إذ الخطاب للأولياء والأوصياء وقلما تفوض الوصاية إلى الأجانب
واليتيم من مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة ويجمع على يتامى أما لأنه لما جرى مجرى
الأسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى وأما لأنه لما كان من وادي الآفات جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى و
الاشتقاق يقتضي صحة إطلاقه على الكبار أيضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف وأما قوله صلى الله

عليه وسلم لا يتم بعد الحلم فتعليم الشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام
والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها
على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تاتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن
التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى
اذا بلغوا الآية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم
لا مجرد ترك التعرض بها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء
والاوصياء وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى
عليه اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين
صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب الدفع الى الكبار
فمستفاد مما سياتي من الامر به وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل و
اطلاق اسمهم على الكبار بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم اليهم
اول ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل وياباه ما سياتي من قوله تعالى
وابتلوا اليتامى الى آخره فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين
وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع
تعميم الايتاء للتنجيزي حالا والتقديري مالا وتعميم الخطاب لاولياء كلا الفريقين على ان من بلغ منهم فوليه
مامور بالدفع اليه بالفعل وان من لم يبلغ بعد فوليه مامور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع ما سبق
تكلف لا يخفى فالانسب المتقدم من حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يؤدي من ترك التعرض لها بسوء ما يلوح به التعبير
عن الاعطاء بالفعل بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا واما
ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما
سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فليس بقادح في ذلك لان العبرة لعموم اللفظ
لا لخصوص السبب **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي
الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا
له او في شرف الحصول يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن
يتبدل الكفر بالايمان وقوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك
كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الى آخره وتارة بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا
اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهري وتارة اخرى بافضائه الى المفعولين بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله
سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال
انفسهم مطلقا كما قال الفراء والزجاج معناه لا تتبدلوا اموالكم الحلال وتاكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي عنه اكل
ماله مكان ماله المحقق والمقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه وان كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا
عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه وتصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الرديء والجيد
فمورد النهي ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الرديء من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي
والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما
التعبير عنهما بالخبيث والطيب مع تبديلهم الخبيث بالطيب فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا
في المعاوضات عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب الجيد اليه مشترا كان او ثمنا
لا ليسلب المسلوب عنه **ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم** نهي عن منكر آخر كانوا يتعاطونه اي لا تاكلوها مضمومة

الى اموالكم

الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وهذا حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي
فقيرا **انه** اي الاكل المفهوم من النهي **كان حوبا** اي ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا
وقرئ حابا وهو ايضا مصدر كالقول والقال **كبيرا** مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل المذكور كانه
قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من افنائها **وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى** بالاقساط العدل
وقرئ بفتح التاء فقيل هو من قسط اي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط
فان الزجاج حكى ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص
جنفا عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم
بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصبر على الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهي
عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة وباموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق
باموالهم خاصة وتاخيره عنه لقلة وقوعه بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة المركب من المفرد وذلك انهم
كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون
في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة
تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن
الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية
عن عروة عن عائشة رضي الله عنها وانما عدل عما حكيناه مع انه الانسب بما ذكره اهل التفسير
حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما
اجتمعت عنده عشر منهن الى آخره قلت يساعده الامر بنكاح غيرهن اي وان خفتم ان لا تعدلوا
في اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق **فانكحوا ما طاب لكم** ما موصولة
او موصوفة ما بعدها صلتها او صفتها اوثرت على من ذهابا الى الوصف وايذانا بان المقصود
بالذات بعد التعليق في الاعتبار لا سيما الاناث من العقلاء تجري مجرى غير العقلاء لاجل [illegible]
الترغيب فيهن وقرأ ابن ابي عبلة من طاب ومن في قوله عز وجل **من النساء** بيانية وقيل
تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات
وفي ايثار الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك
فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه
فيه مبالغة في استمالتهم اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو
السر في توجيه النهي الضمني الى النكاح المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة
الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع قالوا ان فيه بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب
حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحلال
اي ما حل لكم شرعا لان من النساء ما حرم كالمحرمات ولا يخصص بعض عددهن وفيه ان فيه محذور
وقوع في قطعه من ان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النص اذا تردد بين الاجمال والتخصيص يحمل على
الثاني لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا كيف لا
جمل قوله تعالى حرمت عليكم الى آخره والا على التفصيل بناء على دعاء اشتباه في التنزيل فليحمل الآية
على التخصيص **مثنى وثلاث ورباع** معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من
العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان لم
يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على انها حال من فاعل

طاب مؤكد لما افاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن
اي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما
تريدون على معنى ان لكل واحد منكم ان يختار اي عدد شاء من الاعداد لا ان بعضها لبعض منهم وبعضها
لبعض آخر كما في قولك اقسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لفهم
منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد
هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة لما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ
الاولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق الحوب بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون
من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق
اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب وتاب
عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون
من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا
حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الآية وشيوعها
بين التالين مع ظهور توقف حملها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا
فان خفتم الا تعدلوا اي فيما بينهن ولو في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى
او كما لا تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد **فواحدة** اي فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا
الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة **او ما ملكت ايمانكم** اي من السراري
بالغة ما بلغت في مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري
لا بطريق النكاح فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين
في الموضعين بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات فمما ملكت
ايمانكم فان المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وانما سوى في السهولة واليسر بين الحرة
الواحدة وبين السراري من غير حصر في عددهن لقلة تبعتهن وخفة مؤونتهن وعدم وجوب القسم فيهن
وقرئ او من ملكت ايمانكم وما في القراءة المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء
ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري **ادنى ان لا تعولوا** العول الميل من قولهم عال الميزان
عولا اذا مال ومال الحاكم اي جار والمراد هاهنا الميل المحظور المقابل للعدل اي ما ذكر من اختيار
الواحدة والتسري اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء
محله في الاول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق
المحل والخطر ومن هاهنا تبين ان مدار الامر عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بان لا تكثر عيالكم
على انه من عال الرجل عياله يعولهم اي مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤونة على طريقة الكناية
ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز
الاستكثار من السراري انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر والجملة مستأنفة جارية
مما قبلها مجرى التعليل **وآتوا النساء** اي اللاتي امر بنكاحهن **صدقاتهن** جمع صدقة كسمرة
وبضمها على التوحيد وهي تثقيل صدقة كظلمات في ظلمة **نحلة** قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن
زيد فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه الله تعالى في النحلة اي الملة والشريعة والديانة فانتصابها على الحالية
من الصدقات اي اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة من الله تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول
له اي اعطوهن تدينا وشرعة وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابها

على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهتهن للازواج من نحله كذا اي اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من
نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء
عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا
النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير آتوا اي آتوهن
صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب
للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهن وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت
يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه **فان طبن لكم عن شيء منه** الضمير للصدقات وتذكيره
لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما في قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات
المعدودة وقد روي عن رؤبة انه حين قيل له في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع
البهق ان اردت الخطوط ينبغي ان تقول كأنها وان اردت السواد والبلق ينبغي ان تقول كأنهما قال لكني
اردت كأن ذلك او للصداق الواقع موقعها صدقاتهن كانه قيل وآتوا النساء صداقهن كما في قوله
تعالى فاصدق واكن حيث عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل ان اصدق واكن واللام متعلقة
بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي كائن من الصداق
وفيه بعث لهن على تقليل الهبة **نفسا** تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اي ان وهبن لكم شيئا
من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء
معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو طيب النفس
وتجافيها عن الموهوب بالمرة **فكلوه** اي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص
الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية **هنيئا مريئا** صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا
كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء الذي يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه
الذي هو المريء وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمي بذلك لمري الطعام فيه اي انسياغه ونصبهما على انهما
صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او على انهما حالان من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف
على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنئا ومرأ وهذه
عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم
من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم** رجوع الى بيان الاحكام المتعلقة
بانفسهن كما جرى بيان بعض الحقوق المتعلقة [illegible] من حيث النفس ومن حيث المال
استطرادا والخطاب للاولياء نهوا عن ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم [illegible]
اليهم وهي لليتامى [illegible]
[illegible]
في حملهم على المحافظة عليها [illegible]
بانفسهم [illegible]
لمعاش [illegible] **التي جعل الله لكم قياما** اي جعلها الله شيئا
تقومون به [illegible]
القيام قياما [illegible]
الناس [illegible]
القلوب [illegible]

الأولياء على المحافظة المذكورة قيل الأولى الحمل على الجنسية لأن المالية ليست مختصة بما بين أموال اليتامى
وأموال الأولياء بل هي متحققة بين أموالهم وأموال الأجانب فالأولى أنه لا وجه لاعتبارها أصلا وقرئ
اللاتي واللواتي وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف
وهو ما يقام به الشيء أو مصدر قاوم وقرئ بفتحها وارزقوهم فيها واكسوهم أي واجعلوها
مكانا لرزقهم وكسوتهم بأن تتجروا وتتربحوا حتى تكون نفقاتهم من الأرباح لا من صلب المال وقيل الخطاب
لكل أحد كائنا من كان والمراد نهيه عن أن يفوض أمر ماله إلى من لا رشد له من نسائه وأولاده وكلالته
وغير ذلك ولا يخفى أن ذلك مخل بجزالة النظم الكريم وقولوا لهم قولا معروفا أي كلاما لينا تطيب به
نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بأن تقولوا إذا صلحتم ورشدتم
سلمنا إليكم أموالكم وكل ما سكنت إليه النفس لحسنه شرعا أو عقلا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته
لقبحه شرعا أو عقلا فهو منكر وابتلوا اليتامى شروع في تعيين وقت تسليم أموال اليتامى إليهم
وبيان شرطه بعد الأمر بإيتائها على الإطلاق والنهي عنه عند كون أصحابها سفهاء أي واختبروا
من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين والاهتداء إلى ضبط المال وحسن
التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فإن كانوا من أهل التجارة فبأن تعطوهم من المال ما يتصرفون
فيه بيعا وابتياعا وإن كانوا ممن له ضياع وأهل وخدم فبأن تعطوهم منه ما يصرفونه إلى نفقة عبيدهم
وخدمهم وأجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية أحوالهم حتى إذا بلغوا النكاح بأن
يحتلموا لأنهم يصلحون عنده للنكاح فإن آنستم أي شاهدتم وتبينتم وقرئ أحستم كما في قول
من قال خلا أن العتاق من المطايا حسين به فهن إليه شوس منهم رشدا أي اهتداء إلى وجوه
التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر
أو للاعتداد بمضمونه والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما
فادفعوا إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وفي إيثار الدفع على الإيتاء الوارد في أول الأمر
إيذان بتفاوتهما بحسب المعنى كما أشير إليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة أن حتى هي التي تقع بعدها الجمل
كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل وما بعدها جملة شرطية
جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت
بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة أن من بلغ غير رشيد
إما بالتبذير أو بالعجز لا يدفع إليه ماله أبدا وبه أخذ أبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة رحمه الله ينتظر
إلى خمس وعشرين سنة لأن البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فإذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة
في تغير أحوال الإنسان لما قال صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة لسبع دفع إليه ماله أونس منه الرشد
أو لم يؤنس ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا أي مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم
ومبادرتكم كبرهم تفرطون في إنفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا
والجملة تأكيد للأمر بالدفع وتقريرها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف
أي من كان من الأولياء والأوصياء غنيا فليتنزه عن أكلها وليقنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق
إشفاقا على اليتيم وإبقاء على ماله ومن كان من الأولياء والأوصياء فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر
حاجته الضرورية وأجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف ما يدل على أن
للوصي حقا لقيامه عليها عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن
في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما

أن ولي اليتيم قال له أفأشرب من لبن إبله قال إن كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها
وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم البهيمة
وينزل نفسه منزلة الأجير وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول
عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فإذا أيسر أدى وعن سعيد بن جبير إن شاء شرب
فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاه وإن أعسر
فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إني أنزلت نفسي من مال الله عز وجل بمنزلة والي اليتيم إن
استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف فإذا أيسرت قضيت واستعفف أبلغ من عف كأنه
يطلب زيادة العفة فإذا دفعتم إليهم أموالهم بعد ما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام فأشهدوا عليهم بأنهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها
ذممكم فإن ذلك أبعد من التهمة وأنفى للخصومة وأدخل في الأمانة وبراءة الساحة وإن لم يكن ذلك
واجبا عند أصحابنا فإن الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله وكفى
بالله حسيبا أي محاسبا فلا تخالفوا ما أمرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما
ترك الوالدان والأقربون شروع في بيان أحكام المواريث بعد بيان أحكام أموال اليتامى المنتقلة إليهم بالإرث
والمراد بالأقربين المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة للنصيب أي لهم نصيب كائن
مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون إيراد حكمهن
على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف أحكامهم بأن يقال للرجال والنساء الخ للاعتناء بأمرهن والإيذان
بأصالتهن في استحقاق الإرث والإشارة من أول الأمر إلى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة
في إبطال حكم الجاهلية فإنهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال ويقولون إنما يرث من يحارب ويذب
عن الحوزة روي أن أوس بن ثابت الأنصاري خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه
سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت أم كحة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فبعث إليهما لا تفرقا من مال
أوس شيئا فإن الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله في
أولادكم الآية فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان
عن الخطاب وقوله تعالى مما قل منه أو كثر بدل من ما الأخيرة بإعادة العامل إليها يعود الضمير المجرور
ولعل البدل مراد في الجملة الأولى أيضا محذوف التعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الأموال
ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق أن لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق نصيبا
مفروضا نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة أو على الحالية
إذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والأقربون حال كونه مفروضا أو على الاختصاص بمعنى أعني
نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه
وإذا حضر القسمة أي قسمة التركة وإنما قدمت مع كونها مفعولا لأنها المبحوث عنها ولأن في الفاعل
تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاوب أطراف الكلام أولو القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين
من الأجانب فارزقوهم منه أي أعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو أمر ندب
كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل أمر وجوب ثم اختلف
في نسخه وقولوا لهم قولا معروفا وهو أن يدعو لهم ويستقلوا ما أعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا
عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم أمر للأوصياء بأن يخشوا

الله تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفا وضعفاء وضعافى **فليتقوا الله** في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها **وليقولوا قولا سديدا** امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول بدون الثاني ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب والمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية مما لا يؤدي الى تجاوز الثلث **ان الذين يأكلون اموال اليتامى** استئناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهي **ظلما** اي على وجه الظلم او ظالمين **انما يأكلون في بطونهم** اي في ملء بطونهم **نارا** اي ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه الصلاة والسلام الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا **وسيصلون سعيرا** اي سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها وروي ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وروي انه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الآية **يوصيكم الله** شروع في تفصيل احكام المواريث المجملة في قوله عز وجل للرجال نصيب الآية واقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء والاولاد والازواج فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة اي يأمركم ويعهد اليكم **في اولادكم** اي في شأن ميراثهم بدأ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثرهم بقاء بعد المورث **للذكر مثل حظ الانثيين** جملة مستأنفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم لان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب من رواية الفراء فانه يجري ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه في حكاية الجمل بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية وقيل الضمير العائد الى الذكر لابد منه ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف اي للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداية ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كما انها المناط في تضعيف حظه وايثار اسمي الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء **فان كن** اي الاولاد والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى **نساء** اي خلصا ليس معهن ذكر **فوق اثنتين** خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين **فلهن ثلثا ما ترك** اي المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام **وان كانت** اي المولودة **واحدة** اي امرأة واحدة ليس معها اخ

ولا اخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما سبق **فلها النصف** مما ترك وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما الثلثان مما ترك **ولابويه** اي لابوي الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله **لكل واحد منهما** بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدأ الذي هو قوله تعالى **السدس** وبين خبره الذي هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما السدس وتأكيدا لما بالتفصيل بعد الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن **مما ترك** متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر **ان كان له ولد** اي للمتوفى ولد او ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعدما اخذ فريضته المذكورة يأخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة **فان لم يكن له ولد** ولا ولد ابن **وورثه ابواه** فحسب **فلامه الثلث** مما ترك والباقي للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام بالذكر وترك جانب الاب على حاله لان التخالف مع تحقق الجهات بالعكس ايضا لما ان حظها الحصر واستحقاقه اعم ولان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فانه يفضي الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع **فان كان له اخوة** اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كانوا وارثين او محجوبين بالاب **فلامه السدس** واما السدس الذي حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده وللاخوة عند عدمه وعليه الجمهور وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه يأخذ على كل حال لان هذا الحجب عنده لا يتحقق فيما دون الثلث وبالاخوات الخلص وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة قبلها **من بعد وصية** خبر مبتدأ محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده اي هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصية **يوصي بها** اي الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها **او دين** عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة والاقرار في الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو الدالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تأخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين **آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا** الخطاب للورثة فآباؤكم مبتدأ وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدأ واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كأنه قيل ايهم اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته امن لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا فليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان كما في قوله عليه الصلاة والسلام مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره فان ذلك

بمعزل من إفادة التأكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية وتحقيق النفعية الأولى في ضمن التعرض بأن
لهم اعتقادا بأنفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد أشير إلى تحقيق عكس الأنفعية بما قريبه
النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشأ خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الآجل بصورة
العاجل لما أن الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كأنه قيل لا تدرون أيهم أنفع فتحكمون نظرا إلى ظاهر
الحال فتؤثرون الأنفعية للثاني مع أن الأمر بخلافه فإن ثواب الآخرة لتحقق وصوله إلى صاحبه
ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحياة الدنيا أقرب وأحضر وعرض الدنيا لسرعة
نفاده وفنائه أبعد وأقصر وقيل الخطاب للمورثين والمعنى لا تدرون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم
وفروعكم عاجلا وآجلا فتحروا فيهم ما وصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا إلى تفضيل بعض
وحرمان بعض روي أن أحد المتوالدين إذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة سأل أن يرفع إليه
صاحبه فيرفع إليه بشفاعته فالجملة الاعتراضية حينئذ مؤكدة لأمر القسمة وأنت خبير
بأنه مشعر بأن مدار الإرث ما ذكر من أقربية النفع مع أنه العاقلة النسبية **فريضة من الله**
نصبت نصب المصدر المؤكد لفعل محذوف أي فرض الله ذلك فرضا أو لقوله تعالى يوصيكم الله
فإنه في معنى يأمركم ويفرض عليكم **إن الله كان عليما** أي بالمصالح والرتب
حكيما في كل ما قضى وقدر فيدخل فيه الأحكام المذكورة دخولا أوليا **ولكم نصف ما ترك
أزواجكم** من المال شروع في بيان أحكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكمهم أي الرجال
ثم لا حاجة إلى ذكره **إن لم يكن لهن ولد** أي ولد وارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بني بنيها
وإن سفل ذكرا كان أو أنثى واحدا كان أو متعددا لأن لفظ الولد ينتظم الجميع منكم أو من غيركم والباقي
لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات أو غيرهم ولبيت المال إن لم يكن لهن وارث آخر أصلا **فإن كان
لهن ولد** على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن ذكر تقدير عدم الولد مستتبع
لتقدير وجوده وبيان حكمه **فلكم الربع مما تركن** والباقي للباقين من الورثة **من بعد وصية** متعلق
بكلتي الصورتين لا بما يليه وحده **يوصين بها** في محل الجر على أنه صفة لوصية والفائدة أي فائدة
وصيتهن وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة على تنفيذها **أو دين** عطف على
وصية سواء كان ثبوته بالبينة أو بالإقرار وإيثار أو على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما
في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من إبراز كمال العناية بتنفيذها
ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور آنفا والباقي لبقية ورثتكم من أصحاب
الفروض والعصبات أو ذوي الأرحام أو لبيت المال إن لم يكن لكم وارث آخر أصلا **فإن كان لكم ولد**
على النحو الذي فصل **فلهن الثمن مما تركتم** من المال والباقي للباقين **من بعد وصية توصون
بها أو دين** الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض لها كما في النسب لمزيته
عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بشرف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا
يستثنى منه إلا أولاد الأم والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن **وإن كان
رجل** شروع في بيان أحكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تأخيره عن الأولين بين
والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث لا من أورث خبر كان أي يورث
منه **كلالة** الكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء استعيرت للقرابة من غير
جهة الولد والوالد لضعفها بالإضافة إلى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد
ولا والد من المخلفين بمعنى ذي كلالة لا تطلق على ذي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة

للأحمق فنصبها إما على أنها مفعول له أي يورث لأجل الكلالة **أو امرأة** عطف على رجل مقيد بما قيد به
أي أو امرأة تورث كذلك وقد فصل ذكرها عن ذكره للإيذان بشرفه وأصالته في الأحكام **وله**
أي للرجل وفيه تأكيد للإيذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها أيضا وقيل الضمير لكل
منهما **أخ أو أخت** أي من الأم فحسب وقد قرئ كذلك فإن أحكام بني الأعيان والعلات هي التي
ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير يورث أو من رجل على تقدير
كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسألة وتحقيق الكلالة لتحقق جريان الحكم المذكور وإن
كان مع من ذكر ورثة أخرى بطريق الكلالة فبالإجماع **فلكل واحد منهما** من الأخ والأخت **السدس**
من غير تفضيل للذكر على الأنثى لأن الإدلاء إلى الميت بمحض الأنوثة **فإن كانوا أكثر من ذلك** أي أكثر من
الأخ أو الأخت المنفردين بواحد أو بأكثر والفاء لما مر من أن ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد
فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بالسوية والباقي لبقية الورثة من أصحاب الفروض والعصبات
هذا وأما تجويز أن يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من أورث وتخصيص الولد بالوارث
والمعنى فإن كان رجل يجعل وارثا لأجل الكلالة أو ذا كلالة أي غير والد وولد وله أي للمخلف
الوارث أخ أو أخت فلكل واحد من ذلك الوارث وأخيه أو أخته السدس فإن كانوا أكثر من ذلك أي من الاثنين
بأن كانوا ثلاثة أو أكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للسدسين لا يزاد عليه شيء فيصير لهم السدسان إما
أولا فلأن المعتبر على تقدير التفسير إنما هو الأخوة بين الوارث وبين شريكه في الإرث من أخيه وأخته لا قرابته
وبين مورثه من الأخوة التي يترتب عليها أحكام الإرث وبها يتم تصوير المسألة وإنما المعتبر بينهما الوراثة
بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولادة ومن ادعى اختصاصها بالأخوة متمسكا
بالإجماع على أن المراد بالكلالة أولاد الأم فقد اعترف ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه إنما
هو الإجماع على أن المراد بالأخوة في قوله تعالى وله أخ أو أخت هو الأخوة لأم خاصة حسبما شهدت به القراءة
المحكية والآية الآتية في آخر السورة الكريمة ولولا أن الرجل عبارة عن الميت والأخوة معتبرة بينه وبين
ورثته لما أمكن كون الكل أولاد الأم ثم إن الكلالة كما بينت عليك باقية على إطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص
بأولاد الأم فضلا عن الإجماع على ذلك وإلا لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وإنما الإجماع
في أن المراد بالأخ والأخت من كان لأم خاصة وأنت خبير بأن ذلك في قوة الإجماع على أن يورث من يورث
لا مورث تقديرا وأما ثانيا فلأنه يقتضي أن يكون المعتبر في استحقاق الورثة الفرض المذكور أخوة بعضهم
لبعض من جهة الأم فقط لما ذكر من الإجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الأخوة من الجهتين وأما ثالثا
فلأن حكم صورة انفراد الوارث عن الأخ والأخت يبقى حينئذ غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس
عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد ألا يرى أن حظ كل من الأختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد
وأما رابعا فلأن تخصيص أحد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد الكل في الإدلاء إلى المورث
مما لا عهد به **من بعد وصية يوصى بها أو دين** الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا أن الدين
هاهنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه بالاتفاق الجمهور
على اعتبار عدم المضارة فيه أيضا وذلك إنما يتحقق فيما يكون ثبوته بالإقرار في المرض كأنه قيل أو دين يوصى
به **غير مضار** حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما أن
رجال في قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه
المذكور ومن جعله حالا من فاعل الفعل المذكور والمحذوف اكتفاء به على قراءة المبني للفاعل أي يوصي بما ذكر من الوصية
والدين حال كونه غير مضار للورثة بأن يوصي بما زاد على الثلث أو تكون الوصية لقصد الإضرار بهم دون القربة

او بالدين في الموضعين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت في
حقهم **وصية من الله** مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع
صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الاضافية اي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله كما
في قوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع
وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت بحسب تفاوت الفريضة والوصية وان كانت كلتاهما واجبة
المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي معنى
فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله وعهده لا في شان
الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شان الورثة المذكورة هاهنا فان الاحكام المفصلة
هاهنا مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال
بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار
بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة تخفيفية كما في قوله يا سارق الليلة
اهل الدار للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة امر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية
عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية
فقط وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف على وصية مع انه لا تحتمها دلالة
لبقاء الاقرار بالدين على اطلاقه **والله عليم** بالمضار وغيره **حليم** لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بالامهال
وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة **تلك** اشارة الى الاحكام
التي تقدمت في شئون اليتامى والمواريث وغيرها **حدود الله** اي شرائعه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها
ومن يطع الله ورسوله في جميع الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل هاهنا واظهار الاسم الجليل
لما ذكر آنفا **يدخله جنات** نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش **تجري من تحتها**
الانهار صفة لجنات منصوبة بحسب انتصابها **خالدين فيها** حال مقدرة من مفعول يدخله
وصيغة الجمع بالنظر الى الجمعية بحسب المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا **وذلك** اشارة
الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته
الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه ووصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم اما باعتبار متعلقه او
باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض **ومن يعص الله ورسوله** ولو في بعض الاوامر
والنواهي قال مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله وتعدى
ما قال الله وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث **ويتعد حدوده** استحلالا او اهمالا
في موقع الاضمار للمبالغة في الوجوب تهويل الامر وتربية المهابة **ويتعد حدوده** شرائعه في جميع
الاحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا **يدخله** وقرئ بنون العظمة في الموضعين **نارا** اي عظيمة
هائلة لا يقادر قدرها **خالدا فيها** حال كما سبق ولعل ايثار الافراد هاهنا نظرا الى ظاهر اللفظ
واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع اجلب للانس كما
ان الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب الوحشة **وله عذاب مهين** اي وله
مع عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة
حالية **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم** شروع في بيان بعض آخر من الاحكام المتعلقة بالنساء
اثر بيان احكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة
الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحه والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها

وباشرها وكذا جاء بها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه للشهود ومن متعلقة
بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين اي اللاتي يأتين يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اي من ازواجكم كما في
قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وبه قال السدي
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم
اي فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم **فان شهدوا** عليهن
بذلك **فامسكوهن في البيوت** اي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا **حتى يتوفاهن** الى ان يستوفي ارواحهن
الموت وفيه تهويل للموت وابرازه في صورة من يتولى قبض الارواح ويتوفيها او يتوفاهن
ملائكة الموت **او يجعل الله لهن سبيلا** اي يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل
للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس كما قال ابو مسلم **واللذان**
يأتيانها منكم هما الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه
كون عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا انه يبقى حكم الزاني المحصن مهملا لاختصاص
العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم ظهوره الى اجراء احد الحكمين ولا انتفاء الشركة في المناط **فآذوهما**
اي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال وهو ظاهر ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت
لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا **فان تابا** عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذى
والتوبيخ كما ينبئ عنه الفاء **واصلحا** اي اعمالهما **فاعرضوا عنهما** بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة
والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب ويجوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما
ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم
قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين في اوائل الاسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الآية
سابقة على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلقا الاذى ثم الحبس ثم الجلد ثم الرجم وقد يجوز ان يكون
الامر بالحبس غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد
اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى انه مما
لا يساعد عليه النظم الكريم وقال ابو مسلم وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والتي
في سورة النور في الزناة والزواني متمسكا بان المذكور في الاولى صيغة الاناث خاصة وفي الثانية صيغة
الذكور ولا ضرورة للمصير الى التغليب على انه لا امكان له في الاولى وفيما بانه الامر باستشهاد الاربعة
غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا **ان الله كان توابا** مبالغا في قبول التوبة **رحيما**
واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض **انما التوبة على الله** استئناف مسوق لبيان ان قبول
التوبة من الله تعالى ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق
به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى **للذين يعملون السوء** خبره وقوله تعالى على الله
متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوي مما لا نزاع في جوازه
وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق به الخبر على رأي من جوز تقديم
الحال على عاملها عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى ولله على الناس حج البيت
ومعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقق البتة
بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كانه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على
بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل الى التوبة التي

الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير الى ان قوله صفة التوبة بتقدير متعلقا معرفة على
راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي انما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء
المعصية صغيرة كانت او كبيرة ● وقيل الخبر على الله وقوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف
وقع حالا من المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الاول من تقديم الحال على العامل
المعنوي الا ان الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول لما ان ما قبله من وصفه
تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة به تعالى بالمذكورين وذلك
انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبرا الا ترى الى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات
فانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء ● بجهالة متعلق بمحذوف وقع
حالا من فاعل يعملون اي يعملون السوء ملتبسين بها اي جاهلين سفهاء او بيعملون على ان الباء
سببية اي يعملون بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم
العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل ● قال قتادة اجتمع اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرأوا ان كل شيء عصي به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطأ ● وعن مجاهد من عصى
الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ● وقال الزجاج يعني بقوله تعالى بجهالة اختيارهم اللذة
الفانية على اللذة الباقية ● ثم يتوبون من قريب اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت
كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت فانه صريح في ان وقت الاحتضار
هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينزل
به سلطان الموت ● وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب ● وعن ابراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه
وهو مجرى النفس ● وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم
يغرغر ● وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة ● وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض
وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم
يغرغر ● ومن تبعيضية اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت
الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب ● فاولئك اشارة الى المذكورين
من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
يتوب الله عليهم وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم
والفاء للدلالة على سببيتها للقبول ● وكان الله عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيبني
افعاله واحكامه على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراضية مقررة لمضمون ما قبلها ● واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال
وليست التوبة للذين يعملون السيئات تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة
تعيين له ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم ● وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد
لا لان المراد بها جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها ● حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن
حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات
الى حضور موتهم وقولهم حينئذ اني تبت الآن ● وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت ● وايثار قال
على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة ● ولا الذين يموتون وهم
كفار عطف على الموصول الذي قبله اي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة

لهم راسا

لهم رأسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في استتباع الجدوى
في حق من حال الذين يموتون على الكفر ● والمراد بالموصولين اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم
وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ● واما
من يعم الفريقين جميعا فالتسمية حينئذ للتغليب ● ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة
ففيه مبالغة اخرى ● اولئك اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد لما مر من بعد حالهم
في الطاعة وبعد منزلتهم في السوء ● وهو مبتدأ خبره اعتدنا لهم ● اي هيأنا لهم عذابا اليما
تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم ● وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء
بكون الاعداد لهم ● وتنكير العذاب ووصفه لتفخيم الهائل الذاتي والوصفي ● يا ايها الذين آمنوا لا
يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ● كان الرجل اذا مات قريبه يلقي ثوبه على امرأته او على خبائها
ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق او على
الصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي
بما ورثت من زوجها ● وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل
لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات
عليه ● وقيل كانوا يمسكونهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بامساككم
وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على ان ترثوا بمعنى الوراثة ● وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف
وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه
بمالها وتختلع فقيل لهم ● ولا تعضلوهن عطفا على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي والخطاب للازواج
والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختبس ولدها في بطنها فخرج بعضه وبقي بعض اي ولا
ان تضيقوا عليهن ● لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ● اي من الصدقات بان يدفعن اليكم بعضه
اضطرارا فتأخذوه منهن ● وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا
وانما عبر عن ذلك بالذهاب لا بالاخذ ولا بالاذهاب لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به ● الا ان
يأتين بفاحشة مبينة ● على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين ● وقرئ على صيغة المفعول
وعلى صيغة الفاعل من ابان بمعنى بين اي بينة القبح من النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج واهله
بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم ● وقيل الفاحشة الزنا وهو استثناء من
اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي ولا يحل لكم عضلهن في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات
او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بها او الا لاتيانهن بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون
في طلب الخلع ● وعاشروهن بالمعروف ● خطاب للذين يسيئون العشرة معهن ● والمعروف ما لا ينكره الشرع
والمروءة ● والمراد هاهنا النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول ونحو ذلك ● فان كرهتموهن
وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن
بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن ● فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة
فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه ● وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير
الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح في الدين واحمد
عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم ● وذكر
الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب الخير

الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء
الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد
ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية وتنوين خيرا لتفخيمه
الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به هاهنا الولد الصالح **وان اردتم استبدال**
زوج اي تزوج امرأة ترغبون فيها **مكان زوج** ترغبون عنها بان تطلقوها **وآتيتم احداهن**
اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية باضمار قد لا معطوفة على الشرط اي وقد
آتيتم التي تريدون ان تطلقوها **قنطارا** اي مالا كثيرا **فلا تأخذوا منه** اي من ذلك القنطار
شيئا يسيرا فضلا عن الكثير **أتأخذونه بهتانا واثما مبينا** استئناف مسوق لتقرير
النهي والتنفير عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اي أتأخذونه باهتين وآثمين او للبهتان
والاثم فان احدهم كان اذا تزوج امرأة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها
ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل
في الفعل الباطل ولذلك فسر هاهنا بالظلم وقوله عز وجل **وكيف تأخذونه** انكار لاخذه اثر انكار
وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه لا سبيل له الى التحقق
والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشيء حال اصلا لم يكن له
حظ من الوجود قطعا وقوله عز وجل **وقد افضى بعضكم الى بعض** حال من فاعل تأخذونه مفيدة لتأكيد
النكير وتقرير الاستبعاد اي على اي حال تأخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر
المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك **واخذن منكم ميثاقا غليظا** عطف على ما قبله داخل
في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله تعالى عليهم واستحللتم فروجهن
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم شروع في بيان ما يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح
بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة في الزجر حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن
عباس رضي الله عنه وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك
واسم الآباء ينتظم الاجداد مجازا فتثبت حرمة ما نكحوها نصا واجماعا ويستقل في اثبات هذه الحرمة
نفس النكاح اذا كان صحيحا فاما اذا كان فاسدا فلا بد من اثباتها بالوطء او ما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة
ونحوها بل هو المثبت في حقيقته حتى لو وقع شيء من ذلك بملك اليمين او بالوجه المحرم تثبت به الحرمة عندنا
خلافا للشافعي في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وايثار ما على من للذهاب الى الوصف وقيل ما مصدرية
على ارادة المفعول من المصدر **من النساء** بيان لما نكح على الوجهين **الا ما قد سلف** استثناء
مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير
ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم الا من ماتت منهن
والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو
استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كأنه قيل لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذة
عليه لانه معفو [illegible] قوله تعالى **انه كان فاحشة ومقتا** فانه تعليل للنهي وبيان
لكون المنهي عنه في غاية القبح مبغوضا اشد البغض وانه لم يزل في حكم الله وعلمه موصوفا بذلك
ما رخص فيه لامة من الامم لا يلائم ان يتوسط بينهما ما يهون امره من ترك المؤاخذة على ما سلف منه **وساء**
سبيلا في كلمة ساء قولان احدهما انها جارية مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم

يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى
بئس الشراب اي ذلك الماء وثانيهما انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه وسبيلا
تمييز والجملة اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو
المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه وساء سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة
بذلك في الاعصار والامصار قيل مراتب القبح ثلاث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح
العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبح العقلي
وقوله ومقتا مرتبته قبح الشرعي وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة قبح العادي وما اجتمع
فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح **حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم**
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن
وما يقصد به من التمتع بهن بملك اليمين من المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض سياق
المعطوفات على نفسه يعرفهن ثبوته بدلالة النص لاتحاد المدار المذكور امتنع ورود ملك اليمين
عليهن ذاتا ولا حرمة بسبب الذي هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات
محليته لملك النكاح فانه حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا واما مورده
الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بتحقق محله ثم ان يزول او يقع العتق في المرأة التي بسبب
حرمتها بمحض القرابة النسبية كالمذكورات وبقي في المولى في محله مستتبع لحل الفصول
منه شرعا واما حال الوطء فليس من تلك الاحكام والتحريم في [illegible] عنه كما في المجوسية والامهات
تعم الجدات وان علون والبنات يتناول بناتهن وان سفلن والاخوات ينتظمن الاخوات
من الجهات الثلاث وكذا الباقيات العمة كل انثى ولدها من ولد والدك والخالة كل انثى
ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى **و**
امهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة انزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى
سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه اجداده واخته عمته
وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته
واختها خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولدها من غيره
فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي
جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام ابنه وام عمه وخالة الاب فليست حرمتهن
من جهة النسب حتى يحل بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة الا ترى ان الاولى
موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده
الفاسد **وامهات نسائكم** شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة بعد الشروع في بيان المحرمات
من الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا بهن
او لا وعليه جمهور العلماء وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل
ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس
العقد وعن مسروق انها مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله خلافا لما روي
عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرؤوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن
وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف
على بنتها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب

المهر والعدة ويلحق بهن الموطوآت بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظائرهن والامهات تعم الجدات حسبما ذكر وربائبكم اللاتي في حجوركم الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعني بكونهن في الحجور فانه شانهن الغالب المعتاد وان لم يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر اولا ولا خلاف فيما في قوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانه لتقييد عليه قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم اي كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من امهات او مما اضيفت هي اليه خاصة وهو بين لا سترة به ولا معه ومع ما ذكر اولا لان حاليته من ربائبكم او من غيرها يقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات نسائكم يستدعي كونها بيانية وامتناع كونها اتصالية متسعة لمعنى الابتداء والبيان وجعل الموصول صفة للنساءين مع اختلاف عامليهما مما تنزه عنه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه سعي في ابطال ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قيل واما ما نقل عن القراءة فضعيفة الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره كما مر فان لم تكونوا دخلتم بهن اي فيما قبل اصلا فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وتصريحه بما اتم به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه وحلائل ابنائكم اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمهن من بنات ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطء بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى الافضاء الى الوطء ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئ احداهما لا يحل له وطء الاخرى حتى يحرم عليه وطء الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته الموطوءة لا يحل له وطء احداهما حتى يحرم عليه الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكأنه جمعهما وطئا واسناد الحرمة الى الجمع لا الى الداخلة منهما بان يقال واخوات نسائكم لما ان حرمتهن ليست مؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه مما يعرف بعين الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها ونظائرها فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام وقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اختها ولا على ابنة اخيها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز الزيادة به على الكتاب الا ما قد سلف استثناء منقطع اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا سبيل الى جعله متصلا لقصد التأكيد بالمبالغة كما مر فيما سلف لان قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما تعليل لما افاده الاستثناء فيحتم

الانقطاع

الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه الا ما كان من يعقوب عليه الصلاة والسلام فانه قد جمع بين ليا ام يهودا وبين راحيل ام يوسف عليهما السلام ولا يساعده التعليل لان فعل يعقوب عليه الصلاة والسلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله الا امرأة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبد الله عن محمد بن الحسن رحمهما الله انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امرأة الاب والجمع بين الاختين الا ترى انه عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد وانما غاير لاختلاف التعليلين والمحصنات بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج والاولياء اي اعففهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن او احصن ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الاولى ايضا وبفتح الصاد يحمل على الشذوذ كما في نظيريه ملقح ومسهب من الفج واسهب قيل ورد الاحصان في القرآن بازاء اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الآية الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى من النساء متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات من النساء وفائدته تأكيد عمومها لا دفع شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم الا ما ملكت ايمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي ملكتموهن واسناد الملك الى الايمان لما اشتهر من غالب الصفقة الواقعة بها فقد انتهى ذلك في الارقاء لا سيما في الاماء وهن المرادات هاهنا رعاية للمقابلة بينهن وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهذا انما يتحقق عموم صلتها فان الاستثناء حينئذ لاخراج جميع افرادهن من حكم النوع بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات اللاتي ملكتموهن لانهن لسن من المحرمات على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرايين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي بغير ملككم لهن واما حلهن بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من سياق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك انما يجري في الاستثناء قطعا وانما عدهن من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بتباين الدارين او بالسبي على الخلاف الرايين فبناء على اعتقاد الناس حيث كانوا يعتقدون الفرقة الا يرى ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه من انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية عنه نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فحل لنا وطؤهن بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الآية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له لان ذلك انما يتوقف على افادتها اياه بوجه من وجوه الدلالة لا على افادتها بطريق العبارة او نحوها وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال انها نزلت في نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن مهاجرين فنهى عن نكاحهن والمحصنات حينئذ

عبارة عن مهاجرات يتوقع او يتحقق من ازواجهن الاسلام والمهاجرة وكذلك لم يتناولهن
اسم الاحصان والنهي لتحريم المحقق وتعرف حال المتوقع والا فما عداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق
اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحادهما
في الدين فلان ينقطع بين المهاجرة وزوجها الحربي اولى كما يفصح عنه قوله عز وجل فان علمتموهن
مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية كتاب الله مصدر
مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرض فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي
الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر
مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او بنفس عليكم على رأي من يجوز تقديم المنصوب
في باب الاغراء كما في قوله يا ايها المائح دلوي دونكا اني رأيت الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله بالجمع
والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على حرمت
عليكم الى آخره وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات
المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت الخ
فانهما جملتان متناسبتان مسوقتان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف
المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعدما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم
اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم
الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط للتذكير بما في كل واحدة
منهن من العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة
فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة
كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل
الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها بطريق الجمع الا ترى الى تحريم نكاح المعتدة والمطلقة
ثلاثا وتحت الخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا يباح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل
وبعد تطليق الخامسة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وان تحقق بان
الحل يجب ان يتعلق هاهنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل
به هاهنا ايضا ان تبتغوا متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتيهما
بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا
باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء باموالكم بصرفها الى مهورهن
او بدل اشتمال مما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين حال من فاعل تبتغوا والاحصان
العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين حال ثانية منه او
حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض منه
ومفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان
المحصن غير مسافح البتة وما في قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن اما عبارة عن النساء
او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها
صلتها وايا ما كان فهي مبتدأ خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على
الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى فآتوهن اجورهن والفاء لتضمن الموصول
معنى الشرط على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد الى المبتدأ هو الضمير المنصوب في فآتوهن سواء كانت

شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور في به
فالمعنى فاي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن
فآتوهن اجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع
ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن من الافعال فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع
والعائد الى المبتدأ محذوف والمعنى اي فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما
او فالفعل الذي استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فآتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته
والمراد بالاجور المهور فانها اجور الابضاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر
محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة اي فرضن عليكم ولا جناح عليكم فيما
تراضيتم به اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله فان طبن
لكم عن شيء منه نفسا فكلوه اثر قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن وقوله الا ان يعفون وتعميمه لما
في المسمى لا يساعده رفع الجناح عن الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل الخطاب للازواج
تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة
ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله تعالى من بعد الفريضة اذ لا تعلق لهما بالفريضة
الا ان يكون الفراق بطريق المخالفة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم او
اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة واستمتاعها بما يعطي وقد ابيحت ثلاثة
اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم
مرتين وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك
من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما فيما شرع لهم من الاحكام
ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم ومن لم يستطع منكم من اما شرطية ما بعدها
شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع اي حال كونه
منكم وقوله تعالى طولا اي غنى وسعة او اعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل مفعول ليستطع
وقوله عز وجل ان ينكح المحصنات المؤمنات اما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون
شائع ذائع كما في قوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كأنه قيل ومن لم يستطع منكم ان
ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اي ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل النصب
صفة لطولا اي طولا موصلا اليه او كائنا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول
والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حذف الجار نصب عند سيبويه
والفراء وجر عند الكسائي والاخفش واما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول
ليستطع وطولا مصدر مؤكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هي الطول او تمييز اي ومن لم يستطع منكم
نكاحهن استطاعة او من جهة الطول والغنى اي لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك
الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن
عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وجل فمما ملكت ايمانكم
اما جواب للشرط او خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله
وما موصولة اي فلينكح امرأة او امة من النوع الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف
وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية اي فلينكح امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من
زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر اي فلينكح ما ملكت ايمانكم وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات

في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما وقيل هو مفعول للفعل المقدر على زيادة
من وما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن للابتداء او للغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اي
فلينكح فتياتكم كائنا بعض ما ملكت ايمانكم والمؤمنات صفة للفتيات على كل تقدير وقيل هو المفعول
للفعل المقدر ومما ملكت على ما تقدم آنفا ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف وهو ظاهر النظم الكريم يفيد
عموم عدم جواز نكاح الامة للمستطيع كما ذهب اليه الشافعي رحمه الله تمسكا بالعمومات فمحل الشرط والوصف
هو الافضلية ولا نزاع فيها لاحد وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال وقد وسع الله على هذه
الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم
جملة معترضة جيء بها لتانيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان ان مناط
التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز وجل يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم والمعنى انه تعالى
اعلم منكم بمراتبكم في الايمان الذي به ينتظم احوال العباد وعليه يدور فلك الصلاح في المعاش والمعاد
ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله بعضكم من بعض ان
اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم في ذلك وان
اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكد للتانيس من جهة اخرى والخطاب في الموضعين اما
كما في الخطاب الذي يعقبه قد روعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام
بالترغيب والتانيس واما للمسلمين كالخطابات السابقة لحصول الترغيب بخطابهم ايضا
واما ما كان فاعادة الامر بالنكاح على صيغة الخطاب في قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه من قوله تعالى
فمما ملكت ايمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى باذن اهلهن ولتصديره
بالفاء الجزائية لترتيبه على ما قبله اي واذا قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا
تتفوقوا عليهن وفي اشتراط اذن الموالي دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له وآتوهن
اجورهن اي مهورهن بالمعروف متعلق بآتوهن اي آتوهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى
الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورته ان يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون
ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهر لهن وقيل اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف واوصل الفعل
الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن اي حال كونهن عفائف عن الزنا غير مسافحات
حال مؤكدة اي غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان عطف على مسافحات ولا لتاكيد ما في غير من معنى
النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد خدن وخدين
والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان
اي غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين
فاذا احصن اي بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل اي احصن فروجهن وازواجهن فان
اتين بفاحشة اي فعلن فاحشة وهي الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعا نصف ما على
المحصنات اي الحرائر الابكار من العذاب من الحد الذي هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو
كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر فالفاء
في فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان والشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك
اذا اتيتني فان لم اكرمك فعبدي حر ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم اي لمن خاف وقوعه
في الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر واستعير لكل مشقة

وضرر معنوي

وضرر معنوي للانسان يفيد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم بارتكاب افحش القبائح
وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد والاول هو اللائق بحال المؤمن دون
الثاني لايهامه ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اي عن نكاحهن متعففين كافين
انفسكم عما تشتهيه من المعاصي خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه
من تعريض الولد للرق قال عمر رضي الله عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد
بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر
ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه
من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة
وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا
تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه الصلاة والسلام الحرائر
صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن
ما في ذلك من الامور المنافية لحال المؤمنين رحيم مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن
يريد الله ليبين لكم استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج
المهتدين من الانبياء والصالحين قيل اصل النظم الكريم يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتاكيد
معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السياق اي يريد الله ان يبين
لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول
يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب
البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهي وما بعدها
مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد تقام مقام ان في فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب وان
اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا
وقال تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع وامرت ان اسلم وفي آخر وامرت لاعدل بينكم اي ان اعدل بينكم
وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام هي الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان
اي امرنا بما امرنا للتسليم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذي قبل اللام بمصدر
مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي ارادتي للتبيين ونسب
هذا الراي الى بعض البصريين ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا
بهم ويتوب عليكم اذا انبتم اليه تعالى عما وقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتم به
من الشرائع فان المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى
ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته فيمن لم يتب
منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ في العلم بالاشياء التي من
جملتها ما شرع لكم من الاحكام حكيم مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب
عليكم جملة مبتداة مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريده الفجرة لا لبيان ارادته
تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة
على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات للاشارة الى الحدوث
وللايماء الى كمال المباينة بين مضموني الجملتين كما مر في قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا الآية والمراد
بمتبعي الشهوات الفجرة فان اتباعها الائتمار بها واما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع

له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا ينكحون الاخوات من الاب وبنات الاخ
وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام
فانكحوا بنات الاخ وبنات الاخت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات
وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون ميلا عظيما اي بالنسبة
الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر من الرخص
ما في عهدتكم من مشاق التكاليف والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان ضعيفا
عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم
قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن رحمه الله ان المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة
اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاماء وليس لضعف البنية مدخل
في ذلك وانما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في امر النساء خاصة
حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء وقرئ
ابن عباس رضي الله عنهما وخلق على البناء للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رضي الله عنه ثمانية آيات
في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم يريد الله ان يتوب
عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل
الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل شروع في
بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب
بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة
والخيانة والقمار وعقود الربا وغير ذلك مما لا يبيحه الشرع اي لا ياكل بعضكم اموال بعض بغير طريق
شرعي الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة
اي الا ان تكون تجارة صادرة عن تراض كما في قوله اذا كان يوما ذا كواكب
اشنعا اي اذا كان اليوم يوما ذا كواكب او الا ان تكون الاموال اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان
كان تامة اي ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه
وتخصيصها بالذكر من بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها وغالبها وقوعا واوفقها لذوي المروءة
قيل المراد بالتراضي مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا
وعند الشافعي رحمه الله حالة الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا انفسكم اي من كان من جنسكم من
المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رحمه الله لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة
في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف
ما يفضي اليه فانه القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي
السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات وقيل
بالقاء انفسكم في التهلكة ويؤيده ما روي عن عمرو بن العاص انه تاوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله
عليه وسلم وقرئ لا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه
شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة
وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل للنهي بطريق الاستئناف اي مبالغا في الرحمة والرافة ولذلك
نهاكم عما نهى فان ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي وبالذين هم في معرض التعرض لهم في حفظ اموالهم

والفسهم

وانفسهم وقيل معناه ان الله كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة
لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل خاصة
او الى ما قبله من اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهما في الفساد عدوانا وظلما
اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم
الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية اي متعديا وظالما او للعدوان
والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه نارا جواب الشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد
من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك
من حيث انه سبب للصلي نارا اي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب وكان ذلك اي اصلاؤه
النار على الله يسيرا لتحقق الداعي وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية
المهابة وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اي كبائر الذنوب التي
نهاكم الشرع عنها مما ذكر ههنا ومما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم بنون العظمة على
طريقة الالتفات وقرئ بالاسناد بالياء اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب
ازيد او بتوبة اي نغفر لكم سيئاتكم صغائركم ونمحها عنكم قال المفسرون الصلاة الى الصلاة والجمعة الى الجمعة
ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنبت الكبائر واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة
كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا
والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله عنه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد
ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى
سبعمائة اقرب منها الى سبعة وروي عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل
اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة
الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر
حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا
يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب وندخلكم مدخلا بضم الميم
اسم مكان كريما اي حسنا مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا
يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلا او دخولا
كريما كما في قوله تعالى وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا
مسحتا الى آخره ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي عليكم ولعل ايثار الابهام عليه
للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل
وقتل النفس عقبه بالنهي عما يؤدي اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لها
بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا
ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الاموال الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس بينكم
فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاطلاع بجلائل شؤونهم
ودقائقها فعلى كل احد من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما
انه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكم البالغة لا لان عدم تحوله ولا لانه لو كان تحوله
لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سياتي من الامر بالسؤال من فضله تعالى فان تعلق بالمنهي عنه

تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل النهي بقوله عز وجل **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** فانه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه تاكيدا لاستحقاق كل منهما للنصيب وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى الغير فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور قوله تعالى **واسئلوا الله من فضله** عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيب مكتسب له واسئلوا الله تعالى من خزائن نعمه التي لا تنفد وحذف المفعول الثاني للتعميم اي واسئلوا ما تريدون فان الله تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي واسئلوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسئلوا فضله وقد جاء في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسئلوا الله من فضله فانه يحب ان يسئل وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته جعل سببا للنزول لما روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا يتمن النساء خصوصية اجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بهن من الاجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال **ان الله كان بكل شيء عليما** ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الالهية **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون** جملة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتاكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحوزونها انصباء وهم حسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة وقد ترك بيان الكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف اليه اعني ولكل قوم جعلناهم موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي كانه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون كما لا يتناولهم الوالدان **والذين عقدت ايمانكم** هم موالي الموالاة كان الحليف يرث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد

والمعنى

والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وما تضمنه هو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعني قوله تعالى **فآتوهم نصيبهم** بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فآتوهم الخ جملة مبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي **ان الله كان على كل شيء** من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع **شهيدا** ففيه وعد ووعيد **الرجال قوامون على النساء** كلام مستأنف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان بعراقتهم في الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي شانهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلى ذلك مذهبي وكسبي **بما فضل الله بعضهم على بعض** الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او متلبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا ولذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الراي ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك **وبما انفقوا من اموالهم** الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اي وبسبب انفاقهم من اموالهم او بسبب ما انفقوه من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوه في المهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضي الله عنه نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال عليه الصلوة والسلام اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير **فالصالحات** شروع في تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات منهن **قانتات** اي مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج **حافظات للغيب** اي بموجب الغيب اي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج والاموال عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها للاشعار بان ماله في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الآية **بما حفظ الله** ما مصدرية اي بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اي بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اي بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال **واللاتي تخافون نشوزهن** خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدها اي تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض **فعظوهن** فانصحوهن بالترغيب والترهيب **واهجروهن** بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة **في المضاجع** اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتات اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع **واضربوهن**

ان لم ينجع ما فعلتم من الملاطفة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر
لانه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اي فازيلوا عنهن التعرض
واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا
فاحذروه فان الله تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم وان الله تعالى على علو شانه يتجاوز عن
سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى
متكبر عن ان يظلم احدا او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغي
ان يتحقق او يفرض تحققه وان الذي يتوقع من قبلهن ويليق بشانهن لا سيما بعدما كان من الزواجر الاطاعة
فلذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها وان خفتم شقاق بينهما
تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعني عدم
الاطاعة المؤدي الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق
على الآخر واما لان كلا منهما في شق اي جانب غير شق الآخر والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رضي الله
عنهما والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى
الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف على طريقة
اجرائه مجرى المفعول به كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار او مجرى الفاعل كما في قوله نهارك صائم اي ان علمتم او ظننتم تأكد
المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها فابعثوا الى الزوجين لاصلاح ذات البين حكما رجلا وسطا
صالحا للحكومة والاصلاح من اهله من اهل الزوج وحكما على صفة الاول من اهلها فان الاقارب
اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز
واختلف في انهما هل يليان الجمع والتفريق ان رأيا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروي عن علي رضي الله تعالى
عنه وبه قال الشعبي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالعا اذا كان الصلاح
فيه ان يريدا اي الحكمان اصلاحا اي قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة
لوجه الله تعالى يوفق الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة والقى في نفوسهما المودة
والرأفة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك مما لا ينبغي ان يفرض
صدوره عنهما وان الذي يليق بشانهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب
للحكمين في الاصلاح وتحذير عن المساهلة لئلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية
الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل
كلا الضميرين للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل
كلاهما للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق
وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله تعالى لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر
والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدأ
مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق
الازواج وصدر بما يتعلق بحقوق الله تعالى التي هي آكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شان حقوق
الوالدين بنظمها في سلكها كما في سائر المواقع وشيئا نصب على انه مفعول اي لا تشركوا به من الاشراك
من الاشياء صنما او غيره او على انه مصدر اي لا تشركوا به من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا
اي احسنوا بهما احسانا والجار ذي القربى اي الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال
بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذي القربى والجار الجنب اي البعيد

والذي لا

والذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار
وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد وهو حق
الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ والجار الجنب والصاحب بالجنب اي الرفيق في امر حسن
كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد او
مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه وقيل هي المرأة وابن السبيل هو المسافر
او المنقطع به او الضيف وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا
اي متكبرا يأنف من اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة
تعليل للامر السابق الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ
بفتح الاول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين
او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة ويكتمون ما
آتاهم الله من فضله اي من المال والغنى او من نعوته صلى الله عليه وسلم التي بينها لهم في التوراة
وهو انسب بامرهم الناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها ويأمرون اعقابهم بكتمها واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر بنعمة الله
تعالى ومن كان كافرا بنعمة الله تعالى فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية
نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى
عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اي للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء
وجه الله وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف
الذي هو الانفاق فيما لا ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستتباع الذم
ويجوز ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن
الهمام وليث الكتيبة في المزدحم او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كانه
قيل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه
تعالى وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اي فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره
واستغنائه عن التصريح به والمراد ابليس واعوانه حيث حملهم على تلك القبائح وزينها لهم كما في قوله
تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار
وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي على ما ذكر من الطوائف ابتغاء
لوجه الله وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الآخر
فانه يقتضي ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اي وما الذي عليهم او واي تبعة
ووبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد
في الشيء خلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد
الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف
اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الايمان بهما لاهميته في نفسه ولعدم الاعتداد بالانفاق
بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء الناس على عدم ايمانهم بهما مع كونه متأخرا عنه في الوجود فلرعاية المناسبة
بين انفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وامرهم للناس به وكان الله بهم عليما وباحوالهم المحققة

فهو وعيد لهم بالعقاب وباعمالهم المرفوضة فهو بيان لاثابة الله تعالى اياهم لو كانوا قد آمنوا وانفقوا
كما ينبئ عنه قوله تعالى **ان الله لا يظلم مثقال ذرة** المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه
على انه نعت للمفعول القائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشيء في غير موضعه اي لا ينقص من
الاجر ولا يزيد في العقاب مثل مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر المحذوف نائب منابه اي لا يظلم ظلما
مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة فان قلت في
الثقل اظهر في قلة النمل تقية وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه ادخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة
من هؤلاء ذرة **وان تك حسنة** اي وان تك مثقال الذرة حسنة وانث لتأنيث الخبر او لاضافته الى
الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة
بالرفع على ان كان تامة **يضاعفها** اي يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على
كمال الاتصال بينهما كانهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى وقرئ نضاعفها بنون العظمة على طريقة
الالتفات عن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك انك تقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة
لا بل سمعته يقول يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد **اجرا**
عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه **فكيف** محلها اما رفع على
انه خبر لمبتدأ محذوف واما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأي سيبويه او على التشبيه
بالظرف كما هو مذهب الاخفش اي فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون **اذا**
جئنا يوم القيامة **من كل امة بشهيد** من الامم يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح
الاعمال وهو نبيها كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم جئنا والعامل في الظرف مضمون المبتدا
والخبر من هول الامر وعظم الشأن والفعل المقدر من متعلقه مجيئا **وجئنا بك** يا محمد **على هؤلاء** اشارة
الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر **شهيدا** تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك مجامع
قواعدهم وقيل الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء
على اممهم وقيل الى المؤمنين كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا **يومئذ**
يود الذين كفروا وعصوا الرسول استئناف لبيان حالهم التي اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى
فكيف فالمراد بهم المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لاستيعاب الاشارة
اليهم بهؤلاء لذمهم بما في حيز الصلة والايذان بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والامر الهائل وايراده
عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به
ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا وقيل اريد بالرسول
جنس الرسول المنتظم للنبي صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا فايا ما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع
الحال ما لا يخفى قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة والمراد بمعاصيهم
المغايرة لكفرهم وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير
كفروا وقيل صلة لموصول آخر اي يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول او الذين كفروا وقد
عصوا الرسول او الذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في قوله تعالى **لو تسوى بهم الارض** ان جعلت
مصدرية فالجملة مفعول ليود اي يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم
يبعثوا ولم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وان جعلت حرفية
على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف

ايذانا بانها

ايذانا بنهاية استظهاره اي لسروا بذلك وقوله تعالى **ولا يكتمون الله حديثا** عطف على يود اي ولا
يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا في الارض وهم لا
يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم
الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى
على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى
يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهى في السلف عن الاشراك
به تعالى نهى هاهنا عما يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما
وشرابا حين كانت الخمر مباحة فدعى نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فاكلوا وشربوا حتى
ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام
بالنداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي الى قربان الصلاة مع ان المراد هو النهي
عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام
جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى **حتى تعلموا ما تقولون** فالمعنى لا
تقيموها في حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولون اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون
ما سيقرؤونه في الصلاة وحمل ما يقولون على ما في الصلاة يستدعي تقدم الشروع فيها فعلى تعلق
النهي وحمل العلم عليها بالعلم على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقرؤونه في الصلاة تطويل
بلا طائل لان تلك التجربة انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان اشارتها تقول لا تعلموا ما تقرؤون حينئذ
يكون عاريا عن الدليل وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وايا ما كان فليس مرجع
النهي هو المقيد مع بقاء القيد بل هو القيد مع بقاء المقيد على حاله لان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا كانه قيل يا ايها الذين آمنوا لا تسكروا في اوقات الصلوة وقد روي انهم كانوا
بعد ما نزلت الآية لا يشربون الخمر في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد
ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون **ولا جنبا** عطف على قوله وانتم سكارى فانه في محل النصب كانه
[illegible]

حقه ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بادنى مراتب التزكية
عند اتيانه اياها **وان كنتم مرضى** شروع في تفصيل ما اجمل في الاستثناء وبيان لما هو في حكم
المستثنى من الاعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الترخيص للاشعار
بانه العذر الغالب المبني على الضرورة التي عليها يدور امر الرخصة كما قيل ولا جنبا الا مضطرين
فاليه يرجع ما قيل من انه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من
استعمال الماء مطلقا سواء كان لاجل انه يتعذر الوصول اليه او يتعذر استعماله **او على سفر** عطف
على مرضى اي او كنتم على سفر ما طال او قصر وانما ذكرهما مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء
الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته بخلاف الاستثناء كما اشير اليه فبمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا
عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه لما له من الاصالة والاستقلال بالاحكام لا يوجد في غيره
كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه **او جاء احد منكم من الغائط** هو المكان المطمئن
فالمجيء عنه كناية عن الحدث لان المعتاد لمن يريده ان يذهب اليه ليواري شخصه عن اعين الناس واسناد
المجيء منه الى واحد مبهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن
التصريح به وكذلك ايثار الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل **او لامستم النساء** على التصريح بالجماع
ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما
بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى **فلم تجدوا ماء** بل هو السبب في الحقيقة وانما ذكرا
تمهيدا له وتنبيها على انه سبب الرخصة بعد انتفاء سبب الرخصة الصغرى والكبرى كانه قيل
او لم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين لشيء من الاسباب مع لحوق ما يوجب استعماله وتخصيص
ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في صورة المرض والسفر ايضا لندرة وقوعها فيها واستغنائهما عن ذكره
اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فعلم من حكمها حكم الحدث الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا
تقربوا الصلاة في حالة الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان كنتم مرضى الخ واما لما قيل من
ان عموم اعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن
عن ذكره لفظا وما قيل من ان هذا القيد راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهير المكنى عنه بالمجيء من الغائط
والملامسة معتبر في الكل فما لا يساعده النظم الكريم **فتيمموا صعيدا طيبا** فتعمدوا شيئا
من وجه الارض ترابا او غيره ولذلك تحرى الاتيان عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك
طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله لا بد ان يعلق باليد شيء من التراب
فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي الى المرفقين لما روي انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه
الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيقدر بقدره **ان الله كان عفوا غفورا** تعليل للترخيص
والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخطايا ويغفر للمذنبين لا بد ان يكون
ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عن الترخيص فان التيسير والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران **الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب** كلام مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير
عن موالاتهم والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه اليه ههنا مع توجيهه فيما
بعد الى الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة حالهم وانها لا خفاء بان يشاهدها ويتعجب من حالها وتنوير
كونها قلبية معلقة الى التعجب بما معنى الا انها لكمال تقرره يابانه منزلة منزلة الامور المشاهدة ونظمها في سلك
الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في حبرين من
احبار اليهود كانا ياتيان راس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه رضي الله

عنه ايضا انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب التوراة وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما اوليا يأباه
المساق وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله
عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها
والمحافظة عليها للايذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوين نصيبا تفخيمي مؤيد للتشنيع
عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار
بمكان ما طوي ذكره من المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة
اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية اي نصيبا
كائنا من الكتاب **يشترون الضلالة** قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا ولا ريب في ان اعتبار
تقدير اشترائهم المذكور في الايتاء مما لا يليق بالمقام وقيل حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال
اشترائهم الخ والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم انه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار
التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبني على سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا
يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك
لما ان ذكر الاشتراء ينبئ عنه والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال
السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في
الضلالة التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض واعراضهم عن الهدى التي يتنافس فيها المتنافسون
وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صور حالهم بصورة
ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة لجنسها الحاصل لهم من قبل التحمل
بمعنى الاشتراء للشيء بل ما اخذوها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعدما علموا
بشأن النبي صلى الله عليه وسلم وتيقنوا حقية دينه وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة
ولا ريب في ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد حقق في اوائل سورة البقرة **ويريدون** عطف
على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي
فان تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدده نفسه وتكرره اي لا يكتفون بضلال انفسهم
بل يريدون بما فعلوا من كتمان النعوت تصلى الله عليه وسلم **ان تضلوا** انتم ايضا ايها المؤمنون **السبيل**
المستقيم الموصل الى الحق **والله اعلم باعدائكم** اي منكم جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم
لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او انه اعلم بحالهم ومآل امرهم والجملة معترضة
لتقرير ارادتهم المذكورة **وكفى بالله وليا** في جميع اموركم ومصالحكم **وكفى بالله نصيرا** في كل المواطن
فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره ولا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى
يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيدة في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال
الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع اظهار الجلالة في كل منهما للاعتناء بالتصريح والاشعار بعلية الحكم فان
الالوهية من موجباتها الاحاطة **من الذين هادوا** قيل هو بيان للذين وما بينهما اعتراض وفيه انه
لا وجه للتخصيص بطائفة من اعدائهم لاسيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق
وانتظام ما هو المقصود في المقام انتظاما اوليا كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيرا اي ينصركم
من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه ما فيه من التحجير لواسع نصرته عز وجل
لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء لان ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو

خبر مبتدأ محذوف وقع قوله تعالى **يحرفون الكلم عن مواضعه** صفة له اي من الذين هادوا قوم او فريق
يحرفون الكلم وفيه ما يقتضي ان يكون الفريق الثاني بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم الحقيقة
فالذي يليق بشأن التنزيل الجليل ان يكون بيانا للموصول الاول بحسب المفهوم لاهل الكتابين قد توسط بينهما ما توسط
لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجب والمسارعة الى تنفير المؤمنين وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام
بحمل ما هو الشفقة بالسعي وحمل والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان
لاشترائهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالاتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل
اثر الاجمال روما لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده كلمة كتمر وتمرة وتذكير ضميره باعتبار
افراده لفظا وجمعيته مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف
كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد بها هنا اما ما في التوراة خاصة واما ما هو اعم منه ومما سيحكى
عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما
لان اخذ ذلك بمحاذاة خاصة بان يجعل عطف قوله تعالى **ويقولون سمعنا وعصينا** الخ على الخبرية
تفسيرا لما استفيد على الاخر فان ابدية لاول محاز اي عليهم بن يحرفونه ازاله عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها
من التوراة كتحريفهم في نعت النبي صلى الله عليه وسلم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بان وضعوا مكانه
آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفهم عن المعنى الذي انزل الله تعالى فيه الى ما لا صحة
له بالتأويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني فالمراد بتحريفه ازالته عن مواضعه
مطلقا سواء كان ذلك بتغييره تعالى صريحا لما في التوراة او بتغيير العقل والدين او بما غيره
واما ما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي ان يجري على اطلاقه من غير تقييد بزمان او مكان ولا تخصيص
بمادة دون مادة بل ان يحمل على ما هو اعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج
ما نطقت به السنتهم عند تحريف التوراة فان من لا يتقيد بتلك العظيمة لا يكاد يتحاشى عن مثل هذه
الجناية والاخلاء ما قالوه في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم من القبائح خاصة ليستدعي اختصاص حكم
الشرطية الآتية بما تعلقها به من غير تعرض لتحريفهم التوراة مع انه معظم جناياتهم المعدودة ومن ههنا
كشف لك السر في الوجود فتأمل اي يقولون في كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي صلى الله
عليه وسلم او لا بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا عنادا وتحقيقا للمخالفة وقوله تعالى
واسمع غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول اي ويقولون ذلك في اثناء مخاطبته عليه
الصلاة والسلام خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما
تضدك بصمم او موت او بدعو عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ يجوز ان يكون نصبه على
المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به
مظهرين له عليه الصلاة والسلام ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به
وراعنا عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم له عليه الصلاة والسلام هذا ايضا وهو ذو وجهين
كاخويه من العظائم الثلاث في مواضعها فهو ايضا كلام ذو وجهين محتمل للخير على معنى ارقبنا او انظرنا نكلمك
وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون
بها وهي راعينا كانوا يخاطبون به عليه الصلاة والسلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير
والاحترام وتصيرهم الى مسلك النفاق والقولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان في الاول لما قالوا ان جميع
الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم
وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به **ليا بالسنتهم** اي فتلا بها

وصرفا للكلام

وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا سمعت مكروها واجروا راعنا
المشابهة لراعنا مجرى انظرنا او فتلا واضمارا لما يظهرون له من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه
من السب والتحقير **وطعنا في الدين** اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية
ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك بصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في
الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين **ولو انهم قالوا** عندما سمعوا امرا وامر القرآن او نهيه
بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا **سمعنا واطعنا** انما اعيد سمعنا مع تحقق
في كلامهم لكنها لما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا لا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدم
عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلامهم ان عصيانهم للامر بعد سماعه والوقوف
عليه فلا بد من ازالته واقامة سماع القبول مقامه **واسمع** اي لو قالوا عند مخاطبة النبي صلى الله عليه
وسلم بدل قولهم اسمع غير مسمع **وانظرنا** اي لو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا لسوء نحت كلامهم شرا وفسادا
اي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال **لكان** قولهم ذلك **خيرا لهم** مما قالوا **واقوم** اي اعدل
واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل الفضل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم
او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وفائدته في الاول بيان حاله بالنسبة اليهم وعلى الثاني في نفسه لان
هي مقصودة قطعا ينفعهم **ولكن لعنهم الله بكفرهم** اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم
فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك **فلا يؤمنون** بعد ذلك **الا قليلا**
قيل اي الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل والا زمنا قليلا وهو زمان الاحتضار
فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال الله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما
ليس بايمان قطعا وقد يجوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى اي لا يؤمنون الا ايمانا معدوما ايمانا لم يحدثوا شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال
وانت خبير بان الكل بمعزل مما يقتضيه المقام من الامر بالايمان بالقرآن لا تلائم هذا الافصاح الى التعليق بالمحال
الذي هو ايمانهم بعد عدم ايمانهم المستمر اما على الوجه الاخير فظاهر واما على الاولين فلان المحكوم
عليه الايمان الشرعي بجميع الكتب والرسل لكيف ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعد ايمانهم
الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من بعد ذلك لكن لا يحمل المستثنى منه ضمير الفاعل
فلا يؤمنون لاقتضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذلهم ما لا يبقى بالقرآن الا باتفاق على تغيير
المجاز بل يجعل ضمير المفعول في لعنهم الله اي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد
عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام واضرابه كما سيأتي **يا ايها الذين
اوتوا الكتاب** تلوين للخطاب وتوجيه له الى من حكيت احوالهم واحوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم
تارة بايتاء الكتاب اي التوراة واخرى بايتاء نصيب منها للتوفية كل من المقامين حظه
فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة ما اوتوا مقابلتها بالتحريف وليس ما اوتوه
بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه واما ههنا فالمقصود تاكيد ايجاب الامتثال بالامر الذي
يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه والكفر
بالثاني مقتض للكفر بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر بالتوراة نفسها
لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضها ضرورة
ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما انهم والى غيرهم قاطبة ولما كان
فتفصيلنا ما فصلناه لما ان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلال عقب ذلك الامر

بالمبادرة إلى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل آمنوا بما نزلنا
من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل مصدقا
لما معكم من التوراة عبر عنها بذلك للإيذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فإن المعية المستدعية
لدوام تلاوتها وتكرار المراجعة إليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي إلى العلم بكون القرآن
مصدقا لها ومعنى تصديقه إياها نزوله حسبما نعت لهم فيها أو كونه موافقا لها في القصص والمواعيد
والدعوة إلى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وأما ما يتراءى من مخالفته لها
في جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأمم والأعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة
من حيث إن كلا منها حق بالإضافة إلى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر
نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر على نزول المتقدم لوافق المتقدم قطعا
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي من قبل أن نطمس وجوها
متعلق بالأمر مفيد للمسارعة إلى الامتثال به والجد في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد
الشديد الوارد على أبلغ وجه وآكده حيث لم يعلق وقوع الموعود بهم بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه
عندها تنبيها على أن ذلك أمر محقق غني عن الإخبار به وأنه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين
وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي إبهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم إلى
الإيمان. وأصل الطمس محو الآثار وإزالة الأعلام أي من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها
قال ابن عباس رضي الله عنهما نجعلها كخف البعير أو كحافر الدابة. وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله
تعالى فطمسنا أعينهم. وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على أدبارها فنجعلها
على هيئة أدبارها وأقفائها مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب أو ننكسها بعد الطمس فنردها إلى موضع
الأقفاء والأقفاء إلى موضعها وقد اكتفى بذكر أشدهما والفاء للتعقيب. وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على أن
الطمس بمعنى مطلق التغيير أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلب إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم
صغارهم وإدبارهم أو نردهم من حيث جاؤوا منه وهي أذرعات الشام فالمراد بذلك إجلاء بني النضير
ولا يخفى أنه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد
اختلف في أن الوعيد هل هو كائن بوقوعه في الدنيا أو في الآخرة فقيل بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي
أن عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل أن يأتي أهله فأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يحول وجهي في قفاي
وروي أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه وقال ما قال. وكذا ما روي أن عمر رضي
الله عنه قرأ هذه الآية على كعب الأحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب أسلمت مخافة أن يصيبه وعيدها
ثم اختلفوا فقيل إنه منتظر بعد ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد. وقيل [illegible]
الوعيد على أكابرهم وهم الذين باشروا أسباب نزوله وموجبات تحققه حيث شاهدوا شواهد
النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوها وفي التوراة فحرفوها وأصروا على الكفر والضلال
وتعلق بهم الشأن [illegible] بالوعيد ثم بقوله على من وجد بعدهم من المتسببين من أعقابهم الضالين بإضلالهم
العاملين بما مهدوا من قوانين الضلال بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم. وقيل إن وقوعه كان مشروطا
بعدم الإيمان وقد آمن من أحبارهم كعبد الله بن سلام وأضرابه فلم يقع. وقيل إن إسلام بعضهم لم يكن سببا
لتأخير نزول العذاب على الباقين لتشديدهم التكبر والعناد بعد ازديادهم بالحق وضوحا وقيام الحجة
عليهم بشهادة أماثلهم العدول فلأن لا يكون سببا لرفعه عنهم. وقيل كان الوعيد بوقوع

أحد الأمرين

لأحد الأمرين كما ينطق به قوله تعالى أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت فإن لم يقع الأمر الأول
فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان. وتفسير اللعن بالمسخ
بعيد لأنه فأنت خبير بأن المتبادر من اللعن المشبه بلعن أصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه
على الطمس والرد على الأدبار شائبة دلالة على عدم إرادة المسخ ضرورة أن التغاير معتبر بالعطف
عليه على أن الموعود به لا بد أن يكون لتحققه متى شاء على الوعيد ليكون تحذيرا عندهم فيكون مزجرة
عن مخالفة الأمر ولم يعهد أنه وقع عليهم لعن بهذا الوصف إنما الواقع عليهم ما تداولته الألسنة
من اللعن المستمر الذي لعنوه وهو بمعزل من صلاحية أن يكون محكما لهذا الوعيد ومزجرة للعنيد. وقيل
إنما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة أحد الأمرين أو كلاهما على
سبيل التوزيع. وأما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار رضي الله عنهما فمبني على الاحتياط
اللائق بشأنهما والحق أن النظم الكريم ليس بنص في أحد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الأول
لأنه أدخل في الزجر وعليه مبني ما روي عن الحبرين لكن لما لم ينسخ وقوعه علم أن المراد هو الثاني
والله تعالى أعلم وأيا ما كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات المشاكلة بينها
وبين ما أوجبها من جنايتهم التي هي التحريف والتغيير والله تعالى هو العليم الخبير. وكان أمر الله أي حكمه الذي
من جملته ما أوعدتم به أو أمره بإيقاع شيء من الأشياء. مفعولا نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما أوعد
دخولا أوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق. ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات
لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال. إن الله لا يغفر أن يشرك به
كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتأكيد وجوب الامتثال بالأمر بالإيمان ببيان استحالة
المغفرة بدونه فإنهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من
بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا. والمراد بالشرك مطلق
الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما أوليا فإن الشرع قد نص على إشراك أهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود
أصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قاله مقاتل وهو الأنسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا
يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له أصلا لأن الاختصاص [illegible] مغفرة صاحب
كفرهم [illegible] أي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وإيمان لأن الحكمة التشريعية
مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا إيمان مما يؤدي إلى فتحه ولأن ظلمات الكفر والمعاصي
إنما يسترها نور الإيمان فمن لم يكن له إيمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي. ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء عطف على خبر إن وذلك إشارة إلى الشرك وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجته في
القبح أي يغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة
كانت أو كبيرة تفضلا من لدنه وإحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل أحد بل لمن يشاء أن
يغفر له ممن اتصف بما دونه فقط لا بما فوقه فإن مغفرته لمن اتصف بالشرك [illegible]
[illegible] على الحكمة التشريعية [illegible] مغفرة المعاصي [illegible] أهل الإيمان [illegible]
الترغيب والزجر عن الكفر [illegible]
والثاني على من تاب فقد عدل عن سنن الصواب كيف لا [illegible] النظم الكريم مع إظهاره كمال عظم جريمة الكفر
[illegible] المعاصي [illegible] سبحانه مغفرته [illegible]
لو ظهر [illegible] بالتوبة ولم يخص [illegible] المقصود من الزجر البليغ عن الكفر
والطغيان [illegible] الحمل على التوبة والإيمان. ومن يشرك بالله إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار

لزيادة تقبيح الإشراك وتفظيع حال من يتصف به **فقد افترى إثماً عظيماً** أي ارتكب واختلق من الكذب إثماً لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعاً **ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم** تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر والطغيان قيل نزلت في يهود الذين يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل أتى رجال من اليهود بأطفالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قالوا والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار أي انظر إليهم فتعجب من ادعائهم أنهم أزكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والإثم العظيم أو من ادعائهم التكفير ومن استحالة أن يغفر الكافر شيء من كفره أو معاصيه وفيه تحذير من إعجاب المرء بنفسه وبعمله **بل الله يزكي من يشاء** تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين إذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم الله تعالى بما هم متصفون به من القبائح وأصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل أو بالقول **ولا يظلمون** عطف على جملة قد حذفت تعويلاً على دلالة الحال أي لا يزكون أنفسهم بل يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب **فتيلاً** أي أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم شيء ولا يساعده مقام الوعيد **انظر كيف يفترون على الله الكذب** كيف نصب على التشبيه بالظرف أو بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والأخفش والعامل يفترون وبه يتعلق على أي في أي حال أو على أي حال يفترون عليه الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وفظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بهما وهو تعجيب إثر تعجيب وتنبيه على أن ما ارتكبوه متضمن لأمرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فإن ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه إياهم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ولكون هذا أشنع من الأول جرماً وأعظم قبحاً لما فيه من نسبته سبحانه إلى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر إلى كيفيته تشديداً للتشنيع وتأكيداً للتعجب والتصريح بالكذب مع أن الافتراء لا يكون إلا كذباً للمبالغة في تقبيح حالهم **وكفى به** أي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية أنفسهم وسائر آثامهم العظام **إثماً مبيناً** ظاهراً بيناً كونه إثماً والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم أشد إثماً من كل كفار أثيم وفي استحقاقهم أشد العقوبات وتمييزه وجعل الضمير لزعمهم مما لا يساعده من المساغ عنه لاختصاصه بنوع من الافتراء فتدبر **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب** تعجيب من حال أخرى لهم ووصفهم بما ذكر من إيتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله تعالى **يؤمنون بالجبت والطاغوت** استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال ينساق إليه الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر إليهم فقيل يؤمنون بالجبت والجبت الأصنام وكل ما عبد من دون الله وقيل أصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فأبدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان وقيل هو في الأصل كل ما يطغي الإنسان روي أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة في سبعين راكباً من اليهود ليحالفوا قريشاً على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان لكعب إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن

أميون لا نعلم فأينا أهدى طريقاً وأقرب إلى الحق أنحن أم محمد فقال كعب ماذا يقول محمد فقال يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلاً من محمد وذلك قوله تعالى **ويقولون للذين كفروا** أي لأجلهم وفي حقهم **هؤلاء** يعنون **أهدى من الذين آمنوا سبيلاً** أي أقوم ديناً وأرشد طريقة وإيراد المؤمنين بعنوان الإيمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفاً لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم بأقبح القبائح **أولئك** إشارة إلى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قرب المذكور للإشعار ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **الذين لعنهم الله** أي أبعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستأنفة لبيان حالهم وإظهار مصيرهم ومآلهم **ومن يلعن الله** أي يبعده عن رحمته **فلن تجد له نصيراً** يدفع عنه العذاب دنيوياً كان أو أخروياً لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب بالنفي إلى كل واحد ممن يتأتى له الخطاب وتوجيه النفي إلى الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسنداً إلى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الأبدي ما لا يخفى **أم لهم نصيب من الملك** شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للإضراب والانتقال من ذكر تزكيتهم لأنفسهم وغيرها مما حكي عنهم إلى ذكر ادعائهم أن لهم نصيباً من الملك وبخلهم المفرط وشحهم النافع والهمزة للإنكار أي ليس لهم نصيب منه فادعاؤهم باطل وإبطال لما زعمت اليهود من أن الملك سيصير إليهم وقوله تعالى **فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً** بيان لعدم استحقاقهم لما يدعونه من أن نصيباً منه بل لعدم استئهالهم له إذ كانوا لو أوتوا شيئاً من ذلك لما أعطوا الناس منه أقل قليل ومن حق من أوتي الملك أن يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف أي لو كان لهم نصيب منه فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً وهو ما في ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان لعدم كونهم مما أوتي شيئاً منه كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم أذلاء متفاقدون وتحقيقه أن لا تكون الهمزة لإنكار الوقوع بل لإنكار الواقع والتوبيخ عليه أي أهم يملكون لأنه بالوقع على أن الفاء للعطف والإنكار متوجه إلى مجموع المعطوفين على معنى ألهم نصيب وافر من الملك حيث كانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك ولا يؤتون الناس مع ذلك نقيراً كما تقول لغني لا يراعي أباه ألك هذا القدر من المال فلا تنفق على أبيك شيئاً وفائدة إذن تأكيد الإنكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب الذي هو سبب الإعطاء سبباً للمنع مع كونه سبباً للإعطاء وهي ملغاة على أن الفعل كأنه قيل فلا يؤتون الناس إذاً أي فإذاً لأوتوا الشيء على الغالب **أم يحسدون الناس** أم منقطعة أيضاً مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما سبق إلى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل وأقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من استحقاقه واللام في الناس للعهد والإشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله على الجنس إيذاناً بحيازتهم الكمالات البشرية قاطبة فكأنهم هم الناس لا غير لا يلائمه ذكر حديث آل إبراهيم فإن ذلك للتشبيه بين الفريقين من الناحية الموجبة للاشتراك بهما إنكار الفضل والهمزة لإنكار الواقع واستقباله فإنهم كانوا يطمعون أن يكون النبي الموعود منهم فلما خصهم الله تعالى بتلك الكرامة حسدوهم أي يحسدونهم **على ما آتاهم الله من فضله** يعني النبوة والكتاب وازديادهم في العز يوماً فيوماً وقوله تعالى **فقد آتينا** تعليل للإنكار والاستقباح فإن إيتاءهم ما هو من قبيل ما عندهم حسبما تحسدهم واستبعادهم للنبيين على أنهم عدم استحقاق المحسود لما أوتي من الفضائل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابراً عن كابر وإجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لإظهار كمال العناية بالأمر وللمعنى أن حسدهم المذكور في غاية القبح فإنا قد آتينا من قبل هذا **آل إبراهيم** الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأبناء أعمامه **الكتاب والحكمة** أي النبوة

وآتيناهم ملكا عظيما لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته صلى الله عليه وسلم
ويحسدونه على إيتائها وتكرير الإيتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الإشعار بما بين النبوة والملك
من المغايرة فإن أريد به الإيتاء بالذات فالمراد بآل إبراهيم أنبياؤهم عليهم الصلاة والسلام
خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم إما بحذف المضاف أو بطريق الاستخدام أي آتينا الملك
لبعضهم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان
عليهم الصلاة والسلام وإن أريد به ما يعم غيره من الإيتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام
والأوفق لما قبله من نسبة إيتاء الفضل إلى الناس فالمراد بآل إبراهيم كلهم فإن تشريف البعض بما ذكر من
إيتاء النبوة والملك تشريف للكل لاغتنامهم بآثاره واقتباسهم من أنواره وفي تفصيل ما أوتوه
وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيرهما والتفخيم من تأكيد الإلزام وتشديد الإنكار ما لا يخفى هذا
هو المتبادر إلى النظم الكريم وإليه جنح جمهور بقية التفسير لكن الظاهر حينئذ أن يكون قوله تعالى
فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن أسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير أن يكون
له دخل في الإلزام الذي سيق له الكلام أي فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما أوتي إبراهيم
ومنهم من أعرض عنه وأما جعل الضمير فيما ذكر من حديث إبراهيم فيستدعي تراخي الآية الكريمة
عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية إيمانهم بالحديث المذكور وإعراضهم عنه بصيغة الماضي إنما تصح
بعد وقوع الإيمان والإعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزوله قطعا وجعلهما لرسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الإلزام وحمله على حكاية حالهم السابقة
لا يساعده الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد أن تكون الفاء لتفريع حسدهم
وتوبيخهم بذلك يحكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليل له بدلالته على إعراضهم عما أوتي آل إبراهيم
كأن لم يذكر كونه منطوق الحسد كأنه قيل لم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون
وذلك دينهم المستمر فإنا قد آتينا آل إبراهيم ما آتينا فمنهم من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم
من أعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه أعلم [illegible] بتسليط رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى
بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها إن الذين كفروا بآياتنا لما أريد
بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات إما القرآن أو ما يعم كله أو بعضه أو ما يعم
سائر معجزاته أيضا وإن أريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا أوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد
التي أوتيها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سوف نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر
للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد يذكران في الوعد فيفيدان التأكيد أي ندخلهم نارا عظيمة
هائلة كلما نضجت جلودهم أي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم جلودا غيرها
من قبيل بدلت الخاتم قرطا لا من قبيل بدلت الحلقة خاتما أي أعطيناهم مكان كل جلد محترق عند
احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وإن كان عينه مادة بأن يزول عنه الاحتراق
ليعود إحساسه للعذاب والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة
لنارا على حذف العائد أي كلما نضجت فيها جلودهم ومعنى قوله تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه
ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة إدراكها
قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا أمثال القراطيس روي أن هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله
عنه فقال للقارئ أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل
في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن

تأكلهم النار

تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى أبو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم أن بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع وعن أبي هريرة أنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام والتعبير عن
إدراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان أن إحساسهم بالعذاب في كل مرة كإحساس الذائق المذوق
من حيث إنه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة أو للإشعار بمرارة العذاب مع إيلامه أو للتنبيه على شدة تأثيره
من حيث إن القوة الذائقة أشد الحواس تأثرا أو على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى
على إبقاء إدراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق أو مع إبقاء أبدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق
أن النفس ربما تتوهم زوال الإدراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد أن تكون مصونة عن التألم والعذاب
صيانة بدنها عن الاحتراق إن الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه أحد حكيما يعاقب من
يعاقب على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الإصلاء والتبديل وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات
لتهويل الأمر وتربية المهابة وتعليل الحكم فإن عنوان الألوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا لمساءة الأولين
ومسرة الآخرين أي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضياتها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات
تجري من تحتها الأنهار وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل وفي السين تأكيد للوعد خالدين
فيها أبدا حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وعلا لهم فيها أزواج مطهرة أي
مما في نساء الدنيا من الأحوال المستقذرة البدنية والطبيعية في محل النصب على أنه حال من جنات أو حال
ثانية من الضمير المنصوب أو على أنه صفة لجنات بعد صفة أو في محل الرفع على أنه خبر للموصول بعد خبر
وندخلهم ظلا ظليلا أي فيئا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك
يا أرحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيده كما في ليل أليل ويوم أيوم وقرئ يدخلهم
بالياء وهو عطف على سيدخلهم ولعل تأخير ذكر الإدخال لا لأولويته بالذات بل لأنه العنوان كما في قوله تعالى ولما جاء أمرنا
نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها في تصدير الكلام بكلمة التحقيق وإظهار الاسم الجليل وإيراد الأمر على صورة الإخبار من الفخامة
وتأكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكم المكلفين
قاطبة كما أن الأمانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء
كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية وإن ورد في شأن عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد إلى السطح
وأبى أن يدفع المفتاح وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه
يده وأخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح
ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت وأمر عليا أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي رضي الله
عنه أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عثمان الآية فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام
فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة في أولاد عثمان أبدا وقيل الأمانة على
والمراد الخطاب للولاة [illegible] بالحقوق المتعلقة بذممهم [illegible]
كما أن قوله تعالى وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل أمر لهم بإيصال الحقوق المتعلقة بذمم
الغير إلى أصحابها وحيث كان المأمور به هاهنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المأمور به أولا فإنه

مما لا يتعلق بوقت دون وقت اطلاقا واتفاقا وقوله تعالى ان تحكموا بالعدل عطف على ان تؤدوا وقد
فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ويقدر عند البصريين لان ما بعد
ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا اي بان تحكموا
حال الامر فاعله اي في حال كونكم متلبسين بالعدل والانصاف ان الله نعما يعظكم به ما اما منصوبة
موصوفة بيعظكم به والمخصوص بالذم محذوف اي نعم شيئا يعظكم به ذلك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل
في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف
بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ان
الله كان سميعا بصيرا باقوالكم وافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر آنفا
فان فيه تأكيدا لكل من الوعد والوعيد يا ايها الذين آمنوا بعدما امر الولاة بطريق العموم او
بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومات امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في
ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قيل اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين
واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول في وجوب الطاعة لهم وقيل علماء
لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي
الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتيبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة
اولي الامر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يستدعي بيان حكمها
عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في امر من امور الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله والرسول
اي الى سنته وقد استدل به منكرو القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه
الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر
بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام ثلاث ثابت
بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر متعلق بالامر الاخير الوارد في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط
محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
فردوه الخ فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه
من العقاب على المخالفة ذلك اي الرد المأمور به خير لكم واصلح واحسن في نفسه تأويلا اي
عاقبة ومآلا وتقديم خيريته لهم على احسنيته في نفسه لما مر من تعلق اغراضهم بما ينفعهم
والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في ذاته من غير اعتبار فضله على شيء
يشاركه في اصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه التحذير السابق الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا
بما انزل اليك وما انزل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعجيب من
حال الذين يخالفون ما مر من الامر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الايمان بالقرآن وبما
انزل من قبله اعني التوراة لتأكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما
صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل قوله تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت استئناف
سيق لبيان محل التعجيب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه

المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به
المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض
بقضائه فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اهكذا قال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه
فضرب به المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فقال جبريل عليه الصلاة والسلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبي صلى الله
عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن
الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل
بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلى الله عليه وسلم وابى المنافقون منهما الا التحاكم
الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار حينئذ في معرض التعجب والاستقباح على ذكر ارادة
التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضى منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت الوقوع
فما ظنك بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتوراة فانه مما يقتضي كونهم من منافقي
اليهود ويقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتوراة وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف
بهذه المثابة من الظهور ويعضده ايضا قوله تعالى وقد امروا ان يكفروا به كونهما مأمورين بكفره
في الكتابين وما ذاك الا الشيطان واولياؤه المشهورون بولايته كالكهنة ونظائرهم لا من عداهم ممن لم
يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة
حال من ضمير يريدون مفيدة لتأكيد التعجب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله عز وعلا ويريد
الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم
واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المدلول عليه
بالمذكور اي فيضلون ضلالا او ايا ما كان فوصفه بالبعد الذي هو وصف موصوفه للمبالغة وقوله تعالى
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى
كتاب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ
تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية فحذفت اللام ور
فا ولى ضمة بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة للمرأة تعالي بكسر اللام وعليه
قول ابي فراس الحمداني ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي رأيت المنافقين
اظهار للمنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية
بصرية يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول
انسب لظهور حالهم وقوله تعالى صدودا مصدر مؤكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا واي
اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر المتعدي يقال
صد عنه صدودا اي اعرض عنه وقوله تعالى فكيف شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية ووخامة
عاقبتها اي فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي وقت اصابتهم المصيبة اياهم بافتضاحهم
بظهور نفاقهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض
عن حكمك ثم جاؤوك للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم
من الخطب واعتراهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل

جاؤوك إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً أي ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق
بين الخصمين ولم نرد مخالفتك ولا تسخط الحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وأنهم
سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد
أهدره الله تعالى فقالوا ما أراد صاحبنا بالتحاكم إلى عمر رضي الله تعالى عنه إلا أن يحسن إليه ويوفق
بينه وبين خصمه أولئك إشارة إلى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق
وهو مبتدأ خبره الذين يعلم الله ما في قلوبهم أي من فنون الشرور والفساد المنافية لما أظهروا لك من
الأكاذيب فأعرض عنهم جواب شرط محذوف أي إذا كان حالهم كذلك فأعرض عن قبول معذرتهم وقيل
عن عقابهم لمصلحة استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بطونهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر
وعظهم أي ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم في أنفسهم في حق أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المنطوية على
الشرور التي يعلمها الله تعالى أو في أنفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرهم مساراً بالنصيحة لأنها في السر أنجع قولاً
بليغاً مؤثراً واصلاً إلى كنه المراد مطابقاً لما سيق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالأمر وقيل
متعلق ببليغاً على رأي من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف أي قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يغتمون به
السوء والنفاق ليمسهم العذاب بل لتشديد العقاب وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله كلام مبتدأ
جيء به تمهيداً لبيان خطئهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالأباطيل وعدم تلافيها بالتوبة أي
وما أرسلنا رسولاً من الرسل لشيء من الأشياء إلا ليطاع بسبب إذنه تعالى في طاعته وأمره المرسل إليهم بأن
يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصية الله تعالى من يطع
الرسول فقد أطاع الله أي بتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم
وعرضوها للعذاب بالنفاق وترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك جاؤوك من غير تأخير كما يفصح عنه
تقديم الظرف متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد إلى
سترها بالاعتذار الباطل والأيمان الفاجرة فاستغفروا الله بالتوبة والإخلاص وبالغوا في التضرع
إليك حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله تعالى واستغفرت لهم وإنما قيل واستغفر لهم الرسول على طريقة
الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً على أن شفاعته
في حيز القبول لوجدوا الله تواباً رحيماً لعلموه مبالغاً في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة
وإن فسر الوجدان بالمصادفة كما في قوله تعالى تواباً حالاً ورحيماً بدلاً منه أو حالاً من الضمير فيه وأياً ما
كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في المسارعة إلى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لأولئك المنافقين
على ما صنعوا لما أن ظهور تأثير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارها نعمة زائدة عليهم موجبة
لكمال الرغبة في تحصيلها وتمام الحسرة على فواتها فلا وربك أي فوربك ولا مزيدة لتأكيد معنى
القسم لا لتأكيد النفي في جوابه أعني قوله تعالى لا يؤمنون لأنها لا تزاد في الإثبات أيضاً كما في قوله تعالى
فلا أقسم بمواقع النجوم ونظائره حتى يحكموك أي يتحاكموا إليك وإنما جيء بصيغة
التحكيم مع أنه صلى الله عليه وسلم حاكم بأمر الله سبحانه وتعالى إيذاناً بأن حقه أن يجعلوه صلى الله عليه
وسلم حكماً فيما بينهم ويرضوا بحكمه وإن قطع النظر عن كونه حاكماً على الإطلاق فيما شجر بينهم أي فيما
اختلف بينهم من الأمور واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه ثم لا يجدوا عطف على مقدر ينساق إليه
الكلام أي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً أي ضيقاً مما قضيت أي مما قضيت به أو من قضائك
وقيل شكاً من أجله إذ الشاك في ضيق من أمره ويسلموا أي ينقادوا لأمرك ويذعنوا له تسليماً
تأكيد للفعل بمنزلة تكريره أي تسليماً تاماً بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لأمر الله وأسلم له بمعنى وحقيقته

سلم نفسه

سلم نفسه وأسلمها إذا جعلها سالمة له خالصة أي ينقادوا لحكمك انقياداً لا شبهة فيه بظاهرهم
وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير ورجل من الأنصار اختصما إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم
أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصاري وقال لأن كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقك ثم أرسله إلى جارك كان قد أشار على
الزبير برأي فيه سعة له وللخصم فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوفى للزبير حقه في صريح
الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الأنصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي
فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا
ذنباً مرة في حياة موسى عليه الصلاة والسلام فدعانا إلى التوبة منه وقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ
قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم مني
الصدق لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها وروي أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن من أمتي رجالاً الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي
فنزل في شأن هؤلاء ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم أي لو أوجبنا عليهم
مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وأن
مصدرية أو مفسرة لأن كتبنا في معنى أمرنا ما فعلوه أي المكتوب المدلول عليه بكتبنا أو أحد مصدري
الفعلين إلا قليل منهم إلا أناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروي عن عمر رضي الله عنه أنه
قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا فالحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا أنفسكم تعرضوا بها للقتل
بالجهاد وهو بعيد وقرئ إلا قليلاً بالنصب على الاستثناء أو على إلا فعلاً قليلاً ولو أنهم فعلوا ما
يوعظون به من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ظاهراً وباطناً وسميت
أوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد لكان أي فعلهم ذلك خيراً لهم عاجلاً
وآجلاً وأشد تثبيتاً لهم على الإيمان وأبعد من الاضطراب فيه وأشد تثبيتاً لثواب أعمالهم وإذاً
لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل وإذاً
لو ثبتوا لآتيناهم لأن إذاً جواب وجزاء ولهديناهم صراطاً مستقيماً يصلون بسلوكه إلى عالم القدس ويفتح لهم أبواب
الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول كلام مستأنف
فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق إليها ببيان أن نتيجتها أقصى ما ينتهي إليه همم الأمم وأرفع
ما يمتد إليه أعناق عزائمهم من مجاورة أعظم الخلائق مقداراً وأرفعهم مناراً مع تضمنه لتفسير ما أبهم في
جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما أجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل
لجميع الأوامر والنواهي فأولئك إشارة إلى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد في فعل الشرط باعتبار
لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ
خبره مع الذين أنعم الله عليهم والجملة جواب الشرط ونوه ذكر المنعم عليهم إشعار بقصور العبارة عن تفصيله
وبيانه من النبيين بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أن الكلام في
بيان حكم طاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الإشارة إلى أن طاعته
صلى الله عليه وسلم متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الأعصار روي أن نفراً
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله إن صرنا إلى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك
وقال الشعبي جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله

والذي لا إله إلا هو لأنت أحب إلي من نفسي وأهلي ومالي وولدي وإني لأذكرك وأنا في أهلي فيأخذني
مثل الجنون حتى أراك وذكرت موتي وأنك ترفع مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك
فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم عليه شيئا فنزلت وروي أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف
الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك
اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت
أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت كنت في منزلة دون منزلتك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت
فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده
والناس أجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وروي أنس قال يا رسول الله الرجل
يحب قوما فلما يلحق بهم قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب **والصديقين** أي المتقدمين في تصديقهم
المبالغين في الصدق والإخلاص في الأقوال والأفعال وهم أفاضل أصحاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأماثل
خواصهم المقربين كأبي بكر الصديق **والشهداء** الذين بذلوا أرواحهم في طاعة الله تعالى وإعلاء كلمته **والصالحين**
الصارفين أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك
في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أراد وإن بعد ما بينهما من المسافة
وحسن أولئك رفيقا الرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا
فإن جعل أولئك إشارة إلى النبيين ومن بعدهم على أن ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا إما تمييز
أو حال على معنى أنهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين أو حال كونهم رفقاء لهم وإفراده
إما لأنه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد أو لأنه أريد حسن كل واحد منهم رفيقا
لا نفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما جوز في الوجه الأول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب
والتشويق قيل فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن
بسكون السين **ذلك** إشارة إلى ما للمطيعين من عظيم الأجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم أو
إلى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وقوله تعالى
الفضل صفته وقوله تعالى **من الله** خبره أي ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره أو الفضل خبره
ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الإشارة أي ذلك الذي ذكر فضل كائن من الله تعالى
لا أن أعمال العاملين توجبه **وكفى بالله عليما** بجزاء من أطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق أهله **يا أيها
الذين آمنوا خذوا حذركم** الحذر والحذر واحد كالإثر والأثر والشبه والشبه أي تيقظوا واحترزوا من
العدو ولا تمكنوه من أنفسكم يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه
وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم أي استعدوا للعدو **فانفروا** بكسر الفاء وقرئ بضمها أي اخرجوا إلى الجهاد
وعند خروجكم **ثبات** جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الأصل فعلة كحطمة حذفت لامها
وعوض منها تاء التأنيث وقيل هي من ثاء يثوى أو ثابية وقيل إنها مشتقة من ثبة وقيل من ثبت على الرجل إذا
أثنيت عليه كأنك جمعت محاسنه ويجمع أيضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية أي انفروا
جماعات متفرقة سرية بعد سرية **أو انفروا جميعا** أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا
بأيديكم إلى التهلكة **وإن منكم لمن ليبطئن** أي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ كعتم
بمعنى أعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون
منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد أو ليبطئن غيره ويثبطه من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل

بطأ ابن أبي ناسا يوم أحد والأول أنسب لما بعده واللام الأولى للابتداء دخلت على اسم إن للفصل بالخبر والثانية
جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع إليها ما استكن في ليبطئن والتقدير وإن منكم لمن أقسم بالله
ليبطئن **فإن أصابتكم مصيبة** كقتل وهزيمة **قال** أي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرأيه **قد أنعم الله
علي** أي بالقعود **إذ لم أكن معهم شهيدا** أي حاضرا في المعركة فيصيبني ما أصابهم والفاء في الشرطية
لترتيب مضمونها على ما قبلها فإن ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما أن نفس التبطئة مستدعية لشيء
ينتظر المبطئ وقوعه **ولئن أصابكم فضل** فتح وغنيمة **من الله** متعلق بأصابكم أو بمحذوف وقع صفة
لفضل أي فضل كائن من الله ونسبة إصابة الفضل إلى جناب الله تعالى دون إصابة المصيبة من العادات
الشريفة التنزيلية كما في قوله سبحانه وتعالى وإذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الأولى لما أن مضمونها
لمقصدهم أوفق وأثر نفاقهم فيها أظهر **ليقولن** ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا
على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من وقوله تعالى **كأن لم تكن بينكم وبينه مودة**
اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو **يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما** لئلا يتوهم من مطلع كلامه
أن تمنيه المعية للمؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال
كما ينطق به آخره وليس إثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير
ليقولن أي ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول أي ليقولن المثبط لمن ثبطه من
المنافقين وضعفة المؤمنين كأن لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو
حتى تفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وغرضه إلقاء العداوة بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم وتأكيدها
وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى في يا ليتني محذوف
أي يا قوم وقيل يا لمطلق التنبيه على الاتساع وقوله تعالى فأفوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ
محذوف أي فأنا أفوز في تلك الوقت أو عطف على كنت داخل معه تحت التمني **فليقاتل في سبيل الله** قدم
الظرف على الفاعل للاهتمام به **الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة** أي يبيعونها بها وهم المؤمنون والفاء
جواب شرط مقدر أي إن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة أو الذين
يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والفاء للتعقيب أي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبيط والنفاق
وليعقبوه بالقتال في سبيل الله **ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه** بنون العظمة التفاتا
أجرا عظيما لا يقادر قدره وتعقيب القتال بأحد الأمرين للإشعار بأن المجاهد حقه أن يوطن نفسه
بإحدى الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث أصلا وتقديم القتل للإيذان بتقدمه في استتباع
الأجر روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله لمن جاهد في سبيله
لا يخرجه إلا جهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال
من أجر أو غنيمة **وما لكم** خطاب للمؤمنين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتأكيدا
لوجوبه وهو مبتدأ وخبر وقوله عز وجل **لا تقاتلون في سبيل الله** حال عاملها ما في الظرف من معنى الفعل
والاستفهام للإنكار والنفي أي أي شيء لكم غير مقاتلين أي لا عذر لكم في ترك المقاتلة **والمستضعفين** عطف
على اسم الله أي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الأسر وصونهم عن العدو أو على سبيل بحذف المضاف
أي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فإن سبيل الله يعم أبواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين
من أيدي الكفرة أعظمها وأخصها **من الرجال والنساء والولدان** بيان للمستضعفين أو حال منهم وهم المسلمون
الذين بقوا بمكة لصد المشركين أو لضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وإنما ذكر الولدان مبالغة في الحث
واستجلابا للرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان إرغاما لآبائهم وأمهاتهم

باجابة الدعاء الآتي فان قرب زمان الخلاص ببيان شوكتهم في التضرع الى الله تعالى كل ذلك للمبالغة في الحث على
القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال للعبد الوليد وللامة الوليدة وقد غلب الذكور على الاناث فاطلق الولدان
على الولائد ايضا الذين محله الجر على انه صفة للمستضعفين او لما في حيزه من البيان والنصب على الاختصاص يقولون
ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها
وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث بحسب ما
عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرورين
على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم
عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده كذلك ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه
بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز كون المسئول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز
ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى واجعل لنا
من لدنك نصيرا قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا
ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب الله تعالى دعاءهم حيث يسر
لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي واعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه
صلى الله عليه وسلم فتولاهم اي تولي ونصرهم اي نصر ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم
ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا
وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقه للمبالغة في التضرع والابتهال الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى
ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل
وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي
فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه فالفاء في قوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان
لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك نتيجة لقتالهم في سبيل
الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله تعالى لما ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتاكيد رغبة المؤمنين
في القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذل
والضعف كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله اولياء الشيطان ثم صرح
بالتعليل فقيل ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي في حد ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله عز
وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها قالوا فائدة ادخال كان في امثال هذه المواضع
التاكيد ببيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان موصوفا بالضعف الم تر الى الذين
قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا
قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك
مشعر بكونهم بصدد بسطها الى العدو بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة
ابن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله عنهم كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة
اذى كثيرا فيشكون الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتالهم فيقول لهم النبي صلى الله
عليه وسلم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فاني لم اومر بقتالهم وبناء القول للمفعول
مع ان القائل هو النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بكون ذلك بامر الله سبحانه وتعالى ولان المقصود بالذات

وللمبالغة في

وللمبالغة في التعجيب فانهم كانوا مع كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما ذكر في حيز
الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين ولا رغبة
بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى فلما كتب عليهم
القتال الخ وهو معطوف على قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي اذ هو الذي به يتحقق التباين بين
مولى العطف فيه وعليه يدور التعجيب كانه قيل الم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم القتال
كرهه بعضهم وقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس جواب لما على ان فريق مبتدأ ومنهم متعلق
بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديرها باذا المفاجاة لبيان مسارعتهم الى الخشية البشرية
من غير تلعثم وتردد اي فاجأ فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقاتلوهم ولعل توجيه التعجيب الى الكل
مع صدور الخشية عن بعضهم للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر عن احدهم ما ينافي حالتهم الاولى
قوله تعالى كخشية الله مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اي يخشونهم
مشبهين لاهل خشية الله وقوله تعالى او اشد خشية عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل
خشية الله وعلى انه مصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده اي يخشونهم خشية
من خشية الله وايا ما كان فكلمة او للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم
اشد منها ولما للابهام على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
وقالوا عطف على جواب لما اي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريق تمني
التخفيف لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهالا الى وقت آخر حذرا عن الموت
فيحتمل ان يكون هذا مما نطقت به السنتهم او حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا قل اي تزهيدا لهم
فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي متاع الدنيا
اي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا قليل سريع التقضي وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك الاجل والآخرة
اي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال خير اي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم
انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل لمن اتقى حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلال بموجب التكليف
ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي تجزون فيها ولا تنقصون ادنى شيء من اجور اعمالكم
التي من جملتها مسعاتكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في
القلة والحقارة وقرئ بطلمون بالياء لاعادة الضمير الى الظاهر اينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدأ
مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المخاطبين اعتناء
بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شان الآخرة بواسطته صلى الله عليه وسلم فلا محل له من الاعراب او في محل
النصب داخل تحت القول المامور به اي اينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي تكرهون القتال لاجله زعما منكم انه من
مظانه وتحبون القعود عنه على زعم انه منجاة منه وفي لفظ الادراك اشعار بانهم في الهرب من الموت وهو مجد في
طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على اعتبار وقوع اينما كنتم
في موقع اينما تكونوا او على انه كلام مبتدأ واينما تكونوا متصل بلا تظلمون اي لا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا
في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة في حصون رفيعة او قصور محصنة
وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ بكسر الياء وصفا لها
بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وجواب

اعتمادا على دلالة ما قبله عليه اي ولو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى مثلها اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع فلأن يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وان الوصلية من التأكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴿وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله﴾ كلام مبتدأ جيء به عقيب ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما على اسناد ما يكرهونه الى بعض الامور وكراهتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي انه كان قد بسط الله عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى ﴿وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾ اي وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من جدب وغلاء اضافوها اليك كما حكى عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان ان الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لا يجترئون على معارضة الله عز وجل حيث قيل ﴿قل كل من عند الله﴾ اي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير ان يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سيأتي بيانه وهذا البيان المجمل في معنى ما قيل ردا على اسلافهم من قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم او سبب اصابة السيئة التي يطيرون بها عند الله تعالى لا عند غيرهم حتى يسندوها اليه فيتطيروا به وقوله تعالى ﴿فمال هؤلاء القوم﴾ الخ كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وقوله تعالى ﴿لا يكادون يفقهون حديثا﴾ حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار اي وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا حديثا او استئناف مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كأنه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او يسأل عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى وان النعمة منه تعالى بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النص الوارد عليهم في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى ولم يسندوا جناية انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى ﴿ما اصابك من حسنة﴾ الخ بيان للجواب المجمل المأمور به وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم مسوق من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين اي ما اصابك من نعمة من النعم ﴿فمن الله﴾ اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وان كل ما يفعله الانسان من الطاعات التي يرجى كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة الوجود المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه على ادائها فضلا عن ان يستوجب بها نعمة اخرى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا ﴿وما اصابك من سيئة﴾ اي بلية من البلايا ﴿فمن نفسك﴾ اي فهي منها بسبب

اقترافها

اقترافها المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده تعالى عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل وما بعده كالبيان لحاله صلى الله عليه وسلم بل البيان لحال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال النعمة والقضية عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة ﴿وارسلناك للناس رسولا﴾ بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه صلى الله عليه وسلم بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اي مرسلا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس وانتصابه بالفعل رسولا حال مؤكدة وقد جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اي برسالة بمعنى رسالة ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ اي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي ﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله﴾ بيان لاحكام رسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله عز وجل وانما هو صلى الله عليه وسلم مبلغ للامر والنهي فمرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه وتعالى روي انه صلى الله عليه وسلم قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته صلى الله عليه وسلم بل عنوان رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتأكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا يأباه تخصيص الخطاب به صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا﴾ جواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اي ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفواصل وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه ﴿ويقولون﴾ شروع في بيان معاملتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء ﴿طاعة﴾ اي امرنا وشأننا طاعة او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام ﴿فاذا برزوا من عندك﴾ اي خرجوا من مجلسك ﴿بيت طائفة منهم﴾ اي من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم ﴿غير الذي تقول﴾ اي زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق او خلاف ما قلت لها والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تأنيث الطائفة غير حقيقي وقرئ بادغام التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات والباقون اتباع لهم في ذلك لا لان الباقين ثابتون على الطاعة ﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ اي يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا انه يخفى عليكم فيجدون بذلك الى الاضرار بكم سبيلا او يثبته في صحائفهم فيجازيهم عليه سواء كان والجملة اعتراضية ﴿فاعرض عنهم﴾ اي لا تبال بهم وبما صنعوا او لا تخف منهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها ﴿وتوكل على الله﴾ في كل ما تأتي وما تذر لا سيما في شأنهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار بعلة الحكم ﴿وكفى بالله

وكيلا فيكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم والإظهار ههنا لما مر وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها
عما قبلها من كل وجه أفلا يتدبرون القرآن ههنا أيضا لما مر وللتنبيه على استقلال الجملة إنكار واستقباح
لعدم تدبرهم القرآن وإعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الإيمان وتدبر الشيء تأمله والنظر في أدباره
وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر أي أيعرضون عن القرآن
فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق
والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان أي القرآن من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا بأن يكون بعض أخباره غير مطابق للواقع إذ لا علم بالأمور الغيبية ماضية كانت أو مستقبلة
لغيره سبحانه وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا أنه من عند الله تعالى
لكان ما فيه من الإخبار بالغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لأن الغيب لا يعلمه
إلا الله قال أبو بكر الأصم إن هؤلاء المنافقين كانوا يتواطئون في السر على أنواع كثيرة من الكيد والمكر فكان الله سبحانه
وتعالى يطلع الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك ويخبره بها مفصلة فقيل لهم إن ذلك لو لم يحصل بإخبار الله تعالى لما اطرد
الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم أنه بإعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وأما
حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في البلاغة بأن كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على
معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما جنح إليه الجمهور فمما لا يساعده
السباق ولا السياق ولعل ذكره ههنا للتنبيه على أن ما سبق من الأحكام ليس بمتناقض في الحكمة والمصالح
المقتضية لذلك فقد أبعد عن الحق بمراحل وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به يقال أذاع السر وأذاع
به أي أذاعه وأفشاه قيل معنى أذاعوا به فعلوا به الإذاعة وهو أبلغ من أذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى
يتوهم في بعض الموارد من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان أن ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا
لتخلف مدلوله عنه وذلك أن ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالأحوال كانوا إذا أخبرهم الرسول
صلى الله عليه وسلم بما أوحي إليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على
حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بأمور تفوت بالإذاعة
فلا يظهر أثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعى عليهم ذلك وقيل ولو ردوه أي ذلك الأمر الذي
جاءهم إلى الرسول أي عرضوه على رأيه صلى الله عليه وسلم مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات
لما أن عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة إليه صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر منهم وهم
كبار الصحابة البصراء بالأمور رضي الله عنهم لعلمه أي لعلم الرأي الذي معناه وتدبيره وإنما وضع موضع ضميرهم
الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للإيذان بأنه ينبغي أن يكون قصدهم برده إليهم استخراج تدبيره بهم
أي من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر من صحابته رضوان الله عليهم أجمعين كما فعلوا في حقه
ما فعلوه فلم يقع فيما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم
وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها فكلمة من فيهم بيانية وقيل إنهم كانوا إذا بلغهم خبر من سرايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف أذاعوا به وكانت إذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر لعلم تدبير ما أخبروا به الذين يستنبطونه منهم أي يستخرجون
تدبيره بفطنتهم وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض
الأعداء أو على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي
الأمر وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون وما يذرون
فيه وقيل كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود

ذلك وبالا

ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم
ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع لعلم صحته وهل يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه
من الرسول صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فسياق النظم الكريم
حينئذ لبيان جناية تلك الطائفة موسوم بتدبيرهم أو لبيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات أي لولا فضله تعالى وإرشاده إلى
طريق الحق الذي هو الرجعة في مظان الاشتباه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر لاتبعتم الشيطان
وعملتم بآراء المنافقين فيما تأتون وتذرون ولم تهتدوا إلى سنن الصواب إلا قليلا وهم أولو الأمر الواقفون
على أسرار الكتاب الراسخون في معرفة أحكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بإرسال
الرسول وإنزال الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلال إلا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح
اهتدى به إلى طريق الحق والصواب في بعض عصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الإيادي وزيد بن عمرو بن نفيل
وورقة بن نوفل وأضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل قيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر
بالأعداء أي لولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين إلا قليلا منكم
وهم أولو البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم الماضية من أفاضل المؤمنين الواقفين على حقيقة الدين
البالغين إلى حد حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيقته من الفتح والظفر وقيل إلا اتباعا
قليلا فقاتل في سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات
وهو جواب شرط محذوف ينساق إليه النظم الكريم أي إذا كان الأمر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم
وتقصير الآخرين في مراعاة أحكام الإسلام فقاتل أنت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل لا تكلف
إلا نفسك أي إلا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله فإن اختصاص تكليفه صلى الله عليه وسلم بفعل نفسه
من موجبات مباشرة القتال وحده وفيه دلالة على أن ما فعلوا من التثبط لا يضره صلى الله عليه وسلم ولا يؤاخذ
به وقيل هو حال من فاعل قاتل أي فقاتل غير مكلف إلا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب الأمر
وقرئ بنون العظمة أي لا نكلفك إلا فعل نفسك وحرض المؤمنين عطف على الأمر السابق داخل في حكمه
كون حال الطائفتين كما حكي سبب للأمر بالقتال وحده وبتحريض خلص المؤمنين والتحريض على الشيء الحث عليه والترغيب
فيه قال الراغب كأنه في الأصل إزالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به أي رغبهم في القتال فلا تعنف بهم وإنما
يذكر الحرض عليه تنبيها بنظمه وقوله تعالى عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا عدة منه سبحانه محققة الإنجاز
بكف شدة الكفرة ومكرهم فإن ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روي أنه صلى الله
عليه وسلم واعد أبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى
الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا حتى وافوا الموعد وألقى الله
في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من الظهران وهو مكان يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا
وأقام ثمان ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران والله أشد
بأسا أي من قريش وأشد تنكيلا أي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي إليها
والجملة اعتراض تذييلي مقررة لما قبلها فإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال
الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها
أي من ثوابها جملة مستأنفة سيقت لبيان أن له صلى الله عليه وسلم فيما أمر به من تحريض المؤمنين حظا موفورا
فإن الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الأخروية أو خلاصه عن مضرة
ما كذلك من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في أمر مشروع روعي بها

حتى يشتمل ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية واي منفعة اجل مما قد حصل للنبي
المفوض صلى الله عليه وسلم قبل الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية واي مضرة اعظم مما تخلفوا عنه بتلك
من التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله تعالى وعليه مساق اية التحية الاتية روي انه
صلى الله عليه وسلم قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فهذا بيان لمقدار
النصيب الموعود ومن يشفع شفاعة سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها اي نصيب من
وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا من اقات على
الشيء اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن والجملة تذييل مقررة لما قبلها
على كلا المعنيين واذا حييتم بتحية ترغيب في فرد شائع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على
الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية ادائه فان تحية
الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه الى الله عز وجل والتحية مصدر حيى اصلها تحيية كتسمية
من سمى واصل الاصل تحيي بثلاث ياآت فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التانيث وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل
حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب اذا لقي
بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال
تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية
لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحياة وليس في الدعاء بطول الحياة ذلك ولان
السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين فحيوا
باحسن منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا
وبركاته ان جمعهما المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع
ودوامها ونماؤها او ردوها اي اجيبوها بمثلها روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام
عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال صلى الله عليه وسلم
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال صلى الله عليه وسلم
وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الاية فقال صلى الله عليه وسلم انك لم تترك لي فضلا
فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي السلام
سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الرد واجب وما من رجل مسلم يمر على قوم
مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد
في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم
على لاعب الشطرنج والنرد والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره
ويسلم الرجل على زوجته وعلى الاخت لا على الاجنبية والسنة ان يسلم الماشي على القاعد
والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير فاذا التقيا ابتدرا
وعن ابي حنيفة رضي الله عنه لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم حيث كانوا يقولون السام عليكم وروي
لا تبتدئوا اليهود بالسلام وان بدؤوك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك
السلام دون الزيادة وقيل التحية بالاحسن عند كون المسلم مسلما ورد مثلها عند كونه كافرا
ان الله كان على كل شيء حسيبا اي فيحاسبكم على كل شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية
فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر وقوله تعالى ليجمعنكم

الى يوم القيامة جواب قسم محذوف اي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيامة وقيل
الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب او خبر ثان للمبتدأ او هي الخبر
ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى لا ريب فيه اي في يوم القيامة او في الجمع حال من اليوم او صفة
للمصدر اي جمعا لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا انكار لان يكون احد اصدق من الله
تعالى في وعده وسائر اخباره لاستحالة الكذب عليه لقبحه والكذب محال عليه تعالى دون غيره فما لكم مبتدأ
وخبر والاستفهام للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى
بعضهم وقوله تعالى في المنافقين متعلق بما تعلق به الخبر اي اي شيء كائن لكم فيهم اي
في امرهم وشانهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما بما يدل عليه قوله تعالى
فئتين من معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين واما بالمحذوف وقع حالا
من فئتين اي كائنتين في المنافقين لانه في الاصل صفة فلما قدمت نصبت حالا كما هو
شان صفات النكرات على الاطلاق او من الضمير في تفترقون وانتصاب فئتين عند البصريين
على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله عز وجل فما لهم عن
التذكرة معرضين وعند الكوفيين على الخبرية لكان مضمرة اي فما لكم في المنافقين كنتم فئتين
والمراد ان يكون انكارا للمخاطبين من تصحيح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان لوجوب بت
القول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار
وصفهم السابق روي انهم قوم من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج
الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق
الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا [illegible]
وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible]
[illegible] والله اركسهم
حال من المنافقين مفيدة لتاكيد الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود المانع بعد
بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين [illegible] الى الاختلاف في
كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى ردهم الى الكفر بما كسبوا
كسبوا من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] وقيل ما مصدرية اي بكسبهم [illegible]
واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم مشددا وركسوا مخففا اتريدون ان تهدوا
من اضل الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فضلاً عمن كان نفسه وجعل الهداية والاضلال على الحكم بهما اياه قوله عز وجل **ومن يضلل الله**
فلن تجد له سبيلا اي ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا
عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد
ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال يخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء
وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة
اما حالية من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو والفراض تذييلي مقرر لانكار السابق ومؤكد
لاستحالة الهداية بخبيثه حينئذ ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم
ودوا لو تكفرون كلام مستانف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال
غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية تغني عن الجواب فيحيى ما بعدها
نصب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى **كما كفروا** نصب على انه نعت لمصدر محذوف
اي كفرا مثل كفرهم او حال من ضميره فان الصدر كما هو راي سيبويه وقوله تعالى **فتكونون سواء** عطف
على تكفرون داخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل
كلمة لو على بابها وجوابها محذوف وسكوتهم عنه والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك
فلا تتخذوا منهم اولياء الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان
المراد نهي ان يتخذوا احد من المخاطبين وليا منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر من وداده كفركم فلا
توالوهم **حتى يهاجروا في سبيل الله** اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم لا لغرض من اغراض الدنيا **فان تولوا** اي عن الايمان الظاهر بالهجرة الصحيحة
المستقيمة **فخذوهم** اذا قدرتم عليهم **واقتلوهم حيث وجدتموهم** من الحل والحرم فان حكمهم
حكم سائر المشركين اسرا وقتلا **ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا** اي جانبوهم مجانبة كلية
ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة **الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق** استثناء من
قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا
يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد
مناة وقيل هم خزاعة **او جاءوكم** عطف على الصلة اي الذين جاءوكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم
استثنى من المأمور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والاخر من اتى
وكف عن قتال الفريقين او على انه صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم كافين
عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سياتي من قوله تعالى فان اعتزلوكم الاية فانه صريح
في ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ جاءوكم بغير عاطف على انه صفة بعد
صفة او بيان ليصلون او استئناف **حصرت صدورهم** حال باضمار قد بدليل انه قرئ حصرة صدورهم
وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاءوكم اي جاءوكم قوما حصرت صدورهم وقيل
هو بيان لجاءوكم وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصر الضيق والانقباض **ان يقاتلوكم**
او يقاتلوا قومهم اي عن ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم الى اخره **ولو شاء الله لسلطهم**
عليكم جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم في
سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا كالطائفة
الاولى اي ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها **فلقاتلوكم**

عقيب ذلك

عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير او الابدال من الاولى وقرئ فلقاتلوكم بالتخفيف
والتشديد **فان اعتزلوكم** ولم يتعرضوا لكم **فلم يقاتلوكم** مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله تعالى
والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام **فما جعل الله لكم عليهم**
سبيلا طريقا بالاسر والقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم
السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم **ستجدون آخرين يريدون**
ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا
ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليامنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار
وكان غرضهم ما ذكر **كلما ردوا الى الفتنة** اي دعوا الى الكفر وقتال المسلمين **اركسوا فيها** قلبوا
فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير **فان لم يعتزلوكم** بالكف عن التعرض لكم بوجه
ما **ويلقوا اليكم السلم** اي لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم **ويكفوا ايديهم** اي لم
يكفوها عن قتالكم **فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم** اي تمكنتم منهم **واولئكم** الموصوفون
بما عدد من الصفات القبيحة **جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** حجة واضحة في الايقاع بهم
قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا
ظاهرا حيث اذنا لكم في اخذهم وقتلهم **وما كان لمؤمن** اي وما صح له ولا لاق بحاله **ان يقتل مؤمنا**
بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك **الا خطا** فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة
البشرية وانتصابه على انه حال اي ما كان له ان يقتل مؤمنا في حال من الاحوال الا في حال الخطا او
على انه مفعول له اي ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطا او على انه صفة للمصدر اي الا
قتلا خطا وقيل الاستثناء منقطع ولا والتقدير فهما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطا وقيل ما كان
نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطا فجزاؤه ما يذكر والخطا ما لا يقارنه القصد
الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف
الكفار مع الجهل باسلامه وقرئ الا خطاء بالمد وخطى كعصى بتخفيف الهمزة روي ان عياش بن
ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبي
صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يأويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل
ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب
وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما
فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث
لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل وثاقه او يرتد ففعل بلسانه
ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى
عليه فقتله ثم علم باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه
فنزلت **ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة** اي فعليه او فالواجب تحرير رقبة اي
اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالراس **مؤمنة** محكوم باسلامها وان كانت
صغيرة **ودية مسلمة الى اهله** مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك
بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي
من عقل زوجها **الا ان يصدقوا** اي يتصدق اهله عليه سمي العفو عنها صدقة
حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ

الا ان يتصدقوا وهو متعلق بدية او بمسلمة اي تجب الدية او يسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم
فهو في محل النصب على الظرفية او الا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او من القاتل
فان كان اي المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو مؤمن ولم يعلم به القاتل لكونه
بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم وان اتاهم بعدما فارقهم فتحرير
رقبة مؤمنة اي فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله ولانهم
محاربون وان كان اي المقتول المؤمن من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق اي عهد موقت
او مؤبد فدية اي فعلى قاتله دية مسلمة الى اهله من اهل الاسلام ان وجدوا ولعل
تقديم هذا الحكم هاهنا مع تأخيره فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا
عن توهم نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده
بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ الى آخره لبيان ان كونه فيما
بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي
او المعاهد لئلا يلزم الخلل لولا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومهما
فمن لم يجد اي رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل اليها من الثمن فصيام اي فعليه
صيام شهرين متتابعين لم يتخلل بين يومين من ايامهما افطار توبة نصب على انه مفعول له
اي شرع ذلك لكم توبة اي قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد لفعل
محذوف اي تاب عليكم توبة وقيل على انه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف اي
فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة اي كائنة
من الله تعالى وكان الله عليما بجميع الاشياء التي من جملتها حاله حكيما في كل ما شرع وقضى من
الشرائع والاحكام التي من جملتها ما شرعه في شأنه ومن يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل
خطأ وفصل اقسامه الثلاثة عقب ببيان القتل عمدا خلا ان حكمه الدنيوي لما بين في سورة
البقرة اقتصر هاهنا على حكمه الاخروي روي ان مقيس بن ضبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه
هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر القصة فارسل
معه صلى الله عليه وسلم زهير بن عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار يامرهم بتسليم
القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى
ولرسوله صلى الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا
راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فقال اتقبل دية اخيك
فتكون سبة عليك اقتل الذي معك فتكون نفسا بنفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة
فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها الى مكة كافرا وهو يقول قتلت به فهرا
وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان
اول راجع فنزلت الى النبي صلى الله عليه وسلم ولذا استثناه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن
آمنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي
سكون التاء كانه فر من توالي الحركات فجزاؤه الذي يستحقه بجنايته جهنم وقوله تعالى
خالدا فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم
خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول جازاه وايد ذلك بانه ليس بعطف
عليه بموافقته له صيغة ولا يخفى ان ما يقدر للحال والعطف عليه يحقه ان يكون مما يقتضيه المقام

اقتضاء ظاهرا او يدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان يكون جزاؤه ما ذكر لا يقتضي وقوع
الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يفتقر الى تأويلها او يخل بطريق الاخبار عن وقوعه وقوله
تعالى وغضب الله عليه عطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق
الاستئناف تقريرا وتأكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك وغضب عليه اي انتقم منه ولعنه
اي ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير ان والفعل الماضي
على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظائره اي يجزاه وان يغضب الله الى آخره
واعد له في جهنم عذابا عظيما لا يقادر قدره وما يرى في الآية الكريمة من التهديد الشديد
والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد فقد تأيدت بما روي من الاخبار الشداد كقوله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن وقوله صلى الله
عليه وسلم لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وقوله صلى الله عليه وسلم
من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وغير ذلك من
القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا متمسك لهم فيها لا
لما قيل من انها في حق المستحل كما هو رأي عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت في مقيس بن ضبابة
الكناني المرتد حسبما مر من حكايته فان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب بل لان المراد بالخلود
هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روي عن سفيان ان اهل العلم
اذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي
عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا
وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا سأله القاتل المؤمن توبة فقال لا وسأله آخر فقال نعم فقيل له قلت لذلك كذا
ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت ما قلت
لئلا ييأس [illegible] وروي عن [illegible] جواز المغفرة له [illegible] الآية في
جزاؤه فان شاء ان يجازيه تجاوز عنه وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم هي جزاؤه ان
جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وابو صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي والاصل في ذلك ان الله تعالى
يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد وبهذا وردت السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث
انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن اوعده على عمل عقابا
فهو بالخيار والتحقيق ان الآية [illegible] عليه في ذلك الاصل لان الآية اخبار منه تعالى بان جزاءه
ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا
بانه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير يا ايها الذين آمنوا
[illegible]
للمبالغة في الامور اذا ضربتم في سبيل الله [illegible]
[illegible] فتبينوا بالبتة اي فاطلبوا بيان الامر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير
روية وقرئ فتثبتوا اي اطلبوا الثبات والتأني فيه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام
[illegible] وقرئ السلم بغير
الف وبكسر السين وسكون اللام اي لا تقولوا لمن حياكم بتحية الاسلام [illegible]

الاستسلام والانقياد **لست مؤمنا** وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه
بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا لك الامان وهذا انسب بالقراءة بين الاخيرتين والاقتصار على
ذكر تحية الاسلام في القراءة الاولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة
في الزجر والنهي عنه والتنبيه على ظهور كمال خطائهم ببيان ان تحية الاسلام كانت كافية في الكف والاعراض
عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما قوله تعالى **تبتغون عرض الحياة الدنيا** حال من فاعل لا تقولوا
منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على ان يكون النهي راجعا الى القيد فقط كما في قولك
لا تطلب العلم تبتغي الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام
سريع النفاد قوله تعالى **فعند الله مغانم كثيرة** تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد
الضمني كأنه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه
قوله تعالى **كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم** تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تأخيره لما
فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة
بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية وتقديم
خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بينهما وذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في
حيز الصلة والفاء في فمن للعطف على كنتم اي مثل ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في
مبادي اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله عليكم
بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم واموالكم ولم يأمركم بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله
تعالى **فتبينوا** فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم
وافعلوا به ما فعل بكم في اوائل اموركم من اجراء الاحكام على ظاهر الحال من غير وقوف على تواطي الظاهر والباطن هذا
هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وتستدعيه فخامة شان التنزيل ومن حسبان المعنى اول ما دخلتم
في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة
قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه
فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في الكافة ولا تقولوا
الى آخره فقد ابعد عن الحق لان ما ادعي انه عرفت ببيان تحصين الدماء والاموال حكم مترتب على ما فيه المماثلة
بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهار ان ترتبه عليه في حقهم يقتضي ترتبه عليه في حقه
ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتأتى بتبيينه منه تعالى عليهم بالترتب على ما تدل
على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر من ان قوله فحصنت دماءكم واموالكم حتى ينبئ الى الباث
وارتكاب تقدير بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير الاستاذ مبناه على ساير قوله ليفيد ان ما ذكر بصدد
التفسير وان كان قد ادعي مستمرا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم يريد اثباته في حقه
بناء على ثبوته في حقهم كالمعين المذكور حتى ينبغي ان يتعرض له ولا بان له مدخل في وجوب ظاهر الاسلام
من الداخلين فيه بحيث يحتج بذكره في سلك ما فرع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا الخ وحمل الكلام على المعنى
انكم في اول الامر كنتم مثلهم في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله عليكم وبلغكم هذه الرتبة العالية منه
فلا تفتخروا بحالتكم ولا تنظروا الى حالتكم هذه بل اعتبروا بها الى حالتكم السابقة برده ان ظهور كونهم حينئذ لا يستقصد الاسلام
للتوهم عدم مطابقة قلبه لسانه فان الآية الكريمة نزلت في شان مرداس بن نهيك من اهل فدك كان قد اسلم
ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا
وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله

محمد رسول

محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفي
رواية انما قالها تعوذا من السلاح فقال صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه وفي رواية افلا
شققت عن قلبه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة
فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة
وقيل نزلت في رجل قال يا رسول الله خرجنا نطلب القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلا فلما احس بالسيف
قال اني مسلم فقتلته فقال له صلى الله عليه وسلم قتلت مسلما قال انه كان متعوذا فقال صلى الله عليه
وسلم افلا شققت عن قلبه **ان الله كان بما تعملون** من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها **خبيرا**
فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهاونوا في القتل واحتاطوا فيه وهو تعليل لما قبلها
بطريق الاستيناف وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل **لا يستوي
القاعدون** بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت مساعيهم في الجهاد وبعد ما مر
من الامر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له
رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس هم
القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من انهم
المتخلفون عن تبوك فانه مما لا يوافق التاريخ ولا يساعده الحال اذ لم يكن المتخلفون يومئذ من الرخصة
قوله تعالى **من المؤمنين** متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين اي كائنين من المؤمنين وفائدتها
الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم والايعاز بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى
غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم بأعيانهم او
بدل منه وقرئ بالنصب على انه حال منه او استثناء وبالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه والضرر
المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وفي معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت رضي الله
عنه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي
حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال
ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة ثم
سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر **والمجاهدون** اي ذاتهم
العنوان دون الخروج ليفيد ايجابا لكل الوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس وكذا التقييد بالجهادة
بكونها **في سبيل الله باموالهم وانفسهم** لمدحهم بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم لعلو الرتبة
مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للايذان من اول الامر
بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء
بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره
بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير
ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة
لصلة المفضول قوله عز وجل **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة**
استيناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهم اجمالا ببيان
كيفيته وكميته مبني على سؤال ينساق اليه المقال كأنه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ
واما تقدير ما لهم لا يستوون فانما يليق بجعل الاستيناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا لاثباته

وفيه تحقيق ظاهر فان الذي يستحق ان يكون مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على
درجات متفاوتة تنويها لهما وعدم استوائهما قصارى امره ان يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين
والقاعدين للعهد بحيث يكون الجهاد في سبيل الله معتبرا في الاول كما ان قيد عدم الضرر
معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل اي فضل الله
تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين
اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم قوله تعالى وكلا مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة
القصر تاكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى اي المثوبة
الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على احد الوجهين متعلقة
برسولا والجملة اعتراض جيء به تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان
المفضول قوله عز وجل وفضل الله المجاهدين على القاعدين عطف على قوله تعالى فضل
الله الخ واللام في الفريقين مغنية لها عن ذكر القيود التي تركت على سبيل التدريج وقوله تعالى
اجرا عظيما مصدر مؤكد لفضل على انه بمعنى اجر وايثاره على ما هو مصدر من فعله للاشعار
بكون ذلك التفضيل اجرا للاعمال او مفعول ثان له بتضمينه معنى الاعطاء اي اعطاهم زيادة
على القاعدين اجرا عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم قوله تعالى
درجات بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع
صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز
هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقال
السدي هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان في الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والارض
ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربته اسواطا اي ضربات كانه قيل فضلهم
تفضيلات وقوله تعالى ومغفرة بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي
مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا حتى تعد
من خصائصهم وقوله تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما
باضمار فعلهما اي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبي عن
المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه
الكلام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة
والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق
والتقرير كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ
كانه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق
هذا البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسيرها فاد
بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونها للعهد فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما للاختلاف
بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى
عاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وفي الآخرة بدرجات
لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالهما
ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير

واما اولوا الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبان الاستثناء من النفي
واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لقد خلفتم بالمدينة لاقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم هم الذين صحت
نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وما منعهم من المسير الا ضرر او غيره وفي رواية
اخرى ان بالمدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله
وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر وقال اهل المساواة مشروطة بشريطة اخرى
سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله
وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في ان
الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية وكان الله
غفورا رحيما تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين توفاهم الملائكة بيان لحال
القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضيا ويؤيده قراءة
من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التاءين والاصل تتوفاهم على حكاية الحال الماضية
والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي
الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم
فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ
كما في قوله تعالى غير محلي الصيد هديا بالغ الكعبة ثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا
عطفه كانه قيل ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين
فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي الملائكة للمتوفين
تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخا
لهم بذلك فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امور دينكم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
سؤال الملائكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير
متعللين بما يوجبه على زعمهم كنا مستضعفين في الارض اي في ارض مكة عاجزين عن القيام
بمواجب الدين فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة
واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم في ذلك فيرده ان سبب العجز عنها
لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او لعدم تمكين الكفرة فلا يكون
بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت
الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة
واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا
لهم وتوبيخا بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا
بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم
متمكنين من المهاجرة فاولئك الذين حكيت احوالهم الفظيعة ماواهم اي في الآخرة جهنم كما ان ماواهم
في الدنيا دار الكفرة لتركهم الفريضة المحتومة فماواهم مبتدا وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه
الجملة خبر ان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من
يشترطه او هو الخبر والعائد منه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرية بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه وبها

في خبره وساءت مصيرا أي مصيرهم أو جهنم وفي الآية الكريمة إرشاد إلى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من إقامة أمور دينه بأي سبب كان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام إلا المستضعفين استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والإشارة إليه وقوله من الرجال والنساء والولدان متعلق بمحذوف وقع حالا من المستضعفين أي كائنين منهم وذكر الولدان إن أريد بهم المماليك والمراهقون فظاهر وأما إن أريد بهم الأطفال فللمبالغة في أمر الهجرة والإيهام بأنها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والإشعار بأنه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم إذا بلغوا حتى كأنها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وأن قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين ولأنه لا تأقيت من الكلم ليس التعريفا وحال منه أو من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر إليه بنفسه أو بدليل فأولئك إشارة إلى المستضعفين المذكورين بما ذكر من صفاتهم المحض عسى الله أن يعفو عنهم جيء بكلمة الإطماع ولفظ العفو إيذانا بأن الهجرة من تأكد الوجوب بحيث ينبغي أن يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله عفوا غفورا تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها أي ومهاجرا وإنما عبر عنه بذلك تأكيدا للترغيب بما فيه من الإشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة إلى ما يكون سببا لرغم أنف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم وسعة أي من الرزق ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت أي قبل أن يصل إلى المقصد وإن كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه إيثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو ضمة الهاء نقلت إلى الكاف على نية الوقف كما في قوله من عنزي سبني لم أضربه وقرئ بالنصب على إضمار أن كما في قوله وألحق بالحجاز فأستريحا فقد وقع أجره على الله أي ثبت ذلك عنده ثبوت الأمر الواجب روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالآيات المتقدمة إلى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لأهتدي الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو نحو ذلك فهي هجرة إلى الله عز وجل وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم وكان الله غفورا مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة إلى وقت الخروج رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه بإكمال ثواب هجرته وإذا ضربتم في الأرض شروع في بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمرض والمطر وفيه تأكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤونة أي إذا سافرتم أي مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة فليس عليكم جناح أي حرج ومأثم أن تقصروا أي في أن تقصروا والقصر خلاف المد يقال

قصرت الشيء أي جعلته قصيرا بحذف بعض أجزائه أو أوصافه فمتعلق القصر حقيقة إنما هو ذلك الشيء لا بعضه فإنه متعلق بالحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى من الصلاة ينبغي أن يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الأخفش وأما على تقدير أن تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأي سيبويه أي شيئا من الصلاة فينبغي أن يصار إلى وصف الجزء بصفة الكل أو يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشيء إذا حبسته أو يراد بالصلاة الجنس ليكون المقصور بعضها وهي الرباعيات أي فليس عليكم جناح في أن تقصروا بعض الصلاة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الإقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى واحد وأدنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند أبي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلاثة أيام بلياليها بسير الإبل ومشي الأقدام بالاقتصاد وعند الشافعي رحمه الله مسيرة يومين وظاهر الآية الكريمة بالتخيير وأفضلية الإتمام وبه تعلق الشافعي رحمه الله وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها أنها أتمت تارة وقصرت أخرى وعن عثمان ابن عفان رضي الله عنه أنه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا أن بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة إسقاط بحيث لا مساغ للإتمام لا رخصة ترفيه إذ لا معنى للتخيير بين الأخف والأثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله عليهم أجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم وعن أنس خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة وعن عمران بن حصين ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في السفر إلا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال أتموا فإنا قوم سفر وعن ابن مسعود أن عثمان رضي الله عنه صلى بمنى أربع ركعات فاسترجع ثم قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين بمنى وصليت مع أبي بكر رضي الله عنه ركعتين بمنى وصليت مع عمر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان رضي الله عنه عن إتمامه بأنه تأهل بمكة وعن الزهري أنه إنما أتم لأنه أزمع الإقامة بمكة وعن عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري أنها قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وأما ما روي عنها من الإتمام فقد اعتذرت عنه وقالت أنا أم المؤمنين فحيث حللت فهي داري وإنما ورد ذلك بنفي الجناح لما أنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة أن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا إليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما مع أن ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي قوله تعالى إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا جواب لمحذوف دل عليه ما قبله أي إن خفتم أن يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم إلخ وهو شرط معتبر في شرعية ما ذكر بعده من صلاة الخوف المؤداة بالجماعة وأما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الآثار مسندا إلى يعلى بن أمية أنه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما قال الله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الإكمال لأن التصدق
بما لا يحتمل التمليك كالتطليق والتمليك إسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهم أنه مخالف
للكتاب لأن التقييد بالشرط عندنا إنما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط وأما عدمه عند عدمه
فمسكوت عنه فإن وجد له دليل ثبت عنده أيضا وإلا يبقى على حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقق
دليل عدمه وناهيك بما سمعت من الأدلة الواضحة عند القائلين بالمفهوم فلا ريب في أنه إنما يدل
على نفي الحكم عند عدم الشرط إذا لم يكن له فائدة أخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الأغلب كما
في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا بل نقول إن الآية الكريمة مجملة في حق مقدار
القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر فكل ما ورد
من النبي صلى الله عليه وسلم من القصر في حال الأمن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وفي
الضرب بالمدة المعينة بيان لإجمال الكتاب وقد قيل إن قوله تعالى إن خفتم إلخ متعلق بما بعده
من صلاة الخوف منفصل عما قبله فإنه روي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال نزل قوله
تعالى وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ثم سألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد حول فنزل إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح إلى
آخره وقرئ من الصلاة أن يفتنكم بغير إن خفتم على أنه مفعول له لما دل عليه الكلام كأنه قيل شرع
لكم ذلك كراهة أن يفتنكم إلى آخره فإن استمرار الاشتغال بالصلاة مظنة لاقتدارهم على إيقاع الفتنة
قوله تعالى **إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** تعليل لذلك باعتبار تعلقه بما ذكر أو لما فيهم من
التمكن من كون فتنتهم متوقعة فإن كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء قوله تعالى
وإذا كنت فيهم بيان لما في الآية من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير
لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع أن الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق
السنة لمزيد حاجتها إليه لما فيها من كثرة التغييرات عن الهيئات الأصلية ومن ههنا ظهر أن المورد
النص الشريف هي المقصودة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بطريق التجريد وبظاهره تمسك من لا يرى صلاة الخوف ولا يخفى أن الأئمة بعده نواب له صلى الله عليه وسلم
قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى خذ من
أموالهم صدقة وقد روي أن سعيد بن العاص لما أراد أن يصلي بطبرستان صلاة الخوف قال من
شهد منكم صلاة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك
فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكره أحد فحل محل الإجماع وروي في السنن
أنهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلاة الخوف **فأقمت لهم الصلاة** أي أردت
أن تقيم بهم الصلاة **فلتقم طائفة منهم معك** بعد أن جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الأخرى
بإزاء العدو ليحرسوكم منهم وإنما لم يصرح به لظهوره **وليأخذوا** أي الطائفة القائمة معك
أسلحتهم أي لا يضعونها ولا يلقونها وإنما عبر عن ذلك بالأخذ للإيذان بالاعتناء باستصحابها
كأنهم يأخذونها ابتداء **فإذا سجدوا** أي القائمون معك وأتموا الركعة **فليكونوا من ورائكم**
أي فلينصرفوا إلى مقابلة العدو للحراسة **ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا** بعد وهم الطائفة
الواقفة تجاه العدو للحراسة وإنما لم يعرف لأنها لم تذكر فيما قبل **فليصلوا معك** الركعة الباقية
ولم يبين في الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي
عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلاة الخوف صلى بالطائفة

الأولى ركعة

الأولى ركعة وبالطائفة الأخرى ركعة كما في الآية ثم جاءت الطائفة الأولى وذهبت هذه إلى مقابلة
العدو حتى قضت الركعة الأخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الأخرى وقضوا
الركعة الأولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان **وليأخذوا** أي هذه الطائفة **حذرهم
وأسلحتهم** لعل زيادة الأمر بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة الأولى
القائمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل وأما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحرب وتكليف
كل من الطائفتين بما ذكر لما أن الاشتغال بالصلاة مظنة لإلقاء السلاح والإعراض عن غيرها
ومنبئة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى **ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم
فيميلون عليكم ميلة واحدة** فإنه استئناف مسوق لتعليل الأمر المذكور والخطاب للفريقين
بطريق الالتفات أي تمنوا أن ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة
والمراد بالأمتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الأمر للوجوب لقوله تعالى **ولا جناح عليكم
إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم** حيث رخص لهم في وضعها إذا ثقل
عليهم استصحابها بسبب مرض أو مطر وأمروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل **وخذوا
حذركم** لئلا يهجم عليكم العدو غيلة روى الكلبي عن أبي صالح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزى محاربا وبني أنمار فنزلوا ولا يرون من العدو أحدا فوضع الناس أسلحتهم فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه
صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله إن لم أقتلك
ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم على رأسه ثم سل
سيفه الحوث بما شئت ثم أهوى بالسيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أكب لوجهه من زلخة
زلخها كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني
الآن قال لا أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله
وأعطيك سيفك قال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لأنت خير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا أحق بذلك منك فرجع غورث إلى أصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع
رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة الأسباب كي يحل بهم عذابه بأيديكم وقيل لما كان الأمر بالحذر
من العدو موهما لتوقع غلبته واعتزازه نفى ذلك الإيهام بأن الله ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى
قلوبهم **فإذا قضيتم الصلاة** صلاة الخوف أي أديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها **فاذكروا
الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم** أي فداوموا على ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته
ودعائه في جميع الأحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون **فإذا اطمأننتم** سكنت قلوبكم من الخوف وأمنتم بعد ما وضعت الحرب أوزارها
فأقيموا الصلاة أي الصلاة التي دخل وقتها حينئذ أي أدوها بتعديل أركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد
بالذكر في الأحوال الثلاثة الصلاة فيها أي فإذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياما عند المسايفة
وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فإذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا
ما صليتم في تلك الأحوال التي هي حال القلق والانزعاج وهو رأي الشافعي وفيه من البعد ما لا يخفى **إن
الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** أي فرضا موقتا قال مجاهد فرضا وقته الله تعالى عليهم
فلا بد من إقامتها في حال الخوف أيضا على الوجه المشروع وقيل مفروضا مقدرا في الحضر أربع ركعات

وفي الشعر كفيتين فكانت تؤدي في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي
لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب قوله تعالى ان تكونوا تألمون فانهم
يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من الآلام
مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون عليها فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به
منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب في الآخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ
ان تكونوا بفتح الهمزة اي لا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والآية
نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما حكيما فيما يأمر به فيجتهدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب
حميدة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر
سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد
ابن السمين اليهودي فالتمس الدرع عند طعمة فلم يوجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا
اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو
ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة
اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد
ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة
يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الخروج ولا الدخول فاخذ ليقتل فقيل دعوه
فانه قد لجأ اليك فتركوه واخرجوه من مكة فلحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزل منزلا فسرق بعض
متاعهم وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا
فيه دنانير فاخذوه والقي في البحر لتحكم بين الناس بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك ولا
تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم وهو طعمة ومن يعينه ممن يرمي به او هو ومن يسير
بسيرته خصيما مخاصما للبرآء اي لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي معطوف على امر ينسحب عليه النظم
الكريم كأنه قيل فاحكم ولا تكن للخائنين واستغفر الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله
كان غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين
يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم
والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن يعاونه ويشهد ببراءته من قومه فانهم
شركاء له في الاثم والخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها
اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض والسخط بالمبالغ في الخيانة
والاثم ليس لتخصيصه بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من الناس يستترون
منهم حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه سبحانه وهو
احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء
منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا
يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون
من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت ها انتم هؤلاء
تلوين الخطاب وتوجيه له بطريق الالتفات تأكيدا [illegible] توبيخهم مشافهة
بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر قوله تعالى جادلتم عنهم في الحياة الدنيا جملة

مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته
والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله في الدنيا فمن
يجادل الله عنهم يوم القيامة فمن يخاصم عنهم يوم القيامة عند تعذيبهم وعقابهم ام من
يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا
يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب
وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الكبيرة والصغيرة ثم يستغفر الله بالتوبة
الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد
ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لايثار المغفرة والرحمة نعمة
زائدة كما هي ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله
الى غيره فليتحرز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وكان الله عليما مبالغا في
العلم حكيما مراعيا للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا تحمل وازرة وزر اخرى ومن
يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف واصله
يكتسب او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به اي يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير
مع تعدد المرجع لمكان او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كأنه قيل ثم يرم باحدهما وقرئ
يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريئا اي
مما رماه به ليحمل عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريرته
على البريء بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت فيه ويتحير عند سماعه وفظاعته وهوله
وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اي بينا عظيما فاحشا وقد اكتفي في بيان
عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كأنه قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على ان وصفه بما ذكر
بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارة عن امر واحد هو رمي البريء بجناية نفسه وقد عبر عنه بهما
تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي به للرامي فان رمي البريء بجناية
ما خطيئة كانت او اثما بهتان واثم في نفسه فاما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان
كون الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من ينسبه الى البريء منه ايضا
كذلك بل لا يكون ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم لا محالة
وبكون تلك الجناية للرامي يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جنايته المكسوبة الى رمي
البريء والا لكان الرمي بغير جنايته مثل الرمي بجنايته في العظم ولا لمجرد اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة والا
لكان الرمي بغير جنايته مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البريء
واجراء عقوبتها عليه كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه على ما فيه من الايذان
بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الامر يعمهما ما ذكر من انضمام كسبه
وتبرئة نفسه الى رمي البريء تزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة للمجموع لا للرمي ولولا فضل الله
عليك ورحمته باعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة
لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة ويجوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم
ويكون الضمير راجعا الى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا نكسر اصنامنا ولا نعشر فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يضلوك اي بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بحقيقة الامر والجملة جواب لولا وانما

نفي همهم مع أن المنفي إضلالهم لا همهم فقط إيذانا بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر
ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف أي لأضلوك وقوله تعالى لهمت جملة مستأنفة
أي لقد همت طائفة منهم **وما يضلون إلا أنفسهم** لاقتصار وبال مكرهم عليهم من غير أن يصيبك
منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى **وما يضرونك من شيء** عطف عليه ومحل الجار والمجرور
النصب على المصدرية أي وما يضرونك شيئا من الضرر لما أنه تعالى عاصمك وأما ما خطر ببالك فكان
عملا منك بظاهر الحال ثقة بأقوال القائلين من غير أن يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة أي القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة
وعلمك بوحي من خفيات الأمور التي من جملتها وجوه إبطال كيد المنافقين أو من أمور الدين وأحكام
الشرع **ما لم تكن تعلم** ذلك إلى وقت التعليم **وكان فضل الله عليك عظيما** إذ لا فضل أعظم
من النبوة العامة والرياسة التامة **لا خير في كثير من نجواهم** أي في كثير من تناجي الناس **إلا من أمر
بصدقة أو معروف** إلا في نجوى من أمر وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى
جمع نجي نقله الكرماني وأيا ما كان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع أيضا على معنى لكن من أمر بصدقة
إلى آخره ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم أصناف الجميل وفنون أعمال
البر وقد فسر هاهنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوع على أن المراد بالصدقة الصدقة الواجبة
أو إصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير أن يجاوز في ذلك
حدود الشرع الشريف إما متعلق بنفس إصلاح يقال أصلحت بين القوم أو بمحذوف هو صفة له أي
كائن بين الناس عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا
أدلك على صدقة خير لك من حمر النعم قال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب
إذا تباعدوا قالوا ولعل السر في إفراد هذه الأقسام الثلاثة بالذكر أن عمل الخير المتعدي إلى الناس إما
لإيصال المنفعة أو لدفع المضرة والمنفعة إما جسمانية كإعطاء المال وإليه الإشارة بقوله إلا من أمر بصدقة
وإما روحانية وإليه الإشارة بالأمر بالمعروف وأما دفع الضرر فقد أشير إليه بقوله أو إصلاح بين
الناس **ومن يفعل ذلك** إشارة إلى الأمور المذكورة أعني الصدقة والمعروف فإنه يشار به إلى المتعدد
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لبعد منزلتها ورفعة شأنها وترتيب الوعد على فعلها
إثر بيان خيرية الأمر بها لما أن المقصود الأصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الأمر بها للدلالة
على خيريته بالطريق الأولى ولما أن مدار حسن الأمر وقبحه حيث ثبت خيرية الأمر بالأمور المذكورة
فخيرية فعلها أثبت وفيه تحريض للآمر بها على فعلها كالذي يتوهم في الخيرية من أن استتباع الأمر بها للأجر
العظيم إنما هو بذريعة إلى فعلها فاستتباعه له أولى وأحق **ابتغاء مرضات الله** علة للفعل والتقييد
به لأن الأعمال بالنيات وأن من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان **فسوف نؤتيه** بنون
العظمة على الالتفات وقرئ بالياء **أجرا عظيما** يقصر عنه الوصف **ومن يشاقق الرسول**
التعرض لعنوان الرسالة لإظهار كمال شناعة ما اجترءوا عليه من المشاقة والمخالفة
وتعليل الحكم الآتي بذلك **من بعد ما تبين له الهدى** ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على
نبوته **ويتبع غير سبيل المؤمنين** أي غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين
القيم **نوله ما تولى** أي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بأن نخلي بينه وبين ما اختاره **ونصله
جهنم** أي ندخله إياها وقرئ بفتح النون من صلاه **وساءت مصيرا** أي جهنم وفيه
دلالة على حجية الإجماع وحرمة مخالفته **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**

قد مر

قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتأكيد والتشديد أو لقصة طعمة وقد مر موته كافرا وروي عن
ابن عباس رضي الله عنهما أن شيخا من العرب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني شيخ منهمك
في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جراءة
على الله تعالى وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله
تعالى فنزلت **ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة
وأبعدها عن الصواب والاستقامة كما أنه افتراء وإثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد
ضل إلى آخره وفيما سبق فقد افترى إثما عظيما حسبما اقتضاه سياق النظم الكريم وسباقه **إن يدعون**
أي ما يعبدون **من دونه** تعالى **إلا إناثا** هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن أنه لم يكن
من أحياء العرب حي إلا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان قيل لأنهم كانوا يقولون في أصنامهم
هن بنات الله وقيل لأنهم كانوا يلبسونها أنواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة
لقولهم الملائكة بنات الله وقيل تسميتها إناثا لتأنيث أسمائها أو لأنها في الأصل جماد والجماد تؤنث من
حيث إنها ضاهت الإناث لانفعالها وإيرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم
والإناث جمع أنثى كثمار وثمر وقرئ وثنا وأثنا بالتخفيف على أنه جمع وثن كأسد وأسد وأسوح على
الأصل وقلبت الواو همزة نحو أجوه في وجوه **وإن يدعون** بعبادتها **إلا شيطانا مريدا**
إذ هو الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكانت عبادتها عبادة له والمريد والمارد الذي لا يعلق
بخير وأصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وللتي تناثر ورقها **لعنه الله** صفة
ثانية لشيطانا **وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا** عطف على الجملة المتقدمة أي
شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على
أن عبادة الأصنام غاية الضلال بطريق التعليل بأن ما يعبدونه ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا
وذلك ينافي الألوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بأن ذلك عبادة الشيطان وهو أفظع الضلال من جهات
ثلاث الأول أنه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الحق
والثاني أنه ملعون لضلاله فلا تستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث أنه في غاية العداوة والسعي في
إهلاكهم وإضلالهم فموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع أي نصيبا
قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء **ولأضلنهم ولأمنينهم** الأماني الباطلة كطول الحياة وأن لا بعث ولا
عقاب ونحو ذلك **ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام** أي فليقطعنها بموجب أمري ويشقنها من غير
تلعثم في ذلك ولا تأخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب **ولآمرنهم فليغيرن خلق الله**
عن نهجه صورة أو صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم ونحو ذلك وعموم اللفظ
يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه
مقالا أو حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم والمأمور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه
ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بإيثاره ما يدعو إليه على ما أمر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله
تعالى إلى طاعته **فقد خسر خسرانا مبينا** لأنه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة
مكانه من النار **يعدهم** أي بالأكاذيب ونحوها **ويمنيهم** أي الأماني الفارغة أو يفعل لهم الوعد
والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في يتخذ
وخسر باعتبار لفظها **وما يعدهم الشيطان إلا غرورا** وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر
وهذا الوعد إما بإلقاء الخواطر الفاسدة أو بألسنة أوليائه وغرورا إما مفعول ثان للوعد

او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر
ان يعدهم في قوم يغرهم بوعد والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها من باب الوعد اولئك
اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو
مبتدأ وقوله تعالى مأواهم مبتدأ ثان وقوله تعالى جهنم خبر للثاني والجملة خبر
للاول ولا يجدون عنها محيصا اي معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل خلص ونجا
وقيل الحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اي كائنا عنها ولا مساغ
لتعلقها بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله والذين
آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة اولئك
وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية
وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله
تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات وحقا على انه حال من المصدر ومن
اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة
لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل
مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القيل اسم لا مصدر ونصبه على التمييز وقرئ
باشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله
من الثواب يحصل بامانيكم ايها المسلمون ولا بامانى اهل الكتاب وانما يحصل
بالايمان والعمل الصالح وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة
حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا
العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن
اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت
وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا
نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا
ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما
معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به عاجلا وآجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو
بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك
اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله اي مجاوزا لموالاة الله ونصرته
وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات اي بعضها
او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في
يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنا من ذكر او انثى وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل
بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه
بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى
البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة

وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيرا اي لا ينقصون شيئا حقيرا
من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلأن لا يزاد عقاب العاصي
اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب ومن احسن
دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له
في السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل وقيل فوض امره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون
احد احسن دينا ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها
يرشدك اليه العرف المطرد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان
فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى
ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن دينه احسن من دين
من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى
ما تنتهي اليه القوة البشرية وهو محسن اي آت بالحسنات تارك للسيئات او آت بالاعمال الصالحة
على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اتبع او من ابراهيم
واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامات الخليل عند خليله واظهاره
عليه الصلاة والسلام والتنصيص على انه الممدوح وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة
من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين
يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى
الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض جملة من جملتها الترغيب في اتباع ملته
صلى الله عليه وسلم فانه من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيقا
بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم واشرف ما يرمق نحوه احداق الامم قيل انه
صلى الله عليه وسلم بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان
ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة
فرجع غلمانه عليه الصلاة والسلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اتوا
بها الى منزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام القوها وتفرقوا وجاء احدهم واخبر ابراهيم بالقصة
فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة الى
الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحوارى فاختبزت وفي رواية فاطعمت الناس وانتبه ابراهيم فاشتم
رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال هو من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله
تعالى خليلا ولله ما في السموات وما في الارض جملة مبتدأة سيقت لتقرير وجوب طاعته تعالى
على اهل السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج عن ملكوته شيء
فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا او شرا وقيل لبيان ان اتخاذه تعالى لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه
سبحانه الى ذلك في شأن من شؤونه كما هو دأب الآدميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض
في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل
لبيان ان اصطفاءه عليه الصلاة والسلام للخلة بمحض مشيئته تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا
يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وكان الله بكل شيء محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله على
الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم

ثم ايقرر ذلك احسن تقرير **ويستفتونك في النساء** اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام
الآتية لا في حق يتاماهن خاصة فانه صلى الله عليه وسلم قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن
مما بين حكمه فيما سلف فاحيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه ثم بين حكمه بعد ذلك
هاهنا وقوله تعالى **قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب** باسناد الافتاء الذي هو تبيين
المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى والى ما يتلى من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك اغناني زيد
وعطاؤه يعطف على المبتدأ وضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وايضا صيغة المضارع
للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه اي
يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالا
من المتلو فيه اي يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد
اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم فان العدل في الحقوق
المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها كما سلف حسبما هو شأن
ما في التنزيل وما يتلى يجوز ان يكون مجرورا على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كأنه قيل
قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم **في الكتاب** فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق والا
فلا مساغ لعطفه على المجرور فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى **في يتامى النساء**
على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شأنهن وعلى الاخرى بدل من فيهن
وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء
اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وغيره **وترغبون** عطف على
الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل تؤتونهن بتأويل وانتم ترغبون لا ريب
في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فائدة الا اذا اريد بما كتب لهن صداقهن **ان تنكحوهن**
لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاكل مالهن او في ان تنكحوهن لجمالهن بغير كمال الصداق فذلك ما روي عن
عائشة رضي الله عنها اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها
بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وعن ان ينكحوهن ولك
ما روي عنها رضي الله عنها انها اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها
وفي رواية عنها رضي الله عنها انها هي الرجل تكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها فيرغب ان يتزوجها ويكره ان يزوجها
في العدق فيعضلها فلا يتزوجها او يكره ان يزوجها رجلا فيشركه في مالها لمعاشرته فيعضلها فالمراد بما كتب
لهن على الوجه الاول على الاخير ارثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى فآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى
ولا تأكلوها ونحوها من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما
يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الآية **والمستضعفين من الولدان** عطف
على يتامى النساء وبما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثون
النساء والصغار ويورثون الرجال القوام بالامور روي عن عيينة بن حصين الفزاري جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من
يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت **وان تقوموا لليتامى بالقسط**
بالجر عطف على ما قبله وبما يتلى في حقهم الخ ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى
اموالكم ونحو ذلك مما لا يخص هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير
كونه بدلا من فيهن فوجه نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار

فعل اي ويأمركم وهو خطاب للولاة والاولياء والاوصياء **وما تفعلوا** في حقوق المذكورين
من خير حسبما امرتم به او ما تفعلوا من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق
بهم اندراجا اوليا **فان الله كان به عليما** فيجازيكم بحسبه **وان امرأة خافت** شروع
في بيان ما لم يبين فيما سلف من الاحكام اي فان خافت امرأة **من بعلها نشوزا** اي تجافيا
عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها **او اعراضا** بان يقل مجالستها ومؤانستها
لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب **فلا جناح عليهما** حينئذ **ان يصلحا بينهما صلحا** اي
في ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان
يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة او بان تهب له شيئا تستميله
وقرئ يصالحا من يتصالحا ويصلحا من يصطلحا من المفاعلة وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور
على كل تقدير على انه مصدر منبئ عن الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كما في قوله صلحا
تصالحا او اصطلاحا حسبما في الفعل او بفعل مترتب على المذكور اي فيصلح حالهما صلحا وبينهما
ظرف للفعل او حال من صلحا والغرض نفي الجناح عنهما مع انه ليس من جانبها الا الاخذ الذي هو مظنة
الجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والآخذ **والصلح خير** اي من الفرقة
او من سوء العشرة او من الخصومة واللام للعهد او خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض
مقرر لما قبله وكذا قوله **واحضرت الانفس الشح** اي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك
عنه ابدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فان فيه
تحقيقا للصلح وتقريرا له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي التماسك
في التمادي والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية
بغير استمالة مما يحمل المرأة على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل
الرجل ان يقتنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح **وان تحسنوا** في العشرة
وتتقوا النشوز والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما **وتصبروا** على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة
ولم تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن **فان الله كان بما تعملون** اي من الاحسان والتقوى
بما تعملون جميعا فيما تخلفون ذلك دخولا اوليا **خبيرا** فيجازيكم ويثيبكم عليه التفات الى الخطاب
ان تنبيه على المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان
ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف
الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها
سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت في ابي السائب كانت له امرأة قد كبرت وله
منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي واقسم لي في كل
شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء** اي محال عادة ان
تقدروا ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن في شأن من الشؤون البتة وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا
تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله
عنها **ولو حرصتم** اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك **فلا تميلوا كل الميل** اي فلا تجوروا على

المرجو بعضها بحمل المجهود فاعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم بها
لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها اي التي ملتم عنها كالمعلقة التي ليست
ذات بعل او مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احداهما جاء
يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل
فان الله كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا
وقرئ يتفارقا اي وان يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح
وغيره يغن الله كلا اي يجعله مستغنيا عن الاخر ويكفه مهماته من سعته من غناه وقدرته
وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في
افعاله واحكامه وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض اي من الموجودات كائنا
ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك جملة مستانفة مبنية على كمال سعته وعظم قدرته
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن
قبلهم من الامم واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على
الموصول ان اتقوا الله اي وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها
الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية في معنى القول فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في
السموات وما في الارض حينئذ من تتمة القول اي ولقد قلنا لكم ولهم اتقوا الله وان تكفروا
الى آخره وعلى تقدير كون ان المصدرية مبنيا على الكلام ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا
لكم ولهم ان تكفروا الآية وقيل هي جملة مستانفة خوطب بها هذه الامة واياما كان فالمترتب
على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الآية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان
لله الآية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات وما في الارض من الخلائق
قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه لحظة فحق على
كل ان يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله تعالى وكان الله غنيا
عن الخلق وعباداتهم حميدا محمودا في ذاته حمده او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا
ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما في السموات وما في الارض
كلام مبتدأ مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي اي له سبحانه
ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة
وكفى بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان
يشا يذهبكم ايها الناس اي يفنكم ويستاصلكم بالمرة ويات باخرين من البشر او خلقا آخر
مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان يشا افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم
الى آخره يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق
مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك
اي على افنائكم وايجاد آخرين مكانكم دفعة قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب
بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويات باخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا

كالمجاهد

كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اي فعنده تعالى ثوابهما له
ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء
او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريد كقوله من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها الآية وكان
الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة
بمراداتهم اندراجا اوليا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل واقامة
القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله
وهو خبر ثان وقيل حال ولو على انفسكم اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان
الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة
مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه او الوالدين والاقربين اي ولو كانت على والديكم
واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه غنيا يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه او فقيرا يترحم
عليه وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى فالله
اولى بهما عليه اي فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بهم
فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي
حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا
اي السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تاتوا بها لا على وجهها وقرئ وان تلوا من الولاية
والتصدي اي وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا اي عن اقامتها راسا فان الله كان بما
تعملون خبيرا اي من لي الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر خبيرا
فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخيرة متضمنة
للوعد يا ايها الذين آمنوا خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله والكتاب
الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه
طمانينة ويقينا اي آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب الثاني
الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه والايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب
منزل منه تعالى على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان
الايمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية
بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان
بالكتاب المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما
نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل
المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول وقيل
هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلامة وابن اخيه سلمة واسدا
واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله
عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت
فآمنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتوراة مع انهم مؤمنون بها من قبيل ليس لكون المراد
بالايمان ما يعم انشاءه والثبات عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها كانه قيل

آمنوا بالكل ولا يخص بالبعض بل لان المأمور به انما هو الايمان بها في ضمن الايمان بالقرآن على الوجه
الذي اشير اليه آنفا لا ايمانهم السابق ولانه قد يخلو كثيرا على التسوية بينهما وبين سائر
الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل لاهل الكتاب
فالمعنى آمنوا ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر او بشيء من ذلك فقد
ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الآخر
في جانب الكفر لما ان الكفر بالكل لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول
كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا ثم آمنوا عند عوده اليهم ثم كفروا
بعيسى عليه الصلاة والسلام والانجيل ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل
هم قوم تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم سبيلا لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد
ضربت على الكفر وتمرنت على الردة فكان الايمان عندهم اهون شيء وادونه لا انهم لو اخلصوا
الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اي مريدا ليغفر لهم وقوله تعالى بشر
المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان المراد بالمذكورين الذين آمنوا في الظاهر نفاقا وكفروا
في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم الذين يتخذون
الكافرين اولياء في محل النصب والرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نصب
على انه صفة للمنافقين وقوله تعالى من دون المؤمنين حال من فاعل يتخذون اي يتخذون
الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد
صلى الله عليه وسلم فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة انكار لرأيهم وابطال له وبيان ل
خيبة رجائهم وقطع لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اي يطلبون
بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة الصلبة
عزاز وقوله تعالى فان العزة لله جميعا تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان
رأيهم وخيبة رجائهم فان انحصار جميع افراد العزة في جنابه تعالى بحيث لا ينالها الا اولياؤه
الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه
واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله
جميعا حال من فاعل المستكن في قوله لله لاعتماده على المبتدأ وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين
بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذي ينبئ عنه حكاية حالهم وقرئ مبنيا للفاعل من التنزيل
والانزال ونزل ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم ومعاينة
استعصائهم عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك
وهو ورود النهي الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم على ابلغ وجه وآكده اثر بيان
انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم اولياء والحال انه تعالى قد نزل
عليكم قبل هذا بمكة في الكتاب اي القرآن الكريم ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ
بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك قوله تعالى واذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة
القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هي المخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف
والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها

عطف عليه

عطف عليه داخل في حكم الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل
امر الكفر بها والاستهزاء بها وفيه دلالة على ان المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وان خوطب به
خاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن ذلك
تارة بالرؤية وتارة بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض
بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها
انكم اذا مثلهم جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل واذا
ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر اي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم ان فعلتموه
كنتم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة
الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون
وقيل هو منصوب على الظرفية اي في مثل حالهم وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب
والمراد بالمنافقين اما المخاطبون ونصب جميعا مثل ما قبله الذين يتربصون بكم تلوين
للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو اما بدل
من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب
على الذم اي الذين ينتظرون امركم وما يحصل لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالى فان كان
لكم فتح من الله لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد
ذلك كما ان نفس التربص يستدعي شيئا ينتظر المتربص وقوعه قالوا اي لكم الم نكن معكم اي
مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا
اي للكفرة الم نستحوذ عليكم اي الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم و
نمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم فتوانوا في
قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية
ظفر المؤمنين وتخسيس حظ الكافرين وتفخيم شأنهم باضافته الى فالله يحكم بينكم يوم القيامة حكما
يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم
يضع السيف على من تكلم بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ
كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او في الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدأ سيق لبيان طرف آخر من قبائح اعمالهم
اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع
حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعد لهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر
التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى
نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين
كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان يراؤون الناس ليحسبوهم مؤمنين
والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري غيره عمله وهو يريه
استحسانه والجملة اما استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يريدون بقيامهم
اليها كسالى فقيل يراؤون الناس او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على
يراؤون اي لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل

أي إلا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان أو لا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط إلا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرون الله تعالى في الصلاة إلا قليلا عند التكبير والتسليم **مذبذبين بين ذلك** حال من فاعل يراؤون أو لا يذكرون أو منصوب على الذم وذلك إشارة إلى الإيمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام أي مترددين بينهما أي متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد أخرى وقرئ بكسر الذال أي مذبذبين قلوبهم أو دينهم أو رأيهم أو هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه متذبذبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى أخذهم تارة في دبة وتارة في أخرى **لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء** أي لا منسوبين إلى المؤمنين ولا منسوبين إلى الكافرين أو لا صائرين إلى الأولين ولا إلى الآخرين فمحله النصب على أنه حال من ضمير مذبذبين أو على أنه بدل منه أو بيان وتفسير له **ومن يضلل الله** لعدم استعداده للهداية والتوفيق **فلن تجد له سبيلا** موصلا إلى الحق والصواب فضلا عن أن يهديه إليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين** نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وإن كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير **أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا** أي أتريدون بذلك أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة على أنكم منافقون فإن موالاتهم أوضح أدلة على النفاق أو سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الإنكار إلى الإرادة دون متعلقها بأن يقال أتجعلون إلخ للمبالغة في إنكاره وتهويل أمره ببيان أنه مما لا يصدر عن العاقل إرادته فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم إلخ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار** وهي الطبقة التي في قعر جهنم وإنما كان ذلك لأنهم أخبث الكفرة حيث ضموا إلى الكفر الاستهزاء بالإسلام وأهله وخداعهم وأما قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهي لغة كالسطر والسطر ويعضده أن جمعه أدراك **ولن تجد لهم نصيرا** يخلصهم منه كما سبق **إلا الذين تابوا** أي عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر **وأصلحوا** ما أفسدوا من أحوالهم في حال النفاق **واعتصموا بالله** أي وثقوا به وتمسكوا بدينه **وأخلصوا دينهم لله** أي جعلوه خالصا له لا يبتغون بطاعته إلا وجهه **فأولئك** إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة **مع المؤمنين** أي المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق أصلا منذ آمنوا وإلا فهم أيضا مؤمنون أي معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى **وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما** لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم** استئناف مسوق لبيان أن مدار تعذيبهم وجودا وعدما إنما هو كفرهم لا شيء آخر فيكون مقررا لما قبله من إثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على أبلغ وجه وآكده أي أي شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثأر أم يستجلب به نفعا أو يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك وهو الغني المتعالي عن أمثال ذلك وإنما هو أمر يقتضيه كفركم فإذا زال ذلك بأن تحققتم بالإيمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الإيمان لما أنه طريق موصل إليه فإن الناظر يدرك أولا ما عليه من النعم الأنفسية

والآفاقية

والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى إلى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه **وكان الله شاكرا عليما** الشكر من الله سبحانه هو الرضى باليسير من طاعة عباده وإضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وإيمانكم فيستحيل أن لا يوفيكم أجوركم **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول** عدم محبته تعالى لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء أي لا يحب الله تعالى أن يجهر أحد بالسوء كائنا من القول **إلا من ظلم** إلا جهر من ظلم بأن يدعو على ظالمه أو يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فإن ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ إلا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع أي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء **وكان الله سميعا** بجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم **عليما** بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء **إن تبدوا خيرا** أي خير كان من الأقوال والأفعال **أو تخفوه أو تعفوا عن سوء** مع ما سوغ لكم من مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في إبداء الخير وإخفائه لما أنه الحقيق بالبيان وإنما ذكر إبداء الخير وإخفاؤه بطريق التسبب له كما ينبئ عنه قوله عز وجل **فإن الله كان عفوا قديرا** فإن إيراده في معرض جواب الشرط يدل على أن العمدة هو العفو مع القدرة أي كان مبالغا في العفو مع كمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو أقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا لمن عفا **قديرا** على إيصال الثواب إليه **إن الذين يكفرون بالله ورسله** أي يؤدي إليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا أنهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى **ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله** أي بأن يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بأن يصرحوا بالإيمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الاستلزام كما يحكيه قوله تعالى **ويقولون نؤمن ببعض** أي نؤمن ببعض الأنبياء **ونكفر ببعض** بعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك إلا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله تعالى ورسله في الإيمان لأنه تعالى قد أمرهم بالإيمان بجميع الأنبياء وما من نبي من الأنبياء إلا وقد أخبر قومه بحقية دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى أيضا من حيث لا يحتسب **ويريدون** بقولهم ذلك **أن يتخذوا بين ذلك** أي بين الإيمان والكفر **سبيلا** يسلكونه مع أنه لا واسطة بينهما إذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق إلا الضلال **أولئك** الموصوفون بالصفات القبيحة **هم الكافرون** الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه إيمانا أصلا **حقا** مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي حق ذلك أي كونهم كاملين في الكفر حقا أو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفرا حقا أي ثابتا يقينا لا ريب فيه **وأعتدنا للكافرين** أي لهم وإنما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم أو لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا أوليا **عذابا مهينا** سيذوقونه عند حلوله **والذين آمنوا بالله ورسله** على الوجه الذي بين في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية **ولم يفرقوا بين أحد منهم** بأن يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على أحد قد مر تحقيقه في سورة البقرة على ما لا مزيد عليه **أولئك** المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة **سوف نؤتيهم أجورهم** الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد

والدلالة على انه تعالى لا يخل بالاحالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم بالنون للعظمة وكان الله غفورا لما فرط
منهم رحيما مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم
كتابا نزلت في احبار اليهود حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب من السماء
جملة كما اتى به موسى عليه الصلوة والسلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الالواح كما نزلت التورية
او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله وما كان مقصودهم بهذا من المطلبة
الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد
سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه
وقيل تعليل للجواب اي فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى اكبر من هذه المسألة وان صدرت
عن اسلافهم فانهم كانوا مقتدين بهم في كل ما ياتون وما يذرون فقالوا ارنا الله جهرة
اي ارناه جهرة اي عيانا او مجاهرين اي معاينين له قال الفاء تفسيرية فاخذتهم الصاعقة
اي نار جاءتهم من السماء فاهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم اي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم
وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا
العجل من بعد ما جاءتهم البينات اي المعجزات التي اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر
وغيرها لا التورية لانها لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل
هذا استدعاء لهم الى التوبة كأنه قيل ان اولئك الذين اجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا
حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا
انفسهم توبة عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما دل
انهم امتنعوا عن قبول شريعة التورية فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه على ما
روي انهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب هنا
لسياق من قوله تعالى واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقلنا لهم على لسان موسى عليه الصلوة والسلام
والطور مظل عليهم ادخلوا الباب قال قتادة كنا نحدث انه باب من ابواب بيت المقدس وقيل
هو ايليا وقيل اريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت
المقدس في حيوة موسى عليه الصلوة والسلام سجدا اي متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا
اي لا تعتدوا باصطياد الحيتان في السبت وقرئ لا تعدّوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال
على ان اصله تعتدوا فادغمت التاء في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم على
الامتثال بما كلفوه ميثاقا غليظا مؤكدا وهو العهد الذي اخذ الله عليهم في التورية قيل انهم اعطوا
الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم بما شاء من العذاب فبما نقضهم ما زائدة فيما نقضهم
ميثاقهم مزيدة للتأكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف اي بسبب نقضهم
ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات التي نزلت عليهم او على اعقابهم
روي انهم اعتدوا في السبت في عهد داود عليه الصلوة والسلام فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة
بحرمنا على ان قوله تعالى فبظلم بدل من قوله فبما وما عطف عليه فيكون التحريم متعلقا بالكل ولا يجوز ان يتعلق به
انا قتلنا المسيح وقولهم على مريم بهتانا متأخر عن التحريم والاسباب متعلقة بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله
عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قوله تعالى وقولهم قلوبنا غلف فلا
يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله اي بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق كزكريا ويحيى
عليهما الصلوة والسلام وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل

اليها ما جاء

اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم او هي تخفيف غلف جمع غلاف وهي ايضا للعلوم فنحن مستغنون
بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها
حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين
المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اي ليس كفرهم وعدم وصول الحق
الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم
كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه او
الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وبكفرهم اي بعيسى عليه الصلوة والسلام وهو عطف على قولهم ولعل اعادة
الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه من اسباب الطبع
وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى ثم
بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره
حيث نسبوها الى ما هي عنه بالف منزلة وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله نظم قولهم
هذا في سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه ابتهاجهم بقتل النبي و
استهزائهم به فان وصفهم له عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم كما في قوله تعالى يا ايها
الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ولانبائه عن ذكرهم له عليه الصلوة والسلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان
ذلك وضع الذكر الجميل من جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه الصلوة والسلام من جهته
تعالى مدحا له عليه الصلوة والسلام ورفعا لمحله واظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله ونهاية
وقاحتهم في افتخارهم بذلك وما قتلوه وما صلبوه حال او اعتراض ولكن شبه لهم روي ان رهطا
من اليهود سبوه عليه الصلوة والسلام وامه فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره
الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام
رجل منهم فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه الصلوة والسلام فلما
اراد قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه السلام فرفع عليه السلام والقي شبهه على المنافق
فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه الصلوة والسلام وقيل ان طيطايوس اليهودي دخل بيتا
كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق لا
تستبعد في عصر النبوة وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عليه الصلوة والسلام فرفعه الله تعالى الى السماء خاف
رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا فقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه
المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه الصلوة والسلام لهم الا قليلا وشبه مسند الى
الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن
ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا
فيه اي في شأن عيسى عليه الصلوة والسلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود
انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه
وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب
الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه
يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء
منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما
كان او غيره فالاستثناء حينئذ متصل وما قتلوه يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه

ما علموه يقينا كما في قوله من قال كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقنا من قولهم
قتلت الشيء علما ونحرته اذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفي عنهم ذلك بالكلية
بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه **وكان الله عزيزا** لا يغالب فيما يريده **حكيما** في
جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى في امر عيسى عليه الصلوة والسلام دخولا اوليا **وان من اهل**
الكتاب اي من اليهود والنصارى وقوله تعالى **الا ليؤمنن به قبل موته** جملة قسمية وقعت صفة لاحد
محذوف اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عليه الصلوة والسلام اي وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن
بعيسى عليه الصلوة والسلام قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت
التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما ان احدا في معنى الجمع وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها
شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن
به وعن شهر بن حوشب قال قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال
اني اوتي بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت
ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد
نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه
ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن سمعت فقلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية رضي
الله عنه فاخذ ينكت في الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم
وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى عليه
الصلوة والسلام والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى احد الا ليؤمنن به قبل موته روي
انه عليه الصلوة والسلام ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة
واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال ويقع الامان حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع
البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون
ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم **ويوم القيمة يكون**
اي عيسى عليه الصلوة والسلام **عليهم** اي على اهل الكتاب **شهيدا** فيشهد على اليهود بالتكذيب
وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **فبظلم من الذين هادوا**
لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اي تابوا من عبادة العجل
مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي اي بسبب
ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم **حرمنا عليهم طيبات احلت لهم**
ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا انهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها يحرم عليهم
نوع من الطيبات التي كانت تحل لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون
على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما
حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله تعالى في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل
الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين اي في
ادعائكم انه تحريم قديم روي انه عليه الصلوة والسلام لما كلفهم اخراج التورية لم يجسر احد على
اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان منطوقا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين **وبصدهم عن سبيل الله**
كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا **واخذهم الربوا وقد نهوا عنه** فان الربوا كان محرما عليهم

كما هو

كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه **واكلهم اموال الناس بالباطل**
بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة عليهم **واعتدنا للكافرين منهم** اي المصرين على الكفر لا لمن تاب
وآمن من بينهم **عذابا اليما** سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم **لكن**
الراسخون في العلم منهم استدراك من قوله واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم
عاجلا وآجلا اي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك
الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام واصحابه **والمؤمنون** اي منهم وصفوا بالايمان بعد ما وصفوا
بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف المنبي عن المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف في
العنوان منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تعالى **يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** حال
من المؤمنين مبينة لكيفية ايمانهم وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله تعالى **والمقيمين**
الصلوة قيل نصب باضمار فعل تقديره واعني المقيمين الصلوة على ان الجملة معترضة بين المبتدا
والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام اي يؤمنون
بالكتب وبالانبياء وقيل الملائكة قال مكي اي ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله
سبحانه وتعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في اليك اي يؤمنون بما انزل
اليك والى المقيمين الصلوة الانبياء وقيل على الضمير المجرور في منهم اي لكن الراسخون في العلم منهم ومن
المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنين بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني
منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما سياتي من المعطوفين فان قوله تعالى **والمؤتون الزكوة** عطف على
المؤمنين مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى **والمؤمنون بالله واليوم الآخر** فان المراد
بالكل مؤمنو اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان
حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة
على الانبياء عليهم السلام ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع والاحكام واكتفي من بينها بذكر اقامة
الصلوة وايتاء الزكوة المستتبعين لسائر العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدأ
والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل
الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى **اولئك** اشارة اليهم باعتبار
اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم
في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى **سنؤتيهم اجرا عظيما** خبره والجملة خبر للمبتدا الذي هو
الراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا التركيب متجاوب لما في
الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر العظيم ولا تنس قوله
تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرا عظيما واما ما جنح اليه
الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك خبرا للمبتدا في كمال السداد بخلاف التعيين متعرض
لتقابل الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله **انا اوحينا**
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شانه في
حقيقة الارسال واصل الوحي كشان سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والكاف
في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر

للقدر نفر فاحمامهم اي يسبق به اي اوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا الى نوح ومن بعده
متعلق باوحينا وانما بدأ بنوح لانه ابو البشر واول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والاحكام
واول نبي عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله تعالى بدعائه اهل الارض **واوحينا**
الى ابراهيم عطف على اوحينا الى نوح داخل معه في حكم التشبيه اي وكما اوحينا الى ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب عليهم الصلاة والسلام **وعيسى**
وايوب ويونس وهارون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين
تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
وميكال وتصريحا بمن ينتمي اليهم من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم
طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي **وآتينا داود زبورا** قال القرطبي كان فيه
مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لانه اي
الزبور من باب الايحاء اي وكما آتينا داود زبورا وعدم ذكر ايتائه على واوحينا الخ او وعدم التعرض لتحقيق المماثلة
اختصاص وهو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايحاء ثم اشير الى تحقيقها في امر لانه اخص وقيل
كليا وهو الارسال فان قوله تعالى **ورسلا** نصب بمضمر يدل عليه اوحينا داخل معه في حكم التشبيه
قبله اي وكما ارسلنا رسلا لا بما يفسره قوله تعالى **قد قصصناهم عليك** اي وقصصنا رسلا
كما قاله وفرعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلا
وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه تمام الاسلوب كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل
وقوله تعالى **من قبل** متعلق بقصصنا اي قصصناهم من قبل هذه السورة او اليوم **ورسلا لم**
نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض
والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ ولا يكون انتصابهما بارسلنا فان فيه تحقيقا
للمماثلة بين شأنه صلى الله عليه وسلم وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم الصلاة
والسلام في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم في الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم
لمعنى آتيناك وارسلناك حتما كأنه قيل انا اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا
الى ابراهيم من بعده وآتيناك الفرقان ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا
مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير
تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسألونك شيئا لم يعطه احد
من هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن هاهنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان نصبه
انما يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة
ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا
اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين ما ذكر بعده ادلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا الاول
يقتضي تقدير نصبه في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا **وكلم الله موسى** برفع الجلالة
ونصب موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى **تكليما** مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال
الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر واذا اكد به لم يكن
الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة
لا على آتينا وما عطف عليه واما مستقلة بتقرير ما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والتعرض لان
التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به من بينهم موسى فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الانبياء

فكيف بنوهم

فكيف بنوهم نزول التوراة عليه عليه السلام جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب
مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك لحكمة مقتضية لذلك من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد
وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا **رسلا مبشرين ومنذرين** نصب على المدح او باضمار ارسلنا
او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين لاهل الطاعة
بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار **لئلا يكون للناس على الله حجة** اي معذرة يعتذرون بها
قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة
البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من
قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك الآية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد
عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول
عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله تعالى لذلك حرم الفواحش ما ظهر
منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب واللام متعلقة بارسلنا
وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا
من حجة اي كائنة على الله او هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الآخر
الذي هو الخبر ولا يجوز تعلقه بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى **بعد الرسل** اي بعد
ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظروف توصف بها
الاحداث كما يخبر عنها بها نحو القتال يوم الجمعة **وكان الله عزيزا** اي لا يغالب في امر من اموره ومن قضيته
الامتناع عن الاجابة الى مسألة المتعنتين **حكيما** في جميع افعاله التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان
تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الامم
في الاحوال التي يدور عليها فلك التكليف فحيث انه سبحانه وتعالى يربيهم على انحاء متباينة بحسب ما اقتضته
الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشأنهم ويقتضيه حال كل طائفة واستعداداتهم المتفاوتة من الشرائع
والاحكام حسبما تستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور
المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد محجوب لتنافي الحكمة
فيثقل على المكلف فيفوقها الخروج والتفريط عند نزولها واما التنزيل المنجم الواقع حسب الامور الداعية اليه
فهو ايسر تحملا واسهل امتثالا **لكن الله يشهد** بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة
وهو استدراك عما يفهم مما قبله كانه لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك
انا اوحينا الخ قيل انهم لا يشهدون بذلك ولكن الله يشهد **بما انزل اليك** على البناء للفاعل وقرئ على البناء
للمفعول والباء صلة للشهادة اي يشهد بحقية ما انزل اليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل
قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد **انزله بعلمه** اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي
لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزل اليه واستعداده لاقتباس الانوار
القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل
وعلى الثالث من المفعول والجملة في موضع التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى **والملائكة يشهدون**
اي بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اي انزله والملائكة يشهدون بصدقه
وتحقيقه يشهدون **وكفى بالله شهيدا** على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة

مضية عن الاستشهاد وتجيبها ﴿ان الذين كفروا﴾ اي بما انزل الله تعالى فشهد به او بكل ما يجب الايمان
به وهو داخل فيه دخولا اوليا قاله اذ بهم اليهود حيث كفروا به ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ وهو دين
الاسلام لمن اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفته محمدا في كتابنا وقرئ صُدّوا مبنيا للمفعول ﴿قد ضلوا﴾
بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ﴿ضلالا بعيدا﴾ لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل
يكون اغرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ﴿ان الذين كفروا﴾ اي بما ذكر انفا ﴿وظلموا﴾ اي محمدا صلى الله
عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة او وضع غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم
في المعاش والمعاد ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم﴾ لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر
لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء
بطريق الاشارة خلقه الله تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى
اكتسابها او سوقهم اليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل
خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع ﴿خالدين فيها﴾ حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل
عليه الاستثناء دلالة واضحة كأنه قال يدخلهم جهنم خالدين فيها الى آخره وقوله ﴿ابدا﴾ نصب على
الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل ﴿وكان ذلك﴾ اي جعلهم خالدين في جهنم ﴿على الله يسيرا﴾
لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته ﴿يا ايها الناس﴾ بعد ما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل
اليهود بالاباطيل وافترائهم الباطل لهمتنا وتحقيقه ذلك بتحقيق نبوته صلى الله عليه وسلم وتقرير رسالته
بيان ان شانه صلى الله عليه وسلم في امر الوحي والارسال كشؤون من يعتد قديم نبوته من مشاهير الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وأكد ذلك بشهادته سبحانه وتعالى وشهادة الملائكة امر المكلفين كافة على طريقة تلوين الخطاب
بالايمان بذلك امرا مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد تنبيها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق لاحد بعد ذلك
عذر في عدم القبول وقوله عز وجل ﴿قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم﴾ تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به
وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته
والملابسة بالحق هو القرآن الكريم وقيل انه متعلق بجاء اي جاء بالحق او بمحذوف وقع حالا من الرسول اي ملتبسا بالحق
ومن ابتدائية متعلقة اما بالفعل او بمحذوف هو حال من الحق اي جائيا كائنا من عنده تعالى وجاء بالحق كائنا من عنده
تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق
ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء في قوله تعالى ﴿فآمنوا﴾ للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اي فآمنوا
به وبما جاء به من الحق وقوله تعالى ﴿خيرا لكم﴾ منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو رأي الخليل
وسيبويه اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم او صفة لمصدر محذوف او خبر لكان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط
الساقط وهو رأي الكسائي وابي عبيدة اي يكن الايمان خيرا لكم ﴿وان تكفروا﴾ اي تصروا وتستمروا على الكفر
به ﴿فان لله ما في السموات والارض﴾ من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهم
على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا
اوليا اي كلها له عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج عن ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شانه فهو قادر على تعذيبكم
بكفركم لا محالة ومن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك
فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره ﴿وكان الله عليما﴾ مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل
في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا ﴿حكيما﴾ مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه
تعالى اياهم بكفرهم ﴿يا اهل الكتاب﴾ تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه
من الكفر والضلال ﴿لا تغلوا في دينكم﴾ بالافراط في رفع شان عيسى عليه الصلاة والسلام وادعاء

الوهيته واما اغلاء اليهود في حط رتبته عليه الصلاة والسلام ورميهم بانه ولد لغير رشدة
فقد نعى عليهم ذلك فيما سبق ﴿ولا تقولوا على الله الا الحق﴾ اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول
والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك ﴿انما المسيح﴾ قد مر تفسيره في سورة
آل عمران بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدا وقوله تعالى
﴿عيسى﴾ بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى ﴿ابن مريم﴾ صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه
عليه السلام به من بنوته وقوله تعالى ﴿رسول الله﴾ خبر للمبتدا والجملة مستانفة مسوقة
لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة
لا يتخطاها ﴿وكلمته﴾ عطف على رسول الله اي مكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة
اب ولا نطفة ﴿القاها الى مريم﴾ اي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه الصلاة والسلام
وقيل اعلمها اياها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى ابن مريم وقيل الجملة حال من ضميره عليه الصلاة والسلام المستكن فيما دل عليه وكلمته
من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها ﴿وروح منه﴾ قيل هو الذي نفخ جبريل
عليه السلام في درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ روحا لانه ريح يخرج من الروح ومن
لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد
ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه الصلاة
والسلام جزء منه تعالى وتلا هذه الاية فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
منه فقال اذا يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا فانقطع
النصراني واسلم ففرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف
وقع صفة لروح اي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل عليه الصلاة
والسلام لكون النفخ بامره تعالى وقيل هي روح الاحياء لا الاموات وقيل لاحياء القلوب كما سمي
بها القرآن كذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي
اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة
قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه الصلاة والسلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح
وتقديم كونه عليه الصلاة والسلام رسول الله تعالى في الذكر مع تأخره عن كونه كلمته تعالى وروحا منه
في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتأويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التأويل
الزائغ ﴿فآمنوا بالله﴾ وخصوه بالالوهية ﴿ورسله﴾ اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم
عن سلكهم بوصفه بالالوهية ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ اي الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ
عنه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم
يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم
يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة ﴿انتهوا﴾ عن التثليث ﴿خيرا لكم﴾
قد مر وجوه انتصابه ﴿انما الله اله واحد﴾ اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله
مبتدا واله خبره وواحد نعته اي منفرد في الهيته ﴿سبحانه ان يكون له ولد﴾ اي اسبحه تسبيحا
من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه الفناء وهو سبحانه
وتعالى منزه عن امثاله وقرئ ان يكون اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى ﴿له ما في السموات
وما في الارض﴾ جملة مستانفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات خلقا

ومُلكًا وتصرفًا لا يخرج عن ملكوته شيء من الأشياء التي من جملتها عيسى فكيف يُتوهم كونه ولدًا له تعالى
وكفى بالله وكيلا إليه يكل الخلق أمورهم وهو غني عن العالمين فأنى يُتصور في حقه تعالى
اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير أمورهم إلى من يخلفهم فيقوم مقامهم **لن
يستنكف المسيح** استئناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الأنفة والترفع من نكفت
الدمع إذا نحيته عن وجهك بالإصبع أي لن يأنف ولن يترفع **أن يكون عبدا لله** أي عن أن يكون
عبدا له تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وأن ذلك أقصى مراتب
الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عليه الصلاة والسلام عنه مع أن شأنه عليه الصلاة
والسلام المباهاة به كما يدل عليه أحواله وتفصح عنه أقواله ألا يرى أن أول مقالة قالها للناس
قوله إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه في موقع الجواب عما قاله الكفرة روي أن وفد نجران قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا
تقول إنه عبد الله قال إنه ليس بعار أن يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه
كونه عليه الصلاة والسلام عبدا له تعالى دون أن يقال عن عبادة الله ونحو ذلك مع إفادة فائدة
جليلة هي كمال نزاهته صلى الله عليه وسلم عن الاستنكاف بالكلية فإن كونه عبدا لله تعالى حالة
مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن
عبادته ألبتة كما أشير إليه بخلاف عبادته فإنها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي
في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها
ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيدا لله ولم
إن أريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج إلى التقدير واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي
أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه
عليه الصلاة والسلام وأجيب بأن مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه الصلاة والسلام عن
رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه الصلاة والسلام وامتيازه عن سائر أفراد البشر بالولادة
من غير أب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع إلى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم
استنكاف من هو أعلى درجة منه فيما ذكر فإن الملائكة مخلوقون من غير أب ولا أم وعالمون بما لا يعلمه
البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لأحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وإنما
النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وأن الآية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة
الملائكة أيضا فلا اتجاه لما قال حينئذ فإنه مسلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله أراد
بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل كما في قولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس
ولئن سلم إرادة التفضيل فغاية الأمر الدلالة على أفضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين هم
حول العرش أو من هو أعلى منهم رتبة من الملائكة عليهم الصلاة والسلام من المسيح ومن الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام وليس يلزم من ذلك فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا وهل النزاع إلا فيه
ومن يستنكف عن عبادته أي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وإنما جعل
المستنكف عنه هنا عبادته تعالى لا ما سبق لتشديد الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فإن عدم
طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم إلى إنكار اتصافهم به إن قيل إنه عبارة عن عدم طاعتهم لقوله تعالى
بالاستنكاف عنها مع أن ذلك منهم كان بطريق الأمر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف فقلنا بأنهم

كانوا

كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل هو إلا استنكاف عن طاعة الله
عز وجل إذ لا أمر له صلى الله عليه وسلم سوى أمره تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله **ويستكبر**
الاستكبار الأنفة عما لا ينبغي أن يؤنف عنه وأصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى
طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بل بمعنى عد نفسه كبيرا واعتقاده كذلك وإنما عبر
عنه بما يدل على الطلب للإيذان بأن ما له محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن ذلك
بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فإنهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج
لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعتقدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك
ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الإشعار بأن ليس هناك شيء سوى الطلب والاستنكاف دون
الاستكبار المنبئ عن أن هو لحوق العار بالنقص من المستنكف منه **فسيحشرهم إليه جميعا** أي
المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد
ترك ذكر أحد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فأما الذين آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لهما
اعتمادا على ظهور اقتضاء إثابة أحدهما لعقاب الآخر ضرورة عموم الحشر للخلائق الكل وقيل الضمير للمستنكفين
وهناك مقدر معطوف عليه والتقدير فيحشرهم وقيل المعنى فيحشرهم إليه يوم يحشر العباد
لمجازاتهم وفيه أن الأنسب بالتفصيل الآتي اعتبار حشر الكل في الإجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم
بكسر الشين وهي لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات **فأما الذين آمنوا وعملوا**
بيان لحال الفريق المطوي ذكره في الإجمال قدم على بيان حال ما يقابله إبانة لفضله ومسارعة إلى
بيان كون حشره أيضا معتبرا في الإجمال وإيراده بعنوان الإيمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف
لمناسبة ما قبله وما بعده التنبيه على أنه المستتبع لما يعقبه من الثمرات **فيوفيهم أجورهم** من غير أن
ينقص منها شيئا أصلا **ويزيدهم من فضله** بتضعيفها أضعافا مضاعفة وبإعطاء ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **وأما الذين استنكفوا** أي عن عبادته تعالى **واستكبروا
فيعذبهم** بسبب استنكافهم واستكبارهم **عذابا أليما** لا يحيط به الوصف **ولا يجدون لهم من
دون الله وليا** يلي أمورهم ويدبر مصالحهم **ولا نصيرا** ينصرهم من بأس الله تعالى وينجيهم من عذابه
يا أيها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له إلى كافة المكلفين إثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون
الكفر والضلال وإلزامهم بالبراهين القاطعة التي لا محيص لهم عنها وإزالة شبههم الواهية
بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على أن الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر
قد جاءكم أي وصل إليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم إلى الإنكار **برهان** البرهان ما يبرهن
به على المطلوب والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم المثبت لما فيه من
الأحكام التي من جملتها ما أشير إليه مما أثبته الآيات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل
وروي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه بما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل
هي المعجزات التي أظهرها وقيل هو دين الحق الذي أتى به وقوله تعالى **من ربكم** إما متعلق بجاءكم أو بمحذوف
وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي
كائن منه تعالى على أن من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز كونها تبعيضية بحذف المضاف
أي كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار اللطف
بهم والإيذان بأن مجيئه إليهم لتربيتهم وتكميلهم **وأنزلنا إليكم نورا مبينا** أريد به أيضا القرآن
الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما أشير إليه آنفا وأخرى بالنور المنير بنفسه المنور لغيره إيذانا بأنه

يأتي بنفسه مستغنٍ في ثبوت حقيته وكونه من عند الله تعالى بإعجازه غير محتاج إلى غيره
مبين لغيره من الأمور المذكورة وإشعارًا بهدايته للخلق بإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان
وقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلًا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة
الذاتية وعبّر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند إليه المنبئ عن كمال قوته في البرهانية
كأنه يجيء بنفسه فيثبت أحكامه من غير أن يجيء به أحد ويجيء على شبه الكفرة بالإبطال وأخرى
بالإنزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورًا توقيرًا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق
به وإسناد إنزاله إليه تعالى بطريق الالتفات لكمال التشريف هذا على تقدير البرهان عبارة عن القرآن
العظيم وأما على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن المعجزات الظاهرة على يده
أو عن الدين الحق والبراهين وقوله تعالى إليكم متعلق بأنزلنا فإن إنزاله بالذات وإن كان إلى النبي
صلى الله عليه وسلم لكنه منزل إليهم أيضًا بواسطته عليه الصلاة والسلام وإنما اعتبر حاله
بالواسطة دون حاله بالذات كما في قوله تعالى إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس ونظائره لإظهار
كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله إليهم مبالغة في الإعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع أن
حقه التأخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر والمحافظة على فواصل الآي
الكريمة **فأما الذين آمنوا بالله** حسبما يوجبه البرهان الذي أتاهم **واعتصموا به** أي عصموا
به أنفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان وغيره **فسيدخلهم في رحمة منه وفضل** قال ابن عباس
رضي الله عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعلى
عرضًا فيه العمل بالامتثال على طريقة قوله علفتها تبنًا وماءً باردًا فتنوين رحمة وفضل تفخيمي
ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة **ويهديهم إليه** أي إلى الله عز وجل وقيل إلى الموعود
وقيل إلى عبادته **صراطًا مستقيمًا** هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة
وتقديم ذكر الوعد بإدخال الجنة على الوعد بالهداية إليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين
للمسارعة إلى التبشير بما هو المقصد الأصلي قيل انتصاب صراطًا على أنه مفعول لفعل محذوف ينبئ
عنه يهديهم أي يعرفهم صراطًا مستقيمًا **يستفتونك** أي في الكلالة استغني عن ذكره بوروده
في قوله تعالى **قل الله يفتيكم في الكلالة** وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر
بن عبد الله رضي الله عنه روي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال
إن لي أختًا فكم آخذ من ميراثها إن ماتت وقيل كان مريضًا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي وروي عنه رضي الله عنه أنه قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنا مريض لا أعقل فتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وإنما يرثني
كلالة فنزلت وقوله تعالى **إن امرؤ هلك** استئناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره
المذكور وقوله تعالى **ليس له ولد** صفة له وقيل حال من الضمير في هلك ورجحانه بتفسير المحذوف
غير مقصود في الكلام أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرًا كان أو أنثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع أن
عدم الوالد أيضًا معتبر في الكلالة ثقة بظهور الأمر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى **وله
أخت** عطف على قوله ليس له ولد أو حال والمراد بالأخت من ليست لأم فقط فإن فرضها السدس وقد
مر بيانه في صدر السورة الكريمة **فلها نصف ما ترك** أي بالفرض والباقي للعصبة أو لها بالرد
إن لم يكن له عصبة **وهو** أي المرء المفروض **يرثها** أي أخته المفروضة إن فرض هلاكها مع بقائه **إن
لم يكن لها ولد** ذكرًا كان أو أنثى فالمراد بإرثه لها إحراز جميع مالها إذ هو المشروط بانتفاء الولد

بالكلية

بالكلية لا إرثه لها في الجملة فإنه يتحقق مع وجود بنتها فليس في الآية ما يدل على سقوط الإخوة بغير
الولد ولا على عدم سقوطهم وإنما دلت على سقوطهم مع الأب السنة الشريفة **فإن كانتا اثنتين**
عطف على الشرطية الأولى أي اثنتين فصاعدًا **فلهما الثلثان مما ترك** الضمير لمن يرث بالأخوة
والتأنيث والتثنية باعتبار المعنى قيل وفائدة الإخبار عنها باثنتين مع دلالة ألف التثنية
على الاثنينية التنبيه على أن المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما **وإن
كانوا** أي من يرث بطريق الأخوة **إخوة** أي مختلطة **رجالًا ونساءً** بدل من إخوة والأصل وإن
كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر على المؤنث **فللذكر** أي الذكر منهم **مثل حظ الأنثيين**
يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل من كتاب الله تعالى في الأحكام روي أن
الصديق رضي الله عنه قال في خطبته إن الآية التي أنزلها الله تعالى في سورة النساء في الفرائض
فأولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم والآية التي ختم بها السورة في
الإخوة والأخوات لأبوين أو لأب والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام
يبين الله لكم أي حكم الكلالة وأحكامه وشرائعه التي من جملتها حكمها **أن تضلوا** أي كراهة
أن تضلوا في ذلك وهذا رأي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين
إلى تقدير اللام ولا في طرفي أن أي لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى إن الله يمسك السموات
والأرض أن تزولا وقال أبو عبيد رويت للكسائي حديث ابن عمر رضي الله عنه وهو لا يدعون أحدكم
على ولده أن يوافق من الله إجابة أي لئلا يوافق فاستحسنه وليس فيما ذكر من الآية الشريفة والحديث
نص فيما ذهب إليه الكسائي وأصحابه فإن التقدير فيهما عند البصريين كراهة أن تزولا وكراهة
أن يوافق المكروه وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وإنما هو مفعول يبين أي يبين لكم ضلالكم الذي
هو من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه ولا يخفى بعد ذلك أنما يليق بما
إذا كان شأنه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطأ والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب **والله بكل شيء**
من الأشياء التي من جملتها الأحكام المتعلقة بمحياكم ومماتكم **عليم** مبالغ في العلم فيبين لكم
ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق
على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثًا وأعطي من الأجر كمن اشترى محررًا وبرئ من الشرك وكان في
مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم والحمد لله وحده صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة المائدة مائة وثلاث وعشرون آية مدنية

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد
وكذا الإيفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما ألزمه
الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والأحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود
الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن دينًا بأن يحمل الأمر على معنى يعم الوجوب
والندب أو يستقل بذلك ولأمر ما أجمل ثم شرع في تفصيل الأحكام التي أمر بالإيفاء بها وبدأ
بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل **أحلت لكم بهيمة الأنعام** البهيمة كل ذات أربع وإضافتها
إلى الأنعام للبيان كثوب خز وإفرادها لإرادة الجنس أي أحل لكم البهيمة من الأنعام والإضافة
لما بينهما وهي الأزواج الثمانية المعدودة في سورة الأنعام وألحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوها وقيل
هي المراد بالبهيمة ها هنا لتقدم بيان حل الأنعام والإضافة لما بينهما من المشابهة في الاجترار

وعدم الامان وفائدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين المتلاقين كانه قيل احلت لكم البهيمة
المشبهة بالانعام التي بين احلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور
على القائم مقام الفاعل لما مر من اظهار العناية بالمقدم مع ما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن **الا ما يتلى عليكم**
استثناء من بهيمة الانعام اي الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الخ او الا ما
يتلى عليكم آية تحريمه **غير محلي الصيد** اي الاصطياد في البر وكل صيده وهو نصب على الحالية
من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شائع في الكتاب والسنة وقوله
تعالى **وانتم حرم** اي محرمون حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام
بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظائرها ظاهر لما ان احلالها
غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه حال احرامكم واما على التقدير الاول
ففائدته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليها فان تحريم الصيد في حالة
الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم
ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفي اسناد عدم الاحلال
اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محلل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد
تربية للامتنان وتقرير للحاجة ببيان دخلها في القربة فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم
الى احلال ما يغنيهم عنه لعينا وكونهم لعملهم واعتقادهم مع ما في ذلك من وصفهم بما هو الاليق
بهم **ان الله يحكم ما يريد** من الاحكام حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها
ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفاء بها الجريان على موجبها عقدا وعملا والاجتناب
عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها التي سيأتي بيانها **يا ايها الذين آمنوا**
لا تحلوا شعائر الله لما بين حرمة احلال الحرم الذي هو من شعائر الحج عقب ذلك ببيان حرمة
احلال سائر الشعائر واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها وهي جمع شعيرة
وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي
هي من علامات الحاج التي يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها
وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله
لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرائضه التي حدها لعباده
واحلالها الاخلال بها والاول انسب بالمقام **ولا الشهر الحرام** اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل
بالنسئ والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة
الجنس **ولا الهدي** بان يتعرض له بالغصب او المنع عن بلوغ محله وهو ما يهدى الى الكعبة من ابل او بقر او شاة
جمع هدية كجدي وجدية **ولا القلائد** هي جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل ولحاء شجر
ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلائد من الهدي وهي البدن وعطفها على الهدي
مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم الصلوة
والسلام كانه قيل والقلائد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة في النهي عن التعرض
لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا عن ان تحلوها كما نهي عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين
زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها **ولا آمين البيت الحرام** اي لا تحلوا قوما قاصدين زيارته
بان تصدوهم عن ذلك باي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اي قتال القوم او اذى قوم آمين

اي آخر وقرئ ولا آمي البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل **يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا**
حال من المستكن في آمين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اي قاصدين زيارته
حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم
متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اي فضلا
اي فضلا كائنا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم
والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب فالجملة حينئذ حال من ضمير المخاطبين عن
نيل الشيء وفي ذلك من تعليل النهي وتاكيده والمبالغة في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل
ان المراد بالآمين هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب الى ان الآية محكمة وقد روي انه النبي صلى
الله عليه وسلم قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن
رحمه الله ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقد
قيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي المؤمنين عن احلالهم على ان حرمة احلالهم ثبتت بطريق
دلالة النص ويؤيده ان الآية نزلت في الحطيم بن ضبيعة البكري وقد كان اتى المدينة وخلف خيله خارجها
فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فخدعه ووعده بان ياتي باصحابه فيسلم ثم خرج من عنده صلى الله
عليه وسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن
وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي فسأل المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم ان يخلوا بينهم وبينه
فابى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وقد فسر
ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم
وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه
تعالى لكن لا يبعد ان يكون سببا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما
في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم في الدنيا ولا
يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روي عن ابن عباس ان المسلمين والمشركين كانوا
يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا من حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما
المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي
لا تحلوا نسخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الآيتين للمشركين قطعا اما استقلالا
واما اشتراكا لما سيأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الى الخ فيتعين النسخ كلا او بعضا ولا بد في
التوجيه الاخير من تخصيص الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اي الرزق للمؤمنين
وللمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل
الاخروي ايضا ويخص ابتغاؤه بالمؤمنين **واذا حللتم فاصطادوا** تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى
وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم
فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل
عليها وهو ضعيف جدا **ولا يجرمنكم** نهي عن احلال قوم من الآمين خصوا به مع اندراجهم في النهي عن
احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه وجرم جار
مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه
خلا ان جرم يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره ههنا على الثاني وقد ينقل
الى الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ

يجرمنكم بضم الياء شنآن قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر أضيف إلى المفعول لا إلى
فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت أن صدوكم متعلق بالشنآن بإضمار لام العلة أي
لأن صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بينة في عموم آمين
للمشركين قطعا وقرئ إن صدوكم على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه ولا يجرمنكم وقد أبرز الصد
المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على أن حقه أن لا يكون وقوعه إلا على سبيل الفرض
والتقدير أن تعتدوا أي عليهم وإنما حذف تعويلا على ظهوره وإيماء إلى أن المقصد الأصلي الأصل
منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم
وهو ثاني مفعولي يجرمنكم أي لا يكسبنكم شدة بغضكم إياهم لصدهم إياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم
وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه
في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على أبلغ وجه وآكده فإن النهي عن أسباب الشيء ومباديه المؤدية إليه
نهي عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية وقد يوجه النهي إلى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في
قوله تعالى وإذا حللتم فاصطادوا ومنظور تعلقه بما قبله الإيذان بأن حرمة الاعتداء لا تنتهي
بالخروج عن الإحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هي باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية
وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين بالطريق الأولى وتعاونوا على البر والتقوى لما
كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون أمروا إثر ما نهوا عنه بأن يتعاونوا على كل ما هو من باب
البر والتقوى ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والإغضاء
عما وقع منهم دخولا أوليا ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى ولا
تعاونوا على الإثم والعدوان فاندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني
وأصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه إحدى التاءين تخفيفا وإنما أخر النهي عن الأمر
مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة إلى إيجاب ما هو المقصود بالذات فإن المقصود من إيجاب ترك
التعاون على الإثم والعدوان إنما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم أمروا بقوله تعالى واتقوا الله
بالاتقاء في جميع الأمور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الأوامر والنواهي فيثبت وجوب الاتقاء فيهما
بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى إن الله شديد العقاب لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة
إن لم تتقوه وإظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من إدخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال
الجملة حرمت عليكم الميتة شروع في بيان المحرمات التي أشير إليها بقوله تعالى إلا ما يتلى عليكم
والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح والدم أي المسفوح حسبما بين في قوله تعالى أو دما مسفوحا وكان أهل
الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له أي من فصد له ولحم الخنزير
وما أهل لغير الله به أي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى والمنخنقة أي
التي ماتت بالضرب بالخشب فهي من وقذته إذا ضربته والمتردية أي التي تردت من علو أو التي
فماتت والنطيحة أي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة وما
أكل السبع أي ما أكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ وأكيل السبع وفيه دليل على
أن جوارح الصيد إذا أكلت مما اصطادته لم تحل إلا ما ذكيتم أي إلا ما أدركتم ذكاته وفيه بقية حياة
يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع والذكاة في الشرع قطع الحلقوم
والمريء بمحدد وما ذبح على النصب قيل هو مفرد وقيل هو جمع أنصاب وقرئ بسكون الصاد وأيا
ما كان فهو واحد الأنصاب وهي حجارة كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك

فوقه وقيل

قربة وقيل هي الأصنام وأن تستقسموا بالأزلام جمع زلم وهو القدح أي وحرم عليكم
الاستقسام بالأقداح وذلك أنهم كانوا إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على
أحدها أمرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فإن خرج الآمر مضوا على ذلك وإن
خرج الناهي تجنبوا ذلك وإن خرج الغفل أجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة
ما قسم لهم بالأزلام وقيل هو استقسام الجزور بالأقداح على الأنصباء المعلومة ذلكم إشارة
إلى الاستقسام بالأزلام ومعنى البعد فيه للإشارة إلى بعد منزلته في الشر فسق تمرد
وخروج عن الحد ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد أن ذلك طريق إليه وافتراء على الله سبحانه وتعالى
إن كان المراد بقولهم ربي هو الله تعالى وجهالة وشرك إن كان المراد الصنم وقيل ذلكم إشارة إلى تناول المحرمات المذكورة
لأن المعنى حرم عليكم تناولها اليوم اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة
الماضية والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة في عرفة حجة الوداع والنبي
صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها وأيا ما كان
فهو منصوب على أنه ظرف لقوله تعالى يئس الذين كفروا من دينكم أي من إبطاله ورجوعكم عنه
بتحليل هذه الخبائث وغيرها أو من أن يغلبوكم عليه لما شاهدوا من أن الله عز وجل وفى بوعده حيث
أظهره على الدين كله وهو الأنسب بقوله تعالى فلا تخشوهم أي أن يظهروا عليكم واخشون أي
وأخلصوا لي الخشية اليوم أكملت لكم دينكم بأن قررت الأحكام على الأدلة بالتنصيص عليها أو بالتنصيص
على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للإيذان
من أول الأمر بأن الإكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك وكذا في قوله
تعالى وأتممت عليكم نعمتي متعلق بأتممت لا بنعمتي لأن المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه
على المفعول الصريح لما مر آنفا أي أتممتها بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية
ومناسكها والنهي عن حج المشركين وطواف العريان أو بإكمال الدين أو بإكمال الهداية والتوفيق
قيل معنى أتممت عليكم نعمتي أنجزت لكم وعدي بقولي ولأتم نعمتي عليكم ورضيت لكم الإسلام
دينا أي اخترته لكم من بين الأديان وهو الدين عند الله تعالى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة
أشار عمر رضي الله عنه إلى ذلك اليوم عيد لنا وروي أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذ كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص
فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما
لبث بعد ذلك إلا أحدا وثمانين يوما فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب
وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المرضي أي فمن اضطر
إلى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة أي مجاعة يخاف منها الموت أو مباديه غير متجانف لإثم
غير مائل ومنحرف إليه بأن يأكلها تلذذا أو مجاوزا حد الرخصة أو ينتزعها من مضطر آخر كقوله
تعالى غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا أحل لهم شروع
في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الإجمال إثر بيان المحرمات كأنهم سألوا عنها عند بيان
أضدادها ولتضمن السؤال معنى القول أوقع على الجملة وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره وضمير الغيبة لما أن
يسألونك بلفظ الغيبة فإذا كان يعبر عن الحكي عنه فيقال أقسم زيد ليفعلن ويجوز أن يحكى كلامه فيقال
أقسم زيد لأفعلن والمسؤول ما أحل لهم من المطاعم قل أحل لكم الطيبات أي ما ليس بخبيث منها

السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح
عطف على الطيبات بتقدير المضاف على أن ما موصولة والعائد محذوف أي وصيد ما علمتم أو
مبتدأ على أن ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة أيضا والخبر فكلوا
وإنما دخلته الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول المحذوف والجوارح كواسب
سباع البهائم والطير قيل سميت بها لأنها تجرح الصيد غالبا مكلبين معلمين لها الصيد والمكلب
مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لأن التأديب أكثر ما يقع فيه أو لأن كل سبع يسمى كلبا
لقوله صلى الله عليه وسلم في حق عتبة بن أبي لهب إذ [illegible] فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم تعلمونهن حال
ثانية منه مما علمكم الله من الحيل وطرق التعليم فإن العلم به إلهام من الله تعالى أو
مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه أو مما عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره
بزجره وانصرافه بدعائه وإمساك الصيد عليه وعدم أكله منه فكلوا مما أمسكن عليكم وقد مر
فيما سبق أن هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء
خبر لها وأما على تقدير كونها معطوفة على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة
مبينة للمضاف المقدر الذي يتعلق به الإحلال وتحقيقه ومشيرة إلى نتيجة التعليم وثمرته
داخلة تحت الأمر فالفاء فيها كما في قوله [illegible] فافعل ما أمرت به ومن تبعيضية لما أن
البعض مما لا يتعلق به الأكل كالجلد والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة أو موصوفة حذف
عائدها وهي متعلقة بأمسكن أي كلوا بعض ما أمسكنه عليكم وهو الذي لم يأكلن منه وأما ما أكلن
منه فهو مما أمسكنه على أنفسهن لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك
على نفسه وإليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الأكل في سباع الطير لأن تأديبها إلى هذه
الدرجة متعذر وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روي عن سلمان وسعد بن أبي وقاص وأبي
هريرة رضي الله عنهم أنه إن أكل ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله عليه فكل واذكروا
اسم الله عليه الضمير في عليه لما علمتم أي سموا عليه عند إرساله أو لما أمسكن أي سموا عليه إذا أدركتم ذكاته
واتقوا الله في شأن محرماته إن الله سريع الحساب أي سريع إتيان حسابه أو سريع تمامه إذا
شرع فيه يتم في أقرب ما يكون من الزمان [illegible] في كل أجل وقت
وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم أحل لكم الطيبات قيل
المراد بالأيام الثلاثة وقت واحد وإنما كرر للتأكيد لاختلاف الأحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد
بالطيبات ما مر وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم أي اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى
بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر وبه أخذ الشافعي رضي الله عنه و
المراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها حل لكم أي حلال وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل
عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة رضي الله
عنه وأصحابه وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عنده وقال صاحباه هما صنفان صنف يقرؤون الزبور
ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس
فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا جناح عليكم
أن تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك عليهم والمحصنات من المؤمنات رفع
على أنه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه أي حل لكم أيضا والمراد بهن الحرائر أو العفائف

وتخصيصهن

وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الأولى لا لنفي ما عداهن فإن نكاح الإماء المسلمات صحيح بالاتفاق
وكذا نكاح غير العفائف منهن وأما الإماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند أبي حنيفة رحمه الله
والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أي هن أيضا حل لكم وإن كن حربيات وقال ابن
عباس لا تحل الحربيات إذا آتيتموهن أجورهن أي مهورهن وتقييد الحل بإتيانها لتأكيد وجوبها
والحث على الأولى وقيل المراد بإيتائها التزامها وإذا ظرفية عاملها حل المحذوف وقيل
شرطية حذف جوابها أي إذا آتيتموهن أجورهن حللن لكم محصنين حال من فاعل
آتيتموهن أي حال كونكم أعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير محصنين
وقيل صفة لمحصنين أي غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي أخدان أي ولا مسرين به والخدن
الصديق يقع على الذكر والأنثى وهو مجرور عطفا على مسافحين وزيدت لا لتأكيد النفي المستفاد
من غير أو منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار أوجهه الثلاثة ومن يكفر بالإيمان أي ومن
ينكر شرائع الإسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الأحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد
حبط عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك وهو في الآخرة من الخاسرين هو مبتدأ ومن الخاسرين
خبره وفي متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور أي خاسر في
الآخرة وقيل بالخاسرين على أن اللام للتعريف لا موصولة لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها
وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى إذا تمعددا كان جزائي بالعصا
أن أجلدا يا أيها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم إثر بيان ما يتعلق بدنياهم
إذا قمتم إلى الصلاة أي إذا أردتم القيام إليها كما في قوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن
الإرادة للفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للإيجاز والتنبيه على أن من أراد الصلاة حقه أن يبادر
إليها بحيث لا ينفك عن إرادتها أو إذا قصدتم الصلاة إطلاقا لأحد لازمي الشيء على لازمه الآخر
وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم إليها وإن لم يكن محدثا لما أن الأمر للوجوب قطعا والإجماع
على خلافه وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال
عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عمدا فعلته يا عمر يعني
بيانا للجواز وحمل الأمر بالنسبة إلى غير المحدث على الندب فلا مساغ له فالوجه أن الخطاب خاص
بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه
وسلم والخلفاء من بعده أنهم كانوا يتوضؤون لكل صلاة فلا دلالة فيه على أنهم كانوا يفعلونه بطريق
الوجوب أصلا كيف لا وما روي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات
صريح في أن ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك أول الأمر ثم نسخ يرده قوله صلى الله
عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم أي
أمروا عليها الماء ولا حاجة إلى الدلك خلافا لمالك وأيديكم إلى المرافق الجمهور على دخول المرفقين
في المغسول ولذلك قيل إلى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة إلى قوتكم وقيل هي إنما تفيد معنى الغاية
مطلقا وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما هو أمر يدور على الدليل
الخارجي كما في حفظت القرآن من أوله إلى آخره وقوله فنظرة إلى ميسرة فإن الدخول في الأول والخروج في الثاني
متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الأيدي متناولة للمرافق حكم بدخولها
فيها احتياطا وقيل إلى من حيث إفادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي
الغاية وجب إدخالها احتياطا وامسحوا برؤوسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فإنه الفارق

بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه
قيل فالصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه لو قيل فامسحوا رؤسكم
فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يطلق
عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسح على ناصيته
وقدرها بربع الرأس ومالك رحمه الله مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين بالنصب
عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم
يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم وللنحاة في
ذلك باب مفرد وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها غسلا قريبا
من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى افضلية الترتيب وقرئ بالرفع اي وارجلكم مغسولة
وان كنتم جنبا فاطهروا اي فاغتسلوا وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر
بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر وان
كنتم مرضى مرضا تخافون به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء او على سفر اي مستقرين عليه
او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهو متعلق بامسحوا وقرئ
فاموا صعيدا وقد مر تفسير الاية الكريمة مشبعا في سورة النساء فليرجع اليه ولعل التكرير ليتصل
الكلام في انواع الطهارة ما يريد الله اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلاة او بالامر بالتيمم
ليجعل عليكم من حرج من ضيق في الامتثال به ولكن يريد اي ما يريد ذلك ليطهركم اي لينظفكم
او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء يكفرها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد
في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب
الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء وليتم بشرعه
ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم
بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته من لطائف الاية الكريمة انها مشتملة على سبعة امور كلها
مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل مستوعب وغير مستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل
محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول
الى البدل اما مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم
بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اي عهده المؤكد الذي اخذه
عليكم وقوله تعالى اذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير
المجرور في به او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاته
بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو
الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافه اليه تعالى مع صدوره عنه صلى الله
عليه وسلم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال
مجاهد هو الميثاق الذي اخذ الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب آدم عليه السلام واتقوا الله
في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا
اوليا ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق

الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة تعليل الامر بالاتقاء واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة يا ايها
الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق
بانفسهم كونوا قوامين لله مقيمين لاوامره ممتثلين لها معظمين لها مراعين لحقوقها شهداء
بالقسط اي بالعدل ولا يجرمنكم شنآن قوم اي شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا فلا
تشهدوا في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية
ونقض عهد تشفيا وغير ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى الذي امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل
وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق
الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين واتقوا الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل
اقرب له اعتناء بشانه وتنبيها على انه ملاك الامر ان الله خبير بما تعملون من الاعمال
فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في
اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار
الجلالة لما مر غير مرة وحيث كان مضمونها منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على اوامر
الله تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها
العدل والتقوى لهم مغفرة واجر عظيم حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه
استئناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا
القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل
والتقوى اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة
مؤبدة من السمة السيئة الدائمة نفع الوعد والوعيد فالجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء
لحق الدعوة بالتبشير والانذار يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم تذكير لنعمة الانجاء
من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة
او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى اذ هم قوم على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني
لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى عليكم
او اذكروا نعمته كائنة عليكم في وقت همهم ان يبسطوا اليكم ايديهم اي بان يبطشوا بكم
بالقتل والاهلاك ولا سبيل الى كونه مفعولا به يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه
اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط ووباله
اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديمه في قوله عز وجل هو الذي خلق
لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للسرور فكف ايديهم عنكم عطف
على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء
للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موقع الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم ان
تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة
من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى
مكانه وذلك ما روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه بعسفان في غزوة ذي انمار
وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه صلى الله عليه وسلم قاموا الى الظهر معا
فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من ابنائهم

وايتآئهم يصلون صلاة الضحى وهي ان يوقعوا بهم اذا قاموا عليها فرد الله كيدهم بان انزل
صلاة الخوف وقيل هو ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان
وعلي رضي الله تعالى عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين
فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك
وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل فاخبره
فخرج صلى الله عليه وسلم وقيل هو ما روي انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق الصحابة
في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي
فاخذه فسله وقال من يمنعك مني فقال صلى الله عليه وسلم الله تعالى فاسقطه جبريل من يده
فاخذه صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله **واتقوا الله** عطفا على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في
كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا **وعلى الله** اي عليه تعالى خاصة دون
غيره استقلالا واشتراكا **فليتوكل المؤمنون** فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة
تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين
بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا به من
التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية
استقلال الجملة التذييلية **ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل** كلام مستأنف مشتمل على ذكر
بعض ما صدر من بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير
المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او
لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كونه من بني قريظة حسبما فيه من الرواية
ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية
المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستيناف المستدعي
للانقطاع عما قبله وفي قوله عز وجل **وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا** اجري على سنن الكبرياء او
لان البعث كان بواسطة موسى عليه الصلاة والسلام كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل من نقب
النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي به روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك
فرعون امرهم الله عز وجل بالسير الى اريحاء ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون
وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى عليه
السلام ان ياخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم
فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنى من ارض كنعان
بعث النقباء اليهم يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم
بما راوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا نقيب سبط يهوذا ويوشع بن نون
نقيب سبط افرايم بن يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم
للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة الاف وثلثمائة وثلثين ذراعا وعاش ثلاثة الاف
سنة وكان على راسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امراته وقال
انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطاهم برجلي

فقالت لا

فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل
عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني
اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام
فيكونان هما يريان رأيهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان
معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وكان كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم
بما رأى الا كالبا ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى
الجبل فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر وحملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد
فقور من الصخرة وسطها المحاذي لراسه فانتقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته
واقبل موسى عليه الصلاة والسلام وكان طوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى من السماء
عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعب عوج وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم
الخناجر حتى حزوا راسه **وقال الله** اي لبني اسرائيل فقط اذهم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب
والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد
اني معكم اي بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما ياتون
وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته تعالى وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به
والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم بذلك هذا وقد
قيل المراد بالميثاق الايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين ينقبون احوالهم ويكون امورهم
بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى **لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم**
برسلي اي جميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتاخير الايمان عن اقامة الصلاة وايتاء الزكاة
مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لبعض الرسل عليهم
الصلاة والسلام ومحافظة للمقارنة بينه وبين قوله تعالى **وعزرتموهم** اي نصرتموهم وقويتموهم
واصله الذب وقيل التعظيم والتوقير وقرئ بعزرتموهم بالتخفيف **واقرضتم الله**
بالانفاق في سبيل الخير او بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله عز وجل **قرضا حسنا**
اما مصدر موكد واقع موقع المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا
حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض وقوله تعالى **لاكفرن عنكم سيئاتكم**
جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط **ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار**
عطف عليه داخل معه في حكم الجوابية متاخر عنه في الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية على
التحلية **فمن كفر** اي برسلي او بشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من آمن
تقوية للترغيب بالترهيب **بعد ذلك** الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا
منكم متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر وقيل تغيير حال الشرط حيث لم يقل وان كفرتم عطف
على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط من كفر عن رتبة الخطاب فليس
الى ان حدث الكفر بعد الايمان على ما يعم الاستمرار عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك
خلا انه قصد بايراده ما يدل على الحدوث بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف بشيء بعد ورود
ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث **فقد**
ضل سواء السبيل اي وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطأ خطأ فاحشا لا عذر معه
اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة **فبما نقضهم**

ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة لتاكيد الكلام وتمكينه في النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم
لا لشي آخر اشتقاقا لا او انما لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا ومسخناهم قردة
وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان مع ما ذكر مع ان حقه ان يبين بعقب بيان
تحقق نفس اللعن والنقض بان يقال ثم نقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم عليه الآيات السابقة
على جهالته الكلية للشيئين بان تحققهما امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج اليه ذلك ما بينهما
من السببية والمسببية وجعلنا قلوبهم قاسية بحيث لا تتأثر عن الآيات والنذر
وقيل املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست واخذناهم ومنعناهم الالطاف
حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم
درهم قسي اي ردي اذا كان مغشوشا لا يبين وخشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا
لها بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه
لا مرتبة اعظم مما ابتلوا الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم ونسوا
حظا تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من التوراة او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل حرفوا التوراة وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى
المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم اي خيانة
على انها مصدر كلاغية وكاذبة اي فعلة خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها
خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية اي على خائنة او فعلة خائنة كائنة منهم صادرة
عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة فيهم ولاسلافهم
بحيث لا يكادون يتركونها فلا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم استثناء من الضمير
المجرور منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلاثة الاخيرة والمراد بهم الذين
امنوا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه وقيل من خائنة على الوجه الثاني فالمراد بالقليل
الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر اي الا فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم واصفح
اي ان تابوا وآمنوا وعاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب
المحسنين تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم بيان لقبائح النصارى وجناياتهم
اثر بيان جنايات اليهود وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا اذ التقدير اخذنا من الذين قالوا
انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولان ذكر حال احدى الطائفتين مما
يوقع في ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى ايضا اخذنا
ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدا محذوف قامت صفته او صلته مقامه
اي ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم فضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر
واما في الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل اي اخذنا من هؤلاء ميثاق اولئك
اي مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب
تسميتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى ايذانا بانهم في قولهم نحن نصارى بمعزل
الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى في شيء او اظهارا لكمال سوء صنيعهم
ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته

ونصحه

تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا مما ذكروا به
في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر آنفا وقيل هو ما كتب
عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فنحوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا
اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشياطين
فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء
وقوله تعالى بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي اغرينا
العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله
وقوله تعالى الى يوم القيامة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اي يتباغضون ويتعادون
الى يوم القيامة حسبما تقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى الفرق
الثلاثة فضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم ولليهود اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود
والنصارى وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل
لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت اي يجازيهم بما عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق و
نسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتاكيد الوعيد والالتفات الى ذكر الاسم الجليل
لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم
في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة
واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في افادة العلم بحقيقتها منزلة الاخبار
بها يا اهل الكتاب التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتوراة والانجيل
اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله
عليه وسلم والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق
بالكتاب وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان
ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا
الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى يبين لكم حال من رسولنا وايثار
الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان اي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا
لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب من التوراة والانجيل
كبعثة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى باحمد صلى الله عليه وسلم في
الانجيل وتاخير كثيرا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل
المسرة والتشويق الى المؤخر لان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما الاشعار بكونه من منافع المخاطب
تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان في المؤخر نوع تفصيل
ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان مما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة
اسمية وما بعدها صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد
المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء اي
يبين لكم كثيرا من الذي تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به
ويعفو عن كثير اي ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم من
زيادة الافتضاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفاء
ترغيبا وترهيبا والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم

وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستأنفة مسوقة لبيان ان فائدة مجيء الرسول
ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن
لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور وايا ما كان فهو تصريح بما اشعر به اضافة
الرسول من جهته عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجيء من
جهته العالية والتشويق الى الجائي ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم
كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوينه للتفخيم والمراد
بقوله وكتاب مبين القرآن فانه الكاشف لظلمات الشرك والشك والابانة ما خفي على الناس من الحق
او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد
بالاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثاني القرآن يهدي به الله توحيد الضمير
المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما في حكم الواحد او اريد يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور
للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة
ثانية لكتاب او النصب على الحال منه لتخصيصه بالصفة من اتبع رضوانه اي رضاه بالايمان ومن
موصولة او موصوفة سبل السلام اي طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب
او سبل الله تعالى وهي شريعته التي شرعها للناس قيل هو مفعول ثان ليهدي على ان انتصابه
بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين واما تعدية الى الثاني بالى
وباللام كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى
من الظلمات اي ظلمات فنون الكفر والضلال الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره او بارادته
ويهديهم الى صراط مستقيم هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية
عين الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما
في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم اي لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية
القائلون بان الله تعالى قد حل في بدن انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم لكن
حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بان الله تعالى موجود فلزمهم القول
بانه المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون
المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل اي تبكيتا لهم واظهارا
لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم الحجر والفاء في قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا فصيحة
ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على
حذف المضاف اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته شيئا وحقيقته
فمن يستطيع ان يمسك شيئا منها ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا
ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق به ولا بشان من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من
الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عاجزا عن ذلك لا ريب فيه
ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق
السخط والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي يسند اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة
التقرير والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته ونفي المالكية المدلول عليه
بالاستفهام الانكاري عن احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فمن يملك

شيئا من

شيئا من الله ان اراد الى آخره لتحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب
في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفاء المالكية المذكورة لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة
الى المسيح على ابلغ وجه واكده فيظهر استحالة الالوهية قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع
حصول ما ذكر من التحقيق بتخصيصها عليه تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد
به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك
كما انه اسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع
اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تاكيد عجز المسيح لعل نظمها في سلك من فرض ارادة
هلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتأكيد التبكيت ان ارادة ان يهلك المسيح وامه ومن في الارض
فقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا الحال فيمن عداها من الموجودين وقوله ولله ملك السموات
والارض وما بينهما اي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر
فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على
ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اعني من في الارض كذلك اي له تعالى
وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد
سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل
ما سواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك
والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير
واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة
محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كما في قوله يخلق الله ما يشاء فتارة يخلق من غير
اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما وينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق
آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او من انثى وحدها كخلق عيسى عليه
الصلاة والسلام او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات
وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه الصلاة والسلام معجزة له واحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كل ذلك اليه تعالى لا الى من اجري ذلك على يده والله على كل شيء
قدير اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال
الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى
الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه اي قالت اليهود نحن اشياع
ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن
الزبير الخبيبيون كما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان
النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا
كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم
اني ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب
والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل اي الزاما لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم اي ان صح ما
زعمتم فلاي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم في الآخرة
بالنار اياما معدودة بقدر ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع

عليكم ما فعل وقوله تعالى بل أنتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي لستم كذلك بل أنتم
بشر ممن خلق أي من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء أي يغفر
لمن يشاء من أولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا بالله تعالى وبرسله ويعذب من يشاء أن يعذبه
منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم ولله ملك السموات والأرض وما بينهما من الموجودات
لا ينتمي إليه سبحانه شيء منها إلا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف
فيهم كيفما يشاء إيجادا وإعداما إحياء وإماتة وإثابة وتعذيبا فأنى لهم ادعاء ما زعموا
وإليه المصير في الآخرة خاصة لا إلى غيره استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المحسن والمسيء
بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا أهل الكتاب تكرير للخطاب بطريق
الالتفات ولطف في الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال من رسولنا وإيثاره مبنيا
لما مر فيما سبق أي يبين لكم الشرائع والأحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها
ما بين في الآيات السابقة من بطلان أقاويلكم الشنعاء وما سيأتي من أخبار الأمم السالفة
وإنما حذف تعويلا على ظهور أن مجيء الرسل إنما هو لبيان ذلك أو يفصل لكم البيان ويبذله لكم في كل
ما تحتاجون فيه إلى البيان من الأمور الدينية وأما تقدير مثل ما سبق في قوله تعالى يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب كما قيل فمع كونه تكريرا من غير فائدة يرده قوله عز وجل على فترة من الرسل فإن فتور الإرسال
وانقطاع الوحي إنما يحوج إلى بيان الشرائع والأحكام لا إلى بيان ما أخفوه وقوله على فترة متعلق بجاءكم
على الظرفية كما في قوله عز وجل واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان أي جاءكم على حين
فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج إلى بيان الشرائع والأحكام الدينية أو بمحذوف
وقع حالا من ضمير يبين أو من ضمير لكم أي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل أو حال كونكم
عليها أحوج ما كنتم إلى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة أي كائنة من الرسل
مبتدأة من جهتهم وقوله تعالى أن تقولوا تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف أي كراهة
أن تقولوا معتذرين من تفريطكم ومراعاة أحكام الدين ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد
انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت أخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي
المجيء وتنكير بشير ونذير للتقليل فهذا كما ترى يقتضي أن تقدير للنبي فيما سبق هو الشرائع
والأحكام لا كيفما كانت بل متنوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى فقد جاءكم بشير
ونذير متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة ويبين أنه معلل به وتنوين بشير ونذير
للتفخيم أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير أي بشير ونذير أي نذير والله على كل شيء قدير
فيقدر على الإرسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام حيث كان بينهما ألف
وسبعمائة سنة وألف نبي وعلى الإرسال بعد الفترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام
حيث كان بينهما ستمائة سنة أو خمسمائة وتسع وستون سنة أو خمسمائة وست وأربعون سنة
وأربعة أنبياء على ما روى الكلبي ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي
وقيل لم يكن بعد عيسى إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الأنسب بما في تنوين فترة من التفخيم
اللائق بمقام الامتنان عليهم بأن الرسول قد بعث إليهم عند كمال حاجتهم إليه بسبب مضي دهر طويل
بعد انقطاع الوحي ليعدوه أعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب إلى الرحمة وتلزمهم الحجة
فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم عن غفلتهم وإذ قال موسى لقومه جملة
مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو إسرائيل بعد أخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له

وتعلقها بما قبلها من حيث إن ما ذكر فيه من الأمور التي وصف النبي صلى الله عليه وسلم ببيانها
ومن اشتماله على فترة الرسل فيما بينهم وإذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى
الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب وصرف عن أهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات
أي واذكر لهم وقت قول موسى عليه الصلاة والسلام لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم بإضافتهم إليه
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها
المقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه حاضرا
بتفاصيله كأنه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة إذا جعلت مصدرا أو بمحذوف وقع
حالا منها إذا جعلت اسما أي اذكروا إنعامه عليكم أو اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا إذ في
قوله تعالى إذ جعل فيكم أنبياء أي اذكروا إنعامه تعالى عليكم وقت جعله أو اذكروا نعمته
تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من أقربائكم أنبياء ذوي عدد كثير وأولي شأن
خطير حيث لم يبعث من أمة من الأمم ما بعث من بني إسرائيل من الأنبياء وجعلكم ملوكا عطف
على جعل فيكم أي وجعل فيكم أو منكم ملوكا كثيرة فإنه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الأنبياء وإنما حذف الظرف
تعويلا على ظهور الأمر أو جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما أن أقارب الملوك يقولون عند
المفاخرة نحن الملوك وإنما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما أن منصب النبوة من الخطر وعزة
المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق أن ينسب إليه حقيقة أو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل
كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله فسمى إنقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع
فيه ماء جار وقيل من له مال لا يحتاج معه إلى تكلف الأعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت أحدا من
العالمين من فلق البحر وإغراق العدو وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم
الله تعالى من الأمور العظام والمراد بالعالمين الأمم الخالية إلى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم
يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة كرر النداء بالإضافة التشريفية اهتماما بشأن الأمر ومبالغة
في حثهم على الامتثال به والأرض هي أرض بيت المقدس سميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء
ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقيل
هي الشام التي كتب الله لكم أي كتب في اللوح أنها تكون مسكنا لكم إن آمنتم وأطعتم لقوله تعالى لهم
بعدما عصوا فإنها محرمة عليهم وقوله تعالى ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين
فإن ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الإيمان
والطاعة قطعا أي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وعلى أدباركم متعلق بمحذوف وقع هو
حال من فاعل ترتدوا ويجوز أن يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا أحوالهم من النقباء بكوا وقالوا
يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا رأسا ينصرف بنا إلى مصر أو لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان
وعدم الوثوق بالله تعالى فتنقلبوا إما مجزوم عطفا على ترتدوا أو منصوب على جواب النهي والخسران
خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام
كأنه قيل فماذا قالوا بمقابلة أمره عليه الصلاة والسلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك
يا موسى إن فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار
العاتي الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان يقال جبره على الأمر
أي أجبره عليه وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فإنا لا طاقة
لنا بإخراجهم منها فإن يخرجوا منها بسبب من الأسباب التي لا تعلق لنا بها فإنا داخلون

حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم
منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة
الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا
لكمال الرغبة فيه وبالامتثال بالامر قال رجلان استئناف مما سبق كانه قيل هل اتفقوا على
ذلك ام خالفهم البعض فقيل قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله تعالى دون
العدو ويتقونه في مخالفة امره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وفيه تعريض بان
من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون
وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه الصلوة
والسلام فالواو حينئذ لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة والعائد محذوف
اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة من قرأ يخافون الله تعالى بالتذكير او لخوفهم
الوعيد انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجاش والوقوف على شورته تعالى والثقة بوعده
او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان
لتخصيصه بالصفة اي قالا مخاطبين لهم ومشجعين ادخلوا عليهم الباب اي باب
بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم في
بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا
فاذا دخلتموه اي باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون من غير حاجة الى القتال فانا قد رأيناهم
وشاهدنا بلادهم ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق
فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه الصلوة
والسلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم او لما علما من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه تعالى
لموسى عليه الصلوة والسلام من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى خاصة
فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التاثير وانما التاثير من عند الله العزيز
القدير ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به تعالى مصدقين بوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما
قالوا استئناف كما سبق اي قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما مخاطبين لموسى عليه الصلوة والسلام
يا موسى انا لن ندخلها اي ارض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم ابدا اي دهرا طويلا
ما داموا فيها اي في ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض او عطف بيان فاذهب الفاء فصيحة
اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب انت وربك فقاتلا اي فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة
واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه
غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني
كانهم قالوا فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير اذهب انت وربك يعينك ولا يساعده
قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هارون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم او لم يعبؤوا بقتالهم وقوله
تعالى انا ههنا قاعدون يريدون بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر
قال عليه الصلوة والسلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله
تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة رب اني لا املك الا نفسي واخي
عطف على نفسي وقيل على الضمير في اني اي لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وقيل
على الضمير في لا املك للفصل فافرق بيننا يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق والدعاء به

على ما قبله

على ما قبله وبين القوم الفاسقين الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا
بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها
اي الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم
تعبد فلا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم
حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة ان جعل ظرفا للتحريم يكون التحريم موقتا
لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله كتب الله لكم والمراد حينئذ بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في
هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما روي ان موسى عليه الصلوة والسلام
سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها واقام بها ما شاء الله تعالى
ثم قبض عليه الصلوة والسلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال انا لن ندخلها ابدا وانما دخلها مع موسى
عليه الصلوة والسلام النواشئ من ذرياتهم فالموقت بالاربعين في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما
جعل تحريمها عليهم لما بينهما من العلاقة التامة المستتبعة للتجاذب والاتحاد وقوله تعالى يتيهون في الارض
اي يتحيرون في البرية استئناف لبيان كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون
فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا
وقد تاهوا في ستة فراسخ او تسعة في ثلاثين فرسخا وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا روي انهم
كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم حيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل
عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر
يطول بطوله وقيل كان موسى معهم وهارون في التيه ولكن كان ذلك روحا وسلامة لهما كالنار لابراهيم عليه السلام
وملائكة العذاب عليهم الصلوة والسلام وروي ان هارون مات في التيه ومات موسى بعده بسنة ودخل
يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعدما قبل دعوته على بني اسرائيل
وعذبهم بالتيه بعيد ان يجعل بعض المدعو عليهم افذاذ بينهم وتقدير كونها في محل العقوبة ظاهرا وان
كان ذلك لهما منزل روح وراحة وقد قيل انهما لم يكونا معهم في التيه ولو لا انه بتفسير الفرق بالمباعدة
فمن قال بانهما كانا معهم فيه لقد فسر الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تأس على
القوم الفاسقين روي انه صلى الله عليه وسلم ندم على الدعاء عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم
فانهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم عطف على مقدر يتعلق بقوله تعالى واذ قال موسى الى اخره
وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سيأتي من جنايات بني اسرائيل بعدما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما
جاءتهم من البينات نبأ ابني آدم هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني
اسرائيل بقرينة آخر القصة وليس كذلك اوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج كلا منهما توأمة الاخر
وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسده عليها اخوه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى
بل من جهة آدم عليه الصلوة والسلام فقال لهما آدم عليه الصلوة والسلام قربا قربانا فمن ايكما قبل يتزوجها
فنزلت نار على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا
وفعل ما فعل بالحق متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة
او حال من فاعل اتل او من مفعوله اي ملتبسا انت او نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين
اذ قربا قربانا منصوب بالنبأ ظرفا له اي نبأ قصتهما ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على
حذف المضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت ورد بان اذ لا يضاف اليه غير الزمان
والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اي يعطى

ولم يصدر لما انه في الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من احدهما هو هابيل قيل كان هو صاحب ضرع فقرب جملا سمينا فنزلت نار فاكلته ولم يتقبل من الآخر هو قابيل كان صاحب زرع فقرب اردا ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار اصلا قال استيناف مبني على سؤال نشا من سياق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف سخطه وحسده لما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لاقتلنك اي والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة قال استينافا كما قبله اي قال الذي تقبل قربانه لما راى حسده كان لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه انما يتقبل الله اي القربان من المتقين لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فيك من التقوى وعدمها اي انما اتيت من قبل نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذانا من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتاكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله اني اخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه وآكده ما لا يخفى كانه قيل اني اخاف فلا افعل ان بسطت يدي اليك لاقتلك لا يمتنع ان كان ذلك مني لدفع عدوانك عني فاطنك بحالك وانت البادي العادي وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تاكيد للخوف وقيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وياباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متاخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وباثمك ببسط يدك الي كما في قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم اي على البادي عين اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي اي باثم قتلي ومعنى باثمك اثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية اصلا ويابا ذلك قوله عز وجل فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله

وذلك جزاء

وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه اي وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة امر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ ولا تهدد المرتبة من التطويع لم يكن حاصلا قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولت نفسه وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على انه قتل اخيه كان يدعو نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته فلم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طيرا فوضع راسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم فكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبة حرا وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل ثور فلما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر متى يرمي به فتاكله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها واللام متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها بهما معا والضمير في ليريه لله تعالى او للغراب والاول على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه جسده الميت قال استيناف مبني على سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتى هي كلمة تحسر وتحزن والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي اي عجزت عن كوني تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاواري بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري فاصبح من النادمين اي على قتله لما تكابده من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فساله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار يعبدها وهو اول من عبد النار من اجل ذلك شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبا من بيان بعض آخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شان القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل

في الاصل مصدر أجل شرا اذا جناه واستعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته
اي من جرك وجنيتك ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه
وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحتها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى
كتبنا على بني اسرائيل ولتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتدأ الكتب ومنه نشأ لا من شيء
آخر اي قضينا عليهم وبينا انه من قتل نفسا واحدة من النفوس بغير نفس اي بغير قتل
نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض اي فساد يوجب اهدار دمه وهو عطف
على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم
بطلت صلاته لا نفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلاته ومدار الاستعمالين
اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة
او اعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط
نقيض الحكم بتحقق احدهما او بتحققهما معا ففي الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل
وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي احدهما حتما اذ ليس قبل
ورود النفي ترديد حتى ينصب عليه النفي وتوضيحه ان كل حكم شرط بتحقق احد شيئين مثلا
فنقيضه مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما
ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول السلب
الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط
نقيض الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بغير
وضوء او تيمم بطلت صلاته مشروطا بنقيض الشرط المذكور المثبت وهو انتفاؤهما معا فهو نقيض مورد
النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فانتفى تحققهما معا ضرورة
عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور قول من قال انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل
عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايهما فعل
فهو احدهما واما قولك من صلى بلا وضوء او ثوب صحت صلاته فحيث كان الحكم مشروطا بتحقق كلي
الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلاته مشروطا بنقيض الشرط المذكور
وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد احدهما ولا يخفى ان اباحة القتل مشروطة
باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي
على الترديد لا محالة كأنه قيل من قتل نفسا بغير احدهما فكأنما قتل الناس جميعا فمن قال في
نفسه او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم الكريم حقه سيما في كأنما اذ ثم فاصلة لو وقع
الفصل بعدها جميعا حال من الناس او تأكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة
الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله
تعالى والعذاب العظيم ومن احياها اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل او
الفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه فكأنما
احيا الناس جميعا وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شأن الاحياء
بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان
المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرر ما بعده
في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما

يعقبه

يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كأنه قيل ان الشان الخطير هذا ولقد جاءتهم
رسلنا بالبينات جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي لمزيد التحقيق
لكمال العناية بتحقق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا للتنصيص بوصول
الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم
بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تأكيدا لوجوب مراعاته وتأييدا لتحتم المحافظة
عليه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الكتب وتأكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد
العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك
في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشان
وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد في الارض متعلق بقوله تعالى لمسرفون وكذا الظرف المتقدم
ولا يقدح فيه توسط لام الابتداء بينه وبينهما لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدأ وانما دخلها
على الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم
مبالاة به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شأن
الاحياء وجودا وعدما وكان اقبح الامرين وافظعهما اكتفى به في مقام التشنيع انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله كلام مستأنف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد
باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه وان اجمل الوعيد خطر شأن القتل بغير حق وادرج فيه بيان
ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على
رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له صلى الله عليه وسلم
فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصاره بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس
بطريق المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل آخر وقيل
جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ولرسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءهما واصل
الحرب السلب كما لو اريد هنا قطع الطريق والمكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في
الارض عطف على يحاربون والجار متعلق به وقوله تعالى فسادا اما مصدر وقع موقع
الحال من فاعل يسعون اي مفسدين او مفعول له اي للفساد او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون
على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر نزلت الآية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي
وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو
آمن فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا
عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل
الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا
في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجود شيء من القتل بدون اخذ المال ومن
القتل مع اخذه واخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرع لكل مرتبة من تلك
المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل ان يقتلوا اي حدا من غير صلب ان افردوا القتل وان عفى
الاولياء لا قصاصا لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة جارحة اولا او يصلبوا
اي مع القتل ان جمعوا بين الاخذ والقتل بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفي ظاهر الرواية
ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة
التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اي ايديهم اليمنى وارجلهم

البشر أي اقتصروا على أخذ المال من مسلم أو ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم أصاب كل واحد
منهم عشرة دراهم أو ما يساويها قيمة أما قطع أيديهم فلأخذ المال وأما قطع أرجلهم فلإخافة
الطريق بتفويت أمنه **أو ينفوا من الأرض** إذا لم يفعلوا غير الإخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي
عندنا هو الحبس فإنه نفي عن وجه الأرض بدفع شرهم عن أهلها ويعزرون أيضا لمباشرتهم منكر الإخافة
وإزالة الأمن وعند الشافعي رضي الله عنه النفي من بلد إلى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا
وقيل هو النفي من بلده فقط وكانوا ينفونهم إلى دهلك وهو بلد في أقصى تهامة وناصع وهو بلد من
بلاد الحبشة **ذلك** أي ما فصل من الأحكام والأجزية قيل هو مبتدأ وقوله **لهم خزي** جملة من
خبر مقدم على المبتدأ وقوله تعالى **في الدنيا** متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي أو متعلق
بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على أنه خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق
بمحذوف وقع حالا من خزي لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا إما صفة
لخزي أو متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على أنه خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع
حالا من خزي لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا إما صفة لخزي أو متعلق به
على ما مر والخزي الذل والفضيحة **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** غير هذا لا يقادر قدره
لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وفي الآخرة متعلق بمحذوف
وقع حالا من عذاب لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالا أي كائنا في الآخرة **إلا الذين**
تابوا من قبل أن تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله
تعالى **فاعلموا أن الله غفور رحيم** أما ما هو من حقوق الأولياء من القصاص ونحوه فإليهم ذلك
إن شاءوا عفوا وإن أحبوا استوفوا وإنما يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وعن علي رضي الله
عنه أن الحارث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة **يا أيها**
الذين آمنوا اتقوا الله لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما وأشير في تضاعيف ذلك
إلى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته أمر المؤمنين بأن يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك
ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من جملتها
السعي في إحياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة إلى التوبة والاستغفار **وابتغوا** أي اطلبوا لأنفسكم
إليه أي إلى ثوابه والزلفى منه **الوسيلة** هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب به إلى الله عز وجل
من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل إلى كذا أي تقرب إليه بشيء وإليه متعلق بها قدم عليها
للاهتمام وليس بمصدر حتى لا تعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به فإنه ملاك
الأمر كله كما أشير إليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير والجملة حينئذ جارية مما قبلها
مجرى البيان والتأكيد أو مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا أوليا وقيل الجملة الأولى أمر
بترك المعاصي والثانية أمر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس
وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الأمر بهما بقوله تعالى **وجاهدوا في**
سبيله بمحاربة أعدائه البارزة والكامنة **لعلكم تفلحون** بنيل مرضاته والفوز بكرامته
إن الذين كفروا كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالأوامر السابقة وترغيب في
المسارعة إلى تحصيل الوسيلة إليه عز وجل قبل انقضاء أوانه ببيان استحالة توسل الكفار
يوم القيامة بأقوى الوسائل إلى النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب **لو أن لهم** أي لكل واحد منهم
كما في قوله تعالى ولو أن لكل نفس ظلمت إلى آخره لا لجميعهم إذ ليس فيه أن هذه المرتبة من تهويل

الأمر وتقطيع الحال **ما في الأرض جميعا** أي من أصناف أموالها وذخائرها وسائر منافعها
قاطبة وهو اسم أن ولهم خبرها ومحلها الرفع بالخلاف خبر أن على قول سيبويه رفع على
الابتداء لا حاجة فيه إلى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند إليه وقد اختصت من بين
سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما أي لو ثابت
كون ما في الأرض لهم وقيل يقدر مؤخرا أي لو كون ما في الأرض ثابت لهم وعند المبرد والزجاج
والكوفيين رفع الفاعلية والفعل مقدر بعد لو أي لو ثبت أن لهم ما في الأرض وقوله تعالى جميعا
توكيد للموصول أو حال منه **ومثله** بالنصب عطف عليه وقوله تعالى **معه** ظرف وقع حالا من
المعطوف والضمير راجع إلى الموصول وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب
تحقيقا لكمال فظاعة الأمر مع ما فيه من نوع إشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيد لإفراد الضمير
الراجع إليهما واللام في قوله تعالى **ليفتدوا به** متعلقة بما تعلق به خبر أن أعني الاستقرار
المقدر في لهم وقيل بالخبر المقدم عند من يرى تقدير الخبر مقدما أو مؤخرا أو بالفعل المقدر بعد لو
على رأي المبرد ومن يحذو حذوه ولا ريب في أن مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وإن كان
مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع إلى الموصول ومثله معا وتوحيده
إما لما أشير إليه وإما لإجرائه مجرى اسم الإشارة فإنه يشار به إلى الواحد كما في قوله كأنه في الجلد توليع
البهق وقيل هو راجع إلى الموصول والعائد إلى المعطوف محذوف كما حذف الخبر من قيار كما
في قوله فإني وقيار بها لغريب أي وقيار أيضا غريب وقد جوز أن يكون نصب ومثله على أنه مفعول
معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ورد بأنه يؤدي
إلى كون الفاعل غير الناصب للمفعول معه لأن المعنى على اعتبار المعية بين ما في الأرض
ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر
في لهم لأن سيبويه نص على أن اسم الإشارة وحرف التنبيه والاستقرار لا يعمل في المفعول
له فإن قولهم هذا لك وأباك قبيح وإن جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى **من عذاب**
يوم القيامة متعلق بالافتداء أيضا أي لو أن ما في الأرض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لأنفسهم من
العذاب الواقع يومئذ **ما تقبل منهم** ذلك وهو جواب لو وترتيبه على الكون المذكور لأجل الافتداء
من غير ذكر الافتداء بأن يقال فافتدوا به مع أن الرد والقبول إنما يترتب عليه لا على مباديه للإيذان
بأنه أمر محقق الوقوع غني عن الذكر وإنما المحتاج إلى الفرض قدرتهم عليه على ما ذكر للمبالغة في تحقق الرد
وتخييل أنه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما
رآه مستقرا عنده حيث لم يقل فأتى به فرآه إلى آخره وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه
من غير ذكر خروجه عليه الصلاة والسلام عليهن ورؤيتهن والجملة الامتناعية في محل الخبر لأن
الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به
فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك وهو كلمة الشهادة انتهى قوله تعالى **ولهم عذاب**
أليم تصريح بما أشير إليه بعدم قبول فديتهم لزيادة تقرير وبيان لهوله وشدته قيل محله النصب على
الحالية وقيل الرفع عطفا على خبر أن وقيل عطف على أن الذين فلا محل له كالمعطوف عليه
يريدون أن يخرجوا من النار استئناف مسوق لبيان حالهم في أثناء مكابدة العذاب مبني
على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فكيف يكون حالهم أو ماذا يصنعون فقيل يريدون إلى آخره وقد بين

في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار وقيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار
ويرفعهم الى فوق فهناك يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة
النار وزيادة دفعها اياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله **وما هم بخارجين منها**
اما حال من فاعل يريدون او اعتراض وأياما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة
بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على تأكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم
منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته
دوام النفي لا نفي الدوام كما مر في قوله ما انا بباسط اليك وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج
ولهم عذاب مقيم تصريح بما اشير اليه آنفا من عدم تناهي مدته بعد بيان شدته **والسارق**
والسارقة شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت ان اقتضاء
الحال لايراد توسط ما بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة
ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شأن الرجال بطريق الدلالة
لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف تقديره فيما يتلى
عليكم اي وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وقوله تعالى **فاقطعوا ايديهما**
والفاء لتضمين المبتدأ معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها
سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير خفية
وانما يوجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والمأخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط
فصلت في موضعها والمراد بايديهما ايمانهما كما ينبئ عنه قراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات
فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء
بتثنية المضاف واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان القطع من المنكب والجمهور
على انه من الرسغ لانه صلى الله عليه وسلم اتي بسارق فقطع يمينه **جزاء** نصب على انه مفعول له
اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهم جزاء وقوله تعالى
بما كسبا على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني بفاقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة
اي بسبب الذي كسباه من السرقة التي باشراها بالايدي وقوله تعالى **نكالا** مفعول له ايضا على البدلية من
جزاء لانهما من نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع للعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب
بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فان تعلل الجزاء والجزاء صلة للقطع كما اذا قلت ضربته تأديبا
له احسانا اليه فان الضرب معلل بالاحسان وقد اجاز في قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان
ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا ثم قال ان ينزل
ان ينزل مفعول له ناصبه بغيا على ان التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر وقوله تعالى **من الله**
متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالى **والله عزيز** غالب على امره يمضيه كيف
يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يناقضه **حكيم** في شرائعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة
فلذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح **فمن تاب** اي من السراق الى الله تعالى
من بعد ظلمه الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى
بتذكير عظم جنايته **واصلح** اي امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة
اليها **فان الله يتوب عليه** اي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا تسقطه
التوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه ويسقط عند الشافعي في احد قوليه **ان الله غفور رحيم**

اي مبالغ

اي مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك قبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل
للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة وكذا في قوله تعالى **الم تعلم ان الله له ملك**
السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم
وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وهي وما في حيزها ساد مسد مفعولي تعلم
عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بطريق التلوين وقيل لكل احد ممن يصلح للخطاب والاستفهام للانكار لتقرير العلم والمراد الاستشهاد
بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتي من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اي الم تعلم ان الله له
السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما
ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته **يعذب من يشاء** ان يعذبه
ويغفر لمن يشاء ان يغفر له من غير ند يناهضه ولا ضد يعارضه وتقديم التعذيب على المغفرة
لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض له سبحانه وخبر
آخر لان **والله على كل شيء قدير** فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موضع الاضمار
لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها **يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر**
خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة
في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنة الى آخره للدلالة على انهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون
بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر كاظهار موالاة المشركين وابراز آثار الكيد
للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستقرون على الخير
مسارعون في انواعه وافراده والتعرض لعنوان الموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن
وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه صلى الله عليه وسلم بمسارعتهم في الكفر
لكنه في الحقيقة نهي له صلى الله عليه وسلم عن التأثر من ذلك والمبالاة بهم على ابلغ وجه وآكده
لان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد يوجه
النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك هاهنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور
لديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاي وقرئ يسرعون يقال اسرع فيه الشيب
وقع فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى **من الذين قالوا**
آمنا بافواههم بيان للمسارعين في الكفر متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من
الموصول اي كائنين من الذين الى آخره والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى **ولم تؤمن قلوبهم**
جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى **ومن الذين هادوا** عطف على
من الذين قالوا الى آخره وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله
تعالى **سماعون للكذب** خبر لمبتدأ محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين واما رجعه الى الذين
هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الى آخره خبرا
على ان سماعون صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم قوم سماعون الى آخره لادائه الى اختصاص ما عد من القبائح
وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام
اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف والمعنى
هم مبالغون في سماع الكذب او في قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف

كتابه أو سماعون لأخباركم ولأحاديثكم ليكذبوا عليكم بأن يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير أو اخبار الناس واقوالهم التي تقع فيما بينهم ليكذبوا فيهما بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه مضرة بهم ◦ وايا ما كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون ويذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم وتحذير لما يتولى عليها من الافاعيل الفاسدة الموجبة للخزي والعذاب كما سيأتي ◦ وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم ◦ وقوله تعالى **سماعون لقوم آخرين** خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للأول ومبين له ◦ واللام مثلها في الكذب على الوجهين الأولين ◦ واللام مثل ما في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى من اي قبل منه حمده ◦ والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منك عليه الصلاة والسلام لأجل قوم آخرين وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك صلى الله عليه وسلم او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني مقرر للتأكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا ◦ وقوله تعالى **لم يأتوك** صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا في البغضاء ◦ قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة **يحرفون الكلم من بعد مواضعه** صفة اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسماعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الرأي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ايذانا بكمال طغيانهم في الضلال باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون اي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى اما لفظا باهماله او تغيير وصفه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده ◦ وقيل الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم ◦ وقيل خبر مبتدأ محذوف راجع الى القوم ◦ وقوله تعالى **يقولون** كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة ◦ ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وان مقول القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون الذين يحضرون النبي صلى الله عليه وسلم لمن لا يحضر مجلسه صلى الله عليه وسلم قطعا وادعاء قول السماعين لاعقابهم المخالطين للمسلمين تعسف ظاهر يخل بجزالة النظم الكريم والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل **ان اوتيتم** من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم **هذا فخذوه** واعملوا بموجبه فانه الحق **وان لم تؤتوه** بل اوتيتم غيره **فاحذروا** اي فاحذروا قبوله واياكم واياه ◦ وفي ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى ◦ روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران

في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال اترضون به حكما قالوا نعم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان يحرقني التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال صلى الله عليه وسلم اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله في التوراة على موسى فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ◦ **ومن يرد الله فتنته** اي ضلالته او فضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره والاستغناء عن ذكره **فلن تملك له من الله شيئا** في دفعها ◦ والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابدا **اولئك** اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم** اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر اولا وشرح فنون ضلالتهم ثانيا والجملة استئناف مبين لكون ارادة الله تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء **لهم في الدنيا خزي** اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التوراة وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى لهم وهو مقدم عليه وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** اي مع الخزي الدنيوي وهو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التأكيد والتقرير والجملتان استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل احوالهم وافعالهم الموجبة للعقاب كأنه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الآية **سماعون للكذب** خبر للمبتدأ المقدر كالذي قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى **اكالون للسحت** وهو ايضا خبر للمبتدأ وارد على طريقة الذم او تأكيد على ان المراد بالكذب ما يفتعله الرشوة عند الآكلين ◦ والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه ◦ وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استأصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به هاهنا اما الرشا التي كان يأخذها المحرفون على تحريفهم وسائر الحكام على الحكم الزائف وعلى المشهورة او ما كان يأخذه فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل ◦ واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا ◦ وقرئ السحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء ◦ عن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به **فان جاؤوك** لما بين تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلة الموجبة لعدم المبالاة بهم قيلا فاعلمهم حسبما امر

صلى الله عليه وسلم ببعض ما يشق عليهم من الاحكام بطريقة التفويض والفاء فصيحة اي واذا
كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم
او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له صلى الله عليه
وسلم بين الامرين قيل هو في امر خاص هو ما ذكر من زنى المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود
في بني قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بنو قريظة اخواننا
بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد اذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا
سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا
من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا
فاقض بيننا فجعل صلى الله عليه وسلم الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا
فمن قائل انه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم
وقائل انه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ من المائدة
الا آيتان قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا وان تعرض عنهم بيان لحال
الامرين اثر تخييره صلى الله عليه وسلم بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا
ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون الى النبي صلى الله عليه وسلم الا لطلب
الاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم ومضادتهم
له صلى الله عليه وسلم فامنه الله عز وجل بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله تعالى
عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان
الله يحب المقسطين فيحفظهم من كل مكروه ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك وعندهم
التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في
كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع
وانما طلبوا ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله تعالى في زعمهم فقوله تعالى وعندهم التوراة
حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة ان جعلت مرتفعة بالظرف وان
جعلت مبتدأ فمن ضميرها المستكن في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان ان عندهم ما يغنيهم
عن التحكيم وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون عطف على يحكمونك
داخل في حكم التعجب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد ما حكموك
تصريح بما علم قطعا لتأكيد الاستبعاد والتعجب اي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من
بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع
اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح ايماء الى علة
الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين
بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا وقيل وما اولئك بالكاملين بالايمان تهكما
بهم انا انزلنا التوراة كلام مستأنف سيق لبيان علو شأن التوراة ووجوب مراعاة احكامها
وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام
والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به اليهود من عدم ايمانهم بها وتقريرا
لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التوراة فان فيها من الشرائع والاحكام

من حيث

من حيث اظهارها ما انبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل
نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون اي انبياء بني اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من الانبياء جملة
مستأنفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونها حالا من التوراة فتكون حالا
مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا
شريعة لنا ما لم تنسخ والتقديم للجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بشأن المقدم
والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر ما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم
وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح
لكن لا لقصد مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم
بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شأن الصفة فان ابراد الوصف في معرض مدح العظماء منبئ عن
عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة عليهم الصلاة والسلام
بالايمان ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشأن المسلمين وتعريض باليهود
وبانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا سيما مع ملاحظة
ما وصفوا به في قوله تعالى للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما
لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كأنه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان
بنفعه للمحكوم عليهم ايضا باسقاط التبعة عنهم واما للاشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم له كأنه
امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل المعنى للذين هادوا وعليهم فحذف
ما حذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين
المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما اي هدى ونور كائنان للذين هادوا
والربانيون والاحبار اي الزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة
النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضي الله عنهما الربانيون الذين يسوسون الناس
بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحدهم حبر بالفتح والكسر والكسر
افصح وهو رأي الفراء مأخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه ويحسنونه
وهو عطف على النبيون اي هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان
بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب
لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهي
التوراة حيث سألوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم
عليهم الصلاة والسلام استخلاف لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشيء منها وفي ابهامها اولا
ثم بيانها بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتأكيد ايجاب حفظها والعمل
بما فيها ما لا يخفى وايرادها بعنوان الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة
والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له كالتي في قوله تعالى بها لئلا يلزم تعلق
حرفي جر متحدي المعنى بفعل واحد بل على السببية اي ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما
حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ وقيل الباء
صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اي ويحكم الربانيون
والاحبار بحكم كتاب الله تعالى الذي سألهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهداء
اي رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه فتغيير الاسلوب لما ذكر

من التبديل وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون
الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز
وجل اي كلفهم الله عز وجل ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء آه وقوله تعالى فلا تخشوا الناس
خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم النهي بطريق
الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهي على ما فصل من حال التوراة وكونها معتنى بشانها
فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم من الربانيين والاحبار المتقين عملا وحفظا فان ذلك
مما يوجب الاجتناب عن الاخلال بوظايف مراعاتها والمحافظة عليها باي وجه كان فضلا عن التحريف
والتغيير ولما كان مدار جرأتهم على ذلك خشية ذي سلطان او رغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا
عن كل منهما صريحا اي اذا كان شانها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا في مراعاة احكامها
وحفظها بمن قبلكم من الانبياء واشياعهم واخشون في الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض
لها بسوء ولا تشتروا باياتي الاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذل
الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شيء بدلا مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا
بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطى ونبذه كما فصل في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا باياتي التي فيها بان تخرجوها منها او تتركوا العمل بها وتاخذوا لانفسكم
بدلا منها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة
في نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فاتهم بترك العمل بها وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود
المعاوضة والمقصد الاصلي بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة لتحصيله وقرن به الايات التي حقها
ان يتنافس فيها المتنافسون مع انها في معرض الاياب والوسائط حيث قرنت بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا
بمبالغتهم في التعكيس بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا ومن لم يحكم
بما انزل الله كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا
اي من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف ايات الله تعالى اقتضاء
بينا فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها
هم الكافرون لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتدا ما بعده خبره والجملة خبر
لاولئك وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير
عن الاخلال به اشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم اليه
الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه من عند
الله ليشتروا به ثمنا قليلا وكتبنا عطف على انزلنا التوراة عليهم اي على الذين هادوا وروي
وانزل الله على بني اسرائيل فيها اي في التوراة ان النفس بالنفس اي تقاد بها اذا قتلها بغير
حق والانف تجدع بالانف للمقطوع انفه والاذن بالاذن للمقطوعة ظلما والسن تقلع
بالسن للمقلوعة سنه بغير حق والجروح قصاص اي ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ فان الجروح قصاص
وقرئ والعين الى الجروح بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما
لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما
يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها فمن تصدق اي من المستحقين
به اي بالقصاص اي فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه فهو اي التصدق

كفارة

كفارة له فالتصدق كفارة التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل
كقوله تعالى فاجره على الله ومن لم يحكم كائنا من كان فيتناول من ابى قتل الرجل بالمرأة من
اليهود تناولا اوليا بما انزل الله من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية
دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون اي المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون
للشيء في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة وقفينا على آثارهم شروع
في بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التوراة وهو عطف على انزلنا التوراة اي آثار النبيين المذكورين
يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي قفيناهم بعيسى ابن مريم
اي ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التوراة حال من عيسى عليه الصلاة والسلام
وآتيناه الانجيل عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما في التوراة وهو في
محل النصب على انه حال من الانجيل اي كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور وتنوين
هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم ومصدقا لما بين يديه من
التوراة عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التوراة لزيادة التقرير وهدى
وموعظة للمتقين عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعدما جعل
مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة بالمتقين لانهم هم المهتدون
بهداه والمنتفعون بجدواه وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدا لهم بان يحكموا
ويعملوا بما فيه من الامور التي من جملتها دلائل رسالته صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما
قررته الشريعة الشريفة من احكامه واما الاحكام المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه
بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها
من الشريعة شهادة بنسخه وان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سياتي من قوله
يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل الاية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم
بتقدير فعل معطوف على آتيناه اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل الخ وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما في
قولك امرتك بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل
فامرنا بان يحكم اهل الانجيل الخ وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على انها متعلقة
بمقدر كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه وقيل عطف على هدى وموعظة
على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه ومن لم
يحكم بما انزل الله منكرا له مستهينا به فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن
الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان
الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه الصلاة والسلام كان مستقلا بالشرع مامورا بالعمل
بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما في التوراة خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل فيه من ايجاب
العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب اي الفرد الكامل الحقيق بان يسمى
كتابا على الاطلاق لحيازته لجميع الاوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية افراده
وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف
وقع حالا مؤكدة من الكتاب اي ملتبسا بالحق والصدق او موافقا له في القصص والوعد والدعوة الى الحق والعدل
بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة
بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام

حق بالإضافة إلى العضو المتضمن للحكمة التي عليها أس الشريعة وليس في المتقدم دلالة على أبدية
أحكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخر وإنما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض
لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما أن النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها
وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه من الكتاب بيان لما فوقه واللام للجنس إذ المراد هو الكتاب السماوي
وهو بهذا المعنى جنس برأسه وإن كان في نفسه نوعا مخصوصا من مطلق الكتاب وعن هذا
قالوا اللام للعهد لأن ذلك لا ينتهي إلى الخصوصيات الفردية بل الخصوصيات النوعية التي هي
أخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي أيضا حيث خص بما عدا القرآن ومهيمنا
عليه أي رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر أصول
شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة
من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في أن تمييز أحكامها الباقية على المشروعية أبدا عما انتهى
وقت مشروعيته وخرج عنها من أحكام كونه مهيمنا عليها وقرئ ومهيمنا عليه على صيغة
المفعول أي هو من عليه وحفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه والحافظ إما من جهته تعالى كما في قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا
له لحافظون أو الحفاظ في الأعصار والأمصار والفاء في قوله فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها
عليها فإن كون القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الأمم مهيمنا عليه
من موجبات الحكم بما فيه أي إذا كان شأن القرآن كما ذكر فاحكم بين أهل الكتابين عند تحاكمهم
إليك بما أنزل الله أي بما أنزله إليك فإنه مشتمل على جميع الأحكام الشرعية الباقية في الكتب
الإلهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه
على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات بإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار
بعلة الحكم ولا تتبع أهواءهم الزائغة عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن
بتتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كأنه قيل ولا تعدل عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم وقيل
بمحذوف وقع حالا من فاعله أي لا تتبع أهواءهم عادلا عما جاءك وفيه أن ما وقع حالا لا بد
أن يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الأول للإيماء بما في حيز الصلة من مجيء
الحق إلى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الأهواء وقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
كلام مستأنف جيء به لحمل أهل الكتابين من معاصريه صلى الله عليه وسلم على الانقياد لحكمه
صلى الله عليه وسلم بما أنزل إليه من القرآن الكريم ببيان أنه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره
من الكتابين وإنما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الأمم السالفة والخطاب بطريق التلوين
للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين أيضا بطريق التغليب واللام متعلقة
بجعلنا المتعدي لواحد وهو إخبار بجعل ماض لا إنشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق
بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا ضير في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله
تعالى أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل أمة كائنة منكم أيها الأمم الباقية
والخالية جعلنا أي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الأمة لا تكاد أمة تتخطى شرعتها
التي عينت لها فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما الصلاة والسلام شرعتهم
التوراة والتي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم شرعتهم الإنجيل وأما أنتم
أيها الموجودون فشرعتكم الفرقان فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة إلى

الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصلا إلى ما هو سبب للحياة الأبدية كما أن الماء سبب للحياة
الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الأمر إذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين
قيل فيه دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق أنا متعبدون بأحكامها الباقية
من حيث إنها أحكام شرعتنا لا من حيث إنها شرعة للأولين ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة متفقة على
دين واحد في جميع الأعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الأمم في شيء من الأحكام الدينية
ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشيئة محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه أي ولو شاء الله أن يجعلكم
أمة واحدة لجعلكم وقيل المعنى لو شاء الله لجعلكم جماعة متفقة على الإسلام لا يجبركم عليه ولكن ليبلوكم
متعلق بمحذوف يستدعيه النظام أي ولكن لم يشأ ذلك أي أن يجعلكم أمة واحدة بل شاء ما عليه
السنة الإلهية الجارية فيما بين الأمم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة
المناسبة لأعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى المشيئة
الإلهية المبنية على أساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم أو تزيغون
عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح
أن مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما أشير إليه من انطواء الاختلاف
على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وجل فاستبقوا الخيرات أي إذا كان
الأمر كما ذكر فسارعوا إلى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقة والأعمال الصالحة المندرجة
في القرآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تأكيد
الترغيب في الإذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى إلى الله مرجعكم استئناف
مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب
والعامل فيه إما المصدر المنحل إلى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل أو مبني للمفعول وإما الاستقرار
المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون أي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل
ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وإنما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه
موقع إزالة الاختلاف التي هي وظيفة الإخبار وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم
عطف على الكتاب أي أنزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان إنزاله تعالى إياه لتأكيد وجوب
الامتثال بالأمر أو على الحق أي أنزلناه بالحق وبأن احكم وحكاية الأمر بهذه الطريقة بعد ما مر من الأمر الصريح
تأكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أي
يصرفوك عنه ولو كان أقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق وإظهار الاسم الجليل لتأكيد
الأمر بتهويل الخطب وأن بصلتها بدل اشتمال من ضميرهم أي احذر فتنتهم أو مفعول له أي احذرهم مخافة
أن يفتنوك وإعادة ما أنزل الله لتأكيد التحذير بتهويل الخطب روي أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا
بنا إلى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا إليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم قد عرفت
أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك
فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن تولوا
أي أعرضوا عن الحكم بما أنزل الله تعالى وأرادوا غيره فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم
أي بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وإنما عبر عنه بذلك إيذانا بأن لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال
عظمه واحد من جملتها وفي هذا الإبهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد أو يرتبط بعض النفوس حمامها
يريد به نفسه أي نفسا كبيرة ونفسا أي نفس وإن كثيرا من الناس لفاسقون أي متمردون

في الكفر مصرون عليه متجاوزون من الحدود المعهودة فهي اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله **أفحكم الجاهلية يبغون** إنكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أيتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الإنكار والتعجيب لأن التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب والمراد بالجاهلية إما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الأحكام فيكون تعييرا لليهود بأنهم مع كونهم أهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع إلى وحي وإما أهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روي أن بني النضير تحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة وطلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم بما كانوا عليه أهل الجاهلية من التفاضل فقال صلى الله عليه وسلم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على أنه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف كما حذف في قوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ تبغون على الخطاب إما بالالتفات لتشديد التوبيخ وإما بتقدير القول أي قل لهم أفحكم الجاهلية وقرئ بفتح الحاء والكاف أي في حكم الحكام الجاهلية يبغون **ومن أحسن من الله حكما** إنكار لأن يكون أحد حكمه أحسن من حكمه تعالى أو مساو له وإن كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وإنكارها وقد مر تفسيره في قوله تعالى ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله **لقوم يوقنون** أي عندهم واللام كما في هيت لك أي هذا الاستفهام لهم فإنهم الذين يتدبرون الأمور بأنظارهم فيعلمون يقينا أن حكم الله عز وجل أحسن الأحكام وأعدلها **يا أيها الذين آمنوا** خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين المخلصين وغيرهم وإن كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتي ووصفهم بعنوان الإيمان لحملهم من أول الأمر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل **لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء** فإن تذكير اتصافهم بضد صفات الفريقين من أقوى الزواجر عن موالاتهما أي لا يتخذ أحد منكم أحدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الأحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم أولياء لكم حقيقة فإنه أمر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي **بعضهم أولياء بعض** أي بعض كل فريق من ذينك الفريقين أولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وإنما أوثر الإجمال في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى رأسا والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي وتأكيد إيجاب الاجتناب عن المنهي عنه أي بعضهم أولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته إجماع الكل على مضادتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** حكم مستنتج منه فإن انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة أن الاتحاد في الدين الذي عليه يدور أمر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يوالي المؤمنين تعين أن يكون ذلك بكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن إظهار صورة الموالاة لهم وإن لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله تعالى **إن الله لا يهدي القوم الظالمين** تعليل لكون من يتولاهم منهم أي لا يهديهم إلى الإيمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر والضلالة وإنما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على أن توليهم ظلم لما أنه تعريض لأنفسهم للعذاب الخالد ووضع للشيء في غير موضعه **فترى الذين في قلوبهم مرض** بيان لكيفية توليهم وإشعار بسببه وبما يؤول إليه أمرهم والفاء للإيذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب إما للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وإما لكل أحد ممن له أهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع أي لا يهديهم بل يذرهم وشأنهم

فتراه إلى آخره

فتراه إلى آخره وإنما وضع موضع الضمير الموصول إيذانا بأن ما في حيز صلته من ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى **يسارعون فيهم** حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والأول هو الأنسب بظهور نفاقهم أي تراهم مسارعين في موالاتهم وإنما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وإيثار كلمة في على كلمة إلى للدلالة على أنهم مستقرون في الموالاة وإنما مسارعتهم من بعض مراتبها إلى بعض آخر منها كما في قوله تعالى أولئك يسارعون لا أنهم خارجون عنها متوجهون إليها كما في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ فيرى بياء الغيبة على أن الضمير لله سبحانه وقيل لمن تتأتى منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف أن المصدرية والرؤية قلبية أي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض أن يسارعوا فيهم فلما حذفت أن انقلب الفعل مرفوعا كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى والمراد بهم عبد الله بن أبي وأضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون إلى المؤمنين بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى **يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة** وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها أي يقولون نخشى أن يصيبنا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دولها بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار وقيل نخشى أن يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطوننا الميرة والقرض روي أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي موالي من اليهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين أنه يريد بالدوائر المعنى الأخير ويضمر في نفسه المعنى الأول وقوله عز وجل **فعسى الله أن يأتي بالفتح** رد من جهته تعالى لعللهم الباطلة وقطع لأطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فإن عسى منه سبحانه وعد محتوم لما أن الكريم إذا أطمع في خير فعله لا محالة فما ظنك بأكرم الأكرمين وأن يأتي في محل النصب على أنه خبر عسى وهو رأي الأخفش أو على أنه مفعول به وهو رأي سيبويه لئلا يلزم الإخبار عن الجثة بالحدث كما في قولك عسى زيد أن يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره صلى الله عليه وسلم على من خالفه وإعزاز الدين **أو أمر من عنده** بقطع شأفة اليهود من القتل والإجلاء **فيصبحوا** أي أولئك المنافقون المتعللون وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر عسى وإن لم يكن فيه ضمير يعود إلى اسمها فإن فاء السببية مغنية عن ذلك فإنها تجعل الجملتين كجملة واحدة **على ما أسروا في أنفسهم نادمين** وهو ما كانوا يكتمونه في أنفسهم من الكفر والشك في أمره صلى الله عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من الموالاة لما أنه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها بأصلها وسببها **ويقول الذين آمنوا** كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على أنه جواب سؤال نشأ مما سبق كأنه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرئ ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا وقيل على يأتي باعتبار المعنى كأنه قيل عسى الله أن يأتي بالفتح ويقول الذين آمنوا والأول أوجه لأن هذا القول إنما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند إتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود ومشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم **أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد**

ايمانهم اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى تعجيب المؤمنين من حالهم وتعريض بالمقسم لهم في ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا اهؤلاء الذين اقسموا للكفرة انهم لمعكم فالخطاب في معكم لليهود على التقدير الاول ومن جهة المؤمنين وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم ولا بلفظ انا معكم جهد ايمانهم اغلظها وهو في الاصل مصدر والاصل نصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالي بتعريفه لفظا لانه مؤول بنكرة اي مجتهدين في ايمانهم وعلى المصدر اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما جملة مستانفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية في المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما في حيزه صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شان موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا حيث لم يكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى عليهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق بما لو اظهر المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤوس الاشهاد وبطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها على مرأى من المؤمنين ولا ريب في انهم يومئذ اشد ادعاء واكثر اقساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان يظهروا خلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم فانهم يدعون ان ليست ندامتهم الا على ما ظهر منهم من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه وقرئ من يرتدد بالفك وهي لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما نهي فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصيبة من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات التي اخبر عنها القرآن قبل وقوعها روي انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة قتل فسر به المسلمون وقبض صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان

الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال فاسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم ابن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدي ابي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في زمن عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله عز وجل فسوف ياتي الله جواب للشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اي فسوف ياتي الله مكانهم بعد هلاكهم بقوم يحبهم اي يريد بهم خيري الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى ويحبونه اي يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه وهو معطوف على ما قبله داخل في حكمه قيل هم اهل اليمن لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا وقيل هم الانصار رضي الله عنهم وقيل هم الفرس لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وثلاثة آلاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية اذلة على المؤمنين جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل اي ارقاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى اعزة على الكافرين اي اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه كما في قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وهما صفتان اخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة الصريحة عن الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوزه من ان قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وان مبارك خبر بعد خبر وان محدث نعت لذكر من ربهم ومن الرحمن حال لا نعت لما ذكر من غير محدث تكلف لا يخفى وقرئ اعزة اذلة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعترض عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله اي لطفه واحسانه لا انهم مستقلون في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء ايتاءه وتوفيقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع كثير الفواضل والالطاف عليم مبالغ في

في أعم جميع الأشياء التي من جملتها أهل من هو أهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
وإظهار الاسم الجليل للإشعار بالعلية وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية إنما وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بأن بعضهم أولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين أن
من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كأنه قيل لا تتخذوهم أولياء لأن
بعضهم أولياء بعض وليسوا بأوليائكم إنما أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم
إلى الغير وإنما أفرد الولي مع تعدده للإيذان بأن الولاية أصالة لله تعالى وولايته صلى الله عليه وسلم
وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وعلا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة صفة
للذين آمنوا جرى مجرى الاسم أو بدل أو نصب على المدح أو رفع عليه وهم راكعون حال من فاعل الفعلين
أي يعملون ما ذكر من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل هو
حال مخصوصة بإيتاء الزكاة والركوع ركوع الصلاة والمراد بيان كمال رغبتهم في الإحسان و
مسارعتهم إليه وروي أنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح إليه
خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره غير محتاج في إخراجه إلى كثير عمل يؤدي إلى فساد الصلاة ولفظ
الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله تعالى عنه وفيه دلالة على أن صدقة التطوع تسمى
زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا أوثر الإظهار على أن يقال ومن يتولهم رعاية لما مر
من نكتة بيان أصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى فإن حزب الله هم الغالبون
حيث أضيف الحزب إليه تعالى خاصة وهو أيضا من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد إلى من أي
فإنهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزوا ولعبا روي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من
المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها
على العلة وإيذانا بأن من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان إيتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم
لما أن إيتاء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار أي المشركين
خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الأول وفيه إشعار بأنهم ليسوا بمستهزئين
كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب في قوله تعالى يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الآية وقرئ بالجر عطفا على الموصول
الأخير ويعضده قراءة أبي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين أشركوا فهم أيضا من جملة المستهزئين
أولياء وجانبوهم كل المجانبة واتقوا الله في ذلك بترك موالاتهم أو بترك المناهي على الإطلاق
فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا أوليا إن كنتم مؤمنين أي حقا فإن قضية الإيمان توجب
الاتقاء لا محالة وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها أي الصلاة أو المناداة وفيه دلالة على شرعية
الأذان هزوا ولعبا بيان لاستهزائهم بحكم خاص من أحكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على
الإطلاق إظهارا لكمال شقاوتهم روي أن نصرانيا بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن
محمدا رسول الله يقول أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطايرت منها
شرارة فاحترقت هو وأهله جميعا ذلك أي الاستهزاء المذكور بأنهم بسبب أنهم قوم لا يعقلون فإن
السفه يؤدي إلى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترءوا على تلك العظيمة
قل أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين
بأن يخاطبهم ويبين أن الدين منزه عما يصحح ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم صدور ما لا يكون

ويلقيهم الجحيم على الأوقيت الفجرة يا أهل الكتاب وصفوا بأهلية الكتاب تمهيدا لما سيأتي من تبكيتهم وإلزامهم بكفرهم
بكتابهم هل تنقمون منا من نقم منه كذا إذا عابه وأنكره وكرهه ينقم من حد ضرب وقرئ بفتح القاف
من حد علم وهي لغة أي ما تعيبون وما تنكرون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا من القرآن المجيد
وما أنزل من قبل أي من قبل إنزاله من التوراة والإنجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الإلهية وأن أكثركم
فاسقون أي متمردون خارجون عن الإيمان بما ذكر فإن الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة
وهو عطف على أن آمنا على أن المفعول ليس ينقمون والمفعول الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده
عليه دلالة واضحة فإن اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه وإنكاره والإيمان بما فصل عين الدين الذي
نقموه خلا أنه أبرز في معرض علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوا ما يوجب النقم مع
كونه في نفسه موجبا للقبول والارتضاء منقما والمعنى أي ما تنقمون منا ديننا المخالف من الملل
الأديان إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل من كتبكم وأن أكثركم فاسقون متمردون غير مؤمنين
بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به وإسناد الفسق إلى أكثرهم لأنهم
الحاملون لأعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف على أنه منصوب بتنقمون لكن لا على أن المستثنى مجموع المعطوف
بل هو ما يلزمهما من المخالفة كأنه قيل ما تنقمون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في الإيمان وأنتم خارجون
عنه وقيل على حذف المضاف أي واعتقاد أن أكثركم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة أي لقلة
إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع أي ما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم فاسقون وقيل
هو منصوب بفعل مقدر يدل عليه المذكور أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء
والخبر محذوف أي وفسقكم معلوم أي ثابت فالجملة حالية أو معترضة وقرئ بالكسر والجملة
مستأنفة مبينة لكون أكثرهم فاسقين متمردين قل هل أنبئكم بشر من ذلك لما أمر صلى الله عليه
وسلم بإلزامهم وتبكيتهم ببيان أن مدار نقمهم للدين إنما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه عندهم أيضا
وكفرهم بما هو مسلم لهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عقيبه بأن يبكتهم ببيان أن الحقيق بالنقم
والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف وينعى عليهم في ضمن البيان جناياتهم وما حاق
بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد
ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شأن المبين ويستدعي إقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية
المشوقة إلى المخبر به والتنبيه على أنه مع كونه أمرا خطيرا لما أن النبأ هو الخبر الذي له شأن وخطر
كائن مناط النقم للشرية المتقوم حقيقة أو اعتقادا ولما كان مجرد النقم غير مفيد للشرية البتة
قيل بشر من ذلك ولم يقل بما تنقمون من ذلك تحقيقا للشرية مما سيذكر وتقريبا وقيل إنما قيل ذلك
لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث أتى نفر من اليهود فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه فقال
صلى الله عليه وسلم أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه الصلوة
والسلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وإنما اعتبر الشرية بالنسبة إلى الدين وهو منزه عن شائبة
الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال الشرية ليثبت أن دينهم شر من كل شر
أي هل أخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شرا وإن كان في نفسه خيرا محضا مثوبة عند الله
أي جزاء ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما أن
العقوبة مختصة بالشر وإنما وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
ونصبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه خبر لمبتدأ محذوف
بتقدير مضاف قبله مناسب لما أشير إليه بكلمة ذلك أي دين من لعنه الله أو بتقدير مضاف قبلها

مناسب لمن اي بشر من اهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية
المهابة وادخال الروعة وتهويل امر اللعن وما يتبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم
الله تعالى عن رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح البينات
وجعل منهم القردة والخنازير اي مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير
وهم كفار مائدة عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم
قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع الى الموصول في منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين
الاولين باعتبار لفظه وايثاره بعنوان موضع ضمير الخطاب للتناسب لا تنبيئكم للقصد الى اثبات الشرية
بما عدد في حيز صلته من الامور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز
عن تهييج لجاجهم **وعبد الطاغوت** عطف على صلة من وافراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت
على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول
محذوف وعلى القراءة بالنصب اي عبد فيهم او بينهم وفي تقديم اوصافهم المذكورة بصدد اثبات شريتهم
على وصفهم بهذا مع انه الاصل المستتبع لها في الوجود فان دلالته على شريته بالذات لان عبادة
الطاغوت تعين دينهم البتة البطلان ودلالتها عليها بطريق الاستدلال لا لحشرية الآثار على شرية
ما يوجبها في الاعتقاد والعمل اما للقصد على تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود
لا لثبوته وفظاعته ولا باتصافهم به واما للتدرج باشتمال كل من المتقدم والمتأخر بالدلالة على
ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الى اخره
لتوهم ان علة الشرية المجموع وقرئ وعابد الطاغوت وعبد الطاغوت بالاضافة على انه
نعت كفطن ويقظ وعبدة الطاغوت وعبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم
او على ان اصله عبدة فحذف التاء للاضافة وبالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ وعبد
الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على انه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل الذي مجرور على تقدير
من تشويه على احد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف وانت خبير بان ذلك مع اقتضائه لاخلال النظم
الكريم عن اداء المذكور بالمرة مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية
بل هي كما مر مقدمة سيقت لما هو المقصود من المخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو تلقي ما يلقى اليهم
عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ منها وهي المقصود افادته وعليه يدور
فلك الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول بما في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية
فاين الذي يلقى عقيبها جوابا عما نشأ عنها من السؤال ليحصل الالزام والتبكيت واما الجملة الآتية فبمعزل
من صلاحية الجواب كيف لا ولا بد من موافقته في الكيفية للسؤال الناشئ من الجملة الاستفهامية وقد
عرفت ان السؤال الناشئ منها يستدعي وقوع الشر من تتمة الخبر عنه لا خبرا في الجملة المذكورة وسيتضح
لك مزيد اتضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية
الله تعالى فيعم الحكم دين النصارى ويتضح ... ذكر عبادتهم للعجل ... المذكورات اذا ورد
عليها التوهم لاشتراك الفريقين في تلك العقوبات فلما ذكر ثم ما ذكر بصدد التبكيت بما هو شر مما نقموه
بينهم اولا من بابي شيء بأهل ما نقموا انفسهم بحسبما قدر من المتاقين وكانت الشرية على الوجهين
مرتبة للموضوع غير مقصودة الاثبات لهم ولانفسهم عقبه ذلك باثباتها لهم على وجه
يشعر بعلية ما ذكر من القبائح لثبوتها لهم بجملة مستانفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم
بكمال الشرارة والضلالة او داخلة تحت الامر تاكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل **اولئك شر**

مكانا

مكانا فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتهم في الشرارة اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ
الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اي منصرفا **واضل عن سواء السبيل** عطف على شر
مقرر له اي اكثر ضلالا من الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق
لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة
التفضيل في الوصفين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال
واذا جاءوكم قالوا آمنا نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بالجمع للتعظيم او له ومن عنده من المسلمين
اي اذا جاءوكم اظهروا الاسلام **وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به** اي يخرجون من عندك
ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك فالجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان
من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما
فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه
ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل **والله اعلم بما كانوا يكتمون** اي من الكفر وفيه وعيد شديد
لهم **وترى** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية
كثيرا منهم من اليهود والمنافقين وقوله تعالى **يسارعون في الاثم** حال من كثيرا وقيل مفعول ثان
والرؤية قلبية والاول انسب بظهور حالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وايثار
كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم لما ذكر في قوله تعالى وترى كثيرا
منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل الشرك وقولهم عزير ابن الله تعالى الله
وقيل هو ما يختص بهم من الآثام **والعدوان** اي الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي **واكلهم**
السحت اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح **لبئس ما كانوا يعملون** اي لبئس
شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار **لولا ينهاهم الربانيون والاحبار**
قال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التوراة وقيل كلهم في اليهود ... تحضيض للذين يقتدي
بهم افناؤهم ... على تركهم **عن قولهم**
الاثم واكلهم السحت مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما **لبئس ما كانوا يصنعون** وهذا
ابلغ مما قيل في حق عامتهم لان العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة
فلذلك ذمهم بمخالطتهم ولان ترك الخشية ... من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك
الانكار عليها فكان تجنبا بالبالغ ثم وفيه مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انها اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها **وقالت اليهود** قال ابن عباس
وعكرمة والضحاك رضي الله عنهم ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية
فلما عصوا الله تعالى بما ذكر وبرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص
بن عازوراء **يد الله مغلولة** وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان
قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وارادوا بذلك لعنهم الله تعالى انه سبحانه ممسك يقتر الرزق فان كلا
من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط الا ترى انهم
يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قول ... بسط اليدين نوالا بل يكون يداه بلا غلة وهكذا
ولقد سلك لبيد هذا المسلك حيث قال وغداة ريح قد شهدت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فانه

اذ ارادوا بذلك اثبات القدرة التامة المشتملة على التصرف في الفوق كيفما اتفق على طريقة المجاز من غير ان
يخطر ببالهم ثبوت يد ولا غل ولا بسط اصلا وقصدهم بهذه الكناية نفي ارادة المعنى الحقيقي كما مر في قوله
تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة في سورة آل عمران وقيل ارادوا ما حكي عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنياء **غلت ايديهم** دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل
الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبون الى النار باغلالها في الآخرة فتكون المطابقة
حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره **ولعنوا** عطف على الدعاء
الاول اي ابعدوا من رحمته تعالى **بما قالوا** اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما خبر **بل يداه
مبسوطتان** عطف على مقدر يقتضيه المقام اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود والية اشير
بتثنية اليد فان اقصى ما تنتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم وقيل التثنية للتنبيه
على صحة نعمته تعالى النعمتي الدنيا والآخرة وقيل على اعطائه تعالى ما هو على اعطائه استدراجا **ينفق
كيف يشاء** جملة مستانفة واردة لتاكيد كمال جوده والتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه
من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكلمة العظيمة والمعنى انه تعالى ليس لقصور في
فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي عليها يدور امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة
بسبب ما فيهم من شوم المعاصي ان يضيق عليهم كما اشير اليه بقوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في حيز النصب على الحالية من ضمير ينفق اي ينفق كائنا
على اي حال يشاء اي كائنا على مشيئته اي مريدا وترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم **وليزيدن كثيرا منهم**
وهم علماؤهم ورؤساؤهم **ما انزل اليك** من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول الغير الصريح
وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك **من ربك** متعلق بانزل كما ان اليك كذلك ولخلو
عنه معنى الابتداء ان يتقدم على الانتهاء لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو
النزول اليه صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى وانزلنا اليكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف صلى الله وسلم عليه **طغيانا وكفرا** مفعول ثان
للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا الى طغيانهم وكفرا الى كفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام للاصحاء يزيد المرضى
مرضا **والقينا بينهم** اي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة **العداوة
والبغضاء** فلا تكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم
من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى الاضرار بالمسلمين قيل العداوة اخص من البغضاء
لان كل عدو مبغض بلا عكس كلي **الى يوم القيمة** متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء **كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله** تصريح بما اشير اليه من عدم وصول غائلتهم الى المسلمين اي كلما ارادوا محاربة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا
حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي
ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين والحرب صلة لاوقدوا او متعلق بمحذوف
وقع صفة لنارا اي كائنة للحرب **ويسعون في الارض فسادا** اي يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة
الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او في موقع المصدر اي يسعون
للفساد او يسعون سعي فساد **والله لا يحب المفسدين** ولذلك اطفا نائرة افسادهم واللام اما للجنس وهم
داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد
ولو ان اهل الكتاب اي اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وانما ذكروا بذلك العنوان

تاكيدا

تاكيدا للتشنيع فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم اقامتهم له وهم اهلية
اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع فمفعول قوله تعالى **آمنوا** محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا
الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون ومما لحق من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية الآية
اي لو انهم مع ما عدد من سيئاتهم وما صدر عنهم من فنون الجنايات قولا وفعلا آمنوا بما نعي عليهم الايمان به فيندرج فيه ايمانهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم وارادة ايمانهم به صلى الله عليه وسلم خاصة تاباها المقام لان ما ذكر
فيما سبق وما لحق من كفرهم به صلى الله عليه وسلم انما ذكر مشفوعا بكفرهم بكتابهم ايضا قصدا الى الالزام والتبكيت ببيان
ان الكفر به صلى الله عليه وسلم خاصة مخل بجانب اطراف النظم الكريم **واتقوا** ما عددنا عليهم من معاصيهم
التي من جملتها المخالفة **لكفرنا عنهم سيئاتهم** التي اقترفوها وان كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم
بها **ولادخلناهم** مع ذلك **جنات النعيم** وتكرير اللام لتاكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة
معاصيهم وان الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جلت وجاوزت كل حد معهود **ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل** بمراعاة ما فيهما من الاحكام التي من جملتها شواهد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته فان
اقامتها انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام لانتساخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل
من اقامتها في شيء **وما انزل اليهم من ربهم** من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان للايذان بوجوب
اقامته عليهم لنزوله اليهم والتصريح ببطلان ما كانوا يدعون من عدم نزوله الى بني اسرائيل وتقديم اليهم
على من ربهم وفي اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة الى الاقامة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء
بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فانها مملوءة بالبشارة بمبعثه صلى الله عليه وسلم
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض بان يكثر ثمرات
الاشجار وغلال الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤوس الاشجار ويلتقطوا
ما تساقط منها على الارض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل
جهة ومفعول اكلوا محذوف لقصد التعميم او القصد الى نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين
لابتداء الغاية وفيها بين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الايمان والتقوى والاقامة تنبيه على عدة بنيل سعادة
الدارين وزجرهم عن الاخلال به ببيان افضائه الى حرمان ما عينها وتنبيه لهم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما
هو من شوم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض كما افتروا **منهم امة مقتصدة** جملة مستانفة مبنية على
نشا من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة
من اهل الكتاب كافة اي هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان الى آخره فقيل منهم امة مقتصدة اما على ان منهم مبتدا
باعتبار مضمونه اي بعضهم امة واما بتقدير الموصوف اي بعض كائن منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول
آمنا بالله الآية اي طائفة منهم معتدلة وهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى
وقيل طائفة حالهم امم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكثير منهم** مبتدا تخصيصه بالصفة وخبره
ساء ما يعملون اي مقول في حقهم هذا القول اي بئسما يعملون وفيه معنى التعجب اي ما اسوا عملهم من العناد والمكابرة
وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة وهم الاجلاف المتعصبون ككعب بن الاشرف واشباهه والروم **يا ايها
الرسول** نودي عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر به من
تبليغ ما اوحي اليه **بلغ ما انزل اليك من ربك** اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان
وفي قوله تعالى من ربك اي مالك امورك ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه الصلاة والسلام
وكلاءته اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف ان ينالك مكروه ابدا **وان لم تفعل** اي ما امرت به من تبليغ الجميع كما
المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى **فما بلغت رسالته** فان ما لا يتعلق به من الاحكام لمصالح من الاسرار الخفية

بين مما يقتضيه تبليغه الى الناس اي فما بلغت شيئا من رسالته وقرئ رسالاته فما شرفت به من عنوان الرسالة لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدلي به غيرها وكونها لذلك في شيء واحد ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به ولان كتمان بعضها اضاعة لما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى والله يعصمك من الناس فانه عدة كريمة بعصمته من لحوق ضرر بروحه العزيز باعثة له صلى الله عليه وسلم كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين تعليل لعصمته تعالى له صلى الله عليه وسلم اي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الآية الكريمة في تضاعيف الآيات الواردة في حق اهل الكتاب لما ان الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على النبي صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم بمحال ضلالهم ولذلك اعيد الامر فقيل قل يا اهل الكتاب مخاطبا للفريقين لستم على شيء اي دين يعتد به ويليق بان يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه حتى تقيموا التوراة والانجيل اي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما المنسوخة فليست من اقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدتان بنسخها فان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها عن كونها من احكامهما فان احكامهما ما قرره النبي الذي بشر فيهما ببعثته وذكر في تضاعيفهما فاذا اقامتهما ببيان شهادة النسخ والعمل بما قررته الشريعة من الاحكام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما انزل اليكم من ربكم اي القرآن المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا تتأتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين مع ان اقامته مع انها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان الانزال اليهم مع التصريح بانهم مأمورون بما فيه لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفي اضافة الرب الى ضميرهم ما لا يخفى اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل كما قيل وقيل الكتب الالهية فانها باسرها امرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جماعة من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التوراة حق من عند الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا انا مؤمنون بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا جملة مستانفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال اليه صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر اليهم للتنبيه على انسلاخهم عن تلك النسبة فلا تأس على القوم الكافرين اي لا تتأسف ولا تحزن عليهم لافراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته آيلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر ان الذين آمنوا كلام مستانف مسوق لترغيب من عدا المذكورين في الايمان

والعمل

والعمل الصالح اي الذين آمنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان تواطئها قلوبهم او لا والذين هادوا اي دخلوا في اليهودية والنصارى جمع نصران وقد مر تفصيله في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع بالابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق خلا انه وسط بين اسم ان وخبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدأ المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف وقيل والنصارى مرفوع على الابتداء وقوله تعالى والصابئون عطف عليه وهو مع خبره معطوف على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه على محل ان واسمها لاشتراط ذلك بالفراغ عن الخبر والا لاجتمع الخبر بان والابتداء مما قد عرفت بان ذلك انما كان للتكرير خبرهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون بياء صريحة تخفيفا للهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا اما في محل الرفع على انه مبتدأ خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما ان افرادها في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه فخبرها قوله تعالى فلا خوف والفاء كما في قوله عز وعلا ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الآية والمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شأن المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل المعنى من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة وارسلنا اليهم رسلا ذوي عدد كثير واولي شأن خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم ويتعهدوهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى جملة شرطية مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كأنه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا

يقتلون جواب مستأنف عن استفسار كيفية ما أظهروه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الإجمال كأنه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير أن يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار وفريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم أيضا قتلا وإنما أوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجيب منها وللتنبيه على أن ذلك ديدنهم المستمر والمحافظة على رؤوس الآي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع إلى ما فعلوا به لا للقصر هذا وأما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب إليه الجمهور فلا يساعده المقام لما عرفت من أن الجمل الخبرية إذا جعلت صفة أو صلة تنسخ فيها من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في إثباته لأمر آخر ولذلك يجب أن يكون الصفة معلوم الانتساب إلى الموصوف عند السامع قبل جعلها وصفا له ومن هاهنا قالوا إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في أن ما سيق له النظم إنما هو بيان أنهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل والتكذيب حسبما أفيد مع جعلها استئنافا على أبلغ وجه وآكده لا بيان أنه تعالى أرسل إليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة **وحسبوا أن لا تكون فتنة** أي حسب بنو إسرائيل الذين من الله تعالى بما ذكر من الدواهي الدهيا والخطة الشنعاء عذاب وقرئ لا تكون بالرفع على أن هي المخففة من أن واسمها ضمير الشأن المحذوف وأصله أنه لا تكون فتنة وفعل الحسبان لكونه بمعنى التحقيق أنزل منزلة العلم لكمال قوته وأن بما في حيزها سادة مسد مفعوليه **فعموا** عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها أي أمنوا بأس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعدما هداهم الرسل إلى معالمه الواضحة وبينوا لهم مناهجه السوية الصحيحة **وصموا** عن استماع الحق الذي ألقوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا إشارة إلى المرة الأولى من مرتي إفسادهم حين خالفوا أحكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا أرميا عليهما الصلاة والسلام لا إلى عبادتهم العجل كما قيل فإنها وإن كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عليه الصلاة والسلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاؤوهم بعده عليه الصلاة والسلام بأعصار **ثم تاب الله عليهم** حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعدما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر أسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس إلى بيت المقدس فعمره ورد من بقي من بني إسرائيل في أسر بخت نصر بعد مهلكه وردهم إلى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الأكناف فعمروه ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا وقيل لما ورث بهمن بن إسفنديار الملك من جده كشتاسف ألقى الله تعالى في قلبه شفقة عليهم فردهم إلى الشام وملك عليهم دانيال عليه الصلاة والسلام فاستولوا على من كان فيها من أتباع بخت نصر فقامت فيهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فرجعوا إلى أحسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأما ما قيل من أن المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت أنه لا تعلق له بالمقام ولم تسند التوبة إليهم كسائر أحوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير إليهم وإنما أشير إليها في ضمن توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم إياها بقوله تعالى **ثم عموا وصموا** وهو إشارة إلى المرة الأخيرة من مرتي إفسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام لا إلى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سره فإن تلك الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا أن ما حكي عنهم هاهنا في المرتين مترتب على حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم الصلاة والسلام يقتضي أن المراد بهما ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك وقوله تعالى **كثير منهم** بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف أي وأولئك كثير منهم **والله بصير بما يعملون** أي عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها

الفظيعة

الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل أشير به إلى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا إشارة إجمالية اكتفي بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بني إسرائيل والمعنى حسبوا أن لا يصيبهم عذاب فعملوا ما عملوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لأشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن أين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الأولى حيث سلط الله عليهم بخت نصر عامل لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من أهل نينوى والأول هو الأنسب فاستولى على بيت المقدس فقتل من أهله أربعين ألفا ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية إلى أرضه فبقوا هناك على أقصى ما يكون من الذل والنكد إلى أن أحدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل إلى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا إلى المرة الآخرة من الفساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل منهم ألوفا ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا فقالوا إنه دم يحيى عليه الصلاة والسلام فقال بمثل هذا ينتقم الله منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله تعالى قبل أن لا أبقي منهم أحدا فهدأ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم** شروع في تفصيل قبائح النصارى وإبطال أقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا إن مريم ولدت إلها فقيل هم الملكانية فقيل اليعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا أن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذاته سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا **وقال المسيح** حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما أصروا عليه بما أوعدهم به أي قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم **يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم** فإني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم **إنه** أي الشأن **من يشرك بالله** أي شيئا في عبادته أو فيما يختص به من صفات الألوهية **فقد حرم الله عليه الجنة** فلن يدخلها أبدا كما لا يصل المحرم عليه إلى المحرم فإنها دار الموحدين وقطعها الاسم الجليل في موقع الإضمار لتهويل الأمر وتربية المهابة **ومأواه النار** فإنها هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب إثر بيان حرمانهم الثواب **وما للظالمين من أنصار** أي ما لهم من أحد ينصرهم بإنقاذهم من النار إما بطريق المغالبة أو بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابل بالظالمين واللام إما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وإما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا ووضعه على الأول موضع الضمير للتسجيل عليهم بأنهم ظلموا بالإشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو إما من تمام كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وإما وارد من جهته تعالى تأكيدا لمقالته عليه الصلاة والسلام وتقريرا لمضمونها وقد قيل إنه من كلامه عز وجل على معنى أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه الصلاة والسلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو من قول عيسى عليه الصلاة والسلام على معنى لا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وأنت خبير بأن التعبير كما حكي عنه عليه الصلاة والسلام من مقابلته قولهم الباطل بصريح الرد والإنكار وإن عبر عنه بحرمان الجنة يجيء عدم مساعدته على ذلك ونفي نصرته له مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوي بصورة الضعيف وتهوين للخطب في مقام التهويل بل نفي ذلك بحسب الظاهر مما لا يليق بشأنه عليه الصلاة والسلام من توهم النصرة والمساعدة لاسيما مع ملاحظة قوله ولو كانوا معظمين له إلى آخره لأن لا يحمل الكلام على التهكم بهم وكذا الحال على تقدير كونه من تمام قوله عليه الصلاة والسلام فإن زجره إياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر

من عدم الناصر والمساعد بعد نجوه اياهم عما مر من ارادة التاكيد والوعيد الشديد بعجزهم عن الافادة ولا
ولا سبيل ههنا الى الاعتذار بانه حكم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة شروع في بيان كفر طائفة
اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع
خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وانما ينصب اذا كان ما بعده
دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله سبحانه
وتعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء اله ويؤيده قوله تعالى للمسيح أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى وما من اله الا اله واحد
اي والحال انه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف
بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن جملتها الاثنينية وقيل انهم يقولون ان الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم
اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث
الحياة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه وان لم
ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى ليمسن الذين كفروا جواب قسم محذوف
ساد مسد جواب الشرط اي وبالله ان لم ينتهوا ليمسن وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم
بالكفر ومن في قوله تعالى بيانية اي ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر او تبعيضية
وانما جيء بالفعل المنبي عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينحي عليه بالقلع من نص عليه
كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب والهمزة
الاستفهام في قوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب
من اصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة فلا
يتوبون الى الله ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول بعد هذا الانذار والتهديد او عدم
الانتهاء وعدم التوبة معا او ليسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك تعدادها
عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل والله غفور رحيم جملة حالية
من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار اي والحال انه تعالى
مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح ابن مريم الا رسول استئناف مسوق
لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه الصلاة والسلام وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما
من نعوت الكمال التي بها صار من زمرة كمل افراد الجنس وآخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان
استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار اي ما هو مقصور على الرسالة
لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي الالوهية اي ما هو
الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها فان احيى الموتى على يده
فقد احيى العصا في يد موسى وجعلها حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد خلق آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب
منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام مظاهر لشؤونه وافعاله وامه صديقة
اي وما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق والتصديق ويبالغن في الاتصاف بهما فما رتبتهما الا رتبة
بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواصهم كانا ياكلان الطعام
استئناف مبين لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افرادهم بل افراد
الحيوان وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الآيات تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية ولا يرعوون
عن ذلك بعدما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول لنبين والجملة في حيز النصب معلقة

لانظار

لانظر اي انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال ثم انظر انى
يؤفكون اي كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها والكلام فيه كما فيما قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة في
التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت اي ان بياننا للآيات امر بديع في بابه بالغ لاقصى الغايات القاصية
من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصحح بمادة وتحقق ما يوجب قبولها ابدع واعجب قل امر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من دون الله اي متجاوزين اياه وتقديمه
على قوله تعالى ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه الصلاة
والسلام وايثاره على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية رأسا ببيان انتظامه عليه الصلاة والسلام في
سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا وهو عليه الصلاة والسلام وان كان يملك ذلك بتمليك الله تعالى اياه لكنه لا
يملكه من ذاته لا الملك الذي نعت لهم من مجرى النفع ولا ادنى درجات التأثير من رفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى والله
هو السميع العليم حال من فاعل اتعبدون مؤكدة لما افاده التوبيخ ومقرر للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اي اتشركون
بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات
التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات
التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة قل يا اهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقي اهل الكتاب
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ابطال مسلك كل منهما بالمبالغة في زجرهم عن سلوك ما هم عليه من المسالك الباطلة وارشادهم
الى الحق الثابت لا تغلوا في دينكم اي لا تتجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة الى ما
تقولوا في حقه من العظيمة ولليهود عن وضعهم له عليه الصلاة والسلام عن رتبته العلية الى ما تقولوا عليه من
الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء وذكرهم بعنوان اهل الكتاب لتذكيرهم ان الانجيل ايضا
ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى غير الحق نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا
باطلا او حال من ضمير الفاعل اي لا تغلوا مجاوزين الحق او من دينكم اي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على
الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل هم اسلافهم وائمتهم الذين قد مضوا
ضلوا او من النصارى على القولين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا اي قوما كثيرا ممن شايعهم
في الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول محذوف وضلوا عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح
محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة
الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا اي لعنهم الله عز وجل
وبناء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء من بني اسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا على لسان
داود وعيسى ابن مريم متعلق بلعن اي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا
في السبت دعا عليهم داود عليه الصلاة والسلام وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة
لما كفروا قال عيسى عليه الصلاة والسلام اللهم عذب من كفر بعدما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما
لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك اشارة الى اللعن المذكور
وايثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام كأنه قيل باي سبب وقع ذلك
فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
فينبئ عنه قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استئناف مفيد لعبارة استمرار عدم التناهي عن
المنكر ولا يمكن استمراره الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر

كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن أشخاص متعددة من غير اعتبار أن يكون كل واحد منهم
ناهيا ومنهيا معا كما في تراءوا الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا
امتنع عنه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى
الأول مفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر إذ لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الأوقات ومن ضرورته
استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير فالمفيد تنكير المنكر من الوحدة النوعية لا الشخصية فلا يقدح
وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به فإن متعلق الفعل إنما هو فرد من أفراد ما يتعلق به النهي والانتهاء من مطلق
المنكر باعتبار تحققه في ضمن أي فرد كان من أفراده مع أن الماضي المعتبر في الصفة إنما هو بالنسبة إلى زمان النزول لا
إلى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة إلى تقدير المعاودة لا لتعلق بالمنكر المفعول لا بد من المصير إلى أحد
ما ذكر من الوجهين أو إلى تقدير المثل أو إلى جعل الفعل عبارة عن إرادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى لبئس ما كانوا يفعلون
تقبيح لسوء أعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد أداهم إلى ما شرح من اللعن الكبير وليس في تسببه لذلك
دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الإشارة إلى سببيته له فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا لأن إجراء
الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له لأن ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم أيضا ترى كثيرا
منهم أي من أهل الكتاب ككعب بن الأشرف وأضرابه حيث خرجوا إلى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والرؤية بصرية وقوله تعالى يتولون الذين كفروا حال من كثيرا لكونه موصوفا أي يوالون المشركين
بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل من منافقي أهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس رضي الله
عنه ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم أنفسهم لبئس شيئا قدموا ليردوا
عليه يوم القيامة أن سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيها
على كمال التعلق والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد ومبالغة في الذم أي موجب سخط الله تعالى ومحله الرفع على الابتداء
والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترطه هو العموم ولا حاجة إليه لأن الجملة عين المبتدأ أو على أنه خبر لمبتدأ
محذوف يبين عنه الجملة المتقدمة كأنه قيل ما هو أي شيء هو فقيل هو أن سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم
محذوف وما اسم تام معرفة في محل الرفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم أنفسهم صفته وقوله تعالى أن سخط الله عليهم
بدل من ذلك المحذوف وهكذا مذهب سيبويه وفي العذاب أي عذاب جهنم هم خالدون أبد الآبدين ولو كانوا أي الذين
يتولون المشركين من أهل الكتاب يؤمنون بالله والنبي أي نبيهم وما أنزل إليه من الكتاب أي لو كانوا يؤمنون
بالله وبنبيهم إيمانا صحيحا ما اتخذوهم أي المشركين أولياء فإن الإيمان بما ذكر وازع عن توليهم
قطعا ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن الدين والإيمان بالله وبنبيهم وكتابهم أو متمردون في النفاق مفرطون
فيه لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها
من قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وسائر أحوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم المشركين أكد بالتوكيد القسمي اعتناء
ببيان تحقق مضمونها والخطاب إما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد يصلح له إيذانا بأن حالهم مما لا يخفى على
أحد من الناس والوجدان متعد إلى اثنين أحدهما أشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لأنهما في الأصل
مبتدأ وخبر ومصب الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ضير في التقديم والتأخير إذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل
واضح عليه وهو أن المقصود بيان كون الطائفتين المذكورتين … لا للإفادة
في الصورة الثانية يلزم وحمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتأخير إذ المعنى إن قصدت أن تعرف أشد الناس عداوة
للمؤمنين وتتبعت أحوال الطوائف طرا وأحطت بها بجملتها تفصيلا وبالغت في تعرف أحوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت
في طلب ما عندهم من الأمور الكامنة والبادية وجدت أشدهم تينك الطائفتين لا غير فتأمل واللام الداخلة على
الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا ضير في كونها مؤنثة لأنها مبنية على التاء كما في قوله ورهبة عقابك

وقيل المحذوف

وقيل بمحذوف وقع صفة لعداوة أي عداوة كائنة للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم
وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الأنبياء والاجتراء
على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن واحد إشعار بتقدمهم عليهم في العداوة
كما أن في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا إيذانا بتقدمهم عليهم في الحرص
ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا أعيد الموصول مع صلته روما لزيادة التوضيح والبيان الذين قالوا
إنا نصارى عبر عنهم بذلك إشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون أنهم أنصار الله وأوداء أهل الحق وإن لم يظهروا اعتقاد حقية
الإسلام وعليه من النكت تمشي الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم وكذا
في نفس التجدد وتعلق الأحكام الذي سبق والعدول عن جعل ما فيهما من التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا متفاوتا
بالشدة والضعف أو بالقرب والبعد بأن يقال ولتجدن أضعفهم عداوة للذين آمنوا الخ أو بأن يقال ولتجدن أبعدهم
مودة للذين آمنوا الخ للإيذان بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان أن أحدهما في أقصى مراتب أحد النقيضين والآخر
في أقرب مراتب النقيض الآخر ذلك أي كونهم أقرب مودة للمؤمنين بأن منهم أي بسبب أن منهم قسيسين وهم
علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء إذا تتبعه وطلبه بالليل سموا
به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي عالم النصارى لتتبعه العلم وقيل
قص الأثر وقيل إنه أعجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيع النصارى الإنجيل وما
فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس ورهبانا جمع راهب
كركبان وفارس وفرسان وقيل إنه يطلق على الواحد وعلى الجمع وأنشد فيه قول من قال لو عاينت رهبان
دير في قلل لانحدر الرهبان يمشي ونزل والترهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد
من فرط الخوف والتنكير لإفادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين أيضا إذ هي التي تدل على مدح جنس النصارى
للمؤمنين فإن اتصاف أفراد كثيرة من جنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها وإلا فمن اليهود أيضا قوم مهتدون ألا ترى
إلى عبد الله بن سلام وأضرابه قال تعالى ومن أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون إلى آخره
لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم إلى جنس اليهود وأنهم لا يستكبرون عطف على أن منهم
أي وبأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق إذا فهموه أو يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع أفراد الجنس
فسببيتها لأقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على أن التواضع والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن
الشهوات محمودة وإن كان ذلك من كافر وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول عطفا على لا يستكبرون أي وذلك بسبب
أنهم لا يستكبرون وأن أعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم
ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم إبائهم إياه ترى أعينهم تفيض من الدمع أي تمتلئ بالدمع فاستعير
له الفيض الذي هو الانصباب عن الامتلاء مبالغة أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها
مما عرفوا من الحق من الأولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول أي لابتداء الفيض ونشأته من معرفة
الحق وحصل من أجله وبسببه ويحتمل أن تكون الثانية تبعيضية لأن ما عرفوه بعض الحق وحيث أبكاهم
ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرأوا القرآن وأحاطوا بالسنة وقرئ ترى أعينهم على صيغة المبني
للمفعول يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القرآن كأنه قيل ماذا
يقولون فقيل يقولون ربنا آمنا بهذا أي بمن أنزل هذا عليه أو بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا أو من
الضمير المجرور في أعينهم لما أن المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا فاكتبنا
مع الشاهدين أي الذين شهدوا بأنه حق أو بنبوته أو مع أمته الذين هم شهداء على الأمم يوم القيامة
وإنما قالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق

ونطمع كلام مستانف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية
عطفا على قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل فيه ما فيه من الاستقرار اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين
على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظائره لا الى
السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وامثال ذلك فان همزة الاستفهام كما تكون
تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي كذلك ما الاستفهامية
كما تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الآية الثانية وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون
مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه
وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في الآية الكريمة الاولى فيكون مضمون
الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما وقوله تعالى ان يدخلنا ربنا
مع القوم الصالحين حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدا والعامل فيها هو العامل في الاولى
مقيدا بها اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير في لا نؤمن على
معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على نؤمن
على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من
قولك هذا قول فلان اي معتقده وقرئ فاتاهم الله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
وذلك جزاء المحسنين اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات
الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا
جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن
فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف على
والتكذيب بآيات الله تعالى الى الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في مقابلة المصدقين
بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه
لانه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى على الترهب ترغيب المؤمنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب
ذلك بالنهي عن الافراط في ذلك اي لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم
على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ
واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان
لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا
في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا
فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني
فنزلت ولا تعتدوا اي ولا تتعدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم او لا تسرفوا في تناول الطيبات
او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا او يراد
عقيبه ولا تعتدوا بذلك ان الله لا يحب المعتدين تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا اي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول لكلوا ومما رزقكم حال منه تقدمت
عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن ابتدائية او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف
او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال زيادة فائدة
واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون تاكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة في
التقوى والانتهاء عما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق

بحكم

بحكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد قيل لما نزلوا على تحريم الطيبات
على ظن انه قربة فلما نزل النهي قالوا كيف بايماننا وعند الشافعي رحمه الله هو ما يبدو من المرء من غير
قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله عنها وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر
او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية
والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ
عاقدتم فكفارته اي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بها
على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين وراى غيرها
خيرا منها فليات الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم
اي من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحل الجار النصب لانه صفة مفعول محذوف
تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون جمع
اهل كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلث كالالف وهو ايضا
جمع اهل كالاراضي جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او على محل من اوسط
على تقدير كونه بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف
وهي لغة في قدوة واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم
بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة اي اعتاق
انسان كيفما كان وشرط الشافعي رحمه الله فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال
مطلقا وخيار التعيين للمكلف فمن لم يجد اي شيئا من الامور المذكورة فصيام اي فكفارته صيام
ثلاثة ايام والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة ايام متتابعات والشافعي رحمه الله لا يرى الشواذ حجة
ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبتذلوها كما
يشعر به قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم
وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي لا الى تبيين آخر مفهوم
مما سبق والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف
مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي
ذلك البيان البديع يبين الله لكم آياته اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم على المفعول لما
مر مرارا لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب
اي الاصنام المنصوبة للعبادة والازلام سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة رجس قذر تعاف عنه العقول
وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او لمضاف محذوف اي شان الخمر والميسر الى آخره
من عمل الشيطان في محل الرفع على انه صفة رجس اي كائن من عمله لانه مسبب عن تسويله وتزيينه فاجتنبوه
اي الرجس او ما ذكر او تعاطيه لعلكم تفلحون اي راجين فلاحكم وقد مر تحقيقه في تفسير
قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا
بالاصنام والازلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما
وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية
والدينية المقتضية للتحريم فقيل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة اشارة الى مفاسدهما الدينية

وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما وذكر الاصنام والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلوة بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل **فهل انتم منتهون** ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية **واطيعوا الله واطيعوا الرسول** عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه **واحذروا** اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا **فان توليتم** اي اعرضتم عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وعن طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما **فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين** وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه صلى الله عليه وسلم حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه صلى الله عليه وسلم وانما يضرون انفسهم **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح** اي اثم وحرج **فيما طعموا** اي تناولوا اكلا او شربا فان استعمال الطعم في الشرب ايضا مستفيض ومنه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قيل لما نزل تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما في طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقييد اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى **اذا ما اتقوا** واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطارئ عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم من الاول **وآمنوا وعملوا الصالحات** اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة وقوله تعالى **ثم اتقوا** عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق **وآمنوا** اي بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما للاعتناء به او لانه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به اي واستمروا على الايمان به **ثم اتقوا** اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه حينئذ **واحسنوا** اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المراتب بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله تعالى ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم في كل ما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شيء

محرم عند

محرم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سيأتي بقضية كلمة اذا لكنه اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكأنه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموا اذ كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما في عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التأكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التأمل **والله يحب المحسنين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير **يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله** جواب قسم محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم **بشيء من الصيد** اي من صيد البر مأكولا او غير مأكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى **تناله ايديكم ورماحكم** فهموا باخذها فنزلت وروي انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه فقتله فقيل له قتلت الصيد وانت محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فانزل الله تعالى الآية فالتأكيد القسمي في ليبلونكم انما هو لتحقيق ان ما وقع من عدم توحش الصيد منهم ليس الا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان التوحش قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي به اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على ان من لم يثبت في مثل هذا كيف يثبت عند شدائد المحن فمن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظائم البلايا فيضيع الكلام عن التنبيه المذكور **ليعلم الله من يخافه بالغيب** اي ليتميز الخائف من عقابه الاخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه بمن يخافه بالفعل فان علمه تعالى وان كان متعلقا بمن سيخاف لكن تعلقه بانه خائف بالفعل وهو الذي يدور عليه امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اي ليعلم الله عباده الخوف والعلم على القراءة المشهورة متعد الى واحد واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة **فمن اعتدى بعد ذلك** اي بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه او النهي عنه كما قاله بعضهم اذ النهي والتحريم ليس امرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره الآخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا لتخفيفه وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء

الاعتداء بعد ذلك مكابر مقصر في تقوى وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض للصيد بعد ما بيناه ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تمييز المطيع من العاصي **فله عذاب اليم** لما ذكر من انه مكابر محض تعول فمن لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى في مثل هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض قيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس رضي الله عنهما يوسع ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيابه **يا ايها الذين امنوا** شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي في قوله تعالى **لا تقتلوا الصيد وانتم حرم** مع كونه معلوما لا استعمال من قوله تعالى غير محل الصيد وانتم حرم لتاكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام في الصيد للعهد حسبما سلف حرم جمع حرام وهو المحرم وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان حلالا كرجح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون **ومن قتله** اي الصيد المعهود وذكر القتل في الموضعين دون الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة **منكم** متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعله اي كائنا منكم **متعمدا** حال منه ايضا اي ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطا لان الاية نزلت في المتعمد كما روي عن قصة ابي اليسر ولان الاصل فعل المتعمد والخطا لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لا ارى في الخطا شيئا اخذا باشتراط العمد في الاية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتل عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة **فجزاء مثل ما قتل** برفعهما اي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على اعمال المصدر وقرئ بجر الثاني على اضافة المصدر الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ بنصبهما على تقدير فليجز جزاء اي فعليه ان يجزي جزاء مثل ما قتل والمماثلة عند ابي حنيفة وابي يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته قيمة هدي تخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما كاملا وان لم يبلغ يخير بين الطعام والصوم وان بقي ما دون طعام مسكين يصوم يوما او يتصدق به فيكون قوله تعالى **من النعم** بيانا للهدي المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى ومحمد رحمه الله هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله تعالى اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله عنهم انهم اوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار الوحش بقرة وفي الارنب عناقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص اوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل معنى وما لا اعتبار له في الشرع اصلا واذا لم يمكن ارادة الاول اجماعا تعين ارادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد ولان المماثلة بين افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم يجعل الحيوان عند اتلافه مضمونا بفرد اخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف بل مضمونا بالقيمة مع ان المنصوص عليه في باب العدوان انما هو المثل قال الله تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم يعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلان لا يعتبر ما بين افراد انواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة اخذها بنفس الحافظة عليها اولى واحرى ولان القيمة قد اريدت فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيره مرادا اذ لا عموم للمشترك في مواقع الاثبات والمراد بالمروي ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الاصلي للجناية هو الجزاء المماثل للمقتول انما هو قيمته لا باعتبار انه يهدى الجاني اليها فيصرفها الى المصارف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها العيار

فيقربهما

فيقربهما احدى الخصال الثلاث فيقيمها مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في ثاني الحال بناء على وصفه الاول الذي هو العيار له وبما بعده من الطعام والصيام لتحققهما ان يعطفا على الوصف المفارق على الوصف اللازم فضلا عن العطف على الوصول كما سيأتي باذن الله تعالى وقد ابى شدد ذلك المراد بالمثل هو القيمة وقوله عز وجل **يحكم به** اي بمثل ما قتل **ذوا عدل منكم** اي حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون العدول في الاشياء المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس فان ذلك ناشئ من الغفلة عما ارادوا بيانه المماثلة بل لان ما يجعلونه مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية الاحوال مما لا يهتدى اليه من اساطين ائمة الاجتهاد وصناديد اهل الهداية والارشاد الموفقون لتلك الفنون القدسية الا ترى ان الشافعي رحمه الله تعالى اوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منهما يعب وبهدر مع ان التباين بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يهتدي الى معرفة امثال هذه الدقائق الغويصة الى معرفة عدلين من احاد الناس على ان الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعد ما عين بمقابلة كل نوع من انواع الصيد نوع من انواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة الى حكم اصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل لكونه الوحدة وقيل ارادة الامام والجملة صفة لجزاء او حال منه لتخصيصه بالصفة وقوله تعالى **هديا** حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفة او بدل من مثل فيمن نصبه او في محله فيمن جره او نصب على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء **بالغ الكعبة** صفة لهديا لان اضافته لفظية **او كفارة** عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدا محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله تعالى **طعام مساكين** عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدا محذوف اي هي طعام مساكين وقوله تعالى **او عدل ذلك صياما** عطف على طعام الخ كانه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ تكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر بها الهدي والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منها بدلا عن الاخرين هذا وقد قيل انه قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء فلا يبقى في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والالتجاء الى القياس على الهدي تعسف ولا يخفى ان قوله تعالى فجزاء بالرفع على سائر القراءات فقوله تعالى او كفارة خبر مبتدا محذوف والجملة معطوفة على جملة هدي من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي يوسف وابي حنيفة وللحكمين عند محمد رحمهم الله **ليذوق وبال امره** متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه الكلام كانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا تستمرئه المعدة **عفا الله عما سلف** من قتل الصيد محرما قبل ان يسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما **ومن عاد** الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم **فينتقم الله منه** خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي فعليه الجزاء الى اخره وقوله تعالى ومن كفر فامتعه قليلا والمراد بالانتقام التعذيب في الاخرة واما الكفارة فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن انها واجبة على العائد وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر **والله عزيز**

غالب لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم ممن أصر على المعصية والاعتداء أحل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر
أي ما يصاد في المياه بحرا كان أو نهرا أو غديرا وهو ما لا يعيش إلا في الماء مأكولا كان أو غيره وطعامه
أي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى أحل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به وأكل
ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد فيه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر
وأن تطعموه وقرئ وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه أو نضب عنه متاعا لكم نصب على
أنه مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة في قوله تعالى ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة حال مختص
بيعقوب عليه الصلاة والسلام أي أحل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم يأكلونه طريا وللسيارة
منكم يتزودونه قديدا وقيل نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر أي متعكم به متاعا وقيل
مؤكد لمعنى أحل فإنه في قوة متعكم به تمتيعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر
وقرئ على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض
الأوقات كطير الماء ما دمتم حرما أي محرمين وقرئ دمتم بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب
حرمة ما صاده الحلال على المحرم وإن لم يكن له فيه مدخل وهو قول عمر وابن عباس وعن أبي هريرة
وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير أنه يحل له أكل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يشر إليه
ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة لأن الخطاب للمحرمين فكأنه قيل وحرم
عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي وأحمد لا يباح ما صيد له
واتقوا الله فيما نهاكم عنه وفي جميع المعاصي التي من جملتها ذلك الذي إليه تحشرون لا إلى غيره حتى
تتوهموا الخلاص من أخذه تعالى بالالتجاء إليه جعل الله الكعبة قال مجاهد سميت كعبة لأنها
مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الأرض ونتوها وقوله تعالى
البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما تجيء الصفة كذلك وقيل مفعول ثان
بجعل قوله تعالى قياما للناس نصب على الحال ويرد معطوفا على المفعول الأول كما سيجيء
بل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الإنشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما أنها
لهم به مدار لقيام أمر دينهم ودنياهم إذ هو سبب لانتعاشهم في أمور معاشهم ومعادهم يلوذ به
الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه إليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على أنه مصدر
على فعل كشبع أعل عينه كما أعل في فعله والشهر الحرام الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر
الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر أي وجعل الشهر الحرام والهدي
والقلائد أيضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن خصت بالذكر لأن الثواب فيها أكثر
وبهاء الحج معها أظهر ذلك إشارة إلى الجعل المذكور خاصة أو مع ما ذكر من الأحكام من حفظ حرمة الإحرام وغيره
ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل في اللام بعده أي شرع ذلك لتعلموا أن الله يعلم
ما في السموات وما في الأرض فإن تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل
وقوعها وجلب المنافع الأولوية والأخروية من أوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء من علمه المحيط
وقوله تعالى وأن الله بكل شيء عليم تعميم إثر تخصيص للتأكيد ويجوز أن يراد بما في السموات والأرض الأعيان
الموجودة فيهما وبكل شيء الأمور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والأحوال التي هي من قبيل المعاني
اعلموا أن الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه وأصر على ذلك وقوله تعالى وأن الله غفور
رحيم وعد لمن حافظ على مراعاتها محترما له تعالى أو أقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد
ظاهر ما على الرسول إلا البلاغ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به أي الرسول قد أتى بما وجب عليه من التبليغ

لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد التفريط والله يعلم ما تبدون وما
تكتمون فيؤاخذكم بذلك نقيرا وخطيرا قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند
الله تعالى بين الردي من الأشخاص والأعمال والأموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منهما والتحذير عن
رديها وإن كان سبب النزول صنيع البكري الذي مر قصته في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تحلوا شعائر الله إلى آخره وقيل نزلت في رجل سأل النبي صلى الله عليه وسلم إن الخمر كانت تجارتي وإني اعتقدت
من بيعها مالا فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن أنفقته في
حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل جناح بعوضة إن الله لا يقبل إلا الطيب وقال عطاء والحسن رحمهما الله الخبيث
والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للإشعار من أول الأمر بأن القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء
فيه لا في مقابله فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وإن جاز اعتباره بحسب
زيادة الزائد لكن الأولى اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوي الأعمى والبصير إلى غير ذلك
وأما قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة لصلة المفضول
ولو أعجبك كثرة الخبيث أي وإن سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم
والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل للحال والمعنى أي لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو أعجبك وكلتاهما في
موقع الحال من فاعل لا يستوي أي لا يستويان كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الأولى حذفا مطردا لدلالة
الثانية عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق مع المعارض فلأن يتحقق بدونه أولى وعلى هذا السر يدور ما
في لو وإن الوصليتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلهما عليه وسيأتي تمام
تحقيقه في مواقع عديدة بإذن الله تعالى فاتقوا الله يا أولي الألباب أي في تحري الخبيث وإن كثر وآثروا عليه
الطيب وإن قل فإن مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كل
ما كثر الخبيث كان أخبث لعلكم تفلحون راجين أن تنالوا الفلاح يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء
هو اسم جمع على رأي الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء أصله شيئاء بهمزتين بينهما ألف فقلبت الكلمة
بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لألف التأنيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على تخفيف
من هين والأصل أشيئاء كأهوناء بزنة أفعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتأنيث والألف كالهمزة فخففت الكلمة
بأن قلبت الهمزة الأولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت أشيياء فاجتمعت ياءان والألف فحذفت عين الكلمة تخفيفا
فصارت أشياء ووزنها أفعاء ومنعت الصرف لألف التأنيث وقيل إنما حذفت من أشيياء الياء المنقلبة من الهمزة التي
هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم ألف الجمع فوزنها أفعاء وقوله تعالى إن تبد لكم تسؤكم صفة لأشياء داعية
إلى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطية متعلقة بإبدائها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية
أخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لإبدائها الموجب للمحذور قطعا وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن
تبد لكم أي تلك الأشياء الموجبة للمساءة بالوحي كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم
ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والأسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه
فكما أن السؤال عن الأمور الواقعة مستتبع لإبدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لإيجابها عليهم بطريق التشديد
لإساءتهم الأدب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لأمر الله تعالى من غير بحث
فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته أي لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة
عليكم إن أفتاكم بها وكلفكم إياها حسبما أوحي إليه لم تطيقوا بها وتعرضوا لما تكرهون بروزها وذلك مثل ما روي
عن علي كرم الله وجهه أنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وقال إن الله كتب عليكم الحج فقام
رجل من بني أسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال أفي كل عام يا رسول الله فأعرض عنه حتى أعاده

ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم
ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر
فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وعن انس وابي هريرة رضي الله عنهما ان سأل
الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه في المسألة فقام صلى الله عليه وسلم مغضبا خطيبا فحمد الله
واثنى عليه ثم قال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس رضي الله عنه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد رجلا الا وهو
لاف رأسه في ثوبه يبكي فقال رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال يدعى الى غير ابيه
فقال يا نبي الله من ابي فقال صلى الله عليه وسلم ابوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر فقال اين ابي قال عليه الصلاة
والسلام في النار فقام عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا
نعوذ بالله تعالى من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم
عفا الله عنها استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها في نفسها معصية
مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير المسألة للمسألة المدلول عليها
بلا تسألوا اي عفا الله تعالى عن مسألتكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن
عقوبتكم الاخروية بسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها واما جعله صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها على معنى
لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل
عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند
المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما ضروري الانتفاء قطعا على انه يستدعي اختصاص النهي بمسألة الحج ونحوها
ان سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق للنهي عن السؤال عن الاشياء التي يسوؤهم ابداؤها سواء كانت من قبيل
الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بانشائها وايجابها بسبب السؤال عنها كمسألة الحج لولا العفو عنها
او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لايجاب المسرة ايضا لان ايجابها للاولى
ان كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها موجبة للاخرى قطعا وليست احدى الحيثيتين محققة عند السائل
وانما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهور الحيثية الموجبة للمسرة فلم يتعين عنده الحيثية الموجبة للمساءة
قلت لتحقيق النهي عنها كما ستعرف مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده لان تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء
والانزجار لا حيثية ايجابها المسرة ولا حيثية ترددها بين الايجابين ان قيل ان الشرطية الناطقة بان السؤال
عن تلك الاشياء الموجبة للمساءة موجبة مستلزمة لابدائها البتة كما مر فلم تخلف الابداء عن السؤال في مسألة
الحج حيث لم يفرض في كل عام قلنا الوقوع بالسؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية انما هو سؤال الواقع بعد
وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد المقتضي للتخلف فيه ان قيل ما ذكره لا يتمشى فيما اذا كان السؤال عن الامور
المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكرنا من التكاليف الشاقة واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد
يتمشى لان تعلق ابدائها بالذي وقع في نفس الامر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهي او بعده وقد
يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسألة عبد الله بن حذافة حيث كان هو الذي يتعلق به الابداء لا غيره فيتعين التخلف
حتما قلت لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن الاشياء الموجبة
للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال اين ابي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل
الوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وحاصل المعنى ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة انما
هو النهي عن السؤال عن الاشياء التي يوجب ابداؤها المساءة البتة اما بان تكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع فتبدى
عند السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة واما بان تكون واقعة

في نفس

في نفس الامر كالسؤال فتبدى عنده بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشأ توهمه عدم
الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود او بعرضية الوجود من تلك الاشياء في
نفس الامر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم الكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الابهام الانتهاء
عن السؤال عن تلك الاشياء على الاطلاق حذارا ابداء المكروه **والله غفور حليم** اعتراض تذييلي مقرر لعفوه
تعالى اي مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي فلذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم
قد سألها قوم اي سأل هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم
التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير **من قبلكم** متعلق بسألها **ثم اصبحوا بها** اي بسببها او بمرجعها **كافرين** فان
بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم في اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حام** رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا
اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت
من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة
فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم واذا ولدتهما قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لها واذا نتجت من صلب الفحل
عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدي
الى مفعول واحد وهو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتأكيد النفي فان الجعل التكويني كما يكون تارة متعديا الى
مفعولين واخرى الى واحد كذلك الجعل التشريعي يجيء مرة متعديا الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل
الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس واخرى الى واحد كما في الآية الكريمة **ولكن الذين كفروا يفترون على الله
الكذب** حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحي فانه اول من فعل هذه الافاعيل
الباطلة هذا شأن رؤسائهم وكبارهم **واكثرهم** وهم اراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما يشهد به سياق النظم الكريم **لا يعقلون** انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون
في اسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل **واذا قيل لهم** اي للاراذل على
سبيل الهداية والارشاد **تعالوا الى ما انزل الله** من الكتاب المبين للحلال والحرام **والى الرسول** الذي
انزل عليه ذلك لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال **قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا** بيان
لعنادهم واستعصائهم على الهادي الى الحق وانقيادهم للداعي الى الضلال **اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا
يهتدون** قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجيب اي احسبهم ذلك او يقولون هذا القول ولو كان
آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب والاولى كونها للعطف على شرطية اخرى مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي احسبهم
ما وجدوا عليه آباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها
دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان وان اساء
اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اي احسن اليه على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها
دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث اتجه عند المانع فلأن يتجه عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو
الوصليتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اي لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا
يهتدون حسبهم ذلك او يقولون وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر
وفائدته المبالغة في الانكار والتعجيب ببيان ان ما قالوه موجب للانكار والتعجيب اذا كان كون آبائهم جهلة ضالين في حيز
الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف
عليها وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق
في قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر **يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم** اي الزموا امر انفسكم

وإصلاحها وقرئ بالرفع على الابتداء اي واجبة عليكم انفسكم وقوله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرأ لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره واما مرفوع على انه كلام مستأنف في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضيركم اي لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روي ان الصديق رضي الله عنه قال يوما وهو على المنبر يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا الآية فيقول احدكم علي نفسي والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم منكر او سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله تعالى ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي وقيل كان الرجل اذا اسلم لاموه وقالوا له سفهت آباءك وضللتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بان ضلال آبائه لا يضره ولا يشينه الى الله مرجعكم رجوعكم يوم القيامة جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا ايها الذين آمنوا استئناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدأ وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت اي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله تعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدأ بتقدير المضاف اي شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين او فاعل الشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم اي ان يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان اي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهو صفتان لاثنان او آخران عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية اي او شهادة آخرين او ان يشهد بينكم آخران او ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى من غيركم صفة لآخران اي كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأي جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتدأ لما يلي

جواز وقوع

بجواز وقوع المبتدأ بعد ان الشرطية بجواز وقوعه بعد اذا فقوله تعالى ضربتم في الارض اي سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرطية وجوابها محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب ومن اهل الاسلام من يتولى امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد آخران او فاستشهدوا آخرين او فالشاهد آخران كذا قيل والانسب ان يقدر عينما سبق اي على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين اي فان يشهد آخران على الوجوه المذكورة ثمة وقوله تعالى تحبسونهما استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط الدلالة كأنه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي تقفونهما وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلوة قيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على ان اللائق اشهاد الاقارب واهل الاسلام وانما اشهاد الآخرين عند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بانه يقتضي اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله الاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما بذلك بانه مقام الامر باشهادهما اذ مآله فآخران شأنهما الحبس والتحليف وان امكن تمام التقريب باعتبار قيد الارتياب بهما كما يفيده الاعتراض الآتي والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف حلف من حلف كما سيأتي وقيل بعد اي صلوة كانت لانها داعية الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تعالى ان ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله تعالى وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا قليلا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني لاكرمتك ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لان القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته عز وجل والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب فالمعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في الماخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير في به لله تعالى فالمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله تعالى اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله تعالى كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا نأخذ لانفسنا عوضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين كما ذكر والا فلا سداد للمعنى سواء اريد بها القسم الصادق او الكاذب لانه ان اريد به الكاذب فحينئذ ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف وهو اسم الله سبحانه وتعالى ووصف الصحة والصدق في القسم لا ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه مما يتوسل اليه بنوع استعماله قدم امكان تمهما ههنا حتى يصح التبرؤ منه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب فيتعين استعماله من اول الامر ترك استعمال الصادق ضرورة تنافيهما معا حتى ينصور جعل ما اخذ باستعماله ماخوذا بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة وقوله تعالى ولو كان اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى اي قريبا منا تأكيد لتبريهم

من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كأنهما قالا لا نأخذ لأنفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم إليه رعاية جانب الأقرباء فكيف إذا لم يكن كذلك وصيانة أنفسهما وإن كانت أهم من رعاية الأقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة إليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على أخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو أعجبك الخ وقوله **ولا نكتم شهادة الله** أي الشهادة التي أمرنا الله تعالى بإقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم القسم وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لأفعلن **إنا إذا لمن الآثمين** أي إن كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام النون فيها **فإن عثر** أي اطلع بعد التحليف **على أنهما استحقا إثما** حسبما اعترفا به بقولهما إنا إذا لمن الآثمين أي فعلا ما يوجب إثما من تحريف وكتم بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي **فآخران** أي رجلان آخران وهو مبتدأ خبره **يقومان مقامهما** ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده أي يقومان مقام الذين عثر على خيانتهما فليس المراد بمقامهما مقام أداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف المذكور لإظهار الحق وإبراز كونهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في أيديهما **من الذين استحق** على البناء للفاعل قراءة علي وابن عباس وأبي رضي الله عنهم أي من أهل الميت الذين استحق **عليهم الأوليان** من بينهم أي الأقربان إلى الميت الوارثان له الأحقان بالشهادة أي اليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف أي استحقا عليهم أن يجردوهما للقيام بها لأنها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الأولين على وضع المظهر موضع المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الأظهر أي من الذين استحق عليهم الإثم أي جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فالأوليان مرفوع على أنه خبر محذوف كأنه قيل ومن هما فقيل هما الأوليان أو هو بدل من الضمير في يقومان أو من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف أي استحق عليهم انتداب الأوليين منهم للشهادة وقيل الأولين على أنه صفة للذين مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الأوليين المتقدمين على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها وقرئ الأوليين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الأولان **فيقسمان بالله** عطف على يقومان **لشهادتنا** المراد بالشهادة كما في قوله تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله أي ليميننا على أنهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها **أحق** بالقبول **من شهادتهما** أي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما أنه قد ظهر للناس استحقاقهما للإثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع أنه لا حقية في يمينهما رأسا إنما هي لإمكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في أيديهما **وما اعتدينا** عطف على جواب القسم أي ما تجاوزنا فيها الحق وما اعتدينا عليهما بإبطال حقهما **إنا إذا لمن الظالمين** استئناف مقرر لما قبله أي إنا إن اعتدينا في يميننا لمن الظالمين لأنفسنا بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى أو لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم أن المحتضر ينبغي له أن يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه أو دينه فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخران من غيرهم ثم إن وقع ارتياب بهما أقسما على أنهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فإن اطلع بعد ذلك على كذبهما بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بأيمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فإنه روي أن تميم بن أوس الداري وعدي بن زيد خرجا إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن أبي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك وأوصى إليهما بأن

يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه فوجدا فيه إناء من فضة وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع إلى أهله فأصابوا فيه الكتاب فقالا لا ندري إنما أوصى إلينا بشيء وأمرنا أن ندفعه إليكم ففعلنا وما لنا بالإناء من علم فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم إن الإناء وجد بمكة فقال من بيده اشتريناه من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة أظهروه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا ألم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا أن نقر به فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فإن عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر أنهما كذبا وخانا فدفع الإناء إليهما وفي رواية إلى أولياء الميت واعلم أنهما إن كانا وارثين لبديل فلا نسخ إلا في وصف اليمين فإن الوارث لا يحلف على البتات وإلا فهو منسوخ **ذلك** كلام مستأنف سيق لبيان أن ما ذكر مستتبع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة أي الحكم الذي تقدم تفصيله **أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها** أي أقرب إلى أن يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الأخروي وهذا كما ترى حكمة شرعية التحليف بذلك التغليظ المذكور وقوله تعالى **أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم** بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كأنه قيل ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة أو يخافوا الافتضاح على رؤوس الأشهاد بإبطال أيمانهم والعمل بأيمان الورثة فيمتنعوا عن الخيانة المؤدية إليه فأي الخوفين وقع حصل المقصود الذي هو الإتيان بالشهادة على وجهها فيظهر كذبهم ونكولهم وأما ما قيل من أن المعنى أن ذلك أقرب إلى أحد الأمرين الذين أيهما وقع كان فيه صلاح وهو أداء الشهادة على الصدق والامتناع عن أدائها على الكذب فيأباه المقام إذ لا تعلق لهذه الحادثة بالامتناع عن أداء الشهادة ضرورة أن الشاهد مضطر فيها إلى الجواب فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للإتيان بالصادقة قطعا فليس هناك أمران أيهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة أو وإنما يأتي ذلك في شهود الوصية حيث يخيرون بين الإتيان بالصادقة والامتناع عن الشهادة الكاذبة بالخوف من رد اليمين على الورثة ونسبة الإتيان بالصادق إلى الخوف من أنه بما يقتضي أحدهما يقتضي الآخر لا محالة تحكم بحت فتأمل **واتقوا الله** في مخالفة أحكامه التي من جملتها هذا الحكم **واسمعوا** ما توصون به كائنا ما كان سماع طاعة وقبول **والله لا يهدي القوم الفاسقين** الخارجين عن الطاعة أي فإن لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين إلى طريق الجنة أو إلى ما فيه نفعهم **يوم يجمع الله الرسل** نصب على أنه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فإن مدار البدلية ليس مدلولية الظرفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما يصحح انتقال الذهن من المبدل منه إلى البدل بوجه إجمالي كما فيما نحن فيه فإن كونه تعالى خالق الأشياء كافة وفيما التي خصت كاف في التناسب مع أن الأمر بتقوى الله تعالى يتبادر إلى الذهن أن المتقى أي شأن من شؤونه تعالى أي فعل من أفعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال أي اتقوا عذاب الله فحينئذ يجوز انتصابه بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه أي واحذروا أو واذكروا يوم يجمع إلخ فإن تذكير ذلك اليوم وما وقع فيه مما يضطرهم إلى تقوى الله عز وجل وتلقي أمره بسمع الإجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي أي لا يهديهم يومئذ إلى طريق الجنة كما يهدي إليه المؤمنين وقيل منصوب بفعل متأخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيان كمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كأنه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول إلخ يكون من الأهوال والأحوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الأمم كيف لا وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود بل لإبانة شرفهم وأصالتهم والإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم أتباعا لهم ولإظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا

وهم عليهم الصلاة والسلام محفوفون بنعوت الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال **فيقول**
لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الامم لعوا ابالحقا
والاقصى من الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل **ماذا اجبتم** عبارة عن مصدر
الفعل فهو منصوب على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة
عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين يقع توجيه السؤال عما
صدر عنهم مشهود الى الرسل عليهم الصلاة والسلام كسؤال الموؤدة منصوص من القيد والعدول عن اسناد الجواب
اليهم بان يقال ماذا اجابوا من الانباء عن تحقير شانهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى **قالوا**
استئنافا مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا يقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون
لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف
ونظائرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى واحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الاهوال
ومعاناة الهموم والاوجال معرضين عن بيان ما كلفوه منقطعين عنه **انك انت علام الغيوب** تعليل لذلك
اي فتعلم ما اجابوا واظهروا وما لم نعلمه مما اضمروه في قلوبهم وفيه اظهار الشكاة ورد الامر الى علمه تعالى
بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء الى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما
احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى وانت خبير بان تخاصم
حينئذ لان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا الى الكفر وعن ابن عباس ومجاهد والسدي انهم يفزعون من هول
الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلائمه التعليل
المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص
بالمدح على ان الكلام قد تم عند قوله انك اي انك المتصف بكمالك المعروف بذلك **اذ قال الله يا عيسى ابن**
مريم شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل اثر بيان
ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص شان
عيسى عليه الصلاة والسلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول
ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل عليهم الصلاة والسلام لما ان شانه عليه الصلاة والسلام متعلق
بكلا الفريقين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيلها اعظم عليهم واجلب لحسرتهم
وندامتهم وافت في اعضادهم وادخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة
الماضي لما مر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل
وكلمة على في قوله تعالى **اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك** متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او جعلت
اي اذكر انعامي عليكما او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه الصلاة
والسلام بذكر تلك النعمة [illegible] تكليفه عليه الصلاة والسلام شكرها كما قالت [illegible]
حيث تكليفه مع خروجه عليه الصلاة والسلام عن [illegible]
والسلام [illegible] ذكرها على رؤوس الاشهاد [illegible] حكاية
ذلك [illegible]
[illegible] **اذ ايدتك** ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما وقت
تأييدي لك [illegible] **بروح القدس** بجبريل عليه الصلاة والسلام [illegible]
[illegible] او الكلام الذي يحيى به الدين [illegible]
[illegible] وقيل الارواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة [illegible] ومنها خبيثة ظلمانية

ومنها مشرقة

ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه الصلاة والسلام طاهرة مشرقة نورانية
علوية وايا ما كان فهو نعمة عليهما عليهما الصلاة والسلام **تكلم الناس في المهد وكهلا** استئناف مبين لتأييده
عليه الصلاة والسلام او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه الصلاة والسلام في حال الكهولة لبيان ان كلامه عليه الصلاة والسلام
في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع صادر عن كمال العقل مقارن لرزانة الراي والتدبير وبه استدل
انه عليه الصلاة والسلام سينزل من السماء لانه عليه الصلاة والسلام رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما
ارسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى **واذ علمتك الكتاب** عطف
على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب بما نصبه اي اذكر نعمتي عليك وقت تعليمي اياك الكتاب والحكمة لظهارها كالشرفهما
وقيل الكتاب الخط **والحكمة** الكلام المحكم الصواب **واذ تخلق من الطين كهيئة الطير** اي تصور منه هيئة
مماثلة لهيئة الطير **باذني** بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه الصلاة والسلام حقيقة
بل على ان يظهر ذلك على يديه عليه الصلاة والسلام عند مباشرة الاسباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه
قوله تعالى **فتنفخ فيها** اي في الهيئة المصورة **فتكون** اي تلك الهيئة **طيرا باذني** فان اذنه تعالى لو لم يكن
عبارة عن تكوينه للطير بل عن محض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا
تكونا من جهة الهيئات وتكرير قوله باذني في الطير مع كونه شيئا واحدا للتنبيه على ان كلا
من التصوير والنفخ امر معظم لا ينبغي ولا يترتب عليه شيء الا باذنه تعالى **وتبرئ الاكمه**
والابرص باذني عطف على تخرج **واذ تخرج الموتى باذني** عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون
اخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعدما صاروا رميما معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير
وقتها صريحا قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله باذني في المواضع
الاربعة لتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى بل من جهته سبحانه
قد اظهرها على يديه معجزة له قد خصها به واما ما ذكر في سورة آل عمران فبين لما ان ذلك موضع
الاخبار وهذا موضع تعداد النعم **واذ كففت بني اسرائيل عنك** عطف على اذ تخرج اي منعت اليهود
الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك **اذ جئتهم بالبينات** بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر
كالاخبار بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء بها فقط
بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى **فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين** فان قولهم ذلك مما يدل على
انهم قد قصدوا اغتياله عليه الصلاة والسلام المحوج الى الكف اي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند
مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة وكلمة من بيانية
فهذا اشارة الى ما جاء به والتذكير لتاديتهم الى ما فيها من نفس الشيء من حيث هو او من حيث هو
لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر فهذا حينئذ اشارة الى عيسى عليه الصلاة
والسلام **واذ اوحيت الى الحواريين** عطف على ما قبله من اخواته الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها
وهي وان كانت في الحقيقة عين ما تفيده الجمل التي اضيفت اليها تلك الظروف من التاييد بروح
القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية
الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية
في تحقق ما اعتبر في مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فان مظروف زمان نسبتين متغايرتين
واقعتين في احداهما معلومة الوقوع بين المخاطب دون الاخرى يجيء لافادة وقوعها ايضا
له فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة
بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر احساني اليك وقت منعتك من العصبة بين ايديهم [illegible] منه

منها لحسبانًا انّه لا يعلى لحسانًا آخر وافح حينئذٍ من هذا القبيل عامة ثمّا وقع في التنزيل من قوله تعالى
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم الآية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكفّ ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر ومعنى ايحائه
تعالى اياهم امره تعالى اياهم في الانجيل على لسانه عليه الصلوة والسلام وقيل الهامه تعالى اياهم كما في قوله
واوحينا الى ام موسى وان في قوله تعالى ان آمنوا بي وبرسولي مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية
وايراده عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به عليه الصلوة والسلام كانه
قيل آمنوا بوحدانيتي في الالوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تعالى
قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا
آمنا اي بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قوله تعالى واشهد باننا مسلمون اي مخلصون
في ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وامره لهم بذلك النعمة جليلة كسائر النعم الفائضة
عليه عليه الصلوة والسلام وكذا التنعمة على ابيه ايضا روي انه عليه الصلوة والسلام لما علم انه سيؤ
ذكرها تلك النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب
ولا ولد فيموت اينما امسى بات اذ قال الحواريون كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه
الصلوة والسلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار واذ منصوب بمضمر
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه الصلوة والسلام
فانه ليس بخطاب واقعي بل حكاية خطاب لكن الخطاب بما خوطب به قوله تعالى واتقوا الله الآية وقيل كانه قيل
للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على
عيسى عليه الصلوة والسلام اذكر للناس وقت قولهم الى آخره وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على
ان ادعاءهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء اختلف في انهم كانوا مؤمنين او لا فقيل كانوا مؤمنين لكن
في قدرة الله تعالى على ما ذكروا في صدق عيسى عليه الصلوة والسلام في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا
مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتثبيت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه
تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى
هل يستطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك
اي سؤال ربك والمعنى هل تسأل ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ
رضي الله عنهم وسعيد بن جبير وآخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانها
تميد من تقدم اليه ونظيره شجرة مطعمة وقال ابو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية قال استئناف
مبني على سؤال ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عليه الصلوة والسلام فقيل قال اتقوا الله اي من امثال هذا
السؤال ان كنتم مؤمنين اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان
ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليكون ذلك ذريعة لحصول
المسؤول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قالوا استئنافا كما سبق نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال
اي ليس مرادنا بالسؤال ازالة شبهتنا في قدرته سبحانه على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في
الايمان والتقوى بل نريد ان نأكل منها اي اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته
تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمأنينة

وقرئ اليقين ونعلم اي علما يقينيا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول
ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان وضمير الشأن محذوف اي ونعلم ان قد صدقتنا في دعوى النبوة وان الله
يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها
من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين
للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان
جعلت موصولة كانه قيل على اي شيء تشهدون فقيل عليها فانما ينعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول او هو حال
من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى ابن مريم لما راى عيسى عليه الصلوة
والسلام ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم
الحجة بكمالها روي انه صلى الله عليه وسلم اغتسل ولبس المسوح وصلى ركعتين فطأطأ راسه وغض بصره
فقال اللهم ربنا ناداه سبحانه مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية
المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا تقديم الظرف على قوله تعالى
مائدة لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى من السماء متعلق بانزل او بمحذوف
هو صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى تكون لنا عيدا في محل النصب على انه صفة
لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من ضميره في تكون عند من يرى ذلك اي يكون
يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستفاد من شرفها وقيل العيد السرور
العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني
خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وهنا من الشواهد لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل
اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل
للرؤساء منا والاتباع وقيل ياكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة
والطائفة وآية عطف على عيدا ومنك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اي كائنة منك دالة
على كمال قدرتك وصحة نبوتي فارزقنا اي المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين
تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانك خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله
عليه الصلوة والسلام على الدعاء وتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته ما لم
يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين
وان سؤالهم كان لتحصيل الطمأنينة كما في قول ابراهيم عليه الصلوة والسلام رب ارني كيف تحيي الموتى
ولما قبل اعتذارهم بما ذكروه وبما اضاف اليه من عنده ما ذكر وبقي به الى القبول قال الله استئناف
كما سلف اني منزلها عليكم وورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفصيل المنبئة على التكثير مع كون
الدعاء منه عليه الصلوة والسلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى
قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الى آخره بعد قوله لئن انجيتنا من هذه الى آخره مع ما فيه من مراعاة ما وقع
في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه
عز وجل منجزه لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اي اني منزل المائدة
عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر اي يجحد
نزولها بعد منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فاني اعذبه بسبب كفره بعد معاينة
هذه الآية الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه
على المصدرية بالتقدير من المذكورين وجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه
في

بمحل النصب على أنه صفة لعذابا والضمير له أي أعذبه تعذيبا لا أعذب مثل ذلك التعذيب أحدا
من العالمين أي من عالمي زمانهم أو من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا التشديد خافوا أن يكفر
بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل قاله مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الأمة
ومشاهير الأئمة أنها قد نزلت روي أنه عليه الصلاة والسلام لما دعا بما دعا وأجيب بما أجيب
إذا السفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها حتى
سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها
رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى فكشف المنديل وقال بسم الله خير
الرازقين فإذا هي سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها
خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني
عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين يا روح الله
أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا
ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى
فقال يا سمكة احيي بإذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والأغنياء
والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها فلم يأكل منها فقير إلا غني
مدة عمره ولا مريض إلا برئ ولم يمرض أبدا ثم أوحى الله إلى عيسى أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الأغنياء
والأصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون
العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه الصلاة والسلام وبكوا على الممسوخين فلما
أبصرت الخنازير عيسى عليه الصلاة والسلام بكت وجعلت تطوف به وجعل يدعوهم بأسمائهم واحدا
بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا وروي
عن ابن عباس أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكم
فلما صاموا قالوا إنا لو عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا وسألوا الله تعالى المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة
يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل
أولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل الطعام إلا اللحم وقال
قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة وخمسة أرغفة فأكلوا ما شاء
الله والناس ألوف فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم إنما سحر أعينكم
فمن أراد الله به الخير ثبته ومن أراد فتنته رجع إلى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا
ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم** معطوف على إذ قال الحواريون
منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم أو بمضمر مستقل معطوف على ذلك أي اذكر للناس
وقت قول الله عز وجل له عليه الصلاة والسلام في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم بإقراره عليه الصلاة
والسلام على رؤوس الأشهاد بالعبودية وأمره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على
التحقق والوقوع **أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين** الاتخاذ إما متعد إلى مفعولين فإلهين ثانيهما
وإما إلى واحد فهو حال من المفعول وأيا ما كان فمدار الكلام الحال الحقيقة والاستفهام لتبيان أنه عليه
الصلاة والسلام أمر من نقل عنه ذلك كما في قوله تعالى أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل وقوله تعالى
من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحل النصب على أنه حال من فاعل اتخذوني أي متجاوزين الله أو بمحذوف هو صفة

لإلهين أي كائنين من دون الله تعالى وأيا ما كان فالمراد اتخاذهما بطريق إشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى
ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله إلى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون إذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم أن
ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر بأن النصارى يعتقدون أن المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم
عليهما الصلاة والسلام لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح أنهم اتخذوهما في حق بعض الأشياء إلهين
مستقلين ولم يتخذوه تعالى إلها في حق ذلك البعض فقد بعد عن الحق بمراحل وأما من توهم أن عبادته
تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجدي
واشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فإن توبيخهم إنما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمهم بضرب
من التأويل وإظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند إلى عيسى عليه الصلاة والسلام كما قيل فماذا يقول
عيسى عليه الصلاة والسلام حينئذ فقيل **قال** وإيثار صيغة الماضي لما مر مرارا **سبحانك** علم سبحان
للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من
السبح الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض ومن جهة النقل إلى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر
إلى الاسم الموضوع له خاصة المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل
ما لا يخفى أي أنزهك تنزيها لائقا بك من أن أقول ذلك أو من أن يقال في حقك ذلك وأما تنزيهه من أن يكون له شريك
في الألوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى **ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق** استئناف
مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور أي ما يستقيم وما ينبغي لي أن أقول قولا لا يحق لي أن
أقوله وإيثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وإفادة التأكيد بما في خبره من الباء
فإن اسم ضمير العائد إلى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى **إن
كنت قلته فقد علمته** استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه الصلاة والسلام بالطريق البرهاني
فإن صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة أن عدم اللازم مستلزم
لعدم الملزوم **تعلم ما في نفسي** استئناف جار مجرى التعليل لما قبله أي إنك تعلم ما أخفيه في نفسي
فكيف بما أعلنه وقوله تعالى **ولا أعلم ما في نفسك** بيان للواقع وإظهار لقصوره أي ولا أعلم ما تخفيه من
معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هي الذات ونسبة المعلومات إليها لما أنها
مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن نسبتها إلى الحقيقة وقوله تعالى **إنك أنت علام
الغيوب** تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل **ما قلت لهم إلا ما أمرتني به** استئناف
مسوق لبيان ما صدر عنه قد أدرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على أبلغ وجه وآكده حيث حكم بانتفاء
صدور جميع الأقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه انتفاء صدور المذكور دخولا أوليا أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني
وإنما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الأدب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى **أن اعبدوا الله
ربي وربكم** تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه
مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر أو مفعول لمثل هو أو أعني **وكنت عليهم شهيدا** رقيبا أرعى
أحوالهم وأحملهم على العمل بموجب أمرك وأمنعهم عن المخالفة أو مشاهدا لأحوالهم من كفر وإيمان **ما دمت فيهم**
ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف إليه زمان ودمت صلتها أي كنت عليهم مدة دوامي فيما بينهم **فلما
توفيتني** بالرفع إلى السماء كنت أنت الرقيب عليهم والجملة خبر كان وعليهم متعلق به أي أنت الحافظ لأعمالهم والمراقب فمنعت من أردت
عصمته عن المخالفة بالإرشاد إلى الدلائل والتنبيه عليها بإرسال الرسل وإنزال الآيات وخذلت من خذلت من
الضالين فقالوا ما قالوا **وأنت على كل شيء شهيد** اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه إيذان بأنه تعالى كان هو الشهيد

على كل حال كونه عليه الصلاة والسلام وعلى تعلق تنبيه والتقديم لمراعاة الفاصلة **إن
تعذبهم فإنهم عبادك** وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك **وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز** أي
القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب **الحكيم** الذي لا يريد ولا يفعل إلا ما فيه حكمة
ومصلحة فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل وعدم مغفرة الشرك
إنما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة إلى فرقتين والمعنى
إن تعذبهم أي من كفر منهم وإن تغفر لهم أي من آمن منهم **قال الله** كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكي
مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم الصلاة والسلام وأشير إلى نتيجته ومآله أي يقول الله تعالى يومئذ عقيب
جواب عيسى عليه الصلاة والسلام مشيرا إلى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم
وصيغة الماضي لما مر في نظائره مرارا وقوله تعالى **هذا** إشارة إلى ذلك اليوم وهو مبتدأ خبره ما بعده أي
هذا اليوم الذي يحكي بعض ما يقع فيه إجمالا أو بعضه تفصيلا **يوم ينفع الصادقين** بالرفع والإضافة والمراد
بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم المستمرون في الدارين على التصديق في الأمور الدينية التي معظمها التوحيد
الذي نحن بصدده والشرائع والأحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين إلى ذلك
وبه تحصل الشهادة بصدق عيسى عليه الصلاة والسلام ومن الأمم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا
وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق
في أي شيء كان ضرورة أن الجاني المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه **صدقهم** أي
صدقهم فيما ذكر من أمور الدين في الدنيا إذ هو المستتبع للنفع يومئذ لا ما لا حاجة إليه كما عرفت ولا دخل
له في استتباع النفع والجزاء مما في الآخرة وهذه القراءة هي التي يليق عليها بحال الإيتلاف بسياق النظم الكريم
وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب إما على أنه ظرف لقال فهذا حينئذ إشارة إلى قوله تعالى أأنت قلت فأما
أنه خبر لهذا فهو حينئذ إشارة إلى جواب عيسى أي هذا الجواب منه عليه الصلاة والسلام واقع يوم ينفع الخ
أو إلى السؤال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بني على الفتح وليس بصحيح عند البصريين وقرئ يوم بالرفع
والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي الآية **لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا** تبيينا
مسوق لبيان النفع المذكور كأنه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى **رضي الله عنهم**
استئنافا آخر لبيان أنه عز وجل أفاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا
غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى **ورضوا عنه** إذ لا شيء أعز منه حتى يمتد إليه أعناق هممهم **ذلك**
إشارة إلى نيل رضوانه وقيل إلى نيل الكل **الفوز العظيم** لما أن عظم شأن الفوز تابع لعظم شأن المطلوب الذي
تعلق به الفوز وقد عرفت أن لا مطلب وراء ذلك أصلا وقوله تعالى **لله ملك السموات والأرض وما فيهن**
تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وأمه أي له تعالى خاصة ملك السموات
والأرض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء إيجادا وإعداما وإحياء وإماتة وأمرا
ونهيا من غير أن يكون لشيء من الأشياء مدخل في ذلك وفي إيثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير
تناولها للكل مراعاة للأصل وإشارة إلى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق
المربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه لهم على كمال قصورهم عن رتبة الألوهية وإهانة
بهم بتغليب غيرهم عليهم **وهو على كل شيء** من الأشياء **قدير** مبالغ في القدرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الأنعام مكية [illegible]

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم **الحمد لله** تعريف الحمد المعلق باسم الحقيقة أو لا باسم الذات الذي عليه
يدور كافة ما يوجبه من صفات الكمال وإليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للإيذان بأنه عز وجل هو المستحق
بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص حقيقته به سبحانه لاقتصار جميع أفرادها عليه بالطريق البرهاني
ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الإجمال من عظائم الآثار
وجلائل الأفعال من قوله عز وجل **الذي خلق السموات والأرض** للتنبيه على استحقاقه تعالى
واستقلاله به باعتبار أفعاله العظام وآلائه الجسام أيضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما
على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التي أجلها نعمة الوجود
الكافية في إيجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الأنفسية والآفاقية
المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد أي أنشأهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطرز الرائق
منطويين على أنواع البدائع وأصناف الروائع على ما تتحير فيه العقول والأفكار من تعاجيب العبر والآثار
تبصرة وذكرى لأولي الأبصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها
وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدمها وجودا على الأرض كما هي **وجعل الظلمات والنور** عطف على
خلق مرتب عليه فإن جعلهما مسبوق بخلق منشئهما ومحلهما داخل في حكم الإشعار بعلية الحمد كما أن خلق
السموات والأرض وما فيهما لكونه أثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد له تعالى كذلك
جعل الظلمات والنور لكونه أمرا عظيما خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه بجاعلهما والجعل هو
الإنشاء والإبداع كالخلق خلا أن ذلك مختص بالإنشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا
عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية وأيا ما كان ففيه إنباء عن
ملابسته مفعوله لشيء آخر بأن يكون فيه أو له أو منه أو نحو ذلك ملابسة مصححة لأن يتوسط بينهما شيء من
الظروف لغوا كان أو مستقرا لكن لا على أن يكون عمدة في الكلام بل قيدا كما في قوله عز وجل وجعل بينهما برزخا
وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فإن كل واحد من هذه الظروف إما متعلق
بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وأيا ما كان فهو قيد في الكلام حتى إذا
اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا إلى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم
وربما يشتبه الأمر فيظن أنه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى إني جاعل في
الأرض خليفة حيث قيل إن الظرف مفعول ثان لجاعل وقد أشير هناك إلى أن الذي يقتضيه الذوق السليم
ويستدعيه جزالة النظم الكريم أنه متعلق بجاعل أو بمحذوف وقع حالا مما بعده كما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة أسبابها
ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها لما أن الظلمة متقدمة على النور كما ينبئ عنه ما فيه
من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** معطوف على الجملة
السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي لاقتصار العبادة عليه كما تحقق
في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لإنكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضي
ببطلانه بديهة العقول والمعنى أنه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل
من شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون
به سبحانه أي يسوون به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه
مخلوقا له غير متصف بشيء من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات
التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد بيانه بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى
الاسم لهم من غير أن يجعل كفرهم عنوانا للموضوع كلا أو بعضا غير أن الموضوع فإن ذلك مخل باستبعاد ما

ما أشد إليهم من الإشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع و التقبيح
والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة إلى تحقيق مدار الإنكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك
المفعول لظهوره أو لتوجيه الإنكار إلى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم إيذانا بأنه المدار في الاستبعاد
والاستنكار لا خصوصية المفعول هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شأنه الجليل أما جعل
الباء صلة لكفروا وعلى أن يعدلون من العدول والمعنى أن الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته فيرده أن كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم أشد
شناعة وأعظم جناية من عدولهم عن حمده عز وجل لتحققه مع إغفاله أيضا فجعل أيسرهما عمدة في الكلام
مقصود الإفادة وإخراج أعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف بنظم التنزيل
هاهنا وقد قيل إنه معطوف على خلق السماوات والمعنى أنه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه سواه ثم هم يعدلون
به ما لا يقدر على شيء منه ولكن لا يخفى أن تصلح مستقلة لئلا يكون بمنزلة أن يقال الحمد لله الذي
عدلوا بسبب على الله داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كما تنقل الحمد إليه أنه مستمل النعم على
ثم من الكفرة لكفر وأنت خبير بأن ما ينتظم في سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده عز وجل حقه أن يكون له دخل
في ذلك الإنباء ولو في الجملة ولا ريب في أن كفرهم بمعزل منه وادعاء أن المقصود به الدلالة على كمال الجهل كأنه قيل
الحمد لله الذي أنعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتطبيق يأباه المقام كيف لا
وسياق النظم الكريم كما تفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية إساءتهم مع نهاية
إحسانه تعالى إليهم مع غاية إساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الاعتراض المذكور وبهذا اتضح أنه لا سبيل
إلى جعل المعطوف من رواجف المعطوف عليه لما أن حق الصلة أن تكون غير مقصودة الإفادة فما ظنك
بما هو من رواجفها وقد عرفت أن المعطوف هو الذي سيق له الكلام فتأمل وكن على الحق المبين **هو الذي
خلقكم من طين** استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الإيمان به إثر
بطلان إشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة
البعث مع أن ما ذكر من خلق السماوات والأرض من أوضحها وأظهرها كما ورد في قوله تعالى أوليس الذي خلق السماوات
والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم لما أن محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك أظهر وهم بشؤون أنفسهم أعرف
والتعامي عن الحجة النيرة أقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ أي ابتدأ خلقكم منه فإنه المادة
الأولى للكل إذ منشأ آدم الذي هو أصل البشر وإنما نسب هذا الخلق إلى المخاطبين لا إلى آدم عليه الصلاة والسلام
وهو المخلوق منه حقيقة بأن يقال هو الذي خلق أباكم الخ مع كفاية خلقه عليه الصلاة والسلام
منه في إيجاب الإيمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس وللمبالغة في إزاحة الاشتباه والالتباس
مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه عليه
الصلاة والسلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منطويا
على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء إجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه الصلاة
والسلام على هذا النمط الساري إلى جميع أفراد ذريته إبداعا لكل أحد من ذريته وإن لم يكن ذلك مقصورا على نفسه كما هو
من سنة الخلق المذكور إليه سعادة على قدرة الخالق العليم وكمال علمه وحكمته وكانت بداءة خلق المخاطبين
بأن يكون معيارا لانتهائها فعل ما فعل والله تعالى أعلم بأسرار التنزيل وعلى هذا النسق قوله تعالى ولقد خلقناكم
ثم صورناكم الآية وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سيأتي وقيل المعنى خلق أباكم فحذف
المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الأغذية المتكونة من الأرض وأيا ما كان ففيه
من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فإن من قدر على إحياء ما لم يشم رائحة الحياة قط

كانت على

كانت على إحيائه أقدر وبها أظهر قدرة **ثم قضى** أي كتب لموت كل واحد منكم **أجلا** خاصا به أي حدا
معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للإيذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما
تقتضيه الحكمة البالغة **وأجل مسمى** أي حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما في قوله
تعالى ولعبد مؤمن خير ولوقوعه في موضع التفصيل كما في قول من قال إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا
لم يحول وتنوينه للتفخيم والتهويل ولذلك أوثر تقديمه على الخبر الذي هو **عنده** مع أن الشائع المستفيض
هو التأخير كما في قولك عندي كتاب جيد أي وأجل أي أجل مسمى مستأثر بعلمه لا يقف عليه
ولا يقف على وقت حلوله أحد لا مجملا ولا مفصلا وأما أجل الموت فمعلوم إجمالا وتقريبا بناء على ظهور أماراته
أو على ما هو المعتاد في أعمار الإنسان وتسميته أجلا إنما هو باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار
كونه مبدأ لمدة القيامة كما أن مدار التسمية في الأجل الأول هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه أول مدة الممات لما
أن الأجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن أولها وقيل الأجل الأول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين
الموت والبعث من البرزخ فإن الأجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الأوفق لما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قضى لكل أحد أجلين أجلا من مولده إلى موته وأجلا من موته إلى بعثه فإن كان برا تقيا وصولا
للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر وإن كان فاجرا قاطعا نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث وذلك قوله عز
وجل وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب فمعنى عدم تغير الأجل حينئذ عدم تغير آخره والأول
هو الأليق بتفخيم الأجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والأنسب بتهويل الشك في تحققه المطابق للطامة
الكبرى فإن كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير أن يقع فيه شيء من الدواهي كما يستلزمه الحمل على المعنى
الثاني يخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الأجل ونقصه فيما روي تأخير الأجل الأول وتقديمه **ثم
أنتم تمترون** استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعدما تبين أن ما ذكر من الحجج الدالة عليه أي تمترون
في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في أنفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فإن من
قدر على إفاضة الحياة وما يتفرع عليها من العلوم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة
لشيء منها أصلا كان أقدر على إفاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن هاهنا تبين
أن ما قيل من أن الأجل الأول هو النوم والثاني هو الموت وأن الأول أجل الماضي والثاني أجل الباقي وأن الأول ما قد
مضى والثاني ما بقي منه مما لا وجه له أصلا لما رأيت أن سياق النظم الكريم استبعاد امترائهم في
البعث الذي عبر عن وقته بالأجل المسمى فحيث أريد به أحد ما ذكر من الأمور الثلاثة فأي شيء يتبعه وتوصيفهم
بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد إليه مع أنهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على إنكاره كما ينبئ
عنه قولهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ونظائره للدلالة على أن جزمهم المذكور في أقصى مراتب
الاستبعاد والاستنكار **وهو الله** تعالى جملة من مبتدإ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول أحكام
إلهيته تعالى لجميع المخلوقات وإحاطة علمه بتفاصيل أحوال العباد وأعمالهم المؤدية إلى الجزاء إثر الإشارة
إلى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تعالى **في السماوات وفي الأرض** متعلق
بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل إما باعتبار أصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كأنه قيل
وهو المعبود فيهما وإما باعتبار أنه اسم اشتهر فيما اشتهرت به الذات من صفات الكمال حسبما اقتضته الشيئية
على الحكم البالغة فتعلق به الظرف من حيثية كما تعلق وهو المالك أي المتصرف المدبر فيهما كما في قوله
تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وليس المراد أخذا من الاعتبار أن الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي
أو على معنى المالك أو المتصرف فإنه بتجرده ملحوظ المعنى المذكور مع اسم الأسد
في قوله أسد علي وفي الحروب نعامة ما اشتهر به من صفة الجراءة التي اشتهر بها مسماه تجري مجرى

جوي عقلي وهو متنا لتبيين ان ما قيل بسبب التصوير والتفسير اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض او هو المعروف المشتهر بالاصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما او هو ذلك بمنزلة الحقيقة فان المشتق من الاسم هو الوصف الذي يشتهر به اضعو الذي يقتضيه المقام حسبما يقتضي الاشتهار به الا ترى لم يكن تتعلق في مثال المذكور الا في تعليقها للاشتهار بالاسم بالجولة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحد والتفرد كانه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقرر عنده كل من يطلق عليه هذا الاسم على الوجه الذي سيتوفر اعتبار معنى التوحد والقول في نوى الكلام بطريق الاستتباع عقيب حمل الاسم الجليل على معنى المعبود بالالهية او على التقدير بالقول وقد جوز ان يكون خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصورة والاشباح لكونه حضوريا منزلة كونه حاضرا فيهما وتقدير به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان في مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فقوله عز وجل **يعلم سركم وجهركم** اي ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال او ما اسررتموه وما جهرتم من الاقوال والاعمال بيانا ولتقرير المضمون وتحقيقا للمعنى الذي ادخلته وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما تفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذا اذا جعل خبرا ثانيا فاته ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة لملاحظة تعلقه بالمحيط حتما فيكون هذا بيانا وتقريرا له بدرجة واما على الاوجه الثلاثة الباقية فتحتمل الكون بيانا لما قيل الكلام لا دلالة له لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على المفتن فيهما ان المعبودية والاختصاص بهذا الاسم اخرنا يقتضيه بحيث من ليس له كمال العلم فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في انهما لا يتصف بهما من ليس له كمال العلم الكامل فيكون هذا بيانا لما هو معتبر فيما صدق عليه التوحيد والتعرف في الاسناد وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه ولعل جعل كلام فيهما للتوشيح الذي به وضوح انه لا يعزب عن علمه شيء منهما في اي مكان كان لا لانه قدمنا في السموات ثم الخطاب لاهلها فانه لا يخفى **ويعلم ما تكسبون** اي ما تفعلونه بجلب نفع او دفع ضرر من الاعمال المكتسبة بالقلوب في السر والجهر ولعلها ذكرت لانفرادها بها لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في اعادة يعلم **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم** كلام مستانف وارد لبيان كفرهم بآيات الله واعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الاولى اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفي الآية الثانية امتراؤهم في البعث واعراضهم عن بعض آياته والالتفات للاشعار بان ذكر قبائحهم قد اقتضى ان يضرب عنهم الخطاب صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترءوا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان احكام الوهيته على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها **الا كانوا عنها معرضين** اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما نقف عليه واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته

تعالى

تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان بمكونها وايثار ما على الاستدلال لا لا يعرضوا عنها كما وقع في قوله تعالى وان يروا كل آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرار ذلك على الاعراض حسب استمرار الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما وايثار ما كان دلالة بينة على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله عز وجل **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم** فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاءوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاءوه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه ما لا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامرهم كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تأمل تأكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به اول ذي بدء له عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا في حاله ومآله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ثم بين بعد ذلك بقوله تعالى **فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون** فانه عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه وتعليلا للحكم بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لان النبأ لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته ياباه الآيات الآتية وسوف لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسوف يأتيهم البتة وان تأخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل ان يتدبروا في عواقبه [illegible] وانما قيل يستهزءون ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء [illegible] على ان المراد بالآيات الآيات القرآنية وهو الاظهر [illegible] الاعراض على حقيقته [illegible] من الاعراض [illegible] الآيات في هذا الوجه [illegible] واما ما قيل ان [illegible] كذبوا بالقرآن [illegible] **ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن** استئناف مسوق لتعيين ما [illegible] الوعيد [illegible] الاستشهاد [illegible] خبرية [illegible] معلقة [illegible] التكذيب [illegible] للمفعولية على انها عبارة عن الاشخاص [illegible] الزمان كما في قوله عليه السلام خير القرون قرني [illegible] عبارة عن مدة [illegible] عبارة عن المصدر [illegible] الآثار [illegible] المضاف اليه [illegible] **مكناهم في الارض** استئناف لبيان كيفية الاهلاك [illegible]

مبادئه مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ وقيل هو صفة لقرن
لما أن النكرة مفتقرة إلى التخصيص فإذا أوليتها ما يصلح لتخصيصها تعين وصفيته لها وأنت خبير بأن تنوين التفخيم
مغن له عن استدعاء الصفة على أن ذلك مع اقتضائه لأن يكون مضمونه من مضمون ما عطف عليه من الجمل الأربع
أمرا مفروغا عنه غير مقصود لسياق النظم مؤد إلى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ ألم يروا كم أهلكنا
من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وبإهلاكنا إياهم بذنوبهم وأنه بين الفساد ومكن الشيء في الأرض جعله
قارا فيها ولما لزمه جعل مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الأرض حتى أجري كل منهما مجرى الآخر
ومنه قوله تعالى ما لم نمكن لكم بعد قوله تعالى مكناهم في الأرض حتى قيل في الأول مكناهم وفي الثاني ما لم نمكنكم
وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف ومحلها النصب على المصدرية أي مكناهم تمكينا لم نمكن
لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال من مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من أول الأمر عن مرجعي
الضميرين وأرسلنا السماء أي المطر أو السحاب والمظلة لأنها مبدأ المطر عليهم متعلق بأرسلنا مدرارا
أي مغزارا حال من السماء وجعلنا الأنهار أي صيرناها فقوله تعالى تجري من تحتهم مفعول ثان لجعلنا
أو أنشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان
على الوجه المذكور ما ليس في أن يقال وأجرينا الأنهار تجري من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام
الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لأعظم العقوبات بل بيان
حيازتهم لجميع أسباب نيل المآرب ومبادي الأمن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم إغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى
أعطيناهم من البسطة في الأجسام والامتداد في الأعمار والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا
في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط أهل مكة ففعلوا ما فعلوا فأهلكناهم بذنوبهم أي أهلكنا
كل قرن من القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما أغنت عنهم تلك العدد والأسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل
من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار وأما قوله تعالى وأنشأنا من بعدهم أي أحدثنا
من بعد إهلاك كل قرن قرنا آخرين بدلا من الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وأن ما ذكره
من إهلاك الأمم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا بل كلما أهلك أمة أنشأ بدلها أخرى ولو نزلنا عليك جملة مستأنفة
بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الأقاويل الباطلة إثر بيان إعراضهم عن
آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة تنزيلها هنا إليه صلى الله عليه
وسلم مع نسبة إتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق إليهم للإشعار بقدحهم في نبوته صلى الله عليه وسلم في ضمن
قدحهم فيما نزل عليه صريحا قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد
حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون
أنه من عند الله تعالى وأنك رسوله كتابا إن حمل على الكلام فقوله تعالى في قرطاس متعلق بمحذوف وقع صفة
له أي كتابا كائنا في صحيفة وإن حمل على المكتوب فهو متعلق بنفسه فلمسوه أي الكتاب بعد نزوله
بأيديهم مع ظهور أن اللمس لا يكون عادة إلا بالأيدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وأنا
لمسنا السماء أي تفحصنا أي فمسوه بأيديهم بعدما رأوه بأعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يقدروا على
الاعتذار بتسكير الأبصار لقال الذين كفروا أي لقالوا وإنما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما
في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي أيضا إن هذا أي ما هذا مشيرين إلى
ذلك الكتاب إلا سحر مبين أي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج وديدن المكابر
اللجوج وقالوا لولا أنزل عليه ملك شروع في قدحهم في نبوته صلى الله عليه وسلم صريحا بعدما أشير إلى قدحهم
فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب لو وليس بذاك لما أن تلك المقالة الشنعاء ليست مما تقدم صدوره عنهم على

تقدير تنزيل

تقدير تنزيل الكتاب بل هي من أباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت
بهم العلل أي هلا أنزل عليه صلى الله عليه وسلم ملك بحيث نراه ويكلمنا أنه نبي حسبما نقل عن الكلبي
ومقاتل ونظيره قوله تعالى لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا
وقوله تعالى ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر جواب عن مقالتهم الباطلة وبيان لكون الأمر على عكس ما قالوا
أي لو أنزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه
والحال أنه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوى الآحاد البشرية ألا يرى أن الأنبياء صلوات الله وسلامه
عليهم كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف إبراهيم ولوط وخصم داود عليهم
الصلاة والسلام وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم
من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضي الأمر أي أمر إهلاكهم بالكلية ثم لا ينظرون
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
الملك على هيكله وفي إيثار رجلا على بشرا إيذان بأن الجعل بطريق التمثيل وقوله تعالى وللبسنا عليهم عطف
على جواب لو مبني على الجواب الأول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بما في المعطوف عليه يقال لبست الأمر على
القوم ألبسه إذا اشتبهته وجعلته مشكلا عليهم وأصله الستر بالثوب وقرئ الفعلان بالتشديد
للمبالغة أي لخلطنا عليهم بتمثيله رجلا على أنفسهم حينئذ بأن يقولوا له إنما أنت بشر ولست بملك ولو استدل
على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها أو بمعجزات أخر غير ملجئة إلى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم
ولو أظهر لهم صورته الأصلية لزم الأمر الأول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس إما لكونه في صورة اللبس
أو لكونه سببا للبسهم أو لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كأنه قيل
لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الأمر عليهم ما يلبسون وقد جوز أن يكون المعنى للبسنا عليهم حينئذ
مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية

لبسنا

لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف هو صفة لرسل اي والله لقد استهزئ برسل اولي شان خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق عقيبه اي احاط او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله قوله تعالى بالذين سخروا منهم اي استهزءوا بهم من اولئك الرسل عليهم الصلاة والسلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزءون للمسارعة الى بيان انه افعال الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم بحالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين وقد انجز ذلك يوم بدر اي انجاز قل سيروا في الارض لترد لحال تلك الامم ثم انظروا اي تفكروا كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم اما للاشارة الى ان النظر في اثار الهالكين لا ينبغي ان يكون الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما للابانة بما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا والاية واما من الامر الاول لاباحة السير في الارض للتجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في اثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستيصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهو منتهى الامر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم ان المدار في ذلك قل هو بطريق الالجاء والتبكيت لمن ما في السموات والارض من العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا وقوله تعالى قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتاتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى رؤوف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الايات الانفسية والافاقية وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا واعرضوا عن الايات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزءوا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا وقيل هو ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضي الله عنه انه قال لكعب ما اول شيء ابتداه الله من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتب بالزبرجد واللؤلؤ واليواقيت انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة عليها وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انها من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وان اريد به الذات الا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة هاهنا بنوعيها وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق

الوعيد

للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين اي محشورين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم فان امهالكم بموجب رحمته لا يمنع اجلاكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اي ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تعالى انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم القيمة لا ريب فيه اي في اليوم او في الجمع وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم اي بتضييع راس مالهم وهي الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم واستماع الوحي وغير ذلك من اثار الرحمة في موضع النصب او الرفع على الذم اي اعني الذين او هم الذين او هو مبتدا والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم داخل تحت الامر وله اي لله عز وجل خاصة ما سكن في الليل والنهار نزولا للملابسة منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم والسكنى مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الاخر وهو السميع العليم المبالغ في سماع كل مسموع المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال قل لهم بعدما بكتهم بما سبق من الخطاب اغير الله اتخذ وليا اي معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما سلطت الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله تعالى وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تعالى افغير الله ابغي ربا وقوله تعالى افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون فاطر السموات والارض اي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكد للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه ولانه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية كان معنى مقرر لحاجة اتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى ايضا على ان الضمير لغير الله تعالى والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبيانهما على القلب على ان الثاني بمعنى يستطعم او على انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان ان اتخاذ غيره تعالى وليا مما يقتضي بديهة العقول بطلانه اني امرت من جانبه عز وجل ان اكون اول من اسلم وجهه لله مخلصا له لان النبي صلى الله عليه وسلم امام امته في الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن من المشركين اي وقيل لي لا تكونن اي في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك ويجوز عطفه على الامر وهو قل قل اني اخاف ان عصيت ربي اي بمخالفة امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه صلى الله عليه وسلم من المعاصي على الاطلاق وقوله تعالى عذاب يوم عظيم اي عذاب يوم القيمة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف عنه على البناء للمفعول وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وتعالى وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقوله تعالى يومئذ ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم ويجوز ان يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ فقد رحمه اي نجاه وانعم عليه وقيل ادخله الجنة كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز

والجملة مستأنفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي وذلك اشارة الى
الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد مكانه في
الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الفوز المبين اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية والالف واللام
للقصر عن ذلك وان يمسسك الله بضر اي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك فلا كاشف له اي
فلا قادر على كشفه عنك الا هو وحده وان يمسسك بخير من صحة ونعمة ونحو ذلك فهو على كل
شيء قدير ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسكه به ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه او رفعه
احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمل على ما كتب الجواب يأباه الفاء بذكره روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه
ثم سار بي مليا ثم التفت الي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله
تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة فاذا سألت فسل الله واذا استعنت فاستعن بالله
فقد قضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا
ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع
فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق
عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في كل ما يفعله ويأمر به الخبير بأحوال العباد
وخفايا امورهم واللام في المواضع الثلاثة للقصر قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد
لك انك رسول الله فنزلت فاي مبتدأ واكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى قل الله امر له
صلى الله عليه وسلم بان يتولى الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم
ربما تلعثموا فيه لا لتردد منهم في كونه اكبر من كل شيء بل لكونه شهيدا في هذا الشأن وقوله تعالى شهيد خبر مبتدأ
محذوف اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه
وبينهم كان اكبر شيء شهادة شهيدا له صلى الله عليه وسلم وتكرير البين لتحقيق المقابلة واوحي الي اي من
جهته تعالى هذا القرآن الشاهد بصحة رسالتي لانذركم به بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار
لما ان الكلام مع الكفرة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود
والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم
الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيامة خلا ان ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع
عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ كما مر في اول سورة النساء ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة
اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف قل تكرير للامر للتأكيد
انما هو اله واحد اي بل انما اشهد ان الله تعالى لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون من الاصنام او من اشراككم
الذين آتيناهم الكتاب جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى الخ وهو تعيين الشهيد مساق
الى الزامهم بالجواب عن تحكمهم بعقولهم فانما يشهد له الى آخره والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس
المنتظم للتوراة والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى يعرفونه اي
يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما كما يعرفون ابناءهم بحلاهم
بحيث لا يشكون في ذلك اصلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضي الله عنه لعبد الله
ابن سلام ان الله تعالى انزل على نبيه هذه الآية فكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف
ابني ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم بابني لاني لا ادري ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى

الذين خسروا

الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها واعرضوا عن الآيات
البينات الموجبة للايمان بالكلية فهم لا يؤمنون لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتداء
وخبره الجملة المصدرة بالفاء لما فيه من معنى الشرط وقيل انه خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين خسروا الى آخره
وقيل انه نعت للموصول الاول وقيل النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الاخيرة عطف على جملة
الذين آتيناهم الكتاب الى آخره ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بوصفه المنبئ الى ... في الكتابين بخلاف اوصافه
صلى الله عليه وسلم فانه افتراء على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله تعالى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله
ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض
لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان
فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا ترى الى قوله عز وجل انهم في الآخرة هم الاخسرون بعد
قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الى آخره والسر في ذلك ان النسبة بين الشيئين انما تتصور غالبا لا سيما في
باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان لا محالة او كذب بآياته بان
كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآيات الناطقة بانهم يعرفونه صلى الله عليه وسلم كما يعرفون ابناءهم
وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التوراة وغيروا نعوته صلى الله عليه وسلم فان ذلك تكذيب بآياته تعالى وكلمة او للايذان
بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ في غاية الافراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى
ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون انه الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ... شهرته المغنية عن ذكره
وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه
من اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كانه قيل ان
الشأن الخطير هذا وهو لا يفلح الظالمون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا
فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم ويوم نحشرهم منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف
ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من
الطامة والداهية التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لهم ما نقول كان من الاحوال والاهوال ما لا
يحيط به دائرة المقال فقد جيء بصيغة الماضي للدلالة على التحقق فليس بتوقع عطف قوله تعالى ثم نقول عليه
وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اي واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الى آخره وليتقوا ويحذروا
يوم نحشرهم الى آخره والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم بالياء فيهما ثم نقول للذين اشركوا اي
نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤوس الاشهاد اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه
واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله تعالى الذين كنتم تزعمون
اي تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى
احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الى غير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينهم وبينها
من التبري من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلائق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا
بينهم الى آخره ونحو ذلك من الآيات الكريمة اما بعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف
واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث
ذواتها بل انما هو من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف
من حيث هو موصوف فهي من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او
غيرها واما ما يقال من انه يحال بينهم وبينها في وقت التوبيخ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء
فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم

بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك وانصرف عنهم لطاعتهم منها بالكلية على انها معلومة متمكن حين
الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وانما الذي يحشر يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب في المحاضرة
والمحاورة **ثم لم تكن فتنتهم** بثابت الفصل ونصب فتنتهم على انه اسم ليكن خبر **الا ان قالوا** وقرئ بنصب
فتنتهم على انه الخبر والاسم ان قالوا والتأنيث للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة
ونصبها ورفع لتسبب بحسب المعنى والجملة معطوفة على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والاستثناء
مفرغ من اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم مرادا بهم عاقبته اي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة اعمارهم
وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبري منه بان يقولوا **والله ربنا ما كنا مشركين** واما جوابهم عبر
عنه بالفتنة لانه كذب ووصفهم له على ربوبيته سبحانه التبري من الاشراك وقرئ ربنا على النداء
فهو لاظهار الضراعة والاجتهاد في استدعاء قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع
رأسا من فرط الحيرة والدهش وحمل على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا في الدنيا انا على خطأ
في معتقدنا حملا لا يليق بتوهم لشك فان معناه هو انهم عندنا انا قائلهم قد تعلى الاعتذار والجهل بحالهم تحمل
بحال لهول اليوم قطعا على انه تخفيض ببطلانه وقوله تعالى **انظر كيف كذبوا على انفسهم** فانه تعجيب
من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا اي انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه امر
عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا فمما تجب تنزيه ساحة التنزيل عنه **وضل عنهم
ما كانوا يفترون** عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجيب وما مصدرية او موصولة قد حذف
عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم
وكيف ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية
وتبرءوا عنه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالها
من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في امرها كانها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستأنف
غير داخل في حيز التعجيب **ومنهم من يستمع اليك** كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض
المشركين من احكام الكفر اثر بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين
اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي
وجمعنا الى آخره ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية اي وبعضهم او وبعض منهم الذي
يستمع اليك على مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين
وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الى آخره روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة
وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب
اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه
يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا
فقال ابو جهل كلا فنزلت **وجعلنا على قلوبهم اكنة** من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به او بمضمر
قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد روعي جانب المعنى
في قوله تعالى في سورة يونس ومنهم من يستمعون اليك الآية والاكنة جمع كنان وهو ما يستر به الشيء وتنوينها
للتفخيم والجملة اما مستأنفة للاخبار بما تضمنته من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار قد عند من يقدرها
قبل الماضي الواقع حالا اي يستمع اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها
خارجة عما يتعارفه الناس **ان يفقهوه** اي كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القرآن الكريم المنبئ عنه ذكر الاستماع
ويجوز ان يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه **وفي آذانهم وقرا** صمما وثقلا مانعا

من سماعه

من سماعه وتكلمهم فيه كما في قوله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي
صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن العظيم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه في اول
سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر الآية
وانت خبير بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم
جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان لا ان هناك امرا حائلا
فرحال بينهم وبين ادراكهم حاصل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم على ذلك **وان يروا كل آية**
من الآيات القرآنية التي يشاهدونها بسماعها **لا يؤمنوا بها** على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا
بكل واحدة لعدم اجتلائهم اياها بالكلية **حتى اذا جاءوك يجادلونك** هي حتى التي تقع
بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى اذا جاءوك الى آخره **يقول الذين كفروا** وما بينهما حال من فاعل
جاءوا وانما وضع الموصول موضع الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اي بلغوا من
التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاءوك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الآيات
الكريمة بل يقولون **ان هذا الا اساطير الاولين** اي ما هذا الا اساطير فان جعل احسن الحديث واصدقه
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية
وراءها ويجوز ان تكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله
تعالى يقول الذين كفروا الى آخره تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اساطرة او جمع اسطار
وهو جمع سطر بالتحريك واصل السطر بمعنى الخط **وهم ينهون عنه** الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور
للقرآن اي لا يقنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا
على حقيقته فيؤمنوا به **وينأون عنه** اي يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم وتأكيدا
لنهيهم عنه فان اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تأخير
النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل المرفوع لابي طالب ولعل جمعه باعتبار
استتباعه لاتباعه فانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به
وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه ... من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت **وان يهلكون** اي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي **الا انفسهم** بتعريضها لاشد العذاب
وافظعه عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والاضلال **وما يشعرون** حال من ضمير يهلكون اي يقصرون
الهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون لا بذلك ولا باهلاكهم انفسهم ولا باقتصاره عليها بل يزعمون انهم يضرون
بذلك شيئا من القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان المنفي عن غيرهم
مطلق الضرر قضاء لحق ما يتبادر من المبالغة في القرآن الكريم المبالغة في نفي حكمه والتهويل للذين
للايذان بان ما يحيق بهم هو الهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق المضارة بل كانوا
يبغون الغوائل للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونحو ذلك تبين ان الاهلاك معتبر بالنسبة الى الذين
يضلونهم بالنهي فقصره على انفسهم مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال

منزلة العدم ولو ترى إذ وقفوا على النار شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض
لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كاذبا في نفسه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أو لكل أحد من أهل المشاهدة والعيان قصدا إلى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة إلى حيث لا يختص
استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الأمور العجيبة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من سوئها
وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وإيذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في
حيز الظرف عليه أي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما لا يساعده التعبير وصيغة
الماضي للدلالة على التحقق وحين يطلعون عليها اطلاعا هي تحتهم أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من
قولهم وقفته على كذا إذا عرفته وفهمته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا
فقالوا يا ليتنا نرد أي إلى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص ولا نكذب بآيات
ربنا أي بآياته الناطقة بأحوال النار وأهوالها الآمرة باتقائها إذ هي التي تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون
على ما فرطوا في حقها أو بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاما أوليا ونكون من المؤمنين بها العاملين
بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل أو نكون من فريق المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين بحسن الثواب
ونصب الفعلين على جواب التمني بإضمار أن بعد الواو وإجرائها مجرى الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود وابن إسحاق
رضي الله عنهما فلا نكذب والمعنى إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين قيل ينسبك من الفعل الذي قبلها مصدر ومن الفعل
بعدها مصدر يعطف عليه فيكون التقدير ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا
من المؤمنين وقرئ برفعهما على أنه كلام مستأنف كقوله دعني ولا أعود أي وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني أو
عطف على نرد أو حال من ضمير نرد فيكون داخلا في حكم التمني فالرفع الأخير للتشبيه وتعلق التكذيب الآتي بما
تضمنه من العدة بالإيمان وعدم التكذيب خفاء التمني من قبيل الإنشاء كأنك على حسبك فإنه متضمن في معنى الوعد
فلو ذكر ما لا ربنا في صاحبه يكون تكذيبا لا محالة وقرئ برفع الأول ونصب الثاني وقد مر وجههما بل بدا
لهم ما كانوا يخفون من قبل إضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق الآيات والإيمان بها أي ليس ذلك
عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الإيمان وشوق إلى تحصيل الاتصاف به بل لأنه ظهر لهم في موقفهم ذلك
ما كانوا يخفون في الدنيا من الداهية الدهياء فخافوا أنهم مواقعوها فتمنوا وهو مطلقها فقالوا ما قالوا وقيل هو
النار التي وقفوا عليها إذ هي التي سيق الكلام لتهويل أمرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وبإخفائها
تكذيبهم بها فإن التكذيب بالشيء كفر به وإخفاء له لا محالة وإيثاره على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه الأنسب بما قبله من قوله
ولا نكذب بآيات ربنا لمراعاة ما في مقابلته من البدو وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقيل هو
من أن المراد ما يخفون من كفرهم ومعاصيهم وقبائحهم وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وشهادة
جوارحهم عليهم أو شركهم الذي يجحدونه في بعض مواقف القيامة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر لما ذكر من
شهادة الجوارح عليهم أو ما أخفاه رؤساء الكفرة من أتباعهم من أمر البعث والنشور أو ما كتمه علماء أهل الكتابين
من صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الشريفة عن عوامهم وأن الضمير للجميع والموقوف على الجنس
أو كفرهم الذي أخفوه من المؤمنين والضمير للمنافقين فيأباه الاختصاص في كل منها من
الاعتساف والاختلال لما بين الجميع من الاختلاف كما عرفت من أن سوق النظم الشريف لتهويل أمر النار وتفظيع
حال أهلها وقد ذكر وقوفهم عليها وأشير إلى أنهم عند ذلك من الخشية والحيرة والدهشة ما لا
يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فإسقاط النار بعد ذلك
من تلك السببية وهي في نفسها أدهى الدواهي وأنكرها وإسنادها إلى شيء من الأمور المذكورة التي دونها

في الهول

في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة أمر يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله وأما ما قيل من أن
المراد أنه ظهر لهم جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها وأبوابها مفتوحة فتأمل ولو ردوا أي من موقفهم
ذلك إلى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الأهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من
جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار أنظارهم على الشاهد دون الغائب وإنهم لكاذبون أي
قوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله
وإنهم لكاذبون بينهما لأنه اعتراض مسوق لتقرير ما أفادته الشرطية من كذبهم المخصوص وقيل على أخرى لو وهم إلى
المعاد فتكذيبهم في إنكارهم البعث والمعنى لو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى ما نهوا عنه إن هي أي ما الحياة
إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين بعدما فارقنا هذه الحياة بعدما قالوا من الأهوال التي أولها البعث والنشور
ولو ترى إذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا أن الوقوف هنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال
عما يقع للعبد الجاني بين يدي سيده المعاقب وقيل عرفوه حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم
كذلك وقولهم عند سماع قوله تعالى قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قال
لهم ربهم إذ ذاك فقيل قال أليس هذا بالحق توبيخا لهم على ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الأمور العظام التي
تقرر لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتلى عليهم أنه ليس بحق وما هو إلا باطل قالوا استئناف كما سبق
بلى وربنا أكدوا اعترافهم باليمين إظهارا لكمال يقينهم بما يجنبه وإيذانا بصدور ذلك منهم بالرغبة
والنشاط طمعا في نفعه قال استئناف كما مر فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب
على اعترافهم بحقية ما كفروا به في الدنيا لكن لا على أن مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما
اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله عز وجل بما كنتم تكفرون أي بسبب كفركم في الدنيا بذلك أو بكل
ما يجب الإيمان به فيدخل كفرهم به دخولا أوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع إنما يقع بعدما وقفوا على النار
فقالوا ما قالوا إذ الظاهر أنه لا يبقى بعد هذا الأمر إلا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت
أحوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للإيذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقاء الله تعالى
بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث وأحكامه المتفرعة عليه وكاستمرارهم على ذلك فإن كلمة حتى في قوله عز وجل
حتى إذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فإنه أبدي لا حد له بغتة البغت والبغتة مفاجأة
الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا أي فجأة وانتصابها إما على أنها مصدر واقع موقع
الحال من فاعل جاءتهم أي مباغتة أو من مفعوله أي مبغوتين وإما على أنها مصدر مؤكد على غير الصدر فإن جاءتهم
في معنى بغتتهم كقولهم أتيته ركضا أو مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل أي جاءتهم الساعة
تبغتهم بغتة قالوا جواب إذا يا حسرتنا تعالي فهذا أوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وإن كان
يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد
قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا فيها أي على تفريطنا
في شأن الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالإيمان بها واكتساب الأعمال الصالحة كما في قوله تعالى
على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحياة الدنيا وإن لم يجر ذكرها لكونها معلومة والتفريط التقصير في
الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل التفريط السبق ومنه الفارط أي السابق ومعنى فرط على
السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم
حال من فاعل قالوا وفائدته الإيذان بأن عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل هم مع ذلك
يحملون الأوزار الثقال والآثام إلا أن تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول وما يتلوها من فنون العقوبات
في ذلك أن العذاب الروحاني أشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الأصل الحمل الثقيل

سمي به الإثم فإن الذنب لغاية يثقل على صاحبه وذكر الظهور كذكر الأيدي في قوله تعالى فبما كسبت أيديكم
فإن المعتاد حمل الأثقال على الظهور كما أن المألوف هو الكسب بالأيدي والمعنى أنهم يحشرون
على ما لم يفعلوا من الحسنات والحال أنهم يحملون أوزار ما عملوا من السيئات **ألا ساء ما يزرون**
تذييل مقرر لما قبله وتكملة له أي بئس شيئاً يزرونه وزرهم **وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو**
لما حقق فيما سبق أن وراء الحياة الدنيا حياة أخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده
حال تينك الحياتين في أنفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويفترها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد
إلى الهزل والمعنى إما على حذف المضاف أي وما أعمال الحياة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء
فإنما هي إقبال وإدبار أي وما أعمال الدنيا أي الأعمال المتعلقة بها من حيث هي هي إلا كما يرى مرحباً بها لمحل
الكتب تلك الأعمال إلا لعب يشغل الناس ويلهيهم عما فيه منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة
الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الإيمان والعمل
الصالح **وللدار الآخرة** التي هي محل الحياة الأخرى **خير للذين يتقون** الكفر والمعاصي لأن منافعها
خالصة عن المضار ولذاتها منغصة بالآلام مستمرة على الدوام **أفلا تعقلون** ذلك حتى تتقوا
ما أنتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر أي أتغفلون أفلا تعقلون أو ألا تتفكرون
فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة **قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون** استئناف مسوق لتسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة
فيه ببيان أنه صلى الله عليه وسلم بمكانة من الله عز وجل وأن ما يفعلون في حقه فهو راجع إليه تعالى
في الحقيقة وأنه ينتقم منهم لا محالة أشد انتقام كلمة قد لتأكيد العلم كما ذكر المفيد لتأكيد الوعيد
في قوله قد يعلم ما أنتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم ونحوهما بإخراجها إلى معنى التكثير حسبما
يخرج إليه ربما في مثل قوله وإن تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود جرياً على سنن
العرب عند قصد الإفراط في التكثير يقول الرجل لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس
عندي أو عنده من يحمل يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد إظهار براءته من التزيد وأنه
ممن يقلل كثير ما عنده فضلاً عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
هذه طريقة إنما تسلك عند تذكير الأشياء الواضحة التي لا يشك فيها ذو مسكة إشارة إلى حقيقة كما في الآيات
الكريمة المذكورة وإلى تحقيقها كما في البيت وقوله قد أترك القرن مصفراً أنامله وقوله ولكن قد يهلك المال
نائله فالمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وهو متعلق بالأشياء وما بعده سادّ مسدّ مفعوليه واسم إنّ ضمير
الشأن وخبرها الجملة المفسرة والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف أي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم إن
هذا إلا أساطير الأولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من أحزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى **فإنهم
لا يكذبونك** تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التسلي عنه
هنا والإقبال التام على ما هو أهم منه من استعظام جحودهم بآيات الله عز وجل كما قيل فإن تسبيح كونه بمعزل من
التسلية بالكلية فما أبو هريرة تحزن صلى الله عليه وسلم الخاص بنفسه بل بطريق التسلي بما يفيد ... عنه نبي
صلى الله عليه وسلم في جلالة القدر وفخامة الحق والزلفى من الله عز وجل الجيش لأجلها تورث حيث ... تعتبر
على جناب تكذيبه صلى الله عليه وسلم مع جلالة صدقه تكذيباً لآياته سبحانه على طريقة قوله تعالى إن
الذين يبايعونك إنما يبايعون الله إيذاناً بكمال القرب واضمحلال شؤونه صلى الله عليه وسلم في شأن الله عز وجل
ثم في استعظام جناياتهم مبني على عظم عقوبتهم كأنه قيل لا تعتد بهم وكلهم إلى الله عز وجل فإنهم في تكذيبهم
لا يكذبونك في الحقيقة **ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** أي ولكنهم بآيات الله تعالى يكذبون فوضع

الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات إلى الاسم
الجليل لتربية المهابة وتقوية استعظام ما أقدموا عليه من جحود آياته تعالى والباء متعلقة بيجحدون وفي مورد التكذيب للعدد
بأن آياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل أحد وأن من ينكرها فإنما ينكرها بطريق الجحود الذي هو
عبارة عن الإنكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم وهو المعنى بقول من قال
فإنه نفي ما في القلب ثباته أو إثبات ما في القلب نفيه وقيل الباء متعلقة بيجحدون بتضمين معنى التكذيب والمعنى ما أنكر
تهويله وقيل هي لتضمين الجحود معنى التكذيب وأياً ما كان فتقديم الجار على الجحود للقصر وقيل المعنى
فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكن يجحدون بألسنتهم ويعضده ما روي عن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل
يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله إن محمداً لصادق وما
كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء
ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون
بآيات الله كما يروى أن أبا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك وإنك عندنا لصادق
وإنما نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق الحي يعتبر الخبيث بمطابقة تخبره لاعتقاده والأول هو
الذي تستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الإكذاب فقيل كلاهما بمعنى وقال الكسائي
وكثير وأهل اللغة الأظهر وقيل معنى أكذبه وجده كاذباً ونقل عن الكسائي أن العرب تقول كذبت
الرجل إذا نسبت الكذب إليه وأكذبته إذا نسبت الكذب إلى ما جاء به لا إليه وقوله تعالى **ولقد كذبت
رسل من قبلك** تسلية إثر تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن عموم البلية تهون أمرها بعض تهوين أو إرشاد له صلى الله عليه وسلم إلى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم الصلاة
والسلام في الصبر على ما أصابهم من أممهم من فنون الأذية وعدة ضمنية له صلى الله عليه وسلم بمثل
ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتأكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية
متعلقة بكذبت أو بمحذوف وقع صفة لرسل أي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل أولو شأن
خطير وذوو عدد كثير أو كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك **فصبروا على ما كذبوا** ما مصدرية
وقوله تعالى **وأوذوا** عطف على كذبوا داخل في حكمه فإن التكذيب مما يصدر من الأذى المفعول أي وصبروا
على تكذيبهم وإيذائهم فتأس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بإيذائهم إما عين تكذيبهم وإما
ما يقارنه من فنون الأذية ولم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب إياه غالباً وأياً ما كان ففيه تأكيد التسلية
وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استئناف وقوله تعالى **حتى أتاهم نصرنا** غاية للصبر
وفيه إيذان بأن نصره تعالى إياهم أمر مقرر لا مرد له وأنه متوقع الوقوع لا بد من إتيانه والالتفات
إلى نون العظمة لإبراز الاعتناء بشأن النصر وقوله تعالى **ولا مبدل لكلمات الله** اعتراض مقرر لما قبله
إثبات نصره إياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم
لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل
عليهم الصلاة والسلام الدالة على نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفس الآيات المذكورة ونظائرها
فإن الإخبار بعدم تبدلها إنما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة في رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة
دون المواعيد السابقة للرسل عليهم الصلاة والسلام وبهذا يتأكد كما تنزل جميعها كما تشتمل على تلك
المواعيد الكريمة وبدخل فيها المواعيد الواردة في حقه صلى الله عليه وسلم دخولاً أولياً والالتفات إلى الاسم
الجليل للإشعار بعلة الحكم فإن الألوهية من موجبات أن لا يبالي أحد في فعل من الأفعال ولا يقضي بخلف في

قوله تعالى **ولقد جاءك من نبإ المرسلين** جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتأكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار مضمونه اي بعض نبإ المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الاية واما ما كانوا قالوا حسبنا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاذى ونصرة الله تعالى اياهم بعد النبإ والنبي وعلى الثاني الذي جرى بينهم عليهم الصلوة والسلام وبين قومهم ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وقيل في محل النصب على الحالية من المستكن في نبإ العائد الى ما بهم من الجملة السابقة اي ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبإ المرسلين **وان كان كبر عليك اعراضهم** كلام مستأنف مسوق لتأكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اي ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحارث بن نوفل بن عامر بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقال يا محمد ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا اصدقك فابى الله تعالى ان يأتيهم بما سألوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما انه صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوا آية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تعالى اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله عز وجل **فان استطعت** الخ شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الايات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوه اقتراحا **ان تبتغي نفقا** اي سربا ومنفذا **في الارض** تنفذ فيه الى جوفها **او سلما** اي مصعدا **في السماء** تعرج به فيها **فتأتيهم** منهما **باية** مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالاية فالفاء في فتأتيهم حينئذ تفسيرية وتنوين آية للتفخيم اي فان استطعت ابتغاءهما فتجعل ذلك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوف هو صفة لنفقا وسلما او بتبتغي او بمحذوف وقع حالا من فاعله اي تبتغي نفقا كائنا في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه الصلوة والسلام على اسلام قومه وتراميه الى حيث لو قدر ان يأتي باية من تحت الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى** اي ولو شاء الله تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه في مشاهدتهم للايات الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء لجمعهم عليه بان يأتيهم باية ملجئة اليه ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى **فلا تكونن من الجاهلين** نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الايات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهداهم والمعنى اذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه صلى الله عليه وسلم من المساعدة على

اقتراحهم وايراده بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم **انما يستجيب الذين يسمعون** تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة وما بعده من الفقه وفي آذانهم وقرا من الصماء وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى في لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع تفهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم لقوله تعالى فانك لا تسمع الموتى وقوله تعالى **والموتى يبعثهم الله** تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم **ثم اليه يرجعون** للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهور اوفق بحق المقام لانبائه عن كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار **وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه** حكاية لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به كالقائلين رؤساء قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤوا على ادعاء انها ليست من قبيل الايات وانما هي ما اقترحوه من الخوارق كالملك والجنة والعقبة كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سيأتي وما فيه من التعرض لعنوان ربوبيته تعالى له لزيادة الاستبعاد والاتيان بطريق التعريض بانه تعالى فيجيبهم واطلاق الاية في قوله تعالى **قل ان الله قادر على ان ينزل آية** مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا آية من الايات لتبادر المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها آية موجبة لهلاكهم كانزال الملائكة للعذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم والتهويل لما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار على الرد ببيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها ليست في حيز الانكار للايذان بان عدم تنزيله تعالى اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى **ولكن اكثرهم لا يعلمون** اي ليسوا من اهل العلم على ان المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى ان الله تعالى قادر على ان ينزل آية من ذلك او آية فاي آية ولكن اكثرهم لا يعلمون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما ان في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار او استئصالهم بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون على حقيقته وانما يفعلون ذلك مكابرة وعنادا وقوله تعالى **وما من دابة في الارض** كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى قادر على تنزيل الاية وانما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من لتأكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من افراد الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى **ولا طائر يطير بجناحيه** مع ما فيه من زيادة التقرير اي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كانه قيل وما من دابة في الارض ولا طائر **الا امم** اي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من جميع الدواب وجميع الطيور الا امم **امثالكم** اي كل امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة وامورها مقننة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد منتظمة في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات الربانية **ما فرطنا في الكتاب من شيء** يقال فرط الشيء اي ضيعه وتركه قال ساعدة بن جؤية معه سقاء لا يفرط حمله

اي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء اي اهمل ما ينبغي ان يكون فيه مما يحفظه فقوله تعالى في الكتاب اي
القرآن على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اي ما تركنا في القرآن شيئا
من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول
للفعل ومن شيء في موضع المصدر اي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره
وايا ما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال
الامم مستقصاة في اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى
ثم الى ربهم يحشرون بيان لاحوال الامم في الآخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على
صيغة جمع العقلاء لاجرائها مجراهم والتعبير عنها بالامم اي الى مالك امورهم يحشرون يوم القيمة لا الى ربكم
لا الى غيره فيجازيهم فينصف لبعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان يأخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها
موتها وايثاره لمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا متعلق بقوله ما فرطنا
في الكتاب من شيء والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الآيات ومحله الرفع على
الابتداء خبره ما بعده اي اوردنا في القرآن جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا باياتنا
التي هي منها صم لا يسمعون سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الآيات
ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها وقوله عز وجل
في الظلمات اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل والعناد والتقليد اما خبر ثان للمبتدا على انه عبارة عن
العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كأنه قيل ضالون كائنين في الظلمات
او صفة لبكم اي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان الاصم الابكم
اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة وان كان
معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك في الظلمات فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله
من يشأ الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من اهل الطبع لا يتأتى منهم الايمان اصلا
فمن مبتدا خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون
الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به اي من يشأ الله اضلاله اي ان يخلق فيه الضلال يخلقه فيه ولكن
لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وقس عليه
وقوله تعالى ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه
قل ارأيتكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف حرف
جيء به لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او
بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني ان اتاكم عذاب الله حسبما اتى الامم السالفة من انواع
العذاب الدنيوي او اتتكم الساعة التي لا محيص عنها البتة اغير الله تدعون هذا مناط الاستخبار ومحط
التبكيت وقوله تعالى ان كنتم صادقين متعلق بارأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين في ان اصنامكم آلهة كما انها دعواكم المعروفة وان كنتم قوما صادقين
فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله الآية فلا تصدقهم اي فهي كانت من موجبات اخبارهم بدعاء
غيره سبحانه واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى اغير الله تدعون اي فادعوه على ان الضمير لغير الله فيخل بجزالة
النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم غير الله عند اتيان ما يأتي لا انشاء دعائهم اياه وقوله تعالى
بل اياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء جليا كانه قيل
لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه اي الى كشفه عطف على تدعون

اي فيكشفه

اي فيكشفه اثر دعائكم وقوله تعالى ان شاء اي ان شاء كشفه بيان لان قبول دعائهم غير مطرد بل
هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استأثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله في بعض دعواتهم
المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله في بعض آخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي
التي من جملتها الساعة وقوله تعالى وتنسون ما تشركون اي تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا
عطفا على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشأن
الكشف عنهما والايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى ولقد ارسلنا كلام مبتدأ مسوق
لبيان ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون بالزواجر
التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصدير الجملة بالقسم لاظهار مزيد الاهتمام
بمضمونها ومفعول ارسلنا محذوف لان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين
اي وبالله لقد ارسلنا رسلا الى امم من قبلك اي كائنة من زمان قبل زمانك فأخذناهم اي فكذبوا رسلهم
فاخذناهم بالبأساء اي بالشدة والفقر والضراء اي الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما
لعلهم يتضرعون اي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم
فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا اي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه ولكن قست قلوبهم
استدراك عما قبله فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه
حيث قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من القساوة او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته
ولكن اهانني وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطر ببالهم ان ما اعتراهم من
البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى
قسوة قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به عطف على مقدر
ينساق اليه النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم ابواب
كل شيء من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال مكر بالقوم ورب الكعبة
وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير في الجملة غير خال عن
النفع وحتى في قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله
تعالى حتى اذا جاءنا الآية وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه كانه قيل ففعلوا
ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا اخذناهم بغتة اي نزل بهم عذابنا فجاءة ليكون اشد
عليهم وقعا وافظع فاذا هم مبلسون متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير وفي الجملة الاسمية دلالة
على استقرارهم في تلك الحالة الفظيعة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من
دبره دبرا ودبورا اي تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو
وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال
فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة
جليلة تستجلب الحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم الصلاة والسلام قل ارأيتم
امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه
لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الرؤية وان كانت بحسب الظاهر عن نفس الرؤية ان اخذ الله
سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم بالكلية وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا
وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد
ما يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمه وفي تقديم السمع

الايصاد فانه مورد الآيات القرآنية وافرادها لان اصله مصدر قوله تعالى من اله مبتدا وخبر ومن استفهامية وقوله تعالى غير الله صفة للخبر وقوله تعالى يأتيكم به اي بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله تعالى مشاعركم من اله غيره تعالى يأتيكم بها انظر كيف نصرف الآيات تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير ثم هم يصدفون عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجيب وثم لاستبعاد صدوفهم اي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل ارأيتكم تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم ان اتاكم عذاب الله اي عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اي فجأة من غير ظهور منه مخايل الاتيان حيث لحقتهم هذا اعني الخفية قوبل بقوله تعالى او جهرة اي بعد ظهور اماراته وعلاماته وقيل ليلا او نهارا كما في قوله تعالى بياتا او نهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا بغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة او جهرة وهما في موضع المصدر اي اتيان بغتة او جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع قوله تعالى هل يهلك متعلق الاخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه الا القوم الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم وايا ما كان فتخصيص الاتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كانه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط تحقيق الحصر بخروج غير الظالمين منه لانه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما يجديه واشتغل بما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك وما نرسل المرسلين كلام مستأنف سيق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم الصلاة والسلام واظهار ان ما يقترحه الكفرة عليه عليه الصلاة والسلام ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين اي وما نرسلهم الا مقدرين تبشيرهم وانذارهم وفيهما معنى العلة الغائية قطعا اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية او ليخبروا وهو الخبر السار والخبر الضار دينيا كان او دنيويا من غير ان يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور الفصول لا ان يكون بيان الشرائع والاحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله تعالى فمن آمن واصلح لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمونها والفاء في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل وتقديم نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها والمعنى ما يوجب ذلك او انهم يعني يوم الكفرة لا يخافون ولا يحزنون فالمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد دوامهما والدوام والاستمرار بحسب المقام الا ترى ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي تفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا بعد في ذلك فان ما ذكر من ضرب مفيد للاختصاص في النفي لا نفي

الاختصاص

الاختصاص كما بين في محله قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا عطف على من آمن داخل في حكمه وقوله تعالى بآياتنا اشارة الى ان ما ينطق به الرسل عليهم الصلاة والسلام من وعيد التبشير والانذار ويبلغونه الى الامم آيات الله تعالى وان من آمن به فقد آمن بآيات الله تعالى ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الايمان والتحذير عن التكذيب ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين الا مخبرين للامم برحمتنا بما سيقع من الامور السارة والضارة لا يقع استقلالا من عند انفسهم ولسنا نعقبهم من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا وانذارا اي فمن آمن بآياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل في الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا التي بلغوها عند التبشير والانذار يمسهم العذاب اي العذاب الذي انذروه عاجلا وآجلا او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله استئناف مبني على ما اسس من السنة الالهية في شأن ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لاظهار تبريه صلى الله عليه وسلم عما تدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيفما اشاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات وانزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأني وهذا تبري من دعوى الالوهية اي لا ادعيه مطلقا قوله تعالى ولا اعلم الغيب عطف على محل عندي خزائن الله اي ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما ولا اقول لكم اني ملك حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادة ما لا يطيق البشر من الرقي في السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم ما ل هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى اني لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتبع لا بمعنى تخصيص اتباعه صلى الله عليه وسلم بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات في القيد بل بمعنى تخصيص حاله صلى الله عليه وسلم باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من معنى الخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق الفعل والاثبات وهو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقوم به يمتاز عما عداه من الافعال النصر يرشدك الى ذلك قولهم فلان يعطي ويمنع بمعنى يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون لي مدخل ما في الوحي او في الوحي بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بظهور فضل المهتدي والتنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثبيت التبكيت وتأكيد الالزام قوله تعالى افلا تتفكرون تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او لا تسمعونه فلا تتفكرون فمناط التوبيخ في الاول عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم بعدما حكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بالآيات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة قد اتت بشأنهم بالكلية والتصقوا بالمحتوم وفرغ ذلك بذكر ما يترتب عليهم من فوت التبكيت والالزام فانهم المجرى للمقام فابوا الا الاباء

والتكبر وما انخرط فيهم عظة ولا تذكير وما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر صلى الله عليه وسلم بتوجيه
الانذار الى من يتوقع منهم في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب
وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة آبائهم الانبياء كالاولين وفي شفاعة الاصنام كالآخرين
او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون
للحشر رأسا والقائلون القاطعون بشفاعة آبائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون عمن امر بانذارهم
وقد قيل هم المفرطون في الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقتضي
استحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى اعني ما دل عليه من القرآن والمفعول الثاني اما
العذاب الاخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والسلطان والتصرف في الكل لتربية المهابة وتحقيق المخافة قوله تعالى
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا والظرف متعلق بمحذوف
وقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا فان الحال الاولى لاخراج الحشر الذي
هو غير مقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيفما كان
ضرورة ان المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف الذي يدور عليه امر
الانذار واما الحال الثانية فليست لاخراج الولي الذي لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى الذي
لا سند له ثبوت ولاية غيره تعالى لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لتحقيق مدار
خوفهم وهو تحقق ما علقوا به رجاءهم وذلك لا يتحقق الا بتجريدها سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة
انصارهم على زعمهم وبهذا اتضح ان لا سبيل الى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين اذ ليس لهم ولي
سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته عز وجل قوله تعالى **لعلهم يتقون** تعليل للامر اي انذرهم لكي يتقوا
الكفر والمعاصي او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اي انذرهم مرجوا منهم التقوى
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذار المذكورين
لينتظموا في سلك المتقين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طرد المتقين
روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح
جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك
ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له صلى الله
عليه وسلم لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون وروي ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن
عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل واشراف بني عبد مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا
يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا فانما هم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا وادنى
لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت
حتى ننظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن
حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا
النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله صلى الله عليه وسلم حقروهم
فاتوه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم لجالسناك
وحادثناك واخذنا عنك فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك

مجلسا

مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيي ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك
فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال صلى الله عليه وسلم نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فاتى بالصحيفة
ودعا عليا رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالآية فرمى صلى الله عليه
وسلم بالصحيفة فدعانا فاتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا
اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله
الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام
وقيل صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى **يريدون وجهه** حال من ضمير يدعون اي يدعونه
تعالى مخلصين له فيه وتقييده به لتأكيد عليته للنهي فان الاخلاص من اقوى موجبات الاكرام المضاد للطرد
وقوله تعالى **ما عليك من حسابهم من شيء** اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى
يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين
هم اراذلنا بادي الرأي اي ما عليك شيء ما من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على
ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شان منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء
الاحكام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى ان حسابهم الا
على ربي وذكر قوله تعالى **وما من حسابك عليهم من شيء** مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء
كون حسابهم عليه الصلاة والسلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه
الصلاة والسلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل ان ذلك
لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتأدية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير
حقيق بجلالة شان التنزيل فتقديم عليك في الجملة الاولى للقصد الى ايراد النفي على اختصاص حسابهم به
صلى الله عليه وسلم اذ هو الداعي الى تصديه صلى الله عليه وسلم لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك
لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم بحيث يحملك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين قوله تعالى **فتطردهم** جواب
للنفي وقوله تعالى **فتكون من الظالمين** جواب للنهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبب
وليس بذاك **وكذلك فتنا بعضهم ببعض** استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي وذلك اشارة
الى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع
ما هم عليه في امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته
في الكمال والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر
مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم للافادة القصر المفيد لعدم الفتون
فقط واعتبرت الكاف مقحمة لافادة نفس المصدر المؤكد لا نعتا له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا
الناس بعضهم ببعض لا فتونا غيره حيث قدمنا الآخرين على الاولين في امر الدين مع تقدم الاولين المتقدمين عليهم في امر الدنيا
تقدما كليا واللام في قوله تعالى **ليقولوا** للعاقبة اي ليقول البعض الاولون مشيرين الى الآخرين محتقرين لهم
لما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة **أهؤلاء من الله عليهم
من بيننا** بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء
وغرضهم بذلك انكار وقوع المن رأسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقيقه عليهم مع الاعتراف
بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى **أليس الله باعلم بالشاكرين** رد لقولهم ذلك وابطال له واشارة
الى مدار استحقاق الانعام بمعرفة شان النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام للتقرير على المبالغ بذلك اي
اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى يستبعد انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون

لحق نعمه تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للجهاد شاكرون لله تعالى يعلى ذلك مع التعريض بان القائلين بمعزل من
ذلك كله مما لا يخفى {وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا} هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالايمان بآيات الله
عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا
الوصف مع تقدمه على الوصف الاول لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهي عن الطرد هو
المداومة على العبادة {فقل سلام عليكم} امر بتبشيرهم بالسلامة وقوله تعالى {كتب ربكم على نفسه الرحمة}
اي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط شيء ما اصلا تبشيرهم
بسعة رحمته تعالى ونيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة من المكاره وقيل امر بتبليغ سلامه تعالى اليهم وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاءوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت قوله {انه من عمل منكم سوءا}
بدل من الرحمة وقرئ بالفتح على انه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف وقوله تعالى {بجهالة} حال من فاعل عمل
اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر ما يعلم انه يؤدي الى
الضرر وعمله متلبسا بجهالة {ثم تاب من بعده} اي بعد عمله او بعد سفهه {واصلح} اي ما افسده تداركا
وعزما على ان لا يعود اليه ابدا {فانه غفور رحيم} اي فامره انه غفور رحيم اي فله انه غفور وقيل انه
غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه استئناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبرا لمن على انها موصولة او جوابا
لها على انها شرطية {وكذلك نفصل الآيات} قد مر آنفا ما فيه من الكلام اي مثل هذا التفصيل البديع نفصل
الآيات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين {ولتستبين سبيل المجرمين}
بتأنيث الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكر ويؤنث وهو عطف
على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد جمة من جملتها
ما ذكر او علة لفعل مقدر وهو عبارة عن المذكور فيكون مستأنفا اي ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من
التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد وتاء للخطاب اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين
فتعامل كلا منهم بما يليق بهم {قل اني نهيت} امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على
الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اي قل قطعا لاطماعهم الفارغة
عن ركونه صلى الله عليه وسلم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا اني صرفت وزجرت بما
نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد {ان اعبد الذين تدعون} اي عن عبادة ما تعبدونه {من دون
الله} كائنا ما كان {قل} تكرير الامر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به وايذانا باختلاف المقولين من حيث ان الاول
حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته صلى الله عليه وسلم من الانتهاء عما ذكر من عبادة
ما يعبدونه وانما قيل {لا اتبع اهواءكم} استجهالا لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة
وليسوا على شيء مما يطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي والانتهاء {قد ضللت اذا} استئناف مؤكد
لانتهائه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى {وما
انا من المهتدين} عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اي دوام النفي
واستمراره لا نفي الدوام والاستمرار كما مر مرارا اي ما انا في شيء من الهدى حتى اكون في عدادهم {قل اني على
بينة} تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذي عليه
الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحي
وقيل هي الحجج العقلية وما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله {من ربي} متعلق بمحذوف هو
صفة لبينة مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية

مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى {وكذبتم به} اما جملة مستأنفة
او حالية بتقدير قد او بدونها جيء بها لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية
وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى اني على بينة عظيمة كائنة من ربي
وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله تعالى {ما عندي ما تستعجلون به}
استئناف مبين لخطئهم في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي
كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم اي ليس ما
تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم
صدقه او ليس امره بمفوض الي {ان الحكم} اي ما الحكم في ذلك تعجيلا وتأخيرا او ما الحكم في جميع الاشياء فيدخل
فيه ما ذكر دخولا اوليا {الا لله} وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه {يقص الحق} اي يتبعه بيانا لكونه
تعالى في الحكم المعهود او في جميع احكامه المنتظمة له انتظاما اوليا اي لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقية التأخير
وقرئ يقضي فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية اي يقضي القضاء الحق او على المفعولية اي يصنع الحق
ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه منع
الباطل عن معارضة الحق والخصم عن التعدي على صاحبه {وهو خير الفاصلين} اعتراض تذييلي مقرر
لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق هاهنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي تستدعيه
جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق
وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم
بآيات الله تعالى بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في امر التوحيد مما لا تعلق له
بالمقام اصلا {قل لو ان عندي} اي في قدرتي ومكنتي {ما تستعجلون به} من العذاب الذي ورد به
الوعيد بان يكون امره مفوضا الي من جهته تعالى {لقضي الامر بيني وبينكم} اي بان ينزل ذلك عليكم
اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد فنطالبه وقرئ ببناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذي
هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل في تفسيره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي
ولتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى {والله اعلم بالظالمين} اعتراض مقرر لما
افادته الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه صلى الله عليه وسلم المستتبع لانتفاء قضاء
الامر وتعليل له والمعنى والله تعالى اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج
لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم {وعنده مفاتح
الغيب} بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من
حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كأنها مخازن خزنت
فيها الامور الغيبية يغلق عليها ويفتح واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح
الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى الامور بناء على الاستعارة الاولى اي عنده تعالى خاصة خزائن
غيوبه او ما يتوصل به اليها قوله تعالى {لا يعلمها الا هو} تأكيد لمضمون ما قبلها وايذان بان المراد
هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلون به من العذاب ليس مقدورا لي حتى
الزمكم بتعجيله ولا معلوما لي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما تقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم والمصالح قوله تعالى {وما تسقط من ورقة الا يعلمها} بيان لتعلقه بالاحوال
المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر
الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة من بين سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة

الحصر باعتبار ذاتها انموذج لاحوال سائرها قوله تعالى ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى في ظلمات
الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اي ولا حبة كائنة في بطون الارض
الا يعلمها وكذا في قوله تعالى ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها داخلان في حكمها قوله تعالى الا في كتاب مبين
بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة
عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيرات بالرفع عطفا على محل من ورقة وقيل رفعها بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين
والانسب بالمقام شمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شانه السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة ايضا
وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الاماتة لما بين النوم والموت من المشاركة
في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم فيه
والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيهما يتحقق قضاء الاجل
المسمى المترتب عليهما لا في بعضهما والمراد بعلمه تعالى في ذلك علمه بعمل الجرح كما يلوح به تقديم ذكر حال البعث ليعلم
ما يجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما
فيما اختص بالاخر للجري على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط
قوله تعالى ويعلم ما جرحتم بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات
مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالموت بالكلية يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخي
كانه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهار مع علمه بما ستجرحون فيها ليقضى اجل
مسمى معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد ما عين له طرفة عين ثم اليه مرجعكم اي رجوعكم بالموت
لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل
الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انهم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على امرهم
يبعثكم من القبور في شان ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه
وطلبه لبعث الموتى فجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال لاقتضائه ان يكون البعث معللا
بقضاء الاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده اي هو المتصرف في امورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء
ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون
حفظة من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه
على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة
اذ لو تاخر لكان صفة اي كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف وعلى كل حال اي يرسل عليكم ملائكة
يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جليلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض
على رؤوس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد
على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه المطلعين على احواله وحتى في قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم
الموت هي التي يبتدأ بها الكلام ومع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل
ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب
الموت ومباديه توفته رسلنا الاخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك
حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى التاءين وهم اي الرسل لا يفرطون اي
بالتواني والتاخير وقرئ مخففا من الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من
رسلنا وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به قوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته والضمير
للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفي

على الانفراد

على الانفراد والرد على الاجتماع اي ثم ردوا بعد البعث بالحشر الى الله اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب
مولاهم اي مالكهم الذي يلي امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم الحق الذي
لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه
وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلائق في اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا
شان عن شان وفي الحديث ان الله تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر اي قل تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التي تبطل
الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم
ذو كواكب ومن الكشف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى تدعونه تضرعا وخفية
اما حال من فاعل تدعونه او مصدر من لفظه اي تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه دعاء
اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء قوله تعالى لئن انجيتنا من هذه الشدة التي عبر عنها
بالظلمات لنكونن من الشاكرين الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التي من
جملتها هذه وقرئ لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب اي غم امره صلى
الله عليه وسلم بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم وبيانا قوله تعالى ثم
انتم تشركون عليه اي الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم
والكروب ثم انتم بعدما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف
قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر على القائهم في المهالك اثر
بيان انه المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة قوله تعالى افامنتم ان يخسف بكم جانب
البر الخ وقوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الاية وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح
للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم ولتهويل امر المؤخر وقوله تعالى من فوقكم متعلق به ايضا
او بمحذوف وقع صفة لعذابا اي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل وامثالهم
او من تحت ارجلكم اي من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم اكابركم ورؤساؤكم ومن تحت
ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع ان كان لاهل الجهتين معا كما فعل بقوم نوح او يلبسكم
شيعا اي يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فتختلطوا في
الملاحم كقول الحماسي وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم باس
بعض عطف على يبعث وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات لتهويل الامر والمبالغة في التحذير والبعض الاول
الكفار والاخر المؤمنون ففيه وعد ووعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند قوله تعالى عذابا من
فوقكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم
باس بعض هذا اهون او هذا ايسر وعنه صلى الله عليه وسلم قال سالت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم
او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف الايات من حال
الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب
به اي بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان
للايذان بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه صلى الله عليه وسلم مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم
وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر قوله تعالى وهو الحق
حال من الضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او الصادق في كل ما نطق به وقيل هو استئناف وايا
ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل منبها على ما يؤول اليه امرهم وعلى انه قد اتيت

هم

ما عليك من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم لامنعكم من التكذيب فاجبركم على التصديق
انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه لكل نبأ اي لكل شيء ينبأ به من الانباء التي من
جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التي من جملتها خبر مجيئه مستقر اي وقت استقرار
ووقوع النبأ اي وقت استقرار بوقوع مدلوله وسوف تعلمون اي حال نبأكم في الدنيا
او في الآخرة او فيهما معا وسوف للتأكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين واذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ودينهم
فاعرض عنهم بترك مجالستهم والقيام عنهم قوله تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره غاية
للاعراض اي لا تعرض على الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها
حديثا فان وصف الحديث بمغايرتها مشير الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونها
قرآنا واما ينسينك الشيطان بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء او بقاء وقرئ
ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع
المظهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق
والتعظيم راسخون في ذلك وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين
حيث نهوا عن مجالستهم عند خوضهم في الآيات قالوا لئن كنا كلما استهزءوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في
المسجد الحرام وان نطوف بالبيت فنزلت اي وما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم
اي مما يحاسبون عليه من الجرائر من شيء اي شيء ما على ان ما تميمية او ليسية وهي حجازية
ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على انه خبر للمبتدأ او لما
الحجازية متعلقا به على رأي من لا يجيز اعمالها في الخبر المقدم مطلقا وفي محل النصب على رأي من يجوز اعمالها في الخبر المقدم
عند كونه ظرفا او حرف جر ولكن ذكرى استدراك من النفي السابق اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم
عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على
انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اي عليهم ان يذكروهم تذكيرا او الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اي ولكن عليهم
ذكرى لعلهم يتقون اي يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز كون الضمير للموصول اي
يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه وليس وا باقامة
مواجبه لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزءوا او بنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل من
الجد وانما يتصدى له من يصدر بطريق اللهو واللعب كعبادة الاصنام ونحو ذلك من البحائر والسوائب ونحو ذلك
والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الآية
وغرتهم الحياة الدنيا واطمأنوا بها حتى زعموا ان لا حياة بعدها ابدا وذكر به اي بالقرآن من يصلح للتذكير
ان تبسل نفس بما كسبت اي مخافة ان تبسل كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا الآية او مخافة ان تبسل نفوس كثيرة كما في
قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ورب نفس تبسل بعملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان
فريسته لا تفلت منه او لانه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ممنوع وقد
جوز ان يكون الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشان وتكون الجملة بدلا منه
مفسرة له لما في الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم
ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع استئناف مسوق للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على انه حال من
ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على انه صفة لنفس والاظهر انه حال من نفس فانه في قوة نفس كافرة او نفوس
كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما تبين في تفسير قوله

والذي به

والذي به الذين الآية وقيل هو خبر لليس فيكون لها حينئذ متعلق بمحذوف وقع على البيان وان تعدل اي
تفد تلك النفس كل عدل اي كل فداء نصب على المصدر مؤكد لا يؤخذ منها على اسناد الفعل الى الجار
والمجرور لا الى الضمير للعدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدي به لا المصدر كما نحن فيه اولئك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال
ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى الذين ابسلوا بما كسبوا والجملة مستانفة سيقت اثر تحذيرهم
من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اي اولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا
هم الذين ابسلوا بما كسبوا من القبائح قوله تعالى لهم شراب من حميم استئناف آخر مبين لكيفية الابسال
المذكور وعاقبته مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء
مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به امعاؤهم وعذاب اليم بنار تشتعل بابدانهم بما كانوا يكفرون
اي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من
العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه العمدة
في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي التابعة
هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس ومحله الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفته
او بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان نتيجة الابسال قل اندعوا من دون الله
ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام
وتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للايذان بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها لشان
الصديق رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الالوهية التي من جملتها
القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى درجات المعبود
القدرة على ذلك قوله تعالى ونرد على اعقابنا عطف على ندعوا داخل في حكم الانكار والنفي اي ونرد
الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من
الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر كما ان ايثار نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد
برد الغير تصريحا بمخالفته للصلاح وقطعا لاطماعهم الفارغة وايذانا بان الارتداد من غير راد ليس في
حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره قوله تعالى بعد اذ هدانا الله اي الى الاسلام وانقذنا من الشرك
متعلق بنرد مسوق لتاكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال بعد اذ اهتدينا
كانه قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذي لا هادي سواه قوله تعالى كالذي استهوته
الشياطين في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اي ارتد على اعقابنا مشبهين بالذي استهوته
مردة الجن واستغوته الى المهامه مع عقلها الناس وعلى انه نعت لمصدر محذوف اي ردا مثل رد الذي
استهوته الى الجو الاستهواء استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأنها طلبت هويه وقرئ استهواه
بالفعالة قوله تعالى في الارض اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي كائنا في الارض وكذا قوله
حيران حال منه على انها بدل من الاولى او حال من ثانية متداخلة او من الذي او من المستكن في الظرف اي
بانها حال الاعراب لنحاذه لا يدري ما يصنع قوله تعالى له اصحاب جملة في محل النصب على انها صفة لحيران او حال
من الضمير فيه او مستانفة سيقت لبيان حاله قوله تعالى يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب اي لذلك
المستهوي رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم تسميته بالمصدر مبالغة كانه نفس الهدى ائتنا على
ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله اي يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون
على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه وانما يدعى الى سمت الداعي

وموقع التعيين فقط قل ان هدى الله الذي هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وفي تكرير الامر المذكور اعتناء بشأن المامور به ولان ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهي توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى به تعالى مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل تحت القول واللام في لنسلم لرب العالمين لتعليل الامر المحكي وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلاثة كما في قوله تعالى بان نسلم وقيل زائدة اي امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تعالى وان اقيموا الصلوة واتقوه اي الله تعالى في مخالفة امره عطف على لنسلم على الوجوه الثلاثة على ان المصدرية اذا وصلت بالامر تجرد عن معنى الامر نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال والمعنى على الاول امرنا اي قيل لنا اسلموا واقيموا الصلوة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى وعلى الآخرين امرنا بان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى وهو الذي اليه تحشرون جملة مستانفة موجبة لامتثال ما امر به من الامور الثلاثة وهو الذي خلق السموات والارض اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد اي قائما بالحق او ملتبسا بالحق او خلقا ملتبسا به وقوله تعالى ويوم يقول كن فيكون قوله الحق استئناف لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف على شيء آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد من افراد المخلوقات في حين معين من افراد الاحيان حق في نفسه متضمن للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخلة عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار الحقية وترك ذكر المقول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور فالمعنى وامره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشياء في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اي المشهود له بالحقية المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى وقوله الحق كائن حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاجساد واحياءها فتامل حق التامل وله الملك يوم ينفخ في الصور تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالمهما وهو الحكيم في كل ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية والخفية واذ قال ابرهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قل اندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى اي واذكر لهم بعدما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع ولا ضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت قول ابرهيم الذين يدعون انهم على ملته لابيه آزر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها وآزر [illegible] وكذلك تارخ ذكره محمد بن اسحاق والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة ومن صرفه الجمعية والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب به للزومه عبادته فهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال

الضحاك

الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر او الوزر او اريد به عابد آزر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام اتتخذ تتعدى الى مفعولين فاصناما آلهة اي اتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ايراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ أأزرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منونة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا ثم قيل تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الازر القوة والمعنى لاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما آلهة انكارا لتعضده بها على طريقة قوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة اني اراك وقومك الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق مبين اي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ وكذلك نري ابرهيم هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اي عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر الفعل لا الى اراءة اخرى يفهم من قوله تعالى اني اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نري ابرهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التبصير البديع نبصره عليه الصلوة والسلام ملكوت السموات والارض اي ربوبيته تعالى ومالكيته او سلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر وقيل هو مختص بملكه عز وجل ولا افتقد وقيل فالاول على الاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي انه عليه الصلوة والسلام كشف له عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل آياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه الصلوة والسلام من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه عليه الصلوة والسلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك الرتبة وقرئ ترى بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اي تبصره عليه الصلوة والسلام دلائل الربوبية واللام في قوله تعالى وليكون من الموقنين متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون من جملة الراسخين في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية من ثمرات ذلك التبصير لا غاية له وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سياتي من فوائده بل هو لبيان انه الاصل الاصيل والباقي من تبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام اي ليستدل بها وليكون الخ فينبغي ان يراد بملكوتهما بدائعهما وآياتهما لان الاستدلال من غايات اراءتها لا من غايات اراءة نفس الربوبية وفي قوله تعالى فلما جن عليه الليل على الاول وهو الحق المبين عطف على قال ابرهيم

داخل تحت ما ذكر بالأمر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر للسابق وملوح للاحق فإن تعريفه عليه الصلاة والسلام
ربوبيته سبحانه وملكيته للسموات والأرض وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا إليه في الوجود وسائر
ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة شؤونه تعالى الواصلين إلى ذروة عين اليقين مما
يقضي بأن يحكم عليه الصلاة والسلام باستحالة إلهية ما سواه سبحانه من الأصنام والكواكب وعلى الثاني تفصيل
لما ذكر من إراءة ملكوت السموات والأرض وبيان لكيفية استدلاله عليه الصلاة والسلام ووصوله إلى رتبة الإيقان
ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه قوله تعالى رأى كوكبا جواب لما فإن رؤيته إنما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس
وهذا صريح في أنه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق أنه
كان قريبا من الغروب كما يشعر به قيل كان ذلك الكوكب الزهرة وقيل هو المشتري قوله تعالى قال هذا ربي
استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية السابقة للتفريع على بيان أراءته عليه الصلاة والسلام
ملكوت السموات والأرض فإن ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه عليه الصلاة والسلام من آثار تلك
الإراءة وأحكامها كأنه قيل فماذا صنع عليه الصلاة والسلام حين رأى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع
والفرض هذا ربي مجاراة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب فإن المستدل على فساد قول
يحكيه على رأي خصمه ثم يكر عليه بالإبطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكواكب دون
بيان استحالة إلهية الأصنام لما أن هذا أخفى بطلانا واستحالة من الأول فلو صدع بالحق من أول الأمر كما فعل في
عبادة الأصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه الصلاة والسلام على وجه
النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته وأول أوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت بآياتها وعطف
قوله وليكون على ما قدر من العلة وحمل قوله تعالى فلما جن إلخ على تفصيل ما ذكر من الإراءة وبيان كيفية الاستدلال
وأنت خبير بأن كل ذلك مما لا يليق بمنصب الخليل عليه السلام فلما أفل أي غرب قال
لا أحب الآفلين أي الأرباب المنتقلين من مكان إلى مكان المتغيرين من حال إلى حال المحتجبين بالأستار فإنهم
بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما رأى القمر بازغا أي مبتدئا في الطلوع إثر غروب الكوكب قال هذا
ربي على الأسلوب السابق فلما أفل كما أفل النجم قال لئن لم يهدني ربي إلى جنابه الذي هو الحق الذي لا محيد عنه
لأكونن من القوم الضالين فإن شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه الصلاة والسلام
في إظهار النصفة ولعله عليه الصلاة والسلام كان إذ ذاك في موضع في جانبه الغربي جبل شامخ يستر
القمر والكوكب وقت الطلوع حتى النهار أو بعيد من الليل لما كان الكوكب قريبا منه موافقه الشارع في مكشوف ولا يضر
القمر بعد أفول الكوكب ثم أفوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة أي مبتدئة
في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال أي على النهج السابق هذا ربي وإنما لم يؤنث لأن المشار إليه والمحكوم عليه
بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الأسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس أو
لتذكير الخبر وصيانة للرب عن وصمة التأنيث قوله تعالى هذا أكبر تأكيد لما رامه عليه الصلاة والسلام من
إظهار النصفة مع الكوكب والقمر فلما أفلت قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين أظهرهم يا قوم إني بريء مما تشركون أي من الذي
تشركونه من الأجرام المحدثة المتغيرة من حال إلى أخرى المسخرة لمحدثها أو من إشراككم وترتيب هذا الحكم وتعليقه به
على الأفول دون البزوغ والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فإن كلا منهما وإن كان في
نفسه انتقالا منافيا لاستحقاق معروضه للربوبية قطعا لكن لما كان الأول حالة موجبة لظهور الآثار والأحكام
ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليه الحكم الأول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية
لانطماس الآثار وبطلان الأحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة تكاد يعترف بها كل مكابر عنيد
رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عليه الصلاة والسلام منهم توجه إلى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال إني

وجهت وجهي للذي فطر السموات التي هي الأجرام التي تعبدونها من أجزائها والأرض التي يعيب فيها حنيفا
أي مائلا عن الأديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما أنا من المشركين في شيء من الأقوال والأفعال
وحاجه قومه أي شرعوا في مغالبته في أمر التوحيد قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
محاجتهم كأنه قيل فماذا قال عليه الصلاة والسلام حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترءوا عليه من محاجته
عليه الصلاة والسلام مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم أتحاجوني في الله بإدغام نون
الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الأولى قوله تعالى وقد هدان حال من ضمير المتكلم مؤكدة للإنكار فإن
كونه عليه الصلاة والسلام مهديا من جهة الله عز وجل ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه الصلاة
والسلام بعدما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبيينا تاما كما شاهدتموه ولا أخاف
ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه الصلاة والسلام في أثناء المحاجة من إصابة مكروه من جهة أصنامهم
كما قال لهود عليه الصلاة والسلام قومه إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه
الصلاة والسلام ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها قوله تعالى إلا أن يشاء ربي شيئا استثناء
مفرغ من أعم الأوقات أي لا أخاف ما تشركون به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الأوقات إلا في وقت مشيئته
تعالى من إصابة مكروه من جهتها وذلك إنما هو من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه أصلا وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام إظهار منه للانقياد لحكمه سبحانه وتعالى
واستسلام لأمره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته تعالى قوله تعالى وسع ربي كل شيء علما كأنه
تعليل للاستثناء أي أحاط بكل شيء علما فلا يبعد أن يكون في علمه تعالى أن يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الأسباب
وفي الإظهار في موضع الإضمار تأكيد للمعنى المذكور وللاستلذاذ بذكره تعالى أفلا تتذكرون أي أتعرضون عن التأمل في
أن آلهتكم جمادات بمعزل عن القدرة على شيء من نفع أو ضر فلا تتذكرون أنها غير قادرة على إضراري وفي إيراد التذكر دون التفكر
ونظائره إشارة إلى أن أمر أصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف إلا على التذكر قوله تعالى وكيف أخاف ما أشركتم
استئناف مسوق لنفي الخوف عنه عليه الصلاة والسلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الإلزامي بعدما نفي عنه
بحسب الواقع ونفس الأمر والاستفهام لإنكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله
الآية لا لإنكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله إلى آخره وفي توجيه الإنكار إلى كيفية
الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى نفسه بأن يقال أأخاف لما أن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال
وكيفية من الكيفيات قطعا فإذا انتفى جميع أحوال الخوف وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني قوله
تعالى ولا تخافون أنكم أشركتم بالله حال من ضمير أخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة إلى
الضمير العائد إلى ذي الحال وهو مقرر لإنكار الخوف ونفيه عنه عليه الصلاة والسلام ومفيد لاعترافهم به
فإنهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلأن لا يخاف عليه الصلاة والسلام في محل الأمن أولى وأحرى أي وكيف أخاف
أنا ما ليس في حيز الخوف أصلا وأنتم لا تخافون غائلة ما هو أعظم المخوفات وأهولها قوله تعالى ما لم ينزل به عليكم سلطانا أي ما لم ينزل بإشراكه
على طريقة التهكم مع الإيذان بأن الأمور الدينية لا يعول فيها إلا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق
الخوف الثاني بإشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الأدب ما لا يخفى هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى ولا تخافون إلى
آخره معطوف على أخاف داخل معه في حكم الإنكار والتعجب فمما لا يساعده سداد المعنى لما أن التعجب فيهما
كيف لا وقد عرفت أن الإنكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى إلى نفي الخوف عنه عليه الصلاة والسلام ونفي نفيه عنهم
وأنه بين الفساد وحمل الإنكار في الأول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع مما لا مساغ له على
قوله تعالى فأي الفريقين أحق بالأمن ناطق ببطلان ذلك حتما فإنه كلام مرتب على إنكار خوفه صلى الله عليه وسلم
في محل الأمن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لإلجائهم إلى الاعتراف باستحقاقه عليه الصلاة والسلام

لما هو عليه من الامن ولعدم استخفافهم بما هو حقيق به والمجيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له
لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق
الآمن في محل الامن والفريق الآمن في محل الخوف فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن
انا ام انتم لتأكيد الالجاء الى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز
عن تزكية النفس **ان كنتم تعلمون** المفعول بمحذوف او تعويل على ظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون من
احق بذلك وتقصدون الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا وما من شأنه ان يعلم اي ان كنتم تعلمون من اولي العلم وجواب الشرط
محذوف اي فاخبروني **الذين آمنوا** استئناف من جهته تعالى مبين للحق الذي لا محيد عنه اي الفريق
الذين آمنوا **ولم يلبسوا ايمانهم** اي لم يخلطوه **بظلم** اي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون
انهم يؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم الاصنام من تمام ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقريب والتقرب كما قالوا
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط **اولئك** اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز
الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ ثان وقوله **لهم الامن**
خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الاول الذي هو الموصول او عطف
بيان له وهو خبر الموصول والامن فاعل للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما والامن
مبتدأ والجملة خبر الموصول ويجوز ان يكون اولئك مبتدأ ثانيا ولهم خبره والامن فاعله والجملة خبر الموصول
اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط **وهم مهتدون** الى الحق ومن عداهم
في ضلال مبين روي انه لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم
ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود
الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وليس من قضية الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة
وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الاول لوروده مورد الجواب عن حال الفريقين
وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه الصلاة والسلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله اتحاجوني الى قوله
تعالى مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شأن المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته
في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى **حجتنا** خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى
آتيناها ابراهيم اي ارشدناه اليها او علمناه اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى
الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا
بدل او بيان للمبتدأ وابراهيم مفعول اول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى **على قومه**
متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك او بمحذوف ان جعل بدلا اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتيناها
نرفع بنون العظمة وقرئ على طريقة الالتفات وكذا الفعل الآتي **درجات** اي رتبا عالية عظيمة من العلم
والحكمة وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز والمفعول قوله
تعالى **من نشاء** وتأخيره على الوجوه الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشيئة
محذوف اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على
ان ذلك سنة جارية مستمرة فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عليه الصلاة والسلام وقرئ
بالاضافة الى من والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي في محل النصب على انها حال من فاعل
آتينا اي حال كوننا رافعين **ان ربك حكيم** في كل ما يفعل من رفع وخفض **عليم** بحال من يرفعه واستعداده
له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عليه الصلاة والسلام موضع نون

العظمة

العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان احوال ابراهيم عليه الصلاة والسلام اظهار لمزيد لطف وعناية به
صلى الله عليه وسلم **ووهبنا له اسحاق ويعقوب** عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا فان عطف كل من الجملة
الاسمية والفعلية على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناها لان له محلا من
الاعراب رفعا ونصبا حسبما بين من قبل فلو عطف عليه هذا لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيين
للرابطة ولا سبيل اليه هاهنا **كلا** مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما
مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اي كل واحد منهما **هدينا** لا احدهما دون الآخر وترك ذكر المهدي
اليه لظهور انه الذي اوتي ابراهيم وانهما مقتديان به **ونوحا** منصوب بمضمر يفسره هدينا **من قبل**
اي من قبل ابراهيم عد هدايته نعمة على ابراهيم عليهما الصلاة والسلام لان شرف الوالد سار الى الولد **ومن
ذريته** الضمير لابراهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات
وهبة الاولاد الانبياء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيامة كل ذلك لالزام من ينتمي الى ملته
عليه الصلاة والسلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية
ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الآية والتي بعدها واما
المذكورون في الآية الثالثة فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء الانبياء عليهم
مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولادة من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابراهيم
والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل
واسحاق مع ان اسماعيل عم يعقوب **داود وسليمان** منصوب بالمضمر المذكور او بما سبق وكذا ما عطف
عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشأنه مع ما في المفاعيل من نوع طول
وما يخل تأخيره بتجاوب النظم الكريم وهو ناظر الى من ذريته داود وسليمان **وايوب** هو ابن اموص بن
اسباط عيص بن اسحاق **ويوسف وموسى وهارون** او بالمحذوف وقع حالا من المذكورين اي وهدينا
حال كونهم من ذريته **وكذلك** اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير **نجزي المحسنين** جزاء مثل ذلك الجزاء
لتقدير القصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس وبمماثلة جزائهم لجزائه عليه الصلاة
والسلام مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالمكافأة بين الاعمال والاجزية من غير تحقق المماثلة من كل
وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد الانبياء مما اختص به ابراهيم عليه الصلاة والسلام والاقرب ان
لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من فنون الكرامات
وما فيه من معنى البعد لما مر من الايذان بعلو طبقته والكاف مقحم واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء
كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر فاعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار
اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء آخر ادنى منه
والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه
اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها **وزكريا** هو ابن ادن **ويحيى** ابنه **وعيسى** هو
ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات **والياس** قيل هو ادريس جد نوح فيكون بيانا
مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عليهما الصلاة والسلام **كل** اي كل واحد من اولئك
المذكورين **من الصالحين** اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي
والجملة اعتراض جيء بها للثناء عليهم بالصلاح **واسماعيل واليسع** هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ واليسع وهو على

القرآن بن عطاء العجمي أدخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع
وسع واللام كما في يزيد في قول ابن ميادة رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله
ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن هاران بن اخي ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكلا اي وكل واحد من
اولئك المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون بعض على العالمين على عالمي عصرهم والجملة اعتراض
كالتي قبلها وقوله تعالى ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن
ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا
ومن تبعيضية اي وفضلنا بعض آبائهم الخ واجتبيناهم عطف على فضلنا اي اصطفيناهم وهديناهم
الى صراط مستقيم تكرير للتأكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه ذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم
من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا هدى الله الاضافة للتشريف
يهدي به من يشاء من عباده وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه تعالى متفضل
بالهداية ولو اشركوا اي هؤلاء المذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون
من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم واعمالهم اعمالهم اولئك اشارة الى الانبياء المذكورين
الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم الصلاة والسلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت
الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل
والشرف وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد كان من
افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه تفهيم ما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل
والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين
والحكم اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب والنبوة اي الرسالة فان يكفر بها اي بهذه
الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقيين هؤلاء اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبما انزل اليه من القرآن كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من
الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فقد وكلنا بها اي امرنا برعايتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها
قوما ليسوا بها بكافرين في وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية
كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام كما حقق في مقامه
قال ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل كل من آمن من بني آدم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للايمان بالانبياء وبالكتب المنزلة
اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل
والتكليف دون المنسوخ منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها كما وقع تحقيقه في تفسير سورة
المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شأنهم في حق كتابهم
ومن اعتقاد حقيتها كما هو شأنهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم وقد قيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر
بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها واياما كان فتنكير قوما للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة
على الفواصل والثانية لتأكيد النفي واما تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما مر آنفا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم اوالي البقية وقال الصوفي
وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما
فاما ليسوا بها بكافرين قطعا بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم مندوحة عن ايمان هؤلاء
فمن هذا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف المذكورة فان بايمانهم بالقرآن والعمل باحكامه يتحقق

الغنية عن ايمان الكفرة بها والعمل باحكامها واما الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام فايمانهم بها ليس من قبيل
ايمان آحاد الامة كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين هدى الله اي الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة
الهداية فبهداهم اقتده اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان
بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف
حقها ان تسقط في الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا اجراء للوصل مجرى الوقف واقتداء بالامام وقرئ باشباعها على
انها كناية المصدر قل لا اسألكم عليه اي على القرآن او على التبليغ فان مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من
جهتكم كما لم يسأله من قبلي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا من جملة ما امر عليه الصلاة والسلام بالاقتداء بهم
فيه ان هو اي ما القرآن الا ذكرى للعالمين اي عظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون
آخرين وما قدروا الله حق قدره لما بين شأن القرآن العظيم وان تنزيله من احكام رحمته تعالى على كافة الامم حسبما
ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان غمطهم اياها وكفرهم بها وتجسري
ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره
ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء بمقداره واحواله واوصافه وقوله تعالى حق قدره نصب على المصدرية
وهي في الاصل صفة للمصدر اي قدره الحق فلما اضيفت الى الموصوف انتصبت على ما كانت ينتصب عليه موصوفها اي ما عرفوه
تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في شأنهم بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا منكرين
لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما ما انزل الله على بشر من شيء نفي معرفتهم لقدره سبحانه
كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجميل كما ان نفي المحبة في مثل ان الله لا يحب الكافرين
كناية عن البغض والسخط والاقرب ان معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحط بمعنى النفي في تحصيل المعرفة كما في
قول من يناجي مستقصرا لمعرفته وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك او
ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن اذ جسروا على التفوه بهذه
العظيمة الشنعاء فالنفي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي قل
لهم على طريقة التبكيت والقام الحجر وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم انشدك الله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود
فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فنحوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف
وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لما انه كان عندهم من المشاهير الغنية ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول للتعريض لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا التقييد بقوله تعالى نورا
وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الالزام اي تأكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او
من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى للناس اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة له اي هدى كائنا
للناس وليس المراد بهذا المجموع الزامهم الاعتراف بانزال التوراة فقط بل بانزال القرآن ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم
للاعتراف بانزال القرآن لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعى عليهم اخلالهم بها بالتحريف والتغيير حيث قيل
تجعلونه قراطيس اي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات متفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف
المبهم او تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كأنهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة
القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى تبدونها صفة لقراطيس وقوله تعالى وتخفون
كثيرا معطوف عليه والعائد الى الموصوف محذوف اي كثيرا منها وقيل كلاهما مستأنف لا محل له من الاعراب والمراد

بالكتب نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتموه من احكام التوراة وقرئ الافعال الثلاثة بالياء حملا
على ما قالوا وما قدروا وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قيل هو حال من فاعل تجعلونه باضمار
قد او بدونه على اختلاف القولين قلت فينبغي ان يجعل ما عبارة عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع ليكون
التقييد بالحال لتقييد تاكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء
والاخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه ماخذ علومهم ومعارفهم اشنع واعظم لا عما
تلقوه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليهم وعلى آبائهم من مشكلاتها
حسبما ينطق به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لان تلقيهم لذلك من
القرآن الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتوراة اما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق له بها نفيا ولا
اثباتا واما ما ورد بطريق البيان فلان ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس مما وقع فيها من الالتباس الاشق
واشتباه الحال الحقي عن ذلك بايضاحه وبيانه نعم يكون الجملة حينئذ خالية عن تاكيد التوبيخ فلا يستحق ان
تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ ان يكون استئنافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد
لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل الى جعل ما عبارة عما كتموه من احكام التوراة كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فانهم ما كانوا يزجرون عن الكتم مخافة الافتضاح وبمعنى الوقوع
الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما لا يليق بالتنزيل وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما
ما انذر آباؤهم وقوله تعالى قل الله امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا
يجد عنه مناصا تنبيها بانهم لجهلهم لم يقدروا على التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم يلعبون في باطلهم الذي يخوضون
فيه ولا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المتقدم او للمؤخر او
متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الاول وهذا كتاب انزلناه تحقيق لانزال القرآن الكريم بعد تقرير انزال ما يشوق
من التوراة وتكذيبهم في كلمتهم الشنعاء اثر تكذيب مبارك اي كثير الفوائد وجم المنافع مصدق الذي بين يديه
من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي
الشرك والنهي عنه وفي اصول الشرائع التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات
ولانذارك اهل مكة وانما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها اعظم القرى شانا ومعلما لاهلها قاطبة ايذانا بان انذار
اهلها مستتبع لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل المدر
والوبر في المشارق والمغارب والذين يؤمنون بالآخرة وبما فيها من فنون العذاب يؤمنون به اي بالكتاب
لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتامل حتى يؤمنوا به وهم على صلاتهم يحافظون
تخصيص محافظتهم على الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا يتركونها لما انها عماد الدين بانافتها من بين
سائر الطاعات وكونها اشرف العبادات بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه تعالى بعثه
نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه وهو انكار لان يكون احد اظلم ممن ذكر
وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الفاشي
في قولك من افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه
او قال اوحي الي من جهته تعالى ولم يوح اليه شيء اي والحال انه لم يوح اليه شيء اصلا كعبد الله بن ابي
سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
فلما بلغ ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان
ثم قال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فقد اوحي الي كما اوحي اليه
ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا

ولو ترى

ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين اذ هم في
غمرات الموت اي شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم كالمتقاضي
المتسلط يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله او باسطوها بالعذاب
قائلين اخرجوا انفسكم اي اخرجوها الينا من اجسادكم او خلصوها من العذاب اليوم اي
وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي العذاب المتضمن لشدة
واهانة فاضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد
له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا
تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من
الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ
فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى اي على الهيئة التي ولدتم
عليها في الانفراد او حال ثانية اي مشبهين بابتداء
خلقكم في التعري عراة حفاة غرلا او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة وتركتم
ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم
انهم فيكم شركاء اي شركاء لله تعالى في الربوبية واستحقاق العبادة لقد تقطع بينكم كما يقال جمع بين
الشيئين اي اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم وخلفكم
او على ان البين اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل عنكم اي ضاع وغاب ما كنتم
تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع في تقرير بعض افاعيله تعالى
الدالة على كمال علمه وقدرته ولطيف صنعه وحكمته اثر تقرير ادلة التوحيد والفلق الشق اي شاق الحب بالنبات
والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذي في الحب والنوى اي خالقهما كذلك كما في قولك ضيق فم
الركية ووسع سفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر يخرج الحي من الميت اي
يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستانفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لان ولذا لم يعطف
ومخرج الميت كالنطفة والحب من الحي كالحيوان والنبات عطف على فالق لا على يخرج على الوجه الاول
لان اخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشان هو الله المستحق للعبادة وحده
فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا تتاملون اصلا فالق الاصباح خبر آخر لان او للمبتدا
محذوف والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اي فالق عمود الفجر عن بياض النهار
واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهي الغلس الذي يلي الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن
اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله تعالى
لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل فانتصابه بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد به الجعل المستمر في
الازمنة المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني
وان كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف الى الاول تعين نصب الثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان
على الليل وعلى القراءة الاخيرة قيل معطوفان على محل الليل والاحسن ان ينصبا بفعل مقدر وقد قرئا
بالجر وبالرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات التي
نيطت بها العبادات والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر
حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في كمال
التسيير البديع تقدير العزيز الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على

الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات التي من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم وهو الذي جعل لكم النجوم شروع في بيان نعمته تعالى في الكواكب إثر بيان نعمته تعالى في النيرين والجعل متعد إلى واحد واللام متعلقة به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أي أنشأها وأبدعها لأجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها بدل من المجرور بإعادة العامل بدل اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على أن غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة إفراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير أي جعلها كائنة لاهتدائكم في أسفاركم عند دخولكم المفاوز أو البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات البر والبحر وإضافتها إليهما للملابسة فإن الحاجة إلى الاهتداء بها إنما يتحقق عند ذلك أو في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة قد فصلنا الآيات أي بينا الآيات المتلوة المذكرة للنعم التي هذه النعمة من جملتها أو الآيات التكوينية الدالة على شؤونه تعالى مفصلة لقوم يعلمون أي معاني الآيات المذكورة ويعملون بموجبها أو يتفكرون في الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لأنهم المنتفعون به وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة تذكير لنعمة أخرى من نعمه تعالى دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته أي أنشأكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه الصلاة والسلام فمستقر ومستودع أي فلكم استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض واستيداع في الأرحام أو تحت الأرض أو موضع استقرار واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم في الأصلاب أو فوق الأرض بالاستقرار لأنهما مقرهما الطبيعي كما أن التعبير عن كونهم في الأرحام أو تحت الأرض لما أن كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الأصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف أي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فإن الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فإن لطائف صنع الله عز وجل في أطوار تخليق بني آدم مما تحار في فهمه الألباب وهو الذي في إثبات يفقهون على يعلمون كما ورد في شأن النجوم وهو الذي أنزل من السماء ماء تذكير لنعمة أخرى منبئة عن كمال قدرته وسعة رحمته أي أنزل من السحاب أو من جهة السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا فأخرجنا به التفت إلى التكلم إظهارا لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله أي فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء من الأشياء التي من شأنها النمو من أصناف النجم والشجر وأنواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وقوله تعالى فأخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما أجمل من الإخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم أي فأخرجنا من النبات الذي لا ساق له [illegible] وقوله تعالى نخرج منه صفة لخضرا [illegible] وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر [illegible] فقوله تعالى من النخل خبر مقدم وقوله تعالى من طلعها بدل منه بإعادة العامل [illegible] وقوله تعالى قنوان مبتدأ [illegible]

وأخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان أو ومن النخل شيء من طلعها قنوان وهي جمع قنو وهو عذق النخل كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها أيضا على أنه اسم جمع لأن فعلان ليس من أبنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فإنها وإن كانت صغيرة ينالها القاعد يأتي بالثمر لا ينتظر الطول أو ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها للدلالة بها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من أعناب عطف على نبات كل شيء أي وأخرجنا به جنات كائنة من أعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء أي ولكم أو ثمة جنات وقد يجوز عطفه على قنوان كأنه قيل وحاصلة أو مخرجة من النخل قنوان وجنات من نبات أعناب ولعل زيادة الجنات هاهنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر لما أن الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالبا إلا عند اجتماع طائفة من أفراده والزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم أو على العطف على نبات وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفي به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز أن يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حالا من الأول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الأوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها انظروا إلى ثمره إذا أثمر أي انظروا إليه نظر اعتبار واستبصار إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرئ إلى ثمره وينعه أي وإلى حال نضجه كيف يصير إلى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع في الأصل مصدر ينعت الثمرة إذا أدركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي لغة فيه وقرئ يانعه إن في ذلكم إشارة إلى ما أمر بالنظر إليه وما في اسم الإشارة من معنى البعد لما مر من علو رتبة المشار إليه وبعد منزلته لآيات لقوم يؤمنون أي لآيات عظيمة أو كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فإن حدوث هاتيك الأجناس المختلفة والأنواع المتشعبة من أصل واحد وانتقالها من حال إلى حال على نمط بديع تحار في فهمه الألباب لا يكون إلا بإحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ند يعارضه أو ضد يعانده ولذلك عقب بتوبيخ من أشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء أي جعلوا في اعتقادهم الذي شأنه أن يفصل في تضاعيف هذه الآيات الجلية شركاء الجن أي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم بالنسبة إلى مقام الألوهية أو الشياطين حيث أطاعوهم كما أطاعوا الله تعالى أو عبدوا الأوثان بتسويلهم وتحريضهم أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن وقدم ثانيهما على الأول لاستعظام أن يتخذ لله سبحانه شريك كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وأبو إسحاق أو منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كأنه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن أي جعلوا الجن ويؤيده قراءة أبي حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر على أن الإضافة للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد أو بدونه على اختلاف القولين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها أي وقد علموا أن الله تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء أي والحال أن الله تعالى خلق الجن فكيف يجعل المخلوق شريكا لخالقه تعالى وقرئ وخلقهم عطفا على الجن أي وما يخلقونه من الأصنام أو على شركاء أي

وجعلوا الجن خلقهم الآية حيث نسبوا اليه تعالى **وخرقوا له** اي افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ خرّقوا بالتشديد للتكثير وقرئ وحرّفوا اي زوّروا **بنين وبنات** فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله **بغير علم** اي من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤكد له اي خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم **سبحانه** استئناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الى الذات المقدسة اي تنزه بذاته تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله سبحانه **وتعالى** فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة وفيه معنى التباعد قيل **عما يصفون** اي تعالى عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا

بديع السموات والارض اي مبدعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبدع يطلق على المبدَع نص عليه ائمة اللغة كالصريع بمعنى المصرع وقد جاء بدعه بمعنى انشأه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق او الى الظرف كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور في سبحانه على رأي من يجيزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على انه خبر مبتدأ محذوف او فاعل تعالى واظهاره في موضع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفاعل للاهتمام ببيانه او مبتدأ وقوله تعالى **انى يكون له ولد** خبره وهو على الاولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى **ولم تكن له صاحبة** حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاولى مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثاني اي من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس له على زعمهم صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل او لان الاسم ضميره تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدأ والجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشأن لصلاحية الجملة حينئذ لان تكون مفسرة لضمير الشأن لا على الوجه الاول كما بين في موضعه من ان ضمير الشأن لا يفسر الا بجملة صريحة وقوله تعالى **وخلق كل شيء** اما جملة مستأنفة لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اي انى يكون له ولد والحال انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا له فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه **وهو بكل شيء**

من شانه

من شانه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار الى الاظهار **عليم** مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما ينبئ عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التي ما زعموه فرد من افرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترؤا عليها بغير علم **ذلكم** اشارة الى الموصوف بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدأ وقوله تعالى **الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء** اخبار اربعة مترادفة اي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو المستحق للعبادة خاصة ذلك المعبود لا شريك له اصلا خالق كل شيء مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقية ما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي وقيل الخبر هو الاول والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقي اخبار وقيل يقدر لكل من الاخبار الثلاثة مبتدأ وقيل الجمل الثلاث خبر لاسم واحد وقوله تعالى **فاعبدوه** حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى **وهو على كل شيء وكيل** عطف على الجملة المتقدمة اي وهو مع تلك الصفات الجليلة متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا امركم اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم الدنيوية والاخروية **لا تدركه الابصار** البصر حاسة النظر وقد يطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اي لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب في العطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية على الاطلاق وقد روي عن ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة **وهو يدرك الابصار** اي يحيط بها علما اذ لا تخفى عليه خافية **وهو اللطيف الخبير** فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى **قد جاءكم بصائر من ربكم** استئناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهو النور الذي تستبصر به النفس كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة ههنا او جميع الآيات المنتظمة لها انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم **فمن ابصر** اي الحق بتلك البصائر وآمن به **فلنفسه** اي فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها **ومن عمي** اي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمي تقبيحا له وتنفيرا عنه **فعليها** اي فعليها عمي او فعماه اي وبال عماه **وما انا عليكم بحفيظ** وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها **وكذلك نصرف الآيات** اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا ادنى منه وقوله تعالى **وليقولوا درست** علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق عليه اي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اي مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام الامر وينصره القراءة بسكون اللام كانه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بانه ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست اي قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا

اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد درسها وقرئ درست على البناء للمفعول
بمعنى قرئت او عفيت وقرئ دارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم
بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهو في الحقيقة لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها
محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب وقرئ درس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات
او ذات دروس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام في قوله تعالى لقوم
يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس اولياؤه
الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة
اتبع ما اوحي اليك من ربك لما حكى عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بامره عليه الصلوة
والسلام بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي
اليك من الشرائع والاحكام التي عمدتها التوحيد والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة
والسلام من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد
لايجاب اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اي منفردا في الالوهية واعرض
عن المشركين لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا ومن جعله منسوخا باية
السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اي عدم اشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة
في حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا دليل على
انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده
منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا
قوله تعالى وما جعلناك عليهم حفيظا اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله
تعالى وما انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما
بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي لا تشتموهم
من حيث عبادتهم لآلهتهم كان تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق
الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم اي بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عدوا
يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعدوانا وعداء روي انهم قالوا عند نزول
قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فقيل كان
المسلمون يسبونها فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية
راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك اي مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل امة عملهم من الخير
والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم و
بعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم ثم الى ربهم مرجعهم اي رجوعهم
بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تاخير بما كانوا يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم
وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة
ابية وهي ان كل ما يظهر من هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة
لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة
تستحسنها النفوس وفيه ان ايمانهم فاجرة وايمانهم مما لا تدخل تحت الوجود وان احب الى ما سألوا وما يشعركم
انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به في نفسه اي واي شيء يعلمكم ان الآية التي يقترحونها
اذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم

فكانه بسط

فكانه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فيتوجه الانكار الى الاشعار
والمشعر به جميعا اي اي شيء يعلمكم ايمانهم عند مجيء الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعا في ايمانهم فيكون تخطئة
لرأي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل من قولهم ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك ولعلك وكلها بمعنى ويؤيده
انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما
يدريك لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شيء يعلمكم حالهم وما سيكون منهم عند مجيء الآيات
لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمني مجيئها انما يليق بما اذا كان ايمانهم محقق الوجود عند
مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استئناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم ايمانهم
وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءت لا يؤمنون
فيرجع الانكار الى اقسام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما
هي الآن ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم
انا نقلب افئدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه
واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم
في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار كما لم يؤمنوا به او
بما جاء من الآيات اول مرة اي عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اي لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة
والابصار بينهما لانه من متمماته بعدم ايمانهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري
مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافئدة والابصار معرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره
بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجهها اليه واستعدادها له بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشانهم
بعدما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تاثير اللطف فيهم اصلا ويطبع على قلوبهم حسبما
يقتضيه استعدادهم كما اشير اليه وقوله تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تعالى يعمهون حال
من ضمير المنصوب اي ندعهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم
عامهين وقرئ يقلب ويذرهم بالياء على اسنادهما الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده
الى افئدتهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة تصريح بما اشعر به قوله عز وجل وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون
من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الآيات اثر بيان انها في حكمته تعالى وقضائه مبنية على الحكم
البالغة لا مدخل في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة بل لتحقيق كما سألوا بقولهم لولا
انزل علينا الملائكة وقولهم لو ما تاتينا بالملائكة وكلمهم الموتى وشهدوا بحقية الايمان بعد ان احييناهم حسبما
اقترحوه بقولهم فاتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اي جمعنا تضمينا وقيل بضمتين جمع قبيل اي كفلاء بصحة
الامر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب
لقوله تعالى او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا اليهم كل شيء يتاتى منه
الكفالة والشهادة لا افرادى بل بطريق المعية ... على انه جمع قبيل وهو اوفق لعموم كل شيء
وشموله لانواع الاصناف اي حشرنا كل شيء نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية
وجمعيته باعتبار الكل المجموعي الذي للكل الافرادي او مقابلة عيانا على انه مصدر كقبلا وقرئ قبلا
وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة انه بمعنى الجهة
كما في قولك لي قبل فلان حق وان انتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا اي ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم
في العصيان وغلوهم في التمرد واما سبق القضاء عليهم بالكفر فمن الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله

عز وجل فنذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى إلا أن يشاء الله استثناء مفرغ من أعم الأحوال والالتفات
إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة أي ما كانوا ليؤمنوا مع اجتماع ما ذكر من الأمور الموجبة للإيمان
في حال من الأحوال الداعية إليه المتممة لموجباته المذكورة إلا في حال مشيئته تعالى لإيمانهم أو من أعم العلل أي
ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها إلا لمشيئته تعالى وأيا ما كان فليس المراد بيان أن إيمانهم على خطر
الوقوع بناء على أن تكون مشيئته كذلك بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كأنه قيل ما كانوا ليؤمنوا
إلا أن يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله تعالى ونقلب أفئدتهم الآية وقوله عز
وجل ولكن أكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في أن ذلك
مما يجهله المسلمون وهو الظاهر أو المقسمون ليس عدم إيمانهم بل عدم مشيئة الله تعالى لإيمانهم ومن حمل النظم
الكريم على المعنى الأول فالتعليل مما يعتقده الأولون ولا مما يدعيه الآخرون بل إنما هو عدم إيمانهم لعدم مشيئته
إيمانهم ومرجع الجهل هو عدم مشيئته إياه فالمعنى أن حالهم كما شرح ولكن أكثر المسلمين يجهلون عدم
إيمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لإيمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة
لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الخ فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة
بيان لمنشأ خطأ المقسمين ومناط إقسامهم وتقرير له على القراءة الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم
أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما كان يشاهده من عداوة قريش له صلى الله عليه وسلم وما بنوا عليها من الأقاويل والأفاعيل
ببيان أن ذلك ليس مختصا بك بل هو أمر ابتلي به كل من سبقك من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومحل الكاف
النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم من قوله تعالى جعلنا لكل نبي عدوا أي مثل ما جعلنا لك
عدوا والتقديم على الفعل للقصر المفيد للمبالغة والمعنى مثل ذلك الجعل الذي جعلناه في حقك حيث جعلنا لك
عدوا يضادونك ويضارونك ولا يؤمنون ويبغونك الغوائل ويدبرون في إبطال أمرك مكايد جعلنا
لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك أعداؤك لا جعلا أنقص منه وفيه دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء عليهم
الصلاة والسلام بخلقه تعالى للابتلاء شياطين الإنس والجن أي مردة الفريقين على أن الإضافة بمعنى
من البيانية وقيل هي إضافة الصفة إلى الموصوف والأصل الإنس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام
أي الشياطين التي للإنس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد إلى واحد أو إلى اثنين وهو أول مفعوليه
قدم عليه الثاني مسارعة إلى بيان العداوة واللام على التقدير متعلق بالجعل أو بمحذوف هو حال
من عدوا وقوله تعالى يوحي بعضهم إلى بعض كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام عداوتهم وتحقيق وجه
الشبه بين المشبه والمشبه به أو حال من الشياطين أو نعت لعدوا ورجع الضمير باعتبار المعنى فإنه عبارة عن الأعداء
كما في قوله إذا أنا لم أنفع صديقي بوده فإن عدوي لم يضرهم بغضي والوحي عبارة عن الإيماء والقول السريع أي
يلقي ويوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض كل من الفريقين إلى بعض آخر زخرف القول أي المموه
منه المزين ظاهره الباطل باطنه من زخرفه إذا زينه غرورا مفعول له ليوحي أي ليغروهم أو مصدر في
موضع الحال أي غارين أو مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي أي يغرون غرورا ولو شاء ربك رجوع
إلى بيان الشئون الجارية بينه عليه الصلاة والسلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام وبين أممهم كما ينبئ عنه الكلام الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة
إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لإظهار كمال اللطف في التسلية أي ولو شاء ربك عدم الأمور المذكورة لا إيمانهم
كما قيل فإن القاعدة المستمرة أن مفعول المشيئة إنما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وقوله
تعالى ما فعلوه أي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وإيحاء بعضهم إلى بعض من زخارف الأقاويل الباطلة المتعلقة

بأمرك خاصة لا بما يعمه وأمور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أيضا كما قيل فإن قوله تعالى فذرهم وما يفترون
صريح في أن المراد بهم الكفرة المعاصرون له صلى الله عليه وسلم أي إذا كان ما فعلوه من أحكام عداوتك من فنون
المفاسد بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم أو وما يفترونه من أنواع المكايد فإن لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك
تلك عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتة ولتصغى إليه أي إلى زخرف القول وهو على الوجه
الأول علة أخرى للإيحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وإنما لم ينصب لفقد شرطه إذ الغرور فعل الموحي
أي يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروهم ولتميل إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة إنما خص بالذكر عدم
إيمانهم بالآخرة دون ما عداها من الأمور التي يجب الإيمان بها وهي مما فيها من الكفر وقت إشعار بما هو المدار في
صغو أفئدتهم إلى ما يلقى إليهم فإن لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره وآلامها مزينة بالشهوات فالذين
لا يؤمنون بها ولا يلحقون ما فيها لا يدرون أن وراء تلك المكاره لذات وفي هذه الشهوات آلاما وإنما ينظرون إلى ما بدا
لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون إلى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الأقاويل ومموهات الأباطيل
فأما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين إلى عواقب الأمور لم يتصور منهم الميل إلى تلك المزخرفات
لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها وأما على الوجهين الأخيرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام
أي وليكون ذلك جعلنا لهم ما جعلنا واللام في ولتصغى لام العاقبة أو لام القسم ولام الأمر وضعفه في غاية
الظهور وليرضوه لأنفسهم بعدما مالت إليه أفئدتهم وليقترفوا أي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ما
هم مقترفون له من القبائح التي لا يليق ذكرها أفغير الله أبتغي حكما كلام مستأنف وارد على إرادة
القول والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام أي قل لهم أأميل إلى زخارف الشياطين فأبتغي
حكما غير الله يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وقيل إن مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اجعل بيننا وبينك حكما من أحبار اليهود أو من أساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فنزلت وإسناد
الابتغاء المنكر إلى نفسه عليه الصلاة والسلام لا إلى المشركين كما في قوله تعالى أفغير دين الله يبغون مع أنهم الباغون
لإظهار كمال النصفة أو لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير إما مفعول لأبتغي وحكما حال منه وإما
بالعكس وأيا ما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما أشير إليه للإيذان بأن مدار الإنكار
هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء وقيل حكما تمييز لما في غير من الإبهام كقولهم إن لنا غيرها إبلا
قالوا الحكم أبلغ من الحاكم وأدل على الرسوخ لما أنه لا يطلق إلا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم
وقوله تعالى وهو الذي أنزل إليكم الكتاب جملة حالية مؤكدة للإنكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الإنزال
إليهم خاصة مع أن مقتضى المقام إظهار تساوي نسبته إلى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم
قبول حكمه بإيهام قوة نسبته إليهم أي أغيره تعالى أبتغي حكما والحال أنه هو الذي أنزل إليكم وأنتم أمة أمية
لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب مفصلا أي
مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الأحكام بحيث لم يبق في أمر الدين شيء من التخليط والإبهام
فأي حاجة بعد ذلك إلى الحكم وهذا كما ترى صريح في أن القرآن الكريم كاف في أمر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله
وأما أن يكون لإعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك
بالحق كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته تعالى لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به أمر الحكمية وتقرير
كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان أن الذين وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم حسبما نقل من علماء اليهود والنصارى
عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التوراة والإنجيل باسم الكتاب إيماء إلى ما بينهما وبين
القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الإيجاز وإيراد
الطائفتين بعنوان إيتاء الكتاب للإيذان بأنهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه

موافقاته في الأصول وما لا يختلف من الفروع ويخبر عن أمور لا طريق إلى معرفتها سوى الوحي وقال الجلال
أما علماؤهم فيعرفون وهو الظاهر فالإثبات هو التحقيق بالفعل وأما الكل وهو داخل فيه دخولاً أولياً فهو يعم
ما ذكر ومن التحقيق بالقوة ولا ريب في أن الكل متمكن من ذلك وقيل المراد مؤمنو أهل الكتاب وقرئ منزل
من الإنزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه عليه الصلاة
والسلام والباء في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالاً من الضمير المستكن في منزل أي ملتبساً بالحق
فلا تكونن من الممترين أي في أنهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار العلم وأحكام المعرفة فالفاء
لترتيب النهي على الإخبار بعلم أهل الكتاب بشأن القرآن أو في أنه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والإلهاب
كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للأمة وإن كان له صلى الله عليه وسلم صورة
وقيل الخطاب لكل واحد على معنى أن الأدلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه والفاء
على هذه الوجوه لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القرآن وتمت كلمت ربك شروع في بيان كمال الكتاب المذكور
من حيث ذاته إثر بيان كماله من حيث إضافته إليه تعالى بكونه منزلاً منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم أهل الكتاب
والمعبر عنه بالكلمة لأنها الأصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات
ربك صدقاً وعدلاً مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى لا مبدل
لكلماته إما استئناف مبين لفضلها على غيرها إثر بيان فضلها في نفسها وإما حال أخرى من فاعل تمت
على أن الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى أنها بلغت الغاية القاصية صدقاً في الأخبار والمواعيد
وعدلاً في الأقضية والأحكام لا أحد يبدل شيئاً من ذلك بما هو أصدق وأعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور
ابتذاله بغيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن أن يعلم فيدخل في ذلك أقوال
المتحاكمين وأحوالهم الظاهرة والباطنة دخولاً أولياً وقد قيل المعنى لا أحد يقدر على التحريف فيها كما فعل
بالتوراة فيكون ضماناً لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون أو لا نبي
ولا كتاب بعدها ينسخها وإن تطع أكثر من في الأرض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما
يوجبها من إنزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة أحكامه وامتناع
وجود من يبدل شيئاً منها واستبداده تعالى بالإحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان
أن الكفرة متصفون بنقائض تلك الكمالات من النقائص التي هي الضلال والإضلال واتباع الظنون الفاسدة
الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه إبانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيراً عن الركون إليهم والعمل
بآرائهم والمراد بمن في الأرض الناس وبأكثرهم الكفار وقيل أهل مكة والأرض أرضها أي إن تطعهم بأن جعلت
منهم حكماً يضلوك عن سبيل الله وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يقتدون وجهالاتهم
وآراؤهم الباطلة على أن المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية كأنه
قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في أمور دينهم إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً فيضلون ويضلون لا
ريب في أن الضال المتصدي للإرشاد إنما يرشد غيره إلى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى وإن هم إلا
يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه أي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون إليه تعالى كاتخاذ الولد
وجعل عبادة الأوثان ذريعة إليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها أو يقدرون أنهم على شيء
وأنهم هم ذلك وروي [illegible] وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين إن ربك هو أعلم من يضل
عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتأكيد لما يفيده من التحذير أي هو أعلم
بالفريقين فاحذر أن تكون من الأولين ومن موصولة أو موصوفة في محل النصب لا بنفس أعلم فإن أفعل التفضيل
لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصور بل بفعل دل هو عليه أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل

بالجملة

فالجملة معلقة عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على أن من فاعل يضل ومفعوله محذوف
ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر أي هو أعلم يعلم من يضل الناس فيكون تأكيداً للتحذير عن طاعة
الكفرة وإما أن الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر أي يعلم من يضل أو مجرورة بإضافة أعلم إليها
أي أعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله أو من قولك أضللته إذا وجدته ضالاً [illegible] للسياق
والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه أمر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة إضلالهم تحريم الحلال
وتحليل الحرام وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم
فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسمه تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط أو مع اسمه تعالى أو
مات حتف أنفه إن كنتم بآياته التي من جملتها الآيات الواردة في هذا الشأن مؤمنين فإن
الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحله الله والاجتناب عما حرمه الله وجواب الشرط محذوف لدلالة
ما قبله عليه وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه إنكار لأن يكون لهم شيء يدعوهم إلى الاجتناب عن أكل ما ذكر عليه
اسم الله تعالى من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم جملة حالية مؤكدة للإنكار كما
في قوله تعالى وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا أي وأي سبب حاصل لكم في
أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه أو وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا والحال أنه قد فصل لكم ما
حرم عليكم بقوله تعالى قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على الآية فبقي ما عداها على الحل لا بقوله تعالى
حرمت عليكم الميتة الآية لأنها مدنية وتأخرها في التلاوة لا يوجب التأخر في النزول وقرئ الفعلان
على البناء للمفعول وقرئ الأول على البناء للفاعل والثاني للمفعول إلا ما اضطررتم إليه مما حرم فإنه
أيضاً حلال حال الضرورة وإن كثيراً ليضلون من الكفار بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي وأضرابه
وقد قرئ يضلون بأهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة
مستند إلى الوحي إن ربك هو أعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام
وذروا ظاهر الإثم وباطنه أي ما يعلن من الذنوب وما يسر وقيل ما يعمل منها بالجوارح وبالقلب وقيل
الزنا في الحوانيت واتخاذ الأخدان إن الذين يكسبون الإثم أي يكتسبون الظاهر والباطن سيجزون
بما كانوا يقترفون كائناً ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للأمر ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم
الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمداً كان أو نسياناً وإليه ذهب داود وعن أحمد بن حنبل
مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله
وفرق أبو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان وأوله بالميتة أو ما ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله وإنه لفسق
فإن الفسق ما أهل به لغير الله والضمير لما ومحل [illegible] الأكل المدلول عليه بلا تأكلوا والجملة مستأنفة وقيل
حالية وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم المراد بالشياطين إبليس وجنوده وإيحاؤهم وسوستهم إلى
المشركين وقيل مردة المجوس فإيحاؤهم إلى أوليائهم ما أنهوا إلى قريش بالكتاب أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله
ثم يزعمون أن ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام ليجادلوكم بالوساوس الشيطانية أو بما نقل من الأباطيل وهو
توجيه التأويل بالميتة وإن أطعتموهم في استحلال الحرام وساعدتموهم على أباطيلهم إنكم لمشركون ضرورة
أن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك به تعالى بل آثره عليه سبحانه أومن كان
ميتاً فأحييناه وقرئ ميتاً تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين إثر تحذيرهم عنها بالإشارة
إلى أنهم مستضيئون بأنوار الوحي الإلهي والمشركون خابطون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل إطاعتهم لهم والهمزة
للإنكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام أي أنتم مثلهم ومن كان ميتاً

الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة **وجعلنا له** مع ذلك من الخارج **نورا** عظيما **يمشي به** اي بسببه
والجملة استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فما يصنع بذلك النور فقيل يمشي به **في الناس** اي
فيما بينهم آمنا من جهتهم او صفة له **كمن مثله** اي صفته العجيبة وهو مبتدأ وقوله تعالى **في الظلمات**
خبره على ان المراد بها اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته اسمر وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف
وهي مع مجرورها خبر للاولى وقوله تعالى **ليس بخارج منها** حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول
اي حال كونه ليس بخارج منها بحال وهذا كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل
اريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالايات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء
لكن لا على ان يدل لكل واحد من هذه المعاني على ما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه بما
يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة
في كل واحد من جانبي المثل هيئة على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين
على حدة تشبيهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد
اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الاية الى ان ذلك القبيل قسم برأسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة
حقيقة وان الاستعارة التمثيلية من عبارات تجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه
كهذين المثلين ونظائرهما فقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها بها
يوم حلوها وغدوا بلاقع **كذلك** اي مثل ذلك التزيين البليغ **زين** اي زينه الله عز وجل بطريق الخلق
عند ايجاد الشياطين او زينته الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل **للكافرين** الثابتين على التمادي
الشيطانية الاخذين بالزخرفات التي يخرجها اليهم **ما كانوا يعملون** ما استمروا على عمله من فنون الكفر
والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق
وقيل الاية نزلت في حمزة رضي الله تعالى عنه وابي جهل وقيل في عمر وعمار رضي الله عنهما وابي جهل **وكذلك**
قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها **جعلنا في كل قرية** من سائر القرى **اكابر مجرميها**
ليمكروا فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو وقيل الظرف واكابر
على ان مجرميها بدل او مضاف اليه بناء على ان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ
اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها المفعول الاول والثاني في كل قرية وليمكروا فيها ولا يخفى ان بعض ما يراد من هذه المعاني
لا بد ان يكون مشهورا محققا عند الناس حتى يصلح ان يجعل الاشارة الى سياق النظم
ونرجو من ما انتظاره يخرج الضمير للتشبيه ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى
توجيهها الى ما يفهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون والذي اثر هنا ان كلمة ذلك حينئذ للاشارة الى المعنى
بعد المشار اليه جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها فان ذلك الاقرب
ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم الاقرب تاويل الفريق او المذكور ومحل الكاف
على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الاية والاول اكابر
مجرميها والظرف لغو اي ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابرها
اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها
اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **وما يمكرون الا بانفسهم**
اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلته الا بهم **وما**
يشعرون حال من ضمير يمكرون اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون
بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى **واذا جاءتهم آية** رجوع الى بيان حال مجرمي اهل

صح

مكة بعد

مكة بعدما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة
انما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين اي اذا جاءتهم آية بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم **قالوا لن نؤمن**
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل عليه الصلوة
والسلام فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى
صريح في ان ما علق بايتاء ما اوتي الرسل عليهم الصلوة والسلام هو ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل
اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الاطلاق خلا ان الذي يستدعيه ويحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي
ومخاطبة جبريل عليه الصلوة والسلام في الجملة فان تصحيح رسالته وقوله تعالى **الله اعلم حيث يجعل رسالاته**
عن ظاهرها وحمل على رسالة جبريل عليه الصلوة والسلام على الوجه المذكور وبيانه جعلها تبليغها الى المرسل اليه
لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول ليتسنى كونه جوابا عن اقتراحهم ورد اله بانه يكون بمعنى الاقتراح لكن
لا من يكون ذلك الايمان له من عند الله تعالى الى الرسول حتى يأتينا جبريل بالذات عيانا كما يأتي الرسل فيخبرنا
بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبريل عليه الصلوة والسلام اليه لامر من الامور ايذانا بانهم
بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التعمل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بني
عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا
حتى يأتينا وحي كما يأتيه وقال الضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله تعالى
عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان ملائما
للرد المذكور لكن مقتضاه ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله
عليه وسلم في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان تكون كلمة حتى في قول اللعين حتى يأتينا وحي كما يأتيه
الى آخره غاية لعدم الرضا لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقدير اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن
برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل ما اوتي رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل الله وان
ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني
اكبر منك سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المحكي وما له ان يحمل الايمان المعلق بما ذكر
مجرد الايمان بكون الاية النازلة وحيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة الى النبي عليه الصلوة والسلام فيكون المعنى
واذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحق
دونه فان الحكمة تقتضي قوله لو كانت النبوة حقا الى آخره لكان ما نزعمه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذا لم
يكن الامر كذلك فليست بحق وما له تعليق الايمان بحقيقة النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت
لمصدر محذوف وما مصدرية اي حتى نؤتى ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون
لايتائه عليه الصلوة والسلام حيث نصب على المفعولية تحوسا لان انفسهم لغلطهم لعرقت ان لا يستحل في ذلك بل
بالفضل اي هو اعلم بمحل الوضع الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال
والولد ومعاضدة الاسباب والعدد وانما ينال بالفضائل النفسانية يخص بها الله تعالى من يشاء من خلص عباده
وقرئ رسالته **سيصيب الذين اجرموا** استيناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد
ما نعى عليهم حرمانهم مما املوه والسين للتأكيد ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم
لاجرامهم المستتبع للشرور والقبائح اي يصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة النبوة
وشرف الرسالة **صغار** اي ذلة وحقارة بعد كبرهم **عند الله** يوم القيمة وقيل من عند الله **وعذاب شديد**
في الآخرة او في الدنيا **بما كانوا يمكرون** اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم موادهم
صح بسببه **فمن يرد الله ان يهديه** اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان **يشرح صدره للاسلام**

فينفسح له وينفسح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه
اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا
هل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله
ومن يرد ان يضله اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو
عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول
مصدر وصف به مبالغة كانما يصعد ما هي مصدرية لم تكن على الجعل المقدر في السماء شبهه
مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة
وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق
وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد كذلك اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا
على الوجه المذكور يجعل الله الرجس اي العذاب او الخذلان قال مجاهد الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب
في الاخرة على الذين لا يؤمنون اي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر اشعارا بانه تعالى يعلل
عما في جبلتهم من تمانعهم عن الايمان واصرارهم على الكفر وهذا اي البيان الذي جاء به القرآن او الاسلام
او ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك اي طريقه الذي ارتضاه او عادته وطريقته التي اقتضتها
حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك الصراط للتربية مستقيما لا عوج
فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد
فصلنا الايات بيناها مفصلة لقوم يذكرون فيتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من
الحوادث خيرا كان او شرا فانما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما
يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الايات لهم دار السلام اي للمتذكرين
دار السلامة من كل المكاره وهي الجنة عند ربهم اي في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى
وهو وليهم اي مولاهم ومحبهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها او متولي ايصالها
اليهم ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على
الالتفات لتهويل الامر والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين اي واذكر يوم نحشر الثقلين قائلين يا معشر الجن
يكون من الاحوال والاهوال ما لا يستطاع الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين
قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم
استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التقريع والتوبيخ وقال اولياؤهم اي الذين اطاعوهم ومن في قوله تعالى
من الانس اما بيانية للجن او للاولياء وهم الذين والوهم من الانس او متعلق بمحذوف هو حال من اوليائهم
اي كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به
وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما القوا اليهم
وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون
على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع
الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية
على حكاية كلام الضالين للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا قال استئناف مبني
على سؤال نشا من حكاية كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال النار مثواكم اي منزلكم او ذات
ثوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة
ان جعل مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس رضي الله عنه استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون

ويصدقون

ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مبني على ان الاستثناء ليس من المحكي وقيل المعنى الا الاوقات
التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من
بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا
صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين في الاستثناء تهكم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل
النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى بعده ان ربك حكيم في افعاله عليم باحوال الثقلين واعمالهم وبما
يليق بهما من الجزاء وكذلك اي ومثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم نولي بعض الظالمين
من الانس بعضا اخر منهم اي نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في
العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقترافهم ما يؤدي اليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا
مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ
الفريقين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم
وبيان ما لهم الم ياتكم في الدنيا رسل اي من عند الله عز وجل لكن لا على ان ياتي كل رسول كل واحدة من الامم
على ان ياتي كل امة رسول خاص بها اي الم يات كل فرقة منكم رسول معين وقوله تعالى منكم متعلق بمحذوف
وقع صفة اي كائنة من جملتكم لكن لا على انهم من جنس واحد للفريقين معا بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما
اما لتاكيد وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك
مكن الله تعالى احدهما من اضلال الاخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد استمعوا
القران وانذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى يقصون عليكم اياتي
صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد تحصل ذلك بالنسبة الى الثقلين
وينذرونكم بما في تضاعيفها من القوارع لقاء يومكم هذا يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من افانين
العقوبات الهائلة قالوا استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية التوبيخ كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ
الشديد فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اي باتيان الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب
وباستحقاقهم بسبب ذلك العذاب المخلد حسبما فصل في حكاية تحسرهم عن سؤال الخزنة النار حيث قالوا بلى
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقد اجمل هاهنا في الحكاية كما اجمل في حكاية
جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا مع ما عطف عليه
اعتراض لبيان ما ادى بهم في الدنيا الى ارتكاب القبائح التي ارتكبوها والجاهم في الاخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب
العذاب وذم لهم بذلك والمعنى واغتروا في الدنيا بالحيوة الدنية واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذي
بشرت به الرسل واجترؤوا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذي انذروهم اياه وشهدوا في الاخرة على انفسهم انهم
كانوا في الدنيا كافرين اي بالايات والنذر التي اتى بها الرسل على التفصيل المذكور انفا واضطروا الى الاستسلام
لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم
وتحذير السامعين من مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب
العذاب والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدا خبره قوله تعالى ان لم يكن ربك مهلك القرى
بحذف اللام على ان ان مصدرية او مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم متعلق
اما بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى اي ملتبسة بظلم فان قلت حيثية اهلها الظلم ملابسة للقرية
له بواسطتهم واما كونه حالا من ربك او من ضمير فيه من مهلك كما قيل فياباه ان غفلة اهلها ماخوذة في معنى الظلم وحقيقته
لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى واهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن
ربك مهلك القرى بسبب اي ظلم فعلوه من انواع الظلم قبل ان ينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به بديهة العقول

ويتذكروا عاقبة تجبرهم اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر
ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولاعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو
اهلاك القرى قبل الانذار مع ان التوبيخ في قبيل بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل كما ينطق به
قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي
معا من غير انذار على ابلغ وجه وآكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي ليثبت نفي التعذيب الاخروي
عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون
انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى ولاجل ما علل بما ذكر من نفي التعذيب فاقتصر بحسب المقام
الى ما قيل الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي العذاب الدنيوي غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة
ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان ترتيب التعذيب الدنيوي على الانذار عند عدم تاثر المنذرين منه معلوم
مشاهد عند السامعين فيستبدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي ايضا كذلك نحو ودعوى الاجلال
بموجب الانذار اشد انزجار وهذا الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما جعل ذلك اشارة الى ارسال
الرسل عليهم الصلوة والسلام وانذارهم وخبر المبتدا محذوف كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام
والله سبحانه اعلم **ولكل** من المكلفين من الثقلين **درجات** متفاوتة وطبقات متباينة **مما عملوا** من
اعمالهم الصالحة كانت او سيئة من اجل اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء مرتبة
منتهية لهم او من اجل اعمالهم **وما ربك بغافل عما يعملون** فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحق
بها من ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة **وربك الغني ذو الرحمة** مبتدا وخبر
اي هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا ما كان وما كان فيدخل في غناه عن عبادتهم وفي التعرض
لوصف الربوبية في الموضعين لا سيما في الثاني لكونه موقع الاضمار مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم
على من اظهار اللطف به عليه الصلوة والسلام والتنويه بشأنه عن نزول الوعيد الآتي ايضا
ما لا يخفى وقوله تعالى ذو الرحمة خبر آخر او هو الخبر والغني صفة اي يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم
ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد
لقوله تعالى **ان يشا يذهبكم** اي ما به حاجة اليكم ان يشا يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من
تشديد الوعيد ما لا يخفى **ويستخلف من بعدكم** اي من بعد اذهابكم **ما يشاء** من الخلق وايثار ما على من
لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء **كما انشأكم من ذرية قوم آخرين** اي من نسل قوم آخرين
لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه الصلوة والسلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية
ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على غير الصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء
كائنا كانشائكم الخ او نعت لمصدر الفعل المذكور اي يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الخ والجملة الشرطية
استيناف مقرر لما قبلها من الغنى والرحمة **ان ما توعدون** اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من
الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي **لآت** لواقع لا محالة كقوله تعالى انما
توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما
يعرب عنه قوله تعالى **وما انتم بمعجزين** اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول وكان
ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة
الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على
دوام الانتفاء كما حقق في موضعه **قل يا قوم اعملوا على مكانتكم** اثر ما بين لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب

امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر
لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم
واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانا
ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم **اني عامل** ما امرت
به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر
مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يؤدي اليه وتسجيل بان
المهدد لا ياتي منه الا الشر كالذي امر به بحيث لا يجد الى التقصي عنه سبيلا **فسوف تعلمون من تكون له
عاقبة الدار** سوف لتاكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن اما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها
الرفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها وهي مع خبرها في محل نصب لسدها مسد مفعول تعلمون اي فسوف
تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على
انها مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف في المقال وتنبيه على
كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي **انه** اي الشان **لا يفلح الظالمون**
وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح يترتب على اي فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر
الذي هو اعظم افراده **وجعلوا** شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقاويلهم وافاعيلهم الشنيعة وهم
مشركو العرب كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله تعالى واشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه
لآلهتهم زاكيا تركوه معتلين بان الله تعالى غني وما ذاك الا لحبهم آلهتهم وايثارهم لها والجعل
اما متعد الى واحد فالجاران في قوله تعالى **لله مما ذرأ** متعلقان به ومن في قوله تعالى **من الحرث والانعام**
بيانية وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان
جعلوا الزاكي له اي عينوا له تعالى مما خلقه من الحرث والانعام **نصيبا** يصرفونه الى الضيفان والمساكين
والتاخير عن المجرورين لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما الى مفعولين اولهما مما ذرأ على
ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان الاول نصيبا والثاني لله لا يساعده سداد
المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا تدل على انهم جعلوا لشركائهم ايضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بضم الزاي وهو لغة فيه ولعل تقييد الاول بالزعم للتنبيه
على انه في الحقيقة ليس بجعل الله تعالى غير مستتبع لشيء من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى
لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد
به الثاني ويجوز ان يكون ذلك تمهيدا لما بعده على معنى انه قولهم هذا لله مجرد زعم لا يعملون بمقتضاه الذي هو
اختصاصه به تعالى فقوله تعالى **فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم**
بيان وتفصيل له اي ما عينوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيفان
والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زاكيا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من
انفاق عليها وذبح نسائك عندها والاجرة على سدنتها ونحو ذلك **ساء ما يحكمون** فيما فعلوا من ايثار
آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي والتقدير ساء الذي يحكمونه حكمهم فيكون
مبتدا وما قبله الخبر وحذف المبتدا لدلالة يحكمون عليه **وكذلك** ومثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بوادهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له
كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وهو المشهور **شركاؤهم** اي اولياؤهم من الجن او من السدنة
وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد

مجرى الشركاء بإضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع
شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين كأنه لما قيل زين لهم قتل اولادهم قيل من زينه فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم
اي ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه الصلاة
والسلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من
السدنة ولو شاء الله اي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه اي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء
التزيين او الارداء او اللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون
الفاء فصيحة اي اذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك فان لهم
الله تعالى حكما بالغة انما امهلهم لتزداد آثامهم فيلقوا عذابا اليما وفيه من الشدة ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع
آخر من انواع كفرهم هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم والتأنيث للخبر انعام وحرث حجر اي حرام فعل
بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث
وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج اي ضيق واصل حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون
خدم الاوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة اخرى لانعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل
قالوا اي قالوا ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى
هذه انعام الخ اي قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها يعنون بها
البحائر والسوائب والحوامي وانعام اي وهذه انعام كما مر وقوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة
لانعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له
عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله على احد التفاسير كأنه قيل وانعام
ذبحت على الاصنام فانها التي لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها
فان الحج لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها
لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا افتراء عليه نصب على المصدر [illegible]
تقول على الله تعالى او ما على تقدير عامل من لفظه اي افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة
له لا بافتراء لان المصدر المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اي مفترين او على العلة اي للافتراء والجار متعلق به
سيجزيهم بما كانوا يفترون اي بسببه او بدله وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لفن
آخر من فنون كفرهم ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم
خاصة والتاء للنقل الى الاسمية او للمبالغة او لان الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة او بتقدير
المضاف اي ذو خالصة او لان تأنيثه على ان ما عبارة عن الاجنة والتذكير في قوله تعالى ومحرم على ازواجنا
اي جنس ازواجنا وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل النظم الكريم على خلاف المعهود الذي هو الحمل على
اللفظ اولا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الخ ونظائره
واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة
اي ان ولد ميتا فهم اي الذكور والاناث فيه اي فيما في بطون الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى
فغلب الاول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا وقرئ خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور
وقرئ خالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان سيجزيهم وصفهم اي جزاء
وصفهم الكذب على الله تعالى في امر التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم
تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر

الذين قتلوا

الذين قتلوا اولادهم جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب الذين كانوا
يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر [illegible] سفها بغير علم متعلق بقتلوا على انه
علة له اي لخفة عقلهم وجهلهم بان الله هو الرزاق لهم ولاولادهم او نصب على الحال ويؤيده انه قرئ
سفهاء او مصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها افتراء على الله نصب على احد الوجوه
المذكورة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم
وما كانوا مهتدين اليه وان هدوا بفنون الهدايات او وما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة
حينئذ اعتراض وعلى الاول عطف على ضلوا وهو الذي انشأ جنات معروشات تمهيد لما سيأتي من تفصيل
انواع الانعام اي هو الذي انشأهن من غير شركة لاحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات من الكروم المرفوعات
على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه
وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل والزرع عطف على جنات اي انشأهما مختلفا اكله
وقرئ اكله بسكون الكاف اي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه للزرع
والباقي مقيس عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما مختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء
والزيتون والرمان اي انشأهما متشابها وغير متشابه نصب على الحالية اي يتشابه بعض
افرادهما في اللون والهيئة او الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر فان لم
يدرك ولم ينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده
اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكاة المقدرة فانها فرضت بالمدينة
والسورة مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن
وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء ولا تسرفوا
اي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كلها ولم يدخل منه شيئا الى منزله
كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي اسرافهم ومن الانعام حمولة
وفرشا شروع في تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحليل والتحريم وهو عطف على
مفعول انشأ ومن متعلقة به اي وانشأ من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من
صوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كأنها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله
اي كلوا مما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى اي حلال لكم وفيه
تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا في امر التحليل والتحريم بتبعية اسلافكم المجاوزين
في ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان فان ذلك منه باغوائه واستتباعه اياهم
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما
النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيأتي من الانكار المتعلق
بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وما في بطنها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بما نصبهما وجعله مفعولا لكلوا
على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الآية معترض بينهما [illegible] مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور
انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل
الاولى الى الابل والبقر وتفصيل الثاني الى الضأن والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير
المواد التي تقولوا فيها عليه سبحانه بالتحريم من الضأن اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو
العامل في من اي انشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس
كالابل وجمعه ضئين كأمير او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله

شريك له في حمله أي وأنشأ من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب
وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى وهذه الأزواج الأربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل
مع تأخر أصلها في الإجمال لكون هذين النوعين عرضة للأكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة
وهو السر في الاقتصار على الأمر به في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله حلالا من غير تعرض للانتفاع
بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة وأخواتها قل تلوين للخطاب وتوجيه له
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إثر تفصيل الأنعام التي أنشأها أي قل تبكيتا لهم وإظهارا لانقطاعهم عن
الجواب آلذكرين من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم أي الله عز وجل كما تزعمون أنه هو المحرم
أم الأنثيين وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والأنثيين بحرم وهو منع عنهما بحسب المعنى
وإن توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أي أم ما حملت إناث
النوعين حرم ذكرا كان أو أنثى وقوله تعالى نبئوني بعلم إلخ تكرير للإلزام وتثبيت للتبكيت والإفحام
أي أخبروني بأمر معلوم من جهة الله تعالى من كتاب أو أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدل على أنه
تعالى حرم شيئا مما ذكر أو نبئوني تنبئة ملتبسة بعلم صادر عنكم إن كنتم صادقين أي في دعوى
التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى ومن الإبل اثنين عطف على قوله تعالى من الضأن اثنين أي وأنشأ
من الإبل اثنين هما الجمل والناقة ومن البقر اثنين ذكرا وأنثى قل إفحاما لهم في أمر هذين النوعين
أيضا آلذكرين منهما حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من ذينك النوعين
والمعنى إنكار أن الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الأنواع الأربعة وإظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر
من الذكور والإناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بإيراد الإنكار على كل مادة من مواد افترائهم
فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيفما كانت تارة أخرى مسندين كل ذلك إلى الله
سبحانه وتعالى وإن تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الأمر بالاستنباء والإنكار مع
حصول التبكيت بإيراد الأمر بعد تفصيل الأنواع الأربعة بأن يقال آلذكور حرم أم الإناث أم ما اشتملت عليه أرحام
الإناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيت والإلزام وقوله تعالى أم كنتم شهداء تكرير للإفحام
كقوله تعالى نبئوني بعلم وأم منقطعة ومعنى الهمزة الإنكار والتوبيخ ومعنى بل الإضراب عن التوبيخ بما ذكر إلى
التوبيخ بوجه آخر أي بل أكنتم حاضرين مشاهدين إذ وصاكم الله بهذا أي حين وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم
لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما يقوده مذهبكم إلى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة والسماع وفيه من
تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم يحرم والمراد
كبراؤهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحي بن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر أو الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه
وتعالى أي فأي فريق أظلم من فريق افترى والكلام في الظلمية للكل لكون بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين
لهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم وإظهار كذبهم وافترائهم أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان
للنفي صريحا للأظلمية تحوق المساواة كما مر غير مرة ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف
وقع حالا من فاعل افترى أي افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وإنما وصفوا بعدم العلم بذلك
مع أنهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى إيذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فإن من افترى عليه
تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه إذا كان أظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه
تعالى وهو يعلم أنه لم يصدر عنه ويجوز أن يكون حالا من فاعل يضل أي متلبسا بغير علم بما يؤدي بهم إليه إن الله
لا يهدي القوم الظالمين كائنا من كان إلى ما فيه صلاح حالهم عاجلا وآجلا وإذا كان هذا حال المتصفين
بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو في أقصى غاياته قل أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إلزام المشركين

وتبكيتهم

وتبكيتهم وبيان أن ما يتقولونه في أمر التحريم افتراء بحت لا أصل له قطعا بأن يبين لهم ما حرم عليهم وفي
قوله تعالى لا أجد فيما أوحي إلي محرما إيذان بأن مناط الحل والحرمة هو الوحي وأنه عليه الصلاة
والسلام قد تتبع جميع ما أوحي إليه وتفحص عن المحرمات فلم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان
انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف أي لا أجد ريثما تصفحت ما أوحي إلي طعاما محرما من المطاعم
التي حرمتموها على طاعم أي طاعم كان من ذكر أو أنثى ردا على قولهم محرم على أزواجنا وقوله
تعالى يطعمه لزيادة التقرير إلا أن يكون أي ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء لتأنيث الخبر
وقرئ ميتة بالرفع على أن كان تامة وقوله تعالى أو دما مسفوحا إلخ عطف على أن مع ما في حيزه
أي إلا وجود ميتة أو دما مسفوحا أي مصبوبا كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد أو لحم خنزير
فإنه أي الخنزير رجس أي لحمه قذر لتعوده أكل النجاسة أو خبيث أو فسقا عطف على لحم خنزير
وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته أهل لغير الله به صفة له موضحة أي ذبح على اسم الأصنام وإنما
سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز أن يكون فسقا مفعولا له لأهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع
إلى ما رجع إليه المستكن في يكون فمن اضطر أي أصابته الضرورة الداعية إلى أكل الميتة بوجه من الوجوه
المضطرة غير باغ على مضطر آخر ولا عاد قدر الضرورة فإن ربك غفور رحيم مبالغ
في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال لبيان أنه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة
المبحوث عنها بل للتحذير عن حرام آخر هو أخذه حق مضطر آخر فإن من أخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر
فأكله فإن حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقا للمضطر الآخر وأما المثال الثاني
فلتحقق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فإن التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث إنه
لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة إيذان بأن المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية
محكمة لأنها تدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يجد فيما أوحي إليه تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد
ذلك في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الأشياء التي هي غيرها إلا مع
الاستصحاب وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم من الأولين والآخرين حرمنا كل ذي
ظفر أي كل ما له أصبع من الإبل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا
والمسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وفي
تحقيق المسألة من حصر المحرمات فيما فصل إبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيب لهم في ذلك فإنهم كانوا
يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فإنها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى
والإضافة لزيادة الربط إلا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما
عن حكم التحريم أو الحوايا عطف على ظهورهما أي ما حملت الحوايا وهي جمع حاوية أو حاوياء كقاصعاء وقواصع
أو حوية كسفينة وسفائن أو ما اختلط بعظم عطف على ما حملت وهو شحم الألية لاختلاطها بالعظم
لاتصالها بعجب الذنب وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الأضلاع وغيرها ذلك إشارة إلى الجزاء أو التحريم فهو على
الأول نصب على أنه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني على أنه مفعول ثان له أي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم
بسبب ظلمهم وهو قتلهم الأنبياء بغير حق وأكلهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل كقوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وكانوا كلما أتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما أحل لهم وهم
ينكرون ذلك ويدعون أنها لم تزل محرمة على الأمم فرد عليهم ذلك وأكد بقوله تعالى وإنا لصادقون
أي في جميع أخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد ألقمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا

ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين. روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها ما يلجمهم أوضح بيان. **فإن كذبوك** قيل الضمير لليهود لأنهم أقرب ذكراً ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الإشراك وقيل للمشركين فالمعنى على الأول إن كذبك اليهود في الحكم المذكور وأصروا على ما كانوا عليه من قدم التحريم **فقل** لهم **ربكم ذو رحمة واسعة** لا يؤاخذكم بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها **ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين** بالكلية فلا تنكروا ما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديداً. وعلى الثاني فإن كذبك المشركون فيما فصل من أحكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فإنه إمهال لا إهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فأقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه إلى آخره لتضمنه التنبيه على إنزال البأس عليهم مع الدلالة على أنه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم أصلاً. **سيقول الذين أشركوا** حكاية لفن آخر من كفرهم وإخبار بوقوعه قبل وقوعه ثم وقع حسبما أخبر به كما يحكيه قوله تعالى وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن في الكتاب من عند الله تعالى **لو شاء الله ما أشركنا** أي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لما فعلنا الإشراك **نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء** أرادوا به أن ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله تعالى إياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلاً للمعتزلة ويؤيده قوله تعالى **كذلك كذب الذين من قبلهم** أي مثل هذا التكذيب لك في أن الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فإنه صريح فيما قلنا وعطف آباؤنا على الضمير للفصل بلا **حتى ذاقوا بأسنا** الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم **قل هل عندكم من علم** من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم **فتخرجوه لنا** فتظهروه لنا **إن تتبعون إلا الظن** أي ما تتبعون في ذلك إلا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئاً **وإن أنتم إلا تخرصون** تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الإطلاق بل فيما يعارضه قطعي **قل فلله الحجة البالغة** أي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد إثبات الحكم وتطلبه **فلو شاء لهداكم أجمعين** بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هدايتكم أجمعين بل هداية البعض الصارفين اختيارهم إلى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم إلى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم **قل هلم شهداءكم** أي أحضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف على لغة أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على رأي الجمهور وقد خالفهم البعض في فعليته وليس بشيء وأصله عند البصريين ها لم من لم إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل لا تدخل الأمر ويكون متعدياً كما في الآية ولازماً كما في قوله تعالى هلم إلينا **الذين يشهدون أن الله حرم هذا** وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وإنما أمروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفوا بما يدل على أنهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم **فإن شهدوا** بعدما حضروا بأن الله حرم هذا **فلا تشهد معهم** أي فلا تصدقهم فإنه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فساده فإن تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة **ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا** من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير فإن من اتبع الحجة

لا يكون

لا يكون إلا مصدقاً بها **والذين لا يؤمنون بالآخرة** كعبدة الأوثان عطف على الموصول الأول بطريق عطف الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله: إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم فإن من يكذب بآيات الله تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس **وهم بربهم يعدلون** أي يجعلون له عديلاً عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع أهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الإشراك به سبحانه لكن لا على أن يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على أن أولئك جامعون لها متصفون بكلها **قل تعالوا** لما ظهر بطلان ما ادعوا من أن إشراكهم وإشراك آبائهم وتحريمهم ما حرموه بأمر الله تعالى ومشيئته بظهور عجزهم عن إخراج شيء يتمسك به في ذلك وإحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في أمر التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد أخرى عجزاً بيناً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه على الأسلوب الحكيم إيذاناً بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات وأما الأطعمة المحرمة فقد ثبتت بقوله تعالى قل لا أجد فيما أوحي إلي الآية. وتعالوا أمر من التعالي والأصل فيه أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو في أسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما أن الغنيمة في الأصل إصابة الغنم من العدو ثم استعملت في إصابة كل ما يصاب منهم ثم اتسع فيه في الفوز بكل مطلوب من غير مشقة **أتل** جواب الأمر وقوله تعالى **ما حرم ربكم** منصوب به على أن ما موصولة والعائد محذوف أي أقرأ الذي حرمه ربكم أي الآيات المشتملة عليه أو مصدرية أي الآيات المشتملة على تحريمه أو على أنها استفهامية والجملة مفعول لأتل لأن التلاوة من باب القول كأنه قيل أتل أي شيء حرم ربكم **عليكم** متعلق بحرم على كل حال وقيل بأتل والأول أنسب بمقام الاعتناء بإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم فإن تذكير كونه تعالى ربهم ومالك أمرهم على الإطلاق من أقوى الدواعي إلى انتهائهم عما نهاهم عنه أشد انتهاء وأن في قوله تعالى **أن لا تشركوا به** مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الأوامر والنواهي عليه ولا يبعد من ضرورة كون المعطوف عليه مفسراً لتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات أيضاً كذلك حتى يمتنع انتظام الأوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيراً لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة بأضداد ما تعلقت به فإن الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كأن الأوامر ذكرت وقصد لوازمها فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد أن المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بأن المأمور به لا يكون محرماً دليل واضح على أن التحريم راجع إلى أضدادها على الوجه المذكور فكأنه قيل أتل ما حرم ربكم أن لا تشركوا ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه قد أخرج مخرج الأمر بالإحسان إليهما بين النهيين المفيد له للمبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما فإن مجرد ترك الإساءة إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن الإشراك الذي هو أعظم المحرمات وأكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواقع وقيل أن ناصبة ومحلها النصب بعليكم على أنه للإغراء وقيل النصب على البدلية من ما حرم وقيل من عائده المحذوف على أن لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا بزيادة لا وقيل ما لا بد عليه التأويل في الأوامر من جعلها التي يختلج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى **شيئاً** نصب على المصدر أو المفعولية أي لا تشركوا به شيئاً من الإشراك أو شيئاً من الأشياء **وبالوالدين** أي وأحسنوا بهما **إحساناً** وقد مر تحقيقه **ولا تقتلوا أولادكم** تكليف متعلق بحقوق الأولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين أي ولا تقتلوهم بالوأد **من إملاق** أي من أجل فقر كما في قوله تعالى خشية إملاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذا في المتوقع وقوله تعالى **نحن نرزقكم وإياهم** استئناف لتعليل النهي وإبطال سببية ما يتخذونه سبباً لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لأرزاقهم أي نحن نرزق الفريقين لا أنتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى **ولا تقربوا الفواحش** كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا فكان

فاحشة الآية لانه تحتي ههنا هنا بصيغة الجمع قصدا الى النهي عن انواعها ولذلك ابدل عنها قوله تعالى
ما ظهر منها وما بطن اي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ
الاخدان كما هو عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها واما لان
قربانها داع الى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة
بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا في حكم الاموات
وقد قال عليه الصلوة والسلام في حق العزل ذلك الوأد الخفي ومن ههنا تبين ان حمل الفواحش على الكبائر مطلقا
وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به ظاهر الاثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله اي حرم قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تعالى
الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تقتلوها في حال من الاحوال الا حال ملابستكم بالحق الذي هو امر الشرع
بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة او من اعم الاسباب اي لا
تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا
كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور المذكورة ذلكم اشارة الى ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في ذلك من معنى البعد
للدلالة على علو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى وصاكم به اي امركم به ربكم
امرا مؤكدا خبره والجملة استئناف جيء به تجديدا للعهد وتاكيدا لايجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الامور
المنهي عنها مما يقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى لعلكم تعقلون اي تستعملون
عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم توجيه النهي الى قربانه
لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء اي لا تتعرضوا له بوجه من
الوجوه الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب للاولياء
والاوصياء لقوله تعالى حتى يبلغ اشده فانه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كانه قيل احفظوه حتى
يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما في قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد
جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب او شد ككفر واكفر وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان
بالقسط اي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها اي ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به
عقيب الامر بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم
واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان اي المقول له او عليه ذا قربى اي ذا قرابة
منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله اوفوا اي ما عهد اليكم
من الامور المعدودة او اي عهد كان فيدخل فيما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور
وتقديمه للاعتناء بشانه ذلكم اشارة الى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد ما ذكر فيما قبل وصاكم به امركم
به امرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه
احكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذه آيات محكمات لم ينسخهن
شيء من جميع الكتب وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن
كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الآيات وان
هذا صراطي اشارة الى ما ذكر في الآيتين من الامر والنهي قاله مقاتل وقيل الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات
التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى اضافته الى ضميره عليه الصلوة والسلام مبني
على العمل بها والدعوة اليها وقوله تعالى مستقيما حال مؤكدة ومحل ان مع ما في حيزها الجر بحذف لام العلة اي ولان
هذا صراطي اي مسلكي مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل اتباعه

صراطه عليه السلام لا بكونه صراط الله تعالى مع انه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه عليه الصلوة والسلام
فيه داع للخلق الى الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف
وقرئ ان هذه المخففة من ان على ان اسمها الذي هو ضمير الشان محذوف وقرئ صراطي وقرئ وهذا صراطي
وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق
بكم بحذف احدى التاءين والباء للتعدية اي فتفرقكم حسب تفرقها ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم
كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب ابلغ من اذهبه عن سبيله اي سبيل الله الذي لا عوج
فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض احكامه واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عليه الصلوة
والسلام عين سبيل الله تعالى ذلكم اشارة الى ما مر من اتباع سبيله وترك اتباع سائر السبل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع
سبل الكفر والضلالة ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا
لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه
المقام ويستدعيه النظام كانه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه
فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما ان قوله تعالى فنطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى او لم يهد لهم الخ
وما عطفه على وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام الملقن كما اجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم
الكريم فتدبر وثم للتراخي في الاخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت بالامس اعجب او للتفاوت في الرتبة
كانه قيل وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى التوراة فان ايتاءها مشتملة على الوصية المذكورة
وغيرها اعظم من التوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة اي اتماما لها على انه مصدر من اتم بحذف الزوائد
على الذي احسن اي على من احسن القيام به كائنا من كان ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا وتماما على المحسنين
او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عليه الصلوة والسلام او تماما على ما احسنه موسى عليه الصلوة والسلام
اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي
هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل
شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما اما على العلية او على المصدرية
كما اشير اليه او على الحالية وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة لعلهم اي بني اسرائيل المدلول عليهم بذكر
موسى وايتاء الكتاب والباء في قوله تعالى بلقاء ربهم متعلقة بقوله تعالى يؤمنون قدمت عليه محافظة على
الفواصل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالعذاب والثواب وهذا الذي تليت عليكم اوامره
ونواهيه اي القرآن كتاب عظيم الشان لا يقادر قدره وقوله تعالى انزلناه مبارك اي كثير المنافع دينا ودنيا
صفتان لكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه غير صريح لان الكلام مع منكريه او خبران آخران لاسم الاشارة اي انزلناه
مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنياوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى فاتبعوه لترتيب ما
بعدها على ما قبلها فان كون الكتاب عظيم الشان في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية
موجب لاتباعه ايجابا واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه ان تقولوا علة
لانزلناه المدلول عليه بالمذكور لا لنفسه للزوم الفصل حينئذ بين العامل ومعموله بالاجنبي وهو مبارك وصفا كان
او خبرا اي انزلناه كذلك كراهة ان تقولوا يوم القيامة او لم تنزله انما انزل الكتاب الناطق بتلك الاحكام العامة
لكل الامم على طائفتين من قبلنا كائنتين من قبلنا وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال بكتابيهما لانهما الذي اشتهر
حينئذ فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الاحكام لا سيما الاحكام المذكورة وان كنا ان هي المخففة من ان
واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من ان نزوله عليهما
لا ينافي عموم احكامه فلم تعملوا باحكامها العامة اي وانه كنا عن دراستهم لغافلين لا ندري ما في

كلاهما لانهم لم يكونوا على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الاحكام العامة ونحافظ عليها فان لم يكن منزلا علينا وبهذا
تبين ان معذرتهم هذه مع انهم غير مامورين بما في الكتابين باشتمالهما على الاحكام المذكورة المتناولة لكافة الامم
كما ان قطع تلك المعذرة بانزال القرآن لاشتماله ايضا عليها لا على سائر الشرائع والاحكام فقط او تقولوا
عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا لو انا انزل علينا الكتاب
كما انزل عليهم لكنا اهدى منهم الى الحق الذي هو المقصد الاقصى او الى ما فيه من تضاعيفه من جلائل الاحكام
والشرائع ودقائقها لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاخبار
والخطب والاشعار وكل ذلك ونحن اميون كما في قوله تعالى فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة
اما معلل به اي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ واما شرط له اي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم
من كونكم اهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد جاءكم بينة واي بينة اي حجة واضحة
لا يكتنه كنهها وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبينة اي بينة كائنة منه تعالى
وايا ما كان ففيه دلالة على فضلها الاضافي اي ضمير هو من بين تاكيد لايجاب الاتباع وهدى ورحمة
عطف على بينة وتنوينهما ايضا تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى
والرحمة تنبيها على انه مشتمل على ما اشتمل عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية
والرحمة فمن اظلم الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان مجيء القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب
لغاية اظلمية من يكذبه اي واذا كان الامر كذلك فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وضع الموصول موضع ضميرهم
بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم واسقاطا لهم عن رتبة الخطاب
وعبر عما جاءهم بآيات الله تعالى تهويلا للامر وتنبيها على ان تكذيب اي آية كانت من آياته تعالى كاف في
الاظلمية فما ظنك بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى انكار ان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا
له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد
به حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وقد مر مرارا وصدف
عنها اي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا
وعيدا لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم ايضا ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق
مناط الجزاء سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد النكاية بما كانوا يصدفون اي بسبب ما كانوا يفعلون
من الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما اشعر به اجراء الحكم على الموصول من علية ما في حيز
الصلة له هل ينظرون استئناف مسوق لبيان انه لا يتاتى منهم الايمان بانزال ما ذكر من البينات والهدى
وانهم لا يرعوون عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة وان الايمان عند
اتيانها مما لا فائدة له اصلا مبالغة في التبليغ والانذار وازاحة العلل والاعذار اي ما ينتظرون الا ان تاتيهم
الملائكة او ياتي ربك حسبما اقترحوا بقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وبقولهم او تاتي بالله والملائكة
قبيلا وبقولهم لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك او الا ان تاتيهم ملائكة العذاب او ياتي امر ربك بالعذاب
والانتظار محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ ياتيهم بالياء لان تانيث الملائكة غير حقيقي او ياتي بعض آيات
ربك اي غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظائم الآيات التي علقوا
بها ايمانهم والتعبير عنها بالبعض كما ان اضافة الآيات في الموضعين الى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية
كذلك واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وباتيانه
سبحانه وتعالى اتيان كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من اتيان بعض آياته تعالى
على ان المراد بها اشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة

العرب والدجال

العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونار تخرج من عدن
كما نطق به الحديث الشريف وحيث لم يكن اتيان هذه الامور مما ينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الآيات فان
تعليق ايمانهم باتيانها انتظار منهم له ظاهرا حمل الانتظار على التمثيل المبني على تشبيه حالهم في الاصرار على
الكفر والتمادي في العناد الى ان تاتيهم تلك الامور الهائلة التي لا بد لهم من الايمان عند مشاهدتها البتة بحال
المنتظرين لها وانت خبير بان النظم الكريم سيق في تعليل النبي عن تماديهم في تكذيب آيات الله تعالى وعدم الاعتداد
بها وسيأتي فيه النطق بعدم نفع الايمان عند اتيان ما ينتظرونه فبيت الحد بحمل ذلك في امور هائلة
مخصوصة بهم اما بان عبارة عما اقترحوه او عن عقوبات مترتبة على جناياتهم كاتيان الملائكة العذاب
واتيان امره تعالى بالعذاب على الانسب للسياق من قوله تعالى قل انتظروا انا منتظرون واما حمل على ما ذكر
من اتيان ملائكة الموت واتيانه كل آيات القيامة وظهور اشراط الساعة مع شمول اتيانها لكل بر وفاجر
وشمول غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام على ان بعض اشراط الساعة ليس مما ينسد به باب
الايمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الآيات في قوله عز وعلا يوم ياتي بعض آيات ربك على ما يعمه وما اقترحوا
وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي يدور عليه فلك التكليف فانه بمنزلة الكبرى من الشكل
الاول فيتم التقريب بحصول ما ينتظرونه في ذلك دخولا اوليا ويوم منصوب بقوله تعالى لا ينفع فان المانع
عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد
محذوف اي لا ينفع فيه نفسا من النفوس ايمانها حينئذ لانكشاف الحال وكون الامر عيانا ومدار قبول
الايمان ان يكون بالغيب كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقرئ لا تنفع بالتاء لكون الفاعل مكتسبا
التانيث من المضاف اليه تانيثا وقوله تعالى لم تكن آمنت من قبل اي من قبل اتيان بعض
الآيات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتماله على ضمير الموصوف ولا ضير فيه لانه غير اجنبي منه
لاشتراكهما في العامل وقوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمراد بالترديد على النفي
المفيد لكفاية تحقق احد المعنيين في عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته
ولم تكسب فيه خيرا ومن ضرورته اشتراط النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ بتحقق الامرين اي الايمان المقدم
والخير المكسوب فيه معا بمعنى ان النافع هو تحققهما والايمان المؤخر لغو وتحصيل للحاصل لا انه مع النافع وتحققهما
شرط في نفعه كما لو كان المقدم عين المؤخر بالذات فان قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه انهما
ينفعانه عند وقوعهما بعد الايمان وقد استدل به اهل الاعتزال على عدم اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس
بناهض ضرورة صحة حمله على نفي الترديد المستلزم لعموم المفيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الامرين معا
وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقي فالمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ
نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد والخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بايهما كان حسبما
نطق به النصوص الكريمة من الآيات والاحاديث وما قيل من ان عدم الايمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير
فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على ان الموجب للخلود في النار هو العدم الاول من غير ان يكون للثاني دخل
ما في ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام مبني على توهم ان المقصود وصف النفس
بالعدمين المذكورين مجرد بيان ايجابهما للخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث في ايجابها عنه وليس كذلك
والا لكفي في البيان ان يقال لا ينفع نفسا ايمانها الحادث بل المقصد الاصلي من وصفها بذينك العدمين في
اثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث تحقيق ان موجب النفع احد ملكتيهما اعني الايمان السابق والخير المكسوب فيه
بما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلها في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل الى الاتكال كما ان عدم الاول مستقل
في ايجاب الخلود في النار فيلغو ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في ايجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني

لنفي لما انه في مع الفارق وكيف لا والخلود فيها امر لا يتصور فيه ستفاد الهلل وقال الخلاص عنها مع دخول
الجنة تمر له مراتب بعضها امر مترتب على نفس الايمان وبعضها على التقاوت تمامًا وكيفا انما يقتضي على بيان ما يوجب
اصل النفع وهو الايمان السابق مع ان التقابل لما لا يوجب اصلا لاعتبار الايمان الحادث بل قرينة ايجاب النفع
الزائد ايضا ارشاد الى التحري الاعلى وتنبيها على كفاية الادنى واقناط للكفرة عما علقوا به اطماعهم الفارغة
من اعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف
وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان ان كل ذلك لغو بحت لابتنائه على غير اساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين
كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الاية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وان الايمان الحادث كما لا ينفعهم وحده
لا ينفعهم بانضمام اعمالهم السابقة واللاحقة وان التقول المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدمين التعريض
بحال الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل واحد من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا بالاخر كما في
قوله عز وعلا فلا صدق ولا صلى تسجيلا بكمال طغيانهم وايذانا بتضاعف عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرائع في حق المؤاخذة كما ينبئ قوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة اذ تحققت هذا وقفت على ان
الاية الكريمة بمعزل من ان تكون حجة على المعتزلة من غير ان تكون حجة لهم هذا وقد قيل انها من باب اللف التقديري اي لا
ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن امنت من قبل او كسبت فيه خيرا وليس بواضح فان مبنى اللف التقديري
ان يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام غير ان ترك ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه
اياه كما مر في تفسير قوله عز وعلا ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا اي تقديري في
المفصل ذكر حشر المؤمنين كما ينبئ عنه التفصيل عنه ما عطف قوله تعالى فاما الذين امنوا الاية ولا ريب في ان ما ذكر
ههنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لا تمليحا ولا تعليقا
وتعلقهم بما تبادر مما ذكر من الآيات كالايمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعها اذ ذاك على ان ذلك مشعر بانهم
بعد ما اصابهم من الدواهي ما اصابهم بقاء على السلامة وزمانا يأتي منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال
بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد اجيب عن الاستدلال بالوجوه الاخر قصارى امرها اسقاط الاية
الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية الدالة على ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل
في الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من ان الظني بمعزل من معارضة القطعي قل لهم بعد بيان حقيقة
الحال على وجه التهديد انتظروا ما تنتظرونه من اتيان احد الامور الثلاثة لتروا اي شيء تنتظرون انا منتظرون
لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تأكيد لكون الموعد ما ينتظرونه اتيان ملائكة العذاب واتيان
امره تعالى بالعذاب كما اشير اليه وعن تضمنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لمعاينتهم ما يحيق بكفرة
من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه يوم بدر والله سبحانه اعلم ان الذين فرقوا دينهم استئناف لبيان
احوال اهل الكتابين اثر بيان حال المشركين اي بددوه وبعضوه فتمسك كل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا اي باينوا
بان تركوا بعضه وان كان يأخذ بعض لخرمته ترك الكل ومفارقته وكانوا شيعا اي فرقا تشيع كل فرقة اماما
لها قال عليه الصلوة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت
النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية
الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية
وان اختلفت اسباب دخولهم فمعنى قوله تعالى لست منهم في شيء لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة
والمؤاخذة وقيل من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة واظهار شعائر الدين الحق الذي امرت بالدعوة اليه فيكون
منسوخا باية السيف وقوله تعالى انما امرهم الى الله تعليل للنفي المذكور اي هو يتولى وحده امر اولهم واخرهم
ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويأمر بقتالهم اذا اراد وقيل المفرقون اهل

البدع

البدع والاهواء الزائغة من هذه الامة ويرده انه عليه الصلوة والسلام مأمور بمؤاخذتهم والاعتذار بان معنى
لست منهم في شيء حينئذ انت بريء منهم ومن مذهبهم وهم براء منك يأباه التعليل المذكور ثم ينبئهم اي يوم القيمة
بما كانوا يفعلون عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين
بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر على رؤوس الاشهاد ويعلمهم اي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على
الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها استئناف مبين
لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر اضدادهم قال ابن عباس رضي الله
عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات اي من جاء يوم القيمة بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة
بغير ايمان فله عشر حسنات امثالها فضلا من الله عز وجل وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل
ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر
في العدد الخاص ومن جاء بالسيئة اي بالاعمال السيئة كائنا من كان من العاملين فلا يجزى الا مثلها بحكم
الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي امر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بان يبين ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون انهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف
التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام لمزيد
تشريفه اي قل لاولئك الفريقين ارشدني ربي بالوحي وبما نصب في الافاق والانفس من الآيات التكوينية الى صراط مستقيم
موصل الى الحق وقوله تعالى دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا كما في قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما او مفعول
لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر نعت به مبالغة والقيام بمعنى العوض فاعل لاعلال فعله كالقيام
وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة
ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم اي مائلا عن الاديان الباطلة وقوله تعالى وما كان من
المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عليه الصلوة والسلام عما عليه المفترون الذين يزعمون انهم على ملته اي ما كان منهم في
امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على ملته عليه الصلوة والسلام من اهل مكة
واليهود والمشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله تعالى الله قل ان صلاتي ونسكي اعيد
الامر لما ان المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها اي عبادتي كلها وقيل وذبحي جمع بينهما بين الصلوة
كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي ومحياي ومماتي اي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من
من الايمان والطاعة اي طاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي بسكون
الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصا لا اشرك فيه لغيره وبذلك اشارة
الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اي بذلك الاخلاص
امرت لا بشيء غيره وقوله تعالى وانا اول المسلمين لبيان مسارعته عليه الصلوة والسلام الى الامتثال بما
امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه الصلوة والسلام بل الكل مأمورون به يقتدي به عليه الصلوة
والسلام من اسلم منهم قل اغير الله ابغي ربا اخر فاشركه في العبادة وهو رب كل شيء جملة حالية مؤكدة
للانكار اي والحال ان كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف يتصور ان يكون شريكا له في المعبودية ولا تكسب كل نفس الا
عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم
واما بمعنى لنحمل يوم القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اي لا يكون جناية نفس من النفوس الا
عليها ومحال ان يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص اخر حتى يتأتى ما ذكرتم وقوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى رد له بالمعنى الثاني اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم تلوين
للخطاب وتوجيه له الى الكل لتأكيد الوعد وتحرير الوعيد اي الى مالك امركم رجوعكم يوم القيمة فينبئكم يومئذ

بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الأرض أي
خلفاء الأمم السالفة أو يخلف بعضكم بعضاً أو جعلكم خلفاء الله تعالى في أرضه تتصرفون فيها على أن الخطاب عام
ورفع بعضكم في الشرف والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما آتاكم من المال والجاه
أي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده إن ربك تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم مع إضافة اسم الرب إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لإبراز مزيد اللطف به عليه الصلاة والسلام
سريع العقاب أي عقابه سريع الإتيان لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره لأن كل آت قريب أو
سريع التمام عند إرادته لتعاليه عن استعمال المبادي والآلات وإنه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغي
وفي جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مع جعل خبر الأولى صفة
جارية على غير من هي له من التنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل العقوبة بالعرض مسامح فيها
ما لا يخفى والله تعالى أعلم. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك
لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام صلى عليه أولئك واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوماً وليلة

المص إما مسرود على نمط التعديد بأحد الوجهين المذكورين في فاتحة
سورة البقرة فلا محل له من الإعراب وإما اسم للسورة فمحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص أي
مسمى به وتذكير اسم الإشارة مع تأنيث المسمى لما أن الإشارة إليه من حيث إنه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث إنه
مسمى بالسورة وإنما صحت الإشارة إليه مع عدم سبق ذكره لما أنه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم
الحاضر المشاهد وقوله عز وجل كتاب على الوجه الأول خبر مبتدأ محذوف وهو ما ينبئ عنه تعديد الحروف
كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مراداً به السورة كتاب إلخ أو اسم إشارة أشير به إليه تنزيلاً لحضور
المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف أي هذا كتاب إلخ وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر على رأي من يجوزه
مترجماً باسم بديع منبئ عن غرابته في نفسه إما بتجديد محل له بيان لكونه سورة من أفراد الكتب الإلهية حائزاً
للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبراً والمص مبتدأ أي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من أن ما يجعل
عنواناً للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها
الإخبار بها أنزل إليك أي من جهته تعالى بني الفعل للمفعول جرياً على سنن الكبرياء وإيذاناً بالاستغناء عن التصريح
بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبدأ الإنزال كما في قوله عز ذكره بلغ ما أنزل إليك من ربك
ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن أنزل عليه وجيء بالفعل على مبني كتاب عظيم الشأن أنزل إليك
خاتم الأنبياء فلا يكن في صدرك حرج منه أي شك ما كما في قوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك وإنما عبر عنه
بالحرج لما أن الشاك يعتريه ضيق الصدر كما أن المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة في
تنزيه ساحته عليه الصلاة والسلام عن نسبة الشك إليه ولو في ضمن النهي فإنه من الأحوال القلبية التي
يستحيل تأثيرها أياماً عليه الصلاة والسلام وما قد يقع من نسبته إليه في ضمن النهي فعلى طريقة التهييج والإلهاب
والمبالغة في التنفير والتحذير بإيهام أن ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلاً
فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى منه متعلق بحرج يقال حرج منه أي ضاق به
صدره أو بمحذوف وقع صفة له أي حرج كائن منه والمراد لا يكن فيك شك ما في حقيته أو في كونه كتاباً منزلاً إليك
من عنده تعالى والفاء الأولى لترتيب النهي أو الانتهاء على مضمون الجملة فإن ذلك مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية
وحصول اليقين به قطعاً وأما على الثاني فهو لترتيب ما ذكر على الإخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه

النهي إلى الحرج مع أن المراد نفيه عليه الصلاة والسلام عنه لما مر من المبالغة في تنزيهه عليه الصلاة
والسلام عن الشك فيما ذكر فإن النهي عن الشيء مما يوهم إمكان صدور المنهي عنه وأما المبالغة في النهي فإن
وقوع الشك في صدره عليه الصلاة والسلام سبب لاتصافه عليه الصلاة والسلام به والنهي عن المسبب نهي عن السبب
بالطريق البرهاني ونفي له عن أصله بالمرة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وليس هذا من قبيل لا أرينك ههنا
فإن النهي هناك وارد على المسبب مراداً به النهي عن السبب فيكون المآل نهيه عليه الصلاة والسلام عن تعاطي
ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته أي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة أن يكذبوك أو أن تقصر في
القيام بحقه فإنه عليه الصلاة والسلام كان يخاف تكذيب قومه له وإعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الأداء
ولا ينبسط له فأمنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء حينئذ للترتيب على مضمون الجملة أو على الإخبار
فإن كلاً منهما موجب للإقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعاً وإن كان إيجاب الثاني بواسطة الأول وقوله تعالى
لتنذر به أي بالكتاب المنزل متعلق بأنزل وما بينهما اعتراض توسيطه بما قبله لقوة ارتباطه به وحسماً
لتوهم أن مورد الشك هو الإنذار وقيل متعلق بالنهي فإن انتفاء الشك في كونه منزلاً من عند الله تعالى موجب للإنذار
به قطعاً وكذا انتفاء الخوف منهم أو العلم بأنه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وأنت خبير بأنه
لا يتأتى على التفسير الأول لأن التعليل للنهي عن الشك بما ذكر من الإنذار والتذكير مع إيهام ما لا يمكن صدوره
عنه عليه الصلاة والسلام مشعر بأن المنهي عنه ليس بمحذور لذاته بل لإفضائه إلى فوات الإنذار والتذكير
لا أقل من الإنذار فإن ذلك محظور بذاته لا ريب في فساده وأما على التفسير الثاني فإنما يتأتى التعليل بالإنذار
لا بتذكير المؤمنين إذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غاية لانتفائه وذكرى للمؤمنين في قوله تعالى
في حيز النصب بإضمار فعله معطوفاً على تنذر أي وتذكر المؤمنين تذكيراً أو الجر عطفاً على محل أن تنذر
أي للإنذار والتذكير وقيل في الرفع عطفاً على كتاب أو خبراً لمبتدأ محذوف وتخصيص التذكير
بالمؤمنين للإيذان باختصاص الإنذار بالكفرة أي لتنذر به المشركين وتذكر المؤمنين وتقديم
الإنذار لأنه أهم بحسب المقام اتبعوا ما أنزل إليكم كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين
بطريق التلوين وأمروا باتباع ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم قبله بتبليغه بطريق الإنذار
والتذكير وجعله منزلاً إليهم بواسطة إنزاله إليه عليه الصلاة والسلام لتأكيد ما يصححه
من الإنذار والتذكير ووجوب اتباعه وقوله تعالى من ربكم متعلق بأنزل على أن من لابتداء الغاية
مجازاً أو بمحذوف وقع حالاً من الموصول أو من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة
إلى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما أمروا به وتأكيد لوجوبه وجعل ما
أنزل هاهنا عاماً للسنة القولية والفعلية بعيد نعم يعمهما حكماً بطريق الدلالة لا بطريق العبارة
فلما كان اتباع ما أنزل الله تعالى اتباعاً له تعالى عقب الأمر بذلك النهي عن اتباع غيره تعالى فقيل
ولا تتبعوا من دونه أي من دون ربكم الذي أنزل إليكم ما يهديكم إلى الحق ومحله النصب على أنه حال من
فاعل فعل النهي أي ولا تتبعوا متجاوزين الله تعالى أولياء من الجن والإنس بأن تقبلوا منهم ما يلقونه
إليكم بطريق الوسوسة والإغواء من الأباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والأهواء الزائغة
أو من أولياء قدم عليه لكونه نكرة إذ لو أخر عنه لكان صفة له أي أولياء كائنة غيره تعالى وقيل
الضمير للموصول على حذف المضاف في أولياء أي ولا تتبعوا من دون ما أنزل أباطيل أولياء كأنه
قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين أولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الإسلام
ديناً وقوله تعالى قليلاً ما تذكرون بحذف إحدى التاءين وتخفيف الذال وقرئ بتشديدها
على إدغام التاء المهموسة في الذال المجهورة وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلاً نصب إما

بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او لزمان كذلك محذوف وما مزيدة لتأكيد القلة
اي تذكرون تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون
دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون والجملة
اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء
حالهم في عدم الامتثال بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة
وانما نصب على الحال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا
تذكركم لكن لا على توجيه النهي الى المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل الى القيد
والمقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية اهلكناها شروع
في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم على اتباع دين اولياء
وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هي الجملة بعدها ومن
قرية تمييز والضمير في اهلكناها راجع الى معنى كم اي كثير من القرى اهلكناها او في موضع نصب باهلكناها
كما في قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما في قوله تعالى اذا قمتم الى
الصلوة اي اردنا اهلاكها فجاءها اي فجاء اهلها بأسنا اي عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل
واقع موقع الحال اي بائتين كقوم لوط او هم قائلون عطف عليه اي قائلين من القيلولة نصف النهار
كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين فان واو الحال
عاطفة قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص هذين الوقتين
بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر وانفع عن الاغترار
باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصف البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما
القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه
من دينهم وينتحلونه من مذهبهم اذ جاءهم بأسنا عذابنا وعاينوا اماراته الا ان قالوا جميعا
انا كنا ظالمين اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا عليه وندامة
وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسألن الذين ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروي
اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان مبادي احوال المكلفين جميعا لكونه داخلا في التهويل
والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اي لنسألن الامم قاطبة
قائلين ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما اجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
اجبتم والمراد بالسؤال التوبيخ للكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
الاستعلام او الاول في موقف الحساب والثاني في موقف العقوبة فلنقصن عليهم اي على الرسل حين
يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم اي عالمين
بظواهرهم وبواطنهم او باحوالهم وما كنا غائبين عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من اعمالهم
واحوالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها
ودنيها يومئذ خبره وقوله تعالى الحق صفته اي والوزن الواقع يومئذ
الحق ثابت يوم يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدأ محذوف تقديره هو الحق اي
العدل السوي والقسط [illegible] واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحائف الاعمال بميزان
له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم
وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم ويشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما يثبت في صحائفهم فيقرءونها في موقف الحساب

ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة
فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص
لما روي عنه عليه الصلوة والسلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة
وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين
بناء على ان استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به
التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها
لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصورة عرضية تبرز في النشأة الاخرة بصور جوهرية
مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله
تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا
وكذا قوله عليه الصلوة والسلام في حق من يشرب من انية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد
في ذلك الا ترى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور
قبيحة فتوضع في الميزان اذا قيل ان المكلف يوم القيمة اذا ايقن ان الله تعالى حكيم منزه عن الجور يكفيه حكمه
تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها وانه لا يحيف فلا حاجة الى ان يجعل بعض الاعمال على بعض خصوصا اذا رجعة
الى خواص تلك الاعمال بل يستدعي الى خلقها الله تعالى اياه على صفات التي جهتها الفائدة في الوزن اجيب بانه تنكشف
الحال يومئذ وتظهر جميع الاشياء بحقائقها على ما هي عليه وباوصافها واحوالها في انفسها من الحسن والقبح
وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها شبهة
في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر في هذه النشأة بصورته الحقيقية
المستتبعة لصفاتها ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم فمن ثقلت موازينه تفصيل للاحكام
المترتبة على الوزن وقيل الموازين اما جمع ميزان او جمع موزون والمراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات
فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان الاخرى اي فمن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته او اعماله التي
لها قدر ووزن وعن الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه
السيئات ان يخف فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين وجمعه باعتبار معناه
كما ان جمع الموازين لذلك واما افراد ضمير موازينه فباعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو
طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما ضمير فصل
يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون
والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين للدلالة على انهم الناس الذين بلغك انهم مفلحون في الاخرة او اشارة
الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن خفت موازينه اي موازين اعماله او
اعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي اعماله السيئة فاولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم
بتلك الصفة القبيحة والجمع ومعنى البعد ما مر انفا في نظيره وهو مبتدأ خبره الذين خسروا
انفسهم اي ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وقد ابتدعتها الايات البينة وقوله تعالى بما
كانوا باياتنا يظلمون متعلق بخسروا وما مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب
قدم عليه مراعاة للفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا
اي فاولئك الموصوفون بتلك الصفة القبيحة الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر باياتنا ظالمين ولقد
مكناكم في الارض لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة

علما قليلا بالإهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في الآخرة ذكرهم ما أفاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالأمر والنهي إثر ترهيب أي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو مكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما أو ما يتوصل به إلى ذلك والوجه في قراءته إخلاص الياء وعن ابن عامر أنه همزه تشبيها بصحائف والجعل بمعنى الإنشاء والإبداع أي أنشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها أسبابا تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر إذ لو تأخر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع أن حقهما التأخر عنه لما مر مرارا من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبئا عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لوروده فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن وأما تقديم اللام على في فلما أن المذكور منفعة والاعتناء بشأنه أتم والمسارعة إلى ذكره أهم هذا وقد قيل إن الجعل متعد إلى مفعولين ثانيهما أحد الظرفين على أنه مستقر قدم على الأول والظرف الآخر إما لغو متعلق بالجعل أو بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الأول كما مر وأنت خبير بأنه لا فائدة يعتد بها في الإخبار بجعل المعايش حاصلة لهم أو حاصلة في الأرض وقوله تعالى قليلا ما تشكرون اعتراض تذييلي مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وقد بين فيما مر في تفسير قوله تعالى قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه الصلاة والسلام سارية إلى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتأخيره عن ذكر ما وقع بعده من نعمة التمكين في الأرض لأنها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة مع ما أن كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فإن رعاية الترتيب الوقوعي ربما تؤدي إلى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم لتحقيق مضمونهما لما أن العامة بمعزل من ذلك وإنما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المراد بهما خلق آدم عليه الصلاة والسلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز إلى أن لهم حظا من خلقه عليه الصلاة والسلام وتصويره لما أنهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه الصلاة والسلام كسجود الملائكة عليهم الصلاة والسلام بل من الأمور السارية إلى ذريته جميعا إذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته فكأنهم الذين تعلق بهم خلقه وتصويره أي خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه أبدع تصوير وأحسن تقويم سار إليكم جميعا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم صريح في أنه ورد بعد خلقه عليه الصلاة والسلام وتسويته ونفخ الروح فيه أمر منجز غير الأمر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكي بقوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة البقرة وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم هاهنا تقتضي تراخيه عن التصوير من غير تعرض لما جرى بينهما من الأمور وقد بينا في سورة البقرة أن ذلك ظهور فضل آدم عليه الصلاة والسلام بعد المحاورة المسبوقة بالإخبار باستخلافه عليه الصلاة والسلام حسبما نطق به قوله عز وجل وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة إلى قوله وما كنتم تكتمون فإن ذلك أيضا من جملة ما نيط به الأمر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضي عدم ذكره عند وقوع المحكي كما أن عدم ذكر الأمر المعلق عند حكاية الأمر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فإن حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله قد ألقي إلى الملائكة عليهم السلام أولا جميع ما يتوقف عليه الأمر المنجز إجمالا بأن قيل مثلا إني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل إياه خليفة في الأرض فإذا سويته ونفخت فيه من روحي

وتبيان لكم

وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه فقال لهم عند ذلك ما قال وألقى إليهم خبر الخلافة وبعد تحقق الشرائط المذكورة بأن قيل إثر نفخ الروح إني جاعل هذا خليفة في الأرض فهنالك ذكروا في حقه عليه الصلاة والسلام ما ذكروا فأيده الله تعالى بتعليم الأسماء فشاهدوا منه عليه الصلاة والسلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد الأمر المنجز اعتناء بشأن المأمور به وتعيينا لوقته وقد حكي بعض الأمور المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة أن ما في سورة ص من قوله تعالى إذ قال ربك للملائكة الآيات بدل من قوله إذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون أي بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب في أن المراد بالملأ الأعلى الملائكة وآدم عليهم الصلاة والسلام وإبليس عليه اللعنة حسبما أطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن الخلافة من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من الإنباء بالأسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الأمر المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد إبليس ولعنه وإخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الأفعال والأقوال وإذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة إبليس وطرده من البين لما عرفت من أن أحد المختصمين كما أنه إبليس قبل الخلق ضرورة فإذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود وبأحد الطريقين المذكورين والله تعالى أعلم فسجدوا أي الملائكة عليهم الصلاة والسلام بعد الأمر من غير تلعثم إلا إبليس استثناء متصل لما أنه كان جنيا مفردا مغمورا بألوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم أو لأن من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تعالى لم يكن من الساجدين أي ممن سجد لآدم كلام مستأنف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فإن عدم السجود قد يكون للتأمل ثم يقع السجود وبه علم أنه لم يقع قط وقيل منقطع فحينئذ يكون متصلا بما بعده أي لكن إبليس لم يكن من الساجدين قال استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال والالتفات إلى الغيبة لا لتوجيه التوبيخ إلى غير المخاطبين توفية لمقام حقه بل للإشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير ما منعك ألا تسجد أي أن تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب منبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر إلى خلافه فالمعنى ما اضطرك إلى أن لا تسجد إذ أمرتك قيل فيه دلالة على أن مطلق الأمر للوجوب والفور وفي سورة الحجر يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على أن اللعين قد أدمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الأمر ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه الصلاة والسلام وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر وإشعارا بأن كل واحدة منها كافية في التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال استئناف كما سبق مبني على سؤال نشأ من حكاية التوبيخ كأنه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال أنا خير منه متجافيا عن تطبيق الجواب على السؤال بأن يقول منعني كذا مدعيا بطريق الاستئناف شيئا يستلزم منعه من السجود على زعمه ومشعرا بأن من شأنه هذا لا يحسن أن يسجد لمن دونه فكيف يحسن الأمر به كما ينبئ عنه ما في سورة الحجر من قوله لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون فهو أول من أسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن

والقبح العقليين وقوله تعالى **خلقتني من نار وخلقته من طين** تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد
خطئ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه
عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة
بالسجود له عليه الصلوة والسلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له
خواص ليست لغيره وفي الآية دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة
خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب **قال** استئناف كما سلف والفاء في قوله تعالى
فاهبط منها لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك
اي فاهبط من الجنة والاضمار دون ذكرها لشهرة كونه من سكانها قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في جنة
عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط واي هبوط وفي سورة
الحجر فاخرج منها واما ما قيل من انه امر بالهبوط من السماء فيرده ان وسوسته لآدم عليه الصلوة والسلام كانت بعد
هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا وتكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة
كما روي عن الحسن البصري وقوله تعالى **فما يكون لك** اي فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشانك **ان تتكبر
فيها** اي في الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور
فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق
باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى **فاخرج** تاكيد للامر بالهبوط متفرع
على علته وقوله تعالى **انك من الصاغرين** تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره من الاذلة
واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبره وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال
انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض **قال** استئناف كما مر مبني على سؤال
نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال **انظرني** اي امهلني ولا تمتني
الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد
فسحة من اغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث **قال** استئناف كما سلف **انك
من المنظرين** ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله اللعين لآخرين على وجه يشعر بان السائل
تبع لهم في ذلك صريح في انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه
وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة
الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية الى وقت فناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول فقد ترك التوقيت للاختصار ثقة بما وقع في سورة
الحجر وفي سورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما فان قوله عز وجل
رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وفي انظاره ابتلاء العباد وتعريض
للثواب ان قلت لا ريب في ان الكلام المحكي عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة تقتضي وروده على وجه
خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي
على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو
الوجه المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا
يخفى ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا غير فقد اقتضى اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار
على ما حاق به من اللعن على نهج استدعاء الجبر في مقابلة الكسر كما هو الناشئ من قوله رب فانظرني حسبما

حكي عنه

حكي عنه في السورتين فما حكي هاهنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز
قلنا مقام استنظار مقتضي لما ذكر من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد
والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب الاخبار بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام في تينك السورتين
وفي كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي جميعا حظه واما هاهنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار
بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند
المخاطبة فان قلت فاذن لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام
قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته
فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في الكلام
تجريدها عنها بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول
اصل المعنى الا يرى ان جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم انما تحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على
مراعاتها من يتكلم بها حتما والا لامكن صدور الكلام المعجز من البشر فيما اذا كان المحكي كلاما واما عدم تطبيقه
لمقتضى الحال فناشئ من الغفلة عما يجب ان يوفى مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية لا مقام
وقوع المحكي فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام المحكي يوفى كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر
وسورة ص فان مقتضى موافقهما مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات
التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز روعي
جانبه الا يرى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد كلامه عن التاكيد وسائر
الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكن اذا كان مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا
يفهمه سامع آخر بليغ وجب تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب في الفهم وبذلك ينحط الكلام عن رتبة
اصوات الحيوانات عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بتجويز رعاية مع تحلية الكلام بمزايا اخرى ترفعه
الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا روعي حق مقام المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيا على ثقة
به **قال** استئناف كما سلف **فبما اغويتني** الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تعالى اياه
اثر من آثار قدرته عز وجل وحكم من احكام سلطانه تعالى فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا
فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اي
فاقسم باغوائك اياي **لاقعدن لهم** كما في الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اي بسبب اغوائك اياي لاجلهم
اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة **صراطك المستقيم**
الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام فالنصب على الظرفية كما في عسل الطريق
الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن **ثم لآتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم** اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل
قصده اياهم للتسويل والاضلال من اي وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق
والتحت عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم
وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز
عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا
ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر ذلك وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء
لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم
ونظيره جلست عن يمينه **ولا تجد اكثرهم شاكرين** اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق

عليهم بالبنيّة لما رآى منهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم
الصلاة والسلام قال استئناف كما سلف مرارا اخرج منها اي من الجنة او من السماء او من بين الملائكة عليهم
الصلاة والسلام مذءوما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكيل في مكيول من ذامه
ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين
وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على ان الخبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا
الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم
اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص
الخطاب به عليه الصلاة والسلام للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المأمور به اسكن انت وزوجك
الجنة هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة
وانت ضمير اكد به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى فكلا من حيث شئتما
لبيان المراد مما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك جمع بين الترتيب
وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه
الخطاب اليهما لتعميم التشريف والايذان بتساويهما في مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عليه
الصلاة والسلام في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه والتعليق بهما صريحا في قوله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء
فتكونا من الظالمين اما جزم على العطف او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل
الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما خفيا متداركا متكررا وفي الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة
ومنه وسوس الحلي وقد سبق بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة ليبدي لهما اي ليظهر لهما
واللام للعاقبة والغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنهما
بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري
عنهما من سوآتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر
وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ
سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال
عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اي عن اكلها الا ان تكونا ملكين
اي الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون اصلا او يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة
على افضلية الملائكة عليهم السلام لما ان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما اوصاف الملائكة
من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع
فيه وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما وصيغة المبالغة للمبالغة وقيل اقسما له
بالقبول وقيل قالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فاقسم فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما بغرور
فالادلاء ارسال الشيء من الاعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله
كاذبا او متلبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل
منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة
كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حللا او ظفرا وطفقا يخصفان طفق من
افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشا وعلق وهب وقام وانبرى اي اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق
ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ذلك ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان

انفسهما

انفسهما ويخصفان من خصف ويخصّفان اصله يختصفان وناداهما ربهما مالك امرهما بطريق العتاب
والتوبيخ وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول لقول محذوف اي وقال الم انهكما عن
تلكما الشجرة ما في اسم الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة الى الشجرة التي نهى عن قربانها واقل لكما عطف
على انهكما اي الم اقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما
ان الاول عتاب على مخالفة النهي قيل فيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى
الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكي في سورة طه بقوله تعالى ان هذا
عدو لك ولزوجك الآية روي انه تعالى قال لآدم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه
الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض
ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن
وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا اي ضررناها بالمعصية والتعرض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة
لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من
السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال استئناف كما مر مرارا اهبطوا خطاب لآدم وحواء
وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم متفرقا كما في قوله
تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في سائر المواضع بعضكم لبعض
عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اي متعادين ولكم في الارض مستقر اي استقرار او موضع استقرار
ومتاع اي تمتع وانتفاع الى حين هو حين انقضاء آجالكم قال اعيد الاستئناف اما للايذان ببعد
اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه
الا الضالون وقوله تعالى قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله أأسجد لمن خلقت طينا واما لاظهار
الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله تعالى فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اي للجزاء لقوله تعالى
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى يا بني آدم خطاب للناس كافة وايرادهم بهذا
العنوان مما لا يخفى سره قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها
ونظيره وانزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد ابليس ابداءها
من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك وروي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت
عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم حينئذ للايذان بان انكشاف
العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا
تتجملون به والريش الجمال وقيل هو الاثاث وريش الحال اي تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب
ولباس التقوى اي خشية الله تعالى وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره جملة ذلك خير او خبر
وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا
ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته
او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وهو
هذه العقود مما لا يخفى سره لا يفتننكم الشيطان اي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم
من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة نهي للشيطان والمراد نهيهم اي لا يفتننكم فتنة مثل اخراج
ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته خروجا مثل اخراج ابويكم والنهي وان كان متوجها الى الشيطان
لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في قولك لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما

ليريهما سوآتهما حال من أبويكم أو من فاعل أخرج وإسناد النزع إليه للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى إنه يراكم هو وقبيله أي جنوده وذريته تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته من حيث لا ترونهم من للابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل الجر بإضافة الظرف إليه ورؤيتهم إيانا من حيث لا نراهم لا يقتضي امتناع رؤيتنا إياهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا إنا جعلنا الشياطين جعل قبيلة بمنزلة الجمع أولياء للذين لا يؤمنون أي جعلناهم بما أوجدنا بينهم من المناسبة أو بإرسالهم عليهم وتمكينهم من إغوائهم وحملهم على ما سولوا لهم أولياء أي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتأكيد للتحذير إثر تحذير وإذا فعلوا فاحشة جملة مبتدأة لا محل لها من الإعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لأنها مجراة على الموصوف المؤنث أو للنقل من الوصفية إلى الاسمية كعبادة الأصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها محتجين بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدمة [illegible] منهم بأن آباءهم إنما كانوا يفعلونها بأمر الله تعالى إياهم بها على أن الضمير لهم ولآبائهم فحينئذ يظهر وجه الإعراض عن الأول في رد مقالتهم بقوله تعالى قل إن الله لا يأمر بالفحشاء فإن عادته تعالى جارية على الأمر بمحاسن الأفعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا عقلي فإن المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد إذا قام الدليل بخلافه لا مطلقا أتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المأمور به لإنكار الواقع واستقباحه وتوجيه الإنكار والتوبيخ إلى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه تعالى مع أن بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى للمبالغة في إنكار تلك الصورة فإن إسناد ما لا يعلم صدوره عنه إليه تعالى إذا كان منكرا فإسناد ما علم عدم صدوره عنه إليه عز وجل أشد قبحا وأحق بالإنكار قل أمر ربي بالقسط بيان لما أمر به تعالى إثر نفي ما أسند إليه من الأمور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء المتجافي عن طرفي الإفراط والتفريط وأقيموا وجوهكم وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها وأقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود أو مكان سجود وهو الصلاة أو في أي مسجد حضرتكم الصلاة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة فإن مصيركم إليه بالآخرة كما بدأكم أي أنشأكم ابتداء تعودون إليه بإعادته فيجازيكم على أعمالكم وإنما شبه الإعادة بالابتداء تقريرا لإمكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون إليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون إليه وقيل كما بدأكم مؤمنا أو كافرا يعيدكم فريقا هدى بأن وفقهم للإيمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده أي وخذل فريقا إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله تعليل لخذلانهم أو تحقيق لضلالتهم ويحسبون أنهم مهتدون فيه دلالة على أن الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق أن يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم أي ثيابكم لمواراة عوراتكم عند كل مسجد أي لطواف أو صلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة وكلوا واشربوا مما طاب لكم روي أن بني عامر كانوا في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين بتحريم الحلال أو بالتعدي إلى الحرام أو بالإفراط في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان

سرف ومخيلة

سرف ومخيلة فقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين أي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي أخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق أي المستلذات من المأكل والمشرب وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة لأن الاستفهام في من للإنكار قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالأصالة والكفرة وإن شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم [illegible]

هي أن الشرطية ضمت إليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة وفيه تنبيه على أن إرسال الرسل أمر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف وصف لرسل أي كائنون من جنسكم وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة أخرى لرسل أي يبينون لكم أحكامي وشرائعي وقوله تعالى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جملة شرطية وقعت جواب الشرط أي فمن اتقى منكم التكذيب وأصلح عمله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولذلك قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا ومن ارتداد الاتقاء في الأول ليس المراد بالتقى مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

أي الذين كذبوا منكم بآياتنا وإدخال الفاء في الخبر الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسارعة في تنجيز الوعد **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته** أو تقول عليه تعالى ما لم يقله أو كذب ما قاله أي هو أظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا **أولئك** إشارة إلى الموصول باعتبار معناه كما أن إفراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للإيذان بتماديهم في سوء الحال أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب **ينالهم نصيبهم من الكتاب** أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار وقيل الكتاب اللوح أي مما أثبت لهم فيه وأيا ما كان فمن الابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم أي ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس رضي الله عنهما كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى **حتى إذا جاءتهم رسلنا** أي ملك الموت وأعوانه **يتوفونهم** أي حال كونهم متوفين لأرواحهم وحتى لا لغاية وإن كانت هي التي يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلذا بينا أن يكون نصيبهم مما يتمتعون به إلى الحين وفاتهم أي ينالهم نصيبهم من الكتاب إلى أن تأتيهم ملائكة الموت فإذا جاءتهم **قالوا** لهم **أين ما كنتم تدعون من دون الله** أي أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وحقها الفصل لأنها موصولة **قالوا** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا **ضلوا عنا** أي غابوا عنا لا ندري مكانهم **وشهدوا على أنفسهم** عطف على قالوا أي اعترفوا على أنفسهم **أنهم كانوا** أي في الدنيا **كافرين** عابدين لما لا يستحق العبادة أصلا حيث شاهدوا حالهم وضلالهم ولعل المراد بوقت مجيء الرسل وحال التوفي في كل ذلك الزمان الممتد من وقت الموت إلى الأبد إما لتحقق ذلك في أوله فقط أو لقصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كأنهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قوله عليه الصلاة والسلام من مات فقد قامت قيامته وإلا فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الأمر بدخول النار وما جرى بين أهلها من التلاعن والتقاول إنما يكون بعد البعث لا محالة **قال** أي الله عز وجل يوم القيامة بالذات أو بواسطة الملائكة **ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس** أي كائنين في جملة أمم مصاحبين لهم يعني كفار الأمم الماضية في النعيم **في النار** متعلق بقوله ادخلوا **كلما دخلت أمة** من الأمم السالفة واللاحقة فيها **لعنت أختها** التي ضلت بالاقتداء بها **حتى إذا اداركوا فيها جميعا** أي تداركوا وتلاحقوا في النار **قالت أخراهم** دخولا أو منزلة وهم الأتباع **لأولاهم** أي لأجلهم إذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم **ربنا هؤلاء أضلونا** سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم **فآتهم عذابا ضعفا** أي مضاعفا **من النار** لأنهم ضلوا وأضلوا **قال لكل ضعف** أما القادة فلما ذكر من الضلال والإضلال وأما الأتباع فلكفرهم وتقليدهم **ولكن لا تعلمون** أي ما لكم ولكل فريق من العذاب وقرئ بالياء **وقالت أولاهم** أي مخاطبين **لأخراهم** حين سمعوا جواب الله تعالى لهم **فما كان لكم علينا من فضل** أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب **فذوقوا العذاب** المعهود المضاعف **بما كنتم تكسبون** من قول القادة **إن الذين كذبوا بآياتنا** مع وضوحها **واستكبروا عنها** أي عن الإيمان بها والعمل بمقتضاها **لا تفتح لهم أبواب السماء** أي لا تقبل أدعيتهم ولا أعمالهم أو لا تعرج إليها أرواحهم كما هو شأن أدعية المؤمنين وأعمالهم وأرواحهم والتاء في تفتح لتأنيث الأبواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالتخفيف والياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل لله تعالى **ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط** أي حتى يدخل ما هو

مثل في عظم الجرم فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقب الإبرة وفي كون الجمل مما ليس من شأنه الولوج في سم الإبرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو الخياط أي ما يخاط به **وكذلك** أي ومثل ذلك الجزاء الفظيع **نجزي المجرمين** أي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا أوليا **لهم من جهنم مهاد** أي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية **ومن فوقهم غواش** أي أغطية والتنوين بدل من الإعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش بالرفع على إلغاء المحذوفة كما في قوله تعالى وله الجوار المنشآت **وكذلك** أي ومثل ذلك الجزاء الشديد **نجزي الظالمين** عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى إشعارا بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيه على أنه أعظم الجرائم والجرائر **والذين آمنوا** أي بآياتنا أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا أوليا وقوله تعالى **وعملوا الصالحات** التي شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها **لا نكلف نفسا إلا وسعها** اعتراض وسط بين المبتدأ الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة **أولئك أصحاب الجنة** للترغيب في اكتساب ما يؤدي إلى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الإشارة مبتدأ وأصحاب الجنة خبره والجملة خبر المبتدأ الأول أو اسم الإشارة بدل من المبتدأ الأول الذي هو الموصول والخبر أصحاب الجنة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف **هم فيها خالدون** حال من أصحاب الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتمالها على ضميرها والعامل معنى الإضافة أو اللام المقدرة أو خبر لأولئك على رأي من جوزه وفيها متعلق بخالدون **ونزعنا ما في صدورهم من غل** أي نخرج من قلوبهم أسباب الغل أو نطهرها منه حتى لا يكون بينهم إلا التواد وصيغة الماضي للإيذان بتحققه وتقرره وعن علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم **تجري من تحتهم الأنهار** زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم والعامل ما في معنى الإضافة وأما العامل في المضاف أي حال من فاعل نزعنا وقيل هي مستأنفة للإخبار عن صفة أحوالهم **وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا** أي لما جزاؤه هذا **وما كنا لنهتدي** أي لهذا المطلب الأعلى أو لمطلب من المطالب التي هذا من جملتها **لولا أن هدانا الله** وتوفيقه واللام لتأكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور المراد ولإرادة التعميم كما أشير إليه والجملة مستأنفة أو حالية وقرئ ما كنا لنهتدي بغير واو على أنها مبينة ومفسرة للأولى **لقد جاءت رسل ربنا بالحق** جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا بأنهم ما جاءتهم به الرسل عليهم الصلاة والسلام والباء في قوله تعالى **بالحق** إما للتعدية فهي متعلقة بجاءت أو للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل أي والله لقد جاءوا بالحق أو لقد جاءوا متلبسين بالحق **ونودوا** أي ناداهم الملائكة **أن تلكم الجنة** أن مفسرة لما في النداء من معنى القول أو مخففة من أن ضمير الشأن محذوف ومعنى البعد في اسم الإشارة إما لأنهم نودوا عند رؤيتهم إياها من مكان بعيد وإما لرفعة مرتبتها وبعد منالها وإما للإشعار بأنها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا **أورثتموها بما كنتم تعملون** في الدنيا من الأعمال الصالحة أي أعطيتموها بسبب أعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى الإشارة على أن تلكم الجنة مبتدأ وخبر أو الجنة صفة والخبر أورثتموها **ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار** تبجحا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الإخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم **أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا** حذف المفعول من الفعل الثاني إسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل

لأن ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا بهم كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة فإنهم قد
وجدوا جميع ذلك حقا وإن لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم أي وجدناه حقا وقرئ بكسر العين وهي
لغة فيه فأذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم أي بين الفريقين أن لعنة الله على الظالمين
بأن المخففة أو المفسرة وقرئ بأن المشددة ونصب لعنة وقرئ إن بكسر الهمزة على إرادة القول أو إجراء أذن
مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين أو رفع على الذم أو نصب عليه و
يبغونها عوجا أي يبغون لها عوجا بأن يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو أبعد شيء منهما والعوج بالكسر في
المعاني والأعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون غير
معترفين وبينهما حجاب أي بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور أي بين الجنة والنار ليمنع وصول
أثر إحداهما إلى الأخرى وعلى الأعراف أي على أعراف الحجاب وأعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف
مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فإنه يكون لظهوره أعرف من غيره رجال طائفة من
الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت
درجاتهم كالأنبياء والشهداء والأخيار والعلماء من المؤمنين أو ملائكة يرون في صور الرجال يعرفون
كلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده
فعلى من سام إبله إذا أرسلها في المرعى معلمة أو من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وإنما يعرفون ذلك بالإلهام أو تعليم
الملائكة ونادوا أي رجال الأعراف أصحاب الجنة حين رأوهم أن سلام عليكم بطريق الدعاء
والتحية أو بطريق الإخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال كونهم وهم يطمعون طامعين في
دخولها مترقبين له أي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون وإذا صرفت أبصارهم
تلقاء أصحاب النار أي إلى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق أنظارهم بأصحاب الجنة والتعبير عن تعلق
أبصارهم بأصحاب النار بالصرف إشعار بأن التعلق الأول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه
قالوا متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين أي في النار وفي
وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء إشعار بأن
المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل ما يوجبه ويؤدي إليه من الظلم ونادى أصحاب الأعراف
كرر ذكرهم مع كفاية الإضمار لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفرة حين رأوهم فيما بين
أصحاب النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا قالوا
بدل من نادى ما أغنى عنكم إما استفهامية للتوبيخ والتقريع أو نافية جمعكم أي أتباعكم وأشياعكم
أو جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية أي ما أغنى عنكم جمعكم واستكباركم عن قبول
الحق أو على الخلق وهو الأنسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة أي من الأموال والجنود أهؤلاء
الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والإشارة إلى ضعفاء المؤمنين الذين
كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحا أنهم لا يدخلون الجنة أو يفعلون ما ينبئ عن ذلك
كما في قوله أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له إلى أولئك
المذكورين أي ادخلوا الجنة على رغم أنوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا أنتم تحزنون أي قيل لأصحاب
الأعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد أن حبسوا وشاهدوا أحوال الفريقين وعرفوهم وقالوا
لهم ما قالوا والأظهر أن لا يكون المراد بأصحاب الأعراف المقصرين في العمل لأن هذه المقالات وما تتفرع
هي عليه من المعرفة لا تليق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا أصحاب النار أقسموا أن أصحاب الأعراف
لا يدخلون الجنة ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أي صبوه وهو

دليل على أن الجنة فوق النار أو مما رزقكم الله من سائر الأشربة ليلائم الإفاضة أو من الأطعمة
على أن الإفاضة عبارة عن الإعطاء بكثرة قالوا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قالوا فقيل
قالوا إن الله حرمهما على الكافرين أي منعهما منعا كليا فلا سبيل إلى ذلك قطعا الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم إلى ما لا يحسن أن
يصرف إليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب وغرتهم الحياة الدنيا بزخارفها العاجلة
فاليوم ننساهم نفعل بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا
والفاء في فاليوم فصيحة وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف
أي ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تعالى
وما كانوا بآياتنا يجحدون عطف على ما نسوا أي وكما كانوا منكرين بأنها من عند الله تعالى إنكارا مستمرا
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه أي بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ والضمير للكفرة
قاطبة والمراد بالكتاب الجنس أو للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن على علم حال من فاعل فصلناه أي
عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما أو من مفعوله أي مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه أي
على سائر الكتب عالمين بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لأنهم المغتنمون لآثاره
المقتبسون من أنواره هل ينظرون إلا تأويله أي ما ينتظرون هؤلاء الكفرة بعدم إيمانهم به إلا ما يؤول
إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما أخبر به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله وهو يوم القيامة
يقول الذين نسوه من قبل أي تركوه ترك المنسي من قبل إتيان تأويله قد جاءت رسل ربنا بالحق أي
قد تبين أنهم قد جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب أو نرد أي
هل نرد إلى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا أو لأن أو بمعنى إلى أن فعلى الأول المسؤول أحد الأمرين
إما الشفاعة لدفع العذاب أو الرد إلى الدنيا وعلى الثاني أن يكون لهم شفعاء إما لأحد الأمرين أو لأمر واحد هو
الرد فنعمل بالنصب على أنه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع أي فنحن نعمل غير الذي كنا نعمل أي في
الدنيا قد خسروا أنفسهم بصرف أعمارهم التي هي رأس مالهم إلى الكفر والمعاصي وضل عنهم ما كانوا
يفترون أي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من أن الأصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيامة إن
ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام شروع في بيان مبدأ الفطرة إثر بيان معاد الكفرة
أي إن خالقكم ومالككم الذي خلق الأجرام العلوية والسفلية في ستة أوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره
أو في مقدار ستة أيام فإن المتعارف أن اليوم زمان طلوع الشمس إلى غروبها ولم تكن هي حينئذ وفي خلق
الأشياء مدرجا مع القدرة على إبداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في
الأمور ثم استوى على العرش أي استوى أمره واستولى وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله
تعالى بلا كيف والمعنى أنه تعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش
الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه وقيل
الملك يغشي الليل النهار أي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به أو لأن اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب
الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا أي يعقبه سريعا كالطالب
لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل بمعنى حاثا أو من المفعول
بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره أي خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه
وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر ألا له الخلق والأمر فإنه الموجد للكل والمتصرف فيه على الإطلاق
تبارك الله رب العالمين أي تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق

الآية الكريمة والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لانه
الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس
والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق
جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار
تعالى بقوله وخلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلثة بتركيب
موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين كما فصل في سورة السجدة ثم لما تم له عالم
الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب
وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين ثم امر ان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذي عرفتم شؤونه الجليلة تضرعا
وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اي لا يحب
المجاوزين لما امروا به في كل شيء فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعي يجب ان
لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض
بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا اي ذوي
خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه ان
رحمة الله قريب من المحسنين في كل شيء ومن الاحسان في الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب
لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة لمحذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او
الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتساب المضاف التذكير من
المضاف اليه كما ان المضاف يكتسي التانيث من المضاف اليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة التي قبلها
وقرئ الريح بشرا تخفيف بشر جمع بشير اي مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى باشرات
او للبشارة وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اي ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر
متقاربان بين يدي رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه
حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب
بمعنى السحائب سقناه اي السحاب افرد الضمير لافراد اللفظ لبلد ميت اي لاجله او لمنفعته او لاحيائه
او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح والتذكير بتاويل المذكور
وكذلك قوله تعالى فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول
والظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات اي من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة
الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات
نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون
بطرح احد التائين اي تتذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة والبلد الطيب اي
الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه
لانه اوقعه في مقابلة قوله والذي خبث من البلاد كالسبخة والحرة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع
ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه

فصار مرفوعا

فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج الا نكدا اي لا يخرجه البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد
ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات اي نرددها ونكررها لقوم
يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم الصلوة
والسلام بالشرائع التي هي ماء حياة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين
من مقام آثارها وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل
لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الى آخره واطرد استعمال
هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة التوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد الجملة
المقسم عليها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
رضي الله عنهما بعث عليه الصلوة والسلام على راس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين
سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة وقال مقاتل بعث
وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه
تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة
فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة فان العبادة
بالاشراك فليس من العبادة في شيء وقوله تعالى ما لكم من اله غيره اي مستحق العبادة استيناف مسوق
لتعليل العبادة المذكورة او للامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء او
الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غيره حكم الاسم الواقع بعد الا اي
ما لكم من اله الا الله كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد ومن اله فاعل او مبتدأ فلكم خبره او خبره محذوف
ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غير الله اني اخاف عليكم اي ان لم تعبدوه حسبما
امرت به عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة تعليل العبادة ببيان الصارف عن تركها
اثر تعليلها ببيان الداعي اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملأ من قومه
استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه الصلوة والسلام كانه قيل فماذا قالوا له عليه الصلوة والسلام في
مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملؤون صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم
والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك في ضلال مبين اي ذهاب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية
ومفعولاها الضمير والظرف مبين كونه ضلالا قال استيناف كما سبق يا قوم ناداهم باضافتهم اليه استمالة
لقلوبهم نحو الحق ليس بي ضلالة اي شيء ما من الضلال قصد عليه الصلوة والسلام لتحقيق الحق في نفي الضلال
عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا في اثباته عليه الصلوة والسلام حيث جعلوه مستقرا في الضلال الواضح كونه ضلالا
وقوله تعالى ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في اقصى مراتب الهداية
فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كانه قيل ليس بي شيء من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية
ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية اي رسول واي رسول كائن من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي استيناف مسوق لتقرير رسالته
وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذي سمتني امي حيدره وقرئ ابلغكم
من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها او لان المراد بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليهم
الصلوة والسلام وتخصيص ربوبيته تعالى به عليه الصلوة والسلام بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار بعلة
الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عليه الصلوة والسلام من موجبات امتثاله بامره تعالى
بتبليغ رسالته تعالى اليهم وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدي

النصح بنفسه للدلالة على إمحاض النصيحة لهم وأنها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحتهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تعالى **وأعلم من الله ما لا تعلمون** عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه الصلاة والسلام أي أعلم من جهته تعالى بالوحي ما لا تعلمونه من الأمور الآتية أو أعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه الصلاة والسلام بالوحي **أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم** جواب ورد لما اتبعوه من تكذيبه بقولهم إنا لنراك في ضلال مبين من قولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا وقولهم ولو شاء الله لأنزل ملائكة والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل أستبعدتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر أي وحي أو موعظة من مالك أموركم ومربيكم **على رجل منكم** أي على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقلتم لأجل ذلك ما قلتم من أن الله تعالى لو شاء لأنزل ملائكة **لينذركم** علة للمجيء أي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي **ولتتقوا** عطف على العلة الأولى مترتبة عليها **ولعلكم ترحمون** عطف على العلة الثانية مترتبة عليها أي ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطالب وأن التقوى غير موجب للترحم بل هو منوط بفضل الله تعالى وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن عذاب الله عز وجل **فكذبوه** فتموا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي الذي بلغه إليهم وأنذرهم بما في تضاعيفه واستمروا على ذلك في هذه المدة المتطاولة بعدما كرر عليه الصلاة والسلام الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا حسبما نطق به قوله تعالى رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا الآية وهذا هو الذي يعقبه الإنجاء والإغراق لا مجرد التكذيب **فأنجيناه والذين معه** من المؤمنين قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل عشرة أبناؤه الثلاثة وستة ممن آمن به وقوله تعالى **في الفلك** متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الظرف أي استقروا معه في الفلك وصحبوه أو بفعل الإنجاء أي أنجيناهم ويجوز أن يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول أو من ضميره في الظرف **وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا** أي استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من أصر على التكذيب منهم ومن أعقابهم وتقديم ذكر الإنجاء على الإغراق للمسارعة إلى الإخبار به والإيذان بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر أثره بمقتضى جرائمهم **إنهم كانوا قوما عمين** من القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضي الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عامين والأول أدل على الثبات **وإلى عاد** متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى أرسلنا في قصة نوح عليه الصلاة والسلام وهو الناصب لقوله تعالى **أخاهم** أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم أي واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا أخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق وأخاهم معطوفا على نوحا ولعل تقديم المجرور هاهنا على المفعول الصريح للحذر عن الإضمار قبل الذكر يرشدك إلى ذلك ما سيأتي من قوله تعالى ولوطا إذ قال لقومه لما لم يعهد باسم معروف يقتضي الحال ذكره عليه الصلاة والسلام مضافا إليهم كما في قصتي عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته عليه الصلاة والسلام وبين القصص الثلاث وقوله تعالى **هودا** عطف بيان لأخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام ابن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لكلامه وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وأقرب إلى اتباعه **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية إرساله عليه الصلاة والسلام إليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال **يا قوم اعبدوا الله** وحده كما يعرب عنه قوله تعالى **ما لكم من إله غيره** فإنه استئناف جار مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل لها أو للأمر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا إذ ليس لكم إله سواه وغيره بالرفع صفة لإله

باعتبار

باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه **أفلا تتقون** إنكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعدما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألا تتفكرون أو أتغفلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا أو أتعلمون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة هود أفلا تعقلون ولعله عليه الصلاة والسلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر هاهنا ما ذكر هناك من قوله تعالى إن أنتم إلا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من أجزاء القصة بل حال نظائره في سائر القصص لا سيما في المحاورات الجارية في الأوقات المتعددة والله أعلم **قال الملأ الذين كفروا من قومه** استئناف كما مر وإنما وصف الملأ بالكفر إذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من آمن به عليه الصلاة والسلام ولكن كان يكتم إيمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم **إنا لنراك في سفاهة** أي متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين آبائك لا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون **وإنا لنظنك من الكاذبين** أي فيما ادعيت من الرسالة قالوا لغرقهم في التقليد وتجهمهم من النظر الصحيح **قال** مستعطفا لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء **يا قوم ليس بي سفاهة** أي شيء منها ولا شائبة من شوائبها **ولكني رسول من رب العالمين** استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى من الرشد والأناة والصدق والأمانة فإن الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما كأنه قيل ليس بي شيء مما تنسبونني إليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وقوله تعالى **أبلغكم رسالات ربي** استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل أحكامها وقيل صفة أخرى لرسول وقد مر في إضافة الرب إلى نفسه عليه الصلاة والسلام بعد إضافته إلى العالمين وكذا في جمع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عليه الصلاة والسلام وقرئ أبلغكم من الإبلاغ **وأنا لكم ناصح أمين** معروف بالنصح والأمانة مشهور بين الناس بذلك وإنما جيء بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار وإيذانا بأن هذا حاله المعهود قبل نسبتهم إياه إلى السفاهة والكذب **أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم** الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عليه الصلاة والسلام أي من جنسكم **لينذركم** أي ليحذركم عاقبة ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي حتى نسبتموني إلى السفاهة والكذب وفي إجابة الأنبياء صلوات الله وسلامه على من يشافههم بالأخرق في أمثال تلك الأباطيل بما حكي عنهم من المقالات الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرأفة من الدلالة على حيازتهم القدح المعلى من مكارم الأخلاق ما لا يخفى مكانه **واذكروا إذ جعلكم خلفاء** شروع في بيان ترتيب أحكام النصح والأمانة والإنذار وتفصيلها وإذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها فإذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر كأنه قيل لا تعجبوا من ذلك وتدبروا في أمركم واذكروا وقت جعله تعالى إياكم خلفاء **من بعد قوم نوح** أي في مساكنهم أو في الأرض بأن جعلكم ملوكا فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل عالج إلى شحر عمان **وزادكم في الخلق** أي في الإبداع والتصوير أو في الناس **بسطة** قامة وقوة فإنه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الأجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا **فاذكروا آلاء الله** التي أنعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم إثر تخصيص **لعلكم تفلحون**

كي يقيكم ذلك الى السبب المؤدي الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب قالوا مجيبين عن تلك النصائح الغالية
أجئتنا لنعبد الله وحده اي لنخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا عليه عليه الصلاة
والسلام مجيئه لتخصيص الله تعالى بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان لانهماكهم في التقليد وحبهم لما
الفوه والفوا اسلافهم عليه ومعنى المجيء اما المجيء اليهم عليه الصلاة والسلام من متعبده ومعتزله واما
من السماء على التهكم واما القصد على المجاز كما يقال ذهب يشتمني فان ذلك لا يراد به حقيقة الذهاب
فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى أفلا تتقون ان كنت من الصادقين اي في الاخبار
بنزول العذاب وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اي فأت به قال قد وقع عليكم اي وجب وحق
او نزل على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تعالى أتى امر الله من ربكم متعلق بوقع وتقديم
الظرف الاول على الثاني مع ان المبتدأ منه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وكذا تقديمهما
على الفاعل الذي هو قوله تعالى رجس مع ما فيه من التشويق وهو العذاب او الذي يحل فيهم وغضب اي ارادة الانتقام وتنكيرهما للتهويل
ارادة الانتقام وتنكيرهما للتفخيم والتهويل أتجادلونني في اسماء سميتموها اي في اشياء سميتموها
انتم وآباؤكم آلهة وليس فيها من الالهية شيء اصلا
الالهية شيء ما لان المستحق للعبودية ليس الا من اوجد الكل وانها لو استحقت كانت بجعله تعالى
اياها كذلك ما نزل الله بها من سلطان وانزل السلطان في
حيث الاسماء ... فانتظروا مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه
بقولكم فأتنا بما تعدنا اني معكم من المنتظرين لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى فأنجيناه فصيحة
كما في قوله فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه اي في الدين برحمة اي عظيمة لا يقادر قدرها
وقوله تعالى منا اي من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المفهومة من تنكيرها بالفخامة
الاضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا
مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك
ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله
تعالى وتصديق آياته كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف
وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمود والهباء فبعث
الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله
تعالى عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج عند بيته الحرام مسلمهم
ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت
عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما
قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا
عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتان لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك
وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه
فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا
ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم

مرثد بن

مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية
احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا
ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا
هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها الى
ان ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا موافق له في تقديم
المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ بالصرف بتأويل
الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الشام والحجاز الى وادي القرى واخوهم صالح عليه الصلاة والسلام من حيث النسب
كهود عليه الصلاة والسلام فانه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود فلما كان الاخبار بارساله
عليه الصلاة والسلام اليهم مظنة لان يسأل ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد مر الكلام في نظائره قد جاءتكم بينة اي آية ومعجزة ظاهرة شاهدة
بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع كالصالحة
افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة تسوية بكانتا صفتين للاعمال او للمثوبة والحالة من الرخاء والشدة
فلذلك وليتا العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا والمراد
بها الناقة وليس هذا اول كلام منه عليه الصلاة والسلام اول مخاطبتهم اثر دعوته اياهم الى التوحيد بل انما قاله بعد
ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا ترى الى ما في سورة هود من قوله هو انشأكم من الارض
واستعمركم فيها الى آخر الآيات روي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا
اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء
من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وكان
صالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه
فقالوا آية تصدق ما تقول فقال اية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان
استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاجابة فلم تجبهم فقال
سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة
مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه الصلاة
والسلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج
بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت
ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها
ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم
تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب
منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم
وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي
المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال
لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح
تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب
فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين فلما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا

بالصيحة وتكتفي بالانطاع فانتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى هذه
ناقة الله لكم آية استئناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها
من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط معتادة ولذلك كانت آية واي آية ولكم بيان لمن هي له آية
وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان لها
او مبتدأ ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية فذروها تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب
عدم التعرض لها تأكل في ارض الله جواب للامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فذروها تأكل في ارض ربها
فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها وقرئ تأكل بالرفع على انه في موقع الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب
اما للاكتفاء بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء
نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالشر الشامل لانواع الاذية ونكر السوء مبالغة في النهي اي لا تتعرضوا لها بشيء مما
يسوؤها اصلا ولا تطردوها ولا تركبوها الى آخر الآية الله تعالى فيأخذكم عذاب اليم جواب النهي وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها
ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه الصلاة والسلام لعلي
رضي الله تعالى عنه يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين
قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اي خلفاء في الارض او خلفاءهم
كما مر وبوأكم في الارض اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها
قصورا استئناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة
الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وتنحتون الجبال اي الصخر وقرئ تنحتون
بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى غضوب جسرة والنحت نجر الشيء
الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى بيوتا على انها حال مقدرة منها كما تقول
خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية
ويجوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف
والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم مما ذكر وتعميم الآية التي هي هذه من جملتها
ولا تعثوا في الارض مفسدين فان حق الآية ان يشكر ولا يهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعثي
في الارض بالافساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عتوا وتكبروا استئنافا كما سلف وقرئ
بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الى آخره واللام في قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ
وقوله تعالى لمن آمن منهم بدل منه باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض
ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب
اولا الى جميع المستضعفين مع ان المجاوب هم المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا
للمؤمنين الذين استضعفوهم واستذلوهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه وانما قالوه بطريق
الاستهزاء بهم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم
انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبئ
عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما الحقيق
بالسؤال عنه هو الايمان به قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم
قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار انا بالذي آمنتم به كافرون وانما لم يقولوا انا بما ارسل به
كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم فعقروا الناقة اي نحروها اسند العقر الى الكل

مع ان المباشر بعضهم لملابسة الكل به او لان ذلك انما كان برضاهم كأنه فعله كلهم وفيه من تهويل الامر
وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن امر ربهم اي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم
صالح عليه الصلاة والسلام من الامر والنهي وقالوا مخاطبين له عليه الصلاة والسلام بطريق التعجيز
والافحام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا اي من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا ان كنت
من المرسلين فان كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة
اي الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا بل بعدما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما
مر تفصيله فاصبحوا في دارهم اي صاروا في ارضهم وبلدهم او في مساكنهم جاثمين هامدين
لا حراك بهم واصل الجثوم القعود اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير
كالبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب ولا حركة كما يكون عند
الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا نعوذ بك من نزول سخطك وحلول
غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبرا وجاثمين حالا لافضائه الى
كون الاخبار بكونهم في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا له غير مقصود بالذات قيل حيث
ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ
من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو اليق به فتولى عنهم اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على
ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب
والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن لا تحبون
الناصحين حكاية حال ماضية اي شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه
الصلاة والسلام بذلك كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته عليه
الصلاة والسلام لعلاماته تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم على ما هم عليه وروي ان عقرهم الناقة
كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي
فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه
فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وما لحق قد مر بيانه في قصة هود عليه
الصلاة والسلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابراهيم عليهما الصلاة والسلام كان من ارض بابل من العراق
مع عمه ابراهيم فهاجر الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم
وهي بلد بحمص وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للمضمر المذكور اي وارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ
ولعل تقييد ارساله عليه الصلاة والسلام بذلك لما ان ارساله اليهم لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل
هو بدل من لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اي اذكر وقت قوله عليه الصلاة والسلام لقومه أتأتون
الفاحشة بطريق الانكار والتوبيخ والتقريع اي اتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في
الشناعة والسوء ما سبقكم بها ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله عليه الصلاة والسلام سبقك
بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اي ضربتها قبله ومن في قوله تعالى من احد مزيدة لتأكيد النفي وافادة
معنى الاستغراق وفي قوله تعالى من العالمين للتبعيض والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد النكير وتشديد
التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة
ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين
لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى

قبلها تسليتا او مسوق توبيخا على سوق النقد كانه قيل من جهتهم لم لا ناتيها فقيل بيانا للعلة وقاطعها للازاحة
ما سبقكم بها احد لغاية قبحها وشوق سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان
قوم لوط قال محمد بن اسحاق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فاذوهم فعرض لهم
ابليس في صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا
فاخبثوا فاستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا ينكحون ذلك الا بالغرباء وقال الكلبي اول من عمل به عمل
ابليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عشق بذلك العمل **ائنكم لتاتون الرجال**
خبر مستانف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على
ان تاكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة ان واللام مزيد تقبيح وتقريع كان ذلك لا يتحقق
صدوره عن احد فيؤكد تاكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوها مبالغة في التوبيخ
وقوله تعالى **شهوة** مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة
وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان يكون الداعي له الى المباشرة تطلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز
ان يكون للاشعار بالانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله
تعالى **من دون النساء** اي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم
بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي افضت بهم الى ارتكاب امثالها
وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار اليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر لكم
فيه بل انتم عادتكم الاسراف **وما كان جواب قومه** اي المستكبرين منهم المتولين للامر والنهي والعقد
والحل وقوله تعالى **الا ان قالوا** استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان جوابا من جهتهم شيء
من الاشياء الا قولهم لبعضهم الاخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته عليه الصلاة والسلام
اخرجوهم اي لوطا ومن معه من اهله المؤمنين **من قريتكم** اي الا هذا القول الذي يستحيل ان يكون
جوابا لكلام لوط عليه الصلاة والسلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا اخرجوهم خبرها
وهو الاظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم
يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه الصلاة والسلام ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة حتى
المسارع الى الاذهان مع انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه
الصلاة والسلام الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما
حكي عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى
انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم
وبتطهيرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة كما يقول الشطار والدعار
فانجيناه واهله اي المؤمنين منهم **الا امراته** استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر
كانت من الغابرين اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب وللبيان لاستحقاقها
لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا عن استثنائها من حكم
الانجاء كانه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين **وامطرنا عليهم مطرا** اي نوعا من
المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة
وامطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا
عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة
فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم

وشذاذهم

وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر
اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي ان امراة لوط التفتت نحو ديارها فاصابها
حجر فماتت **فانظر كيف كان عاقبة المجرمين** خطاب لكل من يتاتى منه التامل والنظر تعجيبا من
حالهم وتحذيرا من اعمالهم **والى مدين اخاهم شعيبا** عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف
عليه وقد روعي هاهنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب اي وارسلنا اليهم وهم اولاد
مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام شعيب بن ميكائيل وقيل شعيب بن ثويب بن مدين وقيل
شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لحسن مراجعته قومه
وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم **قال** استئناف مبني على سؤال نشا عن حكاية ارساله اليهم كانه
قيل فماذا قال لهم فقيل قال **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** مر تفسيره **قد جاءتكم بينة**
اي معجزة **من ربكم** متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لفاعلها مؤكدة لما افادته التنوين من الفخامة الذاتية المستفادة
من تنكيرها بفخامته الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته
عليه الصلاة والسلام في القرآن العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فمنها ما روي
من محاربة عصى موسى عليه الصلاة والسلام التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع
خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصى آدم عليه في المرات السبع لان كل ذلك
كان قبل ان يستنبأ موسى عليه الصلاة والسلام وقيل البينة مجيء شعيب عليه الصلاة والسلام كما في قوله
عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بها
عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة **فاوفوا الكيل** اي المكيال كما وقع في سورة هود ويؤيده قوله تعالى **والميزان**
فان الميزان مصدر لا آلة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب
الامر على مجيء البينة ويجوز ان تكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن
المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه **ولا تبخسوا الناس اشياءهم** اي لا تنقصوهم
بها معتمدين على قيامها اي شيء كان وقيل كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير
وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه قال زهير افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع
امرؤ مكس درهم **ولا تفسدوا في الارض** اي بالكفر والحيف **بعد اصلاحها** بعد ما اصلح امرها
واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في مكر الليل والنهار
ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية
وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب **ان كنتم مؤمنين** اي مصدقين لي في قولي هذا **ولا تقعدوا**
بكل صراط توعدون اي بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى
معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون
لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق **وتصدون**
عن سبيل الله اي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم
ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله او بكل صراط على الحقيقة عن طريق الدين وقوله تعالى **من**
آمن به مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم ووعد ويجال
من الضمير في تقعدوا **وتبغونها عوجا** اي وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس
بانها معوجة وهي ابعد شيء من الاعوجاج **واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم** بالبركة في النسل والمال
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا

بهم **وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به** من الشرائع والاحكام **وطائفة لم يؤمنوا** اي به
ولم يفعلوا الايمان **فاصبروا حتى يحكم الله بيننا** اي بين الفريقين المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين
ووعيد للكافرين **وهو خير الحاكمين** اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه **قال الملأ الذين استكبروا من قومه**
استئناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا بعد ما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه
الصلاة والسلام فقيل قال اشراف قومه المستكبرين متطاولين عليه عليه الصلاة والسلام غير مكتفين بمجرد
الاستعصاء عليه بل الامتناع عن الطاعة بل بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عليه السلام
فيما هم فيه واتباعه من المؤمنين واجترؤوا على اكراههم عليه بما عبد النفي مخاطبين له عليه السلام بذلك على طريقة
التوكيد القسمي **لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا** بنسبة الاخراج اليه عليه الصلاة والسلام اولا والى
المؤمنين ثانيا بعطفهم عليه تنبيها على اصالته عليه الصلاة والسلام في الاخراج وتبعيتهم فيه كما ينبئ عنه قوله
تعالى **معك** فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد
الناشئ عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك **من قريتنا** بغضا لكم ودفعا لفتنتكم
المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى **او لتعودن في ملتنا** عطف على جواب القسم اي والله ليكونن
احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر النفي والاخراج لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه
عدم تعرضه عليه الصلاة والسلام لجواب الاخراج كانهم قالوا لا نتركم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وحكم
له عليه الصلاة والسلام في خطاب العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب
الجماعة وانما لم يقولوا او لنعيدنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطوع حذار
الاخراج باختيار اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب **قال** استئناف كما سبق اي قال عليه
الصلاة والسلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة **او لو كنا كارهين** على ان الهمزة لانكار
الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام
فيه باقيا على حاله لتقدير مراد ان يكون التكلم لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء
غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية اذ لا يتعلق القصد
الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم
الموجب والمنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة
له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق
مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة
على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال
على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا
وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقاء المعنى على حاله سالما عما يغيره
واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغير المعنى بورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد لان الكلام في الصورة المذكورة
متعلق بنفس الفعل المذكور قبلها وانما القصد بيان تحققه على كل حال وبنفي مدلوله وان الجملة حال من ضميره
لا من متعلق المذكور كما سيأتي فان المقصود الاصلي انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير فعل
يعقبها فلتوجيه الانكار وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق لا ان يخرج
مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان العود مما لا يمكن عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا
محققا ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لانه لا يشك احد منهم في ريب ما وليس اصلا كراهة
المؤمنين للعود في ملة الكفرة ابدا حتى يقال انها امر مستبعد فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم

بعد وعيد

بعد وعيد الاخراج الذي يجعل قرينا للقتل في قوله تعالى ولو انا كتبنا الاية فانهم كانوا يستبعدونها ويطمعون
في انهم يختارون العود خشية الاخراج او رغبة او كره ويختار عند حلول ما هو اشد منه وافظع والتقدير العود
فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر
حسبما اشير اليه اذ ما له العود فيها حال عدم الكراهة وكانت للمنفية كلمة الشعاب باطلا وتضمنها من المعجزة على
حالة كانت غير ان النفي بهذه الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على انها
هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذي يتعلق به الانكار حين تحقق
مع الكراهة على ما يجب كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى فان قلت النفي من المستفاد من الاستفهام الانكاري
فيما نحن فيه بمنزلة تصحيح النفي ولا ريب في ان الاولوية في الحكم الذي يراد بيان تحققه على كل حال وذلك في
مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد من النفي المقدر
انه هو الذي يقتضيه كلام السائل اعني قولهم لتعودن واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لابطال
ما يفيده ونفي ما يقتضيه لانه من تمامه حكما في صورة النفي ولو صيغ به لتبين النقيضين وقد ما عين لحكم به
لحكامها التي هي له لما تمكن من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك
لا يستقيم اقامة الاخرى مقام الاخرى على وجه الكلية الا ترى انك لو قلت مكان العود فيها الكراهة لا العود فيها
ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني
تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل فينفيه وما يذكر بعده ويرجع اليه من حيث هو
منفي واما همزة الاستفهام فانها تباشر الفعل فتقيده بما بعدها لتدل على انها على الانكار والنفي
فالنفي ليست بدلالة وضعية دلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون
ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان
يكون ما ذكر بعد الفعل من متعلقه ومتعلق الانكار ونفي حتما ليكون قرينة لتصدير الهمزة تحقيقا الى
معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر
ما عداها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها
قيدا للنفي العود لذلك اي مغنيا عن سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة مستلزم
لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا للنفي بخلاف ذلك اي غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة
ان نفي العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه في حال الارادة مستلزم
لنفيه في حال الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ما ذكر
مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه الاول المذكور الذي به
استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوفين معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين
كما يصح ان يقال العود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا لان
كل منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لا ان معنى احدهما من غير معنى الآخر وملاحظته ان يستوفيا
في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول نفيه في الحالتين ومدلول الثاني ان العود في الحالتين منتف وكلا
التفسيرين صحيح لنفي العود في الحالتين مع ذكرهما معا غير ان الثاني مصطلح لنفي العود في الحالتين مع الاقتصار
على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة
قد افترينا على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره **ان عدنا في ملتكم** التي هي الشرك وجواب
الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم **بعد اذ نجانا الله منها** فقد افترينا
على الله كذبا عظيما حيث زعمنا ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من

الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف
حذف عنه اللام والله لقد افترينا الخ وما يكون لنا اي وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود
فيها في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئته تعالى
لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى
لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان
تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا
وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها في حيز
الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل
وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته
تعالى له وسع ربنا كل شيء علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال
عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا
منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا اي في ان يثبتنا على ما نحن
عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشراك بالكلية واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن مفاوضتهم
اثر ما ظهر له عليه الصلاة والسلام من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله
تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة
او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الحالتين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين استكبروا
ولعلهم الاعيان اولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شانهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بامورهم
حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مدار
قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب
عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان
وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمي والله لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم دين آبائكم
انكم اذا لخاسرون اي في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس
والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي
وطأته اللام فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا
الصيحة اي صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام ولعلها من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب
تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي في مدينتهم وفي سورة هود في ديارهم جاثمين اي ميتين
لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استيناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ وخبره قوله تعالى
كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا
هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم
الخاسرين استيناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة
التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اي الذين كذبوه عليه الصلاة والسلام
عوقبوا بمقابلة كلمتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين وبهذا القصر اكتفي عن التصريح بانجائه عليه الصلاة والسلام

كما وقع

كما وقع في سورة هود من قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه الى آخره فتولى عنهم
فقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله عليه الصلاة والسلام بعد ما هلكوا تأسفا
بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال فكيف آسى اي كيف احزن حزنا شديدا على قوم كافرين
مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم
والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ
ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي اشارة اجمالية الى بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن
مزيدة لتأكيد النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذبه اهله الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ من
اعم الاحوال واخذنا في محل النصب من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد الا الا باحد شرطين اما تقدير قد
كما في هذه الآية او مقارنته كما في قولك ما زيد الا قد قام والتقدير وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء
في حال من الاحوال الا حال كوننا آخذين اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لكن لا على معنى
ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع
نبيهم وتمردهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية
الكبر والعزة عن كواهلهم لقوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون
ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل في حكمه مكان السيئة التي اصابتهم لما ذكر من الغاية الحسنة اي
اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات
حتى عفوا اي كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف وبطرتهم النعمة وقالوا غير واقفين
على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله سبحانه قد مس آباءنا الضراء والسراء كما مسنا ذلك وما هو الا
من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما
ولعل تأخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء فلا ضير فيها فاخذناهم اثر ذلك بغتة فجأة اشد
الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا
الآية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعم مثله وما يمضي بين الاخذ
واتمام الاهلاك ايام كما في ثمود ولو ان اهل القرى اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى من قرية وقيل
هي مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر منها انتظاما اوليا آمنوا بما اوحي الى انبيائهم معتبرين
بما حل عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اي الكفر والمعاصي او اتقوا ما انذروا به على السنة
الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادة الدهر وقال ابن عباس رضي الله
تعالى عنه وحدوا الله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه
لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل
المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول
لاستلزامه الثاني فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا
الى آخره وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانهما قد زالا بتبديل
الحسنة مكان السيئة افأمن اهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ
امن كل طائفة مما اتاهم من البأس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم
الى غيرهم كما سيأتي والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه كما قال ابو شامة وغيره لقوله تعالى
فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة الى بيان
ان الاخذ المذكور مما كسبت ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا اي تبييتا

او وقت بيات ونهاراً ومبيتاً او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى
التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتاً اوأمن اهل القرى انكار بعد انكار
في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل اذ امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون وضحى وهم
يلعبون وقرئ او بسكون الواو ومعنى الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون اي ضحوة النهار
وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما
لا ينفعهم كأنهم يلعبون افأمنوا مكر الله تكرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله تعالى استعارة
لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين
ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما
الثاني فمن تتمة الاول فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا انفسهم واضاعوا
فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب للاستفادة من النظر في الآيات اولم يهد
للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم
والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام لانها بمعنى التبيين والفاعل ما دل عليه
قوله تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي اولم يبين لهم ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم ونطبع على قلوبهم عطف على ما يدل عليه اولم يهد كأنه قيل لا يهتدون او يغفلون
عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم لانه في سياق جواب
لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون اي اخبار الامم المهلكة فضلاً عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها
من الهدايات تلك القرى جملة مستأنفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية
غواية الامم المذكورة وتماديهم فيها بعد ما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة تلك اشارة الى قرى الامم
المحكية المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى نقص عليك من انبائها خبره وصيغة المضارع
للدلالة على ان القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك
مبتدأ والقرى خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا
هي حية تسعى وتصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصود انباء اهلها وقال المقصوص
بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لما ان حكاية هلاكهم بالمرة
على وجه الاستئصال بحيث يشمل اماكنهم ايضاً بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة اهول وافظع
وقوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالاً من فاعله
اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به حسب
اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي بين الرسل وضمير الامم والجملة مستأنفة
مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات
البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتماً وقوله تعالى
فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم وترتيب حالهم
هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع
عنه وان كان استمراراً عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم

ينجو دعوته فلم يجب واللام لتأكيد النفي اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات
ان يؤمنوا بل كان تمكنت فيهم لانهم لا القوا الى الغاية عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم كان
المحكي عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور هاهنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي
وما اشار اليه بقوله تعالى بما كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما
لم يجعل ذلك مقصوداً بالذات اولاً ولم يجعله صلة الموصول ليدل على انه بين بنفسه غني عن الاحتياج الى البيان
عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا
من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق الايمان والتكذيب سلباً وايجاباً عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها
كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولاً كفرهم المستمر من حين
مجيء الرسل الى آخره وبما اشار اليه ثانياً تكذيبهم قبل مجيئهم ولذلك جعل الموصول عبارة عن اصول الشرائع
التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة انتسابها وتغيرها مثل ملة
التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة
التوحيد قط بل كانت كل امة من تلك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم
بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول
لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حيث لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما انفرد به
بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصوداً بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب
الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً وانما ذكر ما وقع قبلها بياناً
لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاث متفقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم
فالمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المعنى فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم
بعد هلاكهم ورددناهم الى الدنيا بما كذبوا به من قبل لقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية
وما مصدرية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ما ورد في سورة
يونس من مخالفة الجمهور بحمل ما على المصدرية من غير اسناد كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير في به
كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع الله على قلوب الكافرين اي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر
فيها الآيات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال
الروعة وما وجدنا لاكثرهم اي لاكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالاً
اي ما صادفت له مالاً لا بمحذوف وقع حالاً من قوله تعالى من عهد لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت
عليها انتصبت حالاً والاصل وما وجدنا عهداً كائناً لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اي وما وجدنا لاكثرهم
من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين وتخصيص هذا الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يوفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يوفون
وقيل المراد بالعهد ما عهد الله اليهم من الايمان والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج وقيل ما عهد
عند خطاب ألست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يوفون بالعهود باي
معنى كان وان وجدنا اكثرهم اي اكثر الامم اي علمناهم كما في قولك وجدت زيداً ذا الحفاظ وقيل الاول
كذلك ايضاً وان مخففة من ان وضمير الشأن محذوف اي ان الشأن وجدناهم لفاسقين خارجين عن الطاعة
ناقضين للعهود وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اي ما وجدنا اكثرهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم
موسى اي ارسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم الصلاة والسلام او من بعد هلاك الامم
المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن

السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر **بآياتنا** متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره اي بعثناه
عليه الصلاة والسلام ملتبسا بآياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الآيات التسع المفصلات
التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
حسبما سيأتي على التفصيل **الى فرعون** هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك
فارس وقيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان **وملئه** اي اشراف قومه
وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه الصلاة والسلام لقومهم كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة
رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية
لاصالتهم في تدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور **فظلموا بها** اي كفروا بها اجرى الظلم مجرى
الكفر لكونهما من واد واحد او ضمن معنى الكفر او التكذيب اي ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان
الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان
عرضوها للعذاب المخلد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من
العذاب ما لقوا الا ترى الى قوله تعالى **فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** كما ان ظلمهم بها مستتبع
لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبعة للامر بالنظر اليها وكيف خبر لكان قدم على اسمها
لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز النصب باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا
بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد **وقال موسى** كلام مبتدأ
مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين **يا فرعون اني رسول**
اي اليك **من رب العالمين** على الوجه الذي مر بيانه **حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق** جواب عما
ينساق اليه الذهن من حكاية تكذيبهم بالآيات من تكذيبه اياه عليه الصلاة والسلام في دعوى الرسالة
وكان اصله حقيق على ان لا اقول كما هو قراءة نافع فقلب لأمن الالباس كما في قول من قال وتشقى
الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على
القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء
لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق
ان لا اقول وقوله تعالى **قد جئتكم ببينة من ربكم** استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين
وكونه حقيقا بقول الحق ولم يذكر هذا القول منه عليه الصلاة والسلام وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر
هاهنا بل لعله مما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى قال فمن ربكما الآيات وقوله تعالى وما رب العالمين
الآيات وقد طوي هاهنا ذكره للايجاز ومن متعلقة اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا واما
بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الاضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين
التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى العالمين لتأكيد وجوب الايمان بها
فارسل معي بني اسرائيل اي فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد
استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم ويكلفهم الافاعيل الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عليه الصلاة
والسلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عليهما الصلاة والسلام اربعمائة عام والفاء
لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من رسالته عليه الصلاة والسلام ومجيئه بالبينة **قال** استئناف
وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كأنه قيل ماذا قال فرعون له عليه الصلاة والسلام حين قال
له ما قال فقيل قال **ان كنت جئت بآية** اي من عند من ارسلك كما تدعيه **فأت بها** اي فاحضرها عندي حتى

تثبت بها

تثبت بها رسالتك **ان كنت من الصادقين** في دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق
يقتضي اظهار الآية لا محالة **فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين** اي ظاهر امره لا يشك في كونه
ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية
فيها كأنها في الاصل كذلك روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون
ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث
وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك
خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا **ونزع يده** اي من جيبه او من
تحت ابطه **فاذا هي بيضاء للناظرين** اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة
تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده فقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة
صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه الصلاة والسلام
آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها **قال الملأ من قوم فرعون**
اي الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته **ان هذا لساحر عليم** اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه
تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزي في سورة الشعراء اليه **يريد ان يخرجكم**
من ارضكم اي من ارض مصر **فماذا تأمرون** بفتح النون وما في ماذا في محل النصب على انه مفعول
ثان لتأمرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باي شيء تأمرونني وهذا من كلام فرعون كما في قوله تعالى
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي فاذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملأ من قبله بطريق
التبليغ الى العامة فقوله تعالى **قالوا ارجه واخاه** على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين
شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه ان الخطاب لفرعون وان المشاورة
ليست من وظائفهم اي اخره واخاه وعدم التعرض لقتله لظهور كونه محفوفا بما يمنعه من الآيات والمعنى اخر
امرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ ارجئه وارجه من ارجأه وارجاه
وارسل في المدائن حاشرين قيل هي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم باقصى
مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا سبعين ساحرا وقد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين
من اهل نينوى مدينة يونس عليه الصلاة والسلام **يأتوك بكل ساحر عليم** اي ماهر في السحر وقرئ بكل
سحار عليم والجملة جواب الامر **وجاء السحرة فرعون** بعد ما ارسل اليهم الحاشرين ولما لم يصرح
به حسبما في قوله تعالى فارسل فرعون في المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة
الحاشرين والسحرة الى الامتثال **قالوا** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كأنه قيل فما
قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم **ان لنا لاجرا ان كنا نحن**
الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم حينئذ او بطريق
الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا نحن لتعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم
في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى **قال نعم** وقوله تعالى
وانكم لمن المقربين عطف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كأنه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك
لمن المقربين للمبالغة في الترغيب روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج منه
قالوا استئناف كما مر كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصدين لشأنهم مخاطبين لموسى عليه
الصلاة والسلام **يا موسى اما ان تلقي** ما تلقي اولا **واما ان نكون نحن الملقين** اي لما نلقي اولا والقاء عليه
للالقاء اولا وتخييرهم اياه عليه الصلاة والسلام بالبدء بالالقاء مراعاة للادب واظهار للجلادة فانه

لا يخل بما هم بالتقديم والتأخير ولكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف
الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل قال ألقوا غير مبال بأمرهم أي ألقوا ما تلقون فلما
ألقوا ما ألقوا سحروا أعين الناس بأن خيلوا إليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم أي بالغوا في إرهابهم
وجاءوا بسحر عظيم في بابه روي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي
وركب بعضها بعضا وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون الفاء فصيحة
أي فألقاها فصارت حية فإذا هي الآية وإنما حذف للإيذان بمسارعة موسى عليه الصلاة والسلام
إلى الإلقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالأمر بالإلقاء وصيغة المضارع
لاستحضار صورة اللقف الهائلة والأولى صرفه على القلب على الوجه المعتاد وما موصولة أو موصوفة
والعائد محذوف أي ما يأفكونه ويزورونه أو مصدرية وهو مع الفعل بمعنى المفعول روي أنها لما تلقفت ملء
الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله تعالى بقدرته القاهرة تلك
الأجرام العظام أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع
الحق أي ثبت لظهور أمره وبطل ما كانوا يعملون أي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله
فغلبوا أي فرعون وقومه هنالك أي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين أي صاروا أذلاء مبهوتين
أو رجعوا إلى المدينة أذلاء مقهورين والأول هو الظاهر لقوله تعالى وألقي السحرة ساجدين فإن ذلك
كان بمحضر من فرعون قطعا أي خروا سجدا كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم
إلى ذلك قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون أبدلوا الثاني من الأول لئلا يتوهموا أن مرادهم فرعون
عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بني إسرائيل ستمائة ألف قال فرعون منكرا
على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه آمنتم به بهمزة واحدة إما على الإخبار المحض المتضمن للتوبيخ أو على الاستفهام
التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في أإن لنا لأجرا وقرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الأولى وتسهيل الثانية
بين بين أي آمنتم بالله تعالى قبل أن آذن لكم أي بغير إذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات
ربي لا أن الإذن منه ممكن في ذلك إن هذا لمكر مكرتموه يعني أن ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم
لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى في المدينة يعني مصر قبل أن تخرجوا إلى
الميعاد روي أن موسى عليه الصلاة والسلام وأمير السحرة التقيا فقال له موسى عليه الصلاة والسلام أرأيتك
إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق فقال الساحر والله لئن غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمعهما وهو
الذي نشأ عنه هذا القول لتخرجوا منها أهلها أي القبط وتخلص لكم ولبني إسرائيل وهاتان شبهتان
ألقاهما إلى أسماع عوام القبط مع معاينتهم لانتفاع علم المعجزة ومشاهدتهم لخضوع أعناق السحرة لها وعدم
تمالكهم من أن يؤمنوا منعا لهم عن الإيمان بمتبوع موسى عليه الصلاة والسلام بإرادة أن إيمان السحرة مبني على تواضع
بينهم وبين موسى وأن غرضهم بذلك إخراج القوم من المدينة وإبطال ملكهم ومعلوم أن مفارقة الأوطان المألوفة
والنعمة المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم
له عليه الصلاة والسلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم أن له قوة وقدرة على المدافعة فقال فسوف تعلمون أي
عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الإجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لأقطعن أيديكم وأرجلكم
من خلاف أي من كل شق طرفا ثم لأصلبنكم أجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لأمثالكم قيل هو أول من سن
ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله تعالى محاربة الله ورسوله قالوا استئناف
مسوق للجواب عن سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فماذا قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به
أو تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتين على ما أحدثوا من الإيمان إنا إلى ربنا منقلبون أي بالموت

لا محالة

لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك أو لا فكيف نبالي بوعيدك أو إنا إلى رحمة ربنا وثوابه منقلبون إن فعلت بنا
ذلك كأنهم استطابوه شوقا إلى لقاء الله تعالى أو إنا جميعا إلى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا
أي وما تنكر وتعيب منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الأعمال وأصل المفاخر ليس مما يتأتى
لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم أعرضوا عن مخاطبته إظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا
له ففزعوا إلى الله عز وجل وقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا أي أفض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يفرغ الماء أو صب
علينا ما يطهرنا من أوضار الأوزار وأدناس الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين
على ما رزقتنا من الإسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهما ما أوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى
ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا من أمر موسى عليه الصلاة والسلام
أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض أي في أرض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك
ويذرك عطف على يفسدوا أو جواب للاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم
المودة والإخاء أي أيكون منك ترك موسى ويكون منه تركه إياك كقوله تعالى فأصدق وأكن وآلهتك معبوداتك
قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه ولذلك قال أنا ربكم الأعلى
وقرئ وإلاهتك أي عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل ذلك
من قبل ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على
يده وقرئ سنقتل بالتخفيف وإنا فوقهم قاهرون كما كنا لم يتغير حالنا أصلا وهم مقهورون تحت أيدينا
كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة لهم بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه استعينوا
بالله واصبروا على ما سمعتم من أقاويله الباطلة إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين أي أرض مصر أو جنس الأرض وهي داخلة فيها أوليا والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا
على اسم إن قالوا أي بنو إسرائيل أوذينا من قبل أن تأتينا أي بالرسالة يعنون بذلك
قتل الأبناء قبل مولد موسى عليه الصلاة والسلام وبعده ومن بعد ما جئتنا أي رسولا يعنون به ما توعدهم
من إعادة قتل الأبناء وسائر ما كانوا يفعلون بهم لعداوة موسى عليه الصلاة والسلام من فنون الجور والظلم والعذاب
وأما ما كانوا يستعبدون ويمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم بواسطته عليه الصلاة
والسلام فليس لذكره كثير مدخل في المقام قال أي موسى عليه الصلاة والسلام لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه
مسليا لهم بالتصريح بما لوح به في قوله إن الأرض لله الخ عسى ربكم أن يهلك عدوكم الذي فعل بكم ما فعل
وتوعدكم بإعادته ويستخلفكم في الأرض أي يجعلكم خلفاء في أرض مصر فينظر كيف تعملون أحسنا
أم قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال وفيه تأكيد للتسلية وتحقيق للأمر قيل لعل الإتيان بفعل الطمع
لعدم الجزم منه عليه الصلاة والسلام بأنهم هم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم فقد روي أن مصر إنما فتح في
زمن داود عليه الصلاة والسلام ولا يساعده قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الأرض ومغاربها فإن المتبادر استخلاف نفس المستضعفين لا استخلاف أولادهم وإنما جيء بفعل
الطمع للجري على سنن الكبراء ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادي الهلاك
الموعود وإيذان بأنه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتبت أسباب هلاكهم
فتحولوا من حال إلى حال إلى أن حل بهم عذاب الاستئصال وتصدير الجملة بالقسم لإظهار الاعتناء بمضمونها
والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان أشهرهما إجراؤها مجرى المذكر السالم فيجمع
فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء وتحذف نونه بالإضافة واللغة الثانية إجراء الإعراب على النون
لكن مع الياء خاصة إما بإثبات تنوينها أو بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر

وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وحينئذ لا تحذف النون للاضافة
وعلى هذه اللغة جاء قول الشاعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا وجاء
الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف بالغين ونقص من الثمرات
باصابة العاهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
اما السنون فكانت لباديتهم واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم لعلهم يذكرون
كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد
وقال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل في الرجوع اليه تعالى الا يرى الى
قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى
لعلكم تتقون في سورة البقرة وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة الخ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي
اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه اي لاجلنا واستحقاقنا وان
تصبهم سيئة اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا
الا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية تحجرهم وعنادهم فان الشدائد ترقق
القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الآيات وهم لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا
وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان
تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله
تعالى الا انما طائرهم عند الله استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في
ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا
عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو
اسم لجمع طائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم واسناد عدم
العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون
ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا
وقالوا شروع في بيان بعض آخر مما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها آيات بينات وعدم
ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعد ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات
مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد كما
ضمت الى ان في قوله تعالى فاما نذهبن بك خلا ان الالف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرير المتجانسين
هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الكاف ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء
او النصب بفعل يفسره ما بعدها اي اي شيء تحضر لدينا وقوله تعالى من آية بيان لمهما وتسميتهم اياها آية
لمجاراتهم على رأي موسى عليه الصلاة والسلام واستهزاؤهم بها والاستبعاد بانه عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم
وقوله تعالى لتسحرنا بها الخ لظهار كمال الطغيان والغلو فيه وتسميتهم ذلك ارشاد الحق بالسحر وتسكين
الايصاد والضميران المجروران راجعان الى مهما فتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتأنيث الثاني
للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده فما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك فارسلنا
عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر
او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل
اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة

لايستطيع

من آيةٍ
بيان

لا يستطيع احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة
وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا
له عليه الصلاة والسلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ
ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا الى
النبي عليه الصلاة والسلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت
منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع في طعامهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم
فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع
بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم
عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى فنقضوا العهد فارسل الله
عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي
ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله
عليهم الرعاف آيات حال من المنصوبات المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى
ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا
وقيل انه عليه الصلاة والسلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل
فاستكبروا اي عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما
وقع عليهم الرجز اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة اي كلما
وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات في كل مرة قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده
عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعو به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير
فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف قد دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب
منك بحق ما عندك او قسم مجاب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم
بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او مهلكون اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم
فاجؤوا النكث من غير تأمل وتوقف فانتقمنا منهم اي فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم
فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام
والفاء تفسيرية كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال الخ في اليم في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في لجته
بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى
واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على
ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب آيات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك
مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على
استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه
اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي
حيث ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها الشرقية والغربية كيف شاؤوا وقوله
تعالى التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف
للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمت ربك الحسنى

وهو وعده تعالى إياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم
أئمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني إسرائيل بما
صبروا أي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا أي خربنا وأهلكنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور أي ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على أن فرعون اسم كان
ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف أيضاً والتقدير ودمرنا الذي كان فرعون
يصنعه فرعون إلى آخره وقيل كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذي
يصنعه فرعون إلى آخره أي صنعه والعدول إلى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة وما
كانوا يعرشون من الجنات أو ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء وهو
أفصح وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل وجاوزنا ببني إسرائيل البحر شروع في قصة
بني إسرائيل وشرح ما أحدثوه من الأمور الشنيعة بعد أن أنقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم
العظام الموجبة للشكر وأراهم من الآيات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وإيقاظ للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوزنا
بالتشديد وهو أيضاً بمعنى جاز فعدي بالباء أي قطعنا بهم البحر روي أنه عبر بهم موسى عليه الصلاة والسلام
يوم عاشوراء بعدما أهلك الله تعالى فرعون فصاموه شكراً لله تعالى فأتوا أي مروا على قوم قيل كانوا من لخم
وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين أمر موسى عليه الصلاة والسلام بقتالهم يعكفون على أصنام لهم
أي يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت أصنامهم تماثيل بقر وهو أول
شأن العجل قالوا عندما شاهدوا أحوالهم يا موسى اجعل لنا إلهاً مثالاً نعبده كما لهم آلهة الكاف
متعلقة بمحذوف وقع صفة لإلهاً وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل منها والتقدير اجعل لنا إلهاً كائناً
كالذي استقر لهم وهو آلهة قال إنكم قوم تجهلون تعجب عليه الصلاة والسلام من قولهم هذا إثر ما شاهدوا من الآية
الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق إذ لا جهل أعظم مما ظهر منهم وأكده بقوله إن هؤلاء يعني القوم
الذين يعبدون تلك التماثيل متبر ما هم فيه أي مدمر مكسر من الدين الباطل أي يتبر الله تعالى
ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضاً وإنما جيء بالجملة الاسمية للدلالة
على التحقيق وباطل أي مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وإن كان قصدهم بذلك التقرب إلى الله
تعالى فإنه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً كما توهم فإن المراد
أعمال البر التي عملوها في الجاهلية فإنها في أنفسها حسنات لو قارنت الإيمان لاستتبعت أجورها وإنما بطلت لمقارنتها
الكفر وفي إيقاع هؤلاء اسماً لإن وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبراً لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون
للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض إليهم ما أحبوا قال
أغير الله أبغيكم إلهاً شروع في بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان أن ما طلبوا
عبادته مما لا يمكن طلبه أصلاً لكونه هالكاً باطلاً ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه
الصلاة والسلام والاستفهام للإنكار والتعجب والتوبيخ وإدخال الهمزة على غير للإيذان بأن المنكر هو كون المبغي
غيره تعالى إلهاً لا للاختصاص أي إنكار ابتغاء غيره تعالى دون إنكار الاختصاص بغيره وانتصاب غير على أنه مفعول
أبغي بحذف اللام أي أبغي لكم أي أطلب لكم غير الله تعالى وإلهاً إما تمييز أو حال أو على الحالية من إلهاً وبمعنى
لا أبغي على أن الأصل أبغي لكم إلهاً غير الله تعالى فغير صفة لإلهاً فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالاً وهو فضلكم
على العالمين أي والحال أنه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المقابلة
حيث قابلوا تخصيص الله تعالى إياهم من بين أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلاً بأن عمدوا إلى أخس شيء من مخلوقاته

تعالى فجعلوه

تعالى فجعلوه شريكاً له تعالى تباً لهم وما يعبدون وإذ أنجيناكم تذكير لهم من جهته تعالى بنعمة الإنجاء
من ملكة فرعون وقرئ أنجيناكم من التنجية وقرئ أنجاكم فيكون مسوقاً من جهة موسى عليه الصلاة والسلام
أي واذكروا وقت إنجائنا إياكم من آل فرعون من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من أيديهم وهم على
حالهم في المكنة والقدرة بل بإهلاكهم بالكلية وقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب من
سامه خسفاً أي أولاه إياه أو كلفه إياه وهو إما استئناف لبيان ما أنجاهم منه أو حال من
المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما معاً لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى يقتلون أبناءكم
ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين أو مفسر له وفي ذلكم الإنجاء أو سوء العذاب
بلاء أي نعمة أو محنة من ربكم من مالك أموركم فإن النعمة والنقمة كلتاهما منه سبحانه وتعالى
عظيم لا يقادر قدره وواعدنا موسى ثلاثين ليلة روي أن موسى عليه الصلاة والسلام وعد
بني إسرائيل وهم بمصر إن أهلك الله تعالى عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك
فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما أتم
الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى بأن
يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تعالى وأتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالي
لأنها غرر الشهور وقيل أمره الله تعالى بأن يصوم ثلاثين يوماً وأن يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم أنزلت
عليه التوراة في العشر وكلم فيها وقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصل هاهنا وواعدنا بمعنى
وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عليه الصلاة والسلام
منزلة الوعد وثلاثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف أي تمام ثلاثين ليلة فتم ميقات ربه
أربعين ليلة أي بالغاً أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون حين توجه إلى المناجاة
حسبما أمر به اخلفني في قومي أي كن خليفتي فيهم وراقبهم فيما يأتون وما يذرون وأصلح ما يحتاج
إلى الإصلاح من أمورهم أو كن مصلحاً ولا تتبع سبيل المفسدين أي لا تتبع من سلك الإفساد ولا
تطع من دعاك إليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي اختص مجيئه
بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة عليهم الصلاة والسلام وفيما روي أنه عليه الصلاة
والسلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين
قال رب أرني أنظر إليك أي أرني ذاتك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك وهو دليل
على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لما أن طلب المستحيل مستحيل من الأنبياء لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون
الله عز وجل ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى أو لن أريك أو لن تنظر إلي تنبيهاً على أنه قاصر عن
رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا
أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا
اجعل لنا إلهاً وأن لا يتبع سبيلهم كما قال لأخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها
أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار بعدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبداً وأن لا يراه غيره أصلاً فضلاً عن أن يدل على استحالتها
ودعوى الضرورة مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل
فماذا قال رب العزة حين قال موسى عليه الصلاة والسلام ما قال فقيل قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل
فإن استقر مكانه فسوف تراني استدراك لبيان أنه لا يطيقها وفي تعليقها باستقرار الجبل أيضاً
دليل على الجواز ضرورة أن المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل أردن فلما تجلى ربه للجبل أي ظهرت
له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه جعله دكاً مدقوقاً مفتتاً

والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها
وقرئ دكا جمع دكاء اي قطعا **وخر موسى صعقا** مغشيا عليه من هول ما رآه **فلما افاق** الافاقة
رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب **قال** تعظيما لما شاهده **سبحانك** اي تنزيها
لك من ان اسألك شيئا بغير اذن منك **تبت اليك** اي من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن **وانا اول**
المؤمنين اي بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال
بغير اذن منك **قال يا موسى** استئناف مسوق لتسليته عليه الصلاة والسلام من عدم الاجابة الى سؤال
الرؤية كانه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا من العالمين فاغتنمها
وثابر على شكرها **اني اصطفيتك** اي اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك **على الناس** اي المعاصرين لك
وهارون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع **برسالاتي** اي باسفار التوراة
وقرئ برسالتي **وبكلامي** وبتكليمي اياك بغير واسطة **فخذ ما آتيتك** اي اعطيتك من شرف النبوة
والحكمة **وكن من الشاكرين** على ما اعطيتك من جلائل النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة واعطاء
التوراة يوم النحر **وكتبنا له في الالواح من كل شيء** اي مما يحتاجون اليه من امور دينهم **موعظة وتفصيلا**
لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في عدد الالواح وفي
جوهرها ومقدارها فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمردة جاء
بها جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى موسى
بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشقها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء
فيها التوراة وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم
يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله
الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين **فخذها** على اضمار القول عطفا على
كتبنا اي فقلنا له خذها **بقوة** بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك والضمير للالواح او لكل شيء
لانه بمعنى الاشياء او للرسالات او للتوراة **وأمر قومك يأخذوا باحسنها** اي باحسن ما فيها كالعفو
والصبر والاقتصاص والانتصار والامر على طريقة الندب والحث على اختيار الافضل كما في قوله تعالى والاقتصاع
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا بها واحسن
صلة قال قطرب اي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو ان تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان
على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب **سأريكم دار الفاسقين** تلوين للخطاب وتوجيه له الى
قومه عليه الصلاة والسلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد
والترهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهي خالية عن
اهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال اهلها كي لا يحل بهم ما حل باولئك واما
على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر خاصة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها
ايضا مما ابيح لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم
ومعنى الاراءة الادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ سأوريكم وهو لغة من اوريت الزند اي سأبينها
لكم وقوله تعالى **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض** استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب
لعدم التفكر في الآيات التي هي ما كتب في الالواح من المواعظ والاحكام وما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التي
من جملتها ما عدا دارهم من ديار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون

فيها ولا

فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الجليل اي سأطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا فلا يتفكرون
بالآيات التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات
فابى الله الا احقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة المتصفين
بالفسق والتكبر في الارض وبآياتها المخاطبين اضطلاع الشام فاسكانهم في مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم فيكون قوله تعالى سأصرف عن آياتي الخ جوابا عن سؤال مقدر ناشئ
من الوعد بادخال الشام على ان المراد بالآيات ما تلي آنفا ونظائره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها
لوقوع اخبارها وظهور احكامها وآثارها باهلاكهم على يدي موسى عليه الصلاة والسلام حين سار بعد التيه
بمن بقي من بني اسرائيل او بيد ابنائهم على اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر
بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كأنه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل سأهلكهم وانما
عدل الى الصرف ليزدادوا ثقة بالآيات واطمئنانا بها وقوله تعالى **بغير الحق** اما صلة للتكبر اي يتكبرون
بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اي يتكبرون ملتبسين بغير الحق
وقوله تعالى **وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها** عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالآية اما
المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة
المنتظمة للسماع والابصار اي وان يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة
منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى **وان يروا سبيل الرشد**
لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة
عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم
والسقام **وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا** اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون
عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى شهواتهم **ذلك** اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء
من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **بانهم** اي حاصل بسبب
انهم **كذبوا بآياتنا** الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها **وكانوا عنها غافلين**
لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل وقيل ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يبعد الاشعار بعلية
ما في حيز الصلة للتكبر لا وقد مر ان ذلك في قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية يجوز ان تكون اشارة الى الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله صريحا وقيل محل اسم الاشارة النصب على المصدر اي سأصرفهم
ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها **والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة** اي بلقائهم الدار الآخرة
من الجزاء ومحل الرفع على الابتداء وقوله تعالى **حبطت اعمالهم** خبره اي ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة
الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك وحبطت بعدما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها **هل يجزون** اي لا يجزون
الا ما كانوا يعملون اي الا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي **واتخذ قوم موسى من بعده** اي من بعد ذهابه الى
الطور **من حليهم** متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنييهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان او
الثاني متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى
ملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها قبيل الغرق فبقيت في ايديهم واما لانهم ملكوها بعد الغرق كغيرها
مما يملك بنو اسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم ولا يستلب عن قولهم حملنا اوزارا من زينة القوم
والحلي بضم الحاء وكسرها جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلي وقرئ حليتهم على الافراد

وقوله تعالى **عجلا** مفعول لاتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير فالمفعول الثاني محذوف اي الها وقوله **جسدا** بدل من عجلا اي جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى **له خوار** اي صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل عليه الصلاة والسلام وقد كان اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والانسب بما في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكانهم فعلوه واما لان المراد اتخاذهم اياه الها لا صنعه واحداثه **الم يروا انه لا يكلمهم** استئناف مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وركاكة عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها اي الم يروا انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم **ولا يهديهم سبيلا** بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى **اتخذوه** اي فعلوا ذلك **وكانوا ظالمين** اي واضعين الاشياء في غير مواضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه **ولما سقط في ايديهم** اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فالايدي حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل **ورأوا انهم قد ضلوا** باتخاذ العجل اي تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كانهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متاخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كانه سابق على الرؤية **قالوا** والله **لئن لم يرحمنا ربنا** بانزال التوبة المكفرة **ويغفر لنا** ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تتقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما اشير اليه وفي قوله تعالى **لنكونن من الخاسرين** جواب للقسم وما حكي عنهم من الندامة وما ترتب عليها وان كان بعد ما رجع موسى عليه الصلاة والسلام كما ينطق به الايات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد **ولما رجع موسى الى قومه** شروع في بيان ما جرى من موسى عليه الصلاة والسلام بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تعالى **غضبان اسفا** حالان من موسى عليه الصلاة والسلام او الثاني من المستكن في غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين **قال بئسما خلفتموني من بعدي** اي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او بئس ما قمتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلافة ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم **اعجلتم امر ربكم** اي اتركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم **والقى الالواح** طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة

اسباعها

اسباعها التي فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام **واخذ برأس اخيه** اي بشعر رأسه عليهما الصلاة والسلام **يجره اليه** حال من ضمير اخذ فعل عليه الصلاة والسلام ذلك توهما انه قصر في كفهم وهارون كان اكبر منه عليهما السلام بثلاث سنين وكان حمولا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل **قال** اي هارون مخاطبا لموسى عليهما الصلاة والسلام **ابن ام** بحذف حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان ذكر الام اعظم في الحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست في خلاصه الشدائد وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف او لتشبيهه بخمسة عشر **ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني** ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت الجهد في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي **فلا تشمت بي الاعداء** اي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي **ولا تجعلني مع القوم الظالمين** اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او بالنسبة الى التقصير وهذا اوفق بكون الخطاب للكل اولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هارون عليه الصلاة والسلام كانه قيل فماذا قال موسى عليه الصلاة والسلام عند ذلك فقيل قال **رب اغفر لي** اي ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله **ولاخي** ان فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوا من العظيمة استغفر عليه الصلاة والسلام لنفسه ليرضي اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه محتاج الى الاستغفار حيث يجب عليه ان ينهاهم **وادخلنا في رحمتك** الواسعة في الدنيا والآخرة بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا **وانت ارحم الراحمين** فلا عجب في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها **ان الذين اتخذوا العجل** اي عكفوا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه من الذين اشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين **سينالهم غضب** اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما انهم ارتكبوا ما ارتكبوا من اعظم الجرائم وافظع الجرائر وقوله تعالى **من ربهم** اي مالكهم متعلق بسينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم **وذلة في الحياة الدنيا** هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا او الذلة التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس روي ان بقاياهم اليوم يقولون لا مساس وان مس احدهم احد من غيرهم حما جميعا في الوقت وايراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما امروا به من قتل انفسهم ولا بد حينئذ من ان يكون السين حكاية لما اخبر الله تعالى به موسى عليه الصلاة والسلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب فانه مخبر بان سياق النظم الكريم وسياقه نابيان عن ذلك نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى **وكذلك نجزي المفترين** ينادي على خلافه فانهم شاهدون بانه كيف يكون وصفهم بعد ذلك بالافتراء وايضا الذين يجزي الله تعالى كل المفترين هذا الجزاء الذي ظاهره وهن وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم وهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعيير الابناء بافاعيل الاباء مشهور معروف منه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها الاية ومنه قوله تعالى واذ قلتم يا موسى الاية والمراد بالغضب الغضب الاخروي وبالذلة ما اصابهم من القتل والجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في سينالهم اخلافهم ولا ريب في ان توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه **والذين عملوا السيئات** اي سيئة كانت **ثم تابوا** عن تلك السيئات **من بعدها** اي من بعد عملها **وآمنوا** ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى **ان ربك من بعدها** اي من بعد تلك التوبة

المقرونة بالإيمان لغفور للذنوب وإن عظمت وكثرت رحيم مبالغ في إفاضة فنون الرحمة الدنيوية والأخروية
والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب
شروع في بيان بقية الحكاية إثر ما بين تحزب القوم إلى المصر وبأن والإشارة إلى مآل كل منهما إجمالا أي لما
سكن عنه الغضب باعتذار أخيه وتوبة القوم وهذا صريح في أن ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد
مجيء موسى عليه الصلاة والسلام وفي هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له عليه
الصلاة والسلام على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر بذلك المغري عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن
سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت وأسكت على أن الفاعل هو الله تعالى أو أخوه أو التائبون أخذ
الألواح التي ألقاها وفي نسختها أي فيما نسخ وكتب فيها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها
أي من الألواح المنكسرة هدى أي بيان للحق ورحمة للخلق بإرشادهم إلى ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم
يرهبون اللام الأولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة أي كائنة لهم أو هي لام الأجل أي هدى ورحمة
لأجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى إن كنتم للرؤيا تعبرون أو هي أيضا لام العلة والمفعول
محذوف أي يرهبون المعاصي لأجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع في بيان كيفية استدعاء
التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى إلى اثنين ثانيهما محذوف من أي اختار من قومه بحذف الجار وإيصال
الفعل إلى المجرور كما في قوله اخترتك الناس إذ رثت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده السؤال أي اخترتك من
الناس سبعين رجلا مفعول أول للاختيار وتأخيره عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى
المؤخر لميقاتنا الذي وقتناه بعد ما وقع من قومه ما وقع للاعتذار لا لميقات الكلام الذي ذكر قبل ذلك كما قيل قال
السدي أمر الله تعالى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعدا
فاختار موسى عليه الصلاة والسلام من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن إسحاق اختارهم ليتوبوا إليه تعالى مما
صنعوا ويسألوا التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم قالوا اختار عليه الصلاة والسلام من كل سبط ستة
فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عليه الصلاة والسلام إن لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد كالب
ويوشع وذهب مع الباقين وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم إلى طور سيناء فلما دنوا من الجبل
غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى وهو يكلم موسى يأمره وينهاه محسنا يشاهدهم
الأمر بقتل أنفسهم توبة فلما أخذتهم الرجفة بما اجترؤوا عليه من طلب الرؤية فإنه يروى أنهم لما انكشف
الغمام أقبلوا إلى موسى عليه الصلاة والسلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أي الصاعقة أو رجفة
ورجفت الجبل فصعقوا منها أي ماتوا ولعلهم أرادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك في أن الآمر بما سمعنا
الأمر بقتل أنفسهم هو الله تعالى حتى نراه بحيث قاسوا رؤيته تعالى على سماع كلامه قياسا فاسدا في حق شأنه
موسى عليه الصلاة والسلام تلك الحالة الهائلة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل أي حين فرطوا في النهي عن
عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا إصرارهم عليها وإياي أيضا حين طلبت منك الرؤية أي لو شئت
إهلاكنا بذنوبنا لأهلكتنا حينئذ أدب عليه الصلاة والسلام تذكيرا للعفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق
الاعتراف بالذنب والشكر على النعم مما يبسط العقيدة ويستجلب المزيد أي إنك ما شئت إهلاكهم إذ ذاك ولكن من
لا مشيئتك إياه بل لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائر فحقق ذلك في أن تعفو عنا هذا الجرم اليوم أيضا وحمل
الكلام على التمني يأباه قوله تعالى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا أي الذين يجهلون تفاصيل شؤونك والاستفهام
في المحض للعرض أما للإنكار ووقوع الإهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الأنباري وللاستعطاف
كما قاله المبرد أي لا تهلكنا إن هي إلا فتنتك استئناف مقرر لما قبله واعتراض عما صنعوا ببيان منشأ غلطهم
أي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا ما قالوا من العظيمة إلا فتنتك أي محنتك وابتلاؤك

وسبعون

حيث لمحهم

حيث سمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله تعالى تضل بها
من تشاء وتهدي من تشاء إما استئناف مبين لحكم الفتنة وحال من فتنتك أي حال كونها مضلا بها إلى الكفر أي
تضل بسببها من تشاء إضلاله بأن لا يهتدي إلى التثبت وتهدي من تشاء هدايته إلى الحق فلا يتزلزل في أمثالها
فيقوى بها إيمانه أنت ولينا أي القائم بأمورنا الدنيوية والأخروية وناصرنا وحافظنا لا غير فاغفر لنا ما قارفناه
من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء عليه بما قبله من الولاية كما قيل فإن شأن الولي للمغفرة والرحمة وقيل إن إقدامه
عليه الصلاة والسلام على أن يقول إن هي إلا فتنتك إلى آخره جرأة عظيمة فطلب من الله غفرانها والتجاوز عنها وارحمنا
بإفاضة آثار الرحمة الدنيوية والأخروية علينا وأنت خير الغافرين اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء
وتخصيص المغفرة بالذكر لأنها الأهم بالمقام واكتب لنا أي عين لنا وقيل أوجب وحقق وأثبت في هذه الدنيا حسنة
أي نعمة وعافية أو خصلة حسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة وفي الآخرة
أي واكتب لنا فيها أيضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة إنا هدنا إليك أي تبنا وأنبنا من هاد يهود إذا
رجع وقرئ بكسرها من هاده يهيده إذا حركه وأماله ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى أملنا أنفسنا
وأملنا إليك ويجوز أن تكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة
مما يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فإن التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم
وتصديرها بحرف التحقيق لإظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى إنا تبنا ورجعنا عما جئنا من المعصية
العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع هاهنا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك أن لا تقبل توبة
التائبين قيل لما أخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فأخذ موسى يتضرع إلى الله تعالى حتى أحياهم وقيل رجفوا وكادت تبين
مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه الصلاة والسلام فبكى فكشف الله تعالى عنهم قال استئناف وقع جوابا
عن سؤال ينساق إليه الكلام كأنه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عليه الصلاة والسلام فقيل قال
عذابي أصيب به من أشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم أنفسهم ضمن موسى عليه الصلاة والسلام
دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة أي خصلة حسنة عارية عن المشقة والشدة
فإن في قتل أنفسهم من العذاب ما لا يخفى فأجاب تعالى بأن عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه
وهم ممن شئت تعذيبهم فلذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت كل شيء أي شأنها
أن تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت المشيئة من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب
الدنيوي وفي نسبة الإصابة إلى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة إلى الرحمة بصيغة الماضي إيذان بأن الرحمة
بصيغة الماضي إيذان بأن الرحمة مقتضى الذات وأما العذاب فبمقتضى معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة
أيضا وعدم التصريح بها للإشعار بغاية الظهور ألا يرى إلى قوله تعالى فسأكتبها أي أثبتها وأعينها فإنه
متفرع على اعتبار المشيئة كأنه قيل فإذا كان الأمر كذلك أي كما ذكر من إصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من أشاء
فسأكتبها كتبة خاصة بما دعوت بقولك واكتب لنا إلى آخره أي سأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي للذين
يتقون أي الكفر والمعاصي إما ابتداء أو بعد ملابستها وفيه تعريض بقومه كأنه قيل لا لقومك لأنهم غير متقين
فيكفيهم ما قدر لهم من الرحمة وإن كانت مقارنة للعذاب الدنيوي ويؤتون الزكاة وفيه أيضا تعريض بهم حيث كانت
الزكاة شاقة عليهم ولعل الصلاة لم تذكر مع إنافتها على سائر العبادات اكتفاء عنها بالاتقاء الذي هو عبارة
عن فعل الواجبات بأسرها وترك المنكرات عن آخرها وإيراد إيتاء الزكاة لما مر من التعريض والذين هم بآياتنا جميعا
يؤمنون إيمانا مستمرا من غير إخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التي جاء بها موسى عليه الصلاة
والسلام وما سيجيء بعد ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع
أن المراد به عين ما أريد بالموصول الأول ذوات لا يقال والمؤمنون بآياتنا عطفا على يؤتون الزكاة كما عطف هو على يتقون

لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اي هم يؤمنون بجميع آياتنا لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول
الذي نوحي اليه كتابا مختصا به النبي اي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة الى الله تعالى وعنوان النبوة بالنسبة الى الامي
كما قيل بانه على الحالة التي ولدته عليها امه او الى امة العرب كما قال عليه الصلاة والسلام انا امة امية لا نحسب ولا نكتب او
الى ام القرى ووصفه بذلك لتحقيق المعجزة الذي هو عدم ممارسة القراءة والكتابة فانه مع ذلك جمع علوم الاولين والآخرين والموصول الثاني
بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اي اعني الذين او هم الذين واما جعله مبتدأ على ان
خبره يأمرون او اولئك هم المفلحون فغير سديد الذي يجدونه مكتوبا باسمه ونعوته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك
عدل عن ان يقال يجدون نعته او وصفه مكتوبا عندهم زيد هذا لزيادة التقرير وان شانه عليه الصلاة والسلام
حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا في التوراة والانجيل اللذين تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان
بيجدونه او بمكتوبا وذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الى النبي عليه الصلاة
والسلام والقرآن المجيد قبل مجيئهما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كلام مستانف لا محل له من الاعراب قاله
الزجاج متضمن لتفصيل بعض محاسن الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار الرحمة الواسعة وقيل
في محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول يجدونه او من النبي او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي ما كتب
ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم عليهم الخبائث اي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف
الشاقة التي هي قبيل ما كتب عليهم حينئذ من كون التوبة بقتل النفس وتعيين القصاص في قتل العمد والخطا من غير
شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت
وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل
ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم وقرئ آصارهم واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه من الحراك فالذين آمنوا به تعليم
لكيفية اتباعه عليه الصلاة والسلام وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين
اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عليه الصلاة والسلام اياهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال
الطيبات وتحريم الخبائث اي فالذين آمنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه وعزروه اي
عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه
على اعدائه في الدين واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور المنبئ
عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون
معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه عليه الصلاة والسلام بالعمل بسنته وبما امر
به ونهى عنه او اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه اولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما
فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو
طبقتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون اي هم الفائزون بالمطلوب
الناجون عن المكروه لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عليه الصلاة والسلام دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما
في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتاتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه الصلاة والسلام
وبين الجواب لا بما قيل انه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم
الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته العظام التي اجراها على يد موسى عليه الصلاة والسلام وعرض بذلك في قوله
تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح قل

يا ايها الناس اني رسول الله اليكم لما حكي في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه
من اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين امر عليه الصلاة والسلام ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل
شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم الصلاة
والسلام باقوامهم وارسال موسى عليه الصلاة والسلام الى فرعون وملئه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة
رب العالمين وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال
بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التوراة فمختص ببني اسرائيل جميعا حال من الضمير في اليكم الذي له
ملك السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما
بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك
العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى يحيي ويميت لزيادة تقرير الوهيته والفاء في قوله تعالى
فآمنوا بالله ورسوله لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه الصلاة والسلام وايراد نفسه
عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره
ووصف الرسالة بقوله النبي الامي لمدحه عليه الصلاة والسلام بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق انه
المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى الذي يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل اليه والى سائر الرسل
عليهم الصلاة والسلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به والتصريح بايمانه بالله
تعالى للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس
او القرآن تنبيها على ان المامور به هو الايمان به عليه الصلاة والسلام من حيث انزل عليه القرآن لا من حيثية اخرى
او على ان المراد بها عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام تعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتد
بايمانه واتبعوه اي في كل ما ياتي وما يذر من امور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما
اي رجاء لاهتدائكم الى المطلوب راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شرعه
فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلالة ومن قوم موسى كلام مبتدا مسوق لدفع ما عسى يوهمه
تخصيص كتب الرحمة والتقوى والايمان بالآيات بمتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان اسلاف قوم
موسى عليه الصلاة والسلام من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم امة يهدون اي
الناس بالحق اي ملتبسين به او يهدونهم بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون اي في الاحكام الجارية فيما
بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
ويأباه انه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل ان بني اسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤا على
قتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اولئك
الطاغين ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم
هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه الصلاة
والسلام ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال جبريل عليه الصلاة والسلام هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال
هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى عليه الصلاة والسلام اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ
مني السلام فرد محمد على موسى عليهما الصلاة والسلام السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن
نزلت يومئذ فريضة غير الصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت
هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالهداية من بين قومه عليه الصلاة والسلام مع ان منهم من آمن بجميع الشرائع
لا يخلو عن بعد وقطعناهم اي قوم موسى لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى اثنتي
عشرة ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتانيث للحمل على الامة او القطعة اي صيرناهم اثنتي عشرة

امة او قطعة متميزا بعضها من بعض وصالحين منفصولة اي فرقناهم معدودين هذا العدد وقوله تعالى
اسباطا بدل منه ولذلك جمع وتمييز ليس على الكل وليس من اثنتي عشرة فطعة اسباطا لا اسبط وقرئ
عشرة بكسر الشين وقوله تعالى امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه
بسوء صنيعهم لا بجحد استسقائهم اياه عليه بل باستسقائه عليه الصلاة والسلام لهم لقوله تعالى
واذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر مفسر لفعل الايحاء وقد مر بيانه
شان الحجر في تفسير سورة البقرة فانبجست عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف تعويلا على كمال
الظهور وايذانا بغاية مسارعته عليه الصلاة والسلام الى الامتثال واشعارا بعدم تاثير الضرب
حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كانه قيل حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب كما
في قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط
واما ما قيل من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست ففيه تحقيق بجزالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر
الشين وفتحها قد علم كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط مشربهم
اي عينهم الخاصة بهم وظللنا عليهم الغمام اي جعلناه بحيث يلقي عليهم ظله يسير في التيه
بسيرهم ويسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوءه وانزلنا عليهم المن والسلوى
اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث
الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم
اي مستلذاته وما موصولة او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام
الاول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن
التصريح به اي فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون
اي لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم
بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل لهم
منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وايراد الفعل على البناء للمفعول مع استناده اليه تعالى
كما افصح عنه ما وقع في سورة البقرة قوله تعالى واذ قلنا للجري على سنن الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح
به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد في التوبيخ اي اذكر لهم وقت قوله تعالى لاسلافهم
اسكنوا هذه القرية منصوبة على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهي بيت
المقدس وقيل اريحا وهي قرية الجبابرة كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة راسهم عوج بن عنق وفي
قوله تعالى اسكنوا ايذان بان المامور به في سورة البقرة هو الدخول على وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتفى به
عن ذكر رغدا في قوله تعالى وكلوا منها اي من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او منها على انها ابتدائية
حيث شئتم اي من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا
واسعا وعطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هناك
فكلوا وقولوا حطة اي مسالتنا او امرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا
الباب اي باب القرية سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه وتقديم
الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المامور به هو الجمع بين الفعلين
من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية اريحا فقد روي انهم دخلوها حيث سار اليها موسى عليه
الصلاة والسلام بمن بقي معه من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة

المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روي انهم لم يدخلوها في حياة موسى عليه الصلاة والسلام فقيل
المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون اليها نغفر لكم خطيئاتكم وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة
وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالغفران
وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير سؤال ناشئ من الاخبار بالغفران
كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد ولذلك زيادة منهم زيادة بيان فبدل الذين ظلموا منهم
بما امروا به من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا اخر مما لا خير فيه روي
انهم دخلوه زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا
يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل واستهزاء بموسى عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى
غير الذي قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة
وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فارسلنا عليهم اثر ما فعلوا من غير تاخير وفي سورة البقرة
على الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال من فوق فيكون كالانزال رجزا من السماء عذابا كائنا منها والمراد
الطاعون روي انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم
المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به
ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما ان الحكم ههنا مترتب على المضمر دون الموصول بالظلم
كما في سورة البقرة واما التعليل بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى اعلم
واسالهم عطف على المقدر في اذ قيل لهم اي واسال اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير بتقدم كفرهم
وتجاوزهم لحدود الله تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها الا من
مارس كتبهم قد احاط به النبي صلى الله عليه وسلم خبرا واذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لانه عليه الصلاة والسلام بمعزل
عن ذلك تعين انه من جهة الوحي الصريح عن القرية اي عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية
الدهياء وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية التي كانت
حاضرة البحر اي قريبة منه مشرفة على شاطئه اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون حدود الله
تعالى بالصيد يوم السبت واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذاك
اذ لا فائدة في تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون واصله يعتدون وقرئ يعدون من الاعداد
حيث كانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مامورون بالاشتغال فيه بفنون العبادة اذ تاتيهم حيتانهم
ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم اوقع في التقريع والحيتان جمع حوت
قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها
بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخوارق للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية
فان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتيادها احوالهم في عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم ظرف لتاتيهم اي
تاتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة
لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع من شرع عليه
اذا دنا واشرف وهو حال من حيتانهم اي تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم
لا يسبتون اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة بل بتحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل بانتفائهما
معا اي لا السبت ولا المراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول
بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت لا تاتيهم كما كانت
تاتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تاتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها

يوم سبتهم مظنة أن يقال فما حالها يوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم أي مثل ذلك البلاء العظيم
العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عداوتهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
لاستحضار صورتها والتعجيب منها بما كانوا يفسقون أي بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين
صيغتي الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فإن فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل
ما يأتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله أي لا تأتيهم مثل إتيانهم يوم سبتهم فالجملة بعده حينئذ
استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالإتيان تارة وعدمه أخرى وإذ قالت عطف على
إذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والإنذارات أمة منهم أي جماعة
من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء
للنفع والتأثير مبالغة في الإعذار وطمعا في فائدة الإنذار لم تعظون قوما الله مهلكهم أي مخترمهم بالكلية
مطهر الأرض منهم أو معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا
أو معذبهم في الآخرة لعدم إقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فإنهم
مهلكون في الدنيا معذبون في الآخرة وإيثار صيغة اسم الفاعل مع أن كلا من الإهلاك والتعذيب مترقب للدلالة
على تحققهما وتقررهما البتة كأنهما واقعان وإنما قالوه مبالغة في أن الوعظ لا ينجع فيهم أو ترهيبا للقوم أو سؤالا عن
حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم إنما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فإن بت القول بهلاكهم وعذابهم مما
يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما
بهم وليس بذاك كما ستقف عليه قالوا أي الوعاظ معذرة إلى ربكم أي نعظهم معذرة إليه تعالى على أنه
مفعول له وهو الأنسب بظاهر قولهم لم تعظون أو نعتذر معذرة على أنه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على
أنه خبر مبتدأ أي موعظتنا معذرة إليه تعالى حتى لا ننسب إلى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي إضافة الرب
إلى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلهم يتقون عطف على معذرة أي ورجاء لأن يتقوا بعض التقاة
وهذا صريح في أن القائلين لم تعظون ليسوا من الفرقة الهالكة وإلا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا
به أي تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء وأعرضوا عنه إعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك
المواعظ أصلا أنجينا الذين ينهون عن السوء وهما الفريقان المذكوران وإخراج إنجائهم مخرج الجواب الذي حقه
الترتب على الشرط وهو نسيان المعذبين للإيذان بأن ما في حيز الشرط شيئان النسيان والتذكير
كأنه قيل فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر المعتدون أنجينا الأولين وأخذنا الآخرين وأما تصدير
الجواب بإنجائهم فلما مر من المسارعة إلى بيان نجاتهم من أول الأمر مع ما في التأخير من نوع طول وأخذنا
الذين ظلموا بالاعتداء بعذاب بئيس بأسا إذا اشتد وقرئ بيئس على وزن فيعل بفتح العين
وكسرها وبئس كحذر وبئس على التخفيف ونقل حركتها إلى الفاء ككبد في كبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب في
ذئب وبيس كريس بقلب همزة بئيس ياء وإدغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وتنكير
العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق بأخذنا كالباء الأولى ولا ضير فيه لاختلاف معنييهما
إذ أخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان
أيضا وإجراء الحكم على الموصول وإن أشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكن صرح بالتعليل المذكور إيذانا
بأن العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان
والإلمام أخوا عن ارتكاب المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا
عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه أي تمردوا وتكبروا
وأبوا أن يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين بعداء عن الناس والمراد بالأمر هو

الأمر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للإيذان بأنه ليس لخصوصية
الحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الأمر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ
والجملة الثانية تقرير للأولى روي أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا
السبت وهو المعني بقوله تعالى إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه
وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كأنها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تأتيهم في
سائر الأيام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم إنما نهيتم عن أخذها يوم
السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان إليها يوم السبت
فلا تقدر على الخروج منها فيأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا إلى خشبة
في الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له إني أرى الله سيعذبك فلما
لم ير عذابا أخذ في السبت الثاني حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا وأكلوا
وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين ألفا فصار أهل القرية أثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير
وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون قوما الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم
فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه الصلاة والسلام فأصبح الناهون
ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن لهم لشأنا فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا
الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة أنسباءهم من الإنس وهم لا يعرفونهم فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم
ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه ألم ننهكم فيقول القرد برأسه بلى ثم ماتوا عن ثلاث وقيل صار الشبان قردة
والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وعن الحسن البصري أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها
أثقلها خزيا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل
مسلم ولكن الله تعالى جعل موعدا والساعة أدهى وأمر وإذ تأذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر
معطوف على قوله تعالى واسألهم وتأذن بمعنى آذن كما أن توعد بمعنى أوعد أو بمعنى عزم لأن العازم على الأمر
يحدث به نفسه وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك أجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم
إلى يوم القيامة أي وإذكر لهم وقت إيجابه تعالى على نفسه أن يسلط على اليهود البتة من يسومهم سوء
العذاب كالإذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله عليهم بعد سليمان عليه الصلاة
والسلام بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم
وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا
تزال مضروبة إلى آخر الدهر إن ربك لسريع العقاب يعاقبهم في الدنيا وإنه لغفور رحيم لمن تاب
وآمن منهم وقطعناهم أي فرقنا بني إسرائيل في الأرض وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من أقطارها بحيث
لا يخلو ناحية منها منهم تكملة لإدبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قط وقوله تعالى أمما مفعول ثان لقطعنا
أو حال من مفعوله منهم الصالحون صفة لأمما أو بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم
ومنهم دون ذلك أي ناس دون ذلك الوصف أي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم
بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي فخلف من بعدهم
من بعد المذكورين خلف أي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في
الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب
أي التوراة من أسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الأدنى استئناف مسوق لبيان
ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم إياه أي يأخذون حطام هذا الشيء الأدنى أي الدنيا وهو من الدنو أو الدناءة

والمراد بما كانوا يأخذونه من الرشا في الحكومات وعلى تحريف الكلم وتبديل الاحكام وقيل حال من فاعل ورثوا ويقولون
سيغفر لنا ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف على الحالية والفصل مسندا الى
الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة
والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي الميثاق
الوارد في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا الخ والمراد به
الرد عليهم والتوبيخ على بتّهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق
الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار
الآخرة خير للذين يتقون مما فعل هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك فلا يستبدلوا الادنى المؤدي
الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالتاء بالالتفات لتشديد التوبيخ والذين يمسكون بالكتاب
اي يتمسكون به في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد
الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عليه الصلوة والسلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم
يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ يمسكون من الامساك ويتمسكون
موافقا لقوله تعالى واقاموا الصلوة ولعل التغيير للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر
في جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات
لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع
على الابتداء والخبر قوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين اما الضمير المحذوف كما هو راي جمهور البصريين
والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو راي الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى
فان الجنة هي المأوى اي مأواه وقوله تعالى انا لا نضيع الخ على الاول اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل فوقهم
اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كأنه ظلة اي سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا انه
واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية
لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم
ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا ما آتيناكم اي وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم
تتقون بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين واذ اخذ ربك
منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس
قاطبة بنقض سائر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من
الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم اذ اخذ ربك من بني آدم المراد بهم الذين ولدهم كائنا من كان نسلا
بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ على
الاخراج للايذان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الاجتباء والاصطفاء وهو السبب في اسناده الى
اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي واضافته الى ضميره عليه الصلوة والسلام للتشريف
وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم
في الموضعين اعيد فيه الجار للتقرير وللاتيان على البيان بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال وتنبيه على ان
الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات وقوله تعالى ذريتهم مفعول اخذ
اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشائيته ما مر مرارا من
التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصهما باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد
بيانه من بدائع صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل واشهدهم على انفسهم
اي اشهد كل واحد من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته
التامة وما تستتبعه من العبودية على الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى الست بربكم على ارادة
القول اي قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل في شأن من شؤونكم
فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصها به تعالى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه
قيل فماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا بلى شهدنا على انفسنا اي على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا
غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال
بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل
مولود يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته
بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم في الآفاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن
تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق
الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى ان تقولوا بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المعاصرين من اليهود تشريكا في الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا على
انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء حملا على ان الضمير للذرية وايا ما كان
فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا
هم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا عن هذا اي عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه
عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين
عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى او
تقولوا انما اشرك آباؤنا عطف على ان تقولوا واو لمنع الخلو دون الجمع اي هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه من
قبل زماننا وكنا ذرية من بعدهم لا نهتدي الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا
بما فعل المبطلون من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب
الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا
هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه لما خلق الله
تعالى آدم مسح على ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ
جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء
للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه الصلوة والسلام بالذات بل اخرج من ظهره
عليه الصلوة والسلام ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر
الاصلي ظهره عليه الصلوة والسلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق
بذكرهم غرض نسب اخراج الكل اليه واما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم اقتضى الحال نسبة اخراج
كل واحد منهم الى ظهر ابيه من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عليه الصلوة والسلام من ظهره قطعا وعدم
بيان الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم

انه غير رافع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يذكر ذلك فرد ولكن لا يمكن لاحد قبل من الله عز وجل قد اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة وبنسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل بما تقوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا للقول ستعالى وما يدعو وما يتفرع عليه من قوله بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الذكر بل لفعل مضمر ينبئ عنه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا والالتفات لما ذكر على قراءة الخطاب واما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ ربك والمعنى اذكر لهم الميثاق الماخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة بالغفلة عنه او بتقليد الاباء على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فاما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل في ان تقولوا اولا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا اياكم هذا لئلا تقولوا يوم القيمة الخ لانا نذكره ونذكركم حينئذ **وكذلك** اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة **نفصل الايات** المذكورة لا غير ذلك **ولعلهم يرجعون** وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الاباء نفعل التفصيل المذكور وقيل الواو للابتداء بيانه ومعنى ان يكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل اي وكذلك نفصل الايات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الى الحق **واتل عليهم** عطف على المضمر العامل في واذ اخذ واورد على نمط قصة في الايات عن الحق بعد الكفر والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود **نبأ الذي اتيناه اياتنا** اي خبره الذي له شان وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعام بن باعورا او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام توبيخ اليهود بهنات هم **فانسلخ منها** اي من تلك الايات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطر بباله اصلا وخرج منها بان كفر بها ونبذها وراء ظهره وانما ما كان في التعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للايات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال **فاتبعه الشيطان** اي تبعه حتى لحقه وادركه وصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته **فكان من الغاوين** فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المرشدين روي ان قومه سالوه ان يدعو على موسى عليه الصلاة والسلام فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويروى ان التيه كان لموسى عليه الصلاة والسلام روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك من عناية نبينا عليه الصلاة والسلام كما مر في سورة المائدة **ولو شئنا** كلام مستانف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الايات ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه **لرفعناه** اي الى منازل العلماء العاملين بتلك الايات العالية بموجبها لكن لا بمحض مشيئته من غير ان يكون له مدخل في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية بل مع مباشرته للعمل المؤدي الى الرفع مع اختياره للتحصيل كما ينبئ عنه قوله تعالى **بها** اي بسبب تلك الايات بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كل منهما بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط بذلك البتة بحسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في

الاستدراك

الاستدراك بان اشده ما يؤدي الى نقيض ما يشاء الى حيث قيل **ولكنه اخلد الى الارض** مع ان الاخلاد الى ايضا مما لا يتحقق عند صدق اختياره اليه الا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا لرفعناه بما شئنا لكنه لم نشأه بسبب تلك الايات التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأ ما شئناه بسبب نقيضه فنزلت في كل من المقامين ما ذكر في الاخر تعويلا على اشعار المذكور بالمطوي كما في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الرفع مراد له تعالى بالذات تفضلا محضا عليه بلا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومبادئها من نعمه تعالى وتفضله وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية له سبحانه كما قيل في وجه ذكر الارادة الذاتية له سبحانه وتعالى كما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر في الاية المذكورة وهو السر في جريان السنة القرانية على اسناد الخير اليه واضافة الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمئنان به وقالوا الارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى وركن الى الدنيا او الى المنازل الدنية او السافلة او الضعة والسفالة المعنى الرفعة والجلالة **واتبع هواه** معرضا عن تلك الايات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير بقوله تعالى **فمثله كمثل الكلب** الذي هو اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واخسها حيث قيل **ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث** اي فحاله التي هي مثل في الخسة كصفة الكلب في اخس احواله وهي حال دوام اللهث به في حالتي التعب والراحة فكانه قيل فصار مما لا نهاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استمراره عليها والخطاب في فعل الشرط لكل احد ممن له حظ في الخطاب فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وزجرته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه في الكلب طبع لا يقدر على نفض الهواء المتسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبه وانقطاع فؤاده بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم وقيل في محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحولهما الى معنى التسوية بحسب تحول الاستفهام الى معنى الخبر في مثل قوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين واياما كان فالاظهر ان تمثيله لمنهية للتزعتهما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطراب القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاشتراط بما له من الاحوال الحيثية المتنوعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعام على موسى عليه الصلاة والسلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك **ذلك** اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة المنسوبة الى الكلب والى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الخسة والدناءة اي ذلك المثل السيئ **مثل القوم الذين كذبوا باياتنا** وهم اليهود حيث اوتوا ما اوتوا في التوراة ما اوتوا من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القران المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة **فاقصص القصص** القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصص عليهم حسبما اوحي اليك **لعلهم يتفكرون** فيقفون على جلية

الحال وينجون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون أنك قد علمتها من جهة الوحي فيزدادوا
إيقانا بك والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير المخاطب أو على أنها مفعول له أي فاقصص القصص
رجاء لتفكرهم ﴿ساء مثلا﴾ استئناف مسوق لبيان قبح حال المكذبين بعد بيان كونهم كمثل الكلب والمنسلخ
وساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى ﴿القوم الذين كذبوا
بآياتنا﴾ وحيث وجب التقارب بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير إلى تقدير مضاف إما في جانب المخصوص
أي ساء مثلا مثل القوم الذين كذبوا أو في جانب التمييز أي ساء أصحاب مثل القوم وإعادة القوم موصوفا بالموصول
مع كفاية الضمير بأن يقال ساء مثلهم للإيذان بأن مدار السوء ما في حيز الصلة لربط قوله تعالى
﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ بما قبله فإنه إما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى الجمع بين
تكذيب آيات الله تعالى بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لأنفسهم خاصة أو منقطع عنه
بمعنى وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها وأيا ما كان ففي تقديم المفعول تذكير بأن تكذيبهم بالآيات
متضمن للظلم بها وأن ذلك أيضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول ﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾
لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقص قصص المنسلخ عليهم لأن الضالين الذين مثلهم كمثل المنسلخ ليتفكروا
فيه ويتركوا ما هم عليه من الإخلاد إلى الضلالة ويهتدوا إلى الحق عقب ذلك بتحقيق أن الهداية والضلالة
من جهة الله عز وجل وإنما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تأثير لها
سوى كونها دواعي إلى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط خلق الله تعالى إياه كسائر أفعال العباد
فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لأن حقيقتها الدلالة الموصلة إلى البغية البتة بل
لأنها الفرد الكامل من حقيقتها التي هي الدلالة إلى ما يوصل إلى البغية أي ما من شأنه الإيصال إليها كما سبق
تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد التي هي الدلالة لا لعلة إما يوصل إلى البغية مجرد الاختيار
بالاهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الإفادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى الاهتداء
ويحمل النظم الكريم على تعظيم شأن الاهتداء أو التنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل
له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء على الوجه المذكور على المهتدي لا لغيره كائنا من كان ﴿ومن يضلل﴾ بأن لم
يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها ﴿فأولئك﴾ الموصوفون بالضلالة على الوجه
المذكور ﴿هم الخاسرون﴾ أي الكاملون في الخسران لا غير وإفراد المهتدي نظرا إلى اللفظ وجمع الخاسرين
نظرا إلى معناها للإيذان باتحاد منهاج الهدى وتفرق طرق الضلال ﴿ولقد ذرأنا﴾ كلام مستأنف مقرر
لمضمون ما قبله بطريق التذييل أي خلقنا ﴿لجهنم﴾ أي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى
﴿كثيرا﴾ أي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا لأن ما فيه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما أو تأخيره عنهما إلى الإخلال
بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى ﴿من الجن والإنس﴾ في الاتصاف على ما فيه من الصفات وأكثر عددا وأقدم
خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يؤدي
إلى ذلك بل لعلمه تعالى بأنهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق أبدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف
يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما أن جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل
الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
وقوله تعالى ﴿لهم قلوب﴾ في محل النصب على أنه صفة أخرى لكثيرا وقوله تعالى ﴿لا يفقهون بها﴾ في محل الرفع
على أنه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وإبهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر أفراد الجنس فاقدة
لكمال الخلقية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها إلى تحصيل وهذا وصف لها بكمال الإغراق
في القساوة فإنها من حيث لم يتأت منها الفقه بحال كأنها خلقت غير قابلة له رأسا وكذا الحال في أعينهم

وآذانهم وحذف

وآذانهم وحذف المفعول للتعميم أي لهم قلوب ليس من شأنها أن يفقهوا بها شيئا من شأنه أن يفقه
فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا أوليا وتخصيصه بذلك يخل بالإفصاح عن كنه حالهم
﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ الكلام فيه كما فيما قبله عطف عليه فالمراد بالإبصار والسمع المنفيين
ما يختص بالعقلاء من الإدراك الحقيقي على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الإحساس بالشبح والصوت
كما هو وظيفة الأنعام أي لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق
اندراجا أوليا ﴿ولهم آذان لا يسمعون بها﴾ أي شيئا من المسموعات [illegible] في الجهل والغي [illegible]
﴿أولئك﴾ إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بالآيات التي ... ولا أولياء وتعاد الخبر في الجملتين
المعطوفتين مع انتظام الكلام بأن يقال وأعين لا يبصرون وآذان لا يسمعون بها لتقرير
سوء حالهم وفي إثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم
ابتداء بأن يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة
بكمال رسوخهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى الخذلان ما لا يخفى منهم في الضلال أي أولئك
الموصوفون بالأوصاف المذكورة ﴿كالأنعام﴾ أي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور أو في أن مشاعرهم
متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها ﴿بل هم أضل﴾ فإنها تدرك ما من شأنها أن تدركه
من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا
كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الأمر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب
الخالد وقيل لأنها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه
وفي الخبر كل شيء أطوع لله من ابن آدم ﴿أولئك﴾ المنعوتون بما مر من مثلية الأنعام والشرية منها ﴿هم
الغافلون﴾ الكاملون في الغفلة المستحقون لأن يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وهم
لا يعرفون من شؤون الله عز وجل ولا من شؤون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه وليس كمثله شيء وهو السميع العليم
أصنامهم التي هي أخس مخلوقاته تعالى [illegible] تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى
وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الأمور وما لا يليق به إثر بيان
غفلتهم التامة وضلالهم ﴿والحسنى﴾ تأنيث الأحسن أي الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها لإنبائها
عن أحسن المعاني وأشرفها ﴿فادعوه بها﴾ أي فسموه بتلك الأسماء ﴿وذروا الذين يلحدون في
أسمائه﴾ الإلحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي
أي يميلون في شأنها عن الحق إلى الباطل إما بأن يسموه تعالى بما لا توقيف فيه أو بما يوهم معنى فاسدا كما في قول أهل
البدو يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك ويحتمل
ترك الإصغاء بأن يقال يلحدون فيها وإما بأن يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض أسمائه الكريمة كما قالوا
وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب أيضا وبالأسماء أسماؤه تعالى حقيقة
فالمعنى سموه تعالى بجميع أسمائه الحسنى واجتنبوا إخراج بعضها من البين وإما بأن يطلقوها على غيره تعالى
كما سموا أصنامهم آلهة وإما بأن يشتقوا من بعضها أسماء أصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من
العزيز فالمراد بالأسماء أسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والإظهار في موقع الإضمار مع التجرد
عن الوصف في الكل للإيذان بأن إلحادهم في نفس الأسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حينئذ
الاجتناب عن ذلك إذ لا يتوهم صدور مثل هذا الإلحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الإعراض عنهم
وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى ﴿سيجزون
ما كانوا يعملون﴾ كأنه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الأمر بعدم المبالاة والإعراض عن المجازاة

كما انه قيل لم لا تبالي بالحادهم ولا تتصدى لجناياتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته وتتشفون
بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه
سينزل بهم عقوبة الحادهم **وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون** بيان لاجمال حال
من عدا من المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف
الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى
ومن الناس الخ اي وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون الناس
ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية
فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي
القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الآية وعنه صلى الله عليه وسلم ان من امتي قوما على الحق
حتى ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام وروي لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان ياتي امر الله
وروي لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون
فيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم
في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به **والذين كذبوا باياتنا** شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي
الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على
مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الايات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام
الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل **سنستدرجهم**
اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم
اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة واما
بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات
المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعمل في طلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال
الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث يرى ذلك ترقيا فيعرق فيما هو فيه مع انه في الحقيقة ترديه في مهاوي
مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يدر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبون انها لطف لهم منه
تعالى فيزدادون بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدرجهم كما ينبئ عنه **من حيث لا يعلمون** انه
كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقريب وقيل لا يعلمون ما يراد بهم **واملي لهم** عطف
على سنستدرجهم غير داخل في السين لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من
الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل
بطريق التدريج اثاره الجارية من الانفس كما يلوح به تغيير النظم بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان
المنبي عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجديد القصد والعزيمة واما ان ذلك للاشعار
بانه بمحض التقدير الالهي والاستدراج بتوسط المدبرات فبناؤه دلالة نون العظمة على الشركة
ولا بد ذلك ولولا ذلك لاحترز عن ايرادها في قوله تعالى لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي
لهم الآية بل انما ايرادها في مثل هذه المواد بطريق الجريان على سنن الكبرياء **ان كيدي متين** تأكيد
للوعيد وتقرير له اي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما
التي هي الاخذ على غرة فتسميته كيدا لان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط
فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير ان يعتبر فيه اظهار
خلاف ما ابطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد

المذكور

المذكور تخفيفا **اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة** كلام مبتدأ مسوق لانكار عدم تفكرهم في شانه
عليه الصلاة والسلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الآيات
التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجيب او للتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم
وما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم وان نافية اسمها جنة وخبرها
بصاحبهم والجنة مصدر كالجلسة بمعنى الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير
والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار اي اكذبوا
بها ولم يتفكروا في اي شيء من جنون كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الائمة الهادية بالحق وعليه انزلت تلك
الايات او في انه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة
نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الايات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى اولم يتفكروا اي اكذبوا بها
ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اي شيء بصاحبهم من جنة على طريقة الانكار والتعجيب والتبكيت
قيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم
له عليه الصلاة والسلام مما يطلعهم على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيد
للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه عليه الصلاة والسلام مع وضوح استحالته بنبوته
عليه الصلاة والسلام لما ان المتكلم حاذق بقضية العقول والعادات لا يتصدى لادعاء امر مستبعد من الحق
كيفما اتفق من غير ان يكون له اصل ومعنى لو عن لمثابة الصادق يخبر به عن الامور الغيبية وادلته عليه
والسلام شائبة من الاول تعين انه عليه الصلاة والسلام مؤيد من عند الله عز وجل وقيل انه عليه
الصلاة والسلام علا الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم باس الله تعالى فقال قائلهم
ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت والتصريح بنفي الجنون تخبيت للكفرة على عظيمتهم
الشنعاء والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بصاحبهم واردة على شاكلة كلامهم مع ما
من النكتة المذكورة وهو قوله تعالى **ان هو الا نذير مبين** جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة
لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشرا اي ما هو
عليه الصلاة والسلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرأفة ومبالغة
في الاعذار وقوله تعالى **اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض** استئناف اخر مسوق للانكار
والتوبيخ باخلالهم بالتامل في الايات التكوينية المنصوبة في الافاق والانفس الشاهدة بصحة
مضمون الايات المنزلة اثر ما نعي عليهم اخلالهم بالتفكر في شانه عليه الصلاة والسلام والهمزة لما ذكر من
الانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم
اي اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تأمل فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك
وكمال القدرة **وما خلق الله** اي وفيما خلق الله فيهما على انه عطف على الملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور
عظم الملك فيهما او وفي ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة
على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى **من شيء** بيان
لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى اولم ينظروا
في ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما يطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم
بوحدانيته تعالى وبسائر شؤونه التي ينطق بها تلك الايات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول فان كل فرد
من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى
وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان والخبر

عسى مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى
اولم ينظروا في ان الشان عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم وقد جوز ان يكون اسم يكون اجلهم
وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما واياما كان فمناط التوبيخ
والتوبيخ هنا اخلالهم بالتطلع والتامل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يبادرون الى التدبر في الايات
التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الايات القرآنية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة
والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله عز وجل فباي
حديث بعده يؤمنون قطع لاحتمال ايمانهم راسا ونفي له بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم
بالايات واخلالهم بالتفكر والنظر والباء متعلقة بيؤمنون وبعده للذات على حذف المضاف المعني م
ن قبلها والتذكير باعتبار كونها قرآنا او بتاويلها بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى
كذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احوال الرسول عليه الصلاة والسلام واحوال المصنوعات فباي
حديث بعده يؤمنون بعد تكذيبه ومع عدم تفكرهم في هذه الشواهد القوية كلا وهيهات وقيل الضمير
للقرآن والمعنى فباي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو
انكار وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التامل فيما ذكر كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب
فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث بعد
انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل الرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف اي فباي حديث
بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له استئناف
مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى ويذرهم في طغيانهم بالياء والرفع
على الاستئناف اي وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم
وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم
وقد روي الجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله تعالى يعمهون اي يترددون ويتحيرون
حال من مفعول يذرهم وجمع الضمير في حيز النفي نظرا الى اللفظ وجمعه في حيز الاثبات نظرا
الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل يسالونك عن الساعة استئناف مسوق لبيان
بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة ومعنى اطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة
او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها قيل ان قوما من اليهود
قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى
قد استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها بفتح الهمزة وقرئ بكسرها وهو ظرف
زمان متضمن لمعنى الاستفهام يليه المبتدا او الفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى حيث يليهما
كليهما قيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت وهو من اوى الى لان البعض اوى الى الكل
متساند اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدا مؤخر اي متى ارساؤها اي اثباتها وتقريرها
فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها
ومنه مرساة السفن ومحل الجملة النصب على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع
الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل يسالونك عن الساعة عن ايان مرساها وفي تعليق
السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها
في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب اللائق بها حيث اضيف العلم
المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل قل انما علمها اي علمها بالاعتبار المذكور

عند ربي

عند ربي ولم يقل انما علم وقت ارسائها عند ربي لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام للايذان بان توفيقه عليه الصلاة
والسلام للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والارشاد ومعنى كون علمها عنده تعالى خاصة انه تعالى قد
استاثر به بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان
لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها واقناط كلي عن اظهارها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة
غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة والزجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص
للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي تسالوني عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر
احدا من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها كما هو المسؤول بل باظهار عينها
عيانا بما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها
لا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها
في وقتها الذي يسالون عنه وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض استئناف كما قبله
مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت على اهلها من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها
وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها
واهوالها وقيل ثقلت فيهما اذ لا يطيقها منهما ومما فيهما شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله
وبما بعده من قوله تعالى لا تاتيكم الا بغتة فانه ايضا استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار
الثقل من حيث الخفاء اي لا تاتيكم الا فجاة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج
بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض
ميزانه ويرفعه يسالونك كانك حفي عنها استئناف مسوق لبيان خطائهم في توجيه
السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه عليه الصلاة والسلام عالم بالمسؤول
عنه او ان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطائهم في اصل السؤال باعلام المسؤول عنه والجملة
التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف في يسالونك مبينة لكيفية السؤال على زعمهم واشعارا
بخطائهم في ذلك اي يسالونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي مبالغ في العلم بها فعيل
من حفي عنها اي بالغ في العلم بها فعلم حقا وتحقيقا كانك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة
في العلم بها لما ان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء
ومنه احفاء الشارب واحتفاء النعل اي استئصاله والاحفاء في المسالة اي الالحاف فيها وقد قرئ
كانك حفي بها وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا له عليه الصلاة والسلام ان بيننا وبينك
قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسالونك كانك حفي بهم فتخصهم بتعليم وقتها
لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم وفيه مخطئة لهم من جهتين وقيل معنى حفي بها بمعنى كانك
فرح بالسؤال عنها تحبه مع انك كاره له لما انه تعرض لحرم الغيب الذي استاثر الله عز وجل بعلمه قل انما
علمها عند الله امر عليه الصلاة والسلام باعادة الجواب الاول تاكيدا للحكم وتقريرا واشعارا بعلته
على الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا
للتعريض بجهلهم بقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى
فبعضهم ينكرونها راسا فلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف
على وقت وقوعها فيسالونك عنه جهلا وبعضهم يزعمون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال
ذريعة الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هو الواقفون على جلية الحال من المؤمنين واما السائلون عنها

من الحافيين بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم ● وقوله تعالى **قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا** ● شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها إثر بيان عجز الكل عنه وإبطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عليه الصلاة والسلام ممن يعلمها ● وإعادة الأمر لإظهار كمال العناية بشأن الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للأول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لإثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني ● واللام متعلق بأملك أو بمحذوف وقع حالا من نفعا أي لا أقدر لأجل نفسي على جلب نفع ولا على دفع ضر ● **إلا ما شاء الله** أن أملكه من ذلك بأن يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا أبلغ في إظهار العجز ● **ولو كنت أعلم الغيب** ● أي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الأشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة ● **لاستكثرت من الخير** أي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط تحصيله بالأفعال الاختيارية للبشر بترتيب أسبابه ودفع موانعه ● **وما مسني السوء** ● أي السوء الذي يمكن التفصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء آفات منه مما لا مدفع له ● **إن أنا إلا نذير وبشير** ● أي ما أنا إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة شأني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الأحكام والشرائع وقد كشفت من أمر الساعة ما يتعلق بالإنذار من مجيئها لا محالة واقترابها وأما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الإنذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من أن إبهامه أدعى إلى الانزجار عن المعاصي ● وتقديم النذير على البشير لما أن المقام مقام الإنذار ● وقوله تعالى **لقوم يؤمنون** ● إما متعلق بهما جميعا لأنهم ينتفعون بالبشارة وإما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف أي نذير للكافرين الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون أي في أي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في إحداث الإيمان وتحذير عن الإصرار على الكفر والطغيان ● **هو الذي خلقكم** ● استئناف مسوق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراءتهم على الإشراك بتذكير مبادي أحوالهم المنافية لذلك وإيقاع الموصول خبرا لتفخيم شأن المبتدأ أي هو ذلك العظيم الشأن الذي خلقكم جميعا وحده من غير أن يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه ● **من نفس واحدة** ● هو آدم عليه الصلاة والسلام وهذا نوع تفصيل لما أشير إليه في مطلع السورة الكريمة من إشارة إجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته ● **وجعل** ● عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا لما أن الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود ● **منها** ● أي من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا أو من جسدها لما روي أنه تعالى خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم عليه الصلاة والسلام والأول هو الأنسب إذ الجنسية هي المؤدية إلى الغاية الآتية لا الجزئية ● وجعل إما بمعنى التصيير فقوله تعالى **زوجها** مفعوله الأول والثاني هو الظرف المقدم وإما بمعنى الإنشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ● أو بمحذوف هو حال من المفعول والأول هو الأولى وقوله تعالى **ليسكن إليها** ● علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني أي ليستأنس بها ويطمئن إليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى **فلما تغشاها** أي جامعها ● **حملت حملا خفيفا** ● في مبادي الأمر فإنه عند كونه نطفة أو علقة أو مضغة أخف عليها بالنسبة إلى ما بعد ذلك من المراتب ● والتعرض لذكر خفته للإشارة إلى نعمته تعالى عليهم في إنشائه تعالى إياهم متدرجين في أطوار الخلق من العدم إلى الوجود ومن الضعف إلى القوة ● **فمرت به** ● أي فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت وأخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ● وقرئ فمرت بالتخفيف وفارت من المور وهو المجيء والذهاب أو من المرية أي فظنت الحمل وارتابت به ● وأما ما قيل من أن المعنى حملت حملا خفيفا

خفيفا

خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذية ولم تستثقله كما يستثقلنه ● فمرت به أي مضت به إلى ميلاده من غير إخراج وإزلاق فيرده قوله تعالى ● **فلما أثقلت** ● أي صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها ولا ريب في أن الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور إنما يقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من أول الحمل إلى آخره دون بعض أصلا ● وقرئ أثقلت على البناء للمفعول أي أثقلها حملها ● **دعوا الله** ● أي آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام لما دهمهما أمر لم يعهداه ولم يعرفا مآله فاهتما به وتضرعا إليه عز وجل ● وقوله تعالى **ربهما** ● أي مالك أمرهما الحقيق بأن يخص بالدعاء إشارة إلى أنهما صدرا بها دعاءهما كما في قولهما ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ومتعلق الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به أي دعواه تعالى أن يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمي وقالا أو قائلين **لئن آتيتنا صالحا** ● أي ولدا من جنسنا سويا ● **لنكونن** ● نحن ومن يتناسل من ذريتنا ● **من الشاكرين** ● الراسخين في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما أنهما قد علما أن ما علقا به دعاءهما أنموذج لسائر أفراد الجنس فعلماها ذاتا قصة موجودة مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء في وجه متضمن للدعاء في حق الكل مستتبع له كأنهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا أولادا صالحة ● وقيل إن ضمير آتيتنا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلا حاجة إلى ما ذكر وأنت خبير بأن انتظام الكل في سلك الدعاء أصالة لا يناسب مقام الاعتناء بشأن ما هما بصدده ● وأما جعل لنكونن للكل فلا محذور فيه لأن توسيع دائرة الشكر غير مخل بالاعتناء المذكور بل مؤكد له ● وأيا ما كان فقوله تعالى ● **فلما آتاهما صالحا** ● لما آتاهما ما طلباه أصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى ● **جعلا** ● أي جعل أولادهما ● **له شركاء** ● على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ثقة بوضوح الأمر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى ● **فيما آتاهما** ● أي فيما آتى أولادهما من الأولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحوهما ● وتخصيص إشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع أن إشراكهم بالعبادة أغلظ منه جناية وأقدم وقوعا لما أن مساق النظم الكريم لبيان إخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح وأول كفرهم في حقه إنما هو تسميتهم إياه بما ذكر ● وقرئ شركا أي شركة أو ذوي شركة أي شركاء ● وقيل ما ذكر من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه مما يصار إليه فيما يكون للفعل ملابسة بالمضاف إليه بسرايته إليه حقيقة أو حكما ويتضمن نسبته إليه صورة مزية يقتضيها المقام كما في قوله تعالى وإذ نجيناكم من آل فرعون الآية فإن الإنجاء منهم مع أن تعلقه حقيقة ليس إلا بأسلاف المخاطبين لكن نسبته إلى الخلف مع أن حكم سرايته إليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تعالى فلم تقتلون أنبياء الله الآية فإن القتل حقيقة مع كونه من جنايات آبائهم قد أسند إليهم بحكم رضاهم به أداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب في أن آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام بريئان من سراية الجعل المذكور إليهما بوجه من الوجوه فإسناده إليهما صورة مما يقبح منهما الإيذان بتركهما الأولى حيث قرنا على الخطر أولادهما في سلك أنفسهما والتزما شكر الكل في ضمن شكرهما وأقسما على ذلك قبل تعرف أحوالهم ببيان أن إخلالهم بالشكر الذي وعداه وعقداه وأكداه باليمين بمنزلة إخلالهما به بالذات في استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه من الإشعار بتضاعف جنايتهم ببيان أنهم جعلوهما بما فعلوا في ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كأنهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجنايات ● **فتعالى الله عما يشركون** ● تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيب ما بعدها على ما فصل من أحكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية إلى التوحيد أي تعالى بما أشير إليه من تفصيل الفعل وتنزيه آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام عن ذلك ● وما مصدرية أي عن إشراكهم أو موصولة أي عما يشركون به سبحانه ● والمراد بإشراكهم إما تسميتهم المذكورة أو مطلق إشراكهم المنتظم لها انتظاما أوليا ● وقرئ تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي فإنهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله تعالى الولد فأعطاهما أربعة

بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولأعقابهما المقتدين بهما
وأما ما قيل من أنه لما حملت حواء أتاها إبليس لعنه الله في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله
بهيمة أو كلب أو خنزير وما يدريك من أين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم عليه الصلاة والسلام فهمّا
من ذلك ثم عاد إليها وقال إني من الله تعالى بمنزلة فإن دعوت الله أن يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه
تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه
كيف وأنه عليه الصلاة والسلام كان علما في علم الأسماء والمسميات فعدم علمه بإبليس واسمه وانتسابه إياه بهذا
الشأن الخطير بعيد قريب من المحال والله أعلم بحقيقة الحال **أيشركون** استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين
واستقباح إشراكهم على الإطلاق وإبطاله بالكلية ببيان شأن ما أشركوا به سبحانه وتفصيل أحواله القاضية
ببطلان ما اعتقدوه في حقها أي أيشركون به تعالى **ما لا يخلق شيئا** أي لا يقدر على أن يخلق شيئا من الأشياء
أصلا ومن حق المعبود أن يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى **وهم يخلقون** عطف على ما لا يخلق وإيراد الضميرين
بجمع العقلاء مع رجوعهما إلى ما المعبر بها عن الأصنام إنما هو بحسب اعتقادهم فيها وإجرائهم لها
مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد
وصفها بنفي الخالقية لإبانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها وإظهار غاية جهلهم فإن
إشراك ما لا يقدر على خلق شيء ما بخالقه خالق جميع الأشياء مما لا يمكن أن يسوغه من له عقل في الجملة
وعدم التعرض لخالقها للإيذان بتعين الاستغناء عن ذكره **ولا يستطيعون لهم** أي لعبدتهم
إذا حزبهم أمر مهم وخطب ملم **نصرا** أي نصرا ما بجلب منفعة أو دفع مضرة **ولا أنفسهم
ينصرون** إذا اعتراهم حادثة من الحوادث أي لا يدفعونها عن أنفسهم وإيراد النصر للمشاكلة
وهذا بيان لعجزهم عن إيصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية إلى عبدتهم وأنفسهم بعد
بيان عجزهم عن إيصال منفعة إليهم وإلى أنفسهم خلا أنهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم أهلا
لها وههنا لم يوصفوا بالمنصورية لأنهم ليسوا أهلا لها وقوله تعالى **وإن تدعوهم إلى الهدى**
بيان لعجزهم عما هو أدنى من النصر المنفي عنهم وأيسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والإرشاد
إلى طريق حصوله من غير أن يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد
الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكيت أي إن تدعوهم أيها المشركون أن يهدوكم إلى ما تحصلون به المطالب
أو تنجون به عن المكاره **لا يتبعوكم** إلى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى **سواء
عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون** استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم
الاتباع أي مستو عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فإنه لا يتغير حالكم في الحالين
كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تعالى أم أنتم صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة
على الفعلية لأنها في قوة أم صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم إفادة الدعاء ببيان مساواته
للسكوت الدائم المستمر وما قيل من أن الخطاب للمسلمين والمعنى وإن تدعوا المشركين إلى الهدى أي الإسلام
لا يتبعوكم إلى آخره فمما لا يساعده سياق النظم الكريم وسباقه أصلا على أنه لو كان كذلك لقيل عليهم
مكان عليكم كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم فإن استواء الدعاء وعدمه إنما
هو بالنسبة إلى المشركين لا بالنسبة إلى الداعين فإنهم فائزون بفضل الدعوة **إن الذين تدعون من
دون الله** تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم أي إن الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الأصنام
وتسمونهم آلهة **عباد أمثالكم** أي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث إنها مملوكة لله عز وجل مسخرة
لأمره عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما أظهر وأقوى من عجزهم إنما هو

لاعتقادهم

لاعتقادهم بعجز أنفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما إذ هو الذي يدعوهم إلى عبادتها والاستعانة
بها وقوله تعالى **فادعوهم فليستجيبوا لكم** تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم
أي فادعوهم في جلب نفع أو كشف ضر **إن كنتم صادقين** في زعمكم أنهم قادرون على
ما أنتم عاجزون عنه وقوله تعالى **ألهم أرجل يمشون بها** تبكيت مؤكد لما يفيده الأمر التعجيزي
من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية فإن الاستجابة من الهياكل الجسمانية إنما
تتصور إذا كان لها حواس وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الأفاعيل بالمرة
كأنه قيل ألهم هذه الآلات التي بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الإنكار إلى
كل واحد من هذه الآلات الأربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع وإشعارا بأن انتفاء كل
واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الأرجل بالمشي بها للإيذان
بأن مدار الإنكار هو الوصف وإنما وجه إلى الأرجل لا إلى الوصف بأن يقال أيمشون بأرجلهم لتحقيق
أنها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الأرجل فهي ليست بأرجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما
بعده من الجوارح الثلاث الباقية وكلمة أم في قوله تعالى **أم لهم أيد يبطشون بها** منقطعة
وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والإلزام وبل للإضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد
تمامه إلى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الأخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء
وهي لغة فيه والمعنى بل ألهم أيد يأخذون بها ما يريدون أخذه وتأخير هذا عما قبله لما أن
المشي حالهم في أنفسهم والبطش حالهم بالنسبة إلى الغير وأما تقديمه على قوله تعالى **أم لهم
أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها** مع أن الكل سواء في أنها من أحوالهم بالنسبة
إلى الغير فلمراعاة المقابلة بين الأيدي والأرجل ولأن انتفاء المشي والبطش أظهر والتبكيت بذلك
أقوى وأما تقديم الأعين فلما أنها أشهر من الآذان وأظهر عينا وأثرا هذا وقد قرئ إن الذين تدعون
من دون الله عبادا أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية أي ما الذين تدعون من دونه تعالى
عبادا أمثالكم بل أدنى منكم فيكون قوله تعالى ألهم أرجل الخ تقريرا لنفي المماثلة بإثبات القصور والنقصان
قل ادعوا شركاءكم بعدما بين أن شركاءهم لا يقدرون على شيء ما أصلا أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأن يناصبهم المحاجة ويكر عليهم بالتبكيت وإلقام الحجر أي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي
ثم كيدون جميعا فلا تنظرون أي فاجتهدوا أنتم وهم في ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فإني لا أبالي
بكم أصلا **إن وليي الله الذي نزل الكتاب** تعليل لعدم المبالاة المنفهم من السوق ولنفعها ما بينا
ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للإشعار بدليل الولاية والإشارة إلى علة أخرى لعدم المبالاة
كأنه قيل لا أبالي بكم وبشركائكم لأن وليي هو الله الذي نزل الكتاب الناطق بأنه وليي وناصري وبأن شركاءكم
لا يستطيعون نصر أنفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى **وهو يتولى الصالحين** تذييل مقرر
لمضمون ما قبله أي ومن عادته أن يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم **والذين تدعون**
أي تعبدونهم **من دونه** تعالى وتدعونهم للاستعانة بهم على حسبما أمرتكم به **لا يستطيعون
نصركم** أي في أمر من الأمور أو في خصوص الأمر المذكور **ولا أنفسهم ينصرون** إذا نابتهم نائبة
وإن تدعوهم إلى الهدى أي إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به مقاصدكم على الإطلاق أو في خصوص الكيد
المعهود **لا يسمعوا** أي دعاءكم فضلا عن المساعدة والإمداد وهذا أبلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى
وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه
يتم التعليل فلا تكرار أصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون إليك حال من المفعول والجملة

لا بصر بها حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون الناظر اليك ويخيل اليك انهم
ينظرون اليك صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته
الى الشيء ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه الى المشركين لتوجيه
الخطاب الى كل واحد واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام
على الهيئة المذكورة لا يتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا
اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن ان الخطاب في
قوله تعالى وان تدعوهم للمؤمنين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى يبصرون اي وان تدعوا ايها المؤمنون
المشركين الى الاسلام لا يلتفتوا اليكم ثم خوطب عليه الصلاة والسلام بطريق التجريد بانك تراهم ينظرون
اليك والحال انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء
بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعد ما عد من اباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اي خذ ما عفى
لك من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من
المذنبين والفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة وأمر بالعرف بالجميل المستحسن من الافعال
فانها قريبة من قبول الناس من غير نكير واعرض عن الجاهلين من غير مماراة ولا مكافاة قيل لما
نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام فقال لا ادري حتى اسأل
ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق
امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وروي انه لما نزلت الاية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب
والغضب فنزل قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت
وسوسته للناس واغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه واسناده الى النزغ من قبيل جد جده
اي وان ما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اغراء بغضب ونحوه فاستعذ بالله فالتجئ اليه
تعالى من شره انه سميع يسمع استعاذتك به قولا عليم يعلم تضرعك اليه قلبا في ضمن القول او بدونه
فيعصمك من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله
تعالى عنه ان لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة
بالله تعالى تهويل الامر وتنبيه على انه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم
عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله
فيجازيه عليها ان الذين اتقوا استئناف مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به عليه الصلاة والسلام من
الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها ديدن الغاوين اي ان الذين اتصفوا بوقاية
انفسهم عما يضرها اذا مسهم طائف من الشيطان ادنى لمة منه على ان تنوينه للتحقير وهو اسم
فاعل من طاف يطوف كأنها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقعهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اي ألمّ وقرئ
طيف على انه مصدر او تخفيف من طيف من الواو او الياء كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره
فيما سيأتي تذكروا اي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه فاذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع
الخطأ ومكايد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه واخوانهم اي اخوان الشياطين وهم الذين لم يتقوا يمدونهم في
الغي اي يكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد
ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون اي لا يمسكون

عن الاغواء

عن الاغواء حتى يردوهم بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون
كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو له
واذا لم تأتهم باية من القرآن عند تراخي الوحي او باية مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها اجتبى
الشيء بمعنى جباه لنفسه اي هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا يريدون بذلك ان سائر الايات
ايضا كذلك او هلا تلقيتها من ربك استدعاء قل ردا عليهم انما اتبع ما يوحى الي من ربي
من غير ان يكون لي دخل ما في ذلك اصلا على معنى تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام باتباع
ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالنسبة الى مقابله الذي كلفوه
اياه عليه الصلاة والسلام لا على معنى تخصيص اتباعه عليه الصلاة والسلام بما يوحى اليه
بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه
في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي منه تعالى وفي التعرض
لوصف الربوبية التنبيه على تأييده ما لا يخفى هذا اشارة الى القرآن الكريم المدلول عليه بما
يوحى الي بصائر من ربكم بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج
بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها اي بصائر كائنة
منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد وجوب الايمان بها وقوله تعالى
وهدى ورحمة عطف على بصائر وتقديم الظرف عليها وتعقيبها بقوله لقوم يؤمنون
للايذان بان كون القرآن بمنزلة البصائر متحقق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى
ورحمة فمختص بالمؤمنين اذ هم المقتبسون من انواره والجملة من تمام القول المأمور به واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له ارشاد الى طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن اي واذا
قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول وانصتوا اي واسكتوا في خلال
القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع لعلكم ترحمون اي تفوزون بالرحمة
التي هي اقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها
وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله تعالى عنهم
انه في استماع المؤتم وقد روي انهم كانوا يتكلمون في الصلاة فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ اصحابه رضي الله تعالى عنهم
خلفه فنزلت واما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابهما والاية اما من تمام القول المأمور به
او استئناف من جهته تعالى واذكر ربك في نفسك على الاول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام في الاذكار كافة فان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب من الاجابة
تضرعا وخيفة اي متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول اي ومتكلما كلاما دون الجهر فانه اقرب
الى حسن التفكر بالغدو والاصال متعلق باذكر اي اذكره في وقت الغدوات والعشيات وقرئ والايصال
وهو مصدر آصل اي دخل في الاصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى ان الذين عند
ربك وهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله
لتوفرهم على طاعته تعالى لا يستكبرون عن عبادته بل يؤدونها حسبما امروا به ويسبحونه اي
ينزهونه عن كل ما لا يليق بكبريائه وله يسجدون اي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به
شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ
ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود

فقصصت في الكتاب وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه
وبين إبليس سترا وكان آدم عليه الصلاة والسلام شفيعا له يوم القيامة صدق الله وصدق رسوله

سورة الأنفال مدنية وآياتها ست وسبعون آية

يسألونك عن الأنفال النفل الغنيمة سميت به لأنها عطية
من الله تعالى زائدة على ما هو أصل الأجر في الجهاد من الثواب الأخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل
زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في
اللام روي أن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف تقسم ولمن الحكم فيها أللمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعا وقيل إن الشبان قد أبلوا يومئذ
بلاء حسنا فقتلوا سبعين وأسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ
والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها حتى سعد بن معاذ لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا أن نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الأجر ولا جبن عن العدو
ولكن كرهنا أن نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد شرط لمن كان له غناء أن ينفله فتسارع الشبان ما فعلوا من القتل والأسر فسألوه صلى الله عليه
وسلم ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وإن تعطهم ما شرطت لهم حرمت
أصحابك فنزلت والأول هو الظاهر لأن السؤال استعلام لحكم الأنفال بقضية كلمة عن لا استعطاء
لنفسها كما نطق به الوجه الأخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود
وسعد بن أبي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك
الأنفال غير منتهض فإن مبناها كما قالوا على الحذف والإيصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل **قل
الأنفال لله والرسول** أي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه الصلاة والسلام كيفما أمر به
من غير أن يدخل فيه رأي أحد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فإن اختصاص حكم ما شرط لهم من
الأنفال بالله والرسول لا ينافي إعطاءها إياهم بل يحققه لأنهم إنما يسألونها بموجب شرط الرسول صلى الله عليه
وسلم الصادر عنه بإذن الله تعالى لا بحكم سبق أيديهم إليها أو نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور
وحمل الجواب على معنى أن الأنفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا
من كان مما لا سبيل إليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء أن ثبوته بدليل متأخر
التزام لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ الأخير ولا مساغ للمصير إلى ما ذهب إليه مجاهد وعكرمة
والسدي من أن الأنفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لأحد فيها شيء بهذه الآية
فنسخت بقوله عز وجل فأن لله خمسه وللرسول لما أن المراد بالأنفال فيما قالوا هو المعنى الأول حتما
كما نطق به قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء الآية فإن الحق أنه لا نسخ حينئذ بل حسبما قاله
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بين في صدر السورة الكريمة إجمالا أن أمرها مفوض إلى الله تعالى ورسوله
ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم أعني الاختصاص برسول
الله صلى الله عليه وسلم على الأنفال المشروطة يوم بدر بجعل الله تعالى مع بقاء استحقاق المنفل
في سائر الأنفال المشروطة يأباه مقام بيان الأحكام حتى ينبئ عنه إظهار الأنفال في موقع الإضمار
على أن التعليق للجواب عن سؤال الموعود دنيا لكونه له عليه الصلاة والسلام خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم أصلا
وقد روي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت

سيفه فأعجبني فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الله تعالى قد شفى صدري من المشركين
فهب لي هذا السيف فقال عليه الصلاة والسلام ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته
وفي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى نزلت سورة الأنفال
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد إنك سألتني السيف فليس لي وقد صار لي فاذهب
فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ وإلا لكان سؤال السيف من سعد على مراعاة
الأدب مع كون سؤاله بموجب الشرط ورده عليه الصلاة والسلام قبل النزول وتعليله بقوله
ليس هذا لي من الاستحالة أن يعد عليه الصلاة والسلام بما لا يقدر على إنجازه ولعطائه عليه الصلاة
والسلام بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة أن مناط صيرورته له عليه الصلاة والسلام
قوله تعالى الأنفال لله والرسول مع الغرض أنه المانع من إعطاء المسؤول ومما هو نص في الباب قوله عز وجل
فاتقوا الله أي إذا كان أمر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة
فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى أو فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه
دخولا أوليا فلو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه محذور يجب اتقاؤه وإظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة وتعليل الحكم **وأصلحوا ذات بينكم** أي ما بينكم من الحال الملابسة لبينكم أي
بينهم صاحبته كما جعلت الأمور المضمرة في الصدور ذات الصدور أي أصلحوا ما بينكم من الأحوال
بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت
فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله تعالى من أيدينا
فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى
الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين وعن عطاء كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال
اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض **وأطيعوا الله
ورسوله** بتسليم أمره ونهيه وتوسيط الأمر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى والأمر
بالطاعة لإظهار كمال العناية بإصلاح ذات البين بحسب المقام وليندرج الأمر به بعينه تحت الأمر بالطاعة
إن كنتم مؤمنين متعلق بالأوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أو هو الجواب
على الخلاف فالمشهور كيفما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به وفيه تنشيط
للمخاطبين وحث لهم على المسارعة إلى الامتثال والمراد بالإيمان كماله أي إن كنتم كاملي الإيمان فإن كمال
الإيمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الأوامر واتقاء المعاصي وإصلاح ذات البين بالعدل
والإحسان **إنما المؤمنون** جملة مستأنفة مسوقة لبيان من أريد بالمؤمنين بذكر أوصافهم الجليلة
المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالأوامر المذكورة أي إنما
الكاملون في الإيمان المخلصون فيه **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** أي فزعت لمجرد ذكره من غير
أن يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وأفعاله استعظاما لشأنه الجليل وتهيبا منه وقيل هو
الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي
لغة وقرئ فرقت أي خافت **وإذا تليت عليهم آياته** أي آية كانت **زادتهم إيمانا**
أي يقينا وطمأنينة نفس فإن تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان
وقوة اليقين وقيل إن نفس الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان وإنما زيادته باعتبار زيادة
المؤمن به فإنه كلما نزلت آية صدق بها المؤمن فزاد إيمانه عددا وأما نفس التصديق فيقبل القوة
وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين يقين الأنبياء وأرباب المكاشفات ويقين آحاد

الأمنة وعليه مبني ما قال علي رضي الله تعالى عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذلك
ما قام عليه دليل ولو جدوا قامت عليه ادلة كثيرة وعلى ربهم وعلى مالكهم ومدبر امورهم
خاصة يتوكلون يفوضون امورهم لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى
الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون مرفوع على انه نعت للموصول الاول او بدل
منه او بيان له او منصوب على القطع المنبي عن المدح ذكر اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية
والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلوة والصدقة اولئك اشارة الى من ذكرت
صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم
اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم
وبعد منزلتهم في الشرف هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل من افاضل
الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا
او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات من الكرامة
والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من تعداد
مناقبهم كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله
تعالى عند ربهم اي مالك امرهم متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افاده التنوين من
الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة عنده تعالى او بما تعلق به الخبر اعني لهم من الاستقرار
وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بان ما وعد لهم متيقن
الثبوت والحصول مأمون الفوات ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم لا ينقضي امده ولا
ينتهي عدده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الكاف في
محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم
لما رأيت من كون تنفيلك اياهم في كراهتهم لخروجك للحرب والحق وفي محل النصب على انه صفة لمصدر
مقدر في قوله تعالى الانفال لله اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثبوتا مثل ثبات اخراج
ربك اياك من بيتك في المدينة او من المدينة لانها مهاجره اخراجا ملتبسا بالحق وان فريقا من المؤمنين
لكارهون اي والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد
وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان
وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين
فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها
ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا من السماء
فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث
بها العباس فبلغ ابا جهل فقال ابو جهل ما ترضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج
ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس
فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر
فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اغضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر
ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام فقال
يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم

اصحابه

اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير
فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال
ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع
العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فاحسنا
ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من
الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله تعالى فانا معك حيثما احببت
لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه الصلوة والسلام اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين
بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت فانت في ذمامنا
نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا فكان صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار لا ترى
نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل
قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا
على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب
صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله تعالى وعدني احدى
الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم • وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك يجادلونك
في الحق الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير والجملة استئناف او حال ثانية اي اخرجك
في حال مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى بعد ما تبين منصوب
بيجادلونك وما مصدرية اي بعد تبين الحق لهم باعلامك انهم ينصرون وكانوا يقولون
ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وكان ذلك لكراهتهم القتال كأنما
يساقون الى الموت الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون ومشبهين باللذين
يساقون بالعنف والصغار الى القتل وهم ينظرون حال من ضمير يساقون اي والحال انهم ينظرون
الى اسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم
وعدم تأهبهم وكونهم رجالة • روي انه لم يكن فيهم الا فارسان • واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم
ودناءة الهمة وقصور الرأي والخوف والجزع • واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون
بطريق التلوين والالتفات • واحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اي اذكروا وقت وعد الله اياكم
احدى الطائفتين • فذكر الوقت مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في
ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع
فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كأنه مشاهد عيانا
• وقرئ يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها

وقوله تعالى أنها لكم بدل اشتمال من إحدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد أي يعدكم أن إحدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم وتودون عطف على يعدكم داخل تحت الأمر بالذكر أي تحبون أن غير ذات الشوكة تكون لكم من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم أبو جهل وهم ألف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير إذ لم يكن فيها إلا أربعون فارسا ورأسهم أبو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوكة القنا سنانها ويريد الله عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة همتهم وقصور آرائهم أي اذكروا وقت وعده تعالى إياكم أن يحق الحق أي يثبته ويعليه بكلماته أي بآياته المنزلة في هذا الشأن أو بأوامره للملائكة بالإمداد وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين أي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى أنتم تريدون سفساف الأمور والله عز وعلا يريد معاليها وما يرجع إلى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل جملة مستأنفة سيقت لبيان الحكمة الداعية إلى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع إرادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها أي لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار إذ الأول لبيان تفاوت ما بين الإرادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية إلى ما ذكر ومعنى إحقاق الحق إظهار حقيته لا جعله حقا بعد أن لم يكن كذلك وكذا حال إبطال الباطل ولو كره المجرمون أي المشركون ذلك أي إحقاق الحق وإبطال الباطل إذ تستغيثون ربكم بدل من إذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه والتجائهم إليه تعالى حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وإمداده تعالى حينئذ وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل إن قوله تعالى ليحق مستقبل لأنه منصوب بأن فكيف يعمل في إذ لأنه ظرف لما مضى ليس بشيء لأن كونه مستقبلا إنما هو بالنسبة إلى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة إلى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل بل هما في وقت واحد وإنما عبر عن زمانها بإذ نظرا إلى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستأنف أي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين أي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبيه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت أنه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة أني ممدكم أي بأني فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على إرادة القول أو على إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من مقول القول بألف من الملائكة مردفين أي جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لأنفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفي ههنا بهذا البيان الإجمالي وبين في سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين بعضهم ببعض

للمؤمنين أو لأنفسهم المؤمنين من ردفته إياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال أي متبعين بمعنى أنهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصلها مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل أو بالضم على الإتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور أن المراد بالألف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة أو وجوههم وأعيانهم أو من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي أخبار تدل على وقوعها وما جعله الله كلام مستأنف لبيان أن الأسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وإنما التأثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان أسبابه والجعل متعد إلى مفعول هو الضمير العائد إلى المصدر بفعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كأنه قيل فأمدكم بهم وما جعل إمدادكم بهم إلا بشرى لكم وهو استثناء مفرغ من أعم العلل وما جعل إمدادكم بإنزال الملائكة عيانا لشيء من الأشياء إلا للبشرى لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن به أي بالإمداد قلوبكم وتسكن إليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني إسرائيل لذلك فكلاهما مفعول الجعل وقد نصب الأول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدها وقيل للبشارة لأصالته في العلية واهتمامه في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الإمداد عليهما إشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وإنما كان إمدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل الجعل متعد إلى اثنين ثانيهما إلا بشرى على أنه استثناء من أعم المفاعيل أي وما جعله الله شيئا من الأشياء إلا بشارة لكم فاللام في ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر وما النصر أي حقيقة النصر على الإطلاق إلا من عند الله أي إلا كائنا من عنده عز وجل من غير أن يكون فيه شركة من جهة الأسباب والعدد وإنما هي مظاهر له بطريق جريان السنة الإلهية إن الله عزيز لا يغالب في حكمه ولا ينازع في أقضيته حكيم يفعل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبله إذ يغشيكم النعاس أي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من إذ يعدكم لإظهار نعمة أخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون منصوب بإضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر أو بما في من عند الله من معنى الفعل أو بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الإغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على إسناد الفعل إلى النعاس وقوله تعالى أمنة على القراءتين الأوليين مفعول له أو على أنه مصدر لفعل آخر كذلك أي فتأمنون أمنا كما في قوله تعالى وأنبتها نباتا حسنا أو منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور أي يغشاكم النعاس فتنعسون أمنا أي كائنا من الله تعالى لا كلالا ولغوبا على أحد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والأمنة بمعنى الإيمان وعلى القراءة الأخيرة منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فإنه في حكم تنعسون أو على أنه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ أمنة كرحمة وينزل عليكم من السماء ماء تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة له فعند وروده يتمكن عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما أن بيان كون التنزيل عليهم أهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الإنزال ليطهركم

اي من الحدث الاصغر والاكبر **ويذهب عنكم رجز الشيطان** الكلام في تقديم الجار والمجرور
كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في
كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل
لهم الشيطان فوسوس اليهم فقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى
الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش
فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا فاشفقوا
فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد
الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس
وقويت القلوب وذلك قوله تعالى **وليربط على قلوبكم** اي يقويها بالثقة بلطف الله فيما بعد بمشاهدة
طلائعه **ويثبت به الاقدام** فلا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط
فان القلب اذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب وقوله تعالى **اذ يوحي**
ربك الى الملائكة منصوب بمضمر مستانف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما
نطق به ما بعده من الكلام ايذانا بانه مما لا يستطيع بتعيينه غيره عليه الصلاة والسلام فان الوحي المذكور قبل ظهوره
بالوحي المتلو على لسانه عليه الصلاة والسلام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة كسائر النعم
المشاهدة التي امر بذكر وقتها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الاقدام فلا بد حينئذ
من عود الضمير المجرور في به الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت الاقدام بتقوية قلوبكم وقت
ايحائه الى الملائكة وامره بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور بوقت
مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة واما انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فياباه
تخصيص الخطاب به عليه الصلاة والسلام مع ما عرفت من ان المامور به ليس من لطائف العامة للكل
كسائر اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من التنويه
والتشريف ما لا يخفى **اني معكم** اي بالامداد والتوفيق في
امر التثبيت فهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه وما يشعر به كلمة مع
من متبوعية الملائكة انما هي من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الاصالة من تلك الحيثية
كما في قوله تعالى ان الله مع الصابرين والفاء في قوله تعالى **فثبتوا الذين آمنوا** لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقالت
جماعة بالقتال معهم وقيل بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم
ونياتهم وبانكم تجدهم في القتال وهو الانسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على
الثبات في موطن الحرب والجد في مقاساة شدائد القتال وقد روي انه كان الملك يتشبه بالرجل
الذي يعرف في صورته فياتي ويقول سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين
الصفين ويقول ابشروا فان الله ناصركم وقال الحسن ان امر المحاربة لاعدائهم وجعلوا قوله تعالى
سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي
عن ابي داود المازني رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرا انه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه
فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه انه قال لقد رايتنا
يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وانت
خبير بان قتلهم الكفرة مع عدم ملايمته لمعنى تثبيت المسلمين مما لا يتوقف على الايحاء بالقاء الرعب

فلا يخفى

فلا يتجه ترتيب الامر بقتلهم على الالقاء وقد اعتذر الاولون بان قوله تعالى ساالقي الخ تلقين
فيما ذكر بل يجوز ان يكون ذلك اثر قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه
قيل قولوا لهم قولي ساالقي في قلوب الذين كفروا الرعب **فاضربوا** الخ والضاربون هم المؤمنون
واما ما قيل من ان ذلك خطاب من قوله تعالى للمؤمنين بالذات بل بطريق التلوين فياباه انه لم يقع
قبل القتال وانى ذلك والسورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى **فوق الاعناق** اي
اعاليها التي هي المذابح والهامات **واضربوا منهم كل بنان** قيل البنان اطراف الاصابع من اليدين
والرجلين وقيل هي الاصابع من اليدين والرجلين وقال ابو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل
بنانه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن جريج والضحاك رضي الله تعالى عنهم يعني الاطراف اي اضربوهم
في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الاطراف وبفوق الاعناق الاعالي والمعنى
فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بامره ومنهم
متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده **ذلك** اشارة الى ما اصابهم من العقاب وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى **بانهم شاقوا الله ورسوله** اي
ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم لمن لا سبيل الى مغالبته والاشتقاق
المشاقة من الشق لما ان كلا من المشاقين في شق خلاف شق الآخر كما ان اشتقاق المعاداة والمخاصمة
من العدوة والخصم اي الجانب لان كلا من المتعادين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الآخر وخصمه
ومن يشاقق الله ورسوله الاظهار في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويلها لكمال شناعة ما اجترؤوا
عليه والاشعار بعلية الحكم وقوله تعالى **فان الله شديد العقاب** اما نفس الجزاء قد حذف
منه العائد اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله
شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق
البرهاني كانه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله
ورسوله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم بسبب مشاقتهم عقاب شديد
واما ان الوعيد بما اعد في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل فيرده ما بعده من قوله تعالى
ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار كانه مع كون السوق للوعيد بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب
المذكور ما اصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم اشارة الى نفس العقاب او الى ما تفيده الشرطية من ثبوت العقاب
لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى فذوقوه والواو في قوله تعالى
وان للكافرين الخ بمعنى مع والمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي اصابكم فذوقوه عاجلا مع ان لكم
عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما على الثاني فلان الاقرب
ان محله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى وان للكافرين الخ معطوف عليه والمعنى
حكم الله ذلكم اي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض
وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الاول للمشار اليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في الحرب
الآية الكريمة وجوه اخر مدار الكل على ان المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا والله تعالى اعلم وقرئ بكسر
ان على الاستيناف **يا ايها الذين آمنوا** خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب
جيء به في تضاعيف القصة اظهارا للاعتناء بشانه ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه **اذا لقيتم**
الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا اذا دب على استه قليلا قليلا

سُمّي به الجيش الدَّهْم المتوجه إلى العدو لأنه لكثرته وتكاثفه يُرى كأنه يزحف وذلك لأن الكل يُرى
كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس إلى البصر في غاية البطء وإن كانت في نفس الأمر على غاية السرعة
قال قائلهم: وأرعن مثل الطود تحسب أنهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج ؛ ونصبه إما على أنه حال من
مفعول لقيتم أي زاحفين نحوكم وإما على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه أي يزحفون زحفا
وإما كونه حالا من فاعل لقيتم أو منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى فلا تولوهم الأدبار إذ لا معنى
لتقييد النهي عن الإدبار بتوجههم السابق إلى العدو أو بكثرتهم بل توجه العدو إليهم وكثرتهم هو الداعي
إلى الإدبار عادة والمحوج إلى النهي عنه وحمله على الإشعار بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين
وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا بعيد والمعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم فلا تولوهم
الأدبار فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن أن تدانوهم في العدد أو تساووهم
ومن يولهم يومئذ أي يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء إلا متحرفا
لقتال إما بالتوجه إلى قتال طائفة أخرى أهم من هؤلاء وإما بالفر للكر بأن يخيل عدوه أنه منهزم
ليغره ويخرجه من بين أعوانه ثم يعطف عليه وحده أو مع من في الكمين من أصحابه وهو باب من خدع الحرب
ومكايدها أو متحيزا إلى فئة أي منضما إلى جماعة أخرى من المؤمنين لينضم إليهم ثم يقاتل معهم
العدو عن ابن عمر رضي الله عنه أن سرية ... فروا وأنا معهم فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا ودخلوا
البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم
رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال
رضي الله عنه أنا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل وإلا لكان متحوزا لأنه من حاز يحوز ونصبهما
إما على الحالية وإلا لغو لا عمل لها وإما على الاستثناء من المولين أي ومن يولهم دبره إلا رجلا منهم
متحرفا أو متحيزا فقد باء بغضب عظيم لا يقادر قدره ومن في قوله تعالى من الله
متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الإضافية
أي بغضب كائن من الله تعالى ومأواه جهنم أي بدل ما أراد بفراره أن يأوي إليه من مأوى ينجيه من
القتل وبئس المصير في إيقاع البوء في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى
والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن الفرار من الزحف من أكبر
الكبائر وهذا إذا لم يزد العدو على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية
مخصوصة بأهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع إلى بيان بقية أحكام الوقعة وأحوالها
وتقرير لما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر إمداده تعالى وأمره بالتثبيت وغير
ذلك كأنه قيل إذا كان الأمر كذلك فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم
عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم ويجوز أن يكون التقدير إذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم أي فاعلموا أو إن افتخرتم
أنكم لم تقتلوهم وقيل التقدير إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على الحد الثاني ... لما روي أنهم لما انصرفوا
من المعركة غالبين غانمين أقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت وأسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون
رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام وقال خذ قبضة من تراب فارمهم
بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال
شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب وما
رميت إذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمي الظاهر على يده عليه الصلاة والسلام حينئذ

من أفعاله عز وجل بتجريد الفعل عن المفعول به لما أن المقصود الأصلي بيان حال الرمي نفيا وإثباتا إذ هو الذي
ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمي به في نفسه وتكثره إلى حيث أصاب عيني كل واحد من أولئك
الجمة شيء من ذلك أي وما فعلت أنت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين
فعلتها صورة وإلا لكان أثرها من جنس آثار الأفاعيل البشرية ولكن الله فعلها أي خلقها حين باشرتها
لكن عينيه لا على نهج عادته تعالى في خلق أفعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك أثرت هذا التأثير
الخارج عن طوق البشر وفلك القوى والقدر فكذا إثباتها له تعالى ونفيها عنه عليه الصلاة والسلام
كون أثرها من أفعاله سبحانه لا من أفعاله عليه الصلاة والسلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع في الحالين
واللام في قوله تعالى وليبلي المؤمنين منه أي وليعطيهم من عنده تعالى بلاء حسنا أي عطاء
جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره إما متعلقة بمحذوف متأخر فالواو اعتراضية أي وللإحسان
إليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا وإما برمى فالواو للعطف على
علة محذوفة أي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي الخ وقوله تعالى إن الله سميع أي لدعائهم
واستغاثتهم عليم بنياتهم وأحوالهم الداعية إلى الإجابة تعليل للحكم ذلكم إشارة إلى البلاء
الحسن ومحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وأن الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه
أي المقصود إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم وقيل المشار إليه القتل والرمي والمبتدأ
الأمر أي الأمر ذلكم أي القتل فيكون قوله تعالى وأن الله الآية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين
مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين إن تستفتحوا خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك
أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين
أي إن تستنصروا لأعلى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث نصر أعلاهما وقد زعمتم أنكم الأعلى فالتهكم
في المجيء أو فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وإن تنتهوا عما كنتم
عليه من الحراب ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو أي الانتهاء خير لكم أي من الحراب الذي ذقتم
غائلته لما فيه من السلامة من القتل والأسر ومبنى اعتبار أصل الخيرية في المفضل عليه هو التهكم وإن
تعودوا إلى حرابه عليه الصلاة والسلام نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغني بالتاء الفوقانية
وقرئ بالياء التحتانية لأن تأنيث الفئة غير حقيقي وللفصل أي لن تدفع أبدا عنكم فئتكم جماعتكم
التي تجمعونهم وتستعينون بهم شيئا من الإغناء أو من المضار وقوله تعالى ولو كثرت جملة حالية
وقد مر تحقيقه وأن الله مع المؤمنين أي ولأن الله معين المؤمنين كان ذلك أو والأمر أن الله مع
المؤمنين ويؤيده قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى إن
تستنصروا فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم
فهو خير لكم من كل شيء لما أنه مناط لنيل سعادة الدارين وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار وتهييج
العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر فإن الله مع الكاملين في الإيمان
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح إحدى التاءين وقرئ بإدغامها عنه
أي لا تتولوا عن الرسول فإن المراد هو الأمر بطاعته والنهي عن الإعراض عنه وذكر طاعته تعالى
للتمهيد والتنبيه على أن طاعته تعالى في طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم من يطع الرسول فقد أطاع
الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للأمر الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى وأنتم تسمعون جملة
حالية واردة لتأكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا كما في قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم
تعلمون لا لتقييد النهي عنه بحال السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى أي لا تتولوا

عنه والحال أنكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم وإذعان ولا تكونوا تقرير للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على أنها مؤدية إلى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم بالاسماع أي لا تكونوا بمخالفة الأمر والنهي كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم وإذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا أي قالوا ذلك والحال أنهم لا يسمعون حيث لا يصدقون بما سمعوه فكأنهم لم يسمعوه رأسا إن شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقرير للنهي إثر تقرير أي إن شر من يدب على الأرض أو شر البهائم عند الله أي في حكمه وقضائه الصم أي الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لأن ما خلق له الأذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كأنهم فاقدون للجارحتين رأسا وتقديم الصمم على البكم لما أن صممهم متقدم على بكمهم فإن السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما أن النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فإن الأصم الأبكم إذا كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور ويفهمه غيره بالإشارة ويهتدي بذلك إلى بعض مطالبه وأما إذا كان فاقدا للعقل أيضا فهو الغاية في الشر وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث أبطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير ممن خلق الله عز وجل فصاروا أخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم إلى تحري الحق واتباع الهدى لأسمعهم سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقية الرسول عليه الصلاة والسلام ولأطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة وإليه أشير بقوله تعالى ولو أسمعهم لتولوا أي ولو أسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط أو ارتدوا بعدما صدقوه وصاروا كأن لم يسمعوه أصلا وقوله تعالى وهم معرضون إما حال من ضمير تولوا أي لتولوا على أدبارهم والحال أنهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم وإما اعتراض تذييلي وهم قوم عادتهم الإعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحي قصيا فإنه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى ولو أسمعهم كلام قصي إلى آخره وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا نسمعه ولا نجيبه فأهلكهم الله تعالى فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وقال ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن رضي الله عنه أنهم أهل الكتاب يا أيها الذين آمنوا تكرير النداء مع وصفهم بنعت الإيمان لتنشيطهم إلى الإقبال على الامتثال بما يرد بعده من الأوامر وتنبيههم على أن فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة إذا دعاكم أي الرسول إذ هو المباشر لدعوة الله تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية التي هي مناط الحياة الأبدية كما أن الجهل مدار الموت الحقيقي أو هو ما يحيي القلب كما أن الجهل يوجب موته وقيل هو مجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حياة روي أنه عليه الصلاة والسلام مر على أبي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاءه فقال عليه الصلاة والسلام ما منعك من إجابتي قال كنت في الصلاة قال ألم تخبر فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم إلى آخره واختلف فيه فقيل هذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام وقيل لأن إجابته عليه الصلاة والسلام لا تقطع الصلاة وقيل كان ذلك الدعاء لأمر مهم لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله واعلموا أن الله

يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وتنبيه على أنه تعالى مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل إدراك المنية فإنها حائلة بين المرء وقلبه أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته ويبدله بالأمن خوفا وبالذكر نسيانا وما أشبه ذلك من الأمور المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء وإجراء الوصل مجرى الوقف وأنه أي الله عز وجل أو الشأن إليه تحشرون لا إلى غيره فيجازيكم بحسب مراتب أعمالكم فسارعوا إلى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة له واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة أي لا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم خاصة بل يعمه وغيره كإقرار المنكر بين أظهرهم والمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد وعلى أن قوله لا تصيبن إلى آخره إما جواب للأمر على معنى إن أصابتكم لا تصيبن الظالم خاصة وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم وإما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لأن النون لا تدخل النفي في غير القسم أو للنهي على إرادة القول كقوله حتى إذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط وإما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وإن اختلف المعنى فيهما وقد جوز أن يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الأمر باتقاء الذنب فإن وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الأول للتبعيض وعلى الأخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على أن الظلم منكم أقبح من غيركم واعلموا أن الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه واذكروا إذ أنتم قليل أي وقت كونكم قليلا في العدد وإيثار الجملة الاسمية للإيذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى مستضعفون خبر ثان أو صفة لقليل وقوله تعالى في الأرض أي في أرض مكة تحت أيدي قريش والخطاب للمهاجرين أو تحت أيدي فارس والروم والخطاب للعرب كافة فإنهم كانوا أذلاء تحت أيدي الطائفتين وقوله تعالى تخافون أن يتخطفكم الناس خبر ثالث أو صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعدما وصف بالمفرد أو حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على الأول وهو الأظهر إما كفار قريش أو كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم أي فاذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من تخطفهم إياكم فآواكم إلى المدينة أو جعل لكم مأوى تتحصنون به من أعدائكم وأيدكم بنصره أي قواكم بنصره على الكفار بمظاهرة الأنصار أو بإمداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول أصل الخون النقص كما أن أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه أي لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو في الغلول في الغنائم روي أنه عليه الصلاة والسلام حاصر بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحاء من الشام فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه فأبوا وقالوا أرسل لنا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لأن ماله وعياله كانت في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد فقال لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه صلى الله عليه وسلم فحله فقال إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن

المطلع من حالي فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به ﴿وتخونوا اماناتكم﴾ فيما بينكم وهو مجزوم معطوف
على الاول او منصوب على الجواب بالواو ﴿وانتم تعلمون﴾ انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح ﴿واعلموا
انما اموالكم واولادكم فتنة﴾ لانها سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله عز وجل ليبلوكم فيها فلا
يحملنكم حبهما على الخيانة كابي لبابة ﴿وان الله عنده اجر عظيم﴾ لمن اثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده
فيها فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه ﴿يا ايها الذين آمنوا﴾ تكرير الخطاب والوصف بالايمان للتنبيه على
كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضي الايمان مراعاته والمحافظة عليه كما في الخطابين السابقين
﴿ان تتقوا الله﴾ اي في كل ما تاتون وما تذرون ﴿يجعل لكم فرقانا﴾ هداية في قلوبكم تفرقون بها بين
الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة
عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان
اي الصبح ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ اي يسترها ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات
الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم وقوله تعالى
﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تعالى لهم على التقوى تفضل منه واحسان
لا انه مما يوجب التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا﴾ منصوب على
المفعولية بمحذوف خوطب النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى واذكروا اذ انتم الى آخره مسوق لتذكير
النعمة الخاصة به عليه الصلاة والسلام بعد تذكير النعمة العامة تمثيل اي واذكر وقت مكرهم بك ﴿ليثبتوك﴾
بالوثاق ويعضده قراءة من قرئ ليقيدوك او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح
وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات ﴿او يقتلوك﴾ بسيوفهم ﴿او يخرجوك﴾ اي من مكة وذلك انهم
لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم له عليه الصلاة والسلام فرقوا فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون
في امره عليه الصلاة والسلام فدخل عليهم ابليس لعنه الله في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت
ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون
اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما
غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحد
فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا
الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل عليه الصلاة والسلام النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر
وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله تعالى عنه على مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾
اي يرد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل
المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا ﴿والله خير الماكرين﴾ لا يعبا بمكرهم عند مكره
واسناد امثال هذا اليه سبحانه يحسن للمشاكلة ولا يسوغ ابتداء لما فيه من ايهام ما لا يليق به
﴿واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا﴾ التي حقها ان تخر لها صم الجبال
﴿مثل هذا﴾ قاله اللعين النضر بن الحارث واسناده الى الكل لانه كان نديمهم وقاضيهم الذين
يقولون بقوله ويأخذون برايه وقيل قاله الذين ائتمروا في امره عليه الصلاة والسلام في دار الندوة
وهذا كما ترى غاية المكابرة فانها يتطاولنا كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من
المشية وقد تحداهم عشرين سنة وقرعهم على العجز وذاقوا الامرين ثم قارعوا بالسيف فلم
يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب البيان ﴿ان هذا الا اساطير الاولين﴾

ايما

اي ما يسطرونه من القصص ﴿واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم﴾ هذا ايضا من اباطيل ذلك اللعين روي انه لما قال ان هذا
الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى
ان القرآن ان كان حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم
سواه والمراد به التهكم واظهار اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ
الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه
الذي يدعيه عليه الصلاة والسلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع
غير منزل كالاساطير ﴿وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم﴾ جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب
لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب الاستئصال
والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه
والمراد باستغفارهم في قوله تعالى ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ اما استغفار من
بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان
ربك ليهلك القرى واهلها مصلحون ﴿وما لهم الا يعذبهم الله﴾ بيان لاستحقاقهم العذاب بعد
بيان المانع لتعذيبهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون ﴿وهم
يصدون عن المسجد الحرام﴾ اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية ﴿وما كانوا اولياءه﴾ حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح
ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم الصد عنه مع عدم استحقاقهم لولايته في غاية القبح
وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿ان اولياؤه الا
المتقون﴾ من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى ﴿ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾ ان لا ولاية لهم عليه
وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم
﴿وما كان صلاتهم عند البيت﴾ اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها ﴿الا مكاء﴾
اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر ﴿وتصدية﴾ اي تصفيقا تفعلة من الصد
او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر لكان ومساق
الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب وعدم ولايتهم بالمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي
انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون ويصفقون وقيل كانوا
يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون
ايضا ﴿فذوقوا العذاب﴾ اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون
للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم ﴿بما كنتم تكفرون﴾ اعتقادا وعملا ﴿ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم
كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين سوى من استجاش
من العرب فانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا
بهذا المال على حرب محمد صلى الله عليه وسلم لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله
دينه واتباع رسوله ﴿فسينفقونها﴾ بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو
انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاقهم يوم احد ويحتمل ان يراد بهما
واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد

ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها
مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر
واصروا عليه الى جهنم يحشرون اي يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اي
الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او بيغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم
حسرة وقرئ ليميّز بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي
يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم فيجمعه او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه
كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه عبارة عن الفريق او الى المنافقين
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم
خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا
عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب
وقرئ نغفر لكم ويغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله صلى الله عليه وسلم
فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالتدمير كما جرى على اهل
بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وتعميم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين
في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد
منهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم
عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم
واسلامهم وقرئ بتاء الخطاب اي بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم
للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا
ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من
نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد
بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة وعائدها محذوف
اي الذي اصبتموه من الكفار عنوة وقيل الغنيمة ما اصابته الغنم من العدو في الشرع ويطلق على كل ما نيل
منهم كائنا ما كان وقوله تعالى من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائده المقصود به الاعتناء
بشان الغنيمة وان لا يشذ عنها شيء اي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا
ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضي المغنومة وقوله تعالى
فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فحق او فواجب ان لله تعالى خمسه وقيل الجملة خبر لان ما الى آخره
وقرئ بالكسر والاول آكد واقوى للايجاب لما فيه من تكرير الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل
الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه وقرئ خمسه بسكون الميم قال الجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما
في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه تعالى وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام في ذي القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة
لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه الصلاة والسلام وهم بنو هاشم
وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله تعالى عنهما انهما قالا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا
بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا

في جاهلية

في جاهلية ولا اسلام وانما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمتها عند
انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له عليه الصلاة والسلام وسهم
للمذكورين من ذوي قرباه وثلاثة اسهم للاصناف الثلاثة الباقية واما بعده عليه الصلاة والسلام
فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة لسائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم
على الاصناف الثلاثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه انه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى
فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم واما الغني منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة
شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل سهم الرسول صلى
الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه صلى الله عليه وسلم من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من السلاح
والكراع ونحو ذلك وسهم ذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين
والباقي للفرق الثلاث وعند مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء
وان رأى اعطاه بعضا منهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم فتعلق ابو العالية بظاهر الآية
الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة لما روي انه عليه الصلاة والسلام
كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله تعالى لبيت المال
وقيل هو مضموم الى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا شأن الخمس واما الاخماس الاربعة فتقسم بين
الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة رحمه الله وثلاثة اسهم عندهما قال القرطبي لما بين
الله تعالى حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تعالى ان كنتم آمنتم
بالله متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اي ان كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة
يجب التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد
به مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على
الاسم الجليل اي ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلناه على عبدنا وقرئ على عبُدنا بضمتين
وهو اسم جمع اريد به الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فان بعض ما انزلنا نازل عليهم وهو الملائكة
والفتح عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم بدر سمي به لفرقه بين الحق والباطل
وهو منصوب بانزلنا على ان المراد به ما نزل عليه عليه الصلاة والسلام يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على ان المراد
بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه من موجبات
العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان الملائكة والفتح لما كان
من جهته تعالى وجب ان يكون ما يحصل بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي عينها الله
تعالى والله على كل شيء قدير على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك
اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا
بالفتح والكسر وقد قرئ بها وهم بالعدوة القصوى اي البعدى من المدينة وهي تأنيث الاقصى
وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا مع كونهما من بنات الواو ولكنه جاء على الاصل كالقود
واستصوب وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم اي في مكان
اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبلها
وفائدتها الدلالة على قوة العدو واظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم
على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد
غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا

يمشي فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم
في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحقق ان ما اتفق لكم من الفتح ليس الا صنعا من
الله عز وجل خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع
بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل من نصر
اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا في الازل وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اي ليموت من يموت عن بينة ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من
آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي
المشارف للهلاك والحياة او من حاله في علم الله تعالى الهلاك والحياة وقرئ ليهلك بالفتح وحيي
بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان
من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم
الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح
اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم
ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر اي في امر
القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله سلم اي انعم بالسلامة من القتل والفشل
والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع
ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل
بطريق التغليب والتقيتم معطوف على المضمر السابق والضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني
وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لمن الى جنبه اتراهم
سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم
في اعينهم حتى قال ابو جهل لعنه الله انما اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام
القتال ليجترؤوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الرؤية فتبهتهم
ويهابوا وهذه من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن
لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض
مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد
بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وهاهنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه
والى الله ترجع الامور كلها يصرفها كيف يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم
المجيد يا ايها الذين آمنوا صدر الخطاب بحرف النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون
ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يصفها بالكفر لظهور ان المؤمنين
لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا اي للقائهم في مواطن الحرب واذكروا
الله كثيرا اي في تضاعيف القتال مستمدين به مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين
لنصره لعلكم تفلحون اي تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان
العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ
البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله في كل ما تأمرون وما

تذرون

تذرون فيندرج فيه ما امروا به هاهنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف
الآراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم
بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهي اي تذهب
دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها
وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحرب ان الله مع الصابرين
بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بعدما امروا بما امروا به من محاسن الاعمال نهوا عما يقابلها
من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا اي فخرا واشرا ورئاء الناس
ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال
ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل الا ان ياتي بدرا فلقوا ما ذكر في اول السورة الكريمة
فنهى المؤمنون ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء
مستلزم للامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع
الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ
زين لهم الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين
اي واذكر وقت تزيين الشيطان اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون
لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا
اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه
رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم
اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله تعالى
للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة فكاد
ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس لعنه الله في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
من كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكانت يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين تخذلنا في هذه
الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث فانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم
الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان
وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اخاف ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون
الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن رضي الله عنه واختاره ابن بحر
والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا من جهة الله عز وجل اذ يقول المنافقون
منصوب بزين او بنكص او بشديد العقاب والذين في قلوبهم مرض اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان
بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين
في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حتى
تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم
من جهته تعالى وتعليقا لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه ولا يخذل من استجار به وان قل حكيم

يبصر بحكمته البالغة مما يستبعده العقول ويحار في فهمه الباب الفحول وجواب الشرط محذوف
لدلالة المذكور عليه ولو ترى اي ولو رأيت فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد الماضي
مضارعا والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقد مر تحقيقه
في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ في قوله تعالى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
ظرف لترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حال الكفرة حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم
المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل والملائكة مبتدأ وقوله تعالى يضربون
وجوههم خبره والجملة حال من الموصول فقد استغني فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال من
الملائكة او منهما لاشتماله على ضميريهما وادبارهم اي واستاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء
وذوقوا عذاب الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون حالا من فاعله اي ويقولون وقائلين
ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب
لو محذوف للايذان بخروجه عن حدود البيان اي لرأيت امرا فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة
الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للايذان بكونهما في الغاية القاصية من الهول والفظاعة
وهو مبتدأ خبره بما قدمت ايديكم اي ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي
محل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي والامر انه
تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس
بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان سببيته
مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى
لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار
عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج الى ذلك كدأب آل
فرعون في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما حل بهم من العذاب بسبب
كفرهم لا لشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح
حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا
وفعل بهم من الاخذ كدأب آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال والذين من قبلهم
اي من قبل آل فرعون من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح عليه الصلاة والسلام
وعاد واضرابهم من اهل الكفر والعناد وقوله تعالى كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم الذي فعلوا هم والتعرض
لبيان كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى فأخذهم الله بذنوبهم لتأكيد
ما افاده الكلام من السببية مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز
ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فتكون الباء للملابسة اي فأخذهم ملتبسين بذنوبهم
غير تائبين منها فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوا فقط كما قيل قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق فكذبوه
فانزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون ومعنى جعل العقاب من جملة دأبهم مع انه ليس مما يتصور مداومتهم
على ما يوجب عليه واعتياده اياه كالمعاقب فقد لزم الدأب بالتغليب ما فعلوا على ما فعل بهم وابتنى
مداومتهم على ما يوجبه من الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تعالى
ان الله قوي شديد العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ذلك الى آخره استئناف

مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب المنوط باعمالهم السيئة غير واقع بدون سابقة
ما يقتضيه وهو المشار اليه بالانفس من ما حل بهم من العذاب والانتقام كما قيل فانه مع كونه متعلقا بما ذكر من
ذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم حالهم ولولاهم
ان السبب ليس ما ذكر كما ينطق به النظم الكريم وانما يستفاد من مفهوم الغاية جريان عادته تعالى على تغيير
نعمتهم عند تغييرهم حالهم حتى تخيل ان العلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه كون شرطه
والعناد عن الحق بمن اخل وتهويل الامر الكفر بآيات الله واسقاط حاله عن ترتب ايجاب العقاب في مقام التهويل
والتحذير مع ان المعنى ذلك اي ترتيب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك
بان الله اي بسبب ان الله تعالى لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم من الاقوام اي نعمة كانت
جلت وهانت حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال والاحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم
بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة
الى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة
نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبينات غيروها
الى اسوأ منها واسخط حيث كذبوه عليه الصلاة والسلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم
يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك
يكن فحذفت النون تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله لم يك داخل معه
في حيز التعليل اي وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال
السابقة واللاحقة فيرتب على كل منهما ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر
الهمزة فالجملة حينئذ استئناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كدأب آل فرعون اي كتغييرهم
على ان دأبهم عبارة عما فعلوا فقط كما هو الانسب بمفهوم الدأب وقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير له بتمامه
وقوله تعالى فاهلكناهم اخبار بترتب العقاب عليه لا انه من تمام تفسيره والاظهر في توسيط قوله
تعالى وان الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره في سورة آل عمران حيث جعل انتصاب محل الكاف بلن
تغني مع ما بينهما من قوله تعالى واولئك هم وقود النار هذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها
واما على تقدير كونها اعتراضا فلا حاجة في توسيطها عطفا وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف كما قبله فالجملة حينئذ استئناف آخر مسوق لتقرير ما سيق له الاستئناف الاول بتشبيه
دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة
عما يلزمه من معناه الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى ذلك بان الله لم يك
مغيرا نعمة الآية اي دأب هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب اولئك
حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذي فعلوه
من تغييرهم حالهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير لدأبهم الذي فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من
نعمته اما دأب قريش فمستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شأن التنزيل حيث اكتفى في كل من
التشبيهين بتفسير احد الطرفين واضافة الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح
ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون العظمة في اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل
الخطب واجراء الكلام في المقام وفي قوله تعالى بذنوبهم ما مر وعطف عليه قوله تعالى واغرقنا
آل فرعون على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته لعطف

جبريل على الملائكة عليهم الصلاة والسلام وكل أي كل من الفرق المذكورين أو كل من هؤلاء
وآل فرعون وكل من غرق في القبط وقتل قريش كانوا ظالمين أي أنفسهم بالكفر والمعاصي حيث
عرضوها للهلاك أو واضعين الكفر والتكذيب مكان الإيمان والتصديق ولذلك أصابهم
ما أصابهم إن شر الدواب بعدما شرح أحوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان أحوال
الباقين وتفصيل أحكامهم وقوله تعالى عند الله أي في حكمه وقضائه الذين كفروا أي أصروا
على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب لا شر الناس إيماء بأنهم بمعزل عن مجانستهم وإنما هم
من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع أفرادها حسبما نطق به قوله عز وجل إن هم إلا كالأنعام
بل هم أضل وقوله فهم لا يؤمنون حكم مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل
عليهم وكونهم من أهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف أصلاً جيء به على وجه
الاعتراض لا أنه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل وقوله
تعالى الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الأول أو عطف بيان له أو نصب على الذم أي
عاهدتهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الأخذ فإن المعاهدة التي هي عبارة عن إعطاء العهد وأخذه من الجانبين
معتبرة هاهنا من حيث أخذه عليه الصلاة والسلام عهدهم إذ هو المناط لما نعى
عليهم من النقض لا إعطاؤه عليه الصلاة والسلام إياهم عهده كأنه قيل الذين أخذت منهم
عهدهم وقيل هي للتبعيض لأن المباشر بالذات للعهد بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم
عطف على عاهدت داخل في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض
وتعدده وكونهم على نيته في كل حال أي ينقضون عهدهم الذي أخذته منهم في كل مرة أي من
مرات المعاهدة إذ هي التي يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما
قيل إذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور أصلاً حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة
لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعاً لأن النقض
لا يتحقق إلا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم
أن المراد هي المرات الواقعة إثر المعاهدة ينبغي النقض لو وقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه من
الباب ولئن يعد ذلك من المحاربة فلا محيص عن لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لأن
المحاربة بهذا المعنى هي النقض فيؤول الأمر إلى أن يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات
المحاربة للعهد مع كونه في غاية البعد عن الركاكة يقتضي خروج بدئهم بالنقض من البيان
وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون أي يستمرون على النقض والحال أنهم لا يتقون سبة
الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وهو قوله تعالى فإما تثقفنهم شروع في
بيان أحكامهم بعد تفصيل أحوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي فإذا كان حالهم
كما ذكر فإما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب أي في تضاعيفها فشرد بهم أي ففرق عن مناصبتك
تفريقاً عنيفاً موجباً للاضطراب والاضطراب ونكل عنها بأن تفعل بهم من النكاية والتعذيب ما يوجب
تنكيل من خلفهم أي من وراءهم من الكفرة وفيه إيماء إلى أنهم بصدد الحراب قريب من هؤلاء وقرئ
شرذ بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم أي افعل التشريد من ورائهم
فالمعنى واحد لأن إيقاع التشريد في الوراء لا يتحقق إلا بتشريد من في وراءهم لعلهم يذكرون
يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعون عن النقض أو عن الكفر وقوله تعالى وإما
تخافن من قوم خيانة بيان لأحكام المشرفين إلى نقض العهد إثر بيان أحكام الناقضين

لدنا الفضل

لدنا الفضل والخوف مستعار للعلم أي وإما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد فيما
سيأتي بما لاح لك منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ إليهم أي فاطرح إليهم
عهدهم على سواء على طريق مستو قصداً بأن تظهر لهم النقض وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بأنك
قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون
من قبلك شائبة خيانة أصلاً فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ أي فانبذ إليهم
ثابتاً على سواء وقيل على استواء في العلم بنقض العهد بحيث يستوي فيه أقصاهم وأدناهم أو
تستوي فيه أنت وهم فهو على الأول حال من المنبوذ إليهم وعلى الثاني من الجانبين إن الله لا يحب
الخائنين تعليل للأمر بالنبذ إما باعتبار استلزامه النهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون
تحذيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإما باعتبار استتباعه للقتال بالمناجزة حثاً له عليه
الصلاة والسلام على النبذ أولاً وعلى قتالهم ثانياً كأنه قيل وإما تعلمن من قوم خيانة فانبذ
إليهم ثم قاتلهم إن الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت من حالهم ولا يحسبن الذين
كفروا أي أنفسهم فحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا أي فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم
مفعول ثان ليحسبن والمراد إفلاتهم من القتل وقطع أطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ
والاقتصار على دفع هذا التوهم مع أن مقاومة المؤمنين بل الغلبة عليهم أيضاً مما يتعلق به
أمانيهم الباطلة للتنبيه على أن ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وإنما الذي يمكن أن
يدور في خلدهم حسبان الفوات فقط وقيل الفعل لأحد أو لمن خلفهم والمفعول الأول للموصول
الثاني والثاني هم أيضاً وقيل هو الفاعل وأن محذوفة من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين
والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا ويعضده قراءة من قرأ أنهم سبقوا ونظيره في الحذف
قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفاً وقوله تعالى أفغير الله تأمروني أعبد الآية قاله الزجاج وقرئ
بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا تحسب الذين بكسر الباء
وفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى إنهم لا يعجزون أي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم
عاجزاً عن إدراكهم تعليل للنهي على طريقة الاستئناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل
وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين أي مفلتين هاربين وهذا على قراءة
الخطاب لإزاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما فيه من إيقاظ العدو وتمكينهم من الهرب والخلاص
أي يحلو بينه وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة والمقابلة على أبلغ وجه وآكده كما أشير إليه قيل
نزلت فيمن أفلت من المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزونِّ بالتشديد وأعدوا لهم
توجيه الخطاب إلى كافة المؤمنين لما أن المأمور به من وظائف الكل كما أن توجيهه فيما سبق من الخطاب
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظائفه عليه الصلاة والسلام أي أعدوا لقتال
الذين نبذ إليهم العهد وهيئوا لحربهم أو لقتال الكفار على الإطلاق وهو الأنسب بسياق النظم
الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب كائناً ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته
عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثاً ولعل تخصيصه عليه الصلاة
والسلام إياه بالذكر لإنافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم للخيل التي تربط
في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول أو مصدر سميت به يقال ربط ربطاً ورباطاً ورابط
مرابطة ورباطاً أو جمع ربيط كفصيل وفصال أو جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط
الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للإيذان بفضلها على بقية

افرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم الصلوة والسلام ترهبون به اي تخوفون
وقرئ ترهّبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل
الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اي مرهبين به او من الموصول او من عائده المحذوف اي اعدوا ما
استطعتم مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل
كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل
هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما
هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى الله يعلمهم اي لا غيره فان اعيانهم معلومة لغيره
تعالى ايضا وما تنفقوا من شيء لاعداد العتاد قل او جل في سبيل الله الذي اوضحه الجهاد
يوف اليكم اي جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها
بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته
سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة
في معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما مر في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل
منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اي ان مالوا للسلم للصلح بوقوع الرهبة
في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها اي للسلم والتانيث لحمله
على نقيضه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح
بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد انه
تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم
بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم والآية خاصة باليهود وقيل عامة نسختها آية السيف
وان يريدوا ان يخدعوك باظهار السلم وابطان الحراب فان حسبك الله اي فاعلم ان
محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذي ايدك بنصره تعليل لكفايته تعالى اياه
عليه الصلوة والسلام بطريق الاستئناف فان تاييده تعالى فيما تقدم على ما ذكر من الوجه
البعيد من الوقوع من دلائل تاييده تعالى فيما سياتي اي هو الذي ايدك بامداده من عنده بلا واسطة
كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله تعالى او بالملائكة مع خرقه للعادات وبالمؤمنين من
المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة
والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة
وهذا من ابهر معجزاته صلى الله عليه وسلم لو انفقت ما في الارض جميعا اي لتاليف ما بينهم
ما الفت بين قلوبهم استئنافا مقررا لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة المأخذ اي تناهى
التعادي فيما بينهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات البين جميع ما في الارض من الاموال والذخائر
لم يقدر على التاليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار بان التاليف بينها لا يتسنى وان امكن التاليف
ظاهرا ولكن الله الف بينهم قلبا وقالبا بقدرته الباهرة انه عزيز كامل القدرة والغلبة
لا يستعصي عليه شيء مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج
كان بينهم احن لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانسى
الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا
انصارا يا ايها النبي شروع في بيان كفايته تعالى اياه عليه الصلوة والسلام في جميع اموره
وامور المؤمنين او في الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تعالى اياه عليه الصلوة

والسلام في

والسلام في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء
بمضمونها وايراده عليه الصلوة والسلام بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله
اي كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المؤمنين في محل
النصب على انه مفعول معه اي كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قول من قال فحسبك والضحاك
عضب مهند وقيل في محل الجر عطفا على الضمير كما هو رأي الكوفيين اي كافيك وكافيهم او في محل
الرفع عطفا على اسم الله تعالى اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل
القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم
عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلام عمر رضي الله تعالى عنه
يا ايها النبي بعد ما بين كفايته اياه بالنصر والامداد امره عليه الصلوة والسلام بترتيب مبادي
نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشأن المأمور به حرض
المؤمنين على القتال اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها
تذكير وعده تعالى بالنصر وحكاية كفايته تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه
المرض حتى يشفي على الموت وقال الراغب كأنه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به
قلت فالاوجه حينئذ ان يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهكه المرض وقيل معنى
تحريضهم تسميتهم حرضا كما يقال اني اراك في هذا حرضا لأثره اي مرضا فيه لتهيجه الى الاقدام
وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد
كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم على طريق الاستئناف بعد الامر بتحريضهم
وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا لزيادة التقرير المفيد لزيادة الاطمئنان على انه
قد يجري بين الجمعين القليلين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين
القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين انه لا تفاوت في الصورتين وقوله تعالى من الذين
كفروا بيان للالف وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا كما
قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا هناك ثقة بذكره هناك بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا
اي بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله تعالى
واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما يفعله المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات
الشيطان واثارة ثائرة البغي والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا
يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها
للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من
اعتقد ان لا سعادة في هذه الحيوة الدنيا الفانية وانما السعادة هي الحيوة الباقية فلا يبالي بهذه
الحيوة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام
الكثير فكلام حق لكن لا يلائم المقام الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق
متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباتهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت
الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة
راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين وقيل
كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة
فكانوا متفاوتين في الاجتهاد الى القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد

وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن
وقرئ ضعفا جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث انه متحقق بالفعل علمه لا
به علمه مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ يكن ههنا بالياء التحتانية وفيما سبق بالتاء الفوقانية
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اي بتسهيله وتيسيره وهذا القيد معتبر فيما
سبق من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر ههنا
وانما ترك ذكره ثقة بما مر وقوله تعالى والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون
ما قبله والمراد بالمعية معية النصر والتأييد ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض
هناك لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المؤمنين وخذلان
الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها
لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد
والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم الصلوة والسلام
اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ان يكون له اسرى وقرئ بتأنيث
الفعل واسارى ايضا حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفرة ويقل حزبه
ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح
واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا
استيناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون والله يريد
الآخرة اي يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب ثواب الآخرة
من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كما في قوله اكل امرئ
تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم
ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين
وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة
للمؤمنين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي
طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم
فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء
مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال صلى
الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير
اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر
يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابك على اصحابك في
اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عليه
الصلوة والسلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار
بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان
لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي او ان الفدية التي

اخذوها

اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من اسباب العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم
الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلا لا ترفع حكم الاباحة السابقة على انه
قادح في تهويل ما نعي عليهم من اخذ الفداء لمسكم فيما اخذتم اي لاصابكم اي لاجل ما
اخذتم من الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا
عن الغنائم فنزلت قالوا الفاء للترتيب على سبب محذوف اي قد ابحت لكم الغنائم
فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم
وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سياق النظم الكريم وسياقه حلالا
حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته الترغيب واتقوا الله اي في مخالفة
امره ونهيه ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود
الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم اي في
ملكتكم كأن ايديكم قابضة عليهم من الاسارى وقرئ من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم
خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ
على البناء للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي
ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت
فقال له عليه الصلوة والسلام فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة
وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله
والفضل فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان
لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد
الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس بعد حين
فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم
ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي يتأول به ما في قوله تعالى ويغفر لكم
والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلي وان يريدوا
خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا الكلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عليه
الصلوة والسلام بطريق الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ
على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اي اقدرك عليهم حسبما رأيت يوم بدر فان اعادوا
الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو
بعيد والله عليم فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما
تقتضيه حكمته البالغة ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا
لله تعالى ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم
بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك في سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعيها
ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا تتصور
المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم
منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم
اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم
وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدأ وقوله تعالى بعضهم اما بدل منه وقوله تعالى اولياء بعض

خبره وأما مبتدأ ثان وأولياء بعض خبره والجملة خبر المبتدأ الأول أي بعضهم أولياء بعض في
الميراث وقد كان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ بقوله
تعالى وأولوا الأرحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي
موالاتهم والذين آمنوا ولم يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شيء أي من توليهم
في الميراث وإن كانوا من أقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيهاً لها بالعمل والصناعة
كالكتابة والإمارة وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم أن تنصروهم على
المشركين إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فإنه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم
عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا أمره كيلا يحل بكم عقابه والذين كفروا
بعضهم أولياء بعض آخر منهم أي في الميراث أو في المؤازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي المؤازرة
والموازرة بينهم وبين المسلمين وإيجاب المباعدة والمصارمة وإن كانوا أقارب إلا تفعلوه
أي ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضاً حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين
الكفار تكن فتنة في الأرض أي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر
وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم
بفوزهم بالقدح المعلى من الإيمان مع الوعد الكريم بقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة
فيه فلا تكرار لما أن مساق الأول لإيجاب التواصل بينهم والذين آمنوا من بعد وهاجروا بعد
هجرتكم وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فأولئك منكم أي من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار
الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ألحقهم الله تعالى بالسابقين
وجعلهم منهم تفضلاً منه وترغيباً في الإيمان والهجرة وفي توجيه الخطاب إليهم بطريق الالتفات من تشريفهم وتعظيم
محلهم ما لا يخفى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض آخر منهم في التوريث من الأجانب إن الله بكل
شيء عليم ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية أولاً وبالقرابة النسبية آخراً من الحكم البالغة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد بأنه بريء من
النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته والله أعلم

[illegible]

لها عدة أسماء براءة والتوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية
والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق
والبحث والتنقير عن حال المنافقين وإثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها
بهذه الأسماء يقضي بأنها سورة مستقلة وليست بعضاً من سورة الأنفال وادعاء اختصاص الاشتهار
بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون الحكمة في ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الأمان الذي يأبى
مقامه التصدير بما يشعر من ذكر اسمه تعالى بثبوته من وصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة رحمه الله لا اشتباه
في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولا رعاية لما وقع بين الصحابة رضي الله
تعالى عنهم من الاختلاف في ذلك على أن ذلك ينزع إلى القول بأن البسملة ليست من القرآن وإنما كتبت للفصل بين
السور عن الحنفية وإن مناط إثباتها في المصاحف وتركها إنما هو رأي من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا
ريب في أن الصحيح من المذهب أنها آية من القرآن أنزلت للفصل والتبرك وأن لا مدخل لرأي أحد في الإثبات

والتوبة

والترك وإنما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا مرية في عدم نزولها ههنا وإلا لامتنع أن يقع في الاستقلال
اشتباه أو اختلاف فهو إما لاتحاد السورتين أو لما ذكرنا لا سبيل إلى الأول وإلا لبينه صلى الله عليه وسلم
لتحقق مزيد الحاجة إلى البيان لتفاصيل أدلة الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزولهما حيث
لم يبينه عليه الصلاة والسلام تعين الثاني لأن عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم براءة
خبر مبتدأ محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب أي اسمعوا براءة ومن في قوله عز وجل من الله ورسوله
ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها لتفيدها زيادة تفخيم وتهويل أي هذه براءة مبتدأة من جهة
الله ورسوله واصلة إلى الذين عاهدتم من المشركين وإنما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في
قوله تعالى أن الله بريء من المشركين اكتفاء بما في حيز الصلة فإنه منبئ عنه إنباء ظاهراً واحترازاً عن تكرير
لفظ من وقيل هي مبتدأ لتخصيصها بالصفة وخبره إلى الذين الخ والذي يقتضيه جزالة النظم هو
الأول لأن هذه البراءة أمر حادث لم يعهد عند المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله
حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والعمدة في الإخبار شيئاً آخر هو وصولها
إلى المعاهدين كأنما المحقق بأن يعتني بإفادته حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها إليهم
فإن حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها أن تكون أخباراً وحق الأخبار بعد العلم بثبوتها
لما هي له أن تكون صفات كما حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون على أن الأصل في تحريك الساكن الكسر
ولكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في
عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من أهل مكة وغيرهم بإذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى
الله عليه وسلم فنكثوا إلا بني ضمرة وبني كنانة فأمر المسلمين بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهلوا أربعة
أشهر ليسيروا أين شاؤوا وإنما نسبت البراءة إلى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في
حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها بإذن الله تعالى واتفاق الرسول
صلى الله عليه وسلم للإنباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على رأي المخاطبين لأنها عبارة عن إنهاء
حكم الأمان ورفع الخطر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل لأنها أمور
كسائر الأوامر الجارية على حسب حكمة تقتضيها ودواعٍ تستدعيها يترتب عليها آثارها من غير توقف
على شيء أصلاً واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها إنما هو على طريقة الامتثال بالأمر لا على أن يكون
لهم مدخل في إتمامها أو في ترتب أحكامها عليها وأما المعاهدة فحيث كانت عقداً كسائر العقود الشرعية لا
تحصل في نفسها ولا تترتب عليها أحكامها إلا بمباشرة المتعاقدين على وجه مخصوص اعتبرها الشرع لم
يتصور صدورها عنه سبحانه وإنما الصادر عنه في شأنها هو الإذن فيها وإنما الذي يباشرها ويتولى أمرها
المسلمون ولا يخفى أن البراءة إنما تتعلق بالعهد لا بالإذن فيه فنسب كل واحد منهما إلى من هو أصل فيهما على
أن في ذلك تفخيماً لشأن البراءة وتهويلاً لأمرها وتسجيلاً على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان وتنزيهاً
لساحة السبحانية والكبرياء عما يوهم شائبة النقص والبداء تعالى عن ذلك علواً كبيراً وإخراجه عليه الصلاة
والسلام في النسبة الأولى وإخراجه عن الثانية لما نشير إليه في قوله تعالى فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم
في حكي المقام صلى الله عليه وسلم وإيثار الجملة الاسمية على الفعلية بأن يقال قد برئ الله ورسوله من الذين ونحو ذلك
للدلالة على دوامها واستمرارها وللتوسل إلى تهويلها بالتنوين التفخيمي كما أشير إليه فسيحوا السياحة والسيح
الذهاب في الأرض والسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة
على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا ونظائره وزيادة قوله عز وجل في الأرض لقصد التعميم لأقطارها
من دار الإسلام وغيرها والمراد إباحة ذلك لهم وتخليتهم وشأنهم من الاستعداد للحرب وتحصين الأهل والمال

او تفصيل الحرب او نحو ذلك لا لتحليلهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه الى المشركين مع حصول المقصود بصيغة امر الغائب ايضا للمبالغة في الاعلام بالامهال حسما لمادة تعللهم بالغفلة وقطعا لشأفة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار صيغة الامر مع غنى افادة ذلك المعنى بطريق الاخبار ايضا كما يقال فلكم ان تسيحوا او نحو ذلك للايذان بكمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث بهم وباستعدادهم كأن ذلك امر مطلوب منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه على ما يؤذن به البراءة المذكورة من الحرب على ان الاول مترتب على نفسها والثاني على العلم بها كما في قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كانه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل العدد والاسباب وبالغوا في اعتداد العتاد من كل باب اربعة اشهر واعلموا انكم بسياحتكم في اقطار الارض في العرض والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول غير معجزي الله اي لا تفوتونه بالهرب والتحصين وان الله وضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار مخزي الكافرين اي مخزيكم ومذلكم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الآخرة بالعذاب وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك وللاشعار بان علة الاخزاء هو كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر الحرم التي علق القتال بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها او لتغليب ذي الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله عليه الصلاة والسلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض روي انه صلى الله عليه وسلم امّر ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله تعالى عنه على العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له عليه الصلاة والسلام لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عليه الصلاة والسلام لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر التعهد والنقض على القبائل الا رجل منها فلما دنا علي ابا بكر رضي الله عنهما سمع الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير ام مأمور فقال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده وأذان من الله ورسوله اي اعلام منهما تعالى كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها الى الناس اي كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين وهو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا يوم الحج الاكبر هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ان الله اي بان الله وقرئ بالكسر لما ان الاذان فيه معنى القول بريء من المشركين اي المعاهدين الناكثين ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وقيل على القسم فان تبتم من الشرك والغدر بالالتفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد

والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المنبئة بالوعيد الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم فهو اي فالتوبة خير لكم في الدارين وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما يليق بمن يقف على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله الخ لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو من متعلقات ما سبق كانه قيل ... وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني يأباه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي قولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم يظاهروا عليكم احدا ولم يعاونوا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اي ادوا اليهم كاملا الى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا فاذا انسلخ اي انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه ساترة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشف عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من ان تقول اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضي نصفه ثم نسلخه عن انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تأكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشأنها او هي مع ما فهم من قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين في قوله تعالى فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى الثاني مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من القتال حينئذ شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة الدائرة في كل سنة مما لا يساعده النظم الكريم واما انه يستدعي بقاء

حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد به لا لانها نسخت بقوله تعالى
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه رجما بالغيب لان ان اريد به ما في سورة الانفال فانه نزل
عقيب غزوة بدر وقد صح ان المواد بالذين كفروا في قوله تعالى قل للذين كفروا الى آخره ابو سفيان بن
حرب واصحابه وقد اسلم في اواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت في شوال سنة تسع
وان اريد ما في سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح فكيف ينسخ بما نزل بعده بل الانعقاد الاجماع
على انتساخها كاف في الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا وقد حاصر النبي صلى الله عليه
وسلم الطائف لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي
ايسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم اي قيدوهم وامنعوهم من التقلب في البلاد قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر ومعبر
يجتازون منه في اسفارهم وانتصابه على الظرفية اي ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به
وفائدته على التفسير الثاني دفع احتمال الاكتفاء بالحصر الحاصر المعهود فان تابوا عن الشرك
بالايمان فيما اضطروا بما ذكر من القتل والحصر واقاموا الصلاة واتوا الزكاة تصديقا لتوبتهم
وايمانهم او اكتفى بذكرهما عن بقية العبادات لكونهما رئيسي العبادات البدنية والمالية
فخلوا سبيلهم فدعوهم وشانهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور رحيم يغفر لهم
ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعاتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل
وان احد شروع في بيان حكم المتصدين لمبادي التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف
على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر
لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اي سالك
ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره اي امنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة
ما تدعوا اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء اخر في الفهم لكونهم من اهل اللسن
والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او التعليل متعلقة بما عندها لا بقوله اقتلوا لا يستعملا ان لاستعمالها
لانه يؤدي الى اعمال المحتى في المضمر والايكاد يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في فلا والله لا يلقى اناس
فتى حتاك يا ابن ابي يزيد كذا قيل لكن الا ان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى بل حال مختلفين بشان
تعلق الاستجارة ايضا بذلك او بما في معناه من امور الدين وما روي عن علي رضي الله تعالى عنه
انما اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله
تعالى او لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره الى اخره فالمراد بما فيه
من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله تعالى
ان ياتي محمدا فان من ياتيه عليه الصلاة والسلام انما ياتيه للامور المتعلقة بالدين ثم ابلغه بعد
استماعه ان لم يؤمن مامنه اي مسكنه الذي يامن فيه وهو دار قومه ذلك يعني الامر بالاجارة
وابلاغ المامن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا بد
من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد شروع
في تحقيق ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك كيف
للاستفهام الانكاري بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه
بالحال والظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدم على الاسم وهو عهد والاقتصار على المشركين
متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان مؤخرا لكان صفة له او بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر

للمشركين وعند كما ذكر او متعلق بالاستقرار الذي تعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله
وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون فيما لا الاستقرار الذي تعلق به الخبر
ولا يبالي بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه
بالظرف والحال كما في صورة الكون التام وهو الاولى لان في انكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة
ما ليس في انكار ثبوته للمشركين لان ثبوتها الذي فرع ثبوته العيني فانتفاء الاصل يوجب انتفاء
الفرع رأسا وفي توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته
لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد
انتفى وجوده على الطريق البرهاني اي على اي حال او في اي حال يوجد لهم عهد معتد به عند
الله وعند رسوله يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة ولا يتعرض لهم
بحسبه قتلا واخذا واما ان لا يناشوا به من عذاب الآخرة كما قيل فلا يساق الى اعتباره اصلا
اذ لا دخل للعهد فيه في ذلك الامر قطعا وان كان مرعيا عند الله تعالى وعند رسوله كعهد غير
الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة الا الذين
استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام المنبئ عن شمول جميع المعاهدين اي لكن الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام
لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله عز
وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفاء لتضمن معنى الشرط وما اما مصدرية
منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية
منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه
او مرفوعة على الابتداء والعائد محذوف وقيل الاستثناء متصل ومحله النصب على الاصل
والجر على البدل من المشركين على ان المراد بهم الجنس لا المعهود فان ما كان في حكم الامر بالاستقامة
ينتهي بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التي وقت بها الاستقامة المامور بها عبارة
عن مراعاة حقوق العهد بعد انقضاء مدته لا عن نقض الاستقامة فصار عين الامر الوارد
فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح ها هنا بما لم يصرح به
هناك من كونه معتنى به قطعا وهو تقييد الاتمام المامور به بثباتهم على ما كانوا عليه
من الوفاء ان الله يحب المتقين تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب
العهد من احكام التقوى كما مر كيف تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون للمشركين عهد حقيق
بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قيل من انه لاستبعاد
ثباتهم على العهد فكما ترى لان ما يذكر بصدد التعليل للاستبعاد عبارة عن عدم ثباتهم على
العهد لانه شيء يستدعيه فلما اعيد الاستنكار والاستبعاد تاكيدا لها وتمهيدا لتعداد
العلل الموجبة لها لا خلال تخلل ما في البين بالارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر
للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لورود ما يوجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما في
قوله وخبرتماني ان الموت بالقرى فكيف وها تا هضبة وقليب فانه مصحح لا مرجح
اي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله وان يظهروا عليكم اي وحالهم
انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم اي لا يراعوا في شانكم واصل الرقوب النظر
بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة

وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيها **الا ولا ذمة** اي حلفا وقيل قرابة ولا عهدا او
حقا يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب رعاية حقوق
العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف
تراعونها على منوال قول من قال علام تقبل منهم فدية وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا
وقيل الال من اسماء الله عز وعلا اي لا يرعون حق الله تعالى وقيل الجؤار ومآله الحلف لانهم اذا
تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم للتشهير ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر
موهما للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شئونهم الخفية والجلية بطريق الاستئناف
وبين انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاء في شيء وانما يظهرون مداهنة لا مهادنة فقيل
يرضونكم بافواههم حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم بالايمان والطاعة ويؤكدون
ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة واسناد الارضاء
الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق
في قلوبهم **وتأبى قلوبهم** ما يفيده كلامهم **واكثرهم فاسقون** خارجون عن الطاعة
فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليس لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وازعة
لا يتسللون مما يتعاطاه بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر الى احدوثة السوء
اشتروا بآيات الله بآياته الآمرة بالايفاء بالعهود والاستقامة في كل امر او بجميع آياته
فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا اي تركوها واخذوا بدلها **ثمنا قليلا** اي شيئا حقيرا من
حطام الدنيا وهو اهواؤهم وشهواتهم التي اتبعوها وانما انفقه ابو سفيان من الطعام
وصرفه الى الاعراب **فصدوا** اي عدلوا ونكبوا من صد صدودا او صرفوا غيرهم من صد
صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك **عن سبيله** اي الدين الحق الذي لا محيد عنه
والاضافة للتشريف او سبيل بيت الله حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه **انهم**
ساء ما كانوا يعملون اي بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف
وقد جوز ان يكون كلمة ساء على اصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف
اي ساءهم الذين يعملونه او عملهم وقوله عز وجل **لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة** نعي عليهم
عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا في اليهود او في الاعراب
ومن يجدوا واخذوهم واما ما قيل انه تفسير لقوله تعالى يعملون او دليل على ما هو مخصوص بالذم
مشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره **واولئك** الموصوفون بما عدد من الصفات
السيئة **هم المعتدون** المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة **فان تابوا** اي عما هم عليه من
الكفر وسائر العظائم والفاء للايذان بان تقريعهم بما نعي عليهم من مساوي اعمالهم مزجرة
عنها ومظنة للتوبة **واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة** اي التزموها وعزموا على اقامتها **فاخوانكم**
اي فهم اخوانكم وقوله تعالى **في الدين** متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اي فلهم ما لكم
وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا
مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط
فيهما لما ان الاولى سيقت اثر الامر بالقتل ونظائره فحسن ان يكون جوابها الامر بخلاف ذلك
وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلا بد ان يكون جوابها الحكم بخلافه البتة
ونفصل الآيات اي نبينها والمراد بها اما ما مر من الآيات المتعلقة باحوال المشركين من

للمشركين

المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان واما جميع الآيات فيندرج فيها
تلك الآيات اندراجا اوليا **لقوم يعلمون** اي ما فيها من الاحكام المندرجة في تضاعيفها والمحافظة
عليها **وان نكثوا** عطف على قوله تعالى فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا **ايمانهم من بعد**
عهدهم الموثقة بها واظهروا ما في ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما ينبئ
عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا
بعد الايمان كما قيل **وطعنوا في دينكم** قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام **فقاتلوا**
ائمة الكفر اي فقاتلوهم وانما اوثر عليه ما في النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي
رياسة وتقدم في الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بالائمة رؤساؤهم وصناديدهم
وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية قتلهم او للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنتها او للدلالة على استئصالهم
فان قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح
اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القراء **انهم لا ايمان لهم** اي على الحقيقة
حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم وانما علق النفي بها كالنكث فيما
سلف لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة في المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا يساعده
تعليله بالنكث والطعن لان حالهم في ان لا ايمان حقيقة لهم بعد النكث والطعن كحالهم قبل ذلك
وحمله على معنى عدم بقاء ايمانهم بعد النكث والطعن مع انه لا حاجة اليه تمحل لا يخفى
ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل وان نكثوا وطعنوا اذ لا ايمان لهم حقيقة
حتى ينكثوها او لاستمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا
انهم لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عقد آخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطاء الامان
اي لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه له لاشعاره بان معاهدتهم
تعني على طريقة لا يكون اعطاء الامان من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام فيكون
تعليلا للامر بالقتال لا باستحالة لانه ان حمل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو بمعزل عن العلية
للقتال او لكونه محكما قبل النكث والطعن وان حمل على انتفائه فيما سيأتي فلا يدل على جعل الانتهاء غاية
للقتال فيما سيجيء فالوجه ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل وان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر
من حالهم لانهم لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس ايمانهم وعن الطعن في دينهم **لعلهم**
ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا اي قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اي ليكن غرضكم من القتال انتهاؤهم
عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التي يرتكبونها لا ايصال الاذية بهم كما هو ديدن المؤذين **الا**
تقاتلون الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للانكار والتوبيخ يدل على تحضيضهم على المقاتلة
بطريق حملهم على الاقرار بانتفائها كأنه امر لا يمكن ان يعترف به طائعا لكمال شناعته فيلجؤون الى ذلك
ولا يقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة **قوما نكثوا ايمانهم** التي حلفوها عند المعاهدة
على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة **وهموا باخراج الرسول** من مكة حين تشاوروا
بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نعيا عليهم جناياتهم القديمة وقيل
وقيل هم اليهود نكثوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به
فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة او بدؤوا بقتال خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم
لان اعانة بني بكر عليهم قتال معهم **اتخشونهم** اي اتخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا
قتالهم وبخهم اولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق ان

كان على تلك الصفات الشنيعة حقيق بان لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله احق
ان تخشوه بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان تخصيص
الخشية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر
بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم
الله بايديكم قتلا واسرا وينصركم عليهم اي يجعلكم جميعا غالبين عليهم
اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشاهد
القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة
فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال
عليه الصلوة والسلام ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا من المكاره
والمكايد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عليه الصلوة
والسلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستانف ينبئ
عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان
كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب
به الامر بحسب المعنى فان القتال هو سبب لفل شوكتهم وازالة شكيمتهم فهو سبب التدبر
في امورهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي والاختلاف في وجه السببية غير التمسك والله اي شان
اظهار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة عليم لا يخفى عليه خافية
حكيم لا يفعل ولا يامر الا ما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جيء بها للدلالة على
الانتقال من التوبيخ السابق الى اخر والهمزة فيها للاستفهام الانكاري توبيخا لهم على الحسبان
المذكور اي بل احسبتم ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم
والخطاب لمن شق عليهم القتال من المؤمنين او المنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني اذ لو شمل تحقق
الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا اي ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص
من المجاهدين منكم من غيرهم وفيما من التوقع منبه على ان ذلك سيكون وفي ايثار التعبير عما ذكر
عدم التبيين بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبيين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا
للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين
ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة او حال من فاعله اي جاهدوا حال كونهم
غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي بطانة وصاحب سر وهو الذي
تطلعه على ما في ضميرك من الاسرار الخفية والوليجة من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ
ان ابقي على حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون اي بجميع اعمالكم وفي
على النية وهو تذييل لازالة ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الله من الجهل او حال من فاعله او مفعوله
والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال انه تعالى يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ما كان
للمشركين اي ما صح وما استقام على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما في قوله تعالى اولئك ما كان
لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما وقع وما تحقق لهم ان يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله
اي المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامرها ولان كل ناحية من نواحيه
المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده

القراءة با

القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر
الجنس وياباه انهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد ولا افتخار لهم بذلك على ان ذلك مبني على كون النفي
بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود شاهدين على انفسهم بالكفر اي مظهرين اثار الشرك
من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا
ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رحمه الله وهو حال من الضمير في يعمروا اي محال ان يكونوا ما سوغوا
عمارة بيت الله مع ملابستهم بما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة
في شيء واما ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين انما يستدعي انتفاء
احدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود روي ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى
بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ
له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد
الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك الذين يدعون عمارة المسجد وما
يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من
الكفر فصارت هباء منثورا وفي النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة
الاسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به
ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستانفة لتقرير النفي السابق الاولى من جهة نفي
استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب انما يعمر مساجد الله الكلام
في ايراد صيغة الجمع كما مر فيما مر خلا ان المراد جميع المساجد فيندرج المسجد الحرام في ذلك
على نحو ما يقتضيه الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقرئ بالافراد ايضا والمراد هنا قصر
تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اي انما يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة
يعتد بها من امن بالله وحده واليوم الاخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق
به الوحي واقام الصلوة واتى الزكوة على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله
عليه وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئي الشهادة علم
للكل اي انما يعمرها من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم
منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودراسة
العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال عليه الصلوة والسلام قال
الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي
فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه الصلوة والسلام من الف المسجد الفه الله وقال عليه الصلوة
والسلام اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في
مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه ولم يخش
الا الله فعمل بموجب امره ونهيه غير اخذ له في ذلك لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج
فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلي من الامور المخوفة فليس من هذا الباب ولا
مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم
فعسى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من الجنة وما
فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع

لطائح الكفرة عن الوصول إلى مواقف الاهتداء من الانتفاع بأعمالهم التي يحسبون أنهم في ذلك محسنون
ولتوبيخهم بقطع أطماعهم بأنهم مهتدون فإن المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات إذا كان أمرهم دائرًا
بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم وأعمالهم أعمالهم وفيه لطف للمؤمنين وترجيح وترغيب لهم
في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام أي في الفضيلة وعلو الدرجة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل
الله السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالأعيان فلا بد من تقدير مضاف في أحد
الجانبين أي أجعلتم أهلهما كمن آمن بالله الخ والتقدير بين والخطاب للمشركين على طريقة الالتفات
وهو المتبادر من تخصيص ذكر الإيمان بجانب المشبه به وإما لبعض من المؤمنين المؤثرين
للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم
ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وبيان أعظمية درجتهم عند الله تعالى على
وجه يشعر بعدم حرمان الأولين بالكلية وجعل معنى التفضيل بالنسبة إلى زعم الكفرة لا يجدي
كثير نفع لأن الإيمان لم يشعر بعدم الحرمان فليس يشعر بالحرمان أيضًا أما على الأول ففي توبيخ المشركين
ومدار إنكار تشبيه أنفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من
الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالإيمان والجهاد أو على إنكار تشبيه وصفيهم المذكورين
في حد ذاتهما مع الإغماض عن مقارنتهما للشرك بالإيمان والجهاد وأما اعتبار مقارنتهما له كما قيل
فيأباه المقام كيف لا وقد بين أنها حابطة لا علاقة بينها وبين الاعتداد بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم
بعد ذلك على تشبيههما بالإيمان والجهاد ثم رد ذلك عليهم بعدم مساواتهم عن أصل الفضيلة
بالكلية مما لا يليق بشأن التنزيل ولو اعتبر ذلك لما احتيج إلى التقرير بل كان التشبيه
وتأكيده بشيء آخر ظاهر البطلان لأنه من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى أجعلتم أهل السقاية
والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله أو أجعلتموهما في ذلك كالإيمان والجهاد
وشتان بينهما فإن السقاية والعمارة وإن كانتا في أنفسهما من أعمال البر والخير لكنهما وإن خلتا عن القوادح
بمعزل عن صلاحية أن يشبه أهلها بأهل الإيمان والجهاد أو يشبه نفسهما بنفس الإيمان والجهاد
وذلك قوله تعالى لا يستوون عند الله أي لا يساوي الفريق الأول الثاني من حيث اتصاف كل منهما
بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الأولين وبين الأخيرين لأنه المدار في التفاوت
بين الوصفين وإسناد عدم الاستواء إلى الموصوفين لأن الأهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي هاهنا
والإنكار فيما سلف إلى الاستواء والتشبيه مع دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين
إنما هي الأفضلية دون التساوي والتشابه للمبالغة في الرد عليهم فإن نفي التساوي والتشابه نفي للأفضلية
بالطريق الأولى والجملة استئناف مقرر لإنكار المذكور ومؤكد له أو حال من مفعولي الجعل والرابط هو الضمير
كأنه قيل سويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عند الله تعالى وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين
حكم عليهم بأنهم مع ظلمهم بالإشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ظالمون في هذا الجعل
غير مهتدين إلى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر فيه
زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل
الله بأموالهم وأنفسهم استئناف لبيان مراتب فضلهم إثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين
وظلمهم وزيادة الهجرة والتفصيل في الجهاد للإيذان بأن ذلك من لوازم الجهاد لا أنه معتبر بطريق البدل
أمر لم يعتبر فيما سلف أي هم باعتبار اتصافهم بهذه الأوصاف الجميلة أعظم درجة عند الله

اي اعلى

أي أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنًا من كان وإن حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من
جملتها السقاية والعمارة وأولئك أي المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الإشارة من معنى
البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الرفعة هم الفائزون المختصون بالفوز العظيم أو بالفوز المطلق كأن فوز
من عداهم ليس بفوز بالنسبة إلى فوزهم وأما على الثاني فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين
على الهجرة والجهاد روي أن عليًا قال للعباس رضي الله تعالى عنه بعد إسلامه يا عم ألا تهاجرون ألا
تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله الحرام وأعمر المسجد الحرام
فلما نزلت قال ما أراني إلا تارك سقايتنا فقال عليه الصلاة والسلام أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها الخير
وروي النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا
بعد أن أسقي الحاج وقال آخر لا أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل
مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم
الجمعة ولكن إذا صليت استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فأنزل الله عز وجل
هذه الآية والمعنى أجعلتم أهل السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر
وجاهد في سبيله أو جعلتموهما كالإيمان والجهاد وإنما لم يذكر الجهاد في جانب المشبه مع كونه معتبرًا فيه قطعًا
تعويلا على ظهور الأمر وإشعارًا بأن مدار إنكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الإيمان وإنما لم يترك
ذكره في جانب المشبه به أيضًا تقوية لمدار الإنكار وتذكيرًا لأسباب الرجحان ومبادي الأفضلية وإيذانًا بكمال التلازم
بين الإيمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر وكذا أعظمية درجة
الفريق الثاني وأما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد بعدم هدايته تعالى لهم إلى معرفة
الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقًا ولا الظلم عمومًا والقصر في قوله تعالى
فأولئك هم الفائزون بالنسبة إلى درجة الفريق الثاني أو إلى الفريق المطلق ادعاء كما مر والله أعلم يبشرهم
وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان كبير وجنات عالية لهم فيها أي في تلك
الجنات نعيم مقيم لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية تأكيد للتبشير وتربية له خالدين فيها
أي في الجنات أبدًا تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به إذ قد يراد به مكث طويل إن الله عنده أجر
عظيم لا قدر عنده لأجور الدنيا أي للأعمال التي في مقابلته والجملة استئناف وقع تعليلا لما سبق
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء نهي لكل فرد من أفراد المخاطبين عن موالاة
فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد إلى الآحاد كما في قوله تعالى وما
للظالمين من أنصار لا لعموم النهي لا لكل طائفة منهم فإن ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت في
المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشيرتنا وذهبت تجارتنا
وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو
بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى
يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أحب الناس إليه إن استحبوا الكفر أي
اختاروه على الإيمان وأصروا عليه إصرارًا لا يرجى معه الإقلاع عنه أصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما
أنها قبل ذلك ربما تؤدي بهم إلى الإسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم أي واحدًا منهم كما يشعر
إليه إفراد الضمير في الفعل مراعاة للفظ الموصول والعدول بالاستقلال كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لا أن المراد
تولي فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فأولئك أي فأولئك المتولون هم الظالمون بوضعهم

والموالاة في غير موضعها كأنه لا ظلم غيره قل تلوين للخطاب وأمر له صلى الله عليه وسلم
بأن يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والإخوان ويزهدهم فيهم وفيمن
يجري مجراهم من الأبناء والأزواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه الترهيب والتوبيخ
إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم لم يذكر الأبناء والأزواج فيما سلف لأن موالاة الأبناء
والأزواج غير معتادة بخلاف المحبة وعشيرتكم أي أقرباؤكم مأخوذ من العشرة أي الصحبة وقيل من
العشرة فإنها جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم وأموال اقترفتموها أي
اكتسبتموها وإنما وصفت بذلك إيماء إلى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة أي أمتعة
اشتريتموها للتجارة والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في أيام
الموسم ومساكن ترضونها أي منازل تعجبكم الإقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات
المذكورة للإيذان بأن اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحياة الدنيا ليس لتعاطيها في أنفسها بل لما فيها من مبادي المحبة وموجبات
الرغبة فيها وأنها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل من أن تؤثر حبها على حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم
كما في قوله عز وجل بربك الكريم أحب إليكم من الله ورسوله بالحب الاختياري المستتبع لأثره الذي هو الملازمة
وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فإنه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد
في سبيله نظم حبه في سلك حب الله عز وجل وحب رسوله صلى الله عليه وسلم تنويها لشأنه وتنبيها
على أنه مما يجب أن يحب فضلا عن أن يكره وإيذانا بأن محبته راجعة إلى محبتهما فإن الجهاد عبارة عن قتال
أعدائهما لأجل عداوتهم فمن يحبهما يجب أن يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا أي انتظروا حتى يأتي الله بأمره
قال ابن عباس رضي الله عنهما هو فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة أو آجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين أو القوم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا أوليا أي
لا يرشدهم إلى ما هو خير لهم وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه إلا من تداركه لطف من ربه والله
المستعان لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقفها
ومقاماتها ومواطنها وقعات بدر وقريظة ونضير وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل في مواطن
بحذف المضاف في أحدهما أي وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للإيماء
إلى ما وقع فيه من قلة الثبات في أول الأمر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله تعالى عنه
وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم أي ونصركم يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم
بدل من يوم حنين ولا محذور فليس في قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما أضيف إليه المعطوف
أو منصوب بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا
عشر ألفا عشرة آلاف منهم ممن شهد فتح مكة من المهاجرين والأنصار وألفان من الطلقاء وبين هوازن
وثقيف وكانوا أربعة آلاف فيمن ضامهم من إمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين
اسمه سلمة بن سلامة الأنصاري لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذراري فأكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون
يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا فأدركت المسلمين الأعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وعلا فلم
تغن عنكم شيئا والإغناء إعطاء ما يدفع به الحاجة أي لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم
شيئا من الإغناء وضاقت عليكم الأرض بما رحبت أي برحبها وسعتها على أن ما مصدرية والباء بمعنى
مع أي لا تجدون وتستقرون تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيه كأنها لا يسعكم مكانه ثم وليتم
مدبرين روي أنه بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه إلا عمه العباس

آخذا بلجام

آخذا بلجام بغلته وابن عمه أبو سفيان بن الحارث آخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول
أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وروي أنه عليه الصلاة والسلام كان يحمل على الكفار فيفرون
ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت أكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين
وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على أنه صلى الله عليه وسلم كان في الشجاعة ورباطة الجأش
سباق الغايات القاصية وما كان ذلك إلا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فقال عند ذلك
يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الأنصار فخذا فخذا
ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى
ثم أنزل الله سكينته على رسوله أي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن إليها اطمئنانا استتباعا
للنصر القريب وأما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه الصلاة والسلام قبل ذلك أيضا
وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت أي على المؤمنين الذين
انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم أو على الكل وهو الأنسب لأن الأصل في تحقق
أصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الإيمان للإشعار بعلية الإنزال وأنزل
جنودا لم تروها أي بأبصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام
عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي
الوطيس فأخذ كفا من تراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم أحد إلا امتلأت
بعيناه ثم قال عليه الصلاة والسلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقيل
خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا وفي قتالهم أيضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا إلا
يوم بدر وإنما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بإلقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك وإلقاء الرعب في
قلوب المشركين وقال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين
جعلنا نسوقهم فلما انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه
ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر والسبي ثم يتوب الله من بعد ذلك
على من يشاء أن يتوب عليه منهم لحكمة تقتضيه أي يوفقه للإسلام والله غفور يتجاوز
عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي أن ناسا منهم جاؤوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الإسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا
وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال
عليه الصلاة والسلام إن عندي ما ترون إن خير القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم وإما
أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن هؤلاء جاؤوا مسلمين
وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت به نفسه
أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا
فقال عليه الصلاة والسلام إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعوا
إليه العرفاء أنهم قد رضوا يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كأنهم
عين النجاسة أو هم ذوو نجس لخبث باطنهم أو لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس أو لأنهم لا يتطهرون
ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن أعيانهم نجسة
كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ
نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كأنه قيل إنما المشركون جنس نجس أو ضرب نجس

واكثر علمائنا على انهم رجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهي عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله تعالى عنه على الموسم ويدل عليه قول علي رضي الله تعالى عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام عليه بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء ان يغنيكم مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليه وانما قيد ذلك بها لينقطع الآمال الى الله تعالى ولان الاغناء ليس مطردا بحسب الافراد والاحوال والاوقات ان الله عليم بمصالح حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله امرهم بقتال اهل الكتابين اثر امرهم بقتال المشركين ومنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة عنوانا بتلافي العاقة المتوقعة من انقطاعهم ونبههم في تضاعيف ذلك على بعض طرق الاغناء الموعود على الوجه الكلي وارشدهم الى سلوكه ابتغاء لفضله واستيجابا لوعده والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الآخر فان علمهم باحوال الآخرة كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا وغير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون اتباعه اي يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله من الذين اوتوا الكتاب من التوراة والانجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلافه كما لا يخفى حتى يعطوا الجزية اي ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مؤاتية غير ممتنعة بمعنى منقادين او من يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم اي بسبب يد عليهم بين ذلك او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بجنتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اي نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه وهم صاغرون اي اذلاء وذلك بان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية يا عدو الله وان كان يؤديها وهي تؤخذ عند ابي حنيفة رحمه الله من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب وعند ابي يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند الشافعي رحمه الله تؤخذ من اهل الكتاب عربيا كان او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا والحق بهم مالك والاوزاعي انها تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد

اتفقت

اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي عن علي رضي الله تعالى عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم لقوله عليه الصلاة والسلام في آخر ما نقل من الحديث غير آكلي ذبائحهم وناكحي نسائهم ووقت الاخذ عند ابي حنيفة رضي الله عنه اول السنة وتسقط بالموت والاسلام ويقدرها على الفقير المعتمل اثني عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية واربعون درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبي او امرأة وعند الشافعي تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود جملة مبتدأة سيقت للتقرير ما تقدم من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين عزير ابن الله مبتدأ وخبر وقرئ عزير بالتنوين على انه اسم عربي وغير منصرف للعجمة والتعريف وانما نون بالتقاء الساكنين او تخفيفا فوصفنا على ان الخبر محذوف فصفته مستغنى عنه وقيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قاله بعض من كان بالمدينة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس منهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه الصلاة والسلام فرفع الله تعالى عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا لانه ابنه قال الامام الكلبي لما قتل بختنصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون آية بعدما اماته مائة عام يقال انه اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما اتاهم فقال انا عزير فكذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فاملل علينا التوراة فكتبها فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل الا انه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فانذر قومه به ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا انما اوتي هذا لانه ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة قولهم بافواههم اما تأكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج يضاهئون اي يضاهي قولهم في الكفر والشناعة وقرئ يضاهون قول الذين كفروا اي يشابه قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اي من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد في القول حتى يتأتى التشبيه وجعل بين قولي الفريقين مع اتحاد القول ليس فيه مزية وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو كما ترى فانه يستدعي اختصاص الرد والابطال بقول النصارى قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم اني يؤفكون فكيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى احبارهم وهم علماء اليهود واحتف

في واحد قال الاصمعي لا ادري اهو حَبر ام حِبر وقال ابو الهيثم بالفتح لاغير وكان الليث وابن السكيت يقولان
حِبر وحَبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب
الصوامع اي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله
تعالى وتحليل ما حرمه الله او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا
تعبد الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي عنقي صليب من ذهب وكان اذ ذاك على دين يسمى الركوسية فرقة من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي
اطرح هذا الوثن فطرحته ثم انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله
لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه الصلاة والسلام اليس يحرمون ما احل الله فيحرمونه ويحلون ما حرم الله فيستحلونه
فقلت بلى قال ذلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم
ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا يأخذون باقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله والمسيح
ابن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذه النصارى ربا معبودا بعدما قالوا انه ابن الله تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وتخصيص الاتخاذ به بحيث لم يذكر اليهود حينما فعلوا ذلك بعزير فلما حين في الذكر مع ان اتخاذهم له
عليه الصلاة والسلام ربا معبودا اقوى من مجرد الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم
الاحبار والرهبان اربابا لانه مختص بالنصارى ونسبته عليه الصلاة والسلام الى البنوة بحيث لانها
على ربوبيته المنافية للربوبية العظام بحال كذبهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة
وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابهم الا ليعبدوا الها واحدا عظيم الشان هو
الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تعالى فان جميع
الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه الصلاة والسلام وسائر من امر الله بطاعته
فهي في الحقيقة طاعة لله عز وجل او وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان
الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون ولا يقدح في ذلك كون ربوبية
الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى
وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة به تعالى لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استيناف مقرر للتوحيد
سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في العبادة والطاعة يريدون ان يطفئوا نور الله لطفا انه عبارة
عن ازالته بها الموجبة لزوال النور بها الاصل ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة
عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والسر في ذلك الاختصار لما ان الاطفاء ازالة النار في نورها والمراد بنور الله سبحانه
اما حججه النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء او القرآن او نحوه الشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة
بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة منها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما
حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا وقد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور
عظيم منبث في الآفاق بنفخه ويأبى الله اي لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام
وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة
والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه
على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشأنه
وتشريف له على تشريف واشعار بعلية الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف لدلالة
ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكرهوا
ذلك ولو كرهوه اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة

لان الشيء

لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد
وقد مر زيادة تحقيق لهذا مرارا هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القرآن الذي هو هدى للمتقين
ودين الحق الثابت وهو دين الاسلام ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر
الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة
والكلام في قوله عز وعلا ولو كره المشركون كما فيما سبق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على
انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم
لاراذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم اياهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم
فيما يأتون وما يذرون ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها
بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه معظم
الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم ويصدون الناس عن سبيل الله عن دين الاسلام او
عن المسلك المقرر في التوراة والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشا او يصدون عنه بانفسهم باكلهم
الاموال بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه
آخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بها بعد وصفهم بما
سبق من اخذ الرشى والبراطيل فيها عن الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل
ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في
استحقاق البشارة بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكاة لما روي انه لما نزلت كبر ذلك على المسلمين
فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم لقوله عليه الصلاة
والسلام ما ادي زكاته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه
واما قوله صلى الله عليه وسلم من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد به ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة
والسلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها
جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا
بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون او باذكر يحمى عليها في نار
جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله يحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار
واسند الفعل الى الجار تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان
طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي
رضي الله تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا
ينفقونها وقيل الضمير للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول
او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم
الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها
اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد
او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة
القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي
وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في
حكمه وهو معمول لها لانها مصدر اثنا عشر شهرا خبر لان تمييز مؤكد كما في قولك عندي

من السنة بين عشرون دينا ذا والمراد الشهور القمرية ان عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب
الله في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب
الله وقوله عز وعلا يوم خلق السموات والارض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او
بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات
والازمنة منها اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو
الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من
الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه عن محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية
وقد وافقت حجة الوداع ذي الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك اي تحريم
الاشهر الاربعة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه الدين القيم المستقيم
دين ابراهيم واسماعيل عليهما الصلوة والسلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر
الحرم ويكرهون القتال فيها حتى ان لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل
الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن
والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها
في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخ ويؤيد
الاول انه عليه الصلوة والسلام حاصر الطائف وغزى هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا وهو مصدر كف فان الجميع مكفوف عن الزيادة
وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين اي معهم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما
وضع المظهر موضع المضمر مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر وقيل هي
بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء هو مصدر نسأه اذا اخره نسأ ونساء ونسيئا
نحو مس مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء الاولى فيها
كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا
مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بان جعلوها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا
اربعة اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تأخير حرمة شهر الى شهر آخر
زيادة في الكفر لانه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما احله الله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا
ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل من الافعال على ان الفاعل هو الله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال
عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا وقيل الشيطان [illegible] جميعا دوساقهم والى
عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضلل يضل ونضل بنون العظمة يحلونه اي الشهر المؤخر
عاما من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن
ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام الماضي او لاسناده له الى آلهتهم كما سيجيء عاما آخر اذا لم يتعلق بتغييره
غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدور
من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت انا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه
ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال
حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية

كان يقوم

كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل
فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم
ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي الله عنهما اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة
ابن خندف والجملة تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله ليواطئوا اي ليوافقوا
عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما دل عليه مجموع الفعلين
فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل
وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا
قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب
البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه
الضلال يا ايها الذين آمنوا رجوع الى حث المؤمنين وتحريضهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف
من قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله
اثاقلتم تباطأتم وتقاعستم اصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك اي اي شيء حصل او حاصل لكم وما
تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا اي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله تثاقلتم
على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون والعامل في الظرف الاستقرار المقدر في
لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا
وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الانكاري التوبيخي فالظرف حينئذ بما هو الاول الى الارض متعلق
باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل
وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او
الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا
في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو
فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها
الا في غزوة تبوك فانه عليه الصلوة والسلام بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم
بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة اي بدل الآخرة ونعيمها الدائم فما متاع الحيوة الدنيا اي التمتع بها
في مقام الاظهار لزيادة التقرير اي ما التمتع بها وبلذائذها في الآخرة اي في جنب الآخرة الا قليل اي
مستحقر لا يؤبه له في تمتع الحيوة الدنيا [illegible] يستدعي الرغبة فيها وتجريد الآخرة
عن مثل ذلك مبالغة في بيان خفارة الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة وعلوها الا تنفروا اي
الا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم اي الله عز وجل عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع هائل
كالقحط ونحوه ويستبدل قوما غيركم بكم بعد اهلاككم وصفهم بالمغايرة لهم لتأكيد الوعيد والتشديد
في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستئصال اي قوما مطيعين مؤثرين
للآخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا من ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط
ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء في كل شيء وقيل
الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة والله
على كل شيء قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم آخرين الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم
تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه
او ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره اذ اخرجه الذين

كفروا اي تسببوا لخروجه حيث اذن له عليه الصلاة والسلام في ذلك حين هموا باخراجه ثاني اثنين
حال من ضميره عليه الصلاة والسلام وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في
الاعراب اي احد اثنين من غير اعتبار كونه عليه الصلاة والسلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلاثة
ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما
بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وقد مر في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة من سورة
المائدة وجعله عليه الصلاة والسلام ثانيهما لما ان الصديق اماما ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسوية
البساط كما ذكر في الاخبار بمعزل مستغنى عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به
زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول
بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه اي الصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية
الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد
بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي
الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم
ما ظنك باثنين الله ثالثهما قيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت
فنسجت عليه وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد
اخذ الله تعالى بابصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله تعالى عنه وسابقة صحبته
ما لا يخفى ومن ثمة قالوا من انكر صحبة ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقد كفر لانكاره كلام الله سبحانه وتعالى فانزل
الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد بها
ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو المنزعج واما النبي صلى الله عليه وسلم فكان على
طمأنينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر
والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة انزلهم الله ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم
وقوله عز وعلا وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر فان ذلك الجعل لا يتحقق
بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك وكلمة الله اي التوحيد او دعوة الاسلام هي العليا لا يدانيها
شيء وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شأنها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط
ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز لا يغالب حكيم في حكمه وتدبيره انفروا
تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على المساهلة فيه وقوله تعالى خفافا وثقالا حالا
من ضمير المخاطبين اي على اي حال كان من يسر او عسر حاصلين باي سبب كان من الصحة والمرض او الغنى
والفقر او قلة العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب او عدمها بعد الامكان والقدرة في الجملة
وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا في النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة
او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة
للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال عليه الصلاة والسلام نعم حتى
نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى
وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة
حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من ماله على قدر حاله هذا ما ذهب اليه
كثير من العلماء وقيل هو ايجاب للقسم الاول فقط ذلكم اي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى
البعد للدلالة على بعد منزلته في الشرف خير لكم اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة

وسعة العيش

وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد ان كنتم تعلمون اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم
تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه
له الى الرسول صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات قولا وفعلا على طريق المباثة وبيان
لدناءة هممهم وسابق رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه عرضا قريبا العرض ما عرض لك من
منافع الدنيا اي لو كان ذلك غنما سهل المأخذ قريب المنال وسفرا قاصدا ذا قصد بين القريب والبعيد
لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم تحققه عند تحقق
الشرط فقط ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة الشاطة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ
بكسر العين والشين وسيحلفون اي المتخلفون عند الرجوع وقوله تعالى بالله اما متعلق بسيحلفون
او هو من كلامهم والقول مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله تعالى معتذرين قائلين لو استطعنا
او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الخ اي لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة
الصحة او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله تعالى لخرجنا معكم
ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعا اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة
بالله لو استطعنا لضمه الى ولتنبيه لفظا او الجمع كما في قوله عز وجل فمتى الموت يهلكون انفسهم بدل
من سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اليمين الفاجرة
تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او من فاعل لخرجنا جيء به على طريقة الاخبار عنهم
كانه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن والله
يعلم انهم لكاذبون في مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين
الخروج ولم يخرجوا عفا الله عنك صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم
ما وقع منه عند استئذان المتخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة والاذن لهم اعتمادا على
ايمانهم ومواثيقهم لخلوها عن الجمع من ترك الاولى والافضل الذي هو التأني والتوقف الى انجلاء الامر
وانكشاف الحال وقوله عز وجل لم اذنت لهم اي لاي سبب اذنت لهم في التخلف حين استأذنوا بعللهم
بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغي ان تكون اموره صلى الله عليه وسلم منوطة
باسباب قوية موجبة لها او مصححة وانما ابرزه في معرض التعليل والاعتذار مشفوعا بالايماء
بعد لهم كونه سببا للكذب قبل صدقه وكلتا اللامين متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى
للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستأذنين وتوجيه الانكار الى الاذن باعتبار شموله
للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه وتعالى
حتى يتبين لك الذين صدقوا اي فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال
او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك وتعلم الكاذبين في ذلك فتعامل كلا من
الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى الافضل وتخصيص له عليه الصلاة والسلام فان كلمة حتى
سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت لهم لاستلزامه ان يكون اذنه عليه الصلاة
والسلام لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام اليه في ذلك من تلك الحيثية وهو بين
الفساد بل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت حتى ينجلي الامر كما هو قضية
الحزم قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين
واخذه للفداء من الاسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول
الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق

حادث في امر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين فان ما صدر من الآخرين وان كان كذبا حادثا
متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق
بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور
صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا واما
كذبه فامر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون
علما مستانفا واسناده الى المخبر عليه الصلوة والسلام لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اشتراط التنبيه
لما ان المقصود هاهنا علمه عليه الصلوة والسلام بهم ومواخذتهم بموجبه لكنه لا على الاولين حيث لا مواخذة
عليهم ومن لم يترتب لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبين الى الاولين
وتعلق العلم بالآخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما اشير اليه
لما ان القصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما
لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير الخطاب بشارة العفو دون
ما يوهم العتاب من مراعاة جانبه عليه الصلوة والسلام وتنبيه بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى
على اولي الالباب قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ واساء الادب
وبئس ما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئس ما فعلت هب انه كناية
اليس ايثارها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطأ
هل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من الشافهة بالسوء ويسوغ انشاء
الاستقباح بكلمة بئس المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين او
منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا فيكم الآية وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه
قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الآية نعم كان الاولى تاخير الاذن حتى يظهر كذبهم اثر ذي اثير ويفتضحوا على
رؤوس الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه
عليه الصلوة والسلام وارضوه بالاكاذيب على انه لم يهنأ لهم عيش ولا قرت لهم عين اذ لم يكونوا على يقين
بل كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر تنبيه على انه
ينبغي ان يستدل باستئذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم فان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن ان يستاذنوك
في التخلف وحيث استاذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مظنة للنفاق فيهم بل دليلا على نفاقهم وقيل
يستاذنك فيه محذوف يعني قوله تعالى ان يجاهدوا كراهة ان يجاهدوا ثم قيل المحذوف هو التخلف فالمعنى لا يستاذنك
المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فيتوجه النفي الى القيد ويصير استاذان المؤمن والمنافق وهو وان كان في نفسه امرا
خفيا لا يوقف عليه بادي الامر لكن علامته تلوح لهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا مقررا وقيل
هو الجهاد اي لا يستاذنك المؤمنون في الجهاد كراهة ان يجاهدوا قالوا انه على الاستئذان في الجهاد وان لم يكن
لكراهته ولا يخفى ان الاستئذان في الشيء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم فوجه الاستئذان لعلة الكراهة
ما لا ينبغي ان يحيك الظاهر من الاستئذان لعلة الرغبة ولو سلم فالذي ينفي عن المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين
فظاهر انهم لم يستاذنوا في الجهاد لكراهتهم بل انما استاذنوا في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة
لهم بالانتظام في زمرة المتقين مع عدة لهم بجزيل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار
بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى انما يستاذنك اي في التخلف مطلقا على الاول او كراهة الجهاد من بذل
النفس والمال انما هو لانتفاء الايمان بهما اذ به يتسنى للمؤمنين على الثاني الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر

تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد والداعي الى بذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به
يتسنى للمؤمنين الحيوة الابدية والنعيم المقيم الخالد بالحيوة الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم
عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم حال كونهم في ريبهم
وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات
ديدن المستبصر والتعبير عنه بهما لانه احسن موقعه ولو ارادوا الخروج رد لمقالة
بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا
الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه لاعدوا له اي للخروج في وقته عدة اي اهبة
من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة
الى الضمير الخروج كما في اقام الصلاة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدته وقرئ
بكسر العين وعدة بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اي نهوضهم للخروج استدراك من نفاء
ارادتهم انتفاء ارادتهم الخروج يستلزم انتفاء خروجهم قيل هو استدراك عما يفهم من
مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم الخروج يستلزم انتفاء خروجهم كراهة الله تعالى
انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى
لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ما احسن الي
زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا من نفس المقدم على نهج ما في الاقيسة الاستثنائية
والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من
المفاسد التي ستبين فثبطهم اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا
له وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة
الشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض او هو اذن الرسول صلى الله عليه وسلم
لهم في القعود فهو حكاية قوله لهم والمراد بالقاعدين اما المعذورون وغيرهم واياما كان
فهو ذم لهم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين بكم
ما زادوكم اي ما اورثوكم شيئا من الاشياء الا خبالا اي فسادا وشرا والاستثناء
مفرغ متصل وقيل منقطع وليس بذاك ولاوضعوا خلالكم اي ولسعوا فيما بينكم
بالنمائم والتضريب وافساد ذات البين من وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته
انا اي حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة في الاسراع
بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولاوفضوا من وفضت الناقة اسرعت واوفضتها
انا وقرئ ولاوفضوا اي اسرعوا يبغونكم الفتنة حال من فاعل اوضعوا اي يبغون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما
بينكم والقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استئناف وفيكم
سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون
للمنافقين اي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميريهما
او مستانفة ولعلهم لم يكونوا في كثرة العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين
بامر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا لمنفعته ولذلك لم يقتض الحكمة
عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا
لخلل كره الله انبعاثهم فلم يتيسر اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الاذن في
قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمن خروجهم لهذه المفاسد انهم لو قعدوا بغير اذن منه عليه

الصلوة والسلام لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم
والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم يتيسر لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوارع الايات
النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما
ياتون فيما سياتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار
بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة
تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك من قبل اي يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بن سلول
المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك بعدما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم
الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله على الثنية ليلة العقبة
وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه الصلوة والسلام فردهم الله تعالى خاسئين
وقلبوا لك الامور تقليب الامر تصريفه من وجه الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد
المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا
الاراء في ابطال امرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق اي النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله غلب
دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم والاية لتسلية رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى لاجله وهتك استارهم
وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فاتهم بالبس مما
لا يمكن تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني اي لا توقعني في الفتنة
وهي المعصية والاثم بان لا تاذن لي فتخلف لا محالة اذنت او لم تاذن فاذن لي حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة
او لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلكت مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس
قد علمت الانصار اني مشتهر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكن اعينك بمالي
فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه بمعنى فتنه الا في الفتنة اي في عينها ونفسها واكمل افرادها
الغني عن الوصف بالكمال الحقيقي باختصاص اسم الجنس به سقطوا اي في شيء عظيم انفصلوا عن ان يكونوا
مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجراة على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة
ومن القعود بالاذن المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرئ بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفي
تقديم الجار تحريف التنبيه مع تقدير الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انها منجى من الفتنة زعما
منهم ان الفتنة انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة
المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين وقوله عز وجل وان جهنم لمحيطة بالكافرين
وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اي جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب
وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار ومحيطة بهم الان تنزيلا لما سيقع عن قريب منزلة الواقع او
لاسباب بالمسبب بوضعها موضعه فان مبادي احاطة النار بهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الان من جميع الجوانب ومن جملتها
ما وقعوا فيه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادي المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هي النار بعينها ولكن
لا يظهر ذلك في هذه النشاة وانما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشاة الاخرة وللمنافقين والكافرين اما
وايثار وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جمع
الكافرين السائلين والمنافقين شمولا اوليا ان تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك
الحسنة اي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم لك وان تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا
متبجحين بما فعلوا حامدين لارائهم قد اخذنا امرنا اي تداركنا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين

والقعود

والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل اي من قبل اصابة المصيبة
في وقت تدارك [illegible]
المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم او يعرضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فرحون
بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه عليه الصلوة والسلام والجملة حال من الضمير في يقولوا او يتولوا لا في الاخير
فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور واسناد المساءة الى الحسنة
والسرة الى انفسهم [illegible]
عروض المساءة [illegible] قل
من الاختلاد لن يصيبنا ابدا وقرئ هل يصيبنا الا ما كتب الله لنا اي ما اثبته لمصلحتنا الدنيوية والاخروية من النصرة عليكم او الشهادة المؤدية الى
النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولي امورنا وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض الامر الى الله
والرضا بما فعل [illegible]
على الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر [illegible]
[illegible]
[illegible]
فالامر ظاهر [illegible] قل هل تربصون بنا
لغائب [illegible]
في التسابق [illegible]
اي ما تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين اي العاقبتين [illegible]
والشهادة [illegible]
نفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم احدى السوأتين من العواقب اما ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب وقيل ذلك حرف عامل به وجوبا او بعذاب
بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا
انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوءكم
قل انفقوا اموالكم في سبيل الله طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الفاعل اي طائعين او كارهين وهو امر في معنى
الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك الامر
للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل
فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب عن قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ وان يكون
بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اي عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم
وما منعهم ان تقبل منهم وقرئ بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثناء من اعم الاشياء
اي ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شيء من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل وهو الله تعالى
ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى اي لا ياتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا
وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله تعالى طوعا مما اي من غير الزام
جهته عليه الصلوة والسلام لا رغبة اوهم فرض لتوسيع الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك
استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون

فيبدوا كافرين مشتغلين بالتقية عن النظر في العاقبة فيكون ذلك منهم تقية لا نفاقا وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله إنهم لمنكم في الدين والإسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون أن يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية ويؤيدونه بالأيمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استئناف مقرر لمضمون ما سبق من أنهم ليسوا من المسلمين وأن التجاءهم إلى الأيمان إنما هو للتقية اضطرارا أي أنهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ أي مكانا حصينا يلجؤون إليه من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة وإيثار صيغة الاستقبال في الشرط وإن كان المعنى على المضي لإفادة استمرار عدم الوجدان فإن المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في إفادة انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الإحسان لا بسبب انتفاء استمرار الإحسان فإن الشكر يتوقف على وجود الإحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه أو مغارات وغيرانا وكهوفا يخفون فيها أنفسهم وقرئ بضم الميم من أغار الرجل إذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار إذا دخل الغور أي أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم وأهليهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومفار أو مدخلا أي نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومتدخلا من الادخال أي مكانا يدخلون فيه أنفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من التدخل والاندخال لولوا أي لصرفوا وجوههم وأقبلوا وقرئ لوالوا أي لالتجأوا إليه إلى أحد ما ذكر وهم يجمحون أي يسارعون بحيث لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه إشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها أي يعيبك سرا وقرئ يلمّزك ويلامزك مبالغة في الصدقات أي في شأنها وقسمتها فإن أعطوا منها بيان لفساد لمزهم وأنه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا أي إن أعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوها وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ذلك المقدار أي يفاجئون السخط وإذا نابت مناب فاء الجزاء قيل نزلت الآية في أبي الجواظ المنافق حيث قال ألا ترون إلى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمي رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام ويلك إن لم أعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والأول هو الأظهر ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله أي ما أعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم من الصدقات طيبي النفوس به وإن قل وذكر الله عز وجل للتعظيم وللتنبيه على أن ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان بأمره سبحانه وقالوا حسبنا الله أي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل إنا إلى الله راغبون في أن يخولنا فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره أي لكان خيرا لهم إنما الصدقات شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف وتعلقاتها القاطعة لمادة الطمع وحسم لأطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان أنهم بمعزل من الاستحقاق أي جنس الصدقات المشتملة على الأنواع المختلفة للفقراء والمساكين أي مخصوصة بهؤلاء الأصناف الثمانية الآتية لا تتجاوزهم إلى غيرهم كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم فما للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغ لهم أن يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من له أدنى شيء والمسكين من لا شيء له هو المروي عن أبي حنيفة رحمه الله وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه والعاملين عليها الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم أصناف فمنهم أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم أسلموا ونياتهم ضعيفة فيتألف

قلوبهم بإجزال العطاء كعيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب بإعطائهم إسلام نظرائهم ولعل الصنف الأول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذي هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقد سقط سهم هؤلاء بالإجماع لما أن ذلك كان لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله تعالى وأعلى كلمته استغنى عن ذلك وفي الرقاب أي وللصرف في فك الرقاب بأن يعاون المكاتبون بشيء منها على أداء نجومهم وقيل بأن يفدى الأسارى وقيل بأن يبتاع منها الرقاب فتعتق وأيا ما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم أو للإيذان بعدم قرار ملكهم فيما أعطي لهم كما في الوجهين الأولين أو بعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الأخير أو للإشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة لما أن في للظرفية المنبئة عن إحاطتهم بها وكونهم محلا لها ومركزا والغارمين أي الذين تدينوا لأنفسهم في غير معصية إذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي رحمه الله من غرم لإصلاح ذات البين وإطفاء الثائرة بين القبيلتين وإن كانوا أغنياء وفي سبيل الله أي فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل أي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في الأخيرين للإيذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق أو لما ذكر من إيرادهما بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق أن يدفع الزكاة إلى كل واحد منهم وأن يقتصر على صنف منهم لأن اللام لبيان أنهم مصارف لا تخرج عنهم لا لإثبات الاستحقاق وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز إلا أن يصرف إلى ثلاثة من كل صنف من تلك الأصناف فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية أي فرض لهم ونقل عن سيبويه أنه منصوب بفعله مقدرا أي فرض الله ذلك فريضة أو حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء أي إنما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة أي مفروضة والله عليم بأحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة من الأمور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق إلى مستحقيها ومنهم الذين يؤذون النبي نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عليه الصلاة والسلام ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فإنما محمد أذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون هو أذن أي يسمع كل ما قيل من غير أن يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة أمارات الصدق له وبين ما لا يليق به وإنما قالوه لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل أذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يكون المراد أذن في الخير وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ أذن بسكون الذال فيهما وقرئ أذنٌ خيرٌ على الصفة أو خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه أذن خير لهم أي يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الأدلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما أنه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين أي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الإيمان المشهور وبين الإيمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى أنؤمن لك وقوله تعالى فما آمن لموسى إلا ذرية ورحمة عطف على أذن خير أي وهو رحمة بطريق إطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم أي للذين أظهروا الإيمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم فلا يكشف أسرارهم ولا يهتك أستارهم وإسناد الإيمان إليهم بصيغة الفعل بعد نسبته إلى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للإيذان بأن إيمانهم أمر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على أنها علة لفعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله بما نقل عنهم

من قولهم هو اذن ونحو وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه اشعار
بقبول توبتهم كما افصح عنه قوله تعالى فيما سياتي فان يتوبوا يك خيرا لهم كما يحكى وقد من اذيته عليه الصلوة
والسلام كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول عذاب اليم وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج
الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الاسناد واثبات العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول الاخير في
من المبالغة وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه
على ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين خاصة
وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم
ويرضوا عنهم اي يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث اذية النبي صلى الله عليه وسلم وانما تخلفوا
عن الجهاد فليس بذلك في هذا الاعتذار ليرضوكم بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم
ارضاء الرسول عليه الصلوة والسلام وقد قيل عليه الصلوة والسلام ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان
بان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى رضاه عليه الصلوة والسلام وانه عليه الصلوة والسلام انما لم يكذبهم
رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما اشير اليه والله ورسوله احق ان يرضوه اي احق
بالارضاء ولا يتاتى ذلك الا بالطاعة والمتابعة وايفاء حقوقه عليه الصلوة والسلام في باب الاجلال
والاعظام مشهدا ومغيبا واما ما اتوا به من الايمان الفاجرة فانما يرضى بها من انحصر طريق علمه في الاخبار
الى ان يجلي الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون لكم لارضائكم والحال انه تعالى
احق بالارضاء منكم اي يعرضون عما يهمهم ويجب عليهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير في يرضوه
اما للايذان بان رضاه عليه الصلوة والسلام مندرج تحت رضاه تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد والمتعدد بتاويل المذكور كما
في قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك لا يقال اي حاجة الى
الاستعارة بعد التاويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة بعد التاويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة
لم يتيسر التاويل لما ان الضمير لا يتعرض الا لذاته بما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه التي من جملتها
المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة واما لان الضمير عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الاولى
لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض
والراي مختلف اي الله احق ان يرضوه ورسوله كذلك او على ان المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو راي المبرد ان كانوا مؤمنين
جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه اي ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما
احق بالارضاء الم يعلموا اي اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظيمة
مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اي الم تعلموا بما سمعتم من رسول
الله صلى الله عليه وسلم من فنون الانذارات والقوارع انه اي الشأن من يحادد الله ورسوله المحادة من
الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الافعال المذكورة
في حد غير حد صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى فان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في
محل الرفع على انها خبر لان وهي مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا اي قيل المعنى فله وان تكرير لان الاولى
تاكيد لطول العهد لا من باب التاكيد اللفظي المانع للاولى من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال لقد علم الحي
اليمانون انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها وقد جوز ان يكون ان له معطوفا على انه ويكون جواب الشرط
محذوفا تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم ويضاف ذلك انما يجوز عنده كون
فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حالة مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر في الظرف

هم

ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستقرار فالامر ظاهر ذلك اشارة الى ما ذكر من
العذاب الخالد وما فيه من معنى البعد لبيان بعد درجته في الهول والفظاعة الخزي العظيم الخزي الذل والهوان
المقارن للفضيحة والندامة وهي انما تنفهم من حيث تفتضحون على رؤوس الاشهاد بظهورها
ولحوق العذاب الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون ان تنزل عليهم في شانهم فان
ما نزل في حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا
يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفرة والنفاق ومعنى تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع انهم عالمون به
وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من
اسرارهم فينتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال مذاعة فكانها تخبرهم بها او المراد بالتنبئة
المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم كانها تعلم من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى
عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وتعليل الضمائر الاولى للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالي
بالتفكيك عند ظهور الامر بعود المعنى اليه اي يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في
قلوبهم اي قلوب المنافقين وتهتك عليهم استارهم قال ابو مسلم كان اظهارهم الحذر منهم بطريق
الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي
يكذبونه ويستهزئون به ولذلك قيل قل استهزءوا اي افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد
ان الله مخرج اي من القوة الى الفعل او من الكمون الى البروز ما تحذرون اي الذي تحذرونه
من انزال السورة ومن مخازيكم ومساويكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على ملا الناس والتاكيد
لرد انكارهم بذلك لا لدفع ترددهم في وقوع المحذور اذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة ولئن سألتهم
عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي انه عليه الصلوة والسلام كان يسير في غزوة
تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول عليه الصلوة والسلام ويقولون
انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات فاطلع الله تعالى
نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في
شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل
غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم
على اخطائهم موقع الاستهزاء ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون حيث عقب
حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا
تشتغلوا بالاعتذار ومعاذيركم عن بحي الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم اي اظهرتم
الكفر بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف
عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف على
اسناد الفعل الى الله سبحانه وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف بتذكير الفعل وبتانيثه
ايضا ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة نعذب بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء
للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين
على الاجرام وهم غير التائبين او المباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحاق الذي
عفي عنه رجل واحد هو يحيى بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الاية تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال
اسمع آية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد
انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون

والمنافقات التعرض لأحوال الإناث للإيذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق بعضهم من بعض
أي متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء الواحد بالشخص وقيل ... ينفي أن
يكونوا من المؤمنين فتكذيبهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله
تعالى يأمرون بالمنكر أي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف أي عن الإيمان والطاعة
استئناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين أو خبر ثان ويقبضون
أيديهم أي عن المبرات والإنفاق في سبيل الله فإن قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله أغفلوا ذكره
فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة إن المنافقين هم
الفاسقون الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير
والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها أي المجاهرين مقدرين الخلود فيها هي حسبهم
عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها ولعنهم الله أي أبعدهم من رحمته وأهانهم
وفي إظهار الاسم الجليل من الإيذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم أي نوع من العذاب
غير عذاب النار دائم لا ينقطع أبدا أو لهم عذاب مقيم معهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه
من تعب النفاق الذي هم منه في بلية ... من خوف الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع
على أسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة إلى الخطاب لتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية
أي أنتم مثل الذين من قبلكم من الأمم المهلكة أو في محل النصب بفعل مقدر أي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم
كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا تفسير وبيان لتشبههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم
فاستمتعوا فتمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما ليس في التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع
بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي استمتاعا كاستمتاع
الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم
بها عن النظر في العواقب الحقيقية تمهيد لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفائهم أثرهم وخضتم
أي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا أي كالذين بإسقاط النون أو كالفوج أو كالخوض الذي خاضوه
أولئك إشارة إلى المتصفين بالأوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا إلى الفريق الأخير فقط
فإن ذلك يقتضي أن يكون حبوط أعمال المشبهين ... ضمنا لا صريحا ويؤدي إلى خلو تلوين
الخطاب عن الفائدة إذ الظاهر حينئذ أولئك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح للخطاب
أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الأفعال الذميمة حبطت أعمالهم ليس المراد بها حبطت أعمالهم التي كانوا يستحقون
بها الأجر لو قارنت الإيمان أي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها أثر في الدنيا والآخرة
بطريق المثوبة والكرامة أما في الآخرة فظاهر وأما في الدنيا فما يترتب على أعمالهم فيها من الصحة والسعة ونحو ذلك
حسبما ينبئ عنه قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون
ليس ترتيبها عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج وأولئك أي الموصوفون بحبوط الأعمال
في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه وأسبابه ... فإن من ذهبت
أموالهم التي هي أعمالهم ... ذهبت فيما لا ينفعهم ولا يضرهم لكفى به خسرانا ولم يأت
اسم الإشارة في الموضعين للإشعار بعلية الأوصاف المشار إليها للحبوط والخسران ألم يأتهم أي المنافقين
نبأ الذين من قبلهم أي خبرهم الذي له شأن وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير

قوم نوح

قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط
ائتفكت بهم أي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين
وائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر أتتهم رسلهم بالبينات استئناف لبيان نبئهم
فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام أي فكذبوهم
فأهلكهم الله فما ظلمهم بذلك وإيثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم أي
ما صح وما استقام له أن يظلمهم ولكن ظلموا أنفسهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم
المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد إلى قصر المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم
موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم من غير قصر الظلم على الفاعل والمفعول
وسيجيء لهذا مزيد بيان في قوله تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات إثر بيان قبح حال أضدادهم
عاجلا وآجلا والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم إلى بعض بالولاية وعن نسبة أولئك بمن الاتصالية
للإيذان بأن نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة
والنصرة وغير ذلك ونسبة أولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
أي جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر ويقيمون الصلاة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة
ما سبق من قوله تعالى نسوا الله ويؤتون الزكاة في مقابلة قوله تعالى ويقبضون أيديهم ويطيعون الله ورسوله
أي في كل أمر ونهي وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة أولئك إشارة إلى المؤمنين
والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد درجتهم
في الفضل أي أولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم الله أي يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة
البتة فإن السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سأنتقم منك إن الله عزيز تعليل للوعد أي قادر على إعزاز
أوليائه وقهر أعدائه حكيم يبني أحكامه على أساس الحكمة الداعية إلى إيصال الحقوق من الرحمة والنقمة
إلى مستحقيها من أهل الطاعة وأهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما أن ما سبق
في شأن المنافقين من قوله نسيهم وعيد لهم متضمن لوعد المؤمنين فإن منع لطفه تعالى عنهم لطف في حق المؤمنين
وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لآثار رحمته الأخروية إثر ذكر رحمته الدنيوية والإظهار في موضع
الإضمار لزيادة التقرير والإشعار بعلية وصف الإيمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الأمر
بالمعروف وغيره للإيذان بأنه من لوازمه ومستتبعاته أي وعدهم وعدا شاملا لكل أحد منهم على اختلاف
طبقاتهم في مراتب الفضل كيفا وكما جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها فالكل أحد منهم على اختلاف
طبقاتهم فائز بها لا محالة ومساكن طيبة أي وعد بعض الخواص الكل منهم مما تستطيبه النفوس أو يطيب فيه
العيش في الخبر أنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر في جنات عدن أي أماكن الجنات وأسناها عن النبي صلى
الله عليه وسلم جنات عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج
والمروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد وعن ابن مسعود رضي الله
عنه هي بطنان الجنة وسرتها فعدن علم لها ... وقيل هو بمعناه اللغوي أعني الإقامة والخلود فمرجع العطف إلى تعدد
الوصف وتغايره فكأنه وصفه أولا بأنه من جنس ما هو أبهى الأماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الأنهار الجارية
لينبعث إليه أعماقهم ... ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تكاد تخلو عنها

اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفها بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم
فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اي شيء يسير من رضوانه تعالى
اكبر اذ عليه يدور كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع
عزته في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين روي انه تعالى يقول لاهل الجنة هل
رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا
واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا
بعيد درجته في العظم فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شيء
من نعيم الاخرة بمثابة جناح البعوضة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة
ما سقى الكافر منها شربة ماء ونعم ما قال من قال تالله لو كانت الدنيا بحذافيرها تبقى علينا ثم من رزقها رغدا
ما كان من حق حر ان يذل لها فكيف وهي متاع يضمحل غدا يا ايها النبي جاهد الكفار اي المجاهرين منهم
بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا ياخذك بهم رافة قال عطاء
نسخت هذه الاية كل شيء من العفو والصفح وماواهم جهنم جملة مستانفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله
وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر
عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الجهاد والغلظة عليهم ومن جهنم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عليه الصلوة
والسلام فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا
فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر الجلاس فحلف بالله ما قال فرفع عامر يديه فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق
الصادق وتكذيب الكاذب فنزلت وايثار صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف
وصيغة الجمع في قالوا مع ان القائل هو الجلاس وحده لانهم رضوا بقوله فصاروا بمنزلة القائل ولقد قالوا كلمة
الكفر هي ما حكي آنفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم اي واظهروا ما في قلوبهم من الكفر
بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه توافق خمسة عشر
منهم على ان يدفعوه عليه الصلوة والسلام عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته
يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح
فالتفت فاذا هو بقوم متلثمين فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس
وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي بن سلول وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا اي ما انكروا
وما عابوا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى فانهم كانوا حين
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا
بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء
مفرغ من اعم الافاعيل او من اعم العلل اي وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم او وما انكروا ما انكروا
لعلة من العلل الا لاغناء الله اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق يك خيرا لهم في الدارين قيل لما تلاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلت وصدق عامر فتاب
الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اي استمروا على ما كانوا عليه من التولي والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة
بعد هذا العرض يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات وما

لهم في

لهم في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما يبتغون بقوله عز وجل من ولي
ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة ومنهم بيان لقبائح بعض آخر منهم من عاهد
الله لئن آتانا من فضله لنصدقن لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات ولنكونن من الصالحين قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلوة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي
شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه
فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ
الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي وذلك قوله
عز وجل فلما آتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا حق الله سبحانه وتولوا اي اعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا
قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه الصلوة
والسلام ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال عليه الصلوة والسلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني
فقبض عليه الصلوة والسلام فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم
يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي سهل بن الحرث وجد بن قيس ومعتب بن قشير والاول هو
الاشهر وهم معرضون جملة معترضة اي وهم قوم عادتهم الاعراض او حالية اي تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم
فاعقبهم اي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا راسخا في قلوبهم الى يوم يلقونه اي الى يوم موتهم الذي يلقون
الله تعالى عنده او يلقون جزاء عملهم وهو يوم القيمة وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم ولا يلائمه قوله
عز وجل بما اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون
اي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب به يؤدي الى تخلية الجمع
بين صيغتي الماضي والمستقبل عن المزية فان نسبة الاعقاب الى المذكور بالاخلاف والكذب يفضي بالاسناد
الى الله تعالى ذلك لا بمعنى كونهما سببين للاعقاب بالبخل والنفاق والتحقيق انه لما كانت الفاء الدالة ده
على الترتيب والتفريع منبئة عن ترتب اعقاب النفاق الخالي على افعالهم المحكية عنهم من المعاهدة
بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والاعراض وفيها ما لا دخل له في الريب المذكور كالمعاهدة
اتضح ما في ذلك من الابهام وتعين ما هو المدار في ذلك والله تعالى اعلم وقرئ بتشديد الذال
الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء الفوقانية خطابا للمؤمنين فالهمزة
على الاول للانكار والتوبيخ وعلى الثاني للتقرير ان الله يعلم سرهم ونجواهم اي ما اسروا به في
انفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير
فيه وسر تقديم السر على النجوى سيظهر في قوله سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهادة
وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الاشياء حتى اجترؤا على ما اجترؤا عليه من
العظائم واظهار اسم الجلالة في الموقعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفي ايراد
العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة
ما لا يخفى وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم
بما علم من اعمالهم الذين يلمزون نصب او رفع على الذم او جر على البدلية من الضمير في سرهم
ونجواهم وقرئ بضم الميم وهي لغة اي يعيبون المطوعين اي المتطوعين المتبرعين من المؤمنين

حال من المطوعين وقوله تعالى **في الصدقات** متعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن بن عوف وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت **والذين لا يجدون الا جهدهم** عطف على المطوعين اي ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة **فيسخرون منهم** عطف على يلمزون اي يهزؤون بهم والمراد بهم الفريق الاخير **سخر الله منهم** اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة **ولهم عذاب اليم** اي ثابت لهم عذاب اليم التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار **استغفر لهم او لا تستغفر لهم** اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه عليه الصلاة والسلام امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويترك اخرى ليظهر له جلية الامر كما في قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم **ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي ان عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه الصلاة والسلام فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان اول عدد تام لتمام اول اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلاثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الاحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات **ذلك** اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل **بانهم** اي بسبب انهم **كفروا بالله ورسوله** كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز وجل **والله لا يهدي القوم الفاسقين** فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره لهم وهو عدم ياسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال والممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما سيتلى من قوله عز وجل ما كان للنبي الاية **فرح المخلفون** اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود عند استئذانهم او خلفهم الله تعالى بتثبيطهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم ونفاقهم **بمقعدهم** متعلق بفرح اي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو **خلاف رسول الله** اي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام فلان خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا ولم

يظعن وتؤيده قراءة من قرا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بضم الخاء فانتصابه على الظرف متعلق بمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اي فرحوا لاجل مخالفته عليه الصلاة والسلام بالقعود واما مقعدهم اي فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته عليه الصلاة والسلام او على انه حال والعامل احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له عليه الصلاة والسلام **وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله** لايثار الدعة والخفض على طاعة الله تعالى مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الاخر رتبة الكراهية وانما اوثر ما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بافبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقالوا** اي لاخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خلال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك **لا تنفروا في الحر** فانه لا يستطاع شدته **قل** ردا عليهم وتجهيلا لهم **نار جهنم** التي ستدخلونها بما فعلتم **اشد حرا** مما تحذرونه من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضونها انفسكم لها بايثار القعود على النفير **لو كانوا يفقهون** اعتراض تذييلي من جهته تعالى غير داخل تحت القول المامور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي لما فعلوا ما فعلوا او لتاثروا بهذا الالزام واما غير منوي على ان لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون **فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا** اخبار عن عاقبة امرهم وتحقيق من الضحك القليل والبكاء الكثير المؤدي اليه اعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا يتصور السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الامر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المامور به خلا ان المقصود افادته في الاول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام **جزاء بما كانوا يكسبون** من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني اي يبكون جزاء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة **فان رجعك الله** الفاء لتفريع الامر الاتي على ما بين من امرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله تعالى **الى طائفة منهم** اي الى المنافقين من المتخلفين في المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقي من المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد او بان لم يستاذن البعض عن قتادة انهم اثنا عشر رجلا قيل فيهم ما قيل **فاستاذنوك للخروج** معك الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه **فقل** اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم عن محفل صحبتك **لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا** من الاعداء وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك **انكم** تعليل لما سلف اي لانكم **رضيتم بالقعود** اي عن الغزو وفرحتم بذلك **اول مرة** هي غزوة تبوك **فاقعدوا** الفاء لتفريع الامر بالقعود

على ما صدر عنهم من الرضا بالقعود اي ورضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين
اي المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما وقرئ الخلفين على القصر فكان محو اساميهم عن دفتر
المجاهدين ولزهم في قرن الخالفين عقوبة لهم اي عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الذي
الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هي كبرى امرأة او اولى امرأة ولا تصل على احد منهم مات
صفة لاحد وانما جيء بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهي اي لا تدع ولا
تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه للدفن او للزيارة والدعاء روي انه صلى الله عليه وسلم
كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابي بن سلول بعث الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه قال عليه الصلاة والسلام اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله
بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعا ابنه
وكان مؤمنا صالحا فاجابه صلى الله عليه وسلم وصلى عليه ثم مشى معه وقام على قبره حتى دفن فوالله
ما لبث الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل الى آخره فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على
قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عليه الصلاة والسلام لان الضنة بالقميص كانت مظنة الاخلال
بالكرم على انه كان مكافأة لقميصه الذي كان البسه العباس رضي الله عنه حين اسر ببدر والخبر مشهور
انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه
وذلك مستحيل لانهم استمروا على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اي متمردون
في الكفر خارجون عن حدوده كما ينبئ عنه معنى الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير
لمضمونه بالاخبار بوقوعه ويجوز ان يكون هذا في فريق غير الفريق الاول وتقديم الاموال في امثال هذه
المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها
مما لا بد منه لكل احد من الآباء والامهات والاولاد في كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو والاولاد
في ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء
النوع واما لانها اقدم في الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سيأتي في سورة
الكهف انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا بما منيوا به من الاموال والاولاد بسبب معاناتهم المشاق
ومكابدتهم الشدائد في شأنها وتزهق انفسهم وهم كافرون اي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها
عن النظر والتدبر في العواقب واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله ان مفسرة
لما في الانزال من معنى القول والوحي او مصدرية حذف عنها الجار اي بان آمنوا وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه
واعلاء كلمته استأذنك اولوا الطول منهم اي ذوو الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا وما لا
وقالوا عطف تفسيري لاستأذنك مغن عن ذكر ما استأذنوا فيه يعني القعود ذرنا نكن مع القاعدين
اي الذين قعدوا عن الغزو وما بهم من عذر رضوا استئناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم لكلا الامرين
وان لم يردوا الاول صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتي من شأنهن القعود ولزوم البيوت جمع
خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه وطبع على قلوبهم بسبب ذلك فهم لا يفقهون ما في الايمان
بالله وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد من السعادة وما في
اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه بالله وما جاء من عنده تعالى وفيه ايذان
بانهم ليسوا من الايمان بالله في شيء وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد باستئذانهم في القعود
جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهد اليه ونهض له من هو خير منهم واخلص نية
ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكل ما يمكن كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين

واولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم بواسطة نعوتهم المزبورة الخيرات اي منافع الدارين النصر
والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهي جمع
خيرة تخفيف خيّرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون بالمطالب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما
قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه بشأنهم وربأ بمكانهم اعد الله لهم استئناف لبيان كونهم مفلحين
اي هيأ لهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل
اعد ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز العظيم
الذي لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان
منافقي اهل المدينة والمعذرون من عذّر في الامر اذا قصّر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما
يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل
وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا
عيالا وان بنا لجهدا فأذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب
طي على اهالينا ومواشينا فقال عليه الصلاة والسلام سيغنيني الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار
اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال
من تعذّر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين
وازكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون بالصحة وبعضهم المعذرون والمعتذرون اي الذين لم يفرطوا في
العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر انهم كذبوا
الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اي من الاعراب او من المعتذرين فان منهم
من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر في الدنيا والنار في الآخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى
كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اي اثم
في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء
والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل استئناف مقرر
لمضمون ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتأكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على
انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين او لتعليل نفي الحرج عنهم اي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من
جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشير الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر
ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سيأتي انما السبيل الآية وقيل
عطف على الضعفاء وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن
عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد نذرنا الخروج
فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه الصلاة والسلام لا اجد فتولوا وهم يبكون
وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه
حال من الكاف في اتوك باضمار قد وما عبارة عما سألوه عليه الصلاة والسلام وهو مما يحمل عليه عادة وفي ايثار لا اجد
على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كأنه عليه الصلاة والسلام يطلب ما يسألونه
على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض من الدمع اي تسيل بشدة دمعا فان من للبيانية مع
مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يفيد ان العين بعينها صارت دمعا فياضا
والجملة حالية وقوله عز وجل حزنا نصب على العلية والحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله اي
الحزن فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او على انه مفعول له او يحزنون حزنا فتكون هذه الجملة حالا من الضمير

فيفيض ألا يجدوا على حذف اللام متعلقة بتفيض حزنا أو تفيض أي لئلا يجدوا ما ينفقون في بيت لو ما يتقلبون إليه
إذ لم يجدوه عندك إنما السبيل للمعاتبة على الذين يستأذنونك في التخلف وهم أغنياء واجدون
لأهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استئناف لتعليل ما سبق كأنه قيل ما لهم استأذنوا وهم أغنياء
فقيل رضوا بأن يكونوا مع الخوالف الذين شأنهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم أي
خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون أبدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه
آجلا كما لم يعلموا بخساسة شأنه عاجلا يعتذرون إليكم استئناف لبيان ما يتصدون له عند القفول
إليهم روي أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه الصلاة والسلام جاؤوا يعتذرون
إليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإنهم كانوا يعتذرون إليهم أيضا
لا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط أي يعتذرون إليكم في التخلف إذا رجعتم من الغزو منتهين إليهم
وإنما لم يقل إلى المدينة إيذانا بأن مدار الاعتذار هو الرجوع إليهم قل تخصيص هذا الخطاب به
صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه فيما سبق لأصحابه أيضا لما أن الجواب وظيفته عليه الصلاة
والسلام وأما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين شمول الرجوع إليهم لا تعتذروا أي لا تفعلوا الاعتذار
كقوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون أو لا تعتذروا عندكم من المعاذير وأما التعرض لعنوان كذبها فكما عند
قوله تعالى لن نؤمن لكم أي لن نصدقكم في ذلك أبدا وهو استئناف لتعليل النهي مبني على سؤاله من قبلهم
متفرع على ادعاء الصدق في الاعتذار كأنهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لأنا لا نصدقكم بما تقولون عينا
ما لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبأنا الله من أخباركم تعليل لانتفاء التصديق
أي أعلمنا بالوحي بعض أخباركم المنافية للتصديق مما أشرتم من الشر والفساد وأضمرتم في ضمائركم وهي الفن
للجمع في معرض الاعتذار من الأكاذيب وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم أطماعهم من التصديق
رأسا ببيان عدم رواج اعتذارهم عند أحد من المؤمنين أصلا فإن تصديق البعض لهم ربما يطمعهم
في تصديق الرسول أيضا صلى الله عليه وسلم بواسطة المصدقين فالعدات بافتضاحهم بين المؤمنين كافة
وسيرى الله عملكم فيما سيأتي أتتوبون عما أنتم عليه من النفاق أم تثبتون عليه وكأنه استتابة وإمهال
للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف على فاعلها من قوله تعالى ورسوله للإيذان باختلاف حال الرؤيتين
وتفاوتهما للإشعار بأن مدار الوعيد هو علمه عز وجل بأعمالهم ثم تردون يوم القيامة إلى عالم
الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم من الأعمال ووضع الظاهر موضع المضمر لتشديد الوعيد
فإن علمه سبحانه وتعالى بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة وإحاطته بأحوالهم البارزة والكامنة
مما يوجب الحذر العظيم فينبئكم عند ردكم إليه ووقوفكم بين يديه بما كنتم تعملون أي
بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الأعمال السيئة السابقة واللاحقة على أنها موصولة
والعائد إليها محذوف أو بعملكم المستمر على أنها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به
وإيثارها عليها لمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبأنا الله إلخ فإن المنبأ به الأخبار المتعلقة
بأعمالهم وللإيذان بأنهم كانوا غافلين في الدنيا بحقيقة أعمالهم وإنما يعلمونها يومئذ سيحلفون
بالله لكم تأكيدا لمعاذيرهم الكاذبة وتقريرا لها والسين للتأكيد والمحلوف عليه محذوف يدل
عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الأكاذيب والجملة بدل من يعتذرون أو بيان له إذا انقلبتم
أي انصرفتم من الغزو إليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول
والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الإيذان بأنه ليس لدفع ما خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم
به من قوله تعالى لا تعتذروا إلخ بل هو أمر مبتدأ لتعرضوا عنهم وتصفحوا عنهم صفح رضى فلا توبخوهم

ولا تعاتبوهم

ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لترضوا عنهم فأعرضوا عنهم لكن لا إعراض رضى كما
هو طلبتهم بل إعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله عز وجل إنهم رجس فإنه صريح في
أن المراد بالإعراض عنهم إنما هو الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني وإنما ترك استصلاحهم
باللوم والعتاب بواسطة التعليل مستقبل أي وكلفتهم إنابتهم بالتوبيخ فلا تتكلفوا أنتم في ذلك ومأواهم جهنم
نصب على المصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا أي يجزون جزاء أو لمضمون الجملة السابقة
فإنها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كأنه قيل يجزون جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من
فنون السيئات أو على أنه مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره
أي يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فإن ترضوا
عنهم حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أي فإن رضاكم
عنهم لا يجديهم نفعا لأن الله ساخط عليهم ولا أثر لرضاكم عنهم عند سخطه سبحانه ووضع
الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللإيذان
بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة
على أبلغ وجه وآكده فإن الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل إنما قيل
ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضى المؤمنين يقتضي رضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير
وأصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا
تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن أبي يحلف أن لا يتخلف عنه أبدا الأعراب هو صيغة جمع
وليست بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع أخص من الواحد فإن العرب هو هذا الجيل الخاص
سواء سكن البوادي أم القرى وأما الأعراب فلا يطلق إلا على من يسكن البوادي فلهذا نسب إلى الأعراب
على لفظه فقيل أعرابي قال أهل اللغة رجل عربي كما يقال مجوسي ويهودي ثم يحذف ياء النسب في
الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل أعرابي ويجمع على الأعاريب أي أصحاب البدو أشد
كفرا ونفاقا من أهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة
العلماء ومعرفة كتابهم وسنتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض أفراده كما في قوله تعالى وكان الإنسان
كفورا إذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا وأجدر أن لا يعلموا أي أحق وأخلق بأن لا يعلموا
حدود ما أنزل الله على رسوله لبعدهم عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة
معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة والله عليم بأحوال كل من أهل
الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب ومن الأعراب شروع في بيان
تشعب جنس الأعراب إلى الفريقين وعدم انحصارهم في الفريق المذكور كما يتراءى من ظاهر النظم الكريم
وشرح لبعض مثالب هؤلاء المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما ومحل الأعراب على الفريق
المذكور خاصة توانسا عن أن يكون من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين بصدد الإنفاق من أهل النفاق وهي
فقراؤهم وأعراب أسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سيأتي من قوله تعالى ومن الأعراب من
يؤمن إلخ فإن أولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وإنما هم من الجنس ومن جنس الأعراب الذي نعت بنعت بعض
أفراده من يتخذ ما ينفق من المال أي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة مغرما أي غرامة
وخسرانا لازما إذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنما وإنما ينفقه رياء وتقية
فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ إنما هو باعتبار غرض
المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة أعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر أصل

الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اي ينتظر بكم دوائر الزمان ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله عز وجل ما كان ابوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فاضافتها اليه اضافة تبيين وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والله سميع لما يقولون عند الانفاق مما لا خير فيه عليم بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى ومن الاعراب اي من جنسهم على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ اي يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والاختيار ما ينفق اي ينفقه في سبيل الله قربات اي ذرائع اليها لما بينهما من كمال الاختصاص من حمل كأنه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات وافرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول اي وسائل اليها فانه عليه الصلوة والسلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما فعل صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم صل على آل ابي اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الايمان بالله واليوم الآخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام الفرق بين الفريقين في شأن اتخاذ ما ينفقانه مغرما او قربة لا اوان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتأنيث باعتبار الخبر مع تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول من ذرائعها وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعيد للاولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة وقوله تعالى ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستئناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اي متلبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدأ اي رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب واعد لهم في الآخرة جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها كما في سائر المواضع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه

وما في

وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم وممن حولكم ممن حول بلدتكم منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى مردوا على النفاق اما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدأ المذكور فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه وهو مبتدأ خبره من اهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه من مرد فلان على عمله ومرن عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه غير انه لا يكاد يستعمل الا في الشر فالتمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي الاعراب المجاورين للمدينة لتذكير منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شأنه لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى حيث يخفى عليك مع ما انت عليه من علو الرتبة وسمو الطبيعة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك فانها الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لم يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه عليه الصلوة والسلام باعيانهم على عدم علمه عليه الصلوة والسلام بعد نحو هذا البيان بعيد على انه عليه الصلوة والسلام يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم ليس كذلك بل ذلك الظاهر على ما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا يخفى عليه شيء لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر من تعليق نفيه بهم وقوله عز شأنه سنعذبهم مرتين وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتأكيد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا ففضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني اما القتل واما عذاب القبر او الاول هو القتل والثاني عذاب القبر او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما بحتا والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعة الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى ثم يردون يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة حسبما اسند ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي ومنهم يعني وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يحلفوا لما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعل من اعتذر لذلك مما فيه من المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الكاذبة حسبما بينه ما سلف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة فرآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم

فقال صلى الله عليه وسلم وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا وهو ما سبق
منهم من الاعمال الصالحات والخروج الى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن
هذه المرة وندمهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لانه سبب الخلط لاسيما على وجه يؤذن بتفاوت د
الخلط بان يكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به حيث يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى وآخر سيئا فان
قولك خلطت الماء باللبن يقتضي ادخال الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط
منهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به وفي تلك الدلالة الدلالة على
جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بان يكون كل من العملين على الآخر مرة بعد اخرى ولو
بالعمل السيئ ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا وآخرا وعن الكلبي التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى الباء
كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم
بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من
وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب اي ايجاب خذ من اموالهم صدقة روي انهم
لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه الصلاة والسلام
ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها ولما روي انه عليه الصلاة
والسلام اخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين وفي ذلك بيان ان المرء في صدقة من الاعمال واغلاها كفارة لذنوبهم حسبما
ينبئ عنه قوله عز وجل تطهرهم من اوضار الاوزار والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب الامر
وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة والعائد على
الاول محذوف لفهمه مما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها باثبات الياء وهو خبر
لمبتدأ محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم
الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء
جعل التاء للخطاب او للصدقة تجعل الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة للصدقة
على الوجهين والثانية عطف على الاولى حالا او صفة من غير حاجة الى تقدير المبتدأ من غير حاجة الى توجيه
دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلاتك
وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون
بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلاة عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف
بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء اي
سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما تقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول
تذييل لما سبق من الآيتين محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق
من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها اياهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ
صدقاتهم هو الله سبحانه وان اسناد الاخذ والتطهير والتزكية اليه تعالى اي الم يعلم اولئك التائبون ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن
وقال لهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر في موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة للقبول واما كافة العباد
فهم داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اي يأخذ صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف
اليه او جنس الصدقات المندرجة تحته صدقاتهم اندراجا اوليا او هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات
وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت المباشر لها ظاهرا وفيه تقرير لما ذكر ودفع شأن النبي صلى الله
عليه وسلم على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم تأكيد

لما عطف

لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا ان المختص المستأثر ببلوغ
الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشأن دائم والجملة في حيز النصب
بيعلموا بسد كل واحدة منهما مسد مفعوليه واما الغير التائبين من المؤمنين فقد روي انهم قالوا
لما تيب على الاولين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اي الم
يعلموا ما للتائبين من الخصال الداعية الى التكرمة والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين والتلقي
بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى وقل اعملوا زيادة ترغيب
لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة والاولين في الثبات على ما هم عليه اي قل لهم بعد ما بان لهم
شأن التوبة اعملوا ما تشاؤون من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله
عز وجل فسيرى الله عملكم اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتأكيد للترغيب والترهيب
والسين للتأكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل وتأخيره عن المفعول للاشعار بما بين
الرؤيتين من التفاوت والمؤمنون في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى
الناس كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية
معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها ما لها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار
المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها وستردون اي بعد
الموت الى عالم الغيب والشهادة وضع الظاهر موضع المضمر لتهويل الامر وتربية المهابة بما لا
يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل ان الموجودات
الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلومات فوجب سبق
العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما
يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر
والعلن واحدة على ابلغ وجه واكده لا لايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه تعالى
بمعلوماته متعال عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى
وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة وان ما المبدأ برتبة السر فقدمه على رتبة العلن
اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب فتعلق علمه تعالى به في
حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية فينبئكم عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر
الممتد الى يوم القيامة بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء بحسبه ان خيرا
فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد وآخرون عطف على آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة
ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجؤون من ارجيته وارجأته
اي اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شأنهم قال ابن عباس رضي الله عنه
هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه
من شد انفسهم على السواري واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونهى اصحابه ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فلما علموا وهموا التائبون في شأنهم على الخلف فقائل
هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى اما يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه
من الحال وقيل ان اصروا على النفاق وليس بذاك فان المذكورين ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم ان
خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم
وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره والله عليم باحوالهم حكيم فيما فعل بهم من الارجاء

وما بعده وقرئ والله غفور رحيم ﴿والذين اتخذوا مسجدا﴾ عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او
نصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها ﴿ضرارا﴾ اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه
مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون بذلك
ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين للمؤمنين ﴿روي﴾ ان بني عمرو
بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما فعل عليه
الصلوة والسلام حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد
كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى
يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم
من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا
وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن
نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا
ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قدم من غزوة تبوك سألوه عليه الصلوة والسلام اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا
بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام
بقنسرين ﴿وكفرا﴾ تقوية للكفر الذي يضمرونه ﴿وتفريقا بين المؤمنين﴾ الذين كانوا يصلون في مسجد قبا
مجتمعين فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا وتختلف كلمتهم ﴿وارصادا﴾ اعدادا اي انتظارا وترقبا
﴿لمن حارب الله ورسوله﴾ وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ﴿من قبل﴾ متعلق باتخذوا اي اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه
قبل غزوة تبوك او بحارب اي حاربهما من قبل اتخاذ هذا المسجد ﴿وليحلفن ان اردنا﴾ اي ما اردنا
ببناء هذا المسجد ﴿الا الحسنى﴾ الا الخصلة الحسنى ﴿والله يشهد انهم لكاذبون﴾ في حلفهم ذلك ﴿لا تقم﴾
للصلوة ﴿فيه﴾ في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه ﴿ابدا لمسجد اسس﴾ اي بني اصله ﴿على التقوى﴾ يعني
مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه سألت النبي
صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصبا فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد
المدينة واللام اما للابتداء او القسم المحذوف اي والله لمسجد وعلى التقديرين فمسجد مبتدا وما بعده صفته وقوله
تعالى ﴿من اول يوم﴾ اي من ايام تاسيسه متعلق باسس وقوله تعالى ﴿احق ان تقوم فيه﴾ اي للصلوة وذكر الله
تعالى خبره وقوله تعالى ﴿فيه رجال﴾ جملة مستانفة مبينة لاحقية القيام به صلى الله عليه وسلم فيه من
جهة الحال بعد بيان احقيته من حيث المحل او صفة اخرى للمبتدا او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق
وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق ليس كونه متحققا بهذا الاستحقاق في مسجد الضرار ادناسا
فانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه او الافضلية في الاستحقاق للتناول لما يكون باعتبار
زعم الباني ومن يشايعه في الاعتقاد وهو الانسب بما سياتي ﴿يحبون ان يتطهروا﴾ من المعاصي والخصال المذمومة
لمرضاة الله سبحانه وتعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها ﴿والله يحب المطهرين﴾ اي يرضى عنهم ويدنيهم
من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف
على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله تعالى عنه
يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلوة والسلام اترضون بالقضاء قالوا نعم فقال عليه الصلوة والسلام

اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلوة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس
ثم قام فقال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط
الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان
يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رضي الله تعالى
عنه هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم ﴿افمن اسس بنيانه﴾
على بناء الفعل للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول وقرئ اسس بنيانه على الاضافة جمع اساس
واساس بالفتح والكسر جمع اس وقرئ اساس بنيانه جمع اس ايضا وآس بنيانه وهي جملة مستانفة مبينة
لخيرية الرجال المذكورين من اهل المسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر اي ابعد ما علم حالهم من
اسس بنيان دينه ﴿على تقوى من الله ورضوان﴾ اي على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وابتغاء مرضاته
بالطاعة والمراد بالتقوى درجاتها الثابتة التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وقرئ تقوى على التنوين
على ان الالف للالحاق دون التانيث ﴿خير ام من اسس بنيانه﴾ ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا
واختلافهما وصفا واضافة ﴿على شفا جرف هار﴾ الشفا الحرف والشفير والجرف ما جرفه السيل اي استأصله
واحتفر ما تحته فبقي واهيا يريد الانهدام والهار الهائر المتصدع المشرف على السقوط من هار يهور ويهار
او هار يهير قدمت لامه على عينه فصار كغاز وقاض وقيل حذف منه عينه اعتباطا اي لغير موجب فتجري
وجوه الاعراب على لامه ﴿فانهار به في نار جهنم﴾ مثل لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس
بما ذكر ثم رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه من النار
ويوصله الى الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة وتاسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة
ثم ان مصيرهم اليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ اي لانفسهم او للواضعين
للاشياء في غير مواضعها اي لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا له لا محالة واما الدلالة
على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا فهو متحقق بلا اشتباه ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا﴾ البنيان
مصدر اريد به المفعول ووصفه بالمفرد الذي هو صلة الموصول للايذان بكيفية بنائهم له وتاسيسه على اوهى
قاعدة واوهن اساس والاستشهاد بعد الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ﴿ريبة في
قلوبهم﴾ يلقي بعضهم الى بعض ما سمعنا من ... مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه
فانه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت
قلوبهم وتزلزل اعتقادهم خفاء امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا امرهم بعد البناء الذي ما كانوا اظهروه
قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف
فتقوى وصاروا مرتابين في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل او يامر
بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي يعني بها حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال
بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم ﴿الا ان تقطع﴾ من التفعيل بحذف احدى التائين اي الا ان تتقطع قلوبهم
قطعا بحيث لا يبقى فيها قابلية الادراك والاضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات او اعم الاحوال ومحله
النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فحينئذ
يسلون عنها واما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تقرير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز
ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او في القبور او في النار وقرئ تقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى
البناء للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وعلى البناء للمجهول
من الثلاثي مذكرا ومؤنثا وقرئ الى ان تقطع قلوبهم وان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم الى

الفضل بجهولا الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر من احوالهم حكيم في جميع افعاله التي من جملتها امره الوارد في حقهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة في تقرير وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لثقتهم بوعده تعالى وان مقام الاستعارة يوفي على ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانفصال الجنة العوض عنه بحلول الوعد بها فليس بشيء لان مناط دلالة النظم الكريم على الوعد ليس كون صلة طرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استئناف لبيان البيع ما لاجله الشرى ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في سبيل الله تعالى ليس باشتراء الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل بذل لها في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله تعالى وتعريض لها للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل في سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم توجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد فتقديم حالة المقاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل فيقتلون الكفرة معنى الامر كما في قوله تعالى يجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم وعدا عليه مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تأخر كان صفة له وقوله تعالى في التوراة والانجيل والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا او وعدا مثبتا في التوراة والانجيل كما هو مثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة في كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره منهم فكيف بجناب الخلاق الغني

عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به نصا هو المطرد انكار المساواة ونفيها ايضا فاذا قيل لا اكرم من فلان ولا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله اي فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشرى لان ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفاني بالباقي ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روي ان الانصار لما بايعوه عليه الصلاة والسلام على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال عليه الصلاة والسلام اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرأها فقال كلام من قال كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلته المشار اليه وسمو رتبته في الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا في نفسه فالجملة على الاول تذييل للآية الكريمة وعلى الثاني لقوله تعالى فاستبشروا مقرر لمضمونه التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اي التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد او طلب العلم الراكعون الساجدون في الصلاة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه ولعله لتخصيصهم باختصاص باحد الوجهين وبشر المؤمنين اي الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم انه خارج عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب باوليين اظهار زيادة لعنايته بامرهم من الترغيب والتسلية ما كان للنبي والذين آمنوا اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اي المشركون اولي قربى اي ذوي قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روي انه عليه

الصلوة والسلام قال لعمه ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه الصلوة
والسلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام
مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي
وانزل علي الايتين من بعد ما تبين لهم اي للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين انهم اي المشركين
اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او نزل الوحي بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار ابرهيم لابيه
بقوله اغفر لابي ابتناء توقفه مما دعاه اليه مما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة
استئناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابرهيم
لابيه على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اي لم يكن استغفاره
عليه الصلوة والسلام لابيه آزر ناشئا عن شيء من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابراهيم عليه الصلوة والسلام
اياه اي اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربي اي بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين
حقيقة امره وقال الكلبي وعدها اباه كانه قيل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على
عدم تبين امره كما يعرب عنه قوله تعالى فلما تبين له اي لابراهيم عليه الصلوة والسلام بان اوحي اليه انه
مصر على الكفر غير مؤمن ابدا بان مات على الكفر او هو انسب بقوله تعالى انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما
يلائم حالة الموت تبرأ منه اي تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره
ان ابراهيم لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن فرط الترحم ورقة القلب حليم صبور على الاذية والمحنة وهو استئناف
لبيان ما كان يدعوه عليه الصلوة والسلام الى ما صدر عنه من الاستغفار يعني ان شأن ابراهيم عليه الصلوة
والسلام كان رقة حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبيين فليس لغيره ان يأتي به في
ذلك فتاكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بانه عليه الصلوة والسلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال
رقة القلب والحلم فلابد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبريا واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان غير محظور لما
استثني عن الاسوة في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى وما
كان الله ليضل قوما اي ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم احكامه بعد اذ
هديهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون بالوحي صريحا او دلالة اي ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين
فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمي ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به وفيه تسلية
للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دلالة على ان الغافل غير مكلف بما لم يستبنه بمعرفة العقل ان الله بكل شيء
عليم تعليل لما سبق اي انه تعالى عالم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى بيانه فيما لا يستقل العقل
في معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل هنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك له فيه يحيي
ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمن
ذلك التبري منهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي اموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصر
وولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله
على النبي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه والمهاجرين
والانصار فيما هو في حق زلات سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه
ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى
الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره في ساعة العسرة اي في وقتها والتعبير عنه بالساعة
لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر
المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة

ليشربوا

ليشربوا عليها الماء المغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ
ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة وفي وصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم صلى الله عليه وسلم
في مثل هاتيك المراتب من الشدة البالغة تنويه بالحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني
عنها غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراءها
وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان وضمير القوم الراجع
اليه الضمير فيهم وقرئ بتاء الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من
المؤمنين كابي لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من
العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم استئناف تعليل فان صفة الرأفة
والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني عن ايصال المنفعة
وان يكون احدهما للسوابق والاخر للواحق وعلى الثلاثة الذين خلفوا اي وتاب الله على الثلاثة الذين اخر
امرهم عن امر ابي لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع في شأنهم بشيء الى ان
نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة
او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا على المخالفين والاولى هو الانسب لقوله تعالى حتى اذا
ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم في مفاوضتهم وهو مثل
لشدة الحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اي علموا ان لا ملجأ من
سخط الله تعالى الا الى استغفاره ثم تاب عليهم اي وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين
او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا
وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الالاء مع استحقاقهم لافانين العقاب روي ان ناسا
من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له فكره مكانه فلحق به صلى الله عليه وسلم عن الحسن
قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب
فانت في سبيل الله ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك فلا جرم والله لاكابدن الشدائد
حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتابط زاده ولحق به صلى الله عليه وسلم قال الحسن رضي الله تعالى عنه
كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال صلى الله
عليه وسلم رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة
حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب
يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ
سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا
خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه الصلوة والسلام منهم
الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري
ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال عليه الصلوة ما اعلم الا فضلا واسلاما
ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل
نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما
وصفني ربي وضاقت علي الارض بما رحبت وضاقت علي نفسي وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو يستنير باستنارة القمر ليشوبه كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر
الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك
وصاحبيه يا ايها الذين آمنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة
تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون ويندرج فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر
المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وفي كل شأن من
الشؤون ويندرج فيما ذكر توبتهم وثباتهم فيكونوا الدرجة اعني جنسية هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر
المحاسن وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة اي ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من
الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه صلى الله عليه
وسلم الى الغزو ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه نصب وقد جوز الجزم اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة
ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وقرئ ...
على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ اي
عطش يسير ولا نصب ولا تعب ما ولا مخمصة اي مجاعة ما والتنوين يشعر بان ما عنده من المحرمات ...
فان الظمأ والنصب اليسيرين حين لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلو ما فوقهما منه اولى فلا حاجة الى تأكيد النفي
بتكرير كلمة لا وعدم لان يراد بها ثلث الموجبات ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظمأ اكثر وقوعا من النصب
الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور فتوسيط كلمة لا حينئذ ليس لتأكيد النفي حلالة على
استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به في سبيل الله في اعلاء كلمته ولا يطؤون
موطئا اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا يغيظ الكفار
يغيظهم ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر والنهب او مفعول اي شيئا بنالون
فيلهم الا كتب لهم اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة
مستوجبة لحكم الوعد الكريم الذي يحل بالجبال وينيل الزلفى والنعيم المقيم وكون المكتوب عين ما
فعلوه من الامور بلا تتبع دخولا اوليا فان اختلف العنوان كما في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين
تعليل لما سلف من الكتب على انه عبارة عن تجري الاجر للمحسنين ثم البيهي عنهم ووضع المظهر مقام المضمر لمدحهم
والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين فان لعمالهم من قبيل الاحسان والاشعار بعلية
للماخذ الحكم واما جنس المحسنين فهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا ينفقون نفقة صغيرة
ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة ما ذكر
من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتأكيد النفي كما في قوله
عز وجل ولا يقطعون واديا اي لا يجاوزون في مسيرهم واديا وهو في الاصل منفرج من الجبال والآكام
يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم اي اثبت
لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع بذلك ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون احسن
جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام
لهم ان ينفروا جميعا الى الغزو ولو طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش
فلولا نفر فهلا تقر من كل فرقة اي طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة
اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي يتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها
ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم

وتخصيصه

وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض
المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو ديدن اهل الزمان
قاتلهم الله تعالى لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار
الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفرد ولتقوية طائفة الى التفقه
لينذروا قومهم كي يتذكروا ويحذروا فلو لم تعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للآية
وجه آخر وهو ان المؤمنين لما سمعوا ما انزل في المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا
عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم من يتفقهون حتى لا ينقطع
التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا
للبواقي في الفرق اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بعد الطوائف النافرة للغزو في رجوعهم
اليهم ما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا
بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه الصلاة والسلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة
والاستصلاح قيل هم اليهود حول المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا
بسكنى الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيرهم وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا
على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين
بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان والقتال على
الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه نحو ما في الشروع في قوله تعالى ان الله معنا واذا ما انزلت
سورة من سور القرآن فمنهم اي من المنافقين من يقول لاخوانه تثبيتا لهم على النفاق او لعوام
المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ بنصب ايكم على
تقدير فعل يفسره المذكور وانكاره احتقارا منهم الى الحق وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتقاد
المؤمنين حسبما نطق به قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا
جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلا وآجلا اي فاما الذين
آمنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف
على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بها الى ايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية
والدنيوية واما الذين في قلوبهم مرض اي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا بها
مضموما الى الكفر بغيرها وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى
ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اي لا ينظرون ولا يرون انهم اي
المنافقين يفتنون في كل عام مرة او مرتين من الاعوام والمراد بمجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد
المذكور اي يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة ونحوهما ثم يذكر الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي
الى الايمان به تعالى او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما ينزل عليه من الآيات لا سيما القوارع
الزائلة الايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت
الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى ولا هم يذكرون والمعنى او لا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون
عما هم عليه من النفاق ولا هم يذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين
والهمزة للتعجب اي الا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك وقوله
تعالى ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها

وهم في محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان لمقالاتهم وهو غايبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا
بالعيون انكارا لها او سخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم هل يريكم من احد اي قائلين هل يراكم احد
من المسلمين لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحوا او ترقبوا
ينتشا وروت في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد اذا قمتم من المجلس واي دخص في
لبث الخاطبين على الجد في انهاء الفرصة قوات المراد بشانهم التي اهتمام بشان اصحاب كما في قوله تعالى وليتلطف
ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت سورة في عيوب المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم
والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من المؤمنين اي انصرفوا جميعا في محل الوحي خوفا
من الافتضاح او غير ذلك صرف الله قلوبهم اي عن الايمان بحسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية
او دعائية بانهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء الفهم او لعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب
رسول اي رسول عظيم الشان من انفسكم من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ بفتح الفاء اي من اشرفكم
وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اي شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة
والوقوع في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة حريص عليكم في ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين
منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهي الرافة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل
فان تولوا تلوين للخطاب وتوجيه له الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك
فقل حسبي الله فانه يكفيك ويعينك عليهم لا اله الا هو استيناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت
ارجوا ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم اي الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي ينزل منه الاحكام
والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان اخر ما نزلها تان الايتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن
علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة
[illegible]
عليهم
السلام
بسم الله الرحمن الرحيم الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء لالف الراء
مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين
المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه
خبر لمبتدا محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو الاظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد
فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة قبل جريان ذكرها
لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير
فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرا وكلمة تلك اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد
نزل حضور مادتها التي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس
هذه الحروف المبسوطة الى اخره واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين
اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله
الرفع على انه مبتدا خبره قوله تعالى ايات الكتاب وعلى تقدير كون الر مبتدا فهو مبتدا ثان او بدل من الاول والمعنى
هي ايات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه
به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار
تعينه وتحققه في علم الله عز وعلا او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا فانه المشهور بهذا الاسم
فلا يقبل المجموع الشخصي اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من
الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وباسم القرآن

الكتاب

الكتاب والقرآن باحد الاعتبارات المذكورة ولما جميع القرآن النازل وقتئذ باعتباره هو بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق
على المجموع الشخصي يطلق على المجموع ما نزل في كل عصر الى الاعلى ما روي عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ويقول ايهم اكثر اخذا للقرآن فاذا اشير الى احدهما
قدمه في اللحد فان مرادهما بالناس من القرآن في ذلك الوقت ليحافظوا على التفاوت في اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ
من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه او في اللوح ولا لنزوله جملة الى السماء الدنيا الحكيم ذي
الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب
الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة تعويلا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة
كلمة تلك اشارة الى ما في ضمنها من الآي فانها في حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها
او الامر بذكرها او بقراءتها وينبغي ان يكون للشان الذي يجب لكل واحدة منها لا لجميعها من حيث هو جميع لانه عين
السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا للتخصيص لوصف المضاف اليه جهة فلا يتاتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف
اليه من صفات الكمال ولا في بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل بذلك وللتنبيه على ان الكتاب
الاطلاق وان كان يتكلم باحد الوجهين المذكورين لكن صح تحقق الاطلاق على البعض ايضا تمام الارتياب فيه ولم يوجد المشهور وان
كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا انه في كل سورة منه مما يتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور
تحقق مدح السورة بكونها بعضا من القرآن فكر يراد لولا ان بعضه متعوت بنعت كل كالكل في تحقق ما سبق من خلل ذلك وفيه
ما لا يخفى من التكلف والتعسف اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه في غير محله والمراد
بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون
الى آخره لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطائهم
واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على التوسع المشهور في
الظروف وقيل المصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلق بكان وهو
مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث ان اوحينا اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشانه لكونه مدارا
للانكار والتعجب وتشويقا الى المؤخر ولان في الاسم ضرب تفصيل ففي مراعاة الاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف الكلام
وقرئ برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل في تاويل المصدر المضاف الى
المعرفة البتة والمختار حينئذ ان تجعل كان تامة وان اوحينا متعلقا بعجبا على حذف حرف التعليل اي احدث للناس
عجب لان اوحينا او بان اوحينا او بدلا من عجب لكن على تجنيب الانكار والتعجب الى حدوث سبيل كونه عجبا فالتكون الابدال في
حكم تنحية المبدل منه ليس بمثابة الحداث بالمرة والمنافي للانكار ولا يعتد بالناس الا الاتحد على انهم اتخذوه وجهيته
من زيادة تقبيح حالهم الى الجمود الى رجل منهم اي الى بشر من جنسهم اقوالهم ان بعث الله بشرا رسولا وقولهم من حيث الا
امر حيث نعطى عليهم بقولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكان الوجه في ذلك هو البطلان من حيث الصفة
على ما اما الاول فلان بعث الملك انما يكون عندكون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه وتعالى قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق مفاوضة الملك كيف لا
وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي
تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا
العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثاني فلان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة
هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق في نيل الحظوظ الدينية ولا حظ له
في ذلك الشان في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية واما التقدم في الرياسة الدنيوية قطعا بل له
الاخلال بحال الدنيا قال عليه الصلاة والسلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء

ان انذر الناس ان مصدرية بمعنى ان تكون صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك وذلك لان الخبر والانشا
في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل الخبري فيجري نصدد لك
معنى الامر والنهي بتجرد الصلة الفاعلية عن معنى المضي والاستقبال ووجوب كون الصلة في الموصول
الاسمي خبرية انما هو للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل المقصود في دلالة الانشا على المصدر او مفسرة
اذ الايحا فيه معنى القول ويجوز كونها المخففة من المثقلة على حذف ضمير الشان والقول من الخبر بمعنى
ان الشان قولنا انذر الناس والمراد بجميع الناس كافة لا ما اريد بها اولا وهو النكتة في ايثار الاظهار
على الاضمار وكون الثاني عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق وبشر الذين آمنوا جناه بما لي
وصدقوا ان لهم اي بان لهم قدم صدق اي مسابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم وانما عبر
عنها بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها
وقيل مقام صدق والوجه ان الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على
تحققها وثباتها والتنبيه على انه مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك
عن الصدق قال الكافرون هم المتعجبون وايرادهم ههنا بعنوان الكفر لما لا حاجة الى ذكر سببه وترك
العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخل عليها همزة الانكار او لكونه استئنافا مبنيا على السؤال كانه قيل
ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة
التأكيد ان هذا يعنون به ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوي على الانذار والتبشير
لسحر مبين اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ما هذا
الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بانه صلى الله عليه وسلم خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق القوى
والقدر ولكن يسمونه بما قالوه تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج ودأب المفحم المحجوج ان ربكم كلام مستأنف
سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة غب الاشارة اليه بالانكار والتعجيب
وتحقيق في حقيقة ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالي على بعض ما يدل عليها من شئون الخلق
والتقدير ولمحوال التكوين والتدبير ويرشدهم الى معرفتها باذنى التفات اعترافهم به من غير نكير لقوله
تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فانى يؤفكون وقوله تعالى قل
من يرزقكم من السماء والارض الى قوله تعالى ومن يدبر الامر فسيقولون الله اي ان ربكم ومالك
امركم الذي تعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحي اليه من الكتاب
سحرا هو الله الذي خلق السموات والارض وما فيهما من اصول الكائنات في ستة ايام
اي في ستة اوقات او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان
كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة
التامة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التأني في الاحوال والا
وانما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد استأثر بعلمه العليم الخبير وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من
الابدان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام ثم استوى على العرش
العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الاوامر
والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي
عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وجلال سلطانه بعد بيان عظمة
شأنه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الاجرام العظام يدبر الامر التدبير النظر في
ادبار الامور وعواقبها ليقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير على الوجه الاتم الاكمل فيما

بالامر

بالامر امر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على احوال
شتى والغاية لاتحاد تقتضي من المناسبات والمباينات في الذوات والصفات والازمنة والاوقات
التي تقرر بما ذكر من امور الكائنات التي ما نحن بصدده من امر البعث والوحي فرد من جملته وشعبة
من دوحته فيهيئ اسباب كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الحكم
الفائقة والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة والجملة في محل النصب
او مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء على العرش المنبئ عن
اجراء احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره
وقوله عز وجل ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة
على اتم الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله وهذا بعد قوله تعالى يدبر الامر جار مجرى
قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى
الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من
الاوقات الا بعد اذنه للمبني على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار
والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه بيان الدلالة على عظم جلاله سبحانه ما لا يخفى ذلكم اشارة
الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشان المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة التي عليها يدور
استحقاق الالوهية الله وقوله تعالى ربكم بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا
تعيين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الى آخره لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير و
لتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تعالى فاعبدوه اي وحدوه من غير ان تشركوا به شيئا
من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بما انزله اليكم افلا
تذكرون اي اتعلمون ان الامر كما فصل فلا تتذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا
عنه اليه لا الى احد سواه استقلالا او اشتراكا مرجعكم اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى
جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا في المعنى اي اليه يرجعكم مجتمعين والجملة كالتعليل
لوجوب العبادة وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم وعد منه سبحانه
بالبعث او للفعل المقدر اي وعد الله وعدا ما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لا
ما بالموت بمعزل من الوعد كما انه بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر آخر
مؤكد لما دل عليه الاول انه يبدأ الخلق وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو استئناف معلل به
وجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى فانه غاية البدء والاعادة ومقتضاه مجازاة المكلفين باعمالهم
حسنة او سيئة وقرئ بالفتح لانه وعد يجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله وعدا ببدء
الخلق ثم اعادته ومرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق الخ ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات بالقسط اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي
اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم
عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب
من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ويجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير الاسناد
بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على مواظبتهم
على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك

لصلة الفائتة لتحقق بدأ واعادة وانما جيء ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم والمقصود
الاصلي من ذلك هو الاثابة **هو الذي جعل الشمس ضياء** تنبيه على الاستدلال بما مر من ابداع
السموات والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير البديع واحد من مصالح الخلق
المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوي الردى او الحلي
والجعل اي جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله اي خلقها حال كونها ذات ضياء
على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة او جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي جعلها ضياء
على احد الوجهين المذكورين لكن لا بد ان كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما في قولهم
ضيق فم الركية ووسع سفلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة
من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين
والقمر نورا الكلام فيه كالكلام في الشمس والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض
نور ففيه اشعار بان نوره مستفاد من الشمس **وقدره** اي قدر له وهيأ **منازل** اي قدر مسيره
في منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره
ومعاينة منازله وتعلق الاحكام الشرعية به وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما
وهي ثمان وعشرون ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير
مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس
ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما وهذه
المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان والبطين والثريا
الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزباني
الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرع الدلو
المقدم فرع الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت **لتعلموا** اما بتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع
الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل **عدد السنين** التي يتعلق بها غرض علمي
او عملي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية **والحساب** اي حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي
وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم
يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحقيقه
ان الحساب احصاء ما له كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين
له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما
قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة والعدد احصاؤه بتكرير امثاله من غير اعتبار ان يتحصل
بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامي مراتب الاعداد
وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي
في تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسام خاصة
واحكام مستقلة علق بها الحساب المنبئ عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب
وانما الذي يتعلق به العدد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية
المذكورة اعني حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد تحصل كل منها بطائفة
من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب وانما الذي يتعلق به العدد طائفة منها وتعلقه في ضمن
ذلك بكل واحدة من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم

العدد على

العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين
علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا او لان لم يتجز لجهة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصيل امر
آخر حسبما حقق آنفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب **ما خلق الله ذلك**
اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيئات ليس الا
خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس حادث فان المراد بجعله
نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا الصاقه به بالفعل **الا بالحق** استثناء مفرغ
من اعم احوال الفاعل او المفعول اي ما خلق ذلك ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى
الحكمة البالغة او مراعيا فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط
به امور معاملاتهم وعباداتهم **يفصل الآيات** اي الآيات التكوينية المذكورة او جميع الآيات
فيدخل فيها الآيات المذكورة دخولا اوليا او يفصل الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ
بنون العظمة **لقوم يعلمون** الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شئون مبدعها جل وعلا
او يعلمون ما في تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به
ان في اختلاف الليل والنهار تنبيه اجمالي على ما ذكر اي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر
بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل
منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة
او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي
ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما
فان كرية الارض تقتضي ان تكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا **وما خلق
الله في السموات والارض** من اصناف المصنوعات **لآيات** عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع
تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من جملة مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول
وانزال الكتاب والبعث والجزاء **لقوم يتقون** خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى
والحذر من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات آيات دون غيرهم وكاين من آية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون **ان الذين لا يرجون لقاءنا** بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات الدالة عليه بعد
تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وتمهيد لتعذيبهم جزاء وعقابا وتفصيل لبعض الآيات الشاهدة
بذلك والمراد بلقائه اما الرجوع اليه تعالى بالبعث ولقاء الحساب كما في قوله عز وعلا اني ظننت اني ملاق
حسابيه واياما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم
التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اي لا
يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول واليه
اشير بقوله عز وجل **ورضوا بالحياة الدنيا** فانه منبئ عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله
تعالى ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ولا يخافون الثاني واليه اشير بقوله تعالى **واطمأنوا بها** اي سكنوا فيها سكون
من لا براح له منها آمنين من ازعاج المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوءهم من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه
الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحياة الابدية ورضوا بدلا
منها وعما فيها من فنون الكرامات السنية بالحياة الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا بها اي سكنوا اليها مكبين عليها
قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والايثار للباء على كلمة
الى المنبئة عما ذكر من تركهم عن جدة الوصول الى الانتهاء للايذان بتمام الملابسة ودوام الصحبة والمؤانسة وحمل

الرجاء على الخوف بإباء كلمة الرضى الحياة الدنيا فإنها مبنية عما كمن ترك الأعلى وأخذ الأدنى واختيار
صيغة الماضي في الصلتين للإخبار بين الله لا بتحلي التحقق والتقرر كما أن اختيار صيغة المستقبل في الأولى
للدلالة باستمرار عدم الرجاء «والذين هم عن آياتنا» المفصلة في صحائف الأكوان حسبما أشير إلى بعضها
أو آياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد بها المتفقة سمعها في الدلالة على حقيقة ما لا يرجونه من اللقاء
المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا إليه من الحياة الدنيا «غافلون» لا يتفكرون فيها أصلا
وإن نبهوا على ذلك بفنون القوارع لانهماكهم فيما يصدهم عنها من الأحوال المعدودة فيكون الموصول
للتوسل به إلى جمل صلته بحمله من سببية تنبئ عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير
الوصفي منزلة التغاير الذاتي إيذانا بمغايرة الوصف الأخير للأوصاف الأول واستقلاله باستتباع العذاب
هذا وأما ما قيل من أن العطف إما لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات
رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الآخرة أصلا وإما لتغاير الفريقين والمراد بالأولين من أنكر
البعث ولم ير إلا الحياة الدنيا وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والإعداد له على السداد فتأمل
«أولئك» الموصوفون بما ذكر من صفات السوء «مأواهم» أي مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه «النار» لا
ما اطمأنوا بها من الحياة الدنيا ونعيمها «بما كانوا يكسبون» من الأعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه
من أصناف المعاصي والسيئات أو بكسبهم إياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار
التجددي والباء للسببية متعلقة بمضمون الجملة الأخيرة الواقعة خبرا عن اسم الإشارة وهو مع خبره خبر
لأن في قوله تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا إلى آخره «إن الذين آمنوا» أي فعلوا الإيمان أو آمنوا بما يشهد به
الآيات التي غفل عنها الغافلون أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا أوليا «وعملوا الصالحات»
أي الأعمال الصالحة في أنفسها اللائقة بالإيمان وإنما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الأسماء «يهديهم
ربهم» أوثر الالتفات تشريفا لهم بإضافة الرب إليهم وإشعارا بعلة الهداية «بإيمانهم» أي يهديهم بسبب
إيمانهم إلى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وإنما لم يذكر تعويلا على ظهورها وانسياق النفس إليها لا سيما
عند ملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة وما أداهم إليه من أعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق من التوبيخ
والتصحيح وفي النظم الكريم إشعار بأن مجرد الإيمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول إلى الجنة بل لا بد بعد ذلك
من الهداية الربانية وأن الكفر والمعاصي كاف في دخول النار ثم إنه لا نزاع في أن المراد بالإيمان الذي يحصل
لتلك الهداية هو إيمانهم الخاص المشفوع بالأعمال الصالحة لا الإيمان الخالي عن العمل الصالح فيفضي إلى الجنة في الجملة
ولا يخلد صاحبه في النار فإن منطوق الآية الكريمة أن الإيمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية إلى الجنة
وأما أن كل ما هو سبب لها يجب أن يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين آمنوا ولم
يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ناطق بخلافه فإن المراد بالظلم هو الشرك كما أطبق عليه
المفسرون والمعنى لم يخلطوا إيمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره أيضا يدخل في الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحا
ثم مات قبل أن يظلم بفعل حرام أو بترك واجب «تجري من تحتهم الأنهار» أي بين أيديهم كقوله سبحانه وهذه
الأنهار تجري من تحتي أو تجري عندهم على سرر مرفوعة وأرائك مصفوفة والجملة مستأنفة أو خبر ثان
لأن أو حال من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدي إليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل يهديهم ويسددهم
للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي إلى الثواب أي الجنة وقوله تجري من تحتهم الأنهار جار مجرى التفسير والبيان
فإن التمسك بسبل السعادة في حكم الوصول إليها وقيل يهديهم إلى إدراك الحقائق البديعية بحسب القوة العملية
كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم «في جنات النعيم» خبر آخر أو حال أخرى
منه أو من الأنهار أو متعلق بتجري أو بيهدي فالمراد بالمهدي إليه إما منازلهم في الجنة أو ما يريدونه فيها

دعواهم

«دعواهم» أي دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل «فيها» متعلق به وقوله تعالى «سبحانك اللهم» خبره
أي دعاؤهم هذا الكلام وهو مبني للتقديس لا يحويه ظاهره والمعنى اللهم إنا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولون ذلك
عندما يعاينون فيها من تعاجيب آثار قدرته تعالى ونتائج رأفته ورحمته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنويها بالوعد الكريم من سمات الخلف
«وتحيتهم فيها» التحية المكرمة بالحالة الجلية أصلها الحياة التحيية طيبة أي ما يحيي به بعضهم بعضا
أو تحية الملائكة إياهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام أو تحية الله عز وجل لهم كما في
قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم «سلام» أي سلامة من كل مكروه «وآخر دعواهم» أي خاتمة دعائهم
«أن الحمد لله رب العالمين» أي يقولوا ذلك نعتا لله عز وجل بصفات الإكرام إثر نعته تعالى بصفات
الجلال أي دعاؤهم منحصر فيما ذكر إذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعاء وأن هي المخففة
من أن الثقيلة أصله أنه الحمد لله فخففت وحذف ضمير الشأن كما في قوله أن هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ أن الحمد لله
بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل إلى ختم الحكاية
بالتحميد تبركا مع أن التحية ليست بأجنبية على الإطلاق وجواز كون ترتيبها الوقوعي أيضا كذلك بأن كانوا
عند دخول الجنة ومعاينة عظمة الله تعالى وكبريائه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة
عن الآفات والفوز بأصناف الكرامات أو حياهم رب العزة فحمدوه تعالى وأثنوا عليه بإضافة
الأخرى إلى دعواهم وقد جوز أن يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى وأعتزلكم وما تدعون من دون الله إيذانا
بأن لا تكليف في الجنة أي ما عبادتهم إلا أن يسبحوا ويحمدوه وليس ذلك بعبادة إنما يلهمونه فينطقون به تلذذا
ولا يساعده تعيين الخاتمة «ولو يعجل الله للناس» هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لإنكارهم البعث وما
يترتب عليه من الحساب والجزاء أشير إلى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما أوعدوا
به من العذاب تكذيبا واستهزاء وإيرادهم باسم الجنس لما أن تعجيل الخير لهم ليس مرتبا على وصفهم المذكور أو لأن
ذلك بطريق الاستدراج أي لو يعجل الله لهم «الشر» الذي كانوا يستعجلون به فإنهم كانوا يقولون اللهم إن كان هذا
هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك وقوله تعالى «استعجالهم بالخير»
نصب على أنه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصبه دلالة على اعتبار الاستعجال في جانب المشبه
كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به وإشعارا بسرعة إجابته تعالى لهم حتى كأن استعجالهم بالخير نفس
تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به
فحذف تعويلا على دلالة الباقي عليه «لقضي إليهم أجلهم» لأدي إليهم الأجل الذي عين لعذابهم وأميتوا
وأهلكوا بالمرة وما أمهلوا طرفة عين وفي إيثار صيغة المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء وقرئ
على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط وإن كان المعنى على المضي لإفادة
أن عدم قضاء الأجل لاستمرار عدم التعجيل فإن المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في إفادة انتفاء
استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه أيضا بحسب المقام كما حقق في موضعه ولعل مدار الإفادة
في الشرطية أن يكون الثاني أمرا مغايرا للمقدم في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم
في كثير من الأمر لعنتم فإن العنت أي الوقوع في المشقة والهلاك أمر مغاير لطاعته عليه الصلاة والسلام
هو مترتب عليها في الوجود أو يكون فردا كاملا من أفراده ممتازا عن البقية بأمر يخصه كما في الأجوبة المحذوفة
في قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على ربهم وقوله تعالى ولو ترى إذ المجرمون ونظائرهما أي لرأيت أمرا هائلا
فظيعا ونحو ذلك كما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة إذ فسر الجواب
بالاستئصال فإنه فرد كامل من أفراد مطلق المؤاخذة وقد عبر عنه بما الأمر يدور عليه في الدلالة على الشدة

والفظاعة فنحن نوقعه في معرض التالي للمؤاخذة المطلقة وأما ما نحن فيه من القضاء فليس بالنسبة
لتعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر بل هو لنفسه أو جزء منه كما أي جزئيا به من غير مزيد له على البقية
إذ لا يعتد في مفهومه بما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون في ترتيبه عليه وجودا
أو عدما مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا للشرطية لأن المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو إرادته
المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما كما في قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب أي
لو يريد مؤاخذتهم فإن تعجيل العذاب هو نفس المؤاخذة أو جزء منها حتى يستغنى عن البقية فليس في
بيان ترتبه عليها وجودا أو عدما مزيد فائدة وإنما الفائدة في بيان ترتبه على إرادتها حسبما ذكر
وأيضا في ترتيب التالي على الإرادة للمقدم ما ليس في ترتيبه على نفسه من المبالغة وتهويل الأمر والدلالة
على أن الأمر منوط بإرادته تعالى المبنية على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون
العظمة الدالة على التشديد في الوعيد وهو عطف على مقدر ينبئ عنه الشرطية كأنه قيل لكن لا نفعل
ذلك لما تقتضيه الحكمة فنتركهم إمهالا واستدراجا في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وإنكار
البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من أعمال السيئات والمقالات الشنيعة يعمهون أي يترددون
ويتحيرون وفي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة وإشعار بعليته للترك
والاستدراج وإذا مس الإنسان الضر أي أصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد
إصابة يسيرة دعانا لكشفه وإزالته لجنبه حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف عليه من
الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون للأذقان أي دعانا كائنا على جنبه أي مضطجعا أو قاعدا
أو قائما في جميع الأحوال لما ذكر وتخصيص المذكورات بالذكر لعدم خلو الإنسان عنها عادة
أو دعانا في جميع أحوال مرضه على أن الأحوال خاصة بمضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا غير قادر
على النهوض وقائما لا يستطيع الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذي مسه حسبما دعا به مختصا بنفي عنه
اللقاء مر أي مضى واستمر على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء
أو مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى بجانبه كأن لم يدعنا أي كأنه لم يدعنا فخفف وحذف
ضمير الشأن كما في قوله كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا والجملة التشبيهية في محل النصب على الحالية من فاعل
مر أي مر مشبها بمن لم يدعنا إلى ضر أي إلى كشف ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض
أفراده ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك نصب على المصدرية وذلك إشارة إلى مصدر الفعل الآتي وما
فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار إليه إقحاما لا يكاد يترك في
لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل محل ذلك أي مثل ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين
أي المتصفين بما ذكر من الصفات الذميمة وإسرافهم لأن الله تعالى إنما أعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها
إلى ما لا ينبغي وهي رأس مالهم فقد أتلفوها وأسرفوا في إتلافها والتزيين إما من جهة الله تعالى على
طريقة التخلية والخذلان أو من الشيطان بالوسوسة والتسويل ما كانوا يعملون من الإعراض عن الذكر
والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث إن كلا منهما أنموذج للكفرة على طريقة
الاستدراج بعد الإنقاذ من الشر المقدر في الأولى وعن الضر المقرر في الأخرى ولقد أهلكنا القرون أي
القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود وأضرابهم من قبلكم متعلق بأهلكنا أي
أهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لأهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تأييده
بالتوكيد القسمي لما ظلموا ظرف للإهلاك أي أهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال
من غير تأخير وجاءتهم رسلهم الواو للحال بإضمار قد بالبينات متعلق بجاءتهم على أن

الباء للتعدية أو بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالا على إفراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة أي ظلموا
بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالآيات البينات الدالة على صدقهم أو ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد
جوز أن يكون العطف على ظلموا فلا محل للجملة عند سيبويه وعند غيره محلها الجر لأنها معطوفة على ما هو مجرور به
بإضافة الظرف إليه وليس الظلم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج إلى الاعتذار بأن الترتيب الذكري لا يجب كونه
على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا بل هو محمول على سائر أنواع الظلم
والتكذيب مستفاد من قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا على أبلغ وجه وآكده فإن اللام لتأكيد النفي أي ما صح
وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى إياهم لعلمه بأن الألطاف لا تنجع فيهم
والجملة على الأول عطف على ظلموا لا لتعلق الأخبار بإحداث التكذيب وهذا بالإصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما
عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهي أعني قوله تعالى كذلك فإن
الجزاء المشار إليه عبارة عن مصدره أي مثل ذلك الجزاء الفظيع أي الإهلاك الشديد الذي هو الاستئصال
بالمرة نجزي القوم المجرمين أي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد أكيد لأهل مكة لاشتراكهم لأولئك
المهلكين في الجرائم والجنايات التي هي تكذيب الرسول والإصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله
للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات إلى الغيبة وقد جوز أن يكون المراد بالقوم المجرمين
أهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب إيذانا بأنهم أعلام في الإجرام ويأباه كل الإباء قوله عز وجل
ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم فإنه صريح في أنه ابتداء تعرض لأمورهم وأن ما بين فيه إنما
هو مبادي أحوالهم لاختبار كيفيات أعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الإيمان والطاعة فمحال أن يكون ذلك
إثر بيان منتهى أمرهم وخطابهم بت القول بإهلاكهم لكمال إجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الأرض بعد
إهلاك أولئك القرون التي تسمعون أخبارها وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر لننظر أي لنعامل
معاملة من ينظر كيف تعملون فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فإن
ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامل عليه أي أي عمل أو على الحالية أو على أي حال تعملون الأعمال
اللائقة بالاستخلاف من أوصاف الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم أيكم أحسن عملا وفيه إشعار بأن المراد
بالذات والمقصود بالطلب من الاستخلاف إنما هو إظهار الكيفيات الحسنة للأعمال الصالحة وأما الأعمال
السيئة فبمعزل من أن يصدر عنهم لا سيما بعد ما سمعوا أخبار القرون المهلكة وشاهدوا آثار بعضها أي
فضلا عن أن ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على أنه مفعول به
أي عمل تعملون خيرا أو شرا فنعاملكم بحسبه ولا يكون حينئذ دلالة على أن المعتبر في الجزاء
جهات الأعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو رأي القائل بل يكون حينئذ مشعرا لمعنى أي شيء وإذا تتلى عليهم
التفات من خطابهم إلى الغيبة إعراضا عنهم وتوجيها للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد
جناياتهم المضادة لما أريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كدأب من
قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآتي حسب تجدد التلاوة آياتنا
الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والإضافة لتشريف المضاف والترغيب في الإيمان به والترهيب عن
تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وإيراد فعل التلاوة مبنيا للفاعل للإشعار
بعدم الحاجة لتعيين التالي فالعيان بل لكونه في نفس التلاوة نسبة إلى التالي قال الذين لا يرجون
لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير إشعارا بعليته لما في حيز الصلة العظيمة المحكية عنهم وأنهم إنما
اجترؤوا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء وإنما هو من مبادي البعث وذما لهم بذلك أي قالوا
لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما لم يذكر إيذانا بتعينه ائت بقرآن غير هذا

أشار بهذا إلى القرآن المشتمل على تلك الآيات لا إلى نفسها فقط قصدًا إلى إخراج الكل من البين أي ائت بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء أو ما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها **أو بدله** بتغيير ترتيبه بأن يجعل مكان الآيات المشتملة على ذلك آيات تشتمل على خلافها قالوا ما قالوا كيدًا وطمعًا في المساعدة ليتوسلوا بها إلى الإلزام والاستهزاء به **قل** لهم **ما يكون لي** أي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني أصلًا **أن أبدله من تلقاء نفسي** أي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفًا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه على الشق الثاني للإيذان بأن استحالة ما اقترحوه أولًا من الظهور بحيث لا حاجة إلى بيانها وأن التصدي لذلك مع كونه ضائعًا ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء إذ لا يصدر مثله الاقتراح عن العقلاء ولأن ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الأول بالطريق الأولى **إن أتبع** أي ما أتبع في شيء مما آتي وأذر **إلا ما يوحى إلي** من غير تغيير له في شيء أصلًا على معنى قصر حاله عليه الصلاة والسلام على اتباع ما يوحى لا قصر اتباعه على ما يوحى إليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي وقد مر تحقيق المقام في سورة الأنعام وهو تعليل لمضمون الكلام فإن من شأنه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء دونه قطعًا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا به عليه الصلاة والسلام بهذا السؤال من أن القرآن كلامه عليه الصلاة والسلام ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانًا عظيمًا مستتبعًا لعذاب عظيم بقوله تعالى **إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** فإنه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار أمره عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي أي إني أخاف إن عصيته تعالى بتعاطي ما ليس فيه من التبديل من تلقاء نفسي والإعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم يوم القيامة ويوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه إشعار بأنهم استوجبوا بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتهويل أمر العصيان وإظهار كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام عنه وإيراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولإتباع حمل مقترحهم على التبديل والإتيان بقرآن آخر من جهة الوحي وتفسير قوله تعالى ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي بأنه لا يتسهل لي أن أبدله بالاستدعاء من جهة الوحي ما أتبع إلا ما يوحى إلي من غير تغيير ما من الأحكام وغيره من قبيل الأتبدد التبديل المذكور لكن لا أن للفتح حينئذ ليس فيه معصية تبدل الآية ليس فيه معصية الاقتراح مع أنها للفصوص بما في التعليل الآتي على ما بعده من الآيات الكريمة فإنه نص في أن مقترحهم الإتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الافتراء وإن زعم في الأصل كذلك وقوله عز وجل **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم** تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند الله تعالى إثر بيان بطلان ما اقترحوا الإتيان واستحالته بعبارة وجلالة وإنما صدر بالأمر المستقل مع كونه داخلًا تحت الأمر السابق لإظهار كمال الاعتناء بشأنه وإيذانًا باستقلاله مفهومًا وأسلوبًا فإنه برهان دال على كونه بأمر الله تعالى ومشيئته كما سيأتي ومفعول شاء محذوف ينبئ عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فإن المشيئة إنما يحذف إذا وقع شرطًا وكان مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن في تعلقه بها غرابة كما في قوله ولو شئت أن أبكي دمًا لبكيته حيث لم يحذف لفقدان الشرط الأخير ولأن المستلزم للجزاء أعني عدم تلاوته عليه الصلاة والسلام للقرآن عليهم إنما هو مشيئته تعالى لا مشيئته لغير القرآن والمعنى أن الأمر كله منوط بمشيئته تعالى ليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم لا بأن شاء عدم تلاوتي إياه من تلقاء نفسي بل بأن لم ينزله علي ولم يأمرني بتلاوته كما ينبئ عنه إيثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم **ولا أدراكم به** أي ولا أعلمكم به على لساني والتالي وهو عدم التلاوة والإدراء منتف فينتفي المقدم أعني مشيئة عدم التلاوة ولا يخفى أنها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة قطعًا فانتفاؤها مستلزم لانتفائه حتمًا فانتفاء عدم مشيئة التلاوة إنما يكون بتحقق

مشيئة التلاوة

مشيئة التلاوة فثبت أن تلاوته عليه الصلاة والسلام للقرآن بمشيئته تعالى وأمره وإنما قيد الإدراء بكونه بواسطته عليه الصلاة والسلام لأن عدم الإعلام مطلقًا ليس من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم تلاوته عليه الصلاة والسلام فلا يجوز نظمه في سلك الجزاء وفي إسناد عدم الإدراء إليه تعالى المنبئ عن إسناد الإدراء إليه تعالى إيذان بأن لا دخل له عليه الصلاة والسلام في ذلك حسبما يقتضيه. وقرئ ولا أدرأتكم ولا أدرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول أعطأت وأرضأت في أعطيت وأرضيت أو على أنه من الدرء بمعنى الدفع أي ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤونني بالجدال. وقرئ ولا أنذرتكم به. وقرئ لأدراكم به باللام أي لو شاء الله ما تلوته عليكم أنا ولأعلمكم به على لسان غيري على معنى أنه الحق الذي لا محيص عنه لو لم أرسل به أنا لأرسل به غيري البتة وفيه أنه تعالى يمن على من يشاء يختص بهذه الكرامة **فقد لبثت فيكم عمرًا** تعليل للملازمة وتحقيق لها لكون تلاوته بمشيئة الله تعالى وأمره حسبما بين آنفًا لكن لا بطريق الاستدلال عليهما بما شاهدوا منه عليه الصلاة والسلام في تلك المدة الطويلة من الأمور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته عليه الصلاة والسلام بلا وحي وعمرًا مضاف على التشبيه بظرف الزمان. والمعنى قد أقمت فيما بينكم دهرًا مديدًا مقدار أربعين سنة تحفظون تفاصيل أحوالي وتحيطون بما لدي خبرًا **من قبله** أي من قبل نزول القرآن لا أتعاطى شيئًا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن أسرار الحقائق وأحكام الشرائع **أفلا تعقلون** أي ألا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلًا من عند الله العزيز الحكيم فإنه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد عنه أن من له أدنى مسكة من العقل إذا تأمل في أمره صلى الله عليه وسلم وأنه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء في شأن من الشؤون ولا مراجعة إليهم في أمر من الأمور ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار والخوض معهم في إنشاء الخطب والأشعار ثم أتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه كل بدائع أصناف العلوم كاشف عن أسرار الغيب من وراء أستار الكون ناطق بأخبار ما قد كان وما سيكون مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة ومهيمن عليها في أحكامها المجملة والمفصلة لا يبقى عنده شائبة اشتباه في أنه وحي منزل من عند الله وهذا هو الذي تلقفت عليه كلمة الجمهور وكلام الإمام فيما سلف على نحو امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه الصلاة والسلام لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير تعرض هناك ولا هنا لكون القرآن في نفسه أمرًا خارجًا عن طوق البشر ولا لكونه عليه الصلاة والسلام غير قادر على الإتيان بمثله ليستشهد ههنا على المطلوب بما يدل على ذلك من أحواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام عما يوهم شائبة الصدور والكذب والافتراء عنه في حق أحد كائنًا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله تعالى. والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا أتعرض لأحد قط بتحكم ولا جدال ولا أخوض في مقال فيه شائبة شبهة ثم أتى بكذب أو افتراء ألا تلاحظون بعقولكم تنزه شأني عن الطرح في هذا العهد البعيد فيستحيل أن أفتري على الله عز وجل وأتحكم على كافة الخلق بالأوامر والنواهي الموجبة لسلب الأموال وسفك الدماء ونحو ذلك وأنما أتي به وحي مبين تنزيل من رب العالمين. وقوله عز وجل **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبًا** استفهام إنكاري معناه الجحد أي لا أظلم منه على معنى أنه أظلم من كل ظالم وإن كان سبك التركيب مفيدًا لإنكار أن يكون أحد أظلم منه من غير تعرض لإنكار المساواة ونفيها فإنه إذا قيل من أفضل من فلان أو لا أعلم منه يفهم منه حتمًا أنه أفضل من كل فاضل وأعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذبًا مع أن الافتراء لا يكون إلا كذبًا للإيذان بأن ما أضافوه إليه ضمنًا وحملوه عليه الصلاة والسلام عليه صريحًا مع كونه افتراء على الله تعالى كذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الإسناد فقط كما إذا أسند ذنب زيد إلى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه الصلاة والسلام في التبري عما ذكر في الافتراء على الله

سبحانه اوكذب باياته فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم القرآن وحملهم على انه من جهته عليه
الصلوة والسلام والفاء لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن بمشيئته تعالى وامره فلا يجعل الحمل الافترا
على الافترآء بالتخاذ الولد والشريك اي واذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تعالى بان يختلق
كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض اياته تعالى ببعض كما تجوزون ذلك في شاني و كذلك
من كذب باياته تعالى كما تفعلونه انه الضمير للشان وفي اسم ان ولتخبير ما
يعقبه من الجملة ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصديرها
به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من
اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه
فضل تمكن فكانه قيل ان الشان هذا لا يفلح المجرمون اي لا ينجون من محذور ولا يظفرون
بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا اوليا ويعبدون من
دون الله حكاية لجناية اخرى نشات عنها جنايتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى
عليهم الاية عطف قصة على قصة ومن دون متعلقة بيعبدون ومحله النصب على الحالية
من فاعله اي متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها
وجعلها قرينا لعبادة الاصنام كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم ما لا يضرهم ولا ينفعهم اي
ما ليس من شانه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما موصولة او موصوفة وتقديم نفي
الضر لان ادنى احكام العبادة دفع الضر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق
بالعدم الذي هو مظنة الضر فحيث لم يقدر الاصنام على الضر لم يوجد للعبادة سبب وقيل
لا تضرهم ان تركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها كان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة
عزى ومناة وهبل واسافا ونايلة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحرث
اذا كان يوم القيمة تشفع لي اللات والعزى قيل انهم كانوا يعتقدون ان لكل اقليم روحا معينا من ارواح
الافلاك فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم
اعتقدوا ان ذلك الروح عند الاله الاعظم مشتغل بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون الكواكب
فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات
معينة على تلك الاصنام صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل
فان اولئك الاكابر تشفعون لهم عند الله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم اي اتخبرونه
بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاؤهم عند الله تعالى اذ لو كان لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع
لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئون بالتخفيف
وقوله تعالى في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكد للنفي لان ما لا يوجد فيهما
فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم
الذين يعتقدونهم شفعاؤهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بتاء الخطاب والجملة من جملة القول المامور
به وعلى الاول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى وما كان الناس الا امة واحدة بيان
لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجتمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه
جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصى الجماعة واما حمل اتحادهم على الاتفاق على الضلال
عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما لا احتمال له اي وما كان الناس كافة من اول
الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد ادم عليه الصلوة والسلام الى ان قتل قابيل

هابيل وقيل الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح عليهما الصلوة والسلام وقيل من حين الطوفان حين
لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابرهيم عليه الصلوة والسلام الى ان اظهر
عمرو بن لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الاية الكريمة اثر حكاية ما حكي
عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بان كفر بعضهم وثبت اخرون على ما هم
عليه فخالف كل من الفريقين الاخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الاخر فان
الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضى بينهما بابقاء المحق واهلاك
المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام
مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير القضاء بينهم فانه يوم
الفصل لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل
والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاستقبال لحكاية الحال الماضية
والدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة
المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة لولا انزل عليه اية
من ربه ارادوا اية من الايات التي اقترحوها لانهم لفرط العتو والفساد ونهاية التمادي في المكابرة والعناد
لم يعدوا البينات النازلة عليه عليه الصلوة والسلام من جنس الايات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم
الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم في الجواب انما الغيب لله اي هو مختص بعلمه تعالى
فان الغيب قد يشهد بانه في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم
ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله اني معكم من المنتظرين
اي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الايات واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن
انزال الايات المقترحة ياباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تعالى واذا اذقنا الناس رحمة صحة
وسعة من بعد ضراء مستهم اي خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد
الاذاقة الى ضمير الجلالة من الاداب القرانية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل
سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون
في اياته تعالى ويعادون رسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وذلك قوله تعالى اذا لهم مكر في اياتنا
اي بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها
كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون والتنوين للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي يتعلق به لهم قل الله
اسرع مكرا اي اعجل عقوبة اي عذابه اسرع وقوعا اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها
في مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم والاضافة للتشريف يكتبون ما تمكرون
اي مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه غير خاف على الحفظة
فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار والتجدد والجملة تعليل من
جهته تعالى لاسرعية مكره سبحانه وغيره لطف في الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا افاد كتابة الرسل
لما يمكرونه من مبادي بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وقرئ بالخطاب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم والتشديد في التاء وقرئ على لفظ الغيبة فيكون حينئذ تعليلا
لما ذكر او لله فهو هو الذي يسيركم كلام مستانف مسوق لبيان جنايتهم المبنية على ما مر انفا من اختلاف
حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اي يمكنكم من السير ويمكنكم منه في
البر والبحر مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله تعالى فاذا انتم بشر تنتشرون حتى اذا كنتم في

الفلك اي السفن فانه يجمع فلك على زنة اسد جمع اسد على وزن قفل وبمثابة التشبيه ليست ابتدائية كي
فيها بل مضمونه من الشرطية تماما بينه كما ينبئ عنه ايثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين
اي السفن بهم بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كانه
قيل يذكر لغيرهم مساوي احوالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل
معنى قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون في البر والضمير
الغائب عائد الى ذلك البعض المقدر كما في قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج بريح طيبة لينة
الهبوب بموافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير للفلك
للريح الطيبة اي تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا للريح لغة
عادة بل هو استدبار للريح الاولى وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزامه الثاني من غير عكس لان
الهبوب على طريقة الريح اللينة لا يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع ما ذكر من
الامواج بموجب نحوه من كل مكان ولان التهويل في باب ستنبئها على ما في جوابه وعلى في بيان حالهم
كذا ريح عاصف اي ذات عصف وقيل العصف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق وقيل الريح قد
يذكر وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان اي من امكنة مجيء الموج عادة ولا بعد في مجيئه من جميع الجوانب
ايضا لان لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق له
وظنوا انهم احيط بهم اي هلكوا فان ذلك مثل في الهلاك واصله احاطة العدو بالحي وسدت عليهم
مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل الاشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استئناف مبني
على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان
يشركوا به من آلهتهم لا تخصيص الدعاء به تعالى فقط بل العبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به سبحانه
لا يكونون مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اي قائلين والله لئن انجيتنا
من هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسئولة
وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الثاني الاقتصار في الدعاء
على ذلك فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة الدالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه
منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في ان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما غشيهم من الكربة
والفاء للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون في الارض اي فاجئوا الفساد فيها وسارعوا اليه متمادين
في ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من الخضوع والبغي من قولهم بغى الجرح اذا ترامى في الفساد وزيادة في الارض
للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى بغير الحق
تاكيد لما يفيده البغي او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في
قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما قيل انه احتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم
واحراق زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشيء وابطال المنفعة
دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين يا ايها الناس توجيه الخطاب اليهم لتاكيد التشديد في
التهديد والمبالغة في الوعيد انما بغيكم الذي تتعاطونه وهو مبتدأ وقوله تعالى على انفسكم خبره اي عليكم
في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان ظننتم ذلك وقوله تعالى متاع الحياة الدنيا بيان لكون ما فيه من
المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق
الاستئناف اي تتمتعون متاع الحياة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع الحال اي متمتعين بالحياة الدنيا ولعل
هو الاستمرار الذي في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام

صلته وانت خبير بانه ليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم بحال تمتعهم بالحياة الدنيا معنى يعتد به وفي انه
ان النظر في ان مدار نحو مقدم الحال اي تتمتعون متاع الحياة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على انه مفعول الفعل
دل عليه المصدر اي تبغون متاع الحياة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغي بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا
بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان الاستئناف في بيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي المفسر بالافساد
المفرط اللائق بحالهم فاي مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب فجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة
التنزيل عنه وقيل انه مفعول له للمصدر وعلى انفسكم ظرف متعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف
لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم لمتاع الحياة الدنيا محذور او ظاهر الفساد او نحو ذلك وفيه
ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة اي انما بغيكم على ابناء
جنسكم لاجل متاع الحياة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه في الجملة لكن الحق الذي يقتضيه جزالة
التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف صلة للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتدأ محذوف
اي هو متاع الحياة كما في قوله تعالى الا ساعة من نهار بلاغ اي هذا بلاغ والمراد بانفسهم على الوجه الاول
ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا للشفقة عليهم وحثا على ترك ايثار التمتع المذكور على حقوقهم
ولا مجال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس ثابتا عندهم حتى يمكن الاخبار به عقيب ما حكي عنهم ولم
يقل بما بغيه حتى يجعل زينة الكلام ويجعل كون متاعا مقصود الافادة على ما عرفت لتكونه وبالا عليهم فادح
في كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادئ زينة الافادة هم الشاهدون التشوق واما كون البغي على ابناء الجنس
مما يلحق الشوق عندهم ومتضمن لمبادئ التمتع من اخذ المال والاستيلاء على الناس وغير ذلك واما على
الوجهين الاخيرين فلانه موجب العدول عن الحقيقة فان المبتدأ اما نفس البغي او الضمير العائد اليه من حيث
هو هو لا من حيث كونه وبالا عليهم كما في صورة كون الظرف صلة للمصدر بعد تدبر وقرئ متاع الحياة الدنيا اما
نصب متاعا فعلى ما مر واما نصب الحياة فعلى انه بدل من متاعا بدل الاشتمال وقيل على انه مفعول به لمتاعا اذا
لم يكن انتصابه على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن
ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي
والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم ولا يحيق المكر السيء الا باهله ومن نكث فانما ينكث على نفسه وعنه صلى
الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما
الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي
ثم الينا مرجعكم عطف على ما مر من الجملة المقدرة كانه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ثم ترجعون الينا وانما غير
النسق الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر فننبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار
من البغي فهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة
انيقة وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي
بها يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة
وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي في هذه النشأة وان ظهر بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها
الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفي من الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث
لا يحتسبون وانما يظهر لهم ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه
على ذلك من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه وتعالى اعلم انما مثل الحياة الدنيا كلام مستأنف
سيق لبيان شأن الحياة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبهت حالها العجيبة الشأن البديعة

للشأن المنتظم لمفرداتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها وانصرامها واغترار الناس بها بحال ما على
الارض من انواع النبات في زوال رونقها ونضارتها فجاءة وذهابها حطاما لم يبق لها اثر بعد ما كانت غضة
طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من
الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله عز وجل كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب مما يأكل الناس والانعام من البقول والزروع والحشيش حتى
اذا اخذت الارض زخرفها جعلت الارض في تزينها بما عليها من اصناف النبات واشكالها والوانها ٢٠
المختلفة المونقة متخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت
بها وازينت اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وقرئ وازينت كاغيلت من غير اعلال والمعنى
صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها
ورفع غلتها اتاها امرنا جواب اذا اي ضرب زرعها ما يجتاحه من الآفات والعاهات ليلا او نهارا
فجعلناها اي زرعها وما عليها حصيدا اي شبيها بما حصد من اصله كأن لم تغن كأنه
لم يغن زرعها فالمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالامس اي فيما قبيل بزمان قريب فان الامس
مثل في ذلك كما تقول كذلك اي مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات اي الآيات القرآنية
التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على احوال الحياة الدنيا اي نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون في تضاعيفها
ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالآيات ما ذكر في اثناء
التمثيل من الكائنات والفاسدات وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي ايجادا واعداما فانها آيات
وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على احوال الحياة الدنيا حالا ومآلا والله يدعو الى دار السلام ترغيب
للناس في الحياة الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحياة الدنيوية الفانية اي يدعو الناس جميعا الى دار السلامة
عن كل آفة ومكروه وهي الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضا للآفات والحوادث
تعالى وتخصيص الاضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار يسلم الله تعالى والملائكة
فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض ويهدي من يشاء هدايته الى صراط مستقيم موصل
اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير
الارادة وان من اصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا اي اعمالهم اي عملوها على الوجه اللائق
وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله
كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اي المثوبة الحسنى وزيادة اي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا
لقوله عز وجل ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر
وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم اي لا يغشاها
قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ولا
ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اي شيء منهما والجملة مستأنفة لبيان امنهم من المكاره اثر بيان
فوزهم بالمطالب او الثاني لان الاول اقتضى كلا الامرين ذكر لكمال ما ينقذهم الله تعالى برحمته وتقديم المفعول على
الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الرهق اشرف اعضائهم وللتشويق الى الفاعل فان ما حقه التقديم اذا اخر
تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمكن ولان في الفاعل ضرب تفصيل
كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين
اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان
ببعد درجتهم وسمو طبقتهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون

من المكاره

من المكاره اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال ولا امكان انتقال والذين كسبوا السيئات اي
الشرك والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير المضاف خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها اي جزاء الذين كسبوا السيئات
ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك لما مر من مراعاة ما بين الفريقين
من كمال التنافي والتباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو بسوء صنيعهم وبسبب جنايتهم على انفسهم او الموصول
معطوف على الموصول الاول كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة
عمرو وفيه دلالة على ان المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة واي ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمي وفي اسناد
الرهق الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء التحتانية
ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه او ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم كما
يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم كأنما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه
العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل
وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع
ليل بهيم فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة
كما قبلها مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم اولئك اي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة اصحاب النار
هم فيها خالدون وحيث كانت الآية الكريمة في حق الكفار بشهادة السياق والسياق لم يكن فيها تمسك
للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر من احوالهم الفظيعة وتأخيره في الذكر
مع تقدمه في الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو
روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا واحدا كما مر في سورة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية
بمضمر اي انذرهم او ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله
تعالى جميعا ومن افراد الفريق الثاني بالذكر في قوله تعالى ثم نقول للذين اشركوا اي نقول للمشركين من بينهم ولان
توبيخهم وتهديدهم على رؤوس الاشهاد افظع والاخبار بحشر الكل في تهويل اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم
بالذكر في حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان
بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة فيكون ذكر الموصول موضع الضمير لما
ذكر آنفا مكانكم نصب على انه في الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو رأي
الفارسي اي الزموا حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده مسده وشركاؤكم
عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت الشيء عن مكانه ازيله ازالة والتضعيف
للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه كصاعره وصعره وهو معطوف على نقول وايثار صيغة الماضي
للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب
من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اي فرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل
التي كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم شمول الشركاء للشياطين كما سيجيء
فخابت آمالهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم اليأس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت
معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة
وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي اي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وبين شركائهم منهم ومن عبادتهم
كما في قوله تعالى اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا والوجه هو الاول لقوله تعالى وقال شركاؤهم حالية
بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونها عند غيرهم لا عاطفة كما في التفسير الاول والاستدعاء للمحاورة والمخاطبة

الغاية تبالمباعدة وليس في ترتيب التوبيخ في هذا المعنى على الامر بل هو مكان ما في ترتيب … عليه الصلوة
والسلام … المعنى الاول من النكتة المذكورة لبيان لاجل رعايتها الى تعيين التوبيخ الحاضي فان المباعدة بعد
التجاور … واما قطع الاقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه
حاصل قبله لبيان انها الحاصل عند المجاورة لفصلها كما اشير اليه بقوله اعتذارا في تقديمه من التنبيه لاسيما
مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تأخر مراتب من المجاورة فمراعاة تلك النكتة كافية في اسناد ما تقديمه
عليها ويجوز ان تكون حالية على هذا التقدير ايضا وقال شركاؤهم قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن
عبدوه من اولي العلم ففيه تأييد لجنوح الضمير الى الكل دونهم ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبرئهم من
عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الآمرة لهم بالاشراك دون
… لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الاية وقيل الاصنام ينطقها الله الذي انطق كل شيء فتشافههم بذلك
مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم
لغافلين اي عن عبادتكم لنا … والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء
والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان
ارتضاءهم باشراكهم مما لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة هنالك اي في
ذلك المقام الدهش او في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان تبلو اي تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة
كانت او كافرة سعيدة او شقية ما اسلفت من العمل فتعاين نفعه … من نفع او ضر وخير او
شر وما عملت من حالها من حين الموت والابتداء بالعذاب في البرزخ فاما مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة
ونصب كل وابدال ما اسلفت … تعامل معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة …
من العمل ويجوز ان يراد نصيب البلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما
منصوبة بنزع الخافض وقرئ تتلو اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار
او تقرأ في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر وردوا الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا
وما عطف عليه وقوله عز وجل هنالك تبلو الخ اعتراض في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها الى الله اي
جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق اي المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ
الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع اي ظهر ضياعه وضلاله
لا انه كان قبل ذلك غير ضال او ضل في اعتقادهم ايضا ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا
يدعون انها آلهة هذا وجعل الضمير في ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلو وان
العدول الى الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله سبحانه يكون على
طريقة الاجتماع لا يلائمه التعرض لوصف الحقية في قوله تعالى مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردودين حسبما
اشير اليه وان امكن التوجيه بان التعرض لبعضهم او حمل الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب وكذا قوله عز وجل وضل عنهم
ما كانوا يفترون مع الاجمال فيه التدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين يلزم التفكيك حتما …
نفس قبل النفوس المشركة مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام والله سبحانه اعلم قل اي لاولئك المشركين الذين
حكيت احوالهم وبين ما يؤدي اليه باطلهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك من يرزقكم
من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة
عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ام منقطعة
وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه
الى استفهام آخر تنبيها على كفايته فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة

اومن

او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء يصيبهما ومن يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي اي ومن يحيي ويميت او ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر اي ومن
يلي تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر فسيقولون الله بلا
تلعثم ولا تأخير اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه … الاخيرة
فقل عند ذلك تبكيتا لهم افلا تتقون الهمزة لانكار عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما في قولك اتضرب اباك لا بمعنى
انكار الوقوع … والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي اتعلمون ذلك فلا
تتقون انفسكم عذابه الذي ذكر لكم بما تتعاطونه من اشراككم اياه ما لا يشارك في شيء مما ذكر من خواص
الالهية فذلكم … الذي اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله
تعالى الله خبره وقوله تعالى ربكم … اي مالككم ومتولي اموركم على الاطلاق … وقوله
تعالى الحق صفة … المتحقق الوهيته … فماذا بعد الحق يجوز ان
يكون الكل اسما واحدا … الاشارة …
بمعنى الذي … الاول …
حال للمقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع ونفيه اي ليس غير الحق الا
الضلال الذي لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادته تعالى … بما ذكر من النعوت الجليلة حتى ظهر ان ما
عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال
الجوارح لابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد
واما على تقدير كونه عبارة عنه تعالى فالمعنى فماذا بعد الرب
الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اي الباطل الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر مبالغة كأنه نفس الضلال
والضياع وهذا انسب بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثاني فانى تصرفون استفهام
انكاري بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس
الفعل لان كل موجود لا بد من ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى
وجوده على الطريق البرهاني كما مر مرارا والفاء لترتيب الانكار على ما قبلها اي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد
عنه الى الضلال عن التوحيد المستتبع وهو الاشراك وعبادة الاصنام او عن عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته
الى عبادة الباطل الذي سمعتم ضلاله وضياعه في الآخرة وفي اسناد صيغة المبني للمفعول ايذان بان
الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عنده … من جهة صارف
خارجي كذلك اي كما حقت الربوبية لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق
حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين فسقوا اي تمردوا في الكفر وخرجوا عن اقصى حدوده
انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم احتجاج
آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الالهية ببيان
اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله
في اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت الاعادة لسطوع البرهان عليها … وسنوح
برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلكه حيث قيل من يبدأ الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما
وجودا وعلما … ان تسليم الابتداء يستلزم الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده اي
هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان ينوب عنهم في الجواب … كما قيل لان المقول لهم …

على ما اريتهم من الجواب لما كان مستلزما له اذ ليس المنفي عنه من بدء الخلق ثم يعيده كما في قوله
تعالى قل من رب السموات والارض قل الله حتى يكون القول الملقن بعين الجواب الذي اريد منهم ويكون عليه
الصلاة والسلام نائبا عنهم في ذلك بل انما هو وجه من تفصيل البدء والاعادة من شركائهم فالجواب المطلوب
منهم لا غير لهم امره صلى الله عليه وسلم بان يبهتهم بمقالته اذ أبوا تبعيته وتخفيه اشعارا بانهم
لا يجترؤن على التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر مكابرة ولجاجا فذكر والاعادة مع الجملة بتمامها
غير محذوف الخبر كما في الجواب السابق لمزيد التأكيد والتحقيق **فأنى تؤفكون** الافك الصرف والقلب
عن الشيء وقد يختص بالقلب عن الرأي وهو الانسب بالمقام اي كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر
في تصرفون **قل هل من شركائكم** احتجاج آخر على ما ذكر يجيء به الزاما لهم غب الزام والقاما اثر القام
وفصل عما قبل لما ذكر من الدلالة على استقلاله **من يهدي الى الحق** اي بوجه من الوجوه فان ادنى
مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم واما تعيين طرق الهداية وتخصيصه
بالحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فخارج عما يقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام فان الحجر
عن الهداية بنوع خاص لا يستلزم الحجر عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء
يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها متوجهة نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك يستعمل
ما اسند الى الله تعالى حيث قيل **قل الله يهدي للحق** اي هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب
الدلائل والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام
في الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر **افمن يهدي الى الحق** وهو الله عز وجل **احق ان يتبع امن لا يهدي**
بكسر الهاء واصله يهتدي فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها لحركة
الهاء وقرئ بفتح الهاء بنقل حركة التاء اليها اي يهتدي بنفسه فضلا عن هداية غيره وهذه من
المبالغة ما لا يخفى وانما نفي عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان فيها مستتبع لنفيه
غالبا فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه
من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى صريحا وعدم هداية شركائهم
المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبي عن الجواب كما يقع في بعض المواقع فان ذلك مختص بالانكاري كما في قوله
تعالى افغير الله ابتغي حكما ونحوه والهمزة متاخرة في الاعتبار وانما تقديمها في الذكر لاظهار عراقتها
في اقتضاء الصدارة كما هو رأي الجمهور حتى لو كان السؤال لكل من الاخر متحققا الامر الى قوله فاي
الفريقين احق بالامن او تقدير ما يجب التركيب المنطوي من خلافه وكان بتول النبي صلى الله عليه وسلم
وقرئ لا يهدي بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازما او لا يهدي غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها
والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي ام من لا
يهدي الى الحق وانما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان ايا ما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع في حيز النصب
او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اي بان يتبع **الا ان يهدى** استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اي لا يهتدي ولا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير
وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم الصلاة والسلام وقيل المعني ام من لا يهتدي
من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا
فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة **فما لكم** اي اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه
وتعالى والاستفهام للانكار والتشنيع ومعنى والفاء لترتيب كل من الانكار على ما ظهر من وجوب اتباع
الهادي الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر فيحقق بعلم جوابه الصحيح بحكمها حقيقية

من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه
وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت
حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق
الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون **وما يتبع
اكثرهم** كلام مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما افحمهم
والقمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم بطلان حكمهم وعدم تاثرهم في
معتقدهم ومحاورتهم **الا ظنا** واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا ان يسلكوا مسالك
الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا
على صحتها وبطلان ما يخالفها من الاحكام الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد
الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم في اثنائه اتباع لفرد
من افراد العلم والالتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم
فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم التبكيت
من البرهان المذكور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واشنع عذابا من الفريق الاول لا يقدح في فحوى الكلام
نحو فان ركونا والتبكيت لسوء حال الاكثر بما يرادفه لعقيدة سوء الحال من حيث الشكلهم والادراك لا من حيث الكفر
والعذاب او وما يتبع اكثرهم في معتقدهم الا ظنا لا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار
النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع حينئذ هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه
تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع
الحق والتوبة كما سيأتي هذا وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير مستند الى برهان
عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتأمل وقيل
الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكلف **ان الظن لا يغني من الحق** اي من العلم اليقيني والاعتقاد
الصحيح المطابق للواقع **شيئا** من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استئناف
لبيان شان الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد **ان الله
عليم بما يفعلون** وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين
القاطعة واتباع الظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد
وما كان هذا القرآن شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان ردهم للادلة العقلية المندرجة
في تضاعيفه اي وما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها
هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك **ان يفترى من دون الله** اي افتراء من
الخلق اي مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة **ولكن تصديق الذي بين يديه** من الكتب الالهية المشهود على
صدقها اي تصديقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر لكان
مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تعالى تصديق الخ وقرئ بالرفع على تقدير
المبتدأ اي ولكن هو تصديق الخ **وتفصيل الكتاب** عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت
من الحقائق والشرائع **لا ريب فيه** خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب
وان كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استئناف لا محل له من الاعراب **من رب العالمين** خبر اخر
اي كائنا من رب العالمين ومتعلق بتصديق او بتفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك
زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الاية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن

بيان ما يجب اتباعه أم يقولون افتراه أي بل أيقولون افتراه محمد صلى الله عليه وسلم والهمزة لإنكار
الواقع واستبعاده قل تبكيتا لهم وإظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة إن كان الأمر كما تقولون
فأتوا بسورة مثله أي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فإنكم مثلي في العربية
والفصاحة وأشد تمرنا مني في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الإضافة أي بسورة كتاب مثله
وادعوا للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون أنها ممدكم في
المهمات والملمات ومدارهكم الذين تلجأون إليهم في كل ما تأتون وما تذرون من دون الله متعلق
بادعوا ودون جار مجرى أداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شركاءكم من دون الله
أي ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فإنه لا يقدر عليه أحد وإخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنبيه على
براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضارة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فإن ذلك
مما يوهم أنهم لو دعوه تعالى لأجابهم إليه إن كنتم صادقين أي في أني افتريته فإن ذلك مستلزم لإمكان
الإتيان بمثله وهو أيضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه بل كذبوا بما
لم يحيطوا بعلمه إضراب وانتقال عن إظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي إلى إظهاره ببيان
أنه كلام ناشئ عن عدم تدبرهم لشأنه الجليل فما عبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف
دينهم كما قيل فإنه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله أي سارعوا إلى التكذيب به أول ما سمعوه قبل أن
يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف آنفا ويعلموا أنه ليس مما يمكن أن
يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون أن يقال بل كذبوا به من غير أن يعلموا
به أو نحو ذلك للإيذان بكمال جهلهم به وأنهم لم يعلموه إلا بعنوان عدم العلم به وبأن تكذيبهم به إنما هو بسبب
عدم علمهم به لما أن تعليق الحكم بالموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له ولما يأتهم تأويله عطف
على الصلة أو حال من الموصول أي ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ أذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو
شأنه والتعبير عن ذلك بإتيان التأويل للإشعار بأن تأويله متوجه إلى الأذهان منساق إليها بنفسه
ولما يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب حتى يتبين أنه صدق أم كذب والمعنى أن القرآن معجز من جهة
النظم والمعنى ومن جهة الإخبار بالغيب وهم قد فاجأوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه
أو ينتظروا وقوع ما أخبر به من الأمور المستقبلة ونفي إتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الإحاطة
بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع فإن الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع إتيانه أفحش
منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى أنه كان يجب عليهم أن يتوقفوا إلى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا
وأما أن المتوقع قد وقع بعد وأنهم قد استمروا عند ذلك أيضا على ما هم عليه أولا فلا تعرض له ههنا
والاستشهاد عليه بعدم انقطاع التحدي واحتمال أن قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر يأباه عدم التدبر
لتدبر كيف لا وهو لم يقولوه بعد التحدي بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدي الوارد في سورة البقرة بعيد
أنها مدنية وهذه مكية وأما الذي يدل عليه ما سيأتي عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم
إلى الجحود والمجازفة من غير تدبر وتأمل كذلك كذب الذين من قبلهم أي فعلوا التكذيب أو كذبوا رسلهم بما آتوهم من
من المعجزات التي ظهرت على أيدي أنبيائهم وكذبوا أنبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من
قبلهم من المكذبين وإنما وضع الظاهر موضع المضمر للإيذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لإصابة ما أصابهم
من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في زمرتهم دخولا أوليا وقوله عز وجل ومنهم
إلى آخره وصف لحالهم بعد إتيان التأويل المتوقع إذ حينئذ يمكن تنويعهم إلى من يؤمن به وغيره لا قبله ضرورة
امتناع الإيمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكفر به حسبما قبل ذلك حسبما أفاده قوله

تعالى بل

تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ومنهم من يؤمن به عند الإحاطة بعلمه وإتيان تأويله وظهور حقيته
بعدما سعوا في المعارضة وبذلوا قواهم فيها فافتضحوا لتحديهم أو بعدها بما شاهدوا وقوع ما أخبر
به مرارا ومعنى الإيمان به إما الاعتقاد بحقيته فقط أو التصديق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه
يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين أشير بقصر اتباع الظن على أكثرهم إلى أنهم يعلمون الحق على التفسير الثاني
إلى أنهم سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به أي لا يصدق في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط
غباوته المانعة عن الإحاطة بعلمه كما ينبغي وإن كان فوق مرتبة الإحاطة به أو لسخافة عقله
واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والأوهام التي ألفها فيبقى على ما كان عليه
من الشك وهذا القدر من الإحاطة وإتيان التأويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الإحاطة بالمرة
وهؤلاء هم الذين أريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع أكثرهم إلا ظنا على التقييد الأول أو لا يؤمن
فيما سيأتي بل يموت على كفره معاندا كان أو شاكا وهم المتمردون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير
إذعان للحق وانقياد له وربك أعلم بالمفسدين أي بكلا الفريقين على الوجه الأول لا بالمعاندين
فقط كما قيل لاشتراكهما في الوعيد أو بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين
وإن كذبوك أي إن بقوا على تكذيبك وأصروا عليه حسبما أخبر عنهم بعد إلزام الحجة بالتحدي فقل لي عملي
ولكم عملكم أي تبرأ منهم فقد أعذرت كقوله تعالى فإن عصوك فقل إني بريء والمعنى لي جزاء عملي
ولكم جزاء عملكم حقا كان أو باطلا وتوحيد العمل المضاف إليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال
المقابلة أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون تأكيد لما أفاده لام الاختصاص من عدم تعدي
جزاء العمل إلى غير عامله أي لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم ولما فيه من إيهام الإعراض عنهم وعدم التعرض
لهم قيل إنه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون إليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل
لهم إلى الإيمان وإنما جمع الضمير الراجع إلى الكلمة من رعاية جانب المعنى كما أفرد فيما سيأتي محافظة على ظاهر اللفظ
ولعل ذلك لما أن الاستماع الكثير للمستمعين بخلاف النظر لما يتوقف عليه النظر من المقابلة
الجانبين والظاهر أي ومنهم ناس يستمعون إليك عند قراءة القرآن وتعليم الشرائع أفأنت تسمع الصم
همزة الاستفهام للإنكار والفاء عاطفة ... الترتيب لأن الإسماع على الاستماع كما هو اللائق به
والجمهور على أنه محل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل الإنكار ترتيب ما عليه
حسبما هو المتبادر لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور ولا ذاك لرجوع الإنكار إلى ... أصل
وأيا ما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيز الإنكار ... ولا ريب في
فساده بل بطريق العطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام كأنه قيل أيستمعون إليك فأنت تسمعهم لا إنكار
الاستماع فإنه أمر محقق بل إنكار لوقوع الإسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا
لإمكانه أيضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون
أي ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس إذا وصل إلى صماخه صوت وأما
إذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الأمر ومنهم من ينظر إليك ويعاين دلائل
نبوتك الواضحة أفأنت أي أعقيب ذلك أنت تهديهم وإنما قيل تهدي العمي تربية لإنكار
هدايتهم وإبرازا لوقوعها في معرض الاستحالة وقد أكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون
أي ولو انضم إلى العدم البصر عدم البصيرة فإن المقصود من الإبصار الاعتبار والاستبصار والعمدة
في ذلك هي البصيرة ولذلك يحدث الأعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الأحمق وحيث اجتمع
فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة ما قبله عليه كما

تسمع الصم او تهدي العمي عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها في المعنى كلتاهما
في موضع الحال من مفعول الفعل السابق اي افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون افانت تهدي العمي لو كانوا
يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا
لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوي فلأن
يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وان الوصليتين
من التاكيد وقد مر تحقيق الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره مرارا ان الله لا يظلم الناس
اشارة الى ان ما حكي عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر
مستند اليه تعالى من خلقهم مؤفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اي لا ينقصهم شيئا
مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولية والاخروية من مبادي ادراكاتهم واسباب
علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفرهم
ذلك من غير اخلال بشئ اصلا ولكن الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر
موضع المضمر لزيادة تعيين وتقرير اي لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم
عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون اي ينقصون ما ينقصون مما يخل
به من مبادي كمالاتهم ومبادي اهتدائهم فانما المراد كما ان موجب الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم
لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع انه تفويت بالكلية وابطال بالمرة
لمراعاة جانب قرينته وتقديم انفسهم لمجرد التاكيد للثاني فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله
تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول يظلمون فحسبما
وقع في سائر المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصد
المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله سبحانه وتعالى وما ظلمنا
ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على راي من يراه موجبا له فلعل
ايثار قصرها دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لان الاخير
لا يتبين عند اتحاد الفاعل والمفعول واشتهارها اتحادا يعتني العقل وتنفر منه الطبع قاوجيه حدا
منه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية فمعنى قصرها عليهم ان ليس كما تقتضيه ظاهر الحال
من قصر الثاني بتعليقهم ضرورة انه اذا لم يظلم احد الناس الا انفسهم يلزم ان لا يظلمهم الا انفسهم
اذ لو ظلمهم غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احد الا نفسه فالنفي بالقصر
الاول على الثاني مع رعاية ما كان في الفائدة وصيغة المضارع للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف
النفي اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا يرى انك قلت ما زيدا
ضربت يدل على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص ومساق الاية الكريمة لالزام الحجة ويجوز
ان يكون للوعيد فالمضارع للنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم
يوم القيامة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون اي مستمرين على ظلمها فان مباشرتهم السيئات الموجبة
للتعذيب ظلم منهم لانفسهم على الوجهين فالاية الكريمة تذييل لما سبق ويوم يحشرهم
منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اي اذكر لهم او انذرهم يوم نحشرهم كان لم يلبثوا
اي كانهم لم يلبثوا الا ساعة من نهار اي شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها
بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اي يحشرهم
مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك القدر اليسير

فان من

فان من قام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض آثار نعمة وانعكاس بهجة منافية لما بهم من
رثاثة الهيئة وسوء الحال ومن لم يلبث في البرزخ الا ذلك القدر يخف آثار التقطيب بالكمال يسير
الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم
ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون ونحو ذلك وبيان تمام الموافقة بين النشاتين في الاشكال
والصور فان قلت اللبث في البرزخ ربما يوهم عدم التبدل والتغير فيكون قوله عز وجل يتعارفون
بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا على الاول ليكون استئنافا اي يعرف
بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور حينئذ على ما كانوا عليه
من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة
للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه
وتعالى على خسرانهم والتعجيب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول
مع كون المقام مقام اضمارهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بالخسران
الوضيعة والمعنى ضيعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلال بالهدى
ومعنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها واركانها
سوء اللقاء فالخسران والضلال اي فضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة
واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون اي ان نبصرنك
بان نظهر لك بعض الذي نعدهم اي من العذاب وتعجيله في حياتك فتراه العدول الى صيغة
الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار او لقصد هو وعد متجدد حسبما
تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه
يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالشرط محذوف اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم فالينا
مرجعهم في الدنيا والاخرة فنفعل ما وعدناهم البتة وقيل المذكور جواب الشرط الثاني كانه قيل
فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اي فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون
من الافعال السيئة التي حكيت عنهم فالمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى
اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة
وتاكيد للتهديد وقرئ ثم بالفتح اي هنالك ولكل امة من الامم الخالية رسول يبعث اليهم
بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم فبلغهم ما ارسل به فكذبوه
وخالفوه قضي بينهم اي بين كل امة ورسولها بالقسط اي بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين
واهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون في ذلك القضاء المستوجب
لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء
رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون
متى هذا الوعد استعجالا لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء او الانكار حسبما يرشد اليه
الجواب لا طلبا للتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي باتيانه
يأتينا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة للوعيد
وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدم حسبما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا بعجلة ان كنتم صادقين وفيه من الاشعار
بكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اي لا اقدر على شيء منهما

بوجهٍ من الوجوه وتقديم الضر لما أن مساق النظم لإظهار العجز عنه وأما ذكر النفع فلتعميم الدائرة
تكملةً للعجز وما وقع في سورة الأعراف من تقديم النفع للإشعار بأهميته والمقام مقامه والمعنى أني
لا أملك شيئاً من شؤوني ردّاً أو إيراداً مع أن ذلك أقرب حصولاً فكيف أملك شؤونكم حتى أتسبب في
إتيان عذابكم الموعود **إلا ما شاء الله** استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال
على معنى إلا ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى إلا ما شاء الله أن أملكه يأباه مقام التبري
من أن يكون له عليه الصلاة والسلام دخل في إتيان الموعود وإن ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما
لا يشاء الله أن يملكه عليه الصلاة والسلام وحمل ما على عبارة عن بعض الأحوال المعهودة المنوطة بالأفعال
الاختيارية المفوضة إلى العباد على أن يكون المعنى لا أملك لنفسي شيئاً من الضر والنفع إلا ما شاء الله أن
أملكه منهما من الضر والنفع المترتبين على الأفعال الاختيارية كالضر والنفع المترتبين على الأكل
والشرب عدماً ووجوداً تعسف ظاهر **لكل أمة أجل** بيان لما أبهم في الاستثناء وتقييد لما في
القضاء السابق من الإطلاق المشعر بكون المقضي به أمراً منجزاً غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب
الأمة أي لكل أمة من الأمم التي قضي بينهم وبين رسولهم أجل معين خاص بهم لا يتعدى إلى أمة أخرى مضروب
لعذابهم يحل بهم عند حلوله **إذا جاء أجلهم** إن جعل الأجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى
مجيئه ظاهر وإن أريد به ما امتد إليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه إذ هناك يتحقق مجيئه
بتمامه والضمير إما للأمم المدلول عليها بكل أمة فإظهار الأجل مضافاً إليه لإفادة المعنى المقصود
الذي هو بلوغ كل أمة لأجلها الخاص بها ومجيئه إياها بواسطة اكتساب الأجل
بالإضافة عموماً يفيده معنى الجمع كأنه قيل إذا جاءهم آجالهم بأن يجيء كل واحدة من تلك الأمم
أجلها الخاص بها وإما لكل أمة خاصة كما هو الظاهر فالإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإضافة
إلى الضمير لإفادة كمال التعيين أي إذا جاءها أجلها الخاص بها **فلا يستأخرون** عن ذلك الأجل
ساعة أي شيئاً قليلاً من الزمان فإنها مثل في غاية القلة منه أي لا يتأخرون عنه أصلاً
وصيغة الاستفعال للإشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له **ولا يستقدمون** أي لا يتقدمون عليه وهو عطف
على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع إمكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في
سلك المستحيل عقلاً كما في قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم
الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فإن من مات كافراً مع ظهور أن لا توبة له رأساً قد نظم
في عدم قبول التوبة في سلك من سوّفها إلى حضور الموت إيذاناً بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها
بالمرة كما في سورة الأعراف وقيل المراد بمجيء الأجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب
لهلاكهم ساعة معينة منه ولكن ليس في تقييد عدم الاستئخار به مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء
الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام لأن المقصود الأهم بيان عدم خلاصهم من العقاب بخلو ساعة
وذلك بالتأخر وأما ما في قوله تعالى ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون من تقديم السبق في الذكر
فلما أن المراد هناك بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم
يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون فالأهم إذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك **قل أرأيتم**
تبكيت لهم بعد جريان سنة الله تعالى فيما بين الأمم على الإطلاق وتنبيههم على أن عذابهم أمر مقرر محتوم
لا يتوقف إلا على مجيء أجله المعلوم إيذاناً بكمال دنوه وتنزيلاً له منزلة إتيانه حقيقة **أرأيتم** أي أخبروني
إن أتاكم عذابه الذي تستعجلون به **بياتاً** أي وقت بيات واشتغال بالنوم **أو نهاراً** أي عند اشتغالكم
بمشاغلكم حسبما عين لكم من الأجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين لسائر الأمم المهلكة وقوله عز

وجل ماذا

وجل **ماذا يستعجل منه المجرمون** جواب الشرط بحذف الفاء كما في قولك إن أتيتك ماذا تطعمني والمجرمون موضوع
موضع الضمير لتأكيد الإنكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فإن حق المجرم أن يهلك فزعاً من إتيان العذاب فضلاً
عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بأرأيتم والمعنى أخبروني إن أتاكم عذابه تعالى أي شيء تستعجلون منه
تعالى لأن الشيء لا يمكن استعجاله بعد إتيانه والمراد به المبالغة في إنكار استعجاله بإخراجه عن حيز الإمكان
وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد إتيانه بناءً على تنزيل تقرر إتيانه ودنوه منزلة إتيانه حقيقة
كما أشير إليه وهذا الإنكار بمنزلة النهي في قوله عز وجل أتى أمر الله فلا تستعجلوه خلا أن التنزيل هناك صريح
وههنا ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه أتطلب مني حقك فإذا أنا طلبت منك تريد
المبالغة في إنكار التقاضي بنظمه في سلك التقاضي بعد القضاء بناءً على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله
عز وجل **أثم إذا ما وقع آمنتم به** إنكار لإيمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله
من إنكار استعجالهم به بعد إتيانه حكماً تحت القول المأمور به أي أبعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم
حين لا ينفعكم الإيمان إنكاراً للتأخير إلى هذا الحد وإيذاناً باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه
من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت وتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق بأرأيتم
وجواب الشرط محذوف أي تندموا على الاستعجال أو تعرفوا خطأه والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار وقيل
الجواب قوله تعالى أثم إذا ما وقع آمنتم به والاستفهامية الأولى اعتراض والمعنى أخبروني إن أتاكم عذابه آمنتم به
بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان توجيه بكلمة التراخي لا لتبعيد استبعاده ثم زيد أداة الشرط دلالة على
استقلاله بالاستبعاد وعلى أن الأول كالتمهيد له وجيء بإذا ما تأكيداً وترشيحاً لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل
وأنهم لم يؤمنوا إلا بعد أن لم ينفعهم الإيمان البتة **آلآن** استئناف من جهته تعالى غير داخل
تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على إرادة القول أي قيل لهم عند إيمانهم بعد وقوع العذاب
آلآن آمنتم به إنكاراً للتأخير وتوبيخاً عليه ببيان أنه لم يكن لأنه لم يعتد بما سبق الإنذار به ولا للتأمل والتدبر
في شأنه لا لشيء آخر مما عسى يعد عذراً في التأخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به على وجه
الاستهزاء وقرئ آلان بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقوله تعالى **وقد كنتم به تستعجلون** أي تكذيباً
واستهزاء جملة حالية من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم
الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى **ثم قيل** تأكيداً للتوبيخ والعتاب حين
العقاب والعذاب وهو عطف على ما قدر قبل آلآن **للذين ظلموا** أي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الإيمان
والتصديق أو ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة
والإشعار بعليته لما أصابهم **ذوقوا عذاب الخلد** المؤلم على الدوام **هل تجزون اليوم إلا بما**
كنتم تكسبون في الدنيا من أصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من الاستعجال **ويستنبئونك** أي يستخبرونك
فيقولون على طريقة الاستهزاء والإنكار **أحق هو** خبر قدم على المبتدأ الذي هو الضمير للاهتمام به ويؤيده
قوله تعالى إنه الحق أو مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موضع النصب بيستنبئونك وقرئ آلحق
هو تعريضاً بأنه باطل كأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي سميتموه الحق **قل** لهم غير ملتفت إلى استهزائهم
عما قصدوا وبانياً الكلام على أساس الحكمة **إي وربي** أي من حروف الإيجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما أن هل
بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك توصل بواوه **إنه** أي العذاب الموعود **لحق** ثابت البتة أكد الجواب بأتم
وجوه التأكيد حسب شدة إنكارهم وفيه من زيادة تقرير وتحقيق ما لا يخفى شأنه **وما أنتم بمعجزين** أي بفائتين
العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو إما معطوف على جواب القسم أو مستأنف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع
ما فيه من التقرير المذكور **ولو أن لكل نفس ظلمت** بالشرك أو التعدي على الغير أو غير ذلك من أصناف الظلم ولو مرة

حسبما يفيده كون الصفة ما في الأرض أي ما في الدنيا من خزائنها وأموالها ومنافعها قاطبة مما كثرت
لافتدت به أي لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه وأسروا أي النفوس المدلول عليها بكل نفس
والعدول إلى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الإفراد أيضا لإفادة تهويل الخطب بكون الإسرار
بطريق المعية والاجتماع وإنما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع
ما في الأرض لكل واحدة من النفوس وإيثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص أو
لتغليب ذكور مدلوله على إناثه الندامة على ما فعلوا من الظلم أي أخفوها ولم يظهروها
لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لأنهم بهتوا لما رأوا العذاب أي
عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الأهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على أن ينطقوا
بشيء فلما بمعنى حين منصوب بأسروا أو حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل
أسرها رؤساؤهم ممن أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الأمر أشد من أن يعتريهم هناك
شيء غير خوف العذاب وقيل أسروا الندامة أخلصوها لأن إسرارها إخلاصها أو لأن سر الشيء
خالصه حيث يخفى ويضن به ففيه تهكم بهم وقيل أظهروا الندامة من قولهم أسر الشيء وأشره
إذا أظهره حيث جل صبره وفني تجلده وقضي بينهم أي أوقع القضاء بين الظالمين من
المشركين وغيرهم من أصناف أهل الظلم بأن أظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه أو من حقوق
العباد من الباطل وعومل أهل كل منهما بما يليق به بالقسط بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل
القضاء على إجراء الحكم بين الظالمين والمظلومين من غير أن يتعرض لحال المشركين وهم أظلم الظالمين
لا يساعده المقام فإن مقتضاه إما كون الظلم عبارة عن الشرك أو عما يدخل فيه دخولا أوليا وهم
أي الظالمون لا يظلمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية ألا
إن لله ما في السموات والأرض أي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما
وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء وهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الأشياء وبيان لاندراج
الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء إيجادا وإعداما إثابة وعقابا ألا إن وعد الله إظهار الاسم
الجليل لتفخيم شأن الوعد والإشعار بعلية الحكم فهو إما بمعنى الموعود أو جميعه أو وعد بجميع ما بينا
ما كان فيندرج فيه العذاب الذي يستعجلونه وما ذكر في أثنائه بيان حاله اندراجا أوليا أو بمعناه المصدري
أي وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله تعالى حق على الأول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير
الجملتين بحرف التنبيه للتحقيق والتسجيل على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة
والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن أكثرهم لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم
والفهم بالأحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ويفعلون ما يفعلون هو يحيي ويميت في
الدنيا من غير دخل لأحد في ذلك وإليه ترجعون في الآخرة بالبعث والحشر يا أيها الناس التفات
ورجوع إلى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم إليه وتلطف بهم في تخليصهم من غوائل الضلال بما تلي عليهم من
القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وإيذان بأن جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة
هي والوعظ والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب أو بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله
من ربكم لابتداء الغاية متعلقة بجاءتكم أو تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة أي موعظة
كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى
ورحمة للمؤمنين أي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فإنه كاشف عن أحوال الأعمال حسناتها وسيئاتها
مرغب في الأولى ورادع عن الأخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الأدواء القلبية

كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد إلى طريق الحق واليقين بالإرشاد
إلى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والأنفس ورحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات
الكفر والضلال إلى نور الإيمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا إلى درجات الجنان والتنكير في الكل للتفخيم
قل تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمر الناس بأن يغتنموا ما في مجيء القرآن
العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته أما ما في مجيء القرآن من الفضل والرحمة وأما الجنس
فيفاد الاختصاص فيه دخولا أوليا والباء متعلقة بمحذوف وأصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير
الباء في رحمته للإيذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة القصر ثم
أدخل عليه الفاء لإفادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا
للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه والفاء الأولى جوابية والثانية للدلالة على
السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الإشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته
ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يتعلق الباء بجاءتكم أي جاءتكم
موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فافرحوا وعن أبي بن كعب أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام
ورحمته ما وعد عليه هو أي ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ
تجمعون أي فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون قل أرأيتم أي أخبروني ما أنزل الله
لكم من رزق ما منصوبة المحل بما قبلها أو بما بعدها والتعبير بالإنزال للدلالة على أن المراد بالرزق ما حل لهم وجعل
منه لأنه مقدر في السماء محصل هو وما يتوقف عليه وجوده أو بقاؤه بأسباب سماوية من المطر والكواكب في
الإنضاج والتلوين فجعلتم منه أي جعلتم بعضه حراما أي حكمتم بأنه حرام وحلالا أي فجعلتم
بعضه حلالا أي حكمتم بحله مع كون كل حلالا لا وذلك قولهم هذه أنعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في بطون
هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور أثر الجهل فيه ودوران
التوبيخ عليه قل تكرير لتأكيد الأمر بالاستخبار أي أخبروني آلله أذن لكم في ذلك الجعل وأنتم فيه
ممتثلون بأمره تعالى أم على الله تفترون أم متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق
الأخير قطعا كأنه قيل أم لم يأذن لكم بل تفترون وتعليق سبحانه لما ظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة
على كمال قبح افترائهم وتأكيد التبكيت إثر تأكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز أن يكون الاستفهام للإنكار وأم
منقطعة ومعنى بل فيها الإضراب في الانتقال من التوبيخ والزجر بإنكار الإذن إلى ما يفيده همزتها من التوبيخ
على الافتراء على الله سبحانه وتقرير وتقديم الجار والمجرور على هذا لعون أن يكون للقصر كأنه قيل بل أعلى الله
خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما
سيلقونه غير داخل تحت القول المأمور به والتعبير عنهم بالموصول في موقع الإضمار لقطع احتمال الشق الأول
من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع أن الافتراء لا يكون إلا كذبا لإظهار كمال قبح ما افتعلوا
وكونه كذبا في اعتقادهم أيضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله
عز وجل يوم القيامة ظرف لنفس الظن أي أي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الأفعال والأقوال والمجازاة
عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما
يتعلق به ظنهم الآن من الأمور التي ستقع يوم القيامة تنزيلا له لما فيه من الأحوال لكمال وضوح أمره
في التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم أي أي شيء ظنهم بما سيقع يوم القيامة أيحسبون أنهم لا يسألون عن
افترائهم أو لا يجازون عليه أو يجازون جزاء يسيرا ولأجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا إنهم لفي أشد

العذاب لان معصيتهم اشد المعاصي [illegible] ان الله لذو فضل
عظيم لا يكتنه كنهه على الناس اي جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن
والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وارشدهم
الى ما يهمهم من امور المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم
الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد فصل عليهم
بيان ما سيلقونه يوم القيمة فلا يلتفتون اليه فيقعون فيما يقعون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما
تكون في شان اي في امر من شانت شانه اي قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول وما تتلو منه الضمير
للشان والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشان اذ هي معظم شئونه عليه الصلوة والسلام
او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على
الثاني والثالث من قرآن ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمن يقتضي الكل وقد روعي في كل من المقامين
ما يليق به حيث ذكر في الاول من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وفي الثاني ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا
استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اي ما تلبسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال
كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذ تفيضون فيه اي تخوضون وتندفعون فيه واصل
الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي
ايضا اوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي وما يعزب عن
ربك اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف الخفي وقرئ بكسر
الزاي من مثقال ذرة كلمة من مزيدة لتأكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء
في الارض ولا في السماء اي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما مما ليس في احدهما
او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى
بتفاصيلها وقوله تعالى ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله
ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال
ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الكل وجعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب
عن ربك شيء ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا
ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شيء الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح
المحفوظ الا ان اولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة للاعمال المذكورة وغاية
لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه الصلوة والسلام وامته في كل ما يأتون وما يذرون واحاطة
علمه سبحانه وتعالى بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة
حال المفترين على الله سبحانه يوم القيمة وما سيلقونه من الاهوال اشارة اجمالية ثم على طريقة التهديد
والوعيد وصدرت الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق زيادة لتقرير مضمونها والولي لغة القريب والمراد
باولياء الله تعالى خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم لا خوف
عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم
لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور
كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة
حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه
كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار

والدوام

والنعم بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لانه لا مقصد لهم سوى طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع
للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة الى الله تعالى واما ما عدا
ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم
وجودا او عدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل الذين آمنوا اي بكل
ما جاء من عند الله تعالى وكانوا يتقون اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك
وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان لتفسيرهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا
على طريقة الاستيناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك
وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن
كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط
الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها
الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل
اليه بالكلية وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل
الشهود والحضور والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال كل من دخل معه عليه الصلوة
والسلام تحت الخطاب بقوله عز وجل ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا على ان لهم في شان التبتل والتنزه
درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الالهية
اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوة والسلام حتى جمعوا بذلك رياستي النبوة والولاية ولم
يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق
عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية ومما قيل من انهم الذين
تولى الله هداهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه وكذا ما قيل من
انهم الذين يذكر الله برؤيتهم لما روي عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء
الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم وكذا ما قيل من انهم المتحابون في الله
لما روي عن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء
ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانتهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا ما هم وما اعمالهم
فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى
منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فاما ما ذكر من حسن السمت والسكينة والتذكرة
فمن الحلى الفائضة في الله سبحانه من الاحكام الدينية الخادمة للتبتل والتقوى والآثار الخاصة بها الحقيقية
بالتخصيص بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس ولورود رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما
يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين او لغيرهم من الحاضرين فيما خص بالذكر هنا ان من احكامهما
فلعل الحاضرين اوانئذ كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الالفة والاتفاق والتدبر وغير ذلك والحاضرين باسباب
متفرقين الى تاليف قلوبهم وعطفها على المؤمنين الذين لا علاقة بينهم من جهة النسب والقرابة وتاكيد ما بينهم
من الاخوة الدينية ببيان عظم شانها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليحافظوا على حقوقها ويهجروا لاجلها اقاربهم
في الدين من ذوي ارحامهم واما ما ذكر من انهم يغبطهم الانبياء فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل
قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم
بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تعالى ولا ريب في ان اعتبار القيد الآخر
في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها والبشارة بآثارها

بل يخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجود سببه والقيد المذكور
ليس عقد ودهم حتى يحصل الولاية بتحصيله ولا بما علموا عند حصوله حتى يعرفوا الحال والولاية
ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التوتي بالكرامة عين نتيجة الولاية فلا عتبار في عنوان الوضوح ثم الاخبار
بعدم الخوف والحزن ثم الايتاء بالبشارة للتأويل الجليل فالذي يقتضيه نظم الكريم ان الاول تفسير للاولياء
حسبما شرح والثاني بيان لما اولاهم من الولاية فضلا وكرامة من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم
من شرورهما ومكارههما والجملة مستأنفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما لهم
في الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال
المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان
السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاولياء مع
الايذان بان انتفاء الخوف والحزن لانتفاء ما يؤدي اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات
العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة ونحو ذلك والآجلة الغنية عن البيان وايثار الابهام والاجمال للايذان
بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال من البشرى والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي لهم
البشرى حال كونها في الحيوة الدنيا وحال كونها في الآخرة اي آجلة ومعاجلة او حال من الضمير المجرور اي حال كونهم في
الحيوة الدنيا والآخرة ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل والمحبة من الناس قال عليه الصلوة والسلام
تلك عاجل بشرى المؤمن وقد قيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا فهي البشارة
الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة
يراها المؤمن او ترى له وعنه عليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم
البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما
يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات فتكون
هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف
البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جزالة شأن التنزيل الكريم **لا تبديل**
لكلمات الله لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة ببشارة المؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات
الواردة هاهنا دخولا اوليا ويثبت بذلك امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد
بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية
والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سيأتي بطريق الوعد من قوله تعالى
لهم البشرى فتدبر **ذلك** اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين **هو الفوز العظيم** الذي لا فوز
وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتان الجملة والتي قبلها اعتراض بتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه
وليس من شرط الاعتراض ان يكون بعده كلام متصل بما قبله وقيل تذييل والاستئناف اعتراض **ولا يحزنك**
قولهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة من مقالاتهم الموحشة
وتبشير له عليه الصلوة والسلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل
محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو في الحقيقة نهي له عليه الصلوة والسلام عن الحزن
كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتفوهون
به في شأنك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عليه الصلوة والسلام عن الحزن لما ان
النهي عن التأثير نهي عن التأثر بأصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك

لا ارينك

لا ارينك هاهنا وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النفي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه
عليه الصلوة والسلام شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عليه الصلوة والسلام في بعض الاوقات
نوع حزن فسلي عن ذلك وقوله تعالى **ان العزة** نفي للنهي على طريقة الاستيناف اي ان الغلبة والقهر **لله جميعا**
اي في ملكه وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك
عليهم وقد كان كذلك فهي من جملة البشارات العاجلة وقرئ بالفتح على صريح التعليل اي لان العزة لله
هو السميع العليم يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك **الا ان لله من في**
السموات ومن في الارض اي العقلاء من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى
التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته
فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو مع ما فيه من التأكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته
عليه الصلوة والسلام وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى **وما يتبع الذين يدعون**
من دون الله شركاء وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول
يتبع ومفعول يدعون محذوف اي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على
احدهما لظهور دلالته على الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه
من قوله تعالى **ان يتبعون الا الظن** اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة
على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم
فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم
معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية اي واي شيء يتبعون اي لا يتبعون شيئا
ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون الا اسماء سميتموها الى آخره وقرئ
تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه قيل واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء
من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له فلو بخهم على عدم اقتدائهم
بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى
الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق **وان هم**
الا يخرصون يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه ويحدثون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على تفرده سبحانه باستحقاق العبادة
وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات للملك تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه
والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فمفعوله الثاني وهو حال كما في الوجه الاول
وللفصل الثاني لتسكنوا فيه وقالتها مبصرا لتتحركوا فيه بمصالحكم كما سيجيء نظيره في قوله تعالى فان
الله بصير فلم كاشف لطيف هو كان يرد ذلك بعينه فلذا قلنا فصله الاية تحذف من كل واحد مما ذكر في الآخر ثقة
مر بالجانبين
بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازي كالذي في نهاره صائم **ان في ذلك** اي في جعل كل منهما
كما وصف فيهما وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في رتبته **لآيات**
اي عجيبة كثيرة وآيات اخر غيرها **لقوم يسمعون** اي هذه الآيات المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك
الآيات التكوينية الآمرة بالتأمل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها
منصوبة لمصلحة الكل لما انهم المنتفعون بها **قالوا** شروع في ذكر نوع آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه **اتخذ**
الله ولدا اي تبناه **سبحانه** تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء **هو الغني** علة
الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله تعالى

له ما في السموات وما في الأرض أي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه
وقوله تعالى إن عندكم من سلطان أي حجة بهذا أي بما ذكر من قولهم الباطل تصريح لبطلانه بتحقيق سلامة
ما أقيم من البرهان الساطع عن المعارض فمن في من سلطان لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره
أو مرتفع على أنه فاعل للظرف لاعتماده على النفي وبهذا متعلق إما بسلطان لأنه بمعنى الحجة والبرهان وإما
بمحذوف وقع صفة له وإما بما في عندكم من معنى الاستقرار كأنه قيل إن عندكم في هذا القول من سلطان وفي الالتفات
إلى الخطاب لمزيد مبالغة في الإلزام والإفحام وتأكيد لما في قوله تعالى أتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع
على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على أن كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وأن العقائد لا بد لها من برهان قطعي
وأن التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم
تعنتهم ووخامة عاقبتهم إن الذين يفترون على الله الكذب أي في كل أمر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء
بنسبة الولد والشريك إليه سبحانه دخولاً أولياً لا يفلحون أي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب
أصلاً وتخصيص عدم النجاة والفلاح بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة يأباه
مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في الدنيا كلام مستأنف سيق لبيان أن ما
يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الإطلاق أو في ضمن افترائهم بمعزل من أن يكون
من جنس الفلاح كأنه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب
ثم أشير إلى انتفاء النجاة عن المكروه أيضاً بقوله عز وعلا ثم إلينا مرجعهم أي بالموت ثم نذيقهم العذاب
الشديد بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر أو بكفرهم في الدنيا فأين هم في الفلاح
وقيل المبتدأ المحذوف تحيتهم وتقلبهم وقد قيل إنه افتراؤهم ولا يخفى أن المتاع إنما يطلق على ما يكون مطبوعاً عند النفس
مرغوباً فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وإنما عدمه لا اعتداد به لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه أقبح
القبائح عند النفس فضلاً عن أن يكون مطبوعاً عندها وعن اللذات باعتبار إخراجهم ما يوحي إليهم من زينة الدنيا
على أحد الأوجه المذكورة أولاً وليس ببعيد ما قيل إن المحذوف هو الخبر أي لهم متاع والآية إما مسوقة
من جهته سبحانه لتحقيق عدم فلاحهم غير داخلة في الكلام الملقن كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثم
إلينا وقوله تعالى ثم نذيقهم وإما داخلة فيه على أنه صلى الله عليه وسلم مأمور بنقله وحكايته عنه عز وجل
واتل عليهم أي على المشركين من أهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من أنهم لا يفلحون ولما يتمنوه بتدبر على
جناح الفوت وأنهم مشرفون على العذاب الخالد نبأ نوح أي خبره الذي له شأن وخطر مع قومه الذين
هم أضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما متعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول
بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر أو تنكسر شدة شكيمتهم أو يتبين في بعضهم بصحة
نبوتك فإن عرفوا أن ما تتلوه موافق لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما أصلاً مع علمهم بأنك لم تسمع
ذلك من أحد ليس إلا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تعالى وانتفاء
الخوف والحزن عن أوليائه عز وعلا وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة
بهم وبأقوالهم وأفعالهم ما لا يخفى إذ قال معمول لنبأ أو بدل منه بدل اشتمال أو أيا ما كان فالمراد بعض نبائه
عليه الصلاة والسلام لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تعالى لقومه للتبليغ يا قوم إن كان
كبر عليكم أي عظم وشق عليكم مقامي أي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام
ربه جنتان أي خاف ربه أو قيامي ومكثي بين أظهركم مدة طويلة أو قيامي وتذكيري بآيات الله فإنهم
كانوا إذا وعظوا الجماعة يقفون على أرجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب
للشرط أي دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز أن يراد به إحداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل

فاجمعوا أمركم عطف على الجواب والفاء لترتيب الأمر بالإجماع على التوكل لا لترتيب نفس الإجماع عليه أو على
الجواب وما سبق جمل اعتراضية والإجماع العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل فيه حذف وإيصال قال
السدوسي أجمعت الأمر أفصح من أجمعت عليه وقال أبو الهيثم أجمع أمره جعله مجموعاً بعدما كان متفرقاً وتفرقه
أنه يقول مرة أفعل كذا وأخرى أفعل كذا وإذا عزم على أمر واحد فقد جمعه أي جعله جميعاً وشركاءكم
بالنصب على أن الواو بمعنى مع كما تدل عليه القراءة بالرفع عطفاً على الضمير المتصل لتنزيل الفصل منزلة
التأكيد وإسناد الإجماع إلى الشركاء على طريقة التهكم وقيل إنه عطف على أمركم بحذف المضاف أي أمر
شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف أي وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع أي
فاجمعوا على أمركم الذي تريدون بي من السعي في إهلاكي واحتشدوا فيه على أي وجه يمكنكم ثم لا يكن أمركم
عليكم غمة أي مستوراً من غمه إذا ستره بل مكشوفاً مشهوراً تجاهرونني به فإن الستر إنما يصار
إليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب ونحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وإنما خاطبهم عليه
الصلاة والسلام بذلك إظهاراً لعدم المبالاة بهم وأنهم لن يجدوا إليه سبيلاً ثقة بالله سبحانه وبما
وعده من عصمته وكلاءته فكلمة ثم للتراخي في الرتبة وإظهار الأمر في موقع الإضمار لزيادة تقرير
لمقتضيه مقام الأمر بالإظهار الذي يستدل منه النهي عن الستر والإخفاء وقيل المراد بأمرهم ما يعتريهم
من جهته عليه الصلاة والسلام من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم فالغمة الغم كالكربة والكرب
وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا بإهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري فلا يخفى أنه
لا يساعده قوله عز وجل ثم اقضوا إلي ولا تنظرون أي أدوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي
كما في قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أو أدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم من إهلاكي كما يقضي الرجل
غريمه أو توسط ما يحصل به إهلاكي لأهله ليرتب الأمر بالعزم على مباديه والأمر بقضائه من قبيل الفصل
بين المجمع والمحايد وقرئ ثم أفضوا بالفاء أي انتهوا إلي بشركم أو أبرزوا إلي من أفضى إذا خرج إلى الفضاء فإن
توليتم الفاء لترتيب التولي على ما سبق فالمراد به إما الاستمرار عليه وإما إحداث التولي المخصوص أي إن
أعرضتم عن نصيحتي وتذكيري أثر ما شاهدتم مني من الأدلة القاطعة ما أوردته لأيلها التي من جملتها أمري إياكم
جميعاً بالتحقيق ما تريدون بي من السوء غير مبال بكم وبما يأتي منكم ولجابكم من الإجابة بعلمكم بأني على الحق المبين
مؤيد من عند الله العزيز فما سألتكم عليه مقابلة وعظي وتذكيري من أجر تخافون لأجله توليكم يؤدي ذلك إلى
توليكم إنما الأيتام يحكم إياي بالطمع والسؤال وإما للتثاقل دفع المسؤول عليكم أو متحقق بنصحي في توليكم المؤدي إلى الحرمان
فالأول لإظهار بطلان التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لإظهار عدم مبالاته عليه الصلاة والسلام
بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فإن الجزائية لسببية الشرط للإعلام بمضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى إن توليتم
فاعلموا أن ليس في مصحح له ولا ما تأثرتم منه وقوله عز وجل إن أجري إلا على الله تنظيم للمعنيين جميعاً
أنه على الأول تأكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عليه الصلاة والسلام عنهم أي ما ثوابي على العظة والتذكير
عليه تعالى يثيبني به آمنتم أو توليتم وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا
أرجو غيره أو المستسلمين لكل ما يصيبني من البلاء في طاعة الله تعالى فكذبوه فأصروا على ما هم عليه من التكذيب
بعدما ألزمتهم الحجة وبين أن توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة
العذاب فنجيناه ومن معه من المسلمين وكانوا ثمانين في الفلك وجعلناهم خلائف من الهالكين
وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أي بالطوفان وفي تأخير ذكر الإغراق عن ذكر الإنجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله
وعز ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من
الآيات الكريمة إظهار لكمال العناية بشأن المقدم وتعجيل للمسرة للسامعين وللإيذان بسبق الرحمة التي هي من

تقتضيان الربوبية تعالى الغضب الذي يؤمن مستتبعا تنجحانم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
من تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له صلى الله عليه وسلم ثم بعثنا
أي أرسلنا من بعده أي من بعد نوح عليه الصلاة والسلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا أي رسلا ذوي
أي ذوي عدد كثير إلى قومهم أي إلى أقوامهم لكن لا بأن أرسلنا كل رسول منهم إلى أقوام الكل أو إلى قوم ما أي قوم كانوا
بل كل رسول إلى قوم مخصوص به كهود إلى عاد وصالح إلى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص فجاءوهم أي جاء
كل رسول قومه المخصوصين به بالبينات أي بالمعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء إما متعلقة بالفعل
المذكور على أنها للتعدية أو بمحذوف وقع حالا من ضمير جاءوا أي ملتبسين بالبينات لكن لا بأن يأتي كل رسول ببينة
واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فإن مراعاة انقسام الآحاد إلى الآحاد إنما هي
بين ضميري جاءوا وهم كما أشير إليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم إيمانهم في الزمان الماضي لا لحدوثه استمرار
إيمانهم كما مر [illegible] الكرة [illegible] أي فاصح ما استقام لقوم من أولئك الأقوام في وقت من الأوقات
أن يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم إن كان المحكي آخر حال كل قوم حسبما ينبئ عليه حكاية
قوم نوح فالمراد بعدم إيمانهم المذكور هاهنا إصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وقوله تعالى في قوله عز وجل
بما كذبوا به من قبل تكذيبهم من حين مجيء الرسل إلى زمان الإصرار والعناد وإنما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات
كالأول حيث جعل صلة للموصول إيذانا بأنه بين بنفسه غني عن البيان وإنما المحتاج إلى ذلك عدم إيمانهم بعد تواتر
البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم إلى القبول لو كانوا من أصحاب العقول والموصول الذي
به الإيمان والتكذيب سلبا وإيجابا باعتبار جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول أصولها وفروعها وإن كان المحكي جميع أحوال
كل قوم منهم فالمراد بما ذكر أولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل إلى آخره وبما أشير إليه آخرا تكذيبهم من قبل مجيئهم
فلا بد من كون ذلك الموصول المذكور عبارة عن أصول الشرائع التي أجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا أممهم إليها آنا ذي
أثر لاستحالة تغييرها وتبدلها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم أنهم ما كانوا
في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من أولئك الأقوام يتسامعون بها من بقايا عاد
وعاد من بقايا قوم نوح عليه الصلاة والسلام فكذبوها ثم كانت حالتهم بعد مجيء الرسل كحالتهم قبل ذلك
كأن لم يبعث إليهم أحد وتخصيص التكذيب وعدم الإيمان بما ذكر من الأصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فإنهم حيث
لم يؤمنوا بما أجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم أولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات
لما أن ما عليه يدور أمر العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه
قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وإنما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى تقدير
فالضمائر الثلاث متسقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع إلى قوم نوح عليه الصلاة والسلام فالمعنى فما كان قوم
الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية أي بسبب تعودهم تكذيب الحق
وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى أن ذلك يؤدي إلى مخالفة الجمهور من جعل ما مصدرية من قبيل الأسماء بما
هو رأي الأخفش وابن السراج ليرجع إليها الضمير وفي إرجاعه إلى الحق بادعاء كونه معلوما لا دلالة عليه لا يخفى من
التعسف كذلك أي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ بالياء على أن الضمير لله سبحانه على
قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد
وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي أمثال هذه دلالة على أن الأفعال واقعة
بقدرة الله تعالى وكسب العبد ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم عطف قصة
على قصة من بعدهم أي من بعد أولئك الرسل عليهم الصلاة والسلام موسى وهارون خصصتهما
عليهما السلام بالذكر ولم يكتف بالاندراج تحت الرسل لما في قصتهما من الشيء إليه إشارة الغرائب من أخبار الرسل عليهم الصلاة

والسلام مع

والسلام مع أقوامهم ولوفور ما في ذلك من تفصيل البيان لخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه الصلاة
والسلام إلى فرعون وملئه أي أشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لأصالتهم في إقامة المصالح وقلتهما من درجة
الكل إليهم في النوازل والخطوب بآياتنا أي ملتبسين بها وهي الآيات المفصلات في الأعراف فاستكبروا
الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة أي فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما
فذلك قول اللعين لموسى عليه الصلاة والسلام ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين إلى آخره وكانوا قوما
مجرمين أي معتادين لاقتراف الآثام عظام ما قبله أي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فلذلك اجترءوا على ما فعلوا من تعظيم
الذنب [illegible] الجرأة [illegible] الاستهانة برسالة الله عز
وجل بحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات لا يساعده قوله عز وجل فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا إن هذا لسحر مبين فإنه صريح في أن المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي هو معجزة
أعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك أول ما ظهر من عليه الصلاة والسلام
من الآيات العظام والفاء فيه أيضا فصيحة معربة عما صرح به في مواضع أخر كأنه قيل قال موسى عليه الصلاة
والسلام قد جئتكم ببينة من ربكم إلى قوله تعالى فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء
للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم إن هذا لسحر مبين أي ظاهر كونه
سحرا أو فائق في بابه واضح فيما بين أقرانه وقرئ لساحر قال موسى استئناف مبني على سؤال ينساق
إليه الأذهان كأنه قيل فماذا قال لهم موسى حين قالوا ذلك فقيل قال على طريقة الاستفهام الإنكاري التوبيخي أتقولون
للحق الذي هو أبعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم أي حين مجيئه إياكم ووقوفكم عليه أو من أول الأمر
من غير تأمل وتدبر [illegible] الحالين [illegible] في القول المذكور والقول المحذوف [illegible]
بأنه [illegible] لتقولون له ما تقولون من أنه سحر [illegible]
ويتكلم به متكلم والقول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه
ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الآية فيستغنى عن المفعول أي تعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين
فقوله عز وجل أسحر هذا إنكار مستأنف من جهته عليه الصلاة والسلام [illegible]
[illegible]
ولا يفلح الساحرون [illegible]
[illegible]

ثم أجيب بتوجيه النظم التنزيلي عن الحمل على أمثال هذا تأنيبا فلذلك التعرض لعدم إفلاح السحرة على الإطلاق ومن تمسك بالحق المبين دون كفرة المتشبثين بأذيال البعض منهم في معارضته عليه الصلاة والسلام ولو كان من كلامهم لما ناسب تخصيص عدم الإفلاح بهم زعموا ساحرا أي تنبيها على ما يتم من بأن ينطق به من السحرة وأما ثالثا فلأن قوله عز وعلا **قالوا أجئتنا** إلخ مسوق لبيان أنه عليه الصلاة والسلام ألقمهم الحجر فانقطعوا عن الإتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه الصلاة والسلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا إلى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج حتى أنه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه الصلاة والسلام فضلا عن كلام لا على طريقة قوله تعالى قال موسى إلخ حسبما أشير إليه كأنه قيل فماذا قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام عندما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة أجئتنا **لتلفتنا** أي لتصرفنا فإن الفتل واللفت أخوان **عما وجدنا عليه آباءنا** أي من عبادة الأصنام ولا ريب في أن ذلك إنما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه الصلاة والسلام على الوجه الذي شرح إذ عليه يتقرر كونه محكيا من قبلهم بكونه جوابه عليه الصلاة والسلام خاليا عن التبكيت الملجئ لهم إلى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في أنه لا علاقة بين قولهم أجئتنا إلخ وبين إنكاره عليه الصلاة والسلام لما حكي عنهم مصحح لكونه جوابا عنه **وتكون لكما الكبرياء** أي الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون بالياء الفوقانية وكلمة في في قوله تعالى **في الأرض** أي أرض مصر متعلقة بتكون أو بالكبرياء أو بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا أو بمحذوف وقع حالا من الكبرياء أو من الضمير في لكما لتحمله إياه **وما نحن لكما بمؤمنين** أي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد إفراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما الصلاة والسلام واستلزام التصديق لأحدهما التصديق للآخر وأما اللفت والمجيء فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة أسند إلى موسى عليه الصلاة والسلام خاصة **وقال فرعون** تجريد الفعل لأن الأمر من وظائفه قال الملأ فيما مر هو بيت منادي إلى أنهما عليهما الصلاة والسلام بالعقل لعلهما ليأس عن النزلة بما بالقبض **ائتوني بكل ساحر عليم** بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار **فلما جاء السحرة** عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف إيذانا بسرعة امتثالهم بأمر فرعون كما هو شأن الفاء الفصيحة أي فأتوا به فلما جاؤوا **قال لهم موسى** لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعدما قالوا له عليه الصلاة والسلام ما حكي عنهم في السور الأخر من قولهم إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ونحو ذلك **ألقوا ما أنتم ملقون** لكائنا ما كان من أصناف السحر **فلما ألقوا** ما ألقوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤوا بسحر عظيم **قال موسى** لهم غير مكترث بهم وبما صنعوا **ما جئتم به السحر** ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبره أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات الله سبحانه أو هو من جنس السحر بهم إن حاله بين لا يعبأ به كأنه قال ما جئتم به سحر لا ينبغي أن يعبأ به وقرئ آلسحر على الاستفهام فما استفهامية أي أي شيء جئتم به أهو السحر وقرئ ما أتيتم به سحر لأنها على المعنى الثاني في القراءة المشهورة **إن الله سيبطله** أي سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له أثر أصلا أو سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد **إن الله لا يصلح عمل المفسدين** أي عمل جنس المفسدين على الإطلاق فيدخل فيه السحرة دخولا أوليا أو عملكم فيكون من باب وضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالإفساد والإشعار بعلة الحكم والمراد بعدم إصلاحه عملهم عدم جعله صالحا حسنا أو عدم إتيانه أي لا يثبته ولا يجعله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله إن الله سيبطله وتذييل فيه تعليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له **ويحق الله الحق** عطف على قوله سيبطله أي يثبته ويقويه وإظهار الاسم الجليل في المقامين لإلقاء الروعة وتربية المهابة **بكلماته** بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته **ولو كره المجرمون** ذلك وقد أن

كل من

كل من اتصف بالإجرام من السحرة وغيرهم **فما آمن لموسى** معطوف على مقدر قد فصل في مواضع أخر أي فألقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون إلى آخر ما فصل في السور الأخر تعويلا على ذلك وإيثارا للإيجاز وإيذانا بأن قوله تعالى إن الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف أصلا وجعل معطوفا على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله تعالى فما أتيت أمر فرعون وما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر فيه أن الإتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث أي فما آمن له عليه الصلاة والسلام بمشاهدة تلك الآيات الباهرة **إلا ذرية من قومه** أي إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عليه الصلاة والسلام أو مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وامرأته وماشطته وهو بعيد **على خوف** أي كائنين على خوف عظيم **من فرعون وملئهم** الضمير لفرعون والجمع على ما هو المعتاد في ضمائر العظماء أو لآله بيان لعلوه في الفساد وغلوه في الشر والتسلط على العباد أو لأن المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم أو على حذف من فرعون ومن أشراف بني إسرائيل حيث كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم **أن يفتنهم** أي يعذبهم وهو بدل اشتمال أو مفعول لخوف فإن إعمال المصدر المنكر شائع كما في قوله عز وجل أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ومفعول له بعد حذف اللام وإسناد الفعل إلى فرعون خاصة لأنه الآمر بالتعذيب **وإن فرعون لعال في الأرض** لغالب في أرض مصر **وإنه لمن المسرفين** في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء أو في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق **وقال موسى** لما رأى تخوف المؤمنين منه **يا قوم إن كنتم آمنتم بالله** أي صدقتم به وبآياته **فعليه توكلوا** وبه ثقوا ولا تخافوا أحدا غيره فإنه كافيكم كل شر وضر **إن كنتم مسلمين** مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل عليه سبحانه فإنه المقتضي له والمشروط بالإسلام وجوده فإنه لا يتحقق مع التخليط ونظيره إن أحسن إليك زيد فأحسن إليه إن قدرت **فقالوا** مجيبين له عليه الصلاة والسلام من غير تلعثم في ذلك **على الله توكلنا** لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين **ربنا لا تجعلنا فتنة** أي موضع فتنة **للقوم الظالمين** أي لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا أو يفتنونا عن ديننا أو يفتتنوا بنا ويقولوا لو كانوا على الحق لما أصيبوا **ونجنا برحمتك من القوم الكافرين** دعاء منهم بالإنجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم بعد الدعاء بعدم جعلهم فتنة لهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعدما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بأن الداعي حقيق بأن يقدم قبل دعائه التوكل على الله تعالى **وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا** أن مفسرة لأن في الوحي معنى القول أي اتخذا مباءة **لقومكما بمصر بيوتا** تسكنونها وترجعون إليها للعبادة **واجعلوا** أنتما وقومكما **بيوتكم قبلة** مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فإن موسى عليه الصلاة والسلام كان يصلي إليها **وأقيموا الصلاة** أي فيها أمروا بذلك في أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم **وبشر المؤمنين** بالنصر في الدنيا إجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وإنما ثني الضمير أولا لأن التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لأن اتخاذ المساجد والصلاة فيها مما يفعله كل أحد ثم وحد لأن البشارة في الأصل وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالإيمان وللإشعار بأنه المدار في التبشير **وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة** أي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها **وأموالا** أي أنواعا كثيرة من المال **في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك** دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله إبليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت أو للعلة لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولأنهم لما جعلوها ذريعة إلى الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للأول تأكيدا وتنبيها على أن المقصود عرض

ضلالهم وكفرانهم نعمتك لقوله تعالى ربنا اطمس على أموالهم الطمس المحق وقرئ بضم الميم أي أهلكها واشدد على قلوبهم أي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان كما هو قضية شأنهم فلا يؤمنوا جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب الأليم أي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك إذ ذاك قال قد أجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عليهما الصلوة والسلام لأنه كان يؤمن على دعائه يشير به إضافة الدعوة إلى ضمير المتكلم مع الغير في الواقع الثلاثة فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة ولا تستعجلا فإن ما طلبتماه كائن في وقته لا محالة روي أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون أي عادات الله سبحانه في تعليق الأمور بالحكم والمصالح أو سبيل الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان أيضا وجاوزنا ببني إسرائيل البحر هو من جاوز المكان إذا تخطاه وخلفه قال الشاعر أي جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة لا ما هو بمعنى التسويغ كما وقع في قول الأعشى كما جوز السكي في الباب فيتق وإلا لقيل وجوزنا بني إسرائيل في البحر فأتبعهم فرعون وجنوده يقال تبعته حتى أتبعته إذا كان سبقك فلحقته أي أدركهم ولحقهم بغيا وعدوا ظلما واعتداء أي باغين وعادين أو للبغي والعدوان وقرئ وعدوا وذلك أن موسى عليه الصلوة والسلام خرج ببني إسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع بخروجهم تبعهم حتى لحق بهم ووصل إلى الساحل وقد خرجوا من البحر ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده أجمعين فلما دخل آخرهم وهم أولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم حتى إذا أدركه الغرق أي لحقه والجئه قال آمنت أنه أي بأنه على أن الضمير للشأن وقرئ إنه على الاستئناف بدلا من آمنت وتفسيرا له لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل لم يقل كما قالت السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته إيمان بني إسرائيل به تعالى إشعارا برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة وأنا من المسلمين أي الذين أسلموا نفوسهم لله أي جعلوها سالمة خالصة له تعالى وأراد بهم إما بني إسرائيل خاصة وإما الجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة على الأول عطف على آمنت وإيثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثاني تحتمل الحالية أيضا من ضمير المتكلم أي آمنت مخلصا لله منتظما في سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول المفضي إلى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات ما فات وتولى ما هو آت وقوله عز وجل آلآن مقول لقول مقدر معطوف على قال أي فقيل آلآن وهو الحق في تلك الآية حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلته بما أظهره بالردع والتوبيخ الإنكار المنبئ على التأخير وتقريعه بالعصيان والإفساد وغير ذلك وفي حذف الفعل المذكور وإبراز الخبر المحكي في صورة الإنشاء من الدلالة على عظم الخطاء وشدة الغضب ما لا يخفى كما ينبئ عنه ما روي أن جبريل عليه الصلوة والسلام دس فاه بحال البحر ويكون ذلك بالنسبة إلى التكثير بالمعالجة الفعلية ولا ينافيه تعليله بمخافة إدراك الرحمة فيما نقل أنه قال للنبي عليه الصلوة والسلام لو رأيتني يا محمد وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة إذ المراد بها الرحمة الدنيوية والنجاة التي هي طلبة المخذول وليس من ضرورة إدراكها صحة الإيمان كما في إيمان قوم يونس عليه الصلوة والسلام حتى يلزم من كراهته الرضا بالكفر إذ لا استحالة في ترتيب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الإيمان وإن كان ذلك في حالة اليأس فيحمل دسه عليه الصلوة والسلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل في الظرف أن يقدر مؤخرا ليتوجه الإنكار والتوبيخ إلى التأخير أي الآن تؤمن حين يئست من الحيوة

وايقنت

وأيقنت بالموت وقوله عز وجل وقد عصيت قبل حال من فاعل الفعل المقدر جيء به لتشديد التوبيخ والتقريع على تأخير الإيمان إلى هذا الآن ببيان أنه لم يكن تأخيره لعدم بلوغ الدعوة إليه ولا للاشتغال بالتدبر في آياته ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا في التأخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والإفساد وقوله تعالى وكنت من المفسدين عطف على عصيت داخل في حيز الحال أي وكنت من الغالين في الضلال والإضلال عن الإيمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع إلى نفسه والساري إلى غيره من الظلم والتعدي وصد بني إسرائيل عن الإيمان والأول عن عصيانه الخاص به فاليوم ننجيك أي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بأن مراده بالإيمان هو النجاة كما مر وتهكم به أي نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل وقرئ ننحيك بالحاء المهملة أي نلقيك بناحية من الساحل ببدنك في موضع الحال من ضمير المخاطب أي ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له وحسم لأطماعه بالمرة أو عاريا عن اللباس أو كاملا سويا أو بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بأبدانك أي بأجزاء بدنك كلها كقولهم هوى بأجرامه أو بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل إليهم أنه لا يهلك حتى روي أنهم لم يصدقوا موسى عليه الصلوة والسلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل أو لمن يأتي بعدك من الأمم إذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان أو حجة تدلهم على أن الإنسان وإن بلغ الغاية القصوى من عظم الشأن وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك فهو كانه أيضا أي لمن خلفك من الجبابرة وقرئ لمن خلقك بالقاف أي لتكون لخالقك آية كسائر الآيات فإن إفراده سبحانه إياك بالإلقاء إلى الساحل دليل على أنه تعمد منه لكشف تزويرك وإماطة الشبهة في أمرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وإرادته وهذا الوجه لا يخلو عن تعسف على القراءة المشهورة أيضا وفي تعليل تنجيته بما ذكر إيذان بأنها ليست لإعزازه أو لغاية أخرى عائدة إليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤوس الأشهاد وزيادة تفظيع لحاله كمن يقتل ثم يجر جسده في الأسواق ويدار برأسه في البلاد واللام الأولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية أي كائنة لمن خلفك وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلي جيء به عند الحكاية تقريرا لمضمون الكلام المحكي ولقد بوأنا بني إسرائيل كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم إثر نعمة الإنجاء على وجه الإجمال وإخلالهم بشكرها وأداء حقوقها أي أسكناهم وأنزلناهم بعدما أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم مبوأ صدق أي منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها حسبما ينطق به قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ورزقناهم من الطيبات أي من اللذائذ فما اختلفوا في أمر دينهم حتى جاءهم العلم أي إلا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التوراة وعلمهم بأحكامها أو في أمر محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعدما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته والمراد بالمختلفين أعقابهم الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالإنجاء والتعذيب فإن كنت في شك أي في شك ما يسير على الفرض والتقدير فإن مضمون الشرطية إنما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لإمكان شيء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين وقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك ونظائرهما مما أنزلنا إليك من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فإن ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما أنزلنا إليك والمراد إظهار

نبوته عليه الصلاة والسلام بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا ووصف
اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عليه الصلاة والسلام وقد قال صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسال
وقيل المراد بالمؤمنين من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا
وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسأل
الذين يقرؤون الكتب **لقد جاءك الحق** الذي لا محيد عنه ولا شك في حقيته **من ربك** وظهر ذلك بالآيات
الساطعة التي لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة
والسلام من التشريف ما لا يخفى **فلا تكونن من الممترين** بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما
كنت من قبل **ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله** من باب التهييج والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح
والمحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لاطماع الكفرة
فتكون من الخاسرين انفسا واعمالا **ان الذين حقت عليهم** شروع في بيان سر اصرار الكفرة
على ما هم عليه من الكفر والضلال اي ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة **كلمت ربك**
حكمه وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم الآية
لا يؤمنون ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه اي لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا في اوانه فيندرج فيهم
المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون باضرابه لو تحقق فيهم المترددون **ولو جاءتهم كل آية**
واضحة المدلول مقبولة لذوي العقول لان السبب الايمان ليس هو مجيء الآيات بل تعلق ارادته تعالى به وهو مفقود لكن فقدانه ليس
من سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك كما يتلوح من الاستثناء الآتي بيانا لكونهم
يونس عليه الصلاة والسلام ممن لم يحق عليهم كلمة الا انهم اخروا التدارك الى وقته **حتى يروا العذاب**
الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون **فلولا كانت قرية** فلولا بمعنى هلا وقرئ كذلك اي فلا
كانت قرية من القرى المهلكة **آمنت** قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون
وقومه **فنفعها ايمانها** بان يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها **الا قوم يونس** استثناء
منقطع اي لكن قوم يونس **لما آمنوا** اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله **كشفنا عنهم عذاب الخزي**
في الحياة الدنيا بعد ما اظلهم وكاد يحل بهم ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي كما ينصح عنه حرف التحضيض فيكون
الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كانه قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا
قوم يونس عليه الصلاة والسلام فيكون قوله تعالى لما آمنوا استئنافا لبيان نفع ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدل
ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب **الى حين** مقدر لهم في علم الله سبحانه روي ان يونس عليه الصلاة
والسلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا
المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه الصلاة والسلام ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب
الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى
يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم
وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان
والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده
الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين
لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت

وجلت وانت

وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله **ولو شاء ربك لآمن من في الارض**
تحقيق لدوران ايمان كافة المكلفين ايمانا ووجودا وعدما على قطب مشيئته تعالى مطلقا اثر بيان تبعية كفر
الكفرة لها ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وان لا يكون في
تعلقها به غرابة كما هو المشهور اي لو شاء سبحانه ايمان من في الارض من الثقلين **لآمن من في الارض كلهم** بحيث لا يشذ عنهم
احد **جميعا** مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة التي بني عليها اساس التكوين
والتشريع وفيه دلالة على ان من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة **افانت تكره الناس** على ما لم يشأ الله
تعالى منهم حسبما ينبئ عنه حرف الاستتباع في الشرطية والفاء العاطفة على مقدر ينسحب عليه الكلام اي أانت
قبل ذلك لا تشاء ذلك فانت تكرههم **حتى يكونوا مؤمنين** فيكون الانكار متوجها الى ترتيب الاكراه المذكور
على عدم مشيئته تعالى بناء على ان الهمزة متأخرة في الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو
رأي الجمهور لا الى ما كان في المشيئة لطالما اذ لا فارق بل الاوجه لاعتبار عدم مشيئته تعالى الايمان
خاصة في انكار الترتيب عليه او ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه
امر ممكن لكن الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم
ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشيئة كما اشير اليه
وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا بعد بيان الدوران الكلي
عليها وجودا وعدما اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى انها تؤمن **ان تؤمن الا**
باذن الله اي بتسهيله ومنحه الالطاف وانما خصت النفوس بمن ذكر ولم يحمل من قبله قوله تعالى
وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما كان لنفس ان تؤمن في حال
من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت
حال لكل نفس لا محيص لها عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها
حال تؤمن فيها حتى تستثنى تلك الحال عن غيرها **ويجعل الرجس** اي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس
الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه وقيل هو العذاب او الخذلان الذي
هو سببه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاي **على الذين لا يعقلون** لا يستعملون عقولهم
بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها
بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال او مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه
النظم الكريم كانه قيل فيأذن لهم بتوفيقه للالطاف ويجعل الرجس الخ **قل** خطاب لاهل مكة بعدما بين لهم ان النظر في ملكوت
السموات والارض وما فيهما من تعاجيب الآيات الانفسية والآفاقية ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت
عليهم الكلمة **انظروا** اي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام **ماذا في السموات والارض** اي اي
شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا ان جعل بالتركيب اسما معلقا به الاستفهام
على اسم الاشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر
المبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ والخبر في محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام **وما**
تغني اي ما تنفع وقرئ بالتذكير **الآيات** وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض
والنذر جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون او الانذارات
عن قوم لا يؤمنون في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز كونها
استفهامية انكارية في موضع النصب على المصدرية اي اي اغناء تغني الخ والجملة حينئذ اعتراضية
فهل ينتظرون اي مشركو مكة وامثالهم **الا مثل ايام الذين خلوا** اي يوما مثل ايام الذين خلوا

من قبلهم من مشركي الأمم الماضية أي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعها قل تهديداً لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم إني معكم من المنتظرين لذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل أيام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة إلى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كأنه قيل أهلكنا الأمم ثم ننجي رسلنا المرسلة إليهم والذين آمنوا وصيغة الاستقبال لحكاية الأحوال الماضية لتهويل أمرها باستحضار صورها وتأخير حكاية التنجية عن حكاية الإهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الآية ونظائره الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وعلا كذلك أي مثل ذلك الإنجاء حقاً علينا اعتراض بين العامل والمعمول أي حق ذلك حقاً وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك أي إنجاء مثل ذلك حقاً وكذا ننجي المؤمنين أي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين إما الجنس المتناول للرسل عليهم الصلاة والسلام والأتباع وإما الأتباع فقط وإنما لم يذكر إنجاء الرسل إيذاناً بعدم الحاجة إليه وأياً ما كان ففيه تنبيه على أن مدار النجاة هو الإيمان قل خطاب لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس أي ناداهم بعنوان الجنس مصدراً بحرف التنبيه تعميماً للتبليغ وإظهاراً لكمال العناية بشأن ما بلغ إليهم إن كنتم في شك من ديني الذي أعبد الله به وأدعو إليه ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الأوقات ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب فاعلموا أنه تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الأصنام وغيرها مما تعبدونه جهلاً وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد وللإيذان بالمخالفة من أول الأمر أو إن كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا أن خلاصته إخلاص العبادة لمن بيده الإيجاد والإعدام دون ما هو بمعزل منهما من الأصنام فاعرضوها على عقولكم واجعلوا فيها أفكاركم وانظروا فيها بعين الإنصاف لتعلموا أنه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقاً بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للإيذان بأن أقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته وأما القطع بعدمها فمما لا سبيل إليه أو إن كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا أني لا أتركه أبداً وأمرت أن أكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بأن ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالإمداد السماوي والتوفيق الإلهي وحذف حرف الجر من أن يجوز أن يكون من باب الحذف المطرد مع أن وأن وأن يكون خاصاً بفعل كما في قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به وأن أقم وجهك للدين عطف على أن أكون خلا أن صلة أن محكية بصيغة الأمر ولا ضير في ذلك لأن مناط جواز وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف إلا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك أي وأمرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح أو باستقبال القبلة في الصلاة وعدم الالتفات إلى اليمين والشمال حنيفاً حال من الدين أو الوجه أي مائلاً عن الأديان الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على أقم داخل تحت الأمر أي ولا تكونن منهم اعتقاداً ولا عملاً وقوله عز وعلا ولا تدع عطف على قوله تعالى قل يا أيها الناس غير داخل تحت الأمر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الأول لأن ما بعده من الجمل إلى آخر الآيتين متسقة لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لاندراج الكل تحت الأمر وهو تأكيد للنهي المذكور وتفصيل لما أجمل فيه لتوجيهها إلى الغاية بالأمر وكشفاً عن وجه بطلان ما عليه المشركون أي لا تدع من دون الله استقلالاً ولا اشتراكاً ما لا ينفعك ولا يضرك إذا دعوته لدفع مكروه وتقديم

النفع على

النفع على الضر غني عن بيان السبب فإن فعلت أي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني به عن الشرك تنويهاً لشأنه عليه الصلاة والسلام وتنبيهاً على رفعة مكانه من أن ينسب إليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية فإنك إذاً من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه وإن يمسسك الله بضر تقرير لما أورد في حيز الصلة من سلب النفع عن الأصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه فلا كاشف له عنك كائناً من كان وما كان إلا هو وحده فثبت عدم كشف الأصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاماً ظاهراً فإن رفع المكروه أدنى مراتب النفع فإذا انتفى انتفى النفع بالكلية وإن يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة أي إن يرد أن يصيبك بخير فلا راد لفضله الذي من جملته ما أرادك به من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه إيذان بأن فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه أي لا أحد يقدر على رده كائناً ما كان فيدخل فيه الأصنام دخولاً أولياً وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها بإيقاع المكروه استلزاماً جلياً ولعل ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للإيذان بأن الخير مراد بالذات وأن الضر إنما يمسهم لا بالقصد الأولي لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الأولي وأريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر في أحدهما المس وفي الآخر الإرادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر على أنه قد صرح بالإصابة حيث قيل يصيب به إظهاراً لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه أي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما أرادك به من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير تعسف على أن يكون من باب وضع المضمر موضع المظهر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز وجل من يشاء من عباده فإن ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز وعلا وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تعالى يصيب به الخ محقق لمضمونه والكل تذييل للشرطية الأخيرة محقق لمضمونها قل مخاطباً لأولئك الكفرة بعد ما بلغتهم ما أوحي إليك يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الأحكام التي من جملتها ما مر آنفاً من أصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالإيمان به والعمل بما في مطاويه فإنما يهتدي لنفسه أي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر به والإعراض عنه فإنما يضل عليها أي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة تعرض عائدة إليه عليه الصلاة والسلام من جلب نفع أو دفع ضر كما يلوح به إسناد المجيء إلى الحق من غير إشعار بكون ذلك بواسطته وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول إلي أمركم وإنما أنا بشير ونذير واتبع ما يوحى إليك اعتقاداً وعملاً وتبليغاً على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور الثابت الذي لا محيد عنه وفي التعبير عن بلوغه إليهم بالمجيء وإليه عليه الصلاة والسلام بالوحي تنبيه على ما بين الرتبتين من التنائي واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصر عليهم أو بالأمر بالقتال وهو خير الحاكمين إذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون صدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الر محله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على أنه مبتدأ والأول هو الأظهر كما أشير إليه في سورة يونس عليه الصلاة والسلام أو النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر أو اقرأ وعلى تقدير كونه اسماً للسورة على ما عليه إطباق الأكثر فلا محل له من الإعراب مسرود على نمط التعديد حسبما أسلفنا في فاتحة

وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الثاني ولمبتدأ محذوف على الوجوه الباقية أحكمت آياته نظمت نظماً متقناً لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه أو جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها أو منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقاً أو أيدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل أو على نبوته عليه السلام فالإسناد إلى الآيات حقيقة أو على حقيقة ما تشتمل عليه من الأحكام الشرعية فالإسناد إلى بعضها المشتمل عليها كما إذا أريد بالإحكام المنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة وأما على تكتب بالمنع من الفساد مأخذاً من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه إيماء إلى ما يليق بشأن الآيات الكريمة من التداعي إلى الفساد لولا المانع وفي إسناد الإحكام على الوجوه المذكورة إلى آيات الكتاب دون نفسه لاشتمالها على الوجوه الشاملة لكل آية آية منه من حسن الوقع والدلالة على كونه في أقصى غاية من الإحكام ثم فصلت أي جعلت فصولاً من الأحكام والدلائل والمواعظ والقصص أو فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الإسناد المجازي والتفسير بجعلها آية آية لا يساعده المقام لأن ذلك من الأوصاف الأولية لها فلا يناسب عطفه على إحكامها بكلمة التراخي وأما المعنيان الأولان فهما وإن كانا مع الإحكام زماناً حيث لم تنزل الآيات محكمة مفصلة لا أنها أحكمت وفصلت بعد ذلك لكن كلمة ثم للتفاوت من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لأنهما حينئذ من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها إلى بعض على وجه تستتبع الأحكام المخصوصة وآثارها المعتد بها وملاحظة مصالح العباد المناسبة لذلك التي تترتب عليها تلك الأحكام ولأن جعلها آية آية تستدعي مغايرة بعضها لبعض يكون من هذا القبيل لا التدليس في شأنها من استنباط ما يستنبط منها من الأحكام والآثار أو فرقت في التنزيل بحسب المصالح فإن أريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وإن أريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجماً حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لأن ذلك وصف لازم لها حقيق بأن يرتب على وصف إحكامها وقرئ أحكمت ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة لكتاب وصفه بها بعدما وصف بإحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات إبانة لجلالة شأنه من حيث الإضافة أو خبر بعد خبر للمبتدأ المذكور أو المحذوف أو صلة للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم إيرادهما الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والإحاطة بجلائلها ودقائقها من التشكيل التفخيمي وربطهما به لأنه على البيان المعهود وإسناد الأفعال إلى أصلها مع رعاية حسن الطباق من الدلالة والجزالة على فخامتهما وكونهما على أكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه ألا تعبدوا إلا الله مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط أعني كونه مع فاعل الفعل المعلل جرياً على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع أن المصدرية كأنه قيل كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا إلا الله أو لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتتمحضوا في عبادته فإن الإحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل أن مفسرة لما في التفصيل من معنى القول وقيل لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه من جهته الله عز وجل نذير أنذركم عذابه إن لم تتركوا ما أنتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى وبشير أبشركم بثوابه إن آمنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شئون الكتاب من إحكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى وأورد معظم ما انتظم في سلك الغاية والأمر من التوحيد وترك الإشراك وسط بينه وبين ذنوبه أعني الاستغفار والتوبة ذكراً لمن نزل عليه ذلك الكتاب نوع تعلل من عند الله تعالى بالتبليغ لأحكامه وتبشيرها بالمؤيدات من الوعد والوعيد الدال إنباء التوحيد في أقصى مراتب الأهمية حتى أفرده بالذكر وأيد بجعل الخطاب بغتة الكتاب مع تلويح بأنه مما لا يتحقق في نفسه إلا مقارناً للعلم برسالته صلى الله عليه وسلم كذلك في الذكر لا ينفك أحدهما عن الآخر وقد روعي في سوق

الخطاب

الخطاب بتقديم الإنذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الإثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب أطراف الكلام ويجوز أن يكون قوله تعالى ألا تعبدوا إلا الله كلاماً منقطعاً عما قبله وارداً على لسانه عليه الصلاة والسلام إغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كأنه صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة غير الله أي الزموا على معنى اتركوا عبادة غير الله تركاً مستمراً إنني لكم من جهته الله نذير وبشير أو أنذركم من عقابه على التقدير المستمر على الكفر وبشير الذين آمنوا على تقدير شكركم له وتوحيدكم فلما سبق إليهم حديث التوحيد وأكده الشفعة بالرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الإنذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من زمامه على وجه يتضمن تفصيل ما أجمل في وصف البشير والنذير فقال وأن استغفروا ربكم وهو معطوف على أن لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الأول أن مصدرية لجواز كون صلتها أمراً أو نهياً كما في قوله سبحانه وتعالى وأن أقم وجهك للدين حنيفاً لأن مدار جواز كونها فعلاً إنما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها إلا إذا كانت خبرية وأما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الأمر والنهي صلة حسب مساغ وقوع الفعل فينخلع عند ذلك عن معنى الأمر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ثم توبوا إليه عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الإحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك وتتوبوا من المعاصي وعلى الثاني أن مفسرة أي قيل في أثناء تفصيل الآيات لا تعبدوا إلا الله واستغفروا ثم توبوا إليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وإرشاد لهم إلى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع وإيتاء الفضل بقوله تعالى يمتعكم متاعاً حسناً أي يمتعكم وانتصابه على أنه مصدر حذف عنه الزوائد كقوله سبحانه وتعالى أنبتكم من الأرض نباتاً أو على أنه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من متاع الدنيا من الأموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشاً مرضياً لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من الكدورات إلى أجل مسمى مقدر عند الله عز وجل وهو آخر أعماركم فلما كان ذلك غاية لا يطمع وراءها طامع جرى التمتيع إليها مجرى التأبيد عادة ولا يهلككم بعذاب الاستئصال ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله في الدنيا أو في الآخرة وهذا تكملة لما أجمل من التمتيع إلى أجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهمه من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب إنسان له فضل طاعة وعمل لا يمتع في الدنيا أكثر مما يتمتع آخر دونه في الفضل وربما يكون المفضول أكثر تمتيعاً فقيل ويعط كل ذي فضل جزاء فضله إما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد وإما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما أجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الإنذار فقيل وإن تولوا أي تتولوا عما ألقي إليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وإنما أخر عن البشارة جرياً على سنن تقدم الرحمة على الغضب أو لأن العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولى فإني أخاف عليكم بموجب الشفقة والرأفة أو أتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم إما لكونه كذلك في نفسه أو وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والأرض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا فيه الجيف وأياً ما كان ففي إضافة العذاب إليه تهويل وتعظيم له إلى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا إلى غيره جميعاً لا يتخلف منكم أحد وهو على كل شيء قدير فتندرج تلك الكلية تحت قدرته على إماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بأفانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما ألقي إليهم فحوى الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق إليهم ما ينبغي أن يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع أنهم

بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال او تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض
والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما بعدها من هناتهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه الا انهم
يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض
لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد فسره بعضهم
الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله عز وعلا ليستخفوا منه الجأ الى
اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم وجعله
في فود المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق ولا يخفى
ان انسياق الذهن الى توسط الارادة بين ثني الصدور وبين الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسط
الضرب بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر
والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مستورا فيها كما تعطف الثياب
على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايماء الى ان ظهوره مغن عن ذكره او ليذهب
ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المنكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي القي اليهم
دخولا اوليا فحينئذ يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى
الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين
كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه
كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكانه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم
لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر
والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة
وهو مبالغة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لتثنوني صدورهم وقرئ تثنون تفعوعل
من الثني وهو ما هش من الكلأ وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من
النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم
همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي الا حين يستغشون ثيابهم
اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد وحين يأوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم
فانما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره
ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون اي يضمرون في
قلوبهم وما يعلنون اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى
يظهرونه وانما قدم على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع
ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه بما يسرونه اقدم مما يعلنونه
ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء
على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار
ان المحاسبة بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما هاهنا فقد تعلق باشعار كون
تعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى
بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا
المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم

تكتمون

تكتمون فحيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم الصلاة والسلام المنزه مقامهم عن اقتضاء التاكيد
والمبالغة في الاخبار بما اشتمل عليه علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع
التنبيه عنه بما قبله من قوله عز وجل الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض فيجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة
السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق
علمه سبحانه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية انه عليم بذات الصدور تعليل
لما سبق وتقرير له وقع موقع الكبرى من القياس في صيغة التفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق
والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبيتها من البلاغة ما لا يوصف اي مبالغ في الاحاطة
بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى
عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او
ارادي لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جيء به على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا
لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه ويعلم
مستقرها محل قرارها في الاصلاب ومستودعها موضعها في الارحام وما يجري مجراها
من البيضة ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيز
الطبيعي ومنشأها الخلقي واما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين
او مسكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل
تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى
ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم مواقعها المختلفة
المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المنطوية في الاطوار المتباينة ومقارها المترتبة ويفيض
عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع
باماكنها في الممات ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها كل من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها
في كتاب مبين اي مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم الصلاة والسلام
او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض
من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدأ فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدأ خلق
السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام السموات في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك
في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو
السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي تتمة اربعة
ايام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات او
مقدار ستة ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا
سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار
للنظار وحث على التأني في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر استأثر بعلمه ما
تقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى
كونها اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة الآثار والاحكام وكان عرشه قبل خلقها على الماء

ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة أو كان موضوعا على متنه كما ورد في الأثر فلا دلالة
فيه على إمكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على إمكانه نفسه فقط ولا على كون الماء أول ما حدث في العالم بعد
العرش وإنما يدل على أن خلقهما أقدم من خلق السموات والأرض من غير تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم
متعلق بخلق أي خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها أنتم ورتب فيهما جميع ما
تحتاجون إليه من مبادي وجودكم وأسباب معايشكم وأودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنائع والعبر
ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم أيكم أحسن عملا فيجازيكم
بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز
طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على أنظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والأمارات والمخايل
ومراتب أعمالهم المتفرعة على ذلك فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم
بقوله أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فإن لكل من القلب والقالب
عملا مخصوصا به فكما أن الأول أشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل دون معرفة الله عز وجل الواجبة
على العباد آثر ذي أثير وإنما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آياته
البينات المنصوبة في الأنفس والآفاق والإطاقة بدون فهمها في مطاوي الكتاب وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل
الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لأن أحدا لا يقدر أن يعمل
في اليوم بجوارحه مثل عمل أهل الأرض وتعليق فعل البلوى أي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق
المشهور الذي يقتضي عدم إيراد المفعول أصلا مع اختصاصه بأفعال القلوب لما
فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك أجري مجراه بطريق التمثيل أو الاستعارة
التبعية وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل للفريقين باعتبار أعمالهم المنقسمة
إلى الحسن والقبيح أيضا لا إلى الحسن والأحسن فقط للإيذان بأن المراد بالذات والمقصد الأصلي
مما ذكر من إبداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع إنما هو ظهور كمال إحسان المحسنين وأن ذلك لكونه
على أتم الوجوه اللائقة وأكمل الأساليب الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد أحد عن سننه
المستبين بل يهتدي كل فرد إلى ما يرشد إليه من مطلق الإيمان والطاعة وإنما التفاوت بينهم
في مراتبهما بحسب القوة والضعف والقلة والكثرة وأما الإعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال
فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن أن ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع
البديع وإنما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من
الترغيب في الترقي إلى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها والله تعالى أعلم
ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت على ما يوجبه قضية الابتلاء ليترتب عليه الجزاء المتفرع
على ظهور مراتب الأعمال ليقولن الذين كفروا أي وجه الخطاب في قوله تعالى أيكم إلى جميع المكلفين
فالموصول مع صلته للتخصيص أي ليقولن الكافرون منهم وهو وارد على طريقة الذم إن هذا إلا
سحر مبين أي مثله في الخديعة أو البطلان وهذا إشارة إلى القول المذكور أو إلى القرآن فإن
الإخبار عن كونهم مبعوثين وإن لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو إلا أنهم عند سماعهم ذلك يتخلصون
إلى القرآن لابتنائه عليه في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا إلى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا
منهم في العناد وتفاديا عن سنن الرشاد وقيل هو إشارة إلى نفس البعث والإبدال بما التعجيبية
بالتحقيق لأنه إنما يطلق على شيء موجود ظاهر لا أصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم

بحت وتعلق

بحت وتعلق الآية الكريمة بما قبلها إما من حيث أن البعث كما أشير إليه من تتمات الابتلاء المذكور كأنه
قيل الأمر كما ذكر ومع ذلك إن أخبرتهم بمقدمة من مقدماته وقضية فردة من تتماته
لا يتلقونها إلا بالرد ويعدون ذلك من قبيل الأضاحيك فضلا عن تصديق ما هو من أحكامه
وإما من حيث أن البعث خلق جديد كأنه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة
البالغة ومع ذلك إن أخبرتهم بأنه تعالى يعيدهم تارة أخرى وهو أهون عليه يقولون ما يقولون
فسبحان الله عما يصفون وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر على أن الإشارة إلى القائل أو إلى الحالف
على أسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت أو على أنك بمعنى علك أي لعلك
أي ولئن قلت لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا ذلك والتوقع باعتبار حال المخاطبين أي توقعوا ذلك ولا
تبتوا القول بإنكاره أو على أن تعاملهم معاملة من يتلقى على ذلك لينظروا إلى اللجاج
والعناد ريثما قرع أسماعهم ذلك القول فيما ظنوا أو فيما قالوا عليه بناء على إنكار البعث ويكون
ذلك داعيا لهم إلى التأمل والتدبر وما فعلوه فإنا لهم الله أنى يؤفكون ولئن أخرنا عنهم العذاب
المترتب على بعثهم والعذاب الموعود في قوله تعالى فإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم
كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قتل جبريل المستهزئين و
الظاهر أن المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص ببعض منهم على أنهم لم يكن يوم
يستعجل المستهزئون إلى أمة معدودة إلى طائفة من الأيام قليلة لأن ما يحصره العد
قليل ليقولن ما يحبسه أي أي شيء يمنعه من المجيء كما كانوا يفعلون من قبل فلما كانوا يقولونه
بطريق الاستهزاء لقوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ومرادهم إنكار المجيء من أصله لا الإقرار به
والاستفسار عن حابسه ألا يوم يأتيهم ذلك ليس مصروفا عنهم على معنى أنه
لا يرفعه رافع أبدا أو لا يدفعه عنهم دافع بل هو واقع بهم ألبتة وأريد بهم العذاب
الدنيا منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديم خبر ليس لأن المعمول
مقدم على العامل تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع متبوعه ورد بأن الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره
توسعا بأنه قد يقدم المعمول حيث لا يجوز تقدم العامل كما في قوله فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل
فلا تنهر فإن اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع
امتناع تقدم الفعلين عليها قال أبو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر
ليس عليها ولا بتقديم معموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر فيأبى
فما يزداد إلا لجاجة وكنت أبيا في الخنا لست أقدم وحاق بهم أي أحاط بهم ما كانوا به
يستهزءون أي العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاء وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه
وإشعار بعليته لما ورد في حيز الصلة من استهزائهم كما لو لم يراعوا والتعبير عنها بالماضي وارد على
عادة الله تعالى في إخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة
على علو شأن المخبر وتقرير وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة أي أعطيناه
نعمة من صحة وأمن وجدة وغيرها وأوصلناها إليه بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه أي
سلبناه إياها وإيراد النزع للإشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها إنه ليؤس شديد القنوط
من روح الله قطوع رجاءه من عود أمثالها عاجلا وآجلا من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله
وثقته به كفور عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه إشارة إلى أن النزع إنما كان بسبب كفرانهم بما
كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل فيا عجبا عن وصف يأسهم مع تقدم ما عليه من غاية القواصل

على أن اليأس من فضل الله تعالى وقطع الرجاء عن أمثالها في العاجل وإيصال الجزاء في الآجل من باب
الكفران للنعمة السالفة أيضاً ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته﴾ كصحة بعد سقم ووجدة
بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما
مما يرغب فيه وعن ملابسة الضر بالمس المشعر بكونها في أدنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها
من إسناد الأول إلى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على أن مراده تعالى إنما هو إيصال
الخير المرغوب فيه على أحسن ما يكون وأتمه وإنما يريد بعباده اليسر دون العسر وإنما ينالهم ذلك بسوء
اختيارهم ليس كذلك كما يلوح به المشوة من غير تأن وإنما نزع الرحمة فيما صدر عنه بمقتضى الحكمة
الداعية إلى ذلك وهو كفرانهم كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار الحقوق التي عليها ﴿ليقولن ذهب السيئات
عني﴾ أي المصائب التي تسوءني فلن يعتريني بعد أمثالها كما هو شأن أولئك الأشرار فإن الترقب لورود
أمثالها مما يكدر السرور وينغص العيش ﴿إنه لفرح﴾ بطر أشر بالنعم مغتر بها ﴿فخور﴾ على الناس بما
أوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في الإنسان إما للاستغراق الجنسي فالاستثناء
متصل وإما للعهد فمنقطع ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وما فيه من
معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل أي أولئك الموصوفون بتلك الصفات
الحميدة ﴿لهم مغفرة﴾ عظيمة لذنوبهم وإن جلت ﴿وأجر﴾ ثواب الله لأعمالهم الحسنة ﴿كبير﴾ ووجه تعلق
الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث إن إذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع
التفصيل من الإجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملاً والمعنى أن كلاً من إذاقة النعماء
ونزعها مع كونها ابتلاء للإنسان أيشكر أم يكفر لا يهتدي إلى سنن الصواب بل يحيد في تلك الحالتين
عنه إلى مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل إلا من الصابرين الصالحين أو من حيث إن إنكارهم للبعث
واستهزاءهم بما أنذروا به من العذاب بسبب بطرهم وفخرهم كأنه قيل إنما فعلوا ذلك لأن طبيعة الإنسان مجبولة على ذلك
﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ من الآيات الدالة على حقيقة نبوتك المنادية بكونها من عند
الله عز وجل من آيات ذلك وعجيبة ﴿وضائق به صدرك﴾ أي عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم
وتبليغه إليهم في أثناء الدعوة والمحاجة ﴿أن يقولوا﴾ لأن يقولوا تعامياً على تلك البراهين التي لا تكاد
تخفى صحتها على أحد ممن له أدنى بصيرة وتمادياً في العناد على وجه الاقتراح ﴿لولا أنزل عليه كنز﴾ مال
خطير يدل على صدقه ﴿أو جاء معه ملك﴾ يصدقه قيل قاله عبد الله بن أمية المخزومي وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهباً إن كنت رسولاً وقال آخرون
ائتنا بالملائكة يشهدون بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فنزلت فكأنه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم
على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالآيات الباهرة التي كانت تضطرهم إلى القبول لو كانوا من أرباب العقول
وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين إلى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها
سحراً مثل حاله عليه الصلاة والسلام بحال من يتوقع منه أن يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات النازلة
عليهم وتبليغها إليهم فحمل على الحذر منه بما فيه من الإشفاق فقيل إنما أنت ﴿نذير﴾ ليس عليك إلا
الإنذار بما أوحي إليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول ﴿والله على كل شيء وكيل﴾ يحفظ أحوالك
وأحوالهم فتوكل عليه في جميع أمورك فإنه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في أقصى غاية
من إصابة المحز ﴿أم يقولون افتراه﴾ إضراب بأم المنقطعة عن ذكر تركهم الاعتداد بما يوحى وتهاونهم
به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزة الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقيقة نبوته
صلى الله عليه وسلم وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو أشد منه وأعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والإنكار

والتعجب

والتعجب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحى أي بل أيقولون
افتراه وليس من عند الله ﴿قل﴾ إن كان الأمر كما تقولون ﴿فأتوا﴾ أنتم أيضاً ﴿بعشر سور مثله﴾ في البلاغة
وحسن النظم وهو نعت لسور أي أمثاله وتوحيده إما باعتبار مماثلة كل واحدة منها أو لأن
المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى أنؤمن لبشرين مثلنا أو للإيماء
إلى أن وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية إلى مرتبة الإعجاز
فكأن الجميع واحد ﴿مفتريات﴾ صفة أخرى لسور أخرت عن وصفها بالمماثلة لما أنها
الصفة المقصودة بالتكليف إذ بها يظهر عجزهم وقصورهم عن المعارضة وأما وصف الافتراء
فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي وإنما ذكر على نهج المساهلة وإرخاء العنان
ولأنه لو عكس الترتيب لربما توهم أن المراد هي المماثلة في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له
في البلاغة مختلقات من عند أنفسكم إن صح أني اختلقته من عندي فإنكم أقدر على ذلك مني لأنكم
عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب والأشعار وحفظتم الوقائع والأيام وزاولتم
أساليب النظم والنثر ﴿وادعوا﴾ للاستظهار في المعارضة ﴿من استطعتم﴾ دعاءه والاستعانة
به من آلهتكم التي تزعمون أنها ممدة لكم في كل ما تأتون وتذرون والكهنة ومدارهم الذين تلجأون إلى
آرائهم في الملمات ليساعدوكم فيها ﴿من دون الله﴾ متعلق بادعوا أي متجاوزين الله تعالى ﴿إن كنتم صادقين﴾
في أني افتريته فإن ذلك يستلزم إمكان الإتيان بمثله وهو أيضاً يستلزم قدرتكم عليه والجواب
محذوف يدل عليه المذكور ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ أي فإن لم يفعلوا ما كلفوه من الإتيان بمثله كقوله
تعالى فإن لم تفعلوا وإنما عبر عنه بالاستجابة إيماء إلى أنه صلى الله عليه وسلم على كمال أمن من أمره
كأن أمره لهم بالإتيان بمثله دعاء لهم إلى أمر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول صلى الله عليه وسلم
والجمع للتعظيم كما في قول من قال وإن شئت حرمت النساء سواكم أو له وللمؤمنين لأنهم أتباع له صلى الله
عليه وسلم في الأمر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على أن حقهم أن لا ينفكوا عنه عليه الصلاة والسلام
ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وإرشاد إلى أن ذلك مما يفيد الرسوخ
في الإيمان والطمأنينة في الإيقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل ﴿فاعلموا﴾ أي أعلموا علماً يقينياً
كعجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علماً يقينياً متاخماً لعين اليقين بحيث لا مجال معه
لشائبة ريب بوجه من الوجوه كأن ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا إشعاراً بانحطاط تلك
المراتب بل بارتفاع هذه الرتبة من بينها سراية ذكر له لا شك مع القطع بعدم الاستجابة فإن
تنزيل ما سوى المرتبة منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه أي
اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم ﴿أنما أنزل﴾ ملتبساً ﴿بعلم الله﴾ المخصوص به لا يحوم
حوله العقول والأفهام مستتبعاً لخصائص الإعجاز في جهتي النظم الرائق والإخبار بالغيب ﴿وأن
لا إله إلا هو﴾ أي واعلموا أيضاً أن لا شريك له في الألوهية وأحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه
أحد ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أي مخلصون في الإسلام أي ثابتون عليه وهذا من التثبيت والترقية
إلى معارج اليقين ويجوز أن يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم داخلاً
تحت الأمر بالتحدي والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فإن لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من إليه
تلجأون في مهماتكم إلى المعاونة والمظاهرة فاعلموا أن ذلك خارج عن دائرة قدرة كله لا شك حينئذ مع
الجزم بعدم الاستجابة من جهة آلهتهم وذكرهم والتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الأمر بالعلم
على مجرد عدم الاستجابة من حيث إنه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكأنه قيل فإن لم يستجيبوا

لكم عند التجائكم اليهم بعدما اضطررتم اليه وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل المؤمنين حيث انكم من
يستمدون بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وقد كان ذلك قبل ظهور عجز
انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح ولعل ايصال الحكم تنزل عن رتبة الشركة في الالوهية ولاحكامها
فهل انتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان ما كنتم فيه
من الشرك فيدخل فيه الاذعان بكون القرآن من عند الله تعالى دخولا اوليا او منقادون للحق الذي هو
كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام ايجاب
بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط من ان يجيرهم آلهتهم من باس الله
عن سلطانه هذا والاول انسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك وكما سيأتي من قوله تعالى فلا
تك في مرية واشد ارتباطا بما يعقبه مما سيحيط به خبرا من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
اي ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد
بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها
وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة اصلا وليس لهم الا اعمالهم
اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد جميع ما يهواه وان ذلك منوط بالمشية الجارية على قضية
الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها
الذي يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من الاعمال التي وقد اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى
نوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحيوة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله عز وجل وتوف بالفوقانية بالياء
على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ يوفي بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم
مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها اي في الحيوة الدنيا لا يبخسون اي لا ينقصون شيئا من
ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيها او في ما عبر عن اعطائه بالتوفية التي هي
اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور
الاعمال ومبالغة في نفي النقص كأنه نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا والمعنى
انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا او لا يحرمونها حرمانا كليا واما في
الآخرة فهم في الحرمان المطلق واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى اولئك اشارة الى المذكورين
باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا وزينتها او توفيتهم فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس الذين ليس لهم في الآخرة
الا النار لان همتهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها
ولم يكونوا يريدون شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة الا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا
فيها اي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوا من الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت معمولة للآخرة
او حبط ما صنعوا في الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص وباطل اي في نفسه ما كانوا
يعملون في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شانه استتباع الثواب والاجر وان عدمه
لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط المؤذن
بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته
اصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء
الى ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي مقدماتها
مطالبهم الدنيوية وقرئ وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ
الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على انه

ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن انس رضي الله عنه ان المراد بقوله تعالى
من كان يريد الحيوة اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق
وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في
الغنائم ثم انت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم اهل الرياء ويقال للقراء منهم
اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا لغيرهم ممن يعمل الاعمال التي لا لوجه الله تعالى فعلى
هذا لابد من تقييد قوله تعالى ليس لهم الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذي
يقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم
اندراجا اوليا فانه عز وجل لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بان يزدادوا علما ويقينا
بان القرآن نزل بعلم الله تعالى وبان لا قدرة لغيره على شيء اصلا وهيجهم على الثبات على الاسلام
والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء
اصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة
واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل من الدلالة عليه ولقد تبين حالهم اي بيان ثم عقب
الترتيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل افمن كان على بينة من ربه اي
برهان نير عظيم الشان يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن وباعتباره
او ببيانه قيل البينة بتذكير الضمير الراجع اليها في قوله تعالى ويتلوه اي يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند
الله تعالى وهو الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع في بعض آياته من الاخبار بالغيب
وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير ان التعبير عنه بالتلو في الكلام اشارة الى حال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه من عند الله بشهادة
الاعجاز منه اي من القرآن غير خارج عنه او من جهة الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة
ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك
ايضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى والمراد بمن في قوله تعالى افمن كل من اتصف بهذه
الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله تعالى فهل انتم مسلمون دخولا اوليا وقيل هو النبي صلى الله عليه
وقيل مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن و
الضمير في منه لله عز وجل والبينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان النبي صلى الله
عليه وسلم على ان الضمير له او التلو والشاهد ملك يحفظه والاول هو الاولى فلما كانت تسلية للنبي
البرهان ذا قائمة للشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى تأيد الحكمة باتفاق فيشهد من الشاهد فان القرآن
بينة باقية على وجه الارض مع شاهدها الذي يشهد بامره الى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب
موسى في قوله تعالى ومن قبله كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول فكانه قيل ويشهد على
بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه
وصفا لازما له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم اماما اي
مؤتما به في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلوه لكتاب لا يخفى من تفخيم شان المتلو ورحمة
اي نعمة عظيمة على من انزل عليهم ومن بعدهم الى يوم القيامة باعتبار الاحكام الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما
حالان من الكتاب اولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهو الكون على بينة من الله تعالى عبارة عن مطلق
التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم
يؤمنون به اي يصدقون تصديقا حسبما يشهد به الشاهد الحق المعرب عن حقيته ومن يكفر به

أي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة من الأحزاب من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة حسبما أنطق به قوله عز وعلا ليس لهم في الآخرة إلا النار
وفي جعلها موعدا إشعار بأن لهم فيها ما لا يوصف من أفانين العذاب فلا تك في مرية منه أي في شك من
القرآن وكونه من عند الله عز وجل غب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به إنه الحق
من ربك الذي يربيك في دينك ودنياك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بذلك إما لقصور أنظارهم واختلال
أفكارهم وإما لعنادهم واستكبارهم ومن في قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لإغناء
الحال عن ذكره وتقديره أفمن كان على بينة من ربه كأولئك الذين ذكرت أعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعني أن
بينهما تفاوتا بعيدا بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وإيلاء الفاء بعد الهمزة لإنكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من
صفاتهم وعدد من هنياتهم كانت تخيل لبعض حظوظهم في الدنيا والآخرة كما وصف توهم المماثلة بينهم
وبين من كان على الحسن ما يكون في العاجل والآجل كما في قوله تعالى أفاتخذتم من دونه أولياء أي أبعد أن علمتموه
رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء وقوله تعالى أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا بأن نسب إليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني أنهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه كذبا وهذا
التوبيخ ولذلك تمسك على إنكار أن يكون أحد أظلم منهم من غير تعرض لإنكار المساواة ونفيها ولكن المقصد به
... إنكار المساواة ونفيها فإفادته أنهم أظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله عز وجل لا جرم أنهم في
الآخرة هم الأخسرون فإذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمعنى حتما أنه أكرم من كل كريم وأفضل
من كل فاضل أولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وفي الإشارة تحصلت الغيبة
عن إسناد العرض إلى أعمالهم وإلى الإسناد إليهم حيث قيل يعرضون لا أعرض بهم من تلك الحيثية وإن
العنوان عرض لأعمالهم على وجه أبلغ فإن عرض العامل بعمله أفظع من عرض مع غيبته على ربهم الحق وفيه
إيماء إلى بطلان رأيهم في اتخاذهم أربابا من دون الله عز وجل ويقول الأشهاد عند العرض من الملائكة
والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد أو شهيد كأصحاب وأشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
بالافتراء عليه وكان ذلك أشهر وأوضح عن الشهادة بوقوعها ... الشهادة بعينهم بل حصل عن
ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ... بالإشارة الحضار وهو جميع أهل الموقف
عليها قال قتادة ومقاتل يعني ... ويكون ... هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ... ذلك
لإشهادة عليهم بما يشعر به ... ويشهد ... من قوله عز وجل ألا لعنة الله
على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز أن يكون هذا الجملة الأولى من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم
لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم ... من الأخزاء على رؤوس الأشهاد الذين يصدون أي كل
من يقدرون على صده أو يفعلون الصد عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها عوجا انحرافا
أي يصفونها بذلك وهي أبعد شيء منه أو يبغون أهلها أن ينحرفوا عنها ويرتدوا أو يبغونها ...
الله وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم إنه ليس من عند الله وهم بالآخرة هم كافرون أي يصفونها
بالعوج والحال أنهم كافرون بها لا أنهم يؤمنون بها ويزعمون أنها سبيل حسن ... الناس إليه وتكرير
لتأكيد كفرهم واختصاصهم كأن كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم أولئك مع ما وصف من الأحوال الموجبة
للتدمير لم يكونوا معجزين لله تعالى مفلتين بأنفسهم من أخذه لو أراد ذلك في الأرض مع سعتها وإن
هربوا منها كل مهرب وما كان لهم من دون الله من أولياء ينصرونهم من بأسه ولكن أخر ذلك لحكمة
تقتضيه والجمع إما باعتبار أفراد الكفرة كأنه قيل وما كان لأحد منهم من ولي أو باعتبار تعدد ما كانوا

يدعون

يدعون من دون الله من الآلهة ... عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب
استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة وقرئ ... وقرأ ابن كثير ويعقوب وابن عامر بالتشديد ما كانوا يستطيعون
السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كأنهم لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم إذعانهم للقرآن
الذي طريق تلقيه السمع أشد منه في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالأبصار بالغ في نفي
الأول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة والنفي في الثاني بنفي الإبصار فقال وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الأنفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلا لمضاعفة
العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فإن ما لا يسمع ولا يبصر بمعزل عن الولاية
وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من أول الأمر سوء
العاقبة أولئك المنعوتون بما ذكر من القبائح الذين خسروا أنفسهم باشتراء عبادة
الآلهة بعبادة الله عز سلطانه وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها
أو خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم
فيه ثلاثة أوجه الأول أن لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه
فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق أنهم في الآخرة هم الأخسرون وهذا مذهب سيبويه
والثاني أن جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام أي كسب ذلك خسرانهم
والمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور خسرانهم والثالث أن لا جرم بمعنى لا بد أي لا بد أنهم في الآخرة
هم الأخسرون وأيا ما كان فمعناه أنهم أخسر من كل خاسر فتبين أنهم أظلم من كل ظالم وهذه
الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من إنكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان
يريد الحياة الدنيا أبلغ تقرير فإنهم حيث كانوا أظلم من كل ظالم وأخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة
بينهم وبين أحد من الظلمة الخاسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في أعلى مدارج الكمال
ولما ذكر فريق الكفار وأعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم شرع في بيان حال أضدادهم أعني فريق المؤمنين
وما لهم من العواقب الحميدة تكميلا لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى أفمن كان على
بينة من ربه الآية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومآلا فقيل إن الذين آمنوا أي بكل
ما يجب الإيمان به فيندرج فيه ما نحن بصدده من الإيمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة
من الله ولما كان ... ذلك الإيمان باستماع الوحي ... ومشاهدة ما ... في الأنفس والآفاق
... وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أي اطمأنوا إليه وانقطعوا
إلى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهي الأرض المطمئنة ...
... أولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة أصحاب الجنة هم فيها خالدون
دائمون فبعد بيان تباين حاليهم عقلا أريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين
المذكورين أي حالهما العجيب لأن المثل لا يطلق إلا على ما فيه غرابة من الأحوال والصفات كالأعمى
والأصم والبصير والسميع أي كحال هؤلاء ... وإن أمكن أن يحمل على
تشبيه الفريق الأول بالأعمى وبالأصم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو
في قوله تعالى والأصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قوله إلى الملك القرم وابن
الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وأيا ما كان فالظاهر أن المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي
تدور عليها أمر التشبيه ما يلائم الأحوال المذكورة والمعتبرة في جانب المشبه به من تعامي الفريق
الأول عن مشاهدة آيات الله تعالى المنصوبة في العالم والنظر إليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع

آيات القرآن الكريم فتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
وإنما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الأعمى أظهر وأشهر في سوء الحال من الأصم ومن استعمال الفريقين لما
لكل من أبصارهم وأسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الإيمان والعمل الصالح والإخبات
حسبما أفتي به نيابتي فلا يكون التشبيه تمثيليا لا لجميع الأحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر
وما يؤدي إليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في حده ومن النعيم المقيم في الآخرة فإن اعتبر
ذلك بنوع التشبيه تمثيليا بأن ينتزع من حال الفريق الأول في تصامهم وتعاميهم المذكورين
ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة تشبه بهيئة
منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد إلى مقصده
سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم
بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة من له بصر وسمع يستعملهما في ما ينبغي فيهتدي
إلى سبيله وينال مرامه **هل يستويان** يعني الفريقين المذكورين والاستفهام إنكاري مؤكد
لما سبق من إنكار المماثلة في قوله عز وجل أفمن كان على بينة الآية **مثلا** أي حالا وصفة وهو
تمييز من فاعل يستويان **أفلا تذكرون** أي أتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين
أو أتغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الإنكار واردا على المعطوفين
معا أو أتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا إلى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما في
قوله تعالى أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فإن الفاء هناك للإنكار بعد تحقق ما يوجب عدمه
من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فلا تفعلون التذكر أو فلا تعقلون
ومعنى الهمزة إنكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وأنه ليس مما يصح أن يقع
لا من قبيل الإنكار في قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فإن ذلك
نفي للمماثلة ونفي للاستواء ولما بين من فاتحة السورة الكريمة إلى هذا المقام أنها كتاب محكم الآيات
مفصلها نازل في شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وأن الذي أنزل عليه نذير وبشير
من جهته تعالى وقرر في تضاعيف ذلك ما له مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب
وإلزام المعاندين بما يقارن من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى وتسلية لرسوله
صلى الله عليه وسلم مما اعتراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم
وتسميتهم القرآن تارة سحرا وأخرى مفترى وتثبيته عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على
التمسك به والعمل بموجبه على أبلغ وجه وأبدع أسلوب شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المشتملة على ما اشتملت عليه فاتحة السورة الكريمة ليتأكد ذلك
بطريقين أحدهما أن ما أمروا به من التوحيد وفروعه مما أطبق عليه الأنبياء قاطبة والثاني أن ذلك
إنما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام أصلا ويتسلى بما
يشاهد من معاناة الرسل قبله من أممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فقيل **ولقد أرسلنا
نوحا إلى قومه** الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرف التحقيق لا الواو كما في سورة
الأعراف لأنها لم تجر هنالك ولا تكاد تطلق هذه اللام إلا مع قد لأنها مظنة التوقع وأن المخاطب
سمعها أي توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ إدريس عليهما الصلاة والسلام
وهو أول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث عليه الصلاة والسلام على رأس أربعين
من عمره ولبث يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره

الفا وخمسين

الفا
وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل
وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة فكان عمره ألفا ومائتين
وخمسين سنة **إني لكم نذير** بالكسر على إرادة القول أي فقال أو قائلا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
والكسائي بالفتح على إضمار حرف الجر أي أرسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو إني لكم نذير
بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك إن زيدا كالأسد واقتصر
على ذكر كونه عليه الصلاة والسلام نذيرا لا لأن دعوته عليه الصلاة والسلام كانت بطريق الإنذار
فقط ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا إلى آخره بل لأنهم لم يغتنموا مغانم البشارة عليه الصلاة والسلام **مبين** أبين لكم موجبات
العذاب ووجه الخلاص عنه لأن الإنذار إعلام المحذور لا لمجرد التخويف والإزعاج بل للتحذير منه
فيتعلق بصفتيه كلي وصفيه **أن لا تعبدوا إلا الله** أي بأن لا تعبدوا على أن أن مصدرية والباء
متعلقة بأرسلنا ولا ناهية أي أرسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك إلا الله وتوسيط ما بينهما بيان
بعض أوصافه وأحواله عليه الصلاة والسلام وهو كونه نذيرا مبينا لكونه أدخل في القبول ولم يفعل ذلك
في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس من أوصافه وأحواله أو مفسرة متعلقة به أو بنذير
أو بمفعول لمبين وعلى قراءة الفتح بدل من إني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين
لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله **إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم** تعليل لموجب النهي
وتصريح بالمحذور وتحقيق للإنذار والمراد به يوم القيامة أو يوم الطوفان ووصفه بالأليم على
الإسناد المجازي للمبالغة كما في نهاره صائم وهذه المقالة وما في معناها مما قاله عليه الصلاة
والسلام في أثناء الدعوة على ما عزي إليه في سائر السور لم تصدر عنه عليه الصلاة والسلام
مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة حسبما أنطق به قوله تعالى رب إني دعوت قومي
ليلا ونهارا الآيات عطف على فعل الإرسال المقارن لها والقول المقدر بعد مجيئهم التعرض لأحوال
المؤمنين الذين اتبعوه عليه الصلاة والسلام بعد اللتيا والتي بالفاء التعقيبية فقيل **فقال الملأ الذين
كفروا من قومه** أي الأشراف منهم من قولهم فلان مليء بكذا أي مطيق له لأنهم ملؤوا بكفايات الأمور أو لأنهم
ملؤوا القلوب هيبة والمجالس بهاء أو لأنهم ملئوا بالأحلام والآراء الصائبة ووصفهم بالكفر لذمهم
والتسجيل عليهم بذلك من أول الأمر لأن بعض أشرافهم ليسوا بكفرة **ما نراك إلا بشرا مثلنا** مرادهم
ما أنت إلا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان ذلك لرأيناه
لا أن ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم **وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي**
فالفعل فيهما من رؤية العين وقوله تعالى إلا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال
منه أو على حالية بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز أن يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فيهما
للمفعول الثاني ويتعلق الرأي في الأول بالمثلية لا بالبشرية فقط وإنما لم يبق القول بذلك مع جزمهم
وإصرارهم عليه أرادوا بأن ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التأمل والتدبر فيه ولذلك اقتصروا
على تكرر النظر فيما سيأتي ولم يصدر من أول الأمر أي المتبعين فكان قولهم وما نراك جوابا عما أورده عليهم
من أنه عليه الصلاة والسلام ليس مثلهم حيث عاينوا دلائل نبوته واغتنم اتباعه من الأعيان تبصر
وقلة بذرك فمن عزلهم هو لا أراذلنا أو اختيارنا وأرذلنا جمع أرذل فإنه بالغلبة صار جاريا
مجرى الاسم كالأكبر والأكابر أو جمع أرذل جمع رذل كالكلب والأكلب يعنون أنه لا عبرة باتباعهم لك إذ ليس
لهم رزانة عقل ولا إصابة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي أي ظاهره من غير تعمق من البدو

او في اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرئ بالهمز ونصبه على الظرف
على حذف المضاف او وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم
اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحياة كان الاشرف عندهم الاكثر منها حظا
والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الآخرة والاشرف
من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك وما نرى لكم اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب
على الغائبين علينا من فضل يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم فضيلة تستتبع
اتباعنا لكم واقتصارهم هاهنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق بلفظ
حالهم السابق والتحقير ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم بعد الاتباع
فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى
النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احتراز منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة منه
عليه الصلاة والسلام بطريق الاراءة على نهج الانصاف قال يا قوم أرأيتم اي اخبروني وفيه
ايماء الى ركاكة رأيهم المذكور ان كنت على بينة برهان ظاهر من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي
وآتاني رحمة من عنده هي النبوة ويجوز ان تكون هي البينة نفسها جيء بها ايذانا بانها مع كونها بينة
من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في قوله فعميت عليكم حينئذ ظاهر وان
اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة
والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت
خفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء
لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل
أنلزمكموها اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب أرأيتم وساد مسد جواب الشرط وقرئ
باخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل
كما في قوله فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها ومحصول الجواب اخبروني
ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم أيمكننا ان نكرهكم
على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه الصلاة
والسلام بطريق اظهار اليأس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الآية لكنه محمول على
ان مراده عليه الصلاة والسلام ردهم عن الاعراض وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام
حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك
الفضل ومحكه وبه يمتاز افراد النوع بعضها عن بعض وبه نياط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء
للرسالة وبالكون عليها التمسك والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضمير للبينة عدم
ادراكهم لكونه عليه الصلاة والسلام عليها وبالرحمة النبوة التي انكروا اختصاصه عليه الصلاة والسلام
بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا يناله الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة
لاختصاصه به دونهم اخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي وآتاني
نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها او لم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى
الآن حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون
لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه الصلاة
والسلام [illegible] الذي تمسكوا به من غير فصل لبطلانه وقطعا لشأفة آرائهم الركيكة

ويا قوم

ويا قوم لا أسألكم عليه اي على ما قلت في اثناء دعوتكم مالا تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم
لي فيكون ذلك اجرا لي في مقابلة اهتدائكم ان اجري الا على الله الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير
عنه حين نسبته الى الله بالمال ما لا يخفى من المزية وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم
بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا مريدين لو اتبعك الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع
لهم من ذلك كما صرحوا به في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا
لايمانهم به عليه الصلاة والسلام بذلك انفة من الانتظام معهم في سلك واحد انهم ملاقو ربهم
تعليل للامتناع عليه الصلاة والسلام عن طردهم اي انهم فائزون في الآخرة بلقاء الله عز وجل كأنه
قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية
وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم
ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على انهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر
لي او على خلاف ذلك مما تعرفونه منهم من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن
قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله تعالى
على طردهم كما سيأتي وايضا فهم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الرأي بلا تأمل وتفكر وهذا
لا يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمؤاخذة في الآخرة غايته ان لا يكونوا في مرتبة الموقنين واما ان
انتفاء الايمان على ظاهر الرأي يؤدي الى الرجوع عنه عند التأمل فكأنهم قالوا انهم اتبعوك بلا تأمل فلا
يثبتون على دينك بل يرتدون عنه بعد التأمل ولكني اراكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل
فيه جهلهم بلقاء الله عز وجل وبمنزلتهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله تعالى كما سيأتي وبركاكة رأيهم
في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعما منهم ان الرذالة بالفقر
والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار او تتسافهون على المؤمنين
بنسبتهم الى الخساسة ويا قوم من ينصرني من الله بدفع حلول سخطه عني ان طردتهم فان ذلك
امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه غني عن البيان
لا سيما فيما قدم ما يلوح به من احوالهم كأنه قيل من يدفع غضب الله تعالى عني ان طردتهم وهم بتلك
المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى أفلا تذكرون اي اتستمرون على ما انتم عليه من
الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما تأتونه بمعزل عن الصواب ويكون هذه الجملة
مستقلة بوجه تخصيص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد وافردت عن التعليل السابق وصدرت
بيا قوم ولا اقول لكم حين ادعي النبوة عندي خزائن الله اي رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها
على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان تنال باسباب دنيوية
ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب اي لا ادعي في قولي اني لكم نذير مبين اني اخاف عليكم عذاب
يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد ولا اقول لكم اني ملك حتى تقولوا ما نراك الا
بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور
ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك ولا الذي ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل
النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر ولا اقول مساعدة لكم فيما تقولون للذين تزدري
اعينكم اي تستحقرهم وتستنقصهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى اعينهم بالنظر الى قولهم وما
نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا وللاشعار بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم ما اهملوهم
اي لا اقول في شأن الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في الآخرة

نفسي الله ان يؤتيهم خيرا ان قلت هذا القول ليس مما تستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره
عنه عليه الصلاة والسلام اصالة واستتباعا كما ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن مما نفاه
عليه الصلاة والسلام عن نفسه بطريق التبرؤ والتنزه عن نسبته اليه فما وجه عطف نفيه على نفيها
قلت هو جهة انتظامه في سلك النفي تحقيقا سابقه من الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة
تستتبع الامور المذكورة وانها لا تستتبع من ليس على تلك الصفات وان الفقراء على مكانتها واغتنامهم منها
ليس من باب الاراذل فاجاب عليه الصلاة والسلام بنفي ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجود تلك الا...
من موجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير **الله اعلم بما في انفسهم** من الايمان وانما
اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عليه الصلاة والسلام جازم بان الله سبحانه سيؤتيهم
خيرا عظيما في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم
واكتفاء بمخالفة كلامهم واشارة اليهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول
الا فيما يعلمه يقينا ويبني اموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة **اني
اذا** اي اذا قلت ذلك **لمن الظالمين** لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم
بذلك فان وباله راجع اليها وفيه تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل اذا
قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لان نفي تلك الاقوال
مغن عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين **قالوا يا نوح قد جادلتنا** خاصمتنا
فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيت بانواعه فان اكثار الجدال يتحقق بعد وقوع اصله فلذلك
عطف عليه بالفاء او اردت ذلك فاكثرته كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله فلما
حجهم عليه الصلاة والسلام وابين لهم بينات واضحة المدلول بحيث تتلقاها العقول بالقبول في
الحجج بقوة شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا **فاتنا بما تعدنا**
من العذاب المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان
لا يكون المراد باليوم يوم القيمة **ان كنت من الصادقين** فيما تقوله **قال انما يأتيكم به الله
ان شاء** يعني ان ذلك ليس موكولا الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله الذي كفرتم
به وعصيتموه بان يأتيكم به عاجلا او آجلا ان تعلق به مشيته التابعة للحكمة وفيه ما لا
يخفى من تهويل الموعود فكانه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله
الله تعالى **وما انتم بمعجزين** بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام **ولا ينفعكم
نصحي** النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من فعل او قول وحقيقته اخلاص ارادة
الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى
ان اردت ان انصح لكم شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح
لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى **ان كان الله يريد
ان يغويكم** فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا اما ذهب اليه البصريون من عدم تقدم
الجزاء على الشرط واما ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وجل ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط
الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به متعلق
بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا صدر عنه عليه الصلاة
والسلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وابائهم عما سبق من ليس
بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبانه لم يتوجه في ارشادهم

الى الحق وهدايتهم الى سبيل المستبان واخلاص النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة
الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان بان
ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه
من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان
الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل على ان نصحه المقارن
للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقق ذلك
وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة
على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فاتنا بما تعدنا من قوله
تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب
مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان
خلاف مراده غير واقع وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم
وهلك **هو ربكم** خالقكم ومالك امركم **واليه ترجعون** فيجازيكم على اعمالكم لا محالة
ام يقولون افتراه قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني نوحا عليه الصلاة والسلام ومعناه
بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل **قل** يا نوح **ان افتريته** بالفرض
المحال **فعلي اجرامي** اي وبال اجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويعضده ان فسره
الاولون بالثاني **وانا بريء مما تجرمون** من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم
عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل ايقول مشركو
مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكانه انما جيء به في تضاعيف القصة عند
سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد
قصت منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين قومه من المحاجة وبقيت
طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم **واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك** اي من المصرين على
الكفر وهو اقناط له عليه الصلاة والسلام من ايمانهم واعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه
الا من قد آمن الا من وجد منه ما يتوقع من ايمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله الا ما قد
سلف **فلا تبتئس بما كانوا يفعلون** اي لا تحزن حزن بائس مسكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه
من التكذيب والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام
منهم **واصنع الفلك** ملتبسا **باعيننا** اي بحفظنا وكلاءتنا كان معه من الله حفاظا
وحراسا يحفظونه بكلاءته باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة **ووحينا**
اليك كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك
فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من
الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عليه
الصلاة والسلام انه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء يصنعه بامره تعالى ووحيه من شانه كيت وكيت
واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها عليه الصلاة والسلام في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكانت
من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون حمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط
الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه
جسد آدم عليه الصلاة والسلام وقيل جعل في الاول الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى

الطبري قيل كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وسمكها ثلاثون وقال الحسن كان
طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى عليه الصلاة والسلام
لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب
فقال أتدرون من هذا قالوا الله أعلم ورسوله قال هذا كعب بن حام فضرب بعصاه ثم قال قم بإذن الله
فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال عيسى عليه الصلاة والسلام أهكذا هلكت قال لا
مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح عليه الصلاة
والسلام قال كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب
والوحش وطبقة للإنس وطبقة للطير ثم قال عد بإذن الله تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في
الذين ظلموا أي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو
قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيما يلوح بما يستتبعه أكد التعليل فقيل إنهم مغرقون أي
محكوم عليهم بالإغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه وقد لزمتهم الحجة فلم يبق إلا
أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار
صورتها العجيبة وقيل تقديره وأخذ يصنع الفلك أو أقبل يصنعها فاقتصر على يصنع وأياما كان
ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره أعني قوله تعالى وكلما مر عليه
ملأ من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله السفينة إما لأنهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية
استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه وإما لأنه كان يصنعها في برية بهماء في أبعد
موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا
بعدما كنت نبيا وقيل لأنه عليه الصلاة والسلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم
ولم يشاهدوا منه عينا ولا أثرا عدوه من باب المحال ثم لما رأوا اشتغاله بأسباب الخلاص
من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع إنكار أن يكون لعمله عليه الصلاة والسلام عاقبة حميدة
مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهاله عليه الصلاة والسلام في ذلك
قال إن تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فإنا نسخر منكم أي نستجهلكم فيما أنتم
عليه وإطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا إما لأن سخريتهم منه عليه الصلاة
والسلام سخرية من المؤمنين أيضا أو لأنهم كانوا يسخرون منهم أيضا إلا أنه اكتفى بذكر سخريتهم
منه عليه الصلاة والسلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى فإنا نسخر منكم إلخ فتم
الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عليه الصلاة والسلام إياهم بما فعلوا من السخرية تبعا
ومشافهته عليه الصلاة والسلام إياهم بذلك وإلا فهو عليه الصلاة والسلام إنما استجهلهم
جاهلين فيما يأتون ويذرون أمر مستطرد لا يشتغل به بسببه منهم لكنه عليه الصلاة
والسلام لم يكن ليتصدى لإظهاره جريا على نهج الأخلاق الحميدة فلما أظهروا جهلهم بما صنعوا
بعد اللتيا والتي فإن سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم به ولم يكن
يجيبهم في كل مرة وإلا لقيل ويقول إن تسخروا منا إلخ بل إنما أجابهم بعد بلوغ أذاهم الغاية
كما يؤذن به الاستئناف فكأن سائلا سأل فقال فما صنع نوح عند بلوغهم من سفههم المبلغ
فقيل قال إن تسخروا منا أي إن تنسبونا فيما نحن بصدده من التأهب والمباشرة لأسباب الخلاص
من العذاب إلى الجهل وتسخروا منا لأجله فإنا ننسبكم إليه فيما أنتم فيه من الإعراض عن استدفاعه
بالإيمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لأسباب حلول سخط الله تعالى

التي

التي من جملتها استجهالكم إيانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عز وجل كما تسخرون إما في
مجرد التحقق والوقوع أو في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملأ غب ملأ لا في الكيفية إذ هو من الأخلاق
التي لا تليق بشأن النبي صلى الله عليه وسلم فكلا الأمرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في
المستقبل سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل مراده نعاملكم
معاملة من يفعل ذلك لأن نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا استبداد له لأن حالهم
إذ ذاك ليس قابلا لأن يخاطب بالسخرية أو ما يجري مجراها فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
وهو عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وفيه
تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي إما استفهامية في حيز الرفع أو موصولة في محل النصب
بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعوليه أو مفعوله الواحد بجعل العلم بمعنى المعرفة فتدبر
كما مدار سخريتهم استجهالهم إياه عليه الصلاة والسلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع
ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا
يعدونه عذابا قيل استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب ولقد أصاب العلم بعد استجهالهم
محزه ووصف العذاب بالإخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض
لحلول العذاب للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وإيراد الأول بالإتيان في غاية الجزالة
حتى إذا جاء أمرنا حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية
لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب كلما وقع منهم ما يوجبه من الكلام
وقال استئناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل منه أو
صفة لملأ وقد عرفت أن الحق هو الأول لأن المقصود بيان تناهيهم في إيذائه عليه الصلاة والسلام
وتحمله لأذيتهم لا مسارعته عليه الصلاة والسلام إلى جوابهم كلما وقع منهم ما يوجبه من الكلام
وفار التنور نبع الماء منه وارتفع بشدة كما تفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو
قول الجمهور روي أنه قيل لنوح عليه الصلاة والسلام إذا رأيت الماء يفور في التنور فاركب أنت ومن
معك في السفينة فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه الصلاة
والسلام وكان من حجارة فصار إلى نوح عليه الصلاة والسلام وإنما نبع منه وهو أبعد شيء من
الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل
السفينة في ذلك الموضع أو في الهند أو في موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضي
الله عنهما وعكرمة والزهري أن التنور وجه الأرض وعن قتادة أشرف موضع في الأرض أي أعلاه
وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها أي في السفينة وهو جواب إذا
من كل أي من كل نوع لا بد منه في الأرض زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للأنثى
كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولإزالة ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج
للآخر وقرئ على الإضافة وإنما قدم ذلك على أهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما أمر به من
الحمل لأنه يحتاج إلى مزاولة الأعمال منه عليه الصلاة والسلام في تمييز بعضها من بعض وتعيين
الأزواج غاية مزاولة روي أنه عليه الصلاة والسلام قال يا رب كيف أحمل من كل زوجين اثنين فحشر
الله تعالى إليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والأنثى
في اليسرى فيجعلهما في السفينة وأما البشر فإنما يدخل الفلك باختياره فيخفى فيه معنى الحمل أو لأنها
إنما تحمل بمباشرة البشر وهم إنما يدخلونها بعد حمل الأزواج وأهلك عطف على زوجين أو على

اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول منهم بانه من المغرقين بسبب
ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وامه واغلة فانهما
كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل
ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن
اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن من غيرهم وافراد
الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد في آمن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم
كما اعرب عنه قوله عز وعلا وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عليه الصلوة
والسلام واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة
وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد
نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء والعياد
لهيئة في ايمانهم بهذه الى الفتية في مقر الامانة والنجاة وقال اي نوح عليه الصلوة والسلام لمن معه
من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله تعالى لناسب ان
يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها كما سيأتي
بيانه في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا
بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات انه عليه الصلوة والسلام
حمل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية
جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شيء له حركة اما ارادية
كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ الاصل فيقال ركبت
الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول
بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى
فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله اي اركبوا مسمين الله
تعالى او قائلين بسم الله مجريها ومرساها نصب على الظرفية اي في وقت اجرائها وارسائها على انهما
اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصبا
بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرساها استئنافا من مبتدا
وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله تعالى
ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها
بسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه الصلوة والسلام قيل كان عليه الصلوة والسلام اذا اراد
ان يجريها يقول بسم الله فتجري واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فترسو ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في
قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها
ومرسيها على صيغة الفاعل مجروري المحل صفتين لله عز اسمه وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين
او زمانين او مكانين من جرى ورسا ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم بعباده ولذلك نجاكم
من هذه الطامة والداهية التامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم
لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على ما عليه رأي اهل السنة وهي تجري بهم متعلق
بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم في موج كالجبال وهو ما ارتفع

من الماء عند اضطرابه كل موجة كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء
والارض وكانت السفينة تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة
عشر ذراعا او اربعين ذراعا ولئن صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله
تعالى ونادى نوح ابنه فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ
يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه الصلوة والسلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة
والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وما
قال الحسن كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما فانها عظيمة لا يقادر قدرها فان خيانة الانبياء صلوات
الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ
ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة
فانه صريح في انه لم يقع بعد تحقق موته وكان في معزل اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته
وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد
انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه
فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه الصلوة والسلام ظن انه
عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم
من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في كونه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملت
شفقة الابوة على ذلك يا بني وقرئ بفتح الياء اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء
الاضافة وبالكسر اقتصارا عليه من ياء الاضافة في قولك يا بنيي او سقطت الياء والالف
لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة اركب معنا قرأ ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام
الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايجاز بضيق
المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين اي في
المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه ركوبه معه
عليه الصلوة والسلام لكونه معه في الايمان لانه عليه الصلوة والسلام بصدد التحذير عن الهلكة
فلا يلائمه النهي عن الكفر قال سآوي الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه من الماء
زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى
وانى له ذلك السيل الربى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى
الالتجاء الى ملجأ المؤمنين فلذلك اراد عليه الصلوة والسلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه
عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق على كلامه بان يتعرض لنفي كون الجبل
من يكون عاصما من الماء بان يقول لا يعصمك مقيدا لنفي وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض
لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف فاصلا لكنه عليه الصلوة والسلام حيث قال لا عاصم اليوم
من امر الله سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس
فيهم داع ولا مجيب اي احد مبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه
على انه ليس كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك
بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي
يشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشأنه وتهويلا لامره وتنبيها للابن على خطائه
في تسميته ماء وتوهمه انه كسائر المياه التي يتقصى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا للنفي

المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيد لتخصيص العصمة من جانب الله سبحانه جاء به بالاستثناء
كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشانه الجليل بالابهام ثم التفسير
وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقتها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته
عليه الصلاة والسلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع اطماعه الفارغة
وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز جاره وقيل لا مكان يعصمهم من
الله الا مكان من رحمهم الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى فكان من
المغرقين اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه الصلاة والسلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل
لانه بمعزل من كونه عاصما وان تشكل بيته وبين الملتجى اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ
وجه فكان ذلك امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم
وقيل يا ارض ابلعي اي انشفي استعير له من ازدراد الحيوان ما ياكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف
المعتاد التدريجي ماءك اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار
وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام
التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعي اي امسكي عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها
واقلعت الحمى اي كفت وغيض الماء اي نقص ما بين السماء والارض من الماء وقضي الامر اي انجز ما وعد
الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم الامر واستوت اي استقرت الفلك على الجودي
هو جبل بالموصل او بالشام او بآمد روي انه عليه الصلاة والسلام ركب في الفلك في عاشر رجب
ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين اي
هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله تعالى ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا
ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون فحري
ان نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الامر الى تامل اولي الالباب والله عنده علم الكتاب ونادى
نوح ربه اي اراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى فقال رب ان ابني من اهلي فقد وعدتني
النجاة لهم في ضمن الامر بحملهم في الفلك او النداء على حقيقته والفاء لتفصيل ما فيه
من الاجمال وان وعدك الحق اي وان وعدك ذلك او ان كل وعد تعده حقا لا يتطرق اليه
خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم
واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا
الدعاء منه عليه الصلاة والسلام على طريقة دعاء ايوب عليه الصلاة والسلام اذ نادى
ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه الصلاة والسلام
بتذكير وعد مجمل ذكره مبنيا على كون كنعان من اهله نفى اولا كونه منهم بقوله تعالى انه ليس
من اهلك اي ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية هي القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر
او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس
من الذين وعد بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله انه
عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال
وادبار وايثار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شانه الصلاح
فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالكفر والظلم واما للتلويح بان نجاة من نجا انما هي

صلاحه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح ولما كان دعاؤه
عليه الصلاة والسلام مبنيا على حكمه من اعتقاد كون كنعان من اهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان
علته فرع على ذلك النهي عن سؤال انجائه الا انه جيء بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا
اوليا فقيل فلا تسألن اي اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني ما ليس لك به علم
اي مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤول
الذي هو مفعول للسؤال او طلبا لا تعلم انه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول
مطلق فيكون النهي واردا في تصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان يكون
المعنى ما ليس لك به علم بانه صواب او غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه الحال ويفهم
منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرنا
وهذا كما ترى صريح في ان نداءه عليه الصلاة والسلام ربه عز وعلا ليس استفسارا عن سبب
عدم انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان النهي عن استفسار ما لم يعلم
غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجاء
ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما لتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بنقله
اليه وقيل قبل نجاته بتغلب الجبل فيما باه تركيب الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في الفلك
وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به
لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن يتبين بجاهره بالكفر كما ذكرنا
حتى لا يجوز عليه عليه الصلاة والسلام ان يدعوه الى الفلك او يدعو ربه لانجائه وما عزاه عليه
الصلاة والسلام وقصده الالتجاء الى الجبل ليس بنص في الاصرار على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك
لجهله باختصاص النجاة في الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجري مجراه او لكراهة الاجتماع في الفلك
بل قوله ساوي الى جبل يعصمني من الماء بعد ما قال له نوح عليه الصلاة والسلام ولا تكن مع الكافرين
ربما يطمعه عليه الصلاة والسلام في ايمانه حيث لم يقل لكن معهم فتأمل وبعضهما فان افراد
نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما
امره به نوح عليه الصلاة والسلام لو تامل في شانه حق التامل وتفحص عن حاله في كل ما ياتي ويذر
لما اشتبه عليه انه ليس بمؤمن وانه المستثنى من اهله قبلت قيل اني اعظك ان تكون من الجاهلين
فعلوا عن ترك الاولى من ذلك وقرئ فلا تسألن بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء
قال رب اني اعوذ بك ان اسألك اي اطلب منك من بعد ما ليس لي به علم اي مطلوبا لا اعلم
ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال او لا اعلم
انه صواب او غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه الصلاة والسلام مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او
من ذلك مبالغة في التوبة واظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى وهو ابلغ من ان
يقول اتوب اليك ان اسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا هائلا محذورا لا محيص عنه الا بالعوذ بالله تعالى
وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا تغفر لي ما صدر عني من السؤال المذكور وترحمني
بقبول التوبة اكن من الخاسرين اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل
هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادئ حكم
من قيل في شانه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى في امره معاملة تعتبر لا محالة خسرانا ثم تبين تاخير ذكر
هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك

على الجودي والدعاء بالهلاك على الظالمين مع أن حقه أن يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين
حسبما وقع في الخارج إذ حينئذ يتصور الدعاء بالإنجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس كما قيل من سوقه
لغرض مهم يتخيل فوات الذين غامرة للقرابة النسبية فإن ذلك لا يتقدم في الأمور الدينية الأصولية نظيرا لما عنده
اليقين قياسا على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الأمر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو أول القصة
وكان حقها أن يقال وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في
موضعه فإن تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتسعة وتثنية
التقريع عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة إلى الآخر
لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى وإذ قتلتم نفسا إلى الآخر
للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الأمور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي
هو تثنية التقريع ولظن أن المجموع تقريع واحد وأما ما نحن فيه فليس مما يمكن أن يراعى فيه مثل تلك النكتة
أصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية إلى آخره لا يفوت على تقدير سوق الكلام
على ترتيب الوقوع أيضا بل الآن ذكر هذا النداء أيضا كما ترى مستتبع لذكر ما مر من الجواب المنبئ على أنه
ما مر من توبته عليه الصلاة والسلام المؤدي ذكرها إلى ذكر قبولها في ضمن الأمر الوارد بنزوله عليه
الصلاة والسلام من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما سيجيء
مفصلا ولا ريب في أن هذه المعاني آخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق الآيات الكريمة المنطوية
عليها بعضها من بعض وأن ذلك إنما يتم بتمام القصة ولا ريب أن ذلك إنما يكون بتمام الطوفان فلا جرم
اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك إنما يكون عند ذكر كنعان من المغرقين فهذه النكتة تدل على
حسن موقع الإيجاز البليغ وفيه نوع آخر من الحوى في التصحيح تهلكه من أول الأمر ولو ذكر النداء أيضا في
عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم من أول الأمر إلى أن يرد قوله تعالى إنه ليس من أهلك إلى آخره أنه
يجوز أن يكون عليه الصلاة والسلام يتصور نجاته من أول الأمر ثم ذكر الأمر الوارد على الأرض والسماء
الذي هو عبارة عن تعلق الإرادة الربانية الأزلية بما ذكر من الغيض والإقلاع وبين بلوغ أمر الله محله
وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بتلك من هلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستواء الفلك على
الجودي فقضت القصة إلى هذه المرتبة وبين ذلك أي بيان لم يعترض لما وقع في أضعافها من الحوار بين
نوح وبين رب العزة جلت حكمته ثم ذكر بعد توبته عليه الصلاة والسلام بقبولها بقوله **قيل يا نوح**
اهبط أي انزل من الفلك وقرئ بضم الباء **بسلام** ملتبسا بسلامة من المكاره كائنة **منا** أو
بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين **وبركات عليك** أي خيرات نامية
في نسلك وما يقوم به معاشك ومعايشهم من أنواع الأرزاق وقرئ بركة وهذا إعلام وبشارة
من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان أنواع الخيرات عليه في كل ما يأتي وما يذر
وعلى أمم ناشئة **ممن معك** متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الأمم المؤمنة المتناسلة ممن
معه إلى يوم القيامة **وأمم سنمتعهم** أي وممنهم على أنه خبر محذوف لدلالة ما سبق عليه فإن
من ذكر الأمم المبارك عليهم والمتشعبة منهم نكرة تدل على أن بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني
ليس من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل أمم منهم ممتعون في الدنيا معذبون في الآخرة ولعل هنا
لا يكونوا كائنين مع نوح عليه الصلاة والسلام مسلما عليهم ومباركا صريحا وإنما فهم ذلك من كون
مع نوح عليه الصلاة والسلام ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز أن تكون من بيانية
أي وعلى أمم هم الذين معك وإنما سموا أمما لأنهم متحزبة وجماعات متفرقة أو لأن تتشعب الأمم منهم

تتشعب منهم

تتشعب منهم فحينئذ يكون المراد بالأمم المشار إليهم في قوله تعالى وأمم سنمتعهم بعض الأمم المتشعبة
منهم وهي الأمم الكافرة المتناسلة منهم إلى يوم القيامة ويبقى أمر الأمم المؤمنة الناشئة منهم
مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففيه دلالة المذكور على خبره المحذوف خفاء
لأن من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية أو ابتدائية فتأمل **ثم يمسهم** إما
في الآخرة أو في الدنيا أيضا **منا عذاب أليم** عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام
كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد
هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد
بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام وبالعذاب ما نزل
بهم **تلك** إشارة إلى ما قص من قصة نوح عليه الصلاة والسلام وما لكونها بتقضيها في
حكم البعيد وللدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدأ خبره **من أنباء الغيب** أي من جنسها
أي ليست من قبيل سائر الأنباء بل هي نسيج وحدها منفردة عما عداها أو بعضها **نوحيها**
إليك خبر ثان والضمير لها أي موحاة إليك وهو الخبر أو من أنباء متعلق به والتعبير
بصيغة المضارع لاستحضار صورة أو حال من أنباء الغيب أي موحاة إليك **ما كنت تعلمها**
أنت ولا قومك خبر آخر أي مجهولة عندك وعند قومك **من قبل هذا** أي من قبل إيحائنا
إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل هذا الوقت أو حال من الهاء
في نوحيها أو الكاف في إليك أي جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على أنه عليه الصلاة
والسلام لم يتعلمها إذ لم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف بواحد منهم **فاصبر**
متفرع على الإيحاء أو العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
من قبل هذا أي وإذ قد أوحيناها إليك وعلمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة وأذية
قومك كما صبر نوح على ما سمعته من أنواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر إلى
ما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك إلى آخره **إن العاقبة للمتقين**
كما شاهدته في نوح عليه الصلاة والسلام وقومه ولك فيه أسوة حسنة وهي تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للأمر بالصبر فإن كون العاقبة الحميدة للمتقين وهم في
أقصى درجات التقوى على الوجه الذي كانوا هم متقين مما يسليه عليه الصلاة والسلام ويهون عليه
الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير أن يراد بالتقوى الدرجة
الأولى منه أعني التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة
التقوى ويجوز أن يراد بالدرجة الثالثة منه وهو أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه
بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فإن التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر
المذكور فكأنه قيل فاصبر فإن العاقبة للصابرين **وإلى عاد** متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى
أرسلنا في قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى **أخاهم** أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم أي
واحدا منهم في النسب كقولهم يا أخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب هاهنا للحذر عن
الإضمار قبل الذكر وقيل هو متعلق بالفعل المذكور فيما سبق وأخاهم معطوف على نوحا وقد
مر في سورة الأعراف وقوله تعالى **هودا** عطف بيان لأخاهم وكان عليه الصلاة والسلام
من جملتهم فإنه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وقيل هو
ابن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لكلامه وأعرف

الحالة وارغب في اقتفائه قال لما ذكر ارساله عليه الصلوة والسلام اليهم ونطقه المشي آل عما قال
لهم ودعاهم الى ما يجب عن سؤال الاستئناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده
كما ينبي عنه قوله تعالى ما لكم من اله غيره فانه استئناف يجري مجرى البيان للعبادة المامور
بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه
وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا على لفظه ان انتم ما انتم باتخاذكم
الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امركم بعبادتها الا مفترون عليه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل نبي قومه
ازاحة لما عسى يتوهمونه ومحضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالطمع بمعزل من التأثير وايراد
الموصول وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر
الذي لا يتأتى الا بالجريان على موجبها غير متعرض للمطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر افلا
تعقلون اي اتغفلون عن هذه القضية فلا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او اتجهلون كل
شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم
اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اي توسلوا اليه بالتوبة
وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء اي المطر عليكم
مدرارا اي كثير الدرور مضافة ومنضمة الى قوتكم اي يضاعفها لكم وانما
رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام
نسائهم ثلاث سنين فوعدهم عليه الصلوة والسلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل
على الايمان والتوبة ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على ما انتم عليه
من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوا ذلك لفرط
عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي آلهتنا اي
بتاركي عبادتها اي صادرين عن ذلك [illegible] باسناد حال الوصف الى الموصوف
ومعناه التعليل على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا تفيده الباء واللام وهذا كقولهم
المنقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وما نحن لك
بمؤمنين اي بمصدقين في شيء مما تأتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة
الآلهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى ان نقول الا اعتراك
اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها
وحثك على غيرتها الالوهية والمعبودية مما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في
سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا في العقوق كما ينبي عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة
مفعول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك
وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه الصلوة والسلام كما قالوا حاشاه عن ذلك يوجب عدم
الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك
الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به
ونعمل بموجبه ولقد صدقوا فانهم سلكوا في طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى
حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه عليه الصلوة والسلام بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عليه
الصلوة والسلام حجة في نفسها وان لم تكن واضحة الدلالة على المراد ثم ثانيا عن ترك الامتثال لقوله

عن قولك م

عليه الصلوة

عليه الصلوة والسلام بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه
الصلوة والسلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه الصلوة والسلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين
مع كونه عليه الصلوة والسلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا
ما قالوا فقاتلهم الله اني يؤفكون قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي من
اشراككم من دون الله اي من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني في اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية
على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر او ينفع وانها بمعزل من ذلك ولما كان ما وقع اولا منه عليه الصلوة والسلام
في حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها
وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شيئا حتى زعموا انها اصابته عليه الصلوة والسلام بسوء
مجازاة لصنيعه معها صرح عليه الصلوة والسلام بالحق وصدع ببراءته القديمة عنها
بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى على ذلك وهو لا يشهد الا بالحق واشهدهم ايضا بانه برئ
ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض آلهتنا والتعاون
في ايصال الكيد اليه عليه الصلوة والسلام ونهاهم عن الانظار والامهال في ذلك فقال فكيدوني جميعا
ثم لا تنظرون اي ان صح ما لوحتم به من كون آلهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها
ولو بطريق ضمني فاني بريء منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك
فالفاء لتفريع الامر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه
عليه الصلوة والسلام كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد
خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة وحثهم على التصدي لاسباب
المعاداة والمعارة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد
التجأ الى ركن شديد رفيع منيع واعتصم بحبل متين حيث قال اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انكم
وان بذلتم في مضادتي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تعالى وايراد الجملة بلفظ
الماضي لكونه ادل على الانشاء المناسب للمقام وواثق بكلاءته وحفظه عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر
عنكم شيء ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها
اي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعص عليه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك
ان ربي على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل
فلا يكاد يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه
اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما لان ما مر من كونه تعالى مالكا لهم اضافة اليه عليه الصلوة
والسلام فان تولوا اي تتولوا بحذف احدى التاءين اي ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والاعراض
فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم
الا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف في
ديارهم واموالهم قوما آخرين او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه بالجزم عطفا على الموضع كانه قيل فان تولوا يعذبني فيهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي
اضافة الرب اليه عليه الصلوة والسلام رمز الى اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا تضرونه شيئا بتوليكم
من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط النون ان ربي على كل شيء حفيظ
اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو

لما فظ الكل **ولما جاء امرنا** اي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن
نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل او ورد امرنا بالعذاب **نجينا هودا والذين آمنوا معه**
وكانوا اربعة آلاف **برحمة** عظيمة كائنة **منا** وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له
والهداية اليه **ونجيناهم من عذاب غليظ** اي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي السموم
التي كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية عذاب
الآخرة ولا عذاب اشد منه وهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها تكملة للنعمة
عليهم وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ
وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم **جحدوا بآيات ربهم**
كفروا بها بعدما استيقنوها **وعصوا رسله** جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود
عليه الصلاة والسلام تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له عليه
الصلاة والسلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد
من رسله فيجري ذلك راجعا للآيات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفيه زيادة ملائمة
لما تقدم من جحود الآيات وما تأخر من قوله تعالى ... الدعاة الى الضلال الى تكذيب الرسل كانه
قيل عصوا كل رسول **واتبعوا امر كل جبار** وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل
في الشمول لكل فرد منهم فان الاتباع للامر من اوصاف الاسافل دون الرؤساء **عنيد** فعيل من عند عندا
وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى **واتبعوا في هذه**
الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة ومن كل خير اي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة
فكأنها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم
يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا **ويوم القيامة** اي اتبعوا يوم القيامة ايضا
لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها وللايذان بان كلا من اللعنتين نوع برأسه لم يجتمعا
في قرن واحد بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيامة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
وفي الآخرة ايذانا باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير
وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة **الا ان عادا كفروا ربهم** اي بربهم او نعمه او جحدوه حمله على نقيضه
الذي هو الشكر او جحدوه **الا بعدا لعاد** دعاء عليهم بالهلاك كما استجاب الدعاء فكان ... بحرف التنبيه
واعادة اسم عاد للمبالغة في تقبيح حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم **قوم هود** عطف بيان لعاد وفائدته
التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود
عليه الصلاة والسلام وهم قومه **والى ثمود اخاهم صالحا** عطف على ما سبق من قوله تعالى والى
عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم ثمود الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل
انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح عليه الصلاة والسلام هو ابن عبيد بن آسف
ابن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة لان يسأل ويقال فماذا قال لهم قيل
جوابا عنه بطريق الاستئناف **قال يا قوم اعبدوا الله** اي وحده وعلل ذلك بقوله **ما لكم من اله غيره**
ثم زيد في ايجاب التوحيد عليهم على زيادة الاختصاص به بقوله **هو انشأكم من الارض** اي
هو كونكم وخلقكم منها لا غيره فان خلق آدم عليه الصلاة والسلام منها خلق لجميع افراد
البشر منها لما ان خلقته عليه الصلاة والسلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا
على خلق جميع ذرياته التي ستوجد الى يوم القيامة انطواء اجماليا وقيل ان خلق آدم عليه الصلاة والسلام

وانشاء مواد

وانشاء مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فتدبر **واستعمركم فيها**
من العمر اي عمركم واستبقاكم فيها او من العمارة اي اقدركم على عمارتها او امركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى
اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها
لمن بعدكم **فاستغفروه ثم توبوا اليه** فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من
التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيانه او وجب ذلك فقيل **ان ربي قريب** اي قريب
الرحمة لقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين **مجيب** لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث
قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر الغاية المتأخرة عنهما في الوجود
اعني الاجابة **قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا** اي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد
ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فاضلا خيرا نقدمك
على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه **قبل هذا** الذي باشرته من الدعوة الى
التوحيد وترك عبادة الاصنام قبل هذا الوقت فانا لم نكن الى الآن على يأس منك ولو بعد الدعوة الى الحق
فالآن انقطع رجاؤنا عنك **أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا** وقرأ طلحة ... بالحكاية
اي عبدوه والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية **واننا لفي شك مما تدعونا اليه** من التوحيد
وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة **مريب** اي موقع في الريبة من ارابه اي اوقعه في
الريبة اي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة او من اراب اذا كان ذا ريبة واسناده الى الشك مجاز والتنوين
فيه وفي شك للتفخيم **قال يا قوم أرأيتم** اي اخبروني **ان كنت على بينة** حجة ظاهرة
وبرهان وبصيرة **من ربي** مالكي ومتولي امري **وآتاني منه رحمة** نبوة وهذه الامور وان كانت
محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة
فمن ينصرني من الله اي فمن يمنعني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصر على
ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى **ان عصيته**
اي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وما تذرون فان العصيان ممن ذلك شأنه ابعد واقبح
عليه بالزام وانكار نصرته ادخل **فما تزيدونني** اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا
مرجوا قبل هذا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيما اصل لكم حتى تزيدوه **غير تخسير** اي غير ان تجعلوني
خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى او فما تزيدونني بما تقولون لحملكم اياي على الخسران
غير ان اقول لكم انكم خاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء النصر المفهوم من انكاره
على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه الصلاة والسلام على بينة من ربه وايتاء النبوة
ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة
ومن حيث الخلق **لكم آية** معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى
الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز ان تكون ناقة
الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا وعاملا في آية **فذروها** خلوها وشأنها **تأكل في ارض الله**
ترعى نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الامر
بتركها وشأنها **ولا تمسوها بسوء** بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهي عن المس الذي هو من
مبادي الاصابة ونكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها
فيأخذكم عذاب قريب اي قريب النزول روي انهم طلبوا منه ان يخرج لهم من صخرة تسمى الكاثبة
ناقة عشراء ... جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن

فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت
عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة
ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع
ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا
حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه
وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زينت عقرها لهم عنيزة
ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة
فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تمتعوا اي عيشوا في داركم اي في منازلكم
او في الدنيا ثلاثة ايام قيل قال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث
مسودة ثم يصبحكم العذاب ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول العذاب
عقيبها وما فيه من معنى البعد للتفخيم وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع
المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كأن الواعد قال له افي بك فان
وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا
اي عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق
بنجينا او بآمنوا برحمة بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان
كما مر او ملتبسين برحمة ورأفة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو
هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى انه وكانت تلك التنجية تنجية
من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته او ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة كما فسر به العذاب الغليظ فيما
سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيامة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع
بالفتح على البناء للاضافة الى المبني هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ وقرئ
بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم هو القوي العزيز القادر
على كل شيء والغالب عليه لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء لا سيما عند الانباء بحلول العذاب
اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا
عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة اي صيحة جبريل عليه الصلاة
والسلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم
في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج
الهواء فاصبحوا اي صاروا في ديارهم اي في بلادهم او مساكنهم جاثمين هامدين موتى
لا يتحركون والمعنى لحوقهم لذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك
عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول
غضبك قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار وجوههم ثم احمرارها واسودادها
عمدوا الى قتله عليه الصلاة والسلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو
يوم الاحد تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كأن لم يغنوا
اي كأنهم لم يقيموا فيها في بلادهم او في مساكنهم وهو في موضع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين
من لم يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمودا وضع موضع المضمر لزيادة البيان ونونه ابو بكر

هنا وفي النجم وقرأ حفص هنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم مع
كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك
في قوله تعالى الا بعدا لثمود وقرأ الكسائي بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملائكة
عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل عليه الصلاة والسلام وملكان وقيل هم جبريل
وميكائيل واسرافيل عليهم الصلاة والسلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل
ومعه سبعة وعن السدي احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا
اثني عشر ملكا عليهم الصلاة والسلام وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الارسال
لانهم لم يكونوا مرسلين اليه بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤه لداعية
البشرى فلما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق
العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عليه الصلاة والسلام ممن لحق بهم العذاب بل انما
لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا
والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اي ملتبسين
بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحاق الآية
وبشرناه بغلام عليم وقوله تعالى وبشروه بغلام عليم والبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى
فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى الظاهر في ترتيب المجادلة على مجيئها كما سيأتي وقيل هي
البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه الصلاة والسلام في شأنهم والاظهر انها البشارة
بالولد ويستشرف منه ترتب المجادلة على ذلك فلما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع
بانهم ما قالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اي سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه
بقالوا اي ذكروا سلاما قال سلام اي عليكم سلام او سلام عليكم
حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم في حرام وقرأ ابن ابي عبلة قال سلاما
بالرفع فيهما فما لبث اي ابراهيم ان جاء اي في المجيء به او فما لبث مجيئه بعجل حنيذ
اي مشوي بالرضف في اخدود وقيل سمين يقطر ودكه لقوله بعجل سمين من حنذت الفرس اذا
عرقته بالجلال فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اي انكرهم
يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم
ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روي انهم كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل اليه ايديهم
فهذا الانكار منه عليه الصلاة والسلام راجع الى فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم
فلا تعلق له برؤية عدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده
من الناس الا يرى في قوله تعالى في سورة الذاريات سلام قوم منكرون واوجس منهم اي وجس
او اضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه وانما اخر
المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه الصلاة والسلام اوجس من جهتهم شيئا
هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان تأخير ما حقه التقديم
يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف لما قالوا ذلك بعد ما رأوا
من مخايل الخوف لانه لم يستتر بعد اظهاره عليه الصلاة والسلام له قال تعالى في سورة الحجر
قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك هاهنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استئناف في
معنى التعليل للنهي المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين

رجاء انهم من الخوف اي ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة لا انه ليس كذلك فان قوله
تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا عن
سؤاله عليهم السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر بحيث
تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوه
وهي قائمة تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا
وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم
ان العذاب سينزل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد
وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحاق اي عقبنا سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا
ومن وراء اسحاق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله تعالى فبشرناها اي وهبنا لها
من وراء اسحاق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء وخبره الظرف اي من بعد اسحاق يولد او موجود كلا
الاسمين داخل في البشارة كيحيى وواقع في الحكاية بعد ان ولدا فلذا سميا بذلك وتوجيه البشارة
هنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه
بغلام حليم لمزيد ان بلد ما لا يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استئنافا وقع
جوابا عن سؤال من سأل فقال فماذا فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتا اصل الويل الخزي ثم شاع
في كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن على الاصل وامالها
ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتا احضري فهذا اوان حضورك وقيل هي الف الندبة ويوقف
عليها بهاء السكت أألد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا اي الذي تشاهدونه
بعلي اي زوجي واصل البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال
والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو
الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في أألد لتقرير
ما فيه من الاستبعاد وتعليله اي أألد وكل منا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على
بيان حاله عليه الصلاة والسلام لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من
الشواب اما العجائز فداؤهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم
من اول الامر نسبة المانع عن الولادة الى جانب ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه ما لا يخفى من المحذور
واقتصارها على الاستبعاد مع ان ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعدة واما ولادة ولدها
فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشيء عجيب بالنسبة الى سنة
الله المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحقيقي ومقصد
استعظام نعمة الله تعالى عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته
سبحانه وتعالى قالوا اتعجبين من امر الله اي قدرته وحكمته وتكوينه او شأنه انكروا عليها
تعجبها من ذلك لانها ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والآيات ومظهر المعجزات والامور الخارقة
للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله
سبحانه وتعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد مما يتعلق بذلك مشيئته الازلية لا سيما
على اهل بيت النبوة التي ليست مرتبتهم عند الله سبحانه وتعالى كمراتب سائر الناس وان تسبح الله تعالى وتمجده
وتحمده والى ذلك اشار بقوله تعالى رحمة الله التي وسعت كل شيء واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر
موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها

هبة الاولاد

هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من
ولد اسماعيل عليه الصلاة والسلام عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص
لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى الجمع المذكر لتعميم حكمه
لابراهيم عليه الصلاة والسلام ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر
ببالها والجملة كلام مستأنف علل به انكار تعجبها كانه قيل اياك والتعجب فان الله
تعالى على كل شيء قدير ولستم يا اهل النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمته المستتبعة
لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية الفائضة منه بواسطتكم الى العالم
الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان الى
عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابراهيم
الروع اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم ولفاء الروع
بعض احوال ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعض غير منفصلة عما ليس باجنبي من كل وجه
بل له مدخل تام في السياق والسباق وتأخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة فان
التأخير عما حقه التقديم يبقي النفس مستشرفة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل
تمكن وجاءته البشرى اي بشرى الولد بقولهم لا تخف فسببية ذهاب الخوف ومجيء السرور
للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى يجادلنا في قوم لوط اي جادل رسلنا في شأنهم وعدل
الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او لطفوقه جادلنا ظاهره واما اقترنت بشارة
الولد وما يتبعها فلعل سببيته لها من حيث انها افادته زيادة اطمئنان بسلامته وسلامة اهله
كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم اولا حين قالوا انا مهلكو اهل هذه القرية ارأيتم لو كان فيها
خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ
العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله والمتبادر من هذا الكلام ان يكون ابراهيم عليه الصلاة والسلام
قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط فقط بالروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شأنه
لاشتغاله بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله
تعالى لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فلعله كان لوط عليه الصلاة والسلام على شريعة ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وقومه مكلفين بها فلما رأى من الملائكة ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي
من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف وانما الذي علمه عليه الصلاة والسلام
بعد النهي عن الخوف هو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتأمل والله الموفق ان ابراهيم
لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس منيب
راجع الى الله تعالى والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه الصلاة والسلام على ما
صدر عنه من المجادلة يا ابراهيم اي قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي
الشأن قد جاء امر ربك اي قدره الجاري على وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة
الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسبما تعلقها بالاشياء
في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم آتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما
ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انطلقوا من عند ابراهيم عليه الصلاة
والسلام الى لوط عليه الصلاة والسلام وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صفة

من حسان الوجوه فلذلك «سيء بهم» أي ساءه مجيئهم لظنه أنهم أناس فخاف أن يقصدهم
قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو عمرو ورويس سيء وسيئت بإشمام السين
الضم روي أن الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى
معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله أنها لشر
قرية في الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته
فأخبرت به قومها وقالت إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط «وضاق بهم ذرعا»
أي ضاق بمكانهم صدره أو قلبه أو وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة
المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن حمله وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكأنه
قدر البدن مجاز عن هذا أي أن بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذرع اسم الجارحة
من المرفق إلى الأنامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها
كما أن معنى سعتها وبسطتها طولها ووجه التمثيل بذلك أن القصير الذراع إذا مدها
ليتناول ما يتناوله الطويل الذراع تقاصر عنه وعجز عن تناوله فضرب مثلا للذي
قصرت طاقته دون بلوغ الأمر «وقال هذا يوم عصيب» شديد من عصبه إذا شده
«وجاءه» أي لوطا وهو في بيته مع أضيافه «قومه يهرعون إليه» أي يسرعون كأنما
يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله «ومن قبل» أي
من قبل هذا الوقت «كانوا يعملون السيئات» أي جاءوا مسرعين والحال أنهم كانوا لتمكنهم
في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها فلذلك لم يستحيوا مما
فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين «قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم» فتزوجوهن وكانوا
يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فإن تزويج
المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته عتبة بن أبي لهب
وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كانا لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما
ابنتيه وأيا ما كان فقد أراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه
مجريا على الحقيقة من إرادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم وإظهارا لشدة
امتعاضه مما أوردوا عليه طمعا في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فينزجروا
عما أقدموا عليه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا أن لا مناكحة بينهم
وبينه وهو الأنسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه «فاتقوا الله» بترك
الفواحش أو بإيثارهن عليهم «ولا تخزون في ضيفي» أي لا تفضحوني في شأنهم فإن إخزاء ضيف
الرجل وجاره إخزاؤه أو لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء «أليس منكم رجل رشيد» يهتدي
إلى الحق الصحيح ويرعوي عن الباطل القبيح «قالوا» معرضين عما نصحهم به من الأمر بتقوى الله تعالى
والنهي عن إخزائه مجيبين عما أو ما كلامه به «لقد علمت ما لنا في بناتك من حق» مستشهدين بعلمه
بذلك يعنون أنك قد علمت أن لا سبيل إلى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك إلا عرض سابري
ولا مطمع لنا في ذلك «وإنك لتعلم ما نريد» من إتيان الذكران فلما يئس عليه الصلاة والسلام
من ارعوائهم عما هم عليه من الغي «قال لو أن لي بكم قوة» أي لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت
كقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى «أو آوي إلى ركن شديد»
عطف على أن لي بكم قوة لما فيه من معنى الفعل أي لو قويت على دفعكم بنفسي أو أويت إلى ناصر عزيز

قوي تمنع

قوي أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد وروي أنه عليه الصلاة والسلام أغلق بابه دون أضيافه
وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب «قالوا» أي
الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه «يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك» بضرر ولا
مكروه فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه الصلاة والسلام
رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله
جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم
وأعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا
النجا فإن في بيت لوط قوما سحرة «فأسر بأهلك» بالقطع من الإسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل
حيث جاء في القرآن من السرى والفاء لترتيب الأمر والنهي على الإخبار برسالتهم عليهم الصلاة
والسلام «بقطع من الليل» بطائفة منه «ولا يلتفت منكم» أي لا يتخلف ولا ينظر إلى ورائه
«أحد» منك ومن أهلك وإنما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فإن من يلتفت إلى ما وراءه لا يخلو عن أدنى
وقفة أو لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم «إلا امرأتك» استثناء من قوله تعالى
فأسر بأهلك ويؤيده أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وقرئ بالرفع على
البدل من أحد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر إلى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين
المتواترتين فإن النصب يقتضي كونه عليه الصلاة والسلام غير مأمور بالإسراء بها والرفع كونه مأمورا
بذلك والاعتذار بأن مقتضى الرفع إنما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الأمر بالإسراء بها حتى
يلزم التناقض لجواز أن تسري بنفسها كما يروى أنه عليه الصلاة والسلام لما أسرى بأهله تبعتهم
فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وأن يسري بها عليه الصلاة
والسلام من غير أمر بذلك ضرورة أن مقتضى النصب إنما هو عدم الأمر بالإسراء بها لا النهي عن الإسراء بها حتى
عليه الصلاة والسلام بالإسراء بها تخالفا بالنهي لا يجدي نفعا لأن انصراف الاستثناء إلى الالتفات
يستدعي بقاء الأهل على العموم فيكون الإسراء بها مأمورا به قطعا وفي حمل الأهلية في إحدى القراءتين
على الأهلية الدينية وفي الأخرى على النسبية مع أن فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف على ما
فيه من المناقضة فالأولى حينئذ جعل الاستثناء على القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذي في
قوله تعالى ما فعلوه إلا قليل منهم فإن ابن عامر قرأه بالنصب وإذا كان الأفصح الرفع على البدل فلا بعد
في كون أكثر القراء على غير الأفصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق الا ستصلاح
فلذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله «إنه مصيبها ما أصابهم» من العذاب وهو أمطار الحجارة
لم يصبها الخسف إنه للشأن وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما أصابهم مبتدأ والجملة خبر لأن
الذي اسمه ضمير الشأن وفيه ما لا يخفى من تفخيم شأن ما أصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على
قراءة الرفع «إن موعدهم الصبح» أي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للأمر بالإسراء والنهي عن الالتفات
المشعر بالحث على الإسراع «أليس الصبح بقريب» تأكيد للتعليل فإن قرب الصبح داع إلى الإسراع
في الإسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروي أنه قال للملائكة عليهم الصلاة والسلام متى
موعد هلاكهم قالوا الصبح قال أريد أسرع من ذلك فقالوا ذلك وإنما جعل ميقات هلاكهم
الصبح لأنه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ أفظع ولأنه أنسب لكون ذلك عبرة
للناظرين «فلما جاء أمرنا» أي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح «جعلنا عاليها» أي عالي قرى

قوم لوط وهي التي عبّر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مداين فيها اربعمائة الف الف **سافلها** اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا لما ان تحقق القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل سافلها عاليها وان كان مستلزما له روي ان جبريل عليه الصلوة والسلام جعل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب **وامطرنا عليها** على اهل المداين او شذاذهم **حجارة من سجيل** من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا **منضود** نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار **مسومة** معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به **عند ربك** في خزائنه التي لا يتصرف فيها لغيره عز وجل **وما هي** اي الحجارة الموصوفة **من الظالمين** من كل ظالم **ببعيد** فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها ملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه الصلوة والسلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بمعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجارة بالحجر او لاجرائه على موصوف مذكر اي بشيء بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمونث **والى مدين** اي ولاد مدين بن ابراهيم عليه الصلوة والسلام او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او لاهل مدين وهو بلد بناه فسمي به **اخاهم** اي نسيبهم **شعيبا** وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على على قوله تعالى الى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى مدين شعيبا **قال** استينافا وقع جوابا عن سؤال نشا عن صدر الكلام كانه قيل فما ذا قال لهم فقيل كما قال من قبله من الرسل عليهم الصلوة والسلام **يا قوم اعبدوا الله** وحده ولا تشركوا به شيئا **ما لكم من اله غيره** تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعد ما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه من البخس والتطفيف فقال **ولا تنقصوا المكيال والميزان** كي تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس **اني اراكم بخير** اي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تعالى حقها ان تقابل بغير ما تاتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها او اراكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقبت بعلة اخرى اعني قوله عز وجل **واني اخاف عليكم** ان لم تنتهوا عن ذلك **عذاب يوم محيط** لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي حال العذاب على الاسناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذاب فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا **ويا قوم اوفوا المكيال**

والميزان

والميزان بالقسط اي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة في الكيل والوزن وان كانت تفضلا مندوبا اليه لكنها في الالة محظورة كالنقص فلعل الزايدة للاستعمال عند الاكتيال والناقصة للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة على الحمل على الايفاء والمنع عن البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم **ولا تبخسوا الناس** بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما **اشياءهم** التي يشترونها بهما وقد صرح بالنهي عن البخس بعد ما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والامر بايفائه اهتماما بشانه وترغيبا في ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى **ولا تعثوا في الارض مفسدين** فان العثي يعم نقص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل البخس المكس كاخذ العشور في المعاملات قال زهير بن ابي سلمى افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر اخرتكم ومصالح دينكم **بقية الله** اي ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات **خير لكم** مما تجمعون بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم انه خير كما كقوله تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات **ان كنتم مؤمنين** بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وعلا والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي **وما انا عليكم بحفيظ** احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ من سوء الصنيع **قالوا يا شعيب اصلاتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا** من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه الصلوة والسلام اياهم بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عليه الصلوة والسلام عن عبادة الاوثان ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الامر بذلك حتى ادعوا ان لا امر من العقل ايضا وان ذلك من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم بطريق الاستهزاء التي هي من نتايج الوسوسة وافاعيل المجانين عبادة الاوثان التي الفوا اباءهم عليها وانما جعلوه عليه الصلوة والسلام مامورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرايع لانه عليه الصلوة والسلام لم يكن يامرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وانما كان يعلمهم بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم اسناد الامر الى الصلوة من بين ساير احكام النبوة لانه عليه الصلوة والسلام كان كثير الصلوة معروفا بذلك وكانوا اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فكانت هي من ساير شعائر الدين ضحكة لهم **او ان نفعل في اموالنا ما نشاء** جواب عن امره عليه الصلوة والسلام بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اي او ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تامرك اي اصلوتك تامرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء وتجويز العطف على ما قبل يستدعي ان يراد بالترك معنيان مختلفان والمراد بفعله عليه الصلوة والسلام ايجاب الايفاء والعدل فيما ملكهم لا نفس الايفاء فان ذلك ليس من افعاله عليه الصلوة والسلام بل من افعالهم وانما لم يقل عطفا على ان نترك

لان الترك ليس مما امرنا به على الحقيقة بل المامور به تحليفه عليه الصلوة والسلام اياهم وامره بذلك الوحي
والمعنى اصلواتك تامرك ان نكلفنا ان نترك ما يعبد اباؤنا وتحمل على معنى اصلواتك تامرك بما ليس في
وسعك وعهدتك من افاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رايه عليه الصلوة والسلام وايذانا
من قبل الجهالة بانه مخول الهمزة على الصلوة دون الامر ودستند عجيب ببعد عنه عليه الصلوة والسلام
في اثناء الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه سوى ذلك الخيال. وقرئ بالنون في الاول والتاء في الثاني عطفا
على ما نترك اي او ان نفعل نحن في اموالنا عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية والايفاء. انك لانت
الحليم الرشيد وصفوه عليه الصلوة والسلام بالوصفين على طريقة التهكم وانما ارادوا بذلك
وصفه بضديهما كقول الخزنة ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكر
على معنى انك لانت الحليم الرشيد على زعمك وانما وصفوه بهما على الحقيقة نفيا اياه مقام الاستبعاد
ان يراجب الصلوة الدين كما قيل. قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما
عما اتاه الله من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعل امره ونهيه غير مستند الى سند من
ربي وما اليه الا بوحي وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه الصلوة والسلام بكونه على ما عليه من البينة
والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حرمه عليه الصلوة والسلام حسن المحاورة معهم كما ذكرنا في
في نظائره. ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو الحكمة والنبوة ايضا عبر عنهما بذلك
على انهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وهما مناط الحياة الابدية له ولامته وجواب الشرط
محذوف يدل عليه فحوى الكلام اي اتقولون في شاني ما تقولون والمعنى انكم نظمتموني في سلك السفهاء
الغواة وعددتم ما صدر عني من الاوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح ان يتصف به عاقل وجعلتموه من
احكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي فيما فعلت حتى قلتم اصلواتك تامرك بما امرتكم به من التوحيد وترك عبادة
الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف مما يامر به امر العقل ويقضي به قاضي الفطنة وانما هي من
صلواتك التي هي من احكام الوسوسة والجنون فاخبروني ان كنت من جهة ربي وما انا الا نبي ثابت على النبوة
والحكمة التي ليس وراءها غاية تسلكها ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا اتقولون في شاني
وفعالي ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه. وهذا هو الجواب الذي يستدعيه السياق ويساعده
النظم الكريم. واما ما قيل من ان المحذوف فهل يسع لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي او
هل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اكون في تخبيره خائنا له
في وحيه وانى فمع لهن ذلك واغاثنا يستقل ان نحمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين على
معنى دينك يامرك ان تكلفنا بترك عبادة الهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في اموالنا
ونخالفنا في ذلك وتشق عصانا وهذا مما لا ينبغي ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم الفاضل
والرشد الكامل فيما بيننا كما قال قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مردود لعدم انتظامه بجوابه عليه
ما جوابه فهذا الوجه يكون اليهم اخبار ان الرزق الحسن هو الحلال الذي اتاه الله تعالى والمعنى حينئذ اخبروني
ان كنت نبيا من عند الله ورزقني مالا حلالا استغني به عن العالمين ايحل لي ان اخالف امره واوافقكم فيما
تاتون وما تذرون. وما اريد بنهيي اياكم عما نهيتكم عنه من البخس والتطفيف ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه اي اقصده بعدما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول
عنه وخالفته عنه اذا كان الامر على العكس. ان اريد اي ما اريد بما اباشره من الامر والنهي الا الاصلاح
الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت اي مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقييد
للتجاوز عن الاكتفاء بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة ما ليس في وسعه. وما توفيقي اي كوني موفقا

لتوفيق

لتوفيق ما انحيه من اصلاحكم الا بالله لا بتاييده ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق مستند
اليه سبحانه وانما انا من مباديه الظاهرة قاله عليه الصلوة والسلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يوهمه
اسناد الاستطاعة اليه من استبداده بذلك. عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر
على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن رتبة
الاستمداد به في الاستظهار. واليه انيب اي ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون المراد وما كوني موفقا
لاصابة الحق والصواب في كل ما اتي واذر الا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهو اشارة الى محض
التوحيد الذاتي والفعلي واليه انيب اي عليه اقبل بشراشر نفسي في مجامع اموري. وايثار صيغة الاستقبال
على الماضي الانسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه
عليه الصلوة والسلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المحاذاة
والمحاورة والتمهيد لما قاله من طلب التوفيق من جناب الله عز وجل والاستعانة به في اموره وحسم اطماع
الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء كما قيل في
الانابة انما هي الرجوع الاختياري بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء او ما يعمه
ويا قوم لا يجرمنكم اي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي
واصلها ان احد المتعاديين يكون في عدوة وشق والاخر في اخرى. ان يصيبكم مفعول ثان
ليجرمنكم اي لا يكسبنكم معاداتكم الى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود
من الريح او قوم صالح من الصيحة والرجفة. وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا
جعلته جارما له اي كاسبا له وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال
من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فرق لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته
اياه في المعنى لان الاول افصح واورد على السنة الفصحاء. وقرأ ابو حيوة مثل ما اصاب بالفتح لاضافته
الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال. وهذا
ولا يخفى ان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب اصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن
شقاقه عليه الصلوة والسلام على الطف اسلوب وابدعه كما مر في سورة المائدة عند قوله
ولا يجرمنكم شنان قوم الاية. وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا
بمن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم فكانه انما غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما
اصابهم بل اكتفى بذكر قربهم ايذانا بان ذلك مغن عن ذكره لشهرته كونه منتظما في سلك ما ذكر من
دواهي الامم المرقومة او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم
وافراد البعيد مع تذكيره لان المراد وما اهلاكهم على حذف المضاف او وما هم بشيء بعيد لان
المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما او ما هم في زمان بعيد
او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك بكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق. ولما انذرهم عليه
الصلوة والسلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه من الطغيان
بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مر تفسير مثله في
اول السورة. ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود مبالغ في فعل ما يفعل البالغ
المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما
قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه اي ما نفهم مرادك
وانما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل

وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك الى سبيل الشقا كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وادمجوا في ضمن ذلك ان في تضاعيفه ما يستوجب اقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الامم السالفة ولذلك قالوا **وانا لنراك فينا** فيما بيننا **ضعيفا** لا قوة لك ولا قدرة على شي من الضر والنفع والايقاع والدفع **ولولا رهطك** لولا مراعاة جانبهم لا لولا هم بما يعوننا فيدافعوننا **لرجمناك** فان مانعة الرهط وهو اسم للثلاثة الى السبعة او الى العشرة قيل هم وهو الوقف فعلقه تمام الايجاد بنفوهم وقد ابرز ذلك بقوله عز وجل **وما انت علينا بعزيز** مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وانما نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وايلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي الى الفاعل دون الفعل لا سيما مع قرينة قوله ولولا رهطك كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان تعززهم من عظمتهم هو هذه الى نفيهم ما فيه عليه الصلوة والسلام من القوة والعزة الربانية حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده وتقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار **قال** عليه الصلوة والسلام في جوابهم **يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله** فان الاستهانة بمن لا يتعزز الا به عز وجل استهانة بجانبه العزيز وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة رهطه لا اعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في اصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى ارهطي اعز عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة اصلا **واتخذتموه** بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يبعد الا بامره **وراءكم ظهريا** شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالي به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة الى الامس **ان ربي بما تعملون** من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه **محيط** لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل ان يكون الانكار للرد والتكذيب فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجمه عليه الصلوة والسلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز فلم تراعوا جانبه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الاذلة **ويا قوم اعملوا** لما راى عليه الصلوة والسلام اصرارهم على الكفر وانهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترأوا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه لولا مخافة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا **على مكانتكم** اي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قال لهم عليه الصلوة والسلام ذلك ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرين على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في نيتكم واخراج ما في امنيتكم من القوة الى الفعل **اني عامل** على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بانواع التأييد والتوفيق **سوف تعلمون** لما هددهم عليه الصلوة والسلام بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسأل منهم سائل فيقول فماذا

ذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون **من يأتيه عذاب يخزيه** وصف العذاب بالاخزاء تعريضا لما اوعدوه عليه الصلوة والسلام به من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا لجناية عظيمة توجبه **ومن هو كاذب** عطف على من يأتيه لا انه قسيم له بل حيث اوعدوه بذلك وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه الصلوة والسلام وفي نسبته الى الضعف والهوان وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذبهم قديم وتسمية الاتيان العذاب بل انما هو المترقب واما الكذب فسابق مستمر ومن اما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب واما موصولة اي سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب **وارتقبوا** وانتظروا مآل ما اقول **اني معكم رقيب** منتظر فعيل بمعنى المراقب كالصريم او المرافع كالعشير او المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهار منه عليه الصلوة والسلام لكمال الوثوق بامره **ولما جاء امرنا** اي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب مؤذن بذلك **نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا** وهي الايمان الذي وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما ذكر بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معموله كما في قصتي صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح **واخذت الذين ظلموا الصيحة** عدل الى المظهر عن المضمر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان انما اخذتهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنونه والصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه الصلوة والسلام فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها كما مر فيما قبل **فاصبحوا في ديارهم جاثمين** ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب الى آخره نفس مجيء العذاب بل من يتصل به ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصودا بالافادة واما في تقديم التنجية فقد مر بيانه فانه يستبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم **كأن لم يغنوا فيها** اي لم يقيموا فيها متصرفين في اطرافها متقلبين في اكنافها **الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود** العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون الشبه في التشبيه هلاكهم بتذكيرهم بعنوان ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور **ولقد ارسلنا موسى بآياتنا** وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما آية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام التورية حين ابى بنو اسرائيل قبولها والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا للمصدر المؤكد اي ارسلناه حال كونه ملتبسا بآياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها **وسلطان مبين** هي المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالايات ما عداها او هما عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وبين كونه سلطانا له على

بنوته وتلبسًا في نفسه باوضحها ايا هاان لبان لا انها قصتعرينا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى
ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما اثبت عليه الصلوة والسلام في تضاعيف دعوته حين محاورة
قال له فرعون من ربكما قال فما بال القرون الاولى من الحقايق الرايقة والدقايق اللايقة وجعل عبارة
عن التورية او ادراجها في جملة الآيات تيردده قوله عز وجل **الى فرعون وملائه** فان نزولها انما كان
بعد هلاك فرعون وقومه وانما كان ما امر به بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة
التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه الفئة الباغية وبارسال بني اسرائيل والكف عن تعذيبهم
ما خصه بالذكر مع عموم رسالته عليه الصلوة والسلام للقوم كافة لاصالتهم في الراي وتدبير الامور
واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بآيات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه
من الضلال والاضلال بل اقتصر على ذكر شان ملئه فقيل **فاتبعوا امر فرعون** اي امره بالكفر بما جاء
به موسى عليه الصلوة والسلام من الحق المبين الجديد للايذان بوضوح حال فرعون في الكفر وان امره بذلك امر
محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك بيان حال ملئه المترددين بين هاد الى الحق وداع الى
الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء في اتباعهم المترتب على امر فرعون المبني على كفره المسبوق
بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجأتهم في الاتباع ومسارعتهم الى الكفر وامرهم بحيث كان ذلك كله لم يتراخ
عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثره اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون شانه
المشهور وطريقته الزايغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثل ما في قولك وعظته
فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه
لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتأمل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى موسى عليه الصلوة
والسلام من اول الامر وزيادة تقبيح حال المشايعين فان فرعون علم في الفساد والافساد والضلال والاضلال
فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار وكذا الحال في قوله تعالى **وما امر فرعون برشيد** الرشد
ضد الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فعلى الاول بمعنى الرشد بمعنى ذي الرشد حقيقة لغوية والاسناد
مجازي وعلى الثاني مجاز والاسناد حقيقي **يقدم قومه** جميعا من الاشراف وغيرهم **يوم القيمة** اي
يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استيناف لبيان حاله في الآخرة اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك
يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح مآل امره وسوء عاقبته **فاوردهم النار**
اي يوردهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط الذي يتقدم
الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل **وبئس الورد المورود** اي بئس
الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك **واتبعوا**
اي الملأ الذين اتبعوا امر فرعون **في هذه** اي في الدنيا **لعنة** عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم
الى يوم القيمة **ويوم القيمة** ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة فهي تابعة لهم حيثما ساروا دائرة
معهم اينما داروا في الموقف كما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم
الفظيع وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ كانت حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم في هذا الضلال
البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل **بئس
الرفد المرفود** اي بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائمه المقام واصله ما يضاف الى غيره
ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين وكونها مرفودا من حيث ان كل لعنة منها
معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها **ذلك** اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه
في الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره **من انباء القرى** المهلكة بما جنته

ايدي اهلها

ايدي اهلها **نقصه عليك** خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك **منها**
اي من تلك القرى **قائم وحصيد** اي ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقي منها بالزرع القائم
على ساقه وما عفى وبطل بالحصيد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب **وما ظلمناهم** باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه **فما اغنت عنهم** فما نفعتهم ولا دفعت
باس الله تعالى عنهم **آلهتهم التي يدعون** اي يعبدونها **من دون الله** اوثر صيغة المضارع حكاية للحال
الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم لها **من شيء** في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء **لما جاء امر ربك**
اي حين مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم اللاتي يدعون على البناء للمجهول **وما زادوهم
غير تتبيب** اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها **وكذلك** اي ومثل ذلك
الاخذ الذي مر بيانه ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله تعالى **اخذ ربك** وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف
النصب على انه مصدر مؤكد **اذا اخذ القرى** اي اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها
حسبما ذكر وقرئ اذ اخذ **وهي ظالمة** حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في
الاخذ اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم **ان
اخذه اليم شديد** وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير
ان في ذلك اي في اخذه تعالى الامم المهلكة او في قصصهم **لآية** لعبرة **لمن خاف عذاب الآخرة** فانه
المعتبر بحيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الآخرة
واما من انكر الآخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا الى الفاعل المختار وان ما يقع
فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي
تقترفها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار **ذلك** اشارة الى يوم القيمة
المدلول عليه بذكر الآخرة **يوم مجموع له الناس** اي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتعبير للدلالة
على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم
الجمع **وذلك** اي يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له **يوم مشهود** اي مشهود فيه حيث يشهد فيه
اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله في محفل من نواصي الناس
مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه
عن غيره فان سائر الايام كذلك **وما نؤخره** اي ذلك اليوم الملحوظ بعنواني الجمع والشهود **الا لاجل معدود**
الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة **يوم يأت** اي حين يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء
اجله كقوله تعالى او تاتيهم الساعة وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه وقيل اي الله عز وجل فان المقام
مقام تفخيم شان اليوم وقرئ باثبات الياء على الاصل **لا تكلم نفس** اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او
شفاعة وهو الناصب للظرف او لانتهاء والمحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم ياتي او
المحذوف اي اذكر **الا باذنه** عز سلطانه في التكلم لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من مواطن
اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه
يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها في آخر منها والماذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة
نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره **فمنهم شقي**
وجبت له النار بموجب الوعيد **وسعيد** اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت
له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقي على
السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار **فاما الذين شقوا** اي سبقت لهم الشقاوة **ففي النار**

مستقرون فيها **لهم فيها زفير وشهيق** الزفير إخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في أول النهيق
وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد مدى التطريب أول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج
والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه
أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة كأن سائلا قال ما شأنهم فيها
فقيل لهم فيها كذا وكذا أو منصوبة المحل على الحالية من النار أو من الضمير في الجار والمجرور كقوله تعالى
خالدين فيها خلدا انه ان اريد حدوث كونهم في النار والحال المقدرة **ما دامت السموات والأرض**
أي مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار
وما أقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التأبيد لا تعليق
قرارهم فيها بدوام السموات والأرض فإن النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم فيها وانقطاع
دوامهما وإن أريد التعليق فالمراد سموات الآخرة وأرضها كما يدل عليه النصوص كقوله تعالى يوم تبدل
الأرض غير الأرض والسموات وقوله تعالى وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وحيث كان أحد
بأن أهل الآخرة لا بد لهم من مظلة ومقلة ولا يشك في تعليق دوام قرارهم فيها بدوامهما ولا
حاجة إلى الوقوف على تفاصيل أحوالهما وكيفياتهما **إلا ما شاء ربك** استثناء من الخلود على طريقة
قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد
سلف وقوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط غير أن استحالة الأمور المذكورة معلومة بحكم العقل وهذا له
تعلق للمشيئة بعدم الخلود معلوم بحكم النقل يعني أنهم مستقرون في النار في جميع الأزمنة إلا في زمان
مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها وإذ لا إمكان لتلك المشيئة ولا زمانها بحكم النصوص القاطعة
الموجبة للخلود فلا إمكان لانتهاء مدة قرارهم فيها قال فمن عسى يتوهم من كون استحالة تعلق
مشيئة الله بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال **إن ربك فعال لما يريد** يعني أنه
في تخليد الأشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب إرادته قاض بمقتضى
مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية إلى ترتيب الأجزية على أفعال العباد ولعدول من
الإضمار إلى الإظهار تربية للمهابة وزيادة التقرير فقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار
فإنهم لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع أخر من العذاب بما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله
تعالى عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم وأنت تدري أنا قد سلمنا أن المراد بالنار ليس مطلق دار
العذاب المشتملة على أنواع العذاب بل نفس النار فخروجهم إلى الزمهرير من تلك الأنواع مقارن لعذاب
النار فلا يصدق في ذلك الحين استثناء وكذلك تقول إنهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني الذي هو
عذاب النار بل لهم من أفانين العذاب ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وهي العقوبات والآلام الروحانية
التي لا يقف عليها في هذه الحياة الدنيا المنغمسون في أحكام الطبيعة المقصور إدراكهم على ما ألفوه من
الأحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء ذلك من الأحوال الروحانية إذا ألقي إليهم ولذلك
لم يتعرض لبيانها نصا واكتفي بهذه المرتبة الإجمالية المنبئة عن التهويل وهذه العقوبات وإن كانت تعتريهم
وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون به وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى
الاستثناء وقد قيل إنه بمعنى سوى وهو أوفق مما ذكر وقيل إنما بمعنى من على إرادة معنى الوصفية
فالمعنى أن الذين شقوا في النار مقدرين الخلود فيها إلا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة
المؤمنين **وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض** الكلام فيه
كالكلام فيما سبق خلا أنه لم يذكر هنا أن لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في أهل النار من أن لهم فيها

زفير وشهيق

زفير وشهيق لأن المقام مقام التحذير والإنذار **إلا ما شاء ربك** إن حمل على طريقة التعليق بالمحال
فقوله سبحانه **عطاء غير مجذوذ** نصب على المصدرية من معنى الجملة لأن قوله ففي الجنة
خالدين فيها يقتضي إعطاء وإنعاما فكأنه قيل يعطيهم عطاء وهو إما اسم مصدر هو الإعطاء
أو مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى أنبتكم من الأرض نباتا وإن حمل على ما أعد الله تعالى لعباده
الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة أو تمييز فإن نسبة مشيئة الخروج إلى الله تعالى
تحتمل أن تكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع للإبهام عن النسبة
قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار وجوز
أن يتعلق بكلا التقديرين وبالأفعال دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه **فلا
تك في مرية** أي في شك فالفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها من
العواقب الدنيوية والأخروية **مما يعبد هؤلاء** أي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها
أو من حال ما يعبدونه من الأوثان في عدم نفعها لهم فلما كان مساق النظم الكريم في قبيل الشروع
في القصص بيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل
الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون وقد نص على عقيب
ذلك في أنباء الرسل السالفة مع أممهم المبعوثة إليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن كونه في شك من مصير أمر هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف
فقيل **ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل** الذين قصت عليك قصصهم أي هم وآباؤهم
سواء في الشرك ما يعبدون عبادة إلا كعبادتهم أو ما يعبدون شيئا إلا مثل ما عبدوه من الأوثان والعدول
إلى صيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها أو مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان
لدلالة قوله من قبل عليه وقد بلغك ما لحق آباءهم فسيلحقهم مثل ذلك فإن تماثل الأسباب يقتضي
تماثل المسببات **وإنا لموفوهم نصيبهم** أي حظهم المعين لهم حسبما جرى آباؤهم
وجرى آباؤهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا آباءهم أنصباءهم المقدرة لهم أو من الرزق والقسوة
فيكون بيانا لوجه تأخير العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه **غير منقوص** حال مؤكدة من النصيب كقوله
تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة لدفع احتمال كونه منقوصا
في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتأمل **ولقد آتينا موسى الكتاب** أي
التوراة **فاختلف فيه** أي في شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال
باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وزعمهم أنك
افتريته **ولولا كلمة سبقت من ربك** وهي كلمة القضاء بإنظارهم إلى يوم القيامة على حسب الحكمة
الداعية إلى ذلك **لقضي بينهم** أي لأوقع القضاء بين المختلفين من قومك بإنزال العذاب الذي
يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين وقيل بين قوم موسى وليس بذلك **وإنهم** أي
وإن كفار قومك أريد بهم بعض من رجع إليهم ضمير بينهم للأمن من الالتباس **لفي شك منه** عظيم
أي من القرآن وإن لم يجر له ذكر فإن ذكر إيتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد
التسلية ينادي به نداء غير خفي **مريب** موقع في الريبة **وإن كلا** التنوين عوض عن المضاف
إليه أي فإن كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف
مع الإعمال اعتبارا للأصل **لما ليوفينهم ربك أعمالهم** أي أجزية أعمالهم واللام الأولى

موطئة للقسم والثانية جوابا للقسم المحذوف وما مزيدة من الجارة وما الموصولة او الموصوفة
واصلها لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذف اولاهن والمعنى لمن الذين
او لمن خلق اومن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل
بين اللامين والمعنى وان جميعهم ليوفينهم الآية وقرئ لمّا بالتنوين اي جميعا كقوله سبحانه اكلا
لما وقرا ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقرئ به انه بما يعملون
اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه
وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه
كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص توجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا
فشر فاستقم كما امرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء
عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب
مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل
تكذيب قوم موسى عليه الصلوة والسلام التوراة وان تاخير عقوبتهم لما سبق من كلمة القضاء بتاخير عقوبتهم
العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيمة ليفصل بينهم ما فعل بآبائهم من قبل فانهم موفون
نصيبهم غير منقوص وان كلا واحدا من المؤمنين والكافرين في جزاء عمله امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما
الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث
يدخل تحت ما امر به جميع ما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الآية
وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية
والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو
المعنى بالمعية وهو معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تاكيد لمكان الفاصل القائم
مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو نصب
على انه مفعول معه كما قال ابو البقا والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تنحرفوا
عما حد لكم بافراط او تفريط فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو
تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال سائر المؤمنين على حاله عليه الصلوة والسلام انه
بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الآية دلالة على وجوب اتباع
النصوص من غير تصرف وانحراف بمجرد الرأي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع
لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا
اي لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو
الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وقيل ان ذلك المبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة
مظنة الرخصة في مداهنتهم ظاهرا يعني ان لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة ومع كذلك
فتمسكم بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس
النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم
ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه
الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف

ومن جناح

ومن جناح البعوضة خفيف بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والآية
ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطابا للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه
من المؤمنين التثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط
ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من
اركنه وما لكم من دون الله من اولياء اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب على الحال
من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق من لا
يكون له ولي بل المجاز بكم وطريق انقسام الآحاد على الآحاد لكن لا على معنى نفي ان يستقل كل منهم
بنصير بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير حسبما يقتضيه المقام ثم لا تنصرون من جهته
الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم وثم لتراخي رتبة كونهم
غير منصورين من جهته تعالى بعد ما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلا
منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم
لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية
لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه
اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار فالمراد بصلواتهما صلوة الغداة والعصر وقيل
الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا
بضمتين وضمة وسكون كيسر ويسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات التي
من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات يذهبن السيئات التي قلما يخلو منها البشر
اي يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر وقيل نزلت في
ابي اليسر الانصاري اذ قبل امرأة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر قال صلى الله عليه الصلوة
والسلام له اصليت صلوة العصر فقال نعم فقال اذهب فانها كفارة لما عملت او يمنعن من اقترافها
كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل الى
القرآن ذكرى للذاكرين اي عظة للمتعظين واصبر على مشاق ما امرت به في تضاعيف
الاوامر السابقة واما ما نهي عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة
فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة من خلق البشر عنه من ادنى ميل بحكم
الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم ما فان
في الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي يوفيهم
اجور اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس
باضاعة حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان
كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وابراز الاثابة
في معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة
فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب
الاحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكائنة من قبلكم على راي من يجوز حذف
الموصول مع بعض صلته او كائنة من قبلكم اولوا بقية من الراي والعقل او اولوا فضل وخير
وسميا بها لان الرجل انما يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل

ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا
ويجوز ان تكون البقية بمعنى التقوى كالتقية من التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم
وصيانة لها من سخط الله وعقابه ويؤيده انه قرئ اولو بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه
اذا راقبه وانتظره اي اولو مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرونه لاشفاقهم ينهون
عن الفساد في الارض الواقع منهم حسبما حكي عنهم الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء
منقطع اي لكن قليلا ممن انجينا منهم لكونهم على تلك الصفة من للبيان لا للتبعيض لان جميع
الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تخصيصا لاولي البقية عن النهي المذكور
لان القليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد الاستثناء الصلحاء
من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من
القرون اولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح حينئذ على البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة
الفساد وترك النهي عنه ما اترفوا فيه اي انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون
فظاهر واما المساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت
خبير بان تخصيصهم بعدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام عادة وكانوا مجرمين اي
كافرين فهو بيان لسبب استئصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وفشو
ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اي لم ينهوا واتبع الخ وعدل
العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلية ذلك
لما حاق بهم من العذاب وعلى استئناف يترتب على قوله الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين
ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف
على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور في الاثام او اريد بالاجرام اغفالهم
للشكر او على اتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم
قوم مجرمون وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهور ويعضده
تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة ان يهلك
القرى التي اهلكها حسبما بلغك انباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتأكيد النفي
وقوله بظلم اي ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اي ظالما لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك
المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه
تعالى والا فلا ظلم فيما فعل الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة وقد مر
تفصيله في سورة آل عمران وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى واهلها مصلحون حال من المفعول
والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله اعني بظلم لدلالته على تقييد نفي الاهلاك
ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك
والباء للسببية اي لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا
يضمون الى شركهم فسادا آخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء
عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله الغني الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى
مع الظلم وانت تدري ان مقام النهي عن المنكرات التي اقبحها الاشراك بالله لا يلائمه فان الشرك داخل في
الفساد في الارض دخولا اوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت انباؤهم امته اولا عن الاشراك
ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره

من اضاف

من اضاف المعاصي وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه
وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء
ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على الحق ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن
لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين على الحق ولا يزالون مختلفين في الحق اي مخالفين له كقوله تعالى
وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الا من رحم ربك الا قوما
قد هداهم الله تعالى بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اي لم يخالفوه وحمله على مطلق
الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور ولذلك اي لما ذكر من الاختلاف
خلقهم اي الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للرحم والضمير لمن فاللام في
معناها او لهما معا فالضمير لكافة واللام بمعنى مجاز عام للمعنيين وتمت كلمة ربك اي
وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين
او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اي كل نبأ والتنوين عوض عن المضاف اليه نقص عليك نخبرك به
وقوله تعالى من انباء الرسل بيان لكلا وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر ان
يكون المضاف اليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص اي كل اقتصاص او كل اسلوب من اساليبه نقص
عليك من انباء الرسل وقوله سبحانه وتعالى ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على
المقصود بالاقتصاص من زيادة يقينه عليه الصلاة والسلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء
الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل احوال الامم السالفة في تماديهم في الضلال وما
لقي الرسل من جهتهم في مكابدة المشاق وجاءك في هذه السورة او الانباء المقصوصة عليك
الحق الذي لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اي الجامع بين كونه حقا في نفسه صدد
باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعني في هذه على الفاعل لان المقصود
بيان منافع السورة او الانباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك
فيها لا في غيرها ولان عند تأخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة اليه فعند وروده فيتمكن فيها
عند الورود تمكن ولانه في التأخير مع طول الكلام تفويت لتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا
يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي هي
عدم الايمان انا عاملون على حالنا وهي الايمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا
الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والارض واليه
يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا
فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها
الى الله عز وجل وفي تأخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل
عما تعملون فيجازيهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود
اعطي عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام
وبعدد من كذبهم وكان يوم القيامة من السعداء بفضل الله تعالى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والآيات والكتاب من قوله
تعالى تلك آيات الكتاب عين ما سلف في مطلع سورة يونس المبين من ابان بمعنى بان اي الظاهر امره

فيكون نبئ من عند الله تعالى وفي إعجازه بنوعيه لاسيما الإخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا
يشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او المبين لمن تدبره انه من عند الله او المبين لما فيه
من الاحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت واسرار النشاتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص
وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فابانتها للمنبا او سعة قصة يوسف فانه قد روي ان احبار اليهود
قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليهم الصلوة والسلام
من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه الصلوة والسلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة
من قبيل براعة الاستهلال لما سيأتي مما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الاضافي بقوله انا انزلناه
اي الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الظاهر الانسب بقوله تعالى
قرآنا عربيا او هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتبادر الى الفهم عند الاطلاق
والامر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرآنا لما عرفت فيما سلف والسر في ذلك انه
اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب او لانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال
كونه مقروا بلغتكم لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا معانيه وتحيطوا بما فيه
من البدائع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر
نحن نقص عليك اي نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان من يقص
الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية
احسن القصص اي احسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام
لخلاف ما في كتب اهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول اما اعتمادا على انفهامه وقوله عز وجل
بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا القرآن اي هذه السورة فان كونها موحاة منبئ عن كون
ما في ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحي
غير المتلو وانما الظهور من تساؤل المشركين بتلقين علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص على ابدع
الطرائق الرائعة الرائقة واعجب الاساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة
من كتب الاولين والآخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال من اليمين وفي كلمة هذا
ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآنا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتأمل او
نقص عليك احسن ما يقص من الانباء وهو قصة آل يعقوب عليه الصلوة والسلام على ان القصص
فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمي به المفعول كالخلق والصيد ونصبه على
المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى لكمال حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة
وضمير الشان الواقع اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وان الشان كنت من قبله من قبل
ايحائنا اليك هذه السورة لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط
وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شان النبي صلى الله عليه وسلم
وان غفل عن بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا
للوعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص
الوقت المشتمل على القصص من حيث اشتماله عليه اقتصاص المقصوص ويوسف اسم عبراني لا عربي
لخلوه عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلقب به لا على انه
مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لشهادة المشهورة بعجمته لابيه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
عليه الصلوة والسلام ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف عليه الصلوة والسلام وقد روي عنه عليه

الصلوة

الصلوة والسلام الى يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء
في ذلك فلبث هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض عن حرف
يناسبها وفتحها ابن عامر في القرآن لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف
وبقي الفتحة وانما لم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى
الالفاظ المؤنثة بتاء التانيث من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة
الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك هذا
تاويل رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤية
راء دون راء فيكون طامة كبرى لا تخفى على احد من الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي
عن جابر رضي الله تعالى عنه ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد
عن النجوم التي رآهن يوسف عليه الصلوة والسلام فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام فاخبره بذلك
فقال عليه الصلوة والسلام اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم فقال عليه الصلوة والسلام
جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ
ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي
والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس
والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكال
على الملائكة عليهم الصلوة والسلام وقد يجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر
ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة الى تاخر ملاقاته عليه الصلوة والسلام لاخوته وعن وهب ان يوسف عليه
الصلوة والسلام رأى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة
الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك
ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها
على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته
اليه اربعون سنة وقيل ثمانون سنة رأيتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم
عليها فلا تكرار كانه سائل فقال كيف رأيتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير
لوصفها بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم
بما في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني صغره للشفقة او لصغر السن وهو ايضا استئناف
مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة فقال عرف يعقوب عليه
الصلوة والسلام من هذه الرؤيا ان يوسف عليه الصلوة والسلام يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا
من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة
وبغيهم فقال صيانة لهم في ذلك قلبه من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله
تعالى يحققه لا محالة وطمعا في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام
كما ان الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما بحرف التانيث كما في القربة والقربى وحقيقتها ارتسام
الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة
لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالجزئية والكلية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت
اليه على اخوتك فيكيدوا نصب باضمار ان اي فيفعلوا لك اي لاجلك ولاهلاكك كيدا
متينا راسخا لا يقدر على التقصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا اوفق

المحذرين وإن كان يعقوب عليه الصلاة والسلام يعلم أنهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا
على وقوعه وهذا الأسلوب آكد من أن يقال فيكيدوك كيدا إذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل
مقصودا بالإيقاع وقد قيل إنما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى
التضمين والمضمن فيه للتأكيد أي فيحتالوا لك ولأهلاك حيلة وكيدا قالوا وإخوته هاهنا
الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بني علاته الأحد عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون
ولاوي وزبالون ويشجر ودينة بنو يعقوب من ليا بنت خالته وذان ونفتالي وجاد
وآشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء هم الكواكب الأحد عشر وأما بنيامين
الذي هو شقيق يوسف عليه الصلاة والسلام وأمهما راحيل التي تزوجها يعقوب عليه الصلاة
والسلام بعد وفاة أختها ليا أو في حياتها إذ لم يكن جمع الأختين إذ ذاك محرما فليس بداخل
تحت هذا النهي إذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم في الرؤيا إذ لم يكن معهم في
التحجب بيوسف والمراد به نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا وبعضا **إن الشيطان للإنسان**
عدو مبين ظاهر العداوة فلا يألو جهدا في إغواء إخوتك وإضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه
وهو استئناف كأن يوسف عليه الصلاة والسلام قال كيف يصدر ذلك عن إخوتي الناشئين في بيت
النبوة فقيل إن الشيطان يحملهم على ذلك وإنه عليهما الصلاة والسلام علم أن للرؤيا شأنا عظيما
يستتبع منافع وصدده إشاعتها الموجبة إلى أن يحول بينها وبين ظهور آثارها وحصولها أو يوعر
سبيل وصولها شرع في تعبيرها وتأويلها على وجه إجمالي فقال **وكذلك** أي ومثل ذلك الاجتباء
البديع الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الأجرام العلوية النيرات وتحسيسا على وفقه
يجتبيك ربك يختارك لكبرياته ويستنبئك افتعال من جباه إذا جمعه ويصطفيك على أشراف
الخلائق وسراة الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور حتى
وتلك الأشباح بيان لمعناها وتحقيقه أن بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت هي صورا له من
الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة لما عرفت أن تلك الأجرام العظام تستتبع النجوم الذين
نواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة والمراد لطاعة أبويه وإخوته له
إنما يتضح بعد حين إذا عنه **ويعلمك** كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه أراد به عليه الصلاة
والسلام تأكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عليه الصلاة والسلام بما أخبر به على طريقة
التعبير والتأويل كأنه قال وهو يعلمك **من تأويل الأحاديث** أي ذلك الجنس من العلوم أو طرفا
صالحا منه فتطلع على حقيقة ما أقول ولا يخفى ما فيه من تأكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سيأتي بالقبول
والمراد بتأويل الأحاديث تعبير الرؤيا إذ هي أحاديث الملك إن كانت صادقة وأحاديث النفس أو الشيطان إن
لم تكن كذلك والأحاديث اسم جمع للحديث كأباطيل اسم جمع للباطل لا جمع أحدوثة وقيل كأنهم
جمعوا حديثا على أحدثة ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطيع وأقطعة وأقاطيع وتسمية التعبير بالتأويل
لأنه جعل المرئي آيلا إلى ما يذكره المعبر بصدد التعبير وراجعا إليه وكأنه عليه الصلاة والسلام
أشار بذلك إلى ما سيقع من يوسف عليه الصلاة والسلام من تعبير رؤيا صاحبي السجن ورؤيا
الملك وكون ذلك ذريعة إلى ما يبلغه الله تعالى من الرياسة العظمى التي عبر عنها بإتمام النعمة وإنما
عرف يعقوب ذلك منه عليه الصلاة والسلام من جهة الوحي أو أراد كون هذه الخصلة سببا لظهور
أمره عليه الصلاة والسلام بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والأمارات
والمخايل بأن من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتأويل أشباهها وتمييز

ما هو آفاقي

ما هو آفاقي منها تماما بل أنفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه الصلاة والسلام في عالم المثال
وقوة تصرفها فيه بحيث تقبل الفيضان للمعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الأمور الواقعة
بحسبها في عالم الشهادة وأقوى وقوفا على النسب الواقعة بين الصور المتباينة في أحد ذينك العالمين
وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الآخر وأن هذا الشأن البديع لا بد أن يكون لغرض جلي الظهور
أمره من الصف وسداد الجريان لأحكامه فإن لكل نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معجزة بها يظهر
آثاره ويجري أحكامه **ويتم نعمته عليك** بأن يضم إلى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة
لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي
فإنما أثر إليه من كون تأويله وسيلة إلى إتمام النعمة ويجوز أن تعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فتكون جميع
النعم الواصلة إليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة ويجوز أن تعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى
عليه **وعلى آل يعقوب** وهم أهل بيته من بنيه وغيرهم فإن رؤية يوسف عليه الصلاة والسلام لإخوته
كواكب يهتدى بأنوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير أمرهم إلى النبوة فيقع كل ما يخرج من
القوة إلى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة وأما إذا أريد بتمام النعمة الملك فكونه
كذلك بالنسبة إليهم باعتبار أنهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال **كما أتمها على أبويك** نصب على
المصدرية أي ويتم نعمته عليك إتماما كائنا كإتمام نعمته على أبويك وهي نعمة الرسالة والنبوة وإتمامها
على إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالخلة وإنجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى إسحاق وإنجائه من
الذبح وفدائه بذبح عظيم وبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه وكل ذلك نعم يجلي له وقعت تتمة
لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه
من قبل أي من قبل هذا الوقت أو من قبلك **إبراهيم وإسحاق** عطف بيان لأبويك والتعبير عنهما بالأب
مع كونهما أبا جده وأبا أبيه للإشعار بكمال ارتباطه بالأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وتذكير
أن معنى الولد سر أبيه ليتطرف قلبه بما أخبر به في ضمن التعبير الإجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه
على ذكر إتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فإن إتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية
للاجتباء لا محالة **إن ربك** استئناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة أي يفعل ما ذكر لأنه **عليم** بكل شيء
فيعلم ما يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور وإتمام النعمة العامة على الوجه المذكور
حكيم فاعل لكل شيء حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل جريا على سنن علمه
وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الأفاعيل هذا وقد قيل
في تفسير الآية الكريمة أي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤية الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك
للنبوة والملك أو لأمور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بأن جعلهم
في الدنيا أنبياء وملوكا ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى في الجنة كما أتمها على أبويك بالرسالة فتأمل والله تعالى
الهادي **لقد كان في يوسف وإخوته** أي في قصتهم والمراد بهم هاهنا أما جميعهم فإن لبنيامين أيضا
من القصة أو بنو علاته المعدودون فيما سلف إذ عليهم يدور رحاها **آيات** علامات عظيمة الشأن
دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة **للسائلين** لكل من سأل عن قصتهم وعرفها أو للطالبين
للآيات المعتبرين بها فإنهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكأين
من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون فأخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع
من أحد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها انفصامها وحينئذ الآيات تعجيبا بأن اقتصاصها من كل طائفة
من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام

ابراهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لكمال فيه من انه تعدد جهة الاعجاز لفظا
ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم
خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به اذ قالوا ليوسف وأخوه اي شقيقه
بنيامين وانما لم يذكر باسمه اشعارا بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين الا يرى الى انهم كيف اكتفوا
باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف الخ احب الى ابينا منا وحد الخبر
لتعدد المثنى لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب
الفرق واذا اضيف جاز الامران وفائدة لام الابتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده ونحن عصبة
اي والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال
فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما
بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة لفي ضلال اي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته
مبين ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا
ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف
او اطرحوه ارضا من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعضهم مخاطبا للباقين لقضية
الصيغة وكانهم رضوا كما يروى ان القائل شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا الى آخره
فجعلوا كانهم القائلون وادرجوا تحت القول المسند الى الجميع اذ قال كل واحد منهم مخاطبا للبقية او لما دل
على مسارعتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة
من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة يخل بالجزم جواب الامر اي يخلص لكم وجه ابيكم فيقبل
بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم وتكونوا
بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان والواو بمعنى مع مثل قوله وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما
بعده للمبالغة في حملهم على القبول لان اعتناء المرء بشأن نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل من بعده
من بعد يوسف ومن بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله
تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او
صالحين في امور دنياكم بانتظامها بعده وخلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا
وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن ابرح الارض الى آخره وقيل روبيل وهو استئناف
مبني على سؤال من سأل وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي الضيم ام خالفهم في ذلك
احد فقيل قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم
عليه واستعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم
عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية ما عرضه عليهم بقوله والقوه في غيابة الجب اي
في قعره وغوره سمي به لغيبته عن عين الناظر والجب البئر الذي لم تطو بعد لانها ارض
جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين وقرئ غيابات
الجب وغيبة يلتقطه ياخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط
اخذ شيء مشرف على الضياع بعض السيارة اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في
السيارة كما في الجب وما في البعض من الابهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته
لغرضهم الذي هو تباعد يوسف عنهم بحيث لا يدري اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على
التأنيث لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت

بعض اصابعه

لبعض اصابعه ان كنتم فاعلين مشورة بين الا يترك القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك
تأليفا لهم وتوجيها لهم الى رأيه وحذرا من نسبتهم له الى التحكم والافتيات اي ان كنتم
فاعلين ما اجمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة فلما كان هذا مظنة لسؤال السائل
يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه ام لا فاجيب بطريق الاستيناف على وجه
ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجيء في قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فقيل قالوا
يا ابانا خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا لرابطة الاخوة بينهم
وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله عليه الصلاة والسلام عن رأيه في حفظه منهم
لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكأنهم قالوا ما لك اي اي شيء لك لا تأمنا اي
لا تجعلنا امناء على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون مريدون
له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمحافظة وقرأ القراء المشهورة بالادغام
والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء
نرتع اي نتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ ونلعب بالاستباق والانتضال
ونظائرهما مما يعد من مبادي التأهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا
لما راموه من استصحاب يوسف عليه الصلاة والسلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله عليه
الصلاة والسلام وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرأ ابن كثير نرتع ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب
وقرئ يرتع من ارتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون من ان يناله
مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التأكيد من ايراد الجملة الاسمية واللام واسناد الحفظ الى كلهم
وتقديم له على الخبر احتياطا لا لتخصيص مقصدهم قال استئناف مبني على سؤال من يقول فما
ذا قال يعقوب عليه الصلاة والسلام فقيل قال اني ليحزنني اللام للابتداء كما في قوله عز
وجل ان ربك ليحكم بينهم ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه ومع ذلك
واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة والحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج
النفس لنزول المكروه ولذلك استند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف
والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل رأى في المنام انه قد شد عليه عليه الصلاة والسلام
ذئب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة اذ البلاء موكل بالمنطق وقرأ ابن كثير ونافع في رواية
اليزيدي بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وقيل اشتقاقه
من تذاءبت الريح اذا هاجت من كل جانب وقال الاصمعي الامر بالعكس وهو الاظهر لفظا ومعنى وانتم
عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب ولقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن
عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان يعصب بنا الامور العظام وتكفى الخطوب بآرائنا
وتدبيرنا واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب مجزي عن
الجزاء اي انا لكوننا ضعفاء وخورا وعجزا او مستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حيوتنا
او مستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم
وهم حضور وقيل ان لم نقدر على حفظ بعض من عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها
وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه الصلاة والسلام من اكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون
الحزن لقصر مدته بناء على انهم يأتون به عن قريب فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه اي عزموا ان يجعلوه
مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي قوي الداعي

الى قعرها **في غيابة الجب** قيل هي بئر بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه الصلوة والسلام بكنعان التي هي من نواحي الاردن كما ان مدين كذلك واما ما يقال بانها في قرب من التقاط السيارة ومجيئهم عشاء في ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه الصلوة والسلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الاذية ما فعلوا يروى انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البير فتعلق بثيابهم فنزعوها من يده فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ليحتالوا به لابيه فقال لاخوته ردوا علي قميصي اتوارى به فقال ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يؤنسوك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهودا وكان ياتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه الصلوة والسلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحاق واسحاق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاء جبريل عليه الصلوة والسلام فاخرجه من التميمة فالبسه اياه **واوحينا اليه** عند ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل اذ ذاك اذ كان مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة **لتنبئنهم بامرهم هذا** اي لتتخلص مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك **وهم لا يشعرون** بانك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك من اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف فكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب فقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير **وجاءوا اباهم عشاء** اخر النهار وهو عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء **يبكون** متباكين روي انه لما سمع يعقوب عليه الصلوة والسلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف **قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق** اي نتسابق في العدو والرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظائرهما **وتركنا يوسف عند متاعنا** اي ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرهما **فاكله الذئب** عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لم يكد يطرح المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عليه الصلوة والسلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم يبرحوا ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مامننا ومجمعنا بمرأى منا الا ان مسابقتنا التي لا تكون عادة الا بالتباعد في غايتها وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان **وما انت بمؤمن لنا** في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره **ولو كنا** عندك وفي اعتقادك **صادقين** موصوفين بالصدق والثقة لشدة

محبتك

محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى اولو كنا كارهين **وجاءوا على قميصه** محله النصب على الظرفية من قوله **بدم** اي جاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال وقيل على الحالية منه والخلاف في تقديم الحال على المجرور معروف اذا لم يكن الحال ظرفا **كذب** مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اي ملتبس بالكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاءوا كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة رضي الله عنها بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما الصلوة والسلام صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه الصلوة والسلام ثلاث ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف عليه الصلوة والسلام حين قد من دبر **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا له اولا فقيل قال لم يكن ذلك **بل سولت لكم انفسكم** اي زينت وسهلت قال ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري كان التسويل تفعيل من سؤال الانسان وهو امنيته اي يطلبها فيزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء **امرا** من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف **فصبر جميل** اي فامري صبر جميل او اجمل وامثل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقد قال يعقوب عليه الصلوة والسلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي وقرئ فصبرا جميلا **والله المستعان** اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عليه الصلوة والسلام للاستعانة المستمرة **على ما تصفون** على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه وتعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا والمعنى الاستعانة على تحمل ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه يأباه تكذيبه عليه الصلوة والسلام لهم في ذلك ولا يساعده تنكير امرا فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه **وجاءت** شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيهم والتعبير عنه بالمجيء بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب الشرقي من مدين بل [illegible] يوسف وفي ايثاره على الاتيان ومثلها ايماء الى كونه عليه الصلوة والسلام في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر ان الجب كان في الكوم ثم اتيناه فان السيارة من الحجاز الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل **وجاءت سيارة** اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر فنزلوا قرب الجب

يسبقهم للماء وهو الذي يتقدم بنفسه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل إنه
كان في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة فأخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان
ماؤه ملحا فعذب حين ألقي فيه عليه الصلاة والسلام **فأرسلوا واردهم** الذي يرد الماء
ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن دعر الخزاعي وإنما لم يذكر مثل الإرسال كما لم يذكر المجيء إلى الجب للعلم
بأن ذلك مما لا بد منه عند الذكر فحسب **فأدلى دلوه** أي أرسلها إلى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما خرج
فتدلى بها يوسف فخرج **قال** استئناف مبني على سؤال يقتضيه الحال **يا بشرى هذا غلام**
كأنه نادى البشرى وقال تعالى فهذا أوانك حيث فاز بنعمة نادرة أي نعمة كأنه أنى يجده مكانا
من الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على إخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي
وأمال الفتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري بالإدغام وهي لغة
وبشراي على قصد الوصف **وأسروه** أي أخفاه الوارد وأصحابه من بقية الرفقة وقيل أخفوا
أمره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير
لإخوة يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك أن يهوذا كان يأتيه كل يوم بطعام فأتاه يومئذ
فلم يجده فيها فأخبر إخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه منهم وسكت
يوسف مخافة أن يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد **بضاعة** نصب على الحال أي أخفوه حال
كونه بضاعة أي متاعا للتجارة فإنها قطعة من المال بضعت عنه أي قطعت للتجارة **والله**
عليم بما يعملون وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال
بالبيع والشراء وما دبروا في ذلك من الحيل **وشروه** أي باعوه والضمير للوارد وأصحابه **بثمن بخس**
زيف ناقص العيار **دراهم** بدل من ثمن أي لا دنانير **معدودة** أي غير موزونة فهو بيان
لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه إذ المعتاد فيما لا يبلغ أربعين العد
دون الوزن فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها كانت عشرين درهما **وكانوا** أي البائعون **فيه** في يوسف
من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما بأيديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك
أنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به وغير واثق بأمره يخاف أن يظهر له مستحق فينزعه
من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس ثمن ويجوز أن يكون معنى شروه اشتروه على أنهم غير
راغبين في شرائه خشية ظهور ما هو الظاهر في أنه من الإباق والعدول عن صيغة الافتعال
للتنبه على أنه لم يتم لهم اتخاذه إلا بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه
متعلق بالزاهدين إن جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه إن جعلت موصولة كأنه قيل في أي
شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه لأن ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول **وقال الذي اشتراه**
من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير أو أطفير وبيان كونه من مصر للتنبيه على
ما يتفرع عليه من الأمور مع الإشعار بكونه غير من اشترى من الملتقط بما ذكر من الثمن البخس وكان
الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف عليه الصلاة والسلام ومات في حياته فأمر
فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه إلى الإسلام فأبى وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عليه الصلاة
والسلام عاش أربعمائة سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى
من أولاد فرعون يوسف عليه الصلاة والسلام والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء واختلف
في مقدار ما اشتراه العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين أبيضين وقيل أدخلوه في السوق
فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنه إذ ذاك سبع عشرة سنة وأقام في منزله مع ما مر عليه من

مدة لبثه في البيت ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة فآتاه الله العلم والحكمة
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة **لامرأته** راعيل أو زليخا وقيل
اسمها الأول والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه **أكرمي مثواه** اجعلي محل إقامته
كريما مرضيا والمعنى أحسني تعهده **عسى أن ينفعنا** في ضياعنا وأموالنا ونستظهر به في مصالحنا
أو نتخذه ولدا أي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل أفرس الناس
ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى
عنهما **وكذلك** نصب على المصدرية وذا إشارة إلى ما تقدم من تخليصه من الجب وعطف العزيز عليه وما فيه من معنى البعد
لتفخيمه أي مثل ذلك التمكين البديع **مكنا ليوسف في الأرض** أي جعلنا له فيها مكانا يقال
مكنه فيه أي أثبته فيه ومكن له فيه أي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال
عز وجل ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وقال عز وجل كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم أي ما لم نمكنكم فيها أي مكانا لهم في الأرض
أي نحوه والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما في منزل العزيز أو مكانا عليا في قلبه حتى أمر امرأته
دون سائر حواشيه بإكرام مثواه جعلنا له مكانا رفيعا في أرض مصر ولعل عبارة عن جعله
وجيها فيما بين أهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لأنه الذي يؤدي إلى الغاية المذكورة
في قوله تعالى **ولنعلمه من تأويل الأحاديث** أو نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها
رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة
ينساق إليها الكلام ويستدعيها النظام كأنه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الأرض وجعلنا
قلوب أهلها كافة تحنو عليه ليترتب عليه ما يترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه
بعض تأويل الأحاديث وهو تأويل الرؤيا المذكورة فيؤدي ذلك إلى الرياسة العظمى ولعل ترك
المعطوف عليه للإشعار بعدم كونه مرادا بالذات أو جعلناه علة لمعلل محذوف كأنه قيل ولهذه
الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك الذي
عليه يدور فهم الأمور إنما هو التمكين في جانب العزيز وأما التمكين في جانب الناس كافة فناشئ
إلى أن إنما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فإذن الحق أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر قوله تعالى مكنا
ليوسف على أن يكون عبارة عن التمكين في قلب العزيز أو في منزله وكون ذلك تمكينا في الأرض بملاحظة كون عزيز
فيها لا عن تمكين آخر يشبه به كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا من أن ذلك إشارة إلى مصدر
الفعل المذكور بعده لا إلى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شأن
المشار إليه إقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا كان
ينبغي أن يحقق المقام وأما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في أرض مصر بالأمر والنهي فهو من آثار ذلك
التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفت لا من مباديه المؤدية إليه فلا سبيل إلى جعل غايته من تعليمه كلمه
من قبله عليه الصلاة والسلام في تضاعيف قضاياه العدل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها
عهده قضى الحمل غاية لو لأنه سوى ما وقع من التدارك في أيام السنين فإنما هو بموجب الرؤيا السابقة
المعهودة اللهم إلا أن يراد بتعليمه تأويل الأحاديث ما سيؤتيه من تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية وحفظ أمور
شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيكون المعنى حينئذ مكناه في أرض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه
معاني كتب الله تعالى وأحكامها ودقائق سنن الأنبياء فيقضي بها فيما بين أهلها والتعليم الإجمالي لتلك
والأحكام فلذلك تأخر ذكره عن تمكينه بسلطان الغني لأن التعليم بمعنى تخصيصه بفهم الحوادث لا يكون
المحقق إلا بعد من النوازل متأخر عن ذلك من مصالح الملك لا يكون إلا لغاية له **والله غالب على أمره** لا يستعصي عليه

اثر ولا يمانع شيء عليه ما اثر مشيئة اذا اراد ان يقول له كن فيكون في نحو ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف
خصوصا اوليا او شؤون على امر يوسف لا يكلها الى غيره وقد اريد به من القتل ما اريد به من غيرة فلم يكن الا ما اراد الله
له من العاقبة الحميدة **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ان الامر كذلك فيأتون ويذرون زعما منهم ان لهم من
الامر شيئا وانى لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله **ولما بلغ اشده**
اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه
بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله تعالى **آتيناه حكما** حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس
وفقها ونبوة وعلما اي تفقها في الدين ... اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما وهما
ما آتاه الله تعالى عند تمام اشده سوى ما كان القادة على النبوة والحكم بين الناس وغير ذلك كيف لا وقد جعل ايتاؤهما
جزاء لعمله عليه الصلاة والسلام حيث قيل **وكذلك** اي مثل ذلك الجزاء العجيب **نجزي المحسنين** اي كل
من يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعمال الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان والشدائد
وقد فسر العلم بعلم تأويل الاحاديث ولا صحة له الا ان يخص بعلم تأويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان بعد
تناهي ايام البلاء صح ان يعد ايتاؤه من جملة الجزاء واما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث عليه الصلاة والسلام بعد
تعبيره لها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه على انه
سبحانه انما آتاه ما آتاه لكونه محسنا في اعماله متقنا في عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا الاحسان **وراودته**
التي هو في بيتها رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعدما امر امرأته باكرام مثواه وقوله تعالى
وكذلك مكنا ليوسف في الارض الى هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر
ان ما لقيه عليه الصلاة والسلام من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه الصلاة
والسلام محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص
هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادرج الخاء السابق تحت الاشارة
بذلك في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعل الجمهور ... من التقريب فتأمل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء
وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطالب الماء والكلأ وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المديون
ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كانها
صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشيء يقوم مقامه ويطلق
عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى فان فعل البادي وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق
عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلاة وارادة قراءة القرآن حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما
فقيل اذا قمتم الى الصلاة واذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه
صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان مطالبة الدائن لمماطلة المديون ... من جانب المديون وهي منه مطالبة
التي هي من جانب المدين وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو في جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجماله
عليه الصلاة والسلام نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدورها عن مسبباتها التي هي تلك الافعال فبني الصيغة
على ذلك وروعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتأمل ويجوز ان يراد بصيغة
المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز ان يكون
من الرويد وهو الرفق والتمحل وتعديته بعن لتضمينها معنى المخادعة والمعنى خادعته **عن نفسه** اي
فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد ان يخرجه من يده وهو يحتال ان ياخذه منه وهي عبارة عن التمحل
في مواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير
المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب

الوساد وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته
لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه الصلاة والسلام في اعلى معارج العفة
والنزاهة **وغلقت الابواب** قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال
وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام **وقالت هيت لك** قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبنائه
كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام للتبيين اي لك اقول
هذا كما في هلم لك وقرئ هئت بصيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ
وهئت لك واللام صلة للفعل **قال معاذ الله** اي اعوذ بالله معاذا مما تدعونني اليه وهذا اجتناب
منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه
عليه الصلاة والسلام قد شاهده بما اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية
القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل **انه ربي احسن مثواي** تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية
مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي
لا يكاد يقبله ما سولت لها نفسها والضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته
المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة
مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن
مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان
الشأن الخطير هذا وهو ربي اي سيدي العزيز احسن مثواي اي احسن تعهدي حيث امرك
باكرامي فكيف يمكن ان اسيء اليه بالخيانة في حرمه وفيه ارشاد لها الى رعاية حق العزيز بالطف
وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربي خبر ان واحسن مثواي خبر ثان او هو الخبر والاول بدل
من الضمير والمعنى ان الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها من
عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع
عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل
تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى **انه لا يفلح الظالمون** تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح
الظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا
من كان فيدخل في ذلك المجازون الحسن بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا وقيل
الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله **ولقد همت به** بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اي
قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعدما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت
من المراودة وتغليق الابواب ودعوته عليه الصلاة والسلام الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت
هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه الصلاة والسلام
الى الهرب نحو الباب والتاكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عليه
الصلاة والسلام من الزواجر **وهم بها** بمخالطتها اي مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب
وعرضه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا الا يرى الى ما سبق من استعصامه
المنبئ عن كمال كراهيته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور
الهم منه عليه الصلاة والسلام تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق
المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزا في قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد
هما بالمخالطة او هم كل منهما بالآخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب الثاني بما

يعني أنه من قوله عز وجل **لولا أن رأى برهان ربه** أي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا
وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال إيقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة إلى مرتبة عين
اليقين التي تتجلى هناك حقائق الأشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر
في هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
فكأنه عليه الصلاة والسلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته أقبح
ما يكون وأوجبه للحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم إفلاح من يرتكبه
وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام أي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنا لجرى على موجب
ميله الجبلي لكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة
هذه الشرطية بيان أن امتناعه عليه الصلاة والسلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة
بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور
الأحكام الطبيعية هذا وقد نص أئمة الصناعة على أن لولا في أمثال هذه المواقع جار من حيث المعنى
لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن
صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم أصلا وقد جوز أن يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة
الكوفيين في جواز التقديم حينئذ على معناه الحقيقي فالمعنى لولا أنه قد شاهد برهان ربه لهم بها
كما همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم رأسا هذا
وقد فسر همه عليه الصلاة والسلام بأنه حل الهميان وجلس مجلس الختان وبأنه حل تكة سراويله
وقعد بين شعبها وروي البرهان بأنه سمع صوتا إياك وإياها فلم يكترث ثم وثم إلى أن تمثل له يعقوب
عليه الصلاة والسلام عاضا على أنملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل بدت
كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف
ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما
ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فيه فقال الله عز وجل لجبريل عليه الصلاة أدرك عبدي قبل أن يصيب
الخطيئة فانحط جبريل عليه الصلاة والسلام وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب
في ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل وقيل إن كل ذلك إلا خرافات وأباطيل تمجها الآذان وتردها
العقول والأذهان ويل لمن لاكها ولفقها أو سمعها وصدقها **كذلك** الكاف منصوب المحل وذلك إشارة
إلى الإرادة المدلول عليها بقوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه أي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا
فيما قبل أو التثبيت اللازم له أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه **لنصرف عنه السوء** على الإطلاق فيدخل فيه
خيانة السيد دخولا أوليا **والفحشاء** والزنا لأنه مفرط القبح وفيه آية بينة وحجة قاطعة على أنه
عليه الصلاة والسلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه إليها قط وإلا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء
وقرئ ليصرف على إسناد الصرف إلى ضمير الرب **إنه من عبادنا المخلصين** تعليل لما سبق من مضمون
الجملة بطريق التحقيق والمخلصين هم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته بأن عصمهم عما هو قادح فيها
وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين أخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم
داخل في زمرتهم من أول أمره بقضية الجملة الاسمية لا أن ذلك حدث له بعد أن لم يكن كذلك فانحسم مادة
احتمال صدور الهم بالسوء منه وقوله كذلك إلخ اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه
الصلاة والسلام كقوله تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض والمعنى لقد همت به وأبى
واستبقا أي تسابقا إلى **الباب** البراني الذي هو المخلص لذلك ووحد بعد الجمع فيما سلف وحذف

حرف الجر وأوصل الفعل إلى المجرور بنحو ما ذكر أو ضمن الاستباق معنى الابتدار وإسناد السبق
في ضمن الاستباق إليها مع أن مرادها مجرد منع يوسف وذا لا يوجب الانتهاء إلى الباب لأنها لما
رأته يسرع إلى الباب ليتخلص منها أسرعت هي أيضا لتسبقه إلى الباب فتمنعه عن الفتح والخروج أو عبر
عن إسراعها أثر يوسف بذلك مبالغة **وقدت قميصه من دبر** اجتذبته من ورائه فانشق طولا
وهو القد كما أن الشق عرضا هو القط وقد قيل في وصف علي كرم الله وجهه أنه كان إذا
اعتلى قد وإذا اعترض قط وإسناد القد إليها خاصة مع أن لخروج يوسف أيضا دخلا فيه إما لأنها
الجزء الأخير للعلة التامة وإما للإيذان بأن عدله فيها في منعه عن الخروج وتبالغ جهودها في ذلك الفوت
المحبوب لخوفها الافتضاح **وألفيا سيدها** أي صادفا زوجها وإذ لم يكن ملكه ليوسف صحيحا
لم يقل سيدهما قيل ألفياه مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم المرأة **لدى الباب** أي البراني كما
مر روي عن كعب رضي الله عنه أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من
الأبواب **قالت** استئناف مبني على سؤال سائل يقول فماذا كان حين ألفيا العزيز عند الباب فقيل قالت
ما جزاء من أراد بأهلك سوءا من الزنا ونحوه **إلا أن يسجن أو عذاب أليم** ما نافية أي ليس جزاؤه إلا
السجن أو العذاب الأليم قيل المراد به الضرب بالسياط أو استفهامية أي أي شيء جزاؤه غير ذلك
ولقد أتت في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة
بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عن رأيه في
استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها بإلقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواقعته لها
كرها عند يأسها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ثم إنها
جعلت صدور الإرادة المذكورة عن يوسف عليه الصلاة والسلام أمرا محققا مفروغا عنه غنيا
عن الإخبار بوقوعه وأن ما هي عليه من الأفاعيل لأجل تحقيق جزائها فهي تريد إيقاعه حسبما يقتضيه
قانون الإيالة وفي إبهام المريد تهويل لشأن الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل أحد كائنا
من كان وفي ذكر نفسها بعنوان أهلية العزيز إعظام للخطب وإغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم الغضب
والحمية **قال** استئنافا في جواب من يقول فماذا قال يوسف حينئذ فقيل قال **هي راودتني عن**
نفسي أي طالبتني للمواتاة لا أني أردت بها سوءا كما قالت وإنما قاله عليه الصلاة والسلام لتبرئة
نفسه عما اتهم به من الخيانة وعدم تعرضه لحق السيد ودفع ما عرضته له من الأمرين ولا يخفى
في التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب أو اسم الإشارة مراعاة لحسن الأدب مع الإيماء إلى الإعراض
عنها **وشهد شاهد من أهلها** قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب
وقيل كان حكيما يرجع إليه الملك ويستشيره ويجوز أن يكون بعض أهلها كان في الدار بحيث لا يشعر
فأغضبه الله تعالى ليوسف عليه الصلاة والسلام بالشهادة له والقيام بالحق وإنما ألقى الله سبحانه
الشهادة إلى من هو من أهلها ليكون أدل على نزاهته عليه الصلاة والسلام وأنفى للتهمة وقيل كان الشاهد
ابن خال لها صبيا في المهد أنطقه الله تعالى وهو الأظهر فإنه روي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه الصلاة
والسلام رواه الحاكم عن أبي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من أهلها لبيان أن الأمر
لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من أهلها أو من غيرهم **إن كان قميصه قد من قبل** أي
علم أنه قد من قبل ونظيره إن أحسنت إلي فقد أحسنت إليك فيما قبل فإن معناه إن تعتد بإحسانك
إلي فقد أحسنت إليك فيما قبل فإن معناه أن تعتد بإحسانك إلي فأعتد بإحساني السابق إليك

فصدقت بتقدير قد لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله وكذبت وهي وان
لم تصرح بانه عليه الصلاة والسلام اراد بها سوءا الا ان كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه اسند
اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه
وبذلك الاعتبار يعتوران الانشاآت وهو من الكاذبين وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية
ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسعة للمدار وارخاء للعنان
الى جانب المرأة باجراء ما عسى يحتمل الحال في الجملة بان يقع القد من قبل عند مدافعتها له عليه الصلاة والسلام عن
نفسها عند ارادته المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة يعني
مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين
الى التسليم والقبول عند السامع لكونها اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها اتصال
وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال او بتقدير القول اي شهد قائلا ان كان الخ
وتسميتها شهادة مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤداها بل لانها شهادة على
الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر اذ هو اخبار منه من قبل
علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الحكم
بانتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي الثانية فاذن هو اخبار بتكذيبها وتصديقه عليه الصلاة والسلام لكنه
ساق شهادته مساق ما هو من شأن البشر والتعبير حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرا بين
نفعها ونفعه واذا حقيقة فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده
من قد القميص من قبل فيكون ممتنعا لا محالة من ضرورية تقريب ثبوتها والثانية تعليق لصدقه عليه الصلاة
والسلام بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون متحققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامرأة تزوجيني فقد
قالت لي زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقبل الرجل فاذا لا زوج لها فهو
نكاح اذ تعليق الشيء بامر متقرر تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل
وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتأنيث والعلمية وقرئ بسكون العين فلما
رأى قميصه قد من دبر قال كانه لم يكن رأى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال
انه اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التي اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته
بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الخ لكن لا من حيث صدورهما عنها بل من حيث الاسناد عنها بل مع قطع النظر
عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى من كيدكن اي من جنس حيلكن ومكركن ايتها النساء لا من غيركن عن الافادة
وتدبير العقوبة ولو لم يكن تجويز عن الاضافة اليها لانها لما صورته بصورة الحق افاد الحكم بكونه من كيدهن
افادة ظاهرة فتأمل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق ولا تحسبا هند الهاالعذر
وحدها بحجة نفس كل غانية هند ورجع الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقط عدول عن
البحث عن اصل ما وقع فيه التشاجر من ارادة السوء الى البحث عن شعبة من شعبه وحمل للسوء والكيد
المعاقب بعد ظهورها في يوسف عليه الصلاة والسلام بامالحير فان الكيد يستدعي ان يعتبر مع ذلك
هيآت اخر يقيدها كما اشير اليه ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس عن بعض
العلماء اني اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء
ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال يوسف حذف منه حرف النداء
لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اي عن هذا الامر وعن الحديث
به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفري انت يا هذه لذنبك الذي صدر عنك وثبت

عليك انك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال خطئ
اذا اذنب متعمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا
حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال نسوة اي جماعة من النساء
وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة
الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة وهي اسم لجماعة النساء من
والشيب وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث في المدينة ظرف لقال اي
اشعن الامر في مصر او صفة لنسوة امرأة العزيز اي الملك يريدون قطفير واضافتهن لها الى العزيز
دون ان يصرحن باسمها لان ما هو المقصود لبيان القصة لغة في اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي
الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هو لقصد الاشاعة في لومها بقولهن تراود فتاها
اي تطالبه بمواقعتها في ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة وايثار صيغة
المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتى لقولهم فتيان والفتوة
شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد هاهنا وفي الحديث لا يقل احدكم
عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وتعبيرهن عن يوسف عليه الصلاة والسلام بذلك مضافا
اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة اليه نطق به بل ربما يشعر بنوع عناية بتمام
التبرئ الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والاشاعة في اللوم فان
من لا زوج لها من النساء او لها زوج دني قد تعذر في مراودة الاخدان لاسيما اذا كان فيهم علو
الجناب واما التي لها زوج واي زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره لاسيما لعبدها الذي لا كفاءة بينها
اصلا وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال قد شغفها حبا اي شق حبه شغاف قلبها
وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين
شعف البعير اذا اهناه فاحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما الشغف حب قاتل
والشعف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول الشغف حب والشعف جنون وحبا تمييز منقول من الفاعل
تراود او من مفعوله واياما كان فهو تكرير للوم وتأكيد للعذل ببيان اختلال احوالها القلبية كاحوالها
القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث الابتداء بناء على الاجل بالذات
ومن حيث الميل الى قتل العذر من قبلها ولسنا بذلك المقام والتصاب حبا على التمييز لنقله
عن الفاعل اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه انا لنراها اي نعلمها علما متاخما للمشاهدة
والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة في ضلال عن طريق الرشد والصواب او
سنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهر لامرها بين الناس فالجملة مقررة لمضمون
الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها في امرها على خطأ عظيم
وانما يقلن ذلك انها في ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي مع التلويح
بانهن متنزهات عن امثال ما هي عليه فلما سمعت بمكرهن وسمي قالتهن وقولهن امرأة العزيز
عشقت عبدها وهو فتاها ونحو ذلك مكرا لكونه خفية منها كمكر الماكر فانكار ظاهرها لعرضها
وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه الصلاة والسلام
ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت اي احضرت
وهيأت لهن متكأ اي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد ورتبت لهن مجلس طعام وشراب
لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى ان يأكل الرجل متكئا

وقيل متكأ طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان اي طعمنا قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا
الحلال من قِلّه وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ
على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همز وقرئ متكاء بالمد باشباع فتحة الكاف كمنتزاح في منتزح
ومنباع بمعنى منبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد فاهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة
الوقاح او ما يقطع من متك الشيء اذا قطعه ومتكأ من تكى اذا اتكى **وآتت كل واحدة منهن سكينا**
لتستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه ونحوها ومتكآت
وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن **وقالت** ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها
فيما بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف بالواو ربما يشير الى انه قولها **اخرج عليهن** اي ابرز لهن لم تكن
عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من اشتغالهن **فلما رأينه** عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج
وينسحب عليه الكلام اي فخرج عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كأن تقع عند تحكم
خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عليه الصلوة والسلام لامرها فيما شاهدن مضمونه
من الافاعيل **اكبرنه** عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة المعراج
كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى
اكبرن حضن من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في
الخدور العواتق **وقطعن ايديهن** اي جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج
حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عنه بالقطع ما لا
يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن وتعدده لم يبالين بذلك ولم يشعرن به **وقلن حاش لله** تنزيها له
سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع واصل حاشا كما قرأه ابو عمرو
في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به
الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه فمعنى حاشا الله تنزيها لله وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود
واللام لبيان المنزه والمبرأ كما في سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابي السمال حاشا
بالتنوين وقراءة الجمهور بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف الاولى فان التصرف من خصائص الاسم فدل
على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه
الالف الحالية مع اللام وقرئ حاش بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط وحاش الاله
وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية من ان يقارف ما رمته
به لله اي لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله **ما هذا بشرا** على اعمال ما بمعنى ليس وهي لغة
اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم نفين عنه
البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية بقولهن **ان هذا
الا ملك كريم** بناء على ما ركز في العقول من ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك
لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال **قالت فذلكن**
الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفته به الآن من الخروج في الحسن
والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى ان كان
الامر كما قلتن فذلك الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية هو الذي **لمتنني فيه** اي عيرتنني في الافتتان

به حيث ربما تعلق بنسبتي الى العزيز وصفات قدره بكونه من المماليك او بالعنوان الذي وصفنه
به فيما سبق بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر مبتدأ محذوف اي فهو ذلك العبد
الكنعاني الذي صورتن في انفسكن وقلتن فيه وفي ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما قولكن فينا واما
ما يقال يعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فلا
يلائم المقام فان مرادها تقريعهن وتمهيد ما تدبرته من تبكيتهن وتهديدهن وتسليتهن على
صدور ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال الحق بالمقام فهو معذرته
وقد قيل في تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملكية
وهو ايضا لا يلائم قولها فذلكن الذي فان تحقق العصمة ينافي غشيان مرامها ثم بعد ما
اقامت عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها وقد اصابهن من قبله عليه الصلوة والسلام ما اصابها
باحت لهن ببقية سرها فقالت **ولقد راودته عن نفسه** حسبما قلتن وسمعتن **فاستعصم**
استعصم طالبا العصمة وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو
يجتهد في الاستزادة منها كما استمسك واستجمع الرأي وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه عليه
الصلوة والسلام شيء مخل باستعصامه بقوله معاذ الله من الهم وغيره حيث اعترفت لهن ولا كان بمعنى
من مراودته لها وانما سلطها لانتهاجها بذلك ثم اردفت ذلك لانه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولو حصل
اليها قط لم تزد ذت عليه ايضا انها مستمرة على ما كانت عليه غير مرغوب عنه لا يلومها العواذل ولا
باعراض الحبيب فقالت **ولئن لم يفعل ما آمره** اي امري اياه فيما سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار
واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير فالضمير للموصول او مامورا به اي موجب امري ومقتضاه
فالمصدر بمعنى المفعول والضمير ليوسف وعبر عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها عليه واقتضاء
للامتثال بامرها **ليسجنن** بالنون الثقيلة اثرت بناء الفعل للمفعول جريا على سنن الملوك او ايهاما لسرعة ترتب
ذلك على عدم امتثاله لامرها كأنه لا يدخل بينهما فعل فاعل **وليكونا** بالخفيفة **من الصاغرين** اي الاذلاء
في السجن وقد قرئ الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف
واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد اتت بهذا الوعيد المنطوي
على فنون التأكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف عليه الصلوة والسلام انها ليست في امرها على خفية ولا
من احد فتضيق عليه الحيل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها فلما كان هذا الابراق
والارعاد منها مظنة لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف حينئذ قيل قال مناجيا لربه عز سلطانه **رب
السجن** الذي وعدتني بالالقاء فيه وقرئ بالفتح على المصدر **احب الي** اي آثر عندي لانه
مشقة قليلة نافدة اثرها راحات جليلة ابدية **مما يدعونني اليه** من مواتاتها التي تؤدي الى الشقاء
والعذاب الاليم وهذا الكلام منه عليه الصلوة والسلام مبني على ما مر من انكشاف الحال لديه لم يعودن
كل منهن تصورنها الكيفية بها فصيغة التفضيل ليست على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه
وانما هي السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس و
الاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة
رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي عليه الصلوة والسلام
بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على
من كان يسأل الصبر **والا تصرف عني كيدهن** اي ان لم تصرف في تحبيب ذلك الي وتحسينه لدي بان تثبتني
على ما انا عليه من العصمة والعفة **اصب اليهن** اي امل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة

وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه الصلوة والسلام الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء
عليهم الصلوة والسلام والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على الجناب الشعري وسلب
القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة
كقول المستغيث ادركني والا هلكت لا انه يطلب منه الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه
داعية تدعوه اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها
وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق **وأكن من الجاهلين** اي الذين لا يعملون
بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه من القبائح لان الحكيم
لا يفعل القبيح **فاستجاب له ربه** دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني كيدهن الى آخره فان فيه استدعاء
لصرف كيدهن على ابلغ وجه من التلطف كما مر وفي اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه الصلوة والسلام
ما لا يخفى من اظهار اللطف **فصرف عنه كيدهن** حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة **انه هو السميع**
لدعاء المتضرعين اليه **العليم** باحوالهم وما يصلحهم **ثم بدا لهم** اي ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل
والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك **من بعد ما رأوا الآيات** الصارفة لهم عن ذلك
البداء وهي الشواهد الدالة على براءته عليه الصلوة والسلام وفاعل بدا اما مصدره او الرأي المفهوم من
السياق او المصدر الذي يدل عليه قوله **ليسجننه** والمعنى بدا لهم بداء او رأي او سجنه المحتوم قائلين والله
ليسجننه والقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حال من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال
المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها تقوده حيث شاءت قال السدي انها
قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم باني راودته عن نفسه فاما ان تأذن لي
فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد رامت بذلك تحقيق وعيدها لتلين بذلك عريكته
وينقاد لها فيحسبت لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ
لتسجننه على صيغة الخطاب بان يخاطب بعضهم العزيز ومن عنده على وجه التعظيم او يخاطب به العزيز ومن عنده
من اصحاب الرأي وقيل المباشرين للسجن والحبس **حتى حين** الى حين انقطاع مقالة الناس وهكذا بادي الرأي عند العزيز
وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى بلغة هذيل **ودخل
معه** اي في صحبته **السجن فتيان** من فتيان الملك احدهما شرابيه والآخر خبازه روي
ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عنه
ذلك ومضى عليه الخباز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تأكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب
ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فسلم وقال للخباز كله فابى فجرب بدابة فهلكت فامر
بحبسهما فاتفق ان ادخلا معه وتأخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فاوجس
في نفسه خيفة موسى وتأخير الشيء عن الظرف لايهام العكس فان تأخير الظرف حين تقدمه على الشيء فيكون الحال
مخل فتامل **قال احدهما** استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعد ما دخلا معه السجن فاجيب
بانه قال احدهما وهو الشرابي **اني أراني** اي في منامي والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية **أعصر
خمرا** اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصير وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب وفي
قراءة ابن مسعود اعصر عنبا **وقال الآخر** وهو الخباز **اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا** تأخير
المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله **تأكل الطير منه** اي تنهش منه صفة لخبزا واستئناف مبني
على السؤال **نبئنا بتأويله** بتأويل ما ذكر من الشيئين او ما رؤي بالجر اي الضمير يجري ذلك مجرى اسم الاشارة

فان اسم

فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق اي
كأن ذلك والسر في التصدي الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه بعد تأويل المرجع بما ذكر
او بما رئي ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله فلا يتأتى تأويله باحد الامرين
الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه بالاعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتأمل هذا اذا
قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما معا واما اذا قال كل منهما اثر ما قص ما رآه فالخطاب بالمذكور ليس عبارتهما
ولا عبارة احدهما من جهتهما بل عبارة كل منهما نبئني بتأويل ما رأيته مستفسرا لما رآه وصيغة التكلم مع الغير
واقعة في الحكاية تسوية للمحكي على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة
بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به **انا نراك** تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارا
منه عليه الصلوة والسلام **من المحسنين** من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما رأيا منه قص عليه بعض
اهل السجن رؤياه فاولها له تأويلا حسنا او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله
او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه عليه الصلوة
والسلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق عليه مكانه وسع له واذا احتاج جمع له
وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا
فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى
قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت
خليت سبيلك ولكن احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما تحالما
له ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب
فقطفتها وعصرتها في كأس الملك فسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق رأسي ثلاث
سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها **قال لا يأتيكما طعام ترزقانه**
في منامكما حسب عادتكما المطردة **الا نبأتكما بتأويله** استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اي لا يأتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نبأتكما بتأويله اي بينت لكما ماهيته وكيفيته
وسائر احواله فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل بالنظر الى ما رؤي
في المنام وشبه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتأويله
ولا يبعد ان يراد بالتأويل الشيء الآيل لا المآل فانه في الاصل جعل شيء آيلا الى شيء آخر
فكما يجوز ان يراد به الثاني يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام
والخبر المطابق للواقع كأن يقول عليه الصلوة والسلام لهما اليوم يأتيكما طعام من صفته
كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده بذلك عليه الصلوة والسلام بيان كل ما يهمهما من
الامور المتوقعة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال
مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤيين المتعلقتين بالشراب
والطعام وقد حمل الضمير الملحق ايضا من الرؤيين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب
عادتكما الا اخبرتكما بتأويل ما قصصتما علي قبل ان يأتيكما ذلك الطعام الموقت واراد به
الاخبار بالاستعجال في التنبيه وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر في تعدد التأويل
والاخبار بالتأويل قبل تجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل
في ذلك تأويل رؤياهما دخولا اوليا وانما لم يكتف عليه الصلوة والسلام بمجرد تأويل رؤياهما
مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه عليه السلام بالانتظام في سلك المحسنين

توهم عليه الصلوة والسلام فيهما خيرا وقبولا وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذي
اثير عما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما
في عظم شانه وثقة بامره وتوقفا على علو طبقته في مراتب العلوم توسلا بذلك الى تحقيق
ما يتوخاه وقد تخلص اليه من كلامهما فكانه قال لا يأتيكما ما قصصتماه علي في طرف النائم
حيث رايتما مثاله في المنام والا يأتيكما كل جليل وحقير من الامور المستقبلة وان لم يكن
هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام الموظف الذي ياتيكما كل يوم ابينته لكما قبل اتيانه تخ
تخبرها بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهي يؤتيه من يشاء
ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما اي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد
في ذلك الاشارة للدلالة على بعد منزلته مما علمني ربي بالوحي والالهام اي بعض
منه او من ذلك الجنس ومن ذلك الجنس الذي لا يحوم حوله ادراك العقول ولقد دلهما بذلك على
ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيله لتلك الكرامة
بسبب اتباعه ملة اباءه الانبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال اني تركت ملة قوم لا
يؤمنون بالله وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكما مما علمني ربي كانه قيل لم علمك
له لا للتعليم او وقع صلة للموصول للتادية بالمعنى انه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره
ولا يضر في الجملة الخبرية لا تقع ما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون البتة فيكون لمكونه بعضا مما
علمه ربه وكونه من جنسه بل النفس تعليمه اعلم بعكس فيل لما علمني تلك العلوم البديعة
فقيل اني تركت ملة الكفر اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها
الامتناع عنها راسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها
وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه الصلوة والسلام والتعبير عن
كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليست بايمان
به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله تعالى الا الله على غير صالح وهم بالآخرة وما فيها
من الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر واتبعت ملة اباءي ابراهيم
واسحاق ويعقوب يعني انما حازه هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة
اباءه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدا والمعاد وانما قاله عليه الصلوة والسلام ترغيبا لصاحبيه
في الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه
لملة ابائه لان التخلية متقدمة على التحلية ما كان اي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا
معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني
او انسي فضلا عن الجماد البحت ذلك اي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء
من فضل الله علينا اي ناشئ من تاييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامة وهدايتهم
الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد وعلية له تجليله وفضل عظيم علينا بالذات وعلى
الناس كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك المعنى عبر عن التوحيد الذي يوجبه بالشكر فقيل
ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من التاييد شكر لله
عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع
توهم رجوعه الى المجموع للوهم لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا
حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس ايضا ولكن اكثرهم

لاينظرون

لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك ان تقول ذلك
التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها
في الانفس والآفاق وقد اعطى سائر الناس ايضا امثالها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك
القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية
والعقلية والنقلية يا صاحبي السجن اي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليل ناداهما
بعنوان الصحبة في مدار الاشجان ودار الاحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا
عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال أأرباب متفرقون
لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما اراد غير مراع للآخرين مع عدم استقلاله
خير ام الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه احد
وبعد ما بين لهما على طريقة دلالة تعدد الارباب بينهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار راسا فضلا
عن الالوهية تقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه اي من دون الله شيئا
الا اسماء فارغة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق لاطلاق الاسم عليه لا وجود له
اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات
تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان حيث
بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم وآباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم ما انزل الله
بها اي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم في امر
العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات
الموجد للكل والمالك لامره امر استيناف مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله كانه قيل فماذا
حكم الله تعالى في هذا الشان فقيل امر على السنة الانبياء عليهم الصلوة والسلام ان لا تعبدوا
اي بان لا تعبدوا الا اياه حسبما يقتضيه قضية العقل ايضا ذلك اي تخصيصه تعالى بالعبادة
الدين القيم الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون
شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي
وبعد تحقيق الحق وتوضيحه بما لا مزيد عليه وقرره بما تقدمه من الرفق شرع في تفسير ما استفسراه
ولكون تعبيرهما يغاير ما سبق فصل بينه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن اما احدكما وهو الشرابي
وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير ولو قالت بذلك الى ابهام ان صاحبه يجيء مشافهة بما يسوءه
فيسقي ربه اي سيده خمرا انه عليه الصلوة والسلام قال له ما رايت من الكرمة وحسنها الملك
وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاث فثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه
وقرأ عكرمة فيسقي ربه على البناء للمفعول اي يسقى ما يروى به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتأكل
الطير من راسه روي انه عليه الصلوة والسلام قال له ما رايته من السلال الثلاث ثلاثة ايام تمر ثم
تخرج فتقتل قضي اي اتم واحكم الامر الذي فيه تستفتيان وهما دائما من الروايات قطعا
لاما له الذي هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الآخر اذ هو المسند للقضاء المبني على الاستفتاء
انما يكون عند الحادثة لا في حكمها يقال استفتى الفقيه في الحادثة اي طلب منه بيان حكمها ولا يقال
استفتاه في حكمها وكذا الافتاء كما في افتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال في حكمها اف
جوابها بكذا وانما هو علم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ومعنى استفتائهما فيه
طلبهما تاويله بنبيا بتاويله وانما عبر عنه بالامر وعن طلبه تاويله بالاستفتاء تهويلا

لامره وتقضيه انتهائه اه الاستفتاء انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة
الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضي عليه الصلوة والسلام وطره
واسناد القضاء اليه مع انه من احوال المآل لانه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال
بتلك الصورة واما توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحداه في قولهما نبئنا بتأويله
لان المرمي ما اتهما به وحيث لا جاه من سيحل الشغا بهما الردي ينقضيا في سوالهما هو صورته بل فيما هو
مآله وعاقبته فتامل وقالوا الحق ما عليه الشك من ان تحقيق التعبير بتأكيدا له وقيل لما عبر
رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز
اذ لا داعي الى جحود الشرابي الا ان يكون ذلك لمراعاة جانبه وقال اي يوسف عليه الصلوة والسلام
للذي ظن انه ناج او ثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله
تعالى قضي الامر الذي فيه تستفتيان وهو السر في ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذي ظنه ناجيا
منهما من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب
المفهوم من التعبير المذكور والكناية داخل في ذلك وادعى الى تحقيق ما وصى به لكن سلين بوصف فارق
يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المكذوب بوصف الهلاك والظاهر هو يوسف عليه الصلوة
والسلام لا صاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل هو على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين
كما في قوله تعالى ظننت اني ملاق حسابيه فان التعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله تعالى قضي الامر الخ
وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادي اذكرني بما انا عليه من
الحال والصفة عند ربك سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها فانساه الشيطان اي
انسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشغالا حتى يذهل عن الذكر والا فالانساء في الحقيقة لله عز
وجل والفاء للسببية فان توصيته عليه الصلوة والسلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه
كانت باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اي ذكر الشرابي له عليه الصلوة والسلام للملك والاضافة
لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه فلبث اي يوسف بسبب ذلك الانساء او القول في السجن
بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع
سنين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما
لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء
عليهم الصلوة والسلام الاخذ بالعزائم وقال الملك اي الريان اني ارى اي رأيت وايثار صيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية سبع بقرات سمان جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم
وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام يأكلهن اي اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار
الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها سبع عجاف اي سبع بقرات عجاف وهي جمع
عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين
على الآخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست صالحة
لذلك فلا يقال ثلثة ضخام وانما قيل ثلثة فرسان وخمسة ركبان لجريان
الفارس والراكب مجرى الاسماء روي انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن
سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد
حبها واخر يابسات اي وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي ولعل
عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات يا ايها الملأ خطاب للاشراف من العلماء والحكماء

افتوني في

افتوني في رؤياي هذه اي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن
التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تعلمون عبارة
جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هي صور
وامثلة لها من الامور الآفاقية والانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة
تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اي ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا
عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما
اشرنا اليه واللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون
معنى فعل متعد باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون للرؤيا
خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر
قالوا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هي اضغاث
احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير
لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام والاحلام
جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اي هي اضغاث من
احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها وجمعوها وهي
رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا
يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع
العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتأمل حسن موقع الاضغاث مع السنابل
فلله در شأن التنزيل وما نحن بتأويل الاحلام اي المنامات الباطلة التي لا اصل لها
بعالمين لا لان لها تأويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تأويل لها وانما التأويل للمنامات
الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير في تأويل
الاحلام على ان لها تأويلا ويأباه ما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد
الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التأويل المنبئ عن
التصرف والتكلف في ذلك لما بين الآيل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتأويله
وقال الذي نجا منهما اي من صاحبي يوسف عليه الصلوة والسلام وهو الشرابي وادكر بالمهملة
وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف عليه الصلوة والسلام وشؤونه التي شاهدها
ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تأويلها على الملأ بعد امة اي مدة طويلة وقرئ
امة بالكسر وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان والجملة حال من الموصول
او من ضميره في الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذاك لان حق الصلة والصفة ان تكون
معلومة الانتساب الى الموصول والموصوف عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم
بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدري ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة
فلا مجال لنظمه بعد نجاته المعلومة في سلك الصلة انا انبئكم بتأويله اي اخبركم به
بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله فارسلون
اي الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله يوسف ايها الصديق
اي ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق
احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من باب براعة الاستهلال

افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
اي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما او لدلالة
مضمون الحادثة عليه حيث لا امكان لوقوعه في عالم الشهادة اي بين لنا مآلها وحكمها وحيث
عاين علو رتبته عليه الصلوة والسلام في الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو
وصاحبه اولا نبئنا بتاويله وفي قوله افتنا مع انه المستفتي وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره
ممن له ملابسة بامور العامة وانه في ذلك معبر وسفير كما اذن بذلك حيث قال **لعلي ارجع
الى الناس** اي الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان اي الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان
في السجن الخارج كما قيل فانبئهم بذلك **لعلهم يعلمون** ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك
ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتتخلص منه وانما لم يبت القول في ذلك مجاراة معه على نهج
الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه لعلي الينا يادني
ما بعد ابني ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلمون **قال** استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا
قال يوسف عليه الصلوة والسلام في التاويل فقيل قال **تزرعون سبع سنين دابا** وقرئ
بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر داب في العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية
من فاعل تزرعون اي دائبين او تدابون دابا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اوله عليه الصلوة
والسلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة
فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق
البقرات السمان وتاويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال **فما حصدتم** اي في كل سنة
فذروه في سنبله ولا تذروه كيلا ياكله السوس كما هو شان غلال مصر ونواحيها ولعله عليه
الصلوة والسلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما
بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع وتاويلا للرؤيا ومصداقا
لما فيها من البقرات السمان **الا قليلا مما تاكلون** في تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه الصلوة
والسلام لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار على استثناء المأكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله
تزرعون سبع سنين وبعد اتمام ما امرهم به شرع في بيان بقية التاويل التي يظهر منها حكمة الامر المذكور
فقال **ثم ياتي** وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الامر حملا لهم على الجد قائلا لغاية
في الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا **من بعد ذلك** اي من بعد السنين السبع المذكورات
وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية **سبع شداد**
اي سبع سنين صعاب على الناس **ياكلن ما قدمتم لهن** من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه
على ان امره عليه الصلوة والسلام بذلك كان لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه حال الناس فيهن
مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تاويل لاكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيح لذلك فكانه
ما ادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل وان هو في الحقيقة مقدم
للناس فيهن **الا قليلا مما تحصنون** تحرزون لبذور الزراعة **ثم ياتي من بعد ذلك** اي من بعد السنين
الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة **عام** لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلي
لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق **فيه يغاث الناس** من الغيث اي
يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله اي امدنا برفع
المكاره حين اظلتنا **وفيه يعصرون** اي ما من شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها

من الفواكه

من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصير مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما
اكتفي به عن ذكر تصرفهم في الحبوب لما ان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها
على مباد اخرى غير المطر واما لمحاذاة جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصة به بشارة له وهي التي
يدور عليها حسن موقع تغليب الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون
الضروع وتكرير فيه اما للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر واما لان المقام مقام
تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك
العام هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم
للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى غيثهم وعصرهم في ذلك العام وان يكون
في الاخيرة لمراعاة الفواصل وفي الاولى لرعاية المشاكلة وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه
وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون
اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة ماءها فتضمين
اعصرت معنى مطرت وتعديته تعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم
ولحكم هذا العام المبارك ليس مستنبطا من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه الصلوة والسلام من جهة
الوحي فبشرهم بها بعدما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق في شانها بان تتحلى كفيه ورسوخ
قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى في صورة ما في المنام على نحو قوله لصاحبي السجن
عند استفتائهما في منامهما لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله وانما التنبه عليه ههنا حيث ليس
عليه الصلوة والسلام في العلم بوقوعها احد ولا برؤية ما يدل عليها في المنام **وقال الملك** بعد
ما جاءه الساقي بالتعبير وسمع منه ما سمع من نقير وقطمير **ائتوني به** لما علم من علمه وفضله **فلما
جاءه** اي يوسف **الرسول** واستدعاه الى الملك **قال ارجع الى ربك** اي سيدك **فاسأله ما بال النسوة
اللاتي قطعن ايديهن** اي فتشه عن شانهن وانما لم يقل فاسأله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد
في التفتيش ليتبين براءته ويتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه
اليه واما الطلب فمما قد يتسامح فيه ويتساهل ولا يبالي به وانما لم يتعرض لامراة العزيز مع ما لقي منها
ما لقي من مقاساة الاحزان ومعاناة الامتحان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث
وجدها مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها
بانها راودته عن نفسه فاستعصم فلذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن
اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله **ان ربي بكيدهن عليم** مجاملة معهن واحترازا عن سوء مقالتهن في
عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن متى علمن بنسبته لهن الى الفساد **قال** استئناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن **ما
خطبكن** اي شانكن وهو الامر الذي يحق ان يخاطب المرء فيه صاحبه **اذ راودتن يوسف
عن نفسه** وخادعتنه ورغبتنه في طاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة **قلن
حاش لله** تنزيها له وتعجيبا من نزاهته وعفته **ما علمنا عليه من سوء** بالغن في نفي جنس السوء
عنه بالتنكير وزيادة من **قالت امرأة العزيز** وكانت حاضرة في المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها
وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره
ليسجنن وليكونن من الصاغرين فاقرت قائلة **الآن حصحص الحق** اي ثبت واستقر وتبين وظهر بعد
خفاء قاله الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبين حصة الحق من

الباطل كما يثبت حصحص الارض وغيرها وقيل هو من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت
بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه اي ألقاها في الارض للاناخة قال
فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوأة ثم صمما والمعنى اي الحق في مقره ووضع في موضعه
ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عليه الصلاة والسلام فيما خاطبهن به
من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت
في ذلك بل اردت ظهور ما هو متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته عليه الصلاة والسلام في محل النزاع
وخيانتها فقالت انا راودته عن نفسه لا انه راودني عن نفسي وانه لمن الصادقين اي
في قوله حين افتريت عليه هي راودتني عن نفسي فأرادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان
شهادتهن فتأمل ايها المنصف فهل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة
بها والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى عليه الصلاة والسلام لتمهيد هذه المقدمة قبل
الخروج ليظهر براءة ساحته عما قذف به لا سيما عند العزيز قبل ان يحل ما عنده كما يعرب عنه قوله عليه
الصلاة والسلام لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اي ذلك التثبت المؤدي الى ظهور حقيقة
الحال ليعلم اي العزيز اني لم اخنه بالغيب في حرمته كما زعموا علما مطلقا فان ذلك لا يستدعي
تقديم التثبت على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من نقض ما ابرموه فلعل آثار اعانته تحقق السماحة لان
للمباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان ما جعل سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات
على رأيه واما ان يكون ذلك ليتبين ما يمكن من تقبيح امره عند الملك لاعطائه ما اقتضاه فضل علي شأنه
عليه الصلاة والسلام في الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل
او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب
المغلقة واياما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية تقلبه بجانبها عند تعاضد
اسبابها وان الله اي وليعلم ان الله تعالى لا يهدي كيد الخائنين اي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله
ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضاهئون قول الذين كفروا
اي يضاهئونهم في قولهم وفيه تعريض بامرأته في خيانتها امانته وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها
على حبسه بعدما رأوا آيات نزاهته عليه الصلاة والسلام ويجوز ان يكون ذلك لتأكيد امانته وانه لو كان
خائنا لما هداه الله عز وجل لامره واحسن عاقبته وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن السوء قاله عليه
الصلاة والسلام هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربا بمكانها عن التزكية والاعجاب بحالها عند
كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وتحديثا بنعمة الله عز وجل
عليه وابرازا لان السوء الكائن في شأن افعال العباد اي لا انزهها من حيث هي هي ولا اسند هذه الفضيلة
اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله عز وعلا ان النفس البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها
لامارة بالسوء مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تعالى
وعصمته ورحمته كما يفيده قوله الا ما رحم ربي من النفوس التي يعصمها عن الوقوع في المهالك ومن
جملتها نفسي او الا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع
لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة ان ربي غفور رحيم
عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك
وايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادي المغفرة والرحمة وقيل
انه من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه الصلاة والسلام اني لم اخنه

ولم اكذب

ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث
قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها
الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون
تأنيه عليه الصلاة والسلام في الخروج عن السجن لعدم رضاه عليه الصلاة والسلام بملاقاة
الملك وامره بين بين فصل ما فعل حتى تبين نزاهته وانه انما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل
ونباهة الشان ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع وقال الملك ائتوني
به استخلصه لنفسي اي اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي فلما كلمه اي فأتوا به فحذف للايذان
بسرعة الاتيان به فكأنه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن
في كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد ما شاهد قال
انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة
المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازا عن احتمال كونهما بعد حين
روي انه عليه الصلاة والسلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل
ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك
وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان فقال لسان
آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع
منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير
وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها
عذراء وولدت له افراثيم وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعبيره عليه الصلاة والسلام لما
عن له من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز وجل قال اجعلني على خزائن الارض اي ارض
مصر ولني امرها من الايراد والصرف اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف
فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء
احكام الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده عليه الصلاة
والسلام ولعل اشارته عليه الصلاة والسلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم
من امور السلطنة اذ ذلك من تدبير امر السنين خيرا مما في التأويل لكونه من فروع تلك
الولاية لا لمجرد عموم الفوائد كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما سأله عليه الصلاة والسلام
من جعله على خزائن الارض ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما
يندرج تحته احكام السلطنة بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل
ذلك من الله عز وجل وانما الملك آلة في ذلك قال الله تعالى وكذلك اي ومثل ذلك التمكين البديع
مكنا ليوسف اي جعلنا له مكانا في الارض اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا
في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض مسندا الى ضميره عز سلطانه من تشريفه
عليه الصلاة والسلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل
بعد السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة
عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف
الرجل في منزله وقرئ بالنون روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع
له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه الصلاة والسلام اما السرير فاشد به ملكك واما

الخاتم فأدر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته إجلالا
لك وإقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض إليه الملك أمره وأقام العدل
بمصر وأحبته الرجال والنساء وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الأولى بالدنانير
والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى
استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه ثم أعتقهم ورد إليهم أملاكهم وكان
لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس نصيب برحمتنا نعطي بعطائنا في الدنيا
من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية إلى المشيئة ولا نضيع أجر
المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه إشعار بأن مدار المشيئة المذكورة إحسان من تصيبه
الرحمة المرقومة وأنها أجر له ولدفع توهم انحصار ثمرات الإحسان فيما ذكر من الأجر العاجل قيل
على سبيل التوكيد ولأجر الآخرة أي أجرهم في الآخرة فالإضافة للملابسة وهو النعيم المقيم
الذي لا نفاد له خير لهم أي للمحسنين المذكورين وإنما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا
وكانوا يتقون تنبيها على أن المراد بالإحسان إنما هو الإيمان والثبات على التقوى المستفاد
من جمع صيغتي الماضي والمستقبل وجاء إخوة يوسف ممتارين لما أصاب أرض كنعان وبلاد
الشام ما أصاب مصر وقد كان أرسلهم يعقوب عليه الصلاة والسلام جميعا غير بنيامين فدخلوا
عليه أي على يوسف في مجلس ولايته فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة أحوالهم السابقة
حالهم يومئذ لمفارقته إياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة
بهم وبمعرفة أحوالهم لاسيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له وهم له منكرون
أي والحال أنهم منكرون له لطول العهد ومباينة ما بين حاليه عليه الصلاة والسلام في نفسه ومنزلته
وزيه ولاعتقادهم أنه هلك وحيث كان إنكارهم له أمرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب أخبر عنه
بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه الصلاة والسلام إياهم ولما جهزهم بجهازهم أي
أصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج إليه المسافر وأوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بكسر
الجيم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم لم يقل بأخيكم مبالغة في إظهار عدم معرفته بهم ولعله
عليه الصلاة والسلام إنما قال ذلك لما قيل إنهم سألوه حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فأعطاهم
ذلك وشرطهم أن يأتوا به ليعلم صدقهم أو لما قيل من أنهم لما رأوه وكلموه بالعبرانية قال لهم من أنتم فإني أنكركم فقالوا
نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله
نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا
اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم أنتم هاهنا قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى
به من الهالك قال فمن يشهد لكم أنكم لستم عيونا وأن ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها أحد
فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى
أصدقكم فاقترعوا فأصاب القرعة شمعون فخلفوه عنده إذ لا يساعده ورود الأمر بالإتيان به
عند التجهيز ولا الحث عليه بإيفاء الكيل والإحسان في الإنزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير
عدم الإتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لأجل رجوعهم ولا عدتهم بالإتيان به بطريق المراودة
ولا تعليلهم عند أبيهم إرسال أخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على أن ذكر استبقاء شمعون لو وقع
لكان ذلك الطامة تنسى عندها كل قبيل وقال ألا ترون أني أوفي الكيل أتمه لكم وإيثار صيغة
الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على أن ذلك عادة له مستمرة وأنا خير المنزلين

فيما سبق

شتان
فيما سبق ولحق ولذلك أخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه الصلاة والسلام بطريق الامتنان
بل لحثهم على تحقيق ما أمرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الإيفاء لأن معاملته عليه الصلاة
والسلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة مواجب العدل وأما الضيافة فليس للناس
فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي أي فضلا عن إيفائه
ولا تقربون بدخول بلادي فضلا عن الإحسان في الإنزال والضيافة وهو إما نهي أو نفي معطوف
على محل الجزاء وفيه دليل على أنهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد أخرى وأن ذلك كان معلوما
له عليه الصلاة والسلام قالوا سنراود عنه أباه أي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من
يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وإنا لفاعلون ذلك غير
مفرطين فيه ولا متوانين أو لقادرون عليه لا نتعانى به وقال يوسف لفتيانه لغلمانه
الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهو جمع قلة له اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فإنه
وكل بكل رحل واحدا يعبئ فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وإنما
فعله عليه الصلاة والسلام تفضلا عليهم وخوفا من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى
وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم بأخيه كما يؤذن به قوله لعلهم يعرفونها أي يعرفون
حق ردها والتكرم في ذلك أو لكي يعرفونها وهو ظاهر التعلق بقوله إذا انقلبوا إلى أهلهم
فإن معرفتهم لها مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به لعلهم يرجعون حسبما
أمرتهم به فإن التفضل عليهم بإعطاء البدلين ولاسيما عند إعواز البضاعة من أقوى الدواعي
إلى الرجوع وما قيل إنما فعل عليه الصلاة والسلام ذلك لما أنه لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته
ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور وما قيل من أنه علة الجعل المذكور والرجوع من حيث أن
ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لأنهم لا يستحلون إمساكها فيرجعون لأجلها ففيه أنها لقيت في رحالهم
نسيانا فظاهر أن ذلك مما لا يخطر ببال أحد فإن هيئة التعبية تنادي بأن ذلك بطريق
التفضل ألا يرى أنهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضل كما ستحيط به خبرا
فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا قبل أن يشتغلوا بفتح المتاع يا أبانا منع منا
الكيل أي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه
فأرسل معنا أخانا بنيامين إلى مصر وفيه إيذان بأن مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه
من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ لكونه سببا للاكتيال أو يكتل
لنفسه مع اكتيالنا وإنا له لحافظون من أن يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه
يوسف من قبل وقد قلتم في حقه أيضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا أثق بكم ولا بحفظكم وإنما
أفوض الأمر إلى الله فالله خير حفظا وقرئ حافظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة
الأولى لتوهم تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو أرحم الراحمين فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع علي
مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه الصلاة والسلام إلى الإذن والإرسال لما فيه من المصلحة ولما
فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم أي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال
وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة إلى الراء كما قيل وقيل قالوا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل
ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لأبيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح يا أبانا ما نبغي إذا فسر البغي
بالطلب فما إما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبغي وراء ما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا
وكرمه الداعي إلى امتثال أمره والمراجعة إليه في الحوائج وقد كانوا أخبروه بذلك وقالوا له إنا قدمنا

على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته. وقوله تعالى هذه
بضاعتنا ردت إلينا جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الإنكار من بلوغ اللطف غايته
كأنهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها إلينا تفضلاً من حيث لا ندري بعدما منّ علينا من المنن
العظام هل من مزيد على هذا فنطلب ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقاً والتقاعد عن طلب نظائره
بل أرادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لأمره والالتجاء إليه في استجلاب المزيد كما أشرنا إليه
وقوله تعالى ردت إلينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الإشارة وإيثار صيغة البناء للمفعول
للإيذان بكمال الإحسان الناشئ عن كمال الإخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله
وقوله عز وجل ونمير أهلنا أي نجلب إليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه
رد البضاعة أي فنستظهر بها ونمير أهلنا ونحفظ أخانا من المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه
من مكروه ونزداد أي بواسطته ولذلك وسط الإخبار بحفظه بين الأصل والمزيد كيل بعير
أي وسق بعير زائداً على أوساق أباعرنا على قضية التقسيط ذلك أي ما يحمله أباعرنا كيل يسير أي
مكيل قليل لا يقوم بأودنا فهو استئناف وقع تعليلاً لما سبق كأنه قيل أي حاجة إلى الازدياد
فقيل ما قيل أو ذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك أو سهل عليه لا يتعاظمه أو أي مطلب
نطلب من مهماتنا والجمل الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الإنكار من كونهم فائزين ببعض المطالب
أو متمكنين من تحصيله فكأنهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير أهلنا ونحفظ أخانا فما
يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتال لأنفسنا كيل بعير فأي شيء نبغي وراء هذه المباغي
وقرئ ما تبغي بالتاء على خطاب يعقوب عليه الصلاة والسلام أي أي شيء تبغي وراء هذه المباغي
المشتملة على سلامة أخينا وسعة ذات أيدينا أو وراء ما فعل بنا الملك من الإحسان داعياً إلى التوجه
إليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك أي أي شيء شاهد على صدقنا فيما وصفنا من إحسانه
والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الإنكار وأما نافية فالمعنى ما نبغي شيئاً غير
ما رأينا من إحسان الملك في وجوب المراجعة إليه أو ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك
بضاعة أخرى والجملة المستأنفة تعليل له وأما إذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى
ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستأنفة
بيان لما ادعوا من عدم البغي وقوله ونمير أهلنا عطف على ما نبغي فيما ذكر من إحسانه وتحصيل
أمثاله من مير أهلنا وحفظ أخينا فإن ذلك مما يهون بواسطة إحسانه وقد جوز أن يكون كلاماً
مبتدأ والجملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي أن نمير أهلنا ونسد ذلك كقولك سعيت في حاجة
فلان ويجب أن أسعى وأنت خبير بأن شأن الجمل التذييلية أن تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في
المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق والحق أبلج وأن قول بعضهم وإن ساعدنا في جعله على معنى ينبغي أن
نمير أهلنا بمعزل من ذلك وما نبغي في الرأي وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من إرسال أخينا
معنا والجمل إلى آخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم وإصابة رأيهم أي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير
أهلنا ونصنع كيت وكيت فتأمل قال لن أرسله معكم بعد ما عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتون موثقاً
من الله أي ما أتوثق به من جهته عز وجل وإنما جعله موثقاً منه تعالى لأن توكيد العهود به مأذون
فيه من جهته تعالى فهو إذن منه عز وعلا لتأتنني به جواب القسم إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني
به إلا أن يحاط بكم إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا به أو إلا أن تهلكوا وأصله من إحاطة العدو فإن من أحاط به العدو
فقد هلك غالباً وهو استثناء من أعم الأحوال أو أعم العلل على أن الكلام بالنفي الذي ينساق إليه أي

لتأتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الأحوال أو لعلة من العلل إلا حال الإحاطة بكم أو لعلة
الإحاطة بكم ونظيره قولهم أقسمت عليك لما فعلت وإلا فعلت أي ما أريد منك إلا فعلك وقد
جوز الأول بدون تأويل أي لتأتنني على كل حال إلا حال الإحاطة بكم وأنت تدري أنه حيث
لم يكن الإتيان به من الأفعال الممتدة الشاملة للأحوال على سبيل المعية كما في قولك لألزمنك
إلى أن تعطيني حقي ولم يكن مراده عليه الصلاة والسلام مقارنته على سبيل البدل لما
عدا الحال المستثناة كما إذا قلت صل إلا أن تكون محدثاً بل مجرد تحققه ووقوعه من غير إخلال
به كما في قولك لأحجن العام إلا أن أحصر فإن مرادك إنما هو الإخبار بعدم منع ما سوى حال الإحصار
عن الحج لا الإخبار بمقارنته لتلك الأحوال على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار
الأحوال معه من حيث عدم منعها منه فآل المعنى إلى التأويل المذكور فلما آتوه موثقهم عهدهم
من الله حسبما أراد يعقوب عليه الصلاة والسلام قال الله على ما نقول أي على ما قلنا في أثناء
طلب الموثق وإيتائه من الجانبين وإيثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية إلى
تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على
مراعاة ميثاقهم وقال ناصحاً لهم لما أزمع على إرسالهم جميعاً يا بني لا تدخلوا مصر من باب
واحد نهاهم عن ذلك حذراً من إصابة العين فإنهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا
تجملوا في هذه الكرة أكثر مما في المرة الأولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف
النوبة الأولى فكانوا مظنة لطموح كل ناظر وطموح كل طامح وإصابة العين بتقدير العزيز الحكيم
ليست مما ينكر وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام إن العين حق وعنه عليه الصلاة والسلام
العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين
رضي الله تعالى عنهما أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول
كان أبوكما يعوذ بها إسماعيل وإسحاق عليهما الصلاة والسلام رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت
بذلك التجارب فلما لم يكن عدم الدخول من باب واحد غير مستلزم للدخول من أبواب بل يصدق بالدخول من باب واحد مع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال وادخلوا
من أبواب متفرقة بياناً لما هو المراد بالنهي وإنما لم يكتف بهذا الأمر مع كونه مستلزماً له إظهاراً
لكمال العناية به وإيذاناً بأنه المراد بالنهي المذكور لا تحقيق شيء وما أغني عنكم أي لا أنفعكم ولا
أدفع عنكم بتدبيري من الله من شيء أي شيئاً مما قضى عليكم فإن الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به
عليه الصلاة والسلام إلغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز وجل ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقال
خذوا حذركم بل أراد بيان أن ما وصاهم به مما يستوجبه المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وإنما التأثير
وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وأن ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى
وهرب منه إليه إن الحكم مطلقاً إلا لله لا يشاركه أحد ولا يمانعه شيء عليه لا على أحد سواه
توكلت في كل ما آتي وأذر وفيه دلالة على أن ترتيب الأسباب غير مخل بالتوكل وعليه دون غيره
فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص
مفيداً بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله
لكونه نبياً لفعل غيره من المقتدين فيدخل فيهم بنوه دخولاً أولياً وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم
وإرشادهم إلى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم به من التدبير ولما
دخلوا من حيث أمرهم أبوهم من الأبواب المتفرقة من البلد قيل كانت له أربعة أبواب فدخلوا منها
فإنما النفي لاستلزامها لانتهائهم عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغني فيما سيأتي عند وقوع ما

عنهم عن الداخلين لان المقصود بها استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخولها فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند
نزول المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق حينئذ ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول
المذكور مغنيا فيما سياتي فتامل **من الله** من جهته **من شيء** اي شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة
لذلك في بادي الراي حيث وصاهم به يعقوب عليه الصلاة والسلام وعملوا بموجبه واثقين
بجدواه من فضل الله تعالى فليس المراد بيان سببية الدخول المذكور لعدم الاغناء كما في قوله
تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان
عدم سببيته للاغناء مع كونه متوقعا في بادي الراي كما في قولك حلف ان يعطيني حقي عند حلول
الاجل فلما حل لم يعطني شيئا فان المراد بيان عدم سببيته لعدم الاعطاء فالمآل عدم ترتب
الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه ويجوز ان يراد ذلك
ايضا بناء على ما ذكره عليه الصلاة والسلام في تضاعيف وصيته من انه لا يغني عنهم من الله
شيئا فكانه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع الامر حسبما قال عليه الصلاة
والسلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتامل **الا حاجة** استثناء منقطع
اي ولكن حاجة وحزازة كائنة **في نفس يعقوب قضاها** اي اظهرها ووصاهم بها
دفعا للخاطرة غير معتقد ان للتدبير تاثيرا في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في
قضاها للدخول فقضى حاجة في نفس يعقوب ومحاذرته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة
فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في
نفس يعقوب بوقوعه حسبما اراد فالاستثناء منقطع ايضا وعلى التقديرين لم تكن للتدبير
فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة العين فانها لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لانها
اندفعت بذلك لكونها مقضيا عليهم **وانه لذو علم** جليل **لما علمناه** لتعليمنا اياه
بالوحي ونصب الادلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التاثير حتى
يتبين الخلل في رايه عند تخلف الاثر او حيث بت القول بانه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال
كما قال وفي تاكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة
على جلالة شان يعقوب عليه الصلاة والسلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى
ولكن اكثر الناس لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون انه يغني عنه الحذر واما ما يقال من ان
المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام تخلف المطلوب على البادي
ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه بنيامين اي ضمه اليه في الطعام او في المنزل او فيهما
روي انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون
ذلك عندي فاكرمهم واضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان
اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله ثم انزل كل
اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى
اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان
اكون اخاك بدل اخيك الهالك فقال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف
وقام اليه وعانقه وتعرف اليه وعند ذلك **قال اني انا اخوك** يوسف **فلا تبتئس** اي فلا تحزن
بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك

قال ابن

قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن وهب انه لم يتعرف اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك
المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقاه من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه
قال له فانا لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدي بي فاذا حبستك يزداد غمه ولا
سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك
ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيا لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل **فلما جهزهم
بجهازهم جعل السقاية** اي المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى
بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل
كانت اناء مستطيلا تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة
بالجواهر **في رحل اخيه** بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا
ثم اذن مؤذن نادى مناد **ايتها العير** وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تجيء وتذهب
فقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل مثل سقف وسقف
فعل به ما فعل ببيض وغيد والمراد اصحابها كما في قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي
روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امر بهم فادركوا
ونودوا **انكم لسارقون** هذا الخطاب بالكناية بامر يوسف عليه الصلاة والسلام فلعله اريد
بالسرقة اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب او من قبل المؤذن بناء على زعمه
والاول هو الاظهر والاوفق بالسياق وقرئ انكم سارقون بلا لام **قالوا** اي الاخوة **واقبلوا
عليهم** جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم
ماذا تفقدون اي تعدمون تقول فقدت الشيء اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك والمال ماذا
ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته
فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لكمال نزاهتهم باظهار انه
لم يسرق منهم شيء فضلا ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شيء فيسالونهم ماذا
وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب والاجتناب عن المجازفة ونسبة البراءة الى ما لا خير فيه لا
سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث **قالوا** في جوابهم **نفقد صواع الملك** ولم يقولوا
سرقتموه او سرق وقرئ صاع وصوع بفتح الصاد وضمها والغين المعجمة من الصياغة ثم قالوا
ترغيبا لما يلقوه من قبلهم واراءة لاعتقاد انه انما بقي في رحلهم اتفاقا **ولمن جاء به** من عند نفسه
مظهرا له قبل التفتيش **حمل بعير** من الطعام جعلا له على ايتائه تحقيقا للوعد عليهم بانتفاء صحة الشرط
وعندهم علما لا يخفى من انه من وجد في رحله **وانا به زعيم** كفيل اوديه اليه وهو قول المؤذن
قالوا تالله التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف الى
الكعبة او الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل بنفسها وفيها معنى
التعجب **لقد علمتم** علما جازما مطابقا للواقع **ما جئنا لنفسد في الارض** اي لنسرق فانه من اعظم
انواع الافساد او لنفسد فيها اي فساد كان مما جل او هان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفي
المجيء للافساد لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجيء الذي يترتب
عليه ذلك وكر بطريق الاتفاق بحسب الغرض الافساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم
وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد الدال
بظاهره على نفي المبالغة في الظلم دون نفي الظلم في الجملة الذي هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت من لا يستحق

للتعذيب كنت ظلمًا مفرطًا في الظلم كأنهم قالوا إن صدر عنا الفساد كان مجيئنا لذلك مريدين به
تقبيح حال سواطها لكمال نزاهتهم عن عنوان أنه قد شاع بينكم وكرتين مجيئنا ما يمحي عليه وقد كانوا
في غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روي أنهم دخلوا مصر وأفواه رواحلهم
مكمومة لئلا تتناول زرعًا أو طعامًا لأحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك أنه
لا يصدر عنا الفساد **وما كنا سارقين** أي ما كنا نوصف بالسرقة قط وإنما حكموا بعلمهم ذلك لأن
العلم بأحوالهم الشاهدة يستلزم العلم بأحوالهم الفائتة وإنما لم يكتفوا بنفي الأمرين المذكورين بل استشهدوا
بعلمهم ذلك إلزامًا للحجة عليهم وتحقيقًا للتعجب المفهوم من تاء القسم **قالوا** أي أصحاب يوسف عليه الصلاة
والسلام **فما جزاؤه** الضمير للصواع على حذف المضاف أي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم **إن كنتم
كاذبين** لا في دعوى البراءة عن السرقة فإنهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفي كون الصواع فيهم كما
يؤذن به قوله عز وجل **قالوا جزاؤه من وجد** أي أخذ من وجد الصواع **في رحله** حيث ذكر بعنوان
الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وإن كان ذلك مستلزمًا لها في اعتقادهم المبني على قواعد العادة
ولذلك أجابوا بما أجابوا فإن الأخذ والاسترقاق سنة إنما هو جزاء السارق دون من وجد في يده
مال غيره كيف ما كان فتأمل واعمل كلامهم كل فريق على ما لا يخلو عن نوع زيادة أقرب إلى معنى الكيد البعيد
من الافتراء وقوله **فهو جزاؤه** ولا تقرير للحكم أي فأخذه جزاؤه كقولك حق الضيف أن يكرم فهو
حقه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على إقامة الظاهر مقام المضمر والأصل
جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على أن الأول للمبتدأ والثاني للظاهر الذي وضع موضعه **كذلك** أي مثل
ذلك الجزاء الأوفى **نجزي الظالمين** بالسرقة تأكيد للحكم المذكور غب تأكيد وبيان لقبح السرقة
ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون **فبدأ** يوسف بعدما رجعوا إليه
للتفتيش **بأوعيتهم** أي بأوعية الإخوة العشرة أي بتفتيشها **قبل** تفتيش **وعاء أخيه** بنيامين
لنفي التهمة روي أنه لما بلغت النوبة إلى وعائه قال ما أظن هذا أخذ شيئًا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في
رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا **ثم استخرجها** أي السقاية أو الصواع فإنه يذكر ويؤنث
من وعاء أخيه لم يقل منه على رجع الضمير إلى الوعاء أو من وعائه على رجعه إلى أخيه قصدًا إلى زيادة كشف وبيان
وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما في إشاح في وشاح **كذلك** نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة
المشار إليه وكذلك ما في معنى البعد أي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن إرشاد الإخوة إلى الإفتاء المذكور
بإجرائه على ألسنتهم وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله عز وجل **كدنا
ليوسف** صنعنا له ودبرنا لأجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام
ليست كما في قوله تعالى فيكيدوا لك كيدًا فإنها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى
ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لهم أو بيان له كأنه قيل
لماذا فعل فقيل لأنه لم يكن ليأخذ أخاه بما فعل في دين الملك في أمر السارق أي في سلطانه قاله
ابن عباس أو في حكمه وقضائه قاله قتادة إلا به لأن جزاء السارق في دينه إنما كان ضربه وتغريمه
ضعف ما أخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه الصلاة والسلام التي نسبها
إليه في حال من الأحوال **إلا أن يشاء الله** أي إلا حال مشيئته التي هي عبارة عن إرادته لذلك الكيد أو إلا
حال مشيئته للأخذ بذلك الوجه ويجوز أن يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية إليه جميعًا من
إرشاد يوسف وقومه إلى المقاصد بعضهم من الأفعال والأقوال حسبما شرح مرتبًا لكن الأحرى أن يكون القصر المستفاد
من تقديم المجرور ملحوظًا بالنسبة إلى غيره مطلقًا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدًا آخر ولا على معنى

لتغليب

لتغليب بعض يوسف عليه الصلاة والسلام عن أخذ أخيه في دين الملك في شأن السارق قطعًا إذ
لا علاقة بين مطلق القيد وبين الملك في أمر السارق أصلًا بل بالنسبة إلى بعضه على معنى مثل ذلك
الكيد البالغ إلى هذا الحد كدنا له ولم نكتف ببعض من ذلك لأنه لم يكن ليأخذ أخاه في دين الملك به إلا حال
مشيئتنا للإيجاد ما يجري مجرى الجزء الصوري من العلة التامة من إرشاد إخوته إلى الإفتاء
المذكور وعلى هذا ينبغي أن يحمل القصر في تفسير من فسر قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف بقوله علمناه إياه وأوحينا
به إليه أي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبًا علمناه دون بعض من ذلك فقط وعلى كل حال
فالاستثناء من أعم الأحوال ويجوز أن يكون من أعم العلل والأسباب أي لم يكن ليأخذه لعلة من العلل وسبب
من الأسباب إلا لعلة مشيئته تعالى أو إلا بسبب مشيئته تعالى وأيًا ما كان فهو متصل لأن أخذ السارق
إذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينًا لا سيما عند رضاه وإفتائه به ليس مخالفًا لدين الملك وقد قيل
معنى الاستثناء إلا أن يشاء الله أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك وأنت تدري أن المراد بدين الملك ما عليه
فعلًا مخل بالاتصال وإرادته مطلقًا ما يتدين به على حسب ما يتجدد مع كونه تعسفًا يفضي لكون الاستثناء من قبيل
التعليق بالمحال المقصود بيان عجز يوسف عليه الصلاة والسلام عن أخذ أخيه حينئذ ولم
تعلق المشيئة بالجعل المذكور إذ ذاك وأما دعوى عجزه مطلقًا تؤدي إلى الخلف المراد فإن استثناء
حال المشيئة المذكورة من أحوال العجز عليه الصلاة والسلام مما يشعر بعدم الحاجة إلى الكيد المذكور
فتدبر وقد يجوز الانقطاع أي لكن أخذه بمشيئة الله تعالى وإذنه في دين غير دين الملك
نرفع درجات أي رتبًا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية أو الظرفية أو على
نزع الخافض أي إلى درجات والمفعول قوله تعالى **من نشاء** أي نشاء رفعه حسبما تقتضيه
الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وإيثار صيغة الاستقبال للإشعار بأن ذلك
سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب **وفوق كل
ذي علم** من أولئك المرفوعين **عليم** لا ينالون شأوه اعلم أنه إن جعل الكيد عبارة عن
التعليم الأول المستتبع لما يدبره يوسف عليه الصلاة والسلام ما اعتبر فيه بالشرطية أو الشرطية
من إرشاده عليه الصلاة والسلام إلى دس الصواع في رحل أخيه وما يتفرع عليه من المقدمات
المرتبة للاستيفاء لأخيه مما يتم من قبله والمفعول إرشاده إخوته إلى الإفتاء المذكور لأنه لم يكن
متمكنًا من أخذ أخيه إلا بذلك فقوله نرفع درجات إلى قوله تعالى عليم توضيح لذلك على معنى أن
الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه إذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عنه شيء بل إنما هو بحسب استعداده
وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع كل أحد منهم إلى ما يليق به من معارج
العلم ومدارجه وقد رفع يوسف إلى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم أنه لا حاوة لرأيه وعلمه
في مرامه فأرشد إخوته إلى الإفتاء المذكور فكان كما كان وكأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن
يقينًا من تصدر الإفتاء المذكور عن إخوته وإن كان على طمع منه فإن ذلك إلى الله عز وجل وحده
وعلمًا والغرض وصف العلم بالغيب من جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات
إلى الغيبة من الله الدلالة على فخامة شأنه عز وعلا وجلاله ما يقدر على الخطب ما لا يخفى وأما
إن جعل عبارة عن التعليم المستتبع للإفتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والإفتاء وإن لم
يكن داخلًا تحت قدرته عليه الصلاة والسلام لكنه كان داخلًا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم
والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ إلى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الإفتاء الذي يصدر
عن إخوته إذ لم يكن متمكنًا من أخذ أخيه إلا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان

لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله وفوق كل
ذي علم عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء نرفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى
درجة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى فالمعنى
ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول
انسب بالتذييل حيث نسب اليه الفوقية الى درجته ويجوز كون العليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله
عز وجل اي وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله تعالى اعلم
قالوا ان يسرق يعنون بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يريدون به يوسف عليه الصلوة والسلام
وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عليه الصلوة والسلام
انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحاق عليه الصلوة والسلام
فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه الصلوة والسلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم
قالت فقدت منطقة اسحاق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به
ما اشاء فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره والقاه في
الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه فاسرها يوسف اي اكن
الحزازة الحاصلة مما قالوا في نفسه لا انه اسرها لبعض اصحابه كما في قوله تعالى واسررت لهم اسرارا
ولم يبدها لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد للسابق قال في نفسه وهو بيان مبني
على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فماذا قال في نفسه فقيل قال انتم شر مكانا والله
اعلم بما تصفون اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة
منا بل انما افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس
لهم بذلك من علم قالوا عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين يا ايها العزيز
ان له ابا لم يريدوا بذلك ان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له
ابا شيخا كبيرا في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة يتسلى به عن شقيقه الهالك
فخذ احدنا مكانه فليس له عنده منزلته من المحبة والشفقة انا نراك من المحسنين الينا
فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله
اي نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به
بعد حذف الجار الا من وجدنا متاعنا عنده لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس
لنا الاخذ الا بموجبها وايثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد
من باب التسلك الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل
هو منوط بآراء اهل الحل والعقد وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا
لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحتملون وجدان الصواع في الرحل
على محمل غير السرقة انا اذا اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون
في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي يريد بالكلام في اثناء الجواب وقد يعني به الحق
ان الله عز وجل انما امرني بالوحي باخذ بنيامين لمصلحة علم الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت
ظالما وعاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه اي يئسوا من يوسف واجابته اياهم
اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه
من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز

عنده

عنه ويعاذ بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون خلصوا اعتزلوا
وانفردوا عن الناس نجيا اي ذوي نجوى على ان يكون بمعنى التناجي او فوجا
نجيا على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى
وقربناه نجيا ويجوز ان يقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والرفيق
قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون وكانهم
اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد
اخذ عليكم موثقا من الله عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه
وكون الحلف باذنه باسمه الكريم ومن قبل اي من قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم
في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم انا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية
ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم
السابق في شان يوسف ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا
على اسم ان والخبر في يوسف اي من قبل بمعنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق واقع في شان يوسف
وان تفريطكم الكائن في شان يوسف وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار
بوقوع ذلك التفريط السابق لا بكون تفريطهم السابق واقعا في شان يوسف كما هو مفاد الاول
ولا بكون تفريطهم الكائن في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة
لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا الا عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء
والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق هو
النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الجناية واما
النصب عطفا على اسم ان او الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله فلن ابرح الارض متفرع
على ما ذكره وذكره اياهم من ميثاق ابيه وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق ارض
مصر جريا على قضية الميثاق حتى ياذن لي ابي في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم
كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه الصلوة والسلام او يحكم الله
لي بالخروج منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي
انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة
لا يبقى بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكانت بنو يعقوب
اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه
قم الى جنبه فمسه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير
الحاكمين اذ لا يحكم هذا الا بالحق والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق على ما شاهدناه من ظاهر الحال وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا
وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب اي باطن الحال حافظين
فما ندري احقيقة الامر كما شاهدنا ام بخلافه فلو ما كنا علماء حين اعطيناك الموثق انه
سيسرق او انا نبتلى بهذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي
كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة
والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان
من جيران يعقوب وقيل من صنعاء وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال اي يعقوب

عليه الصلوة والسلام وهو استيناف مبني على نشأ مما سبق فكأن سئل فماذا كان عند قول المتوقف
لاخوتهم ما قال فقيل قال يعقوب عند ما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا وانما حذف للايذان
بان مسارعتهم الى قوله ورجوعهم الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج الى البيان جوابه
لهم **بل سولت** اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك بل
عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وان لم يصدر منهم ما يؤدي الى ذلك من قول او
فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك **لكم انفسكم امرا** من الامور فانتم من يريد بذلك فتياهم بان السارق يسترق
بسرقته **فصبر جميل** اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل **عسى الله ان ياتيني بهم جميعا**
بيوسف واخيه والمتوقف بمصر **انه هو العليم** بحالي وحالهم **الحكيم** الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة
وتولى اي اعرض **عنهم** كراهة لما سمع منهم **وقال يا اسفى على يوسف** الاسف اشد الحزن والحسرة
اضافه الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة فناداه اي يا اسفا تعال فهذا اوانك وانما تاسف على
يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة الارزاء وكان غضا عنده وان تقادم عهده اخذ بمجامع
قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحيوتهما طامعا في ايابهما واما يوسف فلم يكن في شانه
ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا
اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع
بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يزيد النظم ملاحة كما في قوله تعالى وهم ينهون عنه وينئون
عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبا بنبا يقين ونظايرها
وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى
بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب من يوم
فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب عليه
الصلوة والسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه الصلوة والسلام
ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما
ساء ظنه بالله ساعة قط وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند النوائب فان الكف
عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم
لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق
الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل
يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند
الفرح وصوت عند الترح **فهو كظيم** مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى
مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل لقوله والكاظمين
الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه **قالوا تالله تفتؤ** اي لا تفتؤ ولا تزال
تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لعدم الالتباس
بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي البتة **حتى تكون حرضا** مريضا
مشفيا على الموت وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى
ولا يجمع والنعت منه حرض بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب **او تكون من الهالكين** اي الميتين
قال انما اشكو بثي وحزني البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره

كانهم قالوا

كانهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية من الاشكاء فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم او الى غيركم حتى
تتصدوا لتسليتي وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا اليه متضرعا لديه في
دفعه وقرئ بفتحتين وضمتين **واعلم من الله ما لا تعلمون** من لطفه ورحمته فارجوا ان يرحمني
ويلطف بي ولا يخيب رجائي او واعلم وحيا او الهاما من حيوة يوسف قيل
راى ملك الموت عليه الصلوة والسلام في المنام فساله عنه فقال هو حي يرزق وقيل علم من رؤيا
يوسف عليه الصلوة والسلام انه سيخر له ابواه واخوته سجدا **يا بني اذهبوا فتحسسوا** اي
تعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب **من يوسف واخيه** اي
من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها **ولا تيأسوا من روح الله** اي
لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته التي يحيى بها العباد وهذا ارشاد
لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حثهم على ترك العمل بموجب نهيه بقوله انه لا
ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في
حال من الاحوال **فلما دخلوا عليه** اي على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر
ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك مما يتحقق لا يفتقر الى الذكر والبيان **قالوا**
يا ايها العزيز اي الملك القادر المتمنع **مسنا واهلنا الضر** الهزال من شدة الجوع **وجئنا**
ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته
وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر
وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة فانما قدموا هذا
ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرافة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا
فاوف لنا الكيل اي فاتمم لنا **وتصدق علينا** برد اخينا الينا قاله الضحاك وابن جريج وهو
الانسب بحالهم بالنظر الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها
تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا او لانهم ارادوا بالتصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة
الصدقة بما قد تنزل الى رتبة الحال بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولعلهم انما امروا بها تسجيلا
للشفقة والرافة بما قد يتوصل به من ذلك الى رقة القلب والخضوع على ان ما ساقوا من كلام ذو وجهين
فان قولهم وتصدق علينا **ان الله يجزي المتصدقين** يحتمل الحمل على المحملين فلعله عليه الصلوة والسلام
حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا لما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم **هل علمتم ما**
فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف
لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله بذلك حتى كان لا
يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه
اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم عليه او جاهلون عاقبته وانما قال ذلك نصحا لهم وتحريضا
على التوبة وشفقة عليهم لما راى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون هذا
الكلام منه عليه الصلوة والسلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم
من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلب بنيامين بل يجوز ان يقف عليه الصلوة والسلام بطريق الوحي
والالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما راهم قد اشتغلوا عن ذلك قال
ما قال وقيل لما قرا كتاب يعقوب عليه الصلوة والسلام وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق
ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت

بداه ورجلاه فرمى به في النار فنجاه الله تعالى وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي
فوضع السكين على قفاه ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته
إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان
لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا فقالوا إنه سرق وإنك حبسته وإنا
أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من
ولدك والسلام فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره وقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب
اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا أإنك لأنت يوسف استفهام تقرير ولذلك أكدوه
بإن واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ إنك بالإيجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم
به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة
البيضا وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ أئنك أو أنت على معنى أئنك يوسف أو أنت يوسف
فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال أنا يوسف جوابا عن مسألتهم وقد
زاد عليه وهذا أخي من أبوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشأن أخيه وتكملة لما أفاده
قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه حسبما يفيده قوله قد من الله علينا كأنه قال هل علمتم
ما فعلتم بنا من التفريق والإذلال فأنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع
بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والأنس بعد الوحشة ولا يبعد أن يكون فيه إشارة إلى الجواب عن طلبهم
إنه من يتق أي يفعل التقوى في جميع أحواله أو يتق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على
المحن أو على مشقة الطاعات أو عن المعاصي التي تستلذها النفس فإن الله لا يضيع أجر المحسنين
أي أجرهم وإنما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على أن المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون
بالإحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت
الجليلة وإن كنا لخاطئين وإن شأننا أنا كنا متعمدين للذنب إذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك
أعزك وأذلنا وفيه إشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب أي لا تأنيب ولا لوم
عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد إزالة الجلد
والتقريع إزالة القرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء
الوجه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب أو بالمقدر في عليكم أي لا أثربكم اليوم ولا تثريب
مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الأيام أو بقوله يغفر الله لكم لأنه حينئذ
صفح عن جريمتهم وعفا عن جريرتهم بما فعلوه من التوبة وهو أرحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر
ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام أن إخوته أرسلوا إليه إنك تدعونا إلى طعامك
بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عليه الصلاة والسلام إن أهل مصر وإن
ملكت فيهم كانوا ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم عليه
الصلاة والسلام اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه وقيل هو القميص المتوارث
الذي كان في التعويذ أمره جبريل عليه الصلاة والسلام بإرساله إليه وأن فيه ريح
الجنة لا يقع على مبتلى إلا عوفي فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا تكن بصيرا أو يأت إلي بصيرا
وينصره وأتوني بأهلكم أجمعين أي بأبي وغيره ممن ينتظمه لفظ الأهل جميعا من النساء
والذراري قيل إنما حمل القميص يهودا وقال أنا الذي حملت القميص ملطخا بالدم إليه فأفرحه

أحزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت
العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انفصل العير قال أبوهم يعقوب عليه الصلاة والسلام لمن عنده
إني لأجد ريح يوسف أوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين
أقبل به يهودا لولا أن تفندون أي تنسبوني إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل وفساد الرأي
من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة إذ لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها
وجواب لولا محذوف أي لصدقتموني قالوا أي الحاضرون عنده تالله إنك لفي ضلالك
القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في إفراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه
وكان عندهم أنه قد مات فلما أن جاء البشير قيل هو يهودا ألقاه أي ألقى البشير القميص على
وجهه أي وجه يعقوب وألقى يعقوب على وجه نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه
من القوة قال ألم أقل لكم يعني قوله إني لأجد ريح يوسف فالخطاب لمن عنده بكنعان أو قوله ولا تيأسوا
من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الأنسب لقوله إني أعلم من الله ما لا تعلمون فإن مداره
له على المذكور إنما هو العلم الذي أوتي يعقوب من جهة الله سبحانه وتعالى وعلى هذا
يجوز أن يكون هذا مقول القول أي ألم أقل لكم حين أرسلتكم إلى مصر وأمرتكم بالتحسس
ونهيتكم عن اليأس من روح الله إني أعلم من الله ما لا تعلمون من رجوع يوسف روي أنه سأل
البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين
الإسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ومن حق
من اعترف بذنبه أن يصفح عنه ويستغفر له فكأنهم كانوا على ثقة من عفوه عليه الصلاة
والسلام ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار وأدرجوا ذلك في الاستعفاء قال سوف
أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم وهذا مشعر بعفوه قيل أخر الاستغفار إلى وقت السحر وقيل إلى
ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الإجابة وقيل أخره إلى أن يستحلهم من يوسف عليه الصلاة
والسلام أو يعلم أنه قد عفا عنهم فإن عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده أنه روي عنه أنه
استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين
سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال إن الله قد
أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فإن صح هذا ينبئ عن كون ما صدر
عنهم ما صدر قبل الاستنباء وقيل الاستمرار على الدعاء فقد روي أنه كان يستغفر كل ليلة
جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم
اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم فأوحى الله أني قد
غفرت لك ولهم أجمعين فلما دخلوا على يوسف روي أنه وجه يوسف إلى أبيه جهازا
ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء
وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب عليه الصلاة والسلام وهو يمشي يتوكأ على يهودا فنظر إلى
الخيل والناس فقال يا يهودا أهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال السلام عليك
يا مذهب الأحزان وقيل قال له يوسف يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا
فقال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا
مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام

ستمائة ألف وخمسمائة ونيف وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية
ألف ألف وستمائة ألف آوى إليه أبويه أي أباه وخالته وتنزيلها منزلة الأم تنزيل
العم منزلة الأب في قوله عز وجل وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولأن يعقوب عليه
الصلاة والسلام تزوجها بعد أمه وقال الحسين وابن إسحاق إن أمه كانت في الحياة فلا حاجة إلى
التأويل ومعنى آوى إليه ضمهما إليه واعتنقهما وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ضرب في الملتقى
مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فآواهما إليه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين من الشدائد
والمكاره فاطمئنوا بالدخول على الأمن ورفع أبويه على العرش عنده وهو يصح على السرير تكرمة
لهما فوق ما فعله لإخوته وخروا له سجدا أي أبواه وإخوته تحية له فإنه كان السجود عندهم
جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الناشئة
في التعظيم والتوقير وقيل ما كان إلا انحناء دون تعفير الجباه وقيل إنا بالمخرور وقيل خروا لأجله
سجدا لله شكرا وبرحمته قوله تعالى وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي التي رأيتها وقصصتها عليك
من قبل في زمن الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا واقعا بعينه ولا اعتداد بحمل يوسف
القبلة وحمل الأدم كما في قوله ليس قبل من صلى بقبلتكم تعسف لا يخفى وتأخيره عن الرفع على
العرش ليس بنص في ذلك لأن الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تأخيره
عنه ليتصل بذكر كونه تعبيرا لرؤياه وما يتصل به قوله وقد أحسن بي المشهور استعمال
الإحسان بإلى وقد يستعمل بالباء أيضا كما في قوله تعالى وبالوالدين إحسانا وقيل هذا بتضمين
لطف وهو الإحسان الخفي كما يؤذن به قوله إن ربي لطيف لما يشاء وفيه نيابة الخفي أي
محسنا إلي غير هذا الإحسان إذ أخرجني من السجن بعدما ابتليت فيه ولم يصرح بخلاصه
من الجب تكرما من تثريب إخوته لأن الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجدا وكيفا
بما يتضمنه قوله تعالى وجاء بكم من البدو أي البادية من بعد أن نزغ الشيطان بيني
وبين إخوتي أي أفسد بيننا بالإغواء وأصله من نخس الرائض الدابة بحمل النزغ ونسبه إذا
نخسه ولقد بالغ عليه الصلاة والسلام في الإحسان حيث أسند ذلك إلى الشيطان إن ربي لطيف
لما يشاء أي لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من صعب إلا
وهو بالنسبة إلى تدبيره سهل إنه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم الذي يفعل كل شيء على قضية
الحكمة روي أن يوسف أخذ بيد يعقوب عليهما الصلاة والسلام فطاف في خزائنه فأدخله في خزائن
الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطيس
قال يا بني ما أغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل عليه الصلاة
والسلام قال أوما تسأله قال أنت أبسط إليه مني فاسأله قال جبريل الله تعالى أمرني بذلك لقولك وأخاف
أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى
أن يدفن بالشام إلى جنب أبيه إسحاق فمضى بنفسه ودفنه وعاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين
سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له تاقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال رب قد آتيتني
من الملك أي بعضا منه عظيما وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل الأحاديث أي بعضا من ذلك
كذلك إن أريد بتأويل الأحاديث تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية ودقائق سنن الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام فالترتيب ظاهر وإن أريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم إيتاء الملك عليه في
الذكر لأنه مقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله تعالى والملك أعرف في كونه نعمة من التعليم المذكور وإن

كان ذلك أيضا نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية ههنا الاعتذار فيما سبق لأن التعليم هنالك
وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فإن حمل على معنى التعليل لزم نحو عنه وأما الواقع ههنا فمجرد
التأخير في الذكر والعطف بحرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السموات والأرض
مبدعهما وخالقهما نصب على أنه صفة للمنادى أو منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية
مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله أنت وليي مالك أموري في الدنيا والآخرة أي تتولاني
بالنعمة فيهما أو ذا إذا أتممت علي نعمة الدنيا توفني أي اقبضني مسلما وألحقني بالصالحين
من آبائي وبسائر الصالحين في الرتبة والكرامة فإنما تتم النعمة بذلك قيل لما دعي توفاه الله عز وجل
طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا أن يصنعوا له تابوتا من
مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل ليمر الماء عليه ثم يصل إلى مصر ليكونوا شرعا واحدا في التبرك به وولد
له إفرائيم وميشا ولإفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى عليه الصلاة والسلام ولقد توارث الفراعنة
من العمالقة بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله تعالى
موسى عليه الصلاة والسلام ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا
من الدلالة على بعد منزلته أو لكونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو
مبتدأ خبره من أنباء الغيب الذي لا يحوم حوله أحد وقوله نوحيه إليك خبر بعد خبر أو حال
من الضمير في الخبر ويجوز أن يكون ذلك اسما موصولا ومن أنباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه إليك وما
كنت لديهم يريد إخوة يوسف إذ أجمعوا أمرهم وهو جعلهم إياه في غيابة الجب وهم يمكرون
به ويبغون له الغوائل حتى ألقوه فيها أو يخيطون ما بينهم خفية فليس المراد مجرد نفي حضوره
عليه الصلاة والسلام في مشهد إجماعهم ومكرهم فقط بل في سائر المشاهد أيضا وإنما تخصيصه بالذكر
لكونه مطلع القصة وأخفى أحوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وإن كان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لكن المراد إلزام المكذبين والمعنى أن ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك إذ لا سبيل إليه من ذلك
إياه سوى ذلك إذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك الكتب مما لا يشك فيه المكذبون أيضا
ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الأمر حتى تعرفه كما هو فتبلغه إليهم وفيه تهكم بالكفار فكأنهم يشكون
في ذلك فيدفع شكهم وفيه أيضا إيذان بأن ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله أهل الكتاب ليس على ما
هو عليه يعني أن مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور إلا بالحضور والمشاهدة وإذ ليس ذلك بالحضور فهو
بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي إذ
قضينا إلى موسى الأمر وما أكثر الناس يريد به العموم أو أهل مكة ولو حرصت على إيمانهم وبالغت في
إظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك بمؤمنين لتصميمهم على الكفر وإصرارهم على العناد روي
أن اليهود وقريشا لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا أن يسلموا إذا أخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسلموا
حزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك وما تسألهم عليه من أجر أي على الإنباء أو على القرآن من جعل
كما يفعله الأحبار إن هو إلا ذكر موعظة من الله تعالى للعالمين كافة لا أنه مختص بهم وكأين
من آية أي وكأي عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها في السموات والأرض أي كائنة فيهما من الأجرام الفلكية وما
فيها من النجوم وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الأرض من العجائب الفائتة للحصر يمرون
عليها أي يشاهدونها ولا يعبئون بها وقرئ برفع الأرض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ
بنصبها على معنى يطؤون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها والمراد ما يرون

عليها من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر وهم عنها معرضون غير ناظرين اليها
ولا متفكرين فيها وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة
لغيره او باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك
علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي جملة حالية اي لا يؤمن اكثرهم الا في حال اشراكهم قيل نزلت الآية في اهل
مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله اي عقوبة
تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي وهي الدعوة الى التوحيد والايمان بالاخلاص وفسرها
بقوله ادعو الى الله على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء وهي حال من الضمير في سبيلي لما
فيها من معنى الاشارة انا تأكيد للمستكن في ادعو او على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة
ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين متمما لما سبق من الدعوة الى الله وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة نوحي اليهم كما اوحينا اليك
وقرئ بالياء من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل
والآيات فيحذروا تكذيبك ولدار الآخرة اي الساعة والحيوة الآخرة خير للذين
اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الآخرة
وقرئ بالياء على انه غير داخل في الخطاب حتى اذا استيأس الرسل غاية لمحذوف
دل عليه الكلام اي لا يغرنهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم قد امهلوا
حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان
من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم
القوم برجاء ايمانهم فانه لا يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار
وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم
في الدنيا جاءهم نصرنا فجأة عن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم
الله من النصر فان صح ذلك فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة
وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب فاما الظن الذي هو ترجح احد الجانبين
على الآخر فلا يتصور ذلك من احد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم الصلوة والسلام الذين
هم اعرف الناس بربهم عز وجل وقيل الضمائر للرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني
للرسل وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ بالتخفيف على
بناء الفاعل على ان الضمير للرسل اي ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى
عنهم ولم يروا له اثرا او على ان الاول لقومهم فنجي من نشاء هم الرسل والمؤمنون بهم و
قرئ فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم
المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان من نشاء لقد كان في قصصهم اي في قصص
الانبياء واممهم وينصره قراءة من قرأ بكسر القاف او قصص يوسف واخوته عبرة لاولي
الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب احكام الحس ما كان اي القرآن المدلول عليه
بما سبق دلالة واضحة حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب
السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ولكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل

كل شيء

كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو يستند الى القرآن بالذات او بوسط
وهدى من الضلالة ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون اي يصدقونه لانهم
المنتفعون به واما من عداهم فلن يهتدوا بهداه ولا ينتفعوا بجدواه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانما مسلم تلاها وعلمها اهله وما
ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم المر اسم السورة ومحله اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف
اي هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم
بالتسمية كما مر مرارا وقوله تعالى تلك على الوجه الاول مبتدأ مستقل وعلى الوجه
الثاني مبتدأ ثان او بدل من الاول اشير به اليه ابتداء بانفراد منه واما النصب بتقدير
فعل يناسب المقام نحو اقرأ واذكر فتلك مبتدأ كما اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد
او بمعنى انا الله اعلم وارى على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحمل على الحذف
قوله تعالى آيات الكتاب اي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف بذلك من بين
الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب فهو عبارة عن جميع القرآن او عن جميع المنزل حينئذ حسبما
مر في مطلع سورة يونس عليه الصلوة والسلام اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغني
عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال لا
ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الاتصاف بذلك المغنية عن
التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع بعضها ايانها اقل [illegible] جعل تلك اشارة الى كل
واحد منها وفيها ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس والذي انزل اليك
من ربك اي الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع في كل ما
نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق
اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه
ومهيمنا عليه وفي التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول
والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى الضمير عليه الصلوة والسلام من الدلالة على فخامة المنزل
التابع لجلالة شأن المنزل اليه والايماء الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان
حقيته لانه المرجح للتصديق والتكذيب لا لعنوان كونه منزلا كما قيل ولا يساعده طريقة الوصف
دون الاخبار الله الذي رفع السموات اي خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر
الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر لقوله وهو الذي مد
الارض بغير عمد اي بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب وهو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت
الحائط اي دعمته وقرئ عمد على جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول وايا ما كان فصيغة الجمع
السموات لا لان المنفي عن كل واحد منها عمد لا عماد ترونها استئناف للاستشهاد على ما
ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جيء بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هي قدرة
الله سبحانه ثم استوى اي استولى على العرش بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا

ان الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف وانا ما كانت فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى حمل كلمة ثم للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات وغيرها كل من الشمس والقمر يجري حسبما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر او لكل منهما يجري على مقدار معين من المدارات اليومية او مدة ينتهي فيها حركاتهما ويخرج ما اريد منهما من القوة الى الفعل او لغاية تتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر ما مضى من الرفع والاستواء والتسخير اي يقضي ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته يفصل الآيات الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اي يأتي بها مفصلة وهي ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية التابعة شيئا فشيئا المستتبعة للآثار الغريبة في السفليات على موجب التدبير والتقدير والجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما مفسرتان الاولى والحال منه والثانية من الضمير فيهما او كلاهما من ضمير الافعال المذكورة وقوله كل يجري لاجل مسمى من تتمة التسخير او مختلفتان من قوله الله كخبر بعد خبر في الموصول صفة له جيء به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شانه كما في قول الفرزدق ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول لعلكم بلقاء ربكم بملاقاة جزائه توقنون عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها فان من تدبر هاتيك التدابير ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة قادر على كل شيء وان هذه التدبيرات المتقنة تعقبها غايات لابد من وصولها وقد بينت على السنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان ذلك ابتلاء للمكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لابد من الايقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها طولا وعرضا قال الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه ففيه دلالة على بعد مداها وسعة اقطارها وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت في احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك والمختار ان مجيء فواعل جمعا لفاعل في فوارس وهوالك ونواكس انما هو في صفات العقلاء واما في غيرهم فلا بل يجيء اطرادا كما في قوله تعالى اياما معدودات وقوله الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى جعل مفردها صفة لجمع القلة اعني اجبلا ويعتبر في جمع الكثرة اعني جبالا انها طائفة من جموع القلة وتنزيل كل منها منزلة مفردها كما قيل في جمالات في جمع جمال فان جمعية كل من صيغتي الجمعين انما هي باعتبار الافراد التي تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة للافراد وجمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان جمع طوائف جمع طائفة ولا الى ان يلتجئ الى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لان الغلبة انما هي في الجمع دون الفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا مجاري واسعة والمراد مياهها الجارية فيها من المياه وفي نظمها مع الجبال في سلك واحد اشارة الى ان الجبال منشأ للانهار وبيان لفائدة اخرى للجبال غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان تتفرع عليها تلك متقلب سوهي تعيشا بما والكلاء ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله عز وجل جعل فيها زوجين اثنين تنبيها لهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك التثنية اعتبارية اي

جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو والحامض او في القدر كالصغير والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثاني استئنافا لبيان كيفية ذلك الجعل يغشي الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاشياء الباطنة بان يلبس النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعده في تضاعيف الآيات السفلية وان كان تعلقه بالآيات الفلكية ظاهرا باعتبار ان ظهوره في الارض فان الليل ظلها وفيما فوق سمتها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها وقرئ يغشي من التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر من مد الارض واثباتها بالرواسي واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار وفي الاشارة بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه في بابه لآيات باهرة وهي آثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها وفي عنها فان تلك الآثار مستفرعة في تلك الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الافاعيل فهي بجردتها لقوم يتفكرون فان التفكر فيها يؤدي الى الحكم بان تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لابد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو العزيز الحميد وفي الارض قطع جملة مستأنفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وغير ذلك متجاورات اي متلاصقات وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات اي جعل في الارض قطعا وجنات من اعناب اي بساتين كثيرة منها وزرع من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمدة المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتأخير قوله تعالى ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها وهو قوله تعالى صنوان وغير صنوان فاصل والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلة لها رأسان واصلهما واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بني تميم وقيس وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات في هذا السلك مع اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الارض ودحاها الدهيما والى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات تسقى اي ما ذكر من القطع والجنات والزروع والنخيل وقرئ بالتاء مراعاة للفظ والاول اوفق بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي بماء واحد لا اختلاف في طبعه سواء كان السقي بماء الامطار او بماء الانهار ونفضل مع اتحاد اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض آخر منها في الاكل بما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا الى يدبر ويفصل ويغشي وعلى بناء المفعول وفيه مما لا يخفى من الفخامة والدلالة على تعين احتمال اسناد الفعل الى فاعل آخر معرض عن بناء الفعل على الفاعل ان في ذلك الذي فصل من احوال القطع لآيات كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هي اهون في القياس وهذه الاحوال وان كانت هي الآيات نفسها لا انها فيها الا انها قد جردت عنها امثالها مبالغة

في كونها آية فهي تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد والمشار اليه الاحوال الكليات والآيات
افرادها الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة ولحادثها الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها
في على معناها وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولاتها اظهر تم ذكر علق كونها آيات بمحض التعقل
ولذلك لم يتعرض لنفي تفضيل بعضها على بعض في الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات
مما يتوقف العثور عليه على نوع تامل وتفكر كانه لا حاجة في ذلك الى التفكر ايضا وفيه تعريض بان المشركين
غير عاقلين **وان تعجب** يا محمد من شيء **فعجب** لا عجب منه حقيق بان يقصر عليه التعجب **قولهم** بعد مشاهدة هذه
ما عددت من الآيات الشاهدة بانه تعالى على كل شيء قدير **ائذا كنا ترابا** على طريقة الاستفهام الانكاري
المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على انه مبني للفصول او في محل
النصب على المفعولية منه على انه مستند فالعجب على الاول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل في اذا
ما دل عليه قوله **ائنا لفي خلق جديد** وهو نبعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه
اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قوله ائنا لتاكيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في الخلق
الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم
في النكير ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم في انكار البعث فعجب قولهم في المآل وان تعجب فقد تعجبت في موضع العجب
وقيل ان تعجب من انكارهم البعث فعجب قولهم لدلالة عليه فتامل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له اي ان تعجب
يا من ينظر في هذه الآيات من قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على
البعث وهو اهون من هذه والانسب بقوله ويستعجلونك بالسيئة هو الاول وقوله فعجب خبر قدم على المبتدا
للقصر والتسجيل من اول الامر بكون قولهم ذلك امرا عجيبا ويجوز ان يكون مبتدا لكونه موصوفا بالوصف
المقدر كما اشير اليه او المفخم وان تعجب فالعجب الذي لا عجب فوقه قولهم هذا فاعجب منه وعلى الاول وان تعجب
فقولهم هذا العجب لا عجب فوقه **اولئك** مبتدا والموصول خبره اي اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث بما
عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة الملجئة لهم الى الايمان به لو كانوا يبصرون **الذين كفروا بربهم**
فتمادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته تعالى كفر به **واولئك** مبتدا خبره قوله **الاغلال في اعناقهم**
يوم مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة **واولئك** الموصوفون بما ذكر من الصفات
اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكري البعث
خاصة بل بالجمع المدلول عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم **ويستعجلونك بالسيئة** بالعقوبة
التي انذروها وذلك حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره
قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم بالامهال **وقد خلت من قبلهم المثلات** اي عقوبات
امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها فلا يجتنبون حلول مثلها بهم والجملة حالية مبينة لركاكة آرائهم
في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين باخبارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال
انه قد مضت العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت
بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بضمتين باتباع
الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف
المثلات والمثلات جمع كركبة وركبات **وان ربك لذو مغفرة** عظيمة **للناس على ظلمهم** انفسهم
بالذنوب والمعاصي ومحلها النصب على الحالية اي ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى ان ربك
لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتاخيرها **وان ربك لشديد العقاب**
يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتاخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه عليه الصلوة والسلام لولا

عفو الله وتجاوزه ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد **ويقول الذين كفروا**
وهم المستعجلون بالسيئة وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله تعالى
التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا **لولا انزل عليه**
آية من ربه مثل آيات موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام عنادا ومكابرة والا ففي ادنى آية
انزلت عليه عليه الصلوة والسلام غنية وعبرة لاولي الابصار **انما انت منذر** مرسل للانذار
من سوء عاقبة ما ياتون وما يذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به
نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا
من الآيات **ولكل قوم هاد** معين لا بالذات بل بعنوان الهداية يعني فلكل قوم نبي مخصوص له
هداية مخصوصة تقتضي اختصاص كل منهم بما يختص به حكمة لا يعلمها الا الله تعالى او لكل قوم
هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم
وانكارهم لك بالآيات المنزلة عليك فانذر وهو هنا ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته
وشمول قضائه وقدره المبتنين على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي
وكل نبي بجنس معين من الآيات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم
لكن لا يهدي الا من تعلق بهدايته مشيئته التابعة للحكم اسرار لا يعلمها فقال **الله يعلم**
ما تحمل كل انثى اي تحمله وما موصولة والعائد محذوف او ما تحمله في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة
لا بعد كمال الخلق فقط والعلم متعد الى واحد اي وشيء تحمل وعلى اي حال من الاحوال المترددة
عليه طورا فطورا فهي متضمنة بانها معلقة للعلم وحملها فهي مصدرية **وما تغيض الارحام**
وما تزداد اي تنقصه وتزداده في الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة
الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في اربع سنين ولذلك
سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه يروى ان شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها وازدياد
لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله تعالى وازدادوا تسعا وقوله فزده
كيل بعير او لازمان فلا استند الى الارحام مجازا لانها لما فيها **وكل شيء** من الاشياء **عنده بمقدار**
بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فان لكل حادث من الاعيان والاعراض في كل
مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقتا معينا وحالا مخصوصا لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية
الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق الاشياء في انفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود
والاستعداد لذلك علم بالنسبة الى الله عز وجل **عالم الغيب** اي الغائب عن الحس والشهادة
اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو
خبر مبتدا محذوف اي هو عالم وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله الله
يعلم الى آخره **الكبير** العظيم الشان الذي كل شيء دونه **المتعال** المستعلي على كل شيء بقدرته او
المنزه عن نعوت المخلوقات ولما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الانسان في مراتب فطرته
ويحيط بها الى الغيب والشهادة بين انه تعالى عالم بجميع ما ياتون وما يذرون من الافعال والاقوال
وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال **سواء منكم من اسر القول ومن جهر به**
اظهره لغيره **ومن هو مستخف** مبالغ في الاختفاء كانه مختف **بالليل** وطالب للزيادة **وسارب**
بارز يراه كل احد **بالنهار** من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف او على مستخف
ومن عبارتين عن اثنين كما في قوله فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كما قيل

سوا منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان اسند الى من اسر ومن جهر
والى المستخفي والسارب لكن في الحقيقة مسند الى ما اسره وما جهر به والى المستخفي والسارب
او الى الفاعل من حيث هو فاعل لهما في الاخبار تقديم الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى
كما نبا بتعلق في الخفيات انما هو مشتمل الظواهر والاخفى نسبته الى الكل سوا على العرف له اي
لكل ممن اسر او جهر والمستخفي والسارب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة
من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله
وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او للمراد بالمعقبات الجماعات
وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة على التعويض الياء من احد القافين من بين يديه ومن
خلفه من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من باسه حين اذنب
بالاستمهال له او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى
وقد قرئ به وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
حول السلطان يحفظونه من امر الله تعالى في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من
النعمة والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة وملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر
الناس عليها الى اضدادها واذا اراد الله بقوم سوءا لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا
مرد له فلا راد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع
عنهم السوء الذي اراده الله بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان خلاف مراده
تعالى محال ايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الآيات قد غيروا ما بهم
من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه هو الذي يريكم البرق خوفا من
الصاعقة وطمعا في المطر وفيه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما ان التخلية اولى وقيل العبيد
والمطبوع فيه الرزق المترف وقيل الخوف لما يصاب من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالخراز والحب
وبناؤه الترتيب الالهي لان يتخلف ما اشير اليه من الخوف عند المطبوع فيه مترف وانتصابهما
اما على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذو
او بحمل المصدر بمعنى المفعول والفاعل على المبالغة او على العلية بتقدير المضاف اي ارادة خوف
وطمع او بتاويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل وانما جعل المعلل هو الرؤية
التي تضمنتها الارادة على طريقة قول النابغة وحلت بيوتي في يفاع ممنع تخال به راعي الحمولة طائرا
حذارا على ان لا تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا اي احللت بيوتي حذارا ولا يستبدل اليه
لانها وقعت في بعض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في
الجو الثقال بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال
سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امراة كريمة ونسوة كرام ويسبح الرعد اي سامعوه من العباد
الراجين للمطر متلبسين بحمده اي يضجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد لحمله لهم على
ذلك او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضل المستوجب
لحمده وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم
لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة
موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك ق

الملائكة اي تسبح الملائكة من خيفته من هيبته واجلاله لجل جلاله وقيل الضمير للرعد
فيرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم اي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو
الذي يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا
جنايتهم لدى كل من يستحق الخطاب كانه قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة
البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من
المؤمنين او الرعد نفسه او الملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته
تعالى يجادلون اي الكفرة الذين حكيت هناتهم جميع ذلاتهم وهوانهم وحقارة شانهم في الله اي في شانه
حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الآيات فالواو لعطف الجملة على
ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق الى آخره او على قوله الله يعلم الى آخره واما العطف على قوله تعالى
ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله تعالى الله يعلم الى آخره استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك
ونظائره من استعجال العذاب وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل الحال اي فيصيب بالصواعق
من يشاء وهم في الجدال وقد اربد بهما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلا المسجد وهو عليه الصلوة والسلام جالس في نفر من الاصحاب رضي الله
تعالى عنهم فاستشرفوا لجمال عامر وكان من اجمل الناس وكان قد اوصى الى اربد انك اذا رايتني اكلمه فدر
من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عليه الصلوة والسلام فدار اربد من خلفه فاخترط من سيفه شبرا
فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فراى النبي صلى الله عليه وسلم الحال فقال
اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صحو صائف فاحرقته وولى عامر هاربا
فنزل في بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء
ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذنهما
برمحي فارسل الله سبحانه وتعالى ملكا فلطمه بجناحه فاراده في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة
عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه
فاجراه حتى مات على ظهره وقيل اربد بما روي عن الحسن انه كان من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم
نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم اخبروني عما تدعونني اليه ما هو ومم هو من ذهب او من فضة ام من
حديد ام من نحاس فاستعظم القوم مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما راينا رجلا
اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال عليه الصلوة والسلام ارجعوا اليه فاعاد مقالته الاولى واخبث
فرجعوا اليه عليه الصلوة والسلام واخبروه بما سمع فقال عليه الصلوة والسلام ارجعوا اليه فبينما
هم عنده ينازعونه اذ ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر وهم جلوس فجاؤوا يسعون
ليخبروه عليه الصلوة والسلام فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم قالوا اوحي الى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو شديد المحال اي الجدال انه شديد المماحلة والمكايدة والمماكرة لاعدائه من محله
اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو فعال من المحل بمعنى القوة وقيل
مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال
ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة
الحق اي الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها الحق
واختصاصها به وكونه بمعزل من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل الدعوة الله
سبحانه الدعوة التي تخصه كما في قوله عليه الصلوة والسلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته

الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقية لتزيين معنى الاستجابة والاولى هو الاول لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث ان اهلاك اربد وعامر بمحال من الله تعالى اجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ان كانت الاية نزلت فيهما وفي شانهما او من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديد لهم باجابة دعائه عليهم والذين يدعون اي الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء اي الا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون ويجوز ان يكون من المبني للمفعول ويضاف الى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر المبني للمفعول وجودا وعدما فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشيء ولا يستجاب لهم استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف ليبلغ فاه اي الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشيء من الاناء ونحوه فاه وما هو اي الماء ببالغه ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه اليه فضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين في عدم حصول حظهم في دعاء الهتهم على شيء اصلا وكذب ايهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري كيف يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شيء نافع بخلاف الهتهم وقوله نفي للاستجابة راسا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة الا استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليس فيها شائبة استجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ذهاب وضياع وخسار ولله يسجد وحده يخضع وينقاد لا لشيء اخر استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد من في السموات والارض من الملائكة والثقلين طوعا وكرها اي طائعين وكارهين او انقياد طوع وكره فان خضوع الكل او حال الطوع وكون فان خضوع الكل لعظمته الله عز وجل وانقياد لاحداثه ما اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام شاءوا او ابوا وعدم مداخلة حكم غيره بل عينه حكمه تعالى في تلك الشؤون المختفي على احد وظلالهم اي ينقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث تتصرف على مشيئته سبحانه تعالى لارادته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال بالغدو والاصال ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع الاوقات لوجوهها الظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقنى في جمع قناة والاصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال اي الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطرار وهو المعنى بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه قال تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها اثار التجلي كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير بان اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة بالله لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان تحقيق انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة ولان انقيادهم دليل انقياد غيرهم على التبيين ذلك بقوله عز وجل قل من رب السموات والارض فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولي

امرهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله تعالى وقوله قل الله امر بالجواب من قبله عليه الصلاة والسلام اشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء او امر بحكاية اعترافهم تاكيدا له عليهم اذ لا بد لهم من ذلك كانه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة والقمهم الحجر او امر بتلقينهم الجواب ان تلعثموا في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون ان لا يقدروا على انكاره قل الزاما لهم وتبكيتا افاتخذتم لانفسكم والهمزة لانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر بالهمزة اي اعلمتم ان ربهما هو الله الذي ينقاد لامره من فيهما كافة فاتخذتم من دونه اولياء عاجزين لا يملكون لانفسهم نفعا يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيره ودفع الضر عنه لا على ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى افلا تعقلون اذا قرر المعطوف عليه لا لاستحقه بل الى ترتيب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه والمعنى ابعد ان علمتم ان ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه اولياء عجزة والحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليه فعكستم الامر كما في قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ووصف الاولياء ههنا بعدم المالكية للنفع والضر في ترشيح الانكار وتاكيده كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية اعني قوله تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما مما ينفي الاتخاذ المذكور ويوجب انكاره قل تصويرا لانكارهم الركيكة بصورة المحسوس هل يستوي الاعمى الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها والبصير الذي هو الموحد العالم بذلك والاول عبارة عن المعبود الغافل والثاني اشارة الى المعبود العالم بكل شيء ام هل تستوي الظلمات التي هي عبارة عن الكفرة والضلال والنور الذي هو عبارة عن التوحيد والايمان وقرئ بالياء فلما دل النظم الكريم على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطا البحت بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي لشيء اصلا وليس لهم في ذلك شبهة تصلح ان يكون منشا لغلطهم وخطاياهم فضلا عن الحجة اكد ذلك بقوله ام جعلوا اي بل اجعلوا له شركاء خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشا لخطائهم انما جعلوا له شركاء ما هو عجز لبذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رايهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شيء كافة لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك بعد ولما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة وفي ثباته فيها مع كونه ممدا لحواتها الروحانية ومما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في اودية يابسة لم تجر عادتها بذلك سيلا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها الباقي فيها حسبما يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية تتحلى به النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب

والفضة وسائر الفلزات التي تتخذ منها انواع الآلات والادوات وتبقى منتفعا بها مدة
طويلة ومثل الباطل الذي تبتلى به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مدخلية له فيهما
ولخاصة صفائهما من الزبد الذي يطفو فوقهما للاضمحلال سريعا فقيل **انزل من السماء** اي من جهتها
ماء اي كثيرا او نوعا منه وهو ماء المطر **فسالت** بذلك **اودية** لما فيه في مواقعه لا جميع
الاودية اذ الامطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو مفرج بين جبال او تلال او آكام
على الشذوذ كناد واندية وناج وانجية قال ابو علي وجهه ان فاعلا يجيء بمعنى فعيل كناصر ونصير
وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة
فان اريد بها ما يسيل فيها فالمجاز في الاسناد لان السيلان اليها حقيقي وان اريد معناها الحقيقي
فالاسناد مجازي كما في جرى النهر وايثار التمثيل بها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح
المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل بها كما اشير اليه بقوله **بقدرها** اي سالت ملتبسة
بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة
وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بحسب قابليتها
صغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكبرها المستدعي كثرة الموارد فان موارد السيل
الجاري في الوادي الصغير اقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان اريد بالاودية
ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدرها فان تلك الاودية
على ما عرفت آنفا او يراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولا
من المعنيين **فاحتمل السيل** الجاري في تلك الاودية اي حمل معه **زبدا** اي غثاء ورغوة
وانما وصف ذلك بقوله تعالى **رابيا** اي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون المحمول
غير طاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل فوقه الزبد
بان ذلك الفوقية مقتضى شأن الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به
من الباطل الذي شأنه الظهور في بادي الرأي من غير مدخلية في الحق **ومما يوقدون عليه في النار**
اي تفعلون الايقاد عليه من الذهب والفضة والنحاس ونحوها والضمير للناس اضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب
ابتغاء حلية او متاع اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين به ويتجمل كالحلي المتخذة من الذهب
والفضة ولطلب اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاواني والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير
ذلك من الفلزات **زبد مثله** اي مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره
الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئا منه لا تبعيضية معربة عن
كونه بعضا منه كما قيل لاخلاله بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز
الصلة من ايقاد النار عليه جري على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالى فاوقد
لي يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة في النار اشعار
بالمبالغة في الاعتمال للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض
لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف
بل له اخلال بذلك **كذلك** اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة **يضرب الله الحق**
والباطل اي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للدلالة على كمال التماثل بين الممثل والممثل به كأن
المثل المضروب عين الحق والباطل وفيه تحقيق التمثيل مع الايماء في تضاعيفه الى وجه المماثلة
على ابدع وجوه واتقنها حسبما اشير اليه في مواضعها بتحقيق غاية تحل من الممثلين على وجه التمثيل

مع التصوح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء تنقية للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق
الثابت والردع عن الباطل الزائل فقيل **فاما الزبد** من كل منهما **فيذهب جفاء** اي مرميا
به وقرئ جفالا والمعنى واحد **واما ما ينفع الناس** منهما كالماء الصافي والفلز الخالص
فيمكث في الارض اما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون
والقنا والآبار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلي ويتخذ من بعضه اصناف الآلات والادوات
فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمكث في الارض ما هو الشامل للمكث في
نفسها ومن البقاء في ايدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة للموافق للترتيب
الواقع في التمثيل للمراعاة للاهمية من حالة الذهاب والبقاء وبعد ذكرهما فان المعتبر انما هو بقاء
الباقي بعد ذهاب الذاهب لا قبله **كذلك يضرب الله** اي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب **الامثال** في كل
باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتأكيد
لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الاول او بجعل ذلك اشارة
اليهما جميعا ثم بعدما بين شأن كل من الحق والباطل حالا ومآلا اكمل البيان شرع في بيان حال
اهل كل منهما مآلا تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل **للذين استجابوا لربهم** اذ دعاهم
الى الحق بفنون الدعوة من جملتها ضرب الامثال فانها الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى
وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وابراز لاوابد
المعاني في هيئة المأنوس فاي دعوة اولى منها بالاستجابة والقبول **الحسنى** اي المثوبة الحسنى
وهي الجنة **والذين لم يستجيبوا له** وعاندوا الحق الجلي **لو ان لهم ما في الارض** من اصناف الاموال
جميعا بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان **ومثله معه**
لافتدوا به اي بما في الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يحيط به
البيان فالموصول مبتدأ والشرطية كما هي خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوء اي وقعت في
مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كأنه قيل وللذين
لم يستجيبوا السوء اي كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من
القيام مقام لفظ السوء مفصحا بالذم الدالة على الموصول او ضميره وعليه يدور حصول
المرام كلفظ الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى **اولئك لهم سوء الحساب**
وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ في الجملة السابقة وكانت خبرها اعني الجملة الظرفية
خبرا عن الموصول في الحقيقة ومبينا لابهام خبر الشرطية الواقعة عنه اولا ولذلك ترك
العطف فصار كأنه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلك في قوة ان يقال وللذين لم
يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تأكيد فتم حسن المقابلة على ابلغ وجه واكمله ثم بين
مؤدى ذلك فقيل **وماواهم** اي مرجعهم **جهنم** وفيه نوع تأييد لتفسير الحسنى
بالجنة **وبئس المهاد** اي المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله للذين
استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الامثال السالفة وقوله الحسنى صفة لمصدر
اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله للذين لم يستجيبوا له معطوف على الجار والمجرور الاول
وقوله لو ان لهم ما في الارض كلام مستأنف مسوق لبيان ما اعد لغير المستجيبين من
العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمستجيبين والكافرين اي هما مثلا الفريقين
ولا يخفى ان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان

الاستعمال المفيض بحول اللازم على من يقصد تكثيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله
سبحانه ضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون ونظائره على ان نقض الامثال المضروبة لتلك اسما
للمثل الاخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل الحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين
مضروبا لهم ايضا بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس اولا وبعد حينئذ للتشويق
الى المستجيبين فقال **افمن يعلم انما انزل اليك من ربك** من القرآن الذي مثل بما انزل
من السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى **هو الحق** الذي لا حق وراءه والحق الذي اشير اليه
بالامثال المضروبة فيستجيب له **كمن هو اعمى** عمي القلب لا يشاهده وهو بما دون الابقار قدره
وهو في اقصى مراتب العلوم واعظم فيبقى حائرا في ظلمات الجهل وغياهب الضلال ولا يتذكر بما
ضرب من الامثال بين الصيغة وكمال الكاية قيل العدها بين حال كل من الفريقين وماله بتوهم
المماثلة بينهما ثم استونف فقيل **انما يتذكر** بما ذكر من المذكورات فيقف على ما بينهما من التفاوت
والتنافي **اولوا الالباب** اي العقول الخالصة المبراة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم
الذين يوفون بعهد الله ما عقدوا على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد
الله عليهم في كتبه **ولا ينقضون الميثاق** ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره
من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تاكيد للاستمرار المفهوم
من صيغة المستقبل **والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل** من الرحم وموالاة المؤمنين
والايمان بجميع الانبياء المجتمعين على الحق من غير تفريق بين احد منهم ويندرج فيه
مراعاة جميع حقوق الناس بل جميع حقوق كل ما يتعلق بهم من الهرة والدجاج **ويخشون ربهم** خشية
جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما امرهم **ويخافون سوء الحساب** فيحاسبون
انفسهم قبل ان يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فطانتهم حسبما ذكر **والذين صبروا** على كل ما
تفعله النفس من الانفعال والتروك **ابتغاء وجه ربهم** طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظر
الى جانب الخلق رياء وسمعة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور
ومع ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة اورد بصيغة الماضي اعتناء بشانه ودلالة على وجوب
تحققه فان ذلك من الامور التي لا بد منها في نفس الصلاة كما في عدا الاولى والرابعة والخامسة مستتبع لها بل
احكامها كما في الصلاة الثالثة المذكورات ذاتها وان استغنت عن الصبر في انفسها لحيث لا مشقة
على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجري على موجبهما غير خال
عن الاحتياج اليه **واقاموا الصلاة** المفروضة **وانفقوا مما رزقناهم** اي بعضه الذي
يجب عليهم انفاقه **سرا** لمن لم يعرف بالمال ومن لا يتهم بترك الزكاة او عند انفاقه وقطعا له
من تعقبه المؤونة من يخفظ اهل **وعلانية** لمن لم يكن كما ذكر اوا الاول في التطوع والثاني
في الفرض **ويدرؤون بالحسنة السيئة** اي يجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة
السيئة فتمحوها وعن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ
غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا
اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية
بالحسنة **اولئك** المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدا خبره الجملة الظرفية اعني
قوله **لهم عقبى الدار** اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة وقيل الجار
والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار واياما كان ففيه قصر حتى يرد ان بعض في

حتى الصلة ليس من العزائم التي لا يخل الاخلال بها بالوصول الى حسن العاقبة والجملة خبر الموصول او لا بتعارف
او مستانف لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات ان جعلت الموصولات صفات لاولي الالباب على طريقة المدح
من غير ان يقصد ان يكون الصلة المذكورة مدخلا في التذكير **جنات عدن** بدل من عقبى الدار او مبتدا
خبره **يدخلونها** والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان
الجنة **ومن صلح من آبائهم** جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم **وازواجهم وذرياتهم**
وهو عطف على المرفوع في يدخلونها وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه
يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشانهم وهو دليل ان الدرجة
تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقرب بعضهم من بعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول
الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الانساب
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين **سلام
عليكم** بشارة اي لهم بدوام السلامة **بما صبرتم** متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذه الكرامة المعطاة
بما صبرتم او بسبب صبركم او بدل من محل السلام بمشاق الصبر وتشاغبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد
استرحتم الساعة وتخصيص الصبر فيما ذكر من بين الصلات السابقة لما ان ما عداه من الصلات كل
منها ومن يتراءى من حيث انه مداخل الامر فعلى منه لطلب ثباتا منهما لا يعتد بها ان لا يكون الا ابتغاء وجهه
الرب تعالى **فنعم عقبى الدار** الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل
حركتها الى النون تارة وبدونه اخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء
على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رضوان الله
عليهم اجمعين **والذين ينقضون عهد الله** اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم في الاتصاف
بنقائض صفاتهم **من بعد ميثاقه** من بعدما اوثقوه به من الاعتراف والقبول **ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل** من جميع الانبياء المجتمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم
ومن حقوق الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يرعى من حقوق من الامور المعدودة
فيما سلف وانما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك واما عدم
التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه انما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة لنقض معتدا
فلا نفي ولا نفيه عن بينهم وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا يخفى لوجوب الصلاة والزكاة
ممن لا يجوز حول اصل الايمان بالله تعالى فضلا عن شروع الشروع واريد بالانفاق
التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما امر الله تعالى به ان يوصل واما درء الحسنة بالسيئة
عنهم ظاهر فيما سبق ولحق فانهم يجازون الحسنة بالسيئة وحال نقض العهد ومخالفة الامر
ومباشر الفساد بل احسن اليهم بقوله عز وعلا **ويفسدون في الارض** اي بالظلم
وتهييج الفتن كيف يتصور منهم مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك يشعر بان لهم كلا
في العقوبة لا فضا الى العقوبة التي يبتني عليها قوله تعالى **اولئك** الى آخره اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من القبائح **لهم** بسبب ذلك **اللعنة** اي الابعاد من رحمة الله تعالى **ولهم** مع ذلك **سوء
الدار** اي سوء عاقبة الدنيا او عذاب جهنم فانها دارهم لا ان ترتيب الحكم على الموصول يشعر
بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل له في ذلك على الكل التقاسيم فان مجازاة السيئة
بمثلها ما دونها ودفع الكلام السيئ بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم
والوصل عند القطع مما يورث تركه تبعة وانما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة التاسعة

من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا تضايق في ذلك لان اعتباره من حيث انه من مستتبعات
الاخلال بالعزائم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة
وتكرير لهم للتأكيد والايذان بالاختلاف فيهما واستقلال كل منهما في الثبوت الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر اي يضيقه على من يشاء حسبما اقتضته الحكمة من غير
ان يكون لاحد فيه دخل في ذلك ولا لشعوره بحكمته وربما يبسط للكافر املاء واستدراجا
وربما يضيق على المؤمن زيادة للاجر فلا تغتر ببسطه للكافر [illegible] بعسر المؤمن
وفرحوا اي اهل مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحيوة الدنيا وما
بسط لهم من نعيمها وما الحيوة الدنيا اي وما نعيمها في الآخرة اي في جنب نعيم
الآخرة الا متاع الا شيء نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا
بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال ان ما اشتروا به في جنب ما عوضوا عنه شيء
قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اي اهل مكة وايثار هذه الطريقة على وجه
اضمارهم مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي
عنهم من قولهم لولا انزل عليه آية من ربه فان ذلك في فحوى من اسباب المكابرة والعناد فان
ما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات العظام الباهرة ليس بآية [illegible] الا تقتضيه
الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعدها طاقة بعدم القبول فلذلك امر في الجواب
بقوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها
اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع فيه
اللطف ولا ينفعه الارشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو
في الكفر والفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدي اليه اي الى جنابه
العلي الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص
بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف من اناب اي اقبل الى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل
من دلائله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير وايثار ايرادها في الصلة على
ما يراد للمشيئة الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد
وايثار صيغة الماضي للدلالة على استدعاء الهداية لسابقة الانابة كما ان التصيغة المضارع
في الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم الذين آمنوا بدل من
اناب فان اريد بالهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا اليها وان اريد
احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار امرهم الى الايمان كما في قوله هدى للمتقين اي الصائرين الى
التقوى وذلك لان الايمان لا يؤدي الى الهداية بنفسها او خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين آمنوا او منصوب
على المدح وتطمئن قلوبهم اي تستقر وتسكن بذكر الله بكلامه الذي هو اقوى المعجزات
الذي لا ريب فيه لقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ويعلمون ان لا آية اعظم منه فيقترحونها وايثار صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان
وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها الا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره
من الامور التي تميل اليها النفوس من الدنيويات وهذا ظاهر مما سلف من المعجزات والقرائن
انها ليست لافادة الطمأنينة لمن لم يشاهدها بخلاف القرآن المجيد فانه معجزة باقية
الى يوم القيمة يشاهدها كل احد وتطمئن بها القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم

قلوب

قلوب وافئدتهم هواء حيث لم تطمئن بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها
وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته لقوله تعالى
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا
وتبتلا اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من
القلوب على حذف المضاف حسبما رمي اليه في قلوب الذين آمنوا وفيه ايماء الى ان الانسان
انما هو القلب او مبتدأ خبره الجملة الداعية على التأويل اعني قوله طوبى لهم او خبر مبتدأ
مضمر او نصب على المدح فطوبى فيهم حال عاملها الفعل وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى
قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لتسلم الياء والمعنى اصابوا
خيرا ومحلها النصب كما في سلاما او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام
عليك يدل عليه تلك القراءة في قوله تعالى وحسن مآب بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان
مثلها في سقيا لك كذلك اي مثل ذلك الارسال العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزات الباهرة
ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم اي مضت كثيرة قد ارسل اليهم رسل
لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم الى الحق رحمة
لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى ووضعنا عنك
وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيأتي وحسن تلقيها له عند وروده عليها
وهم اي والحال انهم يكفرون بالرحمن لبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته واحاطت
به نعمته والعدول الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدرها ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به عليهم
بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت
في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو اي الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته
ربي الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم
والعدل وقيل هو نعت اي خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال [illegible] قبل قوله لا اله الا هو اي
لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان اباجهل
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين
فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية عليه توكلت في جميع اموري لا سيما
في النصر عليكم لا على احد سواه واليه متاب اي مرجعي لقوله تعالى واستغفر لذنبك
امر صلى الله عليه وسلم بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وانها صفة الانبياء وبعثا
للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه صلى الله عليه وسلم اذا امر بها وهو منزه
عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما
لا بد منه اصلا وقيل فيه اليه مرجعي ومرجعكم ويرد فيحكم بيني وبينكم
فيثيبني على مصابرتكم ويعاقبكم ولو ان قرآنا اي قرآنا ما وهو اسم ان والخبر قوله تعالى سيرت
به الجبال وجواب لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه السامع من التالي والمقصود اما
بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات
فاقترحوا غيرها مما اوتي موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم
في الضلال والفساد فالمعنى على الاول ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته عليها

وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام أو قطعت به الأرض أو شققت
وجعلت أنهارًا وعيونًا كما فعل بالحجر لموسى عليه الصلاة والسلام بعصاه أو جعلت قطعًا متصدعة
أو كلم به الموتى أي بعد ما أحيى بقراءته عليها كما أحييت لعيسى عليه الصلاة والسلام لكان ذلك
هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل
لقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله لا في الإعجاز إذ
لا مدخل له في هذه الآثار ولا في الإذكار والإنذار والتخويف لاختصاصها بالعقلاء مع أن لا علاقة لها
بتكليم الموتى واعتبار نقض العقول إليها مخل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة
على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الإبهام ثم التفسير لزيادة التقرير لأن تقديمهم ملاحظة التناسب
تبقى النفس مشوقة ومترقبة إلى الآخر أنها ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة أو
في الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وإن كان متعلقًا بمجرد ظهور مثل هذه الأفاعيل
العجيبة على يده عليه الصلاة والسلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيًا على
عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وأنه حقيق
بأن يكون مصدرًا لكل خارق وإبانة لركاكة رأيهم في شأنه الرفيع كأنه قيل لو أن ظهور أمثال ما اقترحوه
من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شأنه العزيز ووصفهم
بركاكة العقل ما لا يخفى بل لله الأمر جميعًا أي له الأمر الذي يدور عليه فلك الأكوان وجودًا وعدمًا
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعو إليه من الحكم البالغة وهو إضراب عما تضمنته الشرطية من
معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه أي لو أن قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا
القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن لأن الأمر كله له وحده فالإضراب ليس متوجهًا إلى
كون الأمر لله سبحانه بل إلى ما يؤدي إليه ذلك من كون الشأن على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء
التكليف على الاختيار أفلم ييأس الذين آمنوا أي أفلم يعلموا على لغة هوازن وقوم من النخع
أو على استعمال اليأس في معنى العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين
أفلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر أي أغفلوا عن كون الأمر جميعًا لله تعالى فلم
يعلموا أو ألم يتفكروا فلم يعلموا أن لو يشاء الله على حذف ضمير الشأن وتخفيف أن لهدى الناس جميعًا
بإظهار أمثال تلك الآيات العظيمة فالإنكار متوجه إلى ترتب وقوع المعطوف على المعطوف عليه أي عدم
العلم الثاني على العلم الأول وعلى التقديرين فالإنكار إنكار الوقوع كما في قوله تعالى أعجلتم أمر ربكم وعكسًا
حسبما الإنكار الواقع كما في قولك ألم تخف الله حتى عصيته وإن مناط الإنكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية
فقط بل عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل ألم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم
وأنه لم يشأها وذلك لأنهم كانوا يودون أن يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الإيمان
وعلى الثاني ألم يتفكروا أن قرآنًا لو فعل به ما فعل من التعاجيب لما آمنوا به كما في قوله تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا الآية فالإضراب حينئذ متوجه إلى ما سلف من اقتراحهم
مع كونهم في العناد على شيء أي فليس لهم ذلك بل لله الأمر جميعًا إن شاء أتى بما اقترحوا وإن شاء لم يأت
حسبما تستدعيه داعية الحكمة من غير أن يكون لأحد عليه تحكم أو اقتراح واليأس بمعنى القنوط أي
ألم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من إيمانهم حتى حبوا ظهور مقترحاتهم فالإنكار متوجه إلى المعطوف
أو وعلموا ذلك فلم يقنطوا من إيمانهم فهو متوجه إلى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه أي إلى تخلف القنوط
عن العلم المذكور والإنكار على التقديرين إنكار الواقع كما في قوله تعالى فأين تذهبون ونظائره لا إنكار الوقوع فإن

عدم قنوطهم

عدم قنوطهم منه تام الاستحالة وقوله تعالى أن لو يشاء الله إلى آخره متعلق بمحذوف أي أفلم ييأسوا
من إيمانهم علمًا منهم وعلمًا بأنه لو يشاء الله لهدى الناس وأنه لم يشأ ذلك أو بآمنوا أي أفلم يقنط
الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا على معنى فلم ييأس من إيمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية
وبعدم تحقق المقدم من مكابرتهم جميعًا حالية محكية أو فالوصف المذكور صدوا إلى ما يأسهم
وقيل إن أبا جهل وأصحابه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيًا سل لنا بقراءتك الجبال
عن مكة حتى تتسع ونتخذ فيها البساتين والقطائع وقد سخرت لداود فلست بأهون على
الله منه إن كنت نبيًا كما زعمت وسخر لنا الريح كما سخرت لسليمان عليه الصلاة والسلام
لنتجر عليها إلى الشام فقد شق علينا قطع الطريق البعيدة أو ابعث لنا رجلين أو ثلاثة ممن مات
من آبائنا فنزلت فمعنى تقطيع الأرض حينئذ قطعها بالمليين ولا حاجة إلى الاعتذار في
إسناد الأفاعيل المذكورة إلى القرآن كما احتيج إليه في الوجهين الأولين وعن الفراء أنه متعلق بما
قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على الجواب والتقدير ولو أن
قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم به الموتى
لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال الذين كفروا من أهل مكة تصيبهم بما صنعوا أي بسبب
ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه لتمام القصد إليه أو لاستهجانه وهو تصريح
بما أشعر به الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع من الإيذان برسوخهم في ذلك
قارعة داهية تقرعهم وتقلقلهم وهو ما كان يصيبهم من أنواع البلايا والمصائب من
القتل والأسر والسلب والنهب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر غير مرة من إرادة التفسير إثر
الإبهام لزيادة التقرير والإحكام مع ما فيه من بيان أن مدار الإصابة من جهتهم أو تحل أي
تلك القارعة قريبًا أي مكانًا قريبًا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير إليهم شرارها
شبهت القارعة بالعدو المتوجه إليهم فأسند إليها الإصابة تارة والحلول أخرى ففيه استعارة
بالكناية وتخييل وترشيح حتى يأتي وعد الله أي موتهم أو القيامة فإن كلا منهما وعد
محتوم لا مرد له وفيه دلالة على أن ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وأن ما يليق
سابقًا نفحة يسيرة بالنسبة إليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى إن الله لا يخلف الميعاد أي الوعد
كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس
رضي الله عنهما أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا بين
إغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالإصابة والحلول حينئذ من أحوالهم
ويجوز على هذا أن يكون قوله تعالى أو تحل قريبًا من دارهم خطابًا للرسول صلى الله عليه وسلم مرادًا
به حلوله الحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة ولقد استهزئ برسل
من قبلك كثيرة جليلة العدد من قبلك فأمليت للذين كفروا أي تركتهم ملاوة من الزمان في أمن
ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين
من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى أن ذلك ليس مختصًا بك
بل هو أمر مطرد وقد فعل ذلك برسل جليلة كائنة من قبلك فأمهلت الذين فعلوا بهم والعدول
في الصلة إلى وصف الكفر ليس لأن المملي غير المستهزئين بل لإرادة الجمع بين الوصفين أي فأمليت
للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أي عقابي
إياهم وفيه من الدلالة على فظاعته وبلوغه في الشدة والفظاعة ما لا يخفى أفمن هو قائم أي رقيب

مهيمن على كل نفس كائنة من كانت بما كسبت من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من ذلك
ولا يجازي كل أحد بما يليق به وهو الله سبحانه والخبر محذوف أي كمن ليس كذلك وإنما حذف لدلالة إدخال الفاء
لتوجيه الإنكار إلى توهم المماثلة غب ما علم مما فصل تفاوتهما من بين كون الأمر كله لله تعالى
وكون هداية الناس جميعا منوطا بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة إلى أن يأتي وعد
الله كأنه قيل الأمر كذلك فمن هذا شأنه كمن ليس في عداد الأشياء حتى يشركوه به فالإنكار متوجه
إلى ترتب المعطوف على المقدر أعني كون الأمر كما ذكر كما في قولك أتعلم الحق فلا تعمل به لا إلى المعطوفين
جميعا كما إذا قلت أفلا تعلم ولا تعمل به وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جيء
بها للدلالة على الخبر المحذوف أي أفمن هذه صفاته كمن ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا
شريكا واحدا أو معطوفة على الخبر إن قدر ما يصلح لذلك أي أفمن هذا شأنه لم يوحدوه وجعلوا
له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه على اختصاصه
باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الإبهام بإيراده موصولا وللدلالة على التفخيم
وقوله تعالى قل سموهم تبكيت لهم إثر تبكيت أي سموهم من هم وماذا أسماؤهم أي سموهم لننظر
هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة أم تنبئونه أي بل أتنبئون الله
بما لا يعلم في الأرض أي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى وهو الذي لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقرئ بالتخفيف أم بظاهر من القول بل أتسمونهم
شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى
ذلك قولهم بأفواههم وها تيك الأساليب البديعة التي وردت عليها الآية الكريمة منادية
على أنها خارجة من قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين
بل زين للذين كفروا وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم
تمويههم الأباطيل أو كيدهم للإسلام بشركهم وصدوا عن السبيل أي سبيل الحق من صده صدا
وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال إليها وقرئ بفتحها أي صدوا الناس أو من صد صدودا ومن
يضلل الله أي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره أو يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب
شاق في الحياة الدنيا بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فإنها إنما تصيبهم عقوبة
على كفرهم ولعذاب الآخرة أشق من ذلك بالشدة والمدة وما لهم من الله من عذابه المذكور
من واق من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الأولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتأكيد مثل الجنة
أي صفتها العجيبة الشأن التي في الغرابة كالمثل التي وعد المتقون عن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ
خبره محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى تجري من تحتها الأنهار تفسير
لذلك المثل على أنه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد إلى الجنة أي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك
شأن زيد يأتيه الناس ويعطيهم أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري إلخ أكلها دائم ثمرها لا ينقطع وظلها
أيضا كذلك لا ينسخ بالشمس كما ينسخ ظل الدنيا تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا
الكفر والمعاصي أي مآلهم ومنتهى أمرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى من إطماع المتقين
وإقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما
ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة
يفرحون بما أنزل إليك إذ هو الكتاب الموعود في التوراة والإنجيل ومن الأحزاب أي من أحزابهم وهم
كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الأشرف والسيد والعاقب

الإبهام

استفهاما بنجران وأتباعهما من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة إنشاء أو نسخا لا ما يوافق ما حرفوه
وإلا فنعي عليهم من أول الأمر أن مدار ذلك إنما هو جنايات أيديهم وأما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وإن لم
يفرحوا به وقيل يجوز أن يراد بالموصول الأول عامتهم فإنهم أيضا يفرحون به لكونه مصدقا لكتبهم في الجملة
فحينئذ يكون قوله تعالى ومن الأحزاب إلخ تتمة بمنزلة أن يقال ومنهم من ينكر بعضه قل إلزاما لهم
وردا لإنكارهم إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به أي شيئا من الأشياء أو لا أفعل الإشراك به والمراد
قصر الأمر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الأمر مطلقا على عبادته تعالى خاصة أي قل لهم إنما أمرت فيما أنزل
إلي بعبادة الله تعالى وتوحيده وظاهر أن لا سبيل لكم إلى إنكاره لإطباق جميع الأنبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى
قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا
والمسيح وقرئ ولا أشرك بالرفع على الاستئناف أي وأنا لا أشرك به إليه أي إلى الله تعالى خاصة على النهج المذكور
من التوحيد أو إلى ما أمرت به من التوحيد أدعو الناس لا إلى غيره أو لا إلى شيء آخر مما لا يطبق عليه الكتب الإلهية
والأنبياء فما وجه إنكاركم وإليه أي إلى الله تعالى وحده مآب مرجعي للجزاء حيث كانت لهم ملجأة الباهرة
لا دمتهم لا يجدون عنها محيصا أمره صلى الله عليه وسلم بأن يخاطبهم بذلك إلزاما وتبكيتا لهم ثم شرع
في رد إنكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء أو بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقال وكذلك
أنزلناه أي كما أنزلنا الكتاب وذلك إشارة إلى مصدر أنزلناه أو إلى أنزل إليك ومحله النصب على المصدرية أي
مثل ذلك الإنزال البديع المنتظم لأصول مجمع عليها وفروع متشعبة إلى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه
حكمة قضية الحكمة والمصلحة أنزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا والوقائع بالحق أو يحكم به كذلك والتعرض
لذلك العنوان مع أن بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه عربيا مترجما بلسان العرب
والتعرض لذلك للإشارة إلى أن ذلك إنما هو لمخالفة الكتب السابقة مع أن ذلك مقتضى الحكمة إذ بذلك يسهل
فهمه وإدراك إعجازه والاقتصار على اشتمال الإنزال على أصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى
قل إنما أمرت أن أعبد الله إلخ يأباه التعرض لاتباع أهوائهم وحديث المحو والإثبات وأن لكل أجل كتابا فإن المجمع
لا يتصور فيه الاستتباع والإتباع ولئن اتبعت أهواءهم التي يدعونك إليها من تقرير الأمور المخالفة لما
أنزل إليك من الحق كالصلاة إلى بيت المقدس بعد التحويل بعدما جاءك من العلم العظيم الشأن الفائض من
ذلك الحكم العربي أو العلم بمضمونه ما لك من الله من جنابه العزيز والالتفات من التكلم إلى الغيبة وإيراد
الاسم الجليل لتربية المهابة قال الأزهري لا يكون الولي ... من ولي يلي أمرك وينصرك على من يبغيك الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي
الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته ... حرف النفي للتأكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم أي ما لك
من بأس الله من ناصر وواق لاتباعك لأهوائهم ... إلهاب وتهييج للمؤمنين على
الثبات في الدين والتصلب فيه ... ساد مسد جوابي الشرط والقسم ولقد أرسلنا رسلا كثيرة
كائنة من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية نساء وأولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه
صلى الله عليه وسلم بالزواج والأولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وما كان
لرسول منهم أي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه أن يأتي بآية مما اقترح عليه وحكم ... إلا بإذن الله
ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح التي يدور عليها أمر الكائنات لا سيما مثل هذه الأمور العظام والالتفات
لما قررناه بتحقيق مضمون الجملة الإيمانية إلى الجلالة لكل أجل أي لكل مدة ووقت من المدد والأوقات كتاب
حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فإن الشرائع كلها لإصلاح أحوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضية
ذلك أن يختلف حسب اختلاف أحوالهم المتغيرة حسب تغير الأوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف أحوال

المعنى بحسب الوقت **يمحو الله ما يشاء ويثبت** بدله ما فيه المصلحة او يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة كتبتا بين ايديهم كل قول وفعل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل او السعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود والقائلون به يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يبعد تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الاختيار محوا واثباتا وقرئ بالتشديد **وعنده ام الكتاب** اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو **واما نرينك** اصله وان نرينك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثم الحقت النون بالفعل **بعض الذي نعدهم** اي وعدناهم من انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي ايثار البعض رمز الى ارادة بعض الموعود **او نتوفينك** قبل ذلك **فانما عليك البلاغ** اي تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها **وعلينا** لا عليك **الحساب** محاسبة اعمالهم السيئة المؤدية الى الجزاء بها اي عليهم ما ذكر من الحال او ببيان البعض مما يشاؤن من العذاب الدنيوي او لم نركه فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه الصلاة والسلام بطلوع تباشيره فقال **اولم يروا** استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انكروا نزول ما وعدناهم او شكوا او لم ينظروا في ذلك ولم يروا **انا ناتي الارض** اي ارض الكفرة **ننقصها من اطرافها** بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك وقوله عز سلطانه ننقصها من اطرافها بيان لما انطوى عليه البوار وقوله ننقصها حال من فاعل ناتي او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستيلاء والهجوم والاستيلاء العظيم والفخامة ما لا يخفى كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا **والله يحكم** ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفرة بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها لتاكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى **لا معقب لحكمه** اعتراض في اعتراض لبيان علو شان حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على راسه اي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويتعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والطلب **وهو سريع الحساب** فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بالعذاب بعد ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى وقال ابن عباس رضي الله عنهما سريع الانتقام **وقد مكر الذين من قبلهم** من قبل كفار مكة بانبيائهم والمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لا عبرة بمكرهم ولا تاثير الا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله بقوله تعالى **فلله المكر جميعا** اي جنس المكر جميعا لا وجود

لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما ياتون وما يذرون بعلم الله سبحانه وتعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تاثير حسبما يبينه قوله عز وجل **يعلم ما تكسب كل نفس** من نفسه تخصيصا ادبا له وعقابا للماكرين بهم وانما ... كل نفس جزاء ما تكسب ... ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله **وسيعلم الكافر** حين يقضي بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسب **لمن عقبى الدار** اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتاكيد وقوع ذلك وعلمهم به حينئذ وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس وسيعلم الكافرون وسيعلم الكفر اي اهله وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اي سيخبر **ويقول الذين كفروا لست مرسلا** قيل قال رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم **قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم** فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر **ومن عنده علم الكتاب** اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته صلى الله عليه وسلم في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق اي من عنده اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه وتعالى اي كفى بالذي يستحق العبادة فانه قد شهد بها بالدعوى الى عباده وايدني بانواع التاييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي وقرئ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء الفعل للمفعول ورفع الكتاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من [illegible] الموفين بعهد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الر مر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تعالى **كتاب** خبره على تقدير كونه مبتدأ وللمبتدأ المضمر على تقدير كونه خبرا لمبتدأ محذوف او مسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى **انزلناه اليك** صفة له وقوله تعالى **لتخرج الناس** متعلق بانزلناه اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج الناس اي ليخرج الناس به **من الظلمات** من عقائد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة **الى النور** اي الحق الذي هو نور لكل شيء كن كيف ما كان فانك لا تهتدي من الجهات الا به **باذن ربهم** اي بتيسيره وتوفيقه والابتناء عن كون ذلك منوطا باقبالهم الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي اليه من اناب استعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور فلك كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين باذن ربهم وقيل من فاعله اي ملتبسا

اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ولا خلل في البدل والبيان بالاستعارة لما ان المعتبر في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استئناف مبني على سؤال كأنه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط الذي له ملكا وملكا ما في السموات وما في الارض اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في آية الكرسي ففيه على القراءة الاولى بيان لكمال فخامة شأن الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة وينبغي في الرفع على الابتداء ان يجعل الموصول خبرا لا وصفا لئلا يحجب امتيازه العقول عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا اي يؤثرونها استفعال من المحبة فان المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الآخرة اي الحيوة الاخروية الابدية ويصدون الناس عن سبيل الله التي بين شأنها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لزوم الاختصار وهو من صده صدا وقرئ يصدون من اصده المنقول من صد صدودا اذا نكب وهو غير فصيح كأوقفه فان في صده وقفه مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها اي يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اي يطلبون لها عوجا اي زيغا واعوجاجا وهي ابعد شيء من ذلك اي يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل موصول هذه الصفات الجر على تبعية الكافرين وصفا له فيعتبر كل وصف من اوصافهم باذاء ما يناسبه من المعاني المعتبرة في الصراط فالكفر المنبئ عن الستر باذاء كونه نورا واستحباب الحيوة الدنيا الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كونه مسلوكا محمود العاقبة والصد عنه باذاء كونه سلوكا وفيه من الدلالة على تماديهم في الغي ما لا يخفى ولذا النصب على الذم او الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى اولئك في ضلال بعيد وعلى الاولين جملة مستأنفة وقعت تعليلا لما سبق من لحوق الويل بهم مؤكدا لما اشعر به بناء الحكم على الموصول اي اولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة من استحباب الحيوة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه منزهة في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال الضال لكنه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز ان يكون للمعنى في ضلال ذي بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا اي في الامم الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا من رسول الا ملتبسا بلسان قومه متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم او لا وقرئ بلسن وهو لغة فيه

كريش ورياش وبلسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يكن من ضرورة هذه القاعدة في شأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين لعموم بعثته للثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع ان استقلال البعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مئنة لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب من الالجاء وحصر البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشأن المستتبع لفوائد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لابد لكل امة من معرفة توافق الكل وتخالفه اجمعين والعدة بالقدر من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا واحدا وفيه من التعسر ما لا يخفى ان لم الامتناع ولما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته عليه الصلاة والسلام قومه الذي بعث اليهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المبين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه الصلاة والسلام او كل من نزل عليهم من الانبياء صلى الله وسلم عليهم بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع الكتب لم تنزل لتبين للعرب وفي رجعه الى قوم كل نبي كما قيل عما ارسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد صلى الله عليه وسلم ليبين الرسل لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال لمباشرة اسبابه المؤدية اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق كأنه قيل فبينوه لهم فاضل الله من شاء اضلاله لما لا يليق به ويهدي من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحكمة فيه للايذان بان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريانه على سنن ما جرى عليه اهل الخذلان والهداية امر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل والتعاقب عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل فان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بايهام ان ترتيب الضلالة على ذلك اسرع من ترتيب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الآية بآياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج قومك بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج كما في قوله تعالى وان اقم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بالاخراج اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون من الظلمات من الكفر والجهالات التي ادتهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الى النور الى الايمان وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا لما جرى عليهم فقط بل على من قبلهم من الامم في الايام الخالية

حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين تذكروا الآيات او بآيات المنطوي على ذلك كما ينبئ
به قوله **اذكرهم** والالتفات من التكلم الى الغيبة بإضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان
بفخامة شأنها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما توهمه
الاضافة الى ضمير المتكلم اي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل ايام الله
وقايعه التي وقعت للامم قبلهم وايام العرب وقايعها وحروبها وملاحمها اي انذرهم
وقايعه التي وقعت على الامم الدارجة ويرده ما تصدى له عليه السلام بصدد الامتثال
بالتذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى عليك **ان في ذلك**
اي في التذكير بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها **لآيات** عظيمة او كثيرة دالة
على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته وهي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها
انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر واما على الثاني فهي كل واحدة
من تلك النعماء والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع او كلمة في تجريدية
مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد **لكل صبار** على البلايا **شكور** لنعمائه وقيل لكل مؤمن
والتعبير عنه بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر او الايمان
ويصير امره اليهما لا لمن اتصف بهما بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور والسابق على التذكير
المؤدي الى تلك المرتبة فان من تذكر ما افاض او ما نزل عليه او على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه
لعاقبة الصبر والشكر او الايمان لا يكاد يفارقهما وتخصيص الآيات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها
خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم
متعلق الصبر اعني البلاء على متعلق الشكر اعني النعماء ولكون الشكر عاقبة الصبر **واذ قال موسى
لقومه** شروع في بيان تصديه عليه السلام لما امر به من التذكير بالاخراج المذكور واذ
منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود
تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر غير مرة اي اذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم بدأ عليه الصلاة والسلام بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهي اليه اميل
والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا انعامه
عليكم اي اذكروا النعمة كائنة عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تعالى **اذ انجاكم من آل فرعون** اي اذكروا
انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم
او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية **يسومونكم** يبغونكم من سامه خسفا اذا
اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء **سوء العذاب** السوء مصدر ساء يسوء والمراد
جنس العذاب السيء واستعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك
مما لا يحصى ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما عطف على
يسومونكم لاخراجه عن مرتبة العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال
له الكهنة ان سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا
ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحياة مع الذل والصغار ولذلك عد من جملة البلاء
والجملة حال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير كل منهما **وفي ذلكم** اي
فيما ذكر من افعالهم الفظيعة **بلاء من ربكم** اي ابتلاء منه لان البلاء عين تلك الافعال
اللهم الا ان يجعل في تجريدية فنسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين **عظيم**

لا يطاق

لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعماء وهو لا يناسب
كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية اما على الاول فيكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الانجاء او باعتبار
ان بلاء المؤمن تربية له **واذ تأذن ربكم** اي اذن ايذانا بليغا لا يبقى معه شائبة من جملة
ما قال موسى عليه الصلاة والسلام لقومه معطوف على نعمة الله اي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا
حين تأذن ربكم اي اذن ايذانا بليغا لا يبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى
التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هي معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم
اي اذكروا نعمة الله عليكم في هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله تعالى عليهم ينالون
بها خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه
الصلاة والسلام اولا بنعماء الله تعالى صريحا وضمنه تذكير ما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم ذكرهم
ثانيا بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على
تقدير الكفر ولو اريد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك
فاذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشاهد معاين **لئن شكرتم** يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء
واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة **لأزيدنكم**
نعمة **ولئن كفرتم** ذلك وغطيتموه **ان عذابي لشديد** فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن
عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف
اي لأعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم
والجملة اما مفعول لتأذن لانه ضرب من القول او بقول مقدر بعده كأنه قيل واذ تأذن ربكم
فقال لئن الخ **وقال موسى ان تكفروا** نعمه تعالى ولم تشكروها **انتم** يا بني اسرائيل **ومن في الارض**
من الخلائق **جميعا فان الله لغني** عن شكركم وشكر غيركم مستحق للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه
ومن اياديه وان لم يحمده احد فيحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده
والحمد حيث كان مقابل النعمة وغيرها من الفضائل كان ادل على كماله سبحانه وهو تعليل للجواب المحذوف
من جواب ان اي ان تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى لغني عن شكر الشاكرين ولعله عليه الصلاة
والسلام انما قاله عندما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا
ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب وقاله عقيب تذكيرهم بما ذكر من قول الله سبحانه عز سلطانه تحقيقا
لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال **الم
يأتكم نبأ الذين من قبلكم** ليتدبروا ولما اصاب كل من جنس المؤمن والكافر فيقلعوا عما هم عليه من الشر
ويتوبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
لتخصيص تذكير موسى عليه الصلاة والسلام بما يخص بني اسرائيل من السراء والضراء والايام الجارية
عليهم فقط وفيه ان الاخفاء من التعرض لنا ايضا لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين هم
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلق
قبل هؤلاء **قوم نوح** بدل من الموصول او عطف بيان **وعاد** معطوف على قوم نوح **وثمود والذين
من بعدهم** اي من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى **لا يعلمهم
الا الله** اعتراض او الموصول مبتدأ ولا يعلمهم الخ خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة
بحيث لا يعلم عددهم الا الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا
لا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون

علم الانساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استينافا لبيان نبائهم
بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه
ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم مشيرين بذلك الى السنتهم وما
يصدر عنها من المقالة اعلاما منهم بشانها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها وقطعا
لهم عن التصديق والايمان باعلامهم ان لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اي
على زعمكم وهي البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالتهم او عضوها غيظا وضجرا مما جاءت
به الرسل لقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ ووضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به
كمن غلبه الضحك واسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او ردوها في افواه الانبياء عليهم
الصلوة والسلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تقبيلا وجعلوا ايدي الانبياء في افواههم تعجبا من
عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم افي الله شك الخ وقيل الايدي بمعنى الايادي
اي النعم اعني مواعظهم وشرايعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنياوية لانهم
لما كذبوها فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وانا لفي شك عظيم مما تدعوننا
اليه من الايمان بالله والتوحيد فلا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل
من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا
فاتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة
من اراب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمينانها قالت رسلهم استيناف مبني على سؤال
ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين
من مقالتهم الحمقاء افي الله شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس
الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا منقادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة
بان يقولوا انتم في شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحته سبحانه عن شائبة الشك
وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اي في شانه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان به وحده
شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب وحيث كان
مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان اظهارها بالبينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب
عن قول الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما
يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السموات والارض اي مبدعهما
وما فيهما من المصنوعات على نظام انيق شاهد بتحقق ما انتم في شك منه وهو صفة للاسم
الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مسندا على ان الظرف
خبر يفضي الى الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتدأ والفاعل ليس باجنبي من رافعه
وقد جوزه ثلثة ايضا يدعوكم الى الايمان بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه
قولكم مما تدعوننا اليه ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني من
ذنوبكم اي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجب ما قبله هكذا وقع في
جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لان المغفرة حيث
جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شان المؤمنين مشفوعة بالطاعة
والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدل الامر ذنوبكم ويؤخركم
الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا استيناف

مو اذا بهم

بما سبق

مما سبق ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعون من النبوة تريدون صفة
ثانية لبشر حملا على المعنى كقوله ابشر يهدوننا او كلام مستانف اي تريدون بما تتصدون له
الدعوة والارشاد ان تصدونا بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان يعبد آباؤنا اي عن
عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه فاتونا اي ان لم يكن الامر كما قلنا
بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه بسلطان مبين برهان يدل على فضلكم واستحقاقكم
لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده آباؤنا ولقد كانوا اتوهم
من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظائم
مكابرة وعنادا ومن ورائهم ان ذلك ليس من جنس ما ينطبق عليه السلطان المبين قالت لهم
رسلهم مجاراة لهم في اول مقالتهم وانما قيل لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما
سلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص به ما يعقبه ان
نحن الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة يعنون
ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية
توجبه تقاولوا تواضعا وهضما للنفس او ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول
تحت الجنس ولكن الله يمن بالفضائل والاستعدادات والكمالات على من يشاء المن بها وما بيننا دال
لا محالة باستحقاقها وتلك الفضائل والاستعدادات والكمالات هي التي يدور عليها فلك
الاصطفاء للنبوة وما كان وما صح وما استقام لنا ان ناتيكم بسلطان اي بحجة من الحجج فضلا
عن السلطان المبين بشيء من الاشياء وسبب من الاسباب الا باذن الله فانه امر يتعلق بمشيئة
الله ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل المؤمنون امر منهم بلزوم
بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه ثم اشير الى ما يقتضيه بقوله عز وجل وما لنا اي عذر لنا ان
لا نتوكل على الله اي في انا لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ
بذكر اسمه تعالى وتعليل للتوكل وقد هدانا سبلنا اي ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه
الذي شرع له واوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب
القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما آذيتمونا
بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اي
فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل فالمراد بما سبق ايجاب التوكل على انفسهم والمراد
بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل دون غيره
وقال الذين كفروا لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين العاتين في الكفر من اولئك الامم الكافرة
التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا لم يكتفوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعد
ما رأوا البينات الباهرات المحضرة حتى اجترءوا على مثل هاتيك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة
الامكان فحلفوا على انه لا يكون احد الحالين والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين
على الرسل وقد مر في الاعراف وسياتي في الكهف فاوحى اليهم اي الى الرسل ربهم بعد ما انتهى
تناهي كفر الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية لا مطمع بعدها في ايمانهم لنهلكن الظالمين على اضمار
القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم عقوبة
لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا لقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون الآية من بعدهم

اي من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك حلف زيد ليخرجن
غدا ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر
محقق ثابت لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين
او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل لفظ المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب
او عذابي الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين واستفتحوا
اي استنصروا بالله على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسألوه
القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل
وقيل للكفرة وقيل لهما فانهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على فاوحى اليهم وقرئ
بلفظ الامر عطفا على ليهلكن الظالمين اي اوحى اليهم ربهم ليهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب
وخسر وهلك كل جبار عنيد متصف بصفة الضدية للمتقين اي فنصروا عند استفتاحهم
وظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان
دون الحرمان عن المطلوب او فاذن بالخيبة انهم كانوا يرجون انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسل
وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا ان
بعضهم ليسوا كذلك فانهم لم تصبهم الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد وخاب
كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن المطلوب وفي اسناد العناد الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة
من ورائه جهنم اي بين يديه فانه مترصد لها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة
وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى عطف على مقدر جوابا عن
سؤال سائل كانه قيل فماذا يكون اذا فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه المعهودة
صديد وهو قيح او دم مختلط بسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل
النار وهو عطف بيان لماء ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا لامره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها
يدل على انه من اشد انواعه يتجرعه قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استئناف مبني
على السؤال كانه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اي يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء
الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به
فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على
تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل
لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه
او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد من كل مكان ويحيط به من
جميع الجهات من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجليه وما هو بميت اي والحال انه ليس بميت
حقيقة كما هو الظاهر من مجيء اسبابه لا سيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من اصناف الموبقات
ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ يستقبل في كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه
دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الانفاس
وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخيبتهم في ذلك وقد وعدهم بعد ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا
بربهم اي صفتهم وحالهم العجيبة الشان التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى اعمالهم
كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او هو استئناف مبني على سؤال من يقول ما بال

لعالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوف
وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد
اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به
زمانها مبالغة كقوله نهاره صائم وانما شبه صنائعهم المعدودة لابتنائها على غير اساس
من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها اليه تعالى برماد حطمته الريح العاصفة او لتبيينها
سوق بيان اعمالهم للاهتمام او هو مبتدأ خبره محذوف كما هو رأي سيبويه اي فيما يتلى عليكم مثلهم
وقوله اعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كيت وكيت سواء
اريد بها ما ذكر من اعمالهم او اعمالهم لاصنامهم وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره لا يقدرون
اي يوم القيامة مما كسبوا من تلك الاعمال على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب
كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام
مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى
وفيه تهكم بهم ذلك اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء
هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب الم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد
امته وقيل لكل واحد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ان الله
خلق السموات والارض ساد مسد مفعوليها اي الم تعلم انه تعالى خلقهما بالحق ملتبسة
بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان يخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم
يعدمكم بالمرة ويأت بخلق جديد اي يخلق بدلكم خلقا آخر مستأنفا لا علاقة بينكم وبينهم
رتب قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال
فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم اقدر ولذلك قال
وما ذلك اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر او متعسر
فانه قادر بذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق
بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيامة وايثار
صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى والمراد ببروزهم من قبورهم لامر الله
تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله
سبحانه فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف
والمراد ضعف الرأي وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم
الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في الدنيا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم
وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب او مصدر نعت به مبالغة او على اضمار اي ذوي تبع فهل انتم
مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ والتقريع
والتبكيت من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة
موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اي بعض شيء هو بعض
عذاب الله تعالى والاعراب كما سبق ويجوز ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم
مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار
قالوا اي المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اي
للايمان لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا

الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم ولأغنينا عنكم كما عرضناكم له لكن سُدّ دوننا طريق
الخلاص ولات حين مناص سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مما لقينا على حال أي
مستوٍ علينا الجزع والصبر في عدم الإنجاء والهمزة وأم لتأكيد التسوية كما في قوله تعالى سواء
عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وإنما أسندوها وتبيين استوائهما إلى ضمير المتكلم المنتظم
للمخاطبين أيضًا مبالغة في النهي عن التوبيخ بإعلامهم أنهم شركاؤهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم
ويجوز أن يكون قوله سواء علينا إلى الآخر من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم أني
لم أخنه وروي أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون
تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك فلما كان عتاب الأتباع
من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان أن لا جدوى في ذلك فقالوا ما لنا من محيص من منجى
ومهرب من العذاب من حاص الحمار إذا عدل على الفرار وهو إما اسم مكان كالمبيت والمصيف أو مصدر
كالمغيب والمشيب وهو جملة مفسرة لإجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الإعراب أو حال مؤكدة
أو بدل منه وقال الشيطان الذي أضل كلا الفريقين واستتبعهما عندما أعتباه بما قاله الأتباع
للمستكبرين لما قضي الأمر أي أحكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل
النار النار خطيبًا في محفل الأشقياء من الثقلين إن الله وعدكم وعد الحق أي وعدًا من حقه
أن ينجز فأنجز ووعدًا هو وعد الحق وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم أي وعد الباطل وهو
أن لا بعث ولا حساب وإن كان فالأصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله
فأخلفتكم موعدي على حذف المفعول الثاني أي جعلت خلف وعدي كالإخلاف منه
كأنه قادر على إنجازه وأنى له ذلك وما كان لي عليكم من سلطان أي تسلط أو حجة
تدل على صدقي إلا أن دعوتكم إلا دعائي إياكم إليه وتسويلي وهو وإن لم يكن من باب السلطان
لكنه أبرزه في معرضه على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه
كأنه قال إنما يكون لي عليكم سلطان إذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء
منقطعًا فاستجبتم لي فأسرعتم إجابتي فلا تلوموني بوعدي إياكم حيث لم يكن ذلك
على طريقة القسر والإلجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما في قوله
تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا أنفسكم حيث استجبتم لي بإجابتكم حين
دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزييني وتسويلي ولم تستجيبوا ربكم إذ دعاكم دعوة الحق المقرونة
بالبينات والحجج وليس مراده التنصل من توجه اللائمة إليه بالمرة بل بيان أنهم أحق بها منه وليس فيه
دلالة على استقلال العبد في أفعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك أن تكون بقدرته الكاسبة
التي عليها فلك التكليف تدور فيه كأنه سبحانه أجرى عادته بخلق أفعاله حسبما اختاره وعليه تترتب
السعادة والشقاوة وما قيل من أنه يستدعي أن يقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فإن الله قضى عليكم
الكفر وأجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب أهل الحق وبين مسلك الجبرية ما أنا
بمصرخكم أي بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب وما أنتم بمصرخي مما أنا فيه وإنما تعرض
لذلك مع أنه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم إصراخه إياهم وإيذانًا بأنه أيضًا
مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج إلى الإصراخ فكيف من إصراخ الغير ولذلك أوثرت الجملة الاسمية فكأنه
في معنى كأنه نجوا بأنفسهم عن لومهم وتقريعهم جميعًا وهذا جواب عن استغاثتهم به في استدفاع
ما دهمهم من العذاب وقرئ بمصرخيِّ بكسر الياء إني كفرت اليوم بما أشركتمون من قبل أي بإشراككم

إياي بمعنى

إياي بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم يعني أن إشراككم لي مع الله سبحانه
هو الذي جعلكم في ضلالي لكم بالذي كان لكم علي حيث جعلتموني معبودًا ولكن اليوم قد
فاليوم كفرت بذلك ولم أحمده ولم أقبله منكم ولا أتبرأ منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة أو كفرت
قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله عز وجل كما في قوله سبحان ما سخركن لنا قيل ولعل
لعدم إصلاحهم إياه ولا احتمال في هذا ولا تمثيل بعدم الإصراخ
بينهم إنه تسلل من الالتباس إن الظالمين لهم عذاب أليم تتمة كلامه أو ابتداء كلام
من جهة الله عز وجل وفي حكاية أمثال ذلك لطف للسامعين وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا
عواقبهم وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها بإذن ربهم أي بأمره أو بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة
إلى ضميرهم إظهار لمزيد اللطف بهم قيل تحيتهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام وقرئ
على صيغة المتكلم فيكون قوله تعالى بإذن ربهم متعلقًا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام أي
تحيتهم الملائكة بإذن ربهم ألم تر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقد تعلق بما بعده في قوله
تعالى كيف ضرب الله مثلًا أي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق به كلمة طيبة منصوب
بمضمر أي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد أو كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار
والدعوة كشجرة طيبة أي حكم بأنها مثلها إلا أنه تعالى صنعها مثلها في الخارج وهو تفسير لقوله
ضرب الله مثلًا كقوله شرف الأمير زيدًا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز أن يكون كلمة بدلًا من مثلًا
وكشجرة صفتها أو خبر مبتدأ محذوف أي هي كشجرة وأن يكون أول مفعولي ضرب إجراء له مجرى جعل
وقد أخر عنهما لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئ بالرفع على الابتداء
أصلها ثابت أي ضارب بعروقه في الأرض وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها وقراءة
الجماعة أقوى سبكًا وأنسب لفخامة المعنى في قوله تعالى وفرعها أي أعلاها في السماء في جهة
العلو ويجوز أن يكون المراد الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتي أكلها تعطي ثمرتها كل
حين وقته الله تعالى لإثمارها بإذن ربها بإرادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة النخلة
كما روي مرفوعًا أو شجرة في الجنة ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون لأن في ضربها
زيادة إفهام وتذكير لأنه تصوير للمعاني بصورة المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هي
كلمة الكفر والدعاء إليه أو تكذيب الحق أو ما يعم الكل أو كل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة أي كمثل
شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الأسلوب للإيذان
بأن ذلك غير مقصود الضرب والبيان وإنما ذلك أمر ظاهر يعرفه كل أحد اجتثت استؤصلت
وأخذت جثتها بالكلية من فوق الأرض لكون عروقها قريبة منه ما لها من قرار
استقرار عليها يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في
قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحياة الدنيا فلا يزالون عنه إذا
فتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم أصحاب الأخدود وفي
الآخرة فلا يتلعثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم أهوال القيامة وعند سؤال
القبر روي أنه صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه
ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الإسلام
ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت

يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت وهذا مثال ثبات الشجرة المذكورة تؤتي أكلها كل حين قال الثعلبي
في تفسيره أخبرني أبو القاسم بن حبيب في سنة ست وثلاثين وثمانمائة قال سمعت أبا الطيب
علي بن محمد الخياط يقول سمعت سهل بن عمار يقول رأيت يزيد بن هارون في منامي بعد موته فقلت
ما فعل الله بك قال أتاني في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فأخذت
بلحيتي البيضاء فقلت لهما ألمثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويضل الله الظالمين
أي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه بحسب استعدادهم واختيارهم قال المراد بهم الكفرة بدليل
ما يقابله ووصفهم بالظلم إما باعتبار وضعهم الشيء في غير موضعه وإما باعتبار ظلمهم لأنفسهم
حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا إلى القول الثابت أو كل من ظلم نفسه بالاقتصار على
التقليد والإعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي إلى الحق فالمراد
بالذين آمنوا حينئذ المخلصون في الإيمان الراسخون في الإيقان كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوهم كون كلمة
التوحيد إذا كانت لا عن إيقان داخلة تحت الإقرار أنه من الشجرة الخبيثة ويفعل الله ما يشاء
من تثبيت بعض وإضلال آخرين بحسب ما توجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك
وفي إظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الإيذان
بالتفاوت فيمبدأ التثبيت والإضلال فإن مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى
غير ما هو مبدأ صدور الآخر ألم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد مما صنع الكفرة من الأباطيل
التي لا تكاد تصدر عمن له أدنى إدراك أي ألم تنظر إلى الذين بدلوا نعمة الله أي شكر نعمته بأن وضعوا
موضعه كفرا عظيما وغمطا لها أو بدلوا نفس النعمة كفرا فإنهم لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين
بها الكفر كأهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه وأسكنهم حرمه الآمن الذي يجبى إليه ثمرات كل شيء
وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا
وأسروا يوم بدر فصاروا أذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر رضي الله عنه هم الأفجران
من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين كأنهم تأولوا
من قوله عز وجل قل تمتعوا الآية وأحلوا قومهم أي أنزلوهم بإرشادهم إياهم طريقة الشرك
والضلال وعدم التعرض لحلولهم للدلالة على الإحلال عليه إذ هو فرع على الحلول لقوله تعالى يقدم قومه
يوم القيامة فأوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه جهنم عطف
بيان لها وفي الإبهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها أو من قومهم أي داخلين
فيها مقاسين لحرها أو مستأنفة لبيان كيفية الحلول ومفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم
فالمراد بالإحلال المذكور حينئذ تعريضهم للهلاك بالقتل والأسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فإن
مصيركم إلى النار أنسب بالتفسير الأول وبئس القرار على حذف المخصوص بالذم أي بئس المقر جهنم
أو بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان أن حلولهم بسببهم على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا
عطف على أحلوا وما عطف عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجيب أي جعلوا في اعتقادهم
وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار أندادا أشباها في التسمية
أو في العبادة ليضلوا الذين يشايعونهم حسبما ضلوا عن سبيله القويم الذي هو التوحيد
ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال تعالى تعيينا للترتيب مع أن مقتضي ظاهر النظم أن يذكر كفرانهم
نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الأنداد ثم إضلالهم لقومهم المؤدي إلى إحلالهم دار البوار
لتنبيه النعي وتكريره والإيذان بأن كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر وإحلال القوم دار البوار

واتخاذ الأنداد للإضلال أمر يقضي منه العجب ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما
فهم التعجب من مجموع الهنات الثلاث كما في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح وأيا ما كان
فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الأنداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وجعل
عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية قل تهديدا لأولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم
وإيذانا بأنهم لشدة إبائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال
لجفاء بان يهددوا عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشأنهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا
بمباشرتهم في التخلية والخذلان ومسارعة إلى بيان عاقبة الوخيمة ويقال لهم تمتعوا
بما أنتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الأصنام
فإن مصيركم إلى النار ليس لكم ولا قدرتكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من أحوالكم بل هي في الحقيقة
صورة لذلك وهو مثال أن تخشى ما يلوح به قوله سبحانه وتعالى أنهم داخلون الجنة ترك التعليل
للتمتع لما فيه من التهديد الشديد والوعيد الأكيد ما لا يوصف وقيل هو تصوير لحال هؤلاء
بتمسكهم بحال من أمر بالتمتع أبدا بأن يهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه بحيث لا صارف
يلويهم ولا عاطف يثنيهم هم مأمورون بذلك من قبل من لا يسع لهم مخالفته في تحقيق الأمر
كذا بها مأمورون ساعين في طلاعة من طاع فليس قوله تعالى فإن مصيركم إلى النار حينئذ تعليلا
للأمر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كأنه قيل هذه حالكم فإن دمتم عليه فإن مصيركم
إلى النار وفيه أن التهديد والوعيد ليس في الأمر قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالإضافة إليه
تنويها لهم وتنبيها على أنهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العطف بين
الأمرين للإيذان بتباين حاليهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا فالمقول ها هنا محذوف دل عليه
الجواب أي قل لهم أقيموا وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم أي يداوموا على ذلك
وفيه إيذان بكمال مطاوعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم إلى الامتثال بأوامره
وقد جوزوا أن يكون القول يقيموا وينفقوا بحذف لام الأمر عنهما وإنما حسن ذلك دون الحذف
في قوله محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من شيء تبالا لأن الدلالة قول عليه وقيل هما جوابا
أقيموا وأنفقوا أقيما مقامهما فليس بذلك سرا وعلانية منتصبان على المصدرية
من الأمر المقدر لجواب الأمر المذكور أي أنفقوا إنفاق سر وعلانية والأحب في الإنفاق
إخفاء التطوع وإعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة
البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون إليها كما هو صنيع الكفرة من قبل أن يأتي
يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدي به نفسه والمقصود نفي
عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للإيجاز مع المبالغة في نفي العقد إذ انتفاء
البيع يستلزم انتفاء الشراء على أبلغ وجه وانتفاؤه بما يتصور مع تحقق الإيجاب من قبل البائع
ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل أو يسامحه بمال فيفتدي به نفسه أو هو من قبل أن يأتي
يوم لا انتفاع فيه بما يتعاطيه من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وإنما الانتفاع والإنفاق
فيه لوجه الله سبحانه والظاهر أن من متعلقة بأنفقوا وتذكير إتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه
كما في سورة البقرة من حيث أن كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معا وصيغة
وقيعا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعتين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من أقوى الدواعي
إلى الإتيان بما يتبقى به آثره وتدوم فوائده من الإنفاق في سبيل الله عز وجل أو من حيث أن ادخار

لنال وترك انفاقهم انما يقع غالبا للتجارات والمهادات فحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا محيد
لا محالة الى وقت الموت وتخصيص التأكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة
به ولا يبعد ان يكون تأكيدا لمضمون الامر باقامة الصلاة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون
بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح
فيهما على ارادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع
او خلال الله مبتدأ خبره الذي خلق السموات وما فيهما من الاجرام العلوية والارض وما
فيها شروع في تفصيل ما يوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن
الجسام حثا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي وفي
جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام
العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة
والدلالة على قوة السلطان وانزل من السماء اي السحاب فان كل ما علاك سماء او من الفلك
فان المطر منه يبتدي الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من اسباب
سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا واياما كان فمن
ابتدائية ماء اي نوعا منه وهو المطر وتقديمه على المجرور وعلى المنصوب لما مر من الاعتناء بكونه مبدأ
لنزوله او للتشويق كما في قولك اعطاه السلطان من خزائنه مالا مع ما مر من التشويق الى
المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات المتكاثرة لان صيغة الجموع يتناول بعضها
مع بعض واما لانه اريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان رزقا
لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول للاخراج ومن للتبيين
كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من
اخرج لانه بمعنى رزق ومن للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به من كل الثمرات كما ان تنكير الماء
السماء بعض الماء فاخرج به الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج
بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان بمشيئته عز وجل وقدرته
لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب او دع
في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء
بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كما ان لله تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور
صنائع وحكما تجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ابداعها دفعة
وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول له ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم
وسخر لكم الفلك بان اقدركم على صنعها واستعمالها بما الهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر جريانا
تابعا لارادتكم بامره بمشيئته التي بها يسير كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك
ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الآلات كما يتراءى من ظاهر الحال وسخر لكم الانهار ان اريد بها
المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يومي اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة
لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما اشبه ذلك وان اريد
بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما
وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار
يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم انعاما

عليهم وابان كل واحد منها في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على رفعة مكانها
وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التعريف المتعلق بما ذكر من
الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ
وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر
عن تسخير ما تقدمه من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة
لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستدعي لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته
ما يحصل بواسطة الفلك والانهار فللتفادي عن توهم كون الكل عين خلق السموات والارض وتسخير
الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وآتاكم من كل ما سألتموه اي اعطاكم بعض
جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة لقوله سبحانه وتعالى من
كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ونيط
به انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكانكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما
سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء واتاه كل الناس وعليه قوله
عز وجل ففتحنا عليهم ابواب كل شيء وقيل الاصل فآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف
الثاني لدلالة ما ابقي على ما القي وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحل ما سألتموه النصب على
الحالية اي آتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله التي انعم بها عليكم لا تحصوها
لا تطيقوا حصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا
معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظه بها فقيل اذن لعدم بلوغ مرتبة يعتد
بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها هذا وما من فرد من افراد الناس وان كان في اقصى مراتب
الفقر والافلاس مبتلى باصناف الآفات ومبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث لو تأملته لوجدته
متقلبا في نعم لا تحصى ومنن لا تعد كانه قد اعطي كل سلعة وحاز من النعماء ما حوته حيطة
الامكان وان كنت في ريب من ذلك فقدر انه ملك من اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت
لطاعته البشر وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما في
الدنيا من اصناف الاموال من غير نزاع ولا شريك يساهمه بل قدر ان ما فيها من حجر ومدر
يواقيت غالية ونفائس درر ثم قدر انه قد وقع من فقد مشروب او مطعوم في حالة بلغت
نفسه الحلقوم فهو يشتري وهو في تلك الحال بجميع ما له من الملك والاملاك لقمة تنجيه من
بواره او شربة ترويه من ظماه او يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه ولا
نفع يعود اليه كلا بل يبذل لذلك كل ما يحويه الملك كائنا ما كان ثم تدبر في صفقته خائبة
الخسران فاذا تلك اللقمة والشربة تجريهما في الدنيا بالقيمة مع انهما يظفر بامثالهما متى شاء
من الليالي والايام او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا مدخل فيه ولا مخرج منه وادركه
الحين وقد حال فاتاه الموت من كل مكان اما يعطي ذلك كل ما بمقابلة نفس واحد بل يعطي وهو لديه
حامد في ذلك من اموال الدنيا بجملتها وطابت بها نفسه مع انه قد اتيح له آلاف آيات الليالي والايام
حال اليقظة والمنام هذا من الظاهر في الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان رمت العثور
على حقيقة الحق والوقوف على كل جلي من السر وذوق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة
بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية
الازلية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم والبوار

ومهاوي الهلاك والرشاد لكن يفيض عليه من الجناب الأقدس شئونه الأنفس في كل زمان
يمضي وكل آن يمر وينقضي بأنواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية
والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه إلا العليم الخبير وتوضيحه
أنه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وإنما ذلك من جناب المبدأ الأول عز وجل فكما
لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الأصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود
بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الطارئ لأن الاستمرار والدوام
من خصائص الوجود الواجبي وأنت خبير بأن ما يتوقف عليه وجوده من الأمور الوجودية التي هي
علله وشرائطه وإن وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الأمور العدمية
التي لها دخل في وجوده ليست كذلك إذ لا استحالة في دخولها تحت الوجود فإن ارتفاع تلك الموانع
التي لا تتناهى أعني بقاءها على العدم مع إمكان وجودها في أنفسها في آن من آنات وجوده نعم
غير متناهية تحقيقا لا احتمالا وكذا الحال في وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة
ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته التابعة لوجوده فاتضح أنه يفيض عليه كل نعم لا تتناهى نحن
في معرفتك حائرون وفي إقامة مراسيم شكرك قاصرون نسألك الهداية إلى مناهج معرفتك
والتوفيق لأداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك **إن
الإنسان لظلوم** يظلم النعمة بإغفال شكرها أو بوضعها في غير موضعها أو يظلم نفسه
بتعريضها للحرمان **كفار** شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة
يجمع ويمنع والمراد بالإنسان الجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد فيه
من أفراده وقد دخل فيه الذين بدلوا نعمة الله كفرا دخولا أوليا **وإذ قال إبراهيم**
أي اذكر وقت قوله عليه الصلاة والسلام والمقصود من تذكيره ما وقع فيه من مقالاته عليه
الصلاة والسلام على نهج التفصيل والمراد به تأكيد ما سلف من تعجيبه صلى الله عليه وسلم
ببيان فن آخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعدما كفروا بالنعم العامة وعصوا أباهم
إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث أسكنهم مكة شرفها الله تعالى لإقامة الصلاة والاجتناب عن عبادة
الأصنام والشكر لنعم الله تعالى وسأله تعالى أن يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب
الناس إليهم من كل أوب سحيق فاستجاب الله سبحانه دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء
فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله تعالى أندادا وفعلوا ما فعلوا
رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله تعالى **آمنا** أي ذا أمن وآمنا أهله بحيث لا يخاف
فيه وقد مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا أن المسؤول
هناك البلدية والأمن معا وهنا الأمن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة
للمفعول الأول فإن حمل على تعدد السؤال فلعله عليه الصلاة والسلام سأل أولا كلا الأمرين فاستجيب
له في أحدهما وتأخر الآخر إلى وقته المقدر لما يقتضيه من الحكمة الداعية ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء
والابتهال أو كان المسؤول أولا مجرد الأمن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد أجيب إليه أيضا لكن السؤال
لاستدامته والاقتصار على ذلك لأنه المقصود الأصلي أو لأن المعتاد في البلدية الاستمرار
بعد التحقق بخلاف الأمن وإن حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر
أن المسؤول كلا الأمرين وقد حكي أولا واقتصر هاهنا على حكاية سؤال الأمن لأن نعمة
الأمن أدخل في استيجاب الشكر فذكره أنسب بمقام تقريع الكفرة على إغفاله كما قيل بل لأن سؤال

البلدية قد حكي بقوله فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم إذ المسؤول هويها إليه للمساكنة
معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكي بعبارة أخرى وكان ذلك أول ما قدم عليه
الصلاة والسلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه عليه الصلاة
والسلام لما أسكن إسماعيل وهاجر هناك وعاد متوجها إلى الشام تبعته هاجر وجعلت
تقول إلى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت
إذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادي فقال ربنا إني
أسكنت الآية وإنما فصل بينهما تنبيها على استقلال كل منهما نعمة جليلة مستتبعة
لشكر كثير **واجنبني وبني** بعدني وإياهم **أن نعبد الأصنام** واجعلنا منها في
جانب بعيد أي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الإسلام والبعد عن عبادة الأصنام
وقرئ واجنبني من الإفعال وهما لغتان أهل نجد يقولون جنبني شره وأجنبني شره وأما أهل
الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بتوفيق
الله تعالى والظاهر أن المراد ببنيه الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رضي الله عنه
على أن أحدا من أولاد إسماعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبد الصنم وإنما كان لكل قوم حجر
نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال طاف
بالبيت ولا يقال دار بالبيت فليت شعري كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة
الأصنام على أن ما ذكره كر على ما فهمه **رب إنهن** أي الأصنام **أضللن كثيرا من الناس**
أي تسببن له لقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا وهو تعليل لدعائه وإنما صدره بالنداء
إظهارا للاعتناء به ورغبة في استجابته **فمن تبعني** فيما أدعو إليه من التوحيد وملة الإسلام
فإنه مني أي بعضي قاله عليه الصلاة والسلام مبالغة في بيان اختصاصه به أو متصل بي لا ينفك
عني في أمر الدين **ومن عصاني** أي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للإيذان
بأنه عليه الصلاة والسلام مستمر على الدعوة وأن عدم اتباع من لم يتبعه إنما هو لعصيانه
لا لأنه لم يبلغه الدعوة **فإنك غفور رحيم** قادر على أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد توفيقه
وفيه أن كل ذنب فلله تعالى أن يغفره حتى الشرك خلا أن الوعيد قضى بالفرق بينه وبين غيره **ربنا** أتى
عليه الصلاة والسلام بضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه وإلا لراعاه في قوله رب اجعل
الخ بل لأن الدعاء المصدر به وما أورده بصدد تمهيد مبادي إجابته من قوله **إني أسكنت**
الآية متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم أدخل في القبول وإجابة المسؤول **من
ذريتي** أي بعضهم أو ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وما
سيولد له فإن إسكانه حيث كان على وجه الاطمئنان يتضمن إسكانهم روي أن هاجر أم إسماعيل
كانت لسارة فوهبتها من إبراهيم عليه الصلاة والسلام فلما ولدت له إسماعيل غارت عليهما فناشدته
أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة فأظهر الله تعالى عين زمزم **بواد غير ذي زرع**
لا يكون فيه زرع أصلا وهو وادي مكة شرفها الله تعالى **عند بيتك المحرم** ظرف لأسكنت
كقولك صليت بمكة عند الركن لا أنه صفة لواد أو بدل منه إذ المقصود إظهار كون ذلك الإسكان
مع فقدان مباديه بالمرة لمحض التقرب إلى الله تعالى والالتجاء إلى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض
له والتهاون به أو لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة في كل عصر أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه
ولذلك سمي عتيقا وتسميته إذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وإنما كان نشزا مثل الرابية تأتيه السيول

فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال لحيث باعتبار ما يؤول إليه الأمر من بناء نبينا عليه الصلاة
والسلام فإنه يرجع إلى اعتبار عنوان الحرمة أيضا إذ ذاك بل إنما هي باعتبار ما كان من قبل فإن
تقدس بقاع الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وإنما الاختلاف في أنه بتحريمه وقد ذكرناها في سورة
البقرة بفضل الله سبحانه **ربنا ليقيموا الصلاة** متوجهين إلى البيت المتبرك به وهو متعلق
بأسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لإظهار
كمال العناية بإقامة الصلاة والاهتمام بعرض أن الغرض من إسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك
المقصد الأقصى والمطلب الأسنى وكل ذلك لتمهيد مبادي إجابة دعائه وسوله وإعطاء مسؤوله الذي
لا يتسنى ذلك المرام إلا به ولذلك أدخل عليه الفاء فقال **فاجعل أفئدة من الناس** أي أفئدة من أفئدة
ولذلك قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم وإنما زيد عليه من قولهم لحجت
اليهود والنصارى وغير مناسب للمقام إذ المشي لتحية القلوب إليهم الساكنة منهم لا لأجل حجها
إلى البيت الحرام ولا لقبيلة تهوي إليهم فإنه تعيين الدعاء بالبلدية فتحكي بعبارة أخرى كما مر أولا
والابتداء الغاية كقوله القلب مني سقيم أي أفئدة ناس وقرئ أفئدة على القلب كأدؤر في أدور
وعلى أنه اسم فاعل من أفدت الرحلة أي عجلت أي جماعة من الناس وأفدة بطرح الهمزة من الأفئدة
وعلى النعت من أفد **تهوي إليهم** أي تسرع إليهم شوقا ووداد وقرئ على البناء للمفعول من
أهوى المعروفة وهي من باب يعلم أي تميل وتعديته بإلى لتضمنه معنى الشوق والنزوع ومن آثار
هذه الدعوة ما روي أنه مرت رفقة من جرهم يريدون الشام فرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا
إن هذا الطائر لحائم على الماء فأشرفوا فإذا هم بهاجر فقالوا لها إن شئت كنا معك وآنسناك
فلما أذنت لهم وكانوا معها إلى أن شب إسماعيل عليه الصلاة والسلام وماتت هاجر فتزوج
إسماعيل منهم كما هو المشهور **وارزقهم** أي ذريتي الذين أسكنتهم هناك أو مع من ينحاز إليهم من
الناس وإنما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم
الآخر اكتفاء بذكر إقامة الصلاة **من الثمرات** من أنواعها بأن تجعل بقرب منه قرى يحصل منها
ذلك أو يجبى إليه من الأقطار النائية وقد حصل كلاهما حتى إنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية
والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الطائف كانت في أرض
فلسطين فلما دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها حيث
وضعها للحرم وعن الزهري أنه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عليه
الصلاة والسلام **لعلهم يشكرون** تلك النعمة بإقامة الصلاة وأداء سائر مراسم العبودية
وقيل اللام في ليقيموا لام الأمر والمراد أمرهم بإقامة الصلاة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا
يناسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه عليه الصلاة والسلام من مراعاة
حسن الأدب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة
ما لا يخفى فإنه عليه الصلاة والسلام بذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم إلى المسؤول
وبذكر إسكانهم عند البيت المحرم أشار إلى التجائهم إلى الكريم ليستوجب إفاضة النعيم وهو من كون
ذلك الإسكان مع كمال إعواز المرافق للمعاش لمحض إقامة الصلاة وأداء حقوق البيت مهد جميع
مبادي إجابة السؤل ولذلك قرنت دعوته عليه الصلاة والسلام بحسن القبول **ربنا إنك
تعلم ما نخفي وما نعلن** من الحاجات وغيرها قال أي ما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق
به الإخفاء أو لا أي تعلم ما نظهره فإن علمه تعالى متعلق بما لا يخطر ببال أحد فيما فيه من الأحوال

الخفية

الخفية فضلا عن خفاياه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما
على أبلغ وجه فكأن تعلقه بما يخفى أقدم منه بما نعلن أو لأن مرتبة السر والخفاء متقدمة
على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو قبل ذلك يخفى فتعلق علمه سبحانه بحالته الأولى
أقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصده عليه الصلاة والسلام إظهار هذه الحاجات
وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة له تعالى بل إنما هو لإظهار العبودية والتخشع
لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار إلى ما عندك والاستعجال لنيل أياديك وتكرير
النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لأن المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره
وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض **وما
يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء** لما أنه عالم بالذات فما من أمر يدخل تحت الوجود كائنا
ما كان في زمان من الأزمان إلا وجوده في ذاته علم بالنسبة إليه سبحانه وإنما قال وما يخفى على
الله الخ دون أن يقول ويعلم ما في السموات والأرض تحقيقا لما عناه بقوله تعالى تعلم ما نخفي من أن علمه
تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة إلى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة
إلى علوم المخلوقات وكلمة من متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء أي من شيء كائن فيهما على أن
يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما أو على وجه الجزئية منهما أو بيخفى وتقديم الأرض على
السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد المستدعيين للتفاوت بالنسبة إلى علومنا
والالتفات من الخطاب إلى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والإشعار بعلة الحكم على
نهج قوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والإيذان بعمومه لأنه ليس بشأن يختص به
أو بمن يتعلق به بل شامل لجميع الأشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدئية الكل وقيل
هو من كلامه عز وجل واردا بطريق الاعتراض لتصديقه عليه الصلاة والسلام كقوله سبحانه
وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر** أي مع كبري
ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة وإظهارا لشكرها **إسماعيل وإسحاق**
روي أنه ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحاق وهو ابن مائة
واثنتي عشرة سنة أو مائة وسبع عشرة سنة **إن ربي** ومالك أمري **لسميع الدعاء** لمجيبه
من قولهم سمع الملك كلامه إذا اعتد به وهي من أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل أضيف إلى مفعوله
أو إلى فاعله بإسناد السماع إلى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر وصف
له تعالى بأن ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه إيذان
بتضاعيف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة
بقبول الدعوة ولتوحيد ضمير المتكلم وإن كانت عقيب ذكر هبتهما لما أن نعمة الهبة فائضة عليه
خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم **رب اجعلني مقيم الصلاة** مثابرا عليها معدلا
لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته أيضا حيث قال **ومن ذريتي** أي بعضهم
من المذكورين وجنس ليس بين بينهما من أولادهما للإشعار بأنه المقتدى في ذلك وذريته أتباع
له فإن ذكرهم بطريق الانسحاب إلا كما في قوله ربنا إني أسكنت الخ فإن الإسكان مع تحققه
بالنسبة إلى الكل لم يستعمل أسكنت لهم ومن ذكر بطريق التمهيد للدعاء الذي هو المخصوص بذريته وإنما خص
هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى أن بعضا منهم لا يكون مقيم الصلاة كقوله سبحانه
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك **ربنا وتقبل دعائي** أي دعائي

هذا الشقاق يجعل بعض ذريتي مقيمي الصلاة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جيء بصيغة الجماعة **ربنا اغفر لي** اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر **ولوالدي** وقرئ بالتوحيد ولأبوي وهذا الاستغفار منه عليه الصلاة والسلام انما كان قبل تبين الامر له عليه الصلاة والسلام وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى الا قول ابراهيم الآية وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسيأتي تمامه في سورة مريم ان شاء الله تعالى **وللمؤمنين** كافة من ذريته وغيرهم وللايذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بصيغة الجماعة **يوم يقوم الحساب** اي يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق او المراد يقوم اهله وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية واعلم بان ما حكي عنه عليه الصلاة والسلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي منتظما للدلالة على سوء حال الكفرة بعد نظمهم في سلك واحد وان شأن الانبياء التضرع الى الله تعالى في مصالحهم الدينية والدنيوية **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته عليه الصلاة والسلام على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله تعالى ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهي عليه الصلاة والسلام عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان لكان لغفلة عنه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد اكيد وتهديد للكفرة وسائر الظالمين شديد وقيل لكل احد ممن يستعجل عذابه او يتوهم اهماله لجهله بصفاته تعالى والاغترار بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة من عدّ مساويهم من تبديل نعمة الله تعالى كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التأخير للنهي عنه قوله فلتعم الآية اصناف الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا **انما يؤخرهم** يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتأخير ما يستوجبونه من العذاب الاليم فان تأخيره للتشديد والتغليظ او لا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها انما ذلك لاجل هذا او لا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم على ما عملوا لما ترى من التأخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وفيه التفات لتأكيد الوعيد عليهم من ان المجرى اعلى بهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لا انهم باقون باختيارهم فلا لا انهم في نجاة من العذاب ولا يتصلون بالموت وان لا يبقى في الوجود منهم عين ولا اثر وللايذان بان التأخير من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم لما فهم ذلك **ليوم** هائل **تشخص فيه الابصار** ترتفع ابصار اهل الموقف فيدخل في ذلك ابصارهم الكفرة المعهودة دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرون ولا اعتبار بعدم قرارها في اماكنها انما باعتبار الانتفاع الحسي في حجم العين واما تخصيص الصفة بهم من كلا الحالين بقيام عباد في انتفاع **مهطعين** مسرعين الى الداعي مقبلين عليه

بالخوف

بالخوف والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم على المرئي لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر ههنا من اسباب النظر الى الداعي قيل **مقنعي رؤسهم** اي رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شيء قاله القتبي وابن عرفة فتارة يكسبها وتارة يقنع راسه اي طأطأها ونكسها فهو من الاضداد فهي حال الان بما دل عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال مما حل منه من الضمير في الاول والاضافة غير حقيقية فلا تخصيص في الحالية **لا يرتد اليهم طرفهم** لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف او لا يرجع اليهم اجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازا او هو نفس الجفن قال الفيروزآبادي الطرف العين لا يجمع لانه مصدر او اسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى شيء آخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال او بدل من مقنعي الخ او استئناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص الابصار وتأخيره عما هو من تتمته من الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى **وافئدتهم هواء** خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهشة كأنها نفس الهواء الخالي عن شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء اي لا قوة ولا رأي فيه وباعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مقيدة لكون شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا اختيارهم ولا اختيارا وجملة مستقلة **وانذر الناس** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه ان تأخيرهم لماذا وامر له بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم **يوم يأتيهم العذاب** المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة لعني يوم القيامة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه القصر للسابق **فيقول الذين ظلموا** اي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثار صيغة الفاعل حسبما ذكر اولا للايذان بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى التقدير يكون المراد بالناس من يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب كالمكذبين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل **ربنا اخرنا** ردنا الى الدنيا وامهلنا **الى اجل قريب** اي الى امد وحد من الزمان قريب **نجب دعوتك** اي الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله **ونتبع الرسل** فيما جاءونا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول صلى الله عليه وسلم عصيانا لهم جميعا عليهم الصلاة والسلام واما باعتبار المحكي كلاما لهم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع **اولم تكونوا اقسمتم من قبل** اي في الدنيا بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها **ما لكم من زوال** مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية او بالسنة الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا

ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان الانذار وتحديد
مدته اوما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف
بالله ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي
رحمه الله تعالى انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربعة منها فاذا كانت الخامسة
لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج
من سبيل فيجيبهم الله ذلك بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم
يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء
يومكم هذا الاية ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اخسئوا
فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا اذ هو اخر دعائهم وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم
ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا نعوذ بك عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك
وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والاوطان وانما استعمل بكلمة في حيث قيل في مساكن الذين ظلموا انفسهم
جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذي حقه التعدية بها او من السكون اي قررتم في
مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بما لقي الاولون
بسبب ما اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة
الظلم آيلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم الهالكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب
السابق بالمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما للكل ومن الخطاب وما يليه باعتبار حال
اواخرهم وتبين لكم بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا
من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قال بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت
عليه الجملة اي فعلنا العجيب بهم وفيه من المبالغة ما ليس في ان يقال ما فعلنا بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه
وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب
بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم الصلوة والسلام على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما
فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم
على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل المضروبة لكل ظالم فتردعوا عما كنتم فيه من
الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث في موقع الحال من ضمير اقسمتم
اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية
الحال بضرب الامثال وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الاول في فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا
وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد
مكروا في ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر
عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او وقد مكروا مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء
ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى وعند الله
مكرهم اي جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف الى الفاعل او اخذه تعالى بهم على انه مضاف الى مفعوله وتسميته
مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا او لكونه في صورة المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد
ما ارشد الى افادته قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا انه وعيد مستانف والجملة حال من الضمير في مكروا مكرهم
وعند الله جزاؤه وما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه وان

كان في

كان في العظمة مكرهم لتزول منه الجبال اي وان كان مكرهم لتزول منه الجبال اي وان كان مكرهم في
غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعدا لازالة الجبال اي معدا لها كونه مثلا في ذلك
الجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذي يحيق بهم ان
لم يكن لتزول منه الجبال وان كان لتزول منه الجبال وقد حذف في الجملة الاولى لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة
فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان
الوصلية من التاكيد المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله وعند الله مكرهم وقيل ان نافية
واللام لتاكيدها كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وينصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم والجملة
حينئذ حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول
منه الجبال على انها عبارة عن ايات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم الصلوة
والسلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر الرسول صلى الله عليه وسلم
وامر القرآن العظيم كما قيل فاحتمال الاراده المكرر ومن هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين او اخص
الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما
ذكر من الايات والشرائع ما نصاب مباشرة المكر لازالت وقد قرأ الكسائي بفتح اللام على انها الفارقة والمعنى
تعظيم مكرهم والمكر بهم والحال ان مكرهم من خبث تزول منه الجبال اي في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب
على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم ويساق اليه الطبع السليم
وقد قيل ان الضمير في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افشاه قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او
يقتلوك او يخرجوك الاية وغيره من انواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه ان يكون حينئذ
قوله تعالى وقد مكروا الخ حكاية الامر القول المقدر اي فيقال لهم ما يقال والحال انهم ما فعلوا من الافتتان المذكورة
مع ما بينا فيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم ولم يرتدعوا
عنه بمجرد الانذار الذي ونحوا بسبل الخلود واعرضوا عن هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير
مكروا والجبال عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم اي وقد مكروا والحال ان مكرهم ما كان لتزول
منه هاتيك الشرائع والايات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من الثقيلة
واللام مكسورة تكون تخالامنه ايضا على ان ذلك المكر العظيم كان منهم لهذا الغرض على معنى انه
لم يكن اذ يصح ان يكون مكر كذلك لما ان شان الشرائع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح
اللام هو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فلا تحسبن الله
مخلف وعده رسله لم يرد والله سبحانه وتعالى اعلم ما وعده بقوله تعالى انا لننصر
رسلنا الاية وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي كما قيل فان ذلك لاختصاصه بالتعذيب
لاسيما الاخروي على ما سلف انفا من وعد تعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم
الاية كما لا يقتضيه عند الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته عليه الصلوة والسلام
على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى واليقين بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم
يوم اتيان المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيان رسلهم بعد ما وعدهم
بذلك ولا فصلت قصة كل منهم في القرآن العظيم فكانه قيل واذ وعدناك بعذاب الظالمين
ولحق ما انبا بلغوه من الشدائد وما يتسالون به الى الدنيا وعاكسناهم به ورفعناهم بعد
تاملهم في تلك الحال فنسيهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلاكهم
فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا ان الله عزيز غالب لا

بما كان وقادر لا يدافع ذو انتقام لأوليائه من أعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور
وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكر من تعذيبهم خاصة لم يذيل بأن يقال إن الله
لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما أشير
إليه بالفعل وعبر عنه بالمكر يوم تبدل الأرض غير الأرض ظرف لمضمر مستأنف ينبئ
عليه النهي المذكور أي ينجز يوم الخ أو معطوف تذكر كل أمة يعتون بتخصيص والتقييد به مع
عموم انتقامه لذلك وقت كلها لان الافتضاح تماما هو المقصود به من تعذيب الكفرة المؤخر إلى ذلك اليوم
بموجب الحكمة الداعية إليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب وفيه ما ذكر وبإضمار لا يخلف وعده
يوم تبدل الأرض ونحوه نصبا ما في الوجه الثالث من الحاجة إلى الاعتداد ولا يجوز أن ينتصب
بقوله مخلف وعده لأن ما قبل إن لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير ممتنع لأن قوله تعالى إن الله عزيز
ذو انتقام جملة اعتراضية فلا تمنع من تعلق ما بعدها بما قبلها فاعلم أن التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت
الدراهم بالدنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت
الحلقة خاتما إذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الأقوال
والآية الكريمة ليست بنص في أحد الوجهين فعن علي كرم الله وجهه تبدل الأرض من فضة والسموات
من ذهب وعن ابن مسعود تبدل الأرض بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل
عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها وأنشد
وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعهد وتبدل السموات بانتثار كواكبها
وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله عنه
أنه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتمد مد الأديم العكاظي لا ترى فيها
عوجا ولا أمتا والسموات أي وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم
تبديل الأرض لقربها منا ولكون تبديلها أعظم أثرا بالنسبة إلينا وبرزوا أي الخلائق أو الظالمون
المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من أجداثهم التي في بطون الأرض وظهورهم بأعمالهم
التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون أنها لا تظهر أو يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل إسناد البروز إليهم مع أنه
لأعمالهم للتنبيه على تشكلهم بأشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول إلى صيغة الماضي
للدلالة على تحقق وقوعه أو حال من الأرض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو لله الواحد
القهار للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة وإظهار بطلان الشرك
وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب أي إذا كان الأمر لواحد
غلاب فلا يضاد ولا يغالب كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة وترى المجرمين
عطف على برزوا والعدول إلى صيغة المضارع لاستحضار الصورة أو للدلالة على الاستمرار
وأما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وهو على تقدير كونه بمجرد يومئذ يوم إذ برزوا لله عز وجل
أو يوم إذ تبدل الأرض ويوم يخرج وعند مقرنين قرن بعضهم مع بعض حسب قرانهم في الجرائم
والجرائر أو قرنوا مع الشياطين الذين أغووهم أو قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزائغة
والملكات الردية والأعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة
والأشكال الهائلة أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم وهو حال من المجرمين في الأصفاد في
القيود والأغلال وهو إما متعلق بقوله تعالى مقرنين أو حال من ضميره أو صفة مقرنين سرابيلهم
أي قمصانهم من قطران جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين أو من

ضميرهم في مقرنين لكونها الضمير فقط كما في كلمته فوه إلى في أو مستأنفة والقطران ما يتحلب
من الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته
إلى الجوف وهو أسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه
لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الألوان الأربعة من العذاب لذع القطران وحرقته وإسراع النار في جلودهم
واللون الوحش ونتن الريح على أن التفاوت بينه وبين ما نشاهد وبين النارين ما لا يقادر قدره
فكأن ما نشاهد منهما أسماء مسماها في الآخرة فبكرمه العظيم نعوذ وبكنفه إلى الله نلوذ
ويحتمل أن يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب إليها
الآلام والغموم بل لا يبعد أن يكون القطران المذكور بعينه ما لابسوه في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم
من العقائد الباطلة والأعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت في النشأة
الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله تعالى عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ
من قطر آن أي نحاس مذاب متناه حره وتغشى وجوههم النار أي تعلوها وتحيط بها النار
التي تمس جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر أعضائهم لكونها
أعز الأعضاء الظاهرة وأشرفها كقوله تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ولكونها مجمع المشاعر
والحواس التي خلقت لإدراك الحق وقد أعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كالفؤاد أشرف الأعضاء الباطنة
ومحل المعرفة وقد ملؤوها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الأفئدة ولخلوها عن القطران المغني عن ذلك
غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب أحيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي
على رؤوس الأشهاد وقرئ تغشى أي تتغشى بحذف إحدى التاءين والجملة نصب على الحالية لا على
أن الواو حالية لامتناع دخولها على المضارع المثبت بل على أنها معطوفة على الحال قاله أبو البقاء ليجزي الله متعلق بمضمر
أي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت من أنواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه
إيذان بأن جزاءهم مناسب لأعمالهم أو بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى
المجرمين إلى آخره اعتراض بين المتعلق والمتعلق به أي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة أو عاصية ما كسبت
من خير أو شر وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة
إن الله سريع الحساب إذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في أعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه
أو سريع المجيء يأتي عن قريب أو سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب
هذا أي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا إلى قوله سريع الحساب بلاغ كفاية في العظة والتذكير
من غير حاجة إلى ما انطوت عليه السورة الكريمة أو كل القرآن العظيم من فنون العظات والقوارع للناس للكفار
خاصة على تقدير اختصاص الإنذار بهم في قوله تعالى وأنذر الناس أو لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم
أيضا وإن كان ما شرح مختصا بالظالمين ولينذروا به عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ أي كفاية
لهم في أن ينصحوا ولينذروا به وهذا بلاغ لهم لينصحوا ولينذروا على أن البلاغ بمعنى الإبلاغ كما في قوله تعالى
ما على الرسول إلا البلاغ أو متعلقة بمحذوف أي ولينذروا به أنزل أو تلي وقرئ ولينذروا به بفتح الياء من
نذر بالشيء إذا علم به فاحذره واستعد له وليعلموا بالتأمل فيما فيه من الآيات الواضحة التي هي إهلاك
الأمم وإسكان آخرين مساكنهم وغيرها مما سبق ولحق أنما هو إله واحد لا شريك له وتقديم الإنذار
لأنه الداعي إلى التأمل المؤدي إلى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى وليذكر أولو الألباب
أي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده
فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والأعمال

الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا
ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشانهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سيق للمؤمنين ايضا فان فيما
يفيدهم فوائد جليلة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة
الى الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى اولي الالباب اثباتا على ما هم عليه اشير اليه عبر عن الاول
بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى ختم الله لنا بالسعادة
والحسنى ووفقنا للفوز برضاته في الاولى والعقبى امين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد

[illegible]

الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد فحواتها تلك
اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشان آيات الكتاب الكامل المعهود الغني عن الوصف به
المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل
باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل اذ ذاك او هو المتسارع الى الفهم حينئذ
عند الاطلاق وعليه ففائدة وصف الآيات بنعت ما اضيفت اليه من نعوت الكمال الاعلى ويحتمل
عبارة عن السورة او هي في الاتصاف بذلك الكتاب بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغني عن التصريح
بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من حمل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من
التكليف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد وقرآن اي قرآن عظيم الشان مبين مظهر لما في
تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام
ولقد فخم شانه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقين احدهما
اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكأنه كلها والثاني على طريقة كونه ممتازا عن غيره
نسيج وحده بديعا في بابه خارجا عن طريقة البيان وأخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة
الى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح كيلا
يتوهم من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتماله على نعوت كمال
سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما ذكر
هناك فلما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن الجامعين للكمالات المخاطبين لحسن
تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تضمنته فقيل ربما بضم الراء وتخفيف
الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وبفتح الراء مخففا ومشددا ورب حرف جر لا تدخل الا على
الاسم وما كافة مصححة لدخولها على الفعل وحقها ان تدخل على الماضي وقد دخلت على قوله تعالى
يود الذين كفروا لما ان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكأنه قيل ربما
ود الذين كفروا وفي الحكم هو بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله لو كانوا مسلمين منقادين
لحكمه مذعنين لامره وفيه ايذان بان كفرهم انما كان بالجحود بعد العلم بكونه من عند الله تعالى
وتلك الودادة يوم القيامة او عند معاينة حالهم وحال المسلمين او عند رؤيتهم خروج عصاة
المسلمين من النار روى ابو موسى الاشعري انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة
واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما
اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فقالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله سبحانه
بفضل رحمته فيامر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا

مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى
يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة
ودادتهم وأما نفس الودادة فليست مختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن
يمر عليهم والمراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن
العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان
فيقول رب فارس عندي ولا تقصد عندي فارسا وعنده مقانب جمة من الكتائب وقصده
في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل
لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه طريقة انما تسلك اذا كان الامر من
الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه هضما للحق وقيل النظم الكريم على عادة
الكافرين للاسلام في كل آن من آنات اليوم الآخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد
ولو جيء بكلام يدل على خلافه وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما تستقل بالنسبة
الى جناب الكبرياء وهذا هو اللائق في مقام بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه
من الكفر والتكذيب بما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية اذ هو بالى الاشعار بان من شأن
العاقل اذا عن له امر يكون مظنة للحمد عليه ما يكون لذلك بان لا يفارقه ولا يفارق ضده
فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل
فان المقصود ليس بيان كون الندم متيقن الوجود بل انه يتيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان
العاقل لا يباشر ما فيه الندم او يقلل وقوعه فيه بل يكتنف بقطعي الوقوع وانه يكفي قليل الندم
في كونه مانعا عن ذلك فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة ها هنا التوغل في الاستغناء
عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب
عليهم ان لا يفارقوه في كل آن وهذا اوفق بما سيق له من الاعراض عما هم عليه من التذكر والنصيحة اذ لا سبيل
الى ارعوائهم عن ذلك والمبالغة في تخليتهم وشأنهم بل امرهم بتعاطيه ذرهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم
وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالمآكل والمشارب والمراد دوامهم على
لا احداثه فانهم كانوا كذلك او تمتعهم لكونه استمتاعا بما ينقص عيشهم من تلك الفوارغ والزواجر
فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح ان يكون مرتبا على تخليتهم وشأنهم ويلههم
ويشغلهم عن اتباعك او عن التفكر فيما يصيرون اليه او من الايمان والطاعة او الاكل والتمتع
بقضاء الحاجات الامل فالتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في
العاقبة والمآل الا خيرا فالافعال الثلاثة مجزومة على الجوابية حسبما عرفت من تضمن الامر
بالترك المأمور بها على طريقة المجاز على التبكيت المراد بالافعال المرتبة عليه مباشرتهم لها غافلين
عن وخامة عاقبتها لا غرسها مع انهم لسوء صنيعهم بها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك
فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم عيشهم وينغص عليهم عيشهم فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بتركهم ليتمرغوا فيما هم فيه من حظوظهم فيلههم ما يرديهم وهم
عنا غافلون فسوف يعلمون سوء صنيعهم وخامة عاقبته او حقيقة الحال التي
الجأتهم الى التمني المذكور حيث لم يتعلق ذلك من جهلهم وهو مع كونه وعيدا ابلغ وعيد وتهديد
غب تهديد تعليل للامر بالترك فان علمهم بذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام
للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالضد الا بعد تكرر الانذار ونفي الجحود والانكار

وكذلك الثمار تنقلب من الكحل والفتح والاطعام. **وما اهلكنا** شروع في بيان سر تأخير عذابهم
الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي ما اهلكنا **من قرية**
من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل ببعضها او باخلائها من اهلها غب اهلاكهم كما فعل
باخرين **الا ولها** في ذلك الشان **كتاب** اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن
تبديله لوقوعه بحسب الحكمة المقتضية له **معلوم** لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف
عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما
بعد تأكده بكلمة من في حكم الموصوفة كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من
الاحوال الا حال ان يكون لها كتاب اي اجل موقت مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن
لا للقرية المذكورة بل المقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة
للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من
ضريع لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار
طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام
من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما
توسيط الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شانها
الجمع والربط فان ما لحق به من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها بدونه ... في قوله تعالى وما اهلكنا
من قرية الا لها منذرون فان انفكاك الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي
جرى عليه السنة الالهية. ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم
وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب
لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل **ما تسبق من امة** من الامم المهلكة وغيرهم **اجلها**
المكتوب في كتابها اي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي امة قبل مضي اجلها فان السبق
اذا كان واقعا على زماني فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه جاوزه
وخلفه وراءه واذا كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه
الحركة والتوجه الى المتكلم فما سبقه يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة
والتوجه الى ما سيأتي من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد فايراده بعنوان الاجل باعتبار ما تعلق
به من الاهلاك **وما يستأخرون** اي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار
بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ذكر نفي الاهلاك بصيغة
الماضي لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادهما
الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستيخار حال الامة دون القرية
مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت عقوباتهم الى الاخرة. وتأخير ذكر
عدم تأخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار
تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد
الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار
والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان تأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه بيان
وقد اذيتهم للتسليم اذ ذلك فلا بد من تركهم وشانهم حتى يجيء تحقيقه الحال انما هو لتأخير
اجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج الى يوم

القيمة **وقالوا** شروع في بيان كفرهم بالكتاب وبما انزل اليه حالهم والقائلون مشركو مكة
لما يتمادون في العتو والغي **يا ايها الذي نزل عليه الذكر** خاطبوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به صلى الله عليه وسلم واشعارا بعلة
حكمهم الباطل في قولهم **انك لمجنون** كذا قال فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى والشهادة
ما يقتنى بك عند ما تدعي انه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل
لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل
من الله تعالى كما في قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك
متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وايراد الفعل على صيغة المجهول
لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى اسناده الى الفاعل
لو ما تأتينا كلمة لو عند ما تركبها مع ما يفيد عند تركبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره
ومعنى التحضيض خلا انه عند افادته لا يليها الا فعل ظاهر او مضمر وعند ارادة المعنى
الاول لا يليها الا اسم ظاهر او مقدر عند البصريين والمراد هاهنا هو الثاني اي هلا
تأتينا **بالملائكة** يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الانذار كقوله تعالى لولا انزل اليه
ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبوننا على التكذيب كما اتت الامم المكذبة لرسلهم **ان كنت من الصادقين**
في دعواك فان قدرة الله على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا
نصدقك بدون ذلك او ان كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم المكذبة لهم
ما ننزل الملائكة بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال
وقرئ تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزل بحذف احدى
التائين وماضيا منه ومن التنزيل من التلقي وهو كلام مسوق الى النبي صلى الله عليه وسلم
جوابا لهم عن مقالتهم المحكية ورد الاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك الجواب قدم
رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله انا نحن نزلنا الذكر الاية كما فعل في قوله تعالى قال انما
يأتيكم به الله فانه متصل جوابا عن قولهم فاتنا بما تعدنا فقدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الاية مع
كونه جوابا عن اول كلامهم الذي يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضائه الجواب وليكون احد
الجوابين متصلا بالسؤال الذي في العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر
كلامهم بصدد الاقتراح وهو ان ما تأتيهم به العذاب باتهم قد اخطاوا في التعبير حسبما اخطأوا
في الاقتراح وان الملائكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان الشامل للانتقال
من احد الامكنة المتساوية الى الاخر منها بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصد حركاتهم امثال
الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق بشانهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك
بطريق التنزيل من الرب الجليل **الا بالحق** اي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به
مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الالهية لقوله سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم وقهرهم وشغلتهم في الحقارة والهوان
منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد
يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام وانما الذي
يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستيصال كما فعل باضرابهم من الامم

السالفة ولو فعل بهم ذلك لاستؤصلوا بالمرة **وما كانوا اذا منظرين** جواب الشرط بتقدير وفيه
ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا وقال
صاحب النظم لفظة اذا مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتني اي حين جئتني
ثم ضم اليها ان فصار اذ ان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجيء لفظة اذا دليل على اضمار فعل بعدها
والتقدير وما كانوا اذ ان كان ما طلبوه منظرين فالمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الامم
المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم الى يوم القيمة
حسبما تعلق به قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الخ وحال الحايل الحكمة بينهم وبين
استيصالهم لتعلق العلم والارادة بازدياد عذابهم وبايمان بعض ذرياتهم واما نظم بعض لغاة
بعضهم في سمط الحكمة فيأباه بيان مقام تماديهم في الكفر والفساد ومحاجتهم في المكابرة والعناد
هذا هو الذي يستدعيه ايجاد التنزيل الجليل واما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل
للحكمة من انهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار فلا حاجة الى انا منكم لصبر نشاهد وفيه انه
لا يزيد يكون الكتاب اذ ان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة بالظهور وقد علم الله تعالى
من حالهم انه لو نزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا
باطلا ولا يكون فيها ما يخل لكل من ذلك بقطعية الباقي لا يلزم من وقوع شيء من ذلك
العذاب الذي بعينه وقوله تعالى وما كانوا اذا منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لاتيان الملائكة
لاجل الشهادة اما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل الملائكة للتعذيب الا
تنزيلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة حتما لا محيد عنه ولو
نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم
الى يوم القيمة رفقا بهم بل لتشديد العذاب عليهم كما هو مقتضى حيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى
عدم موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه
النظم الكريم كأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين بعد التعذيب مع ان الحكمة توجب تأخير عذابهم
لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر **انا نحن نزلنا الذكر** رد لانكارهم
التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية له اي نحن بعظيم شأننا وعلو
جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا منزله
حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له **وانا له لحافظون** من كل ما
لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين به واما
الحفظ من مجرد التحريف والزيادة والنقص واشباهها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع
ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل
من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سبك الجملتين من
الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية
دلالة على دوام الحفظ والله اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله
يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام ولكنه لتحقيق ما عادوا به من الباطل ردا لما ذكر انفا
او لارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى **ولقد ارسلنا** اي رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده
عليه **من قبلك** متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة من قبلك
في شيع الاولين اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب

شايعه اذا

شايعه اذا اتبعه واضافته الى الاولين من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف
عند البصريين اي شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة
منهم ليتابعوه في كل ما يأتي ويذر من امور الدين **وما يأتيهم من رسول** المراد نفي اتيان كل رسول
بشريعته الخاصة به لا نفي اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل
وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في
الاغلب على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال اي ما اتى شيعة
من تلك الشيع رسول خاص بها **الا كانوا به يستهزؤن** كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة في
محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه
او في محل الرفع على انها صفة لرسول فان محله الرفع على الفاعلية اي الا رسول كانوا به
يستهزؤن واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من الاستغراقية
في الاثبات ويجوز ان يكون منصوبا على الوصفية بان تقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء
وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان هذه
عادة الجهال مع الانبياء عليهم الصلوة والسلام وحيث كان الرسول مصحوبا بالكتاب من عند
الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالكتاب ولذلك قيل اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء
الوحي مقرونا بالاستهزاء اي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وبما
جاؤا به من الكتب **نسلكه** اي الذكر **في قلوب المجرمين** اي اهل مكة او جنس المجرمين
فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اي نسلكه
سلكا مثل ذلك السلك او نسلك السلك حال كونه مثله اي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول
لما تقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع
لكون المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الامم السالفة او للدلالة على استحضار
الصورة ادخال الشيء في الشيء كادخال الخيط في الابرة والرمح في المطعون **لا يؤمنون به** اي بالذكر
حال من ضمير نسلكه اي غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء
فتعين السابقية لان يجعل الضماير المجرور ايضا له على ان ليس به المحتملة اي نسلك الاستهزاء
في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين به بشبهة الحال اما مقدرة او مقارنة للحدثان بان كفرهم
مقارن للكفر به كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به **وقد خلت سنة الاولين** اي
قد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء
وهو استئناف جيء به تكملة للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد **ولو فتحنا عليهم** اي على هؤلاء
المقترحين المعاندين **بابا من السماء** اي بابا ما لا بابا من ابوابها المعهودة كما قيل ويسر لهم
الرقي والصعود اليه **فظلوا فيه يعرجون** بآلة او بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عيانا كما
يفيده الظلول او فظل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونهم عيانا
مستوضحين طول نهارهم **لقالوا** لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق
انما سكرت ابصارنا اي سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت
كما يعضده قراءة من قرأ سكرت اي حارت **بل نحن قوم مسحورون** قد سحرنا محمد صلى الله عليه
وسلم كما قالوه عند ظهور ساير الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك
وانما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على

ظ بودم

دوام مضمونها وإيرادها بعد تشكيك الأبصار لبيان إنكارهم لغاية ما يرونه فإن عروج كل
منهم إلى السماء وإن كان مرئيا للغير فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الإبصار
فهم يدعون أن ذلك نوع آخر من السحر غير تشكيك الأبصار ولقد جعلنا في السماء بروجا قصورا
ينزلها السيارات وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه
الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء وجعل إن جعل بمعنى الخلق والإبداع
وهو الظاهر كان متعلق به وإن جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف أي جعلنا
بروجا كائنة في السماء وزيناها أي السماء بتلك البروج المختلفة الأشكال والكواكب سيارات
كانت أو ثوابت للناظرين إليها فمعنى النظر الظاهر أو للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على
قدرة مقدرها وحكمة مدبرها ثم بينها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة وحفظناها
من كل شيطان رجيم مرجوم بالنجوم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس في أهلها ويتصرف فيها
ويقف على أحوالها إلا من استرق السمع محله النصب على الاستثناء المتصل إن فسر الحفظ
بمنع الشياطين عن التعرض لها على الإطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة أو المنقطع إن فسر ذلك
بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما
ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا
من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفهم اليسير من قطان السموات
لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من الأوضاع فأتبعه أي تبعه ولحقه
شهاب هي شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق
مبين ظاهر أمره للمبصرين قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية
قال نعم وإن النجم لينقض فيرمي الشيطان فيقتله أو يخبله لئلا يعود إلى استراق السمع ثم يعود
إلى مكانه قال أفرأيت قوله تعالى وأنا كنا نقعد منها مقاعد الآية قال غلظت وشدد أمرها
حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة إن الرجم كان قبل مبعثه صلى الله
عليه وسلم ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي
الله عنهما إن الشياطين يركب بعضهم بعضا إلى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون
بالكواكب فلا يخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ومنهم من يخبله فيصير
غولا يضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا في أن الشهاب هل يقتل أو لا قال ابن عباس
يجرح ويحرق ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والأول أصح والأرض مددناها
بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع لرجحان النصب للعطف
على الجملة الفعلية أعني قوله تعالى ولقد جعلنا إلخ وليوافق ما بعده أعني قوله تعالى وألقينا
فيها رواسي أي جبالا ثوابت وقد مر بيانه في أول الرعد وأنبتنا فيها أي في الأرض أو
فيها وفي رواسيها من كل شيء موزون مستوف الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن
من نحو الذهب والفضة وغيرها أو من كل شيء مستحسن مناسب كأنما وزن ويعد من أبواب النعم وجعلنا
لكم فيها معايش ما يعيشون به من المطاعم والملابس وغيرها مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة
وقرئ بالهمز تشبيها له بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش أو على محل لكم
كأنه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين من العيال والمماليك والخدم والدواب
وما أشبهها على طريقة التغليب وذكرها بهذا العنوان لرد حسبانهم أنهم يرزقونهم

والتحقيق

والتحقيق أن الله تعالى هو الذي يرزقهم وإياهم أو وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين
وإن من شيء إن نافية ومن مزيدة للتأكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء أي ما من شيء من الأشياء
الممكنة فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا إلا عندنا خزائنه مرتفع به على أنه فاعل لاعتماده
أو خبر له والجملة خبر للمبتدأ الأول والخزائن جمع خزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الأموال
لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن أرزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى
الغائبة عن العموم المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة
عن وصول أيديهم مع كمال افتقارهم إليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأتية لإيجاده وتكوينه
بحيث متى تعلقت الإرادة بوجودها وجدت بلا تأخير بنفائس الأموال المخزونة في الخزائن السلطانية
فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله أي ما نوجده وما نكونه شيئا من تلك
الأشياء ملتبسا بشيء من الأشياء إلا بقدر معلوم أي إلا ملتبسا بمقدار معين تقتضيه
الحكمة وتستدعيه القدرة التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فإن ذلك غير متناه فإن تخصيص كل
شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عدا ذلك مع استواء الكل في الإمكان واستحقاق
تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا لبيان عدم
سر تكوين الأشياء على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن القدرة وهو إما عطف على مقدر أي ننزله
وما ننزله إلا بقدر معلوم والأول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان إنزال
ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي إلى العالم السفلي كما في قوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية
أزواج وكان ذلك التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وأرسلنا
الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق أي
أرسلنا الرياح لواقح أي حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير من سحاب ماطر بالحامل كما شبهت
بالعقيم ما لا يكون كذلك أو ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله
ومختبط مما تطيح الطوائح أي المهلكات وقرئ وأرسلنا الريح على إرادة الجنس فأنزلنا
من السماء بعدما أنشأنا بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فأسقيناكموه أي جعلناه لكم سقيا
وهو أبلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤوا وما
أنتم له بخازنين نفى عنهم ما أثبته لجنابه بقوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه كأنه قيل نحن
القادرون على إيجاده وخزنه في السحاب وإنزاله وما أنتم على ذلك بقادرين وقيل وما أنتم بخازنين
له بعدما أنزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع أن طبيعة
الماء تقتضي الغور وإنا لنحن نحيي بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها ونميت بإزالتها
عنها وقد يعمم الإحياء والإماتة بما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو إما تأكيد
للأول أو مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لإنا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لأن اللام مانعة عن ذلك
كما قيل فإن النحاة جوزوا دخول لام التأكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى إن هذا لهو القصص الحق
بل لأنه لا يقع بين اسمين ونحن الوارثون أي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك
عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكمون في الكل أولا وآخرا وليس لهم إلا التصرف الصوري
والملك المجازي وفيه تنبيه على أن المتأخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال ولقد
علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستأخرين من تأخر
ولادة وموتا أو من خرج من أصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الإسلام والجهاد

وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج
لكمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا من الدلالة ما لا يخفى على كمال
التأكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة
حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا ينظر اليها وتأخر آخرون
ليبصروها فنزلت والاول هو المناسب لما سبق وما لحق وان ربك هو يحشرهم للجزاء وتوسيط ضمير
العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه
ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اي هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار
بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم دلالة على اللطف به صلى الله عليه وسلم
انه حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه والاتيان
بالافعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضائها للحشر
للجزاء ولقد خلقنا الانسان اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا
منطويا على خلق سائر افراده انطواء اجماليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام من صلصال
من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اي يصوت عند نقره قيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل
وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حمإ من طين تغير
واسود لطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اي كائن من حمإ مسنون مصور
من سنة الوجه وهي صورته او مصبوب من سن الماء صبه اي مفرغ على هيئة الانسان كما تفرغ
الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحمإ وعلى الاول حقه ان يكون صفة
لصلصال وانما اخر عن حمإ تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه
حمأ كانه سبحانه افرغ الحمأ فصور من ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا صوت ثم غيره
الى جوهر فتبارك الله احسن الخالقين والجان اي ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجن
باسره فانه مخلوق منه وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره خلقناه وهو اقوى من الرفع لعطف
على الجملة كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة
واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره من قبل خلق
الانسان ومن هذا ظهر حسن كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب
بقوله منكم للكل من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحياة
في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي غالب
اجزائها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزائها الارضي وقوله تعالى من نار باعتبار
الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى
وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول
المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من ان ذكره احق في
تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا
فشيئا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم
اي اذكر وقت قوله تعالى للملائكة اني خالق فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة
على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه بشرا اي انسانا قيل التعبير بهذا
عن العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون قد قيل لهم اني خالق خلقا من صفته كيت

وكيت ولكن

وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على ... وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا باديا البشرة
بلا صوف ولا شعر من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اي بشرا كائنا
من صلصال كائن من حمإ مسنون فقد تم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص اني خالق
بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد والتصلب
من اطوار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غاية ما في الباب انه لم يتعرض له هناك اكتفاء
بما شرح ههنا فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت
اجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح
لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل
على المادة القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري
فقعوا له امر من وقع يقع وفيه دليل على انه ليس للامور بمجرد الاخبار كما قيل اي اسقطوا له
ساجدين تحية له وتعظيما او اسجدوا لله تعالى على انه عليه الصلوة والسلام بمنزلة القبلة
حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله تعالى عنه أليس اول من
صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسنن فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح
فسجد الملائكة كلهم بحيث لم يشذ منهم احد اجمعون بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم
ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد
الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطاب في التنزيل على اكمل احوال الشيء ولا ريب في
ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيدا واقيم مقام كل في افادة معنى الاحاطة
من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء
وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر
التعليقي كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه
ما في غيرهما فقد خرجنا بعون الله عز وجل عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة الا ابليس
استثناء متصل اما لانه جني مفرد مغمور بالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من
الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين استئناف مبين
لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم
ان مع الاباء والاستكبار او منقطع فيتصل به ما بعده اي لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه
دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر والاستكبار
مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين
الكرام قال استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال الله تعالى عند ذلك فقيل قال يا ابليس اي اي
سبب لك لا اي غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما لك ألا تكون في ان لا تكون مع الساجدين
لآدم مع انهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل
لكل من المعاصي الثلاث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك
وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن
على ما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة من تلك المعاصي الثلاث كافية في التوبيخ واظهار
بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وفي سورة بني اسرائيل وسورة الكهف
وسورة طه قال اي ابليس وهو ايضا استئناف مبني على السؤال الذي ينساق اليه الكلام لم

لم اكن لأسجد اللام لتأكيد النفي اي ينافي حالي ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف العناصر
واعلاها ان اسجد لبشر اي جسماني كثيف خلقته من صلصال من حمإ مسنون اقتصر هاهنا
على الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه الصلوة والسلام
من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه
طينا متغيرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه هاهنا فاقتصر على حكاية
تعرضه لخلقه عليه الصلوة والسلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قال أأسجد لمن
خلقت طينا وفي جوابه دليل على ان قوله تعالى ما لك ان لا تكون ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار
عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه بسؤاله اللوم المقتضي عن المنافية والى ما ذكرنا كانه
قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما لا يليق بشأني من الخضوع
للمفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك
الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها التكبر والاستعصاء
على رب العالمين جل جلاله قال فاخرج منها اي من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان
وسوسته لآدم عليه الصلوة والسلام في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط
منها فما يكون لك ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين الملأ الاعلى هبوط اي هبوط او من الجنة
على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري او بطريق المشافهة
بعد ان احتال في دخولها او توسل اليه بالحية كما روي عن ابن عباس ولا ينافي هذا طرده ومنعه من
الاستقرار بها لما يقتضيه من الحكم البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد
يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص
بالقياس فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله
تعالى وان كان جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين الى يوم
الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتأخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست
جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة
ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعن كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات
والارض وحيث امكن كون تأخير العقوبة مع الموت كسائر من اخرت عقوبتهم الى الآخرة من الكفرة طلب
اللعين تأخير موته كما حكي عنه بقوله تعالى قال رب فانظرني اي فامهلني واخرني ولا تمتني
والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني الى يوم يبعثون
اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو
من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض
لشمول ما سأله للآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار
المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم
حسبما اقتضته حكمة التكوين والفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور
به كما في قوله فان ترحم فانت لذلك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من الاهلية
القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان
استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فنظم ذلك

في سلك من اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن وتحقق من الثقلين لا يلائم
مقام الاستنظار مع الحياة ولان ذلك التأخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافتي في السؤال
الى البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك
التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر هاهنا وفي سورة ص
فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز واما التكلم باشياء من اساليب
النظم الكريم فلا بد ان يكون لمقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وانما حكي عن اللعين ما صدر عنه
مرة وكذا جوابه لم يكن يقع الا دفعة فمقام المحاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق
لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء
الى معالم الاعجاز وقد مر تحقيقه بعون الله في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت
النفخة الاولى التي يصعق عندها من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد
بالايام واحدا والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين
به يتحقق وبيوم الدين لما كان من الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر ولاستيثاره تعالى بعلمه تعالى
بكونه من اهل الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم في يوم واحد بموت اللعين في اوله ويبعث في
اواسطه ويعاقب في بقيته يروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا
مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس رحمه الله انه قال قدمت المدينة اريد امير
المؤمنين عمر رضي الله عنه فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول
لما حضر آدم عليه الصلوة والسلام الوفاة قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس اذا رآني ميتا
وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا آدم انك سترد الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق
الم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب حسبي
فضج الناس وقالوا يا ابا اسحاق كيف ذلك فأبى فألحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب
النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع واهل الارضين السبع واني البستك اليوم اثواب
الغضب والسخط كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل فيه
مرارة الاولين والآخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا
قد امتلأوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع
روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك
الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات واهل الارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول
قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وكم من قرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى
المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه ثم الى المغرب فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيغوص البحار
فتنبو منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا
عند قبر آدم عليه الصلوة والسلام ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا
كان في الموضع الذي اهبط فيه آدم عليه الصلوة والسلام وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت
الارض كالجمرة احتوشته الملائكة وطعنوه بالكلاليب فيبقى في النزع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى
ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة
فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية والجواب
لأزينن لهم اي اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور

كقوله تعالى أخلد إلى الأرض والإقسام بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي الإقسام بهذا
فإنه فرع من فروعها وأثر من آثارها فلعله أقسم بهما جميعاً فحكى تارة قسمه بهذا وأخرى بذلك
أو للتنبيه وقوله لأزينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسببك لإغوائي أقسم لأفعلن
بهم مثل ما فعلت بي من التسبب لإغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الأباطيل والمعتزلة أولوا
الإغواء بالنسبة إلى الغي أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام وقالوا عدل
عن إمهال الشيطان وتسليطه على إغواء بني آدم بأنه تعالى قد علم منه ومن تبعه أنهم يموتون
على الكفر ويصيرون إلى النار أمهل أو لم يمهل وأن في إمهاله تعريضاً لمن خالفه لاستحقاق مزيد
الثواب ولأغوينهم أجمعين لأحملنهم على الغواية إلا عبادك منهم المخلصين الذين أخلصتهم
لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ بكسر اللام أي الذين أخلصوا أنفسهم لله
عز وجل قال هذا صراط علي أي حق علي أن أراعيه مستقيم لا عوج فيه والإشارة إلى ما
تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من إغوائه أو الإخلاص على معنى أنه طريق يؤدي إلي
من غير اعوجاج وضلال والأظهر أن ذلك لما وقع في عبارة إبليس حيث قال لأقعدن لهم
صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقرئ علي من علو الشرف
إن عبادي وهم المشار إليهم بالمخلصين ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالإغواء
إلا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه تحقيقاً لما قاله اللعين تفخيم لشأن المخلصين
وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الإغواء عنهم وأن إغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان
بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وإن جهنم لموعدهم أي موعد المتبعين أو الغاوين
والأول أنسب وأدخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على أن جهنم مكان الوعد كأن الموعود
مما لا يوصف في الفظاعة أجمعين تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الوعد إن جعل مصدراً
على تقدير المضاف ومعنى الإضافة إن جعل اسم مكان لها سبعة أبواب يدخلونها لكثرتهم
أو سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم
الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية أعاذنا الله منها بحرمتين بفضله ومنه
لكل باب منهم من الأتباع والغواة جزء مقسوم حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه
استعداده فأعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة
للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن
ابن عباس رضي الله عنهما أن جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة
الأصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين
ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية
والغضبية وقرئ بضم الزاي وبحذف الهمزة وإلقاء حركتها إلى ما قبلها مع تشديدها في الوقف
والوصل فمنهم حال من جزء أو من ضميره في الظرف لا في المقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها
إن المتقين من اتباعه الكفر والفواحش فإن غيرها مكفرة في جنات وعيون أي مستقرون فيها
خالدون لكل واحد منهم جنة وعين أو لكل منهم عدة منهما لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم ادخلوها على إرادة القول أي يقال لهم من قبل الله
تعالى ادخلوها وقرئ أدخلوها أمراً منه تعالى للملائكة بإدخالهم وقرئ بلفظ الحسن أدخلوها
مبنياً للمفعول على صيغة الماضي من الإفعال بسلام ملتبسين أي سالمين أو مسلماً عليكم

آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل أي حقد كان في الدنيا
وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين
منهم إخواناً حال من الضمير في قوله تعالى في جنات أو من فاعل ادخلوها أو من الضمير في آمنين أو الضمير
المضاف إليه والعامل فيها معنى الإضافة وكذلك قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز
كونهما صفتين لإخواناً أو حالين لأنه في معنى متصافين وكون الثاني حالاً من المستكن في الأول
وعن مجاهد تدور بهم الأسرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع أحوالهم لا يمسهم فيها
نصب أي تعب بأن لا يكون فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما
يريدونه من غير ترف أو لأنه عمل تضاده أو حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين
أبد الآباد لأن تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين أني
أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير
له وفي ذكر المغفرة إشعار بأن ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف
ذاته تعالى بهما وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب إيذان بأنهما مما تقتضيهما الذات وأن
العذاب إنما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم
بما جرى على إبراهيم عليه الصلاة والسلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبتنبيههم على حلول
انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بأن عذاب الله هو العذاب الأليم عن ضيف إبراهيم
عليه الصلاة والسلام عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم جبريل وميكائيل معه وقال محمد بن
كعب جبريل وسبعة معه وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم الصلاة والسلام وقال
الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا أحد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن
مقاتل أنهم كانوا اثني عشر ملكاً عليهم الصلاة والسلام وإنما لم يتعرض لعنوان رسالتهم
لأنهم لم يكونوا مرسلين إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بل إلى قوم لوط حسبما يأتي ذكره
إذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ أي واذكر وقت دخولهم عليه أو
خبر مقدر مضاف إلى ضيف إبراهيم حين دخولهم عليه أو بنفس ضيف على أنه مصدر في الأصل
فقالوا عند ذلك سلاماً أي نسلم سلاماً أو سلمنا أو سلمت سلاماً قال إنا منكم
وجلون أي خائفون فإن الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قال عليه الصلاة والسلام
حين امتنعوا من أكل ما قربه إليهم من العجل الحنيذ لما أن المعتاد عندهم أنه إذا نزل بهم ضيف فلم
يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل
إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه الصلاة والسلام بسبب دخولهم بغير إذن
ولا بغير وقت إذ لو كان كذلك لما أجابوا بما أجابوا به ولم يقصد عليه الصلاة والسلام
لتقريب الطعام إليهم وإنما لم يذكرها هاهنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع ألا ترى أنه لم يذكر هاهنا
رده عليه السلام سلامهم قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تأجل ولا توجل من أوجله أي أخافه
ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله إنا نبشرك استئناف لتعليل النهي عن الوجل فإن المبشر
لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء أهله في عافية
وسلامة زماناً طويلاً بغلام هو إسحاق عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى فبشرناها بإسحاق
ولم يتعرض هنا لبشارة يعقوب عليه الصلاة والسلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود عليم إذا بلغ
وفي موضع بغلام حليم قال أبشرتموني على أن مسني الكبر ذلك وأثر في التعجب عليه الصلاة

والسلام من بشارتهم بالولد في حالة منافية للولادة وزاد في ذلك فقال فبم تبشرون
بنفي بشيء او طريقة تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة تبشارة بغير شيء او
باي طريقة تبشرونني وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية
قالوا بشرناك بالحق اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق
وهو امر الله تعالى وقوله فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فان الله تعالى قادر
على ان يخلق بشرا بلا ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصده
عليه الصلوة والسلام استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنته تعالى
فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن
من القانطين دون ان يقولوا من الممترين ونحوه قال ومن يقنط استفهام انكاري اي لا يقنط
من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه
وقدرته كما قال يعقوب عليه الصلوة والسلام لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده
نفي القنوط عن نفسه عليه الصلوة والسلام على ابلغ وجه اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما
الذي اقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية
والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وكسرها من قنط بالفتح ولم يكن هذه المفاوضة
من الملائكة مع ابراهيم عليه الصلوة والسلام خاصة بل مع سارة ايضا حسبما شرح في
سورة هود ولم يذكر ذلك هاهنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هذه هناك اكتفاء بما ذكر
هاهنا قال اي ابراهيم عليه الصلوة والسلام بلا توسيط بين قوله فما خطبكم اي امركم
وشأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون ولعل في ابنية مقالة
منطوية نبههم انسب بها الى مكانها كما في قوله تعالى أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي
كرمت علي الآية فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها
فانك رجيم فان توسيط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه
عليه بل على غيره ثم خطابهم عليهم الصلوة والسلام بعنوان الرسالة بعد ما كان مخاطبته
السابقة مجردة عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان
مجيئهم ليس بمجرد البشارة بل لهم شأن آخر لاجله ارسلوا كأنه عليه الصلوة والسلام قال ان لم يكن
شأنكم مجرد البشارة فماذا هو فلا حاجة الى الالتجاء الى علمه عليه الصلوة والسلام بان كل المقصود
ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى العدد فلذلك اكتفى بالواحد في زكريا
عليه الصلوة والسلام ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام
المقصود لابتدأوا بها فتأمل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام
وجيء بهم بطريق التنكير فما لهم واستهانة بهم الا آل لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين
اي الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط فالقوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انهم قالوا
انما ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي الآخرين ويدل عليه قوله تعالى
انا لمنجوهم اي آل لوطا فانه استئناف الاخبار بنجاتهم لقوم
او لبيانه ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بتخلفهم بين
او بتعلقه ولا من تعلق بهم النجية يحيي من شمول العذاب له منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم
متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن ويعلى هذا قوله تعالى الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم

وعلى الاول خاصة لا اختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف
قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة فتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما
علق فعل التقدير مع اختصاصه ذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا
لانه بمعنى القضاء قولا واصل جعل التي على معنى لا تفيد ضمره واسناده لها الى انفسهم وهو فعل الله
سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك
المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع الظاهر
موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء
مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فانما جاءه عليه الصلوة والسلام بقوله تعالى
قال انكم قوم منكرون انما قاله عليه الصلوة والسلام لعدما الستار والتي حيث ضاقت عليه الحيل
وعيت به العلل لما شاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد فيما تمالأ به من قومه الذين
يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود في المناداة من الاعانة والامداد فيما يأتي ويذر بحسمه
في تخليصهم لما تخذلا لانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم
يكونوا مباشرين لاسباب المرافقة قال لما لاقته تخوفي لحالهم لما قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن
شديد حسبما فصل في سورة هود لا انه قال حين ابتدأ بورودهم لخوفه لا يطيق قوم بشيء
نكر فكيف لا وهو يجابهم المحكي بقوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب
الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قسروا القضاء عليه الصلوة والسلام
جلية الامر فاني يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليس كلمة بل اضرابا عما
فهمه عليه الصلوة والسلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم
بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقالة
على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عليه الصلوة والسلام
بهلاك قومه وتنجية آله ثم كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر فعل
القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في موقع آخر ونسبة المجيء بالعذاب
اليه عليه الصلوة والسلام مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه لانهم
جاؤوا به وفوضوا امره اليه ليرسل عليهم حسبما كان يتوعدهم وآتيناك بالحق اي باليقين الذي
لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء فيه او
المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور في قوله تعالى وانا لصادقون تأكيد له اي آتيناك فيما قلنا
بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه
وعلى الاول تأكيد اثر تأكيد وقوله تعالى فاسر باهلك شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم
في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير بقطع من
الليل بطائفة منه او من آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع الليل
وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع
على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر للمبالغة في ذلك اذ السوق ربما
يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض قيل من عادة الغفلة عن حال المتأخر والالتفات المنهي
عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد اي منكم ومنهم فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه
او يصيبه ما اصابهم او فلا ينصرف منكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك

يوطنوا انفسهم على المهاجرة او فهو نهي عن ربط القلب بما خلفوه او هو للاسراع في السير فان الملتفت
قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة على الاسرى والالتفات لا يستدعي
عدم وقوعه فان ذلك حاصل بمجرد الاكتفاء بما ذكر في موضع آخر وامضوا حيث تؤمرون
الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور
وايثار المضي اليهما ذكر على الوصول اليه والى قربه للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين
ما سلف من الغابرين وقضينا اليه اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم
يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه وفي ايراده باسم الاشارة على الضمير دلالة على التصافهم
بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اي دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المضارع
لكونها ادخل في الدلالة على الوقوع في لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه
بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا للدلالة على فخامة الامر وفظاعته
ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد
مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر
هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم
على مكان الاضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا اكتساما به عليه
اي جاء اهل سدوم منزل لوط عليه الصلاة والسلام يستبشرون اي يستبشرون باضيافه
عليه الصلوة والسلام طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في الاصل
اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه الصلوة
والسلام لكونهم في زي الضيف والتأكيد ليس لانكارهم ذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه
بشأنهم وتشمير ذيل عصمتهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون اي عندهم
بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا اني ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا تفضحوني بفضيحة ضيفي فان من
اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار
واتقوا الله في مباشرتكم ما يسوؤني ولا تخزون اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل
تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه الصلوة والسلام بقوله فلا
تفضحون اكثر تأثيرا في جانبه عليه الصلوة والسلام واجلب للعار عليه والتعرض للعار قبل
شعور الحي بذلك مما يتسامح فيه لما ان المشعور به فلا خصية تحمايته والذب عنهم لعظم
العار عبر عليه الصلوة والسلام عما يعقبه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب اجاجهم ومجاهرتهم
بمخاطبتهم بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان
يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيط النهي
عن امرين متعلقين بنفسه عليه الصلوة والسلام عن النهي لاحد فانهم قالوا لما ذكرت من الفضيحة
والخزي انما جاءك من قبل الامر قبلنا اذ لو لا تعرضك لما تصدى لنا احد اغراك تلك الحالة فلذا هو
لا يقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته
حقيقة اي فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم
مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود ان كنتم فاعلين شيئا
في قضاء الشهوة كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما
تحل الشهوة ما حرم لعمرك قسم من الله تعالى بحياة النبي صلى الله عليه وسلم او من الملائكة

نجاة لوط

بحياة لوط عليه الصلاة والسلام والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم ايثارا
للخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم لفي سكرتهم غوايتهم وعملهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم
بين الخطأ والصواب يعمهون يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة
اعتراض فاخذتهم الصيحة اي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عليه الصلوة
والسلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها على المدينة او عالي قراهم وهو
المفعول الاول وقوله تعالى سافلها مفعول ثان له وهو ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما
مر وامطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل
من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ان في ذلك اي فيما ذكر من
القصة لآيات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي المتفكرين المتفرسين
الذين يثبتون في نظرهم حتى يعرفون حقيقة الشيء بسمته وانها اي المدينة او القرى لبسبيل
مقيم اي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك فيما ذكر من المدينة او القرى او في
كونها بمرأى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لآية عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله
فان الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم بسوء
صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق او الاوضاع الفلكية وافراد الآية بعد
جمعها فيما سبق لما ان المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما سلف وان كان ان مخففة
من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة اي وان الشان كان اصحاب الايكة
وهم قوم شعيب عليه الصلوة والسلام والايكة الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم
المقل فكانوا يسكنونها فبعثه الله اليهم لظالمين متجاوزين الحد فانتقمنا منهم
بالعذاب روي ان الله سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون
الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما يعني سدوم والايكة
وقيل الايكة ومدين فانه عليه الصلوة والسلام كان مبعوثا اليهما فكر احدهما منبه على الاخرى
لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم لما يؤتم به سمي به الطريق ومطمر البناء واللوح
الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين يعني
صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف
باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب بن
عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم
آياتنا وهي الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقبها وشربها ودرها او الادلة
المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين هلا حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال
بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم
ان ذلك يحميهم عن جابر رضي الله عنه انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر
فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء
ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين
وكذا وقع في سورة هود وقيل صاح بهم جبريل عليه الصلوة والسلام وقيل اتتهم من السماء صيحة
فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا

بفضيلتها كما مر في سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما كانوا يكسبون من
بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم الاغناء
الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا لعدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم
استمرار الفساد واستمرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء دفعا لفسادهم وارشادا لمن
بقي الى الصلاح والاسباب المعدلة الانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى وان الساعة
لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن هو كذلك فاصفح اي اعرض عنهم الصفح الجميل لا تعجل احلاله
وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية
السيف ان ربك الذي يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وسائر الموجودات على الاطلاق
العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع
الامور اليه ليحكم بينهم او هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح
الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وابي رضي الله
عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع
آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وابو هريرة والحسن وابو العالية ومجاهد والضحاك
وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله عنهم وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الانفال والتوبة
فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بالتسمية وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل الصحائف
السبع وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان كان المراد الفاتحة فالمثاني
من المثاني فتسميتها بها لتكرير قراءتها في الصلاة واما تكرير نزولها فلا يكون وجها للتسمية
لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني ان السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد غيرها
فوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك يكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه او من الثناء
لاشتماله على ما هو ثناء على الله تعالى واحدتها مثناة او مثنية صفة للآية واما السورة او
الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء
على الله تعالى كانها تثني عليه بافعاله سبحانه وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او
كتب الله كلها فمن للتبعيض وعلى الاول للبيان والقرآن
العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به
الاسباع او كل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتيبة في المزدحم لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك الى ما متعنا
به من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة فان ما في
الدنيا من اصناف الاموال والذخائر بالنسبة اليها او بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به وفي حديث ابي بكر
رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا
وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز
والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها
في سبيل الله فقيل لهم قد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لم
يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك اتباعك لتتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل انهم المتمتعون
فيأباه كلمة على فان ما يستعمل بها ما يكون سببا للحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اي تواضع

لهم وارفق

لهم وارفق بهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين اي
المنذر المظهر لعذاب الله وحلوله كما انزلنا على المقتسمين قيل انه متعلق بقوله تعالى
ولقد آتيناك اي انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي
قسموه الى حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه مخالف
لهما او اقتسموه لانفسهم استهزاء حيث قال بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وهكذا او قسموا
ما قرؤوا من كتبهم فحرفوه فاقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل قوله تعالى لا تمدن عينيك على هذا الى
ما هنالك اعتراضا لما بين الكلامين من التسلية وعقبتها بما يحيل المقام عن التشبيه ولقد اوتي صلى الله عليه وسلم
ما لم يؤت احد قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين فانه في قوة
الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على
بني قريظة والنضير بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وانت خبير بان ما يشبه به العذاب
المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به يتحقق فائدة التشبيه وهي تأكيد
الانذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع وقوعه اذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد
فهم منه في غفلة محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الاعجاز
لكن اذا ساعده المقام يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص
الاقتسام باليهود يخرج اختصاص العذاب بالمذكورين مع شركتهم النصارى في الاقتسام المتفرع
على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف لاشتماله الكتابين بل تخصيص العذاب بالمذكورين
منهم مع كونهم من شاركهم الاقتسام تخصيص بغير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا اول لانذر
اي انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين
هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا
الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه
ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات وفيه
مع ما فيه من الاشكال لما سبق من عدم كون العذاب الذي شبه به العذاب المنذر واقعا
ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع انه لا داعي الى تخصيص وصف العضة بهم واخراج
المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوتهم في ذلك فان وصفهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما
وصفوه من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو الا نفس العضة ولا
الى اخراجهم من حكم الانذار على ان ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب
غيرهم ولا مخصوصا بهم بل عاما لكلا الفريقين مع غيرهم مع ان بعض المقتسمين كالوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل بدر وهلاك اكثر المقتسمين يوم بدر ولا تقديم
المفعول الثاني على الاول كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم
القاعدون في مداخل مكة كما عرفت مع ما مر ان قوله تعالى كما انزلنا صريح في انه من قول
الله لا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم والاعتذار بان ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك
امرنا بكذا وان كان الآمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين تعسف
لا يخفى والسعي في ذلك بالوصف بترجيح جانب الاسمية وتعويله ما كان من الدلالة على
الحذف فلا يجدي وان اعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون فلا بد من المصير الى مسلك
الكوفيين او المصير الى الحذف مفعولا غير صريح اي انا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين

وقيل بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا الآن ما نفع مشبهها بما به العذاب المنذر
لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يكن في نعت صفة للمقتسمين حينئذ فيستحق جعله مفعولا
أول للنذير أو ما دل هو عليه من أنذر لأن يكون التعرض لعنوان العضية في حيز الصلة ولا العنوان
الاقتسام بالمعنى المذكور في حيز المفعول الثاني فائدة قلنا أن ذلك إنما يكون للإشعار بعلية
الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول وللموصوف فلا يكون هناك وجه شبه مصحح على تشبيه
عذابهم بعذاب هؤلاء خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فإن العضين بمعزل من التقاسم على التبييت
الذي هو السبب لهلاك أولئك كما أن أولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب لهلاك هؤلاء
ولا علاقة بين السببين مفهوما ولا وجودا ليصح وقوع أحدهما في جانب الآخر وأن اتفاق
الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الخصوص الذي هو السبب المدلول
عليه بالتقاسم غير مفيد إذ لا دلالة لعنوان العضية على ذلك وإنما يدل على اقتسام المدخل
جعل الموصول مبتدأ على أن خبره الجملة القسمية لا يلائمه جزالة التنزيل وجلالة شأنه إذا
عرفت هذا فاعلم أن الأولى أن الآية الكريمة متعلقة بالأولى وأن المراد بالمقتسمين أهل الكتابين
وأن الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدر أي حيث
جلت له المقام على التشبيه من لوائح النظم الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم إيتاء مماثلا لإنزال الكتابين على أهلهما وعدم التعرض لذكر ما أنزل عليهم من الكتابين لأن
الغرض بيان المماثلة بين الإيتاءين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيقهما في جانب التشبيه بأن
يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب لما في الجمع الذي فيه نظر إلى الأنبياء
من التنافي والتباعد فإن الأول على وجه التكرمة والامتنان فشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح
ذلك في وقوعه مشبها به فإن ذلك إنما هو مسلمات عندهم وتقديم وجوده على المشبه زمانا
لا مدخل له في الإخلال بوجه الشبه كما في الصلوات الجليل ثم فإن التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى
الفائضة على إبراهيم عليه الصلاة والسلام وآله أتم وأكمل مما أفاض على النبي صلى الله عليه وسلم
وإنما التشبيه لذلك التقدم في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم وليس في التشبيه فيما
نحن فيه شائبة إشعار بأفضلية المشبه به من المشبه فضلا عن إيهام أفضلية ما تعلق به الأول
عما تعلق به الثاني ولعلهم ذكروا بعنوان الاقتسام لا بالاتصاف بما يعم تحقق ما ينفيه من الإنزال
المذكور ابتداء بأنه كان من حقهم أن يؤمنوا بكل حسبما أنزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة
والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسط الملك المتعالي ولا يمد إلى الحكم كمال القضايا بما هو
المقصود من بيان حال ما أوتي النبي صلى الله عليه وسلم وتقديمنا ولا علو شأنهم ونفعه تحذيرنا
بحيث يستوجب اغتباطه صلى الله عليه وسلم بما يستغني به عما سواه ثم نهي عن الالتفات إلى
زهرة الحياة الدنيا وعرض أبنائها لأهلها بالتمتع المشعر بوشك زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدم
إيمان المنهمكين فيها ولم يرعها بالتمتع والاكتفاء بهم عن غيرهم وبلطفها رمقا به هو واجب الرسالة
ومن اسمع الذين حسبما فصل في تضاعيف ما أوتي من القرآن العظيم ثم رجح الكيفية إتيانه على
وجه أدمج فيه التذكير ويستغني به عن العناد من بيان مشاركته لما لدى أهل الكتاب في كونه وحيا
صادقا فتأمل والله عنده حسن المآب ومعلم الكتاب وقد قيل المعنى قل إني أنا النذير المبين كما قد
أنزلنا في الكتب أنك ستأتي نذيرا على أن المقتسمين أهل الكتاب انتهى بدلالة ما في كما موصولة والواجب للمشابهة
المستفادة من الكاف الموافقة ومع ما في حيزها في محل النصب على الحالية من مفعول قل أي قل هذا

القول حال

القول حال كونه كما أنزلنا على أهل الكتابين أي موافقا لذلك فالأنسب حينئذ حمل الاقتسام على التحريف لكون
وصفهم بذلك تعريضا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم نعت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين
جمع عضة وهي الفرقة أصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية إذا جعلها أعضاء وإنما
جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي
هي تفريق الأعضاء من ذي الروح المستلزمة لإزالة حياته وإبطال اسمه دون مطلق التجزئة
والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه
بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضهته إذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش
ونقصانها على الأول واو وعلى الثاني هاء **فوربك لنسألنهم أجمعين** أي لنسألن يوم القيامة
أصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع **عما كانوا يعملون** في الدنيا من قول وفعل
وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا أوليا أو لنجزينهم بذلك جزاء موفورا
وفيه من التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على أعمالهم التي ذكر بعضها
وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا إلى النبي صلى الله عليه وسلم **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به
من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا أو افرق بين الحق والباطل وأصله الإبانة والتمييز وما
مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما أوتيت من
المثاني السبع والقرآن العظيم **وأعرض عن المشركين** أي لا تلتفت إلى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تتقيد
للانتقام منهم **إنا كفيناك المستهزئين** بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من أشراف قريش
الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث بن قيس بن الطلاطلة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب
يبالغون في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال
أمرت أن أكفيكهم فأومأ إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب
عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومأ إلى أخمص العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت
رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار إلى عيني الأسود بن عبد المطلب فعمي وإلى أنف الحارث فامتخط
قيحا فمات وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه
بالشوك حتى مات **الذين يجعلون مع الله إلها آخر** وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه بإعلام أنهم لم يقتصروا على الاستهزاء به صلى الله عليه وسلم
بل اجترؤوا على العظيمة التي هي الإشراك بالله سبحانه **فسوف يعلمون** عاقبة ما يأتون وما يذرون
ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به
وبك وتحلية الجملة بالتأكيد لإفادة تحقيق ما تضمنته من التسلية وصيغة الاستقبال لإفادة
استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من أقوال الكفرة **فسبح بحمد ربك** فافزع إلى الله تعالى فيما
نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من إظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم والإشعار بعلة الحكم
أعني الأمر بالتسبيح والحمد **وكن من الساجدين** أي من المصلين يكفيك ويكشف الغم عنك أو فنزه
عما تقول ملتبسا بحمده على أن هداك للحق المبين وعنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حزبه
أمر فزع إلى الصلاة **واعبد ربك** دم على ما أنت عليه من عبادته تعالى وإيثار الإظهار بالعنوان
السالف لتأكيد ما سبق من العناية به صلى الله عليه وسلم والإشعار بعلة الأمر بالعبادة **حتى**
يأتيك اليقين أي الموت فإنه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق وإسناد الإتيان إليه للإيذان بأنه متوجه

الى الجنى طالب الوصول اليه . والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة . عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين
بمحمد صلى الله
عليه وسلم

سورة النحل [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم **أتى أمر الله** اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب
الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان بان تحققه في نفسه واتيانه منوط
بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك
الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات وايا ما كان ففيه تنبيه على كمال
قربه من الوقوع واتصاله به وتكميل لحسن موقع التفريع في قوله عز وجل **فلا تستعجلوه** فان النهي عن
استعجال الشيء وان صح تفريعه على قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على
الوقوع ويستحيل الاستعجال اساسا اذ ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة
كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه محمول على الحقيقة
ونهيهم عنه للتهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة
اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة وما يتبعها من العذاب حتى يعمهم النهي
عنه واما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء فلا
ينتظمهما صيغة واحدة والالتفات الى الارادة يعني مجاري تعميمها معا من غير ان يكون هناك تغا
بلية شرفية تعسف لا يليق بشان التنزيل الجليل وما روي من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال
الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما
تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزل اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام
قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع
الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمانوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لان ازجرهم من التصدي
بالفاء يا ابا ه فانه يعرفوا بانه بحسب الحقيقة بل للاستنباط لطيفا بهم لما هو وقع فيهم على انه المراد
بالاتيان هو الاتيان الادعائي لا الحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزم لامتناع النهي عنه بناء على ان النهي
عن الشيء يقتضي امكانه في الجملة وتمكن ذلك المخاطب من فعله والنهي عن الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضي
لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كان ما كان تبرانه دلالة واضحة على عدم
العموم لان المؤمنين ما تمايلوا للساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص
الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الاعجاز التنزيلي
ان تخاص بالكفرة كما تستفيق عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل
الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان الهتهم يحجزون عنه ويمنعون من انجاز وعده وايصال وعيده
وقد قالوا في تضاعيف ان صح مجيء العذاب فالاصنام تخلصنا منه بشفاعتها رد ذلك فقيل بطريق
الاستئناف **سبحانه وتعالى عما يشركون** اي تنزه وتقدس بذاته عن ان يجعل من اشراكهم المؤدي الى امثال
هذه الاباطيل عنهم من ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على
تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم
عن رتبة الخطاب وحكاية لتنابيهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين يفوت هذه النكتة كما يفوت ان تنبأ
المنهي عنه بالتشرك منه وقرئ على صيغة الخطاب **ينزل الملائكة** بيان لتحتم التوحيد حسبما

نبه عليه تنبيها على انه الجناب الذي لا يقرب من جناب الكبرياء وتعاليه لا يحوم حوله شائبة ان يشاركه شيء في
ذلك وايذانا بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم الصلاة والسلام وامروا بدعوة الناس اليه
مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي والتنبيه على طريق علم الرسول صلى الله عليه وسلم
بذلك قطعا لعذرهم وابطالا لتدابيرهم في الاستعجال والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة
مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما جبريل عليه الصلاة والسلام قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع
اذا كان رئيسا او هو من حفظة الوحي بامر الله تعالى وقرئ تنزل من الانزال وتنزل بحذف احدى
التاءين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل **بالروح** اي بالوحي الذي من جملته القرآن على
نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء
للملابسة وهو حال من مفعوله اي ملتبسين بالروح **من امره** بيان للروح الذي اريد به
الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدأ منه او صفة له على راي من جوز
حذف الموصول مع بعض صلته اي بالروح الكائن من امره الناشئ منه او متعلق بينزل ومن
للسببية فالباء مثلها في قوله تعالى مما خطاياهم اي ينزلهم بامره **على من يشاء من عباده**
اي ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك **ان انذروا** بدل من الروح اي
ينزلهم ملتبسين بان انذروا اي بهذا القول والمخاطبون به الانبياء عليهم الصلاة والسلام
والآمر هو الله سبحانه وتعالى والملائكة نقلة الامر كما يشعر به الباء في المبدل منه
وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ينزلهم ملتبسين بان الشان
اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة
الملائكة لمن يشاء من عباده انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز ان تكون صلتها
انشائية كما في قوله وان اقم وجهك حسبما ذكر في اوائل سورة هود فمحلها الجر على البدلية
ايضا والانذار هو الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشيء اذا علمه فحذره وانذره
اذا اعلمه وحذره وخوفه اي بلغه كذا في القاموس **انه لا اله الا انا** فالضمير للشان
ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة
به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريرها في الذهن فان الضمير
لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده
فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وايراد مضمونه بعنوان المحذور لا لذاته
بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وفي ذلك كاف في كونه اعلاما بالمحذور ثم اكد بقوله تعالى
فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر
من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وامرهم بان ينذروا
الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقون في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك
وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء ثم لما نبه على التوحيد شرع في تحقيق الادلة
العقلية بتفصيل **خلق السموات والارض بالحق** اي اوجدهما على ما هما عليه من الوجه
اللائق والنمط الذي **تعالى** وتقدس بذاته سيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذين المخلوقين
عما يشركون عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه من الباطل الذي لا يبدئ ولا يعيد
وتقدما نبه على صيغة الكل المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه
فبدأ بفعل المتعلق بالانفس فقال **خلق الانسان** اي هذا النوع على الفرد الاول منه

من نطفة جماد لا حس له ولا حراك سال لا يحفظ شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق
خصيم منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين لحجته لقنها وهذا انسب
بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم
لخالقه منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد هناتهم الكفرة روي
ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى
يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت والانعام وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز
وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى خلقها او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله
والذي بعده تفصيل لذلك وقوله لكم اما متعلق بخلقها وقوله فيها خبر مقدم وقوله دفء
مبتدا وهو ما يدفا به فيقي البرد والجملة حال من المفعول او الظرف الاول خبر المبتدا المذكور
وفيها حال من دفء اذ لو تاخر لكان صفة ومنافع هي درها ونسلها وحملها والحراثة بها
ونحو ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم
الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى ومنها تاكلون اي تاكلون ما يؤكل منها من
اللحوم والشحوم ونحو ذلك وتغيير النظم الكريم للايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق
فان الدفء والمنافع الحاصلة منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلتا مجالا لها وتقديم الظرف
للحصر اي منها تاكلون لا من غيرها فان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد
البر والبحر من قبيل التفكه مع انه فيه مراعاة الفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل
بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة تكتسب باكراء الابل واثمان نتاجها والبانها وجلودها
ولكم فيها مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية جمال اي زينة في اعين الناس ووجاهة
عندهم حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها
بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين
الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزيين الافنية والاتفاق بها يتجاوب فيها ثغاؤها ورغاؤها
انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فتنقطع اضافتها الحسية
الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على التسريح
لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الانس والبهجة
اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع
حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان الجملتين صفتان لحينا بمعنى
تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل انفسكم واجرامكم
الى بلد قال ابن عباس رضي الله عنهما اريد به اليمن ومصر والشام ولعل نظره الى انها متاجر اهل
مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعل نظره الى ان اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم
الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد سحيق لم تكونوا بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين
عن الاثقال لولا الابل الا بشق الانفس فضلا عن استصحابها معكم وقرئ بفتح الشين وهما
لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة
الى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد والاضافة الى
الانفس مجازية او على تقدير مضاف اي الا بشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء
اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون

الانعام مدار النعم المشار اليها الى الجملة الفعلية المفيدة للحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست في
العموم بحسب المنشا وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة بمثابة النعم
السالفة فانها بحسب المنشا خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها
للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع اصناف الانعام
وعامة لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات ان ربكم لرؤوف رحيم ولذلك اسبغ عليكم
هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة والخيل هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل
وهو عطف على الانعام اي وخلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع
بها بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه وزينة عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا
لفاعل الفعل المعلل دون الاول فان الركوب ليس فعله او مصدر واقع موقع الحال من فاعل تركبوها
او مفعوله متزينين بها او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون اي يخلق في الدنيا غير ما عدد
من انواع النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة
على الاستمرار التجددي واستحضار الصورة او يخلق في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون
اي ما ليس من شانكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون
اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد
كنعمه الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع
والارضين السبع والبحار السبع يدخل فيه جبريل عليه الصلاة والسلام كل سحر فيغتسل فيه
فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه
كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة فلا يعودون
اليه الى يوم القيامة وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد
وقاصد اي مستقيم على طريق الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي
يؤمه السالك لا يعدل عنه اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان
الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال
الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل تقويمها
وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعدما كانت في نفسها منحرفة عنه بل
ابتداء كذلك على نهج قوله سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب
الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدى بمناره وعلم يستضاء
بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة
الحق الناعي على كل ما حاد عنه من الاشراك وتحقيق الهادي الى سبيل الامن الا بسلوك الادلة المفضية
الى معالم الهدى المنجية عن الوقوع في الضلالة وهو المردي الا ترى كيف بين اولا ما يتعلق بجناب الكبرياء
وتعالى بحسب الذات ثم ما يتعلق به من حيث شئونه ثم افتتح بتعنون القاء الوحي على الانبياء عليهم
الصلاة والسلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم ذكر
تنزهه تعالى عما يشركون بحسب الافعال مرشدا الى طريق الاستدلال فبدأ بفعله المتعلق بمحيط العالم
الجسماني ومركزه بقوله خلق السموات والارض تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما
بينهما فبدأ بتفصيل المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معاشهم ثم

على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان سبيل التوحيد
ابين بيان وتعديله ايما تعديل قالوا حمل السبيل على الاول للجنس بدليل اضافة القصد اليه
وقوله تعالى **ومنها** في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله
ومنا دون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي بعض السبيل
او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر **جائر** اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق [ظرائق م]
الضلالة التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم
والضمير في منها راجع اليها بتقدير المضاف اي من جنسها لما عرفت من ان تعديل السبيل
وتقويمه ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد [illegible]
ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب لرعاية الامر المطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما
اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله سبحانه الذي يطعمني
ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال الذي يطعمني ويسقيني ويشفين ولكن
عدل عنه غير على ما قلب به النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد بيان
قصد السبيل بمجرد الايجاد ثم يستقيم حتى يصح اسناد عدله تعالى فيحتاج الى الاعتذار
من عدم ذلك لم يتوجه لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد
ما تقدم من نصب الادلة لهداية الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه بالنسبة الى الطريق
الجائر بان يقال ومنها جائرها حتى يعرف ذلك الاسناد منه تعالى لتعين نكتة تستدعيه ولا
تتوهمنه تتوهم حتى يقتضي الحال دفع ذلك بان يقال الجائر عنها ثم تغيير سبك النظم من ذلك تعليله
اوفى بتنبيل الجملة الظرفية اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل ولاظهار جلالة
قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب
الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل
الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك ثم المبني على المشيئة التابعة للحكمة
ولا يجب رحمته بل هو بحكم الحكمة حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب
الاستعداد واليه اشير بقوله تعالى **ولو شاء لهداكم اجمعين** اي لو شاء ان يهديكم
الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن
لم يشاه لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي يدور عليه
التكليف والثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال التي بها ينتظم
الجزاء هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه
تعالى بانه ينتهي اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتاكيد الاستقامة
على قبيل ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى
هذا صراط علي مستقيم والقصد مصدر بمعنى الفاعل قالوا والحق كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف
على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء
لهداكم جميعا الى الاول وانت خبير بان هذا حق في نفسه ولكن بمعزل عن نكتة توجب التوسيط بين ما
سبق من ادلة التوحيد ومن الحق وما لحق من طريق الاستدلال على التوحيد على وجه الاجمال وتفصيل بعض الادلة
المتعلقة باحوال الحق بان يعقب ذلك ببيان السبل الموصلة اليه تنبيها للمخاطبين على التامل فيما سبق
وحثا على حسن التلقي لما سيجيء ثم ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل **هو الذي انزل** بقدرته

القاهرة **من السماء** من جانب السحاب او من جانب السماء **ماء** اي نوعا منه وهو المطر وتاخيره عن
المجرور لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا انه انزل من
السماء والتشويق فيما سلف من ان عند تاخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا مشتاقا اليه
فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن **لكم منه شراب** اي ما تشربونه وهو اما
مرتفع بالظرف الاول او مبتدا وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية
من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه
لا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه
في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما
فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين وتوسيط الثاني منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة النظم
التنزيل الجليل **ومنه شجر** من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من
الارض سواء كان له ساق او لا او تبعيضية مجازا لانه لما كان سببا من الماء جعل كانه منه كقوله
اسنمة الآبال في ربابه يعني به النبات الذي ينبت به الكلأ الذي تاكله الابل فتسمن اسنمتها وفي
حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ **فيه تسيمون** ترعون من سامت الماشية
واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض **ينبت** اي الله
عز وجل وقرئ بالنون **لكم به** بما انزل من السماء **الزرع والزيتون والنخيل والاعناب** بيان
للنعم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستيناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد
والاستمرار او على انها سنة جارية على ممر الدهور او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين
على المفعول الصريح لما مر آنفا مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم
الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه
ادام من جهة وفاكهة من جهة وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها
من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله
ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصول بعض
من الشيء فالارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بما هو تحت يده
اكثر من اهتمامه بنفسه او بان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا شجر وقيل المراد
تقديم ما يسام لا تقديم غذاء نفائسهم غذاء حيوان الانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت
بالتشديد مسندا الى الزرع وما عطف عليه **ان في ذلك** اي في انزال الماء وانبات ما فصل **لآية**
عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة **لقوم يتفكرون** فان
من تفكر في ان الحبة او النواة تقع في الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج
عروق تنبسط في اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو
ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص
والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة
الطبائع السفلية والتاثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان
يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية
واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث كان تحقق الحصول هذه الطريقة التي هي من
المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر **وسخر لكم الليل والنهار** يتعاقبان لمنامكم

ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس والقمر يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة
وخلافة واصلاح ما نيط بهما صلاحه من المكونات التي من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمنافعكم
ومصالحكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفهم فيها كيف شاؤوا كما في قوله تعالى سبحان
الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كأن
ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما
في المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان
ذلك امر واحد مستمر وان تجددت آثاره والشمس والقمر والنجوم مبتدأ وخبر اي سائر
النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى او لما خلقن له بارادته
ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والنيرين
لم ينسب تسخيرها اليهم باداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى
من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة
للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول
لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات بامره
او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل فيه ما في سخر من معنى نفع
اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده
وتقديره او لحكمه او مصدر جمع لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من انه [illegible]
بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب
في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصوص
مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فيبقى [illegible] بما ذكر دليلا على وجود الصانع تعالى
وقدرته واختياره وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قوله
تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فانى يؤفكون وقال ولئن سألتهم من نزل من السماء
ماء فاحيى به الارض بعد موتها ليقولن الله الآية وانما ذكر ادلة التوحيد من حيث دلالتها على انه لا
يشاركه شيء في شيء فضلا ان يشاركه الجماد في الالوهية ان في ذلك اي فيما ذكر من التسخير المتعلق
بما ذكر مجملا ومفصلا لآيات باهرة متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الآثار العلوية
فدلالتها بما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل
من غير حاجة الى التأمل والتفكر [illegible] لقوم يعقلون [illegible]
الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا يتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين
علم الحكمة ولا ريب في احتياجها الى التفكر وما ذرأ عطف على قوله والنجوم رفعا ونصبا على انه
مفعول لجعل اي وما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا ألوانه اي اصنافه
فان اختلافهما غالبا يكون باختلاف اللون مسخرا لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات
او جعل ذلك مختلف الالوان فتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات
وعقب بان ذلك الخلق لم يغن عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول للاستدلال والثاني [illegible]
[illegible] كونه مخلوقا لهم [illegible] وقيل منصوب بفعل مقدر اي خلق وانبت على ان قوله
مختلفا الوانه حال من مفعوله ان في ذلك الذي ذكر من التسخير ونحوه لآية بينة الدلالة على ان
هذا شأنه واحد لا نديد له ولا ضد لقوم يذكرون فان ذلك غير محتاج الى سوى التذكر لما عسى يغفل

عند من

عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا
بصنع صانع حكيم فعداده مما نحن بصدده مما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد
عرفت حقيقة الحال فان ايراده بما يدل على الاضافة سبحانه مما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق
الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات جيء به للاستدلال على ما يقتضيه
ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية وهو الذي سخر البحر
شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر وتفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اي جعله
بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك
والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة
للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد
كما ينبئ عنه جعل البحر مبتدأ اكله وللايذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء
زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري الى ان من حلف لا يأكل اللحم حنث باكل السمك ولم يكن
[illegible] بالايمان الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث
بركوبه من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها
في مقام الامتنان على ان نساءهم بلباسهم لكونهن من جملتهم او لكونهن لبسهن لاجلهم وترى
الفلك السفن مواخر فيه [illegible] مقبلة ومدبرة بريح واحدة تشقه [illegible] من المخر
وهو شق الماء وقيل هو صوت جري الفلك ولتبتغوا عطف على تستخرجوا وما عطف عليه
وما بينهما اعتراض لما هو مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة
اي لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانباري او متعلقة بفعل محذوف اي وفعل ذلك
لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون حقوق نعمه
الجليلة فتقومون بادائها بالطاعات والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان
فيها قطعا لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من
غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك [illegible] توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء
والشكر [illegible] والقى في الارض رواسي اي جبالا
ثوابت وقد مر تحقيقه في اول سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وقيد
بكم فان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها
ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها
وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور
فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا اي وجعل
فيها انهارا لان القى فيه معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم وعلامات
معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب
ويتعرفون بها الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره
والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرئ بضمتين وسكون
كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم تخفيفا ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيري
التجارات مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم
النجم واقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر

على الزامهم وايجب عليهم **افمن يخلق** هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل
البديعة او يخلق كل شيء **كمن لا يخلق** شيئا اصلا وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام
بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضيه من
اقتضاء ظاهرا والتعقيب بالفاء لترتيب الانكار على ترتيب المشابهة المتلوة على
ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة بذلك فيما بينهم حتى ما
وصفت به ما انزل الماء من قوله تعالى وانبتنا لهم الايات والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه
اعظمها واظهرها واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقا مخصوصا اي لا يعد ظهور اختصاصه
تعالى عند نسبته هذه الاشياء المخصوصة الى الاصنام حتى ينتسب تعالى وتفرده بالالوهية
باستحقاق العبادة بتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل عن ذلك بالمرة على ما هو قضية اشراكهم
ومدارها والانكار على النسبة في الخالق بالخالق لكن المشبه اخرجت كان نسبة لقوم بالتنسيان
اخذ بما عليه النظم الكريم فانها تحتوى سبق الملكة عن العدم وتفاديا عن نسبة عدمها بينها
وبين حجرا بما لفضله الايات فيه فتح ما فصله من حيث ان خلق التمييز بنفع الاصنام عن خلقها
بل هو حط لها لرتبة الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه اقبح من الاول والمراد بالايخلق
كل من هذا شانه من الكائنات والتعبير عنه بالمخصوص للعقلاء خاصة ولم يخلق من كل غيرهم
بمن تغليب فان من يخلق حيث لم يكن الا من لا يخلق وهو من جملة العقلاء فاطلاقه على الجماد وايما كان
فنجى الاصنام في حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الانتساب حيث لا يعقل العالم ولما
بطريق الافهام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لا لانها هي المرادة بالوضع خاصة **افلا
تذكرون** اي الا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه لوضوحه مما لا يفتقر الى شيء سوى التذكر
وان تعدوا نعمة الله تذكير اجمالي لنعمه تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر ايراده
عقيبها تكميلا لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى افمن
يخلق كمن لا يخلق للمبادرة الى الزام الحجة والقاما للحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة
الوحدانية مع ما فيه من سبق من التقريع عليه وطالتها عليها فان لم يكن مقصودة على حيثية
الخلق ظهور دلالتها عليها عن حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت من حيثيتها في
الحيثية الاولى لستغني عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الاجمال اي ان تعدوا نعمه الفائضة
عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما تعدونه وقال تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا **لا تحصوها**
لا تطيقوا حصرها وضبط عددها فضلا عن القيام بشكرها وفي ذلك جماعة من الحقيقة تنبيه
ان لهم بفضل الله سبحانه **ان الله لغفور** حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها
ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك **رحيم** حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تاتون
وتذرون من اصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وايما هذا تعليل
للحكم بعدم الاحصاء فتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية
والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد والاعمال **وما تعلنون** اي تظهرونه منهما وحذف
العائد لمراعاة الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على
اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة
وسورة هود من تحقيق المساواة بين علمه المتعلق بهما على ابلغ وجه كان تعلقه تعالى بالسر اقدم
منه بالعلن او لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم

من تعلقه

من تعلقه بحالته الثانية **والذين تدعون** شروع في تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق
العبادة وتوضيح بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد اوصافها واحوالها المنافية
لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه
على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اي الالهة الذين تعبدونهم الكفار
من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول والخطاب **لا يخلقون شيئا**
من الاشياء اصلا اي ليس من شانهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين المخلوقية
تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك صريحا فقيل **وهم يخلقون**
اي شانهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها
الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم
من وصفي الخالقية والمخلوقية وللايذان بان افتقارها الفعل الحقيقي لا الفاعل الظاهر لاختصاص
الفعل بفاعله بل خالقه ويجوز ان يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة
بينه وبين الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم واعجز منهم وايذانا باحتمال كمال ركاكة
عقولهم حيث اشركوا بالله خالقهم مخلوقهم واما جعل الاول ايضا عبارة عن ذلك كما قيل فلا وجه له اذ
القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة اصلا وما ان اثبات الخلق
لهم غير مستدع لنفي الخلق عنهم مما ان بعض المخلوقين احياء صرح بذلك فقيل **اموات** وهو
خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل اوخبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتريه الحياة
سابقا ولاحقا كاجساد الحيوانات والنطف التي ينشيها الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل
غير احياء اي لا تعتريها الحياة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله تعالى **وما يشعرون
ايان يبعثون** اي ما يشعر اولئك الالهة بالبعث عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لان شعور
الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه
ايذان بان البعث من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية **الهكم اله واحد**
لا يشاركه شيء وهو تصريح بالمدعى وتلخيص للنتيجة غب اقامة الحجة **فالذين لا يؤمنون
بالاخرة** واحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم للعقوبة بعقوبتهم
قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها وللايات الدالة عليها **وهم مستكبرون** عن الاعتراف
بها او عن الايات الدالة عليها والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار
وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من
البينات وتحقق اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار
والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بما في حيز الصلة فان الكفرة بالاخرة وبما
فيها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي الى قصر النظر على
العاجل والاعراض عن الدلائل وما فيها فيدعو الاغالة الى التامل في الايات والدلائل لا لرغبة
ورهبة تورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى **لا جرم** اي حقا وقد مر
تحقيقه في سورة هود **ان الله يعلم ما يسرون** من انكار قلوبهم **وما يعلنون** من استكبارهم
وتفوههم القرآن اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك **انه لا يحب المستكبرين**
تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اي لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن الايات الدالة عليها او
جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر **واذا قيل لهم** اي لاولئك المنكرين المستكبرين ولو فيما

مرتقلعة

لاستهانتهم ماذا انزل ربكم القائل الوافدون عليهم او المسلمون او بعضهم منهم على طريق
التهكم ماذا منصوب بما بعده او مرفوع اي اي شيء انزل او ما الذي انزله قالوا اساطير الاولين
اي ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية احاديث الاولين واباطيلهم وليس من الانزال في شيء
قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند سؤال وفود الحاج عما انزل النبي صلى الله عليه وسلم ليحملوا متعلق بقالوا اي قالوا ما قالوا
ليحملوا اوزارهم الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شيء بنكبة اصابتهم
في الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين يوم القيامة ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض
اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان فهذا يضل وهذا يطاوعه فيتحاملان
الوزر واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار
الاضلال او باعتبار حال قولهم لا باعتبار حال الحمل بغير علم حال من الفاعل اي يضلونهم غير عالمين بان
ما يدعون اليه طريق الضلال واما حمله على معنى غير عالمين بانهم يحملون يوم القيمة اوزار الضلال
والاضلال على ان يكون العامل في الحال قالوا ويؤيده ما سياتي من قوله تعالى فاتاهم العذاب من
حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوي
كما ستقف عليه او حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار
بان مكرهم لا يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه على ان جهلهم لا يكون عذرا
اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل الا ساء ما يزرون اي بئس
شيئا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم بوقوع غائلة مكرهم الخاصة بهم كالذين من قبلهم
من الامم الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب العاجل اي قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى
فاتى الله اي امره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد وهي الاساطين التي
تعمده او اساسه فضعضعته كانه فخر عليهم السقف من فوقهم اي سقط عليهم بنيانهم
اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد شبهت حال قبائل الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات
التي ارادوا بها الايقاع برسل الله صلى الله عليهم وسلم وفي ابطال الله تعالى تلك الحيل والمكايد وجعله
اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى ذلك من قبل الاساطين بان ضعضعت
فسقط عليهم السقف وهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم العذاب اي الهلاك
والدمار من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى
ان هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم اساطير الاولين سيأتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا
يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم القيمة يخزيهم فانه عطف على مقدر
ينبئ عنه الكلام اي هذا الذي فصل من التمثيل من عذاب هؤلاء او ما هو عينه وما ذكر من عذاب اولئك
جزاؤهم في الدنيا ثم يوم القيمة يخزيهم اي يذلهم بعذاب الخزي على رؤوس الاشهاد واصل الخزي ذل
يستحيى منه وثم للايذان بما بين الجزاءين من التفاوت مع ما دل عليه من التراخي الزماني وتغيير
السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان
الاخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن بان لهم جزاء اخرويا فتبقى النفس مترقبة الى وروده سائلة عنه بانه
ماذا مع تيقنها بانه في الاخرة فسيق الكلام على وجه يؤذن بان المقصود ذكر الخزي لا كونه يوم
القيمة والضمير اما للمفترين في حق القرآن او لهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين وتخصيصه بهم يأباه السياق
والسياق كما ستقف عليه ويقول تقريعا وتوبيخا وهو الحق بيان للخزي اين شركائي اضافهم

الذين

التي سبقها تمسكا به لاضافتهم الكاذبة وفيه توبيخ الى توبيخ مع استهزائهم الذين كنتم تشاقون
فيهم اي تخاصمون الانبياء والمؤمنين في شأنهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها
والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة او للمدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت وللاستفسار
عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ
ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجاء فيها او ابانتهم لما لم ينفعوهم فكانت غيبا بل يكفي في ذلك عدم
حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية وليس هناك شركاء ولا
اماكنها على ان قوله ليتفقدوها ليس بسديد فانه قد تبين عندهم الامر حينئذ لوضوح ذلك
الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون اي تشاقونني على ان مشاقة الانبياء
والمؤمنين لا سيما في شأن متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل قال الذين اوتوا العلم
من اهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا الى
التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة بهم وتقريعا لما كانوا
يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق بتحتم وقوعه
حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف
ان الخزي الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب بالخزي على رأي من يرى اعمال المصدر باللام او
بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظرف وفي ايراده
للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عز وشقاق والسوء العذاب على الكافرين بالله تعالى وبآياته
ورسله الذين تتوفاهم الملائكة بتاء التأنيث وقرئ بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول الى
الصيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم بما فيها من الهول والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين
او بدل منه او في محل النصب او الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت
دون من آمن منهم ولو في آخر عمره اي على الكافرين المستمرين الى ان تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم
اي حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد
وبدلوا فطرة الله تبديلا فالقوا السلم اي فيلقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه
وهو عطف على قوله تعالى فيقول اين شركائي وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي
على رؤوس الاشهاد اي فيلقون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة
قائلين ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اي من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين وانما عبروا عنه بالسوء لعنى فلا يكون شيئا الا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم
ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله
سبحانه اين شركائي كما في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم ادعاء لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي
والسوء بلى رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما نفوه اي بلى كنتم تعملون ما تعملون ان الله عليم بما
كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف من باب المعد له
وقيل ابوابها اصناف عذابها فادخلوا عبارة عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان اريد
بالدخول حدوثه فهي حال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين
اي عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته
لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم فقيل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك
في اعتقادنا ردوه بالمحافظة على ان كذبهم برده الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر

كيف كذبوا على أنفسهم «وقيل للذين اتقوا» أي المؤمنون وصفوا بالتقوى إشعاراً بأن ما صدر عنهم
من الجواب ناشئ عن التقوى «ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً» سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم
ولا تغيير في الصورة والمعنى أي أنزل خيراً فإنه جواب مطابق للسؤال نصاً وللواقع في نفس الأمر مضموناً
وأما الكفرة فإنهم حين خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن نهج الحق الواقع الذي ليس له مرد أعرضوا
صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الأساطير روماً لما مر من إنكار النزول وروي أن
أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد لقيه
المقتسمون يأمرونه بالانصراف وقالوا إن لم تلقه كان خيراً لك فيقول أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون
أن أستطلع أمر محمد فأراه فيلقى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة
الحال فهم الذين قالوا خيراً «للذين أحسنوا» أي عملوا الأعمال الصالحة «في هذه الدار الدنيا
حسنة» أي مثوبة حسنة مكافأة فيها «ولدار الآخرة» أي مثوبتهم فيها «خير» مما أوتوا في
الدنيا من المثوبة أو خير على الإطلاق فيجوز إسناد الخيرية إلى نفس دار الآخرة «ولنعم دار المتقين»
أي دار الآخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كما ترى مبتدأ كلام مدح الله به المتقين وعجل لهم الحكم
من جهة إحسانهم ووعدهم بذلك في الدنيا والآخرة فلا محل له من الإعراب أو بدل من خيراً أو تفسير له
أي أنزل خيراً هذا هو الكلام الجامع ثم إلى ترغيب المتقين «جنات عدن» خبر مبتدأ محذوف أو
خبر محذوف أي هي جنات ويجوز أن يكون هو المخصوص بالمدح «يدخلونها» صفة لجنات على تقدير
تنكير عدن وكذلك تجري «تجري من تحتها الأنهار» أي كائناً حال على تقدير عكسه «لهم فيها» في
تلك الجنات «ما يشاؤون» الظرف الأول خبر والثاني حال من ضمير العامل في الأول ومتعلق به أي لهم
فيها ما يشاؤون من أنواع المشتهيات وتقديم الظرف للاحتراز عن توهم تعلق المشيئة بما هو المتعارف إلى أن
تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس إليه فيتمكن عند وروده فضل تمكن «كذلك» مثل ذلك الجزاء
الأوفى «يجزي الله المتقين» اللام للجنس أي كل من يتقي من الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون
دخولاً أولياً فيكون فيه بعث لغيرهم على التقوى أو للعهد فيكون فيه تعريض بالكفرة «الذين تتوفاهم
الملائكة» نعت للمتقين وقوله تعالى «طيبين» طاهرين عن دنس الظلم لأنفسهم حال من الضمير وفائدته
الإيذان بأن ملاك الأمر في التقوى هو الطهارة عما ذكر إلى وقت توفيهم ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار
على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض
أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى جناب القدس «يقولون» حال من الملائكة أي قائلين لهم «سلام
عليكم» قال القرطبي رحمه الله إذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه الصلاة والسلام فقال
السلام عليك يا ولي الله إن الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة «ادخلوا الجنة» اللام للعهد أي
جنات عدن الآخرة ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته فإن ذلك بشارة عظيمة
وإن تراخى المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها إذ ليس في البشارة ما في البشارة بدخول نفس الجنة
«بما كنتم تعملون» بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة أو بالذي كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفي
التوفي في الحشر لأن الأمر بالدخول حينئذ يتحقق «هل ينظرون» أي ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم «إلا أن
تأتيهم الملائكة» لقبض أرواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وليس بينهم وبينه انتظار لأن لا تباعهم
البت لحوق الأمر المنتظر بهم وما شرعوا به من أسباب الوجبة المؤدية إليه فكأنهم يقصدون إتيانه ويترصدون
وروده وقرئ بالتذكير «أو يأتي أمر ربك» التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره صلى
الله عليه وسلم إشعاراً بأن إتيان ذلك لنصرته صلى الله عليه وسلم وإذا كان عذاباً عليهم [illegible]

العذاب الدنيوي لا القيامة لما أن الإتيان لا انتظار لها جامع انتظار إتيان الملائكة فلا يلائم العطف بأو
لأنها ليست نصاً في العذاب إذ يجوز أن يعقبه منح الخلود بإدخال أرواحها بتكمل الفريقين الأمرين بعدها
بل لأن قوله تعالى فيما سيأتي ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم الآية تصريح في أن المراد به ما أصابهم من
العذاب الدنيوي «كذلك» أي مثل فعل هؤلاء من الشرك والتكذيب والاستهزاء «فعل الذين» ظلموا من
«قبلهم» من الأمم «وما ظلمهم الله» بما سيأتي من عذابهم «ولكن كانوا أنفسهم» بما كانوا استمروا
عليه من القبائح الموجبة لذلك «يظلمون» كأن الظاهر أن يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة
الزخرف لكنه أوثر ما عليه النظم الكريم لإفادة أن غائلة ظلمهم آيلة إليهم وعاقبته مقصورة عليهم
مع استلزامه اقتصار كل ظلم كل أحد على نفسه من حيث وقع اقتصار ظلمه من حيث الصدور وقد فصل
تحقيقه في سورة يونس «فأصابهم» عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان
أن فعلهم ذلك ظلم لأنفسهم «سيئات ما عملوا» أي أجزية أعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب
باسم سببه إيذاناً بفظاعته لا على حذف المضاف فإنه يوهم أن لهم أعمالاً غير سيئاتهم «وحاق بهم»
أي أحاط بهم من الحيط الذي هو إحاطة الشيء وهو أبلغ من الإصابة وأفظع «ما كانوا به يستهزئون» من
العذاب «وقال الذين أشركوا» أي أهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول عن الإضمار إلى الموصول
لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من أول الأمر «لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء» أي لو شاء
عدم عبادتنا لشيء غيره كما تقول «ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا» الذين نقتدي بهم في الدين
«ولا حرمنا من دونه من شيء» من السوائب والبحائر وغيرها وإنما قالوا ذلك تكذيباً للرسول صلى الله
عليه وسلم وطعناً في الرسالة رأساً متمسكين بأن ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فلو
شاء أن نوحده ولا نشرك به شيئاً ولا نحرم ما حرمنا شيئاً كما تقوله الرسل وينقلونه من جهة
الله عز وجل لكان الأمر كما شاء من التوحيد ونفي الإشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك
ثبت أنه لم يشأ شيئاً من ذلك وإنما يقوله الرسل من تلقاء أنفسهم فأجيب عنه بقوله عز وجل «كذلك»
أي مثل ذلك الفعل الشنيع «فعل الذين من قبلهم» من الأمم أي أشركوا بالله وحرموا حله
وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نهوهم عن الباطل وصدعوهم بالحق «فهل على الرسل»
الذين يبلغون رسالات الله وعزائم أمره ونهيه «إلا البلاغ المبين» أي ليست وظيفتهم
إلا تبليغ الرسالة تبليغاً واضحاً وموضحاً وبأنه طريق الحق ومناهجه والكشف عن الوحي الذي من جملته
تحتم مشيئة الله تعالى بأن هداه من صرف قدرته واختياره إلى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأما إلجاؤهم إلى ذلك فنتعبد فوهم عليهم شاؤوا أو أبوا كما هو
مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها يدور أمر التكليف في شيء
حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقية الرسل أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك
فإن ما عليه يترتب الثواب والعقاب من أفعال العباد لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من
مباشرتهم الاختيارية وصرف اختيارهم إلى تحصيله وإلا لكان الثواب والعقاب اضطراريين
فالفاء للتعليل كأنه قيل كذلك فعل أسلافهم وذلك باطل فإن الرسل ليس شأنهم إلا تبليغ
أوامر الله تعالى لا تحقيق مضمونها قهراً وإلجاء وفهمها على الناس قسراً قلت وإيراد
كلمة على الإيذان بأنهم في ذلك مأمورون أولاً لأن ما يبلغونه حق الناس عليهم إنفاقه وبهذا ظهر
أن تحول قولهم لو شاء الله إلخ على الاستهزاء والإلزام ثم الجواب والله أعلم بالصواب «ولقد بعثنا في
كل أمة رسولاً» تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى بأفعال العباد بعد بيان أن الإلجاء ليس من

وطائفة الى سائر ولا ارباب المشيئة المتعلقة بما يرد وعليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية
لهم اي بعثنا في كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله يجوز ان تكون
مفسرة لما في البعث من معنى القول وان تكون مصدرية اي بعثنا بان اعبدوا الله وحده واجتنبوا
الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة فمنهم اي من تلك الامم من هدى الله
والفاء فصيحة اي فبلغوه ما بعثنا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت بعد
صرف قدرتهم واختيارهم الحق والخير فمنهم من حقت عليه الضلالة اي وجبت
وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب
للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة
الهداية وعدمها الا بحسب ما يحصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا بطريق القسر والالجاء
حتى يستدل بعدمها على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم لما تعالى عن ذلك فسيروا يا معشر
قريش في الارض فانظروا في اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار
بسيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم
آثار العذاب والهلاك وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار
حلول العذاب للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير
لما انه بعده وان مدار الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعليل بانه لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء ان تحرص خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهي لغة
على هداهم اي ان تطلب هدايتهم بجهدك فان الله لا يهدي من يضل اي فاعلم انه تعالى لا
يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة لسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول
موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليهم الضلالة وللاشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم ويجوز ان يكون
المذكور علة للجزاء المحذوف اي ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدي من يضل
وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدي بفتح الياء وادغام تاء يهتدي في الدال ويجوز ان يكون
يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل وما
لهم من ناصرين ينصرونهم في الهداية او يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين
باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الآحاد الى الآحاد لا ان المراد
نفي طائفة من الناصرين من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان فن آخر من اباطيلهم
وهو انكارهم البعث جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله
من يموت ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله بلى اي بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما
دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه او لمحذوف اي وعد بذلك وعدا عليه حقا
صفة لوعدا اي وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث من مقتضيات الحكمة
حقا صفة اخرى له او نصب على المصدرية اي حق حقا ولكن اكثر الناس لجهلهم بشؤون الله
عز وجل من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم
وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما تقتضيه الحكمة التي جرت عادته
سبحانه بمراعاتها لا يعلمون انه يبعثهم فيبتون القول بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه
قائلين ليبين لهم غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المؤمنين
ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم

الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هي ومعاينتها
بصورها الحقيقية الشأن الذي يختلفون فيه من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع
المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا وليعلم الذين كفروا بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب
وعده الحق انهم كانوا كاذبين في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق
بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلهما
غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستدعي
للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان الى الحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقيق البعث انما كان
لتبيين انه حق وليعلموا انهم كاذبون في انكاره كان ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به ضرورة
انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك لا تصلي لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك
ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها والا فالغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته انما هو
الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في
مواضع لا تحصى وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين
بل جيء بصيغة العلم لان ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر
به فيختلف فيه المختلفون وانما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل فانما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل
انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين
بعد حيث لم يقل فيعلم الله الكاذبين لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون استئناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء واعادة بعد التنبيه على انية البعث ومن يظهر
فانما كافة قولنا مبتدأ وقوله لشيء اي اي شيء كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في
قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اي لاجل شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار
وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لا انه كان شيئا قبل ذلك اذا اردناه ظرف لقولنا اي وقت اردنا
لوجوده ان نقول له كن فيكون خبر للمبتدأ فيكون اما عطف على مقدر ينبئ عنه الفاء وينسحب عليه الكلام اي فنقول
ذلك فيكون كقوله تعالى واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف اي فاذا قلنا ذلك
فهو يكون فليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مأمور حتى يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب المعدوم
او تحصيل الحاصل او يقال انما يستدعيه اختصاص الخطاب فلا يلزم من اختصاص اسباب التكوين فيه
كما يفيده قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشأن الشامل للقول والفعل
ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق في ذلك بل انما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات
حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع للآمر
المطاع فالمعنى انما ايجاد الشيء عند تعلق مشيئتنا به ان نوجده في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر
الذي هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتأمل في الآية الكريمة من الفخامة والجزالة
ما لقاريها في العقول والالباب وقرئ بنصب فيكون عطفا على نقول فتشبيها بالجواب الامر والذين هاجروا
في الله اي في شأن الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا وهم الذين ظلمهم اهل
مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى
المدينة حسبما وعدهم بقوله سبحانه لنبوئنهم في الدنيا حسنة اي مباءة حسنة وتبوئة حسنة
كما قال قتادة وهو الاشبه بما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها مكية واما ما نقل عن
ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل

اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليرتدوا عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت
معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله عنه قال ربح
البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهذا انما يناسب ما عليه الاكثر من
كون كل السورة مكية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية الى آخر السورة مدنية يحمل على ما نقلناه
عنه من نزول الآية في اصحاب الهجرتين على تقدير نزولها بالمدينة بين الهجرتين واما حمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تخلف بعد هجرته فلا يساعده نظم التنزيل ولا يليق بشأنه الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه اثواءة
حسنة او لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة
واهل الشرق والغرب كافة ولاجر الآخرة اي اجر اعمالهم المذكورة في الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا
ما وعدك الله تعالى في الدنيا واما ما ادخر لك في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا
ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لما تحرجوا
ولزادوا في الاجتهاد فلا تأملوا ما اصابهم من المهاجرة وشدائدها الذين صبروا على الشدائد من
اذى الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم خاصة
يتوكلون منقطعين اليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة
على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل او حال من ضمير صبروا وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقرئ بالياء مبنيا للمفعول رد لقريش حين قالوا الله اجل
من ان يكون له رسول من البشر كما هو معنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اي جرت السنة الالهية
حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليهم بواسطة الملك اوامره
ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه
الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل فاسألوا اهل الذكر اي اهل الكتاب او علماء الاخبار او كل
من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك ان كنتم لا تعلمون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة
على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه الى الملائكة رسلا الى الملا
ولا امرأة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو في المهد لانها اعم من الرسالة
والاشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والباء متعلقة
بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بما ارسلنا داخلا تحت
الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط
او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اي وما ارسلنا قبلك بالبينات والزبر الا رجالا ولا يجوز
ان تخصص ما قبل الا الا بما بعدها وانما وقع صفة المستثنى اي الا رجالا ملتبسين بالبينات اي يوحي
على المفعولية او الحالية من القائم مقام فاعل نوحي وهو اليهم على انه قوله تعالى فاسألوا
اعتراض او بتعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وانزلنا اليك
الذكر اي القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس كافة ويدخل فيهم
اهل مكة دخولا اوليا ما نزل اليهم في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون
المهلكة وافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه
صيغة التفعيل في الفعلين لاسيما بعد ورود الثاني ولا سيما صيغة الاجمال ولعل ان التبيين لهم
من التضعيف للمقصود ومن الاشارة ما يدل عليه مدخل تحت البيان على الاطلاق سواء كان في الاحكام

الشرعية

الشرعية او غيرها ولعل لتعلق لغرض جليل ولعلهم يتفكرون اشارة الى ان ذلك اي ارادة ان يتأملوا
فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عن مثل ما ادى الى ما اصاب الاولين من العذاب افأمن
الذين مكروا السيئات هم اهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه
عن الايمان وقيل هم الرهط لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما ان
المراد تحذيرهم لامن اصابة مثل ما اصاب اولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات
نعت لمصدر محذوف اي مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به للفعل المذكور
على تضمينه معنى العمل اي عملوا السيئات وقوله تعالى ان يخسف الله بهم الارض مفعول
لأمن او من السيئات صفة لما اهل الفعل اي فامن الماكرون العقوبات السيئة وقوله
ان يخسف الخ بدل من ذلك وهي كحال فالفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم
اي انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب
ويتفكروا في ذلك فلم يتفكروا افأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون
على توجيه الانكار الى المعطوفين معا او تفكروا فامنوا على توجيهه الى المعطوف فقط اي الامن بعد
التفكر لان الانكار يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة اي افامن الذين
مكروا الى الخ او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون باتيانه او في غفلتهم او من جانب
ومن حيث يرجون اتيان ما يشتهون او يأخذهم في تقلبهم اي في حالة تقلبهم في مسايرهم
ومتاجرهم فما هم بمعجزين ممتنعين او فائتين بالهرب والفرار على ما يوهمه حال التقلب
والسير لما انه سبيل الاخذ ولقد ترتب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته حسبما
قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية
للدلالة على دوام النفي لا نفي الدوام او يأخذهم على تخوف اي مخافة وحذر عن الهلاك
والعذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا
التخوف والتقلب مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته فيها قبلهما بالا
تيان وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص وقال قائلهم
تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان ينقصهم شيئا
بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا قال او يذكر الامور الثلاثة في بيان قدرة الله تعالى
على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها فان ربكم لرءوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
ويحلم عليكم مع استحقاقكم لها اولم يروا استفهام انكاري وقرئ على صيغة الخطاب
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم ينظروا ولم يروا متوجهين الى ما خلق الله
من شيء اي من كل شيء يتفيؤ ظلاله اي ترجع شيئا فشيئا حسبما تقتضيه ارادة الخالق
فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بالتاء لتأنيث الفعل عن اليمين والشمائل اي الم يروا
الاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من
يمين الانسان وشماله سجدا لله حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال
والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتأبيها لارادته تعالى في الامتداد
والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون اي صاغرون
منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء
لما ان الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها

وباختلاف مشارقها ومغاربها فانها كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات
اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة
بها على هيئة الساجد والجملة الاعضاء بها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها
بالدخول مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع
ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة ولعل المراد بالموصول الجمادات من
الجبال والاشجار والاحجار التي لا يظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها
او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين
والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والطلوع
وشماله هو جانبه المغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع
الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعدما بين سجود
الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها وذكر سجودها له سبحانه وتعالى شرع
في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال اولا فقيل **ولله يسجد** اي له تعالى
وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب
بحال المخاطبين قصر الافراد كما ينبئ عنه قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين **ما في
السموات** قاطبة **وما في الارض** كائنا ما كان **من دابة** بيان لما في الارض وتقديمه
لقلته ليقع بين المبين والبيان فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شموله
السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال مثله
والملائكة عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد
بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض
من الحفظة وغيرهم **وهم** اي الملائكة مع علو شأنهم **لا يستكبرون** عن عبادته عز وجل
والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من ضمير الفاعل في يسجد مسندا
الى الملائكة او استئناف اخبر عنهم بذلك **يخافون ربهم** اي مالك امرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية
لهم ابانة واشعار بعلية الحكم **من فوقهم** والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير
لهم من يخاف من الله سبحانه واسناد الفعل بسبب المفعول جرى على سنن الجلالة وايذانا بعدم
الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة اسناده الى غيره سبحانه وفيه ان الملائكة مكلفون
مدارون بين الخوف والرجاء وبعدما بين ان جميع الموجودات يخضعون بالخضوع والانقياد
الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد واصلا
بالسجود عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل **وقال
الله** عطف على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظ الجلالة بالذكر للايذان بانه
متعين للالوهية وانما المنهي عنه هو الاشراك به لا ان المنهي عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق
الانتهاء عنه برفض ايهما كان اي قال لجميع المكلفين **لا تتخذوا الهين اثنين** وانما ذكر العدد
مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق النهي الى الاثنينية فانها منافية للالهية
كما ان وصف الاله بالوحدة كما في قوله تعالى **انما هو اله واحد** للدلالة على انها المسلم الثبوت له سبحانه
والتي باشر حيث اسند اليه الفعل وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على راي من لا يشترط في تحقق الالتفات
بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه **فاياي فارهبون**

التفات من

التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول
وكرر الفعل اي ان كنتم راهبين شيئا فاياي فارهبون لا غيري فانا ذلك الواحد الذي يسجد له ما في
السموات وما في الارض **وله ما في السموات والارض** خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما
له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص
وكذا في قوله **وله الدين** اي الطاعة والانقياد **واصبا** اي واجبا ثابتا لا يزول لما تقرر
انه الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين
الجزاء اي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر **افغير الله تتقون** الهمزة للانكار
والفاء للعطف على مقدر يستدعيه السياق اي اعقيب تقرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع
الموجودات للسجود به تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا
المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه تتقون غير الله الذي شأنه ما ذكر فتطيعونه
وما بكم اي اي شيء يلابسكم ويصاحبكم **من نعمة** اي نعمة كانت **فمن الله** فهي من الله فما شرطية او موصولة
متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها
منه تعالى لا لكونها منه تعالى **ثم اذا مسكم الضر** مساسا يسيرا **فاليه تجأرون** تتضرعون
في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات
المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفي
ذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع الدلالة على الوقوع
بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس ادنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع
ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بما المنبئة
عن المرتبة من العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقيق وقوع
الجواب **ثم اذا كشف الضر عنكم** وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس
الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الاشراك
المدلول عليه بقوله سبحانه **اذا فريق منكم بربهم يشركون** فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية
من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة
فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما
نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضية ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح
ما ارتكبوه من الاشراك والكفران **ليكفروا بما آتيناهم** من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك
كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل **فتمتعوا** امر تهديد بالالتفات الى الخطاب للايذان
بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعم والتمتع غرضا لهم
من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد **فسوف تعلمون** عاقبة امركم وما ينزل
بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد منبئ عن اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه لا يوصف **ويجعلون**
لما عطف على ما سبق بحسب المعنى تعداد لجناياتهم اي يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى
عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه **لما لا يعلمون** حقيقته من الخسيس من الجمادات
التي يتخذونها شركاء لله سبحانه بجهالة وسفه ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة
والعائد اليها محذوف او لما لا علم له اصلا وليس من شأنه ذلك فما موصولة ايضا والعائد اليها ما في
الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء

او مصدرية واللام للتعليل اي لجعلهم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه نصيبا مما
رزقناهم من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها تالله لتسئلن سؤال توبيخ وتقريع عما
كنتم تفترون في الدنيا بانها آلهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف
الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة
الذين يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عز وجل مضمون قولهم ذلك وتعجيب
من جراءتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين وما مرفوعة المحل على انه
مبتدأ والظرف المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض في حال وقرئ بجعلها منصوبة
بالعطف على البنات اي يجعلون لانفسهم ما يشتهونه من البنين وفيه ان الجعل بمعنى الزعم
او الاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل وجهه اي صار او دام النهار
كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشويش وهو كظيم
مملوء حنقا وغيظا يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من اجل سوئه
والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء ايمسكه اي مترددا في نفسه في شأنه ايمسكه
على هون ذل وقرئ هوان ام يدسه في التراب يخفيه بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ
بالتأنيث الا ساء ما يحكمون كيف يجعلون لله الذي شأنه ما هو عندهم من الهوان والحقارة ما يبلغ
على الصلة والولد فكيف ان الا انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم
ذلك لله سبحانه مع ابائهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه حتى ان
يكون مداره التعكيس كقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالآخرة ممن ذكر قبائحهم
مثل السوء صفة السوء الذي هو المثل في القبح وهي الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم
وايثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي كل ذلك بالعجز
والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر
بالآخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في العلو مطلقا
وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى
عما قالوه علوا كبيرا وهو العزيز المنفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي
يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما افادته قوله تعالى
وهو العزيز الحكيم وايذان بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى الغاية ما ترك عليها على الارض المدلول
عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة اي ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم
الظالمين لقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابي هريرة رضي الله عنه
انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم
الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل
لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او
لعذابهم كي يتوالدوا او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى فلا يستأخرون عن ذلك الاجل الذي
لا يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فذة وهي مثل
في القلة للدهر ولا يستقدمون اي لا يتقدمون ولعله من تفرع الكلام مع انه لا يتصور الاستقدام عند

الاجل

لاجل مبالغة في بيان عدم الاستيخار بنظمه في سلك المستحيل كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات
كافرا مع انه لا توبة له رأسا قد نظم في سلك من لم تقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر في سورة
يونس ويجعلون لله اي يثبتون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم ما يكرهونه لانفسهم مما ذكر
وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب اي يجعلون لله تعالى
ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى اي العاقبة الحسنى عند الله كقوله ولئن
رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة لا جرم رد
لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اي حقا ان لهم مكان ما املوا من الحسنى النار التي ليس وراء عذابها
عذاب وهي علم في السوء وانهم مفرطون اي مقدمون اليها من افرط اي قدمه في طلب الماء
وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من
فرطته في طلب الماء وبكسرها من التفريط في الطاعات وبكسرها مخففة من الافراط
في المعاصي فلا يكون حينئذ من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى
امم من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على
ذلك اي ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اي قرينهم وبئس القرين اليوم اي يوم زين لهم الشيطان
اعمالهم فيه على طريقة حكاية الحال الماضية او في الدنيا ويوم القيمة او في الدنيا او يوم القيمة
على طريق الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم اليوم
لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركي قريش والمعنى زين لهم
الشيطان اعمالهم فهو وليهم اي لا ولي لهم غيره وان يكون على حذف المضاف اي ولي امثالهم ولهم في
الآخرة عذاب اليم هو عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب القرآن الا لتبين استثناء
مفرغ من اعم العلل اي ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين لهم اي للناس الذي
اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان
على محل لتبين اي للهداية والرحمة لقوم يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثري فاعل
الفعل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقد الشرط ولعل تقديمه عليهما للتقدم
في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لكونهم المغتنمين لآثاره والله انزل من السماء
اي من السحاب او من جانب السماء بحسب ما مر وهذا تكرير لما سبق تأكيدا للمضمون وتوطئة لما
يعقبه من ادلة التوحيد ماء نوعا خاصا من الماء وهو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما
مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاحيا به الارض بالنباتات بعد موتها اي بعد يبسها
وما تفيده الفاء من التعقيب عادي لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ان في ذلك اي
في انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به لآية واية آية دالة على وحدته سبحانه
وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك
اصم وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة واي عبرة تحار في دركها العقول ويهيم في فهمها
الباب الفحول نسقيكم استيناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة مما في بطونه اي بطون
الانعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية
على افعال كاخلاق وانكباش والتأنيث في سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع

نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعض جنسها او بناء على المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون
ههنا وفي سورة المؤمنون **من بين فرث ودم لبنا خالصا** الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش
المنهضمة بعض الانهضام وكشفه ما يبقى في المعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا
اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به وسطه
يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لان عدم تكونهما في الكرش مما لا ريب فيه
بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها
فيحدث اخلاطا اربعة مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من
المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها
فيجري الى كل حق على ما يليق به بتقدير العزيز العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر
غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا
انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها الغددية البيض فيطيب
فيصير لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعداد مقارها
ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف
بكمال علمه وحكمته وقدرته وتناهي رأفته ورحمته ومن الاولى تبعيضية لما ان اللبن بعض ما في بطونه
لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية
ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه
على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه التاخير يبعث النفس شوقا الى المؤخر موجب لفضل تمكنه عند
وروده عليها لا سيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين
وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتباينا بحيث لا يتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف
الى المؤخر كما في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه
على انه موضع العبرة خالصا من شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ خفي من القدرة
القاهرة الحاجزة عن بغي احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له **سائغا للشاربين** سهل المرور في
حلقهم ولم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف كهين وهين **ومن ثمرات**
النخيل والاعناب متعلق بما دل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم للاعطاء للمطعوم
وللمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اي ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرها
وقوله تعالى **تتخذون منه سكرا** استئناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او يتعلق بتتخذون منه
وتكرير الظرف للتاكيد او خبر لمبتدا محذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر
تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني العصير او لان المراد هو الجنس والسكر
مصدر سمي به الخمر وقيل هو الطعم **ورزقا حسنا** كالتمر والدبس والزبيب والخل والاية ان كانت
سابقة لتحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة **ان في ذلك لآية**
باهرة **لقوم يعقلون** يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتامل **واوحى ربك الى النحل**
الهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين **ان اتخذي**
اي بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان تكون مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وتانيث الضمير
لان النحل مذكر يجوز تانيثه للمعنى او لانه جمع نحلة والتانيث لغة اهل الحجاز **من الجبال بيوتا** اي اوكارا

ثم ما فيهما

ثم ما فيهما من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء **ومن الشجر ومما يعرشون** اي يعرشه الناس
اي يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي بعض
بيوتا من الجبال والشجر اذ لا يكون البيت الا فيها والا فتخذي مما يعرشون لك وانما اوثر حرف التبعيض لما
انها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها **ثم كلي من كل الثمرات** من كل ثمرة
تشتهيها حلوها ومرها **فاسلكي** ما اكلت منها **سبل ربك** اي مسالكه التي يحيل
فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من اجوافها فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او
فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس **ذللا** جمع ذلول وهو حال من
السبل اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في فاسلكي اي اسلكي منقادة
لما امرت به **يخرج من بطونها** استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب
صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعدما امرت بما امرت **شراب** اي عسل لانه مشروب واحتج به
وبقوله تعالى كلي من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في بطنها عسلا ثم
تقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها لا تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة تتفرق على
الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه
مختلف الوانه ابيض واصفر واسود واحمر حسب اختلاف سن النحل او الفصل الذي اخذت
منه العسل **فيه شفاء للناس** اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في الامراض
اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة
ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال صلى الله عليه وسلم
اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق
الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن لما بين الله تعالى
من احوال النحل وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور
فعليكم بالشفاءين العسل والقرآن **ان في ذلك** الذي ذكر من الاعاجيب بما قدرة الله تعالى **لآية**
عظيمة **لقوم يتفكرون** فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة
المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بآلات وادوات
رفيعة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك
ويهديها اليه جل جلاله **والله خلقكم** لما ذكر سبحانه بعض عجائب احوال ما ذكر من الماء والنبات
والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب احوال البشر من اول عمره الى آخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد
ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشوء والنماء والثانية سن الوقوف وهو سن الشباب
من الانحطاط القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكثير وهي سن الشيخوخة
ثم يتوفاكم حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة بآجال مختلفة اطفالا
وشبانا وشيوخا **ومنكم من يرد** قبل توفيه **الى ارذل العمر** اي اخسه واحقره
وهي خمس وسبعون سنة لما روي عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة
رضي الله عنه وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه
والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة لقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق
ولا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة **لكيلا يعلم بعد علم**
كثير شيئا من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل

بعد علمه الأول شيئا إن الله عليم بمقادير أعماركم قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط
ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على أن تفاوت الآجال ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل
أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ والله
فضل بعضكم على بعض في الرزق أي جعلكم متفاوتين فيه فأعطاكم منه أفضل مما أعطى
مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم برادي رزقهم الذي رزقهم إياه على ما
ملكت أيمانهم على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية فهم أي الملاك
والمماليك فيه أي في الرزق سواء أي لا يردونه عليهم بحيث يتساوون في التصرف ويشاركوهم
في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد أي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا
للتساوي وإنما يردون عليهم منه شيئا يسيرا فحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لأنفسهم
وهم أمثالهم في البشرية والمخلوقية فيما رزقهم الله سبحانه مما لا يختص بهم بل يعمهم وإياهم
من الرزق الذي هو أسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق إلا
به من الألوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار
وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت
أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء الآية أفبنعمة الله يجحدون حيث يفعلون
ما يفعلون من الإشراك فإن ذلك يقتضي أن يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم إلى شركائهم
ويجحدوا كونها من عند الله تعالى أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعدما أنعم الله بها عليهم والباء
لتضمين الجحود معنى الكفر والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل
أي يشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب بالتماس إلى برادي رزقهم على مماليكهم
بل أنا الذي أرزقهم وإياهم فلا يحسبوا أنهم يعطونهم شيئا وإنما هو رزقي أجريه على أيديهم فهم
جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم أفبعد ذلك فيجحدون نعم الله فهو رد على زعم المفضلين
أم على تقدير الخطاب بذلك أوما للمفضلين برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك
جميعا مع التفضيل ليس لأنهم أي يشركون لم يكفرون الأثر يعرفون ذلك فيجحدون نعم الله تعالى
فقيل كأنه قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد وعن أبي
ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون
وأطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت
والله جعل لكم من أنفسكم أي من جنسكم أزواجا لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم
ويكون أولادكم أمثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام وجعل لكم من
أزواجكم وضع الظاهر موضع المضمر للإيذان بأن المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره
بنين وبأن نتيجة الأزواج هو التوالد وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة
ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد أي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم وقيل الأولاد
بنين أولاد الأولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك إيذانا بوجه المنة فإنهن يخدمن في البيوت أتم
خدمة وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الأختان على البنات
وتأخير المنصوب في الموضعين عن المجرور لما مر من التشويق فإن تقديم ما حقه التأخير
أول الأمر يعود منفعته إليهم أي جعل لمصلحتكم مما يناسبكم أزواجا
وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات من اللذائذ أو من الحلال

ومن للتبعيض إذ المرزوق في الدنيا أنموذج لما في الآخرة أفبالباطل يؤمنون وهو أن الأصنام
تنفعهم وأن البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر أي يكفرون
بالذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل أو بعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه
وبنعمت الله الفائضة عليهم مما ذكر وما لا يحيط به دائرة البيان هم يكفرون حيث يضيفونها
إلى الأصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام أو لإيهام الاختصاص مبالغة أو لرعاية الفواصل
والالتفات إلى الغيبة للإيذان باستيجاب حالهم الإعراض عنهم وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين
تعجيبا لهم مما فعلوه ويعبدون من دون الله لعله عطف على يكفرون داخل تحت الإنكار التوبيخي
أي أيكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا
أي يجعل الرزق مصدرا فانتصب على المفعولية شيئا أي لا يقدر على أن يرزقهم شيئا لا من السماوات
مطرا ولا من الأرض نباتا وإن جعل اسما للمرزوق فنصب على البدلية منه ومن السماوات والأرض
صفة لرزقا أي كائنا منهما ويجوز كونه تأكيدا لما لا يملك أي لا يملك رزقا ما شيئا من الملك ولا يستطيعون
أي لا يملكون أو لا استطاعة لهم رأسا لأنها أموات لا حراك بها والضمير للآلهة ويجوز أن يكون للكفرة
على معنى أنهم مع كونهم أحياء متصرفين في الأمور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس
به فلا تضربوا لله الأمثال التفات إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النهي أي لا تشركوا به شيئا
والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد إلى النهي عن الإشراك به تعالى في شأن من الشؤون فإن ضرب المثل
تشبيه حال بحال وقصة بقصة أي لا تشبهوا بشأنه تعالى شأنا من الشؤون واللام مثلها في قوله
تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها في قوله
واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفائضة
عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به بمعزل من أن يملك لهم من أقطار السماوات والأرض
شيئا من رزق فضلا عما فصل من نعم الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الأزواج والأولاد إن الله
يعلم تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه أي أنه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون وأنه
في غاية العظم والقبح وأنتم لا تعلمون ذلك ولذلك تفعلون ما تفعلون أو أنه تعالى يعلم كنه الأشياء وأنتم
لا تعلمونه فدعوا رأيكم وقفوا في مواقف الامتثال لما ورد عليكم من الأمر والنهي ويجوز أن يراد بالنهي عن ضرب
لله الأمثال إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي
الردى والضلال ثم علمهم كيف يضرب الأمثال في هذا الباب فقال ضرب الله مثلا أي ذكر وأورد
شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما أشركوا به على أن تباعدهما بحيث ينادي
بفساد ما ارتكبوه نداء جليا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة
الحالة العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية
للبيان عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبدين لله سبحانه وقرئ بيان بأن الكل عبيد الله سبحانه وتعالى
وبعدم قدرته للتمييز عن المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة وفي إبهام المثل أولا ثم بيانه
بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة ومن رزقناه من موصوفة معطوفة على عبدا أي
رزقناه بطريق الملك والالتفات إلى التكلم للإشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق منا من
جنابنا الكبير المتعالي رزقا حسنا حلالا طيبا أو مستحسنا عند الناس مرضيا فهو ينفق
منه تفضلا وإحسانا والفاء لترتيب الإنفاق على الرزق كأنه قيل ومن رزقناه منا رزقا
حسنا فأنفق وإيثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الإنفاق

واستمرار التجدد سرا وجهرا اي حال السر والجهر اي انفاقا سرا وانفاقا جهرا والمراد بيان
عموم انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن التجهر والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة
والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه هو العدول عن تطبيق القرينتين بان يقال
وحرا مالكا للاموال مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق الحق بان الاحرار
ايضا تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان رزقهم الله تعالى
اياه من غير ان يكون لهم في ذلك مدخل مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال
بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين
هل يستوون جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين
لا فردان معينان منهما اي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين سيان
في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم مدخل في ايجاده ولا في تملكه بل
هو مما اعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذل
اذل منه وهو الاصنام الحمد لله اي كله له لانه مولي جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهرت
على يدي بعض الوسائط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما يظهر على يدي
من ينفق فيما ذكر راجع الى الله تعالى كما لوح به بقوله تعالى رزقناه بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون
نعمة الله تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفي العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك
وانما لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وضرب
الله مثلا اي مثلا آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على اوضح وجه واظهره وقد ابهم
ذلك لتتطلع النفس الى وروده وتترقب حتى يتمكن لديها عند وروده فضل تمكن فقيل رجلين احدهما
ابكم وهو من ولد اخرس لا يقدر على شيء من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة
لقلة فهمه وسوء ادراكه وهو كل بعد عيال على مولاه على من يعوله فيقوم عليه ويلي امره
وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا وقوله
تعالى اينما يوجهه اي حيثما يرسله مولاه في امر بيان لعدم قدرته على قيام مصالح مولاه ولو كانت
مصلحة يسيرة وقرئ على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه لا يأت بخير بنجح وكفاية
مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يأمر بالعدل اي ومن هو منطيق فهم
ذو رأي وكفاية ورشد ينفع الناس ويحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل وهو في نفسه مع
ما ذكر من نفعه العام الخاص والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين
لانهما في حاق ما يقابلها فان حاصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمور به وملخص هذين استحقاق
كمال الامر به والتنبيه لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر يأمر بالعدل الآية
لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينتين واعلم ان الكلام في الفعلين ليس
المراد منهما حكاية الضرب الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا
بخلق الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي
بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي ولله تعالى خاصة لا لاحد
غيره استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات والارض اي الامور الغائبة عن علوم المخلوقين
قاطبة بحيث لا سبيل اليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار
الوقوع فيهما حالا او مآلا واما باعتبار الغيبة عن اهلهما والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث

المخلوقية

المعلومية كما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك في نفس الامر
وفيه اشعار بان علمه تعالى حضوري فان تحقق الغيوب في انفسها علم بالنسبة اليه تعالى
ولذلك قال وغيب السموات والارض وما امر الساعة التي هي اعظم ما وقع فيه المماراة
من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما وظهور آثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها
بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وان كان اسهل من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اي ما شأنها
في سرعة المجيء الا كلمح البصر اي كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اي بل امرها فيما
ذكر اقرب من ذلك اسرع زمانا بان يقع في بعض من زمانه فان ذلك وان قصر حركة آنية
لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك وهو زائد آنات تلك الحركة وما
امرها الا كالشيء الذي يستقرب ويقال هو كلمح البصر او هو اقرب واياما كان فهو تمثيل لسرعة
مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة باتيان ان الله على كل شيء قدير ومن
جملة الاشياء ان يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك او امر اقامة الساعة التي كنهها
او كيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين
والآخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت
الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتي الا كلمح البصر او اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل
شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيامة وتعقيبه
لما ان علمه مخصوص به غائب عن اهلهما ووضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة والله
اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم معه في
سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى
والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام زيدت الهاء
فيه كما زيدت في اهراق من اراق وشذت زيادتها في الواحد قال امهتي خندف والياس
ابي لا تعلمون شيئا في موقع الحال اي غير عالمين شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الاخراج لما ان مدلول الواو
هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه الاشياء آلات
تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا
لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر
فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من
الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوبات لما مر
من الايذان من اول الامر بان المجعول نافع لهم ولتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها
فضل تمكن لعلكم تشكرون اي لتعرفوا ما انعم الله به عليكم طورا غب طور فتشكروه وتقديم
السمع على البصر لما انه طريق تلقي الوحي ولان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا
في الاصل ألم يروا وقرئ بالتاء الى الطير جمع طائر اي ألم ينظروا اليها مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل
الشيء منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى
للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى في جو السماء
اي الهواء المتباعد من الارض والسكاكة ابعد منه فاضافته الى السماء لما انه في جانبها من الناظر

ولا ظهيرها وكمال القدرة ما يمسكهن في الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن الا الله عز
وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة
من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو تمثيل لحال المشركين في مسخرات او من الطير واما ما كان من
الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها ان في ذلك
اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها
تطير ثقلها خرق ما تحتها من الهواء لرقة القوام وخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلقيه
بحجم كبير لآيات ظاهرة لقوم يؤمنون ٧ وتقديم لكم على ما سياتي من المجرور عن المنصوب
لما مر من الايذان من اول الامر باتصاله بهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى
من بيوتكم اي من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة
وتاكيد لما سبق من التشويق سكنا فعل بمعنى مفعول اي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم و
تسكنون اليه من غير ان تنتقل من مكان اي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا اي بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب
والاخبية والفساطيط تستخفونها تجدونها خفيفة سهلة المأخذ يوم ظعنكم
وقت ترحالكم في النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين ويوم اقامتكم وقت نزولكم
في الضرب والبناء ومن اصوافها واوبارها واشعارها عطف على قوله تعالى من جلود
الانعام والضمير للانعام على وجه التنويع اي وجعل لكم من اصواف الضأن واوبار الابل واشعار المعز اثاثا
اي متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث ومتاعا اي شيئا تتمتعون به بفنون التمتع
الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى حين بليه وتمزقه فانه في معرض البلاء والفناء وقيل
الى ان تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل والله جعل لكم مما خلق من غير
صنع من قبلكم ظلالا اي اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن الله
سبحانه وتعالى بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون
فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي مر غير مرة وجعل
لكم سرابيل جمع سربال وهو كل ما يلبس اي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها
تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الآخر او لان وقايته هي الاهم عندهم
لما مر آنفا وسرابيل من الدروع والجواشن تقيكم باسكم اي البأس الذي يصل الى بعضكم من
بعض في الحرب من الضرب والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف
فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على
الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام الآية ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك ولا ياوي به
الا الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الآية ثم بما لا بد منه لكل احد حيث قال وجعل لكم
سرابيل الآية ثم بما لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم باسكم ثم قال كذلك اي مثل ذلك
الاتمام البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي ارادة ان تنظروا فيما اسبغ عليكم من النعم الظاهرة
والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون
فتنقادوا لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر واما لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب
الكبرياء شيء قليل وقرئ تسلمون اي تسلمون من العذاب او من الشرك وقيل من الجراح بلبس
الدروع فان تولوا فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم تسلية له اي فان لم يرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما القي اليهم من البينات والعبر والعظات
فانما عليك البلاغ المبين اي فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هي البلاغ الموضح الواضح وقد
فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب يعرفون نعمة الله استئناف
لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى اصلا فانهم
يعرفونها ويعترفون انها من الله تعالى ثم ينكرونها بافعالهم حيث يعبدون غير منعمها او بقولهم انها
بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات
كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا وثم للاستبعاد لان حق من عرف النعمة الاعتراف
بها لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد
حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك كقوله سبحانه
واكثرهم الكافرون اي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال
من حيث الكمية لا بما في حال المعرفة الاولى من حيثية الكيفية ههنا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم
لم يعرف لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر
ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان ثم
لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ
عن الاقناط الكلي وهو عندما يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء
عليهم الصلاة والسلام واعظم ولا هم يستعتبون ولا يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ
الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم يوم نبعث الخ
او يوم نبعث يحيق بهم ما لا يوصف وكذا قوله تعالى واذا رأى الذين ظلموا العذاب الذي
يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون اي يمهلون
لقوله تعالى بل تاتيهم بغتة فتبهتهم واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم الذين كانوا يدعونهم
في الدنيا وهم الاوثان والشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك اي نعبدهم ونطيعهم ولعلهم قالوا ذلك
طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه فالقوا اي شركاؤهم اليهم القول
انكم لكاذبون فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الا دفعا او التخلص عما يلزم مضمونه فانما كذبوهم
وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لانهم ما كانوا راضين بعبادتهم لهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة
لهم كما قالت الملائكة عليهم الصلاة والسلام بل كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن هم الذين كانوا
راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله تعالى عن الشرك والشياطين
وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما
كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فكانهم قالوا ما عبدتمونا بل انما عبدتم
اهواءكم والقوا اي الذين اشركوا الى الله يومئذ السلم الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب
بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم اي ضاع وبطل ما كانوا يفترون من ان لله سبحانه
شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرءوا منهم الذين كفروا في انفسهم
وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب
الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال
تلسع احداهن فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون

مزيدة البرد إلى النار بما كانوا يفسدون متعلق بقوله زدناهم أي زدنا عذابهم بسبب استمرارهم
على الإفساد وهو الصد المذكور ويوم نبعث تكرير لما سبق تثنية للتشديد في كل أمة شهيدا
عليهم يعني نبيا من أنفسهم من جنسهم قطعا للمعذرة ثم في قوله تعالى عليهم إشعار بأن شهادة
أنبيائهم على الأمم تكون بمحضر منهم وجئنا بك إيثار لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشأنه صلى
الله عليه وسلم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع شهيدا على هؤلاء الأمم وشهدائهم
كقوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل على أمتك والعامل في
الظرف محذوف تقديره واذكر يوم القيمة ونزلنا عليك الكتاب الكامل في الكتابية الحقيق بأن يخص
به اسم الجنس وهو إما استيناف أو حال بتقدير قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بأمور الدين ومن
جملة ذلك أحوال الأمم مع أنبيائهم فيكون كالدليل على كونه صلى الله عليه وسلم شهيدا عليهم وكذا من جملته
ما أخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثته صلى الله عليه وسلم والتبيان من المصادر كالتلقاء
في كسر أوله وكونه تبيانا لكل شيء من أمور الدين باعتبار أن فيه نصا على بعضها وإحالة لبعضها على السنة
حيث أمرنا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الإجماع
وقد رضي صلى الله عليه وسلم لأمته باتباع أصحابه حيث قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم
وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب
ولم يبق ما في البعض من الخفاء وكونه تبيانا فإن تبيانا للمبالغة تكون للكيفية كما في قوله تعالى وما
أنا بظلام للعبيد من قولك فلان ظالم الصفة وظلام للعبيد ومنه قوله سبحانه وتعالى فما للظالمين من
أنصار وهدى ورحمة للعالمين فإن حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب
وبشرى للمسلمين خاصة أو يكون كل ذلك خاصا بهم لأنهم المنتفعون بذلك إن الله يأمر أي فيما
نزل تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى وإيثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لإفادة التجدد والاستمرار
بالعدل بمراعاة التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها تندرج تحته فضيلة القوة
العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة
المتوسطة بين الخلاعة والجمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة
بين التهور والجبن ومن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله
عنهما أن العدل هو التوحيد وكالقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد بأداء الواجبات
المتوسط بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والإحسان أي
الإتيان بما أمر به على الوجه اللائق وهو إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما يشير
إليه قوله صلى الله عليه وسلم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وإيتاء
ذي القربى أي إعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيص بعد تعميم اهتماما بشأنه وينهى عن
الفحشاء والإفراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا أو عقلا من الإفراط
في إظهار آثار القوة الغضبية والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار
القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية فحينئذ
الشر مندرج في هذه الأقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله
عنه هي أجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى
يعظكم بما يأمر وينهى وهو إما استيناف وإما حال من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا أن
تتعظوا بذلك وأوفوا بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها مبايعة لله سبحانه

لقوله تعالى

لقوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله إذا عاهدتم أي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله
عليه وما بايعتم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنقضوا الأيمان التي تحلفون بها عند الله
بعد توكيدها حسبما هو المعهود في أثناء العهد لا على أن يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به وقد
جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا رقيبا فإن الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه إن الله
يعلم ما تفعلون من نقض الأيمان والعهود فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض
كالتي نقضت غزلها أي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت أي
كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد إبرامه وإحكامه أنكاثا طاقات نكث وانتصابه على الحالية
من غزلها أو على أنه مفعول ثان لنقضت فإنه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حالة النقض بتشبيه الناقض بمثل
هذه الخرقاء المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل
إصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن بنقض ما غزلن تتخذون
أيمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا أو في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر أي شابهين بالمرأة
شأنها هذا حال كونكم متخذين أيمانكم مفسدة ودخلا بينكم وأصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه
أن تكون أمة بأن تكون جماعة هي أربى أي أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة أخرى
أي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم أو لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فإنهم كانوا إذا رأوا شوكة
في أعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم إنما يبلوكم الله به أي بأن تكونوا أمة أربى
من أمة أي يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله
صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال
وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون حين جازاكم بأعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء الله
مشيئة قسر وإلجاء لجعلكم أمة واحدة متفقة على الإسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما
لقضية الحكمة بل يضل من يشاء إضلاله أي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي
إليه ويهدي من يشاء هدايته حسبما يصرف اختياره إلى تحصيلها ولتسألن جميعا عما كنتم
تعملون في الدنيا وهذا إشارة إلى ما لوح به من الكسب الذي يدور عليه أمر الهداية والضلال ولا
تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه
وتمهيد لقوله سبحانه فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها ورسوخها فيها بالإيمان
والمراد القدم وتنكيرها للإيذان بأن زلة قدم واحدة أي قدم كانت عزت أو هانت محذور عظيم
فكيف بأقدام كثيرة وتذوقوا السوء أي العذاب الدنيوي بما صددتم بصدودكم أو بصدكم
غيركم عن سبيل الله الذي ينتظم الوفاء بالعهود والأيمان فإن من نقض البيعة وارتد جعل
ذلك سنة لغيره ولكم في الآخرة عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله أي لا تأخذوا بمقابلة
عهده تعالى وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو آياته الناطقة بإيجاب المحافظة على العهود
والأيمان ثمنا قليلا أي لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفة
المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا إنما عند الله عز وجل من النصر والتغنيم
والثواب الأخروي هو خير لكم مما يعدونكم إن كنتم تعلمون أي إن كنتم من أهل العلم والتمييز وهو
تعليل للنهي على طريقة التحقيق كما أن قوله تعالى ما عندكم تعليل للخيرية بطريق الاستئناف
أي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وإن جل بل الدنيا وما فيها ينفد وإن جم عدده وانقضى زمان
أمده وما عند الله من خزائن رحمته الدنيوية والأخروية باق لا نفاد له أما الأخروية فظاهرة

وأما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالأخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سلك الباقيات الصالحات
وفي إيثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى **ولنجزين** بنون العظمة
على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى إنما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي
مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من أن يقال ولنجزينكم أجركم بأحسن
ما كنتم تعملون للتوسل إلى التعرض لأعمالهم والإشعار بعليتها للجزاء أي والله لنجزين **الذين صبروا** على أذية
المشركين ومشاق الإسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات **أجرهم**
مفعول ثان لنجزين أي لنعطينهم أجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الأمور المذكورة
بأحسن ما كانوا يعملون أي لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وإنما أضيف إليه الأحسن للإشعار
بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لإفادة قصر الجزاء على الأحسن منه دون الحسن فإن ذلك
لا يخطر ببال أحد لا سيما بعد قوله سبحانه أجرهم أو لنجزينهم بحسب أحسن أفراد أعمالهم على معنى لنعطينهم
بمقابلة الفرد الأدنى من أعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفرد الأعلى منها من الأجر الجزيل لا أنا نعطي الأجر
بحسب أفرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بأن نجزي الحسن منها بالأجر الحسن والأحسن بالأحسن وفيه ما لا يخفى من العدة
الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل أو لنجزينهم
بجزاء أحسن من أعمالهم وأما التفسير بما ترجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بما ترجح تركه أيضا
كالمحرمات والمكروهات فيحطها عما هو عليه من الأعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض
لبعض أعمالهم من مدار الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها **من عمل صالحا** أي عملا
صالحا أي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غير مرتبط بطائفة منهم في الثبات
على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص وتعميم له إثر تخصيص الأجر الموفور بهم بعملهم المذكور وقوله تعالى **من**
ذكر أو أنثى مبالغة في بيان شموله للكل **وهو مؤمن** قيد به إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاقهم
الثواب وتخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وإيثار إيراده بالجملة
الاسمية الحالية على نظمه في سلك الصلة لإفادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح **فلنحيينه**
حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا أما إن كان موسرا فظاهر وأما إن كان معسرا فيطيب عيشه
بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الأجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر
فإنه إن كان معسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنى بعيشه **ولنجزينهم** في الآخرة **أجرهم بأحسن**
الذي كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة إلى الموصول
لمراعاة جانب المعنى كما أن الإفراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وبناء دخول الفاء على تعليقها أن توقع الجزاء
بطريق الاجتماع للتناسب المجعولة ووقع ما في حيز الصلة وما بني عليه بطريق الافتراق والتعاقب لا يلائم
للوعد وقد انتهى الأمر إلى أن مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الإرشاد إلى ما
يحسن العمل الصالح ويخلص من شوب الفساد فقيل **فإذا قرأت القرآن** أي إذا أردت قراءته تعبيرا بها عن
إرادتها على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب إيذانا بأن المراد هي الإرادة المتصلة بالقراءة **فاستعذ بالله**
فاسأله عز جاره أن يعيذك **من الشيطان الرجيم** من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة
فإن لهم تبرئك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية
وتوجيه الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن من بين الأعمال الصالحة بالاستعاذة
عند إرادتها للتنبيه على أنها لغيره صلى الله عليه وسلم وفي سائر الأعمال الصالحة أهم فإنه صلى الله عليه وسلم حيث
أمر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه صلى الله عليه وسلم

فيما عدا القراءة من الأعمال الصالحة والأمر للندب وعند عطاء للوجوب وهذا مذهب الجمهور وقد أخذ بظاهر
النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة أبو هريرة رضي الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وجمع من القراء
عن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال صلى الله عليه وسلم قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه الصلاة والسلام عن القلم
عن اللوح المحفوظ **إنه** الضمير للشأن أو للشيطان **ليس له سلطان** تسلط وولاية **على الذين آمنوا وعلى**
ربهم يتوكلون أي إليه يفوضون أمورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون فإن وسوسته لا تؤثر فيهم
ودعوته غير مستجابة عندهم وإيثار صيغة الماضي في الصلة الأولى للدلالة على التحقق كما أن إيثار صيغة
الاستقبال في الثانية لإفادة الاستمرار التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة بإعاذة المتوكلين
والجملة تعليل للأمر بالاستعاذة أو لجوابه المنوي أي يعذك أو نحوه **إنما سلطانه** أي تسلطه وولايته
بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والإلجاء فإنه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه
وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وقد أفصح عنه قوله تعالى **على الذين يتولونه** أي يتخذونه
وليا فيستجيبون دعوته ويطيعونه فإن المقصود بيان نفي سلطانه عمن ذكر **والذين هم به** سبحانه وتعالى **مشركون**
أو هو الذي حملهم على الإشراك بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على أن لا
واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولي الشيطان وإن كان بينهما واسطة في المفهوم وأن من لم يتوكل
عليه تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب إذ به يتم التعليل ففيه مبالغة في الحمل على التوكل
والتحذير عن مقابله وإيثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الأولى لما مر من إفادة الاستمرار
التجددي كما أن اختيار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية
التي هي بمقابلة الصلة الأولى فيما سلف لرعاية التقارن بينهما وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولرعاية
الترتيب السابق لانفصال كل من المرتبتين عما يقابلها **وإذا بدلنا آية مكان آية** أي إذا نزلنا آية من القرآن
مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بأن نسخناها بها **والله أعلم بما ينزل** أولا وآخرا وبأن كلا من ذلك ما
نزلت حيثما نزلت إلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فإن لكل وقت مقتضى آخر فكم من مصلحة في وقت
تنقلب في وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الأمور الداعية إلى ذلك وما الشرائع إلا مصالح للعباد في المعاش
والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة إما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم وفي الالتفات إلى
الغيبة مع إسناد الخبر إلى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض
أو حالية وقرئ بالتخفيف من الإنزال **قالوا** أي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ **إنما أنت مفتر** أي متقول على الله
تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم هاهنا للإيذان بأن ذلك كفرة ناشئة من نزغات
الشيطان وأنه وليهم **بل أكثرهم لا يعلمون** أي لا يعلمون شيئا أصلا أو لا يعلمون أن في النسخ حكما بالغة وإسناد هذا
الحكم إلى الأكثر لما أن منهم من يعلم ذلك وإنما ينكر عنادا **قل نزله** أي القرآن المدلول عليه بالآية **روح القدس**
يعني جبريل عليه الصلاة أي الروح المطهر كما قيل حاتم الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كأنه
طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين إشعار بأن التدريج في الإنزال مما تقتضيه الحكمة البالغة **من ربك** في
إضافة الرب إلى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقيق إفاضة آثار الربوبية عليه صلى الله عليه وسلم
ما ليس في إضافته إلى ياء المتكلم المنبئة عن التلقين المحض **بالحق** أي ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية
له بحيث لا يفارقها إنشاء ونسخا وفيه دلالة على أن النسخ حق **ليثبت الذين آمنوا** على الإيمان بأنه كلامه فإنهم
إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح بالخالق رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت
من الإفعال **وهدى وبشرى للمسلمين** المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت

وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة لمن ليس هو من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون
غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه اي القرآن بشر على طريق البشر ظهور انه منزل من روح القدس
وعليه الحمل تبعون التاكيد لتحقيق ما يتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب
الاستمرار التجددي في متعلقه من انهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومي غلام
عامر بن الحضرمي وقيل جبرا وبشارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب
كتب وقيل سلمان الفارسي وهو انما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع انه ادخل في ظهور كذبهم للايذان
بان مدار خطابهم ليس نسبته صلى الله عليه وسلم التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه صلى الله
عليه وسلم معدنا للعلوم الاولين والاخرين لسان الذي يلحدون اليه اعجمي الالحاد الامالة من الحد
القبر اذ امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله
والحد فلان في دينه اي لغة الرجل الذي يميلون القول عن الاستقامة اليه اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء
والحاء وتعريف اللسان وهذا القرآن الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان
مستانفتان لابطال طعنهم وتقرير ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه
بمعناه فهذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا الستة في اشتاب الطعن باديا لمثال هذه الموافاة الركيكة دليل
على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله اي لا يصدقون انها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها
تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى
المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الاخرة عذاب عظيم وهذا تهديد لهم ووعيد
على ما هم عليه من الكفر بايات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد
اماطة شبههم وقطعهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله رد لقولهم انما انت مفتر وقلب
للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله تعالى بواسطة روح القدس وانما وسط
بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الاية لما لا يخفى من شدة اتصال المبالغة الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي
يكذب بايات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر اي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقة الكذب
والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى فيكون مكذبا وافتراء تحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتعبير عنه
بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله
لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بايات الله لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه
واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة واولئك الموصوفون
بما ذكر من عدم الايمان بايات الله هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب اياته
تعالى والطعن فيها بامثال هذه الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم
وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع انما هو مدافعة لله سبحانه في فعله فقط والتكذيب
مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المبني عليه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه مروءة او دين او
مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله اي تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو
ابتداء كلام لبيان حال من كفر بايات الله بعد ما امن بها بعد حال من لم يؤمن بها راسا ومن موصولة ومحلها
الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الاتي عليه او لهما معا والنص على الذم الا من اكره على ذلك
بامر يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب والذم لان
الكفر لغة يتم بالقول كما اشير اليه وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر

الواقع بالاكراه لا تنفي الاكراه لان مقارنة اطمينان القلب بالايمان للاكراه لا يجدي نفعا وانما المجدي مقارنته
للكفر الواقع به لان من كفر بالاكراه او الامر اكره مكره والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وانما المرتجع
به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من لم يكن كذلك شرح
بالكفر صدرا اي اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب عظيم لا يكتنه كنهه من الله لظهور الاسم
الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في
الضميرين المجرورين لرعاية جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان
قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فابوا فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة
في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم
ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه
واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسح عينيه ويقول ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه
الملجي وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب لعنه الله اخذ
رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه
وقال للاخر ما تقول في محمد فقال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق ذلك اشارة
الى الكفر بعد الايمان او الوعيد المذكور بسبب انهم استحبوا الحياة الدنيا اثروها على الاخرة
وان الله لا يهدي الى الايمان والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسرية القوم الكافرين في
علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار
الحياة الدنيا على الاخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسرية بان اثروا الاخرة على الدنيا
او بان هداهم الله تعالى هداية قسرية لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع اليه
اشير بقوله تعالى اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة
اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم
وصرفوها في ما لا يفضي الا الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا الى دار الاسلام وهم
عمار واصحابه رضي الله عنهم اي لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه ظاهر اعمالهم السابقة فالجار
والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الاتي عليه فيجوز ان يكون ذلك خبرا لها
ويكون ان الثانية تاكيدا للاولى وفي وقع الدلالة على ما ساعدت به حالهم فتنصرونه حالهم الذي يفيدها
الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا صرحا كحال الكفرة من بعد ما
فتنوا اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمينان قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء
الفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا
في سبيل الله وصبروا على مشاق الجهاد ان ربك من بعدها من بعد المهاجرة والجهاد
والصبر فهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة او من بعد الفتنة المذكورة
فهو بيان لعدم اخلال ذلك بالحكم لغفور لما فعلوه من قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما
صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره صلى الله
عليه وسلم مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به صلى الله عليه وسلم واشعار بان

إفاضة آثار الربوبية المتعلقة بهم من المغفرة والرحمة بواسطته صلى الله عليه وسلم وتكونه لتكملة
يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم أو باذكر وهو يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين
تجادل عن نفسها عن ذاتها تسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى
كل نفس أي تعطى وافيا كاملا ما عملت أي جزاء ما عملت بطريق ذكر السبب وإرادة المسبب
إشعارا بكمال الاتصال بين الأجزية والأعمال وإيثار الإظهار على الإضمار لزيادة التقرير وللإيذان باختلاف
وقتي المجادلة والتوفية وإن كانتا في يوم واحد وهم لا يظلمون لا ينقصون أجورهم أو لا يعاقبون
بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم وضرب الله مثلا قرية أي جعلها مثلا أو مثل بها
له وقد مر تحقيقه في سورة البقرة والآية تمثيل بالمفعول لواحد وإنما عدي إلى الاثنين لتضمينه
معنى الجعل وتأخير قرية مع كونها مفعولا أول لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب
عليها إذ التأخير عن الكل مخل بتجاوب أطراف النظم وتجاذبها ولأن تأخير ما حقه التقديم مما يورث
للنفس ترقبا لوروده وتشوقا إليه لا سيما إذا كان في المقدم ما يدعو إليه فإن المثل مما يدعو إلى
تفاصيل الحال الذي هو مثل فيتمكن المتأخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية إما محققة
في الأولين أو مقدرة أي جعلها مثلا لأهل مكة خاصة أو لكل قوم أنعم الله تعالى عليهم فأبطرتهم
النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم أهل مكة دخولا أوليا كانت آمنة
ذات أمن من كل مخوف مطمئنة لا يزعج أهلها مزعج يأتيها رزقها أقوات أهلها صفة
ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الأولى لما أن إتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة
ثابت مستمر رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت أي كفر أهلها بأنعم الله أي بنعمه جمع
نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس والمراد بها نعمة الرزق والأمن
المستمر وإيثار جمع القلة للإيذان بأن كفران نعمة قليلة حيث أوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران
نعم كثيرة فأذاقها الله أي أذاق أهلها لباس الجوع والخوف شبه أثر الجوع والخوف
وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه وأوقع عليه الإذاقة المستعارة
لمطلق الإيصال المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراكي اللامسة والذائقة على نهج
التجريد فإنها لشيوع استعمالها في ذلك وجريانها على الألسنة جرت مجرى الحقيقة من أحوال
الماء كقول كثير: غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا ... غلقت لضحكته رقاب المال. فإن الغمر مع كونه في الحقيقة
من أحوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف شبيها بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت
إضافته إلى الرداء المستعار للمعروف تجريدا أو شبه أثرهما وضررهما من حيث الإحاطة بهم والكراهة
لديهم تارة باللباس الغاشي للابس لمناسبة الخوف بجامع الإحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس
فاستعير له اسمه استعارة تصريحية وأخرى بطعم المر البشع الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق
بجامع الكراهة فأومئ إليه بأن أوقع عليه الإذاقة المستعارة لإيصال المضار المبنية عن شدة
الإصابة بما فيها من اجتماع إدراكي اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان
الرزق على الخوف المترتب على زوال الأمن المقدم فيما تقدم على إتيان الرزق لكونه أنسب بالإذاقة
أو لمراعاة المقارنة بينها وبين إتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه عطفا على المضاف
أو إقامة له مقام مضاف محذوف وأصله ولباس الخوف بما كانوا يصنعون فيما قبل أو على وجه
الاستمرار وهو كفران النعم المذكورة أسنده إلى أهل القرية تحقيقا للأمر بعد إسناد الكفران إليها وإيقاع
الإذاقة عليها إرادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة إيذان بأن كفران النعمة صار صنعة راسخة

لهم وسنة مسلوكة ولقد جاءهم من تتمة التمثيل جيء به لبيان أن ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة
منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق أيضا ولقد جاءهم أي أهل تلك
القرية رسول منهم أي من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فأخبرهم بوجوب الشكر على النعمة
وأنذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون فكذبوه في رسالته أو فيما أخبرهم به مما ذكر فالفاء
فصيحة وعدم ذكر الجحود بنعمة تلك النعم لما أن التكذيب مستلزم له فأخذهم العذاب المستأصل
لشأفتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك وهم ظالمون أي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران
نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دليل على
تماديهم في الكفر والعناد ومجاوزتهم في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جري
على سنة الله تعالى حسبما نطق به قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فإن
حال أهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة أو لمن سبقهم كما تحكيه حال أهل تلك
القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف
الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى إليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم وأي
رسول تحار في إدراك سمو رتبته العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بأنعم الله
وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث أصابهم بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم
بقوله اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابتهم ما أصابتهم من جدب شديد وأزمة أحصت كل شيء حتى
اضطرتهم إلى أكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج وقد ضاقت عليهم الأرض
بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم
أخذهم يوم بدر ما أخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام وأما
ما أجمع عليه أهل التفسير من أن الضمير في قوله ولقد جاءهم لأهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعدما ذكر مثلهم
وأن المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما أصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق
كيف لا وقوله سبحانه فكلوا مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصد لهم عما يؤدي إلى مثل عاقبته
والمعنى وإذ قد استبان لكم حال من كفر بأنعم الله وكذب رسوله صلى الله عليه وسلم وما حل بهم بسبب ذلك
من اللتيا والتي أولا وآخرا فانتهوا عما أنتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم كيلا يحل
بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى وأطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم في أمره ونهيه وكلوا مما رزقكم الله
حال كونه حلالا طيبا وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها واشكروا نعمة الله واعرفوا حقها
ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الأمر بالشكر وإنما أدخلت على الأمر بالأكل لكون الأكل
ذريعة إلى الشكر فكأنه قيل فاشكروا نعمة الله غب أكلها حلالا طيبا وقد أدمج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب
في أن هذا إنما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقعا بعد وقد تمهدت مباديه وبعدما وقع فرعي إلى
الذي يحذرون منه الذي يؤدي إلى الأكل والشكر وحمل قوله تعالى فأخذهم العذاب وهم ظالمون على الإخبار
بذلك قبل الوقوع يأباه التصدي لاستصلاحهم بالأمر والنهي وتوجيه خطاب الأمر بالأكل إلى المؤمنين
مع أن ما يتلوه من خطاب النهي متوجه إلى الكفار كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا أنتم يا معشر المؤمنين مما
رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل إن كنتم إياه تعبدون أي تطيعون أو إن صح زعمكم
من أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته تعالى إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل
لغير الله به تعليل لحل ما أمرهم بأكله مما رزقهم أي إنما حرم هذه الأشياء دون ما تزعمون حرمته
من البحائر والسوائب ونحوها فمن اضطر بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ أي على مضطر
ولا

آكل ولا عاد اي متجاوز قدر الضرورة فان الله غفور رحيم اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه
مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم وفي الاضافة الى ضميره صلى الله
عليه وسلم اظهار لكمال اللطف به صلى الله عليه وسلم وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس
الاربعة الا ما ضم اليها كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم
فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم اللام صلة مثلها في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل
الله اي لا تقولوا في شان ما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وتفكر فضلا عن استناده
الى وحي او قياس مبني عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام
بدل منه ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا
حرام او ان يكون مقول القول المقدر حالا من السنتكم اي قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب بتصف
هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اي لا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف السنتكم الكذب وتصويرها له بصورة
مستحسنة وتزيينها بالمسامع كان السنتكم لكونها منشأ الكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط
بحقيقته يصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال
وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كانه قيل لوصفها الكذب
بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ
الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب من قولهم كذب كذابا
ذكره ابن جني لتفتروا على الله الكذب فان مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل
والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه من غير ان يكون ذلك منه واللام لام العاقبة ان
الذين يفترون على الله الكذب في امر من الامور لا يفلحون لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا
الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية
منفعة قليلة ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة دون
غيرهم من الاولين والآخرين حرمنا ما قصصنا عليك اي بقوله تعالى حرمنا كل ذي ظفر
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الآية من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف
من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا
اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا وما ظلمناهم
بذلك التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا بسببه حسبما نعى عليهم قوله
تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الآية روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك بهتوا
ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة
وتشديدا اوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ثم ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة اي بسبب جهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب
لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك اي من بعد عملهم السوء
به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم او دخلوا في الصلاح ان ربك
من بعدها اي من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير
قوله تعالى ان ربك لتأكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة

الخبير

الى ضميره صلى الله عليه وسلم مع ظهور الاثر في التائبين للايماء الى ان افاضة آثار الربوبية من المغفرة
والرحمة بتوسيط صلى الله عليه وسلم وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان ابراهيم كان امة
على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقا في امة جمة حسبما قيل وليس على الله بمستنكر
ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينة
باهرة لا تبقي ولا تذر وابطل مذاهبهم الزائفة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة او لانه صلى الله عليه وسلم
كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا
قصده واقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما
وايراد ذكره عليه الصلاة والسلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم
ما احله الله تعالى للايذان بان حقية دين الاسلام وبطلان الشرك وفروعه من الامور الثابتة لا ريب فيه
قانتا لله مطيعا له قائما بامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال
ولم يك من المشركين في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لرد ما زعمه كفار
قريش بقولهم نحن على ملة ابينا ابراهيم بل عليهم وعلى اليهود والمشركين بقولهم عزير ابن الله في افترائهم
وادعائهم انه عليه الصلاة والسلام كان على ما هم عليه بقوله سبحانه ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما الآية اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والسبت انفا شاكرا
لانعمه صفة ثالثة لامة واورد بصيغة جمع القلة للايذان بانه عليه الصلاة والسلام لا يخل
بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بانه عليه الصلاة والسلام على خلاف ما هم عليه من الكفران
بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم موصل اليه سبحانه
وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عليه الصلاة والسلام بل مع ارشاده الخلق
ايضا بمعونة قرينة الاجتباء وآتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الاجتباء لذكر الجميل والثناء
فيما بين الناس قاطبة حتى ان جميع اهل الاديان يتولونه وقيل الخلة والنبوة وقيل قول المصلي
كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشانه وتفخيم مكانه صلى الله عليه وسلم
وانه في الآخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية حسبما سأله بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي
لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ثم اوحينا اليك مع علو طبقتك وسمو رتبتك
ان اتبع ملة ابراهيم الملة اسم لما شرعه الله تعالى على لسان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من امللت
الكتاب اذا امليته وهي الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهي مهما نسب الى
من يؤدي به عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق
بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا تكاد توجد مضافة الى الله سبحانه
ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عليه الصلاة والسلام
الذي عبر عنها انفا بالصراط المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه لما ان المضاف لشدة اتصاله
به عليه الصلاة والسلام جرى مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة
والمأمور به الاتباع في الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في
الرتبة للايذان بان هذه النعمة اجل النعم الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام
وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تأكيد وتقرير لنزاهته عليه الصلاة والسلام
عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه انما جعل السبت اي فرض تعظيمه والتخلي فيه
للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا

فى كلمته حسبما سلف فى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى الآخر فان اليهود كانوا يدعون
ان السبت من شعائر الاسلام وان ابراهيم عليه الصلوة والسلام كان محافظا عليه اى ليس السبت
من شعائر ابراهيم وشعائر ملته التى امرت باتباعها حتى يكون بينه عليه الصلوة والسلام
وبين بعض المشركين علاقة فى الجملة وانما شرع ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم بعد مدة
طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح
بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل
موصولا بكلمة على وعبر عنهم بالاسم الموصول باختلافهم فيه فقيل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه
لمزيد ان يتضمنه التشديد والابتلاء المؤدى الى العذاب ويكونه معللا باختلافهم فى شانه قبل
الوقوع ابتداء لا على ما امر الله به واختيار الفعل لكن لا باعتبار شمول الغلبة لطرفى الاختلاف ومعنى
المقابلة للفريقين بل باعتبار حال منشأ الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك ان موسى عليه الصلوة
والسلام امر اليهود ان يجعلوا فى الاسبوع يوما للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا
نريد اليوم الذى فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض فهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة
فاذن الله تعالى لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا
لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله تعالى قردة دون اولئك المطيعين وان
ربك ليحكم بينهم اى بين الفريقين المختلفين فيه يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
اى يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازى كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه
ايماء الى ان ما وقع فى الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الاخر بالنسبة الى ما سيقع فى الآخرة شئ لا يعتد
به هذا هو الذى يستدعيه اعجاز التنزيل وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين
اختلفوا فيه اى احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه
حسبما امر الله سبحانه به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة
والتحريم اخرى ووجه ايراده هاهنا بانه انذار للمشركين من سخط الله تعالى على العصاة
والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التى كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب فى ان الحكم بينهم بانه
المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ بين ان المذكور وبين
حكاية امر النبى صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بجنائل ادع
اى من بعثت اليهم من الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او فعل الدعوة كما فى قولهم فلان يعطى ويمنع
اى يفعل الاعطاء والمنع فحذف للقصد اليه ايذانا بفعل الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غنى عن البيان
وانما المقصود الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك الى الاسلام الذى عبر عنه
تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة ابراهيم وفى التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية
وتبليغ الشئ الى كماله الذى يتوجه اليه شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم فى مقام الامر
بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على ظهورها باللطف به
صلى الله عليه وسلم والايماء الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى بالحكمة اى بالمقالة المحكمة الصحيحة
وهى الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة اى الخطابات المقنعة والعبر النافعة
على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين
للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين
وجادلهم اى ناظر معاندهم بالتى هى احسن بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة

وللمناظرة

وللمناظرة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم
واطفاء للهبهم كما فعل الخليل عليه الصلوة والسلام ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
الذى امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعد ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر
وهو اعلم بالمهتدين اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله اعلم اسلك فى الدعوة
والمناظرة الطريقة المذكورة فان الهداية والضلال من الامر يعنى عن الضلال موجب استعداده المكتسب
ومآل من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلى كما فعل بشرعتك فى الدعوة هو الذى تقتضيه
الحكمة فانه كاف فى هداية المهتدين وازالة عذر الضالين اوما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة
بالاحسن واما حصول الهداية والضلالة والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم بمن يبقى على
الضلالة ومن يهتدى اليه فيجازى كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام لهم
وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التى فطر الناس عليها واعراض عن
الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذى هو عبارة عن الثبات وتكرير هو اعلم للتاكيد والاشعار بتباين
حال المعلومين ومآلهما من العقاب والثواب وبعد ما امره صلى الله عليه وسلم فيما يختص به من شان
الدعوة بما امره به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم الكل فقال وان عاقبتم
اى اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمى ان اكلت فكل قليلا فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب نحو كما تدين تدان او على
نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز وحيث كان الجدال الى القتال
وادى النزاع الى القراع فان الدعوة المامور بها لا تكاد تنفك عن التكليف لانها موجبة لصرف الوجوه عن القبلة
المعبودة وادخال الاعناق فى قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما ياتون وما يذرون
وبطلان ما استمرت عليه اباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق
المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما رأى
حمزة يوم احد وقد مثل به قال لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده
وقرئ وان عقبتم فعقبوا اى قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم من غير تجاوز وبين عنه لما امر
وان دل على اباحة المماثلة فى المثلة من غير تجاوز لكن فى تقييده بقوله وان عاقبتم حثا على العفو تعريضا
وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل ولئن صبرتم اى عن المعاقبة بالمثل لهو اى الصبر
خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل للصابرين مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر ووصفا
لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل
فيدخل فيه صبرهم دخولا اوليا ثم امره صلى الله عليه وسلم صريحا
بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم الامور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه
ووثوقه به فقيل واصبر اى على ما اصابك من جهتهم من فنون الآلام والاذية وعاينت
من اعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى وما صبرك ملابسا
ملتبسا بشئ من الاشياء الا بالله اى بذكره والاستغراق فى مراقبة شؤونه والتبتل اليه بمجامع همته
وفيه من تسلية النبى صلى الله عليه وسلم وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه
الا عشيته المنبئة على الحكم بانه تستتبعه لعواقب جميلة فالتسلية من حيث اشتماله على غايات
جليلة والتوفيق وتقويته وهو من حيث تسهيله فتيسيره فقط ولا تحزن عليهم اى على الكافرين
بوقوع اليأس من ايمانهم بك وبمتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم

والاول هو الانسب بجزالة النظم «ولا تك في ضيق» بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل
اي لا تك في ضيق صدر وحرج ويجوز ان يكون الاول تخفيف ضيّق كهين وهيّن اي في امر ضيق «مما
يمكرون» اي من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهي عن التألم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التألم بمحذور
من جهتهم آت والنهي حتما مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لا سيما على الوجه الاول لزيادة
التأكيد واظهار كمال العناية بشأن التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه بشراشر
نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل شيء من مطلوب ينهى عن الحزن بفواته او محذور ينهى عن الخوف
من وقوعه «ان الله مع الذين اتقوا» تعليل لما سبق من الامر والنهي والمراد بالمعية الولاية الدائمة
التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والخوف والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة
من متبوعية المتقين انما هي من حيث انهم المباشرون للتقوى كما في قوله سبحانه ان الله مع الصابرين
ونظائرها كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك
ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر
نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث للولاية المقرونة ببشارة قوله سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولي الذين تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم
عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بفواته والخوف من وقوعه وهو المعني
بما ذكر من الصبر المأمور به حسبما اشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر ان العاقبة
للمتقين على احد التفسيرين كما حقق في مقامه والا فمجرد التوقي عن المعاصي لا يكون مدارا للشيء من العزائم
والرخص في تركهما فكيف بالصبر المشار اليه بحكاية قبل لاجل الهمة الجليلة ودقائقه كما ان قوله
«والذين هم محسنون» اشعار بانه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فصل ذلك
حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فقد نبه على ان الصبر والتقوى من قبيل الاحسان في قوله
تعالى ومن يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق
الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه من
غير ان تكون احداهما تتمة للاخرى وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية
اسمية لافادة كونها نعتا ثابتا لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة
على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو صلى الله عليه وسلم داخل في زمرتهم
دخولا اوليا واما هو صلى الله عليه وسلم ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم
بالنعتين الجليلين وفيه رمز الى ان صنيعه صلى الله عليه وسلم مستتبع لاقتداء الامة به كقول
من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الراس
عن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه في دار الدنيا وان
مات في يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات فاحسن الوصية صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الاسرا [illegible]

«سبحان الذي اسرى بعبده» سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل
وحيث كان المسمى معنى لا عينا وجنسا لا شخصا لم تكن اضافته من قبيل ما في زيد المعارك وحاتم طيء

فانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحان الى آخره وفيه من الدلالة ما لا يخفى على التنزيه
البليغ ما لا يخفى من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس سبوح اي واسع
الجري ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم يشير الى
الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى
التنزه ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى الذات المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين
ما عطف عليه في قوله سبحانه وتعالى كانه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة
كالسرى وقوله تعالى «ليلا» لافادة قلة زمان الاسراء لما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث
الاجزاء دلالة على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سيرك
من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد استيعاب
السير له جميعا فيكون معيار السير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظة
العبد للايذان بتمحضه صلى الله عليه وسلم في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات
القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاها واضافة التنزيه
او التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال
قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين «من المسجد الحرام» اختلف في مبدأ الاسراء
فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بينا انا في المسجد
الحرام عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل عليه الصلاة والسلام بالبراق وقيل هو دار
ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله
مسجد فانه روي عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فكان
ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج تشبثت بثوبه صلى الله عليه وسلم خشية ان يكذبه القوم
قال صلى الله عليه وسلم وان كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره صلى الله عليه وسلم بحديث
الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي بن غالب هلموا فحدثهم فمنهم من مصفق وواضع يده على راسه
تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال
ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم
من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فكان ينظر اليه وينعته لهم فقالوا
اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم
يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال
قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت وقال قائل وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل
اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا قاتلهم الله انى يؤفكون واختلف في وقته ايضا فقيل كان قبل
الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه في اليقظة او في
المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة
وفي اليقظة بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضي الله
عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية
انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه
من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجب
منه ولجوا في الاستحالة فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة

ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة
حركة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض التي من جملتها
الحركة وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة
بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن الى المسجد
الاقصى الى بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه
ما لا يخفى الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم الصلوة
والسلام لنريه غاية للاسراء من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل
مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء
له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم الصلوة والسلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات
والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقواله صلى الله عليه وسلم البصير
بافعاله بلا تصور حسبما يؤذن به القصد فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء
المذكور ليس الا لتكرمته صلى الله عليه وسلم ورفع منزلته وان الاحاطة باقواله وافعاله حاصلة
من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة وآتينا موسى الكتاب
اي التوراة وفيه ايماء الى دعوته عليه الصلوة والسلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة وجمع بين
الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكر ها هنا العروج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء وما كان
فيه مما لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء الى فهوم السامعين اي آتينا
التوراة بعدما سيرنا به الى الطور وجعلناه اي ذلك الكتاب هدى لبني اسرائيل يهتدون
بما في مطاويه ألا تتخذوا اي بان لا تتخذوا من دوني وكيلا اي ربا تكلون اليه اموركم وافراده
لما ان الوكيل مفرد في اللفظ جمع في المعنى ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص والنداء
على قراءة النهي والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق
في سفينة نوح عليه الصلوة والسلام او على انه احد مفعولي لا تتخذوا على قراءة النفي ومن دوني حال من وكيلا
فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف او بدل من واو لا تتخذوا بابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغاددة
وقرئ ذرية بكسر الذال انه اي ان نوحا عليه الصلوة والسلام كان عبدا شكورا اي كثير
الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان انجاء من معه كان ببركة شكره عليه الصلوة والسلام وحث
للذرية على الاقتداء به وزجرهم عن الشرك الذي هو اعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عليه
الصلوة والسلام وقضينا اي اعلمنا واحكمنا منزلين الى بني اسرائيل اي موحين اليهم
في الكتاب لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المحتوم مجرى القسم كانه قيل
واقسمنا لتفسدن مرتين مصدر والعامل فيه من غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التوراة
وقتل شعيا عليه الصلوة والسلام وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله تعالى والثانية قتل
زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلوة والسلام ولتعلن علوا كبيرا لتستكبرن عن
طاعة الله سبحانه وتعالى فاذا جاء وعد اولاهما اي اولى كرتي الافساد اي حان وقت
حلول العقاب عليها بعثنا عليكم عبادا لنا لمؤاخذتكم بجنايتكم وقرئ عبيدا لنا
اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحروب هم سنحاريب من اهل نينوى وجنوده وقيل بخت
نصر عامل لهراسب وقيل جالوت فجاسوا اي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء

والمعنى واحد

والمعنى واحد وقرئ وحوسوا خلال الديار في اوساطها للقتل والغارة وقرئ
خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا
وذلك من قبل ان ولت بعض الظالمين بقضاء جرت به السنة الالهية وكان وعدا مفعولا
لا محالة لتحقق الاصار فيه ولا مبدل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم
على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد
والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم
وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسف القى الله تعالى
في قلبه الشفقة عليهم فرد اساراهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه الصلوة والسلام
فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وقيل هي قتل داود عليه الصلوة والسلام
جالوت وامددناكم باموال كثيرة بعدما نهبت اموالكم وبنين بعدما سبيت اولادكم
وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل
جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو وكانه نصب على التمييز ان احسنتم اعمالكم سواء كانت
لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اي عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا ان تكون
الاعمال حسنة في انفسها او ان فعلتم الاحسان احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان اسأتم
اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق وقيل بدون الحسن الذاتي او فعلتم الاساءة فلها اذ عليها
وبالها وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها فاذا جاء وعد الآخرة
حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق
عليه اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى
سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بنون العظمة
في قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ لنسوءن بالنون المخففة ولنسوءن
واللام في قوله عز وجل وليدخلوا المسجد عطف على ليسوءوا متعلق بما تعلق هو به كما دخلوه اول
مرة اي في اول مرة وليتبروا اي يهلكوا ما علوا ما غلبوا عليه واستولوا او مدة علوهم تتبيرا
فظيعا لا يوصف بان سلط الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه
جودرز وقيل جردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه
فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني
ما تركت منكم احدا فقالوا دم يحيى بن زكريا عليهما الصلوة والسلام فقال بمثل هذا ينتقم منكم ربكم
ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك لاجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم
احدا فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه
من المعاصي وان عدتم الى ما كنتم فيه من الافساد مرة اخرى عدنا الى العقوبة بكم وقد عادوا
فاعاد الله سبحانه عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة
عليهم ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية
عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا
يستطيعون منها الخروج ابد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال
وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك واشعارا بان ذلك حكم ان هذا القرآن
الذي آتيناكه يهدي اي الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذي آتيناه موسى

عليه الصلوة والسلام للتي للطريقة التي هي اقوم اي اقوم الطرائق واسدها اعني ملة الاسلام
قال الزجاج وترك ذكرها ابلغ لقصد التعميم بها والحالة او للخصلة فمعناها ابلغ بمعنى المقصد المذكور
مع التعبير بالنزول عن التصريح بها لما يتطور بها الاستبهام بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها وللتي اذ
هداية سالكها كونها بحيث يهتدي اليها من يتمسك به لا لحصول الاهتداء بالفعل فانه مخصوص
بالمؤمنين حتما ويبشر المؤمنين بما في تضاعيفه من الاحكام والشرايع وقرئ بالتخفيف
الذين يعملون الصالحات التي شرحت فيه ان لهم اي بان لهم بمقابلة تلك الاعمال اجرا كبيرا
بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات وان الذين لا يؤمنون بالآخرة واحكامها المشروحة
فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما لم يؤمنوا به لكونها معظم ما امروا
بالايمان به ولمراعاة التناسب بين اعمالهم وجزائها الذي انبأ عنه قوله تعالى اعتدنا لهم عذابا
اليما وهو عذاب جهنم اي اعتدنا لهم فيما كفروا به وانكروا وجوده من الآخرة عذابا اليما وهو ابلغ
في الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افظع والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار
يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به معنى مطلق الاخبار المنتظم للاخبار
بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز كون
التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين بمشاركة عدوهم ونفاذ عذابهم وقوله تعالى ويدع
الانسان بالشر بيان لحال المهتدي اثر بيان حال الهادي واظهار لما بينهما من التباين والمراد
بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده وحكي عنه حال البعض في بعض احيانه فالمعنى على الاول ان القرآن
يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب
الاليم وهو اي الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المحكي عنه اما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ومن قال فائتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكي عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة له
مجازا كما هو ديدن كلهم دعاءه بالخير اي مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فانه بمعزل
من الدعاء به وفيه رمز الى انه اللائق بحاله وكان الانسان اي من اسند اليه الدعاء المذكور من
افراده عجولا يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره او مبالغا في العجلة يستعجل العذاب
وهو آتيه لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى الثاني يحمل الدعاء على اعمالكم محل العجلة على التسرع والتمادي في
استعجال العذاب بسبب العذاب وعلى الثاني فان القرآن يدعو الانسان الى ما هو خير وفي بعض احيانه
كما عند الغضب يدعو ويدعو الله تعالى على نفسه واهله وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته
عجولا ضجرا لا يتأنى الى ان يزول عنه ما يعتريه روي انه صلى الله عليه وسلم دفع الى سودة اسيرا
فارخت كتافه رحمة لانينه لالم القد فهرب فلما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع
يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني سألت الله تعالى ان يجعل
دعائي على من لا يستحق من اهلي عذابا رحمة او يدعو بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان
عجولا غير مستقص لا يتدبر في اموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير
بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار آيتين شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية
بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الافاقية التي كل واحد منها برهان نير لا ريب فيه
ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار
مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهداية القرآنية المنبهة على تلك الهدايات

تقديم

وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي اذ به ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو ان
الليلة اضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبتها من شهر آخر ولم يتميز بينهما آيتا النهار
بلا واسطة اي جعلنا الملوين بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة
يحار في فهمها آيتين تبينين بدلالتهما على ان لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان الى ما هدى اليه القرآن
الكريم من ملة الاسلام والتوحيد فمحونا آية الليل الاضافة اما بيانية كما في اضافة العدد الى
المعدود اي محونا الآية التي هي آية الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة الاولى السابقة ومحوها جعلها
ممحوة الضوء مطموسا لكن لا بعد ان لم تكن كذلك بل ابداعها على المحو كما في قولهم سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل اي انشأهما كذلك والفاء تفسيرية لان المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل
الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته وجعلنا آية النهار اي الآية التي هي النهار
على نحو ما مر مبصرة مضيئة يبصر فيها الاشياء وصفها بحال اهلها او مبصرة للناس من ابصره
فبصر واما حقيقة فآية الليل وآية النهار نيراهما ومحو القمر اما خلقه مطموس النور في نفسه فالفاء
كما ذكروا واما نقص ما استفاده من الشمس شيئا فشيئا الى المحاق الى ما هو بمعنى المحو فالفاء للتعقيب وجعل الشمس
مبصرة ابداعها مضيئة بالذات ذات اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله
تعالى وجعلنا آية النهار كما اشير اليه اي وجعلناها مضيئة لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار
فضلا من ربكم اي رزقا اذ لا يتأتى ذلك في الليل والتعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء
والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا للدلالة على ان ليس للعبد في تحصيل
الرزق تأثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية
ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين اعني محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك
بانفراده مدار العلم المذكور اي لتعلموا بتفاوت الجديدين او نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة
مع تعاقبهما او حركاتهما وسائر احوالهما عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم
الدينية والدنيوية والحساب اي الحساب المتعلق بما في ضمنها من الاوقات اي الاشهر والايام والليالي
وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب وانما
الذي تعلق به العد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة منها من عدة ايام قد يحصل كل واحد
منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة
بعدها اي بعينها من غير ان يعتبر في ذلك تحصيل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص
وحكم مستقل كما اشير اليه آنفا والعد احصاء ما له كمية منفصلة بتكرير امثاله من غير ان يتحصل منه شيء لذلك
قيل ان السنين لا يعتبر فيه لحد بعينه له اسم خاص مستقل اضيف اليه العدد وعلق الحساب بما
عداها مما اعتبر فيه تحصيل مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة وتحصل مراتب الاعداد
مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب بما في تضاعيف السنين
من الاوقات ولان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا او لان العدد من حيث
انه لم يعتبر فيه تحصيل شيء آخر حسبما ذكر من الحساب المعتبر فيه ذلك بمنزلة البسيط من المركب ولان العلم
المتعلق بالاول المقصود الاشتغال جدير بالتقديم في مقام الامتنان والله اعلم وكل شيء تفتقرون اليه في المعاش
والمعاد بالاول اقصى المراتب سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية
وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى فصلناه تفصيلا اي بيناه في القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس
معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فظهر كونه هاديا للتي هي اقوم ظهورا بينا وكل انسان

بحلف الزمان طائره اي عمله الصادر باختياره حسبما قدر له كأنه طار اليه من عش الغيب ووكر
القدر او ما وقع له في القسمة الازلية الواقعة حسبما استحقاقه من العلم الازلي من طار له سهم كذا في
عنقه تصويرا لشدة اللزوم وكمال الارتباط اي الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم
القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون ونخرج له بنون العظمة وقرئ
بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير له عز وجل وللمفعول والضمير للطائر كما في قراءة ويخرج من الخروج يوم
القيمة اي البعث للحساب كتابا مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا او هو مفعول يخرج على
القراءتين الاوليين وحال من المفعول المحذوف الراجع الى الطائر وعلى الاخيرين حال من المستتر في الفعل
من ضمير الطائر يلقاه اي يلقى الانسان او يلقاه الانسان منشورا وهما صفتان للكتاب او الاول
صفة والثاني حال منها وقرئ يلقاه من لقيته كذا اي يلقى الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة
ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك
فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيمة اقرأ
كتابك اي فيقال له ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفسه
المنتقشة بآثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان من خير او شر يحدث منه في جوهر روحه امر مخصوص
الا انه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته
عن البدن قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو العالم
العلوي فيزول الغطاء وينكشف الاحوال فيظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا
معنى الكتابة والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا تمييز وعلى صلة له لانه بمعنى الحاسب
كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه
وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال او لانه مبني على تأويل النفس بالشخص على انه عبارة
عن نفس الملك لقول جرير بن حريث يا نفس انك باللذات مسرورة فاذكر هل ينفعنك اليوم تذكيري من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا لاقوم الطرق ولزوم الاعمال لاصحابها اي من
اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما تعود منفعة اهتدائه
الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد ومن ضل عن الطريق التي يهديه اليها فانما يضل عليها
اي فانما وبال ضلاله عليها لا على من لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه ولا تزر وازرة
وزر اخرى تأكيد للجملة الثانية اي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية
عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منهما وزرها لا وزر غيرها وهذا تحقيق لمعنى
قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واما ما يدل عليه قوله عز وجل من يشفع شفاعة
حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره
بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة
اللازم للشفاعة منصوص على الشافع ومما يحمل المضلين انما هو جزاء الاضلال وانما خص التأكيد بالجملة
الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم
وما كنا معذبين بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم
حرمان المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما استقام منا بل استحال
في سنتنا المبنية على الحكمة البالغة او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل الضلال

والاوزار

والاوزار اكتفاء بقضية العقل حتى نبعث اليهم رسولا يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم
الحجج ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستئصال
كما قال الشيخ ابو منصور الماتريدي وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي وهو من
افراده واياما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروي
لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى
الى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم الف سنة وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية بيان لكيفية
وقوع العذاب بعد البعثة التي جعلت غاية لعدم صحة وقوعه والمراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف
عنه المراد والارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنها مجيء الآتي بل دنو
وقتها كما في قوله تعالى اتى امر الله اي واذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان نعذب اهلها
بما ذكر من عذاب الاستئصال لما ظهر منهم من الظلم والمعاصي حسبما تقتضيه الحكمة من غير ان يكون له حد معين
امرنا بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها مترفيها متنعميها وجبابرتها وملوكها وتخصيصهم بالذكر مع توجه
الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم آكد وحذف عدم التعرض للمأمور به
لما انه معلوم ان المراد به الحق والخير لان الله لا يأمر بالفحشاء لاسيما بعد هداية القرآن لما يهدي اليه ولما
لان المراد هنا من الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع ففسقوا فيها اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق
عليها القول اي كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فيها فدمرناها تدميرا
لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له
بان صب عليهم ما ابطرهم فافضى بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال امرت الشيء فامر اي
كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج ويعضده قراءة امرنا
وامرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلنا من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده النظم الكريم
عن الضلال والحث على الاهتداء فانه يؤدي الى ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه والنظم الكريم
يشعر بان ابطارهم وحملهم على الفسق حال حقيقة بان يرتدعوا عنها بالتوبة وكم اهلكنا اي وكثيرا ما
اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم وهي عشرون او
ثلاثون او اربعون او خمسون او ستون او سبعون او ثمانون او مائة وقد روي انه عليه الصلاة والسلام دعا لرجل فقال عش
قرنا فعاش مائة سنة فيما يعرفون من بعد نوح عليه الصلاة والسلام كعاد
وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القرآن العظيم ومن لم يقص وعدم نظم قوم نوح عليه الصلاة والسلام
في تلك القرون المهلكة لظهور امرهم ولعل ذكره عليه الصلاة والسلام رمز الى ذكرهم وكفى بربك اي
كفى ربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير على
البصير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الاعمال الظاهرة او لعموم متعلقه
فيعم المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم
بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه
من كان يريد باعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال البر او بطريق
ترتب المعلولات على العلل كالاسباب واعمال الاخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة
وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط من غير ان يريد معها الآخرة
كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان هاهنا مع الاقتصار على مطلق الارادة في
قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى

من كان يريد حرث الدنيا ونحو ذلك من حال الحيوة العاجلة لقوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
لكن الاول انسب بقوله تعالى عجلنا له فيها اي في تلك العاجلة فان الحيوة الدنيا واستمرارها من
جملة ما عجل له فالانسب بذلك كله ما في قوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء اي ما
نعجله له من نعيمها لا كل ما يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة
الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ ما يشاء على ان الضمير لله سبحانه
وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما
ذكر من المشيئة والارادة لما ان الحكمة التي يدور عليها فلك التكوين لا تقتضي وصول كل طالب الى
مرامه ولا استيفاء كل واصل اليه ما يطلب بتمامه وما يرى من قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل جميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة
عمله فقد اشير الى تحقيق القول فيه في سورته بتوفيق الله تعالى ثم جعلنا له مكان ما عجلنا له
جهنم وما فيها من اصناف العذاب يصليها يدخلها وهو حال من الضمير المجرور او من جهنم
او استيناف مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الاية في المنافقين كانوا
يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ومن اراد الآخرة الدار الآخرة وما فيها من
النعيم المقيم وسعى لها سعيها اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب
بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا
لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في
حيز الصلة فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد
للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة
المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اي اولئك الجامعون لما مر من الخصال الحميدة من ارادة
الآخرة والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول مثابا
عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بانه العمدة فيها كلا التنوين عوض عن المضاف اليه
اي كل واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيقي بالاسعاف فقط نمد اي نزيد مرة بعد اخرى
بحيث يكون الآنف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة وما اعد للآخر من العطايا
الآجلة المشار اليهما بمشكورية السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا
على ما يلحق عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه
اي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما له من
العنوان لا للذات فقط كالاضمار ففيه تذكير لما به الامداد وتعيين المضاف اليه المحذوف دفعا
لتوهم كونه افراد الفريق الاخير وتاكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء
ربك اي من معطاه الواسع الذي لا تناهي له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الامداد ومنبه على ان
الامداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضيل وما كان عطاء ربك محظورا
اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر اظهارا لمزيد الاعتناء بشانه واشعارا بعليته للحكم
ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحرمان
كالكافر وهو في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار
بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض كيف في محل
النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على

مراتب احد

مراتب احد العطاءين والاستدلال بها على مراتب الاخرى اي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على
بعض فيما امددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وظالع وضليع ومالك ومملوك وموسر
وصعلوك لتعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال
الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى وللآخرة اكبر اي هي وما فيها اكبر من الدنيا وقرئ اكثر
درجات واكبر تفضيلا لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها
كيف لا وقد عبر عنها بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا وقد قيل ان المراد بالامداد
العطايا العاجلة فقط وحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم
لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينهما وبين الفريق الثاني ارادة ووصولا مما يوهم
اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها
فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي محظورا من احد ممن يريده وممن
لا يريده انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار
عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول تحقيقا لشمول الامداد له فما نقل عن الجمهور قال الانفع من
بعضا انما يقتضي كون المقصود دفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام
ما يوهم ثبوته لهم فضلا عن ايهام اختصاصه لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والمراد به امته وهو من باب التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب فتقعد بالنصب جوابا
للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او بمعنى العجز من قعد
عنه اي عجز عنه مذموما مخذولا خبران او حالان اي جامعا على نفسك الذم من الملائكة
والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة وقضى ربك
اي امر امرا مقطوعا وقرئ واوصى ربك ووصى ربك الا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه على ان
ان مصدرية ولا نافية او ان لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية الا اياه لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا
لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة وبالوالدين اي وتحسنوا بهما
او واحسنوا بهما احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش اما يبلغن عندك الكبر
احدهما او كلاهما اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة لتاكيدها ولذلك دخل الفعل نون التاكيد
ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان حقه التاخر عنه للتشويق الى وروده
فانه مدار تضاعف الرعاية والاحسان واحدهما فاعل الفعل فلا خبر عن الظرف والمفعول الذي يحيط
الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه لا بسبيل
البدل لكونهما تاكيدا للضمير فتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده بعد ما سبق على الجمع الاحتراز
عن التباس المراد فان المقصود نهي كل احد عن تافيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع لم يحصل هذا
المرام فلا تقل لهما اي لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع اف وهو صوت ينبئ عن تضجر او اسم
فعل هو اتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون اي لا تضجر مما تستقذر منهما
وتستثقل من مؤنتهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعض منها
للاعتناء بشانه فقيل ولا تنهرهما اي لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ قيل النهي والنهر والنهم
اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما ذا كرم او هو وصف له بوصف صاحبه اي قولا صادرا
عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروءة مثل ان يقول
يا ابتاه ويا اماه كدأب ابراهيم عليه الصلوة والسلام مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء

الأدب وجدير بالدعاء. وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل، وقيل
أن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر إليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا
وتدعو لهما إذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم إن من أبر البر أن
يصل الرجل أهل ود أبيه «واخفض لهما جناح الذل» عبارة عن الإلانة في الجانب والتواضع والتذلل لهما فإن
إعزازهما لا يكون إلا بذلك كأنه قيل واخفض لهما جناحك تواضعا وجعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله
وغداة ريح قد كشفت وقرة ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها
للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها له بطائر
يخفض جناحه للأفراخ تربية لها وشفقة عليها، وأما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران
كما فعله القفال فلا يناسب المقام «من الرحمة» من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما
اليوم إلى من كان أفقر خلق الله تعالى إليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى برحمته الواسعة الباقية
«وقل رب ارحمهما» برحمتك الدنيوية والأخروية التي من جملتها الهداية إلى الإسلام فلا ينافي ذلك كفرهما
«كما ربياني» الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي رحمة مثل تربيتهما إياي أو مثل رحمتهما لي
على أن التربية رحمة، ويجوز أن تكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر أحدهما في أحد الجانبين والآخر
في الآخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني
«صغيرا» ويجوز أن تكون الكاف للتعليل أي لأجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم. ولقد بالغ عز
وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما
معا ثم ضيق الأمر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ما له من موجبات الضجر
ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بأن جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما. وعن النبي
صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما. وروي يفعل البار ما شاء أن
يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة. وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إن أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك
وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما. وروي أن شيخا أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال إن ابني هذا له مال كثير وإنه لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال إن هذا الشيخ
قد أنشأ في ابنه أبياتا ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها فأنشدها الشيخ «وقال»

غذوتك مولودا ومنتك يافعا ... تعل بما أجني عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهرا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني فعيني تهمل
فلما بلغت السن والغاية التي ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أنت ومالك لأبيك «ربكم أعلم بما في نفوسكم» من البر والعقوق
«إن تكونوا صالحين» قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد «فإنه» تعالى «كان للأوابين غفورا»
أي الرجاعين إليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر «غفورا» لما وقع منهم من نوع تقصير أو أذية
فعلية أو قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الأمر بمراعاة حقوقهما. ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويندرج
فيه الجاني على أبويه دخولا أوليا «وآت ذا القربى حقه» توصية بالأقارب إثر التوصية
بالوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى «والمسكين وابن السبيل» فإن المأمور

في حقهما

في حقهما المواساة المالية لا محالة أي كأنهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكاة. وكذا النهي عن
التبذير وعن الإفراط في القبض والبسط فإن الكل من التصرفات المالية «ولا تبذر تبذيرا» نهي عن صرف
المال إلى من سواهم ممن لا يستحقه فإن التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق حبات البذر وإلقائها
كيفما كان من غير تعهد لمواقعه لا عن الإكثار في صرفه في محله وإلا لناسب الإسراف الذي هو تجاوز الحد في
صرفه وقد نهي عنه في قوله تعالى ولا تبسطها كل البسط وكلاهما مذموم «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين»
تعليل للنهي عن التبذير ببيان أنه يجعل صاحبه ملتزما في قرن الشياطين والمراد بالأخوة المماثلة التامة
في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير أي كانوا بما فعلوا من التبذير أمثال الشياطين
أو الصداقة والملازمة أي كانوا أصدقاءهم وأتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فإنهم
كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه من
الملاهي والمناهي أو القرناء لهم في النار على سبيل الوعيد «وكان الشيطان لربه كفورا»
من تتمة التعليل أي مبالغا في كفران نعمته تعالى لأن شأنه أن يصرف جميع ما أعطاه الله تعالى من القوى
والقدر إلى غير ما خلقت هي له من أنواع المعاصي والإفساد في الأرض وإضلال الناس وحملهم على الكفر
بالله تعالى وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها إلى غير ما أمر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر
من بين سائر أوصافه القبيحة للإيذان بأن التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى إلى غير مصرفها
من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها إلى ما خلقت له والتعرض لوصف الربوبية للإشعار
بكمال عتوه فإن كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من أقوى الدواعي إلى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال
والطغيان «وإما تعرضن عنهم» أي إن اضطرك الأمر إلى أن تعرض عن أولئك المستحقين «ابتغاء
رحمة من ربك» أي لفقد رزق من ربك ترجوه أن يأتيك أقيم المسبب مقام السبب فإن الفقد سبب للابتغاء «ترجوها»
من الله تعالى لتعطيهم وكان صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء
فأمر بأن يتعهدهم بالقول الجميل لئلا تعتريهم الوحشة بسكوته صلى الله عليه وسلم فقيل «فقل لهم قولا
ميسورا» سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الأمر مثل سعد وقيل أي قل لهم رزقنا الله وإياكم
من فضله على أنه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها
كل البسط» تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد وكلا طرفي
قصد الأمور ذميم، وحيث كان قبح الشح مقارنا له معلوما من أول الأمر روعي ذلك في التصوير بأقبح الصور
ولما كانت غائلة الإسراف في آخره بين قبحه بما يتبعه من أثره فقيل «فتقعد ملوما» أي فتصير ملوما عند الله وعند
الناس بالإسراف وسوء التدبير «محسورا» نادما أو منقطعا بك لا شيء عندك من حسره
السفر إذا بلغ منه. وما قيل من أنه روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاعد إذ أتاه صبي فقال إن أمي تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم عد بعد ساعة فذهب إلى
أمه فقالت له قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه
وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة فنزلت فيأباه أن السورة مكية بخلاف
آيات في آخرها. وكذا ما قيل أنه صلى الله عليه وسلم أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وكذا عيينة بن
حصن الفزاري فجاء عباس بن مرداس فأنشأ يقول: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة
والأقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم
لا يرفع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر اقطع لسانه عني أعطه مائة من الإبل وكانوا
جميعا من المؤلفة القلوب فنزلت «إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر» تعليل لما مر أي

او بسطها على بعض وتضييقها على بعض حسبما تتعلق به مشيئته المبنية على الحكم فليس ما يرهقك
من الاضاقة التي تحوجك الى الاعراض عن السائلين او تفتقر في بذلك الى البسط كل البسط الا
لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم
ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن
السموات والارض واما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان يراد انه تعالى يبسط تارة ويقبض تارة اخرى
فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر
حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك نحن
نرزقهم واياكم لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم
وتعليل للنهي المذكور بابطال موجبه في زعمهم وتقديم ضمان الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع
في سورة الانعام للاشعار باصالتهم في افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك الاملاق في
الناجز ولذلك قيل من املاق وهاهنا الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقكم
من غير ان ينقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضا رزقا الى رزقكم ان قتلهم كان خطأ
كبيرا تعليل آخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم والخطأ الذنب والاثم يقال خطئ خطأ
واثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب
وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها مع حذف الهمزة وبكسرها كذلك ولا تقربوا الزنا بمباشرة
مبادئه القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل
للمبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل
الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان
من لم يثبت نسبه ميت حكما انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد وساء سبيلا
اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي الى اختلاط الانساب وهيجان الفتن كيف لا
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه مثل الظلة
فاذا انقطع رجع اليه وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث
في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الآخرة فسخط الله تعالى
وسوء الحساب والخلود في النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد
الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا والاستثناء
مفرغ اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او ملتبسين بشيء من الاشياء الا بالحق ويجوز ان
يكون نعتا لمصدر محذوف اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق ومن قتل مظلوما
بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر الاباحة لغير القاتل فان من عليه القصاص
اذا قتله غير من له القصاص يقتص منه ولا يفيده قول الولي انا امرته بذلك ان لم يكن الامر ظاهرا فقد جعلنا
لوليه لمن يلي امره من الوارث او السلطان عند عدم الوارث سلطانا تسلطا واستيلاء على القاتل
يؤاخذه بالقصاص او بالدية حسبما تقتضيه جنايته او حجة غالبة فلا يسرف وقرئ فلا تسرف
في القتل اي لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع بان يزيد عليه بالمثلة او بان يقتل
غير القاتل في مادة الدية وقرئ بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى النهي انه كان منصورا
تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب له القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته

في استيفاء

في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا يسرف عليه ولا يخرج من دائرة امره او للمقتول
ظلما على انه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شأنه او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا وجعل الفعل
ظاهرا وعن مجاهد ان الضمير في لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة ولا تسرفوا والضميران في
التعليل عائدان الى الولي والمقتول فالمراد بالاسراف حينئذ اسراف القاتل على نفسه في شأن القتل كما في
قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة
في النهي عن التعرض له ومن افضائه الى التلبس به وللتوسل الى الاستثناء بقوله تعالى الا بالتي هي احسن الا
بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال والطرائق التي هي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده
غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط واوفوا بالعهد
ما جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به القيام بمقتضاه
والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسي كايفاء الكيل والوزن ان العهد
كان مسؤولا اي مسؤولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله
تعالى وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه ونظيره ما في قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله
فحذف المضاف وجعل الضمير مقامه ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي تبكيتا للناكث
كما يقال للموءودة باي ذنب قتلت واوفوا الكيل اي اتموه ولا تخسروه اذا كلتم كيلكم للمشترين وتقييد
الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال
تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الآية وزنوا بالقسطاس هو الميزان رومي وقيل كل ميزان صغيرا كان او
كبيرا وهو معرب ولا يقدح في ذلك عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف
المستقيم اي العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته
لا يتصور التجوز غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر
بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال فقد امر بتقويمه ايضا في قوله تعالى اوفوا الكيل والميزان بالقسط
ذلك اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان خير في الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس
واحسن تأويلا عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع من قفا اثره اذا
تبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة في جمع القائف ما ليس لك به علم اي لا تكن في اتباع
ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده ولا يحتج به من اتباع الظن لجواز
ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر
شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من قفا مؤمنا
بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج ومن قول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو
الحواصن ان رمينا ان السمع والبصر والفؤاد وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء كل اولئك
اي كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على اصحابها
هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا يعم القبيلتين جاء لغيرهم ايضا قال ذم
المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤولا اي كان كل من تلك الاعضاء
مسؤولا عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافي
بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسؤولا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسؤولا
معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدأ وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه وكن النحاس حكى
الاجماع على عدم تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا ويجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير

ويحذف الجار من المقسم ويعود الضمير مستترا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود ويجوز ان يكون مسئولا
مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعل المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسأل
ابن جني ابا علي عن قولهم فيك يرغب الرغبة يعني يفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء
والمنع ويجوز ان يكون اسم كان او فاعل ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسئولا او مسئولا صاحبه
ولا تمش في الارض التقييد لزيادة التقرير والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح **مرحا** كبرا وبطرا
وخيلاء وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او مفعول له اي لاجل المرح وقرئ بالكسر **انك لن
تخرق الارض** تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال اي بان تلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها اي لن تخرق
الارض بدوسك وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء **ولن تبلغ الجبال** التي هي بعض اجزاء الارض **طولا** حتى
يكون ذلك التكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تهكم بما عليه المختال
من رفع راسه ومشيه على صدر قدميه **كل ذلك** اشارة الى ما علم من تضاعيف ما ذكر من الاوامر والنواهي من الخصال
الخمس والعشرين **كان سيئه** الذي نهي عنه وهو اثنتا عشرة خصلة **عند ربك مكروها**
مبغوضا غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة
على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه وهي تتمة لتعليل الامور المنهي عنها جميعا ووصف
ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للدلالة على ان مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب
الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها الى البعض ابتداء لما ان
البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده
تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في آية الليل وآية
النهار وقرئ سيئة على انها خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها
بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانها بمعنى سيئا وقد قرئ به او مجرى على موصوف
مذكور اي امرا مكروها او مجرى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن
في كان او في الظرف على ان تصفه سيئة وقرئ شانه **ذلك** اي الذي تقدم من التكاليف المفصلة
مما اوحى اليك ربك اي بعضه او من جنسه **من الحكمة** التي هي علم الشرائع او معرفة الحق لذاته
والخير للعمل به او من الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان هذه الآيات الثماني عشرة كانت في الواح موسى عليه الصلاة والسلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال
تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ومن الثانية متعلقة
باوحى على انها تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره المحذوف في
الصلة اي كائنا من الحكمة واما بدل باعادة الجار **ولا تجعل مع الله الها آخر** الخطاب للرسول صلى
الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدأ
الامر ومنتهاه فانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لا ينفعه علومه وحكمه وان بذ فيها اساطين
الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة الاشراك اولا حيث قيل فتقعد
مذموما مخذولا ورتب عليه هاهنا نتيجته في العقبى فقيل **فتلقى في جهنم ملوما** من جهة
نفسك ومن جهة غيرك **مدحورا** مبعدا من رحمة الله تعالى وفي ايراد الالقاء مبنيا للمفعول جريا
على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعله من قبيل خشبة يأخذها آخذ بكفه فيطرحها في التنور
افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا خطابا للقائلين بان الملائكة بنات الله
سبحانه والاصفاء بالشيء جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور

اي افضلكم

اي افضلكم على جهة الاختصاص بافضل الاولاد من غير ان تشركوه بها واتخذ اخسها كما في قوله
سبحانه الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصد هاهنا التعرض لعنوان الربوبية
بتشديد النكير وتأكيده واشير بذكر الملائكة عليهم الصلاة والسلام وايراد الاناث مكان البنات الى
كفرة اخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التي هي اخس اوصاف الحيوان كقوله تعالى وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا **انكم لتقولون** بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو اضافة الولد اليه
سبحانه **قولا عظيما** لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرق لقضايا العقول حيث لا يجترئ عليه احد حيث
تجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي
بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة
الذين هم من اشرف الخلائق بالانوثة التي هي اخس اوصاف الحيوان فيا لها من ضلالة ما افحشها وكفرة
ما اشنعها وافظعها **ولقد صرفنا في هذا القرآن** هذا المعنى وكررناه على وجوه من التصريف في مواضع
منه على ان ترك الضمير تنويه على الظهور وقرئ بالتخفيف **ليذكروا** ما فيه ويقفوا على بطلان ما
يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكى للسامعين هناتهم وقرئ
بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات
الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف جعله مكانا له اي اوقعنا فيه التصريف وقد
يجوز ان يراد به ابطال اضافة البنات اليه تعالى ثانيا تعلم ان بطلانها من آثار القرآن وتبليغها **وما يزيدهم**
اي والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ **الا نفورا** عن الحق واعراضا عنه وعن التذكر المؤدي الى معرفة
بطلان ما هم عليه من القبائح في ظلمها بطلان بحث من وجهها الجزئي **قل** لهم **لو كان معه** تعالى **آلهة
كما تقولون** اي المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم والكاف
في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اي كونا مشابها لما تقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة
اذا لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء للو **الى ذي العرش** اي الى من له الملك والربوبية
على الاطلاق **سبيلا** بالمغالبة والممانعة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله سبحانه
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل بالتقرب اليه تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة والاول هو الاظهر الانسب بقوله **سبحانه** فانه صريح في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه
محذور عظيم من حيث لا يحتسبون واما ابتغاء السبيل اليه بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا مما
يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه رأسا اي ينزه بذاته تنزيها حقيقا به **وتعالى** متباعدا
عما يقولون من العظيمة التي هي ان يكون معه آلهة وان يكون له بنات **علوا** تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من
الارض نباتا **كبيرا** لا غاية وراءه كيف لا وانه سبحانه في اقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتي
وما يقولونه من ان له تعالى شركاء واولادا في ابعد مراتب العدم اعني الامتناع لا انه تعالى في اعلى مراتب
الوجود لذاته تعالى اتخاذ الولد له ادنى مراتب فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فان ما يقولونه ليس بمجرد اتخاذ الولد
بل اتخاذه تعالى وان يكون معه آلهة لا ريب في ان ذلك ليس بداخل في حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود
وكونه من ادنى مراتب الوجود لما هو بالنسبة الى من شأنه ذلك **تسبح** بالفوقانية وقرئ بالتحتانية
وقيل سبحت **له السموات السبع والارض ومن فيهن** من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى
منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز **وان من شيء** من الاشياء حيوانا كان او نباتا
او جمادا **الا يسبح** ملتبسا **بحمده** اي ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم
الامكان ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على ان له صانعا

عليما قديرا حكيما فلعجب الذاتي قطعا للتسلسل ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم
بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم وقرئ لا تفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل انه
كان حليما فلذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر في
الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن
الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع جعلنا
بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة اوثر الموصول
على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد
ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به في القرآن وفيه تمهيد لما سينقل عنهم من انكار البعث واستعجاله
ونحو ذلك حجابا يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤا
على تفوه العظيمة التي هي قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا وقيل الحجاب على ما روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي
الله عنهما انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل امرأة ابي لهب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه
قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله لقد اقبلت هذه وانا اخاف ان تراك فقال
صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر رضي الله عنه ولم تر رسول الله صلى الله عليه
مستورا ذا ستر كما في قولهم سيل مفعم اي مستور عن الحس بمعنى غير حسي او مستورا في نفسه بحجاب
آخر او مستورا كون حجابا حيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة
جمع كنان ان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه او مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان
يفقهوه والكناية عنه لانه يعرف انه من عند الله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا عظيما مانعا من سماعه
اللائق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن
فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم للتسبيح لسان المقال اثر بيان عدم
فقههم لتسبيح لسان الحال وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا لمانع قوي
يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على ان حالهم هذا اقبح من حالهم السابق لا حكاية لما قالوا وقلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه
في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من ان القرآن بما وصل ما فيه من التصديق والايمان
ككون القرآن سحرا وشعرا واساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا
وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم ولا ريب في ان ذلك المعنى مما لا يكاد يليق بهذا المقام
واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله
يحد وحده ولوا على ادبارهم نفورا اي هربا ونفروا نفورا او جمع نافر نحن اعلم بما يستمعون
به ملتبسين به من الكفر والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن يروى انه كان يقوم عن يمينه رجلان
من عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار اذ يستمعون
اليك ظرف لاعلم وفائدته تاكيد الوعيد بالاخبار كما انه يقع الاستماع المتلبس به منهم متعلق به العلم
لان العلم يستفاد من الحس وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به
التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور
المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم او الاول ظرف لما يستمعون والثاني يتناجون والمعنى نحن نعلم
بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجي وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية
بتقدير المضاف اي ذوو نجوى او هو جمع نجي كقتيل اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل على ان

ما يتناجون

ما يتناجون به غير ما يستمعون وانما وضع الظالمون موضع الضمير اشعارا بانهم في ذلك ظالمون مجاوزون
الحد اي يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم ان تتبعون اي ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او
ما تتبعون باللغو والهزؤ الا رجلا مسحورا اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي رئة يتنفس اي بشرا
مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك عن
منهاج المحاجة فلا يستطيعون سبيلا اي طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في
بما لا يرتاب في بطلانه احد او الى سبيل الحق قال الرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
ما لا يخفى وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث
بعد ما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة الامرين الظاهر
بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم قال الرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد
وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى أئنا
لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا تعمل فيما قبلها وهو نبعث ونعاد وهو المرجع للانكار
وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فانهم ينكرون الاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل
لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قوله أئنا لتأكيد النكير وتحليته
الجملة فان اللام لتأكيد الانكار لا الانكار للتأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار
لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم عظاما
ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم ومرجعه الى انكار
البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه
خلقا جديدا نصب على المصدر من غير لفظه او على الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم
وتقريبا لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي يعظم
عندكم عن قبول الحياة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة
فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا
للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي اي يعيدكم القادر العظيم
الذي فطركم اخترعكم اول مرة من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا لم يشم رائحة الحياة
أليس الذي يقدر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شيء قدير فسينغضون
اليك رؤوسهم اي سيحركونها نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى هو اي ما ذكرته
من الاعادة قل لهم عسى ان يكون قريبا نصب على الخبر ليكون او ظرف على ان كان تامة اي ان
يقع في زمان قريب ومحل ان مع ما في حيزها اما نصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة اسمها ضمير عائد الى ما
اي عسى البعث ان يكون قريبا او عسى البعث يقع في زمان قريب او رفع على انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى
كونه قريبا او وقوعه في زمان قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر اي اذكروا او على انه بدل من قريبا
على انه ظرف او يكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في الظروف او بمضمر المصدر
كما في قول زهير وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم فهو ضمير المصدر وقد تعلق
به ما بعده من الجار فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال
سهولة التأني وبان المقصود الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال من ضمير تستجيبون اي منقادين له
حامدين لما فعل بكم مستغفرين او حامدين لله تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة

الحامها وتظنون عطف على تستجيبون أي تظنون عندما ترون من الأمور الهائلة إن لبثتم أي
ما لبثتم في القبور إلا قليلا كالذي مر على قرية أو ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي أي المؤمنين
يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التي أي الكلمة التي هي أحسن ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا
تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم أي يفسد ويهيج الشر والمراء ويغري
بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة والمشارة والمضادة والمضارة فلعل ذلك يؤدي إلى تأكد العناد
وتمادي الفساد إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا فهو تعليل لما سبق من أن الشيطان ينزغ بينهم
ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم بالتوفيق للإيمان أو إن يشأ يعذبكم بالإماتة على الكفر وهذا تفسير للتي هي
أحسن وما بينهما اعتراض أي قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار فإنه مما يهيجهم
على الشر مع أن العاقبة مما لا يعلمه إلا الله سبحانه فعسى يهديهم إلى الإيمان وما أرسلناك عليهم
وكيلا موكولا إليك أمورهم تقسرهم على الإيمان وإنما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك
بالمداراة والاحتمال وترك المخاشنة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه
رجل فأمره بالعفو وقيل أفرط إيذاء المشركين بالمؤمنين فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وقيل الكلمة التي هي أحسن أن يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وربك أعلم بمن في السماوات والأرض تفاصيل
أحوالهم الظاهرة والباطنة التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء
ممن يستحقه وهو رد لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبيا وأن تكون العراة الجوع أصحابه دون
أن يكونوا من الأكابر والصناديد وذكر من في الأرض لإبطال قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبرؤ من العلائق الجسمانية
لا بكثرة الأموال والأتباع وآتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله عليه الصلاة والسلام وأنه بإيتاء
الزبور لا بإيتاء الملك والسلطنة وإيذان بتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم فإن نعوته الجليلة من كونه
خاتم النبيين مسطورة في الزبور وطالما أريد بعباد الله الصالحين في قوله تعالى أن الأرض يرثها عبادي الصالحون
هو النبي صلى الله عليه وسلم وأمته وتعريف الزبور تارة وتنكيره أخرى إما لأنه في الأصل فعول كالحلوب
مصدر بمعناه كالقبول وإما لأن المراد آتينا داود بعض الزبر أو بعضا من الزبور فيه ذكره صلى الله
عليه وسلم وقرئ بضم الزاي على أنه جمع زبر بمعنى مزبور قل ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة
من دونه تعالى من الملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون كشف الضر عنكم بالمرض كالمرض
والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا أي ولا تحويله إلى غيركم أولئك الذين يدعون أي أولئك الآلهة
الذين يدعوهم المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون لأنفسهم إلى ربهم ومالك أمورهم الوسيلة
القربة بالطاعة والعبادة أيهم أقرب بدل من فاعل يبتغون وأي موصولة أي يبتغي من هو أقرب إليه
تعالى الوسيلة فكيف من دونه أو ضمن الابتغاء معنى الحرص فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إليه تعالى
بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كدأب سائر العباد فأين
هم من كشف الضر عن الآلهة إن عذاب ربك كان محذورا حقيقا بأن يحذره كل أحد حتى الملائكة
والرسل عليهم الصلاة والسلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما أن المقام
مقام التحذير من العذاب وأن بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وإن من قرية بيان لتحتم حلول عذابه بمن
لا يحذره إثر بيان أنه حقيق بالحذر وأن أساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام
على حذر من ذلك كلمة إن نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة أي ما من قرية من قرى
الكفار إلا نحن مهلكوها أي مخربوها البتة بالخسف بها أو بإهلاك أهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم

الموبقات المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل وإن كانت بمعنى المستقبل ما ليس في غيرها من الدلالة على التحقق
والتقرر وإنما قيل قبل يوم القيامة لأن الإهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة
وإنما هو لانقضاء عمر الدنيا أو معذبوها أي معذبو أهلها على الإسناد المجازي عذابا شديدا
بالقتل والسبي ونحو ذلك من البلايا الدنيوية فقط إذ لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الأخروية أيضا
حسبما ينفصح عنه إطلاق التعذيب عما قيد به الإهلاك من قبلية يوم القيامة كان ذلك الذي ذكر في الإهلاك
والتعذيب في الكتاب أي اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيء إلا بين فيه بكيفياته
وأسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة
وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها أما مكة فتخربها الحبشة وتهلك
المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان
فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ أبو عمرو الداني في كتاب الفتن إنه روي عن وهب
بن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون
الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فإذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يد رجل من بني
هاشم وخراب الأندلس من قبل الزنج وخراب إفريقية من قبل الأندلس وخراب مصر من انقطاع النيل
واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى
لا يستطيعون أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الأبلة من قبل عدو يحصرهم
برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن
من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من الجوع وعن أبي هريرة رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة وقد أخرجه
العمري من هذا الوجه وأنت خبير بأن تعميم القرية لا يساعده السياق ولا السباق وما منعنا أن
نرسل بالآيات أي الآيات التي اقترحتها قريش من إحياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك إلا أن كذب
بها الأولون استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي وما منعنا إرسالها شيء من الأشياء إلا تكذيب الأولين
بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم إرساله تعالى لها وإن كان لمشيئته المبنية على الحكم البالغة لا
لمنع مانع عنه لما أن التكذيب وغيره لاستحالة الحجر عليه تعالى لكن تكذيبهم لما كان مؤديا بواسطة استتباعه
لاستئصالهم بحكم السنة الإلهية واستلزام تكذيب الآخرين بحكم الاشتراك في العتو والفساد لاستحقاق
أن يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة كان ذلك منافيا للإرسال لما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب
المستدعي للاستئصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تأخير عقوبات هذه الأمة إلى الآخرة لحكم باهرة
من جملتها ما يتوقع من إيمان بعض أعقابهم وعبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة إيذانا بتعاضد
مبادي الإرسال لا بمعنى أنه عز وجل قد أراد إرساله صلى الله عليه وسلم بالمعجزات وهو أبين في
بيان الإرسال على الإتيان لما فيه من الإشعار بتداعي الآيات إلى النزول لولا أن تكذيبها يفضي إلى الفساد
هذا المنع إلى تكذيب الأولين لا إلى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم
ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون لإقامة الحجة عليهم بإبراز الأنموذج والإلزام بأن مدار عدم الإجابة إلى
إيتاء مقترحهم ليس إلا منهم وآتينا ثمود الناقة عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كأنه قيل وما
منعنا أن نرسل بالآيات الباهرة فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة مبصرة على صيغة الفاعل
أي بينة ذات إبصار أو بصائر يدركها الناس أو أسند إليها حال من يشاهدها مجازا أو جاعلهم ذوي بصائر
من أبصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرئ

بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف فظلموا بها كفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا
بها ما فعلوا من العقر او ظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود
عرب مثلهم وان لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون هلاكهم ورودا وصدورا ولانها
من جهة انها حيوان خرج من الحجر اوضح دليل على تحقيق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا وما نرسل
بالآيات المقترحة الا تخويفا لمن ارسلت هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له حيث لم
يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا يفعل بهؤلاء حيث نحن من الاعراب فيجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا اي فظلموا بها
ولم يخافوا عاقبته والحال انا لا نرسل بالآيات التي هي من جملتها الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فافعل بهم ما اتى
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي علما كما نقله الامام الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا يخفى
عليه شيء من افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب وقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
الا فتنة للناس والشجرة الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات
لاشتراك الكل في كونها امورا خارقة للعادات منزلة من جانب الله تعالى لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم
فتكذيبهم لبعضها مستلزم لتكذيبها الباقي كما ان تكذيب الآخرين لغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات
المقترحة ... والمراد بالرؤيا ما عاينه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من عجائب الارض والسماء
حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه لا فرق بينها وبين الرؤية
او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اي وما جعلنا الرؤيا التي اريناك عيانا مع كونها
آية عظيمة واية آية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن
بها الناس حتى ارتد بعضهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا والمراد بلعنها لعن طاعميها
على الاسناد المجازي او ابعادها من الرحمة فانها تنبت في اصل الجحيم تحرق الحجارة ثم تقول ينبت فيها الشجر
لقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد
المحماة فلا يضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندل تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان
في كل شجر نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بذلك
وبنظائره من الآيات فان الكل للتخويف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار
فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الآيات
لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه
الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لان انزالها
ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث قالوا لو كنت رسولا حقا لاتيتنا بهذه المعجزات كما اتى بها
موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكانه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد احاط
بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم وامض لما امرتك به من تبليغ
الرسالة الا ترى ان الرؤيا التي اريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشك مع انها ما اورثت ضعفا
لامرك وفتورا في حالك وقد فسر الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا
حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم
وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في اخباره واولت الرؤيا بما عسى رآه النبي صلى الله عليه وسلم في المنام من
مصارعهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم لما ورد ماء بدر قال والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي
الى الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا منها وما رآه صلى الله عليه وسلم

انه سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر بعض من كان [illegible]
بانه [illegible] وكانت الرؤيا والاخبار بها بالمدينة [illegible] للصادق والتمييز بين الصادق والكاذب
[illegible]
وقد قيل الرؤيا ما رآه صلى الله عليه وسلم في وقعة بدر [illegible]
[illegible]
[illegible] واذ قلنا للملائكة
تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن ابليس من الاباء والاستكبار [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] اسجدوا لآدم فسجدوا [illegible]
والسلام الا ابليس وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود قال [illegible]
يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك [illegible]
كما الشيء في سورة الحجر أأسجد وانا مخلوق من العنصر العالي لمن خلقت طينا نصب على نزع الخافض اي
من طين او حال من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او من نفس الموصول اي أأسجد له وهو طين والتعبير عنه عليه
الصلاة والسلام بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة قال اي ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار
المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء
بما ذكر في مواضع اخر فان توسط بين كلامي اللعين المحكيين بعد الفصل الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه
بل على غيره بل على قوله تعالى قال فما خطبكم يعني قوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ارأيتك
هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني
محذوف لدلالة الصلة عليه اي اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل
هذا مبتدأ حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستخفاف
اي اخبرني اهذا من كرمته علي وقيل معنى ارأيتك اتأملت كأن المتكلم ينبه المخاطب على استحضار
ما يخاطبه به عقيبه لئن اخرتن حيا الى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله
لاحتنكن ذريته اي لاستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او لاقودنهم حيث
ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل
حبلا تقودها به وهذا كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك اما بطريق
التلقي من جهة الملائكة عليهم الصلاة والسلام واستنباطا من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء او تفرسا من خلقه الا قليلا منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى قال اذهب اي امض
لشأنك الذي اخترته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم
جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا اي جزاء
مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه اي وفره وهو نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله تجزون من معنى
تجازون او الفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز اي استخف من استطعت منهم
بصوتك اي بدعائك واجلب عليهم بخيلك ورجلك اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل
البغي والفساد قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان
من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله فهو من رجل ابليس والخيل

الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم الجمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر
الجيم وهي قراءة حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب وتاعب وبضمها مثل حذر وحذر وندس وندس و
أي جمعك الرجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجالك ويجوز أن يكون استفزازه بصوته وإجلابه
بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا
يزعجهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم من جنده بخيالة ورجالة حتى استأصلهم وشاركهم
في الأموال والأولاد بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي وفي الأولاد
بالحث على التوصل إليهم بالأسباب المحرمة والإشراك فيهم بتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل
على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة
الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الأمل وما يعدهم الشيطان إلا غرورا
اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات إلى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف
الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الإشعار بعلية تسلطه للغرور وهو تزيين الخطأ
بما يوهم أنه صواب إن عبادي الإضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه أن من تبعه ليس منهم
وأن الإضافة غايته ليس بحكم في قوله تعالى ليس لك عليهم سلطان أي تسلط وقدرة على
إغوائهم كقوله تعالى إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى بربك وكيلا
لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن إغوائك والتعرض لصفة الربوبية المنبئة
عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الإضافة إلى ضمير إبليس للإشعار بكيفية كفايته تعالى
أعني سلب قدرته على إغوائهم ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر مبتدأ وخبر والإزجاء السوق
حالا بعد حال أي هو القادر الحكيم الذي يسوق لنفعكم الفلك ويجريها في البحر لتبتغوا من فضله
من رزقه الذي هو فضل من قبله أو من الربح الذي هو معطيه من مزيدة أو تبعيضية وهذا تذكير لبعض
النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا
يملكون الآية إنه كان بكم أزلا وأبدا رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما تعسر
من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الإزجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على
أن المراد بالرحمة الدنيوية العاجلة المنقسمة إلى الجليل والحقير وإذا مسكم الضر في البحر خوف
الغرق فيه ضل من تدعون أي ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة أو المسيح أو
غيرهم إلا إياه وحده من غير أن يخطر ببالكم أحد منهم وتدعون لكشفه استقلالا أو اشتراكا أو ضل
كل من تدعون عن إغاثتكم وإنقاذكم ولم يقدر على ذلك إلا الله على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم من الغرق
وأوصلكم إلى البر أعرضتم عن التوحيد وانغمستم في كفران النعمة وكان الإنسان كفورا تعليل
لما سبق من الإعراض أفأمنتم الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم أن يخسف
بكم جانب البر الذي هو مأمنكم أي يقلبه ملتبسا بكم أو بسبب كونكم فيه وفي ذكره الجانب تنبيه على
تساوي الجوانب والجهات بالنسبة إلى قدرته سبحانه وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة أو يرسل
عليكم أي من فوقكم وقرئ بالنون حاصبا ريحا ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم
من ذلك وينصركم منه فإنه لا راد لأمره الغالب أم أمنتم أن يعيدكم فيه في البحر وإيثار كلمة في
على كلمة إلى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه تارة أخرى إسناد الإعادة إليه
تعالى مع أن العود باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم إلى العود وفيه إيماء إلى كمال شدة هول ما لا
قوه في التارة الأولى بحيث لولا الإعادة لما عادوا فيرسل عليكم وأنتم في البحر وقرئ بالنون قاصفا

من الريح

من الريح ريحا التي لا تمر بشيء إلا كسرته وجعلته كالرميم أو التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها
تتقصف أي تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء
على الإسناد إلى ضمير الريح بما كفرتم بسبب كفرانكم لنعمة الإنجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا
أي تابعا يطالبنا بما فعلنا ودركا للثأر من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بني آدم
قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم أي كرمناهم بالصورة الحسنة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الأرض
والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي
الله عنهما من أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده وما قيل من شركة
القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فإنه متناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده
وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته إذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء
كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم نخسف بهم الأرض ولم نغرقهم بالماء وأنت خبير بأن الأول هو الأنسب
بالتكريم إذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات أي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل
بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والإدراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها
يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم من عدا الملائكة عليهم الصلاة
والسلام تفضيلا عظيما فحق عليهم أن يشكروا نعم الله ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد
الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحد ممن له أدنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدا
الملأ الأعلى الذين هم العقول المحضة وإنما استثني جنس الملائكة من هذا التفضيل لأن علومهم دائمة عارية
من الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على أفضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فإن المراد بيان التفضيل في أمر مشترك
بين جميع أفراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن أن يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله
سبحانه إذ لا حاجة إلى التعيين بل لا فائدة للتفضيل بعد بيان ما هو الواجب الفضل فإن استثناء
الملائكة عليهم الصلاة والسلام من تفضيل جميع أفراد المنسوع عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل
بعض أفراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه الاستثناء إذ ليس من الأفراد الفاخرة للبشر أحد يفضل على أحد
من المخلوقات غير المتنازع فيه أصلا بل هم أدنى من كل خسيس أي بين عنه قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم
أضل سبيلا وقوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا يوم ندعو نصب على المفعولية بإضمار اذكر
أو ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء مبنيا للفاعل وللمفعول ويدعو بقلب الألف
واوا على لغة من يقول أفعو في أفعى أو على أن الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى وأسروا النجوى أو ضمير وكل
بدل منه والنون محذوف لقلة المبالاة بها فإنها ليست إلا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يدعى
كل أناس من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت
أحوالهم في الآخرة بحسب أحوالهم وأعمالهم في الدنيا بإمامهم أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في أمر
دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر يا أهل دين كذا يا أهل كتاب كذا
وقيل الإمام جمع أم كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بأمهاتهم إجلال عيسى عليه الصلاة والسلام
وتشريف الحسنين رضي الله تعالى عنهما والستر على أولاد الزنا فمن أوتي من أولئك المدعوين كتابه
صحيفة أعماله بيمينه إبانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا له من أول الأمر بما في مطاويه فأولئك
إشارة إلى من باعتبار معناه إيذانا بأنهم حزب مجتمعون على شأن جليل وإشعارا بأن قراءتهم
لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الإيتاء وما فيه من معنى البعد للإشعار
برفعة درجاتهم أي أولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الإيتاء المذكور يقرؤون كتابهم

الذي اوتوه على وجه المبين تبجحا بما ينظرون فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون اي
لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة فتيلا اي قدر فتيل وهو الذي في شق
النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة ومن كان من المدعوين المذكورين في هذه
الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل اعمى فاقد البصيرة لا يهتدي الى
رشده ولا يعرف ما اوليناه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا
يستعمل فيما جعلنا فيه من العقل والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف الحقة فهو في الآخرة
التي عبر عنها بيوم ندعو اعمى كذلك لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول
موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك
قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما واضل سبيلا اي من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل
الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي في الدنيا فيختم به تفصيل السبل لا لتكامل ما سبق من الفريق المقابل له
ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن التقابل حسبما هو الواقع
في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان
من المكذبين الضالين بعد قوله فاما ان كان من اصحاب اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد
الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل
في قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وان كادوا
ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا
نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع
عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله
امرني بذلك وقيل في قريش قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة او قالوا لا نمكنك
من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا فان مخففة من المشددة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي
الفارقة بينها وبين النافية اي ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا
اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره لتتقول علينا ما هو غير الذي اوحينا
اليك مما اقترحته ثقيف وقريش حسبما نقل واذا لاتخذوك خليلا اي لو اتبعت اهواءهم لكنت
لهم وليا ولخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا من الركون الذي هو ادنى ميل اي لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا
يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب
من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم
باجابتهم مع قوة الدواعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته اذا اي لو قاربت ان تركن
اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف
ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطر الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة
وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة
موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات
عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك العذاب وان كادوا الكلام فيه كما في الاول
اي كاد اهل مكة ليستفزونك اي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض اي الارض التي انت فيها
وهي ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب

بلعما اذا

باعمال اذا على ان الجملة معطوفة ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك الا قليلا الا زمانا
قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت الآية في اليهود
حين حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم الصلوة
والسلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم فخرج مرحلة
فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا
نصب على المصدرية اي سن الله تعالى سنة وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولها من بين ظهرهم فالسنة
لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل ولا تجد لسنتنا
تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم اتاني
جبريل عليه الصلوة والسلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر
اليها يحتاج الى ان يدلك عينيه وقيل لغروبها من دلكت الشمس اي غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم
كلا المعنيين واللام للتاقيت مثلها في قولك لثلاث خلون الى غسق الليل الى اجتماع ظلمته وهو وقت
صلوة العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة كل صلوة في وقتها الذي
عين لها ببيان جبريل عليه الصلوة والسلام كما ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الى بيانه صلى الله عليه
ركعاتهم
وسلم ولعل الاكتفاء ببيان المبدا والمنتهى في اوقات الصلوات من غير فصل بينها لما ان الانسان
فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله
فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلوة صلوة
المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب
الشفق وقران الفجر اي صلوة الفجر بالنصب عطفا على مفعول اقم او على الاغراء قال
الزجاج وانما سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولا دلالة
على ذلك لجواز ان يكون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر لدل الامر
باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقران الفجر حثا على تطويل القراءة
في صلوة الفجر ان قران الفجر اظهر في مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام به كان مشهودا
تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وشواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه
بالنوم الذي هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة
بتفسير الدلوك بالزوال للصلوات الخمس وعلى التفسير بالغروب لما عدا الظهر والعصر ومن
الليل قيل هو نصب على الاغراء او الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغري به حرفا ولا يجدي نفعا
كون معناها التبعيض فان ما معناها التبعيض ليست اسما بالاجماع فلا يكون بمعنى الاسم الصريح
بل هو منصوب على الظرفية بمضمر اي قم بعض الليل فتهجد به اي ازل واترك الهجود اي النوم فان
صيغة التفعل تجيء للازالة كالتحرج والتاثم وقد ظاهرها والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد
اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم من قوله تعالى من الليل اي تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في
وقيل منصوب بتهجد اي تهجد بالقرآن بعض الليل على طريقة واياي فارهبون نافلة لك فريضة
زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه في تاخير ذكرها عن
صلوة الفجر مع تقدمها وقتا عليها او فضيلة لانها تطوع زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له صلى
الله عليه وسلم في الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فانه صلى الله عليه وسلم مغفور له ما
تقدم من ذنبه وما تاخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم

تكفير لذنوبهم وتدارك للخلل الواقع في فرائضهم ولنصابها على المصدرية بتقدير تنفل او
بجعل تهجد بمعناه اي تنفل نافلة تهجد فانه لك عبارة عن زائدة وقيل على الحالية من الضمير
الراجع الى القرآن اي حال كونها صلاة نافلة وقيل على المفعولية لتهجد اذ اجعل بمعنى صل والضمير
للمجرور للبعض اي فصل في ذلك البعض نافلة لك عسى ان يبعثك ربك الذي يعلم الكمالات اللائق
بك من بعد النوم لا كما انبعثت من النوم الذي هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة مقاما نصب
على الظرفية بتقدير اضمار فيقيمك وتضمين البعث معنى الاقامة لدلالة التلبس بالعامل فيه هذا
الظرف فعله فيه معنى الاستقرار محمودا تعود لك عواقبك الاستقرار مضاف اي يبعثك ذا مقام محمودا
عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقاما
يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد
الا تحت لوائك وعن حذيفة رضي الله عنه يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم فيه نفس فاول
مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك
بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقل رب
ادخلني القبر مدخل صدق اي ادخالا مرضيا واخرجني اي عند البعث مخرج صدق
اي اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة ثم تلقين الدعاء بما وعده من البعث المقرون بالاقامة المحمودة
بالتي لا كرامة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة ويعتبر ترتيب الوجود على الاخبار
هو المقصد وقيل ادخاله صلى الله عليه وسلم مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين
وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه
مؤديا حقه وقيل في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح
على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا كقوله وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع
من المال الا مسحتا او مجلف اي لم تدع فلم يبق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة
تنصرني على من خالفني وملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته صلى الله
عليه وسلم بقوله عز وجل والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين
كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق اي الاسلام والوحي الثابت الراسخ وزهق الباطل
اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج كان زهوقا كائنا
ما كان ان الباطل بوشانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو [illegible]
النصب الذي تقف عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح
وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكتها بمخصرة كانت في يده في عين كل واحد ويقول جاء الحق
وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي
ارم به فصعد فرمى به فكسر وننزل من القرآن وقرئ ننزل من الانزال ما هو شفاء لما في الصدور
من ادواء الريب واسقام الاوهام لما في الصدور به العاملين بما في تضاعيفه اي ما هو في تقويم
دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء بان كل
القرآن كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله او تبعيضية اي لا
يمضي انا ننزل منه في كل نوبة ما تستدعي الحكمة نزوله حينئذ فيقع الشفاء من نزل عليه بسبب موافقته
لنحو الداء الحالي عند نزوله فيقع الدواء الشافي المصادف لاباته من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال

من غير

من غير تقديم ولا تاخير فكل بعض منه متصف بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتحقيق
التبعيض بليغ باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا يستقل عن قوله سبحانه ولا يزيد
الظالمين الا خسارا اي لا يزيد القرآن كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين الاشياء
في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الاسقام الا خسارا اي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما
قيل فان ما بهم من داء الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب
بالآيات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية
لهم في اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة المرض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القرآن مع انهم هم
المزدادون في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا لذلك وفيه تعجيب من امره من حيث كونه مدارا للشفاء
والهلاك واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكرنا فضلا عن القيام بموجب الشكر
ونأى تباعد عن طاعتنا بجانبه الثاني الجانب اي لوى عن الشيء عطفه وولاه عرض وجهه
فهو تاكيد للاعراض وعبارة عن الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او
مرض او نازلة من النوازل وفي اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير
مراد بالذات والشر ليس كذلك كان يؤسا شديد الياس من روح الله وهذا وصف الجنس باعتبار بعض افراده
ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض فان ذلك
شان بعض آخرين منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ وناء على القلب كما يقال راء
في راى واما على انه بمعنى نهض قل كل اي كل احد منكم ومن هو على خلافكم يعمل على شاكلته
طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم
الذي برأكم على هذه الطبائع المختلفة اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد طريقا وابين
منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الظاهر
ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدا حياته روي ان اليهود قالوا
لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي
وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة
قل الروح اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال الاعتناء بشانه من امر ربي كلمة من بيانية
والامر بمعنى الشان والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه
وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه اي هو من
جنس ما استاثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا تكاد تحوم حولها عقول البشر وما
اوتيتم من العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال
لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال صلى الله عليه وسلم بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك
ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام الآية وانما قالوا ذلك لسوء فهمهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة
البشرية بل ما ينبط به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه
قليل ينال به خير كثير في نفسه وبالنسبة الى الانسان او هي من الابداعيات الكائنة بمحض
الامر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه
وما له انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر او من عالم الخلق

وفيه تنبيه على ان الاحاطة بكنهها متعذرة وانما الممكن هو القدر الاجمالي المندرج
تحت ما استثني بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس
فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما
ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله التي يدور عليها معرفة ذاته هذا ما احتمله ما ذكر على
السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه اي كائن بتكوينه حادث باحداثه تعالى لا من
التكون ويحتج فيه ملاحظة حال السائلين بحسب التعرض لبيان قلة علمهم فان ما سالوا عنه مما
نوع علمهم حينئذ فوق ما اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل
جبريل عليه الصلوة والسلام وقيل القرآن ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر ولئن
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع العلوم
التي اوتيتموها ونثبتناك عليه بحيث كان لم يتل عليك ولولا التثبيت لكدت تركن اليهم شيئا قليلا
والتعبير عنه بالموصول تفخيم لشانه ووصفا بما في حيز الصلة ابتداء تعليلا لكماله من اول الامر
ليس من جنس المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن
حذف مفعول المشية والمراد بالذهاب به المحو عن المصاحف والصدور وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن
مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم
ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في
مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا ترفع
المصاحف وينزع ما في الصدور ثم لا تجد لك به اي بالقرآن علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده
محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون
استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة
بتنزيله فقوله غيبا في الحافظة تعلي د آخر حقوق وتحذيرا ان لا يغفل عن الجليل ويفرط في القيام
بشكره وهو اجل النعم واعظمها ان فضله كان عليك كبيرا كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه
في حفظك وغير ذلك قل لئن اجتمعت الانس والجن اي اتفقوا على ان ياتوا
بمثل هذا القرآن المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى
وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر كونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا لان غيرهما قادر على المعارضة
لا ياتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا عن ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا
بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا ياتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة
ارباب البراعة والبيان وهو جواب القسم الذي ينبي عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها
لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي
ولا حرم وتحسك الدلالة بالاجماع على الاتيان بمثل هذا القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان بالتصدي
للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد او من المجموع بان يلتوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار
وتعاضد الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي في تحقيق ذلك نوع من الاتيان
بمثله وهو عطف على مقدر اي لا ياتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف
المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند
التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير
مرة ومحل الجملة النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا ياتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحالة

المنافية

المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض
اياتها ببعض ولا مساغ لكون الاية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن
لما قيل ان الاتيان بمثله اصعب من استرداده عينه
فانا صعبية ما الاتيان
مسوق لما للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد صرفنا كررنا ورددنا على انحاء مختلفة توجب زيادة
تقرير وبيان ووكادة ورسوخ واطمئنان للناس في هذا القرآن المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة
من كل مثل من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة كالمثل فابى اكثر
الناس اوثر الاظهار على الاضمار تاكيدا وتوضيحا الا كفورا اي جحودا وانما جاز الاستثناء من المثبت
مع انه لا يصح ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي كانه قيل فما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في
ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك
وانهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح تغلب برهان
بالاعجاز وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده ولا تقتضي الحكمة
وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ بالتشديد لنا من الارض
ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك
جنة اي بستان يستر اشجاره ما تحتها من العرصة من نخيل وعنب فتفجر الانهار اي تجريها بقوة
خلالها تفجيرا كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة اجرائها كما ينبئ عنه
الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى
وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهو حال من السماء والكاف في محل النصب على انه صفة مصدر
محذوف اي اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء او تاتي بالله
والملائكة قبيلا اي مقابلا كالعشير والمعاشر كفيلا بما تدعيه شاهدا بصحته وهو حال من الجلالة
وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها اي قبيلا كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب
او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة
او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك
فيها حتى تنزل علينا كتابا فيه تصديقك نقرؤه نحن من غير ان يتلقى من قبلك عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه ونحن ننظر حتى
تاتيها فتاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وما كانوا يقصدون
بهذه الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الآيات ما زادهم ذلك
الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال قل تعجبا من شدة شكيمتهم
وتنزيها لساحة السبحان عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السماوات يتفطرن
منها او عن طلبك ذلك وتنبيها على بطلانه سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي هل كنت الا بشرا
لا ملكا حتى يتصور مني الرقي في السماء ونحوه رسولا مامورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لي
خيرة في الامر كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله على ايديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم
يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله بشيء منها وقوله بشرا خبر كنت ورسولا صفته وما منع
الناس اي الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول ثان لمنع وقوله اذ جاءهم الهدى اي الوحي ظرف
لمنع او يؤمنوا اي وما منعهم وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك

او ما منعهم من ان يؤمنوا بذلك وقت مجيئه مما ذكر **الا ان قالوا** في محل الرفع على انه فاعل منع اي الا قولهم **ابعث**
الله بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول
صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه
بالقول ايذانا بانه مجرد قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع من الايمان فيما
ذكر مع ان لهم موانع شتى لانه معظمها او لانه هو المانع بحسب الحال اعني عند سماع الجواب بقوله تعالى هل
كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذي يتشبثون به من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية
وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه حاسما لمادة شبههم ملجئا الى الايمان يعكسون
الامر ويجعلونه مادة لانكاره **قل** لهم اولا من قبلنا تبيينا للحق المزيح للريب **لو كان** اي لو وجد واستقر
في الارض بدل البشر **ملائكة يمشون مطمئنين** قارين فيها من غير ان يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب ان
يعلم **لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا** يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع
والتلقي منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق مفاوضة الملائكة كيف لا وهي منوطة بالتناسب
والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وانما تبعث الملك من بينهم للخواص
المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا
من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا
في قوله تعالى ابعث الله بشرا رسولا **قل** لهم ثانيا من جهتك بعدما قلت لهم من قبلنا ما قلت
ما قلت وبينت لهم على ما يقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا اليه راسا **كفى بالله** وحده **شهيدا** على اني
اديت ما علي من مواجب الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة
الى كونه صلى الله عليه وسلم رسولا باظهار المعجزة على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله تعالى **بيني**
وبينكم ولا بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقا للمفارقة وابانة للمباينة وشهيدا
اما حال او تمييز **انه كان بعباده** من الرسل والمرسل اليهم **خبيرا بصيرا** محيطا بظواهر احوالهم
وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار **ومن**
يهد الله كلام مبتدأ غير داخل تحت الامر مفصل لما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية اي من يهده
الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى **فهو المهتدي** اليه والى ما يؤدي اليه من الثواب او المهتدي
الى كل مطلوب **ومن يضلل** اي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره كهؤلاء المعاندين **فلن تجد لهم** او من يهديه
الجماعة اعتبارا للمعنى من غير اثر في مقابلة الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة
سالكيه وتعدد سبيل الضلال وكثرة الضلال **اولياء من دونه** من دون الله تعالى اي انصارا
يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية او الاخروية او الى طريق مقابلة الجمع
بالجمع من انقسام الآحاد الى الآحاد **ونحشرهم** التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر
يوم القيمة على وجوههم حال من الضمير المنصوب اي كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون في النار
على وجوههم او مشيا فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم
قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم **عميا** حال من الضمير في الحال السابقة
وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا
لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف
الى النار مؤفي القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه
المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه **ماواهم جهنم** اما حال او استئناف وكذا قوله تعالى **كلما خبت**

زدناهم

زدناهم سعيرا اي كلما سكن لهيبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما تتعلق به
النار وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة مستعرة
ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها
عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى **ذلك** اي ذلك العذاب **جزاؤهم**
بانهم اي بسبب انهم **كفروا بآياتنا** العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة
دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدأ ثانيا وبانهم خبره
والجملة خبر ذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف **وقالوا** منكرين
اشد الانكار **ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا** اما مصدر مؤكد
من غير لفظه اي لمبعوثون بعثا جديدا واما حال اي مخلوقين مستأنفين **اولم يروا**
اي اولم يتفكروا اولم يعلموا **ان الله الذي خلق السموات والارض** من غير مادة مع عظمها
قادر على ان يخلق مثلهم في الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها
بذلك حيث قيل خلقا جديدا **وجعل لهم اجلا لا ريب فيه** عطف على اولم يروا فانه في
قوة قد رأوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض هو قادر على خلق امثالهم
من الانس وجعل لهم اجلا محققا لا ريب فيه هو يوم القيمة **فابى الظالمون** وضع موضع
الضمير تسجيلا عليهم بالظلم ومجاوزة الحد بالمرة **الا كفورا** اي جحودا **قل لو انتم تملكون**
خزائن رحمة ربي خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره
المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص
اذا لامسكتم لبخلتم **خشية الانفاق** مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا
احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فاذا هو بخيل بالاضافة
الى جود الله تعالى **وكان الانسان قتورا** مبالغا في البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة
بما يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات** واضحات
الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم والطوفان والموت ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بني اسرائيل
وانفلاق البحر بدل الثلاث الاخيرة ويأباه ان هذه الثلاث لم تكن متعلقة اذ ذاك فان الاوليين
لا تعلق لهما بفرعون وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه
وسلم عنها فقال ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة
ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يديه ورجليه
صلى الله عليه وسلم ولا يساعده ايضا ما ذكر ولعل جوابه صلى الله عليه وسلم بذلك لما انه
المهم للسائل وهو لما انه كان في التوراة مسطورا وقد علم انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا من جهة الوحي **فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم** وقرئ فسل اي فقلنا له سلهم
من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك
ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي وقيل الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم **فقال له فرعون** الفاء فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما آتيناه من
الآيات البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون **اني لاظنك يا موسى مسحورا** سحر فتخبط

عنادك قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء يعني الآيات التي أظهرها إلا رب السموات والأرض
خالقهما ومدبرهما والغرض التوبيخ والتنبيه على خطائه في الجناية بأنه لا يقدر على إيتاء مثل هاتيك
الآيات العظام إلا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الآيات أي بينات مكشوفات تبصرك
صدقي ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم وهو ضرورة ذلك العالم بأنه
صلى الله عليه وسلم على كمال الصيانة للعقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة
التكلم أي لقد علمت بيقين أن هذه الآيات الباهرة أنزلها الله من سلطانه فكيف يتوهم أني مسحور
وإني لأظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشقاوة من قولهم ما ثبرك عن هذا
أي ما صرفك أو هالكا ولقد قارع عليه الصلاة والسلام ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا
وظن فرعون إفك مبين وظنه عليه الصلاة والسلام يحوم حول اليقين فأراد أي فرعون أن
يستفزهم أي يستخفهم ويزعجهم من الأرض أي أرض مصر أو من الأرض مطلقا بالقتل بقوله
سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم فأغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره
واستفززناه وقومه بالإغراق وقلنا من بعده من بعد إغراقه لبني إسرائيل اسكنوا
الأرض التي أراد أن يستفزكم منها فإذا جاء وعد الآخرة أي الكرة الآخرة أو الحياة أو الساعة
أو الدار الآخرة أي قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين إياهم وإياكم ثم نحكم بينكم ونميز
سعداءكم من أشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق أنزلناه وبالحق نزل أي وما
أنزلنا القرآن إلا ملتبسا بالحق المقتضي لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه أو ما أنزلناه
من السماء إلا محفوظا وما نزل على الرسول إلا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء
البطلان له أول الأمر وآخره وما أرسلناك إلا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي بالعقاب
وهو تحقيق لحقيقة بعثته صلى الله عليه وسلم إثر تحقيق حقيقة إنزال القرآن وقرآنا منصوب
بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه لتقرأه على الناس على مكث
على مهل وتثبت فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا
حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات قل للذين كفروا آمنوا به أو لا تؤمنوا
فإن إيمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا إن الذين أوتوا العلم من قبله أي العلماء
الذين قرؤوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من التمييز
بين الحق والباطل والمحق والمبطل أو رأوا فيها نعتك ونعت ما أنزل إليك إذا يتلى عليهم أي القرآن
يخرون للأذقان أي يسقطون على وجوههم سجدا تعظيما لأمر الله تعالى أو شكرا لإنجاز ما وعد
في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الأذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل إذ حينئذ يتحقق الخرور
عليها وإيثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو
تعليل لما ينبئ عنه قوله تعالى آمنوا به أو لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك أي إن لم تؤمنوا به فقد آمن به أحسن
الإيمان من هو خير منكم ويجوز أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كأنه قيل تسل بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة ولا تكترث بإيمانهم وإعراضهم ويقولون في سجودهم سبحان
ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب أو عن خلف وعده إن كان وعد ربنا لمفعولا إن مخففة من المثقلة
واللام هي الفارقة أي إن الشأن هذا ويخرون للأذقان يبكون كرر الخرور للأذقان لاختلاف السبب
فإن الأول للتعظيم لأمر الله تعالى أو الشكر لإنجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم
باكين من خشية الله ويزيدهم أي القرآن بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل

ادعوا الله أو ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله
يا رحمن فقالوا إنه ينهانا عن عبادة إلهين وهو يدعو إلها آخر وقالت اليهود إنك لتقل ذكر الرحمن
وقد أكثره الله تعالى في التوراة والمراد على الأول هو التسوية بين اللفظين بأنهما عبارتان عن ذات
واحدة فإن اختلف الاعتبار والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني أنهما سيان في
حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود وهو أوفق لقوله تعالى أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى
والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين
في أيا عوض عن المضاف إليه وما مزيدة لتأكيد ما في أي من الإبهام والضمير في له للمسمى لأن التسمية له
لا للاسم وكان أصل الكلام أيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الأسماء الحسنى للمبالغة والدلالة
على ما هو الدليل عليه إذ حسن جميع أسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها
على صفات الكمال من الجلال والجمال والإكرام ولا تجهر بصلاتك أي بقراءة صلاتك بحيث تسمع المشركين
فإن ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها أي بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين
وابتغ بين ذلك أي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا أمرا وسطا فإن خير
الأمور أوسطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه أمر يتوجه إليه المتوجهون ويؤمه القاصدون
ويوصلهم إلى المطلوب وروي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله
عنه كان يجهر بها ويقول أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا
بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها
وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بدعائك وذهب قوم إلى أنها منسوخة
بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى وبنو
مليح قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له
شريك في الملك أي الألوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة ولم يكن له ولي من الذل
ناصر ومانع له من الذل لاعتزازه به أو لم يوال أحدا من أجل مذلة ليدفعها بموالاته وفي التعرض في أثناء الحمد لهذه
الصفات الجليلة إيذان بأن المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره إذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة
على الإيجاد وما يتفرع عليه من إقامة أنواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله
تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على أن العبد وإن بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في الطاعة
والتحميد ينبغي أن يعترف بالقصور في ذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أفصح الغلام من بني
عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند
ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية والحمد لله سبحانه وله الكبرياء والعظمة

[illegible]

الحمد لله الذي أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب
الكامل الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة
عن جميع القرآن أو عن الجنس المنتظم لجميعه كما مر مرارا وفي وصفه تعالى بالموصول إشعار بعلية
ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وإيذان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة
الدارين وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا إلى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه
صلى الله عليه وسلم إلى أعلى معارج العبادة والتشريف أي تشريف وإشعار بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم

بان يكون عبدا لله ورسولا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه الصلوة والسلام فناهيك بالقول الصحيح
عن الجائر والمجنون متنا رحقه التقدير عليه بما يتصل بقوله تعالى **ولم يجعل له عوجا** اي شيئا من العوج
بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما
قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الاعيان فلان المراد نفي ما لا يدرك من العوج بحاسة
البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به الشاعر
الظاهر نزل منزلة ما في المعاني وقيل الفتح في اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسر في اعوجاج غيره عينا
كان او معنى **قيما** بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار والتبشير
فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها او مهيمنا عليها
او متناهيا في الاستقامة فيكون تاكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك من مقتضيات ذاته اللائقة به
حسبما تنبئ عنه الصيغة لا انه نفي عنه العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونهما حاليتين فهو على الحالية
من الكتاب بلا انفصال حينئذ بين بعض المعطوف وبعض المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ قيما **لينذر** متعلق بانزل وفاعله
ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والاظهار على ذكر المفعول الاول لعتيد بلا ما سبق من الكلام
هو المفعول الثاني فان الاول ظاهر لاحالة الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر ما في الذين كفروا به **باسا** اي عذابا
شديدا من لدنه اي صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام
الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع **ويبشر** بالتشديد وقرئ بالتخفيف **المؤمنين**
المصدقين به **الذين يعملون الصالحات** الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وايثار صيغة
الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور
على ان مدار قبول الاعمال هو الايمان **ان لهم** اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة **اجرا حسنا**
هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى **ماكثين** حال من الضمير المجرور في لهم **فيه** اي في ذلك الاجر
ابدا من غير انتهاء اي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار
كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلق بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي البأس
الشديد للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين
سائر هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله
تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله تعالى والنصارى القائلون المسيح ابن الله تعالى وترك اجراء الموصول
على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على افحش الوجوه
وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المحذوف
فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار
هناك للمؤمنين ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول البأس الشديد عليهم يعد
هذه الفرقة ويجوز ان يكون الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب وضمير الرسول صلى الله عليه وسلم
ما لهم به اي بالاتخاذ سبحانه وتعالى ولدا **من علم** مرفوع على الابتداء او الفاعلية لاعتماد الظرف
ومن مزيدة لتاكيد النفي والجملة حالية او استئنافية لبيان حالهم في مقالهم بذلك فهي من علم اصلا
لا لاخلالهم بطريقه مع تحقق المعلوم او امكانه بل لاستحالته في نفسه **ولا لآبائهم** الذين قلدوهم
فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة وما لهم علم بما قالوا هو صواب او خطأ بل انما قالوه رميا
بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة

ما قالوه

ما قالوه وبعظيم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا
الآيات وهو الانسب بقوله تعالى **كبرت كلمة** اي عظمت مقالتهم هذه بالكفر والافتراء لما فيها
من نسبته سبحانه وتعالى الى ما لا يكاد يليق بجناب كبريائه والفاعل في كبرت ضمير مضمر للمقالة
المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز وفيه معنى التعجب بما بعده من النكرة المنصوبة
تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم
وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضمة وقرئ كلمة بالرفع **تخرج من افواههم**
صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها واسناد الخروج اليها مع ان الخارج هو
الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها **ان يقولون** ما يقولون في ذلك الشان **الا كذبا**
الا قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضميران لهم ولآبائهم تمثيل لحاله صلى الله
عليه وسلم في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم
بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحب عند مفارقة احبته تاسفا على فراقهم
فتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل لحالك صلى الله عليه وسلم على الحزن ولا
شفاق
من ذلك **فلعلك باخع** اي مهلك **نفسك على آثارهم** عما وجدوا على فراقهم وقرئ
بالاضافة **ان لم يؤمنوا بهذا الحديث** اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب
وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا
فاعمال باخع عمله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه
اسفا مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اي متاسفا عليهم
ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين
الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم
انا جعلنا ما على الارض استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا جعلنا
ما عليها من غير ذوي العلم على التغليب من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا لقوله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا **زينة** مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل
على معنى الابداع واللام في **لها** اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها
اي يستمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعون بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب
حيث تذكر بعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود
الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحياة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك
كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة
كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء **لنبلوهم** متعلق بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم
معاملة من يختبرهم **ايهم احسن عملا** فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن من
المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المترتبة على انظارهم
وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود واي اما استفهامية
مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى
العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية
واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي في محل النصب على البدلية
من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان تكون الضمة في ايهم

لبنائه كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا على أحد الأقوال
لتحقق شرط البناء الذي هو الإضافة لفظا وجوز في صدر الصلة أن يكون له الإعراب
لانتفاء ما ذكر من شرط جواز البناء ولا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة
باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها ذريعة إلى معرفة خالقها والتمتع
بها حسبما أذن له الشرع وأداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة إلى الشهوات والأغراض
الفاسدة كما يفعله الكفرة وأصحاب الأهواء وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل للفريقين
باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضا لا إلى الحسن والأحسن فقط للإشعار بأن
الغاية الأصلية للجعل المذكور إنما هو ظهور كمال إحسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى
ليبلوكم أيكم أحسن عملا **وإنا لجاعلون** فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا **ما عليها** من المخلوقات
قاطبة بإفنائها بالكلية وإنما أظهر في مقام الإضمار لزيادة التقرير أو لإدراج المكلفين فيه
صعيدا مفعول ثان للجعل والصعيد التراب أو وجه الأرض قال أبو عبيدة هو المستوي من الأرض
وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه **جرزا** ترابا لا نبات فيه بعدما كان يتعجب
من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الأبصار يقال أرض جرز لا نبات فيها وسنة جرز
لا مطر فيها قال الفراء جرزت الأرض فهي مجروزة أي ذهب نباتها بالقحط والجراد ويقال جرزها
الجراد إذا أكل ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن على
ما عاينت من القوم من تكذيب ما أنزلنا عليك من الكتاب فإنا قد جعلنا ما على الأرض من فنون الأشياء
زينة لها لنختبر أعمالهم فنجازيهم بحسبها وإنا لمفنون جميع ذلك عن قريب فمجازون لهم على أعمالهم
أم حسبت الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد إنكار حسبانه وأم
منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث إلى حديث لا للإبطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور
وببل وحدها عند غيرهم أي بل أحسبت **أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا** في إبقائهم على الحياة مدة
طويلة من الدهر **من آياتنا** من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الأرض زينة
لها للحكمة المشار إليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كأن لم تغن بالأمس **عجبا** أي آية ذات عجب
وضعا له موضع المضاف أو وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى
أن قصتهم وإن كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة إلى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر
من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم
قال أمية بن أبي الصلت وليس بها إلا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو
لوح رصاصي أو حجري رقمت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف
فهو من رقمة الوادي أي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة
دون فلسطين وقيل أصحاب الرقيم آخرون كانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل واحد
منهم أحسن عمله على ما فصل في الصحيحين **إذ أوى** ظرف لعجبا لا لحسبت أو مفعول لاذكر أي حين
التجأ **الفتية** أصحاب الكهف وإيثار الإظهار على الإضمار لتحقيق ما كانوا عليه في أنفسهم من حال الفتوة
فإنهم كانوا فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه ولأن صاحبية الكهف من
فروع التجائهم إلى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه **إلى الكهف** جعلوه [illegible]
مأوى **فقالوا ربنا آتنا من لدنك** من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون أهل العادات فمن
ابتدائية متعلقة بآتنا أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدم عليه لكونه نكرة ولو أخر

كانت صفة له أي آتنا كائنة من لدنك **رحمة** خاصة تستوجب المغفرة والرزق والأمن من
الأعداء **وهيئ لنا من أمرنا** الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك
وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء أي أصلح ورتب وأتمم لنا من أمرنا **رشدا** إصابة
للطريق الموصل إلى المطلوب واهتداء إليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى
وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بهما وإظهار الرغبة فيهما وإيراث شوق
السامع إلى المؤخر فإنه ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بتحصيله لا محالة وكذا الكلام في تقديم
قوله من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا [illegible]
المسئول مرعيا فيه وجعل الأمر رشدا كله على طريقة التجريد مثلها في قولك رأيت منك أسدا
فضربنا على آذانهم أي أنمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الإنامة الثقيلة المانعة
من وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها
في الحجب عن الشعور عند النوم لما أنها المحتاجة إلى الحجب عادة إذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند
انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الإنامة الثقيلة وحمل على تعطيلها
كما في قولهم ضرب الأمير على يد الرعية أي منعهم عن التصرف مع أنه مما سيأتي من البعث لا يدل على النوم
مع أنه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله فاستجبنا له بعد قوله عز وجل إذ نادى فإن
الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك إيتاء رحمة
لدنية خافية عن أبصار المتمسكين بالأسباب العادية استجابة لدعوتهم **في الكهف** ظرف زمان
له باعتبار بقائه لا ابتدائه **عددا** أي ذوات عدد أو تعد عددا على أنه مصدر أو معدودة
على أنه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك إما للتكثير وهو الأنسب بإظهار كمال القدرة أو للتقليل
وهو الأليق بمقام إنكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فإن مدة لبثهم كبعض يوم
عنده عز وجل **ثم بعثناهم** أي أيقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت **لنعلم**
بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات وأيا ما كان فهو غاية للبعث لكن لا
بجعل العلم مجازا من الإظهار والتمييز أو حمله على ما يعم وقوعه بل العلم الحادث من العلم الحالي الذي
يتعلق بالجزاء كما في قوله تعالى لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين
آمنوا ونظائرهما التي يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعا فإن تحويل القبلة قد يترتب عليه تحويل
الناس إلى الخشية وتقلب وكذا مداولة الأيام بين الناس يترتب عليه تمييز الثابت على الإيمان والثابت
فيه ويتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والإظهار والتمييز وأما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم
إلى المحصي وغير المحصي حتى يتعلق بها العلم تفرقوا أو غير مصيب بل فوضوا إلى العلم الرباني فليس شيء منهما
من الإحصاء في شيء بل يحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا
بطريق إطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر
قطعا بل قد يكون لإظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأت بها من المغرب
وهو المراد ههنا فالمعنى ثم بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم **أي الحزبين** أي الفريقين المختلفين
في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي **أحصى** أي أضبط **لما لبثوا** أي للبثهم **أمدا** أي غاية
فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك إلى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ
أبدانهم وأديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه وليستبصروا به أمر البعث ويكون ذلك لطفا
لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر

عنه عز وجل وفيما سيأتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي إلى التنبه وهذا أولى من تصوير التمثيل
بأن يقال بعثناهم بعث من يريد أن يعلم إلى آخره حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا
على آخر الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان من غير الثابت في
ربما يتوهم من استلزام الإرادة لتحقق المراد فيعود محذور حصول العلم العادة للعلم عبارة
عن الاختبار فاختير ما اختير هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الإعلام
على أن المفعول الأول محذوف والجملة المصدرة بأي في موقع المفعول الثاني فقط إن جعل العلم عرفانيا
وفي موقع المفعولين إن جعل يقينيا أي ليعلم الله الناس أي الحزبين أحصى إلى آخره وقد روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما أن أحد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك
وقيل كلاهما من غيرهم والأول هو الأظهر فإن اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والأمد بمعنى
المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لأحصى والجار والمجرور حال
منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس المراد به إحصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فإنه
لا يسمى إحصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها إلى السنين وبلوغها
من تلك الحيثية إلى مراتب الأعداد على ما يرشدك إليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين المعدودة
يراد بالأمد معناه الوضعي بتقدير المضاف أي لزمان لبثهم قيدونه نهايته قال الإشعار بقوله كون
المسمى النطق على الزمان المذكور واعتبار الانتقال العارض بسبب كون له ما للآحاد لكن البين لا بد
بمما يقع على غاية ومنتهى وهو الذي يكون للمسمى باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب انطباقه
على الزمان الممتد بالذات فإنه عبارة عن انتهاء لبثهم فإنه معرفة من تلك الحيثية لا يخفى على أحد ولا يسمى
إحصاء لأمد بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها للزمان المنطبق هو عليه باعتبار
انتسابه إلى السنين ووصوله إلى مرتبة معينة من مراتب العدد كما تحقق في الصورة الأولى والفرق
بين الاعتبارين أن ما تعلق به الإحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة إلى السنين فهو
مجموع ثلاثمائة وتسع سنين وفي الصورة الأخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة إليها أعني السنة
التاسعة بعد الثلاثمائة وتعلق الإحصاء بالأمد بالمعنى الأول ظاهر وأما تعلقه بالمعنى الثاني
فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى
لما لبثوا مصدرية ويجوز أن تكون موصولة حذف عائدها من الصلة أي الذي لبثوا فيه من الزمان الذي
عبر عنه فيما قبل بسنين عددا فالأمد بمعناه الوضعي على الحقيقة وقيل اللام مزيدة وما موصول
مفعول وأمدا نصب على التمييز وأما ما قيل من أن أحصى اسم تفضيل لأن الموافق لما وقع في سائر الآيات
الكريمة نحو أيهم أحسن عملا أيهم أقرب لكم نفعا إلى غير ذلك هو الأحصى ولكنه فعل ماض حسبما
يشعر به أن غاية البعث هو العلم بالإحصاء المتقدم على البعث لا بالإحصاء المتأخر عنه وليس كذلك
وادعاء أن بناء أفعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بأنه عند سيبويه قياسي مطلقا
وعند ابن عصفور فيما إذا كانت همزته لغير النقل ولا ريب أن الهمزة ههنا ليست من ذلك القبيل وامتناع عمل أفعل
في غير التمييز من المعمولات وأما أن أحصى من حيث كونه فعلا في المعنى فعمل النصب في أمدا كما يصح أن
يقال أيهم أحفظ لهذا الشعر رواية أو تقطيعا أو يقال إن العامل في أمدا فعل يدل عليه المذكور
أي يحصي لما لبثوا أمدا كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا وقد نحو حديث الوقوع في الكلام
المحذوف بدل فائدته مدفوع بما أشير إليه من أن فائدة الموافقة للنظائر رفع ما فيه من الاختلال المخل
بعضهم من التشدد ولأن فائدة أن يكون المقصود بالاختبار إظهار أفضل الحزبين وتبيين من هو أدنى

متى تحقق أصل الاختصاص فيهما ومن البين أن لا يتحقق أصل الإحصاء فيهما ومن البين
أن لا يتحقق له أصلا وأن المقصود بالاختبار إظهار عجز الكل عن الإحصاء وهو فعل ماض قطعا وتوهم
إيذانه بأن غاية البعث هو العلم بالإحصاء المتقدم عليه مردود بأن صيغة الماضي باعتبار
حال الحكاية والله تعالى أعلم **نحن نقص عليك** شروع في تفصيل ما أجمل فيما سلف من قوله
تعالى إذ أوى الفتية إلى آخره أي نحن نخبرك بتفاصيل أخبارهم وقد مر اشتقاقه في مطلع سورة
يوسف عليه الصلاة والسلام **نبأهم** أي الخبر الذي له شأن وخطر **بالحق** إما صفة
لمصدر محذوف أو حال من ضمير نقص أو من نبأهم أو صفة له على رأي من يرى حذف الموصول مع
صلته أي نقص قصصا ملتبسا بالحق أو نقصه ملتبسين به أو نقص نبأهم ملتبسا به
ونبأهم حسبما ذكره محمد بن إسحاق أنه قد مرج أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت
ملوكهم فعبدوا الأصنام وعبدوا الطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتى عتوا كبيرا دقيانوس
فإنه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعبث والفساد وقتل من خالفه
من المتمسكين بدين المسيح عليه الصلاة والسلام وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل
وبين عبادة الأوثان فمن رغب في الحياة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحياة الأبدية
قتل وقطع آرابه وعلقها في سور المدينة وأبوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم
وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا إلى الله عز وجل واشتغلوا بالصلاة والدعاء فبينما هم
كذلك إذ دخل عليهم أعوان الجبار فأحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين
عبادة الأوثان فقالوا إن لنا إلها ملأ السموات والأرض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه أحدا
ولن نقر بما تدعونا إليه أبدا فاقض ما أنت قاض فأمر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة وأخرجهم
من عنده وخرج هو إلى مدينة نينوى لبعض شأنه وأمهلهم إلى رجوعه ليتأملوا في أمرهم فإن
تبعوه وإلا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين وعزم الفتية على الفرار بالدين والالتجاء إلى الكهف
الحصين فأخذ كل منهم من بيت أبيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فأووا إلى الكهف فجعلوا يصلون
فيه آناء الليل وأطراف النهار ويتضرعون إلى الله سبحانه وتعالى بالأنين والجؤار وفوضوا أمر نفقتهم
إلى تمليخا فكان إذا أصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس ثياب المساكين ويدخل المدينة ويشتري
ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الأخبار ويعود إلى أصحابه فلبثوا على ذلك إلى أن قدم الجبار المدينة
فطلبهم وأحضر آباءهم فاعتذروا بأنهم عصوهم ونهبوا أموالهم وبذروها في الأسواق وفروا
إلى الجبل فلما رأى تمليخا ما رأى من الشر رجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فأخبرهم بما
شاهده من الهول ففزعوا إلى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤوسهم وجلسوا يتحدثون في أمرهم
فبينما هم كذلك إذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤوسهم فخرج دقيانوس في طلبهم
بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فأمر بإخراجهم فلم يطق أحد أن يدخله فلما ضاق بهم
ذرعا قال قائل منهم أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم
يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وجل عنهم
إنهم فتية استئناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى
كالصبية للصبي **آمنوا بربهم** أوثر الالتفات للإشعار بعلية وصف الربوبية لإيمانهم
ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم **وزدناهم هدى** بأن ثبتناهم على
ما كانوا عليه من الدين وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة إلى ما عليه سبك

متى تحقق

النظم سبقا وسياقا من التكلم **وربطنا على قلوبهم** اي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر
على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار
والرد على دقيانوس الجبار **اذ قاموا** منصوب بربطنا وقيل المراد بقيامهم انتصابهم لاظهار
شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم اني لاجد في
نفسي شيئا ان ربي رب السموات والارض فقال الآخرون ايضا كذلك فقاموا جميعا **فقالوا ربنا رب السموات**
والارض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضي بمقتضاها فان ربوبيته عز وجل لهما تقتضي
ربوبيته لما فيهما اي اقتضاء فقاموا بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك
عبادة الاصنام فحينئذ يكون ما سيأتي من قوله تعالى هؤلاء الى الآخر منقطعا عما قبله صادرا
عنهم بعد خروجهم من عنده **لن ندعو من دونه الها** لن نعبد معبودا آخر لا استقلالا لا
ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون اصنامهم
آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق
الالوهية لا بطريق المالكية المجازية **لقد قلنا اذا شططا** اي قولا ذا شطط اي متجاوز
عن الحد او قولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على
مبالغة حيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهيته تعالى
والتصريح اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء اي لو دعونا من دونه والله لقد قلنا قولا
خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم **هؤلاء** هو مبتدأ وفي اسم الاشارة تحقير لهم **قومنا**
عطف بيان له **اتخذوا من دونه آلهة** خبره وفيه معنى الانكار **لولا يأتون** تحضيض فيه
معنى الانكار والتعجيز اي هلا يأتون **عليهم** على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة
بسلطان بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والقام حجر **فمن اظلم**
ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والمعنى انه اظلم من
كل ظالم وان كان سبك التركيب على انكار الاظلم من غير تعرض لانكار المساواة كما مر
تحقيقه في سورة هود **واذ اعتزلتموهم** اي فارقتموهم في الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني
وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة او مصدرية اي اذ اعتزلتموهم
ومعبوديهم الا الله او وعبادتهم غير عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل
على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز
كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه **فأووا** اي
التجؤوا **الى الكهف** عن الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه
اي اذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف
ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم **ربكم** مالك امركم **من رحمته** في الدارين **ويهيئ لكم**
يسهل لكم **من امركم** الذي انتم بصدده من الفرار بالدين **مرفقا** ما ترتفقون وتنتفعون
به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدر كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين لما مر مرارا من الايذان
من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده **وترى الشمس** بيان لحالهم بعد
ما آووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به
لكونه صادرا عن راي صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف وفيما
لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن

يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو
رأيته ترى الشمس **اذا طلعت تزاور** اي تتنحى وتميل واصله تتزاور فحذفت احدى التاءين وقرئ
بادغام التاء في الزاي وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وتزورّ وكلها من الزور وهو الميل **عن**
كهفهم الذي آووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة **ذات اليمين** اي جهة ذات يمين
الكهف عند توجه الداخل الى قعره اي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم
واذا غربت اي تراها عند غروبها **تقرضهم** اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم
ذات الشمال اي جهة شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله تعالى
على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى **وهم في فجوة منه** جملة حالية مبينة
لكون ذلك امرا بديعا اي تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف
معرض لاصابتها لولا ان تصرفها عنهم يد القدرة **ذلك** اي ما صنع الله بهم من تزاور الشمس
وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موقع شعاعها **من آيات الله** العجيبة الدالة
على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان سد
دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبلا لبنات نعش واقرب محاذاته
مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة
لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه
وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا تقع عليهم فتؤذي اجسادهم وتبلي ثيابهم ولعل ميل الباب الى
جانب المغرب كان اكثر وقع التزاور على كهفهم على انفسهم فلذلك جعل ذلك اشارة الى ايوائهم الى
كهف هذا شانه واما جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة
او الى اطلاعه سبحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم على اخبارهم فليس يساعده ايراده في تضاعيف
القصة **من يهد الله** الى الحق بالتوفيق له **فهو المهتد** الذي اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم
والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقيق ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرافق
او التنبيه على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للاستبصار بها **ومن يضلل**
اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه **فلن تجد له** ابدا وان بالغت في التتبع والاستقصاء
وليا ناصرا **مرشدا** يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا
تجده مع وجوده او امكانه **وتحسبهم** بفتح السين وقرئ بكسرها ايضا والخطاب فيه
كما فيما سبق **ايقاظا** جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح
عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم **وهم رقود** اي
نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره السابق من الضرب على آذانهم **ونقلبهم**
في رقدتهم **ذات اليمين** نصب على الظرفية اي جهة تلي ايمانهم **وذات الشمال** اي جهة
تلي شمائلهم كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم قال ابن عباس رضي الله عنه لو لم يقلبوا لاكلتهم
الارض قيل لهم تقليبتان في السنة وقيل تقليبة واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين
وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بمضمر ينبئ عنه وتحسبهم
اي وترى تقلبهم **وكلبهم** قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فانطقه الله
تعالى فقال لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب راع تبعهم
على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه او غنمه

والخلف في لونه فقيل كان انمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل سور وقيل قطرون وقيل نور وقال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار عزير وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل عند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين تجويزا لعمله مطلقا والذراع من المرفق الى راس الاصبع الوسطى بالوصيد اي بموضع الباب من الكهف لو اطلعت عليهم اي لو عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اي بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قوله وبان ماهي اقبال وادبار واما على انه مفعول له ولملئت منهم رعبا وقرئ بضم العين اي خوفا يملأ الصدور ويرعبه وهو اما لفخامة شأنهم وتقيسهم قد البسهم الله تعالى من الهيبة او لكون اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تاخير هذا عن ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو عليه للايذان بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الاية فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم وحفظنا اجسامهم من البلى والتحلل اية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اي ليسأل بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المتفرعة عليه ليس لاجل على ذكره لا يستتبع تساؤلهم اياه قال استئناف لبيان تساؤلهم قائل منهم هو رئيسهم وكان اسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم لعله قاله لما راى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة قالوا اي بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم قيل انما قالوه لانهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم اخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما راوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب قالوا اي بعض منهم اخر لما سنح له من الادلة او بالهام من الله سبحانه ربكم اعلم بما لبثتم اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقتضي ان الكلام جار على منهاج المحاورة والا لقيل ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القائل ناولها بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف

في الكاف

في الكاف وبكسر الواو وبسكونها مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه اي من ذلك الازكى وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي على الاول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للامر بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهي اي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم ان ابيتم على ما انتم عليه او يعيدوكم في ملتهم اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لتعودن في ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام الانسان بشأن نفسه اكثر واوفر ولن تفلحوا اذا اي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير ابدا لا في الدنيا ولا في الاخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى وكذلك اي كما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم في مراتب اليقين اعثرنا اي اطلعنا الناس عليهم ليعلموا اي الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله اي وعده بالبعث او البعث الموعود دخولا اوليا حق صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل التنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول تبعث الارواح دون الاجساد واخر يبعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في قلب رجل من رعيانه هدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى وروي ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدراهم ليشتري بها الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل واحد

منهم بأبواب من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف
مسجداً وقيل لما انتهوا إلى الكهف قال لهم تمليخا مكانكم حتى أدخل عليهم أولاً لئلا يفزعوا فدخل
فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجداً وقيل المتنازع فيه أمر الفتية قبل بعثهم أي أعثرنا
عليهم حين يتذاكرون بينهم أمرهم ويتحدثون بين الأهوال والأحوال ويتلقون ذلك
من الأساطير وأفواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله عز وجل فقالوا فصيحة أي أعثرنا
عليهم فرأوا ما رأوا فقالوا أي قال الفتية ابنوا عليهم أي على باب كهفهم بنياناً لئلا يتطرق
إليهم الناس ضناً بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين
كأنهم لما رأوا عدم اهتدائهم إلى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في
الكهف قالوا ذلك تفويضاً للعلم إلى علام الغيوب أو من كلام الله سبحانه رداً لقول الخائضين في
حديثهم من أولئك المتنازعين قيل لهم أمرهم وقد بنى هو عند وفاتهم وشأنهم في الموت والنوم
حيث اختلفوا في أنهم ماتوا أو ناموا كما في أول مرة فإذ حينئذ متعلق بقوله تعالى قال الذين غلبوا
على أمرهم وهم الملك والمسلمون لنتخذن عليهم مسجداً وقوله تعالى فقالوا معطوف
على يتنازعون وإيثار صيغة الماضي للدلالة على أن هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع
قيل متعلق باذكر مضمراً وأما تعلقه بأعثرنا فيأباه أن إعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما
ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتداً يقع في بعضه الإعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى
مع أنه لا تخصيص للإضافة إلى التنازع وهو متأخر في الوقوع سيقولون الضمائر في الأفعال الثلاثة
للخائضين في قصتهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه
إسناد كل منها إلى كلهم بل إلى بعضهم ثلاثة رابعهم كلبهم أي هم ثلاثة أشخاص ربعهم أي جاعلهم
أربعة بانضمامه إليهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبياً وقيل
ثلثه بانضمام الثاني ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قالته النصارى أو العاقب منهم
وكان نسطورياً رجماً بالغيب رمياً بالخبر الخفي الذي لا يطلع عليه أو ظناً بالغيب من قولهم رجم بالظن
إذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعاً أي راجمين أو على المصدرية منهما فإن الرجم
والقول واحد أو من محذوف مستأنف أو واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معاً أي يرجمون رجماً
وعدم إيراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم
هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقن من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم إلى أنه عدم نظمه في سلك
الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا يوجب
أخويه قيل قل تحقيقاً للحق ورداً على الأخيرين ربي أعلم أي أقوى علماً بعدتهم ما يعلمهم
أي ما يعلم عدتهم أو ما يعلمهم فضلاً عن العلم بعدتهم إلا قليل من الناس قد وفقهم الله
تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله عنهما وقعت الواو وانقطعت العدة وعن ابن عباس
قوله رضي الله عنه أنا من ذلك القليل ولو كان فيه أن عدداً آخر أخفى عليه ولما احتاج الاستشهاد
بالواو وكان للمسلمين أسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه أنهم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا
ومكسلمينا ومشلينا وهؤلاء أصحاب يمين الملك وكان يساره مرنوش ودبرنوش وشادنوش
وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه
كفشططيوش فلا تمار التفريع لما قبله أي إذ قد عرفت جهل أصحاب القولين الأولين
فلا تجادلهم فيهم في شأن الفتية إلا مراء ظاهراً قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب

وعدم العلم على الوجه الإجمالي وتفويض العلم إلى الله من غير تصريح بجهلهم وتفضيح فإنه
مما يخل بمكارم الأخلاق ولا تستفت فيهم في شأنهم منهم من الخائضين أحداً فإن فيما قص
عليك لمندوحة عن ذلك مع أنه لا علم لهم بذلك وقال العطاء إلا قليل من أهل الكتاب فالضمائر
الثلاثة في الأفعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لإرشاد المؤمنين إلى صحة القول الثالث وفيه
محيص عما في الأول من التكلف في جعل أحد الأقوال الثلاثة المنظومة في نمط واحد ناشئاً من الحكاية
مع كون الآخرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في لا تمار والمعنى حينئذ وإذ قد وقفت
على أن كلهم ليسوا على خطأ في ذلك فلا تجادلهم إلا جدالاً ظاهراً ناطقاً به الوحي المبين من غير تجهيل
لجميعهم فإن فيهم مصيباً وإن قل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه
واحتمال وقوعه بناء على إصابة بعضهم فالمعنى لا ترجع إليهم في شأن الفتية ولا تصدق القول
الثابت من تصديق بعضهم بل استحسن التلقي من الوحي ولا تقولن لشيء أي لأجل شيء تعزم عليه إني
فاعل ذلك الشيء غداً أي فيما يستقبل من الزمان مطلقاً فيدخل فيه الغد دخولاً أولياً فإنه نزل
حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسألوه صلى الله عليه وسلم
فقال ائتوني غداً أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من أن
المنهي بالعبارة هو الغد وما بعده يفهم بدلالة النص يرده أن النهي ليس بمعناه في مثل النهي
أي لا يبقين لك في حال من الأحوال إلا حال ملابستك بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو أن تقول إن
شاء الله أو في وقت من الأوقات إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله لا مطلقاً بل ملتبساً بمشيئته إذ قول النسيان ارضيا
بمشيئته تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم ابتداء استثنائه إفراز المنهي بالفعل ومنافاة
استثنائه لغرضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التأبيد كأنه قيل لا تقولنه أبداً كقوله تعالى وما
كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله واذكر ربك بقول إن شاء الله متداركاً إذا نسيت إذا
فرط منك نسيان إذا ذكرته عن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم تحنث ولذلك جوز تأخير
الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه إذ لو صح ذلك لما تقرر إقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا
كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الإثم وأما الاستثناء المغير للحكم فلا
يكون إلا متصلاً ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء
مبالغة في الحث عليه أي واذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك ذلك على
التدارك أو اذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على أداء الصلاة المنسية
عند ذكرها وقل عسى أن يهدين ربي إن وفقني لأقرب من هذا أي لشيء أقرب وأظهر
من نبأ أصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتي رشداً إرشاداً للناس ودلالة على
ذلك وقد فعل عز وجل ذلك حيث آتاه من البينات ما هو أعظم من ذلك وأبين كقصص
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتباعد أيامهم والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة
إلى قيام الساعة ولأقرب رشداً وأدنى خيراً من المنسي ولبثوا في كهفهم أحياء
مضروباً على آذانهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً وهي جملة مبينة مستأنفة
لما أجمل فيما سلف وأشير إلى عزة مناله وقيل إنه حكاية كلام أهل الكتاب فإنهم اختلفوا
في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وقال بعضهم ثلاثمائة وروي عن
علي رضي الله عنه أنه قال عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر
السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون الثلاثمائة والتسع سنين

عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ بالاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه
فيه ان علامته مستلجمع فيه تخبر ما حذف في الواحد وان الاصل في العدد الاضافة الى الجمع قل
الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض اي له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما فاللام
للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب ابصر به واسمع ذكر بصيغة
التعجب دلالة على ان شأن علمه سبحانه وتعالى بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين
لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير
والخفي والجلي والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة وكان اصله ابصر
اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له
او لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد
والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره
تعالى لان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات ما لهم لاهل السموات والارض من دونه تعالى
من ولي يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه الغيب احدا منهم
ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ من نفي الشريك بان يقال من ولي ولا شريك وقرئ
على صيغة نهي الحاضر على انه نهي الخطاب لكل احد فلما دل انتظام القرآن الكريم قصة اصحاب
الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات على انه وحي معجز امره صلى الله
عليه وسلم بالمداومة على درسه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك ولا تسمع
لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديلها وتغييرها غيره ولن
تجد ابدا الا هو فانك ان الغيت في الطلب من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه عند المام ملمة واصبر
نفسك احبسها وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي
دائبين على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ بالغدوة وادخال اللام عليها
عليها وهي علم في الاغلب على تأويل التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب [illegible]
وقيل اصحاب الصفة كانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان حتى نجالسك كما قال قوم نوح
انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول للتعليل الامر بما في حيز الصلة من
الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من المستكن في يدعون
اي مريدين لرضاه تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي لا تجاوزهم نظرك الى غيرهم
من عداه اي جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو ولا تنصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم
من عدوته عن الامر اي صرفته عنه على ان الفعل محذوف فاطلوه وقرئ ولا تعد عينيك
من الاعداء والتعدية والمراد نهيه صلى الله عليه وسلم عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا
الى زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب
الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني وضمير تريد
للعينين واسناد الارادة اليه مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله لمن زحلوقة زل بها العينان تنهل
ومن المستكن في الفعل على القراءة الاخيرة ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك من اغفلنا
قلبه اي جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه كقولهم اجبنته وابخلته
اذا وجدته كذلك وهو من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر عن ذكرنا كاولئك

الذين يدعونك

الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون
من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله
سبحانه وجهته فانهماكه في الحسيات حتى خفي عليه ان الشرف بتحلية النفس لا بزينة الجسد
وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة
من اغفلته اذا وجدته غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق
والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل وهو معنى الافراط والتفريط فان
الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدي الى اتباع الهوى والمؤدي الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب وفي التعبير
عنهم بالموصول ايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة وقل لاولئك الغافلين المتبعين
هواهم الحق من ربكم اي ما اوحي الي الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي
حتى يتصور فيه التبديل ويمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر اما من تمام القول المأمور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا التفريع عليه
كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين اي عقيب تحقق انما اوحي الي الحق لا ريب فيه وان ذلك الحق من جهة ربكم من شاء ان يؤمن
فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من
التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما
ما لا يخفى واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر الحق
مضمون المأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك فمن شاء ان يؤمن به او ان يصدقه فليؤمن
ومن شاء ان يكفر به وان يكذبه فيه فليفعل وقوله تعالى انا اعتدنا وعيد شديد وتاكيد
للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عنه وان العذاب لمجازاته مرصد وبه الاملاء والامهال وعلى الوجه
الاول هو تعليل الامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي قل لهم ذلك انا اعتدنا للظالمين نارا
اي هيأنا للكافرين بالحق بعدما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان
مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحدود ووضع الشيء في غير موضعه نارا عظيمة عجيبة
احاط اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق سرادقها اي فسطاطها
شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها
دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد
المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم
ليشرب اشتوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة
وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت
الخد وانى ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا ان الذين آمنوا في محل التعليل
للحث على الايمان المنفهم من التخيير كانه قيل وللذين آمنوا ولعل تغيير سبكه لما عند الكمال بهما في هذا القوي
اي ان الذين آمنوا بالحق الذي اوحي اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع
اجر من احسن عملا خبران الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف اي من احسن
منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيدا او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة
هو الذي آمن وعمل الصالحات اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم جنات عدن تجري من تحتها
الانهار استئناف لبيان الاجر او خبر وما بينهما اعتراض او هو خبر بعد خبر يحلون فيها من

أساور من ذهب من الأولى للابتداء والثانية بيانية صفة لأساور والتنكير للتفخيم وهو جمع
أسورة أو أسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا خصت الخضرة بثيابهم لأنها أحسن الألوان
وأكثرها طراوة من سندس وإستبرق أي مما رق من الديباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة
على أن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين متكئين فيها على الأرائك على السرر كما هو شأن
المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت أي الأرائك مرتفقا أي متكأ واضرب لهم أي للفريقين
الكافر والمؤمن مثلا رجلين مفعولان لاضرب فثانيهما لأنه المحتاج إلى التفصيل والبيان أي
اضرب للكافرين والمؤمنين مثلا من حيث حالهما المستفادة مما ذكر آنفا من أن للمؤمنين في الآخرة كذا وللكفرة
كذا بل من حيث عصيان الأولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابدتهم لمشاق الفقر
مثل حال رجلين مقدرين أو محققين هما أخوان من بني إسرائيل أو شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن
اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه
إلى وجوه المبار فآل أمرهما إلى ما حكاه الله سبحانه وتعالى وقيل هما أخوان من بني مخزوم كافر وهو الأسود بن
عبد الأسد ومسلم هو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد زوج أم سلمة رضي الله عنها أولا جعلنا لأحدهما
وهو الكافر جنتين بستانين من أعناب من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل أو صفة
لرجلين وحففناهما بنخل أي جعلنا النخل محيطة بهما يقال حفه القوم إذا طافوا به وحففته بهم
جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا
ليكون كل منهما جامعا للأقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الأنيق كلتا الجنتين آتت
أكلها ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للأكل وقرئ كل الجنتين آتى أكله ولم تظلم
لم تنقص منه أكلها شيئا يعهد ذلك في سائر البساتين فإن الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض
الأشجار تأتي بالثمرة في بعض الأعوام دون بعض وفجرنا خلالهما فيما بين كل من الجنتين نهرا على حدة
ليدوم شربهما ويتزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر إيتاء الأكل لا يتوقف
على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكان له للكافر ثمر أنواع من المال
غير الجنتين من ثمر ماله إذا كثر قال ابن عباس هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال
مجاهد هو الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المؤمن وهو يحاوره أي القائل أو يحاوره أي صاحبه
المؤمن وإن جاز العكس أي يراجعه في الكلام من حار إذا رجع أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا حشما وأعوانا
أو أولادا ذكورا لأنهم الذين ينفرون معه ودخل جنته التي شرحت أحوالها وعدتها وصفاتها
وهيآتها وتوحيدها إما لعدم تعلق الغرض بتعددها وإما لاتصال إحداهما بالأخرى وإما لأن الدخول
يكون في واحدة بعد واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال استئناف مبني على سؤال نشأ
من ذكر دخوله جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فماذا قال إذ ذاك فقيل قال ما أظن أن تبيد هذه
الجنة أي تفنى أبدا لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله إنما قال بمقابلة موعظة صاحبه
وتذكيره بفنائها جنتيه ونهيه عن الاغترار بهما وأمره بتحصيل الباقيات الصالحات وما أظن الساعة
قائمة كائنة فيما سيأتي ولئن رددت بالبعث عند قيامها كما تقوله إلى ربي لأجدن خيرا
منها أي من هذه الجنة وقرئ منهما أي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين
الفاجرة اعتقاده أنه تعالى إنما أولاه ما أولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر أن ذلك
استدراج قال له صاحبه استئناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما مر وفائدتها التنبيه من
أول الأمر على أن ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة أكفرت حيث قلت ما أظن الساعة قائمة

بالذي خلقك أي في ضمن خلق أصلك من تراب فإن خلق آدم عليه الصلاة والسلام من تراب متضمن لخلقه
منه لما أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه الصلاة والسلام إذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة
على نفسه بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة سائر أفراد البشر انطواء إجماليا مستتبعا لجريان آثارها
على الكل فكان خلقه عليه الصلاة والسلام من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لأنه أصل
مادتك إذ به يحصل الغذاء الذي يحصل منه النطفة فتدبر ثم من نطفة هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد
والمبدأ متعدد ثم سواك رجلا أي عدلك وكملك إنسانا ذكرا أو صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى
بالموصول للإشعار بعلية ما في حيز الصلة لإنكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز قائلا
يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب لكنا هو الله ربي أصله لكن أنا وقد قرئ بذلك
فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الإدغام وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ خبره الله ربي وتلك الجملة خبر أنا
والعائد منها إليه الضمير وقرئ بإثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه
بالهاء ولكن بطرح أنا ولكن أنا لا إله إلا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى أكفرت كأنه قال أنت كافر
لكني مؤمن موحد ولا أشرك بربي أحدا فيه إيذان بأن كفره كان بطريق الإشراك ولولا إذ دخلت جنتك
قلت أي هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها وتقديم الظرف على المحضض عليه للإيذان بتحتم القول في آن الدخول من غير
ريث لا للقصر ما شاء الله أي الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله كائن على أن ما موصولة مرفوعة المحل أو أي
شيء شاء الله كان على أنها شرطية منصوبة بالفعل والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف بأنها وما فيها
بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها لا قوة إلا بالله أي هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبأن
ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته تعالى وإقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم
من رأى شيئا فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا أنا إما
تأكيد لياء المتكلم أو ضمير فصل بين مفعولي الرؤية إن جعلت علمية وأقل ثانيهما وحال إن جعلت بصرية فيكون
أنا حينئذ تأكيدا لا غير لأن شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر وقرئ
أقل بالرفع خبر أنا والجملة مفعول ثان للرؤية أو حال وفي قوله تعالى وولدا أظهر لمن فسر النفر بالولد فعسى
ربي أن يؤتين خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله سبحانه
أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب
جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع
حسبانة وهي الصواعق ويساعده النظم الكريم فيما سيأتي الأولى أنسب من السماء فتصبح صعيدا زلقا
مصدر أريد به المفعول مبالغة أي أرضا ملساء يزلق عليها باستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات
أو يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح على الوجه الثاني ماؤها غورا أي غائرا في الأرض ووصف به
المصدر مبالغة فلن تستطيع له أبدا للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه ورده وأحيط بثمره
أهلك أمواله المعهودة من جنتيه وما فيهما وأصله من إحاطة العدو وهو عطف على مقدر كأنه قيل فوقع
بعض ما وقع من المحذور وأهلكت أمواله وإنما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما في المنطوق عليه بالفاء
الفصيحة فأصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق
فيها أي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما أنه إنما يكون على الأفعال
الاختيارية ولأن ما أنفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه إلى مصالحها رجاء
أن يتمتع بها أكثر مما يتمتع به وكان يرى أنه لا تنالها أيدي الردى ولذلك قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا
فلما ظهر له أنها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من إنفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا

الشئ التشجيع الزوال وهي اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها لجعلها
للمصنوعة المكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة
وهما من متماتها واما لان ذكر هلاكها يغني عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها
فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا
فاحرقتها وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي
احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما اصابه
قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية
فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الهلاك او على رد المهلك او الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار
المعنى كما في قوله عز وعلا يرونهم مثليهم من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان في نفسه
منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه هنالك في ذلك المقام وفي تلك الحال الولاية لله الحق
اي النصرة له وحده لا يقدر عليها احد وتقرير لما قبله اي ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة
كما نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرئ
الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع
او لا يعبد غيره كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله
يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه على اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ
برفع الحق على انه صفة للولاية وبنصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى
كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها
ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعرضوا عن الآخرة صفحا بالمرة او بين لهم
صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل كماء اي هي كماء انزلناه من السماء
ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به استمسك بسببه نبات
الارض فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء في النبات حتى روي ورف
فيقتضي الظاهر حينئذ فاختلط بنبات الارض وايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة في
الكثرة فان كلا من المتخالطين موصوف بصفة صاحبه فاصبح ذلك النبات الملتف اثر بهجته و
هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح
فليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر
وارفا ثم هشيما تطيره الرياح كان لم يغن بالامس وكان الله على كل شيء من الاشياء التي من
جملتها الانشاء والافناء مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
بيان لشان ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحيوة الدنيا كما يفتخر الاخ الكافر انا اكثر منك مالا
واعز نفرا اثر بيان شان نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه كما في الاية
المحكية آنفا وقوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك من الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط
به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة وممد لكل احد
من الآباء والبنين في كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ
مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة
اليهم ولانه اقدم منهم في الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو في

ضيق حال

ضيق حال فتخال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما انها مصدر في الاصل يطلق
على المفعول مبالغة كانها نفس الزينة والمعنى ان ما تفتخرون به من المال والبنين شيء يتزين
به في الحيوة الدنيا وقد علم شانها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف ما هو من اوصافها التي
شانها ان تزول قبل زوالها والباقيات الصالحات هي اعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس
وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى
كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
دخولا اوليا اما صالحها فظاهر واما انفاقها فبقاء عائدتها عند فناء كل ما تطمح اليه النفس
من حظوظ الدنيا خير اي فيما نعت شانه من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال وصلاحها
مخرج الصفات المفروغ عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودي الافادة لا سيما في مقابلة اثبات
الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان
بان بقاءها امر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف
وانما الذي يحتاج الى التعرض له خيريتها عند ربك اي في الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه
آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحيوة الدنيا لا لافضليتها من المال والبنين مع مشاركة
الكل في الاصل اذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الآخرة ثوابا عائدة تعود الى الآخرة وكلها
يتعلق في الدنيا واما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه امل يناله وتكرير خير للاشعار
باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر اي اذكر حين
نقلعها من اماكنها ونسيرها في الجو على هيئاتها كما ينبئ عنه قوله عز وجل وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب اي نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير
المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اي الباقيات الصالحات
خير عند الله ويوم القيامة وقرئ نسير على صيغة البناء للفاعل من التفعيل جريا على سنن الكبرياء
وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير على صيغة البناء للفاعل وترى
الارض اي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية
وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول بارزة اما بروزها فلذهاب الجبال فظاهر واما ما عداها فكانت الجبال تحول
ما بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وحشرناهم
جمعناهم الى الموقف من كل حدب وايثار صيغة الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر
المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا
وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل
ذلك فلم نغادر اي لم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك
الوفاء والغدير الذي هو ما يتركه السيل في الارض الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية على اسناده
الى ضمير الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت وعرضوا على ربك شبهت حالتهم هذه
بحال جند عرضوا على السلطان لينامر فيهم بما يامر وفي الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع
التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تربية المهابة والجري على
سنن الكبرياء واظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى صفا اي غير متفرقين ولا
مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين
في صعيد واحد صفوفا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اي مقولا لهم

متعلقها وخير املا حيث
ينال بها صاحبها في الآخرة

او وقفنا لهم واما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا وليس منه
ان هذا القول مع المقصود بالاصالة دون سائر المقول مع اختصاص التعلق بما قبله من العرض والحشر
دون تسيير الجبال وبروز الارض كما خلقناكم نعت لمصدر مقدر اي مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا
اياكم او حال من ضمير جئتمونا اي كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا او ما معكم شيء مما
تفتخرون به من الاموال والانصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما
خولناكم وراء ظهوركم بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ
والتقريع اي زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان
مخففة من الثقيلة فصل بحرف النفي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية غير دعائية والظرف اما
مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع
ووضع الكتاب عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي اريد تذكيرها بتذكير وقتها لما ورد
ما ورد في امثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرر ايضا اي وضع صحائف الاعمال وايراده
للجنس بالجنس وللواحد ووضعها اما وضعها في ايدي اصحابها يمينا وشمالا واما في الميزان فترى
المجرمين قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا مشفقين خائفين مما فيه من
الجرائم والذنوب ويقولون عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا او قطميرا يا ويلتنا منادين
لهلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مال هذا الكتاب اي اي شيء له وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها على سؤال التعجب كانه قيل ما شانه حتى لا يبقى منه قليل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها ووجدوا ما عملوا في الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا حاضرا مسطورا عتيدا ولا
يظلم ربك احدا فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يزيد في عقابه المستحق فيكون ظلما للمعذب لتقلل
الاولى واذ قلنا للملائكة اي اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لادم سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله
فسجدوا جميعا امتثالا بالامر الا ابليس فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى كان من الجن كلام
مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل
كان اصله جنيا ففسق عن امر ربه اي خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب
امر الله تعالى اذ لولا ذلك الامر لما ابى والتعرض لعنوان الربوبية المنافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله
والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن الانتظام
في سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله افتتخذونه
الى آخره فان الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اي عقيب علمكم بصدور تلك الشنائع عنه تتخذونه
وذريته اي اولاده واتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل
ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين اولياء من دوني فتستبدلونهم بي
فتطيعونهم بدل طاعتي وهم اي والحال ان ابليس وذريته لكم عدو اي اعداء كما في قوله تعالى فانهم
عدو لي الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وهو فعل بمعنى التشبيه له بالمصادر نحو القبول والولوع
وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتاكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا
بئس للظالمين اي الواضعين الشيء في غير موضعه بدلا من الله سبحانه وذريته وفي الالتفات الى الغيبة
مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى ما اشهدتهم
استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عنه من خباثة الاصل
والفسق والعداوة اي ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض حيث خلقتهما قبل خلقهم ولا خلق

انفسهم

انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور
حذارا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثاني الى الظالمين فلا يلزم
التفكيك بناء على ان نفي المعنى اليه مع ان نفي اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذي يدور عليه انكار
اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصحح التولي حضور الولي خلق المتولي وحيث لا حضور لا يصح التولي
قطعا واما نفي اشهاد بعضهم خلق بعض فليس من مدار الانكار المذكور في شيء على ان اشهاد بعضهم خلق بعض لو
كان مصححا للتولي للشاهد بناء على دلالته على كمال اعتباره وان استعجزه في خلق المشهود في الجملة فهو مخل
بتولي المشهود بناء على انه قصوره ممن شاهد خلقه فلا يكون نفي الاشهاد المذكور نصا في نفي الكمال المصحح للتولي
عن الكل وهو المناط للانكار المذكور وما كنت متخذ المضلين اي متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم
وتسجيلا عليهم بالاضلال وتاكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء عضدا اعوانا في شان الخلق او في
شان من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم
وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد يشتبه على البله
والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا على نفي كونهم
كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى ما يعبرون لمشيئته وارادته فيهم وانهم بمعزل من استحقاق
الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم في شانهم ان يبلغوا ذلك
المبلغ باحضاره عز وجل ولم يكن ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على
اسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يقتدي بهم الناس فيؤمنوا بايمانهم
كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين ويعضده
القراءة بفتح التاء خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد
بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل نفي الاتخاذ وقرئ متخذا بالتنوين على الاصل وقرئ
عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين
على انه جمع عاضد كخدم وخادم من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا
وقرئ بنون العظمة نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد
بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي نادوهم
للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باعانتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طاقة لهم
الى المدافعة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفي ايراده مع ظهوره تهكم بهم
وايذان بانهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين
موبقا اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك
اي مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله عنه
لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا
هلاكا في الآخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم الصلوة والسلام
ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده
لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون النار وضع المظهر مقام المضمر تصريحا
باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اي فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها او
اذ رأوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا
لا ينصرفون اليه ولقد صرفنا اي كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم في هذا القرآن للناس

لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا اي بكل
نوع من انواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن استجلاب النفس كالمثل
ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوه وكان الانسان بحسب جبلته اكثر شيء جدلا اي اكثر الاشياء التي يتأتى
منها الجدل وهو ههنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة
الملاوية لان كلا من المجادلين يلتوي على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من
كل مجادل وما منع الناس اي اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله
تعالى ويتركوا ما هم فيه من الاشراك اذ جاءهم الهدى اي القرآن العظيم الهادي الى الايمان
بما فيه من فنون المعاني الموجبة له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها
مجادلتهم الحق بالباطل الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب اتيان سنتهم او
الا انتظار اتيانها او الا تقديره فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستئصال
او يأتيهم العذاب اي عذاب الآخرة قبلا اي انواعا جمع قبيل او عيانا كما في قراءة قبلا
بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اي مستقبلا كمثال القبيل قبلا وقبلا وهما نصبا
على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى انه ما تضمنه القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان
بحيث لو لم تكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط
وما نرسل المرسلين الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم مبشرين للمؤمنين
بالثواب ومنذرين للعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور
المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به اي بالجدال اي ليزيلوا به الحق عن
مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل عليهم الصلاة والسلام ما انتم الا
بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوها واتخذوا آياتي التي تخر لها صم الجبال وما انذروا
اي انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب او انذارهم هزوا اي استهزاء وقرئ
بسكون الزاي وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه وهو القرآن العظيم فاعرض عنها
ولم يتدبرها وهذا التسجيل وان كان مدلوله الوضعي نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة
في الظلم الا ان مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض
عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد ونسي ما قدمت يداه
اي عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها
انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم
مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه مفعول له اي كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا اي جعلنا فيها
ثقلا يمنعها من استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اي فلن يكون منهم
اهتداء البتة مدة التكليف واذا جزاء الشرط وجواب عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم المدلول
عليه بكمال عنايته باسلامهم كأنه قال عليه الصلاة والسلام ما لي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم
الى الهدى وجمع الضمائر الراجعة الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افرادها في المواضع الخمسة
المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدأ وقوله تعالى الغفور خبره وقوله تعالى ذو الرحمة اي
الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة للتنبيه على كثرة الذنوب وان المغفرة ترك
المضادة وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود
الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية لانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام

بيان تأخير

بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل لو يؤاخذهم اي لو يريد مؤاخذتهم
بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة
بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المبالغة على المؤاخذة للتنبيه
عن شدة الاخذ بسرعة مع التعقيب والعقوبة وهو الوجدان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية
متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان
انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي
مفيد لاستمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان هو يوم بدر او يوم
القيامة والجملة معطوفة على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا البتة من دونه
موئلا منجا وملجأ يقال وأل اي نجا ووأل اليه اي لجأ اليه وتلك القرى اي قرى عاد وثمود واضرابها
وهو مبتدأ على تقدير المضاف اي واهل تلك القرى خبره قوله تعالى اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به
لما ظلموا اي وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله
منزلة اللازم اي وقت فعلهم الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به
الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره وجعلنا لمهلكهم اي لهلاكهم
موعدا اي وقتا معينا لا يحيدون عن ذلك استشهادا على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك
ولا يغتروا بتأخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اي لاهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى نصب على اضمار
فعل اي اذكر وقت قوله عليه الصلاة والسلام لفتاه وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه الصلاة والسلام
سمي فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه وسمي التلميذ فتى وان كان شيخا ولعل الاولى ان يذكر
عقيب ما ذكر من امر تعيين الموعد فذكر ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح
من برح الناقص كزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه
الى السفر وعلى دلالة ما بعده من قوله حتى ابلغ فان الغاية تستدعي ذا غاية تنقلب الضمير العائد الى
المحذوف المحل من نوع استتار والنقل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول اي لا افارق
ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل هما
الكر والرس بارمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كمشرق او امضي حقبا اسير زمانا طويلا يتيقن
معه فوات الطلب والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة روي ان موسى عليه الصلاة والسلام لما
ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم
خطيبا بخطبة بليغة رقت لها القلوب وذرفت العيون فقالوا اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله تعالى عليه اذ
لم يرد العلم اليه عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في زمان
فريدون قبل موسى عليه الصلاة والسلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى عليه الصلاة
والسلام وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه اي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان
يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك
الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث ما فقدته
فهو هناك فاخذ حوتا فجعل في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا
الفاء فصيحة كما اشير اليه مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل
نسيا حوتهما الذي جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب اي نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسي
يوشع ان يقدمه ونسي موسى عليهما الصلاة والسلام ان يأمره فيه بشيء روي انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه

الصخرة وعين الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتاً الا حيي وضعا رؤوسهما على الصخرة فناما فاصاب الحوت
برد الماء وروحه فعاش وقد كانا اكلا منه وكان ذلك بعدما استيقظ يوشع عليه الصلاة والسلام وقيل
توضأ يوشع عليه الصلاة والسلام من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء فاتخذ سبيله في
البحر سربا مسلكاً كالسرب وهو النفق قيل امسك الله تعالى جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه
معجزة لموسى او للخضر عليهما الصلاة والسلام وانتصاب سرباً على انه مفعول ثاني لاتخذ والبحر حال منه اي من
السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ فلما جاوزا اي مجمع البحرين الذي جعل موعداً للملاقاة قيل ذهبا
وسارا الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى عليه الصلاة والسلام الجوع فعند ذلك قال لفتاه
آتنا غداءنا اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة
الى ما ساروه بعد مجاوزة الموعد نصباً تعباً واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة
في محل التعليل للامر باتيان الغداء اما باعتبار ان النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع
واما باعتبار ما في اثناء التغدي من استراحة ما قال اي فتاه عليهما الصلاة والسلام أرأيت اذ
أوينا الى الصخرة اي التجأنا اليها واقمنا عندها فذكر الايواء اليها مع ان المذكور فيما سبق هو
بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة
الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان الايواء اليها والنوم عندها مما يؤدي الى النسيان عادة والرؤية
مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه الصلاة
والسلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه
علامة لوجدان المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب
أرأيت ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه مما لا ينبغي ان يقع لا استخبار عن ذلك
كما قيل والمفعول محذوف اعتماداً على ما يدل عليه من قوله عز وجل فاني نسيت الحوت وفيه تأكيد
للتعجيب وتربية لاستعظام المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه المأمور باتيانه
للتنبيه من اول الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهده ليس من قبيل الاحوال
المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة اي نسيت ان اذكر لك
امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه الا الشيطان بوسوسته الشاغلة
عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اي ما انساني ان اذكره لك وفي تعليق الانساء
بضمير الحوت اولاً ثم بذكره ثانياً على طريق الابدال المنبئ عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق
النسيان ايضاً ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره على المصدر للمبالغة وانما نسي ذلك لنفس الحوت
عند وقوعه تلك الحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما الف مشاهدة امثالها عند موسى
عليه الصلاة والسلام والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ سبيله في البحر عجباً بيان
لطرف من امر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض تقدم عليه للاعتناء بالاعتذار
كأنه قيل حيي واضطرب ووقع في الماء واتخذ سبيله فيه سبيلاً عجباً فعجباً ثاني مفعولي اتخذ
والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثاني وعجباً صفة مصدر محذوف اي اتخاذاً عجباً
وهو كون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف اي اعجب منه عجباً وقيل انه من كلام موسى
عليه الصلاة والسلام وليس بذاك قال اي موسى عليه الصلاة والسلام ذلك الذي ذكرت من امر الحوت
ما كنا نبغي وقرئ باثبات الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف اي نبغيه ونطلبه لكونه
امارة الفوز بالمرام فارتدا اي رجعا على آثارهما طريقهما الذي جاءا فيه قصصاً يقصان قصصاً

اي يتبعان

اي يتبعان آثارهما اتباعاً او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبداً من عبادنا التنكير للتفخيم والاضافة
للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليه الصلاة والسلام
آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه
من لدنا علماً خاصاً لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب قال له موسى استئناف مبني
على سؤال نشأ من السياق كأنه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال موسى هل اتبعك على ان تعلمن
استئذان منه في اتباعه له على وجه التعليم مما علمت رشداً اي علماً ذا رشد ارشد به في ديني
والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم
المتعدي الى مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدراً باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب
شريعة ان يتعلم من نبي آخر ما لا يتعلق باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق
الكلام غاية التواضع معه عليه الصلاة والسلام قال اي الخضر انك لن تستطيع معي صبراً نفى
عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بقوله وكيف تصبر
على ما لم تحط به خبراً ايذاناً بانه يتولى اموراً خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لاسيما
صاحب الشريعة لا يتمالك ان يصبر عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال يا موسى اني على علم من علم الله
تعالى علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وخبراً تمييز اي لم يحط به خبرك
قال موسى عليه الصلاة والسلام ستجدني ان شاء الله صابراً معك غير معترض عليك وتوسيط
الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر ولا اعصي لك
امراً عطف على صابراً اي ستجدني صابراً وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد
بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل له من الاعراب والاول هو الاولى لما عرفت ولظهور
تعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه دليل على ان افعال العباد بمشيئة الله تعالى قال فان اتبعتني اذن له
في الاتباع بعد اللتيا والتي فلا تسألني عن شيء تشاهده من افعالي فضلاً عن المناقشة والاعتراض حتى
احدث لك منه ذكراً اي حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فعل حكمة وغاية
حميدة البتة وهذا من آداب التعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألني بالنون المثقلة فانطلقا
اي موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى
عليه الصلاة والسلام الى بني اسرائيل قيل انهما مرا بسفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول
حتى اذا ركبا في السفينة استعمال الركوب في امثال هذه المواقع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله
عز وجل لتركبوها وزينة مع [illegible] لما اشير اليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها لا
لما قيل من ان في ركوبها معنى الدخول خرقها قيل اخذ فأساً فقلع من الواحها لوحين
مما يلي الماء فعند ذلك قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد من التغريق
وليغرق اهلها من الثلاثي لقد جئت اي اتيت وفعلت شيئاً امراً اي عظيماً هائلاً من أمِر الامر اي
عظم وقيل الامر المنكر قال اي الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبراً تذكير لما قاله قبل وتحقيق
لمضمونه المتضمن للاعتذار عن عدم الوفاء بوعده قال لا تؤاخذني بما نسيت اي بالذي نسيته
او بشيء نسيته وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب قبل بيانه
اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما روي في صحيح البخاري من ان الاول كان من موسى نسياناً
او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض
الكلام التي ينفى بها الكذب مع التوصل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك

او مرة ولا ترهقني اي لا تغشني ولا تحملني من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا تعسر علي
متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا الفاء فصيحة
اي فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام
يلعب مع الغلمان ففتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اي موسى
عليه الصلاة والسلام اقتلت نفسا زاكية طاهرة عن الذنوب وقرئ زكية بغير نفس اي بغير
قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا
بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن
الخضر عليه الصلاة والسلام هاهنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه الصلاة والسلام في
معرض الجزاء المقصود مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عليه الصلاة والسلام من الخوارق
البديعة لاستشراف النفس الى ورود خبرها القتل وقوعها في نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاسماع
ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى بان صدور الخوارق منه عليه الصلاة والسلام خرج
بوقوعه من مخرج العادة فانصرفت النفس من ترقب الى ترقب احوال موسى عليه الصلاة والسلام هل يحافظ
على مراعاة شرطه بموجب وعده الكريم عند مشاهدة خارق اخر او يبادر الى المناقشة كما مر في
المرة الاولى فكان المقصود افادته ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام ففصل ما فصل وقد حذر شأنه في
التنزيل واما ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس
في دفع الشبهة في شيء بل هو مؤيد لها فان كون القتل اقبح من مبادي قلة صدوره عن العاقل وندرة
وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات
كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضي جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه انكر
من الاول اذ يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق
اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زيادة لك لزيادة المكافحة بالعتاب على
رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير حتى
زاد في النكير في المرة الثانية قال اي موسى عليه الصلاة ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد
هذه المرة فلا تصاحبني وقرئ من الافعال اي لا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي
اعذرت من قبلي عندي حيث خالفتك ثلاث مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى
استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ
بسكون الدال كعضد في عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل ابلة وهي ابعد
ارض الله من السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة باندلس عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما
وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى استطعما اهلها في محل
الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على
سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روي انهما طافا في
القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد وقرئ بالتخفيف
من الاضافة يقال اضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له وحقيقة ضاف
مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض
اي يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع
في السقوط وهو انفعال من النقض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه

بسرعة

بسرعة وقيل هو افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن
اذا انشقت طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود
عمده به وقيل كان سمكه مائتي ذراع قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا له على اخذ الجعل
لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله
بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند
البصريين وقرئ بادغام الذال في التاء قال اي الخضر عليه الصلاة والسلام هذا فراق
بيني وبينك على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه اما
نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او السؤال
الثالث اي هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود سانبئك السين للتأكيد لعدم تراخي
التنبيه بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا التأويل رجع الشيء الى ماله والمراد به هاهنا
المآل والعاقبة اذ هو المنبأ به دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص
ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول
عدم استطاعة موسى عليه الصلاة والسلام للصبر دون ان يقال بتأويل ما فعلت او بتأويل
ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به عليه الصلاة والسلام وعتاب اما السفينة التي خرقتها
فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة
منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر واسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق التغليب او لان
عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم
ملك اي امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندى بن
كركر وقيل منولة بن جلندى الازدي يأخذ كل سفينة اي صالحة وقد قرئ كذلك غصبا
من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة
على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدار الكل الامران للاعتناء بشأنها
اذ هي المحتاجة الى التأويل وللايذان بان الاقوى في المدار انما هو الامر الاول ولذلك لا يبالي
بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان التأخير فاصل بين السفينة
وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب واما الغلام الذي قتلته فكان ابواه مؤمنين لم يصرح
بكفره او بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما فخفنا ان يغشى
الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا
وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانا وكفرا فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما
بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر عليه الصلاة والسلام من ذلك
لان الله سبحانه اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وقرئ فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة
من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان تكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا
كقوله تعالى ليهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه
وفي التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما زكوة
طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما اي رحمة وعطفا قيل فولدت لهما جارية
تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى به امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل
ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء ايضا وانتصابه

على الغيبين فنقل زكوة وأما الجدار المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة وهي القرية
المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لإظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها
من اليتيمين وأبيهما الصالح قيل اسمهما أصرم وصريم واسم المقتول جيسور وكان تحته كنز لهما
من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي
زكوتها وسائر حقوقها وقيل لوح من ذهب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق
كيف يتعب وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله
وقيل صحف فيها علم وكان أبوهما صالحا تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان
بينهما وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء فأراد ربك أي مالكك ومدبر أمورك ففي إضافة
الرب إلى ضميره عليه الصلاة والسلام دون ضميرهما تنبيه له عليه الصلاة والسلام على تحتم كمال الانقياد
والاستسلام لإرادته سبحانه وتعالى ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الأمور المذكورة
أن يبلغا أشدهما أي حلمهما وكمال رأيهما ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا أني أقمته لانقض
وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال فضاع بالكلية رحمة من ربك
مصدر في موقع الحال أي مرحومين منه عز وجل أو مفعول له أو مصدر مؤكد لأراد فإن إرادة الخير
رحمة وقيل متعلق بمضمر أي فعلت ما فعلت من الأمور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده إضافة
الرب إلى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا وما فعلته عن أمري عن رأيي واجتهادي
تأكيدا لذلك ذلك إشارة إلى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد
درجتها في الفخامة تأويل ما لم تسطع أي تستطع فحذف التاء للتخفيف عليه صبرا من الأمور
التي رأيت أي مآله وعاقبته فيكون إنجازا للتنبيه الموعود وإلى البيان نفسه فيكون التأويل بمعناه
وعلى كل ذلك فهو فذلكة لما تقدم وفي جعل الصلة غير ما مر تكرير للنكير وتشديد للعتاب تنبيه
اختلفوا في حيوة الخضر فقيل إنه حي وسببه أنه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات أصاب
الخضر عين الحيوة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد قالوا وإلياس أيضا
في الحيوة يلتقيان كل سنة وقيل إنه ميت لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات
ليلة ثم قال أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد ولو كان الخضر
حينئذ حيا لما عاش بعد مائة عام روي أن موسى عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يفارقه قال له أوصني
قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ويسئلونك عن ذي القرنين هم اليهود سألوه على وجه
الامتحان أو سأله قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك إلى ورود الجواب
ذو القرنين الأكبر واسمه الإسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن إسحاق اسمه مرزبان بن مرذبة من ولد يافث
ابن نوح عليه الصلاة والسلام وكان أسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان
ابن منصور بن عبد الله بن الأزد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل فيه
إن اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو أول التبابعة وقيل إنه أفريدون بن النعمان الذي قتل الضحاك
وذكر أبو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية أن ذا القرنين هو أبو كرب سمي بن
عبير بن إفريقش الحميري وأن ملكه بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ... ملكا علا في الأرض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب ملك من عليم مرشد

وجعل هذا القول أقرب لأن الأذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذو النون وذي رعين وذي

يزن وذي

يزن وذي جدن قال الإمام الرازي والأول هو الظاهر لأن من بلغ ملكه من السعة والقوة إلى الغاية
التي نطق بها التنزيل الجليل إنما هو الإسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى أنه لما مات أبوه
جمع ملك الروم بعد أن كان طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم أمعن حتى انتهى إلى البحر الأخضر
ثم عاد إلى مصر فبنى الإسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بني إسرائيل وورد بيت
المقدس وذبح في مذبحه ثم عطف إلى أرمينية وباب الأبواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه
نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا إلى أن قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند
وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الأمم البعيدة ورجع
إلى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع إلى العراق ومرض بشهرزور ومات بها انتهى كلام الإمام
وروي أن أهل النجوم قالوا له إنك لا تموت إلا على أرض من حديد وتحت سماء من خشب وكان
يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل ورعف وسقط عن دابته
فبسطت له دروع فنام عليها فآذته الشمس فأظلوه بترس فنظر فقال هذه أرض من حديد
وسماء من خشب فأيقن بالموت فمات وهو ابن ألف وست مائة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال
ابن كثير وهذا غريب وأغرب منه ما قال ابن عساكر أنه بلغني أنه عاش ستا وثلاثين أو ثنتين
وثلاثين سنة وأنه كان بعد داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام فإن ذلك لا ينطبق إلا على
ذي القرنين الثاني كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الإمام من قصد بني إسرائيل وورود بيت المقدس
والذبح في مذبحه فإنه مما لا يكاد يتأتى نسبته إلى الأول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على
إسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى إنا مكنا له في الأرض وظاهره أنه متناول للتمكين
في الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الأشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا
يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روي أن عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين
فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة قال ابن كثير
والصحيح أنه ما كان نبيا ولا ملكا وإنما كان ملكا صالحا عادلا ملك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك
وغيرهم ودانت له العباد وأنه كان داعيا إلى الله تعالى سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان
المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير
وقد ذكر وغيره أنه أسلم على يدي إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وطاف معه بالكعبة
هو وإسمعيل وروي أنه حج ماشيا فلما سمع إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقدومه تلقاه ودعا له
وأوصاه بوصايا ويقال إنه أتي بفرس ليركب فقال لا أركب في بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى
له الأسباب وبشره إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم إذا أرادوا
غزوة قوم وقال أبو الطفيل سئل عنه علي كرم الله وجهه أكان نبيا أم ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان
عبدا أحب الله فأحبه الله وناصح الله فناصحه سخر له السحاب ومد له الأسباب واختلف في وجه تسميته بذي
القرنين فقيل لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لأنه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك
وقيل لأنه كان في رأسه أو في تاجه ما يشبه القرنين وقيل لأنه كان له ذوابتان وقيل لأنه كانت
صفحتا رأسه من النحاس وقيل لأنه دعا الناس إلى الله عز وجل فضرب بقرنه الأيمن فمات ثم بعثه الله تعالى
فضرب بقرنه الأيسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لأنه رأى في منامه أنه صعد الفلك فأخذ بقرني
الشمس وقيل لأنه انقرض في عهده قرنان وقيل لأنه سخر له النور والظلمة فإذا مشى سرى يهديه
النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا وأما ذو القرنين الثاني فقد قال

ابن كثير انه الاسكندر بن رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن لوبن بن سرحون بن رومية بن لونط بن نوفيل
ابن رومي بن الاصفر بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام كذا نسبه ابن
عساكر المقدوني اليوناني المصري باني اسكندرية الذي يؤرخ بايامه الروم وكان متاخرا عن الاول بدهر
طويل اكثر من الفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه الصلاة والسلام بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره
ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم وانما بينا هذا
لان كثيرا من الناس يعتقدون انهما واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو المتاخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد
كثير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا وزيره الخضر عليه الصلاة والسلام وقد قيل
انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان
اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذلك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة من بلاد الروم غربي دار السلطنة
السنية قسطنطينية المحمية لا زالت محمية تمشي منها السفائن الى البندر الذي بينهما من المسافة خمسة عشر
يوما او نحو ذلك عند مدينة سلانيك واسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر
وهي اليوم بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكي كمال عظمها في عهد عمرانها وفيها نشوته وانتهيها
سلطانها عند القفول عن بعض المغازي السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب الآثار ما فيه عبرة
لاولي الابصار قل لهم في الجواب سأتلوا عليكم اي ساذكر لكم منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبأ مذكورا وحيث
كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهة الله عز وجل قيل سأتلو فيها يعني ساتلو من جهته تعالى
ذكرا اي نبأ مذكورا اي قرآنا والسين للتأكيد والدلالة على التحقيق المناسب لمقام تأييده عليه الصلاة
والسلام وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال سأشكر عمرا ان تراخت
منيتي أيادي لم تمنن وان هي جلت لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه
الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه عليه الصلاة والسلام
عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم ائتوني غدا اخبركم فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين
كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل انا مكنا له في الارض شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود
والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى
الثاني جعل له قوة وقدرة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز
وجل مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات
فيها ما لم نجعل لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكأنه قيل ما لم نمكنكم فيها اي ما لم
نجعلكم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعل من القوة والسعة في
المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكأنه قيل ما لم نمكنكم فيها اي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها
او مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان الفعل مأخوذا من المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما
اشير اليه في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من
حيث التدبير والرأي والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار
عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذللت له طرقها وآتيناه من كل شيء اراده من مهمات ملكه ومقاصده
المتعلقة بسلطانه سببا اي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة
فاتبع بالقطع اي فاراد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول
فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي منتهى الارض من جهة المغرب
بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة

بالخالدات

بالخالدات التي هي مبدأ الاطوال على احد القولين وجدها اي الشمس تغرب في عين حمئة اي ذات
حمأة وهي الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت حمأتها وقرئ حامية اي حارة روي ان معاوية
رضي الله عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضي الله عنهما فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله
ابن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار رضي الله عنه كيف تجد الشمس
تغرب قال في ماء وطين وروي في تأويل قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وليس بينهما منافاة قطعية
لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع
معاوية الى قول ابن عباس رضي الله عنهما فلجواز كون العين جامعة بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا ليست
قطعا في قراءة ابن عباس قطعية في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط رآها كذلك اذ ليس في
مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل
كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله تعالى كما يعرب عنه ان يعذبهم بالقتل
وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر واما
ان تتخذ فيهم حسنا اي امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على الموصوف
مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل ان مع صلتها اما الرفع على الابتداء او الخبرية
واما النصب على المفعولية اي اما تعذيبك واقع او اما امرك تعذيبك او اما تفعل تعذيبك وهكذا
الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي كان في ذلك العصر او كان ذلك الهاما
لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي قال اي ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده
من خواصه بعد ما تلقى امره تعالى مختارا للشق الاخير اما من ظلم اي نفسه ولم يقبل دعوتي واصر على ما كان
عليه من الظلم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور ومن
آمن اعطاه وكساه ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وهو عذاب
النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه وان مقاولته كانت مع النبي او مع من عنده
من اهل مشورته واما من آمن بموجب دعوتي وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء
الحسنى اي فله المثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى والجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم للعناية
او معترضة بين المبتدأ والخبر المتقدم عليه او حال اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون على انه
سقط تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدأ والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل
خير بين القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعي
في حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب ويجوز ان يكون الترديد دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما
التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب وسنقول له من امرنا اي مما نأمر به يسرا
اي سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر واطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا
اي طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع عليه
الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه في
اثنتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب وطوي له الاسباب وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب
فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب والخلجان فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت
الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى
ومعي صاحب يعرف بلسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة

قوله ويجوز ان يكون
الناظر الطيب الذكي

نمشي على ثم ارفقت وهو يعني بشي بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم
فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب
من السودان عند مطلع الشمس من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة
الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التعذيب والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او
لجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم او ستر مثل ستركم من اللباس
والاكنان والجبال وغيرها وقد احطنا بما لديه من الاسباب والعدد والعدد خبرا يعني ان ذلك من
الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير وهذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما
يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه من الافعال فتأمل ثم اتبع سببا اي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق
والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهو منقطع
ارض الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو
مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه من الظروف التي تستعمل
اسماء ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك وجد من دونهما اي من ورائهما
مجاوزا عنهما قوما اي امة من الناس لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب
الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا في انهم من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال
السدي الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم
وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت قبيلة واحدة
فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه الصلاة والسلام ثلاثة سام وحام
ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والصقالبة
ويأجوج ومأجوج قالوا بواسطة مترجم منهم فان الذي يكون فيهم ذو القرنين كلامهم ويفهم
كلامه بما آتاه من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج قد ذكرنا انهم من اولاد
يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل واختلف في صفاتهم
فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدرهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم
الجسم وطول القامة تبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل
لهم مخالب واضراس مثل السباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم
اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث
مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع
فلا يتركون لهم شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس ايضا فهل نجعل لك
خرجا اي جعلا من اموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما
واحد كالنول والنوال وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا
وبينهم سدا وقرئ بالضم قال ما مكني بالادغام وقرئ بالفك اي ما مكنني فيه ربي
وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب خير اي مما تريدون ان تبذلوه الي
من الخراج فلا حاجة بي اليه فاعينوني بقوة اي بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات
لا بد منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من مالهم
او على عدم قبول خرجهم اجعل جواب للامر بينكم وبينهم تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين
على اضافته الى ضمير يأجوج ومأجوج لاشعار بكمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا

وبينهم ردما

وبينهم ردما حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم
اي فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه آتوني زبر الحديد جمع زبرة
كغرف في غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم لان المأمور به الايتاء
بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء
كما في امرتك الخير ولان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص
الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها اشد اذ
هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس
المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ
وذلك قوله عز وجل حتى اذا ساوى بين الصدفين اي آتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى
اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي
ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى من التسوية وسووي على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا
اي بالكيران في الحديد المبني ففعلوا حتى اذا جعله اي المنفوخ فيه نارا اي كالنار في الحرارة والهيئة
واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل العملة للتنبيه على انه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة
قال للذين يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا
مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ بالوصل اي جيئوني كأنه يستعين بهم
للتعاون باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله
تعالى ساوى وقوله تعالى جعل فما اسطاعوا بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين
وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفاء فصيحة
اي فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر او الاتيان فافرغ عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار
جبلا صلدا فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه ويرقوا
لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك
الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها فضلا
عن ان تكون كالنار او عن افراغ القطر فيها فكأنه سبحانه وتعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن
ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شيء قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطا
بعضه ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلا قال اي ذو
القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكنه من بنائه والفضل
للمتقدم اي هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شأنه ما ذكر من المتانة وصعوبة
المنال رحمة اي اثر رحمة عظيمة عبر عنها بها مبالغة من ربي على كافة العباد لا سيما على مجاوريه
وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهي محض
وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربي مصدر
بمعنى المفعول وهو يوم القيامة لا خروج يأجوج ومأجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه
ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام
ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور التي ستحكى تقع بعد مجيئه حتما جعله اي
السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه الاشارة السابقة الى التمكين
المذكور دكا اي ارضا مستوية وقرئ دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكل ما انبسط بعد

انقلع فقد اندك ومنه الجمل الاندك اي المنبسط السنام وهكذا الجمل بعد مجيء الوعد بمجيء بعض
مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته **وكان وعد ربي** اي وعده
المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا **حقا** ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه
الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته
قوله عز وجل **وتركنا بعضهم** كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا ومحقق
لمضمونه اي جعلنا بعض الخلائق **يومئذ** اي يوم مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه **يموج في بعض**
آخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل
النفخة الاولى او تركنا بعض ياجوج وماجوج يموج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في
البلاد روي انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن
منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا وهو دود
يكون في انوف الغنم في اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا
فتلقيهم في البحر ثم يرسل مطرا يغسل به الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها
البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه الصلوة والسلام وقتل الدجال **ونفخ في الصور** هي النفخة الثانية
بقضية الفاء في قوله تعالى **فجمعناهم** ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة
ليس فيها حالة مختصة بالكفار وقيل لئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الاولى من الاحوال والاهوال وبين
ما يقع منها في النشأة الآخرة اي جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد
واحد للحساب والجزاء **جمعا** اي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه **وعرضنا جهنم** اظهرناها وابرزناها
يومئذ اي يوم اذ جمعنا الخلائق كافة **للكافرين** منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها
تغيظا وزفيرا **عرضا** فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل
الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة **الذين كانت اعينهم** وهم في الدنيا **في غطاء** كثيف وغشاوة
غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب **عن ذكري** عن الآيات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى الذكر
بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري على وجه يليق بشاني او عن القرآن العظيم
وكانوا مع ذلك **لا يستطيعون** لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم **سمعا**
استماعا للذكر وكلام الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة
السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه
او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك
انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرضت له في الدنيا من الآيات واعراضهم عنها مع كونها اسبابا
منجية عما ابتلوا به في الآخرة **افحسب الذين كفروا** اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي والحسبان
بمعنى الظن وقرئ افحسب والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه كما في قولك اضربت
اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ
الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف فقط كما اذا قدر مثلا ااستمعوا ذلك فلا تعقلون والمعنى اكفروا
مع جلالة شاني فحسبوا **ان يتخذوا عبادي من دوني** من الملائكة وعيسى وعزير عليهم الصلوة والسلام
وهم تحت سلطاني وملكوتي **اولياء** معبودين ينصرونهم من باسي وما قيل انها للعطف على ما قبلها من قوله
كانت اعينهم وكانوا لا يستطيعون دلالة على ان الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخال همزة الانكار عليها ذما
على ذم وقطعا لها عن المعطوف عليها لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال المؤكد للذم يأباه ترك الاضمار والتعرض

لوصف آخر

لوصف آخر غير التعامي والتصام على انهما احوجاهم الى الاحوال الجليلة بهم ولم يذكر من حيث انهما من افعالهم
الاختيارية تمام الحادث للحسبان لتفريعه عليهما وايضا فانه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن
تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتاخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز صلة ان
ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة اي افحسبوا انهم يتخذونهم اولياء
على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم الصلوة والسلام منزهون
عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف اي افحسبوا اتخاذهم
نافعا لهم والوجه هو الاول لان في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة وقرئ افحسب الذين
كفروا اي افحسبهم وكافيهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد
الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة حينئذ بمعنى انكار الوقوع **انا اعتدنا جهنم** اي هيأناها
للكافرين المعهودين عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتاد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم
الباطل **نزلا** اي شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل اي الضيف مما حضر
من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من
قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا
لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفي ايراد النزل ايماء الى ان لهم وراء جهنم من العذاب
ما هو انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضي الله عنهما بالمثوى **قل
هل ننبئكم** الخطاب الثاني للكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الكفر على وجه التوبيخ والجمع في صيغة
المتكلم لتعيينه من اول الامر وللايذان بمعلومية النبأ للمؤمنين ايضا **بالاخسرين اعمالا** نصبه على
التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة
في انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها
غب بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم **الذين ضل
سعيهم** في اقامة تلك الاعمال اي ضاع وبطل بالكلية **في الحيوة الدنيا** متعلق بالسعي لا بالضلال
لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابي
وقاص ومجاهد ويدخل في الاعمال حينئذ ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل
الرهابنة الذين يحبسون انفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعل ما يعمهم
وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف لانه جواب السؤال كانه قيل من هم
فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبا على الذم على ان الجواب ما سياتي
من قوله تعالى اولئك الآية يأباه ان صدره ليس منبئا عن خسران الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه
مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه ساكت عن انباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران
من الوثوق بترتب الربح والاعتقاد للنفع فيما صنعوا على ان التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال راسا اذ لا مجال
لادراجه بقضية نون العظمة **وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا** الاحسان الاتيان بالاعمال على
الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي اي يحسبون انهم يعملون ذلك على الوجه اللائق
وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل اي بطل سعيهم
المذكور والحال انهم يحسبون انهم محسنون في ذلك وينتفعون بآثاره ومن المضاف اليه لكونه في محل الرفع
نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اي بطل سعيهم وفي الثاني تقبيح سعيهم والاول ادخل في بيان خطائهم
اولئك كلام مستانف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال

سعيهم وتخييبهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين من غير دخول تحت الامر اي اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المذكور الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد عقدا وعملا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من امور الآخرة على ما هي عليه فحبطت اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم اي لاولئك الموصوفين بما مر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء يوم القيامة وزنا اي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من اهل التوحيد بطريق الكمية واما الكفر فاحباط الحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا وذلك بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مآل اعمالهم المحبطة بذلك اي الامر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم جهنم جملة مبينة له او ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاء وهو خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بان ما ذكر جزاء الكفر المتضمن لسائر القبائح التي انبأ عنها قوله تعالى واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا ان الذين آمنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا باضداد ما اتصفت به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد اي آمنوا بآيات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الاعمال كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم جنات الفردوس عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب وعن كعب ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة نزلا خبر كان والجار والمجرور متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا او على انه بيان او حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانها عند ما اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر خالدين فيها نصب على الحالية لا يبغون عنها حولا مصدر كالعود والصغر اي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور ان يكون شيء اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول تأكيدا للخلود والجملة حال من صاحب خالدين او من ضميره فيه فتكون حالا متداخلة قل لو كان البحر اي جنس البحر مدادا وهو ما تمد به الدواة من الحبر لكلمات ربي لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك لنفد البحر مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه قبل ان تنفد وقرئ بالياء والمعنى من غير ان ينفد كلمات ربي لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من التفخيم

للمضاف

للمضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير ولو جئنا كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم يجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهي الابعاد وقرئ مددا جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا قل لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة بكلماته التامة يوحى الي من تلك الكلمات انما الهكم اله واحد لا شريك له في الخلق ولا في سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء كرامته تعالى فليعمل لتحصيل تلك الطلبة العزيزة عملا صالحا في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يشرك بعبادة ربه احدا اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا وايثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روي ان جندب بن زهير رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروي انه عليه الصلاة والسلام قال اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الى آخره كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة فتلا كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والحمد لله سبحانه على انعامه

سورة مريم [illegible]

كهيعص بامالة الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبتفخيمهما بلا خلاف والنون قبل الصاد لتقاربهما وقد سبق ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنا لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسما للسورة او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها حتما على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحلها الرفع واما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص اي مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ خبره ذكر رحمة ربك اي المسمى به ذكر رحمة ربك الى آخره فان ذكرها لما كانت مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كأنها نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما اجمع عليه اهل التحقيق فذكر الى آخره خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة ربك الى آخره وفي الاسم اشارة الى ما بينه من تنزيل حصول المادة منزلة حصول المؤلف منها اي هذا ذكر رحمة الى آخره وقيل

هو شيء اذ قد حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي
من التذكير اي هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة
عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام للايذان بان تنزيل السورة عليه عليه الصلوة
والسلام تكميل له عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى **عبده** مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف
اليها وقيل للذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما
يقال ذكرني معروف فلان اي بلغني وقوله عز وجل **زكريا** بدل منه او عطف بيان له **اذ نادى ربه**
نداء خفيا ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله اتساعا لا على الوجه الاول لفساد
المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها ولقد راعى
عليه الصلوة والسلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل
في الاخلاص وابعد من الرياء واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا
يليق به تعاطيها اوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه
عليه الصلوة والسلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل
سبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر كما مر في تفسير سورة آل عمران **قال** جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب
رب اني وهن العظم مني اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعائم الجسد فاذا اصابه
الضعف والرخاوة اصاب كله او لانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها تأثرا من العلل فاذا وهن
كان ما وراءه اوهن وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومني
متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها ايضا وتاكيد الجملة
لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها **واشتعل الرأس شيبا** شبه عليه الصلوة
والسلام الشيب في البياض والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه
منه كل ماخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاشتعال الى محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج
التمييز واطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى
حيث كان الاصل اشتعل شيب رأسي بالنسبة الى اشتعال النار في منبته ولزيادة تقريره بالاجمال
اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد التفخيم بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين **ولم اكن بدعائك**
رب شقيا اي لم اكن بدعائي اياك خائبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك
استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى فاشتعل رأسي شيبا وهذا
توسل منه عليه الصلوة والسلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعي
الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد ما عود عبده بالاجابة دهرا طويلا
لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة
عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام لا سيما توسيطه بين
كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب
له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته **واني خفت الموالي من ورائي** عطف
على قوله تعالى اني وهن مترتب مضمونه على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عليه الصلوة
والسلام من يلي امره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته
في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله من ورائي اي بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي فعل
الموالي من بعدي او جور الموالي وقد قرئ كذلك او بما في الموالي من معنى الولاية اي خفت الذين يلون الامر من

ورائي لا بخفت لفساد المعنى وقرئ ورائي بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورائي
اي قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدي او خفت الموالي القادرون على اقامة مراسم الملة
ومصالح الامة من خف القوم اي ارتحلوا مسرعين او درجوا قدامي ولم يبق منهم من به تقوى واعتضاد
فالظرف حينئذ متعلق بخفت **وكانت امرأتي عاقرا** اي لا تلد من حين شبابها **فهب لي من**
لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية وتقديم
الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز ان يتعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن في الاصل
ظرف بمعنى اول غاية زمانا ومكانا وغيرهما من الذوات وقد مر تفصيله في اول سورة آل عمران
اي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب
العادية **وليا** اي ولدا من صلبي وتاخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء بكونه من لدنه تعالى
على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فانه لما تقدم ما تقدم بقيت النفس
مترقبة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول لما بعده من الوصف
فتاخيرهما عن الكل او توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عليه الصلوة والسلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة
موجب لانقطاع رجائه عليه الصلوة والسلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه
على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك داع اخر الى الاقبال على الدعاء المذكور
من مشاهدته عليه الصلوة والسلام للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا
زكريا ربه الاية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هنالك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هنالك
للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في موطن اخر من النكت التنزيلية وقوله
تعالى **يرثني** صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اي يرثني من حيث العلم
والدين والنبوة فان الانبياء عليهم الصلوة والسلام لا يورثون المال قال عليه الصلوة والسلام نحن معاشر
الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وقيل يرثني الحبورة وكان عليه الصلوة والسلام حبرا **ويرث**
من آل يعقوب يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه امرهم
للقرابة او الصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اي ويرث منهم الملك
قيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم الصلوة والسلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان
اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه الصلوة والسلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال
الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ
فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على انه
حال من المستكن في يرث وقرئ او يرث آل يعقوب بالتصغير لصغره اي وراث عليه الصلوة
والسلام لما يرثه في حال صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة التجريد اي
يرثني به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه الصلوة والسلام انبياء ولا علماء
واجعله رب رضيا مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء
بشأن ما يستدعيه **يا زكريا** على ارادة القول اي قال تعالى يا زكريا **انا نبشرك بغلام اسمه**
يحيى لكن لا بان يخاطبه عليه الصلوة والسلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكي له عليه الصلوة
والسلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية وقد مر تحقيقه
في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه الصلوة والسلام ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما ينبئ

من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الى آخره بل بعضها حسبما تقتضيه المشيئة الالهية التابعة
على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك
في جميع الدعوات الا يرى الى دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حق ابيه والى دعوة النبي صلى الله عليه
وسلم حيث قال وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا ان يهبه
يحيى نبيا مرضيا ولا يهبه الوراثة فاستجيب دعاؤه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما
الصلاة والسلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه
الصلاة والسلام تأكيد للوعد وتشريف له عليه الصلاة والسلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه
قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا اي شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبل يحيى مزيد تشريف
وتفخيم له عليه الصلاة والسلام فان التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه
بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في
الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه الصلاة والسلام مثل في انه لم يعص الله عز وجل
ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا ولا يكون هذا ايجابا لا
ما نزل من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر ان اسمه اعجمي
وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه حيي به رحم امه وحيي دين الله
بدعوته قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال عليه الصلاة والسلام حينئذ فقيل
قال رب ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة
والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يتوهم من خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر
عنه متوقف على توسطه كما ان علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة الاوقات
انى يكون لي غلام كلمة انى بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم
الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام
ويجوز ان تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له اي انى يحدث كائنا لي واما ناقصة
وهو الخبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى وكانت امرأتي عاقرا حال من ضمير المتكلم بتقدير قد
وكذا قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا حال منه مؤكدة للاستبعاد اثر تأكيد اي كانت امرأتي عاقرا لم تلد
في شبابها وشبابي فكيف وهي الآن عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن جساوة ونحولا في المفاصل والعظام
وبلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتى يعتو واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين
والواوين فكسرت التاء فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو
والياء وسبق احداهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداية ههنا
بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لما انه قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه
اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل واما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما
ان المسارعة الى بيان قصور شأنه انسب وانما قال عليه الصلاة والسلام مع سبق دعائه عليه الصلاة
والسلام بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل عمران
استعظاما لقدرة الله عز وجل وتعجبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه باظهار انه من محض لطف الله عز وجل
وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب به فيزداد
المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه الصلاة والسلام استفهاما عن كيفية حدوثه
وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه

وهو بعيد

وهو بعيد قال استئناف مبني على سؤال نشأ مما سلف كأنه قيل فماذا قال له ربه حينئذ فقيل قال كذلك قال ربك فقوله
كذلك في محل النصب على انه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو
عبارة عن الوعد السابق لا الى قول آخر شبه هو به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا وقوله تعالى هو علي هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة تحت قال
الاول كانه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت
على خارق العادة هين وان كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو علي هين والجملة حينئذ حال من ربك
والياء عبارة عن ... سيتعرف واغراضه ... مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني
مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وادخال الروعة كقول الخلفاء امير المؤمنين
يرسم لك كذا وكما هو الشأن في الاسناد الى الاسم الجليل ... عليه الصلاة والسلام تشريفا واشعارا بعلة
الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من ابداعه من العدم وتصريفه
في اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغه الى كماله اللائق به مما يقلع اساس استبعاده
بالقدرة الذاتية لا لربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام خاصة ... وقيل ذلك
اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء
مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لان الواو لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى اي الامر كذلك وعدت وقوله
للمحالة وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة
على المحكية الاولى ... في الجار والمجرور ...
جملتها والكلام في اسناد القول الى الرب ثم الالتفات الى التكلم كالذي مر وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا
عليه الصلاة والسلام اي قال تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المنافية لحصول الولادة في نفسه وفي
امرأته وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره اي قال الله تعالى هو علي هين
في نفسه على هين وفي القراءة الثانية ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال
فمخل بسداد المعنى لان مآله تقرير صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان سهولته عليه
تعالى مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا جملة مستأنفة مقررة
لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد
وانما لم يقل ... الى آدم عليه الصلاة والسلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك
او آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه الصلاة
والسلام تأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه
عليه الصلاة والسلام من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا
على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان ابداعه عليه الصلاة والسلام على
ذلك الوجه ابداعا لكل احد من فروعه كذلك فلما كان خلقه عليه الصلاة والسلام على هذا النمط الساري الى
جميع اولاد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل
على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا حينئذ اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان
يكون معيارا لحال ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد
خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه كأنه قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم
ولم تك اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا هذا وانما لم يحمل الشيء على المعتد به اي ولم تك شيئا

مقتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك قال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني
على تحقق المسئول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه الصلاة والسلام لتأكيد البشارة وتحقيقها كما
قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة
عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من
حين حدوثها ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا معتادا ولقد عرفت الاشارة في تفسير سورة آل عمران الى ان هذا
السؤال ينبغي ان يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما
الصلاة والسلام بستة اشهر او بثلاث سنين ولا ريب في ان دعاء زكريا عليه الصلاة والسلام كان في
صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عليه الصلاة والسلام وهي بنت عشر
سنين او بنت ثلاث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول لما مر
مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل
بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف فتقديمه لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند
انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ قال آيتك ان
لا تكلم الناس اي لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح ثلاث ليال مع ايامهن
للتصريح بها في سورة آل عمران سويا حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار
اي تكلم فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس فخرج على قومه
من المحراب اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه
ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك فاوحى اليهم اي اومى اليهم لقوله
تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض ان سبحوا ان مفسرة لاوحى او مصدرية
واللام مقدرة اي صلوا او بان صلوا بكرة وعشيا ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية
ان المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر او نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح
شكرا وان يأمر قومه بذلك يا يحيى استئناف مطوي قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء
بانجاز الوعد الكريم اي فولد له ولد وقلنا يا يحيى خذ الكتاب اي التوراة بقوة اي بجد واستظهار
بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم النبوة استنبأه وهو ابن
ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين روي انه دعاه الصبيان
الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اي وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما
وزكاة اي طهارة من الذنوب او صدقة تصدقنا به على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس
وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه عطف على تقيا اي بارا بهما لطيفا بهما
محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام عليه من الله عز وجل
يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من
هول القيامة وعذاب النار واذكر في الكتاب كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة
لا القرآن اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين
فيها اي واذكر للناس مريم اي نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى اذ انتبذت

ظرف لذلك

ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المأمور به ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف
عليه وحكي بعده بطريق الاستئناف داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتمال
من مريم على ان المراد بها نبأها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد
بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي لان لم
تكرمني فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله تعالى من اهلها متعلق بانتبذت وقوله مكانا شرقيا
مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الاتيان المترتب وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل
في الجار والمجرور وهو السر في تأخيره عنه اي اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا من بيت
المقدس او من دارها لتتخلى هناك للعبادة وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة
بحائط او بشيء يسترها وذلك قوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا وكان موضعها في
المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها اتاها
الملك عليه الصلاة والسلام في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر وذلك قوله
تعالى فارسلنا اليها روحنا اي جبريل عليه الصلاة والسلام عبر عنه بذلك توفية
للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذي هو عدة للمقربين في قوله تعالى
فاما ان كان من المقربين فروح وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوي الخلق كامل البنية
لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل في صورة قريب لها اسمه يوسف من خدم بيت
المقدس وذلك لتستأنس بكلامه فتتلقى منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة
الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهيج شهوتها فتنحدر نطفتها
الى رحمها فمخالف للمقام بيانا بالقدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى قالت اني اعوذ
بالرحمن منك فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من
الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال
الرائق لابتلائها وسبر عفتها وقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره
تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة
مما دهمها وقوله تعالى ان كنت تقيا تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط
محذوف ثقة بدلالة السياق عليه اي فاني عائذة به او فتتعوذ بتعوذي او فلا تتعرض لي
قال انما انا رسول ربك يريد عليه الصلاة والسلام اني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من
الشر وانما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما اي لاكون سببا في هبته
بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام
لها من احكام تربيتها وفي بعض المصاحف امرني ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب
اي ناميا على الخير او مترقيا من سن الى سن على الخير والفلاح قالت انى يكون لي غلام
كما وصفت ولم يمسسني بشر اي والحال انه لم يباشرني بالنكاح رجل وانما قيل بشر
مبالغة في بيان تنزهها من مبادي الولادة ولم اك بغيا عطف على لم يمسسني داخل معه
في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اي ولم اكن فاجرة تبغي الرجال
وهي فعول بمعنى الفاعل اصلها بغوي فادغمت الواو في الياء بعد قلبها ياء وكسرت الغين
للياء وقيل فعيل بمعنى الفاعل والا لقيل بغو كما يقال نهو عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها

من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اي يبغيها الفجور بها قال اي الملك تقريرا لمقالته وتحقيقا
لها كذلك اي الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال ربك الى آخره استئناف مقرر له اي قال ربك الذي
ارسلني اليك هو اي ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر علي خاصة هين وان
كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسائط فهو قوله تعالى ولنجعله آية
للناس اي علامة لهم علة لمعلل محذوف اي ولنجعل وهب الغلام آية لهم يستدلون بها على كمال قدرتنا
نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اي لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية الى آخره والواو
على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة كائنة
منا عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا محكما
قد تعلق به قضاؤنا الازلي او قدر وسطر في اللوح لابد من جريانه عليك البتة او كان امرا
حقيقا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام
في درعها فدخلت النفخة في جوفها وقيل انه عليه الصلاة والسلام نفخ في درعها فنفخ في جيبه
فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح اليها فحملت في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت
مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر
وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملته وضعته وسنها حينئذ ثلاث عشرة سنة
وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به اي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اي فانتبذت ملتبسة
به مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل
فاجاءها المخاض اي فالجأها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لا يستعمل في غيره كآتى في اعطى وقرئ
المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة
لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها
ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم
عند الناس ولعل الله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها وليطعمها الرطب الذي هو
خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها
من مات يموت قبل هذا الذي لقيت فيه ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها
وبين جبريل عليه الصلاة والسلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا
من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم
كما روي عن عمر رضي الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة ولم اكن شيئا
وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا اي شيئا تافها شأنه ان ينسى ولا يعتد به اصلا
وقرئ بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما
ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ به على انه مصدر من نسأت اللبن اذا صببت
عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسئا كصبا منسيا لا يخطر ببال احد من الناس وهو
نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا له بالسين فناداها اي جبريل عليه الصلاة والسلام
من تحتها قيل انه كان يتقبل الولد وقيل من تحتها اي من مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت
النخلة وقيل ناداها عيسى عليه الصلاة والسلام وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم ان لا
تحزني اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها مصدرية قد حذف عنها الجار قد جعل ربك

تحتك

تحتك اي بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرته بالجري جرى وان امرته بالامساك
امسك سريا نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان جبريل عليه
الصلاة والسلام ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه
الصلاة والسلام وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء حينئذ كما فعل
مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر فاخضرت واثمرت وكان الوقت شتاء فجعل
لها اذ ذاك رأسا وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لمقام بيان ظهور
الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا اي سيدا نبيلا رفيع الشأن جليلا وهو عيسى عليه الصلاة
والسلام فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتأكيد التعليل وتكميل التسلية وهزي هز الشيء تحريكه الى
الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى
اليك اي الى جهتك والباء في قوله عز وعلا بجذع النخلة صلة للتأكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة الى آخره قال الفراء تقول العرب هزه وهز به وخذ الخطام وخذ بالخطام او لالصاق الفعل بمدخولها اي
افعلي الهز به او هزي الثمرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز اي هزي
اليك الرطب كائنا بجذعها تساقط اي تسقط النخلة عليك اسقاطا متواترا من الاسقاط بالتاء
والياء فتتساقط باظهار التاءين وتساقط بحذف الثانية ويساقط بادغامها في السين بالياء
وبالتاء ويسقط وتسقط من السقوط على ان التاء للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى رطبا على
القراءات الثلاث الاول مفعول وعلى الست الباقية تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له وهو ما قطع قبل
يبسه فعيل بمعنى مفعول اي رطبا مجنيا اي صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اي رطبا طريا وقرئ
جنيا بكسر الجيم للاتباع فكلي واشربي اي من ذلك الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره وقري عينا
وطيبي نفسا وارفضي عنها ما احزنك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما يختلج في صدور المتشبثين
بالاحكام العادية بان ليظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية
ويرشدهم الى الوقوف على سريرة امرك وقرئ بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فان
العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة
الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه فاما ترين من البشر احدا اي آدميا كائنا من كان
وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لما بين الهمزة والياء من التآخي فقولي له ان استنطقك اني
نذرت للرحمن صوما اي صمتا وقد قرئ كذلك او صياما بالسكوت فلن اكلم اليوم انسيا اي بعد ان
اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل امرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال
الفراء العرب تسمي كل ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة
الكلام وانما امرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة والسلام
فانه نص قاطع في قطع الطعن فأتت به قومها اي جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عندما طهرت
من نفاسها تحمله اي حاملة اياه قالوا مؤنبين لها يا مريم لقد جئت اي فعلت شيئا فريا اي
عظيما بديعا منكرا من فرى الجلد اي قطعه او جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب
يا اخت هارون استئناف لتجديد التعيير وتأكيد التوبيخ عنوا به هارون النبي عليه الصلاة والسلام
وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو
رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ما كان

أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا تنبيه على أن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أفحش فأشارت إليه أي إلى عيسى عليه الصلاة والسلام أن كلموه والظاهر أنها حينئذ بينت نذرها وأنها بمعزل من محاورة الإنس حسبما أمرت ففيه دلالة على أن المأمور به بيان نذرها بالإشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به قالوا منكرين لجوابها كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو هاهنا لقريبه خاصة بدليل أنه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه وقيل تامة أو دائمة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه الصلاة والسلام إني عبد الله أنطقه الله عز وجل بذلك أولا تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل المستنطق لعيسى عليه الصلاة والسلام زكريا عليه الصلاة والسلام وعن السدي رضي الله تعالى عنه لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها وروي أنه عليه الصلاة والسلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته فقال ما قال إلخ وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان آتاني الكتاب أي الإنجيل وجعلني نبيا وجعلني مع ذلك مباركا نفاعا معلم الخير والتعبير بلفظ الماضي في الأفعال الثلاثة إما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم أو بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا قيل أكمل الله عقله واستنبأه طفلا أينما كنت أي حيثما كنت وأوصاني بالصلاة أي أمرني بها أمرا مؤكدا والزكاة زكاة المال إن ملكته أو بتطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا في الدنيا وبرا بوالدتي عطف على مباركا أي جعلني برا بها وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به مبالغة أو منصوب بمضمر دل عليه أوصاني أي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة والزكاة والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله لفرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا كما هو على يحيى على أن التعريف للعهد والأظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فإن إثبات جنس السلام لنفسه تعريض بإثبات ضده لأضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى ذلك إشارة إلى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه قول الحق بالنصب على أنه مصدر مؤكد لقال إني عبد الله إلخ وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والإضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة وقيل صفة عيسى أو بدله أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق والقال والقول في معنى واحد الذي فيه يمترون أي يشكون أو يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وقرئ تمترون بالخطاب ما كان لله ما صح وما استقام له تعالى أن يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان أن شأنه تعالى إذا قضى أمرا من الأمور أن تعلق به إرادته فيكون حينئذ بلا تأخير فمن هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وإن الله ربي وربكم فاعبدوه من تمام كلام عيسى عليه الصلاة والسلام قيل هو عطف على قوله إني عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام أي ولأنه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وقيل معطوف على الصلاة هذا أي الذي ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى فاختلف الأحزاب من بينهم لترتيب ما

بعدها على

بعدها على قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فإن ما حكي من مقال عيسى عليه الصلاة والسلام مع كونها نصوصا قاطعة في كونه عبده ورسوله قد اختلف الأحزاب من بينهم فقد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والإفراط أو فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله تعالى وقالت اليعقوبية هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول إيذانا بكفرهم جميعا وإشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم أي من مشهد يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيامة أو من وقت شهوده أو من مكان الشهود فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن يشهد عليهم الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وألسنتهم وآذانهم وأيديهم وأرجلهم وسائر آرابهم بالكفر والفسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وأمه أسمع بهم وأبصر تعجيب من حدة سمعهم وأبصارهم يومئذ ومعناه أن أسماعهم وأبصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء أي يوم القيامة جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا في الدنيا صما عميا أو تهديد لما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الأول في موضع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب لكن الظالمون اليوم أي في الدنيا في ضلال مبين لا يدرك غايته حيث غفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للإيذان بأنهم في ذلك ظالمون لأنفسهم وأنذرهم يوم الحسرة أي يوم يتحسر الناس قاطبة أما المسيء فعلى إساءته وأما المحسن فعلى قلة إحسانه إذ قضي الأمر أي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرح وأهل النار غما إلى غم وإذ بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة فإن المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف وهم في غفلة أي عما يفعل بهم في الآخرة وهم لا يؤمنون وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين أي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالين وما بينهما اعتراض أو من مفعول أنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل إنا نحن نرث الأرض ومن عليها لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك أو نتوفى الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك توفي الوارث لإرثه وإلينا يرجعون أي يردون للجزاء لا إلى غيرنا استقلالا أو اشتراكا واذكر عطف على أنذرهم في الكتاب في السورة أو في القرآن إبراهيم أي اتل على الناس قصته وبلغها إياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ إبراهيم فإنهم ينتمون إليه عليه السلام فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح إنه كان صديقا ملازما للصدق في كل ما يأتي ويذر أو كثير الصدق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته ورسله والجملة استئناف مسوق لتعليل موجب الأمر فإن وصفه عليه الصلاة والسلام بذلك من دواعي ذكره نبيا خبر آخر لكان مقيد للأول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الآية أي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فإن كل نبي صديق إذ قال بدل اشتمال من إبراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله أو متعلق بكان أو بنبيا وتعليق الذكر بالأوقات مع أن المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا أي كان جامعا بين الأمرين حين قال لأبيه آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا أبت أي يا أبي فإن التاء عوض من ياء الإضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا أبتا لكون الألف بدلا من الياء

لم تعبد ما لا يسمع ثناءك عليه عند عبادتك له وجؤارك **ولا يبصر** خضوعك وخشوعك بين يديه أو لا يسمع ولا يبصر شيئاً من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولاً أولياً **ولا يغني** أي لا يقدر على أن يغني **عنك شيئاً** في جلب نفع أو دفع ضر ولقد سلك عليه الصلاة والسلام في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته التي هي غاية التعظيم مع أنها لا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حياً مميزاً سميعاً بصيراً قادراً على النفع والضر مطيقاً لإيصال الخير والشر لكن كان ممكناً لاستنكف العقل السليم عن عبادته وإن كان أشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة فما ظنك بجماد مصنوع من حجر أو شجر ليس له من أوصاف الأحياء عين ولا أثر ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه إلى الحق المبين لما أنه لم يكن محظوظاً من العلم الإلهي مستقلاً بالنظر السوي مصدراً لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف قال **يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك** ولم يسم أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك بل أبرز نفسه في صورة رفيق له يكون أعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال **فاتبعني أهدك صراطاً سوياً** أي مستقيماً موصلاً إلى أسنى المطالب منجياً من الضلال المؤدي إلى مهاوي الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان أنه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان لما أنه الآمر به فقال **يا أبت لا تعبد الشيطان** فإن عبادتك الأصنام عبادة له إذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها **إن الشيطان كان للرحمن عصياً** تعليل لموجب النهي وتأكيد له ببيان أنه مستعص على ربك الذي أنعم عليك بفنون النعم ولا ريب في أن المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بأن يسترد منه النعم وينتقم منه وللإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين جناياته لأنها ملاكها أو لأنه نتيجة معاداته لآدم عليه الصلاة والسلام وذريته فتذكيره داع لأبيه إلى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لإظهار كمال شناعة عصيانه وقوله **يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن** تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وإظهار الرحمن للإشعار بأن وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم **فتكون للشيطان ولياً** أي قريناً له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وإبراز الاعتناء بأمره **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا قال أبوه عندما سمع منه عليه الصلاة والسلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصراً على عناده **أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم** أي معرض ومنصرف أنت عنها بتوجيه الإنكار إلى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلاً عن ترغيب الغير فيها وقوله تعالى **لئن لم تنته لأرجمنك** تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير أي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لأرجمنك بالحجارة وقيل باللسان **واهجرني** أي فاحذرني واتركني **ملياً** أي زماناً طويلاً أو ملياً بالذهاب مطيقاً به **قال** استئناف كما سبق **سلام عليك** توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه بعد ولا أشافهك بما يؤذيك ولكن **سأستغفر لك ربي** أي أستدعيه أن يغفر لك بأن يوفقك للتوبة ويهديك إلى الإيمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لأبي بقوله تعالى إنه كان من الضالين والاستغفار

بهذا المعنى

بهذا المعنى للكافر قبل تبين أنه يموت على الكفر مما لا ريب فيه في جوازه وإنما المحذور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فإنه مما لا مساغ له عقلاً ولا نقلاً وأما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا تأباه قضية العقل وإنما الذي يمنعه السمع ألا يرى إلى أنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي طالب لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في أن هذا الوعد من إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكذا قوله لأستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لأبي الآية إنما كان قبل انقطاع رجائه عن إيمانه لعدم تبين أمره لقوله تعالى فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما حقق في تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك لا لعدم جوازه ولكن لأن الاتحاد كان قبل ورود النهي أصلاً أو عن موعدة وعدها إياه كما قيل لما أن النهي إنما ورد في شأن الاستغفار بعد تبين الأمر وقد كان استغفاره عليه الصلاة والسلام قبل التبين فلم يتناوله النهي أصلاً وأن الوعد بالمحظور لا يرفع حظره بل لأن المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لورود الوعيد على الإعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فإن استثناؤه عن ذلك إنما يفيد عدم وجوب استدعاء الإيمان للكافر المرجو إيمانه لا سيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتوهم فيه أحد من العقلاء وأما عدم جوازه فلا تنبيه على الأمر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعاً وتوجيه الاستثناء إلى العدة بالاستغفار لا إلى نفس الاستغفار بقوله واغفر لأبي الآية لأنها كانت هي الحاملة له عليه الصلاة والسلام وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها على طريق التأكيد القسمي وأما جعل الاستغفار دائراً عليها وترتيب النهي على تبين الأمر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى **إنه كان بي حفياً** أي بليغاً في البر والإلطاف تعليل لمضمون ما قبله **وأعتزلكم** أي أتباعد عنك وعن قومك **وما تدعون من دون الله** بالمهاجرة بديني حيث لم يؤثر فيكم نصائحي **وأدعو ربي** أعبده وحده وقد جوز أن يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد أن يراد به استدعاء الولد أيضاً بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السياق والسباق **عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً** أي خائباً ضائع السعي وفيه تعريض بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من إظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب والتنبيه على حقيقة الحق من أن الإجابة والإثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وأن العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله** بالمهاجرة إلى الشام **وهبنا له إسحاق ويعقوب** بدل من فارقهم من أقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فإن المشهور أن أول من وهب له حينئذ إسماعيل عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم إثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي أعطاها الله تعالى إياه بمقابلة من اعتزلهم من الأهل والأقرباء فإنهما شجرتا الأنبياء لهما أولاد وأحفاد أولو شأن خطير وذوو عدد كثير وقد روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قصد الشام أتى أولاً حران وتزوج بسارة وولدت له إسحاق وولد لإسحاق يعقوب والأول هو الأقرب الأظهر **وكلاً** أي وكل واحد منهما أو منهم وهو مفعول أول لقوله تعالى **جعلنا نبياً** قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة إلى من عداهم بل بالنسبة إلى بعضهم أي كل واحد منهم جعلنا نبياً لا بعضهم دون بعض **ووهبنا لهم من رحمتنا** هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم أنبياء للإيذان بأنها من باب الرحمة وقيل هي المال والأولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والأظهر أنها عامة لكل خير ديني ودنيوي أوتوه مما لم يؤت أحد من العالمين **وجعلنا لهم لسان صدق علياً** يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي

لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل **واذكر في الكتاب موسى** قدم ذكره على ذكر اسمعيل عليه الصلوة والسلام لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليهما الصلوة والسلام **انه كان مخلصا** موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا بالفتح على ان الله اخلصه **وكان رسولا نبيا** ارسله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى **وناديناه من جانب الطور الايمن** الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه الصلوة والسلام او من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة **وقربناه نجيا** تقريب تشريف مثل حاله عليه الصلوة والسلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه اي قربناه وقيل مرتفعا لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم **ووهبنا له من رحمتنا** اي من اجل رأفتنا ورحمتنا او بعض رحمتنا **اخاه** اي معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي لا نفسه لانه اكبر منه عليهما الصلوة والسلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى **هارون** عطف بيان له وقوله تعالى **نبيا** حال منه **واذكر في الكتاب اسمعيل** قيل اخر ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى **انه كان صادق الوعد** تعليل لموجب الامر وايراده عليه الصلوة والسلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى **وكان رسولا نبيا** فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم عليهم الصلوة والسلام كانوا على شريعته **وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة** اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم الصلوة والسلام اباء الامم **وكان عند ربه مرضيا** لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة **واذكر في الكتاب ادريس** وهو سبط شيث وجد ابي نوح فانه نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليهم الصلوة والسلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب **انه كان صديقا** ملازما للصدق في جميع احواله **نبيا** خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا **ورفعناه مكانا عليا** هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روي عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه الصلوة والسلام انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب قد مشيت فيها يوما فقد اصابني منها ما اصابني فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فيه فقال ان عبدي ادريس سألني ان اخفف عنك حرها وحملها فاجبته قال يا رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله له فرفعه الى السماء **اولئك** اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو

رتبتهم وبعد

رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى **الذين انعم الله عليهم** صفته اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى **من النبيين** بيان للموصول وقوله تعالى **من ذرية آدم** بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية **وممن حملنا مع نوح** اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم من عدا ادريس عليه الصلوة والسلام فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح **ومن ذرية ابراهيم** وهم الباقون **واسرائيل** عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية **وممن هدينا واجتبينا** اي ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى **اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا** خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئنافا مسوقا لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين عن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر لمجانسة الياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التانيث غير حقيقي وقرئ بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق بآيتها فهاهنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المتكبرين عن امرك **فخلف من بعدهم خلف** يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون اي فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء **اضاعوا الصلوة** تركوها او اخروها عن وقتها **واتبعوا الشهوات** من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور **فسوف يلقون غيا** اي شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء آثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى **الا من تاب وآمن وعمل صالحا** يدل على ان الآية في حق الكفرة **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا اي فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح **يدخلون الجنة** بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول **ولا يظلمون شيئا** اي لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم **جنات عدن** بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي تلك جنات الخ او مبتدأ خبره التي وعد الخ وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلام لمعاني الفينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس فجرى لذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بل وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى **التي وعد الرحمن عباده** وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى **بالغيب**

متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد إلى الجنات او من عباده اي وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين
بالغيب اي غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار اي بعصمته بسبب
الوعد اي وعدها اياهم بسبب ايمانهم **انه كان وعده** اي موعده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات دخولا
اوليا وما كانت هي شأنه تنزح اليها قيل **مأتيا** اي يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول
بمعنى فاعل وقيل مأتيا اي مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا اي فعله **لا يسمعون فيها لغوا** اي فضول
كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب
عنه في هذه الدار ما امكن **الا سلاما** استثناء منقطع اي لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم
على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اي لا يسمعون لغوا ما الا سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا
استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان
معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى **ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا** وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره
والا فليس فيها بكرة ولا عشي **تلك الجنة** مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين اهلها فان
ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها **التي نورث** اي نورثها **من عبادنا
من كان تقيا** اي نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة
اقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل
نورث المتقين من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورثها بالتشديد
وما نتنزل الا بأمر ربك حكاية لقول جبريل عليه الصلاة والسلام حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما سئل عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه اربعين
يوما او خمسة عشر يوما فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان
ذلك وانزل الله عز وجل هذه الآية وسورة والضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع للتنزيل
وقد يطلق بمعنى النزول على الاطلاق والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بأمر الله تعالى على ما تقتضيه
حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي **له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك** وهو ما نحن
فيه من الاماكن والازمنة وما ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بأمره ومشيئته
وما كان ربك نسيا اي تاركا لك يعني ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن
لتركه تعالى اياك وتوديعه لك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا
الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الآية حكاية لقول المتقين
حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة الا بأمر الله
تعالى ولطفه وهو مالك الامور سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله
تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم
من الثواب عليها وقوله تعالى **رب السموات والارض وما بينهما** بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان
من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحة سبحاته الغفلة والنسيان وهو خبر
مبتدأ محذوف او بدل من ربك والفاء في قوله تعالى **فاعبده واصطبر لعبادته** لترتيب ما بعدها من موجب
الامرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له او غافل عنه
عليه الصلاة والسلام اي غير ناس لاعمال العاملين والمعنى فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة
فاعبده الى آخره فان ايجاب معرفته لذلك لعبادته مما لا ريب فيه او حين عرفت انه تعالى لا ينساك ولا

ينسي اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء
الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء
كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك
للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته **هل تعلم له سميا** السمي هو الشريك في
الاسم والظاهر ان يراد به الشريك في اسم خاص قد عبر به عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما
بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه على ابلغ وجه وآكده فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة
لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير
بالكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم
بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى
بالاستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة حينئذ باعتبار
ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر **ويقول الانسان** المراد به اما الجنس باسره
واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقل الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد
منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث
بعد ما نموت ونصير الى هذه الحالة اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد **أئذا ما مت لسوف اخرج حيا**
اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة
وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هاهنا مخلصة للتوكيد مجردة
عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا
ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر **أولا يذكر الانسان** من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار
في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شؤون
التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة
للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اي أيقول ذلك ولا يذكر **انا
خلقناه من قبل** اي من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه **ولم يك شيئا** اي والحال انه لم
يك حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من
الوقوع فلأن نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له
لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل **فوربك** اقسام باسمه عز وجل
مضافا الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتحقيق الامر بالاشعار بعليته وتفخيم شأنه عليه
الصلاة والسلام ورفع منزلته **لنحشرنهم** اي القائلين بالسوق الى المحشر بعدما اخرجناهم من الارض
احياء وفيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه وآكده كأنه امر واضح غني عن التصريح به
وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال **والشياطين** معطوف على الضمير المنصوب او مفعول
معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في
سلسلة وهو وان كان مخصوصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة
مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده
ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا
وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب
وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثى اذا قعد على ركبتيه واصله جثوو بواوين فاستثقل

اجتماعهما بعد ضمتين تكسير بالثاء فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت
واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما
بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين ثمة
على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان
اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان
كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة لاهانتهم او لعجزهم
عن القيام لما اعتراهم من الشدة **ثم لننزعن من كل شيعة** اي من كل امة شاعت دينا من الاديان
ايهم اشد على الرحمن عتيا اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه
على انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة
منهم اعصاهم واعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب وندخل كلا منهم طبقتها اللائقة
به وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل
وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه وهو منصوب المحل بننزعن
ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية
والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها الفعل لتضمنه معنى
التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى
لننزعن بعض كل شيعة لقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كان سائلا
قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله تعالى **ثم لنحن اعلم بالذين
هم اولى بها صليا** اي هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد
بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي
كالعتي صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد **وان منكم** التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون
الكلام وقيل هو خطاب للناس **الا واردها** اي واصلها وحاضرونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة
فتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه الصلاة والسلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة
قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما
قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط
الممدود عليها **كان على ربك حتما مقضيا** اي كان ورودهم اياها امرا محتوما اوجبه الله عز
وجل وقضى انه لابد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه **ثم ننجي الذين اتقوا** الكفر والمعاصي
بما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون الى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف
وينجي وينجى على البناء للمفعول وقرئ ثمه بفتح الثاء اي هناك ننجيهم **ونذر الظالمين** بالكفر
والمعاصي **فيها جثيا** منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان
المؤمنين يفارقون الكفرة بعد تجاثيهم حولها وتلقي الكفرة فيها على هيئاتهم وقوله تعالى **واذا تتلى
عليهم اياتنا** الاية الخ حكاية لما قالوا عند سماع الايات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة
مالهم اي واذا تتلى على المشركين اياتنا التي من جملتها هاتيك الايات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء
حال الكفرة وقوله تعالى **بينات** اي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى
الله عليه وسلم او بينات الاعجاز حال مؤكدة من اياتنا **قال الذين كفروا** اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير
للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا

على العتو

على العتو والعناد وهم النضر بن الحارث واتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى **للذين
امنوا** لتجلي ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاولى لان قولهم ليس في حق المؤمنين
فقط كما ينطق به قوله تعالى **اي الفريقين** اي المؤمنين والكافرين كانهم قالوا اينا **خير** نحن او انتم
مقاما اي مكانا وقرئ بضم الميم اي موضع اقامة ومنزل **واحسن نديا** اي مجلسا ومجتمعا
يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يفتخرون
ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك ان خيريتهم حالا واحسنيتهم منالا مما لا يقبل الانكار
وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم لديه اذ هو المعيار على الفضل والنقصان
والرفعة والضعة وان من ضرورته لهوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس
العقيم والراي السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم
ذلك من جهته تعالى بقوله **وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا** اي كثيرا من القرون
التي كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء
اهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما اتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد
ما لا يخفى كانه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل
عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن
اثاثا ورئيا في حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه
والخرثي ما لبس منه ورث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرئ ريا على
قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من الري وهو النعمة والترفه وقرئ ريا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا
بالزاي اي الهيئة من الزي وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة **قل من كان في الضلالة فليمدد له
الرحمن مدا** لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل الفريقين اما على وجه
كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذات الفانية المبتهجين بها على ان من على عمومها واما على وجه
خاص بهم على انها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لذمهم والاشعار بعلة الحكم اي من كان مستقرا في
الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور **فليمدد له الرحمن مدا** اي يمد له ويمهله
بطول العمر واعطاء المال والتمكين من التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما ينبغي
ان يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او
للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس
واعتبار الاستقرار في الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل
والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى **حتى اذا راوا ما يوعدون**
غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الظاهر الذاتي وهو ظاهر ولا باستمرار
بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما ان الافراد في
الضميرين الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى **اما العذاب واما الساعة** تفصيل للموعود فانه
اما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة
وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب الاخروي لا ينفك عنهم
بحال وقوله تعالى **فسيعلمون** جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى اي حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب
الدنيوي او الاخروي فقط فسيعلمون حينئذ **من هو شر مكانا** من الفريقين بان يشاهدوا الامر

على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكانا لا خير مقاما وأضعف جندا أي فئة وأنصارا
لا أحسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد أن له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون
الله وما كان منتصرا وإنما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون أن لهم أعوانا من الأعيان وأنصارا من الأخيار
ويفتخرون بذلك في الأندية والمحافل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى كلام مستأنف سيق
لبيان حال المهتدين إثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لأنه في معنى الخبر حسبما
عرفته كأنه قيل من كان في الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا
زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحيوة
ليس لفضله عقب ذلك ببيان أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأنه تعالى أراد به ما هو خير من
ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات خير على تقديري الاستيناف والعطف كلام مستأنف
وارد من جهته تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى عند ربك
أي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها من جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قوله
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميره للتشريف صلى الله عليه وسلم ثوابا أي عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي
يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الأليم كما أشير إليه
بقوله تعالى وخير مردا أي مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيدها
وفي التفضيل مع أن ما للكفرة بمعزل من أن يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم أفرأيت الذي كفر بآياتنا
أي بآياتنا التي من جملتها آيات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن الأرت عليه مال فتقاضاه فقال
لا حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لا والله لا أكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فإذا بعثت
جئتني فيكون لي ثمة مال وولد فأعطيك وفي رواية قال لا أكفر به حتى يميتك ثم تبعث فقال إني
لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك فنزلت والهمزة
للتعجيب من حاله والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين
ألم تر وأرأيت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجيب بأن الأول يتعلق بنفس المتعجب منه فيقال ألم تر
إلى الذي صنع كذا بمعنى انظر إليه فتعجب من حاله والثاني يتعلق بمثل المتعجب منه فيقال أرأيت مثل الذي صنع كذا
بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه أشياء وكأنه ذهب عليه قوله عز وجل
أرأيت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة
التي حقها أن يؤمن بها كل من يشاهدها وقال مستهزئا بها مصدرا لكلامه باليمين الفاجرة والله لأوتين
في الآخرة مالا وولدا أي انظر إليه فتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه
جزالة النظم الكريم وقد قيل إن أرأيت بمعنى أخبر والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث
أولئك الذين قالوا أي الفريقين خير مقاما الآية وأنت خبير بأن المشهور استعمال أرأيت الذي في معنى أخبرني
بطريق الاستفهام جاريا على أصله أو مخرجا إلى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الأمر بالإخبار لغيره وقرئ
ولدا على أنه جمع ولد كأسد جمع أسد أو على أنه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى أطلع الغيب رد
لكلمته الشنعاء وإظهار لبطلانها إثر ما أشير إليه بالتعجيب منها أي أقد بلغ من عظمة الشأن إلى أن ارتقى
إلى علم الغيب الذي استأثر به العليم الخبير حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا وأقسم عليه أم اتخذ
عند الرحمن عهدا بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية
للإشعار بعلية الرحمة لإيتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فإن وعده تعالى بالثواب عليهما

كالمعهد

كالمعهد وهذه المحاورة مع اللعين حسب منطوق مقاله كما أن الكلام الأول بحسب مآله كذلك وقوله تعالى
كلا ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه سنكتب ما يقول أي سنظهر أنا كتبنا قوله
كقوله إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي يتبين أني لم تلدني لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب
جريمة الجاني وحفظها عليه فإن نفس الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله عز وجل ما يلفظ من قول إلا لديه
رقيب عتيد فمبنى الأول تنزيل إظهار الشيء الخفي منزلة إحداث الأمر المعدوم بجامع أن كلا منهما إخراج من
الكمون إلى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه إظهار الكتابة على رؤوس الأشهاد بإحداثها
ومدار الثاني تسمية المنفي باسم سببه فإن كتبة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ونمد له من العذاب
مدا مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد أي نطول له من العذاب ما يستحقه أو نزيد عذابه
ونضاعف له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه بآياته العظام ولذلك أكد بالمصدر دلالة على فرط
الغضب ونرثه بموته ما يقول أي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما أوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه إيذان
بأنه ليس لما يقول مصداق موجود سوى ما ذكر أي ننزع عنه ما آتيناه ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه
مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا أن يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه
من يستحقه ويأباه معنى الإرث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى إنما يقول هذا
القول ما دام حيا فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وأنت خبير
بأن ذلك مبني على صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وأنه مستمر على التفوه به راج لوقوع
مضمونه ولا ريب في أن ذلك مستحيل ممن يكفر بالبعث وإنما قال ما قال بطريق الاستهزاء لتعليل ادعائه
بالمحال واتخذوا من دون الله آلهة حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون مترتبة
عليها إثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها لنقيض مضمونها أي اتخذوا الأصنام آلهة متجاوزين
الله تعالى ليكونوا لهم عزا أي ليتعززوا بهم بأن يكونوا لهم وصلة إليه عز وجل وشفعاء عنده
كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وإنكار لوقوع ما علقوا به أطماعهم الفارغة سيكفرون بعبادتهم
أي ستجحد الآلهة بعبادتهم إياها بأن ينطقها الله تعالى فتقول ما عبدتمونا أو سيكفر الكفرة حين شاهدوا
سوء عاقبة كفرهم بعبادتهم إياها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى ويكونون
عليهم ضدا على الأول تكون الآلهة التي كانوا يرجون أن تكون لهم عزا ضد العز أي ذلا وهوانا أو تكون
عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم أو حيث كانت عبادتهم لها سببا للعذاب
وإطلاق الضد على العون لما أن عون الرجل يضاد عدوه وينافيه بإعانته له عليه وعلى الثاني تكون الكفرة
ضدا وأعداء للآلهة كافرين بها بعد أن كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لوحدة
المعنى الذي عليه تضادهم فإنهم بذلك كشيء واحد كما في قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم
وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الألف نونا في الوقف قلب ألف الإطلاق في قوله أقل
اللوم عاذل والعتابن وقولي إن أصبت لقد أصابن أو على معنى كل هذا الرأي كلا وقرئ كلا
على إضمار فعل يفسره ما بعده أي سيجحدون كلا سيكفرون إلخ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين
على الكافرين تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة وحكت عن
هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الأقاويل والأفاعيل والتمادي في الغي
والانهماك في الضلال والإفراط في العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم
والإجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على أن جميع ذلك منهم
بإضلال الشياطين وإغوائهم لا لأن له مسوغا ما في الجملة ومعنى إرسال الشياطين عليهم إما

تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم فليس المراد تعجيبه عليه الصلوة
والسلام من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها
من آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم ازا فانها اما حال مقدرة من
الشياطين او استيناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا تفعل الشياطين
بهم حينئذ فقيل تؤزهم اي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بانواع الوساوس
والتسويلات فان الاز والهز والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج فلا تعجل عليهم
اي بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الارض عن فسادهم
والفاء للاشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي كما في قوله تعالى
انما نعد لهم عدا تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم اي لا تستعجل بهلاكهم فانهم
لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدا يوم نحشر المتقين منصوب على الظرف بفعل مؤخر
قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والدواهي
العامة كأنه قيل يوم نحشر المتقين اي نجمعهم الى الرحمن اي الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة
وفدا وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين
كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا للعطش او كالدواب
التي ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية
بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر لهم بطريق الترغيب يوم نحشر الى آخره
وقيل على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة والذي يقتضيه مقام التهويل وتستدعيه
جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استئنافا مبينا لبعض ما فيه
من الامور الدالة على هوله وضمير يملكون للعباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما
وقيل للمتقين خاصة وقيل للمجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة على الاولين
مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث يجوز ان يكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله تعالى الا من
اتخذ عند الرحمن عهدا على الاول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع
على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد
له بالتحلي بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به
فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدي الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء
من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اي لا يملك
المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء
من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم
الا من كان منهم مسلما وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من
العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية عبدة الاصنام بطريق عطف
القصة على القصة وقوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها
بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل
عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والاد بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة
وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي اي فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء
واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى تكاد السموات الى آخره صفة لادا

اواستيناف

اواستيناف لبيان عظم شانه في الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير يتفطرن منه
يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع
فعّل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض اي وكادت تنشق الارض
وتخر الجبال اي تسقط وتتهدم وقوله تعالى هدا مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال اي
تهد هدا او مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير المصدر لانه بمعنى تتهدم فان الخرور
كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية اي مهدودة او مفعول
له اي لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت
بصورة محسوسة لم تتحملها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة
لغضب لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها ان
دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او بتخر او بهدا اي تكاد السموات
يتفطرن وتنشق الارض وتخر الجبال لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهدا وقيل
مجرور بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدأ محذوف
اي الموجب لذلك ان دعوا الى آخره وقيل فاعل هدا اي هدها دعاء الولد والاول هو الاولى ودعوا من دعا
بمعنى سمّى المتعدي الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب
الذي مطاوعه ادعى الى فلان اي انتسب اليه وقوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا حال من
فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اي قالوا اتخذ الرحمن ولدا او دعوا
للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به سبحانه اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته في نفسه ووضع
الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يليق بمن
هو مبدأ النعم ومولي اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح به قوله عز وجل ان
كل من في السموات والارض اي ما منهم من احد من الملائكة والثقلين الا آتي الرحمن عبدا الا وهو
مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم اي حصرهم
واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته وعدهم عدا
اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيامة فردا
اي كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم
لذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل يأتيه فاذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فاني يتوهم
احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولدا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب
ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين سيجعل لهم الرحمن ودا اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير
تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من آثارها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل عليه الصلوة والسلام اني احب فلانا فاحبه
فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض
والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجز حين دجا الاسلام او
لان الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في
الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيامة من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ
تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن فانما يسرناه اي القرآن بلسانك بان انزلناه على لغتك والباء
بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال اي يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل امر ينساق

الى النظم الكريم كانه قيل بعد ايحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك
العربي المبين **لتبشر به المتقين** اى الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهي **وتنذر
به قوما لدا** لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى
وكم اهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه
السلام على الانذار اى قرنا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى **هل تحس منهم من احد** استئناف
مقرر لمضمون ما قبله اى هل تشعر باحد منهم وترى **او تسمع لهم ركزا** اى صوتا خفيا واصل التركيب هو
الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون والمخفي والمعنى اهلكناهم بالكلية
واستاصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء
عليهم الصلوة والسلام المذكورين فيها وبعدد من دعى لله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله عز وجل

[illegible]

طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل
وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهو من الفواتح التي يصدر بها السور الكريمة
وعليه جمهور المفسرين وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير
وقتادة وعكرمة والكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند
عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قال ان صح فلعل اصله
يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا وما استشهد به من قول الشاعر ان السفاهة
طه من خلائقكم لا قدس الله الخلاق اللعين ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد
جوز ان يكون الاصل طأ امرا من الوطء فقلبت الهمزة في يطأ الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال
لا هناك المرتع وها ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه
لما كان يقوم في تهجده على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه كتابتهما على صورة الحرف كما يأباه التفسير
بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه على
ان اصله طأ فقلبت همزته هاء كما في هياك وارقت او قلبت الهمزة في يطا الفا كما مر ثم بني عليه الامر
والحق بها هاء السكت واما انه اكتفى في التلفظ بشطري الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة على المسميين
فمع انه لا ساعده الى الان يعلمه وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما
والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان للاسمين بل من حيث انهما جزآن لهما وقد كنى
بذكرهما عن ذكرهما وذلك ومع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد بهما في الموضعين الشطران
من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزآن للاسمين ويراد باسميهما الشطران من حيث هما قائمان مقام
الاسمين فالمعنى اكتفى في التلفظ بشطري الكلمتين اي الاسمين فعبر عنهما اي عن الشطرين من حيث هما قائمان
مقام الاسمين واما فعل انه اكتفى في الكتابة بشطري الكلمتين تعويضا على تقدير كونه اسما وكونه حرف
نداء وها على تقدير كونها كناية عن الارض وكونها حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين في التلفظ باسميهما
فبين البطلان كيف لا وهما على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول منهما
وحرف نداء والثاني ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابتهما على صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف
المعجم كما مر فالحق ما سلف من انهما من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع

سورة البقرة

سورة البقرة فلتحملها من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله تعالى **ما انزلنا عليك القرآن لتشقى** فانه
استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقاء
شائع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب بالمكابدة المبالغة في
مكابدة الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التاسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا
لقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الاية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم
يؤمنوا به بعد ذلك او لصرفه عليه الصلوة والسلام عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة كما روى
انه عليه الصلوة والسلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه الصلوة
والسلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك
وتحملها على الرياضات الشاقة والشدائد الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل
ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك شقي حيث تركت دين
ابائك وان القرآن نزل عليك لتشقى فرد ذلك بانا ما انزلناه عليك لما قالوا ولا وجه لذلك
كما يشهد به الاستثناء الآتي فتدبر واما اسم القرآن محل الرفع على انه مبتدأ ما بعده خبره والجملة
ظاهرا وفي موقع العائد الى المبتدأ كما في قوله القرآن ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار
فعل القسم والجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة
ايضا خلافا للوجه الاول فانه لا يتاتى على ذلك التقدير لكن لا لان المبتدأ حينئذ يبقى بلا عائد ولا
قائم مقامه فان القرآن صادق على السورة لا محالة انما الطريق الاتحاد بان يراد به القدر المشترك
بين الكل والبعض وباعتبار الاندراج ان يراد به الكل الاول نفي كون انزال الكل للشقاء يستدعي سبق وقوع
الشقاء مترتبا على انزاله قطعا انما بحسب الحقيقة كما اذا اريد به مطلق التعب او بحسب زعم
الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما يتصور في انزال ما انزل من قبل واما انزال
السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه عنه اما باعتبار
الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان ما يلزم ان يقال هذه السورة ما انزلنا القرآن المشتمل
على التشقي ولا يخفى ان جعلها لكل القرآن مع ان بيان انها لا تحمل الا انزالها في الشقاء السابق لصك كما لا يليق
بشأن التنزيل الجليل وقوله تعالى **الا تذكرة** نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه
معلل بالشقاء على معنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه الا تذكرة الاية كقولك ما ضربتك
للتاديب الا اشفاقا لما انه يجب فيما له ان تكون بين العلتين مناسبة بالسببية والمسببية
حتما كما في المثال المذكور فان قولك ما شافهتك بالسوء لتتاذى الا لترحم الغير لكن فان التاديب في الاول
سبب لهذا الاشفاق والتاذي في الثاني سبب لرحم الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة
من التنافي ولا يجدي ان يراد به التعب في الجملة الجامع للتذكرة لظهور ان لا مناسبة بينهما بما ذكر من
السببية والمسببية وان لا يتصور بدلية لان او قيل مكان الا تذكرة الا تكثيرا للثواب فان الاجر على قدر
التعب ولا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة بين البدلين
وقد عرفت حالها بل من حيث انه معطوف على محله المعنى بعد نفيه بطريق الاستئناف المستدرك
المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة **لمن
يخشى** وقد وجد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اي لمن شانه ان يخشى الله عز وجل
ويتاثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها
بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى **تنزيلا** مصدر مؤكد لمضمر مستأنف

مقرونا قبله أي نزل تنزيلا أو لما تفيده الجملة الاستثنائية فإنها متضمنة لأن يقال أنزلناه للتذكرة والأول هو الأنسب بما بعده من الالتفات ومنصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية أي يخشى تنزيل من الله تعالى وأنت خبير بأن تعليق الخشية بالتنزيل ونطاقها إنما يتأتى إذا نزل بعد وقد تعلقت ببعض آيات مشتملة على الوعيد ونظائرها كما في قوله تعالى يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على أنه مفعول له لأنزلنا لعدم تقييده بالقيد الأول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيل على أنه خبر مبتدأ محذوف ومن في قوله تعالى **ممن خلق الأرض والسموات العلى** متعلقة بتنزيلا أو بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية ونسبة التنزيل إلى الموصول بطريق الالتفات إلى الغيبة بعد نسبته إلى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الأفعال والصفات إثر بيانها بحسب الذات بطريق الإبهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع أن المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى له ما في السموات وما في الأرض الآية لأصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الأرض لكونها أقرب إلى الحس وأظهر عنده ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تأنيث الأعلى لتأكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك إلى قوله تعالى له الأسماء الحسنى مسوق لتعظيم شأن المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي إلى تربية المهابة وإدخال الروعة المؤدية إلى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية المفضية إلى التذكر والإيمان **الرحمن** رفع على المدح أي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة أن المرفوع مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وإن لم يكن في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على أنه صفة صريحة للموصول وما قيل من أن الأسماء الناقصة لا يوصف منها إلا الذي وحده مذهب الكوفيين وأياما كان فوصفه بالرحمانية إثر وصفه بخالقية السموات والأرض للإشعار بأن خلقهما من آثار رحمته تعالى كما أن قوله تعالى بطريق الرحمة وفيه إشارة إلى أن تنزيل القرآن أيضا من أحكام رحمته كما ينبئ عنه قوله تعالى رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن للإيذان بأن ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه إشارة إلى أن تنزيل القرآن أيضا من أحكام رحمته كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القرآن أو رفع على الابتداء واللام للعهد والإشارة إلى الموصول والخبر قوله تعالى **على العرش استوى** وجعل الرحمن عنوان الموضوع الذي شأنه أن يكون معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للإيذان بأن ذلك أمر بين لا سترة به غني عن الإخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى وقدم عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الأول خبر مبتدأ محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز أن يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وإن لم يقعد على السرير أصلا والمراد بيان تعلق إرادته الشريفة بإيجاد الكائنات وتدبير أمرها وقوله تعالى **له ما في السموات وما في الأرض** سواء كان ذلك بالجزئية منهما أو بالحلول فيهما **وما بينهما** من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء والسحاب أو أكثريا كالطير أي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ما ذكر ملكا وتصرفا وإحياء وإماتة وإيجادا وإعداما **وما تحت الثرى** أي ما واراه الثرى وذكره مع دخوله تحت ما في الأرض لزيادة التقرير عن محمد بن كعب أنه ما تحت الأرضين السبع وعن السدي أن الثرى هي الصخرة التي عليها الأرض السابعة **وإن تجهر بالقول** بيان لإحاطة علمه تعالى بجميع الأشياء إثر بيان سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات أي وإن تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم أنه تعالى غني عن جهرك **فإنه يعلم السر وأخفى** أي ما أسررته إلى غيرك وشيئا أخفى من ذلك وهو ما أخطرته

ببالك

ببالك من غير أن تتفوه به أصلا أو ما أسررته لنفسك وأخفى منه وهو ما ستسره فيها فيما سيأتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا إما نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول وإما إرشاد للعباد إلى أن الجهر ليس لإسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى **الله** خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان أن ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق أي ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى **لا إله إلا هو** تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الألوهية به سبحانه فإن ما أسند إليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى **له الأسماء الحسنى** بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية أسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فإنه روي أن المشركين حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر والحسنى تأنيث الأحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمآرب أخرى وآياتنا الكبرى **وهل أتاك حديث موسى** استئناف مسوق لتقرير أمر التوحيد الذي انتهى إليه مساق الحديث وبيان أنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه الصلاة والسلام حيث قيل له إنني أنا الله لا إله إلا أنا وبه ختم النبي صلى الله عليه وسلم مقاله حيث قال إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وأما ما قيل من أن ذلك لترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الائتساء بموسى عليه الصلاة والسلام في تحمل أعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ أحكام الرسالة فيأباه أن مساق النظم الكريم لصرفه عليه الصلاة والسلام عن اقتحام المشاق وقوله تعالى **إذ رأى نارا** ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر أي حين رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم أي اذكر وقت رؤيته نارا روي أنه عليه الصلاة والسلام استأذن شعيبا عليه الصلاة والسلام في الخروج إلى أمه وأخيه فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ابن في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك إذ رأى نارا على يسار الطريق من جانب الطور **فقال لأهله امكثوا** أي أقيموا مكانكم أمرهم عليه الصلاة والسلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب إلى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا إلى موضع آخر فإنه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمرأة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع إما لظاهر لفظ الأهل أو للتفخيم كما في قول من قال وإن شئت حرمت النساء سواكم **إني آنست نارا** أي أبصرتها إبصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الإيناس خاص بإبصار ما يؤنس به والجملة تعليل للأمر والمأمور به **لعلي آتيكم منها** أي أجيئكم من النار **بقبس** بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المرادة بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب القبس **أو أجد على النار هدى** هاديا يدلني على الطريق على أنه مصدر سمي به الفاعل مبالغة أو حذف منه المضاف أي ذا هداية على أنه إذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهديني إلى أبواب الدين فإن أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية في عامة أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والأول هو الأظهر لأن مساق النظم الكريم للتسلية لأهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة الآية وكلمة أو في الموضعين لمنع الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها أو لأنهم عند الاصطلاء يكتنفونها قياما

وقعودا فيشرفون عليها فلما كان الاتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة
الترجي وهي معمولة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار
وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم اي فاذهب اليها لآتيكم او كي آتيكم او راجيا ان آتيكم منها بقبس الآية
قد مر تحقيق ذلك مفصلا في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون **فلما أتاها** اي النار التي آنسها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما راى شجرة خضراء
اطافت بها من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوء ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها
وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها قيل النار اربعة
اصناف صنف تاكل ولا تشرب وهي نار الدنيا وصنف تشرب ولا تاكل وهي نار الشجر الاخضر وصنف
تاكل وتشرب وهي نار جهنم وصنف لا تاكل ولا تشرب وهي نار موسى عليه الصلاة والسلام وقالوا
ايضا هي اربعة انواع نوع له نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار
ونوع له نور بلا احراق وهي نار موسى عليه الصلاة والسلام ونوع له احراق بلا نور وهي نار الجحيم
روي ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة **نودي يا موسى** اي نودي فقيل يا موسى **إني انا
ربك** او عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتاكيد
الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال عليه الصلاة والسلام
من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس فسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام
الله تعالى فاني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قلت وذلك لان سماع ما ليس من شانه ذلك
من الاعضاء ليس الا من آثار الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه الصلاة والسلام كلام
رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص
بعضو وجهة **فاخلع نعليك** امر عليه الصلاة والسلام بذلك لان الحفوة ادخل في التواضع
وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي
بقدميه تبركا به وقيل لما ان نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من
الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام
من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى **إنك بالواد المقدس** تعليل لوجوب الخلع المامور
به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقدسها روي انه عليه الصلاة والسلام
خلعهما والقاهما وراء الوادي **طوى** بضم الطاء غير منون وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن
نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثني من الطي مصدر لنودي او للمقدس اي نودي نداءين
او قدس مرة اخرى **وانا اخترتك** اي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك بالفتح
والكسر والفاء في قوله تعالى **فاستمع** لترتيب الامر والمامور به على ما قبلها فان اختياره عليه
الصلاة والسلام لما ذكر من موجبات الاستماع والامر به واللام في قوله تعالى **لما يوحى** متعلقة
باستمع وما موصولة او مصدرية اي فاستمع للذي يوحى اليك او للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لا
انه من باب التنازع واعمال الاول فلا بد حينئذ من اعادة الضمير مع الثاني بل لان قوله تعالى
انني انا الله لا اله الا انا بدل من ما يوحى ولا ريب في ان اختياره عليه الصلاة والسلام ليس لهذا
الوحي فقط والفاء في قوله تعالى **فاعبدني** لترتيب المامور به على ما قبلها فان اختصاص الالوهية
به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل **وأقم الصلاة** خصت الصلاة
بالذكر وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات

بما نيط

بما نيط به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى **لذكري** اي لتذكرني فيها
لاشتمالها على الاذكار او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي
بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون ذاكرا لي غير ناس اياي ولامري بها في الكتب ولان اذكرك بالمدح
والثناء وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة او لذكر صلاتي لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال
من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول اقم الصلاة لذكري وقرئ لذكرى
بالف التانيث وللذكرى معرفا وللذكر بالتعريف والتنكير وقوله تعالى **إن الساعة آتية** تعليل
لوجوب العبادة واقامة الصلاة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها
بابرازها في معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين **اكاد اخفيها** اي لا اظهرها بان اقول انها
آتية ولولا ان في ذلك الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بايقاعها
من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل
اخفاه من الاضداد فيجيء بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى **لتجزى كل نفس بما تسعى** متعلق
بآتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اي لتجزى بسعيها في تحصيل
ما ذكر من الامور المامور بها وتخصيصه في معرض الغاية لاتيانها مع انه لجزاء كل نفس بما صدر عنها
سواء كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا في تحصيل ما يضاده للتنبيه على ان المراد بالذات
من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المامور
به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى في الامتثال
بالامر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه يدور
الامر في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم
ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح
لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاخيرين لما ذكر من المقصود الاصلي من ابداع تلك البدائع على
ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء
اللائقة يوجب العمل بموجبه لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه
من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والوقوع في مهاوي
الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر
عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ هذا ويجوز ان يراد بالسعي مطلق العمل **فلا يصدنك
عنها** اي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشان موسى عليه الصلاة
والسلام وان كان النهي بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى **من لا يؤمن
بها** لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة
له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا
وان كان بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عليه الصلاة والسلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي
له عليه الصلاة والسلام عن الانصداد عنها على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه
المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية من اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم فان صد
الكافر حيث كان سببا للانصداد عليه الصلاة والسلام كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له
بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهي عن المسبب وارادة النهي عن السبب على ان يراد نهيه عليه الصلاة
والسلام عن اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه عليه الصلاة والسلام كما في قولهم لا

لا آرينك هاهنا فان المراد به نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته فاتبع هواه اي بانفراد
نفسه من اللذات الحسية الفانية فتردى اي فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عنها
مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهي او في محل الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف اي فانت تردى وما تلك بيمينك يا موسى شروع في حكاية ما كلفه عليه الصلاة والسلام
من الامور المتعلقة بالخلق اثر حكاية ما امر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز
الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع
حالا اي وما تلك قارة او مأخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في قوله عز وجل وهذا بعلي شيخا
وقيل تلك موصولة اي ما التي هي بيمينك واياما كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه الصلاة والسلام
على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه قال هي عصاي نسبها
الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عليه الصلاة
والسلام وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها اي اعتمد عند الاعياء عليها او الوقوف على رأس
القطيع واهش بها اي اخبط بها الورق واسقط على غنمي وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش
الخبز اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى
الاقبال اي ازجرها مقبلا عليها ولي فيها مآرب اخرى اي حاجات اخر من هذا
الباب مثل ما روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس
والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء
واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها قيل ومن جملتها
انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين
وكأنه عليه الصلاة والسلام فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء
حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات قاهرة
احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على
معنى انها من جنس العصا تستتبع منافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال
العليم الخبير قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال عز وجل فقيل
قال القها يا موسى لترى من شأنها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتأكيد التنبيه
فالقاها على الارض فاذا هي حية تسعى روي انه عليه الصلاة والسلام حين القاها
انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى
وعبر عنها هاهنا بالاسم العام للحالين وقيل انقلبت في اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام
كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي ثعبان مبين وانما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة
لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة قال استئنافا كما
سبق خذها ولا تخف مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفي عطف الامر على النهي
اشعار بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط وقوله تعالى سنعيدها
سيرتها الاولى مع كونه استئنافا مسوقا لتعليل الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت
عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عليه الصلاة
والسلام وايذان بكونها مسخرة له عليه الصلاة والسلام ليكون على طمأنينة من امره ولا تعتريه شائبة
تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية قيل

بلغ عليه

بلغ عليه الصلاة والسلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فمها
ويأخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع
الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية اي سنعيدها
في طريقتها او على تقدير فعلها وايقاعها حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير
سيرتها اي سائرة سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل واضمم يدك الى جناحك
امر عليه الصلاة والسلام بذلك بعدما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كان اي ادخلها تحت عضدك
فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين
لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب الامر وقوله تعالى بيضاء حال
من الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة من غير
عيب وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوأة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه روي انه عليه الصلاة
والسلام كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر آية اخرى
اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى او
من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او دونك وقوله
تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كأنه قيل فعلنا ما فعلنا من
الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة لآياتنا او نريك بذلك من آياتنا
ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول
واياما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه بما دل عليه آية اي دللنا
بها لنريك الخ او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او بما قدر من خذ ودونك كما قال بكل ذلك
قائل فيؤدي الى آية العصا عن وصف الكبرى اذهب الى فرعون تخلص الى ما هو المقصد
من تمهيد المقدمات السالفة فصلت عما قبله ايذانا باصالته اي اذهب اليه بما رأيته
من الآيات الكبرى وادعه الى العبادة وحذره نقمتي وقوله تعالى انه طغى تعليل للامر او لوجوب
المأمور به اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية
قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال عليه الصلاة والسلام حين
امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل رب اشرح لي صدري
ويسر لي امري لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق
صدري ولا ينطلق لساني وسأله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون الحق حمول
الخلق حليما لا يستفزه ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها
بامر فسيح مجاش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب
واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح
والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمها وتكريرها اظهار مزيد اعتناء بشأن
كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به واحلل عقدة من لساني
روي انه كان في لسانه عليه الصلاة والسلام رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون
حمله ذات يوم فاخذ لحيته ونتفها لما كانت فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي
لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه قيل واحترقت يده فاجتهد
فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت

عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو أفصح مني لسانا وقوله تعالى ولا يكاد يبين وأجاب عن الأول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة من لسانه وجعل في قوله تعالى **يفقهوا قولي** جواب الأمر وغرضا من الدعاء فبحلها في الجملة يتحقق إيتاء سؤله عليه الصلاة والسلام والحق أن ما ذكر لا يدل على بقائها أصلا بل يستدعي عدم البقاء لأن الأفصحية تستوجب ثبوت أصل الفصاحة في المفضول أيضا وذلك ينافي العقدة رأسا وأما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان وإلا لدل على عدم زوالها أصلا وتنكيرها إنما يفيد قلتها في نفسها لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فإن المحلول إذا كان متعلقا بشيء ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشيء أيضا باعتبار إزالته عنه أو ابتداء حصوله منه **واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي** أي معاونا يتحمل عني في تحمل أعباء ما كلفته على أن اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل أو ملجأ أعتصم برأيه على أنه من الوزر وهو الملجأ وقيل أصله أزير من الأزر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالجليس والعشير قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ونصبه على أنه مفعول ثان لاجعل قدم على الأول الذي هو قوله تعالى هارون اعتناء بشأن الوزارة ولي صلة للجعل أو متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا إذ هو صفة له في الأصل ومن أهلي إما صفة لوزيرا أو صلة لاجعل وقيل مفعولا اجعل لي وزيرا وهارون عطف بيان للوزير وقيل هما وزيرا من أهلي ولي تبيين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد ورد بأن شرط المفعول في باب النواسخ انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدأ والإخبار عنه بما بعده **اشدد به أزري وأشركه في أمري** كلاهما على صيغة الدعاء أي أحكم به قوتي واجعله شريكي في أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغي وفصل الأول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فإن شد الأزر عبارة عن جعله وزيرا وأما الإشراك في الأمر فحيث كان من أحكام الوزارة توسط بينهما العاطف **كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا** غاية للأدعية الثلاثة الأخيرة فإن فعل كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمامه إليه مكثر في نفسه أيضا بسبب تقويته وتأييده إذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما في خلال أداء الرسالة ودعوة المردة العتاة إلى الحق وذلك مما لا ريب في اختلافه حالتي التعدد والانفراد فإن كلا منهما يصدر عنه بتأييد الآخر من إظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف أو زمان محذوف أي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والأفعال التي من جملتها ما يدعيه عدو الله الطاغية فرعون ويقبله منه فئته الباغية من ادعاء الشركة في الألوهية ونصفك بما يليق بك من الصفات والأفعال التي من جملتها ما تدعيه من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا ووصفا كثيرا أو زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون وأوان المحاجة معه وأما ما قيل من أن المعنى كي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام **إنك كنت بنا بصيرا** أي عالما بأحوالنا وبأن ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من إقامة مراسم الرسالة وبأن هارون نعم الردء في أداء ما أمرت به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل **قال قد أوتيت سؤلك** أي أعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والأكل بمعنى المخبوز والمأكول والإيتاء عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه الصلاة والسلام البتة وتقديره إياها حتما فكلها حاصلة له عليه الصلاة والسلام وإن كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا بعد كإشراك الأمر وشد الأزر [illegible]

قيل سنشد

قيل سنشد عضدك بأخيك وقوله تعالى **يا موسى** تشريف له عليه الصلاة والسلام بشرف الخطاب إثر تشريفه بقبول الدعاء وقوله تعالى **ولقد مننا عليك** كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عليه الصلاة والسلام بالقبول ببيان أنه تعالى حيث أنعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلأن ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع أولى وأحرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك أي وبالله لقد أنعمنا **مرة أخرى** أي في وقت غير هذا الوقت لا أن ذلك مؤخر عن هذا فإن أخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة في الأصل اسم للمرور الواحد ثم أطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت أو لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من أفراد ما له أفراد متجددة فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا لما في معناه من سائر الأشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها هاهنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى **إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى** ظرف لمننا والمراد بالإيحاء إما الإيحاء على لسان نبي في وقتها أو ملك لا على وجه النبوة كما أوحي إلى مريم وإما الإلهام كما في قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل وإما الإراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سيأتي من الأمر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر أبهم أولا تهويلا له وتفخيما لشأنه ثم فسر ليكون أوقع عند النفس وقيل معناه ما ينبغي أن يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم إلا بالوحي وفيه أنه لا يلائم المعنيين الأخيرين للوحي فلا تأكيد لتفخيم شأنه في أن يكون مما لا يعلم إلا بالإلهام أو بالإراءة في المنام وأن في قوله تعالى **أن اقذفيه في التابوت** مفسرة لأن الوحي من باب القول أو مصدرية حذف عنها الباء أي بأن اقذفيه ومعنى القذف هاهنا الوضع وأما في قوله تعالى **فاقذفيه في اليم** فالإلقاء لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمرا واجب الوقوع لتعلق الإرادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمر بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر والضمائر كلها لموسى عليه الصلاة والسلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وإن كان هو التابوت أصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له في ذلك **يأخذه عدو لي وعدو له** جواب للأمر بالإلقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالأمر والإشعار بأن عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي إلى المحبة فإن الأمر بما هو سبب الهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بأن هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري وقيل الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الساحل الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه إلى نهر فرعون لما روي أنها لما جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته وألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر فدفعه الماء إليه فأتى به إلى البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى **وألقيت عليك محبة مني** كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك عدو الله وآله وقيل من متعلقة بألقيت أي أحببتك ومن أحبه الله تعالى أحبته القلوب لا محالة وقوله تعالى **ولتصنع على عيني** متعلق بألقيت معطوف على علة له مضمرة أي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي وبعضهم جعله عبارة عما قيل من إلقاء المحبة فالجملة مستأنفة أي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الأمر بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء

والنصب اي فليكون عملك علي عيني بمثل ما تخالف به عن هري **اذ تمشي اختك** ظرف
لتصنع على ان المراد به وقت وقوع في مشيها الي بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع
اليها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عيني اذ لا شفقة اعظم من
شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ اوحينا على ان المراد به زمان
متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سياتي من قوله تعالى فنجيناك من الغم فان جميع ذلك من
المنح الالهية وتعلق بتمشي متها بالنصح المذكور فانما كان لنظر فالا لقيت كما يخفون في تبادلهم
ان القاه الحبشة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في ان معظم ما ذكر انها ظهر عند فتح التابوت فتقول
اي لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له عليه الصلاة والسلام مرضعة يقبل ثديها وكان
لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية **هل ادلكم على من يكفله** اي
يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبول ثديها يروى انه فشا الخبر بمصر ان آل فرعون
اخذوا غلاما في النيل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا الى تتبع النساء فخرجت مريم لتعرف
خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا لها قالوا فجاءت بامه فقبل ثديها فالفاء في
قوله تعالى **فرجعناك الى امك** فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها
اي فقالوا دلينا عليها فجاءت بامك فرجعناك اليها **كي تقر عينها** بلقائك **ولا تحزن** اي
لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك والا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان
التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت بفقد اشفاقها **وقتلت نفسا** هي نفس
القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه **فنجيناك من الغم** اي غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى
بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء منه بالمهاجرة الى مدين **وفتناك فتونا** اي ابتليناك
ابتلاء او فتونا من الابتلاء على ان فتون جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجور في حجرة
وبدور في بدرة اي خلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة
الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد وقد روي ان سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضي الله تعالى عنهم
فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته
امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة
مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير لكن الذي يقتضيه النظم الكريم ان لا تعد اجارة
نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه الصلاة والسلام
الى مدين بقضية الفاء في قوله تعالى **فلبثت سنين في اهل مدين** اذ لا ريب في ان الاجارة المذكورة
وما بعدها مما وقع بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر لبثه عليه الصلاة والسلام فيهم دون وصوله
اليهم الى جميع ما قاساه عليه الصلاة والسلام في تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره
التي كل واحدة منها فتنة واي فتنة ومدين بلدة شعيب عليه الصلاة والسلام على ثماني مراحل من مصر
ثم جئت اي المكان الذي ونس فيه ووقع فيه النداء والجواد وفي كلمة التراخي ايذان بان مجيئه عليه
الصلاة والسلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية
وغير ذلك **على قدر** اي على تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك في وقت عينته لذلك فما جئت
على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحي فيه الى الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وهو رأس اربعين سنة وقوله تعالى **يا موسى** تشريف له عليه الصلاة
والسلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا

وقوله تعالى

وقوله تعالى **واصطنعتك لنفسي** تذكير لقوله تعالى وانا اخترتك وتمهيد لارساله عليه الصلاة
والسلام الى فرعون مؤيدا باخيه حسبما استدعاه تذكير المنن السابقة تاكيدا لوثوقه
عليه الصلاة والسلام بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وجل من الكرامة العظمى
بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض اموره الجليلة والعدول عن
نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظيريه السابقين تمهيدا لافراد لفظ النفس اللائق
بالمقام فانه ادخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي
وقوله تعالى **اذهب انت واخوك** اي وليذهب اخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق
لبيان ما هو المقصود بالاصطناع **باياتي** اي بمعجزاتي التي اريتكها من اليد والعصا فانهما وان
كانتا اثنتين لكن في كل منهما ايات شتى كما في قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم فان انقلاب
العصا حيوانا اية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره اية اخرى وسرعة حركته مع عظم
جرمه اية اخرى وكونه مع ذلك مسخرا له عليه الصلاة والسلام بحيث كان يدخل يده في فمه فلا
يضره اية اخرى ثم انقلابها عصا اية اخرى وكذلك اليد البيضاء فان بياضها في نفسه اية وشعاعها
اية ثم رجوعها الى حالتها الاولى اية اخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما الى
فرعون ملتبسين بالايات متمسكين بها في اجراء احكام الرسالة واكمال الدعوة لا مجرد اذهابها
وايصالها اليه **ولا تنيا** اي لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع **في ذكري**
اي مما يليق بي من الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالاتي والدعاء الي وقيل لا تنسياني
حيثما تقلبتما واستمدا به العون والتاييد واعلما ان امرا من الامور لا يتاتى ولا يتسنى الا بذكري
اذهبا الى فرعون جمعهما في صيغة امر الحاضر مع غيبة هارون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في
صيغة النهي روي انه اوحي الى هارون وهو بمصر ان يتلقى موسى عليه الصلاة والسلام وقيل سمع
باقباله فتلقاه **انه طغى** تعليل لموجب الامر والفاء في قوله تعالى **فقولا له قولا لينا** لترتيب
ما بعدها على طغيانه فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك
الى ربك فتخشى فانها دعوة في صورة عرض ومشورة ويرده ما سيجيء من قوله تعالى فقولا انا رسولا
ربك الايتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا
لا يهرم وتبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكا لا يزول الا بالموت وقرئ لينا **لعله يتذكر** بما
بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه **او يخشى** عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير
التثنية اي فقولا له قولا لينا راجيين ان يتذكر او يخشى وكلمة او لمنع الخلو اي باشرا الامر مباشرة
من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما
اليه مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة **قالا ربنا** اسند القول اليهما مع ان القائل
حقيقة هو موسى عليه الصلاة والسلام بطريق التغليب ايذانا باصالته في كل قول وفعل
وتبعية هارون عليه الصلاة والسلام له في كل ما ياتي ويذر ويجوز ان يكون هارون قد قال
ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسى عليهما الصلاة والسلام عند نزول الاية كما في قوله
تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين
لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب **اننا
نخاف ان يفرط علينا** اي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط

اذا تقدمه ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يُفرط من افرطه اذا حمله على العجلة
اي نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار والخوف على الملك او غيرهما على المعاجلة بالعقاب او ان
يطغى اي يزداد طغيانا الى ان يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته واطلاقه من
حسن الادب واظهار كلمة ان مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق
الخوف من كل منهما قال استئناف مبني على السؤال الناشئ من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى
الغيبة المستعار بانتقال الكلام من مساق الى مساق آخر فان ما قبله من الافعال الواردة على
صيغة التكلم حكاية لموسى عليه الصلوة والسلام بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت
الاعلى فان ما قبله ايضا وارد على طريق الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل فماذا قال
لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل قال لا تخافا ما توهمتما من الامرين وقوله تعالى انني معكما
تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بمعيته تعالى كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى
اسمع وارى اي ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر
وجلب خير ونفع ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا
كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها فأتياه امر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه
بعدما امر بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده فقولا انا
رسولا ربك امر بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شأنهما ويبني جوابه عليه
وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى فارسل معنا بني اسرائيل لترتيب ما بعدها
فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر واخراجهم
من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى ولا تعذبهم
اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال
الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرها من الامور الشاقة ويقتلون ذكور اولادهم
عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجيء
بآية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر عليه فان ارسالهم معهما
من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه
كل المشقة ولان في بيان مجيء الآية نوع طول كما ترى فلو اخر ذلك عنه لتخلل بينهما وبطل انتظام
الكلام واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا
قد جئناك بآية من ربك تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال
فان مجيئهما بالآية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب
في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها
لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم
وقوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين واما قوله تعالى فأت بها ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها
آية من الآيات والسلام المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين
على من اتبع الهدى بتصديق آيات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما على الطف
وجه ما لا يخفى انا قد اوحي الينا من جهة ربنا ان العذاب الدنيوي والاخروي على من كذب
وتولى اي بآياته تعالى اي اعرض عن قبولها وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب
به ما لا مزيد عليه قال اي فرعون بعدما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوي ذكره للايجاز والاشعار

بانهما

بانهما كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح
به فمن ربكما يا موسى لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى
قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا بد ان يكون ربا للرسول
او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاقتصار
هاهنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من
كونهما رسولي ربه اي اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا عن ربكما الذي ارسلكما وتخصيص النداء بموسى
عليه الصلوة والسلام مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل في الرسالة وهارون وزيره
واما ما قيل من ان ذلك قد عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه فيرده الى
ما شاهده منه عليه الصلوة والسلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفاسد واما
قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما مر قال اي موسى عليه الصلوة والسلام
مجيبا له ربنا اما مبتدأ وقوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه خبره او هو خبر
لمبتدأ محذوف والموصول صفته واياما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما وقع
في السؤال بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اي هو ربنا
الذي اعطى كل شيء من الاشياء خلقه اي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع
واعطى مخلوقاته كل شيء يحتاج اليه ويرتفق به فقدم المفعول الثاني للاهتمام به
او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجرة والبعير بالناقة والرجل
بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضي على ان الجملة
صفة للمضاف او للمضاف اليه وحذف المفعول الثاني اما للاقتصار على الاول اي كل شيء خلقه
الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار من كونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال
اي اعطى كل شيء خلقه الله تعالى ما يحتاج اليه ثم هدى اي الى طريق الانتفاع والارتفاق
بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات واما طبعا كما في الجمادات
والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية
الاجسام متقدما على الهداية التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة في
تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه الصلوة والسلام جوابه على نمط
رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما
يليق بها بطريق التفصيل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هدايته تعالى اياه
بعد ان هداه تعالى الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات
الظاهرة والباطنة قال فما بال القرون الاولى لما شاهد اللعين ما نظمه عليه الصلوة والسلام
في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته
عليه الصلوة والسلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه الصلوة والسلام
عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده
عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون
الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه الصلوة والسلام بان العلم
باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله تعالى واما ما قيل من انه
سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى قال علمها عند ربي

فإن معناه أنه من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله تعالى وإنما أنا عبد لا أعلم منها إلا ما علمنيه من الأمور المتعلقة بما أرسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لأجيب ببيان أن من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى الآيتان **في كتاب** أي مثبتة في اللوح المحفوظ بتفاصيلها ويجوز أن يكون ذلك تمثيلاً لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى **لا يضل ربي ولا ينسى** أي لا يخطئ ابتداءً ولا يذهب عنه بقاءً بل هو ثابت أبداً فإنهما محالان عليه سبحانه وهو على الأول لبيان أن إثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى إليه في العلم به ابتداءً وبقاءً وإظهار ربي في موضع الإضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والإشعار بعلية الحكم فإن الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان حتماً ولقد أجاب عليه الصلاة والسلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابها مع أنه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص إليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سيأتي من الالتفات **الذي جعل لكم الأرض مهداً** على أن الموصول إما مرفوع على المدح أو منصوب عليه أو خبر مبتدأ محذوف أي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها أو ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهاداً وهو اسم لما يمهد كالفراش أو جمع مهد أي جعل كل موضع منها مهداً لكل واحد منكم **وسلك لكم فيها سبلاً** أي جعل لكم طرقاً ووسطها بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من قطر إلى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها **وأنزل من السماء ماءً** هو المطر **فأخرجنا به** أي بذلك الماء وهو عطف على أنزل داخل تحت الحكاية وإنما التفت إلى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والإيذان بأنه لا يتأتى إلا من قادر مطاع عظيم الشأن ينقاد لأمره وتذعن لمشيئته الأشياء المختلفة كما في قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها وقوله تعالى أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة خلا أن ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى وأما هاهنا فحكاية منه تعالى يحكي قوله تعالى فأخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه الصلاة والسلام خلاف الظاهر مع أنه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم **أزواجاً** أصنافاً سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض **من نبات** بيان أو صفة لأزواجاً أي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى **شتى** أي متفرقة جمع شتيت ويجوز أن يكون صفة للنبات لما أنه في الأصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني أنها شتى مختلفة في الطعوم والروائح والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فإن من تمام نعمته تعالى أن أرزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الأنعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاماً لهم وقوله تعالى **كلوا وارعوا أنعامكم** حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول أي أخرجنا منها أصناف النبات قائلين كلوا وارعوا أنعامكم أي معديها لانتفاعكم بالذات أو بالواسطة آذنين في ذلك **إن في ذلك** إشارة إلى ما ذكر من شؤونه تعالى وأفعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى **لآيات** للتفخيم كماً وكيفاً أي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام **لأولي النهى** جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله

وحجره عن ذلك أي لذوي العقول الناهية عن الأباطيل التي من جملتها ما يدعيه ويقبله الطاغية وتخصيص كونها آيات بهم مع أنها آيات للعالمين باعتبار أنهم المنتفعون بها **منها خلقناكم** أي في ضمن خلق أبيكم آدم عليه الصلاة والسلام منها فإن كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه الصلاة والسلام إذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه الصلاة والسلام بل كانت أنموذجاً منطوياً على فطرة سائر أفراد الجنس انطواءً إجمالياً مستتبعاً لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه الصلاة والسلام منها خلقاً للكل منها وقيل المعنى خلقنا أبدانكم من النطفة المتولدة من الأغذية المتولدة من الأرض بوسائط وقيل إن الملك الموكل بالرحم يأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة **وفيها نعيدكم** بالإماتة وتفريق الأجزاء وإيثار كلمة في على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار المديد فيها **ومنها نخرجكم تارة أخرى** بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الأرواح إليها وكون هذا الإخراج تارة أخرى باعتبار أن خلقهم من الأرض إخراج لهم منها وإن لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة في الأصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم أطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر في المرة **ولقد أريناه** حكاية إجمالية لما جرى بين موسى عليه الصلاة والسلام وبين فرعون إثر حكاية ما ذكره عليه الصلاة والسلام من الآيات الداعية إلى القول بالحق والانقياد له وتصديرها بالقسم لإبراز كمال العناية بمضمونها وإسناد الإراءة إلى نون العظمة نظراً إلى الحقيقة لا إلى موسى نظراً إلى الظاهر لتهويل أمر الآيات وتفخيم شأنها وإظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في المكابرة والعناد أي وبالله لقد بصرنا فرعون وعرفناه **آياتنا** حين قال لموسى عليه الصلاة والسلام إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الأمور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين في تفسير قوله تعالى اذهب أنت وأخوك بآياتي وقد ظهر عند فرعون أمور أخر كل واحد منها داهية دهياء فإنه روي أنه عليه الصلاة والسلام لما ألقاها انقلبت ثعباناً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً من قومه فصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك إلا أخذته فأخذه فعاد عصا وروي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذي أرسلك ونزع يده من جيبه فإذا هي بيضاء بياضاً نورانياً خارجاً عن حد العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجباً من أمره ففي تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صراحة أكدت بقوله تعالى **كلها** كأنه قيل أريناه آياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصداً إلى بيان أنه لم يبق له في ذلك عذر ما ولا ساغ أن يعد فيها الآيات التي ظهرت على يديه عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة على تمادي من عشرين سنة كما مر في سورة الأعراف ولا ريب في أن أمر السحرة مترتب على ما وقع من ذلك أي بعد منها ما جعل لإهلاكهم لا للإرشاد إلى الإيمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الآيات الظاهرة لبني إسرائيل من نتق الجبل والحجر سواء أريد به الحجر الذي في ثوبه أو الذي انفجرت منه العيون وكذا أن يعد منها الآيات الظاهرة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بناءً على أن حكايته

عليه الصلاة والسلام اياها لفرعون في حكم اظهارها بين يديه واراءته اياها لاستحالة الكذب على نبي عليه
الصلاة والسلام فان حكاية اياها لفرعون ثم الرزجي ذكرها هنا على ان ما سبق من محل ما اظهره عليه
الصلاة والسلام على السحرة والتصدي للمعارضة بمثابة اراءته اياه آياته جميعا ويسطع ان المراد بها ما ذكر تارة
قطعا ولولا ذلك لما ذكر لما فصل عليه الصلاة والسلام من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية
واحكامها من جملة الآيات فكذب موسى عليه الصلاة والسلام من غير تردد وتأخير مع ما يشاهد
في يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحودا او عنادا وأبى الايمان والطاعة لعتوه واستكباره
وقيل كذب بالآيات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تعالى قال اجئتنا لتخرجنا
من ارضنا بسحرك يا موسى استئناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وادعاء انه امر محال والمجيء اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدي له اي اجئتنا
من مكانك الذي كنت فيه بعدما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك
لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وانما قال ذلك ليحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه الصلاة
والسلام بابراز ان مراده عليه الصلاة والسلام ليس مجرد انجاء بني اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من
وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا في المدافعة
والمخاصمة وسمى ما اظهره عليه الصلاة والسلام من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة
ثم ادعى انه يعارضه بمثل ما اوتي به عليه الصلاة والسلام فقال فلنأتينك بسحر مثله الفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كأنه قيل اذا كان كذلك فوالله لنأتينك
بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا اي وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى لا نخلفه
فان المناسب لا المكان والزمان اي لا نخلف ذلك الوعد نحن ولا انت وانما فوض اللعين امر الوعد الى
موسى عليه الصلاة والسلام للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال واظهار الجلادة
وارائه انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب آلاتها البتة طال الامد او قصر كما ان
تقديم ضميره على ضمير موسى عليه الصلاة والسلام وتوسيط كلمة النفي بينهما للايذان بمسارعته
الى عدم الاخلاف وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عليه الصلاة
والسلام ولذلك اكد النفي بتكرير حرفه وانتصاب مكانا سوى بفعل يدل عليه المصدر
فانه موصوف وبانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وحينئذ تكون
مطابقة الجواب في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل
على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على
الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد به المصدر
ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ
وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم
في كل عام وانما خصه عليه الصلاة والسلام بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره
وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق
الباطل في يوم مشهود على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد وان يحشر
الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون
وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك فتولى فرعون اي انصرف عن المجلس فجمع
كيده اي ما يكاد به من السحرة وادواتهم ثم اتى الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة

التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لأي وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى الى
آخره ظرف لا استئنافا فالمبني على السؤال المقتضي بان المترتب من احواله عليه الصلاة والسلام
حينئذ والمتبادر الى السؤال فالبيان ليس الا ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من التكلم واما
اتيانه ولا فامر محقق غني عن التصريح به كأنه قيل ماذا قال لهم موسى عند اتيان فرعون
بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا
آياته التي ستظهر على يدي سحرا كما فعل فرعون فيسحتكم اي يستأصلكم بسببه بعذاب
هائل لا يقادر قدره وقرئ فيسحتكم من الثلاثي على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني
تميم ونجد وقد خاب من افترى اي على الله كائنا من كان باي وجه كان فيدخل فيه الافتراء
المنهي عنه دخولا اوليا وقد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا مثله في الخيبة والجملة مقررة لما
قبلها فتنازعوا امرهم بينهم اي السحرة حين سمعوا كلامه عليه الصلاة والسلام كأن ذلك غاظهم
فتجاذبوا اهداب القول في ذلك واسروا النجوى اي من موسى لئلا يقف عليه فيدافعه وكانت
نجواهم ما نطق به قوله تعالى قالوا اي بطريق التناجي والاسرار ان هذان لساحران الى آخره
فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التنازع والتشاور
وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان وقيل هي نافية
واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث
ابن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران
خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر
المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ
ان هذين لساحران وهي قراءة واضحة يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اي ارض مصر بالاستيلاء
عليها بسحرهما الذي اظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بمذهبكم الذي هو
افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون
لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل
لقول موسى عليه الصلاة والسلام ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم وفيه ان
اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل
بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم
مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام
بالمناصبة فلا بد ان يكون الانذار والتخويف بابتداء المكاره واشدها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني
اسرائيل من بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم آمنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة
اسم لوجوه القوم واشرافهم لانهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزيد فيه
وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر
كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فاجمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا
عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده
قوله تعالى فجمع كيده اي ادوات سحركم ثم ائتوا صفا اي مصطفين امروا
بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين
الفا مع كل واحد منهم حبل وعصي واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين

ساحرا اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من
اسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلثون الفا والله اعلم ولعل الموعد كان
متسعا خاطبهم موسى عليه الصلوة والسلام بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر آخر
منه ثم امروا بان ياتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس
في الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما للموضع بعد ان كان المكان الموعود واما ارادة المصلى
من الصف بانه قد تعين ان المكان الموعود فلا مساغ له قطعا وقوله تعالى **وقد افلح اليوم من
استعلى** اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامرين اي فاز بالمطلوب من غلب يريدون
بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى انهم وانكم لمن المقربين ومن
غلب امرهم لانفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حثا لهم
على بذل المجهود في المغالبة هذا هو الذي يتبادر من اطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم
ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه الصلوة والسلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك
ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء
فله امر فيكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه ويحمل قولهم ان هذان لساحران على انهم
اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن خلافهم بعد التنازع والتناظر واستقر
آراؤهم على ذلك ابوا الا المناصبة للمعارضة واما حمل الضمير في قالوا لفرعون وملائه على انهم
قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف في امورهم بالاجماع والازماع واظهارا للجلادة
بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم **قالوا** استئناف
على سؤال ناش من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فقيل قالوا
يا موسى ولم يتعرض لاجتماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهورهما او غنائهما
عن البيان **اما ان تلقي** ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او تفعل الالقاء او على ان
الفعل منزل منزلة اللازم **واما ان نكون اول من القى** ما نلقيه او اول من يفعل الالقاء خيروه
عليه الصلوة والسلام بما ذكر مراعاة للادب لما راوا منه عليه الصلوة والسلام ما راوا من مخايل الخير
ورزانة الراي واظهارا للجلادة بارادة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير وان مع ما في حيزها
منصوب بفعل مضمر او مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اي اختر القاءك او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا
قال استئناف كما سلف مبني على حكاية تخيير السحرة القاءه عليه الصلوة والسلام كانه قيل فماذا قال
عليه الصلوة والسلام فقيل قال **بل القوا** انتم اولا لكي يحسن ادبهم حيث بتوا القول بالقائه
اولا والقاؤها كالمقدمة للمبالاة بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول فيبرزوا
ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم ويستنفدوا قصارى وسعهم ثم يظهر الله تعالى سلطانه فيقذف
بالحق على الباطل فيدمغه وللعلم بانه ستلقفه ما يصنعون من مكائد السحر **فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى** الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله
فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا فاذا حبالهم وكلمة المفاجاة والتحقيق انها ايضا
ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها اختصت بكون متعلقها فعل المفاجاة
والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى وقت تخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم
وذلك انهم كانوا لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك
وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل اشتمال وقرئ

تخيل باسناده

نخيل باسناده الى الله تعالى وقرئ تخيل بحذف احدى التاءين من تتخيل **فاوجس في نفسه
خيفة موسى** اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجاته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات
والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وتنكير
بالتحقير كما ستعرفه وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل **قلنا لا تخف** اي ما توهمت **انك انت الاعلى**
تعليل لما يوجبه النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه واكده كما يعرب عنه الاستيناف
وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة
التفضيل **والق ما في يمينك** اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا
لامرها وتفخيما لشانها وايذانا بانها ليست من جنس العصا المعهودة المستتبعة للاثار المعتادة
بل خارجة عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة وعدم مراعاة
هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي عنه
وحمل هذا ولعل الابهام على التحقير بان يراد لا تحتفل بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في
يدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها
فيما مر من ان ذلك للتفخيم فاليق بما لو فعلت العصا ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان
منها ما كان فقوله تعالى **تلقف ما صنعوا** بالجزم جواب الامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة
والتانيث لكون ما عبارة عن العصا اي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل اليك سعيها
وتخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد
القاف واسقاط احدى التاءين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستيناف والجملة
الامرية معطوفة على النهي متممة في تحقيق التعليل موجبة لبيان كيفية غلبته عليه
الصلوة والسلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي منها اوجس في نفسه ما اوجس مما
يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان خوفه عليه الصلوة والسلام لم يكن مما ذكر من
مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه الصلوة والسلام والا لعلل بما يزيله من العدو ما
يوجبهما من ايمانهم واتباعهم له عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى **انما صنعوا** الى آخره تعليل لقوله
تلقف ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اي ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه **كيد ساحر**
بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير وقرئ
بالنصب على انه مفعول لصنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه
او على معنى ذي سحر او على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى **ولا يفلح الساحر** اي هذا
الجنس **حيث اتى** اي حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشان العصي وكونها معجزة
الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للتنبيه على ظهور امرها والفاء في قوله تعالى **فالقي السحرة سجدا**
كما سلف فصيحة معربة عن جمل محذوفة ينساق اليها النظم الكريم غنية عن التصريح بها لعدم احتمال
تردد موسى عليه الصلوة والسلام كما في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود
اي فالقاها عليه الصلوة والسلام فوقع ما وقع من اللقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب
السحر وانما هي آية من آيات الله عز وجل روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الالات
تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الالات فاستدلوا بتغير احوال الاجسام على الصانع
العالم القادر وبظهور ذلك على يد موسى عليه الصلوة والسلام على صحة رسالته لا جرم القاهم ما شاهدوه
على وجوههم وتابوا وآمنوا واتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار

والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قوله انا
آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا الى آخره لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم
قالوا استئناف كما مر غير مرة آمنا برب هارون وموسى تأخير موسى عند حكاية كلامهم
لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هارون عليه الصلوة
والسلام واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون حيث كان قد ربى
موسى عليه الصلوة والسلام في صغره فلو قدموا موسى عليه الصلوة والسلام لربما توهم اللعين وقومه
من اول الامر ان مرادهم فرعون قال اي فرعون للسحرة آمنتم له اي لموسى عليه الصلوة والسلام
واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل ان آذن لكم اي من غير
اذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان اذنه لهم في ذلك واقع
بعد او متوقع انه يعني موسى عليه الصلوة والسلام لكبيركم اي في فنكم واعلمكم به او استاذكم
الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة
زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه
لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عليه الصلوة والسلام فلا عبرة بما اظهروه كما لا عبرة بما لا
يظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد
المؤكد حيث قال فلأقطعن اي فوالله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اليد
اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو فان المبتدئ
من المعروض مبتدأ من العارض ايضا ومجموع الجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اي لأقطعنها
مختلفات وتعيين تلك الحالة مع تعيين الابدان لتحقق الامر وتفظيعه لفظاعة الحالة تشنيعا
كيفية المعهودة في باب السياسة لا لانها اقطع من غيرها ولأصلبنكم في جذوع النخل
اي عليها وايثار كلمة في للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار
المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا هو اول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير
وقرئ بالتخفيف ولتعلمن اينا يريد به نفسه وموسى عليه الصلوة والسلام لقوله تعالى
آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغير الله تعالى وهذا اما لقصد توضيع
موسى عليه الصلوة والسلام والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما لاراءة ان ايمانهم
لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان من خوف من قبل موسى عليه الصلوة والسلام
حيث رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب موسى
الذي آمنوا به بقولهم آمنا برب هارون وموسى اشد عذابا وابقى اي ادوم قالوا غير
مكترثين بوعيده لن نؤثرك لن نختارك بالايمان والاتباع على ما جاءنا من الله تعالى على
يد موسى عليه الصلوة والسلام من البينات من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر بيده عليه
الصلوة والسلام من العصى كانت مشتملة على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا
عارفين بجلائلها وخفاياها والذي فطرنا اي خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف
على ما جاءنا وتأخيره لان ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية
ظاهرة وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى
لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته تعالى مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا
جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب

لدلالة

للدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك الى آخره ولا مساغ لكون المذكور جوابا
له عند من يجوز تقديم الجواب ايضا لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى فاقض
ما انت قاض جواب عن تهديده بقوله لأقطعن اي فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت
حاكم به وقوله تعالى انما تقضي هذه الحيوة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة
المستفادة مما سبق من الامر بالقضاء اي انما تصنع ما تهواه او تحكم ما تراه في هذه الحيوة الدنيا
فحسب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة في عذابها انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحيوة
الفانية حتى نتأثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى وما اكرهتنا عليه
من السحر عطف على خطايانا اي ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضته عليه الصلوة
والسلام باكراهك وحشرك ايانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم
اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفرد
بالاستغفار مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل
ارادوا الاكراه على تعلم السحر حيث روي ان رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط
والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة
حيث روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر
فان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا ان يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة
والنشاط كما ينبئ عنه قولهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
والله خير اي في ذاته وهو ناظر الى قولهم والذي فطرنا وابقى اي جزاء ثوابا كان او عذابا او خيرا
ثوابا وابقى عذابا وقوله تعالى انه اي الامر والشأن تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا
وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرها بضمير الشأن للتنبيه على فخامة
مضمونها لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته الخفية وابطال لما ادعاه فرعون وبعد
بضمير الشأن للتنبيه على فخامة فانه مضمونها لان مناط وضع الضمير موضعه عن ذكره مع ما فيه من زيادة
التقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن
عند وروده له فضل تمكن كأنه قيل ان الشأن الخطير هذا اي قوله تعالى من يأت ربه مجرما
بان مات على الكفر والمعاصي فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه
ابقى ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن يأته مؤمنا به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها
ما شاهدناه قد عمل الصالحات الصالحة كالحسنة تجري مجرى الاسم ولذلك لا يكاد يذكر معها الموصوف
وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل فأولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها
كما ان الافراد في الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم
وبعد منزلتهم اي فأولئك المؤمنون العاملون الصالحات لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة
الدرجات العلى اي المنازل الرفيعة وليس فيما يدل على عدم اعتداد الايمان المجرد عن العمل الصالح
في استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا
وهو المتشاجر فيه جنات عدن بدل من الدرجات العلى او بيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة
او لارض الجنة فقوله تعالى تجري من تحتها الانهار حال من الجنات وقوله تعالى خالدين فيها
حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة وذلك اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز

عناه كرمن الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم **جزاء من تزكى** اي تطهر من دنس الكفر
والمعاصي بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال
المجرم للمسارعة الى بيان اشدية عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله اينا اشد عذابا
وابقى هذا وقد قيل هذه الآيات الثلاث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا ليس في القرآن ان فرعون
فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم ولم يثبت في الاخبار **ولقد اوحينا الى موسى** حكاية اجمالية
لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوي في البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات المفصلة الظاهرة
على يدي موسى عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة
الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها وان في قوله تعالى **ان اسر بعبادي**
اما مفسرة لان في الوحي معنى القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان
كونهم عبادا له عز وجل لاظهار الرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون
بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل اي والله لقد اوحينا
اليه عليه الصلاة والسلام اي اسر بعبادي الذين ارسلتك لانقاذهم من ملكة فرعون اي
سر بهم من مصر ليلا **فاضرب لهم** اي فاجعل لهم او فاتخذ **طريقا في البحر يبسا** اي
يابسا على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف
كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة او لتعدده حسب تعدد الاسباط **لا تخاف**
دركا حال من المامور اي امنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى لطريقا والعائد محذوف
وقرئ لا تخف جوابا للامر **ولا تخشى** عطف على لا تخاف داخل في حكمه اي ولا تخشى الغرق وعلى قراءة
الجزم استيناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله
الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا
انا لمدركون **فاتبعهم فرعون بجنوده** اي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعتهم
اي تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل
المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده
[illegible] روي ان موسى عليه الصلاة والسلام خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا
فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره مقدمته ستمائة الف فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان
فعند ذلك ضرب عليه الصلاة والسلام بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم
فعبر موسى عليه الصلاة والسلام بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده **فغشيهم**
من اليم ما غشيهم اي علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذي لا يقادر قدره
ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه
عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم
والفاعل هو الله عز وعلا او ما غشاهم وقيل هو فرعون لانه الذي ورطهم للهلكة ويأباه الاظهار
في قوله تعالى **واضل فرعون قومه** اي سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا
معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الاخروي وقوله تعالى
وما هدى اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير
لاضلاله وتأكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه تهكم به في قوله
وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفي الهداية عن شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة

وذلك انما

وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية على ما يختص بالدين منهما يأباه
مقام بيان سوق الجنود الى مهاوي الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة عن الاضلال في البحر والانجاء
منه مما لا يقبله العقل السليم **يا بني اسرائيل** حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون
وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية
ما افاض وقيل انشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على معنى انه تعالى
قد من عليهم بما فعل بآبائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى وما اعجلك الآية
ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اي وقلنا
يا بني اسرائيل **قد انجيناكم من عدوكم** فرعون وقومه حيث كانوا يسومونكم سوء
العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ انجيتكم **وواعدناكم جانب الطور**
الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اي واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان
جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام اي اتيان موسى عليه الصلاة والسلام وانزال
التوراة عليه ونسبة المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه الصلاة والسلام نظرا الى ملابستها
بهم وسراية منفعتها اليهم وفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم
صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور بالذات هو آدم عليه
الصلاة والسلام وقرئ واعدتكم ووعدناكم **ونزلنا عليكم المن والسلوى** اي الترنجبين
والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع
ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه **كلوا** جملة مستانفة مسوقة
لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم **من طيبات ما رزقناكم** من لذائذه او حلالاته
وقرئ رزقتكم وفي البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم
ولطف الترتيب ما لا يخفى **ولا تطغوا فيه** اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد لكم
فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق **فيحل عليكم غضبي** جواب للنهي اي فيلزمكم ويجب لكم من حل
الدين اذا وجب اداؤه **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى** اي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية
وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل **واني لغفار لمن تاب** من الشرك والمعاصي التي من جملتها
الطغيان فيما ذكر **وآمن** بما يجب الايمان به **وعمل صالحا** اي عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل
وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والايمان وقوله تعالى **ثم اهتدى** اي
استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبي **وما اعجلك**
عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه الصلاة والسلام من الكلام عند ابتداء
موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اي وقلنا له اي شيء عجل بك منفردا عن قومك وهذا كما ترى
سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في ذلك من مخايل اغفالهم
وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة
عنه عليه الصلاة والسلام لكونها نقيصة منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك اجاب عليه الصلاة
والسلام بنفي الانفراد والنأي المنافيين للاستصحاب والمعية حيث قال **هم اولاء على اثري** يعني انهم معي
وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد به
فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر عليه الصلاة والسلام ان تقدمه ذلك ليس لامر ينكر ذكر انه لامر مرضي
حيث قال **وعجلت اليك رب لترضى** عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك

وزيادة رضي بذلك اعتقادا لانتهاز العناية في قبول العذر **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من
حكاية اعتذاره عليه الصلاة والسلام وهو السر في وروده على صورة الغيبة لا أنه التفات من
التكلم إلى الغيبة لما أن المقصد فيما سبق فقيل قال **فإنا قد فتنا قومك من بعدك** أي ابتليناهم
بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هارون عليه الصلاة والسلام
وكانوا ستمائة ألف ما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفا والفاء لترتيب الإخبار
بما ذكر من الابتلاء على إخبار موسى عليه الصلاة والسلام بعجلته لكن لا لأن الإخبار بها سبب
موجب للإخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من أحدهما إلى الآخر من حيث
إن مدار الابتلاء الذكر وعجلة بالقوم فإنه روي أنهم أقاموا على ما وصى به موسى عليه الصلاة
والسلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع أيامها أربعين وقالوا قد أكملنا العدة
وليس من موسى عين ولا أثر **وأضلهم السامري** حيث كان هو المدبر في الفتنة فقال لهم
إنما أخلف موسى عليه الصلاة والسلام ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فكان
من أمر العجل ما كان فأخبر الله تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه الصلاة والسلام
إما باعتبار تحققها في علمه تعالى ومشيئته وإما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله
تعالى ونادى أصحاب الجنة ونظائره أو لأن السامري كان قد عزم على إيقاع الفتنة عند
ذهاب موسى عليه الصلاة والسلام وتصدى لترتيب مباديها فكانت الفتنة واقعة عند
الإخبار بها وقرئ وأضلهم السامري على صيغة التفضيل أي أشدهم ضلالا لأنه
ضال ومضل والسامري منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان
علجا من كرمان وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد أظهر الإسلام
وكان من قوم يعبدون البقر **فرجع موسى إلى قومه** عند رجوعه المعهود أي بعدما استوفى
الأربعين وأخذ التوراة لا عقيب الإخبار بالفتنة فسببية ما قبل الفاء لما بعدها
إنما هي باعتبار الرجوع المستفاد من قوله تعالى **غضبان أسفا** لا باعتبار نفسه وإن كانت
داخلة على حقيقته فإن كون الرجوع بعد تمام الأربعين أمر مقرر مشهور لا يذهب الوهم إلى
كونه عند الإخبار بالفتنة كما إذا قلت شايعت الحجاج وعدت إليهم بالسلامة فرجعوا اليمن
فإن أحد الإياب في الحواد رجوعهم بالعناد لا رجوعهم إثر الدعاء فإن سببية الدعاء
باعتبار وصف السلامة لا باعتبار وصف الرجوع والأسف الشديد الغضب وقيل
الحزين **قال** استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجعة كذلك كأنه قيل فماذا فعل
بهم فقال **يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا** بأن يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور
والهدى والهمزة لإنكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على أبلغ وجه وآكده أي وعدكم
بحيث لا سبيل لكم إلى إنكاره والفاء في قوله تعالى **أفطال عليكم العهد** أي الزمان للعطف
على مقدر والهمزة لإنكار المعطوف ونفيه فقط أي أوعدكم ذلك فطال زمان الإنجاز فأخطأتم
بسببه **أم أردتم أن يحل** أي يجب **عليكم غضب** شديد لا يقادر قدره كائن **من ربكم**
أي من مالك أمركم على الإطلاق **فأخلفتم موعدي** أي وعدكم إياي بالثبات على ما
أمرتكم به وإلى أن أرجع من الميقات على إضافة المصدر إلى مفعوله للتفخيم والزيادة تقبيح
حالهم فإن إخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام من حيث إضافته
إليه عليه الصلاة والسلام أشنع منه من حيث إضافته إليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل

واحد من

واحد من شقي الترديد على سبيل التبادل كأنه قيل أنسيتم الوعد بطريق العهد فأخلفتموني
خطأ أم أردتم حلول الغضب عليكم فأخلفتموه عمدا وأما حمل الموعد على المضاف إلى فاعله
وحمل الإخلاف على معنى وجدان الخلف فيه أي أوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود بعد
الأربعين فمما لا يساعده السباق ولا السياق أصلا **قالوا ما أخلفنا موعدك**
أي وعدنا إياك الثبات على ما أمرتنا به وإيثاره على أن يقال موعدنا على إضافة المصدر
إلى فاعله كما مر آنفا **بملكنا** أي بأن ملكنا أمورنا يعنون أنا لو خلينا وأمورنا ولم يسول لنا
السامري ما سوله مع مساعدة بعض الأحوال لما أخلفنا وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها
وكلها لغات في مصدر ملكت الشيء **ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم** استدراك
عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرئ حملنا بالتخفيف أي حملنا أحمالا
من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل
كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها إليهم عند الخروج مخافة أن يقفوا على أمرهم
وقيل هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوها وقيل تسميتها أوزارا
لأنها تبعات وآثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ **فقذفناها** أي في النار رجاء
الخلاص عن ذنبها **فكذلك** أي فمثل ذلك القذف **ألقى السامري** أي ما كان معه منها
وقد كان أراهم أنه أيضا يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وإنما كان
الذي ألقاه التربة التي أخذها من أثر الرسول كما سيأتي روي أنه قال لهم إنما تأخر موسى
عنكم لما معكم من الأوزار فالرأي أن نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا
ففعلوا **فأخرج** أي السامري **لهم** للقائلين **عجلا** من تلك الحلي المذابة وتأخيره مع
كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع
ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم فإن قوله تعالى **جسدا** جثة
ذا دم ولحم أو جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى **له خوار** أي صوت عجل
نعت له **فقالوا** أي السامري ومن افتتن به أول ما رآه **هذا إلهكم وإله موسى فنسي** أي
غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذه الحكاية نتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من
جهته تعالى قصدا إلى زيادة تقريرها ثم ترتيب الإنكار عليها لا من جهة القائلين وإلا لقيل
فأخرج لنا والحمل على أن عدولهم إلى ضمير الغيبة لبيان أن الإخراج والقول المذكورين لكل
العبدة فمخل لانتظام مع التمسك باعتذارهم فإن مخالفة بعضهم للسامري وعدم
افتتانهم بعد ذلك أعظم جناية وأكثر شناعة وأما ما قيل من أن المعتذرين هم الذين لم يعبدوا
العجل وأن نسبة الإخلاف إلى أنفسهم وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع أن
القاتل واحد منهم كأنهم قالوا ما وجد الإخلاف فيما بيننا باختيارنا وملكنا بل تمكنت الشبهة
في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فأخرج لهم ما أخرج وقال ما قال فلم نقدر على
صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سباق النظم الكريم
وسياقه وقوله تعالى **أفلا يرون** إلخ إنكار وتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين ٢
والمضلين جميعا أو تسفيه لهم فيما أقدموا عليه من المنكر الذي لا يخفى بطلانه على أحد
وهو اتخاذه إلها والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألا يتفكرون فلا يعلمون
أن لا يرجع إليهم قولا أي أنه لا يرجع إليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون

٢ واستجهالهم

انه آله وقرئ بالنصب فالرؤية حينئذ بصرية فان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين
اي الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما ذكر
مع كونه امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله
تعالى ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية
اي افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان
يضرهم ان لم يعبدوه او لا ينفعهم ان عبدوه ولقد قال لهم هارون من قبل جملة
قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم على الرسول اثر
بيان مكابرتهم لقضية العقول اي بالله لقد نصح لهم هارون ونبههم على كنه الامر
من قبل رجوع موسى عليه الصلاة والسلام اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات
وقيل من قبل قول السامري كانه عليه الصلاة والسلام اول ما ابصره حين طلع من الحفيرة
توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم فقال لهم يا قوم انما فتنتم به اي اوقعتم
في الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل
بالقياس الى مقابله الذي يقتضيه القوم لا الى قيده المذكور بالقياس الى قيد اخر على معنى
انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى
وان ربكم الرحمن بكسر ان عطفا على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل والتعرض
لصفات الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم الى الحق كما ان التعرض لوصف العجل للزجر عنهما
بالزجر عن الباطل اي ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا العجل والفاء في قوله تعالى
فاتبعوني لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اي اذا كان الامر كذلك فاتبعوني
في الثبات على الدين واطيعوا امري هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شأنه قالوا في جواب
هارون عليه الصلاة والسلام لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين
حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عليه الصلاة والسلام اليهم غاية لعكوفهم
على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه عليه الصلاة والسلام بل بطريق
التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عليه الصلاة والسلام لا يرجع بشيء مبين تعويلا
على مقالة السامري روي انهم لما قالوا اعتزلهم هارون عليه الصلاة والسلام في اثني
عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عليه الصلاة والسلام سمع الصياح وكانوا
يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع
منهم ما قالوا وقوله تعالى قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهرون
عليه الصلاة والسلام كانه قيل فماذا قال موسى لهرون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته
بعدما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته ورأسه يا هرون
ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك
المقالة الشنعاء الا تتبعن اي ان تتبعني على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع
وعامل في اذا اي اي شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعني في الغضب لله تعالى
والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعني فان المنع عن الشيء مستلزم
للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان تلحقني وتخبرني بضلالهم فتكون مفارقتك مزجرة لهم
وفيه ان نصائح هارون عليه الصلاة والسلام حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلان لا تزجرهم

مفارقته

مفارقته اياهم اولى والاعتذار بانه يلحقه ويخبره عليهما الصلاة والسلام بالقصة
يخافون رجوعه عليه الصلاة والسلام فينزجرون عن ذلك بمعزل من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا
بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عليه الصلاة والسلام افعصيت امري اي بالصلابة
في الدين والمحاماة عليه فان قوله عليه الصلاة والسلام اخلفني متضمن للامر بهما حتما فان
الخلافة لا تتحقق الا بهما فخالفتني فعصيتني قال يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافا
لحقها وترقيقا لقلبه لا لما قيل لانه كان اخاه لامه فان الجمهور على انهما كانا شقيقين لا
تأخذ بلحيتي ولا برأسي اي بشعر رأسي روي انه عليه الصلاة والسلام اخذ شعر رأسه
بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه الصلاة والسلام
حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى
اني خشيت الخ استئناف مسوق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي الى ترك المقاتلة
وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل لامره اي اني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا
فتفرقوا ان تقول فرقت بين بني اسرائيل برأيك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك
العنوان دون القوم ونحوه واراد عليه الصلاة والسلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من
التفريق الذي لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولي يريد به قوله عليه الصلاة والسلام
اخلفني في قومي واصلح يعني اني رأيت ان الاصلاح في حفظ الدهماء والمداراة بينهم
الى ان ترجع اليهم فلذلك استأنيتك لتكون انت المتدارك للامر حسبما رأيت لا سيما وقد
كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني قال استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد
الفساد الى السامري واعتذار هارون عليه الصلاة والسلام كانه قيل فماذا صنع موسى عليه
الصلاة والسلام بعد سماع ما حكي من الاعتذارين واستقر ان اصل الفتنة هو السامري
فقيل قال موبخا له وهذا شأنهم فما خطبك يا سامري اي ما شأنك وما مطلوبك
بما فعلت خاطبه عليه الصلاة والسلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل
به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم قال اي السامري
مجيبا له عليه الصلاة والسلام بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ
بكسرها في الاول وفتحها في الثاني وقرئ بالتاء على الخطاب على خطاب موسى عليه الصلاة
والسلام وقومه اي علمت بما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له ورأيت ما لم يروه وهو الانسب
بما سيأتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه موسى
عليه الصلاة والسلام جراءة عظيمة لا تليق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم
يره عليه الصلاة فانها مما يقع بحسب ما يتفق ولقد كان رأى جبريل عليه
الصلاة والسلام راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج
من تحته النبات في الحال فعرف ان له شأنا فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت
قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول اي من تربة موطئ فرس الملك الذي ارسل
اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف
عليه القوم من الاسرار الالهية تأكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذه ما اخذه
والقبضة المرة من القبض اطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة

وللضيفة وقرئ قبصت قبصة بالصاد المهملة والأول للأخذ بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم **فنبذتها** اي في الحلي المذاب فكان ما كان **وكذلك سولت لي نفسي** اي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى وكذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل الكاف في الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي او نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لي نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للافادة تاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي ما فعلته لا ان برهانا ادى بي الى فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا بشئ آخر من البرهان العقلي او الالهام الالهي فعند ذلك **قال** عليه الصلاة والسلام **فاذهب** من بين الناس وقوله تعالى **فان لك في الحيوة** اي مدة حياتك تعليل لموجب الامر وفي متعلقة بالاستقرار في لك اي ثابت لك في الحيوة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف المذكور لاعتقاده وعلى ما هو مبتدأ معنى لا بقوله تعالى **ان تقول لا مساس** لمكان ان اي ثابت لك كائنا في الحيوة اي مدة حياتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حما من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى صوته لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما انشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحيوة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التي هي من اسباب موت الاحياء **وان لك موعدا** اي في الآخرة **لن تخلفه** اي لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت الموعد اي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل **وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا** اي ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها **لنحرقنه** جواب قسم محذوف اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه **ثم لننسفنه** اي لنذرينه وقرئ بضم السين **في اليم** رمادا او مبرودا كانه هباء **نسفا** بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عليه الصلاة والسلام ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين **انما الهكم الله** استئناف مسوق لبيان تحقق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اي انما معبودكم المستحق للعبادة الله **الذي لا اله** في الوجود لشئ من الاشياء **الا هو** وحده من غير ان يشاركه شئ من الاشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها احكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى **وسع كل شئ** ما من شانه ان يعلم بدل من الصلة كانه قيل انما الهكم الذي وسع

كل شئ

كل شئ علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول لكانه قيل وسع علمه كل شئ وبه تم حديث موسى عليه الصلاة والسلام المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته **كذلك نقص عليك** كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى عليه الصلاة والسلام وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اي نقص عليك **من انباء ما قد سبق** من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى من انباء في حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سبق او قصصا كائنا من انباء ما قد سبق وقد مر تفسير تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتاخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي مثل ذلك القص البديع الذي سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين من امتك **وقد آتيناك من لدنا ذكرا** اي كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتاخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا عظيما وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم **من اعرض عنه** عن ذلك الذكر العظيم الشان المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن اما شرطية او موصولة وايا ما كانت فالجملة صفة لذكرا **فانه** اي المعرض عنه **يحمل يوم القيمة وزرا** اي عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سيأتي من تسميتها حملا وقوله تعالى **خالدين فيه** اي في الوزر او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر الثلاثة بالنظر الى لفظها **وساء لهم يوم القيمة حملا** اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كانه قيل لمن يقال هذا فقيل لهم واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل الامر **يوم ينفخ في الصور** بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله تعالى او لاسرافيل عليه الصلاة والسلام وان لم يجر ذكره لشهرته **ونحشر المجرمين يومئذ** اي يوم اذ ينفخ في الصور وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل

وقرئ ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اي حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا أعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد وأصهب السبال وأزرق العين او عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى يتخافتون بينهم اي يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استئناف لبيان ما يأتون وما يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين اي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة ان لبثتم اي ما لبثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وأيقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كأنهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والا فحالهم اقطع من تمكنهم من الاشتغال بتذكر ايام النعمة والسرور واستقصارها والتأسف عليها نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اي اعدلهم رأيا وأعلمهم ان لبثتم الا يوما ونسبة القول الى امثلهم استرجاع منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول ويسألونك عن الجبال اي عن حال الجبال ومآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء فقل ينسفها ربي نسفا اي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين فيذرها قاعا صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل المنكشف من الارض وقيل المستوي الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كأن اجزاءها صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب وهو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى لا ترى فيها اي في مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين اي اعوجاجا ما كأنه لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني اي لا تدركه ان تأملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اي نتوا يسيرا استئناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم يومئذ اي يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله يتبعون الداعي وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك اي يتبع الناس داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عليه الصلوة والسلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى العرض الى الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج عنه مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن اي خفضت لهيبته فلا تسمع الا همسا اي صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها

الى المحشر يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من اذن له الرحمن اي يشفع له ورضي له قولا اي ورضي لاجله قول الشافع في شأنه او رضي قوله لاجله وفي شأنه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا يساعده المقام لان الحكم بعدم نفع الشفاعة ممن لم يؤذن له لا يملكها ولا يتصدى لها اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها يعلم ما بين ايديهم اي ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الآخرة ولا يحيطون به علما اي لا تحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم اي ذلت وخضعت خضوع العناة اي الاسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين لقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كأنه قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات اي بعض الصالحات قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه كما انه كذلك على الوجه الاول اي ومن يعمل بعض الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سبق وهو مؤمن فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات فلا يخاف ظلما اي منع ثواب مستحق بموجب الوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقص ولا يخاف جزاء ظلم وهضم اذا لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص ذلك اشارة الى انزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال القيمة واهوالها اي مثل ذلك الانزال انزلناه اي القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شأنه ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد اي كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه آنفا لعلهم يتقون اي كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل او يحدث لهم ذكرا اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله واحواله الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل

بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه أي يتم وحيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ألقى إليه جبريل عليه الصلاة والسلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك إثر ذكر الإنزال بطريق الاستطراد لما أن استقرار الألفاظ في الأذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وأمر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل **وقل** أي في نفسك **رب زدني علما** أي سل الله عز وجل زيادة العلم فإنه الموصل إلى طلبتك دون الاستعجال وقيل إنه نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل أن يأتي بيانه وليس بذاك فإن تبليغ المجمل قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته **ولقد عهدنا إلى آدم** كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان أن أساس بني آدم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من إنجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق يقال عهد إليه الملك وعزم عليه وتقدم إليه إذا أمره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف أي وأقسم أو والله لقد أمرناه ووصيناه **من قبل** أي من قبل هذا الزمان **فنسي** أي العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه أو تركه ترك المنسي عنه وقرئ فنسي أي نساه الشيطان **ولم نجد له عزما** تصميم رأي وثبات قدم في الأمور إذ لو كان كذلك لما أزله الشيطان ولما استطاع أن يغره وقد كان ذلك منه عليه الصلاة والسلام في بدء أمره من قبل أن يجرب الأمور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها وأريها عن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فإنه أخطأ ولم يتعمده وقوله تعالى ولم نجد إن كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه قدم الثاني على الأول لكونه ظرفا وإن كان من الوجود المقابل للعدم وهو الأنسب لأن مصب الفائدة هو المفعول وليس في الإخبار بكون العدم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أو بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كأنه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم أي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث للمبالغة في إيجاب ذكرها فإن الوقت مشتمل على تفاصيل الأمور الواقعة فيه فالأمر بذكره أمر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل على أعيان الحوادث فإذا ذكر صارت الحوادث كأنها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية أي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه **فسجدوا إلا إبليس** قد سبق الكلام فيه مرارا **أبى** جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الإخبار بعدم سجوده كأنه قيل ما باله لم يسجد فقيل أبى ومفعوله إما محذوف أي أبى السجود كما في قوله تعالى أبى أن يكون مع الساجدين أو غير منوي رأسا بتنزيله منزلة اللازم أي فعل الإباء وأظهره **فقلنا** عقيب ذلك اعتناء بنصحه **يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما** أي لا يكونن سببا لإخراجكما **من الجنة** والمراد نهيهما عن أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان إلى إخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا أرينك هاهنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما

أو على الإخبار بها **فتشقى** جواب للنهي وإسناد الشقاء إليه خاصة بعد تعليق الإخراج الموجب له بهما معا لأصالته في الأمور واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف الرجال **إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** تعليل لما يوجبه النهي فإن اجتماع أسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد في الانتهاء عما يؤدي إلى الخروج عنها والعدول عن التصريح بأن له عليه الصلاة والسلام فيها تنعما بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا بأصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع أن فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى إلى ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش والعري والضحو لتذكير تلك الأمور المنكرة والتنبيه على ما فيها من أنواع الشقوة التي حذره عنها ليبالغ في التحامي عن السبب المؤدي إليها على أن الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما نطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وطوي ذكره هاهنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى أن لا تجوع إلخ أن لا يصيبه شيء من الأمور الأربعة أصلا فإن الشبع والري والكسوة والكن قد يحصل بعد عروض أضدادها بإعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الأمر فيها كذلك بل كلما وقع فيها شهوة وميل إلى شيء من الأمور المذكورة تمتع به من غير أن يصل إلى حد الضرورة ووجه إفراده عليه الصلاة والسلام بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظمأ عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالإشارة إلى أن نفي كل واحد من تلك الأمور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظمأ لربما توهم أن نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولربما أخل النظر بالتنبيه على أن نفي كل واحد من الأمور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالأصالة لا أن نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ إنك بالكسر والجمهور بالفتح بالعطف على أن لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بأن المفتوحة اسما للمكسورة لمشاركتها لها في إفادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما أن المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما في حيزيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فإن اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه أن كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى أن مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الإيجابي والسلبي وأن مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلولهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه واللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المؤولة بالمصدر وأما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وإنما لم يجوزوا أن يقال إن أن زيدا قائم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا إن عندي أن زيدا قائم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وإن كانت نائبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في إفضاء معناها وإجراء أحكامها على مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق أصلا فالمعنى أن لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظمأ خلا أنه لم يقتصر على بيان أن الثابت له عليه

الصلوة عدم الظما والضحي مطلقا كما فصل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان انه ثابت له
عليه الصلوة والسلام تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدري المحض ان المفيدة لمكانه
قبل ان [illegible] على التحقيق فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه وسوسته
او اسرها اليه قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية وسوسته كانه قيل
فماذا قال في وسوسته فقيل قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي شجرة من اكل منها
خلد ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فاكلا منها فبدت
لهما سوآتهما قال ابن عباس رضي الله عنهما عريا عن النور الذي كان الله تعالى البسهما حتى بدت
فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وقد مر تفسيره في سورة الاعراف
وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود او عن المامور به
او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن
وفي وصفه عليه الصلوة والسلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر
بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة
والتوفيق لها من اجتبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة
الجمع وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام مزيد
تشريف له عليه الصلوة والسلام فتاب عليه اي قبل توبته حين تاب هو وزوجته
قائلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده
عليه الصلوة والسلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه وهدى اي الى الثبات
على التوبة والتمسك باسباب العصمة قال استئناف مبني على سؤال نشا من الاخبار
بانه تعالى قبل توبته وهداه كانه قيل فماذا امره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته
اهبطا منها جميعا اي انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو
حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشا الاولاد اي متعادين
في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فاما ياتينكم مني هدى ووضع
الظاهر موضع الضمير مع الاضافة الى ضميره تعالى للتشريف والمبالغة في ايجاب اتباعه فلا
يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري اي عن الهدى الذاكر لي والداعي
الي فان له في الدنيا معيشة ضنكا اي ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه
المذكر والمؤنث وهمته بالمال على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة
مع انه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة
والمسكنة وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل
القرى آمنوا الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار
وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل
فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيامة اعمى فاقد البصر كما في قوله تعالى
ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما لا اعمى عن الحجة كما قيل قال استئناف
كما مر رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي في الدنيا وقرئ بالامالة في الموضعين
وفي الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه راس الآية ومحل الوقف قال كذلك وسلك

النسيان

النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقا
لكن لا ابدا كما قيل بل الى ما شاء الله تعالى ثم يزيل عنه فيرى اهل القيامة ويشاهد مقعده
من النار ويكون ذلك عذابا فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم و
ابصر يوم ياتوننا وكذلك اي مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من اسرف بالانهماك
في الشهوات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها واعرض عنها ولعذاب الآخرة على الاطلاق
او عذاب النار اشد وابقى اي من ضنك العيش او منه ومن الحشر على العمى افلم يهد
لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى
وكذلك نجزي الآية والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
واستعمال الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى
التبيين والمفعول محذوف وايا ما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها والضمير
للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اغفلوا فلم يفعل الهداية
لهم او فلم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد مر في قوله تعالى اولم يهد للذين
يرثون الارض من بعد اهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة
بنون العظمة وقوله تعالى كم اهلكنا الخ اما معلق للفعل ساد مسد مفعوله او مفسر لمفعوله
المحذوف هكذا قيل والاوجه ان لا يلاحظ له مفعول كانه قيل افلم يفعل الله تعالى لهم
الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا الخ بيانا لتلك الهداية ومن القرون في محل
النصب على انه وصف لمميز كم اي كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى يمشون في مساكنهم
حال من القرون او مفعول اهلكنا اي اهلكناهم وهم في امن وتقلب في ديارهم او من الضمير في لهم
مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون السالفة من اصحاب الحجر
وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى الشام مشاهدين لآثار
هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل باولئك
وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمكنون من المشي ان في ذلك تعليل للانكار وتقرير
للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا وما فيه من معنى
الاعلام البعيد للاشعار ببعد منزلته وعلو شانه في بابه لآيات كثيرة عظيمة
واضحات الدلالة على الحق فاذن هو هاد واي هاد ومن ثمة تكون كلمة في تجريدية لاولي
النهى لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من اقبحها ما يتعاطاه هؤلاء من الكفر بآيات
الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون الجملة هو الفاعل
لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستانف سيق لبيان حكمة عدم
وقوع ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الآية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة
اي ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لحكمة تقتضيه
ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم لزاما اي لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتاخر
عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل باولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى الضمير عليه الصلوة والسلام تلويح بان ذلك التاخير لتشريفه عليه الصلوة والسلام كما
ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به
مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل آلة للالزام لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم واجل

وأجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر
لما تأخر عذابهم اصلا وفصل بما عطف عليه للمسارعة الى بيان جواب لولا والاشعار
باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز عطفه
على المستكن في كان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة
التأكيد اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كدأب عاد وثمود واضرابهم
ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل **فاصبر على ما يقولون** اي اذا كان الامر
على ما ذكر من ان تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون
من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على
الصبر **وسبح بحمد ربك** اي صل وانت حامد لربك الذي يبلغك الى كمالك
على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشأنه الرفيع حامدا
له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى
قبل طلوع الشمس وقبل الى آخره فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلوة الفجر **وقبل
غروبها** يعني صلوتي الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبته
لقوله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل صلوة العصر **ومن آناء الليل** اي من ساعاته جمع اني
بالكسر والقصر وآناء بالفتح والمد **فسبح** اي فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم
الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة اميل
فتكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ **واطراف
النهار** تكرير لصلوتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع
لامن الالباس كقوله فقد صغت قلوبكما او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف
الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او امر بالتطوع
في اجزاء النهار **لعلك ترضى** متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى
ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى اي يرضيك ربك **ولا
تمدن عينيك** اي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل **الى ما متعنا به** من زخارف الدنيا
وقوله تعالى **ازواجا منهم** اي اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء
به او هو حال من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على انه
مفعول من التبعيضية اي بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر مرارا **زهرة الحيوة الدنيا** منصوب
بمحذوف يدل عليه متعنا اي اعطينا او بتضمين متعنا معناه او بالبدلية من محل به او من ازواجا
بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي لغة
كالجهرة في الجهر او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه
المؤمنون الزهاد **لنفتنهم فيه** متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته
مآلا اثر بيان بهجته حالا اي لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم
في الآخرة بسببه **ورزق ربك** اي ما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك في الدنيا من النبوة
والهدى **خير** مما منحهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون
مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه **وابقى** فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة
الدنيا **وامر اهلك بالصلوة** امر عليه الصلوة والسلام بان يأمر اهل بيته او التابعين

له من امته بالصلوة بعدما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا
بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة **واصطبر عليها** وثابر عليها غير مشتغل
بامر المعاش **لا نسألك رزقا** اي لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك **نحن نرزقك**
واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة **والعاقبة** الحميدة **للتقوى** اي لاهل التقوى على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روي انه عليه
الصلوة والسلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية **وقالوا لولا يأتينا
بآية من ربه** حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي امر صلى الله عليه وسلم بالصبر عليها اي
هلا يأتينا بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة او بآية مما اقترحوها فكفوا من المكابرة
والعناد الى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات
حتى اجترؤوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى **اولم تأتهم بينة ما في الصحف
الاولى** اي التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة
وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من انكار اتيان القرآن الكريم الذي هو ام الآيات ورأس المعجزات واعظمها
وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات اي امر كان
ولا ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال وقد ظهر مع
حيازته على علوم الاولين والآخرين على يد امي لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا
من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعد وروده واي آية ترام مع وجوده وفي ايراده بعنوان
كونه بينة لما في الصحف الاولى من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية اي شاهدا
بحقية ما فيها من العقائد الحقة واصول الاحكام التي اجمعت عليها كافة الرسل وبصحة
ما تنطق به من انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات
حقية غيره ما لا يخفى من تنويه شأنه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه
واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اياه ما تيا به للتنبيه على اصالته فيه مع ما فيه
من المناسبة للتنبيه والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام
كأنه قيل الم تأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة بينة ما في الصحف الاولى تقريرا
لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتأتى منهم انكاره اصلا وان اجترؤوا على انكار
سائر الآيات مكابرة وعنادا وقرئ اولم يأتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف
بالسكون تخفيفا وقوله تعالى **ولو انا اهلكناهم بعذاب** الى آخر الآية جملة مستأنفة
سيقت لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم
القيمة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل **من قبله** متعلق باهلكنا او
بمحذوف هو صفة لعذابا اي بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه
وسلم **لقالوا** اي يوم القيمة **ربنا لولا ارسلت الينا** في الدنيا **رسولا** مع كتاب **فنتبع
آياتك** التي جاءنا بها **من قبل ان نذل** بالعذاب في الدنيا **ونخزى** بدخول النار
اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء **قل** لاولئك الكفرة المتمردين **كل** اي كل واحد منا ومنكم
متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم **فتربصوا** وقرئ فتمتعوا **فستعلمون**
عن قريب **من اصحاب الصراط السوي** اي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد

وقرئ السواء والسوء والسوءى تصغير السوء ومن اهتدى من الضلالة ومن في
الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرها ما بعدها والجملة سادة مسد مفعولي
العلم او مفعوله ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة
على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب
او على الصراط وقيل العائد في الاولى محذوف والتقدير من هم اصحاب الصراط عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار
وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا سورة طه ويس عليهما الصلوة والسلام

[illegible]

سورة الانبياء عليهم السلام مائة آية واثنتا عشر آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة
لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس
المشركون وهو الذي ينبئ عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب
الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من
الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم
ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان
نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوؤهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من
المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض لتعجيل المسرة لما ان بيان كون الخلق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما
خلق لهم وشوقا اليه وحملها على التأكيد للاضافة فتعليق الاصل للمقترب فيما بين الاوساط
اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام
بمعزل مما يقتضيه المقام واما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا
منهم حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبئ عن التوجه نحوهم
الى الحساب مع امكان العكس بان يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شأنه
وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم
لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة
من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا واما الاعتذار بان
قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار ان كل آت
قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في
تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيصار الى التوجيه
بالوجه الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا يحسن الاعتبار ههنا لان قربه بالنسبة
اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما واما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة
قريب ونحوه ونظائره مما لا دلالة له على الحدوث واما الثالث فلا دلالة له فيه على القرب
حقيقة ولو بالنسبة الى شيء آخر وهم في غفلة اي في غفلة تامة منه ساهون
عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء
عقولهم ان الاعمال لا بد لها من الجزاء معرضون اي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن

سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا
منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من
المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم ذلك اكمل تذكير
وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كأنها نفس الذكر ومن في قوله تعالى من ربهم لابتداء
الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله
وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع محدث
بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله
تعالى الا استمعوه استثناء مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول يأتيهم باضمار قد
او بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى وهم يلعبون حال من فاعل استمعوه وقوله
تعالى لاهية قلوبهم اما حال اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم
محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين
به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في
العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر واسروا النجوى كلام مستأنف
مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى
اسرارها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر احد
بانهم متناجون وقوله تعالى الذين ظلموا بدل من واو اسروا منبئ عن كونهم موصوفين
بالظلم الفاحش فيما اسروا به وهو شيء آخر غير اسروا النجوى فيرد لهما ما به والمعنى هم اسروا
النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى
هل هذا الا بشر مثلكم الى آخره في حيز النصب على انه مفعول للقول مضمر هو جواب عن سؤال
نشأ عما قبله كأنه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الى آخره او بدل من اسروا او معطوف
عليه او على انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى
افتأتون السحر للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى وانتم
تبصرون حال من فاعل تأتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر
مثلكم او من جنسكم وما اتى به سحر افتعلمون ذلك فتأتونه على وجه الاذعان وانتم تعاينون انه
سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد
البشر من الخوارق من قبيل السحر وقد عنوا ان ارسال الرسل الى عامة البشر الذي تقتضيه
الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب
مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم امر النبوة واطفاء نور الدين والله
متم نوره ولو كره المشركون قال ربي يعلم القول في السماء والارض حكاية من جهته تعالى لما
قال عليه الصلوة والسلام بعدما اوحي اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم وانكشاف سرهم
وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى بالسر على النمط البرهاني مع ما فيه
من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء
قطعا كما في علوم الخلق وقرئ قال الى آخره وقوله تعالى في السماء والارض متعلق بمحذوف
وقع حالا من القول اي كائنا في السماء والارض وقوله تعالى وهو السميع العليم اي المبالغ في
العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم وافعالهم

حينئذ

اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد **بل قالوا اضغاث احلام** اضراب من
جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية قول اخر مضطرب في مضايق البطلان
اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه الصلوة والسلام هل هذا الا بشر وفي حق ما ظهر
على يده من القرآن الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط الاحلام ثم اضربوا عنه فقالوا **بل افتراه** من تلقاء
نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم قالوا **بل هو شاعر** وما اتى به شعر يخيل
الى السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شان المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وابطل
ويتذبذب بين فاسد وافسد فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم
وقد قيل الكل من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى ثم
الى انه قول شاعر ولا ريب في انه كان ينبغي حينئذ ان يقال قالوا بل اضغاث احلام والاعتذار بان
بل قالوا مقول لقالوا المضمر في قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كانه قيل واسروا النجوى قالوا
هل هذا الى قوله بل اضغاث احلام فانما يصح لو قالوا بعد بل البعد للتمهيد ثم يجب تنزيه ساحة التنزيل
عن مثاله **فليأتنا** جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كانه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان
رسولا من الله فليأتنا **باية كما ارسل الاولون** اي مثل الاية التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا
ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها صفة لاية ويجوز ان تكون مصدرية
والكاف منصوبة على انها مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف اي فليأتنا به اتيانا كائنا
مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان بالاية من فروع الارسال بها اي
مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد كل واحد من
الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الارسال
وفي جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الاخر حسبما
مر في اخر سورة يونس **ما امنت قبلهم من قرية** كلام مستانف مسوق لتكذيبهم
فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح
تلك الايات كالباحث عن حتفه بظلفه وان في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو
اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة الله عز وجل في الامم
السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوا ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة
وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله تعالى من قرية
اي من اهل قرية والهمزة في قوله تعالى **افهم يؤمنون** لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على
مقدر دخلت الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين فالمعنى
انه لم يؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوا من الايات اهم لم يؤمنوا فهؤلاء لا يؤمنون
لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على ما امنت على ان الفاء
متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت
عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو راي الجمهور وقوله عز وجل **وما ارسلنا قبلك الا رجالا**
جواب لقولهم هل هذا الا بشر الخ متضمن لرد ما انطوى تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض
لعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك الرسل صلوات الله عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه
جواب قولهم فليأتنا باية لانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما
مر في تفسير قوله تعالى قل انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة

الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ولان في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم
الكريم ولان في ذلك ما يخدع سببا للتكذيب يوجب التصديق في الحقيقة لان مقتضى الحكمة
ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة
الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها
يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين
بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا
من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى **نوحي اليهم** استئناف مبين لكيفية الارسال وصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى خصوصه والمعنى
وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الى امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس متأهلين للاصطفاء
والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام وغيرها من القصص والاخبار
كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين الآية وقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك
وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون انك لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي
اليهم فيقولون فيك ما يقولون وقرئ يوحى اليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول جريا على سنن
الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى **فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** تلوين
للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق الحق
على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه المحقق للخطاب في امثال تلك الحقائق
الانيقة واما الوقوف عليها بالاستخبار عليها من الغير فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما
بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم لا تعلمون ما ذكر
فاسألوا ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلوة والسلام لتزول
شبهتكم امروا بذلك لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته
صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم في امره عليه الصلوة والسلام ففيه من الدلالة على كمال وضوح
الامر وقوة شان النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى **وما جعلناهم جسدا** بيان لكون الرسل
عليهم الصلوة والسلام اسوة لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة
لهم في نفس البشرية والجسد اسم لجسم الانسان والجن والملائكة ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا
بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك
ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر في قوله تعالى فجعلنا آية النهار
مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او بتقدير
المضاف اي ذوي جسد وقوله تعالى **لا يأكلون الطعام** صفة له اي وما جعلناهم جسدا
مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه **وما كانوا خالدين**
لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة وفي ايثار وما كانوا على وما جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود
مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستأنف والمراد
بالخلود اما المكث المديد كما هو شان الملائكة او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى
جعلناهم اجسادا متغذية صائرة بالموت الى الآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا اجسادا

مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلو من ذلك لجميعهم والجملة مقررة لما
قبلها من كون الرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام بشرا لا ملكا مع ما في ذلك من الرد على قولهم مال
هذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم من حكاية
وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كأنه قيل أوحينا اليهم ما أوحينا ثم صدقناهم
في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي باهلاك اعدائهم فأنجيناهم ومن نشاء اي المؤمنين
وغيرهم ممن تستدعي الحكمة ابقاءه مثل من سيؤمن هو او بعض فروعه بالاخرة وهو السر في حماية العرب من
عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين اي المجاوزين الحدود في الكفر والمعاصي لقد أنزلنا
اليكم كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض
الناس عنه وما يأتيهم من آياته واستماعهم اياه لاعبين وتسميتهم له تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى
وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر الرسل الكرام
قد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لكمال الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين في اقصى مراتب
النكير اي والله لقد أنزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم الشأن نير البرهان وقوله تعالى فيه
ذكركم صفة لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه جليل القدر جميل الآثار مستجلبا لهم
منافع جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون اليه
في امور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه
موعظتكم وهو الانسب لسياق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى أفلا تعقلون انكار توبيخي
فيه بعث لهم على التدبر في امر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي
من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه الكلام اي ألا
تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله
تعالى وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم
وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن
قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة تلاؤم الاجزاء بالكلية
من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في محل الجر على انها صفة
لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الآتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى
كافرين بها كدأبكم وأنشأنا بعدها اي بعد اهلاك اهلها قوما آخرين اي ليسوا منهم نسبا
ولا دينا ففيه تنبيه على استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية
انشاء هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما أحسوا بأسنا اي ادركوا
عذابنا الشديد ادراكا تاما كأنه ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون
مسرعين راكضين دوابهم مشبهين بهم في فرط الاسراع لا تركضوا اي قيل لهم بلسان الحال
او بلسان المقال من الملك او ممن ثم من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا الى
ما أترفتم فيه من النعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كنتم تفتخرون بها
لعلكم تسألون تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل او تعذبون اذا
رأيت مساكنكم خالية … او يسألكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء
ينفقون اموالهم رئاء او بخلا فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا من الخلاص بالهرب وأيقنوا
بنزول العذاب يا ويلنا اي هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف

منهم بالظلم باستتباعه العذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعواهم
اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى لأن المولول كأنه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال
فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك
لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حكم
المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من
الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن في حصيدا …
جعلناهم امثال الحصيد وما خلقنا السماء والارض اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع
بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب
الهائل والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه
وان للمخاطبين مثله ان لم ينتهوا عما هم عليه اي وما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات
التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها وآحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية
عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى
عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل
انما خلقناهما وما بينهما لتكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل
معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا استئناف مقرر لما قبله من انتفاء
اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا اي من جهة قدرتنا او من
عندنا مما يليق بشأننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة
في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن استحالة ارادتنا له تنافي الحكمة فاستحال
اتخاذنا له قطعا وقوله تعالى ان كنا فاعلين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان
كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين …
بيانا لانتفائه … وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى والمجوس
ما فيه بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كأنه قيل لا نريده
بل … نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص شأن من هذا
من بين سائر … الى ما سيأتي من الوعيد فيدمغه اي يمحقه بالكلية
كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد
بالجرم الصلب كالصخر ولمحقه الباطل بالدمغ الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث
يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لسيد ذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف
وقرئ فيدمغه بضم الميم فاذا هو زاهق اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة
الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكأنه زاهق من الاصل ولكم
الويل مما تصفون وعيد لقريش بأن لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية
متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في الخبر وما اما
مصدرية او موصوفة اي واستقر لكم الويل من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل
او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه به من الولد ونحوه تعالى عن ذلك وله من في السموات والارض

استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق
الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتصرفا وتدبيرا واحياء واماتة
وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما استقلالا او استتباعا **ومن عنده** وهم الملائكة
عليهم الصلاة والسلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه
عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره **لا يستكبرون**
عن عبادته اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبراء **ولا يستحسرون** اي لا يكلون ولا يعيون
وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه على ان عباداتهم بثقلها ودوامها
حقيقة بان يستحسر منها كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة كثرة
الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصل الظلم في الجملة
وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض للتعظيم
كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية **يسبحون الليل
والنهار** اي ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استئناف وقع جوابا عما
نشأ عما قبله كانه قيل فماذا يصنعون في عباداتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ
او حال من فاعل يستحسرون وقوله تعالى **لا يفترون** اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا
بفراغ او بشغل آخر **ام اتخذوا آلهة** حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب
والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى يخلق جميع المخلوقات على
منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون
على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها الانداد ومعنى
الهمزة في ام المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى **من الارض** متعلق باتخذوا او
بمحذوف هو صفة لآلهة وايا ما كان فالمراد به التحقير لا التخصيص وقوله تعالى **هم
ينشرون** اي يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذي يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع
لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اي بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم ينشرون
ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم
حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه من الخصائص الالهية حتما
ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم
للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما في قوله تعالى افي الله شك وقوله تعالى أبالله وآياته كنتم تستهزؤن
فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه ويستهزأ به
ويجوز ان يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال
بالابداء والاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما
انهم جعلوا مدعين لاصل الانشار **لو كان فيهما آلهة الا الله** ابطال لتعدد الآله باقامة
البرهان على انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر انكار اتخاذ الآلهة
لا لان للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة
لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى
لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل لانه متفرع على
الاستثناء ومشروط في كلام غير موجب اي لو كان في السموات والارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم

الباطل

الباطل **لفسدتا** اي لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعا
بيان الملازمة ان الآلهة مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق
تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتأثير
واحد منهما فالباقي بمعزل من الالهية والا فالبرهان يقتضي استحالة التعدد على الاطلاق
فانه لو تعدد الاله فان توافقا في الكل في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت تعاوقت
فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى
فسبحان الله لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اي فسبحوه
سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التي من جملتها ان يكون له شريك في الالوهية
وايراد الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية وادخال الروعة وقوله
تعالى **رب العرش** صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل **عما يصفون** متعلق
بالتسبيح اي سبحوه عما يصفونه من ان يكون من دونه اله **لا يسئل عما يفعل** استئناف
ببيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يناقشه
ويسأله عما يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك في الالهية **وهم** اي العباد **يسئلون**
عما يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون وفيه وعيد للكفرة **ام
اتخذوا من دونه آلهة** اضراب وانتقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة حقيقة
باظهار خلوها عن خصائص الالهية التي من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على
استحالة تعدد الاله على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان
اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله سبحانه بالالهية
الى اظهار بطلان اتخاذهم وتبكيتهم بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة
وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة
لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا
متجاوزين الله تعالى مع ظهور شؤونه الجليلة **قل** لهم بطريق التبكيت والقام الحجر **هاتوا
برهانكم** على ما تدعونه من جهة العقل والنقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه في الامور
الدينية لا سيما في مثل هذا الشأن الخطير وما في اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان
لهم برهانا ضرب من التهكم بهم وفي قوله تعالى **هذا ذكر من معي وذكر من قبلي** اثارة لبرهانه
واشارة الى انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة
وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اي هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد
المتضمن للبرهان القاطع العقلي ذكر من معي اي عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فاتوا
انتم برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب نزل على امتي وهذا كتاب انزل على امم الانبياء عليهم
الصلاة والسلام من الكتب الثلاثة والصحف فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الامر بالتوحيد
والنهي عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال
كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل
وبعد كقوله تعالى **بل اكثرهم لا يعلمون الحق** اضراب من جهته تعالى عز وجل في الكلام الملقن
وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية
الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل **فهم** لاجل ذلك

معرضون أي مستمرون على الإعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه
من الغي والضلال وإن كررت عليهم البينات والحجج أو معرضون عما ألقي عليهم من البراهين العقلية
والنقلية وقرئ الحق بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب تأكيدا
للسببية وقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون
استئناف مقرر لما أجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الإلهية وأجمعت عليه الرسل
عليهم الصلاة والسلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا للمفعول وأيا ما كان فصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية
فريق من المشركين جيء بها إظهارا لبطلانها وبيانا لتنزهه تعالى عن ذلك إثر بيان تنزهه سبحانه
عن الشركاء على الإطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدي
أن قريشا وبعض أحياء العرب جهينة وبني خزاعة وبني سلمة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض
لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له نعمة أو منعما عليه لإبراز كمال
شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه أي تنزه بالذات تنزهه اللائق به على أن السبحان مصدر
من سبح أي بعد أو أسبح تسبيحه على أنه علم للتسبيح وهو مقول على ألسنة العباد أو سبحوه
تسبيحه وقوله تعالى بل عباد إضراب وإبطال لما قالوا كأنه قيل ليست الملائكة كما قالوا
بل هم عباد له تعالى مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ
غلط القوم وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول صفة أخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم
وانقيادهم لأمره تعالى أي لا يقولون شيئا حتى يقوله تعالى أو يأمرهم به وأصله لا يسبق
قولهم قوله تعالى فأسند السبق إليهم منسوبا إليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة
سبقهم إياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض
به للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محل السبق وأداة له ثم أنيبت اللام عن الإضافة
للاختصار والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته أسبقه وفيه مزيد
استهجان للسبق وإشعار بأن من يسبق قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فسبقه فغلبه
والعياذ بالله وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم وهم بأمره يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى
في الأعمال إثر بيان تبعيتهم له تعالى في الأقوال فإن نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم
له تعالى كأنه قيل هم بأمره يقولون وبأمره يعملون لا بغير أمره أصلا كما أن القصر المستفاد من تقديم
الجار معتبر بالنسبة إلى غير أمره لا إلى أمر غيره يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم استئناف
وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فإنهم لعلمهم بإحاطته تعالى بما قدموا وأخروا من الأقوال
والأعمال لا يزالون يراقبون أحوالهم فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى ولا يشفعون إلا
لمن ارتضى الله أن يشفع له مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته عز وجل مشفقون
مرتعدون وأصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والإشفاق الخوف
مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه أظهر وعند تعديته بعلى ينعكس الأمر ومن
يقل منهم أي من الملائكة إذا كلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم إني إله من دونه
متجاوزا إياه تعالى فذلك الذي فرض قوله فرض محال نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا يغني
عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة
جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهمه أولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك

نجزي

نجزي الظالمين مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي
الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ويتعدون أطوارهم والحصر المستفاد من التقديم
معتبر بالنسبة إلى النقصان دون الزيادة أي لا الجزاء الناقص منه أولم ير الذين كفروا تجهيل
لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالألوهية وكون
جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو
والرؤية قلبية أي ألم يتفكروا ولم يعلموا أن السموات والأرض كانتا أي جماعتا السموات
والأرضين كما في قوله إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى
إما على حذف المضاف أو هو بمعنى المفعول أي كانتا ذواتي رتق أو مرتوقتين وقرئ رتقا أي شيئا
رتقا أي مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في رواية عكرمة والحسن البصري
وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء
إلى حيث هي وأقر الأرض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحا
فتوسطتهما ففتقهما وعن الحسن خلق الله تعالى الأرض في بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان
ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض
وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة
واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها
فجعلها سبع أرضين وقال ابن عباس في رواية عطاء وعليه أكثر المفسرين إن السموات كانت
رتقا مستوية صلبة لا تمطر والأرض لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات فيكون المراد
بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق أو السموات جميعا على أن لها مدخلا في الأمطار
وعلم الكفرة بالرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به وأما بالمعاني الأول فهم وإن لم يعلموها
لكنهم متمكنون من علمها إما بطريق النظر والتفكر فإن الفتق عارض مفتقر إلى مؤثر قديم وإما
بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب وجعلنا من الماء كل شيء حي أي خلقنا من الماء
كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لأنه من أعظم مواده أو لفرط احتياجه إليه
وانتفاعه به أو صيرنا كل شيء حي من الماء أي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني
للاهتمام به لا لمجرد أن المفعولين في الأصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا أن يتقدم على المبتدأ
فإن ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على أنه صفة كل أو مفعول ثان ما في الوجه الأول
قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق إلى المؤخر أفلا يؤمنون إنكار لعدم إيمانهم بالله تعالى
وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والأنفسية الدالة على تفرده عز وجل
بالألوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورا تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر
يستدعيه الإنكار السابق أي أيعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أي جبالا
ثوابت جمع راسية من رسا الشيء إذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء
مما لا ريب في صحته كقولك أشهر معلومات وأيام معدودات أن تميد بهم أي كراهة أن تتحرك
وتضطرب بهم أو لئلا تميد بهم فحذف اللام ولا لعدم الالتباس وجعلنا فيها أي في الأرض
وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين أو للتوفية مقام الامتنان حقه أو في الرواسي لأنها المحتاجة
إلى الطرق فجاجا مسالك واسعة وإنما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير
حالا فيفيد أنه تعالى حين خلقها لذلك وليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على أنه خلقها

وقسمها للسابلة مع ما فيه من التوكيد لعلهم يهتدون اي الي مصالحهم ومهماتهم وجعلنا
السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الي الوقت المعلوم
بمشيئتنا او من استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها الدالة علي وحدانيته تعالي وحكمته
وقدرته وارادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة
معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون علي ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالي وهو
الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر الذين هما آيتاها بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها
معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء بفحوي الكلام اي هو الذي خلقهن وحده
كل اي كل واحد منهما علي ان التنوين عوض عن المضاف اليه في فلك يسبحون اي يجرون في سطح
الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الامير حلة والجملة حال من الشمس
والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء
لان السباحة من افعالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة
التكوينية والتشريعية افإن مت بمقتضي حكمتنا فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص
به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة
الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مبدأ له ومدار وجودا وعدما
من شماتتهم بموته صلي الله عليه وسلم فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغي ان يصدر عن
القائل كأنه قيل أفإن مت فهم الخالدون حتي يشمتوا بموتك وقوله تعالي كل نفس ذائقة
الموت اي ذائقة مرارة مفارقة جسدها برهان علي ما انكر من خلودهم ونبلوكم
الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين او للكفرة بطريق الالتفات اي نعاملكم معاملة من
يبلوكم بالشر والخير اي بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون اولا فتنة مصدر
موكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون لا الي غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم حسبما يظهر
منكم من الاعمال فهو علي الاول وعد ووعيد وعلي الثاني وعيد محض وفيه ايماء الي ان المقصود
من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء علي
الالتفات واذا رآك الذين كفروا اي المشركون ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك
الا مهزوا به علي معني قصر معاملتهم معك عليه الصلوة والسلام علي اتخاذهم اياه هزوا كما
هو المتبادر كأنه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالي ان اتبع
الا ما يوحي الي اهذا الذي يذكر آلهتكم علي ارادة القول اي ويقولون او قائلين ذلك اي يذكرهم
بسوء كما في قوله تعالي سمعنا فتي يذكرهم الآية وقوله تعالي وهم بذكر الرحمن هم كافرون
في حيز النصب علي الحالية من ضمير القول المقدر والمعني انهم يعيبون عليه عليه الصلوة والسلام
ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد
او بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فهم احقاء بالعيب والانكار والضمير
الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني
تأكيد لفظي للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول خلق
الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من
الاخلاق منزلة ما طبع عليه من الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن
عجلته مبادرته الي الكفر واستعجاله بالوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل

العذاب

العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان المراد بالانسان آدم عليه الصلوة والسلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم تتبالغ فيه اراد ان يقوم
وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الي ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهي الطعام وقيل
خلقه الله تعالي في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعني
خلق الانسان خلقا ناشئا من عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان
المراد بالجنس وان كان خلقه عليه الصلوة والسلام ساريا الي اولاده وقيل العجل الطين
بلغة حمير ولا تقريب له هاهنا وقوله تعالي سأريكم آياتي نزلت في ابن الخطاب وصرف له عن رسول
الله صلي الله عليه وسلم للمستعجلين وطريق التهديد والوعيد اي سأريكم نقماتي في الآخرة عما
لنا بغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن
مرادها ويقولون متي هذا الوعد اي وقت مجيء الساعة التي كانوا يعدونه وانما كانوا يقولونه
استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقته
بطريق الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي في وعدكم بانه يأتينا والخطاب للنبي
صلي الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط
محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالي فأتنا بما تعدنا ان كنت من
الصادقين فان قولهم متي هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة
فان ذلك في قوة الامر بالاتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين لو يعلم الذين
كفروا استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم
انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع في الشرط وان كان المعني علي المضي لافادة
استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار
الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في قولك لو تحسن الي لشكرتك فان
المعني ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان ولا لانتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول
موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة علي علة استعجالهم وقوله تعالي حين لا يكفون عن وجوههم
النار ولا عن ظهورهم مفعول ليعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه
واضافته الي الجملة الجارية مجري الصفة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الي الموصوف عند
المخاطب ايضا مع انكار الكفرة بذلك للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة الي الاخبار به وانما
حقها الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف اي لو لم يستمر عدم علمهم
بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متي هذا الوعد وهو الحين الذي تحيط بهم النار فيه من كل جانب
وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعني القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب في استلزام الاحاطة
بها لكن لا يقدرون علي دفعها بانفسهم من كل جانب ولا هم ينصرون من جهة
الغير في دفعها لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اي لو كان
لهم علم لما فعلوا وقوله تعالي حين الخ استئناف مقرر لجهلهم مبين لاستمراره الي ذلك الوقت
كأنه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال بل تأتيهم عطف علي لا يكفون اي
لا يكفونها بل تأتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجأة فتبهتهم اي تغلبهم او تحيرهم
وقرئ الفعلان بالتذكير علي ان الضمير للوعد او للحين وكذا الهاء في قوله تعالي فلا يستطيعون
ردها عنهم بالكلية ولا هم ينظرون اي يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير

لاتيانها لهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به عليه الصلاة والسلام في ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شان خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق اي احاط عقيب ذلك او نزل او حل واياما كان فاصل معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اي من اولئك الرسل عليهم الصلاة والسلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزءون للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل فاحاط الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير راجع حينئذ الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعله اشار على الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم الصلاة والسلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط اي فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروي بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة بصور عرضية تبرز في النشاة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك بني الوزن وقد مر تفصيله في سورة الاعراف وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية الى آخرها قل خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسليته بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وامر له عليه الصلاة والسلام بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل والنهار اي من باس الذي تستحقون نزوله ليلا ونهارا وتقديم الليل لما ان الدواهي اكثر فيه وقوعا واشد وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة وبعدما امر عليه الصلاة والسلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما تقتضيه حالهم لانهم بحيث لولا ان الله تعالى يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون الآفات فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف بذلك فيوبخوا على ما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون بيانا ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم وهي انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا ان يخافوا في باسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسالوا عن الكالئ على طريقة قول من قال عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار فاذا تحيون من نؤي واحجار وفي تعليق الاعراض بذكره تعالى وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة للانكار اي بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا او من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الانكار والنفي الى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع لا الى نفس الصفة بان يقال ام تمنعهم آلهتهم

الى الحجر من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله عز وعلا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم اي هم لا يستطيعون نصر انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ان الداعي الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل افلا يرون اي الا ينظرون فلا يرون انا ناتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها فكيف يتوهمون انهم ناجون من باسنا وهو تمثيل وتصوير لما يجريه الله تعالى من تخريب ديارهم على ايدي المسلمين وتحصيلها الى دار الاسلام افهم الغالبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لانكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كانه قيل ابعد ظهور ما ذكر وتقرره يتوهم غلبتهم كما في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وفي التعريف تعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها قل انما انذركم بعدما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساويهم امر عليه الصلاة والسلام بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق الناطق باتيانها وفظاعة ما فيها من الاهوال اي انما شاني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اما من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض قد امر عليه الصلاة والسلام بان يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما اوليا او للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله تعالى اذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الاسماع ونصب الصم والدعاء كانه قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو عليه الصلاة والسلام وقرئ على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك بيان لسرعة تاثرهم من مجيء نفس العذاب اثر بيان عدم تاثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن اصابتهم ادنى اصابة او ادنى شيء من عذابه تعالى ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة ليوم القيامة

التي كانوا يستحلونها أي نجزي بها أو لأجل أهله أو فيه مجازاً في ذلك حيث لحسن حلوله من الشيء فلا تظلم
نفسٌ من النفوس شيئاً حقاً من حقوقها أو شيئاً من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه إن خيراً فخير وإن شراً
فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين وإن كان أي العمل المدلول عليه بوضع الموازين
مثقال حبة من خردل أي مقدار حبة كائنة من خردل أي وإن كان في غاية القلة
والحقارة فإن حبة الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقالُ حبة بالرفع على أن كان تامة أتينا
بها أي أحضرناه ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل والتأنيث لإضافته
إلى الحبة وقرئ آتينا بها من الإيتاء بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم
بالجزاء وقرئ أثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها وكفى بنا حاسبين إذ لا مزيد على
علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكرى للمتقين
نوع تفصيل لما أجمل في قوله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يوحى إليهم إلى قوله تعالى وأهلكنا المسرفين
وإشارة إلى كيفية إنجائهم وإهلاك أعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لإظهار كمال الاعتناء
بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا بالضياء والذكر أي وبالله لقد آتيناهما وحياً ساطعاً
وكتاباً جامعاً بين كونه فارقاً بين الحق والباطل وضياءً يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكراً
يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لأنهم المستضيئون بأنواره المغتنمون لمغانم آثاره
أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع والأحكام وقيل الفرقان والنصر وقيل فلق البحر
والأول هو اللائق بمساق النظم الكريم فإنه لتحقيق أمر القرآن المشارك لسائر الكتب الإلهية
لا سيما التوراة فيما ذكر من الصفات ولأن فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا
بآية كما أرسل الأولون وقرئ ضياءً بغير واو على أنه حال من الفرقان وقوله تعالى الذين
يخشون ربهم أي عذابه مجرور المحل على أنه صفة مادحة للمتقين أو بدل أو بيان أو
منصوب أو مرفوع على المدح بالغيب حال من المفعول أي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم
غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالإنذار ما لم يشاهدوا ما أنذروه
وقيل من الفاعل وهم من الساعة مشفقون خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار
لمراعاة الفواصل وتخصيص إشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الإطلاق للإيذان
بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون وإيثار الجملة
الاسمية للدلالة على ثبات الإشفاق ودوامه وهذا أي القرآن الكريم أشير إليه بهذا إيذاناً
بغاية وضوح أمره ذكر يتذكر به من تذكر وصفه بالوصف الأخير للتوراة لمناسبة المقام
وموافقته لما مر في صدر السورة الكريمة مبارك كثير الخير غزير النفع يتبرك به أنزلناه
إما صفة ثانية لذكر أو خبر آخر أفأنتم له منكرون إنكار لإنكارهم بعد ظهور كون إنزاله
كإيتاء التوراة كأنه قيل أبعد أن علمتم أن شأنه كشأن التوراة في الإيتاء والإيحاء أنتم منكرون
لكونه منزلاً من عندنا فإن ذلك بعد ملاحظة حال التوراة مما لا مساغ له أصلاً ولقد آتينا
إبراهيم رشده أي الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند
إلى الهدايات الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على إصلاح الأمة باستعمال النواميس الإلهية
وقرئ رَشَده وهو لغة من قبل التمام وقيل من قبل استنبائه وقيل بلوغه وقيل بالمقابلة
وكنا به عالمين أي بأنه أهل لما آتيناه وفيه من الدلالة على أنه تعالى عالم بالجزئيات مختار في
أفعاله ما لا يخفى إذ قال لأبيه وقومه ظرف لآتينا على أنه وقت متسع وقع فيه الإيتاء

وما انزله

وما ترتب عليه من أفعاله وأقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلاً لما قبله
أي اذكر وقت قوله لأبيه وما ترتب عليه من أفعاله وأقواله ليظهر ما هذه التماثيل التي أنتم
لها عاكفون لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق
من خلق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه الصلاة والسلام حيث سألهم عن أصنامهم بما التي
يطلب بها بيان الحقيقة أو شرح الاسم كأنه لا يعرف أنها ماذا مع إحاطته بأن حقيقتها
حجر أو شجر اتخذوها معبوداً وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم
والاستمرار على الشيء لغرض من الأغراض قصداً إلى تحقيرها وإذلالها وتوبيخهم على إجلالها
ويجوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا وجدنا آباءنا
لها عابدين أجابوا بذلك لما أن مآل سؤاله عليه الصلاة والسلام الاستفسار عن سبب
عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه الصلاة والسلام إياهم بالعكوف لها كأنه عليه
الصلاة والسلام قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجأ
يعتد به التجأوا إلى التقليد فأبطله عليه الصلاة والسلام على طريقة التوكيد القسمي
حيث قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة في ضلال عجيب
لا يقادر قدره مبين أي ظاهر بين بحيث لا يخفى على أحد من العقلاء كونه كذلك ومعنى
كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول
لهم ولآبائهم أي والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم لعدم استناده إلى دليل ما والتقليد
إنما يجوز فيما يحتمل الحقيقة في الجملة قالوا لما سمعوا مقالته عليه الصلاة والسلام استبعاداً
لكون ما هم عليه ضلالاً وتعجباً من تضليله عليه الصلاة والسلام إياهم بطريق التوكيد
القسمي وترددوا في كون ذلك منه عليه الصلاة والسلام على وجه الجد أجئتنا بالحق
أي بالجد أم أنت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفي إيراد
الشق الأخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات إيذان برجحانه عندهم قال عليه الصلاة
والسلام مضرباً عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها أرباباً لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد
أصناماً فنظل لها عاكفين كأنه قيل ليس الأمر كذلك بل ربكم رب السموات والأرض الذي
فطرهن وقيل هو إضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات
والأرض وصفه تعالى بإيجادهن إثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقاً للحق وتنبيهاً
على أن ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية أي أنشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها أنتم
وآباؤكم وما تعبدونه من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير إلى التماثيل أدخل
في تضليلهم وأظهر في إلزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه
من جملة المخلوقات وأنا على ذلكم الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض فقط دون
ما عداه كائناً ما كان من الشاهدين أي العالمين على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه
فإن الشاهد على الشيء من تحققه وحققه شهادته على ذلك أولاً وبالحجة تعليه
وإثباته ثانياً كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه وتالله وقرئ بالباء وهو الأصل والتاء
بدل من الواو التي هي بدل من الأصل وفيها التعجب لأكيدن أصنامكم أي لأجتهدن في كسرها
وفيه إيذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وإنما قال عليه الصلاة والسلام ذلك
سراً وقيل سمعه رجل واحد بعد أن تولوا مدبرين من عبادتها إلى عيدكم وقرئ تولوا

من التولي بحذف احدى التائين ويعضده قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله
تعالى **فجعلهم** فصيحة اي فولوا فجعلهم **جذاذا** قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ
الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر وهي لغة او جمع جذيذ كخفاف
وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة روي ان آزر خرج
في يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا عندها طعاما
وخرجوا وقالوا الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم عليه الصلوة
والسلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفا وثمة صنم عظيم مستقبل الباب
وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفاس كان في يده ولم
يبق الا الكبير وعلق الفاس في عنقه وذلك قوله تعالى **الا كبيرا لهم** اي للاصنام
لعلهم اليه اي الى ابرهيم عليه الصلوة والسلام **يرجعون** فيحاجهم بما سيأتي
فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن الكاسر لان من شان المعبود
ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم
عن دفع ما يصيبهم من الاضرار وعن الاضرار بمن كسرهم **قالوا** اي حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما
رأوا **من فعل هذا بآلهتنا** على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا
عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى
انه لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز
الرفع على انها خبرها والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا انه لمعدود من جملة
الظلمة اما لجرأته على اهانتها وهي حقيقة بالاعظام او لافراطه في الكسر والحطم
وتماديه في الاستهانة بها او بتعريض نفسه للهلكة **قالوا** اي بعض منهم مجيبين
للسائلين **سمعنا فتى يذكرهم** اي يعيبهم فلعله فعل ذلك بهم فقوله تعالى
يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا
اذا كان القائلون سمعوه عليه الصلوة والسلام بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا
من الناس انه عليه الصلوة والسلام يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح **يقال له ابرهيم**
صفة اخرى لفتى اي يطلق هذا الاسم عليه **قالوا** اي السائلون **فأتوا به على اعين**
الناس اي بمرأى منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على احد
لعلهم يشهدون يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير
حينئذ ليس للناس بل للبعض منهم او معهود **قالوا** استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
قولهم كانه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به اولا **أأنت فعلت هذا بآلهتنا**
يا ابرهيم اقتصارا على حكاية مخاطبتهم اياه عليه الصلوة والسلام للتنبيه على ان
اتيانهم به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غني عن البيان **قال بل فعله كبيرهم هذا**
مشيرا الى الذي لم يكسره سلك عليه الصلوة والسلام تعريضا يؤدي به الى مقصده
الذي هو الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه
من التوقي من الكذب حيث ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه بطريق التسبيب حيث
كانت تلك الاصنام غاظته عليه الصلوة والسلام حين ابصرها مصطفة مزينة للعبادة
من دون الله سبحانه وتعالى وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند

الفعل اليه

الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يقود اليه مذهبهم كانه
قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على ما هو اشد من ذلك
ويحكى انه عليه الصلوة والسلام قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار
وهو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به عليه الصلوة والسلام تنبيههم على غضب الله تعالى
عليهم لاشراكهم بعبادته الاصنام واما ما قيل من انه عليه الصلوة والسلام لم يقصد
نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته على اسلوب
تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل لذلك بما لو قال لك فيما كتبته
بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقرير
الكتابة لنفسك مع الاستهزاء به وبالسائل وتخصيصه في السؤال لان اثباته يسقط صدورها عن غيرك
محمل عنده مع استحالته عندك ولا ريب في ان مراده عليه الصلوة والسلام من اسناد الكسر الى الصنم
ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لاثباته بسقطي احتمال صدوره عن الغير عندهم
بل انما مراده عليه الصلوة والسلام توجيههم نحو التأمل في احوال اصنامهم كما ينبئ عنه
قوله تعالى **فاسألوهم ان كانوا ينطقون** اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عليه الصلوة والسلام ان كانوا
يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال هو الجواب وان عدم
نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك كما نطق به قوله تعالى **فرجعوا الى انفسهم**
اي راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه
يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون معبودا **فقالوا** اي قال
بعضهم لبعض فيما بينهم **انكم انتم الظالمون** اي بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع
للمؤاخذة او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين او انتم الظالمون بهذا السؤال لا من
بعبادتها لا من كسرها **ثم نكسوا على رؤسهم** اي انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم
الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم
لقد علمت ما هؤلاء ينطقون على ارادة القول اي قائلين والله لقد علمت ان ليس من شأنهم النطق فكيف
تأمرنا بسؤالهم على ان المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع **قال** تبكيتا لهم
افتعبدون اي أتعلمون ذلك فتعبدون **من دون الله** اي متجاوزين عبادته تعالى **ما لا ينفعكم**
شيئا من النفع **ولا يضركم** فان العلم بالمنافاة للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا
اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عليه الصلوة والسلام من اصرارهم على الباطل البين
واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة استقباح ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه
قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له **افلا تعقلون** اي الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم **قالوا**
اي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن
المبطل المحجوج اذا بهتته الحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة **حرقوه**
فانه اشد العقوبات **وانصروا آلهتكم** بالانتقام لها **ان كنتم فاعلين** اي للنصر او
لشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل
رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خسف به روي انهم لما اجمعوا على احراقه عليه
الصلوة والسلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا
فالقوه في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة

لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها
ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه الصلوة والسلام فيها فاتى ابليس وعلمهم
عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم
القيمة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه الصلوة والسلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال له
جبريل عليه الصلوة والسلام هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فسل ربك قال
حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى
قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اي كوني ذات برد وسلام اي ابردي
بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطيعة واقامة
كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما
بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي ان الملائكة اخذوا بضبعي ابراهيم عليه الصلوة
والسلام واقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار
الا وثاقه وروي انه عليه الصلوة والسلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين يوما
وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى
جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا في روضة مونقة ومعه
جليس على احسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج
منها قال نعم قال فاخرج فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود فعظمه وقال من الرجل الذي
رايته معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليؤنسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا
لما رايت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عليه الصلوة والسلام لا يقبل الله منك ما دمت
على دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة الاف بقرة فذبحها وكف
عن ابراهيم عليه الصلوة والسلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من
ابدع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع
ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه
عليه الصلوة والسلام اذاها كما تراه في السمندل كما يشعر به قوله تعالى على ابراهيم
وارادوا به كيدا مكرا عظيما في الاضرار به **فجعلناهم الاخسرين** اي اخسر من كل
خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه عليه الصلوة والسلام
على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب **ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين** اي من العراق الى الشام وبركاتها العامة
ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات
الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه عليه الصلوة والسلام
نزل بفلسطين ولوط عليه الصلوة والسلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة **ووهبنا له
اسحاق ويعقوب نافلة** اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل
وهو اسحاق فيختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة **وكلا** اي وكل واحد من هؤلاء الاربعة
بعضهم دون بعض **جعلنا صالحين** بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا
كاملين **وجعلناهم ائمة** يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عليه الصلوة
والسلام بقوله ومن ذريتي **يهدون** اي الامة الى الحق **بامرنا** لهم بذلك وارسالنا

اياهم حق

اياهم حتى صاروا مكملين **واوحينا اليهم فعل الخيرات** ليحثوهم عليه فيتم كمالهم
بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذا قوله
تعالى **واقام الصلوة وايتاء الزكوة** وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله
وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها
وكانوا لنا خاصة دون غيرنا **عابدين** لا يخطر ببالهم غير عبادتنا **ولوطا** قيل هو
منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى **آتيناه** اي وآتينا لوطا وقيل بما ذكر **حكما** اي حكمة
او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق **وعلما** مما ينبغي علمه للانبياء عليهم الصلوة والسلام
ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث اي اللواطة وصفت بصفة اهلها
واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى **انهم كانوا
قوم سوء فاسقين** فانه كالتعليل له **وادخلناه في رحمتنا** اي في اهل رحمتنا
او في جنتنا **انه من الصالحين** الذين سبقت لهم منا الحسنى **ونوحا** اي واذكر نوحا
اي خبره وقوله تعالى **اذ نادى** اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف
المقدر اي اذكر نبأه الواقع وقت دعائه **من قبل** اي من قبل هؤلاء المذكورين **فاستجبنا
له** اي دعاءه الذي من جملته قوله تعالى اني مغلوب فانتصر **فنجيناه واهله من الكرب
العظيم** وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد **ونصرناه** منعناه مستتبعا
للانتقام والانتصار ولذلك قيل **من القوم الذين كذبوا باياتنا** وحمله على فانتصر
يابا ما ذكر من دعائه عليه الصلوة والسلام فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه
تعالى مع ما فيه من تهويل الامور وقوله تعالى **انهم كانوا قوم سوء** تعليل لما قبله
وتمهيد لما بعده من قوله تعالى **فاغرقناهم اجمعين** فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك
في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا **وداود وسليمان** اما عطف على نوحا معمول لعامله
واما مفعول لمضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى **اذ يحكمان**
ظرف لذلك المضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر
خبرهما وقت حكمهما **في الحرث** اي في الزرع والكرم المتدلي عناقيده كما قيل او بدل الاشتمال
منهما وقوله تعالى **اذ نفشت** اي تفرقت وانتشرت **فيه غنم القوم** ليلا بلا راع
فرعته وافسدته ظرف للحكم **وكنا لحكمهم** اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان
الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ
لحكمهما **شاهدين** حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء
بشأنه **ففهمناها سليمان** عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ
فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روي انه دخل على داود عليه الصلوة والسلام
رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا
فمرا على سليمان عليه الصلوة والسلام فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين
اري ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى رب الغنم
ليقوم عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك
والذي عندي ان حكمهما عليهما الصلوة والسلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان عليه الصلوة
والسلام لا لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره بداه وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون

القضاء السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل القول والله تعالى
اعلم ان راي سليمان عليه الصلوة والسلام فيما نحن فيه نظير ما اذا جنى على النفس يدفعه المولى
عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي وروي انه لم يكن بين
قيمة الحرث وبين قيمة الغنم تفاوت واما سليمان عليه الصلوة والسلام فقد استحسن
حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع
بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان
يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه تضمن
القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الابق ترادا وفي
قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه الصلوة والسلام اليه
مع ان الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد اخر وان كان اقوى منه لما ان ذلك من خصائص
شريعتنا على انه قد ورد في الاخبار ان داود عليه الصلوة والسلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى
سمع من سليمان ما سمع واما حكم المسألة في شريعتنا فعند ابي حنيفة رضي الله عنه لا ضمان اذا لم
يكن معها سائق او قائد وعند الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا
آتينا حكما وعلما لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عليه الصلوة والسلام بالتفهيم من
عدم كون حكم داود عليه الصلوة والسلام حكما شرعيا اي كل واحد منهما آتيناه حكما وعلما كثيرا
لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل يدل على ان كل
مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه عليه
الصلوة والسلام كان حينئذ ابن احدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال شروع
في بيان ما يختص بكل منهما من كرامته تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما يسبحن اي يقدسن الله
عز وجل معه بصوت يتمثل له او بخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة
وهي حال من الجبال او استئناف مبين لكيفية التسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد والطير عطف
على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل على
العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التأكيد والفصل وكنا فاعلين اي من
شاننا ان نفعل امثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس اي عمل
الدرع وفي الاصل اللباس قال قائلهم البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها
وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة للبوس لتحصنكم
اللبوس بتأويل الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير لداود عليه الصلوة والسلام او للبوس
وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة
المستفادة من لام لكم من بأسكم قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم فهل انتم
شاكرون امر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان الريح اي سخرنا
له الريح وايراد اللام هاهنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فان تسخير ما
سخر له عليه الصلوة والسلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه
والمقهورية تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عليه الصلوة
فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عليه الصلوة والسلام والاقتداء به في عبادة الله
عز وجل عاصفة حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة

الهبوب من حيث انها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها
شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته
عليه الصلوة والسلام وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة
حينئذ حال من ضمير المبتدا في الخبر والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا
ورفعا تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي
باركنا فيها وهي الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة قال الكلبي كان سليمان عليه الصلوة
والسلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام الى حيث شاء ثم تعود الى منزله وكنا
بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين اي وسخرنا له من الشياطين
من يغوصون له في البحار ويستخرجون له نفائسها وقيل من رفع على الابتداء وخبره
ما قبله والاول هو الاظهر ويعملون عملا دون ذلك اي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور
واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية وهؤلاء
اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها
باعتبار معناها بعد ما سبق ما يجانسه بقوله تعالى من الشياطين والمسخرون له عليه السلام
كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين وقوله تعالى وكنا لهم حافظين اي
من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة
وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم
ان يفسدوا ما عملوا بالنهار وايوب الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان
اي واذكر خبر ايوب اذ نادى ربه اني اي باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار
القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في
النفس من مرض وهزال ونحوهما وانت ارحم الراحمين وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد
ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان عليه الصلوة والسلام
روميا من ولد عيص بن اسحاق استنباه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى
بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث
عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امراته ماخير بنت ميشا
ابن يوسف عليه الصلوة والسلام او رحمة بنت افراثيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله
تعالى فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله تعالى ان ادعو وما بلغت
مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها على هيئة عظيمة فقال لها انا اله الارض
فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجد لي سجدة لرددت عليه وعليك
جميع ما اخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك
فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال عليه الصلوة
والسلام كانك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة سوط
وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة
لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
فقيل له ارفع راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل
منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة فنبعت عين

اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله
ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت
فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله
تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان
ثم ان امرأته قالت في نفسها هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وياكله السباع لارجعن
اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت تلك الامور فجعلت تطوف
حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تاتيه وتسأل عنه فارسل
اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت بعلي افتقدته اذا انبه
قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من عندنا
وذكرى للعابدين اي آتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا
كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ايوب عليه السلام وذكرنا اياهم
بالاحسان وعدم نسياننا لهم واسماعيل وادريس وذا الكفل اي واذكرهم
وذو الكفل الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله
تعالى او تكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجيء بمعنى النصيب
والكفالة والضعف كل اي كل واحد من هؤلاء من الصابرين اي على مشاق التكاليف وشدائد
النوب والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بذكرهم وادخلناهم في
رحمتنا اي في النبوة او في نعمة الآخرة انهم من الصالحين اي الكاملين في الصلاح
الكامل الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان
صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون اي واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه
الصلوة والسلام اذ ذهب مغاضبا اي مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم
وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم العذاب
فلم ياتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة او لانه اغضبهم
بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه
اي لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده انه قرئ مشددا او لن نعمل
فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه اي نعامله معاملة
من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى يحسب ان ماله
اخلده اي نعامله معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت
ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء
فصيحة اي فكان ما كان من المساهمة والالتقام فنادى في الظلمات اي في الظلمة
الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت
اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل ان لا اله الا انت اي بانه
لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف او بانه لا اله الا انت على انها مفسرة
سبحانك اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شيء وان يكون ابتلائي هذا بغير سبب
من جهتي اني كنت من الظالمين لنفسي لتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة
فاستجبنا له اي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجه واحسنه

عن رسول

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه
من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة
ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك اي مثل ذلك الانجاء ننجي
المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وفي الامام نجي
ابتناء للمفعول فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرئ
بتشديد الجيم فان اصله ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون فانها وان
كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين
فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس
وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى
المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا اي واذكر خبره اذ نادى ربه
وقال رب لا تذرني فردا اي وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فحسبي
ان لم ترزقني وارثا فاستجبنا له اي دعاءه ووهبنا له يحيى وقد مر كيفيته
بيان الاستجابة والبشارة في سورة مريم واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة
بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى انهم
كانوا يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء
المذكورين اي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر
في اثبات كلمة في على كلمة على المشعر بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات
متوجهين اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا
ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة في الاجابة وخائفين العقاب
والمعصية او للرغبة والرهبة وكانوا لنا خاشعين مخبتين متضرعين او دائمي الوجل
والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة والتي احصنت
فرجها اي اذكر خبر التي احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول
لتفخيم شانها وتنزيهها عما زعم في حقها اليهود فنفخنا فيها اي احيينا عيسى في
جوفها من روحنا من الروح الذي هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل
عليه الصلوة والسلام وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما آية للعالمين فان
من تامل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات
المستقلة وقيل المعنى جعلناها آية وابنها آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها ان هذه
اي ملة التوحيد والاسلام المشار اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد
امتكم اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب
للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحال من امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم
الصلوة والسلام اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها الفروع
الشرائع المتبدلة بتبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من هذه وامة
واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله غيري فاعبدون
خاصة لا غير وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه
من التفرق في الدين وجعل امره قطعا موزعة وتنبيه على قبح فعالهم الى الآخرين كانه قيل الا

تزوون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي اجمعت عليه كافة الانبياء كل اي كل واحدة
من الفرق المتقطعة وكل واحد من احاد كل واحدة من تلك الفرق الينا راجعون بالبعث لا
الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق
وقوله تعالى فمن يعمل من الصالحات الى الجزاء تفصيل الجزاء اي فمن يعمل بعض الصالحات او
بعضا من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه اي لا حرمان لثواب
عمل ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال تنزهه تعالى عنه
بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور
الواجبة عليه تعالى ونفي نفي الجنس للمبالغة في التنزيه ومعنى عن العمل بالسعي لاظهار
الاعتداد به وانا له اي لسعيه كاتبون مثبتون في صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا
وحرام على قرية اي ممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وحلفة كالحل
والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى
انهم لا يرجعون في حيز الرفع على انه مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره
والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر
في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اي ممتنع البتة عدم رجوعهم للجزاء لا تخصيص امتناع
عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل الينا راجعون
لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرئ
انهم بالكسر على انه استئناف تعليلي لما قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف اي حرام عليها ذاك
وهو ما ذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى
انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا على هذا
المعنى بحذف اللام عنها اي لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى اذا فتحت يأجوج
ومأجوج هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كأنه
قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون
يا ويلنا الخ وعلى الثاني غاية لتحريمه اي يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا كانت
الصيحة يرجعون اليها حتى اذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج
ومأجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج فالمراد
بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ فتحت بالتشديد
وهم اي يأجوج ومأجوج وقيل الناس من كل حدب اي نشز من الارض وقرئ جدث
وهو القبر ينسلون اي يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين
واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب
والجزاء لا النفخة الاولى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجأة
تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرت على
وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا
من الموصول اي يقولون يا ويلنا تعالى فهذا اوان حضورك وقيل هو جواب الشرط قد كنا في
غفلة تامة من هذا الذي دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق
بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اي لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا

عليه بالآيات

عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا
بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة
في الانذار وازاحة الاعتذار وما يعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التي يعبدونها كما يفصح
عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الآية وقال ابن الزبعرى
خصمتك ورب الكعبة أليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح
عبدوا الملائكة رد عليه بقوله عليه الصلاة والسلام ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت
ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روي انه عليه الصلاة والسلام رده بقوله بل هم عبدوا
الشياطين التي امرتهم بذلك ولا ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة
او لكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله تعالى لان شيئا
منهما نصا في عموم كلمة ما كما ان الاول نص في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق
العبارة بل يكفي في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى
فلعله عليه الصلاة والسلام بعد ما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين
في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا تأكيدا للرد والالزام
وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين كما هو زعمهم فان اخراج بعض
المعبودين عن حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين مما لا يرضى في عبادته
في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شيء حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور
دلالة بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي
امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
الجن الآية فهم الداخلون في الحكم المذكور لاشراكهم للاصنام في المعبودية من دونه تعالى
دون المذكورين عليهم الصلاة والسلام وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة
واما اتمامهم كلمة ما للعقلاء ايضا وحمل ما سيأتي من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الى آخره على بيان التجوز والتخصيص في الابتداء عن السياق والسباق كما يشهد به الذوق السليم
والحصب ما يرمى به وتهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد
وصفا له بالمصدر مبالغة انتم لها واردون استئناف وبدل من حصب جهنم واللام
معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون
لتغليبهم لو كان هؤلاء اي اصنامهم آلهة كما يزعمون ما وردوها وحيث تبين
ورودهم اياها تحقق امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما
يعبدون هي الاصنام لان المراد اثبات نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون الهية الشياطين
حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة
بالتبعية للكلام اليه عند بيانه ما سبق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى
عن حال سائر المعبودين فكان الاقتصار على الجواب الاول ايهاما لحصة في عبادتهم في الجملة
لانهم المعبودون عندهم لجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون في حكم
النص وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير اي انين وتنفس شديد
وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الا

وكذا في قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون أي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام إن الذين سبقت لهم منا الحسنى شروع في بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وإيراد الترغيب مع الترهيب أي سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي أحسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة أي سبقت لهم كلمتنا بالبشرى والثواب على الطاعة وهو الأظهر الأدخل في الحمل لعلهما ان الأولين مختصان بهما لبيانا من مقتضيات الخلقين والجملة مع ما بعدها تفصيل لما أجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون ثم ان تعاقبها من قوله انكم وما تعبدون تفصيل لما أجمل في قوله تعالى وحرام إلى الخ أولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل أي أولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل عنها أي عن جهنم مبعدون لأنهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وما روي عن علي رضي الله عنه أنه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنهم أجمعين ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به أي لا يسمعون صوتها سماعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون الصوت بعيدا ولا كان صوته في غاية الشدة لأنهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون أو حال من ضميره سيق للمبالغة في إنقاذهم عنها وقوله تعالى وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب إثر بيان تخلصهم من المهالك والمعاطب أي دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر بيان لنجاتهم من الأفزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لأنهم إذا لم يحزنهم أكبر الأفزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة عن الحسن رضي الله عنه أنه الانصراف إلى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت في صورة كبش أملح وقيل النفخة الأخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الأرض فليس بذاك فإن الآمن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله إلا من شاء الله لا جميع المؤمنين الموصوفين بالأعمال الصالحة على أن الأكثرين على أن ذلك في النفخة الأولى دون الأخيرة كما سيأتي في سورة النمل وتتلقاهم الملائكة أي تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على إرادة القول أي قائلين هذا اليوم يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات والاعمال الصالحات لا من عبد من المسيح وعزير والملائكة عليهم الصلاة والسلام خاصة كما قيل يوم نطوي السماء بنون العظمة منصوب بما ذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل متعلق وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو وقرئ يطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل وهي الصحيفة أي طيا كطي الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل أو صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته أو كطي السجل كائنا للكتب أو الكائن للكتب فإن الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض أجزائها وبه يتعلق الطي

حقيقة

حقيقة وقرئ للكتاب وهو إما مصدر واللام للتعليل أي كما يطوى الطومار للكتابة أو اسم كالإمام فاللام كما ذكر أولا وقيل السجل اسم ملك يطوي كتب أعمال بني آدم إذا رفعت إليه وقيل اسم كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدأنا أول خلق نعيده أي نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونهما إيجادا بعد العدم أو جمعا من الأجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الإعادة بالقياس على المبدأ لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة أو مصدرية وأول مفعول لبدأنا أو لفعل يفسره نعيده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده أي نعيد مثل الذي بدأناه وأول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده أو منتصب به لأنه عدة بالإعادة علينا أي علينا إنجازه إنا كنا فاعلين لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا في الزبور هو كتاب داود عليه الصلاة والسلام من بعد الذكر أي التوراة وقيل اللوح المحفوظ أي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في اللوح المحفوظ أن الأرض يرثها عبادي الصالحون أي عامة المؤمنين بعد إجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى بإظهار الدين وإعزاز أهله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن المراد أرض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل الأرض المقدسة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم إن في هذا أي فيما ذكر في السورة الكريمة من الأخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة لبلاغا أي لكفاية أو لسبب بلوغ إلى البغية لقوم عابدين أي لقوم همهم العبادة دون العادة وما أرسلناك بما ذكر وبأمثاله من الشرائع والأحكام وغير ذلك من الأمور التي هي مناط السعادة في الدارين إلا رحمة للعالمين هو في حيز النصب على أنه استثناء من أعم العلل أو من أعم الأحوال أي ما أرسلناك بما ذكر لعلة من العلل إلا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة أي وما أرسلناك في حال من الأحوال إلا حال كونك رحمة لهم فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن لم يغتنم مغانم آثاره فإنما فرط في نفسه وحرمت حقه لا أنه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار أمنهم من الخسف والمسخ والاستئصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد لأنه المقصود الأصلي من البعثة وأما ما عداه من الأحكام المتفرعة عليه فما الأولى لقصر الحكم على الشيء كقولك إنما يقوم زيد أي ما يقوم إلا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك إنما زيد قائم أي ليس له إلا صفة القيام فهل أنتم مسلمون أي مخلصون العبادة لله تعالى المخصوصة لها به تعالى والفاء للدلالة على أن ما قبلها موجب لما بعدها فإن في دلالة على أن صفة الوحدانية يصح أن يكون طريقها السمع فإن تولوا عن الإسلام ولم يلتفتوا إلى ما يوجبه من الوحي فقل آذنتكم أي أعلمتكم ما أمرت به أو حربي لكم على سواء كائنين في الإعلام به مستوين فيه لم أخص أحدا منكم أو مستوين به أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به أو في المعاداة أو إيذانا على سواء وقيل أعلمتكم أني على سواء أي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير وإن أدري أي ما أدري أقريب أم بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين وظهور الدين أو الحشر مع كونه آتيا لا محالة إنه يعلم الجهر من القول أي ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود ويعلم ما تكتمون من الإحن والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا وإن أدري لعله فتنة لكم أي ما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع إلى حين أي وتمتيع لكم إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه

صلى الله عليه وسلم وقرئ قل رب على صيغة الأمر أي اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي
لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه عليه الصلاة والسلام حيث عذبوا ببدر
أي تعذيب وقرئ ربي أحكم بضم الباء وربي أحكم على صيغة التفضيل وربي أحكم من الإحكام وربنا
الرحمن مبتدأ وخبر أي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان أي المطلوب منه
المعونة خبر آخر للمبتدأ وإضافة الرب فيما سبق إلى ضميره عليه الصلاة والسلام خاصة لما أن الدعاء
من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة والسلام كما أن إضافته ههنا إلى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين
أيضا لما أن الاستعانة من الوظائف العامة لهم على ما تصفون من الحال فإنهم كانوا يقولون إن الشوكة
تكون لهم وإن راية الإسلام تخفق ثم تركد وإن المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم إلى غير ذلك مما لا خير فيه
فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير أحوالهم ونصر أولياءه عليهم
فأصابهم يوم بدر ما أصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصلى عليه وسلم عليه كل نبي ذكر في القرآن

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند
النزول ومن سينتظم في سلكهم من بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك إلى
يوم القيامة وإن كان خطاب المشافهة مخصوصا بالفريق الأول على الوجه الذي مر تقريره في مطلع سورة النساء
ولفظ الناس ينتظم الذكور والإناث حقيقة وأما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم
تناولها للإناث حقيقة إلا عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم
من فعل وترك فيندرج فيه الإيمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا أوليا والتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأييد الأمر وتأكيد
إيجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا أي احذروا عقوبة مالك أموركم ومربيكم وقوله تعالى إن زلزلة
الساعة شيء عظيم تعليل لموجب الأمر بذكر بعض عقوباتها الهائلة فإن ملاحظة عظمها وهولها
وفظاعتها وما هي من مباديه ومقدماته من الأحوال والأهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى
مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والإزعاج العنيف
بطريق التكرير بحيث يزيل الأشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها وإضافتها إلى الساعة إما
إضافة المصدر إلى فاعله على المجاز الحكمي كأنها هي التي تزلزل الأشياء أو إضافته إلى الظرف
إما بإجرائه مجرى المفعول به اتساعا أو بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة
المذكورة في قوله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها عن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي أنها قبل طلوع الشمس من مغربها فإضافتها
إلى الساعة حينئذ لكونها من أشراطها وفي التعبير عنها بالشيء إيذان بأن العقول قاصرة عن إدراك
كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها إلا على وجه الإبهام وقوله تعالى يوم ترونها منتصب بما
بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة أي وقت رؤيتكم إياها ومشاهدتكم لهول مطلعها
تذهل كل مرضعة أي مباشرة للإرضاع عما أرضعت أي تغفل وتذهب مع دهشة عما هي بصدد
إرضاعه من طفلها الذي ألقمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا
يخطر ببالها أنه ماذا لا أنها تعرف شيئا لكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية

اي تذهل

أي تذهل عن إرضاعها والأول أدل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الإذهال
مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل مع نصب كل أي تذهلها الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها أي
تلقي جنينها لغير تمام كما أن المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي
وأما على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد قيل إنه تمثيل لتهويل الأمر وفيه أن الأمر حينئذ
أشد من ذلك وأعظم وأهول مما وصف وأطم وقيل إن ذلك يكون عند النفخة الثانية فإنهم يقومون
على ما صعقوا في النفخة الأولى فتقوم المرضعة على إرضاعها والحامل على حملها ولا ريب في أن قيام الناس
عن قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر وترى الناس بفتح التاء والراء
على خطاب كل أحد من المخاطبين رؤيته الزلزلة والاختلاف بالجمعية والإفراد لما أن المرئي في
الأول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من إفراد
المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فإن المراد بيان
تأثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلال مشاعره لأن مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها
كأنه قيل وتصير الناس سكارى الخ وإنما أوثر عليه ما في التنزيل للإيذان بكمال ظهور
تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء إلى حد لا يكاد يخفى على أحد أي يراهم كل أحد سكارى
أي كأنهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فرهقهم
هوله وطير عقولهم وسلب تمييزهم هو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ بضم التاء
وفتح الراء مسندا إلى المخاطب من أريتك قائما والناس منصوب أي تظنهم سكارى
وقرئ برفع الناس على إسناد الفعل المجهول إليه والتأنيث على تأويل الجماعة وقرئ
بضم التاء وكسر الراء أي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وسكرى
كعطشى وجوعى إجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس كلام مبتدأ جيء به إثر بيان عظم
شأن الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء
ما يتعلق به كما مر مرارا أي وبعض الناس أو وبعض كائن من الناس من يجادل في الله أي
في شأنه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الأباطيل وقوله تعالى بغير علم حال من ضمير
يجادل موضحة لما تشعر به المجادلة من الجهل أي ملابسا بغير علم روي أنها نزلت في
النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد
الموت وهي عامة له ولأضرابه من العتاة المتمردين ويتبع أي فيما يتعاطاه من المجادلة أو في
كل ما يأتي وما يذر من الأمور الباطلة التي من جملتها ذلك كل شيطان مريد عات متمرد
متجرد للفساد وأصله العري المنبئ عن التجرد ولعله مأخوذ من تجرد المصارعين
عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الأملس والمراد إما رؤساء الكفرة الذين
يدعون من دونهم إلى الكفر وإما إبليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه أي على الشيطان
صفة أخرى له وقوله تعالى أنه فاعل كتب والضمير للشأن أي رقم به لظهور ذلك من حاله
الشأن من تولاه أي اتخذه وليا وتبعه فأنه يضله بالفتح على أنه خبر مبتدأ محذوف
والجملة جواب الشرط إن جعلت من شرطية وخبرها إن جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط
أي من تولاه فشأنه أنه يضله عن طريق الجنة أو طريق الحق أو فحق أن يضله قطعا وقيل
فإنه معطوف على أنه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل إنما لا يخلو عن التمحل والتأويل وقرئ
فإنه بالكسر [illegible] وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو

ما في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان او على اضمار القول او ضمير الكتب بمعناه على رأي من
يراه **ويهديه الى عذاب السعير** بحمله على مباشرة ما يؤدي اليه من السيئات **يا ايها
الناس** اثر ما حكى احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة
على تحقق ما جادلوا فيه من البعث **ان كنتم في ريب من البعث** من امكانه وكونه مقدورا
له تعالى او من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب في الجلب والتعبير عن اعتقادهم في
حقه بالريب مع تشككهم المنبئ عن القلة مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك
مع تقرر تحاهم في ذلك وايثارها على النظم الكريم على ان يقال انا ان نتم في البعث قد تحقيقه
في نفسه لما مر في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا **فانا خلقناكم** اي خلقنا كل فرد منكم
من تراب في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه
عليه الصلاة والسلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا
على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه
الصلاة والسلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا **ثم من نطفة** اي ثم خلقناكم
خلقا تفصيليا من نطفة اي مني من النطف الذي هو الصب **ثم من علقة** اي قطعة من الدم
جامدة متكونة من المني **ثم من مضغة** اي قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل
مخلقة بالجر صفة مضغة اي مستبينة الخلق مصورة **وغير مخلقة** اي لم يستبن خلقها
وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الاعضاء
ثم تكون بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة
الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة وهذا وقد فسر
بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك فان في جعل كل واحد من هذه المراتب
مبدأ لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة
مضغة الآية مزيد دلالة على عظم قدرته تعالى وكمال سعة حكمته استبعادهم **لنبين لكم** متعلق
بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا اي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره
العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها سر البعث فان من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجي تأملا
حقيقا جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رائحة الحياة قط وانشأه
على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه في اطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك
الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون في القياس بالنظر الى الفاعل
والقابل وقرئ ليبين بطريق الغيبة على الالتفات وقوله تعالى **ونقر في الارحام ما نشاء** استئناف
مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظمه هنا وما عطف عليه في سلك الخلق
المعلل بالتبيين مع كونهما من متمات مبادي التبيين ايضا لما ان دلالة الاول على كمال قدرته تعالى
على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اي ونحن نقر في الارحام بعد ذلك
ما نشاء ان نقره فيها **الى اجل مسمى** هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل
اربع سنين وفيه اشارة الى ان بعض ما في الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه
فيسقط والتعرض لذلك لاقتضاء سياق المقام لان الكلام فيما يجري عليه اطوار الخلق وهنا لم يخرج على
فان الماء بعد الخلقة ليس من تقلبنا نقصا ومعيبا وانما فصل هنا الى ما هي الاطوار المتواردة
على المولود قبل الولادة وقرئ نقر بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته **ثم نخرجكم**

اي من

اي من بطون امهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى **طفلا** اي حال كونكم اطفالا والافراد
باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء
وقوله تعالى **ثم لتبلغوا اشدكم** علة لنخرجكم معطوفة على علة اخرى مناسبة لها كأنه
قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل
لتقديره ثم نجعلكم لتبلغوا الى آخره وما قيل انه معطوف على نبين مثلها والمعنى
خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما اي نبين شؤوننا
والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم اطفالا صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين
على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات
واعادة اللام هاهنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما
اذ عليه يدور التكليف المؤدي الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى ضمير
المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال
اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدأية الآثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل
لها واحد كالاسدة والقتود وكانها شدة في غير شيء بنيت على لفظ الجمع **ومنكم
من يتوفى** اي بعد بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى **ومنكم
من يرد الى ارذل العمر** وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة
المبني للمجهول للجري على سنن الكبرياء لتعين الفاعل **لكيلا يعلم من بعد علم** اي علم كثير
شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله اي ليعود
الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه
وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى **وترى الارض
هامدة** حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع
للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة
من همدت النار اذا صارت رمادا **فاذا انزلنا عليها الماء** اي المطر **اهتزت** تحركت
بالنبات **وربت** انتفخت وازدادت وقرئ ربأت اي ارتفعت **وانبتت من كل زوج** اي
صنف **بهيج** حسن رائق يسر ناظره **ذلك بان الله هو الحق** كلام مستأنف جيء به اثر
تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانساني والنباتي لبيان ان ذلك
من آثار الوهيته تعالى واحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وانما ينكرون وجوده
بل امكانه من اتيان الساعة والبعث من اساس تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الانفس
والآفاق ومبادي صدورها وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول في التحقق
واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي
ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته
لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه
في احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته
في الكمال الحاصل بسبب انه تعالى هو الحق الثابت في ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من
الاشياء **وانه يحيي الموتى** اي شأنه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر
على احيائها بدءا واعادة والا لما احيى النطفة والارض الميتة من آثار العدم او مما يفيده

ع

صيغة المضارع من التجدد إنما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وأنه
على كل شيء قدير أي مبالغ في القدرة وإلا لما أوجد هذه الموجودات الفائتة للحصر التي من
جملتها ما ذكر وأما الاستدلال على ذلك بأن قدرته تعالى لذاته الذي نسبته إلى الكل سواء
فلما دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء كلها فمنشأه
الغفول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة
التامة ومسبباتها وتخصيص إحياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الأشياء المقدور عليها بالتصريح
بما فيه من النزاع والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لإبراز الاعتناء به وأن الساعة
آتية أي فيما سيأتي وإيثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق إتيانها وتقرره
البتة لاقتضاء الحكمة إياه لا محالة وتعليله بأن التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه
مبني على ما ذكر من الغفول وقوله تعالى لا ريب فيها إما خبر ثان لأن أو حال من ضمير
الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها أنها في ظهور أمرها ووضوح دلائلها التكوينية
والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة أن يرتاب في إتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة
والجملة عطف على المجرور بأن كما قبلها من الجملتين داخلة مثلها في حيز السببية
وكذا قوله عز وجل وأن الله يبعث من في القبور لكن لا من حيث أن إتيان الساعة وبعث
الموتى مقدوران فيما ذكر من أفاعيله تعالى تأثير القدرة فيهما بل من حيث أن كلا منهما سبب
داع له عز وعلا بموجب رأفته تعالى بالعباد للتنبيه على الحكم البالغة التي ما ذكر من خلقهم
ومن إحياء الأرض الميتة من نمط بديع صالح لأن يستشهد به على إمكانهما ليتأملوا في ذلك
ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين وينالوا به السعادة
الأبدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم رأسا وهذا كما ترى من أحكام حكمته
تعالى في أفعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما أن ما قبله من أحكام قدرته تعالى في صفاته
وكونها في غاية الكمال وقد جعل إتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة
كما يتعين كونه تعالى حكيما كأنه قيل ذلك بسبب أنه تعالى قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور
وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد وأنت خبير بأن
ما له الاستدلال بحكمته تعالى على إتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل إنما هو في
سببيتهما لما مر من خلق الإنسان وإحياء الأرض فتأمل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى
أن الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ
محذوف لفهم المعنى والتقدير والأمر أن الساعة آتية وأن الثانية معطوفة على الأولى وقيل
للمعنى ذلك لتعلموا أن الله هو الحق المبين ومن الناس من يجادل في الله بغير علم هو أبو
جهل بن هشام حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو من يتصدى للإضلال
الناس وإغوائهم كائنا من كان كما أن الأول من تقلدهم من الشياطين على أن الشيطان عبارة
عن المضل المغوي على الإطلاق بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل
أي كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما أن المراد بالهدى في قوله تعالى ولا هدى
هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي إلى المعرفة ولا كتاب منير وحي مظهر للحق أي يجادل
في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا حجة نظرية ولا برهان سمعي كما في
قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وأما ما قيل من أن

والمراد به

والمراد به المجادل الأول والتكرير للتأكيد وللتمهيد لما بعده من بيان أنه لا سند له من
استدلال أو وحي أو قيل يساعده النظم الكريم لكيفية الأول وصفه باتباع كل شيطان مريد
بما ذكر يغني عن وصفه بالضلال عن دليل العقل والسمع ثاني عطفه حال أخرى من فاعل
يجادل أي عاطفا إلى جانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فإن ثني العطف كناية عن التكبر
وقرئ بفتح العين أي مانعا لتعطفه ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل فإن
غرضه الإضلال عنه وإن لم يعترف بأنه إضلال والمراد به إما الإخراج من الهدى إلى
الضلال فالمفعول من يجادل من المؤمنين أو الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم
وإما التثبيت على الضلال أو الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ
بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث إن المراد به الضلال المبين الذي لا هدى
له بعده مع تمكنه منه قبل ذلك له في الدنيا خزي جملة مستأنفة مسوقة لبيان
نتيجة ما سلكه من الطريق أي ثبت له في الدنيا بسبب ما فعل خزي وهو ما أصابه يوم بدر
من القتل والصغار ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق أي النار المحرقة ذلك أي ما ذكر من
العذاب الدنيوي والأخروي وما فيه من معنى البعد للإيذان بكونه في الغاية القاصية
من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت يداك أي بسبب ما اقترفته
من الكفر والمعاصي وإسناده إلى يديه لما أن الاكتساب عادة يكون بالأيدي والالتفات لتأكيد
الوعيد وتشديد التهديد ومحل أن في قوله عز وعلا وأن الله ليس بظلام للعبيد الرفع
على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم
والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة
أهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبلها وأما ما قيل من أن محل أن هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله
في سورة الأنفال ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع في بيان المذبذبين أي بيان حال
المذبذبين أي ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون في طرف الجيش فإن
أحس بظفر قر وإلا فر فإن أصابه خير أي دنيوي من الصحة والسعة اطمأن به أي
ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا أنه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف
ولا يثنيهم عاطف وإن أصابته فتنة أي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه أو
أهله أو ماله انقلب على وجهه روي أنها نزلت في أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا
صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت
منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب
وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن يهوديا أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام فأتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال عليه الصلاة والسلام إن الإسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت
في المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد
وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه
أو على أنه خبر مبتدأ محذوف ذلك أي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للإيذان بكونه في غاية
ما يكون هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا إذ لا خسران مثله يدعو من دون الله استئناف
مسوق لبيان مآل حاله المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع إزاحة ما عسى يتوهم من نفي الضر

عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبب ايضا فالدعاء بمعنى القول واللام
داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وخبره ثاني خبره اقرب والجملة صلة للمبتدأ
الاول وقوله تعالى **لبئس المولى ولبئس العشير** جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر
للمبتدأ الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه
عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والامعان في ذمه اي يقول ذلك الكافر يوم القيامة برفع
وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع بالكلية
ويجوز ان يكون يدعو الثاني اعادة للاول تاكيدا له فقط بل مع تعديه لما استبعده من بيان
سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته ثم اخذ يذكر ما
لا يضره ولا ينفعه بعد عده ذلك ثم يقول لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير
فكلمة من مضمنة للتفضيل تهكم به ايضا وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده
القراءة بغير لام اي يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم ايضا
والجملة القسمية مستأنفة **ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات** استئناف
جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله عز وجل متفضل عليهم
لغاية سوراته من جل المنافع واعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من
في نفي الجاهليتين وللمذبذبين وان معبودهم لا يجزيهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة
عظيمة فانهم يعبدون نسوة ولا ينته وعشرته ويذوقونه مذمة تامة وقوله تعالى
تجري من تحتها الانهار صفة لجنات فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة
لما تحتها فجريانها من تحتها ظاهر وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فلعبارة التحتية باعتبار الجزء
الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى
ان الله يفعل ما يريد تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق اي يفعل البتة كل ما
يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها اثابة من آمن
به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من اشرك به وكذب رسوله صلى الله عليه
وسلم ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له عليه الصلاة والسلام عقب بقوله عز وعلا
من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على ابلغ
وجه واكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا
والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه
وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة ما يرده من
المكائد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة
مكره ان يختنق خنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته وتوهما ديه
فليمدد بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى سقف بيته **ثم ليقطع** اي ليختنق
من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق
على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر في قوله تعالى **فلينظر هل يذهبن**
كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره اي فليصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك
الذي هو اقصى ما انتهت اليه قدرته في باب المضارة والمضادة ما يغيظه من النصرة كلا
ويجوز ان يراد فلينظر الآن انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا

الى السماء

الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها
فيجتهد في دفع نصره وياباه ان مساق النظم الكريم بيان ان الامور المفروضة على تقدير وقوعها
وتحققها بمعزل من ازالة ما يغيظ ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة
وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحي فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل
كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله صلى
الله عليه وسلم من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه عليه الصلاة والسلام
ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله
تعالى لا تنال الا بمشيئته فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه
فليصبر وليستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة
ولا يرده مرزوقا **وكذلك** اي مثل ذلك الانزال البديع المنطوي على الحكم البالغة **انزلناه**
اي القرآن الكريم كله وقوله تعالى **آيات بينات** اي واضحات الدلالة على معانيها
الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك **وان الله يهدي** به
ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد فيه **من يريد** هدايته او تثبيته او زيادته فيها
ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر اي ولان الله يهدي من يريد
انزله كذلك او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي والامر ان الله يهدي من يريد هدايته
ان الذين آمنوا اي بما ذكر من الآيات البينات بهدايته تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به
فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا **والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس**
قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم
ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون
بان للعالم اصلين نورا وظلمة **والذين اشركوا** هم عبدة الاصنام وقوله تعالى
ان الله يفصل بينهم يوم القيامة في حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير
طرفي الجملة بان لمزيد التحقيق لزيادة التقرير والتأكيد اي يقضي بين المؤمنين وبين
الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء
باثابة الاول وعقاب الثاني بحسب استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى **ان الله على**
كل شيء شهيد تعليل لما قبله من الفصل اي عالم بكل شيء من الاشياء ومراقب لاحواله
ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة واجزاء
جزائه اللائق به عليه وقوله تعالى **الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في**
الارض الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من كمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته
وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة او بيان لما يوجب كونه تعالى
شهيدا على جميع الاشياء التي من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه
بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية مبنيا على انه من الجلاء
بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة
المبنية على التشبيه لما يكمل افعال المكلف في باب الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت
كلمة من عامة لغيرهم ايضا فهو الانسب بالمقام لافادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق
القرار فيهما او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى **والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر**

والدواب افرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالمقابلة
لعدم شمول السجود الطاعي للكل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس فانه
مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن
قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة
خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة
وقد جوز ان يكون قوله تعالى وكثير معطوفا على كثير الاول ولك الاول ابدان تبنيا بية الكثرة عن كثير
عنهم بغاية الاستحقاق للعذاب كانه قيل وكثير من الناس حق عليه العذاب اي بكفره
واستبائه وقرئ حق حقا اي حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله بان كتب عليه
الشقا وقحسبما علمه من صرف اختياره الى الشر فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ
بفتح الراء على انه مصدر ميمي ان الله يفعل ما يشاء من الاشياء التي من جملتها الاكرام
والاهانة هذان تعيين لطرفي الخصام وانكار لما للعسى تنبا صل للخلوهم من يكونه بين كل
واحد من الفرق الستة بين الباقي ومجموع محله اي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق
الخمس خصمان اي فريقان مختصمان وانما قيل اختصموا في ربهم حملا على المعنى اي
اختصموا في شانه عز وجل وقيل في دينه وقيل في ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان
اعتقاد كل من الفريقين لحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله
عليه خصومة للفريق الآخر وان لم تجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون
فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله منكم
امنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت
فالذين كفروا تفصيل لما اجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة قطعت لهم اي قدرت
على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار اي نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب
بلابسها يصب من فوق رؤوسهم الحميم اي الماء الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما لو قطرت قطرة منها على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستانفة او خبر ثان
للموصول او حال من ضمير لهم يصهر به اي يذاب ما في بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ
يصهر بالتشديد والجلود عطف على ما وتاخيره عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية
شدة الحرارة بايهام ان تاثيرها في الباطن اقدم من تاثيرها في الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة
حال من الحميم ولهم للكفرة اي لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهي آلة القمع
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي اشرفوا على الخروج من النار ودنوا منها حسبما يروى انه
تضربهم بلهبها فلحقني اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا من غم اي
من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف كما اشير اليه او
مفعول له للخروج اعيدوا فيها اي في قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها
وقيل لهم ذوقوا على تقدير قول معطوف على اعيدوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي الغليظ المتناهي في
العظم والاهلاك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله
عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا
لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام يحلون فيها على البناء للمفعول

بالتشديد

بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس اي تحليهم الملائكة بامره
تعالى وقرئ يحلون من حليت المرأة اذا لبست حليها ومن في قوله تعالى من اساور
اما للتبعيض اي بعض اساور وهي جمع اسورة جمع سوار وللبيان لما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن
الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون نابت مناب يلبسون من ذهب
بيان للاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور او على المحذوف او منصوب بفعل مضمر
يدل عليه يحلون اي ويؤتون وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولوا بقلب الهمزة الثانية
واوا ولوليا بقلبهما ياء بعد قلبها واوا ولليا بقلبهما ياء ولباسهم فيها حرير
غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن للدلالة على ان الحرير لباسهم المعتاد
او للمحافظة على هيئة الفواصل بل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غني عن البيان اذ لا يمكن عراهم
عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية
فجعل بيان تحليتهم بهما مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان
حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا
الارض نتبوأ من الجنة الآية وهدوا الى صراط الحميد اي المحمود نفسه او عاقبته
وهي الجنة ووجه تاخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور للتاخر عن دخوله
الجنة المتاخر عن الهداية الى الطريقة بها او لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته
لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التاخير حينئذ ان ذكر الحمد يستدعي
ذكر المحمود ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما
هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة
عليه فان من الحد في الحرم حيث نذيقه العذاب الاليم فلان يذاق من جمع اليه الكفر والصد
عن سبيل الله باشد من ذلك احق واولى والمسجد الحرام عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة
بدليل وصفه بقوله تعالى الذي جعلناه للناس اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي
سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطاري سواء اي مستويا مفعول ثان لجعلنا والعاكف
مرتفع بسواء واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصاد
عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان لجعلنا وقيل
كل منها ولكانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد اي بعدول عن القصد بظلم بغير حق
وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم
كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوانا يقال بوأه منزلا اي
انزله فيه فاللازم جعل الثاني مباءة للاول قيل لابراهيم مكان البيت وعليه مبني قول ابن
عباس رضي الله عنهما جعلناه اي اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه الصلوة والسلام
اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع
فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في اصل الاستعمال اي
انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى
ابراهيم عليه الصلوة والسلام مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه
القديم روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء

ثم رفعت ايام الطوفان والثاني بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام والثالث بناء قريش
في الجاهلية وقد حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير
رحمه الله تعالى والخامسة بناء الحجاج فقد اوردنا ما في هذا الشان من الاقاويل في تفسير قوله
تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وان في قوله تعالى ان لا تشرك بي شيئا مفسرة لبوأنا
من حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهي وقد مر تحقيقه
في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة شيئا وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود اي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي
فيه ولعل التعبير عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك
كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس اي ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج
بدعوة الحج والامر به روي انه عليه الصلاة والسلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس
حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق
في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ويأباه كون
السورة مكية يأتوك جواب للامر رجالا اي مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء
مخففة الجيم ومشددة ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر عطف على رجالا اي وركبانا على كل بعير
مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله واذهب لحمه يأتين صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون
على انه صفة للرجال والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق واسع
عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى ليشهدوا
متعلق بيأتوك لا باذن اي ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة
العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في
قوله تعالى لهم متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع اي منافع كائنة لهم ويذكروا اسم
الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعله غاية للعبادة ايذانا بانه
الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن النحر لانه لا ينفك عنه في ايام معلومات
هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام فان المراد
بالذكر ما وقع عند النحر وقيل هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين
بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر فكلوا منها التفات الى الخطاب والفاء
فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف ايذانا بانه امر محقق غير محتاج
الى التصريح كما في قوله تعالى فانفجرت اي فاذكروا اسم الله تعالى على ضحاياكم فكلوا من لحومها
والامر للاباحة وازاحة لما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيها او للندب الى مواساة
الفقراء ومساواتهم واطعموا البائس اي الذي اصابه بؤس وشدة الفقير المحتاج
وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا ثم ليقضوا تفثهم اي ليؤدوا ازالة
وسخهم اي ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال
وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد
الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف
الوداع بالبيت العتيق اي القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط
الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل واما الحجاج الثقفي فانما

قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما لا التسلط عليه ذلك اي الامر ذلك وهذا وامثاله
يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات الله اي احكامه
وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج
من التكاليف وقيل الكعبة وما يتعلق بالمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير
له اي فالتعظيم خير له ثوابا عند ربه اي في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره لتشريفه والاشعار بعلة الحكم واحلت لكم الانعام وهي الازواج الثمانية
على الاطلاق فقوله تعالى الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء
متصل منها على ان ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة
اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام
يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحمل الانعام
على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اي
ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لما ان حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى
فاجتنبوا الرجس من الاوثان فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات
الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها فلما كان بيان حل الانعام من دواعي التعاطي
لا من مبادي الاجتناب عقبه بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم امر بالاجتناب عما
هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من الحرمات
فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى
واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كانه لما حث
على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء
على الله سبحانه بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو
الانحراف كالافك المأخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن
الواقع وقيل هو قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه
وما ملك حنفاء لله مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين له تعالى غير
مشركين به اي شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو
فاجتنبوا ومن يشرك بالله جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار
الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى
حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه
بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما واصلها تختطفه
او تهوي به الريح اي تسقطه وتقذفه في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة
واو للتخيير كما في او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن
يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا شبيها باهلاك احد الهالكين ذلك اي الامر ذلك ومن
يعظم شعائر الله اي الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن
جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان التقرب بها من اجل القربات
وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة

فيها جملا لابي جهل في انفه برة من ذهب وقال عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة طلبت
منه بثلثمائة دينار فانها اي فان تعظيمها من تقوى القلوب اي من افعال ذوي تقوى
القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهرت آثارها
في سائر الاعضاء لكم فيها اي في الهدايا منافع هي درها ونسلها وصوفها وظهرها
الى اجل مسمى هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه ثم محلها اي وجوب نحرها
او وقت نحرها منتهية الى البيت العتيق اي الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او الرتبي
اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية اعظم منها في النفع محلها اي وجوب
نحرها الى البيت العتيق اي منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه
والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى
هو انقضاء ايام الحج ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق اي منتهية اليه بان
يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة
ولكل امة اي لكل اهل دين جعلنا منسكا اي متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله
عز وجل وقرئ بكسر السين اي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص
اي لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض ليذكروا اسم الله خاصة دون
غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي من
المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان
القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب في قوله تعالى فالهكم اله واحد للكل تغليبا
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل
على وحدانيته تعالى وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى
واحد في ذاته كما انه واحد في الهيته في الكل والفاء في قوله تعالى فله اسلموا لترتيب
ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر
للقصر اي فاذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له التقرب او الذكر واجعلوه لوجهه
خالصة ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين تجريد للخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اي المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوظائف الخاصة بهم الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم منه تعالى لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما
اصابهم من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرئ
بنصب الصلوة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم
ينفقون في وجوه الخيرات والبدن بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمع بدنة
وقيل الاصل ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون
على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها
البقرة في الاجزاء على سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة
جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع
على الابتداء وقوله تعالى من شعائر الله اي من اعلام دينه التي شرعها الله تعالى مفعول
ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى لكم فيها خير اي منافع دينية ودنيوية
جملة مستانفة مقررة لما قبلها فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها

الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف اي قائمات قد صففن ايديهن
وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى سنبك الرابعة لان
البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف
الاطلاق كما في قوله لعلي ارى باق على الحدثان فاذا وجبت جنوبها سقطت
على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع اي الراضي بما عنده
وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا
خضع له في السؤال والمعتر اي المعترض بالسؤال وقرئ المعتري يقال عتره وعراه
واعتره واعتراه كذلك اي مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف سخرناها
لكم مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها
وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون لتشكروا انعامنا
عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله اي لن يبلغ مرضاته ولكن لن يقع موقع القبول
لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله
التقوى منكم ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه
والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرابينهم
فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم تكرير للتذكير والتعليل بقوله لتكبروا
الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل
هو التكبير عند الاحلال والذبح على ما هداكم اي ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية
التقرب بها وما مصدرية او موصولة اي على هدايته اياكم او على ما هداكم اليه
وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين اي المخلصين في كل ما
يأتون وما يذرون في امور دينهم ان الله يدافع عن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق
لتوطين قلوب المؤمنين ببيان انه تعالى ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم
صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام
وصيغة المفاعلة اما للمبالغة او للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل
المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة اي يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم
الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنهم مرة بعد اخرى
حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفأها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان
كفور تعليل لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر
والخزي ونفي المحبة كناية عن البغض اي ان الله يبغض كل خوان في اماناته تعالى وهي اوامره
ونواهيه او في جميع الامانات التي هي معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما
لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة في نفي المحبة على
اعتبار النفي اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا اذن اي رخص وقرئ على البناء للفاعل
اي اذن الله تعالى للذين يقاتلون اي يقاتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف
لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة
وقرئ على صيغة المبني للفاعل اي يريدون ان يقاتلوا المشركين فيما سيأتي ويحرصون

عليه فيه دلالة على المحذوف فالظاهر بانهم ظلموا اي بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه صلى الله عليه وسلم بين
مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول لهم عليه الصلوة والسلام اصبروا فاني لم اؤمر
بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين
آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر من العدة الكريمة
بالدفع وتصريح بان المراد به ليس مجرد تخليصهم من ايدي المشركين بل تغليبهم واظهارهم
عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتأكيده بكلمة
التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى
الذين اخرجوا من ديارهم اي في حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان له او
بدل منه او في محل النصب على المدح او في محل الرفع باضمار مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح
والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق باخرجوا اي اخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم
وقوله تعالى الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي
ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على
طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل
الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على الكافرين
في كل عصر وزمان وقرئ دفاع لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل
وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع للرهبانية وبيع للنصارى وصلوات اي
كنائس لليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرانية فعربت
ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة للاربع
وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها
مما لا يقتضيه المقام ولا ترتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره اي وبالله لينصرن الله
من ينصر اولياءه او من ينصر دينه وقد انجز الله عز وجل وعده حيث سلط المهاجرين
والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم
ان الله لقوي على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شيء ولا
يدافعه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر وصف من الله عز وجل الذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند
تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة كريمة على ابلغ وجه
والطفه وعن عثمان رضي الله تعالى عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله تعالى اثنى عليهم قبل
ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط
التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء
وعن الحسن رضي الله تعالى عنه هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره
ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد باظهار
اوليائه واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود
بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع

في الشرط

في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته عليه الصلوة والسلام عما يترتب على التكذيب من
الحزن المتوقع اي وان يحزنوك على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيبهم
قومك اياك قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين اي رسلهم من
ذكر ومن لم يذكر وانما حذف لكمال ظهوره ولدلالة ما بعده من الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح الخ
وكذب موسى غير النظم بان ذكر المفعول وبني الفعل له لا لان قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه
وانما كذبه القبط لان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على ان بني
اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في كمال الوضوح
وقوله تعالى فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى انصرمت آجالهم والفاء لترتيب الامهال
الكل على تكذيب الكل وقضيته انما هو وضع الضمير العائد الى المكذبين اي امهلتهم بالكفر والتصريح
بمكذبي موسى عليه الصلوة والسلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم اخذتهم اي اخذت
كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائهم الموقت له فكيف كان نكير اي انكاري عليهم
بالاهلاك اي فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى فكاين من قرية منصوب
بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها اي فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله
تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء واهلكناها خبره فكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها
على وفق قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير وهي ظالمة جملة حالية من مفعول
اهلكنا وقوله تعالى فهي خاوية على عروشها عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال
والاهلاك ليس في حال خوائها فهي لا محل لها من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثاني في
محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهي ساقطة
حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش لتنزيل الحيطان منزلة كل البناء
لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهي خالية مع بقاء
عروشها وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر اي فهي خالية
وهي على عروشها اي قائمة مشرفة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت
الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان
لما مر آنفا وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك
اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان او مجصص
اخليناه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل
المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة
بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم يسيروا في الارض
حثهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا
فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء للعطف
ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم يسيروا فيها فتكون لهم بسبب ما شاهدوه
من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد
او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من
الناس فانهم اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره

الابصار وفي تعمى ضمير مبهم يرجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور
للتاكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر
قيل لما نزل قوله تعالى من كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا
في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين
لمجيء العذاب المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله
عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكي عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار وقوله
تعالى ولن يخلف الله وعده اما جملة حالية جيء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه في
ضمن استعجالهم به واظهار خطائهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجيء العذاب والحال انه تعالى
لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر
وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون مستانفة ان كانت الاولى
حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم في الاستعجال في
الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم
المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مدة طويلة عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى
انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا فلذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره
ويجترئون على الاستعجال ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا
ما عنده تعالى من المقدار وقرئ يعدون على صيغة الغيبة اي يعد المستعجلون وهو اوفق بهذا
المعنى وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه
للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل
لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب
ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملتان الاوليان حاليتين او اعتراضيتين مبينتين
لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا
لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه
فلا تكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي دس تحت الاستعجال بل يكون
الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفى في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم
هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة وحمل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته
او عن ايام الآخرة الطويلة حقيقة والمستطالة لشدة عذابها ولا يساعده سياق
النظم الكريم ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان
الممتد هو الذي قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له لا
بعده الى قوله تعالى وكاين من قرية الى آخره فانه كما سلف من قوله تعالى فامليت للكافرين
ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الامهال الطويل اي وكم من اهل
قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة
في التعميم والتهويل امليت لها كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما وعدوا من العذاب
واستعجلوه استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء وهي ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة
بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة

كهؤلاء

كهؤلاء ثم اخذتها بالعذاب بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى والى
المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان مآل
امر المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري
استقلالا او اشتراكا فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا
لكم نذير مبين انذركم انذارا بينا بما اوحي الي من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لي
دخل في اتيان ما توعدون من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الانذار
مع بيان حال الفريقين بعده لما ان صدر الكلام ومساقه للمشركين وعقابهم
وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة لما بدر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع
فضائله ويحوز كمالاته والذين سعوا في آياتنا معاجزين اي مسابقين او سابقين
في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم واصله من عاجزه فعجزه
فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به
وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن الايمان على ان الحال مقدرة اولئك الموصوفون
بما ذكر من السعي والمعاجزة اصحاب الجحيم اي ملازمو النار الموقدة وقيل هو اسم دركة
من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة
جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء
بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ولذلك شبه عليه الصلاة
والسلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام
سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلاثمائة
وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول
من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام
الا اذا تمنى اي هيأ في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه
ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله
في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون
اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته اي يثبت آياته الداعية الى الاستغراق
في شؤون الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار
الجلالة في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية من موجبات احكام آياته
الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شانه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد
من قول وفعل عمدا او خطأ حكيم في كل ما يفعل والاظهار ها هنا ايضا لما ذكر مع ما فيه
من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل
تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان
في ناديهم فنزلت سورة النجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس
اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
ففرح به المشركون حتى تابعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك
الا سجد ثم نبهه جبريل عليه الصلاة والسلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية

وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه. وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله: تمنى كتاب الله أول ليله ... تمنى داود الزبور على رسل. وأمنيته قراءته، وإلقاء الشيطان فيها أن يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد رد بأنه أيضا يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لأنه أيضا يحتمله. وفي الآية دلالة على جواز السهو من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتطرق الوسوسة إليهم. **ليجعل ما يلقي الشيطان** علة لما ينبئ عنه ما ذكر من إلقاء الشيطان من تمكينه تعالى إياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم، لا لتمكينه تعالى إياه من الإلقاء في حق سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يمكن تعليله بما سيأتي، وفيه دلالة على أن ما يلقيه أمر ظاهر يعرفه المحق والمبطل. **فتنة للذين في قلوبهم مرض** أي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية. **والقاسية قلوبهم** أي المشركون. **وإن الظالمين** أي الفريقين المذكورين، فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة. **لفي شقاق بعيد** أي في عداوة شديدة ومخالفة تامة، ووصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة، والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله. **وليعلم الذين أوتوا العلم أنه** أي القرآن **الحق من ربك** أي هو الحق النازل من عنده تعالى، وقيل الضمير للتمكين للشيطان من الإلقاء، أي هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة، لأنه مما جرت به عادته في جنس الإنس من لدن آدم عليه الصلاة والسلام، فحينئذ لا حاجة إلى تخصيص التمكين فيما سبق بالإلقاء في حقه عليه الصلاة والسلام، ولكن يأباه قوله تعالى **فيؤمنوا به** أي بالقرآن أي يثبتوا على الإيمان به أو يزدادوا إيمانا برد ما يلقي الشيطان. **فتخبت له قلوبهم** بالانقياد والخشية والإخبات لما فيه من الأوامر والنواهي، فإن رجع الضميرين لا سيما الثاني إلى التمكين للشيطان من الإلقاء مما لا وجه له. **وإن الله لهادي الذين آمنوا** أي في الأمور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر. **إلى صراط مستقيم** هو النظر الصحيح الموصل إلى الحق الصريح، والجملة اعتراض مقرر لما قبله. **ولا يزال الذين كفروا في مرية** أي في شك وجدال **منه** أي من القرآن، وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم، والأول هو الأظهر لشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى أنه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا بآياتنا، وأما تجويز كون الضمير لما ألقى الشيطان في أمنيته فمما لا مساغ له، لأن ذلك ليس مما هو مريتهم التي تستمر إلى الآية المذكورة بل إنما هي مريتهم في شأن القرآن، ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتداء لما أن مريتهم المستمرة كما أنها ليست متلقاة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة أنها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم. **حتى تأتيهم الساعة** أي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى **بغتة** أي فجأة، فإنها الموصوفة بالإتيان كذلك لا أشراطها، وقيل الموت. **أو يأتيهم عذاب يوم عقيم** أي يوم لا يوم بعده كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام فما لا يوم بعده يكون عقيما، والمراد به الساعة أيضا كأنه قيل أو يأتيهم عذابها، فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل، ولا سبيل إلى حمل الساعة على أشراطها لما عرفته. وأما ما قيل إن المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن

عقم لم

عقم لم يلدن، أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فإذا قتلوا صارت عقيما، أو لكونه في وصف اليوم بالشدة، أو لأنه لا خير لهم فيه، ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا، أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم الصلاة والسلام فيه، فمما لا يساعده سياق النظم الكريم أصلا، كيف لا وأن تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالمثوبة والعذاب الأخرويين يقتضي أن المراد به يوم القيامة قضاء بينا لا ريب فيه. **الملك** أي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الإطلاق. **يومئذ لله** وحده بلا شريك أصلا بحيث لا يكون لأحد فيه تصرف من التصرفات في أمر من الأمور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا، فإن للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة، وتعليق التنوين نائبا مما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل لا بما يستلزمه ذلك من إيمانهم كما قيل، فإن ما [illegible] مع اليوم حيث توسط بين طرفي الجملة يجب أن يكون مما له مدخل في الحكم كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الإثابة والتعذيب، ولا ريب في أن إيمانهم وزوال مريتهم ليس كذلك لتعلق ما ذكر فضلا عن الدلالة عليه، فلا سبيل إلى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا، وإنما الذي يدور عليه ذكر إتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور أحكام الملك الحقيقي جل جلاله، فإذن هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم، فالمعنى الملك يوم إذ تأتيهم الساعة لله تعالى. وقوله تعالى **يحكم بينهم** جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الإخبار بكون الملك يومئذ لله كأنه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والمارين فيه بالمجازاة. وقوله تعالى **فالذين آمنوا** إلخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له، أي فالذين آمنوا بالقرآن ولم يماروا فيه. **وعملوا الصالحات** امتثالا لما أمروا في تضاعيفه. **في جنات النعيم** أي مستقرون فيها. **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** أي أصروا على ذلك واستمروا. **فأولئك** إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد، أي فأولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب، وهو مبتدأ، وقوله تعالى **لهم عذاب** جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لأولئك، أو الظرف خبر لأولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ، وأولئك مع خبره خبر للموصول، وتصدير القسم الأول بالظرف للإيذان بأن تعذيب الكفار بسبب أعمالهم السيئة، كما أن تجريد خبر الموصول الأول عما يدل على السببية للإيذان بأن الإثابة للمؤمنين بطريق التفضل لا لإيجاب الأعمال الصالحة إياها. وقوله تعالى **مهين** صفة لعذاب مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة، وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى. **والذين هاجروا في سبيل الله** أي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى **ثم قتلوا أو ماتوا** أي في تضاعيف المهاجرة، ومحل الموصول الرفع على الابتداء، وقوله تعالى **ليرزقنهم الله** جواب لقسم محذوف والجملة خبره، ومن منع وقوع الجملة القسمية خبرا جعلها خبرا للمبتدأ بضمير قول هو الخبر والجملة محكية به. وقوله تعالى **رزقا حسنا** إما مفعول ثان على أنه من باب الرعي والذبح بمعنى المرزوق حسنا، أو مصدر مؤكد، والمراد ما لا ينقطع أبدا من نعيم الجنة، وإنما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد وأصل العمل على أن مرتبة الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الأرزاق حسنا. وروي أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى

من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف
خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوا وان الله لهو خير الرازقين
فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لما قبله وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله تعالى ليرزقنهم
الله او استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال
او مصدر ميمي اكد به فعله قال ابن عباس رضي الله عنه انما قيل يرضونه لانهم يرون
فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه وان الله لعليم باحوالهم
واحوال معاديهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر
ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف ومن عاقب بمثل
ما عوقب به اي لم يزد في القصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية
للمشاكلة او لكونه سببا له ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله على من
بغى عليه لا محالة ان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر
ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى
ولمن صبر وغفر ان ذلك اي ما ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور فان فيه
حثا بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما يعفو ويغفر فغيره اولى بذلك
وتنبيها على ان الله تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده
ذلك اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع
على الابتداء خبره قوله تعالى بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
اي بسبب انه تعالى من شانه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين
الاشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص
عن الآخر او بتحصيل احدهما في مكان الآخر لكونه اظهر الموادّ واوضحها وان الله سميع
بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب بصير بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله
ذلك اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آنفا وهو
مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله
وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد كما ذكر وان ما
يدعون من دونه الها وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لما فانها عبارة عن الآلهة
وقرئ بالتاء على خطاب المشركين هو الباطل اي المعدوم في حد ذاته او الباطل
الوهيته وان الله هو العلي على جميع الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى
منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع
عنه الرفع في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة بالعطف على انزل وايثار صيغة الاستقبال
للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله لطيف
يصل لطفه او علمه الى كل ما جل ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرها وباطنها
له ما في السموات وما في الارض اي ان جميع ما فيهما من الاشياء مملوكة له
خلقا وملكا وتصرفا وان الله لهو الغني عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته
وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي جعل ما فيها من الاشياء مذللة لكم

معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اهيب من
النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ
بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال من الفلك على الاول وخبر على الثاني
ويمسك السماء ان تقع على الارض اي من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة
متداعية الى الاستمساك الا باذنه اي بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها
بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية القابلة للميل الهابط فتقبل ما يقبله
غيرها ان الله بالناس لرؤوف رحيم حيث هيأ لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم
ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية وهو الذي
احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم
عند مجيء آجالكم ثم يحييكم عند البعث ان الانسان لكفور اي لجحود للنعم مع
ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده لكل امة كلام مستانف جيء به لزجر
معاصريه عليه الصلاة والسلام من اهل الملل السماوية عن منازعته عليه الصلاة والسلام
ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع واظهار خطائهم في النظر اي لكل امة معينة من
الامم الخالية والباقية جعلنا اي وضعنا وعينا منسكا اي شريعة خاصة
لامة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطاها امة
منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى هم ناسكوه
صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة
باعتبار خصوصها اي تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة
التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما الصلاة والسلام منسكهم التوراة هم
ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما
الصلاة والسلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة
عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيمة فهم امة واحدة
منسكهم الفرقان ليس الا كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء
في قوله تعالى فلا ينازعنك في الامر لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة
من الامم التي من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها
المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم
اياه في امر الدين زعما منهم بان شريعتهم ما عين لآبائهم الاولين من التوراة والانجيل
فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة مستقلة منسكهم القرآن
المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن
منازعتهم فلذلك يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه الصلاة والسلام
والمبالغة في تثبيته وايا ما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسائك
وجعله عبارة عن قول الخزاعي وغيرهم للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون
ما قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وسائر
ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب

في بطلانه مما قيل وادع اي وادعهم او وادع الناس كافة على انهم داخلون فيهم دخولا
اوليا الى ربك الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وطريقتهم انك لعلى هدى
مستقيم اي طريق موصل الى الحق سوي والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتها وان
جادلوك بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد
الله اعلم بما تعملون من الاباطيل التي من جملتها المجادلة الله يحكم بينكم يفصل بين
المؤمنين منكم والكافرين يوم القيامة بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والايات
فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين ألم تعلم استيناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام
للتقرير اي قد علمت ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء من الاشياء التي من
جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه ان ذلك اي ما في السماء والارض في كتاب هو اللوح قد كتبه فيه
قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك اي ما ذكر من العلم والاحاطة
به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير فان علمه مقتضى ذاته فلا يخفى
عليه شيء عليه ولا يعسر عليه مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض اباطيل
المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم في اسناد امر دينهم على غير
مبني على دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدته
اشد اعراض اي يعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اي بجواز عبادته سلطانا
اي حجة وما ليس لهم به علم اي بجواز عبادته من ضرورة العقل واستدلاله
وما للظالمين اي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقتضي بطلانه ظهوره بداهة
العقول من نصير يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رايهم او بدفع العذاب الذي
يعتريهم بسبب ظلمهم واذا تتلى عليهم آياتنا عطف على يعبدون وما بينهما
اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي بينات اي حال كونها
واضحات الدلالات على العقائد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه
من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل تعرف في وجوه الذين كفروا
المنكر اي الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او الشر الذي يقصدونه
يظهرونه بمخايل من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم آياتنا اي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها
تقليدا وهل جهالة اعظم واطم من ان يعبدوا ما لا يوجد صحة عبادته شيء ما اصلا بل
يقضي ببطلانه العقل والنقل ويظهروا لمن يرشدهم الى الحق المبين بالسلطان المبين مثل
هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير قل ردا عليهم واقناطا عما
يقصدونه من الاضرار بالمسلمين أفأنبئكم اي اخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم الذي
فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما تبغونه من الغوائل او مما اصابكم من الضجر
بسبب ما تلوه عليكم النار اي هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ما هو وقيل
مبتدأ خبره قوله تعالى وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص
وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة الفعلية استينافا كالوجه الاول او حالا من النار باضمار
قد وبئس المصير اي النار يا ايها الناس ضرب مثل اي بين لكم حال مستغربة او قصة
بديعة رائقة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار وجعل لله مثل اي مثل في استحقاق

وايد بذلك ما حكي عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اي للمثل نفسه استماع
تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله الى آخره بيان
للمثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثل الله سبحانه في استحقاق
العبادة على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول
على الاولين محذوف لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته
فان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ولو اجتمعوا له
اي لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة
ثقة بدلالة هذه عليها اي لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه
مرارا وهما في موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال وان يسلبهم الذباب شيئا
بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اي ان يأخذ الذباب منهم
شيئا لا يستنقذوه منه مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل في اشراكهم بالله القادر على
جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها
لا تقدر على اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل
وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل
ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب
اي عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب
منه ذلك او الصنم والذباب يطلب ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت
الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل واضل من كل ضال ما قدروا
الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه
مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجودات عن آخرها عزيز
غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لادنى المخلوقات العاجزة عن اقلها والجملة
تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم له تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون
بينه تعالى وبين الانبياء عليهم الصلوة والسلام بالوحي ومن الناس وهم المختصون
بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني
يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق
فيدعونهم الى الله تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرايعه واحكامه كانه تعالى لما قرر
وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شيء من الاشياء بين ان له عبادا مصطفين
للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادته عز وجل وهو اعلى المراتب واقصى
الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة
وقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله ونحو ذلك من الاباطيل
ان الله سميع بصير عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شيء من الاقوال
والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور لا الى احد غيره
لا اشتراكا ولا استقلالا يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا اي في صلواتكم امرهم
بهما لما انهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام اي صلوا عبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها
واخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا

الخير ونحوا ما هو خير واصلح في كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة
الأرحام ومكارم الأخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها
الفلاح غير مستيقنين له واثقين باعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعي رحمه الله
لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدتين
من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله اي لله تعالى ولاجله اعداء دينه الظاهرة
كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع عن
غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا
فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم
واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه
ومن اجله هو اجتباكم اي اختاركم لدينه ونصرته لا لغيره وفيه تنبيه على ما يقتضي
الجهاد ويدعو اليه وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشق
عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال
بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشيء فاتوا
منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضائق
وفتح عليهم باب التوبة وسوغ لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق
العباد ملة ابيكم ابراهيم نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله
بحذف المضاف اي وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص
وانما جعله ابا هؤلاء لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب
لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته
عليه الصلاة والسلام فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة
وفي هذا اي في القرآن والضمير لله تعالى ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابراهيم فان تسميتهم
بالمسلمين في القرآن وان لم يكن منه عليه الصلاة والسلام كانت بسبب تسميته من قبل في
قوله تعالى ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم بالمسلمين
ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته
لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على
الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اي فتقربوا الى الله بانواع الطاعات
وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما واعتصموا بالله اي ثقوا به في مجامع اموركم ولا
تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير
اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه
وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في ذلك كابشر الذي هو دخل في البشارة
وقد يجيء متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد

هاهنا

ها هنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا متوقع الاخبار به ضرورة ان المتوقع حال
المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فاز بكل خير ونجا من كل ضير
حسبما كان ذلك متوقعا في حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة من
دواعي الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فاز بكل خير ونجا بموجب الوعد الكريم خلا
انه اريد بالافلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق الا في الآخرة فالاخبار به على صيغة
الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت فان اريد كونهم وان اريد كونهم
بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير
على لغة اكلوني البراغيث وقرئ افلح بضم الالف اكتفاء بها عن الواو كما في قول من قال فلو ان الاطبا كانوا
حولي والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه
وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى الذين هم في صلاتهم
خاشعون وما عطف عليه صفات مخصصة لهم وقيل الآتون بفروعه ايضا كما ينبئ
عنه اضافة الصلوة اليهم فهي صفات موضحة او مادحة لهم حسب اقتضاء ما ذكر في حق الصلوة
من المعاني مع الايمان الاجمالي وتفصيله كما مر في اوائل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل
اي خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه
الصلوة والسلام كان اذا صلى رفع راسه الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه
راى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو اي عما
لا يعنيهم من الاقوال والافعال معرضون اي في عامة اوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على
الاستمرار فيدخل في ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا ومدار اعراضهم
عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في امور الدين كما قيل فان
ذلك ربما يوهم انه لا خير في اللغو نفسه مما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه
جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم مباشرة وتسببا وميلا وحضورا
فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد
وصفهم بالخشوع في الصلوة للدلالة على انهم بلغوا الغاية القاصية في القيام بالطاعات البدنية
والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض
عن اللغو بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلوة والزكوة مصدر لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو
موقعه ومعنى الفعل نحو تحقيقها في قوله تعالى فان لم تفعلوا ويجوز ان يراد بها العين
على تقدير المضاف والذين هم لفروجهم حافظون ممسكون لها والاستثناء في قوله تعالى
الا على ازواجهم من نفي الارسال الذي ينبئ عنه الحفظ اي لا يرسلونها على احد الا على
ازواجهم وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وانهم حافظون لها من استيفاء
مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما في قوله تعالى
ذلك تكتالوا على الناس اي حافظون لها من كل احد الا من ازواجهم وقيل هو متعلق بمحذوف يدل عليه
غير ملومين كانه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق فانهم غير ملومين عليه ويحمل
على القصر عليهن من تكون للمعنى حافظون وحجرهم على الازواج لا ينتقلهن الى غيرهن حافظون
لا عليهن ماكيدا على الابدية تكلفا او ما ملكت ايمانهم اي سراريهم عبر عنهن بما اجراء
لهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى فانهم

[illegible]

غير ملومين تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن أي فإنهم غير ملومين على عدم حفظها منهن فمن ابتغى وراء ذلك الذي ذكر من الحد المتسع وهو أربع من الحرائر وما شاء من الإماء فأولئك هم العادون الكاملون في العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل حتما على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فإنه قال إنها ليست زوجة له فوجب أن لا تحل له أما أنها ليست زوجة له فلأنهما لا يتوارثان بالإجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك أزواجكم وجب أن لا تحل لقوله تعالى إلا على أزواجهم لأن لهم أن يقولوا إنها زوجة له في الجملة وأما أن كل زوجة ترثه فهم لا يسلمونها وأما ما قيل من أنه لا دليل لو كانت زوجة حال الحيوة لو نفيها ... بعد الموت فلا ملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه والذين هم لأماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق راعون أي قائمون عليها حافظون لها على وجه الإصلاح وقرئ لأمانتهم والذين هم على صلواتهم المفروضة عليهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير لما أن الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفي فصلهما إيذان بأن كلا منهما فضيلة على حدة أولئك إشارة إلى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وإيثارها على الإضمار للإشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار إليه حسا وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف أي أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة هم الوارثون أي الأحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب الأموال والذخائر وكرائمها الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد إطلاقها وتفسير لها بعد إبهامها تفخيما لشأنها ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل إنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل إنسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها أي في الفردوس والتأنيث لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لأصناف الثمر وروي أنه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان خالدون لا يخرجون منها أبدا والجملة إما مستأنفة مقررة لما قبلها وإما حال مقدرة من فاعل يرثون أو مفعوله إذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكل إنهم يرثون ولا يخرجون منها ولقد خلقنا الإنسان شروع في بيان مبدأ خلق الإنسان وتقلبه في أطوار الخلقة وأطوار الفطرة بيانا إجماليا إثر بيان حال بعض أفراده السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالإنسان الجنس أي وبالله لقد خلقنا جنس الإنسان في ضمن خلق آدم عليه الصلاة والسلام خلقا إجماليا حسبما تحققته في سورة الحج وغيرها ولنا كونه مخلوقا من سلالة لأن خلقه نطفة بعد ذلك ولا يقطع تقييده من سلالة السلالة ما سل من الشيء واستخرج منه فإن فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة يكون مقصودا منه كالخلاصة وأخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الأول فإنها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن في قوله تعالى من طين بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة أي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز أن يتعلق بسلالة

علي انها

على أنها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية كالأولى وقيل المراد بالإنسان آدم عليه الصلاة والسلام فإنه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق ثم جعلناه أي الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم عليه الصلاة والسلام أو جعلنا نسله على حذف المضاف إن أريد بالإنسان آدم عليه الصلاة والسلام نطفة بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر أو المسلول أو الماء في قرار أي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر أو بمكانتها في نفسها فإنها مكنت بحيث هي وأحرزت ثم خلقنا النطفة علقة أي دما جامدا بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة أي قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها فخلقنا المضغة أي غالبها ومعظمها أو كلها عظاما بأن صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة فكسونا العظام المعهودة لحما من بقية المضغة أو مما أنبتنا عليها بقدرتنا مما يصل إليها أي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الأول فقط وبتوحيد الثاني فحسب ثم أنشأناه خلقا آخر هي صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به أبو حنيفة رحمه الله على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لأنه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة والإشعار بأن ما ذكر من الأفاعيل العجيبة من أحكام الألوهية وللإيذان بأن حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وعلا أو لاحظه أن يسارع إلى التكلم به إجلالا وإعظاما لشؤونه تعالى أحسن الخالقين بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على أن الإضافة ليست بمحضة وقيل خبر مبتدأ محذوف أي هو أحسن الخالقين خلقا أي المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تعالى أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه أي أحسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل إن نظيره قوله عليه الصلاة والسلام إن الله جميل يحب الجمال أي جميل فعله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستتر روي أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فلما انتهى عليه الصلاة والسلام إلى قوله خلقا آخر سارع عبد الله إلى النطق به قبل إملائه فقال عليه الصلاة والسلام اكتب هكذا نزلت فشك عبد الله فقال لئن كان محمد يوحى إليه فأنا كذلك يوحى إلي فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله تعالى عنه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت يا عمر وكان رضي الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في أربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن أو ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه إن طلقكن الآية والرابع فتبارك الله أحسن الخالقين أنظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضي الله تعالى عنه وشقاوة ابن أبي سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح في إعجازه لما أن الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار

اقصى المشوق حتى ان اعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فانها للعرض تفريعي مفرع لمضمون ما قبلها ﴿ثم انكم بعد ذلك﴾ اي بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازا منزلا منزلة الامور الحسية ﴿لميتون﴾ لصائرون الى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذي يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون ﴿ثم انكم يوم القيامة﴾ اي عند النفخة الثانية ﴿تبعثون﴾ من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب ﴿ولقد خلقنا فوقكم﴾ بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما هي بعد خلقهم ﴿سبع طرائق﴾ هي السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة والكواكب فيها مسيرها ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ عن ذلك المخلوق الذي هو السموات وعن جميع المخلوقات التي هي من جملتها او عن الناس غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة وتصل الى ما في الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿وانزلنا من السماء ماء﴾ هو المطر والانهار النازلة من الجنة قيل هي خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من الجنة من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو ﴿بقدر﴾ بتقدير لائق لاستجلاب نفعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم ﴿فاسكناه في الارض﴾ اي جعلناه ثابتا قارا فيها ﴿وانا على ذهاب به﴾ اي ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه ﴿لقادرون﴾ كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ﴿فانشأنا لكم به﴾ اي بذلك الماء ﴿جنات من نخيل واعناب لكم فيها﴾ في الجنات ﴿فواكه كثيرة﴾ تتفكهون بها ﴿ومنها﴾ من الجنات ﴿تأكلون﴾ تغذيا او ترزقا وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يعود الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه ﴿وشجرة﴾ بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله اي ومما انشأنا لكم شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى ﴿تخرج من طور سيناء﴾ وهو جبل موسى عليه الصلاة والسلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر

والقصر

والقصر وللحمل صفة الشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلي لها وقوله تعالى ﴿تنبت بالدهن﴾ صفة اخرى للشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها اصلية معدية اي تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة الشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما في قول زهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهن ﴿وصبغ للآكلين﴾ معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ ﴿وان لكم في الانعام لعبرة﴾ بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها على عظم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالذكر لما ان محل العبرة فيه اظهر مما في النبات وقوله تعالى ﴿نسقيكم مما في بطونها﴾ تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف او عن العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اي تسقيكم الانعام ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ غير ما ذكر من اصوافها واشعارها ﴿ومنها تأكلون﴾ فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها ﴿وعليها﴾ اي وعلى الانعام فان الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هي الابل خاصة لانها المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فالضمير فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن ﴿وعلى الفلك تحملون﴾ اي في البر والبحر وفي الجمع بينها وبين الفلك في ايقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها الحمل وهو الداعي الى تأخيره عن منفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن منفعة الاكل المتعلقة بعينها ﴿ولقد ارسلنا نوحا الى قومه﴾ شروع في بيان اهمال الامم السالفة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي ايراده اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد ارسلنا نوحا ونسبه الكريم وكيفية بعثه ومدة لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود ﴿فقال﴾ متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق ﴿يا قوم اعبدوا الله﴾ اي اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى في سورة هود ان لا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان بانها هي العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليست من العبادة في شيء راسا وقوله تعالى ﴿ما لكم من اله غيره﴾ استئناف مسوق لتعليل العبادة المأمور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على انه فاعل او مبتدأ خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص

والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار لفظه افلا
تتقون اي افلا تتقون في انفسكم عذابه الذي يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته سبحانه
كما يفصح عنه قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب اليم وقيل
افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم اه فليس بذلك وقيل افلا تخافون ان
يزيل عنكم نعمه وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على
مقدر يقتضيه المقام اي اتعرفون ذلك اي مضمون قوله تعالى ما لكم من اله غيره فلا تتقون عذابه
بسبب اشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق
فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون ذلك فلا تتقون فالمنكر كلا الامرين
فالمبالغة حينئذ في الكمية وفي الاول في الكيفية فقال الملأ اي الاشراف الذين كفروا
من قومه وصفهم بذلك مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم في الكفر وشدة
شكيمتهم فيه اي قالوا لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم اي في الجنس والوصف من غير
فرق بينكم وبينه وصفوه عليه الصلاة والسلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية
وحطها عن منصب النبوة يريد ان يتفضل عليكم اي يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم
بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه عليه الصلاة والسلام
واغراء لهم على معاداته عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى ولو شاء الله لانزل
ملائكة بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته
عليه الصلاة والسلام اي ولو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما
قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشيئة مطلق الارسال
المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره ما سمعنا بهذا
اي بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل
بمثل نوح عليه الصلاة والسلام في دعوى النبوة في آبائنا الاولين اي الماضين قبل
بعثته عليه الصلاة والسلام قالوه اما لكونهم وآباؤهم في فترة متطاولة واما لفرط
غلوهم في التكذيب والعناد وانهماكهم في الغي والفساد واياما كان فقولهم هذا ينبغي ان
يكون هو الصادر عنهم في مبادي دعوته عليه الصلاة كما ينبئ عنه الفاء في قوله تعالى
فقال الملأ الخ وقيل معناه ما سمعنا به عليه الصلاة والسلام انه نبي فالمراد
بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح عليه الصلاة والسلام وقولهم المذكور
هو الذي صدر عنهم في اواخر امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه
عليه الصلاة والسلام وقولهم ان هو اي ما هو الا رجل به جنة اي جنون او جن
يخبلونه ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به اي احتملوه واصبروا عليه وانتظروا حتى
حين لعله يفيق مما هو فيه محمول حينئذ على ترقيهم في المكابرة والعناد واضرابهم
عما وصفوه عليه الصلاة والسلام به من البشرية وارادة التفضل الى وصفه عليه الصلاة
والسلام بما ترى وهم يعرفون انه عليه السلام ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا وعلى الاول
على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون قال استئناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عليه الصلاة والسلام بعدما سمع منهم هذه
الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد اصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال

حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد
آمن رب انصرني باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه الصلاة والسلام
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى آخره بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي او بدل
تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك ان اصنع الفلك ان مفسرة لما في الوحي من معنى
القول باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه عليه الصلاة والسلام منه
عز وجل حفاظا يكلؤونه بعيونهم من التعدي او من الزيغ في الصنعة ووحينا
وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء في قوله تعالى فاذا جاء امرنا لترتيب مضمون
ما بعدها على اتمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر
الله لا الامر بالركوب كما قيل ومجيئه حمل اقترابه او ابتداء ظهوره اي اذا جاء اثر تمام
الفلك عذابنا وقوله تعالى وفار التنور عطف بيان للمجيء او الامر كما قيل انه عليه الصلاة
والسلام اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان تنور آدم عليه الصلاة والسلام
فصار الى نوح عليه الصلاة والسلام فلما نبع منه الماء اخبرته امرأته فركبوا واختلف
في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة اي في موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل
كان في عين وردة وقد مر تفصيله في تفسير سورة هود فاسلك فيها اي ادخل
فيها يقال سلك فيه اي دخل فيه وسلكه فيه اي ادخله فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر
من كل اي من كل امة زوجين اي فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى اثنين اي من
كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك فهذا صريح في
ان الامر كان قبل صنع الفلك وفي سورة هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من
كل زوجين فالوجه ان يحمل على انه حكاية لامر آخر تنجيزي ورد عند فور التنور الذي
نيط به الامر التعليقي اعتناء بشأن المأمور به او على ان ذلك هو الامر السابق بعينه لكن لما
كان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به في حق ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما
حدث عند تحققه فحكي على صورة التنجيز وقد مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم واهلك منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين على القراءتين
لادائه الى الاختلال لان قلة الاحمال منه عليه الصلاة والسلام بل الجماعة من اهله واتباعه
وثناهم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان في الخروج تفصيل بذكر الاستثناء المغني
اي لئلا يهلك والمراد به امته من توقيع فتاخير الامر بادخالهم كما ذكر من احتمال الاختلاج فيها لكونه
عرضنا فيما اريد من الادخال فانه يصلح الجزء وقلة الاحمال منه عليه الصلاة والسلام بل الجماعة
من اهله واتباعه واما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان في الخروج تفصيل
بذكر الاستثناء وغير ذلك مما يؤدي الى الاخلال بجزالة النظم الكريم الا من سبق
عليه القول منهم اي القول باهلاكهم لكفرهم وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام
في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء
لانجائهم انهم مغرقون تعليل للنهي او لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء اي انهم مقضي
عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع
فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم باهلاكهم بقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد
لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او منها منزلا مباركا اي انزالا او موضع انزال

يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اي موضع نزول **وانت خير المنزلين** امره عليه الصلوة
والسلام بان يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه
الصلوة والسلام بالامر مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه الصلوة والسلام
والاشعار بان في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه **ان في ذلك** الذي ذكر مما فعل به عليه
الصلوة والسلام وبقومه **لآيات** جليلة يستدل بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذووا الاعتبار
وان كنا لمبتلين ان مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان
محذوف اي وان الشان كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين
بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر لقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر **ثم
انشانا من بعدهم** اي من بعد اهلاكهم **قرنا آخرين** هم عاد حسبما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة
من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود **فارسلنا فيهم** جعلوا موضعا للارسال
كما في قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى **رسولا منهم**
اي من جملتهم نسبا وهو هود او صالح فانهما عليهما الصلوة والسلام كانا منهم وان في قوله تعالى
ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا
الله تعالى وقوله تعالى **ما لكم من اله غيره** تعليل للعبادة المامور بها او للامر بها او لوجوب
الامتثال به **افلا تتقون** اي عذابه الذي يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصي
والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عليه الصلوة والسلام **وقال الملأ من قومه**
حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية تعطاف تكذيبهم اياه عليه الصلوة والسلام اجمالا لا حكاية
ما جرى بينه عليه الصلوة والسلام وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى حكي
بطريق الاستيناف المبني على السؤال كما ينبئ عنه ما سياتي من حكاية سائر الامم اي وقال
الاشراف من قومه **الذين كفروا** في محل الرفع على انه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها
على غلوهم في الكفر وتاخير من قومه عطف قوله تعالى **وكذبوا بلقاء الآخرة** وما عطف عليه
على الصلة الاولى اي كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية
بالبعث **واترفناهم في الحيوة الدنيا** ونعمناهم بكثرة الاموال والاولاد اي قالوا لاعقابهم
مضلين لهم **ما هذا الا بشر مثلكم** اي في الصفات والاحوال وابتداؤهم كلامهم على مثلنا
للمبالغة في تهوين امره عليه الصلوة والسلام وتوهينه **ياكل مما تاكلون منه ويشرب
مما تشربون** تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور
قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه **ولئن اطعتم بشرا مثلكم** اي فيما ذكر من الاحوال
والصفات اي ان امتثلتم باوامره **انكم اذا** اي على تقدير الاتباع **لخاسرون** عقولكم
ومغبونون في آرائكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم الى
سعادة الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون
واذا واقع بين اسم ان وخبرها لتاكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل ان
الشرطية المصدرة باللام الموطئة اي والله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون
ايعدكم استيناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه الصلوة والسلام
بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان واستبعاده **انكم اذا متم** بكسر الميم من مات يمات

وقرئ بضمها

وقرئ بضمها من مات يموت **وكنتم ترابا وعظاما** نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب
اي كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما فتقديم التراب لعراقته
في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقدموكم ترابا صرفا ومتاخروكم
عظاما **انكم** تاكيد لما قبله لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله تعالى
مخرجون اي من القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبره على معنى
اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط
كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذي تقتضيه جزالة
النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم اذا متم **هيهات هيهات** تكرير لتاكيد البعد
اي بعد الوقوع او الصحة **لما توعدون** وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما في هيت لك
كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات
بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع
هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء
هاء **ان هي الا حياتنا الدنيا** اصله ان الحيوة الا حياتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة
الثانية عليها حذرا من التكرير واشعارا باغنائها عن التصريح كما في هي النفس تحمل ما حملت
وهي العرب تقول ما شاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان النافية
بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى **نموت ونحيى** جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحيوة هي حيوة الدنيا
اي يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض العصر **وما نحن بمبعوثين** بعد الموت **ان هو الا رجل
افترى على الله كذبا** فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من ان الله تعالى يبعثنا **وما نحن له
بمؤمنين** بمصدقين فيما يقوله **قال** اي هود عليه الصلوة والسلام عند ياسه من ايمانهم
بعد ما سلك في دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل **رب انصرني** عليهم وانتقم لي منهم
بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه **قال** تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول
عما قليل اي عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة كما زيدت في قوله
تعالى فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اي عن شيء قليل **ليصبحن نادمين** على ما فعلوه
من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب **فاخذتهم الصيحة** لعلهم حين اصابتهم
الريح العقيم اصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة ايضا وقد روي ان شداد بن عاد حين اتم
بناء ارم سار اليها باهل مملكته فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة
نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم قال قائلهم صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا
لشدتها على الاذقان **بالحق** متعلق بالاخذ اي بالامر الثابت الذي لا دفاع له او بالعدل من الله تعالى
او بالوعد الصدق **فجعلناهم غثاء** اي كغثاء السيل وهو حميله **فبعدا للقوم الظالمين**
اخبار او دعاء وبعدا من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اي هلكوا
واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل **ثم انشانا من بعدهم
قرونا آخرين** هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم الصلوة والسلام وغيرهم
ما تسبق من امة اجلها اي ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم اي
ما تهلك امة قبل مجيء اجلها **وما يستاخرون** ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى **ثم ارسلنا
رسلنا** عطف على انشانا لكن لا بمعنى ان ارسالهم متراخ عن انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى

أن إرسال كل رسول متأخر عن إنشاء قرن مخصوص بذلك الرسول لا كما قيل ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين
قد أرسلنا إلى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين الجملتين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم
تقدم الأمم أجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة إلى بيان هلاكهم على وجه إجمالي تترى أي متواترين
واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في تولج والألف للتأنيث باعتبار أن الرسل جماعة
وقرئ بالتنوين على أنه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى كلما جاء أمة رسولها كذبوه
استئناف مبين لمجيء كل رسول لأمته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء إما التبليغ
وإما حقيقة المجيء للإيذان بأنهم كذبوه في أول الملاقاة وإضافة الرسول إلى الأمة مع إضافة كلهم
فيما سبق إلى نون العظمة لتحقيق أن كل رسول جاء أمته الخاصة به لا أن كلهم جاءوا كل الأمم وللإشعار
بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لأن الإرسال لائق بالمرسل
إليهم فأتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة الأسباب التي هي
الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وجعلناهم أحاديث لم يبق منهم إلا حكايات يعتبر بها المعتبرون
وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا كأعاجيب جمع أعجوبة وهو ما يتعجب منه أي جعلناهم
أحاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون اقتصر هاهنا على وصفهم بعدم الإيمان
حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم إجمالا وأما القرون الأولون فحيث نقل عنهم ما مر من العتو وتجاوز
الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا أي الآيات
التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد
فلق البحر منها إذ المراد هي الآيات التي كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين أي حجة واضحة
ملزمة للخصم وأما العصا وإفرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما أنها أم آيات عليه الصلاة
والسلام وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما أفكته السحرة
حسبما فصل في تفسير سورة طه وأما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها
وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر
منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام وأما نفس الآيات
كقوله إلى الملك القرم وابن الهمام للآخر عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على
جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي إلى فرعون وملئه أي
أشراف قومه خصوا بالذكر لأن إرسال بني إسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء أعقابهم فاستكبروا
عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوما عالين متكبرين متمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض
مقرر للاستكبار أي وكانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد أي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة أنؤمن
لبشرين مثلنا ثنى البشر لأنه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فإما
ترين من البشر أحدا ولم يثن المثل نظرا إلى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على أن مدار شبه
المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على أحوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين
طبقات أفرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في أعلى عليين وهم المختصون بالنفوس
الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين اللطيف والجسماني
يتلقون من جانب ويلقون إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى جناب الحق وبعضها في أسفل
سافلين كأولئك الجهلة الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا وقومهما يعني بني إسرائيل لنا عابدون
أي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكأنهم قصدوا بذلك التعريض بشأنهما عليهما الصلاة والسلام وحط

رتبتهما

رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون قدمت عليه
رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لإنكار الإيمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس
الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنيوية من المال والجاه كدأب قريش
حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم
بأن مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية وإحراز الملكات السنية جبلة
واكتسابا فكذبوهما أي فتموا على تكذيبهما وأصروا واستكبروا استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم
ولقد آتينا أي بعد إهلاكهم وإنجاء بني إسرائيل من ملكهم موسى الكتاب أي التوراة وحيث كان إيتاؤه
عليه الصلاة والسلام إياها لإرشاد قومه إلى الحق كما هو شأن الكتب الإلهية جعلوا كأنهم أوتوها فقيل
لعلهم يهتدون أي إلى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والأحكام وقيل أريد آتينا قوم موسى فحذف
المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملئهم أي من آل فرعون وملئهم
ولا سبيل إلى عود الضمير إلى فرعون وقومه لظهور أن التوراة إنما نزلت بعد إغراقهم لبني إسرائيل وأما الاستشهاد
على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى فمما لا سبيل إليه لما عرفت أن ليس المراد
بالقرون الأولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الأمم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح
وقوم لوط كما سيأتي في سورة القصص وجعلنا ابن مريم وأمه آية دالة على عظيم قدرتنا
بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية أمر واحد نسب إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد
فظهرت منه معجزات جمة وأمه آية بأن ولدت من غير مسيس فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها والتعبير
عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عليه الصلاة والسلام ابنها وكونها أمه عليهما الصلاة والسلام للإيذان
من أول الأمر بحيثية كونهما آية فإن نسبته عليه الصلاة والسلام إليها مع أن النسب إلى الآباء دالة على أن
لا أب له أي جعلنا ابن مريم وحدها من غير أن يكون له أب وأمه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الأب
آية وتقديمه عليه الصلاة والسلام لأصالته فيما ذكر من كونه آية كما أن تقديمها في قوله تعالى وجعلناها
وابنها آية للعالمين لأصالتها فيما نسب إليهما من الإحصان والنفخ وآويناهما إلى ربوة أي أرض مرتفعة
قيل هي إيليا أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة وإنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا
على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فإن قراها على الربا
وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم ذات قرار مستقر من أرض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها
وقيل ذات ثمار وزروع لأجلها يستقر فيها ساكنوها ومعين أي وماء معين ظاهر جار فعيل من معن
الماء إذا جرى وأصله الإبعاد في الجري أو من الماعون وهو النفع لأنه نفاع أو مفعول من عانه إذا أدركه
بالعين فإنه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لكونه جامعا لفنون المنافع بالشرب وسقي ما
يسقى من الأنعام والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره الرائق يا أيها الرسل كلوا من الطيبات حكاية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الإجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء بها إثر حكاية إيواء عيسى عليه
الصلاة والسلام وأمه إلى الربوة إيذانا بأن ترتيب مبادي التنعم لم يكن من خصائصه عليه الصلاة والسلام
بل إباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام ووصوا به أي وقلنا لكل
رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الأوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية
إجمالا للإيجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر
لعيسى عليه الصلاة والسلام وأمه عند إيوائهما الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له
والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي رحمهم الله تعالى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه

وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه إبانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم
والطيبات ما يستلذ به من مباحات المآكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم
فالأمر للترفيه **واعملوا صالحا** أي عملا صالحا فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم
إني بما تعملون من الأعمال الظاهرة والباطنة **عليم** فأجازيكم عليه **وإن هذه** استئناف
داخل فيما خوطب به الرسل عليهم الصلاة والسلام على الوجه المذكور مسوق لبيان أن ملة الإسلام
والتوحيد مما أمر به كافة الرسل والأمم وإنما أشير إليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور أمرها
في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة **أمتكم** أي ملتكم
وشريعتكم أيها الرسل **أمة واحدة** أي ملة وشريعة متحدة في أصول الشرائع التي لا تتبدل
بتبدل الأعصار وقيل هذه إشارة إلى الأمم المؤمنة للرسل والمعنى أن هذه جماعتكم جماعة
واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة **وأنا ربكم** من غير أن يكون لي شريك في الربوبية
وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى **فاتقون** في شق العصا والمخالفة بالإخلال بمواجب ما ذكر من
اختصاص الربوبية بي للرسل والأمم جميعا على أن الأمر في حق الرسل للتهييج والإلهاب وفي
حق الأمم للتحذير والإيجاب والفاء لترتيب الأمر ووجوب الامتثال به على ما قبله من
اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الأمة فإن كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ وأن
بفتح الهمزة على حذف اللام أي ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون أي فاتقوني كما مر
في قوله تعالى وإياي فارهبون وقيل هو عطف على ما أي إني عليم بأن أمتكم أمة واحدة وقيل
على حذف فعل عامل فيه أي واعلموا أن هذه أمتكم الخ وقرئ أن هذه على أنها مخففة
من أن **فتقطعوا أمرهم** حكاية لما ظهر من أمم الرسل بعدهم من مخالفة الأمر وشق
العصا والضمير لما دل عليه الأمم أولها على التفسيرين والفاء لترتيب عصيانهم على الأمر
لزيادة تقبيح حالهم أي تقطعوا أمر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة وأديانا
مختلفة **بينهم زبرا** أي قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء جمع
زبرة وهو حال من أمرهم أو من واو تقطعوا أو مفعول ثان له فإنه متضمن لمعنى جعلوا وقيل
كتبا فيكون مفعولا ثانيا أو حالا من أمرهم على تقدير مضاف أي مثل زبر وقرئ بتخفيف
الباء كرسل في رسل **كل حزب** من أولئك المتحزبين **بما لديهم** من الدين الذي اختاروه
فرحون معجبون معتقدون أنه الحق **فذرهم في غمرتهم** شبه ما هم فيه من الجهالة
بالماء الذي يغمر القامة لأنهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ في غمراتهم والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الأمر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فإن
انهماكهم فيما هم فيه وإصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم أي اتركهم على حالهم
حتى حين هو حين قتلهم أو موتهم على الكفر أو عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا
والآخرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع
من تأخيره وفي التنكير والإبهام ما لا يخفى من التهويل **أيحسبون أنما نمدهم به** أي نعطيهم
إياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى **من مال وبنين** بيان لها وتقديم المال
على البنين مع كونهم أعز منه قد مر وجهه في سورة الكهف والخبر قوله تعالى
نسارع لهم في الخيرات على حذف الراجع إلى الاسم أي أيحسبون أن الذي نمدهم به من المال
والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم والهمزة للإنكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى

بل لا يشعرون

بل لا يشعرون عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون
بشيء أصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعلموا أن ذلك الإمداد استدراج
لهم واستجرار إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وقرئ يمدهم على
الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا
للمفعول **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون** استئناف مسوق لبيان من له
المسارعة في الخيرات إثر إقناط الكفار عنها وإبطال حسبانهم الكاذب أي من خوف عذابه
حذرون **والذين هم بآيات ربهم** المنصوبة والمنزلة **يؤمنون** بتصديق مدلولها
والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا ولذلك عبر عنه بعد الإيمان بالآيات
والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للإشعار بعليتها للإشفاق والإيمان وعدم
الإشراك **والذين يؤتون ما آتوا** أي يعطون ما أعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا
أي يفعلون ما يفعلون من الطاعات وأيا ما كان فصيغة الماضي في الصلة الثانية للدلالة على
التحقق كما أن صيغة المضارع في الأولى للدلالة على الاستمرار **وقلوبهم وجلة** حال من فاعل
يؤتون أي يؤتون ما آتوه أو يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف
أنهم إلى ربهم راجعون أي من أن يرجعون إليه عز وجل على أن مناط الوجل أن لا يقبل منهم
ذلك وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم إليه تعالى وقيل
لأن مرجعهم إليه تعالى والموصولات الأربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من
الأوصاف المذكورة كأنه قيل إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون إلى
آخره وإنما كرر الموصول إيذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها
وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها **أولئك** إشارة إليهم باعتبار اتصافهم
بها وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد رتبتهم في الفضل أي أولئك المنعوتون بما فصل
من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم **يسارعون في الخيرات** أي في نيل الخيرات التي من
جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الأعمال الصالحة كما في قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة وقوله تعالى وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين فقد أثبت لهم ما نفي
عن أضدادهم خلا أنه غير الأسلوب حيث لم يقل أولئك نسارع لهم في الخيرات بل أسند المسارعة
إليهم إيماء إلى استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن أعمالهم وإيثار كلمة في على كلمة إلى للإيذان بأنهم
متقلبون في فنون الخيرات لا أنهم خارجون عنها متوجهون إليها بطريق المسارعة كما في قوله
تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الآية **وهم لها سابقون** أي إياها سابقون واللام
لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم لها عاملون أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا
وقيل المراد بالخيرات الطاعات والعبادات لأنها أشد الرغبة وهم لأجلها فاعلون السبق أو لأجلها
سابقون الناس والأول هو الأولى **ولا نكلف نفسا إلا وسعها** جملة مستأنفة سيقت للتحريض
على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدي إلى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد
الوسع والطاقة أي عادتنا جارية على أن لا نكلف نفسا من النفوس إلا ما في وسعها على أن المراد
استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مرارا أو للترخيص فيما هو قاصر عن درجة أعمال
أولئك الصالحين ببيان أنه تعالى لا يكلف عباده إلا ما في وسعهم فإن لم يبلغوا في فعل الطاعات
مراتب السابقين فلا عليهم بعد أن يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم

يستطع

القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليومِ ايماءً وقوله تعالى ولدينا كتاب الى آخره تتمة لما
قبله ببيان احوال ما كلفوه من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد
بالكتاب صحائف الاعمال التي يقرؤنها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى ينطق بالحق
كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي عندنا كتاب
قد اثبت فيه اعمال الاولين والآخرين فيه قطع معذرتهم ايضا وقوله بالحق
متعلق بينطق اي يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما
يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها ويرتب عليها اجزيتها ان
خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى وهم لا يظلمون بيان لفضله تعالى وعدله في الجزاء
اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب او بزيادة عقاب بل
يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا لما
قبله من التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم
التي من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين بل يكتب كل منها
على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال
الصالحة لا توجب الثواب حتى يكون ترك ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة بما دونها
نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها
زيادة وكذلك تكليف ما في الوسع وكتب الاعمال ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما
لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه
وقوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله اي بل
قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بين في القرآن من ان لديه تعالى كتابا ينطق بالحق
ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى
قد كانت آياتي تتلى عليكم الى آخره وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة ولهم
اعمال خبيثة كثيرة من دون ذلك الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر الخ
وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة فهم يعملونها لاجرها ومعاصيهم التي من جملتها
ما سيأتي من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل
متخطية لما ذكر من وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه انه لا مزية في وصف اعمالهم
الخبيثة بالتخطي لاعمال الحسنة المؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعد لعدم
جريان ذكره هم لها عاملون مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون
يبرحونها حتى اذا اخذنا مترفيهم اي متنعميهم وهم الذين امدهم الله تعالى بما ذكر من
المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة مبتدأ لما بعدها من مضمون الشرطية
اي لا يزالون يعملون اعمالهم الخبيثة الى ان اخذنا رؤساءهم بالعذاب قيل هو القتل والاسر يوم بدر
وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام
المحرقة والاولاد والحق ان المراد العذاب الاخروي اذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد
والاقناط عن النصر واما عذاب يوم بدر من القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان
وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روي انه عليه

الصلوة والسلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك اذا هم يجأرون اي فاجؤا الصراخ
بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم
بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم
وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم
لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلان يلقاها من عداهم من الحماة والخدم اولى واقدم لا تجأروا
اليوم على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاغاثة
والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر للتهويل والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز
كونه جواب الشرط وانت خبير بان المقصود الاصلي في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الى كون
مفاجأتهم الى الجؤار غير مقصود اصلي وقوله تعالى انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي عن الجؤار
ببيان عدم افادته ونفعه اي لا يلحقكم من جهتنا نصر ينجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون
ولا تمنعون منا ولا يساعده سياق النظم الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم
منصوريتهم من قبله ولا سياقه وان قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الى آخره صريح في انه
تعليل لما ذكر من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان المعنى لا تمنعون
من العذاب لعلل بالعجز وذلك او بعزة الله تعالى ونحوهما اي قد كانت آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم على
اعقابكم تنكصون اي تعرضون مع سماعها اشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص
الرجوع قهقرى مستكبرين به اي بالبيت الحرام او بالحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم
وافتخارهم بانهم خدامه وقوامه او بكتابي الذي عبر عنه بآياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب
او لان استكبارهم على المسلمين قد حدث بسبب استماعه ويجوز ان يتعلق الباء بقوله تعالى سامرا اي
يسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم
ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر في الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء
على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وان يتعلق بقوله تعالى تهجرون من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان
او الترك اي تهذون في شأن القرآن او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من اهجر
في منطقه اذا افحش فيه وقرئ تهجرون من هجّر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى افلم يدبروا
القول الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فعلوا ما فعلوا
من النكوص والاستكبار والهجر فلم يدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار
عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شأنه من القبائح وام في قوله تعالى ام جاءهم
ما لم يأت آباءهم الاولين منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى
التوبيخ باخر والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع اي بل اجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الاولين
حتى استبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعني ان مجيء الكتب من
جهته تعالى الى الرسل عليهم الصلوة والسلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد يستنكر فمجيء
القرآن على طريقته فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذابه تعالى ما لم يأت آباءهم
الاولين كاسماعيل عليه الصلوة والسلام واعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس
والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مر وضبة بن اد آمنوا به تعالى وكتبه ورسله
واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر والهمزة
لانكار الوقوع ايضا اي بل الم يعرفوه عليه الصلوة والسلام بالامانة والصدق وحسن الاخلاق

وكمال العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من كمالات اللائقة بالانبياء عليهم الصلوة والسلام **فهم له منكرون** اي جاحدون بنبوته بحق دهرتها مترتب على عدم معرفتهم بشأنه عليه الصلوة والسلام ومن ضرورة انكار النبي ضرورة ما بني عليه اي فهم غير عارفين له عليه الصلوة والسلام فهم منكرون له قبلها **ام يقولون به جنة** انتقال الى توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل ايقولون به جنة اي جنون مع انه ارجح الناس عقلا واثقبهم ذهنا واتقنهم رأيا واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الاربعة التي اثنتان منها متعلقتان بالقرآن والباقيتان به عليه الصلوة والسلام الترقي من الادنى الى الاعلى كما لا يخفى اولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم ونحوه انه يشبه الضعيف القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم من عدم معرفتهم به عليه الصلوة والسلام وذلك يتحقق بعدم التعرض لشيء ولا شيء ثم لو كان فيه عليه الصلوة والسلام ذلك القدح فربما عليه الصلوة والسلام **بل جاءهم بالحق** اضراب عما يدل عليه ما سبق اي ليس الامر كما زعموا في حق القرآن والرسول عليه الصلوة والسلام بل جاءهم عليه الصلوة والسلام بالحق اي الصدق الثابت الذي لا محيد عنه اصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه **واكثرهم للحق** من حيث هو حق اي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار **كارهون** لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالاكثر لانه منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم تفكره لا لكراهة الحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا **ولو اتبع الحق اهواءهم** استئناف مسوق لبيان ان اهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اي لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به عليه الصلوة والسلام موافقا لاهوائهم الباطلة **لفسدت السموات والارض ومن فيهن** وخرجت عن الانتظام والصلاح بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به عليه الصلوة والسلام اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر فيه تمحل لا يليق بمقام حيث عليه الصلوة والسلام بصدد ذما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن الالهية مما لا احتمال له اصلا **بل اتيناهم بذكرهم** انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال **فهم** بما فعلوا من النكوص **عن ذكرهم** اي فخرهم وشرفهم خاصة **معرضون** لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع وتقريع والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايتاء ذكرهم لا لايتاء مطلقا وفي اسناد الايتاء بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه الصلوة والسلام تنويه لشان النبي صلى الله عليه وسلم وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي ايراد القرآن الكريم عند نسبته الى النبي عليه الصلوة والسلام بعنوان الحقيقة وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر

من النكتة

من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قال المبطلون في شأنه واما التشريف فانما يليق به تعالى لا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم احد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم ويؤيده انه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن وعظهم ليس في شناعة كاعراضهم عن شرفهم او عن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة **ام تسألهم** انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون به جنة الى التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل ام يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة **خرجا** اي جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى **فخراج ربك خير** اي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار اي لا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام ما لا يخفى والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج ففي النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخراج ومخرجا فخراج **وهو خير الرازقين** تقرير لخيرية خراجه تعالى **وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم** تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وعلا وازاح عللهم في هذه الآيات حيث حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم الحق وقلة فطنتهم **وان الذين لا يؤمنون بالآخرة** وصفوا بذلك تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حياة الا الحياة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله **عن الصراط** اي عن جنس الصراط **لناكبون** لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه والاول ادل على كمال ضلالهم وغاية تمحقهم لما انه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر** اي قحط وجدب **للجوا** لتمادوا **في طغيانهم** افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم **يعمهون** اي عامهين عن الهدى روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى ولو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس ولقد كان كذلك وقوله تعالى **ولقد اخذناهم بالعذاب** استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد اخذناهم بالعذاب **فما استكانوا لربهم** بذلك اي لم يخضعوا ولم يتذللوا على انه ما استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون فان المشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى **وما يتضرعون**

اعتراض مقرر لما قبله اي وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى حتى اذا فتحنا عليهم بابا
ذا عذاب شديد هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة اذا
هم فيه مبلسون اي متحيرون آيسون من كل خير اي محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع
وغير ذلك فما رؤي منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما اظهره ابو سفيان فليس من
الاستكانة له تعالى والتضرع اليه تعالى في شيء وانما هو نوع خضوع الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل
اذا جاع ضغا واذا شبع طغا واكثرهم مستمر على ذلك الى ان يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون
وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد من الاسر والقتل والمعنى اخذناهم اولا بما جرى
عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم
باب الجوع الذي هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاءك اعتاهم واشدهم
شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار
لتشاهدوا بها الآيات التنزيلية والتكوينية والافئدة لتتفكروا بها ما تشاهدونه وتعتبروا
لغايات الابتغاء قليلا ما تشكرون اي شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة
لما ان العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت هي له وانتم تخلون بذلك
اخلالا عظيما وهو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون
اي تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه وهو الذي يحيي
ويميت من غير ان يشاركه في ذلك شيء من الاشياء وله خاصة اختلاف الليل والنهار
اي هو المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او اختلافهما ازديادا وانتقاصا او لامره وقضائه تعالى
اختلافهما افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون او اتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل
ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التي من جملتها البعث وقرئ يعقلون على ان الالتفات الى
الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على ان الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس بذاك
بل قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام اي فلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الاولون اي آباؤهم
ومن دان بدينهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم
وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا اي البعث من قبل
متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم اي وعد آباؤنا من قبل او بمحذوف وقع حالا من آبائنا
اي كائنين من قبل ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين اي اكاذيبهم التي سطروها جمع اسطورة
كاحدوثة واعجوبة وقد قيل جمع اسطار قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات تغليبا للعقلاء
على غيرهم ان كنتم تعلمون جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه اي ان كنتم تعلمون شيئا
ما فاخبروني به فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي تجهيلهم ما لا يخفى
او ان كنتم تعلمون ذلك فاخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا
حيث قيل سيقولون لله لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها قل اي عند
اعترافهم بذلك تبكيتا لهم افلا تذكرون اي اتعلمون ذلك فلا تتذكرون ان من فطر
الارض وما فيها ابتداء قادر على اعادتها ثانيا فان البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس
في قياس العقول وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
اعيد الرب تنويها لشأن العرش ورفعا لمحله من ان يكون تبعا للسموات وجودا او ذكرا ولقد روعي في
الامر بالسؤال الترقي من الادنى الى الاعلى سيقولون لله باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك من ربه

ولمن هو

ولمن هو في معنى واحد وقرئ الله وكذا ما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السؤال قل الحاما لهم وتوبيخا
افلا تتقون اي اتعلمون ذلك ولا تتقون انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به
وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية قل من بيده ملكوت كل شيء مما ذكر ومما لم يذكر
اي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه وهو يجير اي يغيث غيره اذا شاء ولا يجار عليه
اي ولا يغيث احد عليه اي لا يمنع احد منه بالنصر عليه ان كنتم تعلمون اي شيئا ما او ذلك
فاجيبوني على ما سبق سيقولون لله اي لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه
قل فانى تسحرون اي فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما انتم عليه من الغي فان
من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك بل أتيناهم بالحق الذي لا محيد عنه من التوحيد
والوعد بالبعث وانهم لكاذبون فيما قالوا من الشرك وانكار البعث ما اتخذ الله من ولد كما
تقوله النصارى والقائلون ان الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وما كان معه من
اله يشاركه في الالوهية كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم اذا لذهب كل اله بما خلق
جواب لمحاجتهم وجزاء لشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما تزعمون
لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب
والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض فلم يكن بيده وحده
ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات
الى واجب الوجود الواحد بالذات سبحان الله عما يصفون اي يصفونه به من ان يكون له
انداد واولاد عالم الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وايا ما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم
في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فتعالى عما يشركون فان تفرده
تعالى بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك قل رب اما تريني اي ان كان لا بد من
ان تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوي المستأصل لهم لا العذاب الاخروي فالانسب به
للمقام رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه
ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد
ان يحيق به ورد لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل امر به
عليه الصلاة والسلام هضما لنفسه وقيل لان شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروي انه تعالى اخبر نبيه عليه الصلاة
والسلام بان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء
وتصدير كل واحدة من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك ما
نعدهم من العذاب لقادرون ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون
او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا يخفى
بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستأصلا
لا يظهر على يديه عليه الصلاة والسلام للحكمة الداعية اليه ادفع بالتي هي احسن
السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي الى وهن في الدين وقيل
هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع
بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول في

للوصفين بالاهتمام نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف
ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وارشاد له عليه الصلوة والسلام الى تفويض امره اليه تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين اي وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع
السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز
الرائض الدواب على الاسراع او الوثب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه
واعوذ بك رب ان يحضرون امر عليه الصلوة والسلام بان يعوذ به تعالى من حضورهم
بعد ما امر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل مع
تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء اي اعوذ
بك من ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن
كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وحال حلول الاجل كما روي عن عكرمة رحمه الله
لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منها حتى اذا جاء احدهم الموت حتى هي التي يبتدأ
بها اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشياطين ان يزلوه عليه الصلوة
والسلام عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى تناهي الفعل فيه لفساد المعنى بل بمعنى
انه معمول لمحذوف يدل عليه ما قبله وتعلقها بيكذبون في غاية البعد لفظا ومعنى اي يستمرون
على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم اي احد كان الموت الذي لا مرد له وظهرت له احوال
الآخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة رب ارجعون اي ردني الى الدنيا
والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا نبك واطرقا لعلي اعمل
صالحا فيما تركت اي في الايمان الذي تركته لم ينظمه في سلك الرجاء كسائر الاعمال الصالحة
بان يقول لعلي اومن فاعمل الخ للاشعار بانه امر مقرر الوقوع غني عن الاخبار بوقوعه
قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع اي لعلي اعمل في الايمان الذي آتي به البتة عملا صالحا
وقيل فيما تركت من المال او من الدنيا وعنه عليه الصلوة والسلام اذا عاين المؤمن الملائكة
قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر
فيقول ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها اي قوله رب ارجعون الخ
كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم اي امامهم والضمير
لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ
برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجعة
الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية فاذا
نفخ في الصور لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور وقيل
المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها على ان الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة
بفتح الواو وبه مع كسر الصاد فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط
الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اي لا انساب
يفتخرون بها يومئذ كما بينهم اليوم ولا يتساءلون اي لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال
كل منهم بنفسه ولا ينافيه قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء
النفخة الثانية وذلك بعد ذلك فمن ثقلت موازينه موزونات حسناته من العقائد

والاعمال

والاعمال اي فمن كانت له عقائد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى
فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مرهوب ومن خفت موازينه
ومن لم يكن له من العقائد والاعمال ما له وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى
فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقد مر تفصيله في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الاعراف
فاولئك الذين خسروا انفسهم ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وابطال استعدادها
لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين في
الصلتين باعتبار لفظه في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح
وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها
اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصي المؤدية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل
وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون
الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما
ابتلوا به من العذاب الم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون حينئذ قالوا
ربنا غلبت علينا شقوتنا اي ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها
الى انفسهم وقرئ شقاوتنا بالفتح وشقاوتنا ايضا بالفتح والكسر وكنا بسبب ذلك قوما
ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم
قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة
الازلية فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من الشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه
باختيارهم ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا
ظالمون اي اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر
والمعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم
لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة قال اخسؤوا فيها اي اسكتوا في النار
سكوت هوان وذل وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته مستهينا
اي انزجروا ولا تكلمون في استدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في دفع
العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون رأسا وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد
ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية قطعا
وقوله تعالى انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اي ان الشان كان فريق من عبادي وهم
المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يقولون في
الدنيا ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا
اي سكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم كنتم تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا آمنا
الخ وتتشاغلون باستهزائهم حتى انسوكم اي الاستهزاء بهم ذكري من فرط اشتغالكم
باستهزائهم وكنتم منهم تضحكون وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم
استئناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما آذوهم بما صبروا بسبب صبرهم
على اذيتكم وقوله تعالى انهم هم الفائزون ثاني مفعولي الجزاء اي جزيتهم فوزهم
بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه
في غاية ما يكون من الحسن قال اي الله عز وجل او الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما

سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسئوا فيها الى آخره وقرئ
قل على الامر وبدلك كم لبثتم في الارض التي تدعون ان ترجعوا اليها عدد سنين
تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها فاسأل العادين
اي المتمكنين من العد فانا بما دهانا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة العادين
لاعمار العباد ولاعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم ايضا يقولون
ما نقول كانهم الابناء يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين
اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم قل اي الله تعالى او الملك
وقرئ قل على ما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون
اي تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لعلمتم
يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها افحسبتم انما خلقناكم
عبثا اي الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث وانكم
الينا لا ترجعون عطف على انما فان خلقكم من غير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم لنعبدكم
ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظام له
تعالى ولشؤونه التي تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب
الحكمة البالغة اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله
وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة الملك الحق الذي يحق له الملك على
الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك
له مقهور تحت ملكوته لا اله الا هو فان كل ما عداه عبيده رب العرش الكريم فكيف بما تحته
ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذي منه
القرآن الكريم او الخير او البركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع كما في
قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشتراكا لا برهان له
به صفة لازمة لالها كقوله تعالى يطير بجناحيه جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها
على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه او اعتراض
بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله مثيبه فانما حسابه
عند ربه فهو مجاز له على ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اي ان الشأن الى آخره وقرئ
بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو
فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدعو في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى
حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن
الكافرين ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل وقل رب اغفر
وارحم وانت خير الراحمين ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من قد غفر له ما
تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين
بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه الصلاة
والسلام انه قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى
ختم العشر وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع
من آخرها نجا وافلح

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة وانما اشير
اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى
انزلناها مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة من حيث الذات
بالفخامة من حيث الصفات واما كونها مبتدأ محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك
سورة انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لا ان في جملة ما اوحي الى
النبي صلى الله عليه وسلم سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام
يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره
انزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب او على تقدير اقرأ ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف
اداة الاغراء فمحل انزلناها النصب على الوصفية وفرضناها اي اوجبنا ما فيها من الاحكام
ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها
بالتشديد لتأكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف وانزلنا
فيها اي في تضاعيف السورة آيات بينات ان اريد بها الآيات التي نيطت بها الاحكام المفروضة
فهو الاظهر وكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على
معانيها على الاطلاق فانها اسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال السورة
لانزالها لابراز كمال العناية بشأنها وان اريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل
واحد من اجزائه وتكرير انزلنا مع ان جميع الآيات عين السورة فان انزالها عين انزالها لاستقلالها
بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر لابانة خطرها ونفع المحل لها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب
غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف
احدى التاءين وقرئ بادغام الثانية في الذال اي تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع
الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متى
مست الحاجة اليها استحضروها الزانية والزاني شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات
وبيان احكامها والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة
لا المزني بها كرها وتقديمها على الزاني لانها الاصل في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا
تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط واللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت
والذي زنى كما في قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف اي فيما انزلنا
او فيما فرضنا الزانية والزاني اي حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان
هذا عاما في جميع المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن ويكفينا في تعيين الناسخ القطع بانه عليه
الصلاة والسلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم
حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروي عن علي رضي
الله عنه جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ بآية
منسوخة التلاوة وهي الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله
عزيز حكيم ويأباه ما روي عن علي رضي الله عنه ولا تأخذكم بهما رأفة وقرئ
بفتح الهمزة وبالمد ايضا على فعالة اي رحمة ورقة في دين الله في طاعته واقامة حده
فتعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت

بدينها ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والالهاب فان الايمان يقتضي الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في اجراء احكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اي لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلثة كما روي عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد هم بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص المشركين كانه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احداهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا احدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما او تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية اما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استاذنوا في نكاحهن او لتاكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة وحرم ذلك اي نكاح الزواني على المؤمنين لما ان فيه من التشبيه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب واختلال امر المعاش وغير ذلك من المفاسد ما لا يكاد يليق باحد من الاداني والاراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على حقيقتها والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان والذين يرمون المحصنات بيان لحكم العفائف اذا نسب اليهن الزنا بعد بيان حكم الزواني والمعتبر في الاحصان ههنا مع مدلوله الوضعي الذي هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابة الآلة وايلام المرمي وبعده عن الرامي ايذان بشدة تاثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايراده عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان في ثبوته بيانا لتاخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة ولا تقدم نزول وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على ان فيه شبهة المصادرة كانه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا ثم لم ياتوا باربعة شهداء يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تاخير الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بالشهود وتقرره كان اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء خلافا للشافعي فانه يجوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج المقذوف خلافا له ايضا

وقرئ باربعة

وقرئ باربعة شهداء بالتنوين فاجلدوهم ثمانين جلدة لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا ذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن ولا تقبلوا لهم شهادة عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تاخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي فهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة من اهليته السابقة بل من اهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يبالون بسب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بمعزل من الاعتبار لتعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي ابدا اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله واولئك هم الفاسقون كلام مستانف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كانهم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى الا الذين تابوا استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتي ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب وقوله تعالى من بعد ذلك لتهويل المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف فان الله غفور رحيم تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كانه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعي رحمه الله الاستثناء بالنهي فمحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها والذين يرمون ازواجهم بيان لحكم الرامين لغيرهن لكن لا بان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الآية السابقة ظنية فيما بقي بعد التخصيص فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخي النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة تراخي نزولها كما سياتي فتبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ كما بين في موضعه اللائق للنسخ بعض معلل ولم يكن لهم شهداء يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتانيث الفعل الا انفسهم بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله تعالى فشهادة احدهم اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدا وقوله تعالى اربع شهادات خبره اي فشهادتهم المشروعة اربع شهادات بالله متعلق

بشهادات الله لقربها وقيل بشهادة لتقدمها، وقرئ أربعَ شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي فالواجب شهادة أحدهم، أو مبتدأ محذوف الخبر أي فشهادة أحدهم واجبة **إنه لمن الصادقين** أي فيما رماها به من الزنا، وأصله على أنه إلى آخره فحذف الجار وكسرت إن وعلق العامل عنها باللام تأكيداً **والخامسة** أي الشهادة الخامسة للأربع المتقدمة أي الجاعلة لها خمساً بانضمامها إليهن، وإفرادها عنهن مع كونها شهادة أيضاً لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في إفادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر وإظهار الصدق وهي مبتدأ خبره **أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين** فيما رماها به من الزنا فإذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلاعن **ويدرأ عنها العذاب** أي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على أحد الوجهين أي بالرجم الذي هو أشد العذاب **أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين** أي الزوج فيما رماني به من الزنا **والخامسة** عطفاً على أربع شهادات **أن غضب الله عليها إن كان** أي الزوج **من الصادقين** أي فيما رماني به من الزنا، وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء، وقرئ أن بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب، وقرئ أن غضب، وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولأن النساء كثيراً ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى. روي أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الأنصاري رضي الله تعالى عنه فقال جعلني الله فداك إن وجد رجل مع امرأته رجلاً فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وإن ضربه بالسيف قتل وإن سكت سكت على غيظ وإلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى، اللهم افتح، وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة شريك بن سحماء، فقال والله هذا سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فأنكرت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتأبد حكمها حتى إذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له أن يتزوجها وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله تعالى فرقة بغير طلاق توجب تحريماً مؤبداً ليس لهما الاجتماع بعد ذلك أبداً **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم** التفات إلى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل ولولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع أفعاله وأحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه لأنه أعرف بحال زوجته وأنه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة، وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها، ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له، ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتماً دارئة لما توجه إليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأته عنه وأطم وفي ذلك من أحكام

الحكم البالغة

الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى، أما على الصادق فظاهر، وأما على الكاذب فهو إمهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته **إن الذين جاءوا بالإفك** أي بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك، وأصله الأفك وهو القلب لأنه مأفوك عن وجهه وسننه، والمراد به ما أفك به الصديقة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، وفي لفظ المجيء إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرجت قرعتها استصحبها، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فأقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى إذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلاً ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون أني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت أنهم سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت إليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول فافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك إذ هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك، وقوله تعالى **عصبة منكم** خبر إن أي جماعة وهي من العشرة إلى الأربعين، وكذا العصابة، وهم عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم، وقوله تعالى **لا تحسبوه شراً لكم** استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم من أول الأمر والضمير للإفك **بل هو خير لكم** لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بإنزال ثماني عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيراً **لكل امرئ منهم** أي من أولئك العصبة **ما اكتسب من الإثم** بقدر ما خاض فيه **والذي تولى كبره** أي معظمه، وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه **منهم** من العصبة وهو ابن أبي فإنه بدأ به وأذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل هو وحسان ومسطح فإنهما شايعاه بالتصريح به فإفراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج أو الفريق أو نحوهما **له عذاب عظيم** أي في الآخرة أو في الدنيا أيضاً فإنهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن أبي مطروداً مشهوداً عليه بالنفاق وحسان أعمى وأشل اليدين ومسطح مكفوف البصر، وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الإسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى **لولا إذ سمعتموه** تلوين الخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه إلى الخائضين بطريق

الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول إلى الغيبة في قوله تعالى ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك إلى وصفهم بما يوجب الإتيان بالمحضوض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا وهو [illegible] الإيمان يحمل على إحسان الظن ويكفهم عن إساءته بأنفسهم أي بأبناء جنسهم النازلين منزلة أنفسهم كقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم [illegible]

[illegible]

وقالوا في ذلك الآن هذا إفك مبين أي ظاهر مكشوف كونه إفكا [illegible] الصديقة ابنة الصديق أم المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء إما من تمام القول المحضض عليه مسوق لتوبيخ السامعين [illegible] بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا فإذ لم يأتوا بالشهداء لزيادة التقرير فأولئك إشارة إلى الخائضين وما فيه من معنى البعد للإيذان بغاية غلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر أي أولئك المفسدون عند الله أي في حكمه وشريعته المؤسسة على الدلائل الظاهرة المتقنة هم الكاذبون الكاملون في الكذب [illegible] المستحقون لإطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة وأما كلام مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج [illegible] ولولا فضل الله عليكم ورحمته خطاب للسامعين والمسمعين جميعا في الدنيا والآخرة [illegible] لمسكم عاجلا فيما أفضتم فيه بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك والإبهام لتهويل أمره والاستهجان بذكره يقال أفاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد إذ تلقونه ظرف لمسكم أي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم إياه من المخترعين بألسنتكم والتلقي والتلقف والتلقن متقاربة المعاني خلا أن في الأول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه على الأصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقفونه من اللقف بعضهم على بعض وتلقونه من ألاق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته إذا طلبته فوجدته وتقفونه أي تتبعونه وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم أي تقولون قولا مختصا بالأفواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لأنه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له أو ليس له كثير عقوبة وهو عند الله أي والحال أنه عند الله عز وجل عظيم لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب ولولا إذ سمعتموه من المخترعين أو المشايعين لهم

تكذيبا

تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه ما يكون لنا ما يمكننا أن نتكلم بهذا وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة مع الاستقامة والانبغاء وهذا إشارة إلى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض بأول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد أنه المحتمل للوقوع المفتقر إلى التحضيض على تركه وأما ترك القول نفسه رأسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه ومعنى هذا ينبغي أن يحمل على ما قيل إن المعنى أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم وأما ما قيل من أن ظروف الأشياء منزلة منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهو ضابط ربما يستعمل فيما إذا وقع الظرف في موضع المظروف بأن جعل مفعولا صريحا لفعل مذكور كما في قوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء أو مقدر كعامة الظروف المذكورة بإضمار اذكر وأما هاهنا فلا حاجة إليها أصلا لما عرفت من مناط التقديم توجيه التحضيض إليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها سبحانك تعجب ممن تفوه به وأصله أن يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه من أن يصعب عليه أمثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو تنزيه له تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن فجورها تنفر عنه ويخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه فإن حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله أي ينصحكم أن تعودوا لمثله أي كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا أو من أن تعودوا من قولك وعظته في كذا فتركه أبدا أي مدة حياتكم إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا بها أي ينزلها كذلك أي مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا أنه يبينها بعد أن لم تكن كذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أي خلقهما كذلك صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع أسفلها وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتفخيم شأن البيان والله عليم بأحوال جميع المخلوقات جملتها وتفاصيلها حكيم في جميع تدابيره وأفعاله فأنى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه إلى كافة الخلق ليرشدهم إلى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا وإظهار الاسم الجليل هاهنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي والإشعار بعلية الألوهية للعلم والحكمة إن الذين يحبون أي يريدون ويقصدون أن تشيع الفاحشة أي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا أو نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها أي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لإشاعتها وإنما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فإنها مستتبعة له لا محالة في الذين آمنوا متعلق بتشيع أي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لأنهم العمدة فيهم أو بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة أي يحبون أن تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين وفي شأنهم لهم بسبب ما ذكر عذاب أليم في الدنيا من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره والآخرة من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل والله يعلم جميع الأمور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة وأنتم لا تعلمون ما يعلمه الله تعالى بل إنما تعلمون ما ظهر لكم من الأقوال والأفعال المحسوسة فابنوا أمركم على ما تعلمونه

معاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الأحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسرائر فيعاقبهم
في الآخرة على ما تكنه الصدور هذا إذا جعل العذاب الأليم في الدنيا عبارة عن حد القذف أو
منتظما له كما يطبق عليه الجمهور وأما إذا أطلق على ما أطلق فسر إذا المحبة نصيبها من غير أن يقاد فيها
التصدي للإشاعة وهو الأنسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على أن
عذاب من يباشر الإشاعة ويتولاها أشد وأعظم ويكون الاعتراض للترتيب على حقيقي قوله تعالى والله
يعلم وأنتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب العظيم لهم وتعليلا له ولولا فضل الله عليكم
ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة وأن الله رءوف
رحيم عطف على فضل الله وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار باستتباع صفة
الألوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما أن المراد بيان اتصافه تعالى
في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة وبالرحيمية التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا
لبيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما أنه المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله
عليه يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان أي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تأتون وما
تذرون من الأفاعيل التي من جملتها إشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها
أيضا ومن يتبع خطوات الشيطان وضع الظاهر موضع ضميرهما حيث لم يقل ومن يتبعها أو ومن
يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر علة للجزاء وضعت
موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لأن دأبه المستمر أن يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد
امتثل بأمره قطعا والفحشاء ما أفرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع والضمير في إنه
للشيطان وقيل للشأن على رأي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية إلى اسم الشرط أو على
الأصل بأمره وقيل هو عائد إلى من أي فإن ذلك المتبع يأمر الناس بهما لأن شأن الشيطان
هو الإضلال فمن اتبعه يترقى في رتبة الضلال والإفساد إلى رتبة الإضلال والإفساد
ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملته هذه البيانات والتوفيق للتوبة الماحية
للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى أي ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد
أي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى منكم بيانية وفي قوله تعالى من أحد زائدة وأحد
في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الأولى وفي محل النصب على المفعولية على القراءة
الثانية أبدا إلى لا إلى نهاية ولكن الله يزكي من يشاء من عباده بإفاضة آثار فضله ورحمته
عليه وحمله على التوبة والله سميع لمقالهم عليم بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم بطهرهم
وفيه حثهم على الإخلاص في التوبة وإظهار الاسم الجليل للإيذان باستدعاء الألوهية
للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولا يأتل أي لا يحلف افتعال
من الألية وقيل لا يقصر من الألو والأول هو الأظهر لنزوله في شأن الصديق رضي الله تعالى
عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء
المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتأل أولو الفضل منكم في الدين وكفى به دليلا على فضل
الصديق رضي الله تعالى عنه والسعة في المال أن يؤتوا أي على أن لا يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب
على الالتفات أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد جيء
بها بطريق العطف تنبيها على أن كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الإيتاء وقيل لموصوفات
أقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره أي على أن لا يؤتوهم شيئا وليعفوا ما فرط

منهم و

منهم وليصفحوا بالإغماض عنه وقد قرئ الأمران بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى ألا
تحبون أن يغفر الله لكم أي بمقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم والله
غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية
إليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل ألا تحبون أن يغفر الله لكم
فهذا من موجباته روي أنه صلى الله عليه وسلم قرأها على أبي بكر رضي الله عنه فقال
بلى أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا إن الذين يرمون المحصنات
أي العفائف مما رمين به من الفاحشة الغافلات عنها على الإطلاق بحيث لم يخطر ببالهن
شيء منها ولا من مقدماتها أصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات أي السليمات
الصدور والنقيات القلوب عن كل سوء المؤمنات أي المتصفات بالإيمان بكل ما يجب أن يؤمن به
من الواجبات والمحظورات وغيرها إيمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تأخير المؤمنات
عما قبلها مع أصالة وصف الإيمان فإنه للإيذان بأن المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الصلاحية
الاسمي المصحح لإطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عائشة رضي
الله عنها والجمع باعتبار أن رميها رمي لسائر أمهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة
والانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره
وقيل أمهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا أوليا وأما ما قيل من أن المراد هي الصديقة
والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الأمة فيأباه أن العقوبات
المرتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في أن رمي غير أمهات المؤمنين
ليس بكفر فيجب أن يكون المراد بهن على أحد الوجهين فإنهن قد خصصن من بين سائر المؤمنات
فجعل رميهن كفرا إبرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن أن يحوم حوله أحد بسوء
حتى إن ابن عباس رضي الله عنهما جعله أغلظ من سائر أفراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال
من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة رضي الله عنها وهل هو منه رضي الله
عنه إلا لتهويل أمر الإفك والتنبيه على تكرر تغليظ لعنوا بما قالوا في حقهن في الدنيا والآخرة
حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة أبدا ولهم مع ما ذكر من اللعن الأبدي عذاب
عظيم هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى يوم تشهد
إلى آخره إما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور
جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة
للعادات فيوم ظرف لما في الخبر من معنى الاستقرار لا للعذاب وإن أغضينا عن
وصفه لإخلاله بجزالة المعنى وإما مستقل عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحوي عليه ظرف
لفعل مؤخر قد ضرب عنه للإيذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة
التامة والداهية العامة كأنه قيل يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما
كانوا يعملون يكون من الأحوال والأهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على أن الموصول المذكور عبارة عن
جميع أعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة أنه تعالى
ينطقها بقدرته فيخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها لا أن كلا منها يخبر
بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وتحمل شهادة
الجوارح على إخبار الكل بها لتحقق التواطؤ وتهويل الأمر الوازع والمجيء بين صيغتي الماضي والمستقبل

الله لا لشيء على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة إلى بيان كون الشهادة
ضارة لهم مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر كما مر مرارا وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق
أي يومئذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحق أن يثبت لهم
لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم
المحذوف على وجه الإجمال ويجوز أن يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب
على أنه مفعول لفعل مضمر أي اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل ويعلمون عند معاينة
الأهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم أن الله هو الحق الثابت الذي يحق أن يثبت لا محالة في ذاته
وصفاته وأفعاله التي من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون التي يشاهدونها منطبقة عليها
المبين المظهر للأشياء كما هي في أنفسها أو الظاهر أنه هو الحق وتفسيره بظهور ألوهيته تعالى وعدم
مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما أن تفسيره
بذي الحق البين أي العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة
في حق كل كافر مريد وكل جبار عنيد لم تجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد
والتشديد وما ذاك إلا لإظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشأن والنباهة وإبراز رتبة
الصديقة رضي الله تعالى عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى الخبيثات للخبيثين إلخ كلام مستأنف
مؤسس على قاعدة السنة الإلهية الجارية فيما بين الخلق على موجب أن لله ملكا يسوق الأهل إلى
الأهل أي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال أي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم إلى
غيرهم على أن اللام للاختصاص والخبيثون أيضا للخبيثات لأن المجانسة من دواعي الانضمام
والطيبات منهن للطيبين منهم والطيبون أيضا للطيبات منهن بحيث لا يكادون
يجاوزونهن إلى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الأطيبين وخيرة الأولين
والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله تعالى عنها من أطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في
حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى أولئك مبرءون مما يقولون على أن الإشارة إلى أهل البيت
المنتظمين للصديقة انتظاما أوليا وقيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما في
اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليهم وبعد منزلتهم في الفضل أي أولئك الموصوفون
بعلو الشأن مبرءون مما تقوله أهل الإفك في حقهم من الأكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول
للخبيثين من الرجال والنساء أي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي أن تقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين
أحقاء بأن يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم
وهم أحقاء بأن يقال في شأنهم طيبات الكلم أولئك الطيبون مبرءون مما يقول الخبيثون في حقهم فمآله
تنزيه الصديقة أيضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن
غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من
الفريقين أي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر
عنهم غيرها أولئك الطيبون مبرءون مما يقول الخبيثون من الخبائث أي لا يصدر عنهم مثل ذلك فمآله
تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم لهم مغفرة عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب ورزق
كريم هو الجنة يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم إثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي
العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي إلى أحدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم
عليهن في أوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والأفاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين

ووصف

ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل أحد في ملكه وإلا فالآجر والمعير
أيضا منهيان عن الدخول بغير إذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لأجل الياء حتى تستأنسوا
أي تستأذنوا من يملك الإذن من أصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يؤذن له أو من
الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما أن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن له
استأنس وتسلموا على أهلها عند الاستئذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن التسليم أن
يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له دخل وإلا رجع ذلكم أي الاستئذان مع التسليم
خير لكم من أن تدخلوا بغتة ومن تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم إذا أراد بيتا غير بيته يقول
حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي أن رجلا قال للنبي
صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمي قال نعم قال ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال عليه الصلاة
والسلام أتحب أن تراها عريانة قال لا قال عليه الصلاة والسلام فاستأذن لعلكم تذكرون
متعلق بمضمر أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه فإن لم تجدوا فيها أحدا
أي ممن يملك الإذن على أن من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه أو لم تجدوا أحدا أصلا على أن
مدلول النص الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس
إخفاءه مع أن التصرف في ملك الغير محظور مطلقا وأما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة
بدلالة النص لأن الدخول حيث حرم مع ما ذكر أولى فلا تدخلوها فاصبروا حتى يؤذن لكم أي من
جهة من يملك الإذن عند إتيانه ومن فسره بقوله حتى يأتي من يأذن لكم أو حتى تجدوا من يأذن لكم فقد
أبرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالإذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الأبواب
مطلقا بل في تكرير الاستئذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا
أي إن أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الأمر ممن يملك الإذن أو لا فارجعوا ولا تلحوا
بتكرير الاستئذان كما في الوجه الأول ولا تلجوا بالإصرار على الانتظار إلى أن يأتي الإذن كما في الثاني فإن ذلك
مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة أي قدح هو أي الرجوع أزكى لكم أي أطهر مما لا يخلو
عنه اللج والعناد والوقوف على الأبواب من دنس الدناءة والرذالة والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون
وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح أن تدخلوا أي بغير استئذان بيوتا غير
مسكونة أي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر إليها
كائنا من كان من غير أن يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فإنها معدة لمصالح
الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى فيها متاع لكم فإنه صفة للبيوت أو استئناف جار
مجرى التعليل لعدم الجناح أي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة
والرحال والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا بأس بدخولها
بغير استئذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى أمرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات وأصحاب
الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم وروي أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول
الله إن الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان وإنا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات
أفلا ندخلها إلا بإذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر أنها من جملة
ما ينتظمه البيوت لا أنها المرادة فقط وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد
لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد أي اطلاع على عورات قل للمؤمنين شروع في بيان

احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستاذنين عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رايه عليه الصلوة والسلام لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الامر امر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا يغضوا من ابصارهم عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ هاهنا خاصة هو الستر ذلك اي ما ذكر من الغض والحفظ ازكى لهم اي اطهر لهم من دنس الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما ياتون وما يذرون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه ويحفظن فروجهن بالتستر والتصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد ولا يبدين زينتهن كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ما لا يخفى الا ما ظهر منها عند مزاولة الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة وليضربن بخمرهن على جيوبهن ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعتها فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثناء بعض موارد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعدما استثني عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن الى ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذارا من ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او ما ملكت ايمانهن من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد لما روي انه عليه الصلوة والسلام اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه الصلوة والسلام انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين اي المخفية عن الرؤية من زينتهن اي لا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال

فان ذلك

فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن وفي النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابداء عينها من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى وتوبوا الى الله جميعا تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما انه لا يكاد يخلو احد من المكلفين من نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المامور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى ايه المؤمنون تاكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم بعدما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك وايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر والصالحين من عبادكم وامائكم على ان الخطاب للاولياء والسادة واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشانه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلها غنيمة عائدة اليهم عاجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب ووعد منه سبحانه بالاغناء لقوله عليه الصلوة والسلام اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وليستعفف ارشاد للعاجزين عن مبادي النكاح واسبابه الى ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء اي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اي اسباب نكاح ولا يتمكنون مما لا بد منه من المال حتى يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف بهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء والذين يبتغون الكتاب بعدما امر بانكاح صالحي المماليك الاحقاء بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كالمكاتبة اي الذين يطلبون المكاتبة مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلته او نحو ذلك فان اداه اليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق عنده والمحققون ان الكتابة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة

الا الاتيان باحد شطريه معرّباً عما يتم من قبله و يقصد بعنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل
صاحبه و يقصد بعنه من فعله الخاص به الا ان كل من شطري ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه
الا منوطاً بتحقق الآخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه و تحصله
لا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه
الا بتملكه به من جانب المشتري ضمناً ايقاعاً متوقفاً على ذلك لو فهما شبيهاً بتوقف عقد الفضولي
كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء بعقد الكتابة ايقاعاً عما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة
البدل اصالة و لما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمناً ايقاعاً متوقفاً على قبوله فاذا قبل تم العقد
و محل الموصول الرفع على الابتداء و خبره **فكاتبوهم** والفاء لتضمنه معنى الشرط او النصب على
مفعول مضمر يفسره هذا و الامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا يجب كغيرها و يجوز
حالاً و مؤجلاً و منجماً و غير منجم و عند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا مؤجلاً منجماً و قد فصل في موضعه
ان علمتم فيهم خيراً امانة و رشداً و قدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال و صلاحاً
لا يؤذي الناس بعد العتق و اطلاق العنان **و آتوهم من مال الله الذي آتاكم** امر للموالي بان يبذلوا شيئاً
من اموالهم و في حكمه حط شيء من مال الكتابة و يكفي في ذلك اقل ما يتمول و عن علي رضي الله عنه يحط الربع و عن
عباس رضي الله تعالى عنه الثلث و هو للندب عندنا و عند الشافعي رحمه الله للوجوب و يرده قوله
عليه الصلاة والسلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتماً و ايضاً
لو وجب الحط لكان وجوبه معلقاً بالعقد فيكون العقد موجباً و مسقطاً معاً و ايضاً هو عقد معاوضة
فلا يجبر على الحطيطة كالبيع و قيل معنى آتوهم اقرضوهم و قيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد
ان يؤدوا و يعتقوا و اضافة المال اليه تعالى و وصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق
المأمور به كما في قوله تعالى و انفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته
تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من اقوى الدواعي الى صرفه الى الجهة المأمور بها و قيل هو امر باعطاء
سهمهم من الصدقات فالامر للوجوب حتماً و الاضافة و الوصف لتعيين المأخذ و قيل هو امر لعامة
المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم و يحل ذلك للمولى و ان كان غنياً لتبدل العنوان حسبما ينطق
قوله عليه الصلاة والسلام في حديث بريرة هو لها صدقة و لنا هدية **و لا تكرهوا فتياتكم** اي اماءكم
فان كلاً من الفتى و الفتاة كناية مشهورة عن العبد و الامة و على ذلك مبني قوله عليه الصلاة والسلام
ليقل احدكم فتاي و فتاتي و لا يقل عبدي و امتي و هذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها
الاصلي حسن موقع و مزيد مناسبة لقوله تعالى **على البغاء** و هو الزنا من حيث صدوره عن النساء
لانهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالباً دون من عداهن من العجائز و الصغائر و قوله تعالى **ان اردن
تحصناً** ليس لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا و اخراج ما عداها عن حكمه كما اذا كان
الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني او لخصوص الزمان او لخصوص المكان او غير ذلك من الامور
المصححة للكراهة في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء و هن يردن
التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور و قصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة
عن تعاطي القبائح فان عبد الله بن ابي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا و ضرب عليهن ضرائب
فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت و فيه من زيادة تقبيح حالهم و التشنيع
عليهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فان من له ادنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من امائه
فضلاً عن امرهن به و اكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف فتأمل و وقع عنك ما قيل من ان ذلك

لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن و ما قيل من انه جعل شرطاً للنهي لا يلزم من عدمه جواز الاكراه
لجواز ان يكون ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه فانه بمعزل من التحقيق و ايثار كلمة ان على اذا مع تحقق الارادة
في مورد النص حتماً للايذان بوجوب الانتهاء عن الاكراه عند كون ارادة التحصن في حيز التردد و الشك
فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع و تعليله بان الارادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع
خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها اباءً ظاهراً و قوله تعالى **لتبتغوا عرض الحياة
الدنيا** قيد للاكراه لكن لا باعتبار انه مدار للنهي عنه بل باعتبار انه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به
تشنيعاً لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر الحقير اي لا تفعلوا ما انتم عليه من اكراههن
على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب
و تحققه بالفعل اذ هو الصالح لكون غاية للاكراه مترتباً عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق
الباعث عليه **و من يكرههن** الخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي و تأكيده و جواب الشرط محذوف
خلاصة لكرههن ان يعفو عنه لكن مقليه بعبارة و يرجع عائد الاكراه الى المكرهين اشارة اي و من
يكرههن على ما ذكر من البغاء **فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم** اي لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود و عليه
قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهم و كما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن اي كونهن مكرهات
على ان الاكراه مصدر من المبني للمفعول فان توسيطه بين اسم ان و خبرها للايذان بان ذلك هو السبب
للمغفرة و الرحمة و كان الحسن البصري اذا قرأ هذه الآية قال لهن و الله لهن و الله و في تخصيصهما بهن
و تعيين مدارهما مع سبق المكرهين ايضاً في الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية
كأنه قيل لا للمكره و لظهور هذا التقدير اكتفي به عن العائد الى الاسم الشرط فيجوز تعلقهما به بشرط التوبة
استقلالاً او معهن اخلو يخل بالنظم الجليل و تهوين لامر النهي في مقام التهويل و حاجتهن الى
المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم اما باعتبار انهن و ان كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة
مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية و اما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصراً عن حد الالجاء المزيل
للاختيار بالمرة و اما لغاية تهويل الزنا و حث المكرهات على التثبت في التجافي عنه و التشديد في
تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة و الرحمة مع قيام العذر
في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب **و لقد انزلنا اليكم آيات مبينات** كلام مستأنف
جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة و اللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة
للاقبال الكلي على العمل بمضمونها و صدّر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بشأنه
اي و بالله لقد انزلنا اليكم في هذه السورة الكريمة آيات واضحات تصدّق بها الكتب القديمة و العقول
السليمة على ان مبينات من بيّن بمعنى تبيّن و منه المثل قد بيّن الصبح لذي عينين و قرئ
على صيغة المفعول اي التي بيّنت و اوضحت في هذه السورة في معاني الاحكام و الحدود و قد
يجوز ان يكون الاصل مبيناً فيها الاحكام فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول **و مثلاً
من الذين خلوا من قبلكم** عطف على آيات اي و انزلنا مثلاً كائناً من قبيل امثال الذين مضوا
من قبلكم من القصص العجيبة و الامثال المضروبة لهم في الكتب السابقة و الكلمات الجارية
على السنة الانبياء عليهم الصلاة و السلام فتنتظم قصة عائشة رضي الله تعالى عنها المحاكية
لقصة يوسف عليه الصلاة والسلام و قصة مريم عليها السلام و سائر الامثال الواردة
في السورة الكريمة انتظاماً واضحاً و تخصيص الآيات المبينات بالسوابق و حمل المثل على القصة
العجيبة فقط يأباه تعقيب الكل بما سيأتي من التمثيلات **و موعظة** تتعظون بها و تنزجرون

عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل الظاهر بكونهما من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الآيات بما بين من الحدود والأحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله تعالى لولا إذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وإنما قيل **للمتقين** مع شمول الوعظ للكل حسب شمول الإنزال لقوله تعالى أنزلنا إليكم حثا للمخاطبين على الاغتنام بالانتظام في سلك المتقين ببيان أنهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من أنوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والأمثال والمواعظ فقوله تعالى **الله نور السموات والأرض** إلخ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما فيها من البيان مع الإشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه وأما على الأول فالتحقيق أن بيانه تعالى ليس بمقصور على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحتاج إلى بيانه من الأحكام والشرائع ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان ذاته وأقدس تعالى على أتم الوجوه وأكملها حيث عبر عنه بالنور وبشدة التأثير وإيذانا بأنه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر بإظهاره كما أن النور نير بذاته وما عداه مستنير به وأضيف النور إلى السموات والأرض للدلالة على كمال شيوع البيان بواسطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الأجرام العلوية والسفلية فإنهما عبارتان عن العالم الجسماني الذي لا يظهر للنور الحسي سواه أو على شمول البيان لأحوالهما وأحوال ما فيهما من الموجودات إذ ما من موجود إلا وقد بين من أحواله ما يستحق البيان إما تفصيلا أو إجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث وعلى تعلق البيان بأهلهما كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هادي أهل السموات والأرض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا وأما حمل التنوير على إخراجه تعالى للأشياء من العدم إلى الوجود إذ هو الأصل في الإظهار كما أن الإعدام هو الأصل في الإخفاء أو على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الأنوار أو بالملائكة عليهم الصلاة والسلام وتزيين الأرض بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء والمؤمنين أو بالنبات والأشجار أو على تدبيره تعالى لأمورهما وأمور ما فيهما فمما لا يلائم المقام ولا يساعده حسن النظم **مثل نوره** أي نوره الفائض منه تعالى على الأشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالإنزال والتبيين وقد صرح بكونه نورا أيضا في قوله تعالى وأنزلنا إليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن وزيد بن أسلم رحمهم الله وجعله عبارة عن الحق وإن شاع استعارته له كاستعارة الظلمات للباطل يأباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولأن المتبادر في مفهوم النور هو الظهور لا الإظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة أي صفة نوره العجيبة **كمشكاة** أي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الإنارة والتنوير **فيها مصباح** سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة **المصباح في زجاجة** أي قنديل من الزجاج الصافي الأزهر وقرئ بفتح الزاي وكسرها في الموضعين **الزجاجة كأنها كوكب دري** متلألئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته وهو أحد الكواكب العظام المشهورة وقرئ دري بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على أنه فعيل من الدرء وهو الدفع أي يبالغ في دفع الظلام بضوئه أو يدفع بعض ضيائه لبعض عند البريق واللمعان وقرئ بضم الدال والياء على حاله وفي إعادة المصباح والزجاجة

معرفين

معرفين إثر سبقهما منكرين والإخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب دري من تفخيم شأنهما ورفع مكانهما بالتفسير إثر الإبهام والتفصيل بعد الإجمال وبإثبات ما بعدهما لهما بطريق الإخبار المنبئ عن القصد الأصلي دون الوصف المنبئ عن الإشارة إلى الثبوت في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الأولى الرفع على أنها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على أنها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كأنه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كأنها كوكب دري **يوقد من شجرة** أي يبتدئ إيقاد المصباح من شجرة **مباركة** أي كثيرة المنافع بأن رويت ذبالته بزيتها وقيل إنما وصفت بالبركة لأنها تنبت في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين **زيتونة** بدل من شجرة وفي إبهامها ووصفها بالبركة ثم الإبدال منها تفخيم لشأنها وقرئ توقد بالتاء على إسناده إلى الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضي من التفعل أي ابتداء ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف إحدى التاءين من تتوقد على إسناده إلى الزجاجة **لا شرقية ولا غربية** تقع الشمس عليها حينا بعد حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة أو صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية أي تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وقيل لا نابتة في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فإن زيتونها أجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيها في مضحى **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** أي هو في الصفاء والإنارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار أصلا وكلمة لو في أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية إلا عند القصد إلى بيان الإعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له إجمالا بإدخالها على أبعدها منه إما لوجود المانع كما في قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإما لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته كما في قوله تعالى أو انتفاؤه مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع أو عدم الشرط فلأن يتحقق بدون ذلك أولى ولذلك لا يذكر معه شيء آخر من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم إنها لاستقصاء الأحوال على سبيل الإجمال وهذا أمر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فإنك إذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا أو بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الإعطاء في الأول وعدم تحققه في الثاني في جميع الأحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب أو المنفي أي يعطي أو لا يعطي كائنا على جميع الأحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار أي يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الأولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة **نور** خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى **على نور** متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما أفاده التنكير من

الفخامة والجملة فذلكة التمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه اي ذلك النور الذي عبر
به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشان بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور
كذلك لا على انه عبارة عن واحد معين ومحدود بمراتب تضاعف عليها مثل نور المشكاة
بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان
اضوأ له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنكسر منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان
الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء
هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور
المشبه به مما لا يليق بشان التنزيل الجليل **يهدي الله لنوره من يشاء** اي يهدي هداية
خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشان واظهاره في مقام الاضمار ل
لزيادة تقريره وتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل
من يشاء هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيقته وكونه من عند الله تعالى
من الاعجاز والاخبار بالغيب وغير ذلك من موجبات الايمان وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية
وملاكها ليس الا مشيته تعالى وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب **ويضرب
الله الامثال للناس** في تضاعيف الهداية حسبما يقتضيه حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد
لانها ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لاوابد المعاني بصورة المانوس ولاظهار الاسم الجليل
في مقام الاضمار من الايذان باختلاف حال ما اسند اليه تعالى من الهداية العامة كما يفصح عنه تعلق
الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة **والله بكل شيء عليم** معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان
او باطنا ومن قضيته ان تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم
لمخالفة الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان تكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق
شتى حسبما تقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتاكيد استقلال
الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا **في بيوت اذن الله ان
ترفع ويذكر فيها اسمه** لما ذكر شان القرآن الكريم في بيان الشرائع والاحكام ومبادئها وغاياتها
المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها واشير الى كونه في غاية
ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشير الى ان ذلك النور مع كونه في
اقصى مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه
عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمال اهل المرتبة من كيفية تمالهم في الاهتداء وعدمه
والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقيل هي المساجد
التي بناها داود وسليمان عليهما الصلوة والسلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة
لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليها
من قبيل العطف التفسيري واياما كان ففي التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المامور
ان يكون متوجها الى المامور به قبل ورود الامر به ناويا لتحقيقه كانه مستاذن في ذلك فيقع الامر به
موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى **يسبح له**
وقوله تعالى **فيها** تكريرها للتاكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة والايذان بان التقديم للاهتمام
لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس ويستعمل باللام

ويتعديها

ويتعديها ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا اريد بها الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه
تعيين الاوقات بقوله تعالى **بالغدو والآصال** اي بالغدوات والعشايا على ان الغدو اما جمع غداة كقني
في جمع قناة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وهو
العشي وهو شامل للاوقات ما عدا صلوة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد به نفس التنزيه على انه عبارة
عما يقع منهم في اثناء الصلوات واوقاتها لزيادة شرفه وانافته على سائر افراده او عما يقع في جميع
الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها لكونهما مشهودين او لكونهما
اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال بالاشغال وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل
وقوله تعالى **رجال** فاعل يسبح وتاخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول
باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة
قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كانه قيل من يسبح له فقيل يسبح رجال وقرئ تسبح بالتاء
الفوقية مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا على ان يسند الى اوقات الغدو
والآصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة
على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزى قوما بل هذا اولى من ذلك اذ
ليس هنا مفعول صحيح **لا تلهيهم تجارة** صفة لرجال مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة
لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم
كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اي لا يشغلهم نوع
من انواع التجارة **ولا بيع** اي ولا فرد من افراد البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه
تحت التجارة للايذان بانافته على سائر انواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه
متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهاء ما عداه نفي الهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير
النفي وتاكيده وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشراء لانه اصلها ومبداها وقيل هو
الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه **عن ذكر الله** بالتسبيح والتحميد **واقامة
الصلوة** اي اقامتها لمواقيتها من غير تاخير وقد سقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة
بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدة الامر
وايتاء الزكوة اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده هاهنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت
لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم
غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى **يخافون** الخ فانه صفة ثانية لرجال او حال
من مفعول لا تلهيهم واياما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى **يوما** مفعول
ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى **تتقلب فيه القلوب والابصار** صفة ليوما اي تضطرب وتتغير
في انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير
احوالها فتتقلب فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او
تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم
ليجزيهم الله متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من المداومة
على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى **احسن ما عملوا**
اي احسن جزاء اعمالهم حسبما وعدهم من مقابلة حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف

ويزيدهم من فضله أي يتفضل عليهم بأشياء لم توعد لهم بخصوصياتها أو بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل إنما وعدت بطريق الإجمال في مثل قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عنه عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى **والله يرزق من يشاء بغير حساب** فإنه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بأنه تعالى يعطيهم غير أجزية أعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب وأما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو إجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها في سلك الغاية نعم الموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجليلة كأنه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على أن مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا أعمالهم المحكية كما أنها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا لتظاهر الأسباب وعلى أن ذلك لأنهم ممن يشاء الله تعالى أن يرزقهم كما أنهم ممن شاء الله تعالى أن يهديهم لنوره حسبما ينبئ عنه ما فصل من أعمالهم الحسنة فإن جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وخوف اليوم الآخر والهداية والرجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذي هو المعني بالنور وبه يتم بيان أحوال من يهتدي بهداه على وضع وجه ولا جل ذلك وقف قبل قوله تعالى في بيوت إلى آخره من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بتوقد وكل ذلك مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل كيف لا وأن ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق أو ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل إلى قوله تعالى بكل شيء عليم كلام متعلق بالمثل قطعا فتوسطه بين أجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالأجنبي يؤدي إلى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهتدين بنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال أضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس فضلا أن يحمل عليه الكلام المعجز **والذين كفروا** عطف على ما ينساق إليه ما قبله كأنه قيل الذين آمنوا أعمالهم حالا وما لا كما وصف والذين كفروا **أعمالهم** أي أعمالهم التي هي من أبواب البر كصلة الأرحام وفك الرقاب وسقاية الحاج وعمارة البيت وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الإيمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد الآية **كسراب** وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ماء يسرب أي يجري **بقيعة** متعلق بمحذوف هو صفة لسراب أي كائن في قاع وهي الأرض المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كديمات وقيمات على أنها جمع قيمة أو على أن الأصل قيعة تشبعت فتحة العين فتولد منها ألف **يحسبه الظمآن ماء** صفة أخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطلع المطمع والمقطع الموئس **حتى إذا جاءه** أي جاء العطشان ما حسبه ماء وعلق به رجاءه وقيل موضعه **لم يجده** أي ما حسبه ماء وعلق به رجاءه **شيئا** أصلا لا متحققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى **ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب** بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة بتنويه أن قصارى أمرهم الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر أنه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة أصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عينا ولا أثرا كما في قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وأن الحكم بأن أعمال الكفرة كسراب

يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله أي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاه أي أعطاه وافيا كاملا حسابه أي حساب أعماله المذكورة وجزاءها فإن اعتقادهم لنفعها بغير إيمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وإفراد الضميرين الراجعين إلى الذين كفروا إما لإرادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل وإما للحمل على كل واحد منهم وكذا إفراد ما يرجع إلى أعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الإسلام كفر **أو كظلمات** عطف على كسراب وكلمة أو للتنويع إثر ما مثلت أعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها أقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت أعمالهم القبيحة التي ليست فيها شائبة خير يتوهم إلى الظلمات **في بحر لجي** أي عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل إلى اللجة وهي أيضا معظمه **يغشاه** صفة أخرى للبحر أي يستره ويغطيه بالكلية **موج** وقوله تعالى **من فوقه موج** جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على أنها صفة لموج والصفة هي الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور أي يغشاه أمواج متراكمة متراكب بعضها على بعض وقوله تعالى **من فوقه سحاب** صفة لموج الثاني والصفة هي الجار والمجرور وسحاب فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور أي يغشاه على أحد الوجهين المذكورين أي من فوق ذلك الموج سحاب ظلمات ستر أضواء النجوم وفيه إيماء إلى غاية تراكم الأمواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت السحاب **ظلمات** خبر مبتدأ محذوف أي هي ظلمات **بعضها فوق بعض** أي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا أن ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الإبدال من الأولى وقرئ بإضافة السحاب إليها **إذا أخرج** أي من ابتلي بها وإضماره من غير ذكر لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة **يده** وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر إليها **لم يكد يراها** ومن لم **يجعل الله له نورا** إلى آخره اعتراض تذييلي جيء به لتقرير ما أفاده التمثيل من كون أعمال الكفرة كما فصل وتحقيق أن ذلك لعدم هدايته تعالى إياهم لنوره وإيراد الموصول للإشارة بما في حيز الصلة إلى علة الحكم وأنهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم أي ومن لم يشأ الله أن يهديه لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للإيمان به **فما له من نور** أي فما له هداية ما من أحد أصلا وقوله تعالى **ألم تر** إلى آخره استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم للإيذان بأنه تعالى قد أفاض عليه عليه الصلاة والسلام أعلى مراتب النور وأجلاها وبين له من أسرار الملك والملكوت أدقها وأخفاها والهمزة للتقرير أي قد علمت علما يقينا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصحيح والاستدلال الصحيح **أن الله يسبح له** أي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل من نقص وخلل **من في السموات والأرض** أي ما فيهما إما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان أو بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة فإن كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان أو بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده وأحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة ورفعتها ووضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو أقوى مراتب التنزيه وأظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال وأكد ذلك بإيثار كلمة من على ما كأن كل شيء مما عز وهان وكل فرد من أفراد الأعراض والأعيان عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما

على اتصافه تعالى بنعوت الكمال أيضاً لما أن مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في إخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الألوهية ونسبتهم إلى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علواً كبيراً وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من أنواع المخلوقات بأن يراد به معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي وغيره حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه يرده أن بعضاً من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعاً وإنما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركهم فيها غير العقلاء أيضاً وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان أنهم يسبحونه تعالى باعتبار أخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار أشرفها التي هي الإنسانية والطير بالرفع عطف على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الأرض لعدم استمرار استقرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وإنشاء رائع قصداً لبيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح إنبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى صافات أي تسبحه تعالى حال كونها صافات أجنحتها فإن إعطاءه تعالى للأجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الأجنحة والأذناب الخفيفة وإرشادها إلى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الأفاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد أدمج في تضاعيفه الإشارة إلى أن لكل واحد من الأشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية إليه تعالى واستفاضة منه تعالى لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه أن كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لأن يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وإفادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها عليه في الرتبة هذا ويجوز أن يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الإدراك وبما ناب عنه التنوين في كل أنواع الطير وأفرادها وبالصلاة والتسبيح ما ألهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على أن يكون الطير معطوفاً على كلمة من مرفوعاً برافعها فإنه يؤدي إلى أن يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر أريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس أي ويسبح الطير تسبيحاً خاصاً بها حال كونها صافات أجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه أي دعاءه الذي ألهمه الله عز وجل إياه مليا بكمال رسوخه فيهما وأن صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وإتقان من غير إخلال بشيء منهما حسبما ألهمه الله تعالى فإن لكل نوع من أنواع المخلوقات علوماً دقيقة لا يكاد يهتدي إليها جهابذة العقلاء ومما لا سبيل إلى إنكاره أصلاً كيف لا وإن القنفذ مع كونه أبعد الأشياء من الإدراك قالوا إنه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل إلى جحرها حتى روي أنه كان رجل يقتني في داره قنفذاً ليستدل بحاله على

ماذكره

ما ذكر من تخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما أن أصواتها أظهر وجوداً وأقرب حملاً على التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون أي بما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الأول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسنداً إلى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني إما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معاً أو عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته وإسناده إلى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الأولين لتسبيح الكل أي قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما في السماوات والأرض وتسبيحه والاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على أن يكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلاته وتسبيحه بل عن جميع أحواله العارضة له وأفعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيها دخولاً أولياً ولله ملك السماوات والأرض لا لغيره لأنه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها إيجاداً وإعداماً بدءاً وإعادة وقوله تعالى وإلى الله المصير أي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى في المعاد إثر بيان اختصاصه به تعالى في المبدأ وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة والإشعار بعلة الحكم ألم تر أن الله يزجي سحاباً الإزجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء يسير أو غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه إيماء إلى أن السحاب بالنسبة إلى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه أي بين أجزائه بضم بعضها إلى بعض وقرئ يولف بغير همزة ثم يجعله ركاماً أي متراكماً بعضه فوق بعض فترى الودق أي المطر إثر تكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله أي من فتوقه حال من الودق لأن الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجاً لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده أنه قرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام فإن كل ما علاك سماء من جبال من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على أن من تبعيضية والأوليان لابتداء الغاية على أن الثانية بدل اشتمال من الأولى بإعادة الجار أو من برد بيان للجبال أي ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد أي مشبهة بالجبال في الكثرة وأياً ما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما أن في الأرض جبالاً من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور أن الأبخرة إذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحاباً فإن لم يشتد البرد تقاطر مطراً وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجاً وإلا نزل برداً وقد يبرد الهواء برداً مفرطاً فينقبض وينعقد سحاباً وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك مستند إلى إرادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح فيصيب به أي بما ينزل من البرد من يشاء أي يصيب به ما يناله من ضرر في نفسه وماله ويصرفه عن من يشاء أي يصرفه عنه فينجو من غائلته يكاد سنا برقه أي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الإزجاء والتأليف وغيرهما وإضافة البرق إليه قبل الإخبار بوجوده فيه للإيذان بظهور أمره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبإدغام الدال في السين وبرقه بضم الراء على أنه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للإتباع يذهب بالأبصار أي يخطفها من فرط الإضاءة وسرعة ورودها وفي إطلاق الأبصار مزيد تهويل لأمره وبيان لشدة تأثيره فيها كأنه يكاد يذهب بها ولو عند الإغماض وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث

ثم تولد الصيد من الضب وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار
بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد ونحوهما مما يقع فيهما من
الامور التي من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه ان في ذلك اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من
معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة اي لدلالة واضحة على
وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه
عما لا يليق بشانه العلي لاولي الابصار لكل من له بصر والله خلق كل دابة اي كل حيوان يدب على
الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون
تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها
زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع
كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير
الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمالي والترتيب لتقديم
ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا على ما يشاء من الصور
والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل في
موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور والايذان بانه من احكام الالوهية ان الله على كل شيء قدير
فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تاكيد استقلال الاستيناف التعليلي لقد
انزلنا آيات مبينات اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية والله يهدي من
يشاء ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل في مطاويها الى صراط مستقيم
موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول شروع في بيان احوال
من لم يشا الله هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان
ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف والى يهودي يدعوه
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض وماء
فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واياما كان فصيغة الجمع للايذان بان للقائل طائفة
يساعدونه ويتابعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واطعنا
اي اطعناهما في الامر والنهي ثم يتولى عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد ما صدر
عنهم من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه
امرا معتدا به واجب المراعاة وما اولئك اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء
نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه
واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الكفر والعناد اي وما اولئك الذين يدعون
الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل بالمؤمنين اي المؤمنين حقيقة
كما تعرب عنه اللام اي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات عليه واذا دعوا الى
الله ورسوله ليحكم بينهم اي الرسول لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان الحكم لله تعالى حقيقة وذكر الله
تعالى لتفخيمه عليه الصلاة والسلام والايذان بجلالة محله عنده تعالى اذا فريق منهم معرضون
اي فاجا فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه الصلاة والسلام لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه
الصلاة والسلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق لا عليهم ياتوا اليه
مذعنين منقادين لجزمهم بانه عليه الصلاة والسلام يحكم لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان والمجيء

يعديان بالى او بمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما في قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون
والتقديم للاختصاص افي قلوبهم مرض انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشائه
بينهم فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وام من الامور الثلاثة بل هو منشائيتها له كانه قيل اذلك
اي اعراضهم المذكور لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم ام لانهم ارتابوا في امر نبوته عليه الصلاة والسلام
مع ظهور حقيتها ام لانهم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ثم اضرب عن الكل وابطل منشائيته
وحكم بان المنشا امر آخر من شنائعهم حيث قيل بل اولئك هم الظالمون اي ليس ذلك لشيء مما ذكر اما
الاولان فلانه لو كان لشيء منهما لاعرضوا عنه عليه الصلاة والسلام عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه عليه
الصلاة والسلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ ايضا واما الثالث فلانتفائه
راسا حيث كانوا لا يخافون الحيف اصلا لمعرفتهم بتفاصيل احواله عليه الصلاة والسلام في الامانة
والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيابون المحاكمة
اليه عليه الصلاة والسلام لعلمهم بانه عليه الصلاة والسلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد
من الاضراب في الاولين هو وصف منشائيتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو
الاصل والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بما اذا كان له منشا مصحح لعروضه لهم في الجملة بمعنى
لو ثبت لو ابانوا وانتهوا فزال تفهيمهم وتيقنهم به عليه الصلاة والسلام فمدار النفي حينئذ
نفس الارتياب ومنشائيته معا فتامل فيما ذكره على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل تحسينا
لفضيلة النظر الجليل انما كان قول المؤمنين بالنصب على انه خبر كان وان مع ما في حيزها
اسمها وقرئ بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة لان الاولى بالاسمية ما هو اوغل في التعريف
وذلك هو المصدر المؤول بان اذ لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اختزلت
عنه الاضافة ولكن قراءة الرفع اقعد بحسب المعنى واوفى لمقتضى المقام لما ان مصب الفائدة وموقع البيان
في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدوث واوفر اشتمالا على نسب
خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم
واكمل فاذن هو احق بالخبرية واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت قليلة
الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع
فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول
صلى الله عليه وسلم بينهم اي بينهم وبين خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم ان يقولوا
سمعنا واطعنا اي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا آخر اصلا واما قراءة النصب فمعناها
انما كان قول المؤمنين اي انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه من جعل اخص النسبتين
وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز ما هو بخلافها
في معرض القصد الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على البناء للمفعول مسندا الى مصدره مجازا والفعل له تعالى
اذا دعوا اي ليفعل الحكم كما في قوله لقد تقطع بينكم واولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول
المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي واولئك المنعوتون بما ذكر
من النعت الجليل هم المفلحون اي هم الفائزون بكل مطلب والناجون عن كل محذور ومن يطع الله ورسوله
استئناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم
اي ومن يطعهما كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن
والاول هو الانسب بالمقام ويخش الله ويتقه باسكان القاف المبني على تشبيهه بكتف وقرئ بكسر القاف

والهاء وقرئ بإسكان الهاء أي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فأولئك الموصوفون
بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء هم الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم وأقسموا بالله
حكاية لبعض آخر من أكاذيبهم مؤكدة بالأيمان الفاجرة وقوله تعالى جهد أيمانهم نصب على أنه
مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب على الحال من فاعل أقسموا أي أقسموا به تعالى يجهدون
أيمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه إذا بلغ أقصى
وسعها وطاقتها أي جاهدين بالغين أقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر
مؤكد لأقسموا أي أقسموا إقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين لئن
أمرتهم أي بالخروج إلى الغزو لا عن ديارهم وأموالهم كما قيل لأنه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا
وقوله تعالى ليخرجن جواب لأقسموا بطريق حكاية فعلهم لا بحكاية قولهم وحيث
كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمر عليه الصلاة والسلام بردها حيث قيل قل أي ردا
عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها وإظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها لا تقسموا أي على ما ينبئ
عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي
أي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لأن طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير
مواطأة من القلب وإنما عبر عنها بمعروفة للإيذان بأن كونها كذلك مشهور معروف لكل أحد وقرئ
بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها
من مبتدأ أو خبر أو فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية أو طاعة
معروفة أمثل أو ليكن طاعة معروفة أي لتطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام إن الله خبير
بما تعملون من الأعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الأكاذيب المؤكدة بالأيمان الفاجرة
وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد
والجملة تعليل للحكم بأن طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بأن مدار شهرة أمرها فيما بين المؤمنين إخباره
تعالى بذلك ووعيد لهم بأنه تعالى مجازيهم بجميع أعمالهم السيئة التي منها نفاقهم قل أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول كرر الأمر بالقول لإبراز كمال العناية به والإشعار باختلافهما من حيث إن المقول
في الأول نهي بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني أمر بطريق التكليف
والتشريع وإطلاق الطاعة المأمور بها عن وصف الصحة والإخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم
بما ذكر للتنبيه على أنها ليست من الطاعة في شيء أصلا وقوله تعالى فإن تولوا خطاب للمأمورين
بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد الأمر بها والمبالغة في إيجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب
والترغيب لما أن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد
بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما أشير إليه في قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا
لا سيما إذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة إلى الخطاب بالذات فإن في خطابه تعالى إياهم بالذات
بعد أمره تعالى إياهم بواسطته عليه الصلاة والسلام في تقريب بيان حكم الامتثال بالأمر والنهي
عنه إجمالا وتفصيلا من إفادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه ولا يتوهم أنه داخل تحت القول
المأمور بحكايته من جهته تعالى كأنما بلغ في التبكيت تمكين في الأمر والفاء لترتيب ما بعدها
على تبليغه عليه السلام المأمور إليهم وعدم التصريح به إيذانا بتحققه مسارعة عليه الصلاة
والسلام إلى تبليغ ما أمر به وعدم الحاجة إلى الذكر أي إن تتولوا عن الطاعة إثر ما أمرتم بها فإنما عليه

أي فاعلموا

أي فاعلموا أنما عليه عليه الصلاة والسلام ما حمل أي ما أمر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله
تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وعليكم ما حملتم أي ما أمرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه
بالتحميل للإشعار بثقله وكونه مؤنة باقية في عهدتهم بعد كأنه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد
بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وإن تطيعوه أي فيما
أمركم به من الطاعة تهتدوا إلى الحق الذي هو المقصد الأصلي الموصل إلى كل خير والمنجي عن كل شر
من بيان حكم التولي وفيه تقرير الترهيب من تأكيد الترغيب فتقريب مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى
وما على الرسول إلا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله من أن غائلة التولي وفائدة الإطاعة
مقصورة عليهم واللام إما للجنس المنتظم له عليه الصلاة والسلام انتظاما أوليا أو للعهد أي ما على جنس
الرسول كائنا من كان أو ما عليه عليه الصلاة والسلام إلا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج إلى الإيضاح
أو الواضح على أن المبين من أبان بمعنى بان وقد علمتم أنه قد فعله بما لا مزيد عليه وإنما بقي ما حملتم
وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم استئناف مقرر لما في قوله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا من الوعد
الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون السعادات الدينية
والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء والمراد بالذين
آمنوا كل من اتصف بالإيمان بعد الكفر على الإطلاق أي من أي طائفة كان لا من آمن من طائفة المنافقين
فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم لعامة
الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات عطف على آمنوا داخل معه في حيز
الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي نيط بها ورتب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم كما أشير إليه
وتوسيط الظرف بين المعطوفين لإظهار أصالة الإيمان وعراقته في استتباع الآثار والأحكام وللإيذان
بكونه أول ما يطلب منهم وأهم ما يجب عليهم وأما تأخيره عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة وأجرا عظيما فلأن من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه الصلاة والسلام من خلص المؤمنين
ولا ريب في أنهم جامعون بين الإيمان والأعمال الصالحة مثابرون عليها فلا بد من ورود بيانهم بعد نعتهم
بنعوتهم الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والأمة معه أو لمن معه من
المؤمنين أو له عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على أنها بيانية فقد نأى
عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه عما يناسبه وأبعد عما يليق بشأنه عليه الصلاة والسلام من جل
ليستخلفنهم في الأرض جواب للقسم إما بالإضمار أو بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق إنجازه
لا محالة أي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم أو خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم
من الإيمان والأعمال الصالحة كما استخلف الذين من قبلهم هم بنو إسرائيل استخلفهم الله عز وجل
في مصر والشام بعد إهلاك فرعون والجبابرة أو هم ومن قبلهم من الأمم المؤمنة الذين أشير إليهم في
قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم
رسلهم بالبينات إلى قوله تعالى فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ومحل الكاف
النصب على أنه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية أي ليستخلفنهم استخلافا
كائنا كاستخلافه تعالى الذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فالجار والمجرور يجري
المطاوع فإن استخلافه تعالى إياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة كأنه قيل ليستخلفنهم
في الأرض فيستخلفن فيها استخلافا أي مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر
تحقيقه في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى فأنبتها نباتا حسنا على أحد الوجهين

اي فثبتت ثباتا حسنا وعليه قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف
اي فلم يبق الا مسحت او مجلف ﴿وليمكنن لهم دينهم﴾ عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتأخيره
عنه مع كونه اجل الرغائب الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير المواعيد بها في الاستمالة
ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا متقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه في كل ما يأتون وما يذرون
والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا لآخر يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له
للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة احكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في
الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله
الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولان في توسيطها
بينه وبين وصفه اعني قوله تعالى ﴿الذي ارتضى لهم﴾ وتأخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا
يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم من مزيد الترغيب فيه
وفضل تثبيت عليه ﴿وليبدلنهم﴾ بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال ﴿من بعد خوفهم امنا﴾ حيث كان
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بمكة خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون
في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال عليه الصلاة والسلام
لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله تعالى
هذه الآية وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة
على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب الذي
من في الآخرة ﴿يعبدونني﴾ حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف
بيان للمقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد ﴿لا يشركون بي شيئا﴾ حال من الواو اي يعبدونني
غير مشركين بي في العبادة شيئا ﴿ومن كفر﴾ اي اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه او ارتد بعد ما حي من الترغيب
والترهيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل
كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام ﴿بعد ذلك﴾ اي بعد ذلك الوعد الكريم بما
فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها
﴿فاولئك﴾ البعداء عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال ﴿هم الفاسقون﴾ الكاملون
في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان ﴿واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ عطف على
مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمؤمنين بالطاعة على طريق
الترهيب من التولي بقوله تعالى فان تولوا الآية وترغيبه تعالى اياهم في الطاعة بقوله تعالى
وان تطيعوه تهتدوا الآية ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل الله من
الاستخلاف وما يتلوه من المواعيد الكريمة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان والعمل
الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فآمنوا واعملوا صالحا واقيموا الخ وقيل عطف على اطيعوا
الله ولا يليق بجزالة النظم الكريم ﴿واطيعوا الرسول﴾ امرهم الله سبحانه بالذات اثر امرهم بها بواسطة
الرسول عليه الصلاة والسلام من طاعته التي هي طاعة الله تعالى في الحقيقة تأكيدا للامر السابق وتقريرا
لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية ايضا اي واطيعوه
في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين بالصلاة والزكاة على
ان المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع اي واطيعوه في سائر ما يأمركم به الخ وقوله تعالى ﴿لعلكم ترحمون﴾ متعلق
على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلاثة اي افعلوا ما ذكر من الاوامر

والابناء

والانباء والاطلاع مترجين ان ترحموا ﴿لا تحسبن الذين كفروا﴾ لما بين حال من اطاع الله ورسوله عليه الصلاة
والسلام واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه
عليه الصلاة والسلام وما له في الدنيا والآخرة من العذاب تعذيبا لمن تناهى في الفسق تكميلا لامر الترغيب
والترهيب والخطاب اما لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان واما للرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله
تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بان الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من
يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله
تعالى ﴿معجزين﴾ ثانيهما وقوله تعالى ﴿في الارض﴾ ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي فيها لا في
غيرها فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز بجميع اجزائها اي لا تحسبنهم معجزين الله
عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم في قطر من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن
بياء الغيبة على ان الفاعل كل احد والمعنى كما ذكر اي لا يحسبن احد الكافرين معجزين لله سبحانه في
الارض او هو الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن انفسهم كانه قيل لا يحسبن الكافرون انفسهم
معجزين في الارض واما جعل معجزين مفعولا اول وفي الارض مفعولا ثانيا فبمعزل من اللطائف التي يقتضي
المقام ضرورة ان مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الارض وقد مر في
قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله تعالى ﴿ومأواهم النار﴾ معطوف على جملة النهي بتأويلها
بجملة خبرية لان المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كانه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم
النار او على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهي كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون
ومأواهم النار الخ ويقبل الجملة المقدرة بل هم مقهورون مدمرون ﴿ولبئس المصير﴾ جواب لقسم مقدر
والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئس المصير هي اي النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفي
ايراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم اثر نفي فوتهم بالهرب في الارض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه
فلله در شأن التنزيل ﴿يا ايها الذين آمنوا﴾ رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب
الامتثال بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والوعد والوعيد
والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعا بطريق التغليب
روي ان غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو نائم
قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله تعالى نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا
هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية
﴿ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم﴾ من العبيد والجواري ﴿والذين لم يبلغوا الحلم﴾ اي الصبيان القاصرون
عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه اظهر دلائله ﴿منكم﴾ اي من الاحرار ﴿ثلاث مرات﴾
اي ثلاثة اوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستئذان مقارنة
تلك الاوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا انفسها ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لظهور انه وقت القيام عن
المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلاث مرات او الرفع على انه خبر
لمبتدأ محذوف اي احدها من قبل الخ ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ اي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها
لاجل القيلولة وقوله تعالى ﴿من الظهيرة﴾ وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار
الامر اعني وضع الثياب في هذا الحين دون الاول لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها
كما ينبئ عنها ايراد الحين مضافا الى فصل حادث منقض وقوعها في النهار بالذي هو مئنة لكثرة الوقوع

والصدود ومظنة لظهور الاحوال التي يرون الامر بالستر من التحقق والاطلاع بمنزلتها في التعيين المذكورين
فان تحقق الخروج والطرح فيهما امر معروف لا احتياج الى التصريح به ومن بعد صلوة العشاء ضرورة
انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق
في الوقت الممتد المتخلل بين الصلوتين كما في قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد ان
نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بل ما يعرض منهما في ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلوتين المذكورتين
اتصالا عاديا وقوله تعالى ثلاث عورات خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى لكم متعلق بمحذوف
هو صفة لثلاث عورات اي كائنة لكم والجملة استيناف مسوق لبيان علة وجوب الاستيذان
اي هن ثلاث اوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الاصل هو الخلل غلب في الخلل
الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره اطلقت على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كانها
نفس العورة وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث مرات ليس عليكم ولا عليهم
اي على المماليك والصبيان جناح اي اثم في الدخول بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة
الامر والاطلاع على العورات بعدهن اي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث
وهي الاوقات المتخللة بين كل وقتين منهن وايرادها بعنوان البعد مع ان كل وقت من تلك
الاوقات قبل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذي
هو عبارة عن رفعه اذ الرخصة انما تتصور في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على
القراءتين مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها
في محل الرفع على انها صفة اخرى لثلاث عورات واما على القراءة الثانية فهي مستانفة لا غير
اذ لو جعلت صفة لثلاث عورات وهي بدل من ثلاث مرات لكان التقدير ليستاذنكم هؤلاء في ثلاث عورات
لا اثم في ترك الاستيذان بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم حينئذ مما لا يعلمه السامع الا بهذا الكلام
لم يتسن ابرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله
تعالى طوافون عليكم استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهي المخالطة الضرورية
وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاث وبين غيرها بكونها
عورات بعضكم على بعض اي بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك
اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شان المشار اليه
والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اي مثل ذلك التبيين يبين
الله لكم الايات الدالة على الاحكام اي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها لا انه تعالى يبينها بعد ان
لم تكن كذلك والكاف مقحمة تفيد تاكيد فخامته كما في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ولكم متعلق بيبين
وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل
الاحكام وليس بواضح مع انه موهم لاختصاص الايات بما ذكر هاهنا والله عليم مبالغ في العلم بجميع
المعلومات فيعلم احوالكم حكيم في جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا واذا
بلغ الاطفال منكم الحلم لما بين فيما مر آنفا حكم الاطفال في انه لا جناح في ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات
الثلاث عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا كسائر الاجانب
بسبب اعتيادهم الدخول اي اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب فليستاذنوا اذا ارادوا الدخول
عليكم وقوله تعالى كما استاذن الذين من قبلهم في حيز النصب على انه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق
والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية ووصفهم بكونهم قبلهم

باعتبار ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لما ان المقصود بالتشبيه بيان كيفية الاستيذان
للمعهودين عند السامع ولا ريب في ان بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا دخل له في ذلك وان كان الامر
كذلك في الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكر هؤلاء اي فليستاذنوا استيذانا كائنا مثل
استيذان المذكورين قبلهم بان يستاذنوا في جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل
فيما سلف كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالذي مر فيما سبق والتكرير
للتاكيد والمبالغة في الامر بالاستيذان واضافة الايات الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد
من النساء اي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن فيه
لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه
لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او للوصف بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات لزينة مما
امر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة
بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه خص
بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لبعده
من التهمة والله سميع مبالغ في جميع ما يسمع فيسمع ما يجري بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم
فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على
المريض حرج كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم اياهم وخوفا من
تاذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين اكيله وهو لا يشعر به
والاعرج يتفسح في مجلسه فياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي
قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم
وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة وقيل كانوا يتحرجون من الاكل من اموال الذين كانوا
اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان ياكلوا مما
فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل في بيوت غيرهم
فقيل ليس على الطوائف المعدودة ولا على انفسكم اي عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال من المؤمنين
حرج ان تاكلوا اي انتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا يأباه ما قبله وما بعده
فان الخطاب فيهما لغير اولئك الطوائف حتما من بيوتكم اي البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها
بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلاة والسلام انت ومالك لابيك وقوله عليه الصلاة والسلام
ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم وقرئ بكسر الهمزة
والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم
او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه من البيوت التي تملكون التصرف فيها باذن اربابها
على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه
او صديقكم اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فانهم ارضى بالتبسط واسر به
كثير من الاقرباء روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا
لم يستغيثوا بالآباء والامهات وانما قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد
والجمع كالخليط والقطين واضرابهما وهذا فيما اذا علم رضى صاحب البيت بصريح الاذن او بقرينة دالة
عليه ولذلك خص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا
او اشتاتا كلام مستانف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث

ابن عمر ومن كانوا يتحرجون ان ياكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا ياكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا
ياكل معه فان لم يجد من يواكله لم ياكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح
وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل
وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول اني اتحرج
ان آكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص
لهم ان ياكلوا كيف شاؤا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى والمشابه طعاما على
حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تاكلوا واشتاتا عطف عليه داخل
في حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال شت اي متفرق او على انه في الاصل مصدر وصف به مبالغة
اي ليس عليكم ان تاكلوا مجتمعين او متفرقين **فاذا دخلتم** شروع في بيان الآداب التي تجب رعايتها
عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه **بيوتا** اي من البيوت المذكورة **فسلموا على انفسكم** اي على
اهلها الذين بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك **تحية من عند الله**
اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة التي هي من عنده تعالى وانتصابها
على المصدرية لانها بمعنى التسليم **مباركة** مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما **طيبة** تطيب
بها نفس المستمع وعن انس رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم
عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار
الاوابين **كذلك يبين الله لكم الآيات** تكرير لتاكيد الاحكام المختتمة به وتفخيمها **لعلكم تعقلون**
اي ما في تضاعيفها من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك سعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين
بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله**
ورسوله استئناف جيء به في اواخر الاحكام السابقة تقريرا لها وتاكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها
ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدأ مع تضمنه
له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وايذانا بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان بهما منتظما في سلكه فقوله
تعالى **واذا كانوا معه على امر جامع** الخ معطوف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة اي انما الكاملون
في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم واطاعوهما في جميع الاحكام التي من جملتها ما فصل من قبل
من الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المطردة في الوقوع واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا
معه عليه الصلاة والسلام على امر مهم يجب اجتماعهم في شانه كالجمعة والاعياد والحروب
وغيرها من الامور الداعية الى الاجتماع او الى الآراء والتجارب ووصف الجمع للمبالغة وقرئ امر جميع
لم يذهبوا اي من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب حضورهم لا كالصلاة عند اقامة الجمعة وقتال
العدو بل يسوغ التخلف عنه **حتى يستاذنوه** عليه الصلاة والسلام في الذهاب فياذن لهم واعتبار الاستئذان
غاية لعدم الذهاب بل لاستدعى الاذن المنوط برايه عليه الصلاة والسلام والاقتصار على ذكره لانه
الذي يتم من قبلهم وهو المعتبر في كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك
لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما في الذهاب
بغير اذنه عليه الصلاة والسلام من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى **ان الذين يستاذنونك**
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله تقضي بان المستاذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في
الاولى بان الكاملين في الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستئذان وفي اولئك من تفخيم شان
المستاذنين ما لا يخفى **فاذا استاذنوك** بيان لما هو وظيفته عليه الصلاة والسلام في هذا الباب اثر

بيان ما هو وظيفة المؤمنين فان الاذن عند الاستئذان ليس بامر محتوم بل هو مفوض الى رايه عليه
السلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي بعد ما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستاذنون فاذا
استاذنوك **لبعض شانهم** اي لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم **فاذن لمن شئت منهم** لما علمت في ذلك
من حكمة ومصلحة **واستغفر لهم الله** فان الاستئذان ولو كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم امر
الدنيا على امر الآخرة **ان الله غفور** مبالغ في مغفرة فرطات العباد **رحيم** مبالغ في افاضة آثار
الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار لهم **يا ايها الذين آمنوا**
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله لا انتقال لانه مزيد الاعتناء بشانه
اي لا تجعلوا دعوته عليه الصلاة والسلام اياكم في الاعتقاد والعمل بها **كدعاء بعضكم بعضا** اي لا
تقيسوا دعاءه عليه الصلاة والسلام اياكم على دعاء بعضكم بعضا في حال من الاحوال وامر من الامور التي
من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه الصلاة والسلام من غير استئذان فان ذلك من
المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب
لا مرد له عند الله عز وجل وتقريب الجملة حينئذ لما قبلها اما من حيث ان استجابته تعالى لدعائه عليه الصلاة
والسلام مما يوجب امتثالهم بامره عليه الصلاة والسلام ومتابعتهم له في الورود والصدور
ايجابا تاما من حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه الصلاة والسلام المؤدي الى ما يوجب هلاككم
من دعائه عليه الصلاة والسلام عليهم واما ما قيل من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه الصلاة والسلام كنداء
بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله مع غاية
التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تعالى **قد يعلم الله الذين يتسللون**
منكم الى آخره وعيد للمخالفين لامره عليه الصلاة والسلام فيما ذكر من قبل فتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه له
والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما ان رب يجيء للتكثير حسبما بين في سورة
الحجر اي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية **لواذا** اي ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض
حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة انه من اتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من
ضمير يتسللون اي ملاوذين او على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اي يلوذون لواذا والفاء
في قوله تعالى **فليحذر الذين يخالفون عن امره** لترتيب الحذر او الامر به على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم
فانه مما يوجب الحذر البتة اي يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمينه
معنى الاعراض او حمله على معنى يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه
وحذف المفعول لما ان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر حقيقة او للرسول صلى الله
عليه وسلم لانه المقصود بالذكر **ان تصيبهم فتنة** اي محنة في الدنيا **او يصيبهم عذاب اليم** اي
في الآخرة وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير عن اصابتهما توجب
وجوب الامتثال حتما **الا ان لله ما في السموات والارض** من الموجودات باسرها خلقا وملكا وتصرفا
ايجادا واعداما بدءا واعادة **قد يعلم ما انتم عليه** ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع التي من جملتها
الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق **ويوم يرجعون اليه** عطف على ما انتم عليه اي يعلم يوم يرجع
المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة
تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما ان العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه وآكده
وفيه اشعار بان علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا
خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل **فينبئهم بما عملوا** من الاعمال

السيئة التي من جملتها المخالفة للأمر فيرتب عليه ما يليق بها من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء
بالتنبئة في قوله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم الآية **والله بكل شيء عليم** لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض
ولا في السماء. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **تبارك الذي نزل الفرقان** البركة النماء والزيادة حسية كانت
أو معنوية وكثرة الخير ودوامه أيضا ونسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار
تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى
وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل
فيما ذكر فإنما لا يتصور نسبته إليه سبحانه من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب إليه تعالى إلا باعتبار غاياتها
وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه تعالى على مخلوقاته لا سيما على الإنسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل
القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لإفادة نماء تلك الخيرات
وتزايدها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية
الكمال وتحققها بالفضل والابتعاد بالنعي لتناسب الإنشاء والإنباء عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق
غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين أي فصل بينهما سمي به
القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل بأحكامه أو بين المحق والمبطل بإعجازه أو لكونه مفصولا بعضه عن بعض في
نفسه أو في إنزاله **على عبده** محمد صلى الله عليه وسلم وإيراده عليه الصلاة والسلام بذلك العنوان لتشريفه
والإيذان بكونه عليه الصلاة والسلام في أقصى مراتب العبودية والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبدا للمرسل
ردا على النصارى **ليكون** غاية للتنزيل والضمير لعبده ليكون عليه الصلاة والسلام أو للفرقان **للعالمين**
من الثقلين **نذيرا** أي منذرا أو إنذارا على المبالغة وليكون تنزيله إنذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام
على أحوال الكفرة وتقديم الظرف على عامله لمراعاة الفواصل وإيراد تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها أن تكون
معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع إنكار الكفرة له لإجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوة دلائله
وكونه بحيث لا يكاد يجهله أحد كقوله تعالى لا ريب فيه **الذي له ملك السموات والأرض** أي له خاصة دون
غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف
الكلي فيهما وفيما فيهما إيجادا وإعداما وإحياء وإماتة وأمرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم والمصالح ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها أو على أنه نعت
للموصول الأول أو بيان له أو بدل منه وما بينهما ليس بأجنبي من تمام صلته ومعمولة مضمونه [illegible]
ما لا ريب فيه [illegible] السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله [illegible] أو مدح له
بالرفع والنصب **ولم يتخذ ولدا** كما زعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما
يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية [illegible] مضمونة من الظهور [illegible]
بحيث لا يكاد يجهله جاهل [illegible] **ولم يكن له شريك في الملك** أي ملك السموات والأرض
أيضا عطف على الصلة [illegible] ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى [illegible]
زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة [illegible] على الاستقلال [illegible]
والاختيار [illegible] **وخلق كل شيء** أي أحدث كل موجود من الموجودات إحداثا جاريا على سنن
التقدير حسبما اقتضته إرادته المبنية على الحكم البالغة بأن خلق كلا منها على ما هو مخصوص [illegible]

معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الأحكام والآثار **فقدره** أي هيأه لما أراد به من الخصائص
والأفعال اللائقة به **تقديرا** بديعا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الإنسان للفهم والإدراك
والنظر والتدبر في أمور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة وهكذا
أحوال سائر الأنواع. وقيل أريد بالخلق مطلق الإيجاد والإحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير
من غير تفاوت وفيه أن ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الإيجاد والإحداث مجازا من غير ملاحظة معنى
التقدير من غير تفاوت فيه بأن ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الإحداث لتجريده عن معنى التقدير
باعتبار فيه بحمله عن الوجه مخل بالمرام قطعا. وقيل المراد بالتقدير الثاني هو التقدير للبقاء إلى الأجل
المسمى وأيا ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجملة المنتظمة في سلك الصلة فإن خلقه
تعالى لجميع الأشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الألوهية يقتضي
انتظام كل ما سواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهر بحيث لا يشذ عنها شيء من الأشياء قطعا وما كان كذلك كيف
يتوهم كونه ولدا له سبحانه أو شريكا في ملكه **واتخذوا من دونه آلهة** بعدما بين حقيقة الحق ومطلع
السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى الفرقان العظيم على رسوله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات
الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية أباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه وفي حق المنزل
والمنزل عليه على الترتيب وإظهار بطلانها والإضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك
عليهم أي اتخذوا لأنفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات والأرض
به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الأشياء وتقديرها أبدع تقدير **آلهة لا يخلقون شيئا** أي لا
يقدرون على خلق شيء من الأشياء أصلا **وهم يخلقون** كسائر المخلوقات. وقيل لا يقدرون على أن يخلقوا
شيئا وهم يخلقون حيث يخلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى **ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا**
لبيان ما لو تربل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فإن بعض المخلوقين العاجزين في دفع ما لا بد فهو عن
أنفسهم ولا لنفع أحد يجلبه إليهم وكيف يملكون شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لأن دفعه مع كونه أهم في
نفسه أول مراتب النفع وأقدمها والتنصيص على قوله تعالى **ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا** أي لا يقدرون
على التصرف في شيء منها بإماتة الأحياء وإحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو أهون من هذه الأمور من دفع
الضر وجلب النفع التصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادرا على
جميع ذلك وفيه إيذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كأنهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من الأمور المذكورة
مفتقرون إلى التصريح بذلك **وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك** شروع في حكاية أباطيلهم المتعلقة بالمنزل
والمنزل عليه معا وإبطالها والموصول إما عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله
ابن أمية ونوفل بن خويلد ومن ضاهاهم. ويروى عن الكلبي ومقاتل أن القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمشايعة
الباقين له في ذلك وإما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والإيذان بأن ما تفوهوا به
كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار إليه أي ما هذا إلا كذب مصروف عن وجهه **افتراه** يريدون أنه
اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم **وأعانه عليه** أي على اختلاقه **قوم آخرون** يعنون اليهود
بأن يلقوا إليه أخبار الأمم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هم جبر ويسار وعداس كانا يصنعان السيوف
بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وقيل هو عداس وقد مر تفصيله في سورة النحل **فقد جاءوا ظلما** منصوب بجاءوا
فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته أو بنزع الخافض أي بظلم قال الزجاج والتنوين للتفخيم
أي جاءوا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
إفكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرز اتساقه الفائق بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على مباراته لعجزوا

عن الإتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والأحكام المستتبعة للسعادات الدينية
والدنيوية والأمور الغيبية بحيث لا تنالها عقول البشر ولا تفي بفهمها القوى والقدر **وزوراً** أي كذباً كبيراً
لا يبلغ غايته حيث نسبوا إليه عليه الصلاة والسلام ما هو بريء منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
لكن لا على أنهما أمران متغايران حقيقة يقع أحدهما عقيب الآخر ويحصل بسببه بل على أن الثاني هو عين الأول
حقيقة وإنما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى فإن ما جاءوه من الظلم والزور عين
ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايراً له في المفهوم وأظهر منه بطلاناً رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم
تهويلاً لأمره **وقالوا أساطير الأولين** بعدما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه إفكاً مختلقاً بإعانة البشر
على زعمهم الفاسد كيفية الإعانة والأساطير جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة وهي ما سطره
المتقدمون من الخرافات **اكتتبها** أي كتبها لنفسه على الإسناد المجازي أو استكتبها وقرئ على البناء
للمفعول لأنه عليه الصلاة والسلام أمي وأصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وأفضى الفعل إلى الضمير فصار
اكتتبها إياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المنفصل
فاستتر فيه **فهي تملى عليه** أي تلقى عليه تلك الأساطير بعد اكتتابها ليحفظها من أفواه من يمليها عليه
من ذلك المكتتب لكونه أمياً لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة أو تملى على الكاتب على أن معنى اكتتبها
أراد اكتتابها أو ليستكتبها ورجع الضمير المجرور إلى النبي عليه الصلاة والسلام لإسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب
إلى النبي عليه الصلاة والسلام **بكرة وأصيلاً** أي دائماً أو خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون إلى مساكنهم
انظر إلى هذه الجراءة العظيمة قاتلهم الله أنى يؤفكون **قل** رداً عليهم وتحقيقاً للحق **أنزله
الذي يعلم السر في السماوات والأرض** وصفه تعالى بإحاطة علمه تعالى بجميع المعلومات
الجلية والخفية للإيذان بانطواء ما أنزله على أسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من
التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى أي ليس ذلك مما يفترى
ويفتعل بإعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث الملفقة وأساطير الأولين بل هو أمر
سماوي أنزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الأشياء وأودع فيه فنون الحكم والأسرار
على وضع بديع لا تحوم حوله الأفهام حيث أعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته وأخبركم بمغيبات
مستقبلة وأمور مكنونة لا يهتدى إليها ولا يوقف عليها إلا بتوفيق العليم الخبير
وقد جعلتموه إفكاً مفترى من قبيل الأساطير واستوجبتم بذلك أن تصب عليكم سوط العذاب صباً
فقوله تعالى **إنه كان غفوراً رحيماً** تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة أي إنه تعالى
أزلاً وأبداً مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون
مع كمال استيجابها وغاية قدرته تعالى عليها **وقالوا مال هذا الرسول** شروع في حكاية
جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى إنكار الوقوع ونفيه مرفوعة
على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشأنه عليه الصلاة والسلام
وتسميته عليه الصلاة والسلام رسولاً بطريق الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام كما قال
فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم وقوله تعالى **يأكل الطعام** حال من الرسول والعامل فيها
ما عمل في الجار من معنى الاستقرار أي أي شيء وأي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه
يأكل الطعام كما نأكل **ويمشي في الأسواق** لابتغاء الأرزاق كما نفعل على توجيه الإنكار
والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم
لا يؤمنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقاراً فكما أن كلاً من عدم الإيمان وعدم الرجاء أمر

محقق قد

محقق قد أنكروا واستبعد تحقق الانتفاء بسببه بل الوجود بسبب نقيضه لذلك كل من الأكل والمشي
محقق قد استبعد تحقق الانتفاء بسببه بل الوجود بسبب عدمه خلا أن استبعاد السبب ونفيه في
وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الأكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فإنهم لا يستبعد
فلا ينكرون نسبتهما حقيقة بل هم مقرون بوجودهما وتحقق سببهما وإنما الذي يستبعدونه
الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون أنه إن صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل
هو إلا لعمههم وركاكة عقولهم وقصر أنظارهم على المحسوسات فإن تميز الرسل عما عداهم ليس
بأمور جسمانية وإنما هو بأمور نفسانية كما أشير إليه بقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي
أنما إلهكم إله واحد **لولا أنزل إليه ملك** أي على صورته وهيئته **فيكون معه نذيراً**
تنزل منهم عن اقتراح أن يكون ملكاً مستقلاً بالإنذار وهو يتبعه وتفسيره أو يقول العامة وقوله
تعالى **أو يلقى إليه كنز** تنزل من تلك المرتبة إلى اقتراح أن يلقى إليه من السماء كنز يستظهر به
ولا يحتاج إلى طلب المعاش ويكون ذلك دليلاً على صدقه وقوله تعالى **أو تكون له جنة
يأكل منها** تنزل من تلك المرتبة إلى اقتراح ما هو أيسر منه وأقرب من الوقوع وقرئ نأكل بنون
الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم **وقال الظالمون** هم القائلون الأولون وإنما وضع المظهر
موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوا لكونه إضلالاً خارجاً عن حد الضلال
مع ما فيه من نسبته صلى الله عليه وسلم إلى المسحورية أي قالوا للمؤمنين **إن تتبعون** أي ما
تتبعون **إلا رجلاً مسحوراً** قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة أي بشراً لا ملكاً على أن
الوصف لزيادة التقرير والأول هو الأنسب بحالهم **انظر كيف ضربوا لك الأمثال** استعظام للأباطيل
التي اجترؤوا على التفوه بها وتعجيب منها أي انظر كيف قالوا في حقك تلك الأقاويل العجيبة الخارجة
عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الأمثال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال الشاذة البعيدة
من الوقوع **فضلوا** أي عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشيء يمكن صدوره عمن له أدنى عقل وتمييز
فبقوا متحيرين **فلا يستطيعون سبيلاً** إلى القدح في نبوتك بأن يجدوا قولاً يستقرون عليه وإن كان
باطلاً في نفسه أو فضلوا عن الحق ضلالاً مبيناً فلا يجدون طريقاً موصلاً إليه فإن من اعتاد استعمال
أمثال هذه الأباطيل لا يكاد يهتدي إلى استعمال المقدمات الحقة **تبارك الذي** أي تكاثر وتزايد خير الذي
إن شاء جعل لك في الدنيا عاجلاً شيئاً **خيراً لك من ذلك** الذي اقترحوه من أن تكون لك جنة تأكل منها
بأن يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى **جنات تجري من تحتها الأنهار** بدل من خيراً ومحقق
خيريتها مما قالوا لأن تلك كانت مطلقة عن قيد التعدد وجريان الأنهار **ويجعل لك قصوراً** عطف
على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفاً على نفسه لأن الشرط إذا كان ماضياً جاز في جزائه
الرفع والجزم كما في قول القائل وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز أن يكون
استئنافاً بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على أنه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى
للإيذان بأن عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الأخيرين للتنبيه
على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة بالكلية فإن بعض
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوتوا في الدنيا مع النبوة ملكاً عظيماً **بل كذبوا بالساعة** إضراب
عن توبيخهم بحكاية جناياتهم الأخرى للتخلص إلى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى
وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً أي أعتدنا لهم ناراً عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت
وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم أو لكل من كذب بها كائناً من كان وهم

داخلون في زمرتهم دخولا أوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومعنى إعتاد
السعير لهم وإن لم يكن بمجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاءت به الشريعة الشريفة
لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير أشير إلى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف
على ما قالوا أما الهذا الكلام على معنى بل أتوا بالعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وأنكروها والحال إنا قد أعتدنا
لكل من كذب بها سعيرا فإن جراءتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما أعد لمن كذب بها من أنواع العذاب أعجب من
القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات في الآخرة مسوق
لبيان أن ذلك لا يجدي نفعا ولا يحصل ما أمل على طريقة من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون
من نؤي وأحجار والمعنى أنهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل
مثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت أنظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا
أن الكرامة ليست إلا بالمال وجعلوا تعريضك خديعة إلى تكذيبك وقوله تعالى **إذا رأتهم** إلى آخره صفة
للسعير أي إذا كانت منهم بمرأى من الأبصار على أن بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية إليها لا
إليهم للإيذان بأن التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها إياهم حقيقة أو تمثيلا
وفي قوله تعالى **من مكان بعيد** إشعار بأن بعدما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن
حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لأمرها قال الكلبي والسدي
من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة **سمعوا لها تغيظا وزفيرا** أي صوت تغيظ على
تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وإن الحياة لما لم تكن مشروطة
عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل إن ذلك لزبانيتها فنسب إليها
على حذف المضاف **وإذا ألقوا منها مكانا** نصب على الظرفية ومنها حال منه لأنه في الأصل صفة
له **ضيقا** صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فإن الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة وهو السر
في وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم تضيق جهنم
عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده إنهم
يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الأسفلون يرفعهم اللهب والأعلون يحطهم
الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيْقا بسكون الياء **مقرنين** حال من مفعول ألقوا أي إذا ألقوا منها
مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل
كل كافر مع شيطانه وفي أرجلهم الأصفاد **دعوا هنالك** أي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة
ثبورا أي يتمنون هلاكا وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك وأوانك **لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا** على تقدير قول إما منصوب على أنه حال من فاعل دعوا أي دعوه مقولا لهم ذلك تحقيقا لتخليدهم
لمزيد تنبيههم على خلود عذابهم وأنهم لا يجابون إلى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك
المنجي أو تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير أن يكون هناك قول ولا خطاب أي دعوه حال كونهم
أحقاء بأن يقال لهم ذلك وإما مستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون عند دعائهم
المذكور فقيل يقال لهم ذلك إقناطا عما علقوا به أطماعهم من الهلاك وتنبيها على أن عذابهم الملجئ لهم إلى الدعاء
الهلاك أبدي لا خلاص لهم منه أي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد **وادعوا ثبورا كثيرا** أي
كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فإن ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به
دعاء من تلك الأدعية الكثيرة صار كأنه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر وتحقيقه لا تدعوه دعاء
واحدا وادعوه أدعية كثيرة فإن ما هم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء

في كل آن

في كل آن وهذا أدل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد
أنواعه وألوانه أو لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى وأما ما قيل من أن المعنى إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه
واحدا إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت
جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم إنما يدعون هلاكا ينهي عذابهم
وينجيهم منه فلا بد أن يكون الجواب إقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه
من العذاب الشديد وتقييد النهي والأمر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على أنه ليس كسائر
الأيام المعهودة **قل** تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم **أذلك** إشارة إلى ما ذكر من السعير
باعتبار اتصافها بما فصل من الأحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للإشعار بكونها في الغاية القاصية
من الهول والفظاعة أي قل لهم أذلك الذي ذكر من السعير التي أعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت
وشأن أهلها كيت وكيت **خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون** أي وعدها المتقون وإضافة الجنة إلى الخلد
للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية والثالثة
منها فقط **كانت** تلك الجنة **لهم** في علم الله تعالى أو في اللوح ولأن ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة فحكي
تحققه ووقوعه **جزاء** على أعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم **ومصيرا** ينقلبون إليه **لهم فيها ما يشاءون**
أي ما يشاءونه من فنون الملاذ والمشتهيات وأنواع النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولعل
كل فريق منهم يقتنع بما أتيح له من درجات النعيم ولا يمتد أعناق هممهم إلى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم
الحرمان ولا التساوي في مراتب أهل الجنان **خالدين** حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ وقيل
من فاعل يشاءون **كان** أي ما يشاءونه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون **على ربك
وعدا مسئولا** أي موعودا حقيقا بأن يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون أو مسئولا يسأله
الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو الملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات
عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز
فإن تعلق الإرادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للإنجاز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى
ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه والإشعار بأنه عليه الصلاة والسلام هو الفائز بآثار ذلك
الوعد الكريم ما لا يخفى **ويوم يحشرهم** نصب على أنه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل أذلك خير
إلى آخره أي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع أن المقصود تذكير ما
وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة وعلى التنظيم بضمير مخبر وحذف المنبئ على كمال هوله
وفظاعته ما فيه مع الإيجاز لقصور العبارة عن بيانه أي يوم يحشرهم يكون من الأحوال والأهوال ما لا يفي
ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة إلى التكلم وبكسر الشين أيضا **وما يعبدون
من دون الله** أريد به ما يعم العقلاء وغيرهم إما لأن كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه أنك إذا رأيت شبحا من بعيد
تقول ما هو ولأنه أريد به الوصف لا الذات كأنه قيل ومعبودهم أو لتغليب الأصنام على غيرها تنبيها على أنهم
مثلها في السقوط عن رتبة المعبودية أو اعتبارا لغلبة عبدتها أو أريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة
السؤال والجواب أو الأصنام ينطقها الله تعالى أو تتكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الأيدي والأرجل **فيقول** أي الله
عز وجل للمعبودين إثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء
والأول بالنون على طريقة الالتفات إلى الغيبة **أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء** بأن دعوتموهم إلى عبادتكم
كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله **أم هم ضلوا السبيل** أي عن السبيل
بأنفسهم لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد فحذف الجار وأوصل الفعل إلى المفعول كقوله تعالى

وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضمير على الفعلين لما ان المقصود بالسؤال
هو التصدي للفعل لا نفسه **قالوا** استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية السؤال كأنه قيل فماذا قالوا في الجواب
فقيل قالوا **سبحانك** تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شيء او اشعارا
بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم اضلال عباده او تنزيها له تعالى عن الانداد **ما كان
ينبغي لنا** اي ما صح وما استقام لنا **ان نتخذ من دونك** اي متجاوزين اياك **من اولياء** نعبدهم لما بنا
من الحالة المنافية له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا غيرك فضلا عن ان نتخذ نحن وليا
اي نتخذ من دونك اولياء اي اتباعا فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق
على الاعلى والاسفل ومنه اولياء الشيطان اي اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى
مفعولين كما في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء على ان من للتبعيض اي
ان نتخذ بعض اولياء وهي على الاول مزيدة وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن
والاصنام **ولكن متعتهم وآباءهم** استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم
عن اضلالهم وقد نعي عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة اي ما
اضللناهم ولكنك متعتهم وآباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات
وانهمكوا فيها **حتى نسوا الذكر** اي غفلوا عن ذكرك او عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا اسباب
الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية **وكانوا** اي في قضائك المبني على علمك الازلي المتعلق
بما سيصدر عنهم من الاعمال باختيارهم السيئة **قوما بورا** هالكين على ان بورا مصدر وصف به
الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لمضمون ما قبله وقوله تعالى **فقد كذبوكم** حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب
وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير
قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون ايها الكفرة **بما تقولون** اي في
قولكم انهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا وبياه ان تكذيبهم في هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم
استطاعتهم للصرف والنصر لضلالهم وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم انهم آلهتهم وناصروهم وقرئ
وايا ما كان فالباء بمعنى في او مع صلة التكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب و
بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك الآية **فما يستطيعون** اي ما يملكون **صرفا** اي دفعا للعذاب
عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اي لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف
اي يحتال فيها وقيل توبة **ولا نصرا** اي فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة
غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت
الاستطاعة تحقيقا بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم
وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة اي ما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب
او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتيب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه **ومن يظلم منكم** ايها المكلفون
كدأبهم ها هنا حيث ظلموا من المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا في الحد
المعتاد **نذقه** في الآخرة **عذابا كبيرا** لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله
سبحانه وقيل المصدر للفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة العذاب الكبير
الشرط اقتضاء الجزاء تقييد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة وعدم الاحباط بالطاعة اجماعا والعفو عندنا
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق جواب عن قولهم مال

هذا الرسول

هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة
الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك
احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وقيل هي حالية والتقدير الا وانهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون
على البناء للمفعول اي يمشيهم حوائجهم او الناس **وجعلنا بعضكم** تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل
عليهم الصلاة والسلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل
وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبما في قوله تعالى **لبعض** رسلهم لكن لا على معنى جعلنا
مجموع البعض الاول منهم **فتنة** اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد
البعض الثاني ولا كل معنى جعلنا بعضا منها من الاولين فتنة لبعض منهم من الآخرين ضرورة ان مجموع
الرسل من حيث انه مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض منهم من الاولين
ببعض منهم من الآخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل
وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا
على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى
وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى **اتصبرون** فانه غاية للجعل المذكور
ومن البين ان ليس لكل احد من آحاد الناس مضيا بالصبر بل انما يناسب حاله على ان الاقتصار على ذكره
من غير تعرض لما اعد له ثم [illegible] للذي يحال للمفتونين وللتوقع صدوره عنهم من الصبر لا غير ولا كذلك ان
يكون المراد به التسلي فيحصل به تسليته عليه الصلاة والسلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على
ابتلاء المرسلين بامهم وبمناصبتهم لهم العداوة واذاهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حدود
الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى **وكان ربك بصيرا** وعد كريم للرسول صلى الله عليه وسلم بالثواب
للنبي مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم **وقال الذين لا يرجون لقاءنا** شروع في حكاية
بعض آخر من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على
قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير [illegible] الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن
مصادفته من غير ان يمنع مانع من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث
والحشر او لقاء حسابه تعالى كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم
توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء لان عدمه لا يستلزم
لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب رأسا اي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا اي
حسابنا المؤدي الى سوء العذاب الذي تستوجبه مقالتهم **لولا انزل علينا الملائكة** اي هلا انزلوا علينا
ليخبرونا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم
او نرى ربنا من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى
لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حتى اجترءوا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء **وعتوا** اي
تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان **عتوا كبيرا** بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة
الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله فلم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها
صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة اماني لا تكاد ترنو اليها احداق الامم ولا
تمتد اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا اولو العزائم الماضية من الانبياء عليهم الصلاة والسلام واللام
جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب
من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى **يوم يرون الملائكة** استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم

لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم الصلاة والسلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة. وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم ينزل الملائكة ايذاناً من اول الامر بان رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود. ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى **لا بشرى يومئذ للمجرمين** فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون. والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من انه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعر بان هناك بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية. وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت الثبور على ابلغ وجه وآكده. وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على ان لا غير نافية للجنس. وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة. ويومئذ على كل حال تكرير للتاكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا لقصد نفي البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم. وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في اخراجهم عن الحرمان الكلي الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت آخر بمعزل عن الحق بعيد. **ويقولون** عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبي عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم يقولون عند مشاهدتهم له **حجراً محجوراً** وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى ان يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً. وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجراً بالضم. والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة عليهم الصلاة والسلام ويقترحونه وهم اذا راوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعاً شديداً وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول باس فظيع. ومحجوراً صفة لحجراً لافادة التاكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل اليل. وقيل يقولها الملائكة اقناطاً للكفرة بمعنى حراماً محرماً عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراماً عليكم وليس بواضح. **وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً** بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فمحى عليها بالافساد والتخريب ومزقها كل ممزق بحيث لم يدع لها عيناً ولا اثراً اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا شيء يقصد تشبيهه به. والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار. ومنثوراً صفته شبه به اعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتثار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين. **اصحاب الجنة** هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الى آخره **يومئذ** اي يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجراً محجوراً وجعل اعمالهم هباء

منثوراً **خير مستقراً** المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث **واحسن مقيلاً** المقيل المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة غالباً. وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار. وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه مزين بفنون الزين والزخارف. والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الى ما لهم في الآخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى قل اذلك خير الآية. هذا وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة. **ويوم تشقق السماء** اي تتفتح واصله تتشقق فحذفت احدى التائين كما في تلظى وقرئ بادغام التاء في الشين **بالغمام** بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة. قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل **ونزل الملائكة تنزيلاً** اي تنزيلاً عجيباً غير معهود قيل تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد. وقرئ ونزلت الملائكة ونزل الملائكة وانزل ونزل على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة وانزل الملائكة وتنزلت الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل **الملك يومئذ الحق للرحمن** اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة ومعنى ظاهراً وباطناً بحيث لا زوال له اصلاً ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد ان ثبوت الملك المذكور له تعالى خاص بيومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضاً تصرف صوري في الجملة. وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك. وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر فايا ما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف اي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق. وقيل الظرف منصوب باذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان حاله واهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم الرحمة كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم. والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن **وكان** ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله المبالغ في الرحمة بعباده **يوماً على الكافرين عسيراً** شديد الهول. وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل. واما المؤمنون فيكون يسيراً بفضل الله تعالى. وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا. والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله. **ويوم يعض الظالم على يديه** عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما. والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه يوم الى ضيافته فابى عليه الصلاة والسلام ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات فقال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال ابي لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطا قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لا القاك خارجاً من مكة الا علوت

رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصاري
وطعن عليه الصلاة والسلام أبيا يوم أحد في المبارزة فرجع الى مكة فمات واللام في الظالم للجنس
فيدخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى يقول الخ حال من فاعل يعض محكي به ويا اما لمجرد
التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه او المنادي محذوف اي يا هؤلاء يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا اي طريقا واتخذت منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم اتشعب بي طرق
الضلالة او حصلت في صحبته عليه الصلاة والسلام طريقا ولم اكن ضالا لا طريق لي قط
يا ويلتى بدلت ياء المتكلم الفا كما في صحارى ومدارى وقرئ على الاصل يا ويلتي اي هلكتي تعالى
واحضري فهذا اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله في الدنيا فان فلانا كناية عن
الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن
علم اناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الاناث والفلان والفلانة
عن غير العاقل ويختص فل بالنداء الا في ضرورة كما في قوله في لجة امسك فلانا عن فل وقوله
خذا حدثاني عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل
فقيل واو وقيل ياء هذا فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى بفلان كناية عن أبي وان اريد به الجنس فهو
كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الجن والانس وهذا التمني وان كان
مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل وتعليل بتوريك جنايته الى الغير
وقوله تعالى لقد اضلني عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام
القسمية للمبالغة في بيان خطائه واظهار ندمه وحسرته اي والله لقد اضلني عن ذكر الله
تعالى وعن القرآن او عن موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني
وتمكنت منه وقوله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا اي مبالغا في الخذلان حيث
يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته
تعالى او من تمام كلام الظالم على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي
هو اخص الاوصاف الشيطانية او على انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالة
المضلين ومخالفة الرسول عليه الصلاة والسلام بوسوسته واغوائه فان وصفه
بالخذلان يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بان ينفعه في الآخرة وهو ادق في تحامل ابليس لعنه
الله وقال الرسول عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق
لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الاهوال والخطوب وايراده عليه الصلاة
والسلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكي عنهم من الشنائع قدحا
في رسالته عليه الصلاة والسلام اي قالوا ما حكيت وقال الرسول لما شاهد منهم غاية
العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل يا رب ان قومي يعني الذين حكي عنهم ما حكي
من الشنائع اتخذوا هذا القرآن الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة
من فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة الاشارة مهجورا اي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا
اليه راسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بان من حق المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقرآن كي لا يندرج
تحت ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه عليه الصلاة والسلام من تعلم القرآن وعلق مصحفا ولم
ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض
بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه وزعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون المهجور

بمعنى الهجر

بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فان
الانبياء اذا اشتكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا من المجرمين تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام اي كما جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون
ما يفعلون من الاباطيل جعلنا لكل نبي من الانبياء قبلك عليهم الصلاة والسلام الذين هم اصحاب الشريعة
والدعوة اليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا
وعد كريم له عليه الصلاة والسلام بالهداية الى كافة مطالبه والنصر على اعدائه اي كفاك مالك
امرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب اجله
واجراء احكامه في الحياة الدنيا الى يوم القيامة ونصيرا لك على جميع من يعاديك وقال الذين كفروا
حكاية لاقتراحهم الخاص بالقرآن الكريم بعد حكاية اقتراحهم في حقه عليه الصلاة والسلام والقائلون
هم القائلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به والاشعار بعلة الحكم لولا نزل عليه القرآن
التنزيل ها هنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اي هلا انزل كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة
وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على احد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل
كونها من عند الله تعالى اعجازها واما القرآن الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى
نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق في كل جزء من اجزائه المقدرة بمقدار اقصر السور حسبما
وقع به التحدي ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما يقتضيه الاحوال ومن
ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على ان فيه تدريجا قد اشير الى بعض منها
بقوله كذلك لنثبت به فؤادك فانه استئناف وارد من جهته تعالى متضمن لابطال مقالتهم الباطلة
وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر مؤكد لمضمر
معلل بما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا
فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه
تيسيرا لحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من
الحكم والمصالح المبنية على المناسبة لما انها منوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او تبديلا
بالنسخ من احوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة
بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجددها تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات
الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الآخرة على انهم في
هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن
المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بكله وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا
عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر
قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه
اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك
بلسان جبريل شيئا فشيئا في عشرين او في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ولا
يأتونك بمثل من الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة

انما يشتمل من سعدي

العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اي لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن **الا جئناك** في مقابلته **بالحق** اي بالجواب الحق الثابت الذي ينحي عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القالعة لعروق اسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى **واحسن تفسيرا** عطف على الحق اي جئناك بالحق واحسن تفسيرا او تفصيلا او معنى بالحق اي آتيناك الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على معنى انه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا ان ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية اي لا يأتونك بمثل الا حال اتياننا اياك بالحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فؤاده عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى وهذه بعبارته ناطقة ببطلان جميع الاجوبة وباشارته منبئة عن بطلان السؤال الاخير وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القرآن على التدريج لما امكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عليه الصلاة والسلام من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عليه الصلاة والسلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان الذي انت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه ان يكون ما اعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل دامغا لها ولا ريب في ان ما آتاه الله تعالى من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد آتاه في اول الامر لا بمقابلة ما حكي عنهم من الاقتراحات لاجل دمغها وابطالها **الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم** اي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق روي عنه عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان تعلق قلوبهم اليوم ليس بحيث يقتضي عنده تعلق بالسفليات او توجه اليها في الجملة ومحل الموصول اما النصب او الرفع على الذم او الرفع على الابتداء وقوله **اولئك** بدل منه او بيان له وقوله **شر مكانا واضل سبيلا** خبر له او اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر الموصول ووصف السبيل بالاضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان الحاملين على هذه الاقتراحات تحقير مكانه صلى الله عليه وسلم وتضليل سبيله ولا يعلمون من الحامل انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا **ولقد آتينا موسى الكتاب** جملة مستأنفة سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود والتصدير بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد آتينا موسى التوراة اي انزلناها عليه بالآخرة **وجعلنا معه** الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى **اخاه** مفعول اول له وقوله تعالى **هارون** بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس

ما وقع في سورة طه وقوله تعالى **وزيرا** مفعول ثان وقد مر تحقيق معنى الوزير اي جعلناه في اول الامر وزيرا له **فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا** هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدي موسى عليه الصلاة والسلام ولم يوصف القوم بها عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الامر به بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير اي فذهبا اليهم فارياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا **فدمرناهم** اثر ذلك التكذيب المستمر **تدميرا** عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للايذان من اول الامر ببلوغه عليه الصلاة والسلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما في التوراة من الاحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم وقرئ فدمرانهم وقرئ فدمرا بهم على التأكيد بالنون الثقيلة **وقوم نوح** منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس بضرورة ان ترتيب تدميرهم على ما قبله ترتيب تدمير هؤلاء عليه لاسيما وقد بين سببه بقوله تعالى **لما كذبوا الرسل** اي نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى **اغرقناهم** وليس بذاك لان تقدير كون كلمة لما ظرف زمان واما تقدير كونها حرف وجود لوجود فلانه لا تحتمل جوابها ان يعمل فيما قبلها مع انه يخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح فان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى اغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم **وجعلناهم** اي جعلنا اغراقهم وقصتهم **للناس آية** اي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهو مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اي لو تأخر عنها لكان صفة لها **واعتدنا للظالمين** اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب **عذابا اليما** هو عذاب الآخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتداد العذاب الذي فيه الخبر بوقوعه من قبل او لجميع الظالمين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي **وعادا** عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل الظالمين وكل من الوجوه جار في الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله **وثمودا** وقرئ وثمود على تأويل الحي او على انه اسم الاب الاقصى **واصحاب الرس** هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه الصلاة والسلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر الغير المطوية اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه الصلاة والسلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فلذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه الصلاة والسلام فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه الصلاة

فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه اي دسوه في بير وقرونا اي اهل قرون قيل القرن
اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وقيل مائة وعشرون بين ذلك اي بين ذلك المذكور
من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا
متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المذكور وذلك المحسوب كثيرا لا يعلمها الا العليم الخبير
ولعل الاكتفاء في شؤون تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة
القصة بمثابة الامم المذكورة وكلا منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير
والتذكير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التي لم يذكر اسباب اهلاكهم واما
عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لا عدم اتيان الامثال
المضروبة اي ذكرنا وانذرنا كل واحد من المذكورين ضربنا له الامثال اي بينا له القصص
العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل وكلا اي كل واحد منهم لا بعضهم
دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا لانهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا
على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد
تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة ولقد اتوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدتهم
لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله لقد
اتى قريش في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت اي اهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمس
قرى ما نجت منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي فاهلكها الله بالحجارة وهي المرادة
بقوله تعالى مطر السوء وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في انبته الله نباتا حسنا
اي امطار السوء او على انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيتها او اوليتها مطر السوء افلم يكونوا يرونها في مرار
مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا وفي
الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا انتقال عما قبله
من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على اهل القرية من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك
عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا انه اكتفي عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم
للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني عن ذلك بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كانهم كانوا
ينكرون للنشور المستتبع للجزاء الاخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس
عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة
بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق وانما انتقل
عما ذكر من التوبيخ من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور واذا رأوك ان يتخذونك الا
هزوا اي ما يتخذونك الا هزوا اي يقصرون معاملتهم معك عليه الصلاة والسلام على معنى قصر اتخاذ
على كونه هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام اهذا الذي بعث الله
رسولا محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اي يستهزئون بك قائلين اهذا الذي الخ والاشارة
للاستحقار وابراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته عليه الصلاة
والسلام مع كونهم في غاية الانكار لبعثه عليه الصلاة والسلام بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا ابعث الله
هذا رسولا او اهذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ان مخففة من ان وضمير الشأن محذوف اي انه
كاد ليضلنا عن آلهتنا اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط
والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي لولا ان صبرنا عليها ثبتنا

عليها

عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في امثال هذا الكلام يجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى
كما اشير اليه في قوله تعالى لقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من
الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم
لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى انه من قول ابي جهل وسوف يعلمون جواب من جهته
تعالى لآخر كلامهم ورد لما ينبئ عنه من نسبته عليه الصلاة والسلام الى الضلال في ضمن الاضلال
اي سوف يعلمون البتة وان تراخى حين يرون العذاب الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم من اضل
سبيلا وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم ارأيت من
اتخذ الهه هواه تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم
من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبيه على ان ذلك من الغرابة بحيث يجب ان يرى
ويتعجب منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور عليه امر
التعجب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد غفل عن ان المفعول الثاني في هذا
الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة اي ارأيت من جعل هواه لنفسه الها بان اطاعه وبنى عليه
امر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه
وقوله تعالى افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذه فالاستفهام
الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون اضراب وانتقال من الانكار
المذكور الى انكار حسبانه عليه الصلاة والسلام انهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه جده عليه الصلاة
والسلام في الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير على ان الانكار كالاول بمعنى انه لا ينبغي ان يقع اي بل
اتحسب ان اكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات حق السماع او يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة
عن القبائح الداعية الى المحاسن فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وضمير اكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناه ها
كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها وتخصيص الفعلين بالذكر لما اضيف اليه وقوله تعالى ان
هم الا كالانعام الى آخره جملة مستأنفة مسوقة لتقرير النكير وتأكيده وحسم مادة الحسبان
بالمرة اي ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما
يشاهدونه من الدلائل والمعجزات الا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة بل هم
اضل سبيلا منها لانها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن
يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتأوي
الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة
الشيطان الذي هو اعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب
الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والمورد العذب الروي
ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف
هؤلاء حيث تدربوا على الباطل وفرعوا عليها الاحكام الشنيعة ولان احكام جهالتها وضلالتها
مقصورة على انفسها لا تتعدى الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد وصد
الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى
المودعة بل صارفتها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال واما هؤلاء فهم معطلون
لقواهم مضيعون للفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك اعظم العذاب
واشد النكال الم تر الى ربك بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالهم

والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير لمشاهدات الرؤية تتبع الإضافة
إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه صلى الله عليه وسلم وللإيذان بأن ما يعقبه
من آثار ربوبيته ورحمته تعالى أي ألم تنظر إلى بديع صنعه تعالى **كيف مد الظل** أي كيف
بسط الظل أي ظل كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء طلوع الشمس لا كما يتوهم من أنه بعد إذ
لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار إلى الغروب فيها فإن ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بإنشائه
تعالى وإحداثه يأباه سياق النظم الكريم وأما ما قيل من أن المراد بالظل ما بين طلوع الفجر
وطلوع الشمس وأنه أطيب الأوقات فإن الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس
يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود فيأباه سدادا إذ لا ريب
في أن المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد أن يراد
بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم
كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكر وإن كان في الحقيقة ظلا للأفق الشرقي
لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه بأوصافه المعهودة ولأن توجيه الرؤية إليه سبحانه
مع أن المراد تقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام منصوص على ما يطالعه من الآثار والصنائع
بل يطمح أنظاره معرفة شؤون الصانع المجيد وقوله تعالى **ولو شاء لجعله ساكنا** جملة اعتراضية
بين المعطوفين للتنبيه من أول الأمر على أنه لا مدخل فيما ذكر من المد للأسباب العادية وإنما
المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا
وكون مفعولها مضمون الجزاء أي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا أي ثابتا على حاله من الطول
والامتداد وإنما عبر عن ذلك بالسكون لما أن مقابله الذي هو تغير حاله حسب تغير الأوضاع
بين الظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا وحاصله أنه لا يعتريه اختلاف حال بأن لا
تنسخه الشمس وأما التعليل بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره الغفول عما سيق
له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الأمور
الحادثة إليه تعالى بالذات وإسقاط الأسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية
وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا لكون قدرته تعالى على بعض الخوارق كإقامة
الشمس في مقام واحد على أنها تعطي بقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة
والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فيما وليه ما هو خير الإيراد في معرض البيان وقوله تعالى
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا عطف على مد داخل في حكمه أي جعلناها علامة يستدل
بأحوالها المتغيرة على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعا حسبما نطق به الشرطية
المعترضة والالتفات إلى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين
الشمس والظل من الدوران المطرد المنبي عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة
وهو السر في إيراد كلمة التراخي وقوله تعالى **ثم قبضناه** عطف على مد داخل في حكمه وثم
للتراخي الزماني لما أن في بيان كون القبض معلقا بمر بين تدريجي على قطب مصالح الخلق
من يزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز أن تكون للتراخي الرتبي أي أزلناه بعد ما أنشأناه
ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند إيقاع شعاع الشمس موقعه من غير أن يكون له
تأثير في ذلك أصلا وإنما عبر عنه بالقبض المنبي عن جمع المنبسط وطيه لما أنه قد عبر عن إحداثه
بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى **إلينا** للتنصيص على كون مرجعه إليه تعالى كما أن حدوثه

منعز

منه عز وجل **قبضا يسيرا** أي على مهل قليلا قليلا حسبما ارتفع دليله على وتيرة معينة
مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل إن الله تعالى حين بنى السماء كالقبة
المضروبة ودحى الأرض تحتها ألقت القبة ظلها على الأرض لعدم النير وذلك مده تعالى
إياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أي سلطها
عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص فيمتد ويتقلص ثم
نسخها بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير أو قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض
أسبابه من الأجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاءه بإنشائها ووصفه
باليسير على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع أحكام رحمته
ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها
على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفي تعقيب بيان أحوال الظل ببيان أحكام
الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستر اللباس **والنوم سباتا** أي وجعل النوم الذي في الليل
غالبا قطعا عن الأفاعيل المختصة بحال اليقظة وعبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة
التامة في انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الأنفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها **وجعل النهار نشورا** أي زمان بعث من ذلك السبات
كبعث الموتى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي نفس البعث على طريقة المبالغة وفيه إشارة
إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك
تموت فتنشر **وهو الذي أرسل الرياح** وقرئ بالتوحيد على إرادة الجنس **بشرا** بتخفيف بشر
جمع بشور أي مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع نشور أي ناشرات للسحاب وقرئ
بالتخفيف وبفتح النون أيضا على أنه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى **بين يدي رحمته**
استعارة بديعة أي قدام المطر والالتفات إلى نون العظمة في قوله تعالى **وأنزلنا من السماء
ماء طهورا** لإبراز كمال العناية بالإنزال لأنه نتيجة ما ذكر من إرسال الرياح أي أنزلنا بعظمتنا
بما لنا من إرسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة وما قيل من أنه ما يكون طاهرا في
نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به فإن الطهور في العربية لأنه صفة كما في قولك ماء طهورا أو اسم كما في قوله عليه الصلاة والسلام
التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ومنه
قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة إلا بطهور ووصف الماء به إشعار بتمام النعمة فيه وتتميم
للمنة فيما بعده فإن الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم
لما كانت مما ينبغي أن يطهروها فبواطنهم أحق بذلك وأولى **لنحيي به** أي بما أنزلنا من الماء الطهور
بلدة ميتا بإنبات النبات والتذكير لأن البلدة بمعنى البلد ولأنه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة
فأجري مجرى الجامد والمراد به القطعة من الأرض عامرة كانت أو غامرة **ونسقيه** أي ذلك الماء
الطهور عند جريانه في الأودية أو اجتماعه في الحياض والمناقع والآبار **مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا**
أي أهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الأنعام والأناسي وتخصيصهم بالذكر لأن أهل القرى
والأمصار يقيمون بقرب الأنهار والمنابع فيهم وبما لهم من الأنعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد
في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع أن مساق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد

انواع النعمة والانعام حيث كانت قنية الاناسي وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه واسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه جعله سقيا واناسي جمع انسي كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كاناعم في اناعيم ولقد صرفناه لعجائب الله تعالى كررنا هذا القول الذي من جملته ما ذكر من انشاء السحاب وانزال القطر لما ذكر من الغايات الجميلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية بينهم اي بين الناس من المتقدمين والمتأخرين ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله في بعض البلاد دون غيرها وفي بعض الاوقات دون بعض او جعله تارة وابلا واخرى طلا وحينا ديمة ووقتا رهمة والاول هو الاظهر فابى اكثر الناس ممن سلف وخلف الا كفورا اي لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث بها او الا جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله تعالى والانواء امارات يجعلها الله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل فلا تطع الكافرين اي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كانه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة لما انه عليه الصلاة والسلام كان يود ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد في ذلك بتأليفهم اشد الاجتهاد وجاهدهم به اي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير احوال الامم المكذبة جهادا كبيرا فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير للمجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان تجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من احكام القرآن الكريم ملتبسا بترك طاعتهم كانه قيل جاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه عليه الصلاة والسلام نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عليه الصلاة والسلام وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعله تخفيف مالح كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا تنافرا مفرطا كان كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه الصلاة والسلام او جعله جزء مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة

اوهو

او هو النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا في القدرة حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله الذي شأنه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي ما ليس من شأنه النفع والضر اصلا وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه الذي ذكر آثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل لهم ما اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال من اجر من جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليهما فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثني منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه الصلاة والسلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغ نعمه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اي مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وافيا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخرى للحي وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التي هي من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فان من انشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح اي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى فان ... في الجواب مما تعرض له المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى فاسأل به اي بتفصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال حاجة ولا في تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون المسؤول امرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر ان نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسأل به خبيرا على ان الخطاب له عليه الصلاة والسلام والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقق ما ذكر او تفصيل ما ذكر فاسأل معتنيا به خبيرا عظيم الشأن محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله

تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مما يرد في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبر وقرئ فسل وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى أو لأنهم ظنوا أن المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا أنسجد لما تأمرنا أي للذي تأمرنا بسجوده وقرئ بالياء على أنه قول بعضهم لبعض وزادهم أي الأمر بالسجود للرحمن نفورا عن الإيمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ وقمرا أي ذا قمر وهي جمع قمراء ولعل المراد الليالي بالقمر يكون قمراء لضيائها ثم حذف وأجري حكمه على المضاف إليه القائم مقامه كما في قول حسان رضي الله عنه بردى يصفق بالرحيق السلسل أي ماء بردى ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة أي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه أو بأن يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا أي أن يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه في الآخر وقرئ أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر وعباد الرحمن كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف خلص عباد الرحمن وأحوالهم الدنيوية والأخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والإضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الإشارة وقرئ وعباد الرحمن أي عباده المقبولين الذين يمشون على الأرض هونا أي بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه إما على الحال من فاعل يمشون أو على أنه نعت للمصدر أي يمشون هينين لين الجانب من غير فظاظة أو مشيا هينا وقوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون أي إن سفهوا عليهم كما في قول من قال ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا قالوا سلاما بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم إثر بيان حالهم في أنفسهم أي إذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به من الأذية والإثم وقيل فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن أبي العالية وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم أي يكونون ساجدين لربهم وقائمين أي يحيون الليل كله أو بعضها بالصلاة وقيل من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وإن قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل والذين يقولون أي في أعقاب صلواتهم أو في عامة أوقاتهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما أي شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان أنهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون إلى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون إنها ساءت مستقرا ومقاما تعليل لاستدعائهم

المذكور

المذكور بسوء حالها في نفسها إثر تعليله بسوء حال عذابها وقد يجوز أن يكون وهي تعليلا للأولى وتعليلا لذلك وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إن وجعلها خبرا لها قيل ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم إن ومستقرا حال أو تمييز وهو بعيد خال عما في الأول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جهته تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الإسراف هو الإنفاق في المعاصي والقتر منع الواجب والقرب وقرئ يقتروا بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم الياء وكان بين ذلك أي بين ما ذكر من الإسراف والقتر قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي به سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة أو هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز أن يكون اسم كان على أنه مبني لإضافته إلى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فإنه بمعنى القوام فيكون كالإخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله إلها آخر شروع في بيان اجتنابهم المعاصي بعد بيان إتيانهم بالطاعات وذكر نفي الإسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الإشراك مع ظهور إيمانهم لإظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والإخلاص وتهويل أمر القتل والزنا بنظمهما في سلكه والتعريض بما كانوا عليه الكفرة من قريش وغيرهم أي لا يعبدون معه تعالى إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله أي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه مبالغة في التحريم إلا بالحق أي لا يقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها أو لا يقتلونها قتلا ما إلا قتلا ملتبسا بالحق أو لا يقتلونها في حال من الأحوال إلا حال كونهم ملتبسين بالحق ولا يزنون أي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث كانوا مع إشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها قتل الموءودة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه أصلا ومن يفعل ذلك أي ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين يلق في الآخرة وقرئ يلقى وقرئ يلق بالتشديد مجزوما أثاما وهو جزاء الإثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الإثم أي يلق جزاء الإثم والتنوين على التقديرين للتعريف وقرئ أياما أي شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب ويخلد فيه في ذلك العذاب المضاعف مهانا ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ ويخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الإخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصي إلى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للأعمال السابقة فأولئك إشارة إلى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن الإفراد في الأفعال الثلاثة باعتبار لفظه أي أولئك الموصوفون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح يبدل الله سيئاتهم حسنات بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم أو يبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس بملكة الطاعة بأن يزيل الأولى ويأتي بالثانية وقيل بأن يوفقه لأضداد ما سلف

منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل بان يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين
وبالزنا عفة واحصانا وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ومن
تاب اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج عن
المعاصي ودخل في الطاعات فانه بما فعل يتوب الى الله اي يرجع اليه تعالى متابا اي متابا عظيم
الشان مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب
التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع الى الله تعالى والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص
والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهد
الباطل شاركه فيه واذا مروا على طريق الاتفاق باللغو اي ما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه
مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن
الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم المشتملة
على المواعظ والاحكام لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها
كالذين لا يسمعون ولا يبصرون بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية
فالمراد بالنفي نفي الحال دون الفعل كما تقول لا يلقاني زيد مسلما وقيل الضمير للمعاصي
المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم
للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده اهله في طاعة الله تعالى وشاركوه فيها يسر بهم
وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد الله
تعالى بقوله الحقنا بهم ذرياتهم ومن ابتدائية او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين
لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عين غيرها واجعلنا للمتقين اماما اي يقتدون بنا في اقامة مراسم
الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله
تعالى ثم يخرجكم طفلا ولان المراد واجعل كل واحد منا اماما ولانهم كنفس واحدة
لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم او لانه مصدر في الاصل او لانه جمع آم كصائم وصيام
على ان يطابق القصد وان استحال الاستقلال باجتماعهم في عصر واحد فانه يطلب اجتماعهم
في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة وامام عن كل واحد منهم بطريق الانفراد وافادة
كل واحد منهم عند الدعاء والحاجة للمتقين اماما ولكن حكيت عبارات الكل بصيغة
المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا وابقى اماما على حاله وقيل الامام جمع ام بمعنى قاصد كصيام جمع صائم
ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر
الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد من الصفات المذكورة
في الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شان خطير حقيق بان يفرد له موصوف مستقل
ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني
منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
اولئك اشارة الى المتصفين بما فصل في حيز صلات الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به
وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يجزون الغرفة
والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لما لهم في الآخرة من السعادة الابدية اثر

بيان ما لهم

بيان ما لهم في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء
مرتفع عال اي يثابون اعلى منازل الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله تعالى وهم في الغرفات
آمنون وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض
الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما من جهة الملائكة اي يحييهم
الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة عن الآفات او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبليغا من الله تعالى
والتحية الدعاء بالتعمير والسلام الدعاء بالسلامة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي
خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما الكلام فيه كالذي مر في
مقابله قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين للناس ان الفائزين بتلك
النعماء الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها
لم يعتد بهم اصلا اي قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبأ
بكم ربي لولا دعاؤكم اي اي عبء يعبأ بكم واي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له
تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو وسائر
البهائم سواء وقال الزجاج معناه اي وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم
ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة ويجوز
ان تكون ما نافية وقوله تعالى فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان
لحال المؤمنين منهم اي فقد كذبتم بما اخبرتكم به وخالفتموه حيث خصصتم الكفر ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين
وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون
بكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدة الايذان بان ما في الحكم لا يرتاد بالاخص كما لا يخرج عن الاتحاد
الجنسي للخطاب اشتراكا في الفرق والاشتراك في الاعمال فسوف يكون لزاما اي يكون جزاء
التكذيب او اثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما
بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره للتنبيه على انه مما لا يكتنهه
بيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى
وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب صدق الله ورسوله

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها في الميم
اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة
فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وهو
الظاهر لا على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه الصلاة والسلام او النصب بتقدير
فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة تلك في قوله تعالى تلك آيات الكتاب المبين اشارة الى السورة
سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هناك وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده
وعلى تقدير كون طسم مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر
على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل

سورة الشعراء مائتان وعشرون وسبع آيات مكية

والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفها
بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة **لعلك باخع نفسك** اي قاتل واصل البخع ان يبلغ بالذبح
النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة
ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك **ان لا**
يكونوا مؤمنين اي لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا به وقوله تعالى
ان نشأ الى آخره استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان
ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول
المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اعني قوله تعالى **ننزل عليهم من السماء آية** اي ملجئة لهم الى
الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر **فظلت اعناقهم لها خاضعين** اي منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت
الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفة
العقلاء اجريت مجراهم في الصيغة ايضا كما في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء
والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس اي فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على
ننزل باعتبار محله وقوله تعالى **وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين**
بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة
لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنهم ومن الاولى مزيدة
لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان
ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل
جنايتهم فان الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته
تعالى لمحض منفعتهم اشنع واقبح اي ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية او من طائفة نازلة
من القرآن تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى
رحمته الواسعة محدث تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب
والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال محله
النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور اي ما يأتيهم من ذكر في حال
من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه **فقد كذبوا** اي بالذكر الذي يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا
للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفاء
في قوله تعالى **فسيأتيهم** لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسيأتيهم البتة
انباء ما كانوا به يستهزءون [illegible]

[illegible] **اولم يروا** [illegible]
افعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا **الى الارض** [illegible]

الزاجرة كما

الزاجرة كما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى **كم انبتنا**
فيها من كل زوج كريم استئناف مبين لما في الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى
الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة
والكثرة معا ومن كل زوج اي صنف نباتي والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده اي كثيرا من كل
صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص النبات بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه
بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها
ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله
تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة
وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون **ان في ذلك** اشارة الى مصدر
انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في
الفضل **لآية** اي آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية
سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر **وما كان اكثرهم** اي اكثر قومه عليه الصلاة والسلام
مؤمنين قيل اي في علم الله تعالى وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون [illegible] اختيارهم
الى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الآيات العظام وقال
سيبويه كان صلة والمعنى وما اكثرهم وهو الانسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة
والعناد مع تعاضد بيان موجبات الايمان من جهته تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه
وما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر مع ما اشير اليه من التحقيق مما يخفى على
مهرة العلماء المتقنين [illegible] موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين
مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي والجهالة ونسبة عدم الايمان
الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن **وان ربك لهو العزيز** الغالب على كل شيء ما يريده من الامور التي
من جملتها الانتقام من هؤلاء **الرحيم** المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما
اجترؤوا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى **واذ**
نادى ربك موسى كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم من
الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية واذ
منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر لاولئك المعرضين
المكذبين وقت ندائه تعالى اياه عليه الصلاة والسلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون
بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم
المكذبين الظالمين حتى يتضح لك انهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لا لانقياس حال هؤلاء
بحال اولئك فقط بل لمشاهدة اصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم
وعلمهم باتعاظهم بذلك كما يلوح به تذييلها بقوله تعالى ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث
قد مر مرارا **ان ائت** بمعنى اي ائت على ان ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية حذف
عنها الجار **القوم الظالمين** اي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح ابنائهم
وليس هذا مطلع ما ورد في حيز النداء وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك

الى قوله لنريك من آياتنا الكبرى وايراد ما جرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى
واساليب مختلفة قد مر تحقيقه في اوائل سورة الاعراف عند قوله تعالى قال انظرني قوم
فرعون بدل من الاول او عطف بيان له جي به للايذان بانهم علم في الظلم كان معنى القوم
الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة نفسه بانه اول داخل
في الحكم الا يتقون استيناف جي به اثر ارساله عليه الصلوة والسلام اليهم للانذار
تعجيبا من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات
المنبي عن زيادة الغضب عليهم كان ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا غيبا
لكنهم قد اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ
اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتامل وقرئ بكسر النون اكتفاء عن ياء
المتكلم وفي حوت الا يتقون بمعنى الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا قال استيناف مبني على سؤال
نشا من حكايته ما مضى كانه قيل فماذا قال موسى عليه الصلوة والسلام فقيل قال متضرعا الى الله
عز وجل رب اني اخاف ان يكذبون من اول الامر ويضيق صدري ولا ينطلق لساني
معطوفان على اخاف فارسل اي جبريل عليه الصلوة والسلام الى هارون ليكون معيني اعتضد به
في تبليغ الرسالة رتب عليه الصلوة والسلام استدعاء ذلك على الامور الثلثة خوف التكذيب وضيق
الصدر وازديادها كان فيه من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث
لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعتراه حبسة
حتى لا تختل دعوته ولا تنقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقي الامر في شيء وانما هو
استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذر فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا
على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب بحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه او سمي باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبي عنه
قوله لهم وهذا اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع فاخاف اي ان اتيتهم وحدي ان يقتلون
بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة
قبل وقوعها من الردع عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف
على مضمر ينبي عنه الردع كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت ومن استدعيته وفي قوله تعالى
باياتنا رمز الى انها تدفع ما يخافه وقوله تعالى انا معكم مستمعون تعليل للردع عن الخوف
ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع واري وحيث كان الموعود
بحضور من فرعون اعتبرها هنا في المعية وقيل اجري مجرى الجماعة وبيان ما بعده وما قبله من ضمير التثنية
اي سامعون بما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم
يستمع ما يجري بينهم ليمد وليا له ويظهره على عدوه مبالغة في الوعد بالاعانة
واستعير الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والاصوات وهو
خبر ثان او الخبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا
رسول رب العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا تاكيد الامر
بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد
الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في قوله
تعالى ان ارسل معنا بني اسرائيل مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول

ومعنى

ومعنى ارسالهم تخليتهم وشانهم ليذهبوا معهما الى الشام قال اي فرعون لموسى عليه الصلوة
والسلام بعدما اتياه وقالا له ما امرا به يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما
سنة حتى قال البواب ان هاهنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا
نضحك فاديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه الصلوة والسلام فقال له عند
ذلك الم نربك فينا في حجرنا ومنازلنا وليدا اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده
بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم بقي بعد ذلك الى الغرق
خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله اعلم وفعلت
فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي بعدما عدد نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال
نعى عليه ما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها
كانت نوعا من القتل وانت من الكافرين اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي او انت ممن
تكفرهم الآن وقد افترى عليه عليه الصلوة والسلام او جهل امره عليه الصلوة والسلام حيث كان
يعايشهم بالتقية والا فاين هو عليه الصلوة والسلام من مشاركتهم في الدين فالجملة حينئذ حال
من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالالهية او ممن يكفرون في دينهم حيث
كانت لهم آلهة يعبدونهم او من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه
الجناية بدعا منه قال مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر فعلتها اذا
وانا من الضالين اي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت قرأه اي من الفاعلين
فعل الجهلة والسفهاء او المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد تاديبه والذاهبين عما يؤدي اليه الوكز
او الناسين كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ففررت منكم لما خفتكم
ان تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه بجنايتي من العقاب فوهب لي ربي حكما اي حكمة او
نبوة وجعلني من المرسلين رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه
من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة
نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي تلك التربية نعمة تمن علي بها
ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي
عندك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي اوتلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت
بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من نعمة والجر باضمار الباء او النصب
بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف
والفرار منه ومن ملائه قال فرعون لما سمع منه عليه الصلوة والسلام المبينة وشاهد تصلبه
في امره وعدم تاثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع في الاعتراض على دعواه عليه الصلوة والسلام
فبدا بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين حكاية لما وقع في عبارته عليه الصلوة
والسلام اي اي شيء رب العالمين الذي ادعيت انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين رب سواه حسبما
يعرب عنه قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري وينطق به وعيده عند تمام اجوبته عليه الصلوة
والسلام قال موسى عليه الصلوة والسلام مجيبا له رب السموات والارض وما بينهما تعيين لما اراد
بالعالمين وتفصيل لها لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين
على ما تحت مملكته ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها علمتم ذلك وان كنتم موقنين بشيء من

الجاهلين

الاشياء فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله قال اي فرعون عند سماع جوابه تخوفا من تاثيره
في قلوب قومه واذعانهم له لمن حوله من اشراف قومه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكانوا خمسمائة
عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون منبها لهم ان ما سمعوه من جوابه عليه الصلاة
والسلام مع كونه مما لا يليق بان يعتد به امر حقيق بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون ما يقوله فاسمعوه
وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف ما تحقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه قال عليه الصلاة والسلام
صريحا بما كان منه مرجا مخشنا جوابه بالسابقين ربكم ورب آبائكم الاولين وحطا له عن ادعاء
الربوبية الى مرتبة المربوبية قال فرعون لما واجهه موسى عليه الصلاة والسلام بما ذكر غاظه ذلك
وخاف من تأثيره فيهم من نفاذ اذهانهم بما قاله عليه الصلاة والسلام مما لا يصدر عن العقلاء جحدا لهم
فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء بحرف التاكيد ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليفتنهم بذلك
ويصدهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء والاضافة الى المخاطبين ترفعا من ان يكون
مرسلا الى نفسه قال عليه الصلاة والسلام رب المشرق والمغرب وما بينهما قال عليه السلام
تكملة لجوابه الاول وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته تعالى
للسموات والارض وما بينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه
تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغييرات احوالها واوضاعها وكون الارض تارة مظلمة واخرى
منورة الى الله تعالى ارشدهم الى طريق معرفة ربوبيته تعالى بما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق
الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة
وكل ذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا الذوات السموات والارض التي ربما يتوهم جهلة
المتوهمين باستمرارها استغناءها عن الموجد المتصرف ان كنتم تعقلون اي ان كنتم تعقلون شيئا
من الاشياء او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بانه يتضح الامر بحيث لا يشتبه
على من له عقل في الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه الصلاة والسلام
به من الجنون قال لما سمع اللعين منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالات المبينة لتعالي اساليب الحكمة البالغة
وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية امره وانه ممن لا يجارى في حلبة المحاورة ضرب صفحا
عن المقاولة بالانصاف ونأى بجانبه الى عدوة الحيف والاعتساف فقال متوعدا لما كان يضيق عند السؤال
والجواب لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين لم يقنع منه عليه الصلاة والسلام بترك
دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه الصلاة والسلام بان يتخذه الها لغاية عتوه وغلوه
فيما يدعيه من دعوى الالوهية وهذا صريح في ان تعجبه وتعجيبه من الجواب الاول ونسبته عليه الصلاة والسلام
الى الجنون وانما ما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه لكان لعدم مطابقته له لكونه
بذكر احواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله واللام في المسجونين للعهد اي لاجعلنك
ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك قال اولو
جئتك بشيء مبين اي اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي موضح بصدق دعواي يريد به المعجزة
فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على
يده والتعبير عنها بالشيء للتهويل قالوا الواو في اولو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام اي
جائيا بشيء مبين اي موضح بصدق دعواي يريد به المعجزة وقد سلف مرارا انها للعطف وكلمة
لو ليست لانتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فلا يلاحظ لها جواب قد حذف لعدم تعويل على
دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية

هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر ثبوته او انتفاؤه معه او ثبوته
او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق
مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على
نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر
من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان
تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله المفروضة لتعلق الحكم بابعدها منه ليظهر بتحققه
معه تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا تنافيه وبين الحكم بطريق الاولوية ولهذا لا يصح
للاكتفاء بذكر الواو العاطفة عن تفصيلها كانك قلت فلان جواد يعطي ولو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا
اي يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين
لا المذكورة وحدها والحال وتضمين الجملة ما ذكرنا من دون ان ليس لبيان استبعاده في نفسه
بل بالنسبة الى فرعون والمعنى اتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي بشيء مبين وحال مجيئي به قال
فأت به ان كنت من الصادقين اي فيما يدل عليه كلامك من انك تأتي بشيء مبين موضح
بصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر ثعبانيته لا انه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان
من ثعبت الماء فانثعب اي فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الاعراف وسورة
طه ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما رأى فرعون الآية الاولى قال
فهل لك غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم
نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله اي مستقرين حوله
فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في فن السحر يريد ان يخرجكم بما صنع
من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء
الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بأمرهم والى مقام مؤامرتهم بعد
ما كان مستقلا في الرأي والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة
الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه الصلاة والسلام قالوا ارجه واخاه اخر
امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين اي شرطا يحشرون السحرة يأتوك
اي الحاشرون بكل سحار عليم فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم
معلوم هو ما عينه موسى عليه الصلاة والسلام بقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس
ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون قيل لهم ذلك استبطاء لهم في الاجتماع وحثا لهم على المبادرة
اليه لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لا موسى عليه الصلاة والسلام لكنهم ساقوا
كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
ائن لنا لاجرا اي لاجرا عظيما ان كنا نحن الغالبين لا موسى عليه الصلاة والسلام
قال نعم وانكم مع ذلك اذا لمن المقربين عندي قيل قال لهم تكونون اول من يدخل علي وآخر
من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين وهو لغة فيه قال لهم موسى اي بعدما قالوا له اما ان
تلقي واما ان نكون اول من القى القوا ما انتم ملقون ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في
تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم وعصيهم

وقالوا اي عند قال او عند الالقاء بعزة فرعون انا لنحن الغالبون قالوا ذلك لفرط
اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي
تلقف اي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التاءين من تتلقف ما يافكون
اي ما يقلبونه عن وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها
حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين اي اثر ما شاهدوا ذلك
من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كأنما كان ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود
السحر وانه امر الهي قد ظهر على يده عليه الصلوة والسلام لتصديقه وفيه دليل على ان قصارى
ما ينتهي اليه همم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شي لا حقيقة له قالوا آمنا برب العالمين
بدل الاشتمال من القي او حال باضمار قد وقوله تعالى رب موسى وهرون بدل من رب العالمين للتوضيح
ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك والاشعار بان الموجب لايمانهم
ما اجراه تعالى على ايديهما من المعجزة القاهرة قال اي فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم
اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن او متوقع
انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون شي فلذلك غلبكم اراد
بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ أأمنتم بهمزتين
فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم
اجمعين بيان لما اوعدهم به قالوا اي السحرة لا ضير اي لا ضرر فيه علينا وقوله تعالى انا الى ربنا
منقلبون تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه
لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد
لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى انا نطمع ان
يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين اي لان كنا اي من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل
ثان لنفي الضير اي لا ضير علينا في ذلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا اول المؤمنين وقرئ
ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره كقول العامل المتأجر
ان كنت عملت لك فوفني اجري واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد بضع سنين
اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة
الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الآيات وقرئ بكسر النون ووصل الالف من
سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده
مصبحين فاسر بمن معك حتى لا يدركوكم قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم
فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بمسيرهم في المدائن حاشرين جامعين العساكر ليتبعوهم
ان هؤلاء يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم وهم ستمائة وسبعون الفا بالاضافة
الى جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان وعلى راسه بيضة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث وانهم لنا لغائظون
اي فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون يريد انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم
ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال
الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى
اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاولى الدالة على التجدد والثانية

على الثبات

على الثبات وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقوياء واشداء
وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم فاخرجناهم من جنات وعيون
وكنوز ومقام كريم كانت لهم جملة ذلك كذلك اما مصدر تشبيهي لاخرجنا اي مثل ذلك الاخراج
العجيب اخرجناهم او صفة لمقام كريم اي مقام كريم مثل ذلك المقام او خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك
واورثناها بني اسرائيل اي ملكناها اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كأنهم ملكوها
من حين خروج اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم
مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس اي طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث راى
كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون وبالجملة
الاسمية مؤكدة بحرفي التاكيد للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدركون
بتشديد الدال من ادرك الشيء اذا تتابع اي متتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا ارتدع
عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معي ربي بالنصرة والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة
منهم بالكلية روي ان يوشع عليه الصلوة والسلام قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون
والبحر امامنا قال عليه الصلوة والسلام هاهنا فخاض يوشع عليه الصلوة والسلام الماء وضرب
موسى عليه الصلوة والسلام بعصاه البحر فكان ما كان وروي ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي
موسى عليه الصلوة والسلام فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت
بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك
البحر القلزم او النيل فانفلق الفاء فصيحة اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الاسباط
بينهن مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها
كل سبط في شعب منها وازلفنا اي قربنا ثم الآخرين اي فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم
مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا الى البر
ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك اي في جميع ما فصل مما صدر عن موسى عليه الصلوة
والسلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة وفيما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل
بهم من العذاب والنكال وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتهويل المشار اليه وتفظيعه وتنكير الآية
في قوله تعالى لآية اي آية وآية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لان يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا
شان النبي صلى الله عليه وسلم بشان موسى عليه الصلوة والسلام وحال انفسهم بحال اولئك
ويجتنبوا ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا
يحل بهم مثل ما حل باولئك وان ما فصل من القصة من حيث حكايته عليه الصلوة والسلام اياها
على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لآية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة
للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه الصلوة والسلام وما كان اكثرهم اي اكثر هؤلاء
الذين سمعوا قصتهم منه عليه الصلوة والسلام مؤمنين لا بان يقيسوا شانه بشان موسى عليه الصلوة
والسلام وحال انفسهم بحال اولئك المكذبين المهلكة ولا بان يتدبروا في حكايته عليه الصلوة والسلام
لقصتهم من غير ان يسمعها من احد مع كون كل من الطريقين مما يؤدي الى الايمان قطعا ومعنى وما كان
اكثرهم مؤمنين وما اكثرهم مؤمنين على ان كان زائدة كما هو راي سيبويه فيكون كقوله تعالى وما كان
اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الآيات
الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين

فقد كذبوا اي بالحق وايثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرار عدمه عليهم
ومعنى ان تجعل كان بمعنى صار كما قيل في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم
مؤمنين بما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له مما ذكر من الطريقين لكون الايجاد بعده الصيرورة
قبل الحدوث لله لا يتصور كما لا يخفى وتقرير ما مضى في قوله تعالى الى ان الله الآية وان ربك لهو العزيز
الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم البالغ في الرحمة ولذلك
يمهلهم ولا يعجل بعقوبتهم بعد ايمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الالجاء كما
استحقاقهم لذلك هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة الى آخر
القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة اقتضاء بيناً لا ريب فيه واما ما قيل من ان ضمير اكثرهم
لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم والمعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا
آسية وحزقيل ومريم ابنة ياموشى التي دلت على تابوت يوسف عليه الصلوة والسلام وبنو اسرائيل
بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من
التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه
الصلوة والسلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بايديهم
من الآيات العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من
التكذيب فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يحكى عنهم
عدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم وعد المؤمنين من جملتهم ولا باخراجهم منهم
نحو امع عدم مشاكلتهم في شيء مما حكى عنهم من الجنايات اصلاً مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله
فتدبر واتل عليهم عطف على المضمر العامل في اذ نادى الخ اي واتل على المشركين نبأ
ابراهيم اي خبره العظيم الشان حسبما اوحي اليك لتقفهم على ما ذكر من عدم ايمانهم بما يأتيهم من
الآيات باحد الطريقين اذ قال منصوب اما على الظرفية لنبأ ابراهيم اي نبأه وقت قوله لابيه وقومه
او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبأ اي واتل عليهم وقت قوله لهم ما تعبدون على ان المتلو
ما قاله لهم في ذلك الوقت سالهم عليه الصلوة والسلام عن ذلك ليبني على جوابهم ان ما يعبدونه
بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية قالوا نعبد اصناماً فنظل لها عاكفين لم يقتصروا
على الجواب الكافي بان يقولوا اصناماً كما في قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى
ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على
اصنامهم قصداً الى ابراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظل
الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة
معنى الزيادة كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها او مستديرين حولها وهذا ايضاً
من جملة اطنابهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم اي
هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيداً يقول كيت وكيت
فحذف لدلالة قوله تعالى اذ تدعون عليه وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع اي هل يسمعونكم شيئاً
من الاشياء او الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية
الحال الماضية لاستحضار صورتها كأنه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم
تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم بسبب عبادتكم لها او يضرون
اي يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة

فيهما من جلب نفع او دفع ضر قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بانها
بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار ان لا سند لهم
سوى التقليد اي ما علمنا او ما رأينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون
اي مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون اي انظرتم
فابصرتم او تأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون حق الابصار او حق العلم
وقوله تعالى فانهم عدو لي بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم
بذلك اي فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما انهم يتضررون
من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان المغري لهم على عبادتهم والحامل لهم عليها
الشيطان الذي هو اعدى عدو الانسان لكنه عليه الصلوة والسلام صور الامر في نفسه
تعريضاً بهم على انه انفع في النصيحة من التصريح واشعاراً بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون
ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم
عدو تشبيهاً بالمصادر الموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين
استثناء منقطع اي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل
علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج
على ان الضمير لكل معبود وكان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى الذي خلقني صفة
لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده خبره غير حقيق بجلالة التنزيل حسبما يعرب عنه
ما وصفه تعالى به من الاحكام فانما وصفه تعالى بذلك وبما عطف عليه مع اندراج الكل تحت
ربوبيته تعالى للعالمين تصريحاً بالنعم الخاصة به عليه الصلوة والسلام وتفصيلاً لها
لكونها ادخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع
المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى فهو يهدين اي فهو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني
من امور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ
عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له من امور المعاش والمعاد
هداية متدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره
اما طبعاً واما اختياراً ومبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث
ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم والذي هو يطعمني ويسقين عطف
على الصفة الاولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل
المشتملة على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل
في استيجاب الحكم حقيق بان يجري عليه تعالى بحياله ولا يجعل من روادف غيرها واذا مرضت فهو
يشفين عطف على يطعمني ويسقين ونظمه معهما في سلك واحد لاخذ الصلة للموصول الواحد
لما ان الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالباً ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله
تعالى مع انهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه الصلوة والسلام فاردت ان
اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الاماتة حيث كانت من معظم خصائصه تعالى
كالاحياء بدءاً واعادة وقد نيطت امور الآخرة جميعاً بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد
في قوله تعالى والذي يميتني ثم يحيين على ان الموت لكونه ذريعة الى نيله عليه الصلوة والسلام
الحيوة الابدية بمعزل من ان يكون غير مطبوع عنده عليه الصلوة والسلام والذي اطمع ان يغفر لي

خطيئتي يوم الدين ذكره عليه الصلاة والسلام هضماً لنفسه وتعليماً للامة
ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب المغفرة لما يفرط منهم وتلافياً لما عسى يندر منه
عليه الصلاة والسلام من الصغائر وتنبيهاً لابيه وقومه على ان يتأملوا في امرهم فيقفوا على
انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه الصلاة والسلام مع كونه في طاعة
الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين
في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلث اعني قوله اني سقيم بل فعله كبيرهم
وقوله لسارة هذه اختي مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى
الاستغفار انما صدرت عنه عليه الصلاة والسلام بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين
قومه اما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه الصلاة والسلام الى الشام واما
الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم
كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها يومئذ
يتبين ولان في ذلك تهويلاً له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر رب هب لي حكما بعدما
ذكر عليه الصلاة والسلام فنون الالطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه الى يوم
بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة التي هي الكمال
في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني
من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين
عن كبائر الذنوب وصغائرها او اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد اجابه تعالى حيث قال وانه في
الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي جاهاً وحسن صيت في الدنيا
بحيث يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة ومثنية عليه او صادقاً من
ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عليه
وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انا دعوة ابي ابراهيم عليه الصلاة والسلام واجعلني في
الآخرة من ورثة جنة النعيم وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم واغفر لابي بالهداية
والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله تعالى انه كان من الضالين اي طريق الحق وقد مر
تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت
او بنقص رتبتي عن بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلاً وكل ذلك
مبني على هضم النفس منه عليه الصلاة والسلام او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين
بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون اي الناس
كافة والاضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين
مما يخل بتهويل اليوم يوم لا ينفع مال ولا بنون بدل من يوم يبعثون جيء به تاكيداً للتهويل
وتمهيداً لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع مال وان كان مصروفاً في الدنيا
الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستاهلين للشفاعة احداً الا من اتى الله
بقلب سليم اي من مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تأييد لكون
استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه طلباً لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته
بعد موته كافراً مع علمه عليه الصلاة والسلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء
من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من او بنو من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس

المستثنى

المستثنى منه تحقيقاً بل يصوب بالاعتبار كما في قولك تحية بينهم ضرب وجيع اي الا حال
من اتى الله بقلب سليم على انها عبارة عن سلامة حال من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه
المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كأنه قيل لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله الآية لان غنى المرء في دينه
بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة من اتى الله تنفعه وازلفت الجنة للمتقين
عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق
الوقوع وتقرره كما ان صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه
حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها
من الموقف فيقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم
للغاوين الضالين عن طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها
مع ما فيها من انواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفاً
وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله في الدنيا اي اين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا
انهم شفعاؤكم في هذا الموقف هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه
عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل فكبكبوا فيها اي القوا
في الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا في قعرها هم اي آلهتهم والغاوون
الذين كانوا يعبدونهم وفي تأخير ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز الى انهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا
سوء حالها فيزدادوا غماً الى غمهم وجنود ابليس اي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون
اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في
العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه
اجمعون تاكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى قالوا الخ استئناف وقع جواباً
عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قالوا اي العبدة
وهم فيها يختصمون اي قالوا معترفين بخطاياهم في انهماكهم في الضلال متحسرين معيرين
لانفسهم والحال انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوداتهم
على ان الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على النطق والفهم تالله
ان كنا لفي ضلال مبين ان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام
فارقة بينها وبين النافية اي ان الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح
للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان خطئهم في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه
تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين ظرف
لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه
ضعف صناعي من حيث ان المصدر المحذوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة الماضية اي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم
ايتها الاصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وقوله
وما اضلنا الا المجرمون بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على
معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب
اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تعالى ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل وعن السدي رحمه الله الاولون الذين اقتدوا بهم وايا ما كان

فيه او في نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس
وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي **فما لنا من شافعين** كما للمؤمنين
من الملائكة والانبياء عليهم الصلوة والسلام **ولا صديق حميم** كما نرى لهم اصدقاء او
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء على ان عدمهما كناية
عن عدم نفعهما لما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما
ينبئ عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين اي وقعنا في مهلكة
لا يخلصنا منها هنا شافع ولا صديق على ان المراد بعدمهما عدم آثارهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء
عادة كما ان افراد الصديق لقلته او لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر
كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى **فلو ان لنا كرة** للتمني لما بين معنييهما تلاقيا
بين العرض والتقدير كأنه قيل فليت لنا كرة اي رجعة الى الدنيا وقيل هي على اصلها من الشرط
وجوابه محذوف كأنه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ويأباه قوله تعالى **فنكون
من المؤمنين** لتعلقه بجواب التمني فيكون الترتيب ايمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف
كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة اللبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه
كون لو على اصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير دلالة
على استلزام الكرة للايمان اصلا مع انه المقصود حتما **ان في ذلك** اي فيما ذكر من نبأ ابراهيم عليه
الصلوة والسلام المشتمل على بيان بطلان ما كانوا عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل
ما يؤول اليه امر عبدتها يوم القيامة من اعترافهم بخطائهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم
من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا مؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلفت لهم من جنات النعيم
وبرزت لانفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب **لآية** اي آية عظيمة لا تقادر
قدرها موجبة على عبدة الاصنام كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابراهيم عليه
الصلوة والسلام ان يجتنبوا كل الاجتناب عما كانوا فيه من عبادتها خوفا ان يحيق بهم مثل ما حاق
باولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه وان ذكر نبائه متلوه عليهم على ما هو عليه من غير ان
تسمعه من احد لآية عظيمة دالة على ان ما يتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة
للايمان به قطعا **وما كان اكثرهم مؤمنين** اي اكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم
مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم عليه الصلوة والسلام
كما اطبقوا طغيانا وكفرا حتى اجمعوا على تلك العظيمة التي فعلوا به عليه الصلوة والسلام فكيف يعبر
عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما آمن له لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشام وقد مر تحقيق الكلام في آخر
قصة موسى عليه الصلوة والسلام **وان ربك لهو العزيز الرحيم** اي هو القادر على تعجيل العقوبة
لقومك ولكنه يمهلهم بحكمته البالغة لكي يؤمن بعض منهم او من ذرياتهم **كذبت قوم نوح المرسلين**
القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار
اجماع الكل على التوحيد واصول الشرايع التي لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد
بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود ومآله الاشارة الى وحدة واذ في قوله تعالى
اذ قال لهم ظرف للتكذيب على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما
ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه الصلوة والسلام الى انتهائها **اخوهم**
اي نسيبهم **نوح الا تتقون** الله حيث تعبدون غيره **اني لكم رسول** من جهته تعالى **امين**

مشهور

مشهور بالامانة فيما بينكم **فاتقوا الله واطيعون** فيما آمركم به من التوحيد والطاعة
لله تعالى **وما اسألكم عليه** اي على ما انا متصد له من الدعاء والنصح **من اجر ان اجري**
فيما تولاه **الا على رب العالمين** والفاء في قوله تعالى **فاتقوا الله واطيعون** لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من تنزهه عليه الصلوة والسلام كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها
على امانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على ان كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة
فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون الياء **قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون** اي الاقلون
جاها ومالا جمع الارذل على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل
جمع ارذل جمع رذل كالاكلب والكلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد والشهاد وهو
جمع تبع كبطل وابطال يعنون بانه لا عبرة لاتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل واصابة راي وقد
كان ذلك منهم في بادي الرأي كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم انظارهم على
حطام الدنيا وكون الاشرف عندهم من هو اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند
الله جناح بعوضة وان النعيم هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه **قال وما علمي
بما كانوا يعملون** جواب عما اشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اي وما وظيفتي الا اعتبار
الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم **ان حسابهم** اي
ما محاسبة اعمالهم والتنقير عن كيفياتها البارزة والكامنة **الا على ربي** فانه المطلع على
السرائر والضمائر **لو تشعرون** اي بشيء من الاشياء او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم
كذلك فتقولون ما تقولون **وما انا بطارد المؤمنين** جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء
طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى **ان انا الا نذير
مبين** كالعلة له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء
كانوا من الاعزاء او الاذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم
بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد الآخرين **قالوا لئن لم تنته يا نوح**
عما تقول **لتكونن من المرجومين** من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوا قاتلهم الله تعالى في
اواخر الامر ومعنى قوله تعالى **قال رب ان قومي كذبون** مصرا على تكذيبي واصروا على ذلك
بعد ما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله
فافتح بيني وبينهم فتحا اي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية
لدعائه المفصل في سورة نوح **ونجني ومن معي من المؤمنين** اي من قصدهم او من شؤم اعمالهم
فانجيناه ومن معه حسب دعائه **في الفلك المشحون** اي المملوء بهم وبما لا بد لهم منه **ثم اغرقنا
بعد** اي بعد انجائهم **الباقين** اي من قومه **ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم** الكلام فيه كالذي مر خلا انه لم يحمل اكثرهم على اكثر قوم نوح لعدم السداد
وبعد **كذبت عاد المرسلين** انث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم ابيهم الاقصى **اذ قال لهم اخوهم
هود الا تتقون** الكلام في ان المراد بتكذيبهم ما وقع فيه من الزمان الممتد كما في قصة نوح عليه
الصلوة والسلام اي الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون **اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين** الكلام فيه كالذي مر
وتصدير القصص به للتنبيه على ان مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب
المدعو الى الثواب ويبعده عن العقاب وان الانبياء عليهم الصلوة والسلام مجمعون على ذلك وان

اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الأزمنة والأعصار فإنهم منزهون عن المطامع
الدنية والأغراض الدنيوية بالكلية أتبنون بكل ريع أي مكان مرتفع ومنه ريع الأرض لارتفاعها آية
علماً للمارة تعبثون ببنائها إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها أو بروج الحمام
أو بنياناً يجتمعون إليه للعبث بمن يمر عليهم أو قصوراً عالية يفتخرون ببنائها وتتخذون مصانع
أي مآخذ الماء وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً لعلكم تخلدون أي راجين أن تخلدوا في الدنيا
أي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها وإذا بطشتم بسوط أو سيف بطشتم
جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا
هذه الأفعال وأطيعون فيما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون من أنواع
النعماء وأصناف الآلاء أجملها أولاً ثم فصلها بقوله أمدكم بأنعام وبنين بإعادة الفعل لزيادة
التقرير فإن التفصيل بعد الإجمال والتفسير إثر الإبهام أدخل في ذلك وجنات وعيون إني أخاف
عليكم إن لم تقوموا بشكر هذه النعم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فإن كفران النعمة مستتبع للعذاب
كما أن شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد قالوا
سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين فإنا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله
للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كأنهم قالوا أم لم تكن من أهل الوعظ ومباشرته أصلاً إن
هذا أي ما هذا الذي جئتنا به إلا خلق الأولين أي عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه
أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي
نحن عليه من الموت والحياة والإعادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الأولين بفتح الخاء
أي اختلاق الأولين كما قالوا أساطير الأولين أي ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا
ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه من الأعمال فكذبوه أي أصروا على ذلك
فأهلكناهم بسببه بريح صرصر إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز
الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون الله تعالى إني لكم رسول
أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون
فيما هاهنا آمنين إنكار لأن يتركوا فيما هم فيه من النعمة أو تذكير للنعمة في تخليته تعالى إياهم
وأسباب تنعمهم آمنين وقوله تعالى في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير
لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر أو لأن النخل أنثى وطلع إناث النخل ألطف وهو ما يطلع
منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو ومتدل منكسر من كثرة الحمل وإفراد النخل لفضله على
سائر أشجار الجنات أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين بطرين
حاذقين من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو أبلغ فاتقوا
الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الأمر
وارتسامه أو نسب حكم الآمر إلى أمره مجازاً الذين يفسدون في الأرض وصف موضح لإسرافهم
ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان خلوص إفسادهم عن مخالطة الإصلاح قالوا
إنما أنت من المسحرين أي الذين سحروا حتى غلب على عقلهم أو من ذوي السحر أي الرئة من الإنس فيكون قوله
ما أنت إلا بشر مثلنا تأكيداً له فأت بآية إن كنت من الصادقين أي في دعواك قال هذه ناقة
أي بعدما أخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه الصلاة والسلام حسبما مر تفصيله في سورة الأعراف
وسورة هود لها شرب أي نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم

ولكم شرب

ولكم شرب يوم معلوم فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر
فيأخذكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب
فعقروها أسند العقر إلى كلهم لما أن عاقرها إنما عقرها برأيهم ولذلك عمهم العذاب فأصبحوا نادمين
خوفاً من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينتهم لمباديه ولذلك لم ينفعهم الندم وإن كان بطريق التوبة
فأخذهم العذاب أي العذاب الموعود إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك
لهو العزيز الرحيم قيل في نفي الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء إلى أنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم
لما أخذوا بالعذاب وأن قريشاً إنما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وأنت خبير بأن قريشاً
هم المشهورون بإيمان أكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون
إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب
العالمين أتأتون الذكران من العالمين أي أتأتون من بين بني آدم من العالمين الذكران لا تشارككم
فيه غيركم أو أتأتون من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء مع كونهن أليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين
على الأول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لأجل استمتاعكم
وكلمة من في قوله تعالى من أزواجكم للبيان إن أريد بها جنس الإناث وهو الظاهر أو للتبعيض
إن أريد بها العضو المباح منهن تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم أيضاً بل أنتم قوم
عادون متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد
الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط أي عن تقبيح أمرنا
ونهينا عنه أو عن دعوى النبوة التي من جملتها النبوة وأحكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين
أي من المنفيين من قريتنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال
إني لعملكم من القالين أي من المبغضين غاية البغض كأنه يقلي الفؤاد والكبد لشدته وهو أبلغ
من أن يقال إني لعملكم قال لدلالته على أنه عليه الصلاة والسلام من زمرة الراسخين في بغضه
المشهورين في قلاه ولعله عليه الصلاة والسلام أراد إظهار الكراهة من مساكنتهم والرغبة في الخلاص
من سوء جوارهم ولذلك أعرض عن محاورتهم وتوجه إلى الله تعالى قائلاً رب نجني وأهلي
مما يعملون أي من شؤم عملهم وغائلته فنجيناه وأهله أجمعين أي أهل بيته ومن اتبعه
في الدين بإخراجهم من بينهم عند مشارفة نزول العذاب بهم إلا عجوزاً هي امرأة لوط استثنيت
من أهله فلا يضره كونها كافرة لأن لها شركة في الأهلية بحق الزوج في الغابرين أي مقدراً كونها
من الباقين في العذاب لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم وقد أصابها الحجر في الطريق وأهلكها
كما مر في سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقي في القرية ولم تخرج مع لوط عليه الصلاة والسلام
ثم دمرنا الآخرين أهلكناهم أشد الإهلاك وأفظعه وأمطرنا عليهم مطراً أي مطراً غير معهود
وقيل أمطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فأهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس وبه
يتسنى وقوع المضاف إليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم إن في ذلك لآية وما
كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين الأيكة الغيضة
التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فكانوا ممن بعث إليهم شعيب عليه الصلاة
والسلام وكان أجنبياً منهم ولذلك قيل إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ولم يقل أخوهم وقيل الأيكة
الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك
مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم وإنما كتبت هاهنا وفي ص بغير ألف اتباعاً للفظ الملفوظ إني لكم

رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل أي أتموه ولا تكونوا من المخسرين أي حقوق الناس بالتطفيف وزنوا أي الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو إن كان عربيا فإن كان من القسط ففعلاس بتكرير العين فالا فعلال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس أشياءهم أي لا تنقصوا شيئا من حقوقهم أي حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا في الأرض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين أي وذوي الجبلة الأولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالطلة قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا إدخال الواو بين الجملتين للدلالة على أن كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب وإن نظنك لمن الكاذبين أي فيما تدعيه من النبوة فأسقط علينا كسفا من السماء أي قطعا وقرئ بسكون السين وهو أيضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة والمراد بالسماء إما السحاب أو المظلة ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد إن كنت من الصادقين في دعواك ولم يكن طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه قال ربي أعلم بما تعملون من الكفر والمعاصي وبما تستحقون بسببه من العذاب فسينزله عليكم في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه أي فتموا على تكذيبه وأصروا عليه فأخذهم عذاب يوم الظلة حسبما اقترحوا أما إن أرادوا بالسماء السحاب فظاهر وأما إن أرادوا المظلة فلأن نزول العذاب من جهتها وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة دون نفسها إيذان بأن لهم يومئذ عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام ولياليها فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شرب فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روي أن شعيبا عليه الصلاة والسلام بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكت مدين بالصيحة والرجفة وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم أي في الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع التي أوحيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه الصلاة والسلام عن الحرص على إسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر في مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الآية فإن كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد أتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان أكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة لا بأن يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة من الدواعي إلى الإيمان والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بأن يتأملوا في شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بأنه عليه الصلاة والسلام لم يسمع شيئا منها من أحد أصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كأن لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق في خاتمة قصة موسى عليه الصلاة والسلام وإنه أي ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية أو القرآن الذي هي من جملته لتنزيل رب العالمين أي منزل من جهته سمي به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية العالمين للإيذان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين نزل به أي أنزله الروح الأمين أي جبريل عليه الصلاة والسلام فإنه أمين وحيه تعالى وموصله إلى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وقرئ بتشديد الزاي ونصب

الروح والأمين أي جعل الله تعالى الروح الأمين نازلا به على قلبك أي روحك وإن أريد به العضو فتخصيصه به لأن المعاني الروحانية تنزل أولا على الروح ثم تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق ثم تصعد إلى الدماغ فتنتقش بها لوح المتخيلة لتكون من المنذرين متعلق بنزل به أي أنزله لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات الهائلة وإيثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه الصلاة والسلام في سلك أولئك المنذرين المشهورين في حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر بلسان عربي مبين واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو أيضا متعلق بنزل به وتأخيره للاعتناء بأمر الإنذار والإيماء إلى أن تمام كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم الصلاة والسلام مجرد إنزاله عليه الصلاة والسلام لا إنزاله باللسان العربي وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدي إلى أن غاية الإنزال كونه عليه الصلاة والسلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى في باب الإنذار ما أنذره نوح وموسى عليهما الصلاة والسلام وأشد الزواجر تأثيرا في قلوب المشركين ما أنذره إبراهيم عليه الصلاة والسلام لانتمائهم إليه وادعائهم أنهم على ملته الصلاة والسلام وإنه لفي زبر الأولين أي وإن ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة فإن أحكامه التي لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الأعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح أولم يكن لهم آية الهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل أغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل من رب العالمين وأنه في زبر الأولين على أن لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به أو بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله تعالى أن يعلمه علماء بني إسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أي أن يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من أنزل عليه وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز أن تكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو بنظمه الرائق المعجز على بعض الأعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الأعجميين وفي لفظ البعض إشارة إلى كون ذلك واحدا فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين مع انضمام إعجاز القراءة إلى إعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة وقيل ولو نزلناه على بعض الأعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فإنه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد كذلك سلكناه أي مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه أي أدخلنا القرآن في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وأنه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الإخبار عن الغيب وقد انضم إليه اتفاق أهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها للبشارة بإنزاله وبعثة من أنزل عليه بأوصافه وقوله تعالى لا يؤمنون به جملة مستأنفة مسوقة لبيان أنهم لا يتأثرون بأمثال تلك الأمور الداعية إلى الإيمان به بل لا يزيدهم

الايمان فيأتيهم بغتة اي فجأة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل
نحن منظرون تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافي ما فرطوه وقيل معنى [illegible]
سبحانه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر والتكذيب سلكناه وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى
لا يؤمنون به في موضع الايضاح والتلخيص له او موقع الحال او سلكناه فيها غير مؤمن به والاول
هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتآخذ مبادي
الهداية والارشاد وانقطاع اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بقوله
تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد [illegible]
الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين افبعذابنا يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم وقولهم فأتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون
بعذابنا كما وصف من طلب الانظار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايكون حالهم كما
ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على احد
او يغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان بان
سبب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابهم مع ما فيه من رعاية الفواصل افرأيت لما كانت
الرؤية من اقوى اسباب الاخبار بالشيء واشهرها شاع استعمال ارأيت في معنى اخبرني والخطاب
لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض
للتوبيخ والتبكيت وهي متقدمة في المعنى على الهمزة وتأخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة
كما هو رأي الجمهور اي فاخبرني ان متعناهم سنين متطاولة الاعمار وطيب المعاش ثم
جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم اي اي شيء او اي اغناء اغنى عنهم
ما كانوا يمتعون اي كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على ان ما مصدرية او ما كانوا يمتعون به من متاع
الحياة الدنيا على انها موصولة حذف عائدها واياما كان فالاستفهام للانكار والنفي وقيل ما نافية
اي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق لصورة
الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كأن كل من شأنه الخطاب قد كلف ان
يخبر بان تمتيعهم ما افادهم واي شيء اغنى عنهم فلم يقدر واحد على ان يخبر بشيء من ذلك اصلا وقرئ
يمتعون من الامتاع وما اهلكنا من قرية من القرى المهلكة الا لها منذرون قد انذروا
اهلها الزاما للحجة ذكرى اي تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار
كأنه قيل مذكرون ذكرى والرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم
في التذكرة او خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها بعمومها الواقع في
حيز النفي على معنى ان لكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر واحد او اكثر وما كنا ظالمين
فنهلك غير الظالمين وقيل الانذار والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان اهلاكهم قبل الانذار
ليس بظلم اصلا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام
للعبيد وما تنزلت به الشياطين رد لما زعمه الكفرة في حق القرآن الكريم من انه من قبيل ما يلقيه الشياطين
على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين وما ينبغي لهم اي وما يصح وما يستقيم لهم ذلك
وما يستطيعون ذلك اصلا انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانتفاء المشاكلة بينهم وبين
الملائكة في صفات الذات والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية

والمعارف

والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما
لا خير فيه اصلا من فنون الشرور فاين هم من تلقي مواحي القرآن الكريم المنطوي على الحقائق الرائقة
الغيبية التي لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم الصلاة والسلام فلا تدع مع الله الها آخر
فتكون من المعذبين خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه
عليه الصلاة والسلام تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان
ان الاشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه وانذر
العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي عشيرتك الاقربين اي الاقرب منهم فالاقرب
فان الاهتمام بشأنهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى
اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد
مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر يا حفصة
بنت عمر يا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار
فاني لا اغني عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اي لين جانبك
مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين فان من اتبع
اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان والمصدقون
باللسان فحسب فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون اي مما تعملونه او من
اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من
يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم
اي الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما
نسخ فرض قيام الليل طاف عليه الصلاة والسلام تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا
على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك
فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته
بعلمه بحاله عليه الصلاة والسلام التي بها يستأهل ولايته بعد ما عبر عنه بما ينبئ عن قهره
لاعدائه ونصره لاوليائه من وصف العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه الصلاة والسلام
انه هو السميع بما تقوله العليم بما تنويه وتعمله هل انبئكم على من تنزل الشياطين اي تتنزل
فحذف احدى التاءين وهو شروع في بيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزيلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على الاستفهام مبني على انها ليست
موضوعة للاستفهام بل الاصل ان يحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف
من هل والاصل اهل وقوله تعالى تنزل على كل افاك اثيم فصلت لنزولهم على كل من اتصف بالافك الكثير
والاثم الكثير من الكهنة والمتنبئة وتخصيصهم لهم لكونهم لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة عن ان يحوم حولها شائبة شيء من تلك الاوصاف اتضح
استحالة تنزلهم عليه عليه الصلاة والسلام يلقون السمع اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين
فيتلقون منهم اوهاما وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات
لا يطابق اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى واكثرهم كاذبون اي فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث
الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة او يلقون السمع اي المسموع

من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني واما في اكثره فهم كاذبون ومآل الكل ان اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين اي يلقون السمع اي المسموع من الملأ الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعون على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم وقصور فهمهم او ضبطهم وافهامهم ولا يساعده الحمل على القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملأ الاعلى قبل الرجم كما جوزه عليهم بوسمال ان يلقون كما صرح به انما حال من ضمير تنزل مفيد لمقارنته التنزل لا لقاء او استيناف مبين للغرض من التنزل مبني على السؤال عنه ولا ريب في ان القاء السمع الى الملأ الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن التنزل ويكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل لهما الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه وحمله على الاستيناف والاخبار بحالهم كما فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم لم تكن قبل تغيير حالهم بحراسة التنزيل واما على التقدير يلقون لذلك فالكل متصف بكل ما ذكر لانه في معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين او القاء المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استينافا اخبارا بحالهم على كلا التقديرين لما ان كلا من تلقيهم من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استينافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كانه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى **والشعراء يتبعهم الغاوون** استيناف مسوق لابطال ما قالوا في حق القرآن العظيم من انه من قبيل الشعر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء لمنافية حاله صلى الله عليه وسلم بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة لحاله عليه الصلاة والسلام والمعنى ان الشعراء يتبعهم اي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الاقوال والافعال والاحوال لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى **ألم تر انهم في كل واد يهيمون** استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء اي الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في مهامه المفاوز والسفاهة ويتيهون في تيه الجهالة والوقاحة ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية والتشبيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفي الافراط والتفريط في المدح والهجاء **وانهم يقولون ما لا يفعلون** من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة

مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه عليه الصلاة والسلام من ان يكون من الشعراء ان اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه عليه الصلاة والسلام منهم بكون اتباعه عليه الصلاة والسلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعري وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد عليه الصلاة والسلام وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بتسكين العين تشبيها لبعه بعضد **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا** استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن ابي سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك **وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون** تهديد شديد ووعيد اكيد لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد تلاه ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل تسعون وثلاث آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذه طس اي مسمى به والاشارة الى السورة وقد مر وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك **تلك** اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها لا الى آياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها تأبى اضافتها الى القرآن كما سيأتي وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره **آيات القرآن** والجملة مستأنفة مقررة لما افاده التسمية من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب اي تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشأن اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص **وكتاب** اي كتاب عظيم الشأن **مبين** مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام

واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب وسبيل الرشد والغي وفارق بين الحق والباطل
والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان ولقد فخم شأن التنزيل بما لا يخفى
فيه من وصفه القرآنية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب
عنه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المنبئة عن الاشتمال على صفات
كمال الكتب الالهية فكأنه كلها وقدم الوصف الاول نظرا الى تقدم حال القرآنية
مبنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر هاهنا هنالك من الوجه وما
قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه
لا يساعده اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة
اذ هما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين يجعلهم المؤمنون لا الى الناظرين
فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات كتاب مبين
هدى وبشرى للمؤمنين في حيز النصب على الحالية من الآيات على انهما مصدران اقيما مقام
الفاعل للمبالغة كأنهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة او هادية ومبشرة او الرفع
على انهما بدلان من الآيات او خبران آخران لتلك او لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم
وهم مهتدون انها تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
واما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها
نعيم مقيم وقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة صفة مادحة لهم
وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر
الاعمال الصالحة وقوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون جملة اعتراضية كأنه قيل
وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل
مشاق العبادات انما يكون لخوف العقاب ورجاء الثواب او هي من تتمة الصلة والواو حالية او عاطفة
لها على الصلة الاولى وتغيير نظمها للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه ان الذين
لا يؤمنون بالآخرة بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب
على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن زينا لهم اعمالهم القبيحة
حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله عليه الصلاة والسلام حفت
النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها في انفسها حالا واستتباعها لفنون المنافع
مآلا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم فهم يعمهون يتحيرون ويترددون
على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع
وضر او في الضلال لقلة اعراضهم عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب
ضد المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم
وتعكيسهم في الامور اولئك اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده اي اولئك
الموصوفون بالكفر والعمه الذين لهم سوء العذاب اي في الدنيا بالقتل والاسر يوم بدر
وهم في الآخرة هم الاخسرون اي اشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب
وانك لتلقى القرآن كلام مستأنف قد سيق بعد بيان بعض شؤون القرآن الكريم تمهيدا
لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي التأكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتؤتاه بطريق
التلقية والتلقين من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم وتفخيمهما تفخيم لشأن القرآن

وتخصيص

وتنصيص على طبقته عليه الصلاة والسلام في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق
فان من تلقى الحكم والعلوم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما
مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل وللاشعار بان ما في القرآن من
العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية
وقوله تعالى اذ قال موسى لاهله منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه
وسلم وامر بتلاوة بعض من القرآن الذي يلقاه عليه الصلاة والسلام من لدنه عز وجل تقريرا
لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم
ظلمة بالليل وقدح فاصلد زنده فبدا له من جانب الطور نارا اني آنست نارا سآتيكم منها
بخبر اي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتأكيد
الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه الصلاة والسلام الا امرأته لما كنى عنها بالاهل او للتعظيم
مبالغة في التسلية او آتيكم بشهاب قبس بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه
بمعنى مقبوس اي شعلة نار مقبوسة اي مأخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين
فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس
بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عليه الصلاة والسلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة
طه من صيغة الترجي والترديد للايذان بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر
وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين لعلكم تصطلون رجاء
ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك
معناه اي بورك على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف
عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة والضمير في فقدان التعويض بلا
وقد والسين او سوف ان الدعاء يخالف غيره في كثير من الاحكام من في النار ومن حولها
اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه نودي من شاطئ الوادي الايمن
في البقعة المباركة ومن حولها مكانها وقرئ تباركت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من
في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وكفاتهم احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى موسى فيها وقيل المراد
موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ديني
تنتشر بركاته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى عليه الصلاة والسلام
من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم
الشؤون ومن احكام تربيته تعالى للعالمين يا موسى انه انا الله استئناف مسوق لبيان آثار البركة
المذكورة والضمير للشان وانا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان له
وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزات اي انا
القوي القادر على ما لا يناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما
افعل بحكمة بالغة وتدبير رصين والق عصاك عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء
اي نودي ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق به في قوله تعالى وان الق عصاك بتكرير حرف
التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر والفاء في قوله تعالى فلما
رآها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها

كما في قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه بعد قوله تعالى اخرج عليهن كأنه قيل فالقاها فانقلبت حية
تسعى فلما ابصرها متحركة بسرعة واضطراب وقوله تعالى كأنها جان اي حية خفيفة سريعة
الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل تهتز كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل
وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اي
لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك الامر اريد
به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله تعالى اني لا
يخاف لدي المرسلون فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات بل حين
يوحي اليهم لوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شئون الله عز وجل لا يخطر ببالهم
خوف من احد اصلا واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه وتعالى او لا يكون لهم
عندي سوء عاقبة ليخافوا منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء
منقطع استدرك به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت منه صغيرة
مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم وان صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا
عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه
الصلاة والسلام من وكز القبطي والاستغفار وتسميته ظلما لقوله عليه الصلاة والسلام
رب ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك لانه كانت مدرعة صوف لا كم لها
وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اي آفة كبرص في تسع آيات
في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والطمس
والجدب في بواديهم والنقص في مزارعهم او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق
به الى فرعون وقومه وعلى الاول يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين
تعليل للارسال اي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم
موسى عليه الصلاة والسلام بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط
وضوحها وانارتها فانها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي
والعمى لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من ينظر اليها ويتأمل فيها وقرئ
مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها اي كذبوا
بها واستيقنتها انفسهم الواو للحال وقد استيقنتها اي علمتها انفسهم علما يقينيا لانفسهم
وليس بذلك ظلما وعلوا اي استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها وانتصابهما اما على العلية من جحدوا بها او على الحالية من فاعله اي جحدوا بها ظالمين لها
مستكبرين عنها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة
للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولقد آتينا
داود وسليمان علما كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من انه عليه الصلاة والسلام تلقى
القرآن من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما الصلاة والسلام من جملة القرآن الكريم الذي تلقاه
عليه الصلاة والسلام من لدنه تعالى كقصة موسى عليه الصلاة والسلام وتصديرها بالقسم
لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه اي آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والاحكام
وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير او علما سنيا غزيرا وقالا اي قال كل واحد
منهما شكرا لما اوتيه من العلم الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا من العلم على كثير من عباده

المؤمنين

المؤمنين على ان عبارة كل منهما فضلني الا انه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير
ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة جامعة
للكل مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر في
سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفاء ترتيب
حمد كل منهما على ايتاء ما اوتي كل منهما لا على ايتاء ما اوتي نفسه فقط وقيل بالعطف بالواو اشعارا
بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك فيهما ايتاء العلم وشيء
من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قيل ولقد آتيناهما فعملا به وعلماه وعرفا حق
النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وفيه اوضح دليل
على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه
ما اوتيا من الملك الذي لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على ان يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم الله من
فضله وان يتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم
عليم ونعما ما قال امير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود
اي النبوة والعلم والملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال تشهيرا
لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة الباهرة التي اوتيها يا ايها
الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء المنطق في التعارف كل لفظ يعبر عما في الضمير مفردا او مركبا
وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من اصناف
الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان عليه الصلاة والسلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه
من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون
ما يقول فقالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر
انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال
يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف
فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وصاحت رخمة
تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وقال الحدأ يقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول
من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن
آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول
سبحان ربي القدوس واراد عليه الصلاة والسلام بقوله علمنا واوتينا النون التي يقال لها
نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تكبرا ولا تجبرا بل لما اراد
منها من حسن الطاعة والانقياد له في اوامره ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير والمراد
من كل شيء كثرة ما اوتيه كما يقال فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ويراد به كثرة قصاده
وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شيء وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل ما
يهمه من امر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين
والريح ان هذا اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتاء لهو الفضل والاحسان من الله تعالى
المبين الواضح الذي لا يخفى على احد او ان هذا الفضل الذي اوتيته لهو الفضل المبين على انه
عليه الصلاة والسلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا لا فخرا ولعله عليه الصلاة والسلام رتب

علي ما خلع به ذلك دعوة الناس الى الخير وفان الجياد هو بانيتنا كل شي من الاشياء التي من جملتها
الات الحرب واسباب الغزو وقد ينبغي عن ذلك المعني قوله تعالى **وحشر لسليمان جنوده** جمع له
عساكره **من الجن والانس والطير** بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء
دولته من الثقلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الانس في البيان للمسارعة
الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من اول الامر لما ان الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية
ماردة بعيدة من الحشر والتسخير **فهم يوزعون** اي يحبس اولهم على اخرهم اي توقف
سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين حتى لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة
ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى
السير وتخصيص حبس اوائلهم بالذكر دون سوق اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا
لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوائلهم من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم
بتسيير الريح في الجو روي ان معسكره عليه الصلاة والسلام كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة
وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان
له عليه الصلاة والسلام الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد
نسجت له الجن بساطا من ذهب يقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من فضة وذهب فيقعد
الانبياء عليهم الصلاة والسلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس
الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به
مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى
اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك ان لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في
سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى
الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها
الله تعالى خير مما اوتي آل داود **حتى اذا اتوا على واد النمل** حتى هي التي يبتدأ بها الكلام
ومع ذلك هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل الآية وهي
ها هنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا الخ
ووادي النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل او بالطائف على ما قاله كعب وقيل هو واد يسكنه
الجن والنمل مركبهم وتعدية الفعل بعلى اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد
قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ آخره فكانهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادي
اذ حينئذ يخافهم ما في الارض لا عند مسيرهم في الهواء وقوله تعالى **قالت نملة** جواب اذا كانها
لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها
فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت هي
قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل **يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم** مع انه لا يمتنع ان
يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم
وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم قيل
كانت نملة عرجاء تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه الصلاة والسلام كلامها
من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى **لا يحطمنكم سليمان
وجنوده** نهي لهم في الحقيقة عن التأخر في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه الصلوة

والسلام

والسلام وجنوده عن الحطم كقولهم لا اريتك ها هنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له لمن قال
فعلت لما ان جعل لا نهيا عندنا لا الجواب له فان النون لا تدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون
الخفيفة وبكسرها واصله لا يحطمنكم قوله تعالى **وهم لا يشعرون** حال من فاعل يحطمنكم مفيد
لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت بذلك
الايذان بانها عارفة بشئون سليمان وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام في عصمتهم
عن الظلم والايذاء وقيل هو استيناف اي فهم سليمان ما قالت والقوم لا يشعرون بذلك **فتبسم
ضاحكا من قولها** تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا
بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعدها من
ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روي
انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه الصلاة والسلام بالريح فوقفت
لئلا يذعرن حتى دخلت مساكنهن **وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك** اي اجعلني ازع شكر نعمتك
عندي واكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح ياء اوزعني
التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيها ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب
للشكر **وان اعمل صالحا ترضاه** اتماما للشكر واستدامة للنعمة **وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين** في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين **وتفقد الطير** اي تعرف حال الطير فلم ير
الهدهد فيما فيها **فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين** كانه قال اولا ما لي لا اراه
لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب **لاعذبنه
عذابا شديدا** قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه
وبين الفه **او لاذبحنه** ليعتبر به ابناء جنسه **او ليأتيني بسلطان مبين** بحجة تبين عذره
والحلف في الحقيقة على احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتينني بنونين اولاهما مفتوحة
مشددة وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم فاقام
ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه خمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم
على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى
ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء
من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجونه
فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه الصلوة والسلام حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا
فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه الصلاة والسلام وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك
بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف فذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك
قوله تعالى **فمكث غير بعيد** اي زمانا غير مديد وقرئ بضم الكاف وتكرار انه وقعت نفحة من الشمس
على راس سليمان عليه الصلاة والسلام فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله
عنه فلم يجد علمه عنده ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته
فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله
حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه
الصلوة والسلام ارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ عليه الصلوة
والسلام براسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان عليه الصلوة

والسلام وتعويقه عن شأنه فقال احطت بما لم تحط به اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته
وقرئ احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق والاختصاص في انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به
ما هو من حقايق العلوم ودقايق المعارف التي يكون معرفتها والاحاطة بها من حظايف ارباب العلم
والحكمة لو قفها على عليه من رضى وفضل مبين حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدي نبي الله سليمان
تعديا عن طوره وتجاوزا عن حد قدره ونفيها عنه عليه الصلاة والسلام جناية فيحتاج الى
الاعتذار عنها بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكيف ينفي عليه الصلاة والسلام بذلك كما في
عليه الصلاة والسلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء
له عليه الصلاة والسلام في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما لم يحط
به لتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء
بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا تعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة
لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم انه عليه الصلاة
والسلام لم يشاهدها ولم يسمع خبرها من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه الصلاة
والسلام وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قوله فان النفس الى تعند ادراك المدعي عن
امر بديع اقبل وفي تلقي ما يلقى اليه اميل ثم ايده بقوله **وجئتك من سبا بنبا يقين** حيث
فسر ابهامه نوع تفسير واراه عليه الصلاة والسلام انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له
حيث عبر عما جاء به بالنبا الذي هو الخبر الخطير والشان الكبير ووصفه بما وصفه ولاما ذا
صدر عنه عليه الصلاة والسلام مع ما حكي عنه من الحمد والشكر واستدعاء الايزاع حتى يليق
بالحكمة الالهية تنبيهه عليه الصلاة والسلام على تركه وسبا منصرف على انه اسم للحي سمي به
باسم ابيهم الاكبر وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى
وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم القبيلة ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعاء
مسيرة ثلاث وعلى هذه القراءة يحتمل ان يراد به القبيلة او المدينة واما على القراءة الاولى فالمراد
الحي لا غير وعدم وقوف سليمان عليه الصلاة والسلام على نبا اهل سبا والهدهد ليس بامر
بديع لان الله تعالى لحكمة تداعيه اليه التيه وان اشتغال خلوا فيما افتقر الى الحكم والمصالح لما ان المسافة
بين محطه عليه الصلاة والسلام وبين مارب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه الصلاة
والسلام وبين مجيء الهدهد بالخبر ايضا قصيرة ثم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى منه
منبي على حكم بالغة بينا انه يعلمها العليم الخبير وقوله تعالى **اني وجدت امراة تملكهم** استيناف
بيان لما جاء به من النبا وتفصيل له اثر الاجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها
ملك ارض اليمن كلها ورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك ودانت
لها الامة وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس وايثار وجدت على رايت لما اشير
اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه الصلاة والسلام بابراز نفسه
في معرض من يتفقد احوالها ويتعرفها كانها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عليه
الصلاة والسلام وضمير تملكهم لسبا على انه اسم للحي او لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم
على انه اسمها **واوتيت من كل شي** اي من الاشياء التي يحتاج اليها الملوك **ولها عرش عظيم**
قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين عرضا وسمكا وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة
مكللا بالجواهر وكانت قوايمه من ياقوت احمر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب

مغلق

مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه الصلاة
والسلام نحو تصغيرها كالملك عقيبه عاد الى ذكر كفرها وكفر قومها حيث قال **وجدتها**
وقومها يسجدون للشمس من دون الله اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى **وزين**
لهم الشيطان اعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظايرها من اصناف الكفر والمعاصي **فصدهم**
بسبب ذلك **عن السبيل** اي سبيل الحق والصواب فان تزيين اعمالهم لا يتصور بدون تقبيح
طرق كفرهم وقبحها ومن ضرورته ترتب نسبة طريق الحق الى العوج **فهم** بسبب ذلك **لا**
يهتدون اليه وقوله تعالى **الا يسجدوا لله** مفعول له اما للصد او للتزيين على حذف
اللام منه اي فصدهم لئلا يسجدوا وقيل هو في موقع المفعول له تهتدون باسقاط الخافض
ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون لان يسجدوا له تعالى
وقرئ الا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في الا
يا اسلمي يا دارمي على البلى ونظايره وعلى هذا يحتمل ان يكون استينافا من جهته تعالى
او من سليمان فيوقف على لا يهتدون فيكون امرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه
واياما كان فالسجود واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا تسجدون
بمعنى الا تسجدون على الخطاب **الذي يخرج الخبء في السموات والارض** اي يظهر ما هو مخبوء
ومخفي فيهما كاينا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود
له من بين سائر اوصافه الموجبة لذلك لما انه ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة
آثاره التي من جملتها ما اودعه تعالى من القدرة على معرفة الماء تحت الارض واشار بعطف قوله تعالى
ويعلم ما تخفون وما تعلنون عطف على يخرج الله اي الله تعالى يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا
كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما انه يعلم ما يخفونه ويظهر ما يخفونه من الاحوال فيجازيهم
بها وذكر ما يعلنون لتوسيع دائرة العلم وللتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهي وقرئ
ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبا يعم اشراق الكواكب واظهارها
من آفاقها بعد استتارها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذي هو اخراج ما في الشي
بالقوة الى الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه
عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ الا تسجدون
لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون **الله لا اله الا هو رب العرش**
العظيم الذي هو اول الاجرام وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب ولعل انه ليس من
الهدهد من قوله الذي يخرج الخبء الى هاهنا ليس لحدوثه وقوله احطت بما لم تحط به وانما هو
من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عليه الصلاة والسلام اورده بيانا لما هو عليه
وقطعا للتعلل في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه الصلاة والسلام الى غزوها وتسخيرها ولا
قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية كلام الهدهد كانه قيل فماذا فعل سليمان
عليه الصلاة والسلام عند ذلك فقيل قال **سننظر** اي فيما ذكرته من النظر بمعنى التامل والتبين
للتاكيد اي سنتعرف بالتجربة البتة **اصدقت ام كنت من الكاذبين** كان مقتضى الظاهر ام
كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم للايذان بان كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك
الموسومين بالكذب الراسخين فيه بان مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيبها بنى بسبيل
قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون لها مصداق اصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم

لشأن الايجاد بصدد الامتحان له فتعرف انه في الكذب والاخلاف. وقوله تعالى **اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم** استئناف مبين لكيفية النظر الذي وعده عليه الصلاة والسلام بعدما كتب كتابه في ذلك المجلس ودفعه اليه وتخصيصه عليه الصلاة والسلام اياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من امناء الجن الاقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر اصلا **ثم تول عنهم** اي تنح الى مكان قريب تتوارى فيه **فانظر** اي تأمل وتعرف **ماذا يرجعون** ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمائر لما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام **قالت** اي بعدما ذهب الهدهد بالكتاب فألقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به فأخذته وقرأته وانما طوي ذكره ايذانا بكمال المسارعة الى اقامة ما امر به من الخدمة واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه عليه الصلاة والسلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف قومها **يا ايها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم** وصفته بالكرم لكرم مضمونه او لكونه من عند ملك كريم او لكونه مختوما او لغرابة شأنه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد **انه من سليمان** استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت انه من سليمان **وانه** اي مضمونه او المكتوب فيه **بسم الله الرحمن الرحيم** وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم وقرئ انه من سليمان وانه بالفتح على حذف اللام كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على انه بدل من كتاب بدل اشتمال وقيل تقديره بسم الله الرحمن الرحيم على ان ان مفسرة **ألا تعلوا علي** ان مفسرة ولا ناهية اي لا تتكبروا علي كما يفعله جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية ومحلها الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام اي مضمونه ان لا تعلوا او النصب باسقاط الخافض اي بأن لا تعلوا علي وقيل لا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تتجاوزوا حدكم **وأتوني مسلمين** اي مؤمنين وقيل منقادين والاول هو الأليق بشأن النبي عليه الصلاة والسلام على ان الايمان مستتبع للانقياد حتما روي ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد لان القاء الكتاب على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة **قالت** كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها **يا ايها الملأ افتوني في امري** اي اجيبوني في امري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى التي هي الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للامر ورفعا لمحلهم بالاشعار بانهم قادرون على حل المشكلات وقولها **ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون** اي امرا من الامور المتعلقة بالملك الا بمحضركم وبموجب رأيكم استعطاف واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير **قالوا** استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولها كأنه قيل فماذا قالوا في جوابها فقيل قالوا **نحن اولوا قوة** في الاجساد والآلات والعدد **واولوا بأس شديد** اي نجدة وشجاعة مفرطة

بلاء في

وبلاء في الحرب **والامر اليك** اي هو موكول اليك **فانظري ماذا تأمرين** ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نمتثل به ونتبع رأيك او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الرأي والمشورة وانت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا تأمرين نتمكن في الخدمة فلما احست منهم الميل الى الحرب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مقالتهم المنبئة عن الغفلة عن شأن سليمان عليه الصلاة والسلام وذلك قوله تعالى **قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية** من القرى على منهاج المقاتلة والحراب **افسدوها** بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال **وجعلوا اعزة اهلها اذلة** بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال **وكذلك يفعلون** تأكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير بان ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي **واني مرسلة اليهم بهدية** تقرير لرأيها بعدما زيفت آراءهم واتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للايذان بانها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف اي واني مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة **فناظرة بم يرجع المرسلون** حتى اعمل بما يقتضيه الحال روي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرصع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان عليه الصلاة والسلام بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا والوحوش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم فلما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر بالارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى **فلما جاء سليمان** اي الرسول **قال** اي مخاطبا للرسول والرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده قراءة فلما جاؤا والاول اولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها ويؤيده الافراد في قوله ارجع اليهم **أتمدونن بمال** وهو انكار لامدادهم اياه عليه الصلاة والسلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير المال للتحقير وقوله تعالى **فما آتاني الله** اي مما آتاني من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه **خير مما آتاكم** اي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لي الى هديتكم

ولا وقع لها عندي تعليل للانكار ولعله عليه الصلاة والسلام انما قال لهم هذه المقالة المحكية
بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة الحق وغير ذلك مما اشير اليه لا انه عليه الصلاة والسلام
خاطبهم بها اول ما جاؤه وفي حكايته من قوله تعالى فلما جاء سليمان قال وقرئ اتمدوني بالادغام
وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون اضراب عما ذكر
من انكار الامداد بالمال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي اهدوها اليه عليه الصلاة والسلام
فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي
الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه على ان امداده عليه الصلاة والسلام
بالمال منكر قبيح في نفسه لا قدر له عنده عليه الصلاة والسلام مما يتنافس فيه المتنافسون وان فرح
والتوبيخ به ادخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون حبا
لزيادة المال لما انكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا ارجع افرد الضمير ها هنا بعد جمع
الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل اي ارجع ايها
الرسول اليهم اي الى بلقيس وقومها فلنأتينهم اي فوالله لنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي
لا طاقة لهم بمقاومتها ودفعها ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها من سبا اذلة اي
حال كونهم اذلة بعد ما كانوا فيه من العز والتمكين وفي جمع القلة تاكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم
صاغرون اي اسارى مهانون حال اخرى مفيدة لكون اخراجهم بطريق الاجلاء وعدم
وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كانه
قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنأتينهم الخ قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني
بعرشها قاله عليه الصلاة والسلام لما دنا مجيء بلقيس اليه عليه الصلاة والسلام يروى
انه لما رجعت رسلها اليها بما حكي من خبر سليمان قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة
وبعثت الى سليمان اني قادمة اليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم
اذنت بالرحيل الى سليمان عليه الصلاة والسلام فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل
الوف وروي انها امرت فجعل عرشها في اخر سبعة ابيات بعضها فوق بعض في اخر قصر من قصور
سبعة لها وغلقت الابواب وجعلت عليه حرسا يحرسونه ولعله اوحي الى سليمان عليه الصلاة والسلام
باستيثاقها من عرشها فاراد ان يريها بعض ما خصه الله تعالى به من اجراء العجائب على
يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام ويختبر عقلها
بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام لا وتقييد الاتيان به بقوله تعالى قبل ان يأتوني مسلمين
لما ان ذلك ابدع واغرب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه
الصلاة والسلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات في اول مجيئها وقيل لانها اذا اسلمت
لم يحل له اخذ مالها بغير رضاها قال عفريت اي مارد خبيث من الجن بيان له اذ يقال للرجل
الخبيث المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به اي بعرشها قبل ان تقوم
من مقامك اي من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك صيغة المضارع او
الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لا محالة واوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية اي
آتيك به في تلك المدة البتة واني عليه اي على الاتيان به لقوي فلا يثقل علي حمله امين
لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للايذان بما بين
القائلين ومقالتيهما وكيفية قدرتهما على الاتيان به من كمال التباين او لاسقاط الاول عن درجة

الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل رجل كان عنده
اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اجاب وقيل الخضر وجبريل وملك ايده الله تعالى به وعليهم
الصلاة والسلام وقيل هو سليمان نفسه عليه الصلاة والسلام وفيه بعد لا يخفى والمراد
بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة او اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير معهود ومن
ابتدائية انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى
وارتداده انضمامها ولكونه امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن
بين هذا الوعد وانجازه مدة ما كما في وعد العفريت استغنى عن التاكيد وطوي عند الحكاية
ذكر الاتيان به للايذان بانه امر متحقق غني عن الاخبار به وجيء بالفاء الفصيحة
لادخالها على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب
بعصاك البحر فانفلق فحيث آتى به بلا مهلة على الشرطية تحتمت قيل فلما رآه مستقرا عنده اي رأى
العرش حاضرا لديه كما في قوله عز وجل فلما رآه آية كبرى فيه الدلالة على كمال ظهوره وما ذكر من تحققه
بعدم الاخبار به ببيان ظهوره ما تبنى عليه من رؤية سليمان عليه الصلاة والسلام واستغنائه
بها عن التصريح به اذ التقدير فاتاه اياه فرآه فلما رآه الخ وحذف ما حذف لما ذكر وللايذان
بكمال سرعة الاتيان به كانه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه الصلاة والسلام اياه زمان
اصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه الصلاة والسلام تاكيد لهذا المعنى لايهامه انه
لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان ايضا كانه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام
قراره عنده منتظما في سلك ملكه قال اي سليمان عليه الصلاة والسلام تلقيا للنعمة بالشكر
جريا على سنن ابناء جنسه من انبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وخلص عباده هذا
اي حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة والتمكن من احضاره بالواسطة او بالذات
من فضل ربي اي تفضله علي من غير استحقاق له من قبلي ليبلوني أأشكر بان اراه محض
فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة او نحققه ام اكفر بان اجد لنفسي مدخلا في البين
او اقصر في اقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على العباد ومن شكر فانما يشكر
لنفسه لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن
وصمة الكفران ومن كفر اي لم يشكر فان ربي غني عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام
مع عدم الشكر ايضا قال اي سليمان عليه الصلاة والسلام كررت الحكاية لما مر كون المحكي هنا
والحقا لم يكلم به عليه الصلاة والسلام تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة
لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني امر لخدمه نكروا لها عرشها اي غيروا هيئته
بوجه من الوجوه ننظر بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي الى
معرفته او الجواب اللائق بالمقام وقيل الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها التقدم عرشها
من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب
ويأباه تعليقه النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير ام تكون
اي بالنسبة الى علمنا من الذين لا يهتدون اي الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان
كونها في نفس الامر منهم معلوم لكنه امر مستمر لكن كونها منهم عند سليمان عليه الصلاة والسلام
وقومه امر حادث يظهر بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان
عليه الصلاة والسلام بالذات او بالواسطة قيل اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا

يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابتلاء العرش في معرض الاشكال والاشتباه
حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه الصلوة والسلام بسخافة العقل **فلما جاءت قيل أهكذا عرشك**
قالت كأنه هو فانبأت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما
اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب في محاورته
عليه الصلوة والسلام **وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين** من تتمة كلامها
كانها ظنت انه عليه الصلوة والسلام اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت
اوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعنا
من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة
عقلها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى **وصدها ما كانت تعبد من دون الله**
بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته من الاسلام الى الآن اي صدها ذلك
عن عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى **انها كانت من قوم كافرين** تعليل لسببية عبادتها
المذكورة للصد اذ انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها
وهي بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملك سليمان عليه الصلوة والسلام وقيل كانهما سمعوا
قولها كانه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشانها اصابت في الجواب فطنت
وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة ومما عاينت من هذه
الآية الباهرة عن حسنها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم الخ اي واوتينا
نحن العلم بالله تعالى وبالاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها
بين ظهراني الكفرة وفيه ما فيه من البعد والتعسف **قيل لها ادخلي الصرح** القصر وقيل
صحن الدار روي ان سليمان عليه الصلوة والسلام امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر
من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره
في صدره فجلس عليه وعطف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما
لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها
كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك
سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان في عقلها شيئا وبرجلها كحافر الحمار فاختبر
عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها **فلما رأته** وهو حاضر بين يديها
كما يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله **حسبته لجة وكشفت**
عن ساقيها وتشمرت لئلا تبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما خلا انها
شعراء قيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه الصلوة
والسلام وامر الجن فبنوا لها سيحلين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وقيل
بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى
له المصانع وقرئ سأقيها حملا للمفرد على الجمع في سؤق وسؤوق **قال** عليه الصلوة والسلام
حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب **انه** اي ما توهمته ماء **صرح ممرد** اي
مملس **من قوارير** من الزجاج **قالت** حين عاينت تلك المعجزة ايضا **رب اني ظلمت نفسي**
بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظني بسليمان حين ظنت انه يريد اغراقها في اللجة
وهو بعيد **واسلمت مع سليمان** تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى **لله رب العالمين**

من الالتفات

من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها بالوهيته تعالى وتفرده
باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس
ولقد ارسلنا عطف على قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوقا لما سيق له
من تقرير انه عليه الصلوة والسلام ليلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا
من جملة القرآن الكريم الذي يلقاه عليه الصلوة والسلام واللام جواب قسم محذوف اي وبالله
لقد ارسلنا **الى ثمود اخاهم صالحا** **ان اعبدوا الله** ان مفسرة لما في
الارسال من معنى القول او مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون اتباعا لها للباء
فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو
لمجموع الفريقين **قال** عليه الصلوة والسلام للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من العتو
والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت
من الصادقين **يا قوم لم تستعجلون بالسيئة** اي بالعقوبة السيئة **قبل الحسنة**
اي التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده
تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه **لولا تستغفرون الله** هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها
لعلكم ترحمون بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول **قالوا اطيرنا** اصله تطيرنا والتطير
التشاؤم عبر عنه بذلك لانهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان
مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا
لهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد اي تشاءمنا **بك وبمن معك** في دينك حيث
تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا او لم نزل في اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم
قال طائركم اي سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم من الشر **عند الله** وهو قدره او عملكم المكتوب
عنده وقوله تعالى **بل انتم قوم تفتنون** اي تختبرون بتعاقب السراء والضراء او تعذبون
او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم
الى ذكر ما هو الداعي اليه **وكان في المدينة** وهي الحجر **تسعة رهط** اي اشخاص وبهذا الاعتبار
وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة
الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن
غنم ورئاب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة
وسمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء
اشرافهم **يفسدون في الارض** لا في المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه شيء ما من الصلاح
كما ينطق به قوله تعالى **ولا يصلحون** لا يفعلون شيئا من الاصلاح او لا يصلحون شيئا من الاشياء **قالوا**
استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد اي قال بعضهم لبعض في اثناء المشاورة في امر صالح عليه الصلوة
والسلام وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام الخ **تقاسموا بالله**
اما امر مقول للقول او خبر وقع بدلا او حالا من فاعل باضمار قد وقوله تعالى **لنبيتنه واهله**
لنباغتن صالحا واهله فنقتلنهم ليلا وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بياء الغيبة
وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض **ثم لنقولن لوليه** اي لولي صالح وقرئ بالياء والتاء وفي قوله
ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم فضلا ان نتولى اهلاكهم
وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا **وانا لصادقون** من تمام القول والحال اي نقول ما نقول

والحال انا صادقون في ذلك لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده
بل مهلكه معهم ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا
مكرا اي اهلكناهم اهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون اي جازيناهم بمكرهم من حيث لا يحتسبون
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم شروع في بيان ما يترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة
لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي فتفكر في انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى
انا دمرناهم اما بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل وهي تامة وكيف حال اي فانظر كيف
حصل على اي وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما في عاقبة
مكرهم من الابهام اي هي تدميرنا اياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت اجمعين
بحيث لم يشذ منهم شاذ واما تعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية
الهول والفظاعة بحذف الجار اي لانا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم
وقرئ انا الخ بالكسر على الاستئناف روي انه كان لصالح عليه الصلاة والسلام مسجد
في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث
فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب
حيالهم فبادروا فطبقت عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله
تعالى كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاءوا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله تعالى
الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة ولا يرون راميا فتلك بيوتهم جملة مقررة لما قبلها
وقوله تعالى خاوية اي خالية او ساقطة متهدمة بما ظلموا اي بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم
والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف ان في ذلك اي فيما
ذكر من التدمير العجيب بظلمهم لآية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اي ما من شأنه ان يعلم من الاشياء
او لقوم يتصفون بالعلم وأنجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون
اي الكفر والمعاصي اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا
في صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم اي وارسلنا لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه
ظرف للارسال على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال
والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا وانجينا
لوطا وهو بعيد أتأتون الفاحشة تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطي
القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وانتم تبصرون من بصر القلب اي تعلمون فحشها والحال انكم تعلمون
علما يقينيا بكونها كذلك وقيل تبصرونها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها أئنكم لتأتون
الرجال شهوة تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح
وتحلية الجملة بحرفي التأكيد للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه لكمال بعده من العقول
وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي عليها
مبنى الاتيان من دون النساء متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة بل انتم قوم تجهلون
تفعلون فعل الجاهلية بقبحها او تجهلون العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اي بل انتم قوم
سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم في حيز الخطاب فما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون اي يتنزهون عن افعالنا او عن
الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه استهزاء وقد مر في سورة

دمرناهم

الاعراف

الاعراف ان هذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الاخيرة من مراتب مواعظ لوط عليه الصلاة
والسلام بالامر والنهي لا انه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره فانجيناه واهله الا امرأته
قدرناها اي قدرنا انها من الغابرين اي الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا
غير معهود فساء مطر المنذرين قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة
قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه
وسلم بعدما قص عليه قصص الانبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته
تعالى وعظم شأنه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم
وصحة اخبارهم وبين على السنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك
وان من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن اعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره
عليه الصلاة والسلام بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية ونور
قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به
قوله عز وجل وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم من ان يحمده
تعالى على ما افاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع في تعدادها ولا مطمح من حوضها لطامح على طاقة
الانبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه اخبارهم التي هي من جملة المعارف التي اوحيت اليه
عليه الصلاة والسلام اذ الحق تقدمهم ولاحقهم في الدين وقيل هو امر للوط
عليه الصلاة والسلام بان يحمده تعالى على اهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة
عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده آلله خير اما يشركون اي الله الذي
ذكرت شؤونه العظيمة خير اما يشركونه به تعالى من الاصنام ومرجع الترديد الى التعريض
بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان
ليس فيما اشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره
ولا اله غيره وقرئ تشركون بتاء الخطاب بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى
الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم وجعله من جملة القول
المأمور به يأباه قوله تعالى فانبتنا الخ فانه صريح في ان التبكيت من قبله عز وجل
بالذات وحمله على انه حكاية لما امر به عليه الصلاة والسلام من عبارته كما في قوله
تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه ام في قوله تعالى
امن خلق السماوات والارض منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة الاولى للاضراب
والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا بل على وجه الجهر منه لمزيد التأكيد
والتشديد واما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الآتية
والهمزة لتقرير اي حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك الجاحد من له
ادنى تمييز ولا يقدر على ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وافاض على كل منها ما يليق
بشأنها فضلا عن الخير تلك المخلوقات واحدها بل بان لا خير فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن
مبتدأ خبره محذوف مع ام المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق من الاستفهام الاول
ام تشركون ها هنا بتاء الخطاب على القراءة بين تمامها وهكذا في المواضع الاربعة الآتية والمعنى
بل امن خلق قطري العالم الجسماني وهو الجنات فيما بينهما وانزل لكم التفات الخطاب
الكفرة على القراءة الاولى لتشديد التبكيت والالزام اي انزل لاجلكم ومنفعتكم من السماء

ماء اي نوعا منه هو المطر فانبتنا به حدائق اي بساتين محدقة محاطة بالحوائط ذات بهجة حسن ورونق يبتهج به النظار ما كان لكم اي ما صح وما امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة تخيير ما تشركون وتقديم صلتي الانزال على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم في قوله تعالى فانبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاجناس والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييدها بقوله تعالى ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها او حالا وتوحيد وصفها الاول ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قوله النساء ذهبت وكذلك الحال في ضمير شجرها أإله مع الله اي أإله آخر كائن مع الله الذي ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت لهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان احدا ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انتفاء الخيرية عنه بالجملة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه رأسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة وقيل المراد نفي ان يكون معه تعالى اله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفي ذلك النفي فقط فكيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل باشراكهم به تعالى في العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كأنه قيل أإله آخر مع الله في خلق ما ذكر من لوازم الالوهية حتى يجعل شريكا له تعالى في العبادة وقيل المعنى أغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله ولا وجه لتخصيص المقام لافادته نفي وجود اله آخر معه تعالى رأسا لا نفي معيته في الخلق وفروعه فقط وقرئ أإله بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ أإلها باضمار فعل يناسب المقام مثل أتدعون او تشركون بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكاية لغيرهم اي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في كل امر من الامور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلث وحكم الكل واحد وانما اظهر لكل واحدة منها بطريق والانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر داخل في الالزام بجهة من الجهات اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم وجعل خلالها اوساطها انهارا جارية ينتفعون بها وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت تمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يخفى وجعل بين البحرين اي العذب والملح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا مانعا من الممازجة وقد مر في سورة الفرقان والجمل في

الثالثة الاخيرة ابداعي وتكوين مفعوله من الظرف لما مر مرارا من التشويق أإله مع الله في الوجود او في ابداع هذه البدائع على ما مر بل اكثرهم لا يعلمون اي شيئا من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره امن يجيب المضطر اذا دعاه وهو الذي احوجه شدة من الشدائد والجأته الى اللجاء والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضي الله عنه هو المجهود وعن السدي رضي الله عنه من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر ويكشف السوء وهو الذي يعتري الانسان مما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض اي خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط أإله مع الله الذي يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي اريد بها العدم او ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم ايذان بان مضمونه مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الاصل فتذكرون ويذكرون بالتاء والياء قليلا مع الادغام امن يهديكم في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليالي فيهما على ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وهي المطر ولئن صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا ريب في ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كلها من خلق الله عز وجل والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا أإله مع الله نفي لان يكون معه اله آخر وقوله تعالى تعالى الله عما يشركون تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم اي تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورة تحت قدرته عما يشركون اي عن وجود ما يشركونه به تعالى مطلقا فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى وعن اشراكهم امن يبدأ الخلق ثم يعيده اي بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية قد رتبها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التي عليها بني امر التكوين أإله مع الله خير ام ما تشركونه في العبادة وقوله تعالى قل هاتوا برهانكم امر له عليه الصلوة والسلام بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها في الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهانا ان كنتم صادقين اي في تلك الدعوى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله بعد ما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كانه قيل ان كان الله

تعالى ممن فيهما فمنهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد بمن في السموات والارض من تعلق علمه بهما
واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازي عام له تعالى ولاولي العلم من خلقه
ومن موصوفة **وما يشعرون ايان يبعثون** اي متى ينشرون من القبور مع كونه مما لابد لهم منه
ومن اهم الامور عندهم وايان مركبة من اي وان وقرئ بكسر الهمزة والضمائر للكفرة وان كان
عدم الشعور بما ذكر عاما لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما سيأتي من الضمائر الخاصة بهم
مطلقا وقيل للكل ومن واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا
مع ان الفاعل بعض منهم **بل ادارك علمهم في الآخرة** لما نفي عنهم علم الغيب وأكد ذلك
بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ في تأكيده وتقريره باضراب عنه وتبيين ان
فيجهل الفحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقا بل تنافي عند اسباب
معرفتها على ان معنى ادارك علمهم في الآخرة تدارك فتتابع علمهم في شأن الآخرة التي ما ذكر من
البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعا لكن لا على معنى
انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب
العلم ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة
اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى
بيان ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل **بل هم في شك منها** اي في شك مريب
من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا فضلا عن الامور التي ستقع فيها ثم
اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل **بل هم منها عمون** بحيث
لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم بمعنى انتهى
وقد فسره الحسن البصري باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناها الظاهر اي تكامل
واستحكم او تم اسباب علمهم بان القيامة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة
وتمكنوا من المعرفة بتمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب
وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون
اضراب من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو اشد منه وافظع من العمى واستحيير بان
تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ
ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون
وصفاهم بالجهل مبالغة والاضح بان علمها ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرأ ابي
فابدلت التاء دالا وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك وقرئ
بل ادرك واصله افتعل وبل اادرك بهمزتين وبل آادرك بالف بينهما وقيل ادرك بالتخفيف
والتثقيل وبل ادرك وبلى ادرك وام تدارك وام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة فما فيه استفهام
صريح او مضمن من ذلك فهو انكار ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك
على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في
النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون وانكار لشعورهم **وقال**
الذين كفروا بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلتهم والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم **ائذا كنا**
ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون اي لمخرجون من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون

ولامساغ

ولامساغ لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو انفرد واحد منها لكفى في المنع
وتقييد الاخراج بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون
للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج
في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل بالخبر مقام
الفصل بالتأكيد وتكرير الهمزة في ائنا للمبالغة والتشديد في الانكار وتحلية الجملة بان
واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة كما في قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم
تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ
انا لمخرجون على الخبر **لقد وعدنا هذا** اي الاخراج **نحن وآباؤنا من قبل** اي من
قبل وعد محمد عليه الصلاة والسلام وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث
اخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد
التأكيد وقوله تعالى **ان هذا الا اساطير الاولين** تقرير اثر تقرير **قل سيروا**
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم الرسل عليهم الصلاة
والسلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذي تنكرونه
فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار وفي التعبير عن المكذبين
بالمجرمين لطف بالمسلمين في ترك الجرائم **ولا تحزن عليهم** لاصرارهم على الكفر والتكذيب
ولا تكن في ضيق في حرج صدر **مما يمكرون** من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ
بكسر الضاد وهو ايضا مصدر ويجوز ان يكون المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اي لا تكن
في امر ضيق **ويقولون متى هذا الوعد** اي العذاب العاجل الموعود **ان كنتم صادقين** في
اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار بذلك **قل عسى ان يكون ردف لكم**
اي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن
معنى فعل يتعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه **بعض الذي تستعجلون** وهو عذاب
يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا
بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك جرى وعد الله تعالى ووعيده وايثارها في
النظم الكريم على ان يقال عسى ان يردفكم الى آخره لكونه ادل على تحقق الوعد **وان ربك لذو فضل على**
الناس اي لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما
يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب **ولكن اكثرهم لا يشكرون** اي لا يعرفون حق
النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء **وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم**
اي ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشيء اي سترته **وما يعلنون** من الاقوال والافعال التي
من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تعالى يجازيهم
على الكل وتقديم السر على العلن قد مر في سورة البقرة عند قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون **وما من غائبة في السماء والارض** اي من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة
والتاء للمبالغة كما في الراوية او اسمان والتاء للنقل الى الاسمية **الا في كتاب مبين** اي بين او مبين لما فيه
لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة **ان هذا القرآن**
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كان من جملته ما اختلفوا في شأن المسيح وتحزبوا

فيه الحق آبا فذكروا من التعمق والغلو في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكر في اشياء حتى بلغت المسافة الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في جانب الانصاف **وانه لهدى ورحمة للمؤمنين** على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا **ان ربك يقضي بينهم** اي بين بني اسرائيل **بحكمه** على الحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه **وهو العزيز** فلا يرد حكمه وقضاؤه **العليم** بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضي به والفاء في قوله تعالى **فتوكل على الله** لترتيب الامر على ما ذكر من شؤونه عز وجل فانها توجب على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى **انك على الحق المبين** تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه الصلوة والسلام على الحق البين او الفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه عليه الصلوة والسلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأييده لا محالة وقوله تعالى **انك لا تسمع الموتى** الى آخره تعليل آخر للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه من جهته تعالى اعني قضاءه بالحق فتايبد بطلق ثم علل ثانيا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه الاعراض عن التشبث بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعني بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات ولعل تشبيههم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولا يبعد تشبيه انفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمي مزيد **ولا تسمع الصم الدعاء** اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى **اذا ولوا مدبرين** لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضين عن الداعي مولين الى ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي مقابلا بل صاحبه مع توليه عنه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء **وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم** هداية موصلة الى المطلوب كما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنها معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية وقرئ وما انت تهدي العمي **ان تسمع** اي ما تسمع سماعا يجدي اسماعا نفعا **الا من يؤمن بآياتنا** اي من من شأنهم الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدي الا من يؤمن الخ لما ان طريق الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية **فهم مسلمون** تعليل لايمانهم بها كانه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله تعالى **واذا وقع القول عليهم** بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون من بقية ما تستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق به من الآيات الكريمة المنبئة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الاهوال التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها وفنائها واسناده الى القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله تعالى اتى امر الله اي اذا دنا وقرب وقوع مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه ولا يصدقونه **اخرجنا لهم دابة من الارض** وهي الجساسة وفي التعبير عنها باسم الجنس وتاكيد ابهامه بالتنوين

التفخيمي

التفخيمي من الدلالة على غرابة شأنها وخروج اوصافها وفي تطويل البيان لما لا يخفى وقد روي ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه الصلوة والسلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وسائر خلقها خلق الطير وروي عن علي رضي الله عنه انه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كانه يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة وروي لا يخرج رأسها ورأسها تبلغ عنان السماء او تبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارا وقيل تخرج من الصفا وروي بينما عيسى عليه الصلوة والسلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل فينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلوة والسلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين عينيه هو مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم انت يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بئس الشعب شعب اجياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين تكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى **تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** اي تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها او بآياته التي من جملتها خروجها والمراد الاول هو الحق كما ستحيط به علما وقرئ بان الناس لا يوقنون واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى بمعنى قولها لا لانها عبارتها وقيل لانها حكاية لمضمون القول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى وتشرفها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف اي بآيات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين لها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضها وقرئ ان الناس بالكسر على اضمار القول او اجراء الكلام مجراه في الاضافة كالذي سبق وقيل هو استئناف مسوق من جهته تعالى للتعليل خروجها او تكلمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق في الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق او مشركو مكة وقد روي عن وهب انها تخبر كل من تراه ان اهل مكة كانوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد

حتى تكون القراءة المشهورة ايضا متضمنة للتكذيب ولا يخفى بعده ويوم نحشر من كل امة فوجا
بيان اجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب
به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الشامل لكافة
الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره
مرارا اي واذكر لهم وقت حشرنا اي جمعنا من كل امة من امم الانبياء عليهم الصلوة والسلام
او من كل اهل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب
وقوله تعالى ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين بها فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم
حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقع التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد
اطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة
يساقون بين يدي اهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار حتى اذا جاؤا
الى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب قال اي الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب
والالتفات لتربية المهابة أكذبتم بآياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله ولم تحيطوا
بها علما جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ
اي أكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق
حتما وهذا نص في ان المراد بالآيات فيما سلف في الموضعين هي الآيات القرآنية لانها هي المنطوية
على دلائل الصحة وشواهد الصدق التي لم تحيطوا بها علما مع وجوب ان يتأملوا ويتدبروا فيها لا
نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على أكذبتم اي أجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر
فيها أمّاذا كنتم تعملون اي ام اي شيء كنتم تعملون بها او ام اي شيء كنتم تعملون غير ذلك
بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك لانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصي مع انهم ما خلقوا الا للايمان
والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون في النار وذلك قوله تعالى ووقع القول عليهم
اي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله بما ظلموا بسبب ظلمهم الذي
هو تكذيبهم بآيات الله فهم لا ينطقون لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل
من العذاب الاليم ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار
وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقول اي الم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام
ليستريحوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا اي ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب في امور
المعاش فبولغ فيه حيث جعل الابصار الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه التي جعل عليها
بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما ان تأثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تأثير
ضوء النهار في الابصار ان في ذلك اي في جعلهما كما وصفا وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للاشعار ببعد درجته في الفضل لآيات اي عظيمة كثيرة لقوم يؤمنون دالة على صحة البعث
وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وان من تأمل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه
بديعة مبنية على حكم رائقة تحار في فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وعلا وشاهد في الآفاق
تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحيوة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو
اخو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحيوة قضى بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور
قضاء متقنا وجزم بانه تعالى قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وان
الآيات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهانا عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله

تعالى ويوم ينفخ في الصور اما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه او مضمر معطوف
عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه الصلوة والسلام عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الله الصور
فاعطاه اسرافيل عليه الصلوة والسلام فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر
قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده ان
عظم دارة فيه كعرض السموات والارض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحيوة
احد الا من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك
قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والذي يستدعيه سباق النظم
الكريم وسياقه ان المراد بالنفخ هاهنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى ففزع
من في السموات ومن في الارض ما يعتري الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور
الهائلة الخارقة للعادات في الانفس والآفاق من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين
وايراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه اعني ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه
اثر النفخ ولعل تأخير بيان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من
حشر المكذبين من كل امة لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا بان كل واحدة من الطامتين
كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم
ان الكل داهية واحدة قد امر بذكرها كما مر في سورة البقرة الا من شاء الله اي ان لا يفزع
قيل هم عند النفخة وكل أتوه حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب
والمناقشة والحساب وقرئ اتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراءة الاولى باعتبار معناه
وقرئ اتوه اي حاضروه داخرين اي صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى وترى
الجبال عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله عز وعلا تحسبها جامدة اي ثابتة
في اماكنها اما بدل منه او حال من ضمير ترى او من مفعوله وقوله تعالى وهي تمر مر السحاب
حال من ضمير الجبال في تحسبها او في جامدة اي تراها رأي العين ساكنة والحال انها تمر مر
السحاب الذي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت
لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج
والركاب تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء
وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة الثانية
عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها
على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة
الاولى فتسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسئلونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ
يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار
فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه الصلوة والسلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا
بعد النفخة الثانية وقد قالوا في تفسير قوله تعالى يوم نسير الجبال وترى الارض بارزة
وحشرناهم ان صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم

المشير على التسبيح والرؤية كما تنقل عنه تقدم ما قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد بهذه النفخة
الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من في السموات
ومن في الارض الاية فيختص اثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من
الامم وجوز ان يكون بالانابة والاخرين رجوعهم الى الله تعالى وانقيادهم له ولا ريب في
ان ذلك مما ينبغي ان ينزه ساحة التنزيل عن امثاله واعد منه ما قيل ان المراد بهذه
النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق وهي التي اريدت بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا
صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا
وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر وكالقنديل المعلق ترجحه
الارياح فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما ينص في
الباب ما سيأتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون **صنع الله** مصدر مؤكد لمضمون ما قبله
اي صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه
على عظم شان تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق اخلال نظام العالم
وافساد احوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية ويكون لها عاقبة بل هي من قبيل
بدائع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت
مقدمات الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى
الذي اتقن كل شيء اي احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى **انه خبير بما
تفعلون** تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين
وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب
اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل
ليتحقق بمشاهدة ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى
من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اشير اليه بالاحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها
عليها اي من جاء منكم او من اولئك الذين ابتلوا بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار تعالى
انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الحسنة كلمة الشهادة **وهم** اي الذين جاؤوا بالحسنات **من
فزع** اي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة
وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي
الله عنه حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي يا اهل الجنة خلود
فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت **يومئذ** اي يوم اذ ينفخ في الصور **آمنون** لا يعتريهم ذلك
الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي يعتري كل من في السموات ومن في الارض
غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون
الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل
بالجار وبدونه كما في قوله تعالى افامنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها
ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراءة الاولى لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة
كونه اعظم الافزاع واكبرها كان ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه **ومن جاء بالسيئة فكبت
وجوههم في النار** اي كبوا فيها على وجوههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة قوله تعالى ولا تلقوا

بايديكم

بايديكم الى التهلكة **هل تجزون الا ما كنتم تعملون** على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اي مقولا
لهم ذلك **انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها** امر عليه الصلاة والسلام
بان يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم احوال المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة تنبيها على انه قد اتم
امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه الصلاة والسلام بعد ذلك شان سوى الاشتغال
بعبادة الله تعالى والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا واصلحوا ام فسدوا
ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه الصلاة والسلام
بامر دعوتهم انه عليه الصلاة والسلام يحفظ لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة فيشتغلوا
بتدارك احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الايات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة
وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شانها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف
لها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما في قوله
تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة
ما فعلوا فيها الا ترى انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير
صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي اخبث افراد الحاد واشنع
احاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله انى
يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى **وله كل شيء** اي خلقا وملكا وتصرفا من غير ان
يشاركه شيء في شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف
مع عموم الربوبية لجميع الموجودات **وامرت ان اكون من المسلمين** اي اثبت على ما كنت عليه من كوني
من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد اي الذين اسلموا وجوههم لله تعالى خالصة من قوله تعالى
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله **وان اتلو القرآن** اي واظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه الرائقة
المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا او على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون
ذلك تنبيها على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمعنى قوله تعالى
فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه حينئذ فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام
وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه
عائدة اليه لا الي **ومن ضل** بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر **فقل** في حقه **انما
انا من المنذرين** وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس علي من وبال ضلاله شيء وانما هو عليه فقط
وقل الحمد لله اي على ما افاض علي من نعمائه التي اجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية
والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى بالايات البينة والبراهين
النيرة وقوله تعالى **سيريكم آياته** من جملة المحكي المامور به اي سيريكم البتة في الدنيا آياته الباهرة
التي نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد منها وقعة بدر ويأباه قوله تعالى **فتعرفونها**
اي فتعرفون انها آيات الله تعالى حين لا ينفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل
سيريكم في الآخرة وقوله تعالى **وما ربك بغافل عما تعملون** كلام مسوق من جهته تعالى بطريق
التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه
وسلم وتخصيص الخطاب اولا به عليه الصلاة والسلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اي وما ربك
بغافل عما تعمل انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة
وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فيعذبهم البتة فلا

تحسبوا ان تاخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله تعالى اعلم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم الصلاة والسلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في نظائره نتلو عليك اي نقرأ بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام ويجوز ان تكون التلاوة مجازا من التنزيل من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلو اي بعض نبأهما بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلو او من مفعوله او صفة لمصدره اي نتلو عليك بعض نبأهما ملتبسين او ملتبسا بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة للكل لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التأكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان وجعل اهلها شيعا اي فرقا يشيعونه في كل ما يريد من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله تعالى يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال له يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ ان صدق فما فائدة القتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين اي الراسخين في الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونريد ان نمن اي نتفضل على الذين استضعفوا في الارض على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبأ او حال من يستضعف بتقدير المبتدأ اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة ارادة الاستضعاف مقارنة الارادة لما ان تعلق الارادة التي تعلق الاستضعاف على ان شاء الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بانه قدر النعمة في التي تذكر حالتهم السابقة المباينة لها ونجعلهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين بعد ان كانوا اتباعا مسخرين لآخرين ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وكانت معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى ونمكن لهم في الارض اي نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيهما كيفما يشاؤون واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم اي من اولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية واوحينا الى ام موسى بالالهام او الرؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به الجيران عند بكائه فيتموا عليه فالقيه

في اليم في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه ضيعة بالغرق ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة. روي ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه الصلاة والسلام فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور ولم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله تعالى اليها ما اوحى وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت بردي مطلي بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اي فالقته في اليم بعدما جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه آل فرعون اي اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروا بالسفن فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هي بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعته وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه رمي في البحر خوفا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتي واللام في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة ابرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه الصلاة والسلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي في كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا لاجله الوفا ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون. روي انه ذبح في طلبه عليه الصلاة والسلام تسعون الف وليد وكانوا

ما يبين فما فيهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراضية لتاكيد خطابهم او
بيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على تخفيف خاطئين او على انه بمعنى متعدين
الصواب الى الخطا **وقالت امرأت فرعون** اي لفرعون حين اخرجته من التابوت **قرت عين لي ولك**
اي هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرجاه احباه او لما ذكر من برء بنته من البرص بريقه وفي الحديث انه
قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها **لا تقتلوه** خاطبته بلفظ الجمع تعظيما
ليساعدوها فيما تريده **عسى ان ينفعنا** فان فيه مخايل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رأت
من العلامات المذكورة **او نتخذه ولدا** اي نتبناه فانه خليق بذلك **وهم لا يشعرون** حال
من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته كيت وكيت وهم
لا يشعرون بانهم على خطا عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني له وقوله ان
فرعون الآية اعتراض وقع بين المتعاطفين لتاكيد خطابهم وقيل حال من احد ضميري نتخذه على ان الضمير
للناس اي وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه **وأصبح فؤاد ام موسى فارغا** صفرا من العقل
لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هواء اي خلاء
لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر وقيل فارغا من الهم
والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى او سماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه **ان كادت لتبدي به**
اي انها كادت لتظهر بموسى او بامره وقصته من فرط الحيرة والدهشة او الفرح لتبنيه
لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات **لتكون من المؤمنين** اي المصدقين بوعد الله
تعالى او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة في جارة الواو
مجرى ضمتها في استدعاء همزتها همزة واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله
عليه **وقالت لاخته** مريم والتعبير عنها باخته عليه الصلاة والسلام دون ان يقال لبنتها
للتصريح بمدار المحبة الداعية الى الامتثال بالامر **قصيه** اي اتبعي اثره وتتبعي خبره **فبصرت به**
عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى **وهم لا يشعرون**
انها تقص او تتعرف حاله او انها اخته **وحرمنا عليه المراضع** اي منعناه ان يرتضع من المرضعات
والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او مرضع هو الرضاع او موضعه اعني الثدي **من قبل** اي
من قبل قصها اثره **فقالت** عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بامره وطلبهم من يقبل
ثديها **هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم** اي لاجلكم **وهم له ناصحون** لا يقصرون في ارضاعه
وتربيته روي ان هامان لما سمعها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما
اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن يكفله فاتت بامه وموسى على يد فرعون يبكي
وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدي
الا ثديك فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فقرره في يدها واجرى عليها
فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى **فرددناه الى امه كي تقر عينها** بوصوله اليها
ولا تحزن بفراقه **ولتعلم ان وعد الله** اي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين **حق** لا خلف
فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه **ولكن اكثرهم لا يعلمون** ان الامر كذلك فيرتابون فيه
ولما بلغ اشده اي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل وورد
انه لم يبعث نبي الا بعد الاربعين **واستوى** اي اعتدل قده او عقله **آتيناه حكما** اي نبوة **وعلما**
بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول قولا ولا يفعل فعلا يستجهل فيه وهو اوفق

لنظم القصة

لنظم القصة لانه تعالى استنباه بعد الهجرة في المراجعة **وكذلك** مثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه
نجزي المحسنين على احسانهم **ودخل المدينة** اي مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منفا
او حابين او عين الشمس من نواحيها **على حين غفلة من اهلها** اي في وقت لا يعتاد دخولها ولا
يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين **فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا**
من شيعته اي ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل **وهذا من عدوه** اي من مخالفيه دينا
وهم القبط والاشارة على الحكاية **فاستغاثه الذي من شيعته** اي سأله ان يغيثه بالاعانة كما
ينبئ عنه تعديته بعلى وقرئ استعانه **على الذي من عدوه فوكزه موسى** اي ضرب القبطي
بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره **فقضى عليه** فقتله واصله انهى حياته من قوله تعالى
وقضينا اليه ذلك الامر **قال هذا من عمل الشيطان** لانه لم يكن مأمورا بقتل الكفار اولانه كان مأمونا
فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه
ظلما واستغفر منه جريا على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر **انه**
عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال **قال** توسيط بين كلاميه عليه الصلاة والسلام
لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الاول **رب اني ظلمت نفسي** اي بقتله
فاغفر لي ذنبي **فغفر له انه هو الغفور الرحيم** اي المبالغ في مغفرة ذنوب العباد ورحمتهم
قال رب بما انعمت علي اما قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن **فلن اكون** بعد
هذا ابدا **ظهيرا للمجرمين** واما استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن تؤدي
معاونته الى الجرم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام لم يستثن فابتلي
به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها
في مظاهرة اعدائك **فاصبح في المدينة خائفا يترقب** يترصد الاستقادة او الاخبار **فاذا**
الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيثه برفع الصوت من الصراخ **قال له موسى انك**
لغوي مبين اي بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر **فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو**
لهما اي لموسى والاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبني اسرائيل على
الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء **قال** اي الاسرائيلي ظانا انه عليه الصلاة والسلام يبطش
به لما رآه من تسميته اياه غويا **يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس** قالوا لما سمع القبطي
قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك وامر فرعون
بقتل موسى عليه الصلاة والسلام وقيل قاله القبطي **ان تريد** اي ما تريد **الا ان تكون جبارا في**
الارض وهو الذي يفعل كل ما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي
لا يتواضع لامر الله تعالى **وما تريد ان تكون من المصلحين** بين الناس بالقول والفعل **وجاء رجل**
من اقصى المدينة اي كائن من آخرها او جاء من آخرها **يسعى** اي يسرع صفة لرجل او حال
منه على ان الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل
فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان **قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك**
اي يتشاورون بسببك لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر **فاخرج** اي من المدينة
اني لك من الناصحين اللام للبيان لان معمول الصلة لا يتقدمها **فخرج منها** اي من المدينة
خائفا يترقب لحوق الطالبين **قال رب نجني من القوم الظالمين** خلصني منهم واحفظني من
لحوقهم **ولما توجه تلقاء مدين** اي نحو مدين وهي قرية شعيب عليه الصلاة والسلام سميت بهم مدين

ابن ابراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال عسى
ربي ان يهديني سواء السبيل اي توكلا على الله وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق
فعن له ثلث طرق فاخذ الوسطى وجاء الطلاب عقيبه فشرعوا في الآخرين وقيل خرج
حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس
وبيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين اي وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون
منها وجد عليه اي فوق شفيرها امة جماعة كثيفة من الناس يسقون ووجد من دونهم
في موضع اسفل منهم امرأتين تذودان اي تمنعان اغنامهما من الاغنام عن التقدم الى البئر
كيلا تختلط باغنامهم مع عدم الفائدة في التقدم قال عليه الصلاة والسلام لهما حين رآهما
على ما هما عليه من التأخر والتزود ما خطبكما اي ما شأنكما فيما انتما عليه من التأخر
والذود ولم لا تباشران السقي كداب هؤلاء قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء اي عادتنا
ان لا نسقي حتى ينصرف الرعاة مع مواشيهم بعد ريها عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن
مخالطة الرجال لا انا لا نسقي اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقي والذود والاصدار لما ان
الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هي التي دعت موسى عليه الصلاة والسلام الى ما صنع في حقهما
من المعروف فانه عليه الصلاة والسلام انما رحمهما لكونهما على الذياد والعجز والعفة وكونهم على السقي
غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما وسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقي من الاسقاء
ويصدر من الصدر والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرجال واما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام
وقوله تعالى وابونا شيخ كبير ابلاء منهما للعذر اليه في توليهما السقي بانفسهما كأنهما قالتا انا
امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك
وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يقضي الناس اوطارهم
من الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر آنفا روي ان الرعاة كانوا
يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله
وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عليه الصلاة والسلام زاحمهم في السقي
لهما فوضعوا الحجر على البئر ليعجزوه عليه الصلاة والسلام عن ذلك فان الظاهر انه عليه الصلاة والسلام
غب ما شاهد حالهما سارع الى السقي لهما وقد روي انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل كانت هناك بئر
اخرى عليها الصخرة المذكورة وروي انه عليه الصلاة والسلام سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم
وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما
واصدرهما ثم تولى الى الظل الذي كان هناك فقال رب اني لما انزلت الي اي اي شيء انزلته الي
من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام فقير اي محتاج لتضمنه معنى الشوق
والطلب جيء باللام دون الى لتقوية العمل وقيل المعنى اني لما انزلت الي من خير عظيم وهو خير الدين صرت
فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عليه الصلاة والسلام اظهارا للتبجح
والشكر على ذلك فجاءته احداهما قيل هي كبراهما واسمها صفوراء او صفرا وقيل صغراهما واسمها
صفيرا اي فجاءته عقيب ما رجعتا الى ابيهما روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان
قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي وقوله
تعالى تمشي حال من فاعل جاءته وقوله تعالى على استحياء متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي اي
جاءته تمشي على استحياء ومعناه انها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط وتنكير

استحياء

استحياء للتفخيم قيل جاءته متخمرة اي شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها قالت
مبنية على سؤال نشأ من حكاية مجيئها اياه عليه الصلاة والسلام قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر
ما سقيت لنا اي جزاء سقيك لنا اسند الدعوة الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها
ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روي انه عليه الصلاة والسلام
اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي
لي الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب عليه الصلاة والسلام فلما جاءه وقص عليه القصص
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذي يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى عليه الصلاة والسلام
انما اجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه الصلاة والسلام ويستظهر برأيه لا
ليأخذ بمعروفه اجرا حسبما صرحت به الا يرى الى ما روي ان شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا اهل
بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ولا نأخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليه الصلاة
والسلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف لا وقد
قص قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام ومثله حقيق بان يضيف
ويكرم لا سيما في دار نبي من انبياء الله عليهم الصلاة والسلام وقيل ليس بمستنكر عليه الصلاة
والسلام ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روي عن عطاء بن السائب انه عليه الصلاة والسلام
رفع صوته بدعائه ليسمعهما ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عليه الصلاة والسلام انما فعله ليكون
ذريعة الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر قالت احداهما وهي التي استدعته الى ابيها وهي التي تزوج
موسى عليه الصلاة والسلام يا ابت استأجره اي لرعي الغنم والقيام بامرها ان خير من استأجرت
القوي الامين تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة في ذلك جعل خير اسما لان
وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على انه امر مجرب روي ان شعيبا عليه الصلاة والسلام قال لها وما
علمك بقوته وامانته فذكرت ما شاهدت منه عليه الصلاة والسلام من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه
صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين
على ان تأجرني اي تكون لي اجيرا او تثيبني من اجرته اذا اثبته اياه فهو على الاول ظرف وعلى الثاني
مفعول به على تقدير مضاف اي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري ومملوكي غير ممدود
وآجرت ممدودا والاول اكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا والمعنى على ان تأجرني نفسك وقوله
تعالى ثماني حجج ظرف كما في الوجه الاول فان اتممت عشرا في الخدمة والعمل فمن عندك اي فهو من عندك
بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عليه الصلاة والسلام عرض لرأيه على موسى
عليه الصلاة والسلام واستدعاء منه للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك
بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب
عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ويوزع رأيك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين
في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه الصلاة والسلام بالاستثناء التبرك به
وتفويض امره الى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى قال ذلك بيني وبينك مبتدأ وخبر اي
ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا
لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى ايما الاجلين اي اكثرهما او اقصرهما قضيت
اي وفيتكه باداء الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اي لا عدوان علي
بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين لصدد المشارطة بعدم

تحقق العدوان في أكثرهما أيضاً للقصد إلى التسوية بينهما في الانتفاء أي لا أطالب بالزيادة على العشر ولا بالزيادة على الثماني وأيما الأجلين قضيت فلك إلا إثم علي يعني كما لا إثم علي في قضاء الأكثر لا إثم علي في قضاء الأقصر فقط وقرئ أي الأجلين ما قضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كما أنها في القراءة الأولى مزيدة لتأكيد إبهام أي وشياعها وقرئ أيما بسكون الياء كقوله تقال نظرت نصحا والسماكين أيهما علي من الغيث استهلت مواطره **والله على ما نقول** من الشروط الجارية بيننا **وكيل** شاهد وحفيظ فلا سبيل لأحد منا إلى الخروج عنه أصلاً وليس ما حكي عنهما عليهما الصلاة والسلام تمام ما جرى بينهما من الكلام في إنشاء عقد النكاح وعقد الإجارة بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على إيقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة إجمالاً من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلاً روي أنهما لما أتما العقد قال شعيب لموسى عليهما الصلاة والسلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت عنده عصي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فأخذ عصا هبط بها آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب عليه الصلاة والسلام فمسها وكان مكفوفاً فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأناً وقيل أخذها جبريل عليه الصلاة والسلام بعد موت آدم عليه الصلاة والسلام فكانت معه حتى لقي بها موسى عليه ليلاً وقيل أودعها شعيباً ملك في صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه الصلاة والسلام وعن الحسن رضي الله عنه ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضاً وعن الكلبي رحمه الله الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب صلوات الله عليهما إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنيناً أخشى عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى عليه الصلاة والسلام دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولاً ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب عليه الصلاة والسلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى عليه الصلاة والسلام بالشأن ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأناً وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحي إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء في قوله تعالى **فلما قضى موسى الأجل** فصيحة أي فعقد العقدين وباشر ما التزمه فلما أتم الأجل **وسار بأهله** نحو مصر بإذن من شعيب عليه الصلاة والسلام روي أنه عليه الصلاة والسلام قضى أبعد الأجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود إلى مصر فاستأذنه في ذلك فأذن له فخرج بأهله **آنس من جانب الطور ناراً** أي أبصر من الجهة التي تلي الطور ناراً **قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر** أي بخبر الطريق وقد كانوا أضلوه **أو جذوة** أي عود غليظ سواء كانت في رأسه نار أو لا قال قائلهم باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال وألقى على قبس من النار جذوة فيها لحرها والتهابها ولذلك بين بقوله تعالى **من النار** وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات **لعلكم تصطلون** أي تستدفئون **فلما أتاها** أي النار التي آنسها **نودي من شاطئ الوادي الأيمن** أي أتاه النداء من الشاطئ الأيمن

بالنسبة

بالنسبة إلى موسى عليه الصلاة والسلام **في البقعة المباركة** متصل بالشاطئ أو صلة لنودي **من الشجرة** بدل اشتمال من شاطئ لأنها كانت نابتة على الشاطئ **أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين** وهذا وإن خالف لفظاً لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المراد **وأن ألق عصاك** عطف على أن يا موسى وكلاهما مفسر لنودي والفاء في قوله تعالى **فلما رآها تهتز** فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلاً على دلالة الحال عليها وإشعاراً بغاية سرعة تحقق مدلولاتها أي فألقاها فصارت ثعباناً فاهتزت فلما رآها تهتز **كأنها جان** أي في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها **ولى مدبراً** أي منهزماً من الخوف **ولم يعقب** أي لم يرجع **يا موسى** أي قيل يا موسى **أقبل ولا تخف إنك من الآمنين** عن المخاوف فإنه لا يخاف لدي المرسلون **اسلك يدك في جيبك** أي أدخلها فيه **تخرج بيضاء من غير سوء** أي عيب **واضمم إليك جناحك** أي يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بإدخال اليمنى تحت العضد الأيسر واليسرى تحت الأيمن أو بإدخالهما في الجيب فلا تكرار والغرض أن لا يكون ذلك في وجه العدو وإظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعباناً استعارة من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه **من الرهب** أي من أجل الرهب أي إذا اعتراك الخوف فافعل ذلك تجلداً وضبطاً لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما وكلها لغات **فذانك** إشارة إلى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك **برهانان** حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل إذا ابيض ويقال للمرأة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطاناً من السليط وهو الزيت لإنارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن **من ربك** متعلق بمحذوف هو صفة لبرهانان أي كائنان منه تعالى **إلى فرعون وملئه** واصلان ومنتهيان إليهم **إنهم كانوا قوماً فاسقين** خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا أحقاء بأن نرسلك إليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين **قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون** بمقابلتها **وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً** أي معيناً وهو في الأصل اسم ما يعان به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف **يصدقني** بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة **إني أخاف أن يكذبون ولساني** لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب وقرئ يصدقني بالجزم على أنه جواب الأمر **قال سنشد عضدك بأخيك** أي سنقويك به فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد **ونجعل لكما سلطاناً** أي تسلطاً وغلبة وقيل حجة وليس بذاك **فلا يصلون إليكما** باستيلاء أو محاجة **بآياتنا** متعلق بمحذوف قد صرح به في مواضع أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل أو بنسلطكما بآياتنا أو بمعنى لا يصلون أي يمتنعون منهم بها وقيل هو قسم جوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تعالى **أنتما ومن اتبعكما الغالبون** بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام للتعريف لا بمعنى الذي **فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات** أي واضحات الدلالة على صحة رسالته عليه الصلاة والسلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد إذ هما اللتان أظهرهما موسى عليه الصلاة والسلام إذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في سورة طه **قالوا ما هذا إلا سحر مفترى** أي سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله

ولا ينطلق

او سحر تعمله ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا
اي السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين او واقعاً في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء
بالهدى من عنده يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف ان
المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار
اي العاقبة المحمودة في الدار وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازاً الى
الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة وسيئات
الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور
وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى
للمعارضة وكان من امرهم ما كان فاوقد لي يا هامان على الطين اي اصنع لي آجراً فاجعل لي
صرحاً اي قصراً رفيعاً لعلي اطلع الى اله موسى كأنه توهم انه لو كان لكان جسماً في السماء يمكن الرقي
اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين واراد ان يبني له رصداً يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى
هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كما في قوله تعالى قل
اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهما وهذا من خواص العلوم الفعلية
فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك
امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا
في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم
الينا لا يرجعون بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعاً والاول من رجع رجعاً وهو الانسب
بالمقام فاخذناه وجنوده عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم في اليم
قد مر تفصيله وفيه من فخامة شأن الآخذ وتهويل ما استحقه المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى كأنه تعالى
اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وبينها للناس ليعتبروا
بها وجعلناهم ائمة اي صيرناهم في عهدهم يدعون الى النار الى ما يؤدي اليها من الكفر والمعاصي
اي قدوة يقتدي بهم اهل الضلال لما عرفوا اختيارهم لتحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم ائمة دعاة
الى النار كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً والانسب حينئذ ان يكون الجعل بعدهم
فيما بين الامم يتلونا الدعوة الى النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عنه ذلك ويوم
القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طرداً
وابعاداً عن الرحمة ولعناً من اللاعنين حيث لا يزال تلعنهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام والمؤمنون
خلفاً عن سلف ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين
بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه قال ابن عباس رضي الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اي جعله
قبيحاً وقال ابو عبيدة من المهلكين ويوم القيمة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف
او بمحذوف يفسره ذلك كأنه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من القالين ولقد آتينا موسى الكتاب
اي التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم الصلاة والسلام والتعرض
لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيداً لما يعقبه من بيان الحاجة الى انزال القرآن الكريم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها
واحكامها المؤدية الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول

الباقية على ممر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة
للاعتبار كأنه قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة الى ايتائها بصائر للناس اي انواراً لقلوبهم
تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عمياً عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب
الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر وهدى اي هداية الى الشرائع والاحكام التي هي سبل
الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه
نفس البصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق
القول عند ذلك في قوله لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي شروع
في بيان ان انزال القرآن الكريم ايضاً واقع في زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة
وقد صدر بتحقيق كونه وحياً صادقاً من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال
لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحي من علام الغيوب
على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الآية اي وما كنت بجانب الجبل
الغربي او المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه او مكان
الغربي على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع اذ قضينا الى موسى الامر اي عهدنا اليه
واحكمنا امر نبوته بالوحي وايتاء التوراة وما كنت من الشاهدين اي من جملة الشاهدين للوحي
وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبة التوراة له في
الالواح فتخبره للناس ولكنا انشأنا قروناً اي ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قروناً
كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام وعميت عليهم الانباء
لا سيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما
يوجبه ويدل عليه وقوله تعالى وما كنت ثاوياً اي مقيماً في اهل مدين شعيب والمؤمنين به
وقوله تعالى تتلو عليهم اي تقرأ على اهل مدين بطريق التعلم منهم آياتنا الناطقة بالقصة
اما حال لتلك الآيات ونظائرها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اي وقت ندائنا موسى اني
انا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون ولكن رحمة من ربك اي ولكن
ارسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس ولكن عرفناك ذلك
بذلك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه عليه الصلاة والسلام بالاضافة
وقد اكتفي عن ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصاً على
المقصود واشعاراً بانه المراد فيهما ايضاً ولله در شأن التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوماً متعلق
بالفعل المعلل بالرحمة حسبما ذكرنا من ارساله عليه الصلاة والسلام بالقرآن حتماً لما انه العامل بالانذار
لا لتعليمها ذكر وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ما اتاهم من نذير من قبلك صفة
لقوماً اي لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين
اسماعيل بناء على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل لعلهم يتذكرون اي يتعظون بانذارك
وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الامر والثواء في اهل مدين والنداء للتنبيه على ان كلا من ذلك برهان
مستقل على ان حكايته عليه الصلاة والسلام للقصة بطريق الوحي الالهي ولو ذكر ولو ذكرا على الترتيب الوقوعي
لربما توهم ان الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر في قصة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة اي عقوبة
بما قدمت ايديهم اي بما اقترفوا من الكفر والمعاصي فيقولوا عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية
على ان مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكر في حيزها للايذان بانه السبب

المبين الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي هلا ارسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات
فنتبع آياتك الظاهرة على يديه وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة
بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما
ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية
فلما جاءهم اي اهل مكة الحق من عندنا وهو القرآن المنزل عليه عليه الصلوة
والسلام قالوا تعنتا واقتراحا لولا اوتي يعنون به عليه الصلوة والسلام مثل
ما اوتي موسى عليه الصلوة والسلام من الكتاب المنزل جملة واما اليد والعصا فلا تعلق لهما
بالمقام كسائر معجزاته عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى
من قبل رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق اي
الم يكفروا من قبل هذا القول بما اوتيه موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى قالوا
استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى
ساحران خبر مبتدأ محذوف اي هما يعنون ما اوتي محمد صلى الله عليه وسلم وما اوتي
موسى عليه الصلوة والسلام ساحران تظاهرا اي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الاخر
وذلك انهم بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه الصلوة
والسلام فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت
اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى وقالوا انا بكل اي بكل واحد من الكتابين كافرون تصريح
بكفرهم وتاكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم بالكفر والطغيان
وقرئ سحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله وسلم عليهما هذا هو الذي يستدعيه
جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل الاترى الى قوله تعالى قل فأتوا بكتاب
من عند الله هو اهدى منهما مما اوتيناه من التوراة والقرآن وسميتموهما سحرين فانه نص
فيما ذكر وقوله تعالى اتبعه جواب للامر اي ان تأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي
به من يستدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين
الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام ان كنتم صادقين اي في انهما سحران
مختلقان وفي ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اي فان لم
يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة
ايذانا بانه عليه الصلوة والسلام على كمال امن من امره كان امره عليه الصلوة والسلام لهم بالاتيان
بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام
فيحذف الدعاء عند ذكر الداعي غالبا ولا يكاد يقال له دعاء فاعلم انما يتبعون اهواءهم الزائغة
من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان لهم ذلك لأتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه
استفهام انكاري للنفي اي لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي هو اضل من كل ضال
وان كان ظاهر السبك لنفي الاضل لا لنفي المساوي كما مر في نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى
لعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والاشباع في التشنيع والتضليل والا فمقارنته لهما
لهما بينة الاستحالة ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك
اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ
بالتخفيف اي انزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة

اومتشابها

اومتشابها وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون فيؤمنون
بما فيه الذين آتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل ايتاء القرآن هم به يؤمنون وهم مؤمنو
اهل الكتاب وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية
من الشام واذا يتلى اي القرآن عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا اي الحق الذي كنا نعرف
حقيقته وهو استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تعالى انا كنا من قبله اي من قبل نزوله
مسلمين بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وانهم
على دين الاسلام قبل نزول القرآن اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون اجرهم مرتين
مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على
الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين ويدرؤن بالحسنة
السيئة اي يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلوة والسلام اتبع الحسنة السيئة
تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو من اللاغين اعرضوا
عنه عن اللغو تكرما لقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم
انك لا تهدي هداية موصلة الى البغية لا محالة من احببت من الناس ولا تقدر على ان تدخله
في الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود ولكن الله يهدي من يشاء
اي يهديه ويدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها
نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون
عليك وعلى بني ابيك غضاضة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة
وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف
وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف
حيث اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا
العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تعالى اولم نمكن لهم حرما آمنا
اي الم نعصمهم ونجعل مكانهم حرما ذا امن لحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب حوله وهم
آمنون فيه يجبى اليه وقرئ تجبى اي يجمع ويحمل اليه ثمرات كل شيء من كل اوب والجملة صفة اخرى
لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة رزقا من لدنا فاذا كان حالهم ما ذكر
وهم عبدة الاصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون
اي جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا اي قليل منهم
يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لا علم لهم بالغيب وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد
لمعنى يجبى اليه او حال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس وانهم
احقاء بان يخافوا باس الله تعالى بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكثير من اهل قرية
كانت حالهم كحال هؤلاء في الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم
فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا الا زمانا
قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لم يبق من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا
نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر تصرفاتهم وانتصاب معيشتها

بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت **وما كان ربك مهلك القرى** بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة اي وما صح وما استقام بل استحال في سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمه الماضي وقضائه السابق ان يهلك القرى قبل الانذار بل كان من عادته ان لا يهلكها **حتى يبعث في امها** اي في اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها لكون اهلها افطن وانبل **رسولا يتلو عليهم آياتنا** الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى **وما كنا مهلكي القرى** عطف على ما كان ربك وقوله تعالى **الا واهلها ظالمون** استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما كنا مهلكين لاهل القرى بعد ما بعثنا في امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه في حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسلنا والكفر باياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه في سورة بني اسرائيل **وما اوتيتم من شيء** من امور الدنيا **فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها** اي فهو شيء شانه ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل **وما عند الله** وهو الثواب **خير** في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالام وبهجة كاملة عارية عن سمة الهموم **وابقى** لانه ابدي **افلا تعقلون** الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم **افمن وعدناه وعدا حسنا** اي وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود **فهو لاقيه** اي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ولذلك جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفت بالفاء المنبئة عن معنى السببية **كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا** الذي هو مشوب بالالام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه بين اهل الدنيا واهل الاخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وبين ما عند الله تعالى اي ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى **ثم هو يوم القيمة من المحضرين** عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كانه قيل كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيمة النار او العذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان او في الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل **ويوم يناديهم** منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر **فيقول** تفسير للنداء **اين شركاءي الذين كنتم تزعمون** اي الذين كنتم تزعمونهم شركاءي فحذف المفعولان معا ثقة بدلالة الكلام عليهما **قال** استئناف مبني على حكاية السؤال كانه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال **الذين حق عليهم القول** وهم شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم الذين اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم في كل ما امروهم به ونهوهم عنه ومعنى حق عليهم القول اي ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوا ذلك وهؤلاء انما قالوا رد القولهم الا انه لم يذكر قول العبدة ايجازا لظهوره **ربنا هؤلاء الذين اغوينا** اي هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان

انهم يقولون

انهم يقولون ما يقولون بمحض رضاهم وانهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى **اغويناهم كما غوينا** هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اي ما اكرهناهم على الغي وانما اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان تكون صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر **تبرانا اليك** منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى **ما كانوا ايانا يعبدون** اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرانا اي تبرانا من عبادتهم ايانا **وقيل ادعوا شركاءكم** اي تهكما بهم وتبكيتا لهم **فدعوهم** لفرط الحيرة **فلم يستجيبوا لهم** ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة **وراوا العذاب** قد غشيهم **لو انهم كانوا يهتدون** لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل للتمني اي تمنوا لو انهم كانوا مهتدين **ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين** عطف على ما قبله سئلوا اولا عن اشراكهم ثم عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك **فعميت عليهم الانباء يومئذ** اي صارت كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على ان ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطاه لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعديته بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما ما طلب منهم مما اجابوا به الرسل وجميع الانباء وهي داخلة فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم الصلوة والسلام يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة السؤال فما ظنك باولئك الضلال من الامم **فهم لا يتساءلون** لا يسال بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء في الجهل **فاما من تاب** من الشرك **وامن وعمل صالحا** اي جمع بين الايمان والعمل الصالح **فعسى ان يكون من المفلحين** اي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المكروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح **وربك يخلق ما يشاء** اي يخلقه تعالى **ويختار** ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه ولا منع له اصلا **ما كان لهم الخيرة** اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخير والصلاح **سبحان الله** اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار **وتعالى عما يشركون** عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به **وربك يعلم ما تكن صدورهم** كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم **وما يعلنون** كالطعن فيه **وهو الله** اي المستحق للعبادة **لا اله الا هو** لا احد يستحقها الا هو **له الحمد في الاولى والاخرة** لانه المولي للنعم كلها عاجلها واجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الاخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده **وله الحكم** اي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره **واليه ترجعون** بالبعث لا الى غيره **قل** تقريرا لما ذكر **ارايتم** اي اخبروني **ان جعل الله عليكم الليل سرمدا** دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص

من الملاص يقال درع دلاص اي ملساء لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض
او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله صفة لاله يأتيكم بضياء صفة اخرى
عليها مدار التبكيت والالزام كما في قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله
فمن يأتيكم بماء معين ونظائرها خلا انه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل
هل اله الى آخره لايراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين افلا تسمعون
هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه قل ارأيتم ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله
غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر
منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع افلا تبصرون هذه المنفعة
الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي في الليل
ولتبتغوا من فضله اي في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمه تعالى
فعل ما فعل او لتعرفوا نعمته تعالى وتشكروه عليها ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول اين شركائي
الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك كما لا شيء ادخل
في مرضاته من توحيده سبحانه فقوله تعالى ونزعنا عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على
التحقق وحال من فاعل يناديهم باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشأن النزع
اي اخرجنا من كل امة من الامم شهيدا نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد فقلنا لكل من تلك الامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون فعلموا يومئذ
ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم اي غاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون
في الدنيا من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى
عليه الصلوة والسلام ابن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه السلام ابن اخيه وكان يسمى المنور
لحسن صورته وقيل كان اقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى
لموسى والمذبح والقربان لهرون فما لي وروي انه لما جاوز موسى بهم البحر وصارت الرسالة والحبورة
والقربان لهرون عليه الصلوة والسلام وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست
على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله تعالى قال لا اصدقك حتى تأتي بآية فامر رؤساء بني اسرائيل
ان يجيء كل واحد منهم بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل
فاصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله
تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على
بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكر منه في حق موسى وهرون عليهما الصلوة والسلام وآتيناه من
الكنوز اي الاموال المدخرة ما ان مفاتحه اي مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به
وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو
ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ
لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه كما مر في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين
اذ قال له قومه منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بان البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد
بان الايتاء غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو اظهر الفرح ويجوز ان يكون منصوبا بما
بعده من قوله تعالى قال انما اوتيته وتكون الجملة مقررة لبغيه لا تفرح اي لا تبطر والفرح في الدنيا

مذموم

مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة
لا محالة يوجب الترح حتما فلذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا
من محبته عز وعلا ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ وقرئ واتبع فيما آتاك الله
من الغنى الدار الآخرة اي ثواب الله تعالى فيما تصرفه الى ما يكون وسيلة اليه ولا تنس اي لا تترك
ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد
الله تعالى كما احسن الله اليك فيما انعم به عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك
بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين
لسوء افعالهم قال مجيبا للناصحين انما اوتيته على علم عندي كأنه يريد به الرد على قولهم كما احسن الله
اليك لانبائه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله اي
فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه على علم في موضع الحال وهو علم التوراة
وكان اعلمهم بها وقيل هو الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم كنوز
والدفائن وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي وفي ظني ورأيي اولم يعلم
ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا توبيخ له من جهة الله عز وجل
على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في التوراة وتلقيا من موسى عليه الصلوة والسلام
وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجيب منه على معنى الم يقرأ التوراة ولم يعلم ما فعل الله تعالى باضرابه من اهل القرون
السالفة حتى لا يغتر بما اغتروا به او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه على معنى انه علم
ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون
سؤال استعلام بل يعذبون بها كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى
اكد ذلك بان بين ان ذلك لم يكن مما يخص اولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة
المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في
زينته اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج عليهم كائنا في زينته قيل خرج على
بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى
خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين
الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رؤي فيه المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من
جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وعن
قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى حيث ينفقونه في سبيل الخير وقيل كان المتمنون قوما كفارا انه
لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتأكيد له وقال الذين اوتوا العلم اي باحوال الدنيا والآخرة كما
ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها على ان العلم باحوال النشأتين يقتضي الاعراض
عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغي ويلكم دعاء
بالهلاك ثم شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير مما تتمنونه لمن آمن وعمل صالحا
فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه في هذه السيرة والطريقة ولا يلقاها الا الصابرون
على الطاعات وعن الشهوات فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى عليه الصلوة
والسلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره
فعمد الى ان يفضح موسى عليه الصلوة والسلام بين بني اسرائيل فجعل لبغية من بغايا بني اسرائيل الف دينار
وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عليه الصلوة والسلام خطيبا فقال من سرق

قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون وان كنت قال ولو كنت
قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه الصلوة والسلام ان تصدق
فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب ان
كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله تعالى بعثني الى
قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا
غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه الصلوة والسلام
بالله تعالى والرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت
بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه الصلوة والسلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا
الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة جماعة مشفقة ينصرونه من دون
الله يدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين اي من الممتنعين منه بوجه من الوجوه
يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس
منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لا يفعل
كل واحد من البسط والقدر لمحض مشيته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض
وويكان عند البصريين مركب من وي للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الى
اخره وعند الكوفيين على الخطا او التندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وتندموا
على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطائه ايانا ما تمنيناه واعطانا مثل ما اعطاه
اياه وقرئ لولا من الله علينا لخسف بنا كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول
وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرئ لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا ويكانه
لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله وبما وعدوا به من ثواب الاخرة تلك
الدار الاخرة اشارة تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التي سمعت خبرها او بلغك وصفها نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض اي غلبة وتسلطا ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد
كدابة فرعون وقارون وفي تعليق الوعد بترك ارادتهما لا بتركهما انفسهما مزيد تحذير منهما وعن
علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة
الحميدة للمتقين اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الاقوال والافعال من جاء بالحسنة
فله خير منها ذاتا ووصفا وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا
السيئات وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم
الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة
في المماثلة وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة
بعشر امثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك
تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك الى معاد اي معاد تمتد اليه اعناق الهمم وترنو اليه
احداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة تعالى
قد وعده وهو بمكة في اذية وشدة من اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر
وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد
ابيه ابراهيم عليه الصلوة والسلام فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام فقال له اتشتاق الى
مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر

منتصب

منتصب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم ومن هو في ضلال مبين
وما استحقه من العذاب والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعيد السابق وكذا
قوله وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت
ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى
كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم
والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اي الكافرون عن آيات الله اي عن قراءتها
والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصده بمعنى صده
وادع الناس الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم
في الامور ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع المشركين
عن مساعدته عليه الصلوة والسلام لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح بحيث ينهى عنه
من لا يمكن صدوره عنه اصلا لا اله الا هو وحده كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما
عداه ممكن في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم له الحكم اي القضاء النافذ
في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق والعدل عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى عليه الصلوة والسلام وكذب
به ولم يبق ملك في السموات والارض الا يشهد له يوم القيمة بانه كان صادقا صدق الله ورسوله

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظائره من الفواتح الكريمة
خلا انه ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا احسب الناس الحسبان ونظائره لا يتعلق
بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء او انتفاء شيء عن شيء بحيث يتحصل منها مفعولاه
بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان والواقعة صلة للموصول الاسمي
او الحرفي فان كلا منها صالح لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان
يقولوا آمنا وهم لا يفتنون في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة لمجرد ان يقولوا آمنا
او ان يقال احسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور
واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات
ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في
الدين من المتزلزل فيه ولنجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير
الخلاص من الخلود في النار روي انها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين جزعوا
من اذية المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رماه
عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامراته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة
ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى احسب او بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة
قديمة مبنية على الحكمة البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان
الامم الماضية قد اصابهم ضروب من الفتن والمحن بما هو اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه
قوله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا

الآيات وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين
ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه
فليعلمن الله الذين صدقوا اي في قولهم آمنا وليعلمن الكاذبين في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما
يفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لإدخال الروعة
وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتقرير اي والله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا
حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب
عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام
اي وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها أم حسب الذين
يعملون السيئات ان يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد
مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال
عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم
ان لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم حيث اصروا
على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ساء ما يحكمون
اي بئس الذي يحكمونه حكمهم ذلك او بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك من كان يرجو لقاء الله اي يتوقع ملاقاة
جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه
وقيل يخاف عقابه وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء
على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتي ويذر فاما
ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما يسخطه فان اجل الله الأجل عبارة عن غاية زمان
ممتد عينت لأمر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال اي فان الوقت الذي
عينه تعالى لذلك لآت لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لأن اجزاء الزمان على التقضي والتصرم
دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيانه وقت موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف اي فليختر
من الاعمال ما يؤدي الى حسن الثواب وليحذر ما يسوق الى سوء العذاب كما في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر
ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى وهو السميع لأقوال العباد العليم بجميع من
الاعمال الظاهرة والعقائد ومن جاهد في طاعة الله عز وجل فانما يجاهد لنفسه لعود منفعتها
اليها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة له الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب
رحمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من
الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم فقط ووصينا الانسان
بوالديه حسنا اي بايتاء والديه وايلائهما فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه
كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان في المأمور
به نفع عائد الى المأمور او غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب
حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه
الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اي بالهيته
عبر عن نفيها بنفي العلم بها للايذان بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما
علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم

يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار بان موجب النهي فيما دونها من التقليد
ثابت بطريق الاولوية إليّ مرجعكم اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم
بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص
عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي سفيان بن امية ان لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا
تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل في عياش
ابن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل
والحارث اخواه لامه اسماء فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام
وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في
الذروة والغارب واستشار عمر رضي الله تعالى عنه فقال عمر رضي الله عنه هما يخدعانك ولك علي ان اقسم
مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضي الله تعالى عنه فقال عمر رضي الله تعالى عنه
اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء
قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلداه كل
واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال في الصلاح منتهى درجات
المؤمنين وغاية متمنى انبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه الصلاة والسلام
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانه في الآخرة لمن الصالحين
او في مدخل الصالحين وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله اي في شانه تعالى
بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس اي ما يصيبهم من اذيتهم كعذاب الله في الشدة
والهول فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى اصلا ولئن جاء نصر
من ربك اي فتح وغنيمة ليقولن بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها
وقرئ بالفتح انا كنا معكم اي مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين
كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى اوليس الله
باعلم بما في صدور العالمين اي باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون
من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق وما لحق
من قوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا اي بالاخلاص وليعلمن المنافقين سواء كان كفرهم بأذية الكفرة
او لا اي ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق وقال الذين كفروا للذين آمنوا بيان لحملهم المؤمنين على الكفر
بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما ان مساق
الكلام لبيان جنايتهم وفيما سبق لبيان جناية من اضلوه واللام للتبليغ اي قالوا مخاطبين لهم اتبعوا
سبيلنا اي اسلكوا طريقتنا التي نسلكها ولنحمل خطاياكم اي ان كان ذلك خطيئة نسلكها في الدين
عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا في طريقتنا
ولنحمل خطاياكم اي ان كان ذلك خطيئة تؤاخذون عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين
على امرهم بالاتباع للمبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت ثمة اوزار فرد عليهم
بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقرئ من خطيئتهم اي وما هم بحاملين من خطاياهم التي
التزموها اي يحملوا كلها عليهم من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض انهم لكاذبون
حيث اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه

ينطق الشيء باعتبار ما يلزم مدلوله الحكمي كما مر في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وليحملن اثقالهم
بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم منفعته للمخاطبين اصلا والتعبير عن
الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة والكلام جواب قسم مضمر اي والله ليحملن اثقال انفسهم
كاملة واثقالا مع اثقالهم اخر لما تسببوا له بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينتقص
من اثقال من اضلوه شيء ما اصلا وليسألن يوم القيامة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون اي يختلقونه
في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التي من جملتها كذبهم هذا ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم الصلاة والسلام باذية اممهم اثر بيان
افتتان المؤمنين باذية الكفار تاكيدا للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم
على الصبر فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا
عليها فلان يصبر هؤلاء اولى واحرى قيل كان عمر نوح عليه الصلاة والسلام الفا وخمسين عاما وعاش
بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة
على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود
من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من المكابدة لما يناله من الكفرة واظهار
ركاكة رأي الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما في التكرير من نوع بشاعة فاخذهم
الطوفان اي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة من السيل
والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون اي والحال انهم مستمرون على الظلم
لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه الصلاة والسلام من الآيات ولم يرتدعوا عما هم عليه من الكفر
والمعاصي هذه المدة المتمادية فانجيناه اي نوحا عليه الصلاة والسلام واصحاب السفينة
اي ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل
ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة والقصة آية للعالمين
يتعظون بها وابراهيم نصب بالعطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن
المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه ظرف للارسال اي ارسلناه حين تكامل عقله
وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق
الى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابراهيم اعبدوا الله اي وحده واتقوه ان تشركوا به شيئا
ذلكم اي ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم اي مما انتم عليه ومعنى التفضيل مع انه لا خير
فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ان كنتم تعلمون اي الخير والشر وتميزون احدهما من الآخر
او ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة
والتقوى انما تعبدون من دون الله اوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان
شريته بالنسبة الى الدين الحق اي انما تعبدون من دونه تعالى اوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة
لكم ليس فيها وصف غير ذلك وتخلقون افكا اي وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون انها
شفعاؤكم عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلّقون بالتشديد للتكثير في الخلق
بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا على انه
مصدر كالكذب واللعب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله بيان
لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون على ان
يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين واعبدوه

وحده

وحده واشكروا له على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين
للمزيد اليه ترجعون اي بالموت ثم البعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتم به وقرئ ترجعون من رجع
رجوعا وان تكذبوا اي تكذبوني فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون فقد كذب امم من قبلكم تعليل
للجواب اي فلا تضروني بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس
ونوح عليهم الصلاة والسلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما ضروا انفسهم حيث تسبب لما حل بهم
من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الذي لا يبقى معه شك
وما عليه ان يصدق البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد
ذلك اصلا اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى لانكارهم على
تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو
للعطف على مقدر اي الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله
تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة اي قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار
وتاكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى ثم يعيده عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية
عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتاويل الاعادة
بانشائه تعالى كل سنة مثل ما انشاه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما
يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب ان ذلك اي ما ذكر من الاعادة على الله يسير اذ
لا يفتقر في فعله الى شيء اصلا قل سيروا في الارض امر لابراهيم عليه الصلاة والسلام ان يقول لهم ذلك
اي سيروا فيها فانظروا كيف بدأ الخلق اي كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبائع
متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض مؤذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين
في اقطارها ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي شاهدتموها والتعبير
عن الاعادة التي هي محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعر بكون البدء نشأة اولى للتنبيه على انهما
شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود
ولا فرق بينهما الا بالاولية والآخرية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها
النصب على انها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والاصل الانشاءة او بحذف العامل اي ينشئ فينشؤن
النشأة الآخرة كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا في الارض داخلة
معها في حيز القول واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره في بدأ لابراز مزيد الاعتناء
ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير
تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء التي من جملتها الاعادة لا يتصور
ان يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعدما اخبر به يعذب اي بعد النشأة الآخرة من يشاء
ان يعذبه وهم المنكرون لها ويرحم من يشاء ان يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكميل لما قبلها
وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب واليه تقلبون عند ذلك لا الى غيره
فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة وما انتم بمعجزين له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم
في الارض ولا في السماء اي بالتواري في الارض وبالهبوط في مهاويها ولا بالتحصن في السماء التي هي افسح
منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
او القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اي ولا من في السماء وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه

عنكم والذين كفروا بآيات الله أي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته
وأفعاله فيدخل فيه النشأة الأولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا أوليا وتخصيصها
بالدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام ولقائه الذي ينطق به تلك الآيات أولئك الموصوفون
بما ذكر من الكفر بآيات الله تعالى ولقائه يئسوا من رحمتي أي ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي
للدلالة على تحققه أي يئسوا منها في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء وأولئك لهم عذاب أليم وفي
تكرير اسم الإشارة وتكرير الإسناد وتنكير العذاب ووصفه بالأليم من الدلالة على تكريرهم بكمال فظاعة عذابهم
ما لا يخفى وأولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته المتمادون بذلك عن
سائر الكفرة لهم بسبب تلك الأوصاف القبيحة عذاب أليم لا يقادر قدره في الشدة والإيلام
فما كان جواب قومه بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله تعالى إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه
وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره وليس المراد أنه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج
إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل إن ذلك
هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الأخيرة وإلا فقد صدر عنهم من الخرافات
والأباطيل ما لا يحصى فأنجاه الله من النار الفاء فصيحة أي فألقوه في النار فأنجاه الله تعالى منها
بأن جعلها عليه الصلاة والسلام بردا وسلاما وانجابها بأمره تعالى تفصيله قيل لم ينتفع
يومئذ بالنار في موضع أصلا إن في ذلك أي في إنجائه منها لآيات بينات عجيبة هي حفظه تعالى
إياه من حرها وإخمادها في زمان يسير وإنشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون وأما من عداهم
فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون وقال أي إبراهيم عليه الصلاة والسلام
مخاطبا لهم إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا
لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف أي أوثانا آلهة ويجوز أن يكون
مودة ثاني المفعول بتقدير المضاف أيضا أو بتأويلها بالمودة بها منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئت
بالرفع والإضافة على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هي مودة أو نفس المودة أو سبب مودة بينكم
والجملة صفة أوثانا أو خبر أن على أن ما مصدرية أو موصولة قد حذف عائدها وهو
المفعول الأول وقرئت منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على الوجهين
وقرئ إنما مودة بينكم والمعنى أن اتخاذكم إياها مودة بينكم ليس إلا في الحياة وقد اجتمعتم لها
حيث فعلتم ما فعلتم لأجل مودتكم لها انتصارا لها كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا آلهتكم ثم يوم القيامة
تنقلب الأمور وتتبدل التوادد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم وهو العبدة ببعض
وهو الأوثان ويلعن بعضكم بعضا أو يلعن كل فريق منكم ومن الأوثان حيث ينطقها الله تعالى
الفريق الآخر ومأواكم النار أي هي منزلكم الذي تأوون إليه ولا ترجعون منه أبدا وما لكم من ناصرين
يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي ألقيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع أي ما لأحد
منكم من ناصر أصلا فآمن له لوط أي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا إليه من التوحيد فقط فإنه كان
منزها عن الكفر وما قيل إنه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغي أن يحمل على ما ذكرنا أو على أن المراد بالإيمان
الرتبة العالية منه وهي التي لا يرتقي إليها إلا همم الأفراد الكمل ولوط هو ابن أخيه عليهما الصلاة والسلام
وقال إني مهاجر أي من قومي إلى ربي إلى حيث أمرني إنه هو العزيز الغالب على أمره فيمنعني من
أعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا إلا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني إلا بما فيه صلاحي وروي
أنه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين

فنزل لوط

فنزل لوط سدوم ووهبنا له إسحاق ويعقوب ولدا ونافلة حين أيس من عجوز عاقر وجعلنا في ذريته
النبوة فكثر منهم الأنبياء والكتاب أي جنس الكتاب المتناول للكتب الأربعة وآتيناه أجره بمقابلة هجرته
إلينا في الدنيا بإعطاء الولد في غير أوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل إليه
والثناء والصلاة عليه إلى آخر الدهر وإنه في الآخرة لمن الصالحين أي الكاملين في الصلاح ولوطا
منصوب إما بالعطف على نوحا أو على إبراهيم والكلام في قوله تعالى إذ قال لقومه كالذي مر في قصة
إبراهيم إنكم لتأتون الفاحشة أي الفعلة المتناهية في القبح وقرئ أئنكم ما سبقكم بها
من أحد من العالمين استئناف مقرر لكمال قبحها فإن إجماع جميع أفراد العالمين على التحاشي عنها
ليس إلا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل
وتتعرضون للسابلة أي بالفاحشة حيث روي أنهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون
سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل وأخذ المال
وتأتون في ناديكم أي تفعلون في مجلسكم الجامع لأصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الإزار وغيرها
مما لا خير فيه من الأفاعيل المنكرة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق
والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الأزرار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن
مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت
من الصادقين أي فما كان جوابا من جهتهم شيء من الأشياء إلا هذه الكلمة الشنيعة أي لم يصدر عنهم
في هذه المرة من مرات مواعظه عليه الصلاة والسلام وقد كان أوعدهم فيها بالعذاب وأما ما في سورة
الأعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم الآية وما في سورة النمل من قوله
تعالى فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم الآية فهو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة
وهي المرة الأخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام وقد مر تحقيقه في سورة
الأعراف قال رب انصرني أي بإنزال العذاب الموعود على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها
فيمن بعدهم والإصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وإنما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال
العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى أي بالبشارة بالولد والنافلة قالوا أي لإبراهيم
عليه الصلاة والسلام في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر إنا مهلكوا
أهل هذه القرية أي قرية سدوم والإضافة لفظية لأن المعنى على الاستقبال إن أهلها كانوا
ظالمين تعليل للإهلاك بإصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وأنواع المعاصي قال إن
فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله أرادوا أنهم غير غافلين
عن مكان لوط عليه الصلاة والسلام فيها بل ممن يتعرض له إبراهيم عليه الصلاة والسلام من اتباعه
وأنهم معتنون بشأنه أتم اعتناء حسبما ينبئ عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم أي والله لننجينه
وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين أي الباقين في العذاب أو القرية ولما أن جاءت رسلنا المذكورون
بعد مفارقتهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام لوطا سيء بهم اعترته المساءة بسببهم مخافة أن يتعرض
لهم قومه بسوء وكلمة أن للتأكيد ما بين الفعلين من الاتصال وضاق بهم ذرعا أي ضاق بشأنهم وتدبير
أمرهم ذرعه أي طاقته كقولهم ضاقت يده وبإزائه رحب ذرعه بكذا إذا كان مطيقا به قادرا عليه
وذلك أن طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع قالوا لما شاهدوا فيه مخايل التضجر من
جهتهم وعاينوا أنه قد عجز عن مدافعتهم بعد اللتيا والتي حتى آل به الحال إلى أن قال لو أن لي بكم قوة
أو آوي إلى ركن شديد لا تخف أي من قومك علينا ولا تحزن أي على شيء وقيل بإهلاكنا إياهم إنا

منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امرأتك كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك
من الانجاء وايا ما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار
الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء استئناف مسوق لبيان ما اشير اليه
بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق المعذب اي يزعجه من قولهم ارتجز اي
ارتجز واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا
منها اي من القرية آية بينة هي قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة وقيل
الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو
متعلق بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا في قصة
نوح عليه الصلاة والسلام اي وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله اي وحده وارجوا
اليوم الآخر اي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال واعملوا ما تنتفعون به اليوم من الاعمال ما تامنون غائلته
وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض
مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا
الصيحة اي صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تمويجها الهواء وما يجاورها
من الارض فاصبحوا في دارهم اي بلدهم او منازلهم والافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين
وعادا وثمودا منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرئ وثمود على تاويل الحي وقد
تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم
بها ذاهبين الى الشام وآيبين منه وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم
عن السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم
يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام لهم ولكنهم لجوا حتى
لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على عادا قيل تقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين مفلتين من قولهم سبق طالبه
اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اي ادرك فلم يقدروا على الهرب والهلاك فكلا
تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي فكل واحد من المذكورين اخذنا بذنبه اي عاقبنا
بجنايته لا لبعض دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل للاخذ
اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين
وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما
كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار
على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه
معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له
حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد المتمسك بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر
وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التانيث وتاؤه كتاء
طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجمع وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت بحيث لا يرى شيء يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا يعلمون اي شيء من الاشياء لعلموا ان
هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى
وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل

للكفرة ان الله يعلم وما استفهامية منصوبة بيدعون ومعلقة ليعلم ومن للتبيين او نافية ومن
مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم
ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ تدعون بالتاء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتاكيد
للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد
شيئا بمن هذا شانه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم
واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وان من هذه صفاته قادر على مجازاتهم وتلك
الامثال اي هذا المثل وامثاله نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها
على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد الا العالمون الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء
على ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلاها فقال العالم من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب
سخطه خلق الله السموات والارض بالحق اي محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل
خلق او ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال
من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى المتعلقة
بذاته وصفاته كما نبه عليه بقوله تعالى ان في ذلك لآية للمؤمنين دالة على ما ذكر من شؤونه
سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد في خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك
اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا
للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق واقم الصلوة
اي داوم على اقامتها وحيث كانت الصلوة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره
عليه الصلوة والسلام باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر كانه قيل وصل بهم ان الصلوة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب
للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلي عن
معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما في الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى
فمن لم تامره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله تعالى الا بعدا وروي انس
رضي الله عنه ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش
الا ركبه فوصف له عليه الصلوة والسلام حاله فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله
ولذكر الله اكبر اي وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما في قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله
للايذان بان ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات ولذكر
الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم
برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها
احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا بالتي هي احسن اي بالخصلة التي
هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة وعلى وجه
لا يدل على الضعف ولا يؤدي الى اعطاء الدنية وقيل هو منسوخ باية السيف الا الذين ظلموا منهم
بالافراط في الاعتداء والعناد واثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة
بما يليق بحالهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا من القرآن وانزل اليكم اي وبالذي انزل اليكم من التوراة
والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما في خاتمة سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان

قالوا حقاً لم تكذبوهم **وإلهنا وإلهكم واحد** لا شريك له في الألوهية **ونحن له مسلمون** مطيعون له خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله **وكذلك** تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلة المشار إليه في الفضل أي مثل ذلك الإنزال البديع الموافق لإنزال سائر الكتب **أنزلنا إليك الكتاب** أي القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالتي هي أحسن **فالذين آتيناهم الكتاب** من الطائفتين **يؤمنون به** أريد بهم عبد الله بن سلام وأضرابه من أهل الكتابين خاصة كأن من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه أو من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بإيتاء الكتاب للإيذان بأن من بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إيمانهم به مترتب على إنزاله على الوجه المذكور **ومن هؤلاء** أي من العرب وأهل مكة على الأول وممن في عهده عليه الصلاة والسلام من أهل الكتابين **من يؤمن به** أي بالقرآن **وما يجحد بآياتنا** عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى وأضيفت إلى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها **إلا الكافرون** المتوغلون في الكفر المصممون عليه فإن ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم إلى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه **وما كنت تتلو من قبله** أي ما كنت قبل إنزالنا إليك الكتاب تقدر على أن تتلو شيئاً **من كتاب ولا تخطه بيمينك** حسبما هو المعتاد أو ما كانت عادتك أن تتلوه ولا أن تخطه **إذاً لارتاب المبطلون** أي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط ومن عادته ذلك لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الأوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب أصلاً وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في ارتيابهم لا في تكذيبهم مع ظهور نزاهته عليه الصلاة والسلام عن ذلك **بل هو** أي القرآن **آيات بينات** واضحات ثابتة راسخة **في صدور الذين أوتوا العلم** من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه **وما يجحد بآياتنا** مع كونها كما ذكر **إلا الظالمون** المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد **وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه** مثل ناقة صالح وعصى موسى ومائدة عيسى عليهم الصلاة والسلام وقرئ آية **قل إنما الآيات عند الله** ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لأحد في ذلك قطعاً **وإنما أنا نذير مبين** ليس من شأني إلا الإنذار بما أوتيت من الآيات **أولم يكفهم** كلام مستأنف وارد من جهته تعالى رداً على اقتراحهم وبياناً لبطلانه والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات **أنا أنزلنا عليك الكتاب** الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل من مدارستها وممارستها **يتلى عليهم** في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان أو يتلى على اليهود بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك **إن في ذلك** الكتاب العظيم الشأن الباقي على ممر الدهور **لرحمة** أي نعمة عظيمة **وذكرى** أي تذكرة **لقوم يؤمنون** أي لقوم همهم الإيمان لا التعنت كأولئك المقترحين وقيل إن ناساً من المؤمنين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم فنزلت **قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً** بما صدر عني **يعلم ما في السموات والأرض** أي من الأمور التي من جملتها شأني وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيداً **والذين آمنوا**

بالباطل

بالباطل وهو ما يعبد من دون الله سبحانه **وكفروا بالله** مع تعاضد موجبات الإيمان به تعالى **أولئك هم الخاسرون** المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان بأن ضيعوا الفطرة الأصلية والأدلة السمعية الموجبة للإيمان والآية من قبيل المجادلة التي هي أحسن لما لم يصح بنسبة الإيمان بالباطل والكفر بالله والخسران إليهم بل ذكر على منهاج الإبهام كما في قوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين **ويستعجلونك بالعذاب** على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب ونحو ذلك **ولولا أجل مسمى** قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح لقومه بعذاب الاستئصال وإلى أن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم وفيه بعد ظاهر لما أنهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به **لجاءهم العذاب** جملة مستأنفة مبينة لما أشير إليه في الجملة السابقة من مجيء العذاب عند محل الأجل أي وبالله **وليأتينهم** الذي عين لهم عند حلول الأجل **بغتة** أي فجأة **وهم لا يشعرون** أي بإتيانه ولعل المراد بإتيانه كذلك أنه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والإجابة إلى مسئولهم فإن ذلك إتيان برأيهم وشعورهم لا أن يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الأمم بياتاً وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون لما أن إتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل **يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين** استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على أن ما استعجلوه عذاب الآخرة أي يستعجلونك بالعذاب والحال أن محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم كأنه قيل يستعجلونك بالعذاب وإنه لمحيط بهم أي سيحيط بهم وإنما جيء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الإحاطة واستمرارها وتنزيلاً لحال السبب منزلة حال المسبب فإن الكفر والمعاصي النار في الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله في سورة الأعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق واللام في الكافرين إما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للإشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولاً أولياً **يوم يغشاهم العذاب** ظرف لمضمر طوي ذكره إيذاناً بغاية كثرته وفظاعته كأنه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي أشير إليه بإحاطة جهنم بهم يكون من الأحوال والأهوال ما لا يفي به المقال وقيل ظرف للإحاطة **من فوقهم ومن تحت أرجلهم** أي من جميع جهاتهم **ويقول** أي الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة أو بعض ملائكته بأمره **ذوقوا ما كنتم تعملون** أي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب **يا عبادي الذين آمنوا** خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من إقامة أمور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وإرشاد لهم إلى الطريق الأسلم **إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون** أي إذا لم تتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبراً استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام والفاء جواب شرط محذوف إذ المعنى إن أرضي واسعة إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص **كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون** جملة مستأنفة جيء بها حثاً على المسارعة في الامتثال بالأمر أي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه ثم إلينا ترجعون للجزاء حسب عملها فمن كانت هذه عاقبته ينبغي أن يجتهد في التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم** لننزلنهم **من الجنة غرفاً** أي علالي وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الإقامة فانتصابه

عن قواحبينا اما باجرآئه مجرى لننزلنهم او بنزع الخفض وتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم **تجري من تحتها الانهار** صفة لغرفا **خالدين فيها** اي في الغرف او في الجنة **نعم اجر العاملين** اي الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم **الذين صبروا** اما صفة للعاملين او نصب على المدح اي صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق **وعلى ربهم يتوكلون** ولم يتوكلوا فيما ياتون ويذرون الا على الله تعالى **وكاين من دابة لا تحمل رزقها** روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة بالمدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت اي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها **الله يرزقها واياكم** ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة **وهو السميع** المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا **العليم** المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم **ولئن سالتهم** اي اهل مكة **من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله** اذ لا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التردد فيه **فانى يؤفكون** انكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه اي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير **الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له** اي يقدر لمن يشاء ان يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسط له على التعاقب **ان الله بكل شيء عليم** فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه ومن يليق بقدره فيقدره له او فيعلم ان كلا من البسط والقدر في اي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما في وقته **ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله** معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على اي شيء ما اصلا **قل الحمد لله** على ان جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وان اظهر حجتك عليهم وقيل على عصمتك من امثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده **بل اكثرهم لا يعقلون** اي شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه وتعالى اخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم هذا **وما هذه الحيوة الدنيا** اشارة الى تحقيرها وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء **الا لهو ولعب** الا كما يلهو ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه **وان الدار الاخرة لهي الحيوان** اي لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفنا عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحيوة في هذا المقام المقتضي للمبالغة **لو كانوا يعلمون** اي لما آثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة ثم ما يحدث فيها من الحيوة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال **فاذا ركبوا في الفلك** متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله هاهنا وفي امثاله بكلمة في للايذان بان المركوب في نفسه من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر في سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا في البحر ولقوا شدة **دعوا**

الله مخلصين له الدين اي كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو **فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون** اي فاجؤوا المعاودة الى الشرك **ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا** اي يفاجئون الاشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة الانجاء التي حقها ان يشكروها **فسوف يعلمون** اي عاقبة ذلك حين يرون العذاب **اولم يروا** اي الم ينظروا ولم يشاهدوا **انا جعلنا** اي بلدهم **حرما آمنا** مصونا عن النهب والتعدي سالما اهله من كل سوء **ويتخطف الناس من حولهم** اي والحال انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب **افبالباطل يؤمنون** اي ابعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق **وبنعمة الله يكفرون** وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة في الموضعين لاظهار كمال شناعة ما فعلوا **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** بان زعم ان له شريكا اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم دالا على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا **او كذب بالحق لما جاءه** اي بالرسول او بالقرآن وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتاملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اثر ذي بدء **اليس في جهنم مثوى للكافرين** تقرير لثوائهم كقول من قال الستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح وانكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجراءة **والذين جاهدوا فينا** اي في شاننا ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة **لنهدينهم سبلنا** اي سبيل السير الينا والوصول الى جنابنا ولنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **وان الله لمع المحسنين** معية النصرة والمعونة وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين صدق الله ورسوله

سورة الروم خمسون وتسع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **الم** الكلام فيه كالذي مر في امثاله من الفواتح الكريمة **غلبت الروم في ادنى الارض** اي ارض العرب منهم اذ هي الارض المعهودة عندهم وهي اطراف الشام او في ادنى ارضهم من العرب على ان اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الاردن وفلسطين وقرئ في اداني الارض **وهم** اي الروم **من بعد غلبهم** اي من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة كالحلب والحلب **سيغلبون** اي سيغلبون فارس **في بضع سنين** روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل الكتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال ابي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا انا حبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر به ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادة في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible]

وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين
فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل
تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل
حيث اخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون
على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة
التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل لله الامر من قبل
ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين
وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى ان كلا من
كونهم مغلوبين اولا وكونهم غالبين آخرا ليس الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها
بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا
وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ اي ويوم اذ تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى
من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم
من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين في الخبر على المشركين من غلبة الروم على فارس
وقيل بنصره تعالى انه ولي بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهما
شوكة الآخر وفي ذلك قوة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه وافق ذلك يوم بدر وفيه من
نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو الانسب لقوله تعالى لله الامر من قبل
ومن بعد ينصر من يشاء وهو العزيز المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء ان ينصره كائنا
من كان الرحيم المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء ان ينصره اي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية اما
على القراءة المشهورة فظاهر لان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخيرة
فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد بها نصرهم الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم
وصف العزة لتقدمه في الاعتبار وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كانه
قيل وعد الله وعدا لا يخلف الله وعده اي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب
عليه سبحانه واظهار الاسم في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى
المصدر ويجوز ان يكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ايضا شيئا من شؤونه تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهو ما
يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية
لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فانهما مما علموه منها بل من
افعالهم المترتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم اي يعلمون ظاهرا
حقيرا خسيسا من الدنيا وهم عن الآخرة التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى هم غافلون
لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتي والجملة
معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى
او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهي على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة
لمقتضي الجملة المتقدمة تقرير لجهالتهم وتشبيهها لهم بالبهائم المقصور ادراكها من الدنيا على ظواهرها
الخسيسة دون احوالها التي هي من مبادئ العلم بامور الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام
وقوله تعالى اولم يتفكروا في انفسهم ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيرها لتحقيق امره

وتصور حال

وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الى آخره متعلق اما بالعلم
الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا اي اعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط او اقصروا النظر عليه ولم
يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا انه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة
بشيء من الاشياء الا ملتبسة بالحق او يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق
هو الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على الحكم البالغة والغرض الصحيح الذي هو استشهاد
المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة على وجود صانعها ووحدته وعلمه وقدرته
وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة اخباره التي من جملتها احياؤهم بعد الفناء بالحياة الابدية
ومجازاتهم بحسب اعمالهم عند تبين المحسن من المسيء وامتياز درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات
علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب في المصنوعات من الآيات والدلائل والامارات
والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم
ايكم احسن عملا فان الورع عن محارم الله والسعي في طاعة الله وقد مر تحقيقه في اوائل سورة يونس
عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى واجل مسمى عطف على الحق اي وباجل معين قدره الله تعالى
لبقائها لا بد لها من ان تنتهي اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز ان تكون في قوله تعالى
في انفسهم صلة للتفكر على معنى اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب المخلوقات اليهم وهم اعلم بشؤونها
واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم
الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر امرها
على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها
جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بان امر معاد الانسان
ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات
معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الجزاء عكس للترتيب وقوله تعالى وان كثيرا من الناس بلقاء
ربهم لكافرون تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن احوال الآخرة
والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون
جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث اولم يسيروا توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة احوال
امثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي
اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا في الارض وقوله تعالى فينظروا عطف على يسيروا داخل في حكم
التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في اقطار الارض وشاهدوا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى كانوا اشد منهم قوة الى آخره بيان لمبدأ
احوالهم ومآلها يعني انهم كانوا اقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا اشد منهم قوة واثاروا
الارض اي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك وعمروها
اي بنوا بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها اكثر مما عمروها اي عمارة
اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره
وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار
امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتقلب في اكناف الارض باصناف التصرفات وهم
ضعفاء ملجؤون الى واد لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس وجاءتهم رسلهم بالبينات

للمعجزات او الآيات والعقاب فما كان الله ليظلمهم اي فكذبوهم فاهلكهم فما كان الله تعالى
ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع ان اهلاكه تعالى اياهم
بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك
بابرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر في سورة الانفال وسورة آل عمران ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بان اجترؤوا على اقتراف ما يوجبه من المعاصي العظيمة ثم كان عاقبة
الذين اساؤوا اي عملوا السيئات وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار
بعلة الحكم السوأى اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات وافظعها التي هي العقوبة بالنار فانها تانيث
الاسوأ كالحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس
السوأى وهي مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو ادخل في الجزالة
وقوله تعالى ان كذبوا بآيات الله علة لما اشير اليه من تعذيبهم الدنيوي والاخروي اي لان
كذبوا او بان كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم الصلوة والسلام ومعجزاتهم الظاهرة على ايديهم
وقوله تعالى وكانوا بها يستهزؤون عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وايراد الاستهزاء
بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الكريم وقد قيل
الله يبدأ الخلق اي ينشئهم ثم يعيده بعد الموت بالبعث ثم اليه ترجعون اي موقف الحساب
والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء ويوم تقوم الساعة هي وقت اعادة الخلق
ورجعهم اليه يبلس المجرمون اي يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس
من ان يحتج وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء يجيرونهم
من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع اي لم يكن لواحد منهم شفيع
اصلا وكانوا بشركائهم كافرين بسببهم وليس بذلك اذ ليس في الاخبار به فائدة يعتد بها ويوم
تقوم الساعة اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى يومئذ يتفرقون تهويل له
اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم
من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا للمجرمين خاصة وليس المراد تفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل
تفرقهم الى فريقي المؤمنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام
الحساب وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون تفصيل
وبيان لاحوال ذينك الفريقين والروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها
للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة
كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلف فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن
عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على
رؤوسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم
وفي آخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال عليه الصلوة والسلام يا اعرابي ان في
الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط
فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت ابا الدرداء رضي الله تعالى عنه بم يتغنين قال بالتسبيح
وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من
تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين
كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل ولقاء الآخرة صرح بذلك

مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتناء بامره وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم
بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته تعالى وبلقاء الآخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم
وانتظامهم في سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد
منزلتهم في الشر اي فاولئك الموصوفون بما فصل من القبائح في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون
عنه ابدا فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا
وحين تظهرون اثر ما بين حال فريقي المؤمنين العاملين الصالحات والكافرين المكذبين بالآيات
وما لهما من الثواب والعذاب امروا بما ينجي من الثاني ويفضي الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما
لا يليق بشانه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم الاول على الثاني لما ان التخلية متقدمة
على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى اي نزهوه
عما ذكر سبحانه اي تسبيحه اللائق به في هذه الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له
تعالى ووجوبه على المميزين من اهل السموات والارض في معنى الامر به على ابلغ وجه واكده وتوسيط
بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى
ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح
وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقوله عليه الصلوة
والسلام من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيمة
بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات
والاحاديث وتخصيصهما بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من آيات قدرته تعالى
واحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد موجبة لتسبيحه وتحميده
حتما وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل
وتغيير الاسلوب لما انه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل
السر في ذلك انه ليس من الاوقات التي تختلف فيها احوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم
بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت تتغير فيه الاحوال تغيرا
ظاهرا اما في المساء والصباح فظاهر واما في الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب
للقيلولة كما في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلوة لاشتمالها عليهما وقد روي عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب والعشاء وتصبحون
صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى انها مدنية لانه كان
يقول ان الواجب بمكة ركعتان في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت
بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي آخره هن خمس صلوات كل يوم وليلة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه
صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك
تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وقرئ حينا تمسون
وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطير
من البيضة ويخرج الميت من الحي كالنطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الارض بالنبات بعد
موتها يبسها وكذلك مثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء اوضح

مما سبق فان دلالة تبديل خلقهم على القادر بهم اظهر من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج الميت من
الحي ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها ومن آياته ان خلقكم اي في ضمن خلق آدم عليه
الصلوة والسلام لما مر مرارا من ان خلقه عليه الصلوة والسلام منطو على خلق ذرياته انطواء
اجماليا من تراب لم يشم رائحة الحيوة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في ذاتكم وصفاتكم
ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض وهذا
مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة
الآية ومن آياته الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء ان خلق لكم اي لاجلكم من انفسكم
ازواجا فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع آدم عليه الصلوة والسلام متضمن لخلقهن من انفسكم
على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالى لتسكنوا اليها اي لتألفوها
وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب
التفرق والتنافر وجعل بينكم اي بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب او على حذف
ظرف معطوف على الظرف المذكور اي جعل بينكم وبينهن او بين افراد الجنس اي بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى
مودة ورحمة فان المراد منهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا اي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه
لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم
وقيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية
عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا ان في ذلك اي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق
ازواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان
ببعد منزلته لآيات عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف
تلك الافاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه بل ان ما
ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن آياته بل هي مشتملة على آيات شتى ومن آياته الدالة على
ما ذكر من امر البعث وما يتلوه من الجزاء خلق السموات والارض اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما
من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما
وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تعالى
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف
السنتكم اي لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك
لا تكاد تسمع منطقين متساويين من كل وجه والوانكم ببياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما
وتخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص حتى ان التوأمين
مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وان كانا في
غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات الانفسية
الحقيقة بالانتظام في سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم
كونه من تتمات خلقهم ان في ذلك اي فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان
لآيات عظيمة في نفسها كثيرة في عددها للعالمين اي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما
يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على احد من
الخلق كافة ومن آياته منامكم بالليل والنهار لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية
وابتغاؤكم من فضله فيهما فان كلا من المنام والابتغاء يقع في الملوين وان كان الاغلب وقوع

الاولى

الاول في الاول والثاني في الثاني او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد ولما في لسان الآيات
الواردة في ذلك المعنى خلا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما زمانان والزمان
مع ما وقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون اي شأنهم
ان يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك
على شؤونه تعالى ومن آياته يريكم البرق الفعل اما مقدر بان كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى اي ان احضر او منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من
ان تراه او هو على حاله صفة لمحذوف اي آية يريكم بها البرق كقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنهما
اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها واخرى ابتغي فيها او ومن آياته شيء او
سحاب يريكم البرق خوفا من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة
لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق مستلزمة لرؤيتهم اياه او للمذكور نفسه على تقدير مضاف
نحو ارادة خوف وطمع او على تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او
على الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الارض بالنبات بعد
موتها بيبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فانها من الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد العقل عند
استعماله في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره اي بارادته
تعالى لقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والاسباب وليس المراد
باقامتهما انشاءهما لان ما قرر من حالة بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض ولا اقامتهما بغير مقيم
محسوس كما قيل فان ذلك من تمامات انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى
خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق به
تعالى فيما قيل ما خلق الله السموات والارض الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر
الآيات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود اخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر ايضا فقيل ثم اذا
دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء
اجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كانه قيل ومن آياته قيام
السموات والارض على هيئاتهما بامره تعالى الى اجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم اذا دعاكم اي بعد انقضاء
الاجل من الارض وانتم في قبوركم دعوة واحدة بان قال ايها الموتى اخرجوا فاجابتم بالخروج منها وذلك قوله تعالى
يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من اسفل الوادي
فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وله خاصة من في السموات والارض من الملائكة
والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه كل له قانتون اي منقادون لفعله
لا يمتنعون عليه في شأن من شؤونه تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد موتهم وتكرير هو لزيادة
التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى وهو اهون عليه اي بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم
والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما انها مؤولة بان يعيد
وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان الانشاء بطريق التفضيل الذي يعتبر فيه التفاضل بين الفعل
والترك والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما فكان اقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين
الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد بمرتبة الفعل اقربية الى الوجود باعتبار كثرة
الامور الداعية للفاعل الى ايجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل اسهلية تأتيه وصدوره عنه
بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت في ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق

الإيجاب وبطريق الاختيار **وله المثل الأعلى** أي الوصف الأعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة
التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقوله لا إله إلا الله
أراد به الوصف بالوحدانية **في السموات والأرض** متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى
أنه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وقيل متعلق بالأعلى
وقيل بمحذوف هو حال منه أو من المثل أو من ضميره في الأعلى **وهو العزيز** القادر الذي لا يعجز عن بدء
ممكن وإعادته **الحكيم** الذي يجري الأفعال على سنن الحكمة والمصلحة **ضرب لكم مثلا**
يتبين فيه بطلان الشرك **من أنفسكم** أي منتزعا من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم وأعرفها
عندكم وأظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الأولوية وقوله تعالى **هل لكم**
إلى آخره تصوير للمثل أي هل لكم **مما ملكت أيمانكم** من الإماء والعبيد **من شركاء فيما رزقناكم**
من الأموال وما يجري مجراها مما تتصرفون فيه فمن الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة
مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى **فأنتم فيه سواء** تحقيق لمعنى الشركة
وبيان لكونهم وشركائهم فيه متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليهم على أن هناك محذوفا
معطوفا على أنتم لا أنه تعميم للفريقين بطريق التغليب أي هل ترضون لأنفسكم والحال أن عبيدكم
أمثالكم في البشرية وأحكامها أن يشاركوكم فيما رزقناكم وهو معار لكم **فأنتم** وهم **فيه سواء**
شرع تتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم **تخافونهم** خبر آخر لأنتم وحال من
ضمير الفاعل في سواء أي تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم **كخيفتكم أنفسكم** أي خيفة
كائنة مثل خيفتكم من الأحرار المشابهين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية
أي لا ترضون بأن يشارككم فيما هو معار لكم عبيدكم وهم أمثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله
تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوعه
مخلوق بحيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه **كذلك** أي مثل ذلك التفصيل الواضح **نفصل
الآيات** أي نبينها ونوضحها لا تفصيلا أدنى منه فإن التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة
المحسوس وإبراز لأوابد المدركات في هيئات المأنوس فيكون في غاية البيان والإيضاح **لقوم يعقلون**
أي يستعملون عقولهم في تدبر الأمور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لأنهم المنتفعون
بها **بل اتبع الذين ظلموا** إعراض عن مخاطبتهم ومحاولة إرشادهم إلى الحق بضرب المثل وتفصيل
الآيات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كأنه قيل لم يعقلوا شيئا
من الآيات المفصلة بل اتبعوا **أهواءهم** الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم
بأنهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون الشيء في غير موضعه أو ظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد
بغير علم أي جاهلين ما أتوا منكبين عليه لا يلويهم عنه صارف حسبما يصرف العالم إذا اتبع الباطل
علمه ببطلانه **فمن يهدي من أضل الله** أي خلق فيه الضلال لصرف اختياره إلى كسبه أي لا يقدر
على هدايته أحد **وما لهم من ناصرين** أي ليس لهم من ناصرين يخلصونهم من
الضلال ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة
مقابلة الجمع بالجمع **فأقم وجهك للدين** تمثيل للإقبال على الدين والاستقامة وثباته عليه واهتمامه به
بترتيب أسبابه فإن من اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه
مقبلا به عليه أي فقوم وجهك وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى **حنيفا** حال من المأمور
أي من الدين **فطرة الله** الفطرة الخلقة وانتصابها على الإغراء أي الزموا وعليكم فطرة الله والخطاب

للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين فإن الإفراد في أقم لما أن الرسول صلى الله عليه وسلم إمام الأمة
فأمره عليه الصلاة والسلام مستتبع لأمرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الإخلال
به باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر أي فطر الله فطرة وقوله تعالى **التي
فطر الناس عليها** صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالأمر فإن خلق الله الناس على فطرته
التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه أو عن ملة الإسلام من موجبات لزومها والتمسك
بها قطعا فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى
منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن رب العزة
كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري وقوله
عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه
وقوله تعالى **لا تبديل لخلق الله** تعليل للأمر بلزوم فطرته تعالى أو لوجوب الامتثال به أي لا صحة
ولا استقامة لتبديله بالإخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى
وقبول وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر أحد على أن يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على
تبديل نفس الفطرة بإزالتها رأسا ووضع فطرة أخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من إدراكه
ضرورة أن التبديل بالمعنى الأول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة أن سلامة
الفطرة متحققة في كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الإخلال به
بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان **ذلك** إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو إلى
لزوم فطرة الله المستفاد من الإغراء أو إلى الفطرة إن فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور أو باعتبار
الخبر **الدين القيم** المستوي الذي لا عوج فيه **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ذلك فيصدون عنه
صدودا **منيبين إليه** حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله أو في أقم لعمومه الأمة
حسبما أشير إليه وما بينهما اعتراض أي راجعين إليه من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى وقوله تعالى
واتقوه أي من مخالفة أمره عطف على المقدر المذكور وكذا في قوله تعالى **وأقيموا الصلاة ولا تكونوا
من المشركين** المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا **من الذين فرقوا دينهم** بدل من المشركين بإعادة
الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وفائدة الإبدال التحذير عن
الانتماء إلى حزب من أحزاب المشركين ببيان أن الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا أي تركوا دينهم
الذي أمروا به **وكانوا شيعا** أي فرقا تشايع كل منها إمامها الذي هو أصلها **كل حزب بما
لديهم** من الدين المعوج المؤسس على الرأي الزائغ والزعم الباطل **فرحون** مسرورون ظنا منهم أنه
حق وأنى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز أن
يكون فرحون صفة لكل على أن الخبر هو الظرف المقدم أعني من الذين فرقوا ولا يخفى بعده **وإذا مس
الناس ضر** أي شدة **دعوا ربهم منيبين إليه** راجعين إليه من دعاء غيره **ثم إذا أذاقهم
منه رحمة** خلاصا من تلك الشدة **إذا فريق منهم بربهم** الذي كانوا دعوه منيبين إليه
يشركون أي فاجأ فريق منهم الإشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما أن بعضهم ليسوا كذلك
كما في قوله تعالى فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد أي مقيم على الطريق القصد أو متوسط في الكفر
لانزجاره في الجملة **ليكفروا بما آتيناهم** اللام فيه للعاقبة وقيل للأمر التهديدي كقوله تعالى
فتمتعوا غير أنه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا **فسوف تعلمون** عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء
على أن تمتعوا ماض والالتفات إلى الغيبة في قوله تعالى **أم أنزلنا عليهم** للإيذان بالإعراض عنهم

ونقريعا بانهم لغيرهم وتطريق للشانة سلطانا اي حجة وقيل ذا سلطان اي
ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق بما
كانوا به يشركون باشراكهم به تعالى او بالامر الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس
رحمة اي نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا واشروا لا حمدا وشكرا وان تصبهم سيئة شدة
بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجئوا القنوط من رحمته تعالى وقرئ
يقنطون بكسر النون اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه من الصلة والصدقة وسائر
المبرات والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لمن بسط
له كما يؤذن به الفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم
اياه تعالى خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط
لهم من النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم
بالقصر اي غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا ليربو في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم
فلا يربو عند الله ولا يبارك فيه وقرئ لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما آتيتم من زكاة تريدون
وجه الله اي تبتغون به وجهه تعالى خالصا فاولئك هم المضعفون اي ذوو الاضعاف
من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة
وقرئ بفتح العين وفيه التفات عن الخطاب حيث التفت الى الغيبة للتعظيم كانه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قيل من فعل ذلك فاولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم
ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له تعالى لوازم الالوهية
وخواصها ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه
البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى
عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى
من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم
المنفي وكل منها مستقلة بالتأكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب ظهر الفساد في البر والبحر
كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات وكثرة المضار
او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس بشؤم
معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفي البحر
بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا اي بعض جزائه
فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون
عما كانوا عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا
آثارهم كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة على ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او كان
الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم اي البليغ
الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له اي لا يقدر احد على رده من الله متعلق بياتي
او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ
يصدعون اصله يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه
كفره اي وبال كفره وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون

منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اي يتفرقون بتفريق الله
تعالى فريقين ليجزي كلا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات
ابرز ذلك في معرض الغاية وعبر عنه بقوله تعالى انه لا يحب الكافرين فان عدم محبته
تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة ومن آياته ان يرسل
الرياح اي الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فانها ريح العذاب ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة
الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته وهي المنافع التابعة لها وقيل الخصب
التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة
معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم بها وليذيقكم او بمحذوف فيهم من ذكر
الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لامر آخر لا يتعلق له بمنافعكم
ولتجري الفلك بسوقها بامره ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر ولعلكم تشكرون
ولتشكروا نعمة الله تعالى بما ذكر من الغايات الجليلة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى
قومهم كما ارسلناك الى قومك فجاؤوهم بالبينات اي جاء كل رسول قومه بما يخصه
من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء في قوله تعالى فانتقمنا من الذين اجرموا
فصيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان
المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين
مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى ان ينصرهم واشعار بان
الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية
الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم
عن الاخلال بموجب الشكر المطلوب بقوله تعالى ولعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها
كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك الامم من الانتقام الله الذي يرسل الرياح استئناف مسوق
لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في جوها
كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب ومن جانب الى غير ذلك ويجعله
كسفا تارة اخرى اي قطعا وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به
فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده اي
بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون اي فاجئوا الاستبشار بمجيء الخصب وان كانوا
ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي وان الشان كانوا من قبل ان ينزل
عليهم اي المطر من قبله تكرير للتأكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم منه
وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح اذ حينئذ
لا بد ان يكون الضمير للاستبشار دون متعلقه بينزل ليفيد سرعة تقلب قلوبهم عن الياس الى
الاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال الياس بالتنزيل المتصل بالاستبشار
بشهادة اذا الفجائية لمبلسين خبر كانوا واللام فارقة اي آيسين فانظر الى اثر رحمة الله
المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه
وقرئ آثار بالجمع وقوله تعالى كيف يحيي اي الله تعالى الارض بعد موتها في محل النصب

بنزع الخافض وكيف معلق لانظر اي فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية
بالنبات وايا ما كان فالمراد بالنظر التنبيه على عظيم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد
لما يعقبه من امر البعث وقرئ تحيي بالتانيث على الاسناد الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الشان
الذي ذكر بعض شئونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم
من القوى الحيوانية كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة
وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي مبالغ في القدرة على جميع الاشياء
التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه اي الاثر المدلول
عليه بالاثار او النبات المعبر عنه بالاثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته
وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر ولا يخفى بعده واللام في لئن موطئة
للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء في فراوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا لام جواب القسم
الساد مسد الجوابين اي والله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فراوه مصفرا
لظلوا من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي
الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجئوا اليه
بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا
اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بليته اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا
نعماءه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم لانسداد
مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء
حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء
اليه ولو كان فيهم احداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن
عن اوضاعه وحركاته لشيء من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم
منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم
عميا اما لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ تهدي العمي ان تسمع
اي ما تسمع الا من يؤمن باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الا من
يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لائقا فهم مسلمون منقادون لما تامرهم به من الحق
الله الذي خلقكم من ضعف مبتدأ وخبر اي ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله
تعالى وخلق الانسان ضعيفا اي خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة
وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق الروح بابدانكم ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ
منكم السن وقرئ بضم الضاد في الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضي الله تعالى عنه قراتها على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاقراني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتاخر من ضعف
يخلق ما يشاء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير
المبالغ في العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم والقدرة
ويوم تقوم الساعة اي القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها
تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا اي في القبور او
في الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سياتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما
بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل

للساعات

الساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم اهي اربعون سنة او اربعون الف سنة غير ساعة
استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون
في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا من الملائكة والانس لقد
لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه او ما اوجبه او في اللوح او القرآن وهو قوله تعالى
ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه واكدوه باليمين كانهم من فرط حيرتهم
لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعونه انه يكون بعد فناء الخلق كافة
ويقدرون لذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوا تحققه فوقعوا في الغلط فنبهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويكفرون بالاخبار بوقوعها
حيث قالوا فهذا يوم البعث الذي كنتم توعدون في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق
فتستعجلون بها استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى
ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم
وقرئ تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون
لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم
استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل اي والله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كانها في غرابتها مثل وقصصنا
عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما يفعل
بهم من رد اعتذارهم ولئن جئتهم باية من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين
كفروا لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
ان انتم الا مبطلون اي مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب الذين لا
يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان
الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة
والافعال السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا
بد من انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون
بما تتلو عليهم من الايات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك باباطيلهم التي من جملتها قولهم
ان انتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبعد منهم امثال ذلك وقرئ بالنون المخففة
وقرئ ولا يستحقنك من الاستحقاق اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين
واياما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه الصلاة والسلام
عن التاثر من استخفافه عليه الصلاة والسلام والنهي في الحقيقة نهي له عليه الصلاة والسلام
عن التاثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن
قوم على ان لا تعدلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم اي
ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بنعته تعالى او اصله الحكيم منزله او قائله فحذف

وأقيم المضاف مقامه فانقلب مرفوعاً فاستكن في الصفة المشبهة. وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا عقدت اللبن فهو عقيد أي معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل **هدى ورحمة** بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الإشارة وقرئ بالرفع على أنهما خبران آخران لاسم الإشارة أو لمبتدأ محذوف **للمحسنين** أي العاملين الحسنات وإن أريد بها مشاهير المهمة في الدين فقوله تعالى **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون** بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله: الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا. وإن أريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لإظهار فضلها وإنافتها على غيرها. وتخصيص الوجه الأول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الأخير بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له **أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** لفوزهم بكل مطلوب ونجاتهم من كل مرهوب لحيازتهم قطري العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه **ومن الناس** محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى **من يشتري لهو الحديث** موصولة أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو وبعض من الناس الذي يشتري أو فريق يشتري على أن مناط الإفادة والمقصود بالأصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآية. ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالأحاديث التي لا أصل لها والأساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والإضافة بمعنى من التبيينية إن أريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية إن أريد به الأعم من ذلك. وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث اشترى كتب الأعاجم وكان يحدث بها قريشاً ويقول إن كان محمد صلى الله عليه وسلم يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والأكاسرة. وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من أراد الإسلام ومنعه عنه **ليضل عن سبيل الله** أي دينه الحق الموصل إليه تعالى أو عن قراءة كتابه الهادي إليه تعالى. وقرئ ليضل بفتح الياء أي ليثبت ويستمر على ضلاله أو ليزيد فيه **بغير علم** أي بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض **ويتخذها** بالنصب عطفاً على ليضل والضمير للسبيل فإنه مما يذكر ويؤنث وهو دين الإسلام أو القرآن أي ويتخذها **هزواً** مهزوءاً به. وقرئ ويتخذها بالرفع عطفاً على يشتري. وقوله تعالى **أولئك** إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم في الشرارة أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للإضلال **لهم عذاب مهين** لما اتصفوا به من إهانتهم الحق بإيثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه **وإذا تتلى عليه** آياتنا التي هي آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين **ولى** أعرض عنها غير معتد بها **مستكبراً** مبالغاً في التكبر **كأن لم يسمعها** حال من ضمير ولى أو من ضمير مستكبراً والأصل كأنه فحذف ضمير الشأن وخففت المثقلة أي مشبهاً حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز إلى أن من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الأمور الموجبة للإقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال: كأنك لم تجزع على ابن طريف **كأن في أذنيه وقراً** حال من ضمير لم يسمعها أو مشبهاً حاله حال من في أذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز أن يكونا استئنافين. وقرئ في أذنيه بسكون الذال **فبشره بعذاب أليم** أي فأعلمه بأن العذاب المفرط في الإيلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم

إن الذين

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال المؤمنين بآياته تعالى إثر بيان حال الكافرين بها أي إن الذين آمنوا بآياته وعملوا بموجبها **لهم** بمقابلة ما ذكر من إيمانهم وأعمالهم **جنات النعيم** مرتفعة على الفاعلية. وقوله تعالى **خالدين فيها** حال من الضمير في لهم أو من جنات النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل ما تعلق به اللام **وعد الله حقاً** مصدران مؤكدان الأول لنفسه والثاني لغيره لأن قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقاً فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعاً لهم جنات النعيم **وهو العزيز** الذي لا يغلبه شيء ليمنعه من إنجاز وعده أو تحقيق وعيده **الحكيم** الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة **خلق السموات بغير عمد ترونها** الجملة استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وإبطال أمر الإشراك وتبكيت أهله. والعمد جمع عماد كأهب جمع إهاب وهو ما يعمد به أي يسند يقال عمدت الحائط إذا دعمته أي بغير دعائم على أن الجمع لتعدد السموات. وقوله تعالى **ترونها** استئناف جيء به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك أو صفة لعمد أي خلقها بغير عمد مرئية على أن التقييد للرمز إلى أنه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة **وألقى في الأرض رواسي** بيان لصنعه البديع في قرار الأرض إثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات أي ألقى فيها جبالاً ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد **أن تميد بكم** كراهة أن تميل بكم فإن بساطة أجزائها تقتضي تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو لشيء من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص **وبث فيها من كل دابة** من كل نوع من أنواعها **وأنزلنا من السماء ماء** هو المطر **فأنبتنا فيها** بسبب ذلك الماء **من كل زوج كريم** من كل صنف كثير المنافع. والالتفات إلى نون العظمة في الفعلين لإبراز مزيد الاعتناء بأمرهما **هذا** أي ما ذكر من السموات والأرض وما تعلق بهما من الأمور المعدودة **خلق الله** أي مخلوقه **فأروني ماذا خلق الذين من دونه** مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأروني معلق به. وقوله تعالى **بل الظالمون في ضلال مبين** إضراب عن تبكيتهم بما ذكر إلى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعي للإعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة أن يفهموا منها شيئاً فيهتدوا به إلى العلم ببطلان ما هم عليه أو يتأثروا من الإلزام والتبكيت فينزجروا عنه. ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على أنهم بإشراكهم واضعون للشيء في غير موضعه ومتعدون عن الحد وظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد **ولقد آتينا لقمان الحكمة** كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت أيوب عليه الصلاة والسلام أو ابن خالته وعاش حتى أدرك داود عليه الصلاة والسلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه. وقيل كان قاضياً في بني إسرائيل والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً. والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها. ومن حكمته أنه صحب داود عليه الصلاة والسلام شهوراً وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه الصلاة والسلام بحق ما سميت حكيماً. وأن داود عليه الصلاة والسلام قال له يوماً كيف أصبحت قال أصبحت في يدي غيري فتفكر داود عليه الصلاة والسلام فيه فصعق صعقة. وأنه أمره مولاه بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب

مضغتين

منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان ياتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله
عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ومعنى ان اشكر لله اي اشكر له تعالى
اي اشكر له تعالى على ان ان مفسرة فان ايتاء الحكمة في معنى القول وقوله تعالى ومن يشكر الخ
مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر اي ومن يشكر له تعالى فانما يشكر لنفسه
لان منفعته التي هي ارتباط القيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها ومن كفر فان الله
غني عن كل شيء فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمده
احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى
شكورا لما ان الحمد متضمن للشكر وهو راسه كما قال عليه الصلوة والسلام الحمد راس الشكر لم
يشكر الله عبد لم يحمده واثباته له تعالى اثبات للشكر له قطعا واذ قال لقمان لابنه
انعم وقيل اشكم وقيل ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرئ يا بني باسكان
الياء وبكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك
جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي او الانتهاء عن الشرك ووصينا
الانسان بوالديه الى آخره كلام مستانف اعترض به على نهج الاستطراد في اثناء وصية
لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وقوله تعالى حملته امه الى قوله تعالى في عامين
اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى وهنا حال من امه اي ذات وهن او مصدر مؤكد
لفعل هو الحال اي تهن وهنا وقوله تعالى على وهن صفة للمصدر اي كائنا على وهن
اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن بالتحريك
يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين اي فطامه في تمام
عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي وعند ابي حنيفة رحمه الله هي ثلثون شهرا وقد بين
وجهه في موضعه وقرئ وفصله ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما
اعتراض مؤكد للوصية في حقها خاصة ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لمن قال له من ابر
امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي الي الرجوع
لا الى غيري فاجازيك على ما صدر منك من الشكر والكفر وان جاهداك على ان تشرك بي
ما ليس لك به اي بشركته تعالى في استحقاق العبادة علم فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما
في الدنيا معروفا اي صحابا معروفا يرتضيه الشرع وتقتضيه المروءة واتبع سبيل من
اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما ومرجع
من اناب الي فانبئكم عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير
والشر وقوله تعالى يا بني الى آخره شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير ما في مطلعها
من النهي عن الشرك وتاكيده بالاعتراض انها ان تك مثقال حبة من خردل اي الخصلة من الاساءة
او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة
والتانيث لاضافة المثقال الى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد
الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض اي فتكن مع كونها في اقصى غايات
الصغر والقماءة في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يات بها
الله اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير بكنهه وبعد ما امره
بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علمه وقدرته امره

بالصلوة التي هي اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا
له يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على
ما اصابك من الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى ما ذكر وما فيه من
معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل من عزم
الامور اي مما عزمه الله تعالى اي قطعه قطع ايجاب والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق
من الامر والنهي وايذان بان ما بعدها ليس كذلك ولا تصعر خدك للناس اي لا تمله ولا
تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير
فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه
وعالاه واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر مؤكد
لفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي
وتاخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل
واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه صلى
الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان
اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد
سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اي اوحشها
لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه وآكده مبني على تشبيه الرافعين لاصواتهم بالحمير وتمثيل
اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى
الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت
هذا الجنس من بين اصوات سائر الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما
في الارض رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على
ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم
من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء
المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان
يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الاشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشا ومعادا
واما جعله منقادا للامر مذللا على ان معنى لكم لاجلكم فان جميع ما في السموات والارض من الكائنات
مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان مسخرا له بحسب الظاهر فهو في
الحقيقة مسخر لله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير
معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنت
الغين والخاء او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة ومن
الناس من يجادل في توحيد الله وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى من جهة الرسول
عليه الصلوة والسلام ولا كتاب منير انزله الله تعالى بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم اي للمجادلين
والجمع باعتبار المعنى اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا يريدون به عبادة
الاصنام اولو كان الشيطان يدعوهم اي آباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع
واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك اي ايتبعونهم ولو كان الشيطان
يدعوهم فيما هم عليه من الشرك الى عذاب السعير فهم متوجهون اليه حسب دعوته والجملة في حيز

النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
من سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض اليه مجامع اموره واقبل عليه
بكليته وحيث عدي باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد وهو محسن اي في اعماله آت
بها جامعا بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر في آخر سورة النحل فقد استمسك بالعروة
الوثقى اي تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل للحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من اراد
ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه والى الله لا الى غيره عاقبة الامور
فيجازيه باحسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا ولا في الآخرة وقرئ
فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي وليس بمستفيض الينا مرجعهم لا الى غيرنا
فننبئهم بما عملوا في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضمائر الثلاث باعتبار
لفظها ان الله عليم بذات الصدور تعليل للتنبئة المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلا
تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان بعد امد طويل بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم
الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط والتضييق
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لما تقرر من وضوح الامر بحيث اضطروا الى
الاعتراف به قل الحمد لله على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا بل اكثرهم
لا يعلمون شيئا من الاشياء فكذلك لا يعلمون ما يقتضي اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك يلزمهم
لله ما في السموات وما في الارض فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن العالمين
الحميد المستحق للحمد وان لم يحمده احد والمحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ولو ان
ما في الارض من شجرة اقلام اي ولو ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الاحاد
والبحر يمده من بعده اي من بعد نفاده سبعة ابحر اي والحال ان البحر المحيط بسعته يمده
الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات
الله ونفدت تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وقرئ
يمده من امده بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم
منها واطم لانها هي المجاورة للجبال ومنابع للمياه الجارية واليها ينصب الانهار العظام اولا
ومنها ينصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة في الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفي بالقليل
منها فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته
لو تسعه عليها ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اي الا كخلقها وبعثها في سهولة التأتي اذ لا
يشغله شأن عن شأن لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما يفصح
عنه قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير
يبصر كل مبصر لا يشغله بعضها عن بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر قيل الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق اي الم تعلم علما
قويا جاريا مجرى الرؤية ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يدخل كل واحد منهما
في الآخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا وسخر الشمس والقمر عطف على يولج
والاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد في كل حين واما التسخير
فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في آثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل كل يجري
اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة بحسب

تحدد الايام

تعدد الايام جريا مستمرا الى اجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة كما روي
عن الحسن رضي الله عنه فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب
اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه الصلوة
والسلام نحو ذلك تلوين للامر الشمس والقمر فان جريانهما الى يوم القيمة من جملة ما في حيز رؤيته
عليه الصلوة والسلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكيهما والاجل
المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم
تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين في الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على
مداراتها اليومية فان جريانها متوجها الى سمت الرأس تزداد القوس التي هي فوق الارض كبرا فيزداد
النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ المدار الذي هو اقرب المدارات الى سمت الرأس
وذلك عند بلوغها الى رأس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الرأس فلا تزال القسي التي
فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذي هو ابعد
المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها برج الجدي وقوله تعالى وان الله بما تعملون
خبير عطف على ان الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقديري خصوص الخطاب
وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير الدقيق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز
وجل محيطا بجلائل اعماله ودقائقها ذلك اشارة الى ما تلي من الآيات الكريمة وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق اي بسبب بيان
انه تعالى هو الحق الثابت الهيته فقط ولاجله لكونها ناطقة بالتوحيد وان ما يدعون من دونه
الباطل اي ولاجل بيان بطلان الهية ما يدعونه من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب
فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة
للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة على بطلان
ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا وان الله هو العلي الكبير اي ولبيان
انه تعالى هو المترفع عن كل شيء المتسلط عليه فان ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص
العلو والكبرياء به تعالى اي بيان هذا وقيل ذلك اي ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع
واختصاص الباري تعالى بها بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته
خبيرا بتحقيقه تعالى بعلوه وكبريائه وانكار تتضح المناسبة المناطية مما ذكر من الاحكام المعدودة تمكن
بطلان الهية الاصنام لا دخل له في المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه في سلك الاسباب بل هو
تعكيس للموضوع ضرورة ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لا ان بطلانها يقتضيها الم تر
ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابها وهو استشهاد آخر على باهر
قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجري او بمحذوف هو حال من فاعله اي
ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح
والسكون ليريكم من آياته اي بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى ان في ذلك لآيات
لكل صبار شكور تعليل لما قبله اي ان فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ
في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الانفس والآفاق ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن
نعت بهما تنبيها لكل مؤمن واذا غشيهم اي علاهم واحاط بهم موج كالظلل كما يظل من جبل وسحاب
وغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع

الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدائد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
اي مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره وما يجحد باياتنا
الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او رفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر واقبحه
كفور مبالغ في كفران نعم الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
اي لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اي لا يجزي فيه
ولا مولود عطف على والد او هو مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة
على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب
والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
اي الشيطان المبالغ في الغرور بان يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله
عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال متى الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا
واين اموت فنزلت وعنه عليه الصلوة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وينزل الغيث
في ابانه الذي قدره والمحل الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الانزال ويعلم ما في الارحام
من ذكر او انثى تام او ناقص وما تدري نفس من النفوس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما
تعزم على شيء منهما فيفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت
روي ان ملك الموت مر على سليمان عليه الصلوة والسلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل
من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني في بلاد الهند ففعل فقال الملك لسليمان
عليه الصلوة والسلام كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك
ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد للايذان بانه ان عمل حيلة وبذل في التعرف وسعه
لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه
سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلهن ان الله عليم مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي
من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان
كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر والله تعالى اعلم

... تسع وعشرون وقيل ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة فمحل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
اي هذا المسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها وان جعل مسرودا على نمط التعديد
فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول
مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمى به
تنزيل الكتاب وقد عرفت ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه
واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى لا ريب فيه خبر ثالث على الوجه الاول
وثان على الاخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله سبحانه وتعالى من رب العالمين متعلق بتنزيل او
حال من الضمير المجرور اي كائنا منه تعالى لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه انه
الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب
في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى ام يقولون افتريه فان قولهم هذا انكار منهم

كونه من

لكونه من رب العالمين فكذا بدليل انه يكون تورده محكما مقصود الافادة لا يفيد الحكم بنفي الريب عنه
وقد رد عليهم ذلك وابطل حجتهم بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لظهور بطلانه
واستحالة كونه مفترى واضرب عنه الى بيان حقيته تما انكر وحيث قيل بل هو الحق من ربك باضافة
اسم الرب الى الضمير عليه الصلوة والسلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عليه الصلوة
والسلام ثم اتبع ذلك ببيان غايته حيث قيل بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير
من قبلك لعلهم يهتدون فان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة
لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش
اضل الناس واحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله
عليه الصلوة والسلام ما اتاهم من نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي معتبر من
جهته عليه الصلوة والسلام اي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم او رجاء لاهتدائهم واعلم ان ما ذكر من ابتنائه انما يتمشى على
ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدأ واما على سائر الوجوه فلا حاجة لان قوله تعالى من رب
العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد لحكم آخر فتدبر الله الذي خلق السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه فيما سلف ما لكم من دونه من ولي ولا
شفيع اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه وما لكم
سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن
الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير افلا تتذكرون اي الا تسمعون هذه المواعظ
فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني على
عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع يدبر الامر من السماء الى الارض قيل يدبر امر الدنيا
باسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض ثم يعرج اليه اي يثبت في علمه موجودا
بالفعل في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اي في برهة من الزمان متطاولة للتمادي
بيانا لطول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها
في اللوح المحفوظ فتنزل بها الملائكة ثم تعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين
السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد
الالف لالف آخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى يوم الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند قيامها
وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة
متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا تقتضي بطء عروجها
الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء ذلك اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر
من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير امر الكائنات على
ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشأن عالم الغيب والشهادة
فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على عباده وهما خبران
آخران وفيهما ايماء الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكرنا فاعل بالاحسان الذي احسن كل شيء
خلقه خبر آخر او نصب على المدح اي حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق الا وهو مرتب على
ما تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت في الحسن واحسن
كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن
اي يحسن معرفته ويعرفه معرفة حسنة وقيل بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على انه

بدل اشتمال من كل شيء والضمير للمبدل منه أي حسّن كل شيء وقيل بدل الكل على أن الضمير لله تعالى
والخلق بمعنى المخلوق أي حسّن كل شيء مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لأحسن على تضمينه معنى
أعطى أي أعطى كل شيء خلقه اللائق به بطريق الإحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الأول
وكل شيء مفعوله الثاني وقيل الخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه وتعالى على تضمين الإحسان
معنى الإلهام والتوفيق والتعريف والمعنى ألهم خلقه كل شيء مما يحتاجون إليه وقال أبو البقاء
عرّف مخلوقاته كل شيء يحتاجون إليه فيؤول إلى معنى قوله تعالى الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى
وبدأ خلق الإنسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع تحار العقول فيه من حيث
بنى آدم عليه الصلاة والسلام عجيبة منطوية على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء إجماليا
مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة إلى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ
عنه قوله تعالى ثم جعل نسله أي ذريته سميت بذلك لأنها تنسل وتنفصل منه
من سلالة من ماء مهين هو المني الممتهن ثم سواه أي عدله بتكميل أعضائه في الرحم
وتصويرها على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه أضافه إليه تعالى تشريفا له وإيذانا بأنه
خلق عجيب وصنع بديع وأن له شأنا له مناسبة إلى الحضرة الربوبية وأن أقصى ما تنتهي إليه العقول
البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالإضافة إليه تعالى وأخرى بالنسبة إلى أمره
كما في قوله تعالى قل الروح من أمر ربي وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة الجعل إبداعي واللام
متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مرّ مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه
من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم أي خلق لكم تلك المشاعر لتعرفوا أنها مع كونها في أنفسها نعما
جليلة لا يقادر قدرها وسائل إلى التمتع بسائر النعم الدنيوية والدينية الفائضة عليكم وتشكروها
بأن تصرفوا كلا منها إلى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالبعث والتوحيد
وبأبصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بأفئدتكم على حقيقتهما وقوله تعالى قليلا
ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على أن القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه
ما بعده أي شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وفي حكاية أحوال الإنسان من بدء فطرته إلى نفخ
الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية أحواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته
له من الجزالة ما لا غاية وراءه وقالوا كلام مستأنف مسوق لبيان أباطيلهم بطريق الالتفات إيذانا
بأن ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للإعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة
أإذا ضللنا في الأرض أي صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه أو غبنا فيها بالدفن
وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صلّ اللحم إذا أنتن وقيل من الصلة
وهي الأرض أي صرنا من جنس الصلة والقائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند القول إلى الكل والعامل
في إذا ما يدل عليه قوله تعالى أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث أو نجدد خلقنا والهمزة لتذكير الإنكار
السابق وتأكيده وقرئ إنا على الخبر وأيا ما كان فالمعنى على تأكيد الإنكار لا إنكار التأكيد كما يوهمه ظاهر
من تقدم الهمزة على إن فإنها مؤخرة عنها في الاعتبار وإنما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة بل
هم بلقاء ربهم كافرون إضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث إلى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه وهو
كفرهم بالوصول إلى العاقبة وما يلقونه فيها من الأحوال والأهوال جميعا قل بيانا للحق وردا على زعمهم
الباطل يتوفاكم ملك الموت لا كما تزعمون أن الموت من الأحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة
أي يقبض أرواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئا ولا يترك منكم أحدا على أشد ما يكون من الوجوه وأفظعها

من ضرب

من ضرب وجوههم وأدبارهم الذي وكل بكم أي بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم ثم إلى ربكم ترجعون
بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى إذ المجرمون هم القائلون أئذا ضللنا في الأرض الآية ناكسو
رؤوسهم عند ربهم من الحياء والخزي وعند ظهور قبائحهم التي اقترفوها في الدنيا ربنا أي
يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا أي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لإدراك
الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا فارجعنا إلى الدنيا نعمل عملا
صالحا حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى إنا موقنون ادعاء منهم لصحة الأفئدة
والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما أن ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر
والسمع كأنهم قالوا وأيقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا أصلا وإنما عدلوا إلى الجملة الاسمية
المؤكدة إظهارا لثباتهم على الإيقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا
في الإجابة إلى ما سألوه من الرجعة وأنى لهم ذلك ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين مفعول
مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فإنهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة
هائلة ويخبرهم الملك بأن مصيرهم إلى النار لا محالة فالمعنى أبصرنا قبح أعمالنا وكنا نراها
في الدنيا حسنة وسمعنا منك تصديق رسلك وأنت خبير بأن تصديقه تعالى لهم يكون بإظهار
مدلول ما أخبروا به من الوعد والوعيد لا بالإخبار بأنهم صادقون حتى يسمعوه وقيل سمعنا
قول الرسل أي سمعناه سمع طاعة وإذعان ولا يقدر لترى مفعول إذ المعنى لو يكون منك
رؤية في ذلك الوقت أو يقدر ما ينبئ عنه صلة إذ والمضي فيها وفي لو باعتبار أن الثابت
في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب
لكل أحد ممن يصلح له كائنا من كان إذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة إلى حيث
لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الأمور البديعة والدواهي
الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب
بالقصد إلى بيان أن حالهم قد بلغت من الظهور إلى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص برؤية راء
دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لأن
المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فإنه مسوق
مساق المسلمات فتدبر ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على ما قدر
قبل قوله ربنا أبصرنا إلخ أي ونقول لو شئنا أي لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بأن نعطي كل
نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصالح لأعطيناها إياه في الدنيا
التي هي دار الكسب وما أخرناه إلى دار الجزاء ولكن حق القول مني أي سبقت كلمتي حيث قلت لإبليس عند
قوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك
منهم أجمعين وهو المعني بقوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم
الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ إعطاء الهدى على العموم بل منعناه من أتباع إبليس الذين
أنتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم إلى الغي بإغوائه ومشيئتنا لأفعال العباد منوطة باختيارهم
إياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ إعطاءه لكم وإنما أعطيناه الذين اختاروه
من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى إنما يؤمن بآياتنا الذين الآية فيكون مناط عدم
مشيئة إعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وإنما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق
الفعلي بأفعال العباد عند حدوثها لأن المشيئة الأزلية من حيث تعلقها بما سيكون من أفعالهم

احوالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فان يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناط عدمها علمه تعالى
ان لا يصرفوا اختيارهم فيما سيأتي الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريدت هي من تلك الحيثية
لا تستدرك بعدمها وينبط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا
لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار
لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم من اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشئون
والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا
وعلى الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى بما نسيتم لقاء يومكم هذا للتنبيه على ان تعذيبهم
ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد بسبب موجب له من قبلهم كانه قيل لا رجع لكم
الى الدنيا وحق وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه
والاستعداد له بالكلية انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى
وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين للمفعول المطوي للذوق
والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب اخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا
مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب
العذاب وفي ابهام المذوق اولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستيناف المنبي عن كمال الغضب
بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى انما يؤمن بآياتنا
استيناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو ردوا ولتعيين
من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا
ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما
يؤمن بها الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا خروا سجدا اثر ذي اثير من غير تردد ولا تلعثم
فضلا عن التسويف الى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد اي سقطوا على وجوههم وسبحوا
بحمد ربهم اي ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث
ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التي اجلها الهداية بايتاء الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية
بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد بانهم يفعلونهما
بملاحظة ربوبيته تعالى اياهم وهم لا يستكبرون اي والحال انهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون
عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم عن المضاجع اي ترتفع وتتنحى عن الفرش
ومواضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضي الله
تعالى عنه نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي
صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله تعالى عنه ايضا انه قال نزلت في اناس من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهي صلاة الاوابين وهو قول ابي حازم
ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى
يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد
ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان المحرم
وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام
العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي
بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم

عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون
وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير
جنوبهم اي داعين له تعالى على الاستمرار خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته
وطمعا في رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون في وجوه الحسنات فلا تعلم نفس من
النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفي لهم اي لاولئك الذين عددت
نعوتهم الجليلة من قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله عز وجل
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه
اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرئ ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفي لهم
وما اخفيت لهم على صيغة المتكلم وما اخفى لهم على صيغة البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ
قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل
جزاء بما كانوا يعملون اي جوزوا جزاء او اخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة
قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله تعالى ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا اي بعد
ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت
احواله لا يستوون التصريح به مع افادة الانكار لنفي المشابهة بالمرة على ابلغ وجه وآكده لبناء
التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى
اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد
ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الى المأوى لانها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل
عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان وايا ما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من
تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا نزلا اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام
والشراب والانتصاب على الحالية بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم واما
الذين فسقوا اي خرجوا عن الطاعة فمأواهم اي ملجأهم ومنزلهم النار مكان جنات المأوى
للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استيناف لبيان كيفية كون النار مأواهم
يروى انه يضربهم لهيب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وارادوا ان يخرجوا منها
يضربهم اللهيب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم مستقرون فيها
وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا
عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اي بعذاب النار على الاستمرار في الدنيا ولنذيقنهم
من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون
العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم لعل الذين يشاهدونه وهم في الحيوة يرجعون
يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن
اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد
بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها
وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت
ثم يزورها اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد
مر مرارا انا من المجرمين اي من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته منتقمون فكيف ممن
هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل مجرم ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية عبر عنها باسم الجنس

لتحقق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على أن إيتاءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كإيتائها لموسى عليه الصلاة والسلام فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وإنك لتلقى القرآن والمعنى إنا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى عليه الصلاة والسلام وعنه عليه الصلاة والسلام رأيت ليلة أسري بي موسى عليه الصلاة والسلام رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة وجعلناه أي الكتاب الذي آتيناه موسى هدى لبني إسرائيل قيل لم يتعبد بما في التوراة ولد إسماعيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والأحكام إلى طريق الحق أو يهدونهم إلى ما فيه من دين الله وشرائعه بأمرنا إياهم بذلك أو بتوفيقنا له لما صبروا هي لما التي فيها معنى الجزاء نحو أحسنت إليك لما جئتني والضمير للأئمة تقديره لما صبروا جعلناهم أئمة أو يحذف فيه الجزاء أي جعلناهم أئمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد في نصرة الدين أو صبرهم عن الدنيا وقرئ بما صبروا أي لصبرهم وكانوا بآياتنا يوقنون التي في تضاعيف الكتاب لإمعانهم فيها بالنظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذي آتيناك هدى لأمتك ولنجعلن منهم أئمة يهدون مثل تلك الهداية إن ربك هو يفصل بينهم أي يقضي بينهم فيميز بين الأنبياء وأممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين يوم القيامة فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من أمور الدين أولم يهد لهم الهمزة للإنكار والواو للعطف على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية إما من قبيل فلان يعطي في أن المراد إيقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول وإما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم أهلكنا أي أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم أو ولم يبين لهم مآل أمرهم كثرة إهلاكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز أن يكون الفاعل على القراءة الأولى أيضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم أهلكنا إلخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون في مساكنهم أي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشّون بالتشديد إن في ذلك أي فيما ذكر من كثرة إهلاكنا للأمم الخالية العاتية أو في مساكنهم لآيات عظيمة في أنفسها كثيرة في عددها أفلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز أي التي جرز نباتها أي قطع وأزيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك الأرض زرعا تأكل منه أي من ذلك الزرع أنعامهم كالتبن والقصل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ يأكل بالياء وأنفسهم كالحبوب التي يقتاتها الإنسان والثمار أفلا يبصرون أي ألا ينظرون فلا يبصرون ذلك فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون كان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة إذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح أي النصر والفصل بالحكومة إن كنتم صادقين في أن الله تعالى ينصركم أو يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رحمهما الله يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه

على انه

على أنه ليس مما ينبغي أن يسأل عنه لكونه أمرا بينا غنيا عن الإخبار به وكذا إيمانهم واستنظارهم يومئذ وإنما المحتاج إلى البيان عدم نفع ذلك الإيمان وعدم الإمهال كأنه قيل لا تستعجلوا فكأني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الأول ظاهر وأما على الأخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الأول وإلا فلا وقع لنفع الإيمان الطلقاء يوم الفتح وناس آمنوا يوم بدر فأعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصر عليهم وهلاكهم إنهم منتظرون قيل أي الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا إنا معكم متربصون والأظهر أن يقال إنهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا فإنهم منتظرون فإن استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى أنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم أو أن الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

سورة الأحزاب ثلاث وسبعون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي اتق الله في ندائه عليه الصلاة والسلام بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المأمور بها الثبات عليه والازدياد منه فإن له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين أي المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له أي فيما يعود بوهن في الدين وإعطاء دنية فيما بين المسلمين روي أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه عليه الصلاة والسلام في الموادعة التي كانت بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك إن الله كان عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع الأشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك إلا بما فيه مصلحة ولا ينهاك إلا عما فيه مفسدة ولا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة البالغة والجملة تعليل للأمر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما واتبع أي في كل ما تأتي وما تذر من أمور الدين ما يوحى إليك من ربك من الآيات التي من جملتها هذه الآية الكريمة الآمرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالأمر إن الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقيل له عليه الصلاة والسلام والمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز أن يكون الكل على ضرب من التغليب وأيا ما كان فالجملة تعليل للأمر وتأكيد لموجبه أما على الوجهين الأولين فبطريق الترغيب والترهيب كأنه قيل إن الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا وأما على الوجه الأخير فبطريق الترغيب فقط كأنه قيل إن الله خبير بما يعمله الفريقان فيرشدك إلى ما فيه صلاح حالك وانتظام أمرك ويطلعك على ما يعملونه من المكايد والمفاسد ويأمرك

مما ينبغي ان لا تعمل في دفعها ورعيها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتمًا **وتوكل على الله**
اي فوض جميع امورك اليه **وكفى بالله وكيلا** حافظا موكولا اليه كل الامور **ما جعل الله لرجل**
من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحي الذي امر عليه الصلاة والسلام باتباعه وهذا
مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى **وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون**
منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وتنبيها على ان كون المظاهر منها امًّا وكون الدعي
ابنا اي بمنزلة الام والابن في الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع
قلبين في جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك
قيل لابي معمر وجميل بن اسد الفهري ذو القلبين اي ما جمع الله قلبين في رجل واحد وذكر الجوف
لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وامومية في امرأة
ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفي الجمع بين
حقيقة الدعوة والبنوة كما في القلب ولا بمعنى نفي الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع
بين احكام الدعوة واحكام البنوة ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر
باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان تطليقا في الجاهلية
وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف
وذكر الظهار كناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم
فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاء وقرئ تظاهرون بحذف
احدى التائين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء وتظهرون من
اظهر بمعنى تظاهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من تظهر
ظهورا والادعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى
فاعل كتقي واتقياء كانه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلى واسرى **ذلكم** اشارة الى ما يفهم مما
ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من سياق الكلام اي دعاؤكم بقولكم هذا
ابني **قولكم بافواهكم** فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل
من استتباع احكام البنوة كما زعمتم **والله يقول الحق** المطابق للواقع **وهو يهدي السبيل** اي
سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل **ادعوهم لآبائهم** اي انسبوهم اليهم
وخصوهم به وقوله عز وجل **هو اقسط عند الله** تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في
قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط
بمعنى العدل اي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه **فان لم تعلموا**
آباءهم فتنسبوهم اليهم **فاخوانكم في الدين ومواليكم** فهم اخوانكم واولياؤكم فيه فادعوهم
بالاخوة الدينية والمولوية **وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به** اي اثم فيما فعلتموه من
ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان **ولكن ما تعمدت قلوبكم** اي ولكن الجناح فيما
تعمدت قلوبكم بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح **وكان الله غفورا رحيما** لعفوه عن المخطئ
وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان
مجهول النسب وكان يحتمل ان يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر بنسبه من غيره **النبي اولى بالمؤمنين**
من انفسهم اي في كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه الصلاة
والسلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم

عليه لاقدم

عليه اقدم من شفقتهم عليها فروي انه عليه الصلاة والسلام اراد غزوة تبوك فامر الناس
بالخروج فقال ناس نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب
لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة **وازواجه امهاتهم** اي
منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت
عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء **واولوا الارحام** اي ذوو القرابات **بعضهم اولى**
ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين **في كتاب الله**
في اللوح او فيما انزله وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى **من المؤمنين والمهاجرين**
بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق
الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة **الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا** استثناء من اعم ما تقدر
الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع **كان ذلك في الكتاب مسطورا**
اي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التوراة **واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم**
اي اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق **ومنك ومن**
نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا
بينا للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولي العزم
من الرسل وتقديم نبينا عليهم عليهم الصلاة والسلام لبيان فضله الجليل **واخذنا منهم**
ميثاقا غليظا اي عهدا عظيم الشأن او موكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه
هو اخذه ثانيا والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشانه كما في قوله تعالى
ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله
تعالى **ليسأل الصادقين عن صدقهم** متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ
الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ
عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا
عهودهم عما قالوا لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
اجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق وقيل ان
المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم
فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى **واعد للكافرين عذابا اليما** عطف على ما ذكر من المضمر
لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او بان المعنى ان الله
تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون بيان اعداد
العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات ثم هو عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين
كانه قيل فاثاب المؤمنين واعد للكافرين الآية **يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم** ان جعل
النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كائنة عليكم **اذ جاءتكم**
جنود ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا وعلى انه بدل اشتمال من نعمة والمراد
بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فلما سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي ثم خرج في
ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا
في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير

كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط ومضوا على الفريقين قريباً من شهر لا حرب
بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر ... ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن وهب ونوفل بن عبد الله
وضرار بن الخطاب وفرسان من قريش تهيأوا للقتال فاقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا
خيولهم فاقتحمت بهم فجالت بهم في السبخة فاقبل الفرسان نحوهم وكان عمرو معلماً ليرى مكانه فقال له علي رضي الله
عنه اني ادعوك الى الله ورسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك قال يا ابن اخي والله
لا احب ان اقتلك قال علي رضي الله عنه ولكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان عمرو
مشهوراً بالشجاعة فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقصده به
علي رضي الله عنه ضربة فقتله فلما قتل انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع
عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتلهما ايضاً علي رضي الله
عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى **فارسلنا
عليهم ريحاً** عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالاً وسيأتي بقيتها في آخر القصة **وجنوداً
لم تروها** وهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام وكانوا الفاً بعث الله الصبا باردة في ليلة شاتية
فاحصرتهم وسفت في وجوههم التراب وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفات
النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب
عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال
وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وترتيب مبادي الحرب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله
وقرئ بالياء اي بما يعمل الكفار من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي **بصيراً** ولذلك فعل ما
فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله **اذ جاؤكم** بدل من اذ جاءتكم **من فوقكم** من اعلى الوادي
من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصين وعامر بن الطفيل
وجاءهم اليهود من قريظة والنضير **ومن اسفل منكم** اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن
تابعهم من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة آلاف **واذ زاغت
الابصار** عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير اي حين مالت عن سننها وانحرفت عن
مستوى نظرها حيرة وشخوصاً وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع **وبلغت
القلوب الحناجر** لان الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى
الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب وتوحشها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله
تعالى **وتظنون بالله الظنونا** لمن يظهر الايمان على الاطلاق اي تظنون به تعالى انواع الظنون المختلفة
حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى ينجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم من
قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال
والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة
الفواصل كما تزاد في القوافي **هنالك** ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده اي في ذلك الزمان الهائل
او المكان الدحض **ابتلي المؤمنون** اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ
من المتزلزل **وزلزلوا زلزالاً شديداً** من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاي **واذ يقول المنافقون**
عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول وتجدده **والذين
في قلوبهم مرض** اوضعف اعتقاد **ما وعدنا الله ورسوله** من اعلاء الدين والظفر

اي وعد غرور وقيل قولاً باطلاً القائل معتب بن قشير قال ضاحكاً به راضون به قال يعدنا محمد
صلى الله عليه وسلم بفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يبرز فرقاً ما هذا الا وعد غرور
واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واتباعه **يا اهل
يثرب** هو اسم المدينة المطهرة وقيل المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي صلى الله عليه
وسلم ان تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة وطابة كأنهم ذكروها بهذا الاسم مخالفة له
صلى الله عليه وسلم ونداؤهم اياهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع
اليها **لا مقام لكم** لا موضع اقامة لكم او لا اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ
بفتح الميم اي لا قيام او لا موضع قيام لكم **فارجعوا** الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار
لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجاً لمقالهم وايذاناً بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى
لا قيام لكم في دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه
عليه واسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفاراً ليمكنكم المقام بها والاول
هو الانسب لما بعده فان قوله **ويستأذن فريق منهم النبي** معطوف على قالت وصيغة المضارع
لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استأذنوه عليه الصلاة والسلام في الرجوع ممتثلين
بامرهم وقوله تعالى **يقولون** بدل من يستأذن او حال من فاعله او استئناف مبني على السؤال عن كيفية
الاستئذان **ان بيوتنا عورة** اي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فأذن لنا حتى نحصنها
ثم نرجع الى العسكر والعورة في الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقرئ بكسر الواو على انه تخفيف عورة
من عورت الدار اي اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصديرهم مقالتهم
بحرف التحقيق **وما هي بعورة** والحال انها ليست كذلك **ان يريدون** ما يريدون بالاستئذان
الا فراراً من القتال **ولو دخلت عليهم** اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض
دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقاً كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور **من اقطارها** اي من
جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد من اهل
الدعارة والفساد **ثم سئلوا** من جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة **الفتنة** اي
الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الايمان والطاعة **لآتوها** لاعطوها غير مبالين بما
دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لأتوها بالقصر اي لفعلوها وجاؤوها **وما
تلبثوا بها** بالفتنة اي ما البثوها وما اخروها **الا يسيراً** ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان
فضلاً عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد
الا يسيراً والاول هو اللائق بالمقام هذا وانما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمع
منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل فهو بمعزل من السداد
لوضع ما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا الى الحق نكلوا عنه بتسويف وان دعوا الى
الباطل سارعوا اليه من غير تلبث لا لمجرد فرض الدخول عليهم
من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة اخرى مع ان العساكر هم
المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين للنصر والمعلي للاعراض عن الحق المجتهدون في الدعاء الى
الكفر والضلال لما مر من التقريب **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار** فان بني حارثة
عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا
عن وقعة بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالاً ... واما اعطى الله تعالى اهل بدر من الكرامة والفضيلة لنقاتلن

لتقاتلن وكان عهد الله مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسئولا عن الوفاء به ومجازى
عليه قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنف أو قتل
بسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي وإن نفعكم
الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا تمتعا قليلا أو زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم
من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام أو
حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا
نصيرا يدفع عنهم الضر قد يعلم الله المعوقين منكم أي المثبطين للناس عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لإخوانهم من منافقي المدينة هلم إلينا وهو
صوت سمي به فعل متعد نحو احضر وأقرب ويستوي فيه الواحد والجماعة على لغة أهل الحجاز وأما
بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال أي قربوا أنفسكم إلينا وهذا يدل على أنهم عند هذا القول
خارجون من العسكر متوجهون نحو المدينة ولا يأتون البأس أي الحرب والقتال إلا قليلا إلا إتيانا
أو زمانا أو بأسا قليلا فإنهم يعتذرون ويثبطون ما أمكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم
معهم لا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئا قليلا إذا اضطروا إليه كقوله تعالى ما قاتلوا إلا قليلا
وقيل إنه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حرب الأحزاب ولا يقاومونهم
إلا قليلا أشحة عليكم أي بخلاء عليكم بالمعاونة والنفقة في سبيل الله أو الظفر والغنيمة جمع شحيح
ونصبها على الحالية من فاعل يأتون أو من المعوقين أو على الذم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون
إليك تدور أعينهم في أحداقهم كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون أو حال من فاعله
أو لمصدر تدور أو حال من أعينهم أي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت
حذرا وخورا ولواذا أو ينظرون كائنين كالذي إلخ أو تدور أعينهم دورانا كدوران
عينه أو تدور أعينهم كائنة كعينه فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم
بألسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم
وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد أو اللسان وقرئ صلقوكم أشحة على الخير
نصب على الحالية أو الذم ويؤيده قراءة بالرفع أولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا
بالإخلاص فأحبط الله أعمالهم أي أظهر بطلانها إذ لم يثبت لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم
ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية وكان ذلك الإحباط على الله يسيرا هينا وتخصيص
يسره بالذكر مع أن كل شيء عليه تعالى يسير لبيان أن أعمالهم حقيقة بأن تحبط وحبوطها لكمال تعاضد
الدواعي وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن
الأحزاب لم ينهزموا ففروا إلى داخل المدينة وإن يأت الأحزاب كرة ثانية يودوا لو أنهم بادون
في الأعراب تمنوا أنهم خارجون إلى البدو وحاصلون بين الأعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز
وغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ يتساءلون أي يتساءلون ومعناه يقول
بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الأعراب كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه
فإن صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كونه ما أسندت إليه فاعلا ومفعولا من وجه ويكتفى
بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور ونظائره عن أنبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة
ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ما قاتلوا إلا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم
في رسول الله أسوة حسنة خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد

اولمو في

أو هو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا القدر
من الحديد وقيل وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فيها لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أي ثواب الله
ولقاءه أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك أرجو زيدا وفضله فإن اليوم الآخر
من أيام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم والأكثرون على أن ضمير المخاطب
لا يبدل منه وذكر الله أي وقرن الرجاء بذكر الله كثيرا أي ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا فإن المثابرة
على ذكر الله تعالى تؤدي إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم
ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشئون
واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم أي لما شاهدوهم من حيث لم يرعبوا أن يخطر ببالهم هذا
يدل عليه بفصده عن تذكيره وتأنيثه فإنهما من أحكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة
قال هذا ربي وجعل الإشارة إلى الخطب والبلاء من نتائج النظر الجليل فقد بني التذكير على اعتبار الخبر الذي
هو ما وعدنا الله ورسوله فإن ذلك العنوان أول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك
ما وعدوه بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
مستهم البأساء والضراء إلى قوله تعالى ألا إن نصر الله قريب وقوله عليه الصلاة والسلام
سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام
إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق
الله ورسوله أي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله أو صدقا في النصرة والثواب كما صدقا
في البلاء وإظهار الاسم للتعظيم وما زادهم أي ما رأوه إلا إيمانا بالله تعالى وبمواعيده
وتسليما لأوامره ومقاديره من المؤمنين أي المؤمنين بالإخلاص مطلقا إلا الذين حكيت عنهم
خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه أي من الثبات مع الرسول صلى الله عليه وسلم
والمقاتلة لأعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله تعالى عنهم نذروا أنهم إذا لقوا حربا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله
وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى
عليهم أجمعين ومعنى صدقوا أتوا بالصدق ومحل ما عاهدوا النصب بما يطرح الخافض عنه أو بإيصال
الفعل إليه كما في قولهم صدقني سن بكره في سنه وإما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز
كأنهم خاطبوه فقالوا بكرما تسخو نبي الأعداء أن نحنو وقالوا له سنفي بك وحيث
وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوا لكذبوه ولكان مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال
الصادقين وتقسيم لهم إلى قسمين والنحب النذر وهو أن يلتزم الإنسان شيئا من أعماله ويوجبه
على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على أحد الوجهين
المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية أي فبعضهم أو فبعض منهم من خرج
عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر عم أنس بن مالك رضوان الله تعالى عليهم أجمعين
فإنهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بأن يكون ما نذروه أفعالهم الاختيارية
التي هي المقاتلة الغاية بما ينتهي بها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا أو كان يستعار لالتزامه
ما يأتي ومنهم أي وبعضهم أو وبعض منهم من ينتظر قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة
وغيرهما ممن استشهد يوم بدر بعد ذلك رضوان الله عليهم أجمعين فإنهم مستمرون على نذورهم
قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال إلى حين نزول الآية الكريمة

اقتداء صدقوا قوم

ومنتظرون القضاء لبعضها الباقي ومقاتلة إلى الموت شهادة هذا ويجوز أن يكون النحب مستعاراً لالتزام الموت شهيداً إما بتنزيل التزام أسبابه التي هي أفعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه وإما بتنزيل نفسه منزلة أسبابه وإيراد الالتزام عليه وهو الأنسب بمقام المدح وأيّاً ما كان ففي وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة بكمال اشتياقهم إلى الشهادة وأما ما قيل من أن النحب استعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها وإخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية **وما بدلوا** عطف على صدقوا وفاعله أي وما بدلوا عهدهم وما غيروه **تبديلا** أي تبديلاً ما لا أصلاً ولا وصفاً بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون أما الذين قضوا فظاهر وأما الباقون فيشهد به انتظارهم أصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الأول مع ظهور حالهم للإيذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز أن يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على أن المحتاج إلى البيان حالهم وقد روي أن طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام أوجب طلحة الجنة وفي رواية أوجب طلحة وعنه عليه الصلاة والسلام في رواية جابر من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضي الله عنها من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة وهذا يشير إلى أنه من الأولين حكماً **ليجزي الله الصادقين بصدقهم** متعلق بمضمر مستأنف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع إلى وقوع ما حكي من الأحوال والأقوال على التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كأنه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولاً وفعلاً **ويعذب المنافقين** بما صدر عنهم من الأقوال والأعمال المحكية **إن شاء** تعذيبهم **أو يتوب عليهم** إن تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق وإثباته المعرض به كأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب كأنه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزي الآية فتأمل وبالله التوفيق **إن الله كان غفوراً رحيماً** لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث إلى التوبة وقوله تعالى **ورد الله الذين كفروا** رجوع إلى حكاية بقية القصة وتفصيل تتمة النعمة المشار إليها إجمالاً بقوله تعالى فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها معطوف إما على المضمر المقدر قبل قوله ليجزي الله كأنه قيل إثر حكاية الأمور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله إلخ وإما على أرسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والأفهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الأقدام وتفصيل ما صدر عن فريقي أهل الإيمان وأهل الكفر والنفاق من الأحوال والأقوال لإظهار عظم النعمة وإبانة خطرها الجليل ببيان وصولها إليهم عند غاية احتياجهم إليها أي فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى **بغيظهم** حال من الموصول أي متلبسين به وقوله تعالى **لم ينالوا خيراً** حال أخرى بتداخل أو تعاقب أي غير ظافرين بخير أو الثانية بيان للأولى أو استئناف **وكفى الله المؤمنين القتال** بما ذكر من إرسال الريح والجنود **وكان الله قوياً** على إحداث كل ما يريد **عزيزاً** غالباً على كل شيء **وأنزل الذين ظاهروهم** أي عاونوا الأحزاب المردودة **من أهل الكتاب**

وهم بني

وهم بني قريظة **من صياصيهم** من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك **وقذف في قلوبهم الرعب** الخوف الشديد بحيث سلموا أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للأسر حسبما ينطق به قوله تعالى **فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً** من غير أن يكون من جهتهم حراك فضلاً عن المخالفة والاستعصاء روي أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا السلاح فقال أتنزع لأمتك والملائكة ما وضعوا السلاح إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فأذن في الناس أن لا يصلوا العصر إلا ببني قريظة فحاصرهم إحدى وعشرين أو خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع أرقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة إلى تسعمائة وأسر سبعمائة وقرئ تأسرون بضم السين كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تأخير المفعول في الجملة الثانية مع أن مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون وقوله فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون لمراعاة الفواصل **وأورثكم أرضهم وديارهم** أي حصونهم **وأموالهم** نقودهم وأثاثهم ومواشيهم روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فقالت الأنصار في ذلك فقال عليه الصلاة والسلام إنكم في منازلكم فقال عمر رضي الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر فقال عليه الصلاة والسلام لا إنما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله **وأرضاً لم تطؤوها** أي وأورثكم في علمه وتقديره أرضاً لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل أرض تفتح إلى يوم القيامة وقيل خيبر **وكان الله على كل شيء قديراً** فقد شاهدتم بعض مقدوراته من إيراث الأرض التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا** أي السعة والتنعم فيها **وزينتها** وزخارفها **فتعالين** أي أقبلن بإرادتكن واختياركن لإحدى الخصلتين كما يقال أقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني **أمتعكن** بالجزم جواباً للأمر وكذا **وأسرحكن** أي أعطكن المتعة وأطلقكن **سراحاً جميلاً** طلاقاً من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستئناف روي أنهن سألنه عليه الصلاة والسلام ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف في أن هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق إليهن حتى يقع الطلاق وإنما كان تخييراً لهن بين الإرادتين على أنهن إن أردن الدنيا فارقهن عليه الصلاة والسلام كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعاليْن أمتعكن وأسرحكن وذهب بعضهم إلى أنه كان تفويضاً للطلاق إليهن حتى لو أنهن اخترن أنفسهن كان ذلك طلاقاً وكذا اختلف في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم إذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها يقع طلقة واحدة وإن اختارت نفسها يقع ثلاث طلقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي رضي الله عنه أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء أصلاً وعليه إجماع فقهاء الأمصار وقد روي عن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقاً وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من أول الأمر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداقاً عند العقد واجبة عندنا

وفيما اعد لهن مستجنة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها
اقل من ذلك فحينئذ تجب لها الاقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن الله ورسوله
اي تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله عليه الصلاة والسلام عنده تعالى والدار
الآخرة اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا فان الله اعد للمحسنات منكن بمقابلة
احسانهن اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات
وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه
وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف التسريح بالجميل يا نساء النبي تلوين للخطاب
وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عليه الصلاة
والسلام لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام من يأت منكن بفاحشة كبيرة مبينة
ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كما اقترف من الكبائر وقيل هي
عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به
ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تأت بالفوقانية يضاعف لها العذاب ضعفين اي يعذبن
ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب
والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام بما
لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل
ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي صلى الله عليه
وسلم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ومن يقنت منكن وقرئ بالتاء اي ومن يدم على الطاعة
لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن
رضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من
ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا لها في الجنة زيادة على اجرها المضاعف رزقا كريما
مرضيا يا نساء النبي لستن كأحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي
مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل
والشرف ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضاء رسوله وان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق
بحالكن فلا تخضعن بالقول عند مخاطبة الناس اي لا تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن
قول المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل
النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كأنه قيل فلا تخضعن
بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض فلا يطمع مريض القلب وقلن قولا معروفا بعيدا من الريبة والاطماع
بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن امر من قر يقر من باب علم
واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها كما في قولك ظلن او من قار يقار اذا اجتمع
وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت احدى رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ولا
تبرجن اي لا تتبخترن في مشيتكن تبرج الجاهلية الاولى اي تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية
القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهم الصلاة والسلام وقيل الزمان الذي
ولد فيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل
زمن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام
وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويؤيده

قوله عليه الصلاة والسلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام
قال بل جاهلية كفر واقمن الصلاة وآتين الزكاة امرهن بهما لانافتهما من بين سائر العبادات لكونهما اصل
الطاعات البدنية والمالية واطعن الله ورسوله اي في سائر ما تأتين وما تذرن لا سيما فيما امرتن
به ونهيتن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل
لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود
حيث قيل بطريق النداء او المدح اهل البيت مرادا بهم من حواهم بيت النبوة ويطهركم من
اوضار الاوزار والمعاصي تطهيرا بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير
لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي صلى الله عليه وسلم
من اهل بيته قاضية ببطلان رأي الشيعة في تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة وعلي
وابنيهما رضوان الله تعالى عليهم واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات
غدوة وعليه مرط مرجل من شعر اسود وجلس فأتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه
ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانه
يدل على كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها
لكونها في مقابلة النص واذكرن ما يتلى في بيوتكن اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما
يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق
النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلم والشرائع وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن
اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا
على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط
الوحي لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول
وعدم تعيين التالي ليعم تلاوة جبريل عليه الصلاة والسلام وتلاوة النبي صلى الله عليه وسلم
وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعلما وتعليما ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين
ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي او يعلم من يصلح للنبوة ومن يستأهل ان يكون من اهل بيته ان المسلمين
والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث والمؤمنين والمؤمنات
المصدقين بما يجب ان يصدق به من الفريقين والقانتين والقانتات المداومين على الطاعات القائمين
بها والصادقين والصادقات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات
بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات
عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم بسبب ما عملوا من الحسنات
المذكورة مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة واجرا عظيما على ما صدر عنهم
من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روي ان ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا
تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة رضي الله عنها وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله
عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو
ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله تعالى
مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهم بين هذه النعوت الجميلة وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة اي ما صح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله امرا اي

اذا قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه عليه الصلاة والسلام قضاء الله عز وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده **ان تكون لهم الخيرة من امرهم** اي ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل يجب عليهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه عليه الصلاة والسلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء **ومن يعص الله ورسوله** في امر من الامور ويعمل فيه برايه **فقد ضل ضلالا مبينا** اي بين الانحراف عن سنن الصواب **واذ تقول** اي واذكر وقت قولك **للذي انعم الله عليه** بتوفيقه للاسلام وبتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته **وانعمت عليه** بالعمل بما وفقك الله له من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر منه عليه الصلاة والسلام من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء والاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد **امسك عليك زوجك** اي زينب وذلك انه عليه الصلاة والسلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك انها شئ قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال امسك عليك زوجك **واتق الله** في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها **وتخفي في نفسك ما الله مبديه** وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها **وتخشى الناس** تعييرهم اياك به **والله احق ان تخشاه** ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه تعالى **فلما قضى زيد منها وطرا** بحيث لم يبق له بها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك **زوجناكها** وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزوجها منه عليه الصلاة والسلام وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه **لكي لا يكون على المؤمنين حرج** ضيق ومشقة **في ازواج ادعيائهم** اي في حق تزوجهن **اذا قضوا منهن وطرا** فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه عليه الصلاة والسلام وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل **وكان امر الله** اي ما يريد تكوينه من الامور او مأموره الحاصل بكن **مفعولا** مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله **ما كان على النبي من حرج** اي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون له ضيق **فيما فرض الله له** اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لارزاقهم **سنة الله** اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة **في الذين خلوا** مضوا **من قبل** من الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه الصلاة والسلام مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امراة وسبعمائة سرية وقوله تعالى **وكان امر الله قدرا مقدورا** اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه **الذين يبلغون رسالات الله** صفة للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله

ويخشونه في كل ما ياتون ويذرون لاسيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يخشون منه حرفا ولا ياخذهم في ذلك لومة لائم **ولا يخشون احدا الا الله** في وصفهم بقصر الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه **وكفى بالله حسيبا** كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى **ما كان محمد ابا احد من رجالكم** اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه الصلاة والسلام ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له صلى الله عليه وسلم لا لهم **ولكن رسول الله** اي كان رسول الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم الابدية وزيد واحد من رجالكم الذين لا ولادة بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص **وخاتم النبيين** اي كان اخرهم الذين ختموا به وقرئ بكسر التاء اي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين كما يروى انه قال في ابراهيم عليه الصلاة والسلام لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى عليه الصلاة والسلام بعده لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته **وكان الله بكل شئ عليما** ومن جملته هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك مريب **يا ايها الذين امنوا اذكروا الله** بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس **ذكرا كثيرا** يعم الاوقات والاحوال **وسبحوه** ونزهوه عما لا يليق به **بكرة واصيلا** اي اول النهار واخره وتخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلاة **هو الذي يصلي عليكم** الى اخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى **وملائكته** عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلاة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي الماخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في ان استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتباره نزوع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر **ليخرجكم من الظلمات الى النور** متعلق بيصلي اي يعتني باموركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى **وكان بالمؤمنين رحيما** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المؤمنين الذين انتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى

الإيمان والطاعة وكان بكم رحيما على أن المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم وإشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام بيان للأحكام الآجلة لرحمته تعالى بعد بيان آثارها العاجلة التي هي الاعتناء بأمرهم وهدايتهم إلى الطاعة أي ما يحيون به على أن المصدر أضيف إلى مفعوله يوم لقائه عند الموت أو عند البعث من القبور أو عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم أو من الملائكة بشارة لهم بالجنة أو تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم أو إخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى وأعد لهم أجرا كريما بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة إليهم قبل ذلك ولعل إيثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بأن يقال مثلا ولهم أجر كريم أو لهم أجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق إلى الموعود ببيان أن الأجر الذي هو المقصد الأقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا على من بعثت إليهم تراقب أحوالهم وتشاهد أعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيامة أداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار وداعيا إلى الله أي إلى الإقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الإيمان به من صفاته وأفعاله بإذنه أي بتيسيره أطلق عليه مجازا لما أنه من أسبابه وقيد به الدعوة إيذانا بأنها أمر صعب المنال وخطب في غاية الإعضال لا يتأتى إلا بإمداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وإدخال الأعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بأنواره إلى مناهج الرشد والهداية وبشر المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل فراقب أحوال الناس وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا أي على مؤمني الأمم في الرتبة والشرف أو زيادة على أجور أعمالهم بطريق التفضل والإحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي عن مداراتهم في أمر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الإنذار كني عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والإلهاب فقد أبعد عن التحقيق بمراحل ودع أذاهم أي لا تبال بأذاهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والإنذار وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا الشأن فإنه تعالى يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا إليه الأمور في كل الأحوال وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتعليل الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصف عليه الصلاة والسلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا أنه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الأمر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة المبشر عليه وهو الأمر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل الداعي إليه تعالى بإذنه بالأمر بالتوكل عليه من حيث إنه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فإن من أيده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي إلى نور الرشاد حقيق بأن يكتفي به عن كل ما سواه يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن أي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة بأيام يتربصن فيها بأنفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والإسناد إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق الأزواج كما يشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على إبدال إحدى الدالين بالتاء أو على أنه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وقرئ

بالتخفيف

الصحيحة

الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على أن المؤمن من شأنه أن يتخير لنطفته ولا ينكح إلا مؤمنة وفائدة ثم إزاحة ما عسى يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما تمكن الإصابة تؤثر في العدة كما تؤثر في النسب فمتعوهن أي إن لم يكن مفروضا لها في العقد فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فإنها مستحبة عندنا في رواية وفي أخرى غير مستحبة وسرحوهن أي أخرجوهن من منازلكم إذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لأنه إنما يتأتى في المدخول بها يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن أي مهورهن فإنها أجور الأبضاع وإيتاؤها إما إعطاؤها معجلة أو تسميتها في العقد وأيا ما كان فتقييد الإحلال له عليه الصلاة والسلام بذلك ليس لتوقف الحل عليه ضرورة أنه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل أو المتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لإيثار الأولى والأفضل له عليه الصلاة والسلام كتقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك فإن المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل أن تقييد الحل بذلك في حقه عليه الصلاة والسلام خاصة ويعضده قول أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة بالنصب عطفا على مفعول أحللنا إذ ليس معناه إنشاء الإحلال الناجز بل إعلام مطلق الإحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف أي أحللناها لك أيضا إن وهبت نفسها للنبي أي ملكته بضعها بأي عبارة بلا مهر إن اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند إرادته عليه الصلاة والسلام استنكاحها كما نطق به قوله تعالى إن أراد النبي أن يستنكحها أي أن يتملك بضعها كذلك أي بلا مهر فإن ذلك جار منه عليه الصلاة والسلام مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح أن يكون مناط الخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة إيجابا أو سلبا واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عنده عليه الصلاة والسلام أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وإيراده عليه الصلاة والسلام في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والإيذان بأنها المناط لثبوت الحكم فيختص به عليه الصلاة والسلام حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى خالصة لك أي خلص لك إحلالها خالصة أي خلوصا فإن الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعاقبة والكاذبة أو خلص لك إحلال ما أحللنا لك من المذكورات خالصة على القيود المذكورة ومعنى قوله تعالى من دون المؤمنين على الأول أن الإحلال المذكور في المادة الموهوبة غير متحقق فإنما المتحقق هناك الإحلال بمهر المثل وعلى الثاني أن إحلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم بل إنما المتحقق فيهم إحلال البعض المعدود وعلى الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ذلك خلوص لك وخصوص أي هي أي تلك المرأة أو الهبة خالصة لك لا تتجاوز المسلمين حيث لا تحل لهم بغير مهر ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم أي على المؤمنين في أزواجهم أي في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الإحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان أنه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عليه الصلاة والسلام تكرمة له وتوسعة عليه أي قد علمنا ما ينبغي أن يفرض عليهم في حق أزواجهم وما ملكت أيمانهم وعلى أي حد وعلى أي صفة يحق أن يفرض عليهم

فرضنا ما فرضنا عليه لك التوجه مخصصات بعض الخصائص لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق
واللام متعلقة بخالصة للنبي باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه الصلوة والسلام لان مد
انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا رحيما لما يعسر التحرز
عنه ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك
من تشاء منهن وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى
واحد ومن ابتغيت اي طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه
قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم
واذا طلق فاما ان يخلي المعزولة بعينها او لا يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وجويرية وصفية
وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام
سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا
سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله تعالى عنهما وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك
ذلك اي ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن
كلهن اي اقرب الى قرة اعينهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن
ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء ونصب اعينهن
وكلهن تاكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه تاكيد هن والله يعلم ما في قلوبكم من الضمائر والخواطر
فاجتهدوا في احسانها وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه حليما لا يعاجل
بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي
ولوجود الفصل وقرئ بالتاء من بعد اي من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة
من بعد هؤلاء التسع التي خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما
تؤتيهن من الوصال والهجران ولا ان تبدل بهن بحذف احدى التائين من ازواج بان تطلق
واحدة منهن وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق اراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على اختيارهن
ورضاهن فقصر رسوله عليهن وهن التسع التي توفي عليه الصلوة والسلام عنهن عائشة بنت ابي بكر
وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية
بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث
المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي احللناهن لك بالصفة
التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والقرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى ولا ان تبدل بهن
فان معناه احلال الاجناس المذكورة نكاحهن فلا بد ان يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن
احلال نكاحهن وذلك مما ينصوب بالنسخ الذي من الطائف الشرعية ولو اعجبك حسنهن اي حسن الازواج
المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا
اعجابك وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه اي هي ممن اعجبه عليه الصلوة
والسلام حسنهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة فقيل منسوخة بقوله تعالى ترجي من تشاء منهن
وتؤوي اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا احللنا وقال انس رضي الله عنه مات عليه الصلوة والسلام على
التحريم الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله
على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا
لا تدخلوا بيوت النبي شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي صلى الله عليه وسلم

اثر بيان ما يجب مراعاته عليه الصلوة والسلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان يؤذن لكم
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم ماذونا لكم وقيل من اعم الاوقات
اي لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف
مختص بالمصدر الصريح دون المأول فلا يقال آتيك ان تصيح الديك وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى
الى طعام متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء والاشعار بانه لا ينبغي ان تدخلوا على الطعام بغير دعوة وان
تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا
على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال معا عند من يجوزه من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون
جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر انى
الطعام اي ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة
على ان المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا لان الخطاب لقوم
كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة
بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل عليه الصلوة والسلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام
لامر مهم ولا مستانسين لحديث لحديث اهل البيت باستماعه عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا
ولا تمكثوا مستانسين الى آخره ان ذلكم اي الاستيناس الذي كنتم تفعلونه من قبل كان يؤذي النبي لتضييق
المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي منكم
اي من اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق فانه يستدعي ان يكون المستحيي منه امرا حقا
متعلقا بهم لا انفسهم وما ذلك الا اخراجهم فينبغي ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج
والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها
واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته عليه الصلوة والسلام متاعا اي شيئا
يتمتع به من الماعون وغيره فاسألوهن اي المتاع من وراء حجاب اي ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال
يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه
عليه الصلوة والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة
رضي الله عنها فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت ذلكم اي ما ذكر من عدم الدخول بغير
اذن وعدم الاستيناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم
وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما كان لكم اي وما صح وما استقام لكم
ان تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتاذى به ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا اي من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عليه الصلوة والسلام
ونكاح ازواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد كان عند
الله عظيما اي امرا عظيما وخطبا هائلا لا يتقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال ان تبدوا
شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما
فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على
المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن
ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم
روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء

الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في الاخوة وابناء
الاخوات فان مناط عدم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة
والخؤولة لما انهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب
مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن اي نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد
والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله في كل ما تأتين وما تذرن
لاسيما فيما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية
ولا تتفاوت في علمه الاحوال ان الله وملائكته وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها
عند الكوفيين وحذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على راي البصريين يصلون على
النبي قيل الصلاة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضي الله عنه
اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يبركون وقال ابو العالية صلاة الله
تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاتهم دعاؤهم فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى مجازي
عام يكون كل واحد من المعاني فردا حقيقيا له اي يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار
شرفه وتعظيم شانه وذلك من الله سبحانه وتعالى بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار
يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به وسلموا تسليما قائلين اللهم
صل على محمد وسلم ونحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد امره والآية دليل على وجوب الصلاة والسلام
عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله عليه الصلاة والسلام من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل
النار فابعده الله ويروى انه عليه الصلاة والسلام قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا اذكر عند مسلم
فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر
عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك ويقول الله تعالى وملائكته لذينك الملكين
آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه الصلاة والسلام كما قيل في آية السجدة
وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في اظهار
الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شانه عليه الصلاة والسلام ان يصلي
كلما جرى ذكره الرفيع اما الصلاة عليه في الصلاة بان يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم
وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد فليست بشرط في جواز الصلاة عندنا وعن ابرهيم النخعي رحمه الله ان الصحابة
رضي الله عنهم كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله
فقد جعلها شرطا واما الصلاة على غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام فتجوز تبعا وتكره استقلالا
لانه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ان الذين يؤذون
الله ورسوله اريد بالايذاء اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقته التأذي
في حقه تعالى وقيل في حقه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح
ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في آياته
وفي ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج
وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما واما ايذاؤه عليه الصلاة
والسلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى
وان ايذاءه عليه الصلاة والسلام ايذاء له سبحانه لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته في

قوله تعالى اله آبائك ابرهيم
واسحق او لانه اكتفي بذكرهما
عن ذكر ابنا
صح

الدنيا

الدنيا والآخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع ذلك عذابا مهينا
يصيبهم في الآخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتأذون
به من قول او فعل وتقييده بقوله تعالى بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية يستحقون بها الاذية
اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا
رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في اهل الافك وقال الضحاك والكلبي في زناة
يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكنهم ربما كان يقع
منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما
سيأتي من ارجاف المرجفين يا ايها النبي بعدما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي
صلى الله عليه وسلم بان يأمر بعض المتأذين منهم بما يدفع اذاهم في الجملة من الستر والتميز عن مواقع
الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن
الجلباب ثوب اوسع من الخمار دون الرداء تلويه المرأة على راسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وقيل
هي الملحفة وكل ما يتستر به اي يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن
للتبعيض لما مر من ان المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي تغطي احدى عينيها
وجبهتها والشق الآخر الا العين ذلك اي ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن يتميزن عن الاماء
والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم فلا يؤذين من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان
الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال هذه
الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء والذين
في قلوبهم مرض عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة
من الفريقين عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة
المستتبعة للاذية واصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة
لكونها متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء
ولنحرضنك على ذلك ثم لا يجاورونك عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة
جوار الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم فيها اي في المدينة الا قليلا زمانا او
جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين منصوب على الشتم او الحال والا داخلة على
الاستثناء وارد عليه ايضا على راي من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل الى
انتصابه عن قوله تعالى اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها
سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم الماضية سنة وهو ان يقتل الذين نافقوا
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وسعوا في توهينهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة
الله تبديلا لابتنائها على اساس الحكمة الذي عليها يدور فلك التشريع يسألك الناس عن الساعة
اي عن وقت قيامها لان المشركين يسألون النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك استعجالا بطريق
الاستهزاء واليهود امتحانا فان الله تعالى عمى وقتها في التورية وسائر الكتب قل انما علمها عند الله لا
يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى وما يدريك خطاب مستقل له عليه الصلاة والسلام
غير داخل تحت الامر مسوق لبيان انها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي شيء
يعلمك بوقت قيامها اي لا يعلمك به شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او تكون

الساعة توقت قريبا وانتصابه على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم
او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير
وتأكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته
العاجلة والآجلة واعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في الآخرة خالدين
فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم في النار ظرف
ليوم لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة
الى جهة كاللحم يشوى في النار او يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة او من حال الى حال
او يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ بحذف احدى التاءين من تتقلب ونقلب باسناد
الفعل الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما انها
اكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويمكن ان يكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى
يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كانه قيل فماذا يصنعون عند
ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلا نبتلى بهذا
العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها او هو العامل في يوم وقالوا عطف على يقولون والعدول الى
صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار ارادوا به ضربا من التشفي
بمضاعفة عذاب الذين القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا على الكثرة وفي التعبير عنهم
بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة فاضلونا السبيلا
بما زينوا لنا الاباطيل والالف للاطلاق كما في واطعنا الرسولا ربنا آتهم ضعفين من العذاب
اي مثلي العذاب الذي آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما
وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء تكرير للجؤار واستدعاء للاجابة يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس فبرأه الله مما
قالوا اي فاظهر براءته عليه الصلاة والسلام مما قالوا في حقه اي من مضمونه ومؤداه الذي هو الامر المعيب
وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه عليه الصلاة والسلام بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما
فاظهر الله تعالى نزاهته عليه الصلاة والسلام من ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها
وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما نقل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عند
خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله
تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قرفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله
تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة وكان عند الله
وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي في كل ما تاتون
وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله عليه الصلاة والسلام وقولوا في كل شأن
من الشؤون قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به
عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد يصلح لكم اعمالكم
يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة
باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات
فقد فاز في الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته انا عرضنا الامانة على السموات والارض

والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها لما بين عظم شأن طاعة الله تعالى ورسوله ببيان مآل
الخارجين عنها من العذاب الاليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شأن طاعة
الله بابلغ وجه وهي التكاليف الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم من
الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية
اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحافظة
عليها واداءها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد ما ذكر من السموات
وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن لها وعن عدم استعدادهن
لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل امرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة
المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها
ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي
هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لابين قبولها واشفقن منها ولكن صرف
الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه
وحملها الانسان اي عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده او بتكليفه اياها يوم
الميثاق اي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب
استعداده الفطري او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا اعتراض وسط بين
الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في
الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم واعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا
فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول اشير بقوله عز وجل ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات اي حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام
للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده ترتب الاغراض
على الافعال المقابلة بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب الله تعالى
هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثاني اشير
بقوله ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اي كان عاقبة حملها ان يتوب الله على هؤلاء من
افراده اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم
من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات
الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موضع الاضمار ثانيا لابراز
مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله سبحانه وتعالى اعلم وقيل حمل
الامانة التي شأنها ان تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي من افعال المكلفين التابعة
للتكليف بمعزل من التقريب وحمل اللام على التعليل مع تقرير الوعد الكريم الذي ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع
الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما لكون الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا الامر
العظيم الشأن وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين يأباه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل
الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعي
والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره
وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى
ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لاماناتنا فاتين بما امرناه به انه كان ظلوما جهولا

وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة
لمن اطاعني ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا
ولما خلق آدم عليه الصلوة والسلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق
عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة
الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لحملها وبحمل الانسان
قابليته واستعداده وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق
فتامل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستيناف **وكان الله غفورا رحيما** مبالغا في المغفرة
والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلام
من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر صدق رسول الله

سورة سبأ مكية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **الحمد لله ما في السموات وما في الارض** اي له تعالى خلقا وملكا
وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا
عنهما متمكنا فيهما فكانه قيل جميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد
المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الفاتحة
ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان
ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة
عليها من جهته تعالى فما هذا شانه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن
القادر بالاختيار فظهر اختصاصه به تعالى **وله الحمد في الآخرة** بيان لاختصاص الحمد الاخروي
به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد واما بما تعلق به الخبر من الاستقرار
واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق
بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي
صدقنا وعده واورثنا وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها
من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح
والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه
التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس **وهو الحكيم** الذي احكم امور
الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة **الخبير** ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى **يعلم
ما يلج في الارض** الى الآخرة تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدينية
والدنيوية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها **وما يخرج منها** كالحيوان
والنبات وماء العيون ونحوها **وما ينزل من السماء** كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل
بالتشديد ونون العظمة **وما يعرج فيها** كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة **وهو الغفور**
للحامدين على ما ذكر من نعمه **الرحيم** المفرطين في ذلك بلطفه وكرمه **وقال الذين كفروا لا تاتينا
الساعة** ارادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي وجودها
بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها
ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو

استبطاء

استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد **قل بلى** رد لكلامهم
واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى **وربي لتاتينكم** تاكيد له على اتم الوجوه واكملها
وقرئ لياتينكم على تاويل الساعة باليوم والوقت وقوله تعالى **عالم الغيب** الخ لزيادة التاكيد
وتشديد اثر تشديد وكسر لسورة تكبرهم واستبعادهم لان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على
الاطلاق يؤذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر
ولا ريب في ان المستشهد به كلما كان اجل واعلى كانت الشهادة آكد واقوى والمستشهد عليه احق
بالثبوت واولى لا سيما اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه
بعلم الغيب الذي من افراده وادخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله
شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلا فانهم كانوا
يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما يكذبونه مكابرة وقرئ
علام الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح **لا يعزب عنه** اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاي
مثقال ذرة مقدار اصغر نملة **في السموات ولا في الارض** اي كائنة فيهما **ولا اصغر من ذلك**
اي من مثقال ذرة **ولا اكبر** اي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى **الا في كتاب مبين** هو اللوح المحفوظ
والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على
مثقال ولا المفتوح على ذرة لانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب
وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا
في اللوح **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات** علة لقوله تعالى لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها **اولئك**
اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل
والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة **لهم** بسبب ذلك **مغفرة** لما فرط منهم من بعض فرطات
قلما يخلو عنها البشر **ورزق كريم** لا تعب فيه ولا من عليه **والذين سعوا في آياتنا** بالقدح فيها
وصد الناس عن التصديق بها **معاجزين** اي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين عن الايمان
من اراده **اولئك لهم عذاب** الكلام فيه كالذي مر آنفا ومن في قوله تعالى **من رجز** للبيان قال قتادة
رحمه الله الرجز سوء العذاب وقوله تعالى **اليم** صفة لعذاب اي اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب
شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز **ويرى الذين اوتوا العلم** اي يعلم اولوا العلم من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الامة او من آمن من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن
سلام وكعب واضرابهما رضي الله تعالى عنهم **الذي انزل اليك من ربك** اي القرآن **هو الحق** بالنصب على
انه مفعول ثان ليرى وقوله تعالى ويرى مستانف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين
في الآيات وقيل منصوب عطف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة معاينة انه الحق
حسبما علموه الآن برهانا ويحتجوا به على المكذبين ويجوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاحبار ليعلموا
حينئذ انه الحق فيزدادوا حسرة وغما **ويهدي** عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تاويله كما في
قوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك الحق
وهاديا **الى صراط العزيز الحميد** الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستانف وقيل حال من
الذي انزل على اضمار مبتدا اي وهو يهدي كما في قول من قال نجوت وارهنهم مالكا **وقال الذين كفروا** هم كفار
قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض **هل ندلكم على رجل** يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم وانما قصدوا
بالتنكير الطعن والسخرية قاتلهم الله تعالى **ينبئكم** اي يحدثكم بعجب عجاب وقرئ ينبئكم من الانباء

إذا مزقتم كل ممزق أي إذا متم وفرقت أجسادكم كل ممزق وفرقت كل تفريق بحيث كنتم ترابا ورفاتا
إنكم لفي خلق جديد أي مستقرون فيه وعدل إليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون أو تخلقون
خلقا جديدا للإشباع في الاستبعاد والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور
لا نفسه لما أن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد كقل فهو قليل وقيل بمعنى
مفعول من جد النساج الثوب إذا قطعه ثم شاع افترى على الله كذبا فيما قاله أم به جنة أي جنون يوهمه
ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على أن بين الصدق والكذب واسطة وهو ما لا يكون مع
الاعتقاد عن بصيرة العباد ولظهور كون الافتراء أخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال
البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالإضراب عن شقيهما ورد لهما
وإثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلائهم بما قالوا في حقه عليه الصلاة
والسلام كأنه قيل ليس الأمر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والإدراك الذي
هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي إليه من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه
ويستتبعه للمسارعة إلى البيان ما يسوؤهم ويفت في أعضادهم والإشعار بغاية شناعة ترتيبه عليه كأنه
يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم
للتنبيه بما في حيز الصلة لأن علة ما ارتكبوه واجترؤوا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة
وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى أفلم يروا إلى ما بين أيديهم
وما خلفهم من السماء والأرض استيناف مسوق لتهويل ما اجترؤوا عليه من تكذيب آيات الله تعالى
واستعظام ما قالوا في حقه عليه الصلاة والسلام وأنه من العظائم الموجبة لنزول أشد العقاب وحلول أفظع
العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى إن نشأ إلى آخره بيان
لما ينبئ عنه ذكر إحاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب وقوعه
إلا تعلق المشيئة به أي أفعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا إلى ما أحاط بهم من
جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم منه ولا محيص إن نشأ جريا على موجب جناياتهم نخسف بهم الأرض كما خسفناها
بقارون أو نسقط عليهم كسفا أي قطعا من السماء كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لاستيجابهم
ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه إزاحة لاستبعادهم
البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بهم من السماء والأرض
ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم هي أو إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد
ظهور البينات فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله كذبا وقرئ كسفا
بسكون السين إن في ذلك أي فيما ذكر من السماء والأرض من حيث إحاطتهما بالناظر من جميع الجوانب أو فيما تلي من الوحي
الناطق بما ذكر لآية واضحة لكل عبد منيب شأنه الإنابة إلى ربه فإنه إذا تأمل فيهما أو في الوحي المذكور ينزجر
عن تعاطي القبائح وينيب إليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والإنابة بما يسوق إلى ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا
داود منا فضلا أي آتيناه لحسن إنابته وصحة توبته فضلا على سائر الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام أي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد أو فضلا معجزة خاصة له عليه الصلاة والسلام أو على سائر الناس
فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الإضافية
كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ما
حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة له فإذا ورد لها تمكن عندها فضل تمكن يا جبال أوبي معه
من التأويب أي رجعي معه التسبيح والنوح على الذنب وذلك إما بأن يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته

كما خلق الكلام في الشجرة وإما بأن يتمثل له ذلك كلما سبح عليه الصلاة والسلام يسمع من الجبال ما يسمع من التسبيح
معجزة له عليه الصلاة والسلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعده على نوحه
بأصدائها والطير بأصواتها وهو بدل من آتينا بإضمار قلنا أو من فضلا بإضمار قولنا والطير بالنصب عطفا
على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لأن إيتاءها إياه عليه الصلاة والسلام تسخيرها له فلا حاجة إلى إضماره
كما نقل عن الكسائي ولا إلى تقدير مضاف أي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه
من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة
بالحركة الإعرابية وقد جوز انتصابه على أنه مفعول معه وليس هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة
العقلاء المطيعين لأمره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بأنه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق إلا وهو منقاد لمشيئته
غير ممتنع على إرادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه تعالى وكمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على أولي الألباب
وألنا له الحديد أي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير إحماء بنار ولا ضرب
بمطرقة أي جعلناه بالنسبة إلى قوته التي آتيناها إياه لينا كالشمع بالنسبة إلى سائر القوى البشرية
أن اعمل أمرناه بأن اعمل على أن أن مصدرية حذف عنها الباء وفي جعلها مفسرة تكلف لا يخفى سابغات
واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع السابغة لصاحبه وهو عليه الصلاة والسلام أول من اتخذها
وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه الصلاة والسلام حين ملك على بني إسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس
ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل
لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال له لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه أن
يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف
فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقدر في السرد السرد نسج الدروع فاقصد في نسجها
بحيث يتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها فلا تعملها دقاقا ولا غلاظا ورد بأن دروعه عليه الصلاة
والسلام لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه إلانة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جميع أوقاتك إليه
بل اقتدر ما يحصل به القوت وأما الباقي فاصرفه إلى العبادة وهو الأنسب بقوله تعالى
واعملوا صالحا عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه الصلاة والسلام ولأهله إني بما تعملون
بصير تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به ولسليمان الريح أي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح
أي ولسليمان الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها شهر أي جريها بالغداة مسيرة شهر
وجريها بالعشي مسيرة شهر كذلك والجملة إما مستأنفة أو حال من الريح وقرئ غدوتها
وروحتها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو أي من دمشق فيقيل بإصطخر ثم يروح فيكون رواحه
بكابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا في منزل له بناحية
دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان عليه الصلاة والسلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه
وغدونا من إصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام إن شاء الله تعالى وأسلنا له عين
القطر أي النحاس المذاب أسال له من معدنه كما ألان الحديد لداود عليه الصلاة والسلام فنبع منه
نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام وقوله
تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه إما جملة من مبتدأ وخبر أو من يعمل عطف على الريح ومن الجن
حال متقدم بإذن ربه بأمره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يزغ منهم عن أمرنا أي
ومن يعدل منهم عما أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من أزاغه نذقه
من عذاب السعير أي عذاب النار في الآخرة روي عن السدي رحمه الله كان معه ملك بيده

سوط من نار وكلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني **يعملون له ما يشاء** تفصيل لما ذكر
من عملهم وقوله تعالى **من محاريب** الى آخره بيان لما يشاء من قصور حصينة ومساكن شريفة
سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد **وتماثيل** اي صور الملائكة والانبياء
عليهم الصلاة والسلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا
مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه
ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما
وجفان جمع جفنة وهي الصحفة **كالجواب** كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع
الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة
الف رجل **وقدور راسيات** ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها **اعملوا آل داود شكرا**
حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له اي اعملوا شكرا **وقليل من عبادي الشكور**
اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق
للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي انه عليه الصلاة
والسلام جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم
يصلي **فلما قضينا عليه الموت** اي على سليمان عليه الصلاة والسلام **ما دلهم** اي الجن وآله
على موته الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها
يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فاكلت اكلا **تأكل
منسأته** اي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها ما يطرد وقرئ منساته بالف
ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف ومنساته على مفعالة كميضاة من
ميضاة ومن ساته اي من طرف عصاه من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة بالكسر وقرئ منسانه
فلما خر تبينت الجن من تبينت الشيء اذا علمته بعد التباس عليك اي علمت الجن علما بينا بعد التباس
الامر عليهم **ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين** اي انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون
لعلموا موته عليه الصلاة والسلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او من تبين
الشيء اذا ظهر وتجلى اي ظهرت الجن وان مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون
الغيب الى آخره وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في الحقيقة هو ان مع ما في صلتها
لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب وروي ان داود اسس بناء بيت المقدس
في موضع فسطاط موسى فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليه الصلاة والسلام فاستعمل فيه الجن والشياطين
فلما بقي من عمله سنة سأل ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ويبطل دعواهم علم الغيب
فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين يجتمعون حول
محرابه عليه الصلاة والسلام فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلاته الا احترق فمر به يوما شيطان
فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته
فوضعوا الارضة على العصا فاكلت في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة
وكان عمره عليه الصلاة والسلام ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه اربعين
سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه **لقد كان لسبأ** بيان لاخبار بعض الكافرين

بسم الله

بسم الله تعالى اي وبيان لحال الشاكر بقوله اي اولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف
على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا لعله اخرج لما بين بين **في مساكنهم** وقرئ بكسر الكاف
كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اي مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة
ثلاث ليال **آية** دالة بملاحظة لحوقها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على
كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي للمحسن والمسيء ومعاضدة للبرهان السابق في قصة داود
عليه الصلاة والسلام **جنتان** بدل من آية او خبر لمبتدأ محذوف اي هي جنتان وفيه معنى المدح
ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين **عن يمين وشمال** جماعة عن يمين
بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة او
بستان كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله **كلوا من رزق ربكم واشكروا له** حكاية لما قيل
لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء
بان يقال لهم ذلك **بلدة طيبة ورب غفور** استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به اي بلدتكم
بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ
الكل بالنصب على المدح قيل كانت اطيب البلاد هواء واخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها
المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيها من ذباب
شيء **فاعرضوا** عن الشكر بعد بيان تلك الآيات الداعية لهم اليه قيل ارسل الله تعالى اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم
الى الله تعالى وذكروهم بنعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم **فارسلنا عليهم سيل العرم** اي سيل الامر
العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم
جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو المسكن الذي يحبس الماء وقيل اسم البناء الذي يجعل سدا وقيل
هو البناء الرصيف الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار
وتركت فيه خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو
الفأر الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي
وقرئ العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم
وبدلناهم بجنتيهم اي اذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما **جنتين ذواتي اكل خمط** اي ثمر بشع
فان الخمط كل شجر اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض من كل شيء وقيل هو شجر
يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك وكل شجر ذي شوك والتقدير
اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خمط بالاضافة وبتخفيف اكل
واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه اعظم منه
ولا ثمر له وقرئ واثلا وشيئا عطفا على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لان جناه وهو النبق مما
يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف يثمر النبق وينتفع بورقه لغسل
اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد هاهنا هو الثاني
وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين
للمشاكلة والتهكم **ذلك** اشارة الى مصدر قوله تعالى **جزيناهم** او الى ما ذكر من التبديل وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر مؤكد للفعل
المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان اي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر او ذلك التبديل
جزيناهم لا غيره **بما كفروا** بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم

بالرسل **وهل نجازي الا الكفور** اي وما نجازي هذا الجزاء الا البالغ في الكفران والكفر وقرئ يجازي
على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء
للمفعول ايضا وهذا بيان لما اوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفر وما فعل بهم من الجزاء
وقوله تعالى **وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها** حكاية لما اوتوا من النعم البادية في
مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا
لعاقبتهم وانما لم يذكر لكل منهما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان
لسبا لا على ما بعده من الجمل الناطقة بافنائها واجزيتها اي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون
النعم بينهم اي بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين **قرى ظاهرة** اي
متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة
للسابلة غير بعيدة عن مساكنهم حتى تخفى عليهم **وقدرنا فيها السير** اي جعلناها في نسبة
بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال ابناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في اخرى والرائح
منها يبيت في اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفيرها في الحضر والسفر
سيروا فيها على ارادة القول اي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى **ليالي واياما** اي متى شئتم من الليالي
والايام **آمنين** من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين
وان تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي واياما كثيرة او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها
الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه واسبابه على الوجه
المذكور منزلة امرهم بذلك **فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا** وقرئ يا ربنا بطروا النعمة
وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان
المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد لكان اجدر لان نشتهيه وسألوا ان يجعل الله تعالى بينهم
وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء
فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب
وقرئ بعد وقرئ ربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على
الابتداء والفعل على لفظ الماضي الاول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها ودنوها وسهولة سلوكها
لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم يتشاكون على الله تعالى ويتحاذقون
عليه **وظلموا انفسهم** حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة وغمطوها **فجعلناهم
احاديث** اي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم وما لهم
ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل منطرح ومكان تفريق على انه
اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التأثير
والايلام ما لا يخفى اي مزقناهم تمزيقا لا غاية وراءه بحيث يضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها
وصال حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما
روي عن ابي صالح ان عمرو بن عامر من اولاد سبا وبينهما اثنا عشر ابا وهو الذي يقال له مزيقيا بن ماء
السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب وتبديل سيل العرم الجنتين وعن ابي زيد الانصاري
ان عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علم بكهانته فباع ماله
وسار بقومه وهم الوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس
وحازوا ولاية البيت على بني اسماعيل عليه الصلاة والسلام وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر

يسألهم

يسألهم المقام معهم الى ان يرجع اليهم رواده الذين ارسلهم الى صوب البلاد يطلبون لهم موضعا يسعهم
ومن معهم من قومهم فابوا فاقتتلوا ثلاثة ايام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد فاقام
ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده
فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن يليهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل
الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت
خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي امر مكة وحجابة الكعبة ثم
جاءهم اولاد اسماعيل عليه الصلاة والسلام فسألوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك وروي
عن ابن عباس رضي الله عنه ان فروة بن مسيكة الغطيفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هو رجل كان له عشرة اولاد ستة سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والازد
والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان
لما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة
نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود
بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخرى بالشام
وهم الذين تنصروا فيما بعد منهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبا يجمع هذه
القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبا وحضرموت
والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى
عدنان والله تعالى اعلم **ان في ذلك** اي فيما ذكر من قصتهم **لآيات** عظيمة **لكل صبار شكور** اي
شانه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم
المنتفعون بها **ولقد صدق عليهم ابليس ظنه** اي حقق عليهم ظنه او وجده صادقا وقرئ بالتخفيف
اي صدق في ظنه او صدق بظن ظنه وهي تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرئ
بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق
حين خيل له اغواؤهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين رأى انهماكهم في الشهوات
او ببني آدم حين شاهد آدم عليه الصلاة والسلام قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه عزما
وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم
ولاغوينهم **فاتبعوه** اي اهل سبا او الناس **الا فريقا من المؤمنين** الا فريقا من فرق المؤمنين لم
يتبعوه هم المخلصون **وما كان له عليهم من سلطان** اي تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى
الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اي وما كان
تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه
الجزاء والا ليتميز المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم
متعلقه مبالغة **وربك على كل شيء حفيظ** محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان
قل اي للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا لهم **ادعوا الذين زعمتم** اي زعمتموهم آلهة وهما
مفعولا زعم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته اعني قوله تعالى **من دون الله**
مقامه ولا سبيل الى جعله ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم
فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب
وانه لا يقبل المكابرة فقال **لا يملكون مثقال ذرة** من خير وشر ونفع وضر **في السموات ولا في الارض** اي

في امر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم اي لآلهتهم فيهما من شرك اي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له اي لله تعالى منهم اي من آلهتهم من ظهير يعينه في تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده الا باذنه وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تنفع الشفاعة في حال من الاحوال كائنة الا لمن اذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستاهلين لمقام الشفاعة المستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان شفاعة الكفرة بمعزل من الصواب او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستاهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له اي لاجله وفي شانه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموها من جهة العجزة عنها اولى وقرئ اذن له مبنيا للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع قلوبهم بالف معزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستيذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب كانه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستيذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهر لهم تباشير الاجابة قالوا اي المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بامره ماذا قال ربكم اي في شان الاذن قالوا اي الشفعاء لانهم المباشرون للاستيذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة الحق اي قال ربنا القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اي ما ذا قاله الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب رب العزة عز وجل وقصور شان كل من سواه اي هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة اي نفي الوجل عنها وافني من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وهو من الاسناد المجازي لان الفراغ حال ظرفه عند نفاده فاسند الى ما عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيفا الزاي مع اصله فزع الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور ويسير في حال التفزيع وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات والارض امر عليه الصلاة والسلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل له عليه الصلاة والسلام قل الله اذ لا جواب سواه عندهم وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لمتصف باحد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد

الاستشفاع

وانا او اياكم

وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين والحذاق من الحاذرين العيدان بان الهادي كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كانه منغمس في ظلام لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون وهذا ابلغ في الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المتعلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه الصلاة والسلام اظهار خطائهم العظيم واطلاعهم على بطلان رايهم اي اروني لانظر باي صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء في استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اي الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التي هي اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما لله عز وعلا او للشان كما في قوله قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا رسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه والموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم اي وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعني للتعظيم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستيخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون نفي الاستيخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجاة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه اي من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة ولو ترى اذ الظالمون المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم اي في موقف المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع الخ اي يقول الاتباع للذين استكبروا في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال لولا انتم اي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر الليل والنهار اي بل صدنا

مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم
ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين اي بل صدنا
مكر في الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بالرفع
والنصب اي بل تكرون بنا لاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكركم
الاغواء في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب
على المصدرية اي بل تكرون في الاغواء مكر الليل والنهار اي مكرا دائبا وقوله تعالى اذ تأمروننا
ظرف للمكر اي بل مكركم الدائم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا على ان المراد بمكرهم
اما نفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان
الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى واي نعمة واما امور اخر مقارنة للامر داعية الى الامتثال به من
الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة لما رأوا العذاب اي اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا
من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد
وهو المناسب لحالهم وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم والاظهار في موضع الاضمار
للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا
يعملون على نزع الجار وما ارسلنا في قرية من القرى من نذير الا قال مترفوها انا بما
ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به
والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة
بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير
الا قال مترفوها مثل ما قال مترفو اهل مكة في حقه عليه الصلاة والسلام وكادوه بمثل ما كادوه به عليه
الصلاة والسلام وقاسوا امور الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم
يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرموها فعلى ذلك
الرأي الركيك بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين اما بناء على انتفاء
العذاب الاخروي رأسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الآخرة على تقدير وقوعها قل ان ردا
عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه اس التكوين ان ربي يبسط الرزق لمن
اي يبسط له ويقدر على من يشاء ان يقدر عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به
من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما وقد يضيق
عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ
بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان
ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى كلام مستأنف من جهته تعالى خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات
مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة اموالكم ولا اولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان
الجمع المكسر عقلاءه وغير عقلاءه سواء في حكم التأنيث او بالخصلة التي تقربكم عندنا وقرئ بالذي اي
بالشيء الذي الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا
المؤمن الصالح ودعتهم على الطاعة وقيل من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال الخ فاولئك
اشارة الى من آمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى

البعد

البعد لهم قربا بالمنزلة بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون
بالايمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة
خبر لاولئك ومبنيا لتأكيد مستكن الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده
مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا
الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف
على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على انهم يجزون الضعف وجزاء الضعف بالرفع بدل من جزاء
بما عملوا من الصالحات وهم في الغرفات اي غرفات الجنة آمنون من جميع المكاره وقرئ بفتح
الراء وسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن
فيها معاجزين مسابقين فيها لانبيائنا او زاعمين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون
لا يجديهم نفعا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده اي يوسعه عليه تارة ويقدر
له اي يضيقه عليه اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى وما
انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط
في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا اي المستكبرين والمستضعفين وما كانوا
يعبدون من دون الله يوم ظرف لمضمر متأخر سيأتي تقديره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ثم يقول
للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أأنت قلت للناس
اتخذوني الى آخره واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف
شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية
وتنزههم من عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية خطاب الملائكة كأنه قيل فماذا تقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون
متنزهين عن ذلك سبحانك انت ولينا من دونهم والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على التحقق
اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم
اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم
في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل
يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس
او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا من جملة
ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبري عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤوس
الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء
ليست لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه
ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة
للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع
العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا يتوهم ضر اصلا فاما لتعميم العجز او لحمل عدم النفع على تقدير
العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك
اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ونقول للذين
ظلموا عطف على نقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيامة خطابا للملائكة مترتبا على
جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال

للملائكة اي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا فنقول للمشركين ذوقوا عذاب
النار التي كنتم بها تكذبون يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى وإذا
تتلى عليهم آياتنا بينات بيان لبعض آخر من كفرهم اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله
عليه وسلم آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من
غير ان يكون هناك دين الهي واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم
مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا يعنون القرآن الكريم الا افك اي
كلام مصروف عن وجهه لعدم مطابقة ما فيه للواقع مفترى باسناده الى الله تعالى وقال الذين كفروا
للحق اي لامر النبوة والاسلام او القرآن على ان العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثاني
نظمه لما جاءهم من غير تدبر ولا تأمل فيه ان هذا الا سحر مبين وفي تكرير الفعل والتصريح
بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت بهذا
القول الفاسد الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها
دليل على صحة الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى
ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من
التدريس وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان
من قبل ان لا وجه لهم بوجه من الوجوه بان ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم
ثم هددهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما
بلغوا معشار ما آتيناهم اي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ
اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي عطف على كذب الذين الخ بطريق
التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا فكيف كان نكير اي انكاري لهم بالتدمير
فليحذر هؤلاء من مثل ذلك قل انما اعظكم بواحدة اي ما ارشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هي ما دل
عليه قوله تعالى ان تقوموا لله على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدأ محذوف اي هي ان تقوموا
من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او تنتصبوا في الامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المماراة
والتقليد مثنى وفرادى اي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر
ويخلط الافهام بالاوهام وفي تقديم مثنى ايذان بانه اوفق واقرب من الاطمئنان ثم تتفكروا
في امره عليه الصلاة والسلام وما جاء به لتعلموا حقيقته وقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة
استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بان مثل هذا الامر العظيم
الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته
بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم انه عليه الصلاة
والسلام ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم
للكمالات البشرية وجب ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم اليه معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز
ان يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فاي شيء به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب
شديد هو عذاب الآخرة فانه عليه الصلاة والسلام مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من
اجر اي اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه
شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما اسألكم عليه من اجر

الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى
منفعتهم الكبرى وقرباهم قرباه عليه الصلاة والسلام ان اجري الا على الله وهو على كل شيء
شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرئ ان اجري بسكون الياء قل ان ربي يقذف
بالحق اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به في
اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق علام الغيوب صفة محمولة
على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان لان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ
بالنصب صفة لربي او على المدح وقرئ بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غائب قل
جاء الحق اي الاسلام والتوحيد وما يبدئ الباطل وما يعيد اي زهق الشرك بحيث
لم يبق اثره اصلا مأخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في
الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فليس يبدي ولا يعيد وقيل ما استفهامية
منصوبة بما بعدها قل ان ضللت عن الطريق الحق فانما اضل على نفسي فان وبال الضلال
عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله
تعالى وان اهتديت فبما يوحي الي ربي لان الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح
الياء انه سميع قريب يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله وان بالغ في اخفائهما ولو
ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في خسف
البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو
محذوف اي لرأيت امرا هائلا فلا فوت فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او تحصن واخذوا
من مكان قريب من ظهر الارض ومن الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا
خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا
ويؤيده انه قرئ بالعطف على محله فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم وانى لهم التناوش التناول السهل اي ومن اين لهم ان يتناولوا
الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل لحالهم
في الاستخلاص بالايمان ما فاتهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة
وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من باب نأشت الشيء اذا طلبته وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز
التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه قول من قال تمنى نئيشا ان يكون اطاعني
وقد حدثت بعد الامور امور وقد كفروا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب الشديد الذي
انذرهم اياه من قبل اي من قبل ذلك في اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون
بما لم يظهر لهم في حق الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن او في العذاب المذكور من بت القول بنفيه
من مكان بعيد من جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام حيث ينسبونه الى الشعر والسحر والكذب وان ابعد شيء
من عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه
من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون على البناء للمفعول على ان الشيطان يلقي اليهم
ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم
بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان
والنجاة من النار وقرئ باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل اي باشباههم من كفرة الامم
الدارجة انهم كانوا في شك مريب اي موقع في الريبة او ذي ريبة منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان

بل للمضي والثاني من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا والحمد لله رب العالمين

سورة فاطر خمس واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق جاعل الملائكة الكلام في اضافته كونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله تعالى رسلا منصوب بمعنى الجعل الثاني من الاضافة بالاتفاق واما على الاول فكذلك عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لانه باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة اي جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه ايضا بحيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييريا اما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين اولي اجنحة صفة لرسلا واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت حالهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا لكل منهم ثلاثة وخلقا لكل منهم اربعة اجنحة وروي ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان منها يلفون بهما اجسادهم وجناحان منها يطيرون بهما فيما ابروا به من جهته تعالى وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه الصلوة والسلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سأل عليه الصلوة والسلام ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك فقال اني احب ان تفعل فخرج عليه الصلوة والسلام في ليلة مقمرة فاتاه جبريل عليه الصلوة والسلام في صورته فغشي عليه ثم افاق وجبريل عليه الصلوة والسلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه الصلوة والسلام كيف لو رأيت اسرافيل عليه الصلوة والسلام ان له اثني عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الصعو وهو العصفور الصغير يزيد في الخلق ما يشاء استئناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملائكة في عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من احكام مشيئته تعالى لا لامر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلي ناطق بانه تعالى يزيد في اي خلق كان كل ما يشاء ان يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المقدرة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كل ما يشاء

ايجابا بيّنا ما يفتح الله للناس من رحمة عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام اي اي شيء يفتح الله من خزائن رحمته اي رحمة كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها اي لا احد يقدر على امساكها وما يمسك اي اي شيء يمسك فلا مرسل له اي لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين على ان مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده اي من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء من الامور التي من جملتها الفتح والامساك الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور امر التكوين وبعد ما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد في ذلك مدخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بمولاها فلما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفي ان يكون في الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي باستحالة ان يجاب عنه بنعم فقال هل من خالق غير الله اي هل خالق سائر له تعالى موجود على ان خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى يرزقكم من السماء والارض اي بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقديرين لا محل له من الاعراب داخل في حيز النفي والانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل او مجرورته لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر للمبتدأ ولا لما قيل من انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من خالق حينئذ لما ان معناها نفي رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأسا مع ان المراد تحتيم الابطال قوله تعالى لا اله الا هو فانه استئناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يؤديه الاستفهام صورة فحيث كان هذا ناطقا بنفي الوجود تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء في قوله تعالى فانى تؤفكون لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الشرك على ما قبلها كانه قيل فاذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين خطاب الناس مسارعة الى تسليته عليه الصلوة والسلام ببيان ان البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اي وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت عليهم الحجة والقمتهم الحجر فتأس باولئك الرسل في الصبر على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه استغناء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والحث على المصابرة اي رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازي كلا منك ومنهم بما انتم عليه من الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه بقوله تعالى والى الله ترجع الامور من البعث والجزاء حق ثابت لا محالة من غير خلف فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد

والملذ لهم عن الاخذ بهما وان توجه التي صورة الشبهة كما في لابيك هاهنا فلا يغرنكم بالله وعفوه وكرمه الغرور
اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر الذنوب
جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي
للمبالغة فيه ولاختلاف المغرورين في الكيفية وقرئ بالغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود
جمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام فاتخذوه عدوا
بمخالفتكم له في عقائدكم وافعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا
من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى
والركون الى لذات الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصود المتحابين في الدنيا عند سعي
بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم
واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان مغفرة
عظيمة واجر كبير لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير لما سبق من التباين البين بين
عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء للانكار ترتيب ما بعدها على ما قبلها
اي ابعد كون حاليهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل
الصالح حتى لا يكون تعاقبتاهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى فان الله يضل تقرير له
وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى فان من تعالى يضل اي لا يضل لاستحسانه واستحبابه الضلال
وصرف اختياره اليه فيرده الى اسفل سافلين ويهدي من يشاء ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى فيرفعه
الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه الصلاة والسلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم
ببيان انهم ليسوا باهل لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي ابعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم
فحذف لما دل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات دلالة بينة واما تمهيد لصرفه
عليه الصلاة والسلام عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان
استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي ابعد ما ذكر من تزيين الكفر من قبل الشيطان فرآه
حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة
ما اتى من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الخ عليه ثم من شاء الله تعالى ان يضله فمن يهديه من بعد ما اضل الله وما
لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات
والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه الصلاة والسلام على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتأسف
والتحسر عليهم صلة كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق
بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته سواء او حال كان كلها صارت حسرات وقوله تعالى ان الله
عليم بما يصنعون اي من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة والله الذي ارسل الرياح مبتدأ وخبر وقرئ
الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى فتثير سحابا حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة
البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها
وللدلالة على استمرار الاثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر
النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب
بعد موتها اي يبسها والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن

لاختصاصهما

اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع والتكميل للمماثلة بين احياء الارض وبين البعث الذي شبه
به بقوله كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية
اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الموتى في صحة المقدورية وسهولة التأتي من غير
تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت
العرش ماء فينبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة
الاصنام لقوله تعالى واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم عزا او الذين كانوا يتعززون بهم من الذين
آمنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم
العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها فلله العزة جميعا اي له
تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة اي فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر
دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما
اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما فتقديم الجار والمجرور وعبارة عن كمال
الاعتداد به كقوله تعالى الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي
هو مطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يعرض صاحبه ويعطي طلبته بالذات والمتكفل
في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان
ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناء والمصعد هو الله
تعالى سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة
القرآن وعنه عليه الصلاة والسلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها
العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود
رضي الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك
الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه فصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا
لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب الى آخره
والذين يمكرون السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب
والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها صفة لمصدر محذوف اي يمكرون المكرات السيئات وهي
مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الرأي في احدى الثلاث التي هي
الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده
لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد
عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم في الطغيان
وبعد منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به عليه الصلاة والسلام
هو يبور اي هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد ابادهم الله تعالى بعد تارة مكراتهم حيث
اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه عليه الصلاة
والسلام بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل آخر على صحة البعث والنشور اي خلقكم ابتداء
منه في ضمن خلق آدم عليه الصلاة والسلام خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة
اي خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا او ذكرانا واناثا وعن قتادة
جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته

وما يعمر من معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمره اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى ياتي على اخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم الا في كتاب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محالا عن العقول والافهام على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف وملح ككتف وقوله تعالى ومن كل اي من كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما تفاوتا فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي الكافر المؤمن وان شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازة تمام كماله الذي خلق له دون الاخر وتفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خال من النفع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه اي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل احد تتاتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط مواخر شواق الماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها فاللام متعلقة بمواخر وقد يجوز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة اي فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون اي تشكرونه على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بزيادة احدهما ونقص الاخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الاخر وسخر الشمس والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الاخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما التعدد والتجدد في اثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجري اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريا مستمرا لاجل مسمى قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيامة كما روي عن الحسن البصري رحمه الله وقيل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصتين بهما في فلكيهما والاجل المسمى عبارة عن منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان ذلكم اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم العظيم الشان الذي ابدع هذه الصنائع البديعة الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدأ في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه

من قطمير للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شأنه السماع ولو سمعوا على الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من انهم متبرؤون منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم وخطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد اي المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد اي يعدمكم بالمرة ويوجد بدلكم خلقا آخر يسبحون على الطاعة او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك اي وما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان باخرين على الله بعزيز بمتعسر ولا متعذر ولا تزر وازرة اي لا تحمل نفس آثمة وزر اخرى اثم نفس اخرى بل انما تحمل كل منهما وزرها واما ما في قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم من حمل المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال ضلالهم مع كونها اوزارهم ليس فيها من اوزار غيرهم شيء وان تدع مثقلة اي نفس اثقلها الاوزار الى حملها لتحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب لحمل شيء منه ولو كان اي المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى فهذا نفي للحمل اختيارا والاول نفي له اجبارا انما تنذر استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر اي انما تنذر بهذه الانذارات الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غائب عنهم واقاموا الصلوة اي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما ينفع انذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من اهل التمرد والعناد ومن تزكى اي تطهر من اوضار الاوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ ومن ازكى فانما يزكي وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من معظم مبادي التزكي والى الله المصير لا الى احد غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزاء وما يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمؤمن ولا الظلمات ولا النور اي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتاكيد ولتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور اي ولا الثواب ولا العقاب وادخال لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين افراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة ان الله يسمع من يشاء اي يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع في اقناطه عليه الصلوة والسلام من ايمانهم ان انت الا نذير ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق اي محقين او محقا انت او ارسالا مصحوبا بالحق

ويجوز أن يتعلق بقوله بشيراً ونذيراً بالوعد والوعيد الحق وإن من أمة أي ما من أمة من الأمم الدارجة في الأزمنة الماضية إلا خلا أي مضى فيها نذير من نبي أو عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفاً ولأن الإنذار هو الأنسب بالمقام وإن يكذبوك أي قومك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم العاتية جاءتهم رسلهم بالبينات أي بالمعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف إبراهيم وبالكتاب المنير كالتوراة والإنجيل والزبور على إرادة التفصيل دون الجمع ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين ثم أخذت الذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعلة الأخذ فكيف كان نكير أي إنكاري بالعقوبة وفيه مزيد تهويل وتشديد لها ألم تر استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف أحوال الناس ببيان أن الاختلاف والتفاوت أمر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية أي ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به بدل الالتفات لإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة ثمرات مختلفاً ألوانها أي أجناسها وأصنافها على أن كلاً منها ذو أصناف مختلفة أو هيئاتها وأشكالها أو ألوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الأوفق لما في قوله تعالى ومن الجبال جدد أي ذو جدد أي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف ألوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تأكيد لمضمر يفسره ما بعده فإن الغربيب تأكيد للأسود كالفاقع للأصفر والقاني للأحمر ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرار باعتبار الإضمار والإظهار ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه أي ومنهم بعض مختلف ألوانه أي بعض غير مختلف ألوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله [illegible] اسمعيل بن يسار لما قبلها من الجملة الفعلية في الاستئناف [illegible] على تباين الناس في الأحوال الباطنة لما أن اختلاف الجبال والناس والدواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار وأما إخراج الثمرات المختلفة فحيث كان أمراً حادثاً عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كانت فيه خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريري المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف أحوال الجبال والناس وغيرها فإنها مشاهدة غنية عن التأمل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف أي صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافاً كائناً كذلك أي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقرئ ألوانها وقوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء تكملة لقوله تعالى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم أما في الأوصاف المعنوية فبطريق التمثيل وأما في الأوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان أي إنما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه عز وجل كما قال عليه الصلاة والسلام أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولذلك عقب بذكر أفعاله الدالة على قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع إنذارهم بالكلية وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الأمر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فإن المعظم يكون مهيباً

إن الله

إن الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب المصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه إن الذين يتلون كتاب الله أي يداومون على قراءته أي متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنواناً والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل جنس كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين من الأمم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فإن صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعها لما سيأتي من توفية الأجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفاً ظاهراً مما لا سبيل إليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الإسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والإشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والإقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعاً لما أن التلاوة في شريعتنا ليست لأحكامها لكن لا من حيث إنها أحكامها بل من حيث إنها أحكام القرآن وأما لكونها فيهم لها من المشروعية واستتباع الأجر بالمرة فتدبر وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية كيفما اتفق من غير قصد إليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر إن وقوله تعالى لن تبور أي لن تكسد ولن تهلك بالخسران أصلاً صفة تجارة جيء بها للدلالة على أنها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لأنه اشتراء باق بفان والإخبار برجائهم من أكرم الأكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم أجورهم متعلق بلن تبور على معنى أنه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم أجور أعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عد من أفعالهم المرضية أي فعلوا ذلك ليوفيهم إلى آخره وقيل بيرجون على أن اللام للعاقبة إنه غفور شكور تعليل لما قبله من التوفية والزيادة أي غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم أي مجازيهم عليها وقيل هو خبر إن الذين ويرجون حال من واو وأنفقوا والذي أوحينا إليك من الكتاب وهو القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء هو الحق مصدقاً لما بين يديه أي أحقه مصدقاً لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيته تستلزم موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام إن الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن أمورهم وظواهرها فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على أن العمدة في ذلك الأمور الروحانية ثم أورثنا الكتاب أي قضينا بتوريثه منك أو نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحققه وقيل أورثناه من الأمم السالفة أي أخرناه عنهم وأعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم أو الأمة بأسرهم فإن الله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس وخصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسله عليه الصلاة والسلام وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به وهو المرجأ لأمر الله ومنهم مقتصد يعمل به في غالب الأوقات ولا يخلو من خلط السيئ ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله قيل هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وقيل هم المداومون على إقامة مواجبه علماً وعملاً وتعليماً وقوله تعالى بإذن الله أي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وأما المقتصد فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون

في طول الحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو
الفضل الكبير من الله عز وعلا لا ينال الا بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير
بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدأ خبره يدخلونها وعلى الاول هو مستأنف وجمع الضمير لان المراد
بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما لهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الآخرين وان لم يدل
على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريضا على السعي في ادراك شأو
السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على
البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية من اساور
هي جمع اسورة جمع سوار من ذهب من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اي يحلون بعض اساور من
ذهب كأنه افضل من سائر افرادها ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل اساور وقرئ بالجر عطفا على
ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الاسلوب
قد مر غير مرة في سورة الحج وقالوا اي يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حزن الاعراض
والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر
انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدنيا والدين وقرئ الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل
لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم وكأني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب
عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور اي للمذنبين شكور للمطيعين
الذي احلنا دار المقامة اي دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا من فضله من انعامه وتفضله
من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال والفرق بينهما
ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي
الاول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك اي مثل ذلك
الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى منه وقرئ يجزى على البناء
للمفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون والاصطراخ افتعال
من الصراخ استعمل في الاستغاثة بجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل
باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف والاشعار بان
استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اي الم نمهلكم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر اي يتمكن فيه
المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ستون سنة وروي ذلك
عن علي رضي الله عنه وهو العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم قال عليه الصلاة والسلام اعذر الله الى امرئ
اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير عطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى
قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لانه في معنى قد شرحنا

نحوه والمراد

نحوه والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب
وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير لانه الذي يقتضيه المقام فذوقوا لترتيب الامر بالذوق
على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير وقوله تعالى فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب السموات
والارض بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى
عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور
وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف
والاول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاء في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف
فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفا ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم من
متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها فعليه كفره
اي وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا
يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته والمقت هو بغض الله تعالى اياهم او بغضه
الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار والخسار خسار الآخرة الذي ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة
التقرير والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة
قل تبكيتا لهم ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اي آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء
لله تعالى من غير ان يكون له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سياق النظم
الكريم وسياقه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل اشتمال من ارأيتم كانه قيل اخبروني عن شركائكم
اروني اي جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق
السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء
فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم
للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الخ وقرئ على بينات وفيه ايماء الى ان الشرك
امر خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما
نفي انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء
للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان
تزولا استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او يمنعهما ان تزولا لان
الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما وما امسكهما من احد من بعده من بعد امساكه تعالى
او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء
انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا
حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا واقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول
الله لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال لها احدى الامم
تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير واي نذير اشرف الرسل عليهم الصلاة
والسلام ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل
من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم ومكر السيء ثم مكر السيء
وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا او وقفة خفيفة وقرئ ومكرا سيئا ولا

يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون اي ما ينتظرون الا سنة الاولين اي سنة الله فيهم بتعذيب
مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا
بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان
التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليهما قيل من جريان سنته
تعالى على تكذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار ديار الامم الخالية
العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اي اقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وطول اعمار فما نفعهم طول المدى وما
اغنى عنهم شدة القوة ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء اي ليسبقه
ويفوته في السموات ولا في الارض اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الامم السالفة وقوله تعالى
انه كان عليما قديرا اي مبالغا في العلم والقدرة فلذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها
تعليل لما ذكر ولو يؤاخذ الله الناس جميعا بما كسبوا من السيئات كما فعل باولئك ما ترك على ظهرها
اي على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل ومن غيرهم ايضا من شؤم معاصيهم
وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله تعالى عنهما ويعضد الاول قوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
وهو يوم القيامة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير
وان شرا فشر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس [illegible] عليه الصلوة والسلام ثمانون وثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم يس اما مسرودة على نمط التعديد فلا حظ لها من الاعراب او اسم
للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او النصب على انه
مفعول لفعل مضمر وعليه مدار قراءة يس بالنصب او الرفع اي هذه ياسين ولا مساغ للنصب باضمار فعل
القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما
اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة
من ان ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون او كانت على وزن مفرد كحم وطس ويس
وحاميم الموازنة لقابيل وهابيل يتأتى فيها الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء السور
ومن حكاية وقيل هي حكاية بناء كما في حيث وابن خشبا يشهد بذلك قراءة ياسين بالكسر وحيث
وقيل الفتح والكسر تحريك الحذف تخفيفا من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان معناه يا انسان في لغة طي قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله يا انيس
فاقتصر على شطره كما قيل من الله في ايمن الله والقرآن بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان
يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم الحكيم اي المتضمن للحكمة او الناطق
بها بطريق الاستعارة والمتصف بها على الاسناد المجازي وقد جوز ان يكون الحكيم فعيلا بمعنى المحكم
واقعا للمضاف الى ضمير القرآن فلما حذف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة كما مر في صدر
سورة لقمان انك لمن المرسلين جواب القسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عليه الصلوة
والسلام لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه في قوله تعالى قل
كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه

بشانه

بشأنه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته عليه الصلوة والسلام من حيث نظمه المعجز المنطوي
على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية ايضا لما ان الاقسام بالشيء استشهاد به على تحقق مضمون
الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى على صراط مستقيم
خبر آخر لان او حال من المستكن في الجار والمجرور وعلى انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن
التوحيد فقط وفائدته بيان ان شريعته عليه الصلوة والسلام اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب
عنه التنكير التفخيمي والوصف اثر بيان انه عليه الصلوة والسلام من جملة المرسلين بالشرائع تنزيل
العزيز الرحيم نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على انه بدل من القرآن
واياما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من عنده
عز وجل كأنه نفس التنزيل واظهارا لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة
وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث على الايمان به ترغيبا
وترهيبا واشعار بان تنزيله ناشيء عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد لفعله المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استئناف
مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير ففيه نوع تفصيل تأكيد لمضمون الجملة القسمية
لتنذر متعلق بتنزيل على الوجه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير اي لتنذر به كما في صدر الاعراف
وقيل هو متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين اي انك مرسل لتنذر قوما ما انذر آباؤهم اي لم ينذر
آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فتكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار
او الذي انذره او شيئا انذره آباؤهم الابعدون على انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر
او انذار آبائهم الاقدمين على انها مصدرية فتكون نعتا لمصدر مؤكد اي لتنذر انذارا كائنا مثل انذارهم
فهم غافلون على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين اي لم ينذر آباؤهم
فهم جميعا لاجل ذلك غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين وارد
لتعليل انذاره عليه الصلوة والسلام او ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى
فهم غافلون عنه اي عما انذر آباؤهم الاقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم
جواب القسم اي والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه
بل بسبب اصرارهم الاختياري على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان
وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بالقول قوله
تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه [illegible] وقع في الحكم
بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل التبعية قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم
انما هو لكونهم من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم
اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول
وقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل
حالهم بحال من غلت اعناقهم فهي الى الاذقان اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون
الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون
ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون الى جهته وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون اما تتمة للتمثيل وتكميل له اي تكميل اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم

سدا فاغشيناهم ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء
ما اصلا وتمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم
بحيث لا يبصرون شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات
محرومين عن النظر في الادلة والآيات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح
وما كان من خلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل
حلف لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو عليه الصلاة والسلام يصلي ومعه
حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك
فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره **وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم** بيان
لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه
في سورة البقرة وقوله تعالى **لا يؤمنون** استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء او حال مؤكدة
له او بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل **انما تنذر** اي انذارا
مستتبعا للاثر **من اتبع الذكر** اي القرآن بالتأمل فيه او الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان
وخشي الرحمن بالغيب اي خاف عقابه وهو غائب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه في سريرته
ولم يغتر برحمته فانه منتقم قهار كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم **فبشره بمغفرة** عظيمة **واجر كريم** لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة
او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية **انا نحن نحيي الموتى** بيان لشأن عظيم ينطوي على الانذار
والتبشير انطواء اجماليا اي نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو
حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به **ونكتب ما قدموا** اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها **وآثارهم**
التي ابقوها من الحسنات كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر
وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين
العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي احدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي آثار المشائين
الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم **وكل شيء** من
الاشياء كائنا ما كان **احصيناه في امام مبين** اصل عظيم الشأن مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو
اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع **واضرب لهم مثلا اصحاب القرية** ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق
حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط واخرى في ذكر حالة
غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين
اي بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الغلو
في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اي طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية
مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل
وقوله اصحاب القرية بتقدير المضاف وبيان له والقرية انطاكية **اذ جاءها المرسلون** بدل
اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه الصلاة والسلام الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى
في قوله **اذ ارسلنا اليهم اثنين** بناء على انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما
يحيى ويونس وقيل غيرهما **فكذبوهما** اي فأتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة **فعززنا**
اي قوينا يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول
لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد ذكر المعزز به **بثالث** وهو شمعون **فقالوا** اي جميعا **انا اليكم**

مرسلون

مرسلون تأكيد لكلامهم لسبق الانكار لما في تكذيبهما من تكذيب الثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم
كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه الصلاة والسلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا
شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب ياسين فسألهما فأخبراه فقال امعكما آية فقالا
نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب
وفشا الخبر وشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم
من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث
عيسى عليه الصلاة والسلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به
ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه
قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء
وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى
الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر فأخذا بندقتين
فوضعاها في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى
يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا
ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على
احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من
النار فانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء
الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن
وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده
سياق النظم الكريم وسياقه ثم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة
في الحجاج ولم يذكر فيه من آمن منهم احد سوى حبيب النجار ولو ان الملك وقومه آمنوا لكان الظاهر ان
يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك او قتلوا كدأب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه
من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملائه فيتم لهم عندئذ
بعده من الاعتداد **قالوا** اي اهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة **ما انتم الا بشر
مثلنا** من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ودفع لتوهم لا انتقاض النفي المقتضي
لاعمال ما بالا **وما انزل الرحمن من شيء** مما تدعونه من الوحي والرسالة **ان انتم الا تكذبون** في دعوى
رسالته **قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون** استشهدوا بعلم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة
لما شاهدوا منهم من شدة الانكار **وما علينا** اي من جهة ربنا **الا البلاغ المبين** اي الا تبليغ
رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا من عهدته فلا مؤاخذة
لنا بعد ذلك من جهة ربنا او وما علينا شيء نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور
وقد فعلناه فاي شيء تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك **قالوا** لما ضاقت عليهم الحيل وعييت بهم
العلل **انا تطيرنا بكم** تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق
شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة
الدارين او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بانفسهم واهليهم
واموالهم وان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي انه حبس عنهم القطر فقالوا ذلك **لئن لم تنتهوا** اي
عن مقالتكم هذه **لنرجمنكم** بالحجارة **وليمسنكم منا عذاب اليم** لا يقادر قدره **قالوا طائركم**

اي بسبب شومكم معكم لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم
اي وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي تطيرتم
وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان ذكرتم
بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون
اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشوم او مصححا للتوعد اي ليس الامر كذلك
بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم اتاكم الشوم او في الظلم والعدوان ولذلك توعدتم
وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار
وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن
تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره عليه الصلاة والسلام احد قبل مبعثه
وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم الصلاة والسلام اظهر دينه قال استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم
حثا على اتباعهم كما ان خطابه لهم بيا قوم لتاليف قلوبهم واستمالتهم نحو قبول نصيحته وقوله اتبعوا من لا
يسألكم اجرا وهم مهتدون تكرير للتاكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه
عن الغرض الدنيوي والاهتداء الى خيري الدنيا والدين وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في
الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث ارادهم ان يختاروا لهم ما يختار
لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه
ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ءاتخذ من دونه آلهة انكار ونفي لاتخاذ
الالهة على الاطلاق وقوله تعالى ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي لا تنفعني
شيئا من النفع ولا ينقذون من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفي المذكور
وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردن
بفتح الياء على معنى ان يردني ضرا اي يجعلني موردا للضر اني اذا اي اذا اتخذت من دونه آلهة لفي ضلال
مبين فان اشراك ما ليس من شانه نفع ولا دفع ضر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير الا
خيره ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز في الجملة اني آمنت بربكم خطاب منه للرسل بطريق
التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال ذلك وانما اكد لاظهار
صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضافة الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهارا للاختصاص
والاقتداء بهم كانه قال بربكم الذي تدعوننا الى الايمان به فاسمعون اي اسمعوا ايماني واشهدوا لي به عند
الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة
الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس
جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما
هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة ادخله الجنة وهو فيها حي يرزق وقيل معناه
البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة
في المسارعة الى بيانه والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كانه قيل كيف كان
لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى
قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كانه
قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على

اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء في كظم الغيظ والترحم
على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا
سعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت على
الاصل والباء متعلقة بغفر اي باي شيء غفر لي ربي يريد به تفخيم شان المهاجرة عن ملتهم والمصابرة
على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم
والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم
ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شان الرسول صلى الله عليه وسلم وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان
ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما انا قدرنا لكل شيء سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب
وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك
وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة
وغيرها ان كانت اي ما كانت الاخذة والعقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه الصلاة والسلام
وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرئ الا زقية واحدة من زقا الطائر اذا صاح فاذا هم خامدون
ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما
قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد
تعالي فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى ما ياتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزئون فان المستهزئين بالناصحين الذين نيط بنصائحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر
عليهم المتحسرون ولقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد يجوز ان يكون تحسرا عليهم من
الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي ونصبها
لطولها لتعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل
او المفعول ويا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا اي الم يعلموا وهو معلق عن العمل في قوله تعالى
كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناها
نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم
اهلكنا على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المكذبين كونهم غير راجعين اليهم
وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل حينئذ بدل اشتمال وان كل لما جميع لدينا
محضرون بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف
اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا
محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون ولكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة
من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتاكيد والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون الخ وآية لهم الارض الميتة بالتخفيف
وقرئ بالتشديد وقوله تعالى آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة
او بمضمر هو صفة لها والارض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى احييناها استئناف مبين لكيفية
كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبره والارض الميتة مبتدأ موصوف واحييناها خبره والجملة مفسرة
لآية وقيل الارض مبتدأ واحييناها خبره والجملة خبر الآية وقيل الخبر لها هو الارض واحييناها
صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي
الارض واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه ياكلون تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش
به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب اي من انواع النخل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الدال

على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على النوع وذكر النخيل دون الثمر ليطابق الحب والأعناب
لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح
لفظا ومعنى من العيون أي بعضا من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة
على رأي الأخفش ليأكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لأنه من مبادي الاثمار
أي وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل بإجراء
الضمير مجرى اسم الإشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات إلى الغيبة والإضافة لأن الثمر خلقه
تعالى وقرئ بضمتين وهي لغة فيه أو جمع ثمار وبضمة وسكون وما عملته أيديهم عطف على ثمره
وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى أن الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم
ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤيد الأول قراءة عملت بلا هاء فإن حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف
من غيرها أفلا يشكرون إنكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام أي أيرون هذه النعم أو أيتنعمون بها فلا يشكرونها سبحان الذي خلق الأزواج كلها استئناف
مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على آلائه المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز الصلة من بدائع آثار
قدرته وأسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من إخلالهم بذلك والحالة هذه
وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا أو اعتقادا والبعد عنه والحكم منه من سبح في الأرض
والماء إذا أبعد فيهما ومنه فرس سبوح أي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أي
أسبح سبحانه أي أنزهه عما لا يليق به اعتقادا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة
الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الدال على الجنس إلى الاسم الموضوع
له خاصة لا سيما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل
هو مصدر كغفران أريد به التنزه البالغ من إسناد التنزه إلى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة
على هذا إخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الأول حكم منه عز
وجل بذلك وتلقين للمؤمنين أن يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالأزواج
الأصناف والأنواع مما تنبت الأرض بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الأشياء المذكورة وغيرها
ومن أنفسهم أي خلق الأزواج من أنفسهم أي الذكر والأنثى ومما لا يعلمون أي والأزواج مما لم يطلعهم الله
تعالى على خصوصياتها لعدم قدرتهم على الإحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شيء من مصالحهم الدينية
والدنيوية ما أطلعهم عليه ذات بطريق الإجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به
وقوفهم على عظم قدرته تعالى وسعة ملكه وسلطانه وآية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتدأ
مؤخر وقوله تعالى نسلخ منه النهار جملة مبينة لكيفية كونه آية أي نزيله ونكشف عن مكانه
مستعار من السلخ وهو إزالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والأغلب في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال
سلخت الإهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة فإذا هم مظلمون أي داخلون في الظلام
مفاجأة وفيه رمز إلى أن الأصل هو الظلام والنور عارض والشمس تجري لمستقر لها لحد معين
ينتهي إليه دورها فشبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو كبد السماء فإن حركتها فيه توجد إبطاء بحيث
يظن أن لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها في الجو تدويم أو لاستقرار لها على نهج مخصوص أو لمنتهى مقدر
لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب
من مغرب ثم لا تعود إليهما إلى العام القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ إلى مستقر لها وقرئ لا مستقر
لها أي لا سكون لها فإنها متحركة دائما وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس ذلك إشارة إلى جريها وما

جدول

فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو رتبته وبعد منزلته أي ذلك الجري
البديع المنطوي على الحكم الرائقة التي تحار في فهمها العقول والأفهام تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل
شيء مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه بالنصب بإضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ
بالرفع على الابتداء أي قدرنا له منازل وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل
وهي ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة
الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الإكليل القلب الشولة
النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم
فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل في كل ليلة واحدا منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فإذا
كان في آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون كالشمراخ
المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم
العتيق وقيل هو ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها أي يصح ويتسهل لها أن تدرك القمر
في سرعة السير فإن ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو في الآثار والمنافع أو في المكان بأن تنزل في
منزله أو سلطانه فتطمس نوره وإيلاء حرف النفي الشمس للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها إلا ما
قدر لها ولا الليل سابق النهار أي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما
النيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكسا للأول وإيراد السبق مكان الإدراك
لأنه الملائم لسرعة سيره وكل أي وكلهم على أن التنوين عوض من المضاف إليه الذي هو الضمير العائد
إلى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فإن اختلاف الأحوال يوجب تعددا
ما في الذات أو إلى الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون بانبساط وسهولة وآية
لهم أنا حملنا ذريتهم أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم
فإن الذرية تطلق عليهن لا سيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما أن استقرارهم في السفن أشق
واستمساكهم فيها أبدع في الفلك المشحون أي المملوء وقيل هو فلك نوح عليه الصلاة والسلام
وحمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم الأقدمين وفي أصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص الذرية بهم
بالذكر دونهم لأنه أبلغ في الامتنان وأدخل في التعجب الذي عليه يدور كونه آية وخلقنا لهم من مثله
من مماثل الفلك ما يركبون من الإبل فإنها سفائن البر أو مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق
وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعتهم بإقدار الله تعالى
وإلهامه بل لمزيد اختصاص أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله تعالى واصنع الفلك
الفلك بأعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لأنها باختيارهم كما أن التعبير عن
ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه الصلاة والسلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار وإن نشأ
نغرقهم إلى آخره من تمام الآية فإنهم معرضون لمضمونه كما ينطق به قوله تعالى وإذا غشيهم موج كالظلل
دعوا الله مخلصين له الدين وقرئ بالتشديد وفي تعليق الإغراق بمحض المشيئة إشعار بأنه قد تكامل
ما يوجب إهلاكهم من معاصيهم ولم يبق إلا تعلق مشيئته تعالى به أي إن نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملنا
فيه من الفلك فحديث خلق الإبل حينئذ كلام جيء به في خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين
الإبل والفلك كأنها نوع منه أو مع ما يركبون من السفن والزوارق فلا صريخ لهم أي فلا مغيث
لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم أتاهم الصريخ ولا
هم ينقذون أي ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى إلا رحمة منا ومتاعا استثناء مفرغ

من اعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة اي لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الاشياء
الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاستغاثة والانقاذ وتمتيع بالحياة الدنيا مترتب عليهما ويجوز
ان يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاستغاثة والانقاذ اي لنوع
من الرحمة وتمتيع الى حين اي الى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل ولو سلم لكي يبقى فلكن سلمت من الحمام
الى الحمام واذا قيل لهم اتقوا بيان لاعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم
تاملهم فيها اي اذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الآيات او بغيره اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم
من الآفات والنوازل فانها محيطة بكم او ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون من الارض
او من الوقائع التي خلت على الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم في الآخرة او من نوازل السماء ونوائب
او من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون اما حال من واو اتقوا
او غاية له اي راجين ان ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم ان مناط النجاة ليس الا رحمة الله وجواب اذا محذوف
ثقة بانفهامه من قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين انفهاما بينا
اما اذا كان الانذار بالآية الكريمة فبعبارة النص واما اذا كان بغيرها فبدلالته لانهم حين اعرضوا عن آيات
ربهم فلان يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية كانه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا حسبما
اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة لتأكيد
العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى
ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية
فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة
بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين
على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من
تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحي
وظهور تلك الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التي من جملتها ما ذكر من شؤونه الشاهدة بوحدانيته
تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان به تعالى
وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل
والجملة في حيز النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المخصص بالوصف لاشتماله على ضمير كل منهما
والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما تأتيهم آية من آيات ربهم في حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها
او ما يأتيهم آية منها في حال من احوالها الا حال اعراضهم واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي اعطاكم
بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا في الانفاق على منهاج قوله
تعالى واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم في ترك الامتثال بالامر وكذلك
من التبعيضية اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين
فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره قال الذين كفروا بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة للذين آمنوا
تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشيئة الله تعالى انطعم حسبما تعظوننا به من لو يشاء الله
اطعمه اي على زعمكم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين
قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التي زعموا
انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون ان الله تعالى اذا لم يشأ اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق

فلهى

وما هو الا لفرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له
ان انتم الا في ضلال مبين حيث تأمروننا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوز ان يكون جوابا لهم من جهته
تعالى او حكاية لجواب المؤمنين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي يعنون وعد البعث وقيام
الساعة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد
بقيامها ومعنى القرب في هذا انما هو بطريق الاستهزاء واما باعتبار قربه في الوعد ما ينظرون جواب من جهته
تعالى اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم مفاجأة وهم يخصمون اي
يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها كقوله تعالى فتأخذهم الساعة بغتة وهم
لا يشعرون فلا تغتروا بعدم ظهور علائمها ولا تزعموا انها لا تأتيهم واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت
في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء
عليه وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما ولم يكن الاول
حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم اذا كانوا فيما
بين اهليهم ولا الى اهلهم يرجعون اذا كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا ونفخ
في الصور هي النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها
فاذا هم من الاجداث اي القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم مالك امرهم على الاطلاق ينسلون يسرعون
بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين قالوا في ابتداء بعثهم من القبور
يا ويلنا احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه
اذا انتبه وقرئ من هبنا وقيل اصله هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير وقيل فيه ترشيح ورمز واشعار
بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل
القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابي بن كعب وقتادة ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين
النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال القيامة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك
وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من
بعثنا ومن هبنا على ان من جارة والمصدر والمرقد اما مصدر بمعنى رقادنا او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم مراقد
الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة محذوفة العائد او مصدرية
فهو جواب من قبل الملائكة والمؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على
ان الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث فاذا هو دون كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم
الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون
ما سمعوه من الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا
وما وعد الى آخره خبر مبتدأ محذوف اي هو ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق ان كانت اي ما كانت النفخة
التي حكيت آنفا الا صيحة واحدة حصلت من نفخ اسرافيل عليه الصلاة والسلام في الصور فاذا هم
جميع اي مجموع لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهويل امر البعث والحشر والايذان
باستغنائهما عن الاسباب ما لا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس برة كانت او فاجرة شيئا من الظلم
ولا تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شيء واحد او الا بما
كنتم تعملونه اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله

تعالى **إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون** من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لتندمهم وتحسرهم فإن
الإخبار بحسن حال أعدائهم إثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية مزجرة
لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة إلى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله
عما سواه من شؤونه لكونه أهم عنده من الكل إما لإيجابه كمال المسرة والبهجة أو كمال المساءة والغم والمراد هنا
هو الأول وما فيه من التنكير والإبهام للإيذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ
التي تلهيهم عما عداها بالكلية وأما أن المراد به افتضاض الأبكار أو السماع أو ضرب الأوتار أو التزاور أو
ضيافة الله تعالى أو شغلهم عما فيه أهل النار على الإطلاق أو شغلهم عن أهاليهم في النار لا يهمهم أمرهم
ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روي كل واحد منها عن واحد من أكابر السلف فليس
مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان أنه من جملة اشغالهم وتخصيص كل منهم كل من ذلك
بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان إياه وهو مع جاره خبر لأن وفاكهون خبر آخر لها أي إنهم
مستقرون في شغل وأي شغل عظيم الشأن متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم
بهذه الجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للإيذان بغاية سرعة تحققها
ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وفي شغل بفتحتين
وبفتح وسكون والكل لغات وقرئ فاكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس وفاكهين وفكهين
على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى **هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون** استئناف مسوق
لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة أزواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل
والفكاهة على أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة
الفواصل أو هما خبران ثان بما تعلقا به من الاستقرار باختلاف مرتبته وقيل الخبر هو الظرف الأول والثاني متعلق
على أنه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على أنه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ نحو وقرئ
متكئين بالكسر نصبا على الحال من المستكن في الظرفين أو أحدهما وقيل هم تأكيد للمستكن في الظرفين أو أحدهما
وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر أن ومتكئون خبر آخر لها وعلى الأرائك متعلق به وكذا في ظلال أو هو
حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب أو جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والأرائك
جمع أريكة وهي السرير المزين بالثياب كالستور قال ثعلب لا تكون أريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى
لهم فيها فاكهة الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية
والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الأنس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل
والبهجة أي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه وما في قوله تعالى **ولهم ما يدعون** موصولة أو
موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشأن معين أو مبهم إيذانا بأنه الحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به
لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه وهي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض
المواد المعتادة بالذكر وأيا ما كان فهم مبتدأ ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء
بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كونها عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون
به لأنفسهم من مدعو عظيم الشأن أو كل ما يدعون به كائنا ما كان من أسباب البهجة وموجبات السرور وأيا ما كان
ففيه دلالة على أنهم في أقصى غايات البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما اشتوى واجتمل مثل اشترى
واحتمل إذا اشتوى وحمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم
ادع ما شئت بمعنى تمن علي وقال الزجاج هو من الدعاء أي ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم فيكون
الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكر

وقوله تعالى

وقوله تعالى **سلام** على التقدير الأول بدل من ما يدعون أو خبر لمبتدأ محذوف **قولا** مصدر
مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كأنه قيل ولهم سلام
أي ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا **من جهة رب رحيم** أي يسلم عليهم من جهته
تعالى بواسطة الملك أو بدونها مبالغة في التعظيم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والملائكة
يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وأما على التقدير الثاني فقد قيل إنه خبر لما يدعون
ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على أن الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والمجرور
بيان لمن له ذلك أي ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون
الجملة أي عدة من رب رحيم أي وسلام من الآفات فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق
وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل
المقدر ناصب قولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية أي لهم مرادهم سالما
خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** عطف لما
على الجملة السابقة المسوقة لبيان حال أهل الجنة لكن لا على أن المقصود عطف فعل الأمر بخصوصه
حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم
على قصة حسن حال أولئك ووصف ثوابهم كما في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكأن
تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما وأما على مضمر ينساق إليه حكاية أهل
الجنة كأنه قيل إثر بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا
بذلك عينا وامتازوا عنهم أيها المجرمون أي انفردوا عنهم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك
لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى وأما ما قيل من أن المضمر فليمتازوا فيعزل عن
السداد جلالة أن المحكي عنهم ليس مصيرهم إلى ما ذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الأمر المذكور
عليه بل إنما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدي
نفعا لأن مناط الإضمار انسياق الأفهام إليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعدما نزلت تلك
الحالة منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة تحسينا من سياقه
وأسقط كونها متوقعة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدي لإضمار ما يتعلق بها خروجا عن النظم
الكريم عن الجزالة بالمرة **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان** من جملة ما يقال لهم بطريق
التقريع والإلزام والتبكيت بين الأمر بالامتياز وبين الأمر بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم
والعهد الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة والمراد ههنا ما كلفهم الله تعالى على ألسنة
الرسل عليهم الصلاة والسلام من الأوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم
الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو
مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين
أخرجوا من ظهور بني آدم وأشهدهم على أنفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية
الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به
إليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته
عز وجل وقرئ إعهد بكسر الهمزة وأعهد بكسر الهاء وأحهد بالحاء مكان العين وأحد
بالإدغام وهي لغة بني تميم **إنه لكم عدو مبين** أي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء
عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي **وأن اعبدوني** عطف على أن لا تعبدوا على أن أن فيهما مفسرة

للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي او الامر او مصدرية حذف عنها الجار اي الم اعهد اليكم في
ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وفي تقديم النهي عن الامر لما ان حق التخلية التقدم على التحلية
كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى **هذا صراط مستقيم** فانه اشارة الى عبادته تعالى
التي هي عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط مستقيم والمقصود
بقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم والتنكير للتفخيم واللام في قوله تعالى **ولقد اضل منكم**
جبلا كثيرا جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتاكيد التقريع ببيان
ان جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على
الامم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان والخطاب لمتاخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا
بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ
بضمتين وبتخفيف وبضمة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع
فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس اي وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا
او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذي امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم
من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق اخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى **افلم**
تكونوا تعقلون للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا
تعقلون انها لضلالتهم او فلم تكونوا تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم
العقاب وقوله تعالى **هذه جهنم التي كنتم توعدون** استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع
والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اي كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم الصلوة والسلام
بمقابلة عبادة الشيطان ومثل قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى
اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤوما مدحورا
لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى **اصلوها اليوم بما**
كنتم تكفرون امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك انت الخ اي ادخلوها من فوق وقاسوا فنون عذابها
اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى **اليوم نختم على افواههم** اي نختم بمنعها عن الكلام والالتفات الى
الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم ويحكي احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من
الايماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ يختم **وتكلمنا**
ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وروي انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم
واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي
الحديث يقول العبد يوم القيمة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق
باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها
دلالتها على افعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى
وكذلك نختم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم **ولو نشاء لطمسنا على اعينهم**
الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشية محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم لفعلناه وايثار صيغة الاستقبال وان
كان المعنى على المضي لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشية فان المضارع المنفي الواقع
موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في قوله
تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير **فاستبقوا الصراط** اي فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا

سلوكه على

سلوكه على ان انتصابه بنزع الجار او بتضمين الاستباق معنى الابتداء او بالظرفية **فانى يبصرون**
الطريق وجهة السلوك **ولو نشاء لمسخناهم** بتغيير صورهم وابطال قواهم **على مكانتهم** اي مكانهم
ان المكانة اخص كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون
ان يتحركوا باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى **فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون** اي ولا
رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قردة وخنازير وقيل حجارة
وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين
لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الختم وان المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشية الالهية به
كانه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها
ولكنا لم نشاها جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم **ومن نعمره** اي نطل عمره **ننكسه في الخلق** اي
نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وتنتقص بنيته
ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن
الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس **افلا يعقلون** اي ايرون ذلك فلا
يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم مشيته تعالى لهما
وقرئ تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله **وما علمناه الشعر** رد وابطال لما كانوا يقولون في حقه عليه
الصلوة والسلام من انه شاعر وان ما يقوله شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى ان القرآن
ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني
على خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون
الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن اين اشتبه عليهم الشئون واختلط بهم
الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون **وما ينبغي له** وما يصح له الشعر ولا يتاتى له لو طلبه اي جعلناه بحيث
لو اراد قرض الشعر لم يتات له كما جعلناه اميا لا يهتدي الى الخط لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما
قوله عليه الصلوة والسلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله عليه الصلوة والسلام هل انت الا اصبع
دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في
له للقرآن اي ما ينبغي للقرآن ان يكون شعرا **ان هو** اي ما القرآن **الا ذكر** اي عظة من الله عز وجل وارشاد
للثقلين كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين **وقرآن مبين** اي كتاب سماوي بين كونه كذلك او فارق بين الحق
والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوا
لينذر اي القرآن او الرسول عليه الصلوة والسلام ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به اي علمه
فلينذر مبنيا للمفعول من الانذار **من كان حيا** اي عاقلا متأملا فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا
في علم الله تعالى فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به **ويحق القول** اي تجب كلمة
العذاب **على الكافرين** المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن آثار
الحيوة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة **اولم يروا** الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة
منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي الم يتفكروا او الم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا متاخما
للمعاينة **انا خلقنا لهم** اي لاجلهم وانتفاعهم **مما عملت ايدينا** اي مما توليناه احداثه
بالذات وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث
والاعتناء به **انعاما** مفعول خلقنا وتأخيره عن الجارين المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة

لم فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لاسيما العشي لكون المتقدم مبنيا على كون المخبر لمحا وانا انما
خطئ لمحا في النظم الكريم فان الجاز الاول للعلم بمعنى كون الخبر مناهم والثاني للفصح عن كون من الامور
الخطيرة بريدان النفس شوقا اليه ورغبة فيه ملان في تلخيص جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة
عليه بقوله تعالى **فهم لها مالكون** اي الايات اي فتملكها اياهم وايثار الجملة الاسمية
على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية لعمله فهم
مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم
في ذلك غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا
اياها لكم كما في قول من قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا والاول هو الانسب
ليكون قوله تعالى **وذللناها لهم** تبيينا للنعمة الثانية كما قبلها اي صيرناها
منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله
تعالى **فمنها ركوبهم** الى آخره فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اي فبعض
منها ركوبهم او مركوبهم اي معظم منافعها الركوب لعدم التعرض للحمل لكونه من تمام الركوب وقرئ
ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم
ومنها يأكلون اي وبعض منها يأكلون لحمه **ولهم فيها** اي في الانعام بكليها فيهما **منافع** اخر
غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها كالحراثة بالثيران **ومشارب** من اللبن
جمع مشرب وهذا مجمل ما فصل في سورة النحل **افلا يشكرون** اي ايشاهدون هذه النعم التي
يتمتعون بها فلا يشكرون المنعم بها **واتخذوا من دون الله** اي متجاوزين الله الذي شاهدوا
تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بها تلك النعم المتظاهرة **آلهة** من الاصنام واشركوها
به تعالى في العبادة **لعلهم ينصرون** رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور او
يشفعوا لهم في الآخرة وقوله تعالى **لا يستطيعون نصرهم** الى آخره استئناف مسوق لبيان بطلان
رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اي لا تقدر آلهتهم على نصرهم **وهم** اي المشركون **لهم** اي
لآلهتهم **جند محضرون** يشيعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم
وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فان الفاء في قوله تعالى **فلا يحزنك**
قولهم لترتيب النهي على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم
الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتيب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب
ويورث السلوة واما كونهم معدين لحفظهم وخدمتهم فبمعزل من ذلك والنهي وان كان بحسب الظاهر
متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عليه الصلوة
والسلام عن التأثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه
نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما
في قوله لا ارينك ههنا يريد به نهي المخاطب عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من اتخاذهم
الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وانهم شركاء الله سبحانه في المعبودية وغير ذلك
مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاي من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى
انا نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل صريح للنهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الكناية فان
العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التي لا يعزب
عن علمنا شيء منها وفيه من فضل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد [illegible] البالغة

فبيان

في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات فان التعليل بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه
مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء
في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة
واما الآن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه مضمر
في القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية تحقيقه
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة كلام مستأنف مسوق لبيان شؤونهم تحقيق ما سبق
مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعدما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام
واما ما قيل من انه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر
والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتبعة المعطوف كما مر في الجملة
الانكارية السابقة اي الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من نطفة الى آخره
او هي عين الجملة السابقة اعيدت تأكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو احق منه بالانكار
والتعجيب لما ان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وهاهنا عدم علمهم بما يتعلق
بخلق انفسهم ولا ريب في ان علم الانسان باحوال نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل فالانكار والتعجيب
من الاخلال بذلك ادخل كانه قيل الم يعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه
تعالى لانفسهم ايضا مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهمية على ان المنكر الاول
بعيد قبيح والثاني ابعد واقبح ويجوز ان تكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى
على انها متقدمة في الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام كما هو رأي الجمهور
وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى **فاذا**
هو خصيم مبين اي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل في حيز
الانكار والتعجيب كانه قيل اولم ير انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجأ خصومتنا في
امر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على
استمراره في الخصومة واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي
وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول
محمد صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ
عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى ان الله يحيي هذا بعدما رم قال صلى الله عليه وسلم
نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان
ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف
على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو من متممات شواهد صحة البعث **وضرب لنا مثلا**
معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخلة في حيز الانكار والتعجيب واما على التقدير الاول فهو عطف
على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا اي اورد في شأننا قصة عجيبة
في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة في
زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا
من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى **ونسي خلقه** اي خلقنا
اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجيب
او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى **قال** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية

ضرب به المثل كأنه قيل أي مثل ضرب وماذا قال فقيل قال من يحيي العظام منكر له أشد النكير مؤكداً
له بقوله وهي رميم أي بالية أشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الأول هو إنكار إحيائه
تعالى العظام فإنه أمر عظيم في نفس الأمر حقيق لغرابته وبعده من المعقول بأن يعد مثلاً ضربوه وقصة
العقول يبطل الإنكار ووقوعه للمنكر لكونه كالإنشاء بل أهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو إحياؤه
تعالى إياها فإنه أمر عظيم في نعته قد استبعده وعده من قبيل المستحيل وأنكره أشد الإنكار مع أنه في نفس الأمر
أقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الإنشاء أو أهون منه ثم على الثالث فالحرف بين أن يكون المثل هو
الإنكار والمنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبراً للمؤنث لأنه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات
وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من أثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة وأما أصحابنا
فلا يقولون بنجاسته كالشعر ويقولون المراد بإحياء العظام ردها إلى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة
في بدن حي حساس قل تبكيتاً له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وإرشاداً إلى طريقة
الاستشهاد بها يحييها الذي أنشأها أول مرة فإن قدرته تعالى كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة
على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والإيجاد إنشاء وإعادة محيط
بجميع الأجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الأشخاص أصولها وفروعها وأوضاع بعضها من
بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلاً من ذلك على النمط السابق مع القوى
التي كانت قبل والجملة إما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب أو معطوفة على الصلة والعدول إلى الجملة
الاسمية للتنبيه على أن علمه تعالى بما ذكر أمر مستمر ليس كإنشائه للمنشآت وقوله تعالى الذي جعل
لكم من الشجر الأخضر ناراً بدل من الموصول الأول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتهما
في كيفية الدلالة أي خلق لأجلكم ومنفعتكم ناراً على أن الجعل إبداعي والجاران متعلقان به قدما
على مفعوله الصريح مع تأخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ووصف الشجر
بالأخضر نظراً إلى اللفظ وقد قرئ الخضراء نظراً إلى المعنى وهي المرخ والعفار وقوله إني فينقدح
النار بإذن الله تعالى وذلك قوله تعالى فإذا أنتم منه توقدون فمن قدر على إحداث النار من الشجر
الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان
غضاً فطرأ عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض إلى آخره
استئناف مسوق من جهته تعالى لتحقيق مضمون الجواب الذي أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبهم به
ويلزمهم الحجة والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أليس الذي أنشأها
أول مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر الأخضر ناراً وليس الذي خلق السموات والأرض مع كبر جرمهما وعظم
شأنهما بقادر على أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالنسبة إليهما فإن بديهة العقل قاضية بأن من قدر
على خلقهما فهو على خلق الأناسي أقدر كما قال تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقرئ يقدر
وقوله تعالى بلى جواب من جهته تعالى وتصريح بما أفاده الاستفهام الإنكاري من تقرير ما بعد النفي
وإيذان بتعين الجواب نطقوا به أو تلعثموا فيه مخافة الإلزام وقوله تعالى وهو الخلاق العليم عطف
على ما يفيده الإيجاب أي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفاً وكماً إنما أمره أي شأنه
إذا أراد شيئاً من الأشياء أن يقول له كن أي أن تتعلق به قدرته فيكون فيحدث من غير توقف على
شيء آخر أصلاً وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما أراده بأمر الآمر المطاع للمأمور المطيع في سرعة حصول
المأمور به من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفاً على يقول فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به موجبة التنزه عنه وتعجيب مما قالوا في شأنه تعالى كما أن

تعالى بما

تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للتسبيح بأنها مقتضية لذلك أتم اقتضاء والملكوت مبالغة في الملك
كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء وإليه ترجعون لا إلى غيره وقرئ
ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كنت لا أعلم
ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فإذا أنه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
إن لكل شيء قلباً وإن قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله تعالى له وأعطي من الأجر كأنما
قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف
منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته
ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه
حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه
وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس

سورة الصافات مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفاً أقسم الله عز وجل بطوائف
الملائكة الفاعلات للصفوف على أن المراد إيقاع نفس الفعل من غير قصد إلى المفعول والصافات أنفسها
التناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا
إلا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى وإنا لنحن الصافون وقيل الصافات أقدامها
في الصلاة وقيل أجنحتها في الهواء فالزاجرات زجراً أي الفاعلات للزجر أو الزاجرات لما نيط بها
زجره من الأجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي
وزجر الشياطين عن الوسوسة والإغواء وعن استراق السمع كما سيأتي وصفاً وزجراً مصدران مؤكدان لما
قبلهما أي صفاً بديعاً وزجراً بليغاً وأما ما ذكر في قوله تعالى فالتاليات ذكراً فمفعول للتاليات أي تاليات
ذكراً عظيم الشأن من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرها من التسبيح
والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو أيضاً مصدر مؤكد لما قبله فإن التلاوة من باب الذكر ثم إن
الصفات إن أجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل إما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم
للتلاوة أو على العكس وإن أجري كل واحد منها على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات
في مراتب الفضل بمعنى أن طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلاً أو على العكس
وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات الزاجرات
بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه وأحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات
أنفسهم في مواطن الحروب كأنهم بنيان مرصوص أو طوائف قوادهم الصافات لهم فيها والزاجرات الخيل
للجهاد سوقاً والعدو في المعارك طرداً والتاليات آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه في تضاعيف
ذلك والكلام في العطف وحالات على ترتب الصافات في الفضل أو ترتب موصوفها فإنه على نحو ما
سلف وأما الدلالة على الترتب في الوجود كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب
فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فإن من سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والقراءة فلا يخلو
التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل
ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ

بادغام التاء في الصاد والدال في الذال **ان الهكم لواحد** جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد
على الطريقة المألوفة في كلامهم من التأكيد بالقسم وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به اعني قوله تعالى
رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من
اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر مبتدأ محذوف اي مالك السموات والارض وما بينهما
من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها ومالك مشارق الشمس واعادة الرب فيها
لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلاثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق
منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما
مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما **انا زينا السماء الدنيا** اي القربى منكم **بزينة** عجيبة بديعة
الكواكب بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسم اي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها
واوضاع بعضها من بعض زينة واي زينة وقرئ بالاضافة على ان ما يزان به فتقع الكواكب بيانا
لها ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
بزينة الكواكب بضوء الكواكب والمراد هو التزيين في رأي العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات
تبدو للناظرين كأنها جواهر متلألئة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال مختلفة ولا يقدح
في ذلك ان تكون الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر في الستة المتوسطة **وحفظا**
منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا
من كل شيطان مارد وزيناها بالكواكب كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين وقوله تعالى **لا يسمعون الى الملأ الاعلى** كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد
بيان حال حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب
ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى والحمل على الحفظ
على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف اللام كما حذف في قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم
حذف ان واهدر عملها كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان كل من ذينك الحذفين
غير منكر بانفراده فاما اجتماعهما فمن المنكر الذي يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله
واصل يسمعون يتسمعون والملأ الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم الكتبة
وعنه هم اشراف الملائكة عليهم الصلاة والسلام اي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون
بالتخفيف **ويقذفون** يرمون **من كل جانب** من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها
دحورا علة للقذف والدحور هو الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر مؤكد له لانهما
من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال على انه صفة مصدر اي قذفا دحورا مبالغا في الطرد ويجوز ان يكون مصدرا
كالقبول والولوع **ولهم عذاب واصب** اي ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب
في الآخرة عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير **الا من خطف**
الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام
الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح
الخاء وبكسر الطاء وتشديدها واصلها اختطف **فاتبعه شهاب** اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه
والشهاب ما يرى منقضا من السماء **ثاقب** مضيء في الغاية كأنه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين
اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم قال وانما يعود من يسلم منهم حيا طمعا في السلامة

وقيل المراد

وقيل المراد كواكب السفينة **فاستفتهم** فاستخبر مشركي مكة **أهم اشد خلقا** اي اقوى خلقة
وامتن بنية واصعب خلقا واشق ايجادا **ام من خلقنا** من الملائكة والسماء والارض وما
بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل على اطلاقه ومجيئه
بعد ذلك الاستحقاق قراءة من قرأ ام من عددنا **انا خلقناهم من طين لازب** فانه الفارق بينه
وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم
والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب **بل عجبت** اي من قدرة
الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث **ويسخرون** من تعجبك وتقريرك للبعث
وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي الى حيث عجبت منها وهؤلاء
لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث من هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من
الله تعالى اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان
عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت **واذا ذكروا** اي ودأبهم المستمر
انهم اذا وعظوا بشيء من المواعظ **لا يذكرون** لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا
ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم **واذا رأوا آية** اي معجزة تدل على صدق القائل به
يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها **وقالوا**
ان هذا اي ما يرونه من الآيات الباهرة **الا سحر مبين** ظاهر سحريته **أإذا متنا وكنا ترابا**
وعظاما اي كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء
البادية والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى أإنا لمبعوثون اي انبعث اذا متنا لا
دونه خطوبا لو تفرد واحدة منها لكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة
منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في أئنا لمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة
بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة
كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب على
ما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانية فقط **أوآباؤنا الاولون** رفع على الابتداء
وخبره محذوف عند سيبويه اي او آباؤنا الاولون ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل
على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا
واياما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ
او آباؤنا **قل** تبكيتا لهم **نعم** والخطاب في قوله تعالى **وانتم داخرون** لهم ولآبائهم بطريق
التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اي كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون ذليلون وقرئ
نعم بكسر العين وهي لغة فيه **فانما هي زجرة واحدة** هي اما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة
والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي الخ او لا تستصعبوه فانما
هي الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة الثانية **فاذا هم**
قائمون من مراقدهم احياء **ينظرون** يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم **وقالوا** اي
المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر **يا ويلنا** اي هلاكنا احضر فهذا اوان
حضورك وقوله تعالى **هذا يوم الدين** تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اي اليوم
الذي نجازى فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون
ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى **هذا يوم الفصل**

الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة يقولونه لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو أيضاً من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين فريق الهدى والضلال وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا خطاب من الله تعالى للملائكة أو منهم لبعضهم بحشر الظلمة من مقامهم إلى الموقف وقيل من الموقف إلى الجحيم وأزواجهم أي أشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم أزواجاً ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم قيل وهو عام مخصوص بقوله تعالى إن الذين سبقت لهم الحسنى الآية الكريمة وأنت خبير بأن الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم إلى صراط الجحيم أي عرفوهم طريقها ووجهوهم إليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم في الموقف لأن الملائكة يسارعون إلى ما أمروا به من حشرهم إلى الجحيم فأمروا بذلك وعلل بقوله تعالى إنهم مسؤولون إيذاناً من أول الأمر بأن ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم وأعمالهم كما قيل فإن ذلك قد وقع قبل الأمر بهم إلى الجحيم بل عما ينطق به قوله تعالى عز وجل ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم أي لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم تزعمون في الدنيا وتأخير هذا السؤال إلى ذلك الوقت لأنه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة إلى النصرة وحالة انقطاع الرجاء منها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ أشد وقعاً وتأثيراً وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالإدغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون متخاضعون لظهور عجزهم وانسداد أبواب الحيل عليهم أو أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجزه فكلهم مستسلم غير منتصر وأقبل حينئذ بعضهم على بعض هم الأتباع والرؤساء أو الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضاً سؤال التوبيخ بطريق الخصومة والجدال استئنافاً وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف يتساءلون فقيل قالوا أي الأتباع للرؤساء أو الكفرة للقرناء إنكم كنتم تأتوننا في الدنيا عن اليمين أي عن أقوى الوجوه وأمتنها أو من اليمن أو عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الإنسان الذي هو أشرف الجانبين وأقواهما وأنفعهما ولذلك سمي يميناً وتيمن بالسانح أو عن القوة والقهر فتقسروننا على الغي وتبعدوننا إلا في الجواب أو عن الحلف حيث كانوا يحلفون أنهم على الحق قالوا استئناف كما سبق أي قال الرؤساء أو القرناء بل لم تكونوا مؤمنين أي لم نمنعكم من الإيمان بل لم تؤمنوا باختياركم ولو أعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه وما كان لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوماً طاغين مختارين للطغيان مصرين عليه فحق علينا أي لزمنا وثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين إنا لذائقون أي العذاب الذي ورد به الوعيد فأغويناكم فدعوناكم إلى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد إنا كنا غاوين فلا عتب علينا في تعرضنا لإغوائكم بتلك الدعوة لتكونوا أمثالنا في الغواية فإنهم أي الأتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين في الغواية إنا كذلك أي مثل ذلك الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين في الإجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى إنهم كانوا إذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا إله إلا الله يستكبرون عن القبول ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان أن ما جاء به

من التوحيد حق الذي قام به البرهان وأجمع عليه كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام فأين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة إنكم بما فعلتم من الإشراك وتكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام والاستكبار لذائقو العذاب الأليم والالتفات لإظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون لقوله ولا ذاكر الله إلا قليلاً وقرئ لذائقون العذاب على الأصل وما تجزون إلا ما كنتم تعملون أي إلا جزاء ما كنتم تعملونه من السيئات أو إلا بما كنتم تعملونها إلا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة إلى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس إلا من جهتهم لا من جهة غيرهم أصلاً وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى أن الكفرة لا يجزون إلا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين فإنهم يجزون أضعافاً مضاعفة والأوجه أصلاً لا سيما جعله استثناء متصلاً بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فإنه ليس في حيز الامتثال فالمعنى أنكم لذائقو العذاب الأليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى أولئك إشارة إليهم للإيذان بأنهم متميزون بما اتصفوا به من الإخلاص في عبادته تعالى عمن عداهم امتيازاً بالغاً منتظمين بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم إما خبر له وقوله تعالى رزق مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار أو مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لأولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما أفاده الاستثناء إجمالاً بياناً تفصيلياً وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على أنه بمنزلة المبتدأ وقوله تعالى معلوم أي معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً وقوله تعالى فواكه إما بدل من رزق أو خبر مبتدأ مضمر أي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لأن أرزاق أهل الجنة كلها فواكه أي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لأنهم مستغنون عن القوت بكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج إلى البدل وقيل لأن الفواكه من أتباع سائر الأطعمة فذكرها مغن عن ذكرها وهم مكرمون عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك أعظم المثوبات وأليقها بأولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل إليهم بغير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا وقرئ مكرّمون بالتشديد في جنات النعيم أي في جنات ليس فيها إلا النعيم وهو ظرف أو حال من المستكن في مكرمون وقوله تعالى يطاف عليهم إما استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية تكامل مجالس أنسهم أو حال من الضمير في متقابلين أو في أحد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون بكأس بإناء فيه خمر فإن الكأس يطلق على نفس الخمر كما في قول من قال وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها من معين متعلق بمضمر هو صفة لكأس أي كائنة من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون أو الخارج من العيون من عان الماء وقوله تعالى وإنما هو خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان أيضاً لكأس ووصفها بلذة إما للمبالغة كأنها نفس اللذة أو لأنها تأنيث لذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بأرض العدى من خشية الحدثان يريد به النوم لا فيها غول أي غائلة كما في خمور الدنيا من غاله إذا أفسده وأهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف إذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات إذا خرج دمه كله أفرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما أنه من معظم مفاسد الخمر كأنه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من أنواع الفساد من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم ولا هم يسكرون وقرئ ينزِفون

بضم الزاي من نزف بضم الزاي فيهما وعندهم قاصرات الطرف قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن نظرا إلى غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين كأنهن بيض مكنون مشبهين ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإن ذلك أحسن ألوان الأبدان فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف أي يشربون فيتحادثون على الشراب بعادة الشرب قال: وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام. فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم في تضاعيف محاورتهم إني كان لي قرين في الدنيا مصاحب يقول لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الإيمان والتصديق بالبعث أإنك لمن المصدقين أي بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق والأول هو الأوفق لقوله تعالى أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون أي لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء أو لمسوسون مربوبون يقال دانه أي ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قيل كان [illegible] فاحتاج فاستجدى بعض إخوانه فقال أين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الآخرة خيرا منه فقال أإنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئا فيكون تقريعه لتركه وكونهم ترابا وعظاما لتأكيد الحجة المبنية على إنكار البعث قال أي ذلك القائل بعد ما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا هل أنتم مطلعون أي إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين بما صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لأريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم قيل إن في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى أهل النار فاطلع أي عليهم فرآه أي قرينه في سواء الجحيم أي في وسطها وقرئ فأطلع على لفظ المضارع للتصحيح وقرئ مطلعون فأطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان وأطلع وطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرين فاطلع متعديا أيضا أو عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وإن جعل الاطلاع متعديا فالمعنى أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون إياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه وشبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي قال أي القائل مخاطبا للقرين تالله إن كدت لتردين أي لتهلكني بالإغواء وقرئ لتغوين وإن هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام فارقة أي تالله إن الشأن كدت لتردين ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين أي من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك قوله تعالى أفما نحن بميتين رجوع إلى محاورة جلسائه بعد إتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما أباح الله عز وجل من الفضل العظيم والنعيم المقيم والعصمة المترتبة وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام أي أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين إلا موتتنا الأولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الإحياء للسؤال لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وقيل إن أهل الجنة أول ما يدخلون الجنة لا يعلمون أنهم لا يموتون فإذا جيء بالموت على صورة كبش أملح فذبح ونودي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت يعلمون ذلك فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها وما نحن بمعذبين كالكفار فإن النجاة من العذاب أيضا نعمة جليلة تستحق

للتحدث بها إن هذا لهو الفوز العظيم أي الأمر العظيم الذي نحن فيه وقيل هو من الله عز وجل وهو مآل من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون أي لنيل هذا المرام الجليل يجب أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا أيضا يحتمل أن يكون من كلامهم رد للمرة أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم أصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز أي ذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير أم شجرة الزقوم التي حاصلها الألم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحال والمعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت بها الشجرة الموصوفة إنا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فإنهم لما سمعوا أنها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها أقدر على الشجر في النار وحفظه من الإحراق إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها أي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخل لمشاركته له في الشكل أو الطلوع من الشجر قالوا أول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف وقيل إن شجرا يقال له الأستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين فإنهم لآكلون منها أي من الشجرة أو من طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف إليه فمالئون منها البطون لغلبة الجوع والقسر على أكلها وإن كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم إن لهم عليها على الشجرة التي ملؤوا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز أن يكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق أو صديد مشوبا بماء حميم يقطع أمعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والأول مصدر سمي به ثم إن مرجعهم أي مصيرهم وقد قرئ كذلك لإلى الجحيم أي دركاتها أو إلى نفسها فإن الزقوم والحميم نزل يقدم إليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم إلى شجرة الزقوم فيأكلون منها إلى أن يمتلئوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون إلى الجحيم ويؤيده أنه قرئ ثم إن منقلبهم إنهم ألفوا آباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير أن يكون لهم ولآبائهم شيء يتمسك به أصلا أي وجدوهم ضالين في نفس الأمر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل فهم على آثارهم يهرعون من غير أن يتدبروا أنهم على الحق أي لا مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل والإهراع الإسراع الشديد كأنهم يزعجون يحثون حثا على الإسراع على آثارهم وقيل هو إسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم أي قبل قومك قريش أكثر الأولين من الأمم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد أرسلنا فيهم منذرين أي أنبياء أولي عدد كثير وذوي شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وأنذروهم عاقبته الوخيمة فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا إلى الإنذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب إما للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى أنهم هلكوا أهلكوا قطعا استثني منهم المخلصون بقوله تعالى إلا عباد الله المخلصين أي الذين أخلصهم الله

تعالى بتوفيقهم للإيمان والعمل بموجب الإنذار وقرئ المخلصين بكسر اللام أي الذين أخلصوا دينهم لله
تعالى ﴿ولقد نادانا نوح﴾ نوع تفصيل لما أجمل فيما قبل ببيان أحوال بعض المرسلين وحسن
عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما أشير إليه بقوله تعالى فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم إلياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم
الذين أخلصهم الله تعالى ووفقهم للإيمان حسبما أشار إليه الاستثناء كقوم يونس عليه الصلاة
والسلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غني عن البيان واللام جواب قسم محذوف
وكذا ما في قوله تعالى ﴿فلنعم المجيبون﴾ أي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من إيمان قومه بعد
ما دعاهم إليه أحقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا ونفورا فأجبناه أحسن الإجابة
فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء
﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ أي من الغرق وقيل من أذية قومه ﴿وجعلنا ذريته هم
الباقين﴾ فحسب حيث أهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وقد
روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير أبنائه وأزواجهم وهم الذين بقوا متناسلين
إلى يوم القيامة قال قتادة رضي الله تعالى عنه الناس كلهم من ذرية نوح عليه الصلاة والسلام
وكان له ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان
من المشرق إلى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ من الأمم
﴿سلام على نوح﴾ أي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة أنزلناها والمعنى
يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام أمة بعد أمة وقيل ثمة قول مقدر أي فقلنا وقيل
ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى ﴿في العالمين﴾ متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات
هذه التحية واستمرارها أبدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى ﴿إنا كذلك
نجزي المحسنين﴾ تعليل لما فعل به عليه الصلاة والسلام من التكرمة السنية من إجابة دعائه
أحسن إجابة وإبقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بكونه
من زمرة المعروفين بالإحسان الراسخين فيه وأن ذلك من قبيل مجازاة الإحسان بالإحسان
وذلك إشارة إلى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له عليه الصلاة والسلام وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف
والكاف متعلقة بما بعدها أي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الإحسان لا جزاء أدنى منه
وقوله تعالى ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال إيمانه
وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ أي المغايرين لنوح وأهله وهم
كفار قومه أجمعين ﴿وإن من شيعته﴾ أي ممن شايعه في أصول الدين ﴿لإبراهيم﴾ وإن اختلفت فروع
شرائعهما ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق في أكثر الأشياء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من أهل
دينه وعلى سنته أو ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما إلا نبيان
هود وصالح عليهما الصلاة والسلام وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة ﴿إذ جاء
ربه﴾ منصوب باذكر أو متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة ﴿بقلب سليم﴾ أي من آفات القلوب
من العلائق أو مما في الشيعة من معنى الشاغلة عن التبتل إلى الله عز وجل ومعنى المجيء به ربه إخلاصه
له كأنه جاء به متحفا إياه بطريق التمثيل ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون﴾ بدل من الأولى
أو ظرف لجاء أو لسليم أي أي شيء تعبدون ﴿أئفكا آلهة دون الله تريدون﴾ أي أتريدون آلهة

من دون الله

من دون الله ﴿إفكا﴾ أي للإفك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لأن الأهم
مكافحتهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم ويجوز أن يكون إفكا مفعولا به بمعنى أتريدون إفكا ثم فسر
الإفك بقوله آلهة من دون الله دلالة على أنها إفك في نفسها للمبالغة أو يراد بها عبادتها بحذف
المضاف ويجوز أن يكون حالا بمعنى آفكين ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ أي بمن هو حقيق بالعبادة
لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة وأشركتم به بعض مخلوقاته أو فما ظنكم به أي
شيء هو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أندادا أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم
بعد ما فعلتم ما فعلتم من الإشراك به ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ قيل كانت له عليه السلام حمى لها
نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي في تلك الساعة فإذا هي قد حضرت ﴿فقال إني
سقيم﴾ وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل أراد إني سقيم القلب بكفركم
وقيل نظر في علمها أو في كتبها أو في أحكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه الصلاة والسلام
إيهامهم حين أرادوا أن يخرجوا به عليه الصلاة والسلام إلى معبدهم ليتركوه فإن القوم كانوا نجامين
فأوهمهم أنه قد استدل بأمارة في علم النجوم على أنه سقيم أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب
الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام وذلك
قوله تعالى ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ أي هاربين مخافة العدوى ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ أي ذهب إليها في
خفية وأصله الميل بحيلة ﴿فقال﴾ أي للأصنام استهزاء ﴿ألا تأكلون﴾ أي من الطعام الذي كانوا
يصنعونه عندها لتبرك عليه ﴿ما لكم لا تنطقون﴾ أي بجوابي ﴿فراغ عليهم﴾ فمال مستعليا عليهم
وقوله تعالى ﴿ضربا باليمين﴾ مصدر مؤكد لراغ عليهم فإنه بمعنى ضربهم أو لفعل مضمر هو حال
من فاعله أي فراغ عليهم يضربهم ضربا أو هو حال منه على أنه مصدر بمعنى الفاعل أي فراغ عليهم
ضاربا باليمين ليضرب ضربا شديدا قويا وذلك لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقوة الآلة تقتضي
قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما في قوله إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة
باليمين أي بالقوة وعلى ذلك المدار تسبب الحلف باليمين لأنه يقوي الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف
وهو قوله وتالله لأكيدن أصنامكم ﴿فأقبلوا إليه﴾ أي إلى إبراهيم بأصحابه عليه الصلاة والسلام
بعد ما رجعوا من عيدهم إلى بيت الأصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا أنه عليه الصلاة
والسلام فعله فأتوا به ﴿يزفون﴾ حال من واو فأقبلوا أي يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من
أزف إذا دخل في الزفيف أو من أزفه إذا حمله على الزفيف أي يزف بعضهم بعضا ويزفون على
البناء للمفعول أي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف إذا أسرع ويزفون من زفاه إذا حداه
كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم إليه عليه الصلاة والسلام ﴿قال﴾ أي بعد ما أتوا به عليه الصلاة
والسلام وجرى بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى قالوا أأنت فعلت
هذا بآلهتنا يا إبراهيم إلى قوله تعالى ما هؤلاء ينطقون ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ ما تنحتونه من الأصنام
وقوله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ حال من فاعل تعبدون مؤكدة للإنكار والتوبيخ أي والحال أنه
تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فإن جواهر أصنامهم بخلقه تعالى وشكلها وإن كان بفعلهم لكنه
بإقداره تعالى إياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد والأسباب وما تعملون
إما عبارة عن الأصنام فوضعه موضع ضميرها ما تنحتون للإيذان بأن اتصافها بالتصوير والتخليق من آثار
نحتها وما عملوا به فينتظم الأصنام انتظاما أوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان أن جميع أعمالهم
كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية أي عملكم على أنه بمعنى المفعول وقيل بمعناه ولكن

فعلهم اذ انه خلق الله تعالى كان يعملونه ليتوقف على فعلهم او لحق بذلك **قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه**
في الجحيم اي في النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهي شدة التأجج واللام عوض من المضاف اليه اي جحيم ذلك
البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبياء **فارادوا به كيدا** فانه عليه الصلاة والسلام لما
قهرهم بالحجة وألقمهم الحجر قصدوا ما قصدوه لئلا يظهر للعامة عجزهم **فجعلناهم الاسفلين** الاذلين
بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه عليه الصلاة والسلام حيث جعل النار عليه بردا وسلاما
وقال اني ذاهب الى ربي اي مهاجر الى حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي وهو الشام او الى حيث اتجرد فيه لعبادته
تعالى **سيهدين** اي الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله
او للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه الصلاة والسلام حيث قال عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع **رب هب لي من الصالحين** اي بعض الصالحين يعينني على الدعوة
والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدة
بالاخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا **فبشرناه بغلام حليم** فانه صريح في ان
المبشر به غير ما استوهبه عليه الصلاة والسلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة انه
غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم يعادل حلمه عليه الصلاة والسلام حين عرض
عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت
الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه
فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعد تشهد عليه بذلك والفاء في قوله تعالى **فلما بلغ معه**
السعي فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال والايذان بعدم الحاجة
الى التصريح به لاستحالة التخلف والتأخر بعد البشارة كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده
فوهبناه له فنشأ فلما ادرك رتبة ان يسعى معه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف
ينبئ عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا كانه
لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه
قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة **قال** اي ابراهيم عليه الصلاة
والسلام **يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك** اي ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه
عبارته وتأويله وقيل انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك
هذا فلما اصبح روّى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمة
سمي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثمة سمي يوم عرفة ثم
رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام
حليم قال اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك والاظهر الاشهر
ان المخاطب اسماعيل عليه الصلاة والسلام اذ هو الذي وهب اثر الهجرة ولان البشارة باسحاق
بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه الصلاة والسلام انا ابن الذبيحين
فاحدهما جده اسماعيل عليه الصلاة والسلام والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان
يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله
فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين
بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحاق ثمة ولان بشارة اسحاق كانت مقرونة
بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عليه الصلاة والسلام

ليل اي

سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله
بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه عليه الصلاة والسلام قال يوسف بن يعقوب بن اسحاق
بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت
وقرئ اني بفتح الياء فيهما **فانظر ماذا ترى** من الرأي وانما شاوره فيه وهو امر
محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم
وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا تري
بضم التاء وكسر الراء وفتحها مبنيا للمفعول **قال يا ابت افعل ما تؤمر** اي ما تؤمر به فحذف
الجار اولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه موصولا بايصاله
في الفصل او حذفا دفعة او افعل امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امرا
وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر
الى حين الامتثال به **ستجدني ان شاء الله من الصابرين** على الذبح او على قضاء الله تعالى
وانقيادا او خضعا له تعالى سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا
واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم
لامر الله واسلم له منقول منه ومعناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك
معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة رضي الله عنه في اسلما اسلم ابراهيم
ابنه واسماعيل نفسه لله تعالى **وتله للجبين** صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض
وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة
تحول بينه وبين امر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة بمنى وقيل في الموضع المشرف على مسجد
منى وقيل في المنحر الذي ينحر فيه اليوم **وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا** بالعزم على
الاتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم
تقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف
ايذانا بعدم التعبير بالتفاصيل كانه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشار
وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق احد مثله
واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك **انا كذلك نجزي المحسنين**
تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه
الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل **ان هذا لهو البلاء**
المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص عن غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا اشق منها
وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل **عظيم** اي عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه
يفدي به الله تعالى نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل وكان يرعى في الجنة حتى فدي
به اسماعيل عليه الصلاة والسلام وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب من
ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان
حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل عليه الصلاة والسلام
الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة والفادي
في الحقيقة هو ابراهيم وانما قال وفديناه لانه تعالى هو المعطي والامر به على التجوز في الفداء او

الاستبداد وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم قد سلف بيانه في خاتمة قصة نوح عليه
الصلوة والسلام كذلك نجزي المحسنين ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى
ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر آنفا انه من عبادنا
المؤمنين الراسخين في الايمان على وجه الايقان والاطمئنان وبشرناه باسحاق نبيا
من الصالحين اي مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا
حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار
معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحاق بان يوجد اسحاق
نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم
وقت الدخول واسحاق عليه الصلوة والسلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن
فسر الغلام باسحاق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء
الى انه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه اي على ابراهيم في
اولاده وعلى اسحاق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم الصلوة
والسلام او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه
بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا اثر له
في الهداية والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا على موسى
وهارون اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل
من الكرب العظيم من تغلب آل فرعون وتسلطهم عليهم بالوان الظلم والعذاب كما في قوله تعالى واذ نجيناكم من آل
فرعون وقيل الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة ونصرناهم اي اياهما وقومهما على عدوهم
فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما في اسرهم وقسرهم
مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه التنجية وان كانت بحسب الوجود متقدمة
على ما ذكر من النصر والغلب لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر
الذي يتحقق بدونه لتمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليبه عليه لتوفية مقام الامتنان حقه
باظهار ان لكل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة تستدعي ايفاء حقها وآتيناهما بعد ذلك الكتاب المستبين
اي البليغ في البيان والتفصيل وهو التوراة وهديناهما بذلك الصراط المستقيم الموصل الى الحق والصواب
بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الاحكام وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون اي
ابقينا فيما بين الامم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل انا كذلك الجزاء الكامل نجزي المحسنين
الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصرا عنه انهما من عبادنا المؤمنين سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين
هو الياس بن ياسين من سبط هارون اخي موسى عليهم الصلوة والسلام بعثه وقيل ادريس لانه قرئ مكانه
ادريس وادراسين وقرئ ايليس وقيل الياس بحذف الهمزة اذ قال لقومه الا تتقون اي عذاب الله تعالى اتدعون
بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك
قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن
وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها
الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اي اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين اي تتركون
عبادته وقد اشير الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى الله ربكم ورب آبائكم
الاولين بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته

تعالى لا

تعالى لآبائهم لتأكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان آراء آبائهم ايضا فكذبوه فانهم بسبب تكذيبهم
ذلك لمحضرون اي العذاب وانما اطلق اكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا
الا عباد الله المخلصين استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين
هو لغة في الياس كسيناء في سينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه ان
العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين مر تفسيره
وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه اي اذكر وقت تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين
اي الباقين في العذاب او الماضين الهالكين ثم دمرنا الآخرين فان في ذلك شواهد على جلية امره
وكونه من جملة المرسلين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فتشاهدون
آثار هلاكهم فان سدوم في طريق الشام مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء اونهارا
وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء افلا تعقلون اي
اتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم وان يونس لمن
المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق اي هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه
من غير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اي المملوء فساهم فقارع اهله
فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه عليه
الصلوة والسلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله تعالى به فركب السفينة
فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فوقعت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه
الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ
مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح
مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه
عليه الصلوة والسلام كان كثير الصلوة في الرخاء للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه
حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء
بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا
راسه يتنفس فيه يونس عليه الصلوة والسلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما
لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل
اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد
الوقت الذي التقمه فيه روي عن عطاء انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا
ولم اجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي
فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين وهو كل ما ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء
والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثرون على انه الدباء غطته باوراقها عن الذباب
فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هي شجرة اخي
يونس عليه الصلوة والسلام وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره
وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وارسلناه الى مائة الف هم قومه
الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد به ارساله السابق اخبر اولا بانه من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر
بانه قد ارسل الى امة جمة وكان توسيطها لو بسط تذكير وقت هربه عليه الصلوة والسلام عن قومه بين
ان نزل بهم اياهم عذاب الله تعالى اياهم وتعيينه بوقت حلوله وتعللهم وتعليقهم لايمانهم بظهوره

اما اذا تحملنا متى تفصيلها في سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو
المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعد التيا والتي وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم
وليس بظاهر او يزيدون اي في مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة الف او يزيدون
والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا اي بعدما شاهدوا علائم حلول العذاب
ايمانا خالصا فمتعناهم اي بالحيوة الدنيا الى حين قدره الله سبحانه وتعالى لهم
ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما
وبين ارباب الشرائع واولي العزم من الرسل واكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين
في آخر السورة فاستفتهم امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتبكيت قريش وابطال مذهبهم في انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق
البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك
من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم في النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل
من قبلهم اكثر الاولين وانه تعالى ارسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل
واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها انهم من عباده تعالى واصفا لهم تارة
بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره صلى الله عليه وسلم ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء
على وجه آخر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من
الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون لبعض احياء العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني
مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اولئك الرسل الذين هم
اعلام الخلق عليهم الصلوة والسلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان
مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم اناثا
ثم ابطال اصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهي نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك
علوا كبيرا ولم ينظمه في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك اي فاستخبرهم الربك البنات
الذي هو اوضع الجنسين ولهم البنون الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى
شيء من العقل وقوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء
الثاني الى التبكيت بهذا كما اشير اليه اي بل اخلقنا الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق وابعدهم
من صفات الاجسام ورذائل الطباع اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تعالى
وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل لهم لقوله تعالى اشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل
الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم شاهدا
عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا اي بل اخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون حينئذ
او عطف على خلقنا اي بل اهم شاهدون وقوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله
استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال مذهبهم الفاسد ببيان
مبناه الذي هو الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا وانهم
لكاذبون في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتدأ محذوف
اي الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان

استلزامهم

لاستلزامهم لامرين الاستحالة وهو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ
صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرآن عليه و
بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى الى آخره تعسف بعيد ما لكم كيف
تحكمون بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول افلا تذكرون بحذف احدى
التاءين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي الا تلاحظون
ذلك فلا تتذكرون بطلانه فانه مركوز في عقل كل زكي وغبي ام لكم سلطان مبين
اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود اصلا اي بل الكم حجة واضحة
نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته تعالى ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسي او عقلي
حيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي فأتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم ان كنتم صادقين
فيها وفي هذه الآيات من الانباء على السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد
لاباطيلهم وتسفيه احلامهم وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزاء بهم والتعجيب من جهلهم ما لا
يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفات الى الغيبة
للايذان بانقطاعهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم وتحكى جناياتهم لآخرين
والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن
طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع
عظم شأنهم فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم فجعلهم ههنا عبارة عن قولهم
الملائكة بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
اي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة ان الكفرة
لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان
الذين يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون
بانهم معذبون لاجله حكما مؤكدا وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله تعالى
هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام
الرازي وهذا القول عندي اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن وقال مجاهد
قالت قريش الملائكة بنات الله تعالى فقال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فمن امهاتهم فقالوا
سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى
الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز ان يكون الضمير في انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد
علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى او شركاء في استحقاق
العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول لقوله تعالى سبحان الله عما يصفون حكاية لتنزيه الملائكة اياه
تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى الا
عباد الله المخلصين شهادة منهم ببراءة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئهم منه
بحكم الله اياهم في زمرة المخلصين على ابلغ وجه واكده على انه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه
قيل ولقد علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله
الذين نحن من جملتهم براء من ذلك الوصف وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين
تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين عما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب
لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه

ايذان بتبريهم عنهم وعن عبادتهم لقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافيتوا تهم خطاب لهم
ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته اي افسدها
والمعنى فانكم ومعبوديكم ما انتم عليه بفاتنين على الله تعالى بافساد عباده واضلالهم الا
من هو صال الجحيم منهم اي داخلها بقوله تعالى بالاصرار على الكفر بسوء اختياره ويصير من
اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم فانتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لا يحومون حول من
يفتنونكم وقد يسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه وقرئ صال بضم اللام على انه جمع محمول
على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
تبيين لجلية امرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا
وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واظهار لقصور شأنهم وكمالهم اي وما منا احد
الا وله مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله عز وجل مقصور عليه لا يتجاوزه ولا
يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه
وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في السموات موضع شبر الا عليه ملك يصلي
او يسبح وروي انه قال عليه الصلاة والسلام اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها
موضع اربع اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وقال السدي الا له مقام معلوم في القربة
والمشاهدة وانا لنحن الصافون في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة وانا لنحن المسبحون المقدسون لله
سبحانه عن كل ما لا يليق بجنابه وتحلية الكلام بفنون التأكيد لما ان صدوره عنهم بكمال الرغبة
والنشاط هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الآية الكريمة وتعلقها وجوه اخر فتأمل
والله الموفق وان كانوا ليقولون ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة اي
ان الشأن كانت قريش تقول لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين من التوراة والانجيل
لكنا عباد الله المخلصين اي لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن
جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم والفاء في قوله تعالى فكفروا به فصيحة كما في قوله تعالى
فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق اي فجاءهم ذكر اي ذكر واي ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر
الكتب والاسفار فكفروا به فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وغائلته ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اي وبالله لقد
سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع المرسلين
لهم الغالبون على اعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة
امرهم واساسه النصر والظفر وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت
معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها في معنى واحد وقرئ كلماتنا فتول عنهم فاعرض
عنهم واصبر حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم
على سوء حال وافظع نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كأنه
بين يديه فسوف يبصرون ما يقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد افبعذابنا يستعجلون
روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم اي فاذا نزل العذاب الموعود
بفنائهم كأنه جيش قد هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل
المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور

وقرئ نزل

وقرئ نزل لهم مبنيا للمفعول من التنزيل اي نزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين
صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثر منهم الغارة
في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت ليلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين
الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر
انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن المفعول
من الايذان بان ما يبصره عليه الصلاة والسلام من فنون المسار وما يبصرونه من انواع المساءة لا يحيط به
الوصف والبيان وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما
يصفون تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجنابه الكريم مما حكي عنهم في السورة
الكريمة وما لم يحك من الامور التي من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمة الله السابقة لعبده ورسوله
صلى الله عليه وسلم كما يجنب عنه ما لم يتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية
مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام اولا والى العزة ثانيا كأنه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك
ومالك العزة والغلبة على الاطلاق وعما يصف المشركون به من الاشياء التي منها ان لن يحق عليهم ما بدا
على ما سبق لهم بالعذاب وقوله تعالى وسلام على المرسلين تشريف لهم عليهم الصلاة والسلام
بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب
وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه
على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية واشعار باستتباعها التي من جملتها افاضته عليهم من فنون
الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من فنون الانعام الظاهرة
والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان ما وعده عليه الصلاة والسلام من النصرة والغلبة قد
تحقق والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط
بينهم وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين
بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم
عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد عن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة
فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني
وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص ثمان وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز
ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موقع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر او اقرأ
لا فتحا كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قال
صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر امر من المصاداة وهي المعارضة ومنها
الصدى الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل
باوامره وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه وان جعل اسما للحرف فهو مسرود على نهج التحدي او الرمز الى
كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن كبار السلف او اسم السورة فهو خبر لمبتدأ محذوف او نصب على اضمار

اذكر أو اقرأ أو أنه من المصاداة قالوا وفي قوله تعالى **والقرآن ذي الذكر** للقسم وإن جعل مقسماً به
فهي للعطف عليه فإن أريد بالقرآن الكل فالمغايرة بينهما حقيقية وإن أريد عين السورة فهي اعتبارية
كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة وأيا ما كان ففي التنكير من مزيد التأكيد لمضمون الجملة
المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة
أو ذكر ما يحتاج إليه في أمر الدين من الشرائع والأحكام وغيرها من أقاصيص الأنبياء عليهم الصلوة
والسلام وأخبار الأمم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الأول والثاني محذوف الخامس
هو ما ينبئ عنه التحدي والأمر والإقسام به من كون المتحدى به معجزاً أو كون المأمور به واجباً أو كون المقسم به
حقيقاً بالإعظام أي أقسم بالقرآن أو بصاد أي إنه لمعجز أو لواجب العمل به أو لحقيق بالإعظام وأما
على الوجه الباقي فهو الكلام المرتب عليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فإن التسمية تنويه بشأن
المسمى وتنبيه على عظم خطره أي إنه لصادق والقرآن ذي الذكر أو هذه السورة عظيمة الشأن والقرآن الخ
على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الأجوبة منبئاً عن انتفاء الريب
عن مضمونه بالكلية أنبأ بيانا كان قوله تعالى **بل الذين كفروا في عزة وشقاق** لضربا
عن ذلك كأنه قيل لا ريب فيه قطعاً وليس عدم إذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه بل هم في
استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب
ما دل عليه الجملة الإضرابية أي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا الخ وقرئ
في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي الإيمان ودواعيه **كم أهلكنا من قبلهم
من قرن** وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول أهلكنا
ومن قرن تمييز والمعنى قرناً كثيراً أهلكنا من القرون الخالية **فنادوا** عند نزول بأسنا
وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى **ولات حين مناص** حال من
ضمير نادوا أي نادوا واستغاثوا طلباً للنجاة والحال أن ليس الحين حين مناص أي فوت ونجاة
من ناصه أي فاته لا من باص بمعنى تأخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما
زيدت على رب وثم وخصت بنفي الأحيان ولم يبرز إلا أحد معموليها والأكثر حذف اسمها وقيل
هي النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان وحين مناص منصوب على أنه اسمها
أي ولا حين مناص لهم وقيل منصوب بإضمار فعل أي ولا أرى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الأول اسمها
والخبر محذوف أي ليس حين مناص حاصلاً لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر أي ولا حين
مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن لات حين
بقاء إما لأن لات تجر الأحيان كما أن لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك في هذا العام لم أحجج
أو لأن أوان شبه بإذ في قوله نهيتك عن طلابك أم عمرو بعافية وأنت إذ صحيح في أنه
زمان قطع منه المضاف وعوض التنوين لأن أصله أوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلاً لقطع
المضاف إليه من مناص إذ أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم
بني الحين لإضافته إلى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير وتقف الكوفيون عليها بالهاء كالأسماء
والبصريون بالتاء كالأفعال وما قيل من أن التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الإمام فلا وجه
له فإن خط المصحف خارج عن القياس **وعجبوا أن جاءهم منذر** منهم حكاية لأباطيلهم المتفرعة على
ما حكي من استكبارهم وشقاقهم أي عجبوا من أن جاءهم رسول من جنسهم بل أدون منهم في الرياسة
الدنيوية والمال على معنى أنهم عدوا ذلك أمراً عجيباً خارجاً عن احتمال الوقوع وأنكروه أشد الإنكار

لا أنهم

لا أنهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه **وقال الكافرون** وضع فيه الظاهر موضع المضمر غضباً عليهم
وإيذاناً بأنه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه إلا المتوغلون في الكفر والفسوق **هذا ساحر** فيما يظهره من
الخوارق **كذاب** فيما يسنده إلى الله تعالى من الإرسال والإنزال **أجعل الآلهة إلهاً واحداً** بأن نفى الألوهية
عنهم وقصرها على واحد **إن هذا لشيء عجاب** بليغ في العجب فإنه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم
الذين أجمعوا على ألوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابراً عن كابر فإن مدار كل ما يأتون وما يذرون من
أمور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما خالف ما اعتادوه عجيباً بل محالاً وأما جعل مدار
تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالأشياء الكثيرة فلا وجه له لأنهم لا يدعون أن لآلهتهم علماً
وقدرة ومدخلاً في حدوث شيء من الأشياء حتى يلزم من نفي ألوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ
عجاب بالتشديد وهو أبلغ ككرام وكرام روي أنه لما أسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع
خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء
السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن
أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني
قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم
أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشراً فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا
وقالوا ذلك **وانطلق الملأ منهم** أي وانطلق الأشراف من قريش عن مجلس أبي طالب بعدما بكتهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه الصلوة والسلام في الدين وعزيمته على أن يظهره
على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط أبي طالب من المصالحة على الوجه المذكور **أن امشوا** أي قائلين
بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا **واصبروا على آلهتكم** أي واثبتوا على عبادتها متحملين لما
تسمعونه في حقها من القدح وأن هي المفسرة لأن الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق
الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل أي اجتمعوا وأكثروا
وقرئ امشوا بغير أن على إضمار القول وقرئ يمشون أن اصبروا **إن هذا لشيء يراد** تعليل للأمر بالصبر
أو لوجوب الامتثال به أي إن هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد ونفي آلهتنا
وإبطال أمرها لشيء يراد أي من جهته عليه الصلوة والسلام إمضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو امتنان فاقطعوا
أطماعكم عن استنزاله إلى ما تريدون بوساطة أبي طالب وشفاعته وحسبكم أن لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية
فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل إن هذا الأمر لشيء يريده الله
تعالى ويحكم بإمضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر وقيل إن هذا الأمر لشيء
من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل إن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا
عليه وقيل إن هذا الذي يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى
أو يريده كل واحد فتأمل في هذه الأقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل **ما سمعنا بهذا** الذي
يقوله **في الملة الآخرة** أي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فإنهم مثلثة أو في الملة التي أدركنا عليها
آباءنا ويجوز أن يكون حالاً من هذا أي ما سمعنا من أهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائناً في الملة
المترقبة ولقد كذبوا في ذلك أقبح كذب فإن حديث البعثة والتوحيد كان أشهر الأمور قبل الظهور **إن هذا
إلا اختلاق** أي كذب اختلقه **أأنزل عليه الذكر** أي القرآن **من بيننا** ونحن رؤساء الناس وأشرافهم
كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم إنكار كونه ذكراً منزلاً من الله عز وجل كقولهم

ثم تخبيرهم ما سبقوا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر
النظر على الحطام الدنيوي **بل هم في شك من ذكري** اي من القرآن او من الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم
عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيته وليس في عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام
ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق **بل لما يذوقوا عذاب** اي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه
تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان تذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى
يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه **ام عندهم خزائن رحمة ربك**
العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من
يشاؤون ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى
ان النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز
الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ
عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله
تعالى **ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما** ترشيح لما سبق اي بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية
والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا في التدابير الالهية التي يستأثر بها رب العزة
والكبرياء وقوله تعالى **فليرتقوا في الاسباب** جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ما ذكر من الملك
فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم
وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب في الاصل
هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقيل ابوابها **جند ما هنالك**
مهزوم من الاحزاب اي جند من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون
ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئا ما وقيل
للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الى آخره استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال
العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد
معناه ذو الملك الثابت اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة
واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد
معناه ذوي الملك الثابت اصله من ثبات البيت وذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا
كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا
ويتركه حتى يموت وقيل كان يشده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل
كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه **وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة** اصحاب الغيضة من قوم شعيب
عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى **اولئك الاحزاب** اما بدل من الطوائف المذكورة كما ان ذلك كان
بدلا من الم على احد الوجوه وفيه فضل تأكيد وتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى
ان كل الا كذب الرسل استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه اي ما كل
احد من آحاد اولئك الاحزاب او ما كل حزب منهم الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وانما ما كل
فالاستثناء مفرغ من اعم العام في خبر المبتدأ اي ما كل احد منهم محكوما عليه بحكم الا محكوما عليه
بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبرا عنه بانه كذب الرسل وفي اسناد التكذيب الى
الطوائف المذكورة على وجه الابهام اولا والايذان بالكل منهم ضرب على جباه السخرية على رسولهم ثانيا

وتبيين

وتبيين لكيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا وفيه من المبالغة ما لا يخفى مسجلة عليهم باستحقاق
اشد العذاب وافظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى **فحق عقاب** اي ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي
كانت توجبه جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة في مواقعها واما مبتدأ وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل
خبره بحذف العائد اي ان كل منهم الى آخره والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان
كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبره والمعنى ان
الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر واما ما قيل
من انه خبر والمبتدأ قوله وعاد الى آخره او قوله وقوم لوط الى آخره فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله **وما**
ينظر هؤلاء شروع في بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اضرابهم من الاحزاب الذين اخبر فيما
سبق بانهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه لبيانه
قطعا وفي الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشانهم وتهوين لامرهم ومن جعلها اشارة الى الاحزاب
باعتبار حضورهم بحسب الذكر او حضورهم في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال لان التكييف
لا والانتظار سواء كان تحقيقيا او استهزائيا انما يتصور في حق من لم يترتب على اعماله نتائجها
بعد وقد بين عقاب الاحزاب واستيصالهم بالمرة ولم يبق منهم ديار فمن عقوبات بهم ومستطوم
وانما الذي في مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم وكبائر الجرائر
الموجبة لاشد العقوبات مثل ما ارتكبه الاحزاب او اشد منه وما تلقوا بعد شيئا من غوائلها
اي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم امثال اولئك الطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب **الا صيحة**
واحدة هي النفخة الثانية لا بمعنى ان عقابهم نفسها بل بمعنى انها داهية
يهولها جميع الامم برمتها وفواجعها بل بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العقاب
الفظيع الا هي حيث اخرت عقوبتهم الى الآخرة لما ان تعذيبهم بالاستيصال حسبما يستحقونه
والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن السنة الالهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق
به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما ما قيل من انها النفخة الاولى فمما لا
وجه له اصلا لما انه لا يشاهدون هولها ولا يصعقون بها الا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم
الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق منجزا اليها بل يحل بهم من حين موتهم **ما لها من**
فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى **وقالوا ربنا عجل**
لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم الى الآخرة اي قالوا
بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره الى يوم الحساب
الذي مبتداه الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة
الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها
وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزؤ
عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان في الاستهزاء كانهم يدعون
ذلك بكمال الرغبة والابتهال **اصبر على ما يقولون** من امثال هذه المقالات الباطلة **واذكر**
عبدنا داود اي وتذكر قصته تهويلا لامر المعصية في اعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح
ما انهمكوا عليه من المعاصي فانه عليه الصلاة والسلام مع علو شانه واختصاصه
بعظائم النعم والكرامات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض
حتى تفطن فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب وهذه

الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الأذلين من كل ذليل المرتكبين لكل كبيرة المصرين على عظائم المعاصي وتذكر قصته عليه الصلاة والسلام وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذيتهم لئلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة **ذا الأيد** أي ذا القوة في الدين فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل **إنا سخرنا الجبال معه** استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين وأوابيته إلى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وإيثاره على اللام لما أشير إليه في سورة الأنبياء من أن تسخير الجبال له عليه الصلاة والسلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها إليه عليه الصلاة والسلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه الصلاة والسلام بل بطريق التبعية له عليه الصلاة والسلام والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو قريب بالنسبة إلى ما في سورة الأنبياء **يسبحن** أي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له ويخلق الله تعالى فيها الكلام أو بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال واستئناف مبين لكيفية التسخير **بالعشي والإشراق** أي وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ رضي الله تعالى عنها أنه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الإشراق وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية **والطير** عطف على الجبال **محشورة** حال من الطير والعامل سخرنا أي وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية **كل له أواب** استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه إجمالا من تسبيح الطير أي كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح ووضع الأواب موضع المسبح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع إلى التسبيح لأنه يرجع الفعل رجعا بعد رجع وأما لأن الأواب هو التواب الكثير الرجوع إلى الله تعالى ومن دأبه إكثار الذكر وإدامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله تعالى أي كل من داود والجبال والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح **وشددنا ملكه** قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحى الله إليه في المنام أن اقتل المدعى عليه فتأخر فأعيد الوحي في اليقظة فأعلم الرجل فقال إن الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكني قتلت أبا هذا غيلة فقتله فقال الناس إن أذنب أحد ذنبا أظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته في القلوب **وآتيناه الحكمة** النبوة وكمال العلم وإتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة **وفصل الخطاب** أي فصل الخطاب بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإضمار والإظهار والحذف والتكرار ونحوها وإنما سمي به أما بعد لأنه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه إيجاز مخل ولا إطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبي صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر **وهل أتاك نبأ الخصم** استفهام معناه التعجيب والتشويق إلى استماع ما في حيزه لإيذانه بأنه من الأنباء البديعة التي حقها أن تشيع بين كل حاضر وباد والخصم في الأصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجمع كالضيف ومعنى خصمان فريقان **إذ تسوروا المحراب** أي تصعدوا سوره ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع

أي ذي القوة في الطاعات [illegible] **إنه أواب** [illegible]

لابس

ونظيره تسنمه إذ علا سنامه وتذرّاه إذ علا ذروته وإذ متعلق بمحذوف أي نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا أو بالنبأ على أن المراد به الواقع في عهد داود عليه الصلاة والسلام وأن إسناد الإتيان إليه على حذف مضاف أي قصة نبأ الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا بأتى لأن إتيانه الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى **إذ دخلوا على داود** بدل مما قبله أو ظرف لتسوروا **ففزع منهم** روي أنه تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا ولحق بهما من معهما من الملائكة فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لأنهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وفي غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن داود عليه الصلاة والسلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير **قالوا** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فماذا قال الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه عليه الصلاة والسلام فقيل قالوا إزالة لفزعه **لا تخف خصمان** أي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما **بغى بعضنا على بعض** هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه **فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط** أي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط أي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها بمعنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق **واهدنا إلى سواء الصراط** أي وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وإرشاده إلى منهاج العدل **إن هذا أخي** استئناف لبيان ما فيه الخصومة أي أخي في الدين أو في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه **له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة** هي الأنثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض أبلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة بسكون الياء **فقال أكفلنيها** أي ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي أي نصيبي **وعزني في الخطاب** أي غلبني في مخاطبته إياي محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر على رده أو في مغالبته إياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني أي غالبني وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كأنه قيس على ظلت ومست **قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه** جواب قسم محذوف قصد به عليه الصلاة والسلام المبالغة في إنكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع أن له قطيعا منها ولعله عليه الصلاة والسلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه أو بناء على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر بإلى لتضمنه معنى الإضافة والضم **وإن كثيرا من الخلطاء** أي الشركاء الذين خلطوا أموالهم **ليبغي** ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة **بعضهم على بعض** غير مراع لحق الصحبة والشركة **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** منهم فإنهم يتحامون عن البغي والعدوان **وقليل ما هم** أي وهم قليل وما مزيدة للإبهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض **وظن داود أنما فتناه** الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة أي علم بما جرى في مجلس الخصومة وقيل لما قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك ثم صعدا إلى السماء حيال وجهه فعلم عليه الصلاة والسلام أنه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه دون

وقرئ [illegible] نعجة [illegible]

غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى الفعل بالقياس الى مفعوله الآخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على
توجيه القصر الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيها والاثبات فيما وراءها كما في مثل قولك انما ضربت
زيدا وانما ضربته تاديبا بل على تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس
الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل فانه
غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يفاد به من المعنى
المخصوص فان لكل فعل من الافعال المخصوصة يحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل
الى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك
الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل
باعتبار النفي فيه من الاشتراك فيما يتعلق بمعناه المخصوص كانه قيل وعلم داود انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل
ابتليناه بامرأة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق
التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ فان التامل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم
تاثيرا في قلبه وادعى الى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه الصلاة والسلام بترك المجاهرة
والاشعار بانه امر يستحيي من التصريح به وتصوير المقالة لالجائه عليه الصلاة والسلام الى التصريح
بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه عليه الصلاة والسلام على ان اوريا بصدد الخصام فاستغفر
ربه اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب وخر راكعا اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدأه
او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب اي رجع الى الله تعالى بالتوبة
واصل القصة ان داود عليه الصلاة والسلام راى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله
ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليه الصلاة والسلام وكان ذلك جائزا
في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته
فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا
انه عليه الصلاة والسلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شانه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي
له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها
مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا
تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه الصلاة والسلام فآثره عليه الصلاة والسلام اهلها
فكان ذنبه عليه الصلاة والسلام ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه الصلاة
والسلام دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة
من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة
جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو
صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى
يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح الله على يديه وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه
خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه
تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال علي رضي
الله عنه من حدث بحديث داود عليه الصلاة والسلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين
وذلك حد الفرية على الانبياء عليهم الصلاة والسلام هذا وقد قيل ان قوما قد قصدوا ان يقتلوه عليه الصلاة
والسلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده قوما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه الصلاة

والسلام غرضهم

والسلام غرضهم فهم ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به
واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وروي انه عليه الصلاة والسلام بقي ساجدا اربعين
يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلاة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب حول راسه
ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك
عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل
فلما غفر له حاربه فهزمه وان له عندنا لزلفى لقربة وكرامة بعد المغفرة وحسن مآب حسن
مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اما حكاية لما خوطب به عليه الصلاة
والسلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله
اي وقلنا له او قائلين له يا داود الخ اي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها
او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله عليه الصلاة
والسلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تعالى فان
الخلافة تقتضيه حتما ولا تتبع الهوى اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من
امور الدين والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على
النهي مفتوح لالتقاء الساكنين اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها
على الحق تشريعا وتكوينا وقوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله تعليل لما قبله ببيان غائلته
واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه لهم عذاب
شديد جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه
من الاستقرار بما نسوا بسبب نسيانهم وقوله تعالى يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون
تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعليته بما يستتبعه
ويستلزمه من الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده او ظرف
لقوله تعالى لهم اي لهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن
ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به عين التعليل المشعر به بالذات
غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر الشريف قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان
تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
كلام مستأنف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات
على هذا النظام البديع الذي يحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغايات الجليلة والحكمة
الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها
منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفاقية وانفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد
بها ثم لم نقتصر على ذلك القدر من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل
دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية وعرضناها للتكليف المؤدي الى المنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة
وجزاء على حسب اعمالها ذلك اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اي
مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان
خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فويل للذين كفروا مبتدأ وخبر
والفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار
بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله من النار

تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار للويل
لهم صريحا بعد الاشعار بعليتها لما ادى اليها من ظنهم وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم
وكفرهم ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة وما
فيها من معنى بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق
العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين
ونفيها على ابلغ وجه وآكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما
يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة اوفر
حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين
ورد الآخرين الى اسفل سافلين ام نجعل المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر
بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر
منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا
يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين
آخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا
نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت كتاب خبر مبتدا محذوف هو عبارة عن القرآن او السورة
وقوله تعالى انزلناه اليك صفة وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتدا او صفة لكتاب عند من
يجوز تاخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير
المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى ليدبروا آياته متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا في
آياته التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني
الفائقة والتاويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي انت وعلماء
امتك بحذف احدى التاءين وليتذكر اولوا الالباب اي وليتعظ به ذووا العقول السليمة
او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان
الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه ووهبنا لداود
سليمان نعم العبد وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تاخيره عن داود مع كونه مفعولا
صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى انه اواب اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع له تعليل
للمدح وهو من حاله لان الضمير المجرور في قوله تعالى اذ عرض عليه للرجوع اليه عليه الصلاة والسلام
قطعا واذ منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه بالعشي هو من الظهر الى آخر النهار
الصافنات فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتاخير الصافنات عن الظرفين
لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من
الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يتفق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما
الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم الجياد جمع جواد وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود
عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية
اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل جمع
جيد روي انه عليه الصلاة والسلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه
من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه
فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه

فلم يعلموه

فلم يعلموه فاغتم لذلك فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى وبقي مائة فما في ايدي
الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله تعالى خيرا منها وهي الريح تجري بامره
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي قاله عليه الصلاة والسلام عند غروب الشمس
اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر
بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتاكيد للدلالة على ان
اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل احببت ان يتعدى بعلى لانه بمعنى آثرت
لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وحب الخير مفعوله كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي
ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عليه الصلاة والسلام ويحتمل
انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه الصلاة والسلام الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة
وقرئ اني حتى توارت بالحجاب متعلق بقوله تعالى احببت باعتبار استمرار ذلك حتى توارت اي
غربت الشمس تشبيها لغروبها في مغربها بتواري المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة
العشي عليها وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بالليل اي بظلامه ردوها علي
من تمام مقالة سليمان عليه الصلاة والسلام ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه
له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كان سائلا قال فماذا قال سليمان فقيل قال
ردوها فتامل والفاء في قوله تعالى فطفق مسحا فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت
ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اي فردوها عليه فاخذ يمسح بالسيف
بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب عنقه وقيل جعل يمسح
بيده اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس كذلك وقرئ بالسؤق على همز الواو لضمتها كما في ادؤر
وقرئ بالسؤوق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس
ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اظهر ما قيل في فتنته عليه الصلاة والسلام
ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل
ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا
في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم بذلك فكان يغذوه في السحاب
فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وجل وقيل انه غزا صيدون
من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس واصطفاها لنفسه فاسلمت
واحبها وكان لا يرقى دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت تغدو اليها وتروح مع
ولائدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده
وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى باكيا متضرعا وكان له ام ولد يقال لها الامينة اذا دخل للطهارة
او لاصابة امرأة يضع عندها خاتمه وكان ملكه فيه فوضعه عندها يوما فتمثلت لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ
الخاتم وتختم به وجلس على كرسيه واجتمع اليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن
هيئته فاتاها لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على
البيوت يتكفف الناس واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم
السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر
آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت
في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر

فجعله فيها وسد عليه بالخزف ثم أوثقهما بالحديد والرصاص فقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة
عن صخر سمي به وهو جسد لا روح فيه لأنه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه الصلاة والسلام
عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل لم يكن محظوراً حينئذ والسجود للصورة بغير علم منه لا يضره قال بدل
من أناب وتفسير له رب اغفر لي أي ما صدر عني من الزلة وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي
لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فإنه عليه الصلاة والسلام لما نشأ في بيت الملك
والنبوة وورثهما معاً استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما أو لا ينبغي لأحد أن يسلبه مني بعد هذه
السلبة أو لا يصح لأحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال على إرادة وصف
الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكاً عظيماً فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ
على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين جرياً على سنن
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكون ذلك أدخل في الإجابة وقرئ بفتح الياء إنك أنت الوهاب
تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معاً لا بالأخيرة فقط فإن المغفرة أيضاً من أحكام الوهابية قطعاً
فسخرنا له الريح أي فذللناها لطاعته إجابة لدعوته فعاد أمره عليه الصلاة والسلام إلى ما كان
عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح تجري بأمره بيان لتسخيرها له رخاء أي لينة من الرخاوة طيبة
لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد حيث أصاب أي حيث قصد وأراد حكى الأصمعي عن العرب
أصاب الصواب فأخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل من الشياطين
وآخرين مقرنين في الأصفاد عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كأنه عليه الصلاة والسلام
إلى عمال فمنهم من استعملهم في الأعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك وإلى مردة قرن بعضهم مع بعض
في السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل أجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها دون
على الأعمال الصعبة وقد جوز أن يكون الإقران في الأصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل
والصفد القيد وسمي به العطاء لأنه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده
أعطاه على عكس وعد وأوعد قوله تعالى هذا إلخ إما حكاية لما خوطب به سليمان عليه الصلاة
والسلام مبينة لعظم شأن ما أوتي من الملك وأنه مفوض إليه تفويضاً كلياً وإما مقول القول
مقدر هو معطوف على سخرنا أو حال من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عليه الصلاة والسلام
وقلنا له أي قلنا تلقى له هذا الذي أعطيناك من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط
عليه غيرك عطاؤنا الخاص بك فامنن أو أمسك فأعط من شئت وامنع من شئت بغير
حساب حال من المستكن في الأمر أي غير محاسب على منه وإمساكه أو صلة له وما بينهما لتفويض التصرف
فيه إليك على الإطلاق أو من العطاء أي هذا عطاؤنا ملتبساً بغير حساب لغاية كثرته أو صلة له
وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الإشارة إلى تسخير الشياطين والمراد بالمن والإمساك الإطلاق
والتقييد وإن له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة
قيل فتن عليه الصلاة والسلام بعدما ملك عشرين سنة وذكر الفقيه أبو جعفر أحمد بن داود
الدينوري في تاريخه أن سليمان عليه الصلاة والسلام ورث ملك أبيه في عصر كيخسرو بن سياوش
وسار من الشام إلى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب إلى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان
إلى مرو ثم إلى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف إلى أن وافى بلاد فارس فنزلها أياماً
ثم عاد إلى الشام ثم أمر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار إلى تهامة ثم إلى صنعاء وكان من حديثه
مع صاحبتها ما ذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب الأندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى أعلم واذكر

عبدنا أيوب

عبدنا أيوب عطف على واذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان عليه الصلاة والسلام
بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما الصلاة والسلام وأيوب عليه الصلاة والسلام
هو أيوب بن عيص بن إسحاق عليهما الصلاة والسلام إذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا عطف
بيان له أني بأني مسني الشيطان بفتح الياء بأني مسني وبإسكانها وإسقاطها بنصب بتعب
وقرئ بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل وعذاب أي ألم ووصب يريد مرضه وما كان
يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر في قوله تعالى أني مسني الضر وهو حكاية لكلامه
الذي ناداه به بعبارته وإلا لقيل إنه مسه إلخ والإسناد إلى الشيطان إما لأن الله تعالى
مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل إنه أعجب بكثرة ماله أو استغاثه مظلوم فلم يغثه أو كانت
مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه أو لامتحان صبره فيكون اعترافاً بالذنب أو
مراعاة للأدب أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو لأن المراد بالنصب
والعذاب ما كان يوسوس إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على
الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر
الجميل وليس هذا بتمام دعائه عليه الصلاة والسلام لأن من جملته قوله وأنت أرحم الراحمين فاكتفي
هاهنا عن ذكره بما في سورة الأنبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر هاهنا قوله تعالى
اركض برجلك إلخ إما حكاية لما قيل له أو مقول للقول المقدر معطوف على نادى أي فقلنا له اركض
برجلك أي اضرب بها الأرض قوله تعالى هذا مغتسل بارد وشراب فإنه أيضاً إما حكاية لما
قيل له بعد امتثاله بالأمر ونبوع الماء أو مقول للقول المقدر معطوف على مقدر ينساق إليه الكلام كأنه
قيل فضربها فنبعت عين فقيل له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك
وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم قوله تعالى ووهبنا
له أهله معطوف على مقدر ينسحب عليه مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفاً كأنه قيل فاغتسل وشرب
فكشفنا ما به من ضر كما في سورة الأنبياء ووهبنا له أهله إما بإحيائهم بعد هلاكهم وهو المروي
عن الحسن أو بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل ومثلهم معهم عطف على أهله فكان له من الأولاد
ضعف ما كان له من قبل رحمة منا أي رحمة عظيمة عليه من قبلنا وذكرى لأولي
الألباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا إلى الله عز وجل كما
لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثاً معطوف على اركض
أو على وهبنا بتقدير قلنا أي وقلنا خذ بيدك إلخ والأول أقرب لفظاً وهذا أنسب
معنى فإن الحاجة إلى هذا الأمر لا تكون إلا بعد الصحة فإن امرأته رحمة بنت أفرائيم بن
يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه الصلاة والسلام
ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف إن برئ ليضربنها مائة ضربة فأمره الله تعالى بأخذ الضغث
والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس قبضة من الشجر وقال فاضرب به
أي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فإن البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة
رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب أن يصيب المضروب
كل واحد من المائة إما بأطرافها قائمة أو بأعراضها مبسوطة على هيئة الضرب إنا وجدناه
صابراً فيما أصابه في النفس والأهل والمال وليس في شكواه إلى الله عز وجل إخلال بذلك فإنه
لا يسمى جزعاً كتمني العافية وطلب الشفاء على أنه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان

الشيطان يوسوس الى قومه لو كان نبيا لما ابتلي بما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه عليه الصلوة والسلام قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم اكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله تعالى عنه نعم العبد اي نعم ايوب انه اواب تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحاق ويعقوب عطف بيان وقيل ابدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيات تعطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر عن الايدي بالاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ لهم على تركهم المجاهدة والتامل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين اي بخصلة خالصة عظيمة الشان كما يبين عنه التبيين في قوله تعالى ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اي تذكرهم الدار الاخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما ياتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتيسر ذلك الا في الاخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى فالخالصة مصدر ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكراها بهم آخر اصلا او تذكيرهم الاخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شان الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما في قول من قال رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كان اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين علم عجمي دخل عليه عليه الصلوة والسلام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من انبياء بني اسرائيل من القتل فاواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اي وكلهم من الاخيار المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الايات الناطقة بمحاسنهم ذكر اي شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على انباء الانبياء وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء وان للمتقين لحسن مآب شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل غب بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو نحو من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال جنات عدن عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن او بدل منه

او نصب على المدح وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو راي البصريين اي الابواب منها او الالف واللام القائم مقامه كما هو راي الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما خبران لمحذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة متكئين فيها حال من لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استيناف لبيان ما لهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران ارسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم في وقت واحد وقوله تعالى هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات ليوفق مقام الامتنان والتكريم ان هذا اي ما ذكر من انواع النعم والكرامات لرزقنا اعطيناكموه ما له من نفاد انقطاع ابدا هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا ذكر وقوله تعالى وان للطاغين لشر مآب شروع في بيان اضداد الفريق السابق جهنم اعرابه كما سلف يصلونها اي يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه هذا مبتدأ خبره حميم وغساق وما بينهما اعتراض وهو على الاول خبر مبتدأ محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة بالمشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت منه قطرة بالمغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين وآخر من شكله اي ومذوق آخر او عذاب آخر من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخر اي ومذوقات اخر او انواع عذاب اخر وتوحيد ضميره بتاويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو الغساق ازواج اي اجناس وهو خبر لاخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج او صفة للفوج او حال منه او مقول في حقهم لا مرحبا بهم او لا رحبت بهم الدار مرحبا انهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا الى هنا كلام الرؤساء في حق اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع قالوا اي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجد في خطابهم الرؤساء في قولهم بل انتم لا مرحبا بكم الخ على الجهتين الاخيرتين ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم الخ قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة في قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اي بل انتم احق بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اي انتم قدمتم العذاب او الصلي لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة

وتزيينهما في اعيننا واغوائنا ايانا عليهما لا انا باشرناهما من تلقاء انفسنا فبئس القرار اي فبئس
المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم قالوا اي الاتباع ايضا وتوسيط قال بين
كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى
الله تعالى ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار كقوله ربنا هؤلاء اضلونا
فآتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا مضاعفا اي ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله
ويكون ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعي وقالوا
اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا
يسترذلونهم ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا بغير همزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل
والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتأنيبا لها في الاستسخار ام زاغت
عنهم الابصار متصل باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار
منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم فان ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد
من الفعلين على انفسهم توبيخا لها وعلى انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت عنهم ابصارنا
كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو على توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضطراب والانتقال منه الى التوبيخ
على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تعالى ام زاغت
عنهم ابصارنا وهو فيهما وقد جوز ان تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين ان
ذلك اي الذي حكي من احوالهم لحق لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى تخاصم اهل النار خبر مبتدأ
محذوف والجملة بيان لذلك وفي الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل
بدل من حق او عطف بيان له وقرئ بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة فقد قيل عليه ان
اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل قل يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين انما انا منذر من جهته تعالى انذركم عذابه وما من اله في
الوجود الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة اصلا القهار لكل شيء سواه رب السموات والارض
وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك فيها العزيز الذي لا يغلب في امر من
اموره الغفار المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد
والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والعزة
وتقديمهما على وصف المغفرة التوفيقية بمقام الانذار قل تكرير الامر للايذان بان المقول
امر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به امرا وايتمارا هو اي ما انبأتكم به من اني منذر
من جهته تعالى وانه تعالى واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة وقيل ما بعده
القرآن وما ذكر فيه مجملا او فيما سيشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد
وقتادة نبأ عظيم وارد من جهته تعالى وقوله تعالى انتم عنه معرضون استئناف نعي عليهم
بصنيعهم ببيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا
للاقبال الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اخرى لنبأ وقوله تعالى ما كان لي من
علم بالملأ الاعلى الخ استئناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ
من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك
حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر انبائه ايضا كذلك والملأ
الاعلى هم الملائكة وآدم عليه الصلاة والسلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى اذ يختصمون

منقول

متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفي علمه عليه الصلاة والسلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير
ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما قدره
الجمهور ويخل بالواسع فان علمه عليه الصلاة والسلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط
بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار
العموم في نفيه ايضا لا محالة قوله تعالى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين اجمال
اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه الصلاة والسلام وتعيينا لسببه الا ان ذكر نفيه فيما سبق لما كان
منبئا عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملابسته عليه الصلاة والسلام بشيء من مباديه المعهودة تعين
انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة
والمقصود اخباره ما هو داع الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر في ضمن تحقيق علمه عليه
الصلاة والسلام بقصة الملأ الاعلى فالقائم مقام الفاعل يوحى اما ضمير عائد الى الحال المقدر
او ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملأ الاعلى او ما يوحى الي ما يوحى من الامور الغيبية التي من
جملتها حالهم الا انما انا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه عليه الصلاة والسلام كذلك من
دواعي الوحي عليه وموجباته حتما واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور وهو انما انا نذير
مبين بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الي الا للانذار او ما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط
في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للانذار في الاول وقصره
على الانذار في الثاني فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون
اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ انما بالكسر على
الحكاية وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام الذي هو
ما جرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام
الى الملائكة بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه عليه الصلاة والسلام وللايذان
بان وحي هذا النبأ اليه تربية وتأييد له عليه الصلاة والسلام والكاف وارد باعتبار
حال الآمر لكونه ادل على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم الخ دون حال المأمور والا لقيل ربي لانه داخل في حيز الامر اني خالق
اي فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير
صارف يلويه ولا عاطف يثنيه بشرا اي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي
البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه
حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية
من طين لم يتعرض لاوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع اخر
فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل
طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء
بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها
اي فاذا اكملت استعداده وافضت عليه ما يحيا به من الروح التي هي من امري فقعوا له امر من
وقع وفيه دليل على ان المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين تحية
له وتكريما فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم

يبق منهم احد الا سجد اجمعون اي بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص
لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا فقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا
واما ان سجودهم هذا ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة
الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة
من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزي كما تقتضيه ما في سورة البقرة وما في سورة الاعراف
وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق
الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف الا ابليس استثناء متصل لانه واحد منهم او لان من الملائكة
جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تعالى استكبر على الاول استئناف مبين لكيفية
ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتأمل والتروي فيه وتحقق انه للاباء والاستكبار
وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس استكبر وكان من الكافرين اي وصار منهم بمخالفته
لامره واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله عز وجل قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي اي خلقته بالذات من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه الصلاة
والسلام المستدعي لاجلاله وتعظيمه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار
وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين المستحقين للتفوق وقيل
استكبرت الآن ام لم تزل مذ كنت من المستكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها
قال انا خير منه ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعارا بانه لا يليق
ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون
وقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه عليه الصلاة والسلام
ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة
الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر
الملائكة بسجوده عليه الصلاة والسلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة
في الارض وان له خواص ليست لغيره قال فاخرج منها الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين
من المخالفة للامر الجليل وتعليله بالاباطيل اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وهو المراد
بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عليه الصلاة والسلام لما كانت بعد
الطرد وقد بين كيفية وسوسته في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التي كنت فيها
وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد
ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى فانك رجيم تعليل للامر بالخروج اي
مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وان عليك لعنتي اي
ابعادي عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالى وان عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين
من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى فانهم يدعون عليه بلعنة الله وابعاده من الرحمة الى
يوم الدين اي يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هي انموذج
مما سيلقاه مستمرة الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى
يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل الا ترى الى قوله تعالى فاذن
مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى يلعن بعضهم بعضا قال رب فانظرني اي امهلني
واخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذ جعلتني رجيما فامهلني ولا تمتني الى يوم

يبعثون اي

يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره
وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين وورود الجواب بالجملة الاسمية
مع التعرض لشمول ما سأله للآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل واضح على انه
اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه وان استنظاره
كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك
معلوم من اضافة اليوم الى الدين اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه
حكمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم الذي قدره الله تعالى وعينه لفناء الخلائق وهو
وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار
بل لربط الاخبار به كما في قول من قال فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه
لربط ما في الشطر الاول من الاهلية القديمة بالرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية
للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء والاستنظار والانظار
تعويلا على ما ذكر ها هنا وفي سورة الحجر وان خطر بالبال ان لكل وجه من وجوه النظم الكريم فلا بد ان يكون له
مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي عن اللعين ما صدر عنه مرة ولذلك لم يقع الا
دفعة فمقام الانظار والاستنظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى
الحال والبالغ الى رتبة البلاغة وذروة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ
طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سبق تحقيقه في سورة الاعراف
بفضل الله تعالى وتوفيقه قال فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار
ولا ينافيه قوله تعالى رب بما اغويتني فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته
وحكم من احكام قهره وسلطنته فكان الاقسام بهما واحدا فلعل اللعين اقسم بهما جميعا
فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر اي فاقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين اي ذرية آدم
بتزيين المعاصي لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته
وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اي الذين اخلصوا قلوبهم واعمالهم لله
تعالى قال اي الله عز وجل فالحق والحق اقول برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر
محذوف المبتدأ ونصب الثاني على انه مفعول لما بعده وقدم عليه للقصر اي لا اقول الا الحق والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها اي فالحق قسمي لاملان جهنم على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض الباطل عظمه الله
تعالى باقسامه به فالحق او يكون الحق قوله تعالى لاملان جهنم الى آخره جواب لقسم محذوف
اي والله لاملان الخ وقوله تعالى والحق اقول على تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون
الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فالحق وقرئا منصوبين على ان
الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملان وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول
مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض
الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم ونصب الثاني على المفعولية
منك اي من جنسك من الشياطين وممن تبعك في الغواية والضلال منهم من ذرية آدم اجمعين
تأكيد للكاف وما عطف عليه اي لاملانها من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك
منهم لاملان جهنم منكم اجمعين وهذا هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ها هنا اتباع الشياطين اتضح مدار عدم الشبهة في قوله

ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة الشياطين بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليتدبر في ذلك
تنابيه القول فتدبر قل ما أسألكم عليه أي على القرآن أو على تبليغه ما يوحى إلي من أجر دنيوي
وما أنا من المتكلفين أي المتصنعين بما ليسوا من أهله حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن إن هو أي ما
هو إلا ذكر من الله عز وجل للعالمين للثقلين كافة ولتعلمن نبأه أي ما أنبأ به من الوعد
والوعيد وغيرهما أو صحة خبره وأنه الحق والصدق بعد حين بعد الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور
الإسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد
ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عليه الصلاة والسلام
عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير وقال أبي أمامة عصمه الله من كل ذنب صغير أو كبير والله أعلم

سورة تنزيل خمس وسبعون آية

تنزيل الكتاب خبر لمبتدإ محذوف هو اسم إشارة أشير به إلى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر لإشارة
كونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقيل هو ضمير عائد إلى الذكر في قوله تعالى إن هو إلا ذكر للعالمين
قوله تعالى من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل وخبر أو حال من التنزيل وعاملها معنى الإشارة
أو من الكتاب الذي هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الأول أوفق بمقتضى
المقام الذي هو بيان أن السورة أو القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان أن تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره
كما يفيده الوجه الأخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ أو الزم والتعرض لوصفي العزة
والحكمة للإيذان بظهور آثارهما في الكتاب بجريان أحكامه ونفاذ أوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وبابتناء
جميع ما فيه على أساس الحكم الباهرة قوله تعالى إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق شروع في بيان شأن
المنزل إليه وما يجب عليه إثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن وإظهاره على
تقدير كونه هو المراد بالأول أيضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء إما متعلقة بالإنزال أي
بسبب الحق وإثباته وإظهاره أو بداعية الحق واقتضائه للإنزال وإما بمحذوف هو حال من نون العظمة
أو من الكتاب أي أنزلناه إليك محقين في ذلك أو أنزلناه ملتبسا بالحق والصواب أي كل ما فيه حق لا ريب فيه
موجب للعمل به حتما والفاء في قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين لترتيب الأمر بالعبادة
على إنزال الكتاب إليه صلى الله تعالى عليه وسلم بالحق أي فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك
والرياء حسبما بين في تضاعيف ما أنزل إليك وقرئ برفع الدين على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم
لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للأمر بإخلاص العبادة قوله تعالى
ألا لله الدين الخالص استئناف مقرر لما قبله من الأمر بإخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة
الأخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى أي ألا هو الذي يجب أن يخص بإخلاص الطاعة لأنه المتفرد بصفات
الألوهية التي من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء
إلى آخره تحقيق لحقية ما ذكر من إخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة
عن ترك إخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سيأتي من الجملة المصدرة
بإن والأولياء من الملائكة وعيسى عليهم الصلاة والسلام والأصنام قوله تعالى ما نعبدهم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية إشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء
مفرغ من أعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له في المعنى أي والذين لم يخلصوا العبادة
لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الأشياء إلا ليقربونا إلى الله تعالى تقريبا

يحكم

يحكم بينهم أي بينهم وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما
في قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله على أحد الوجهين أي بين أحد منهم وبين غيره وعليه قول
النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما أبو حجر إلا ليال قلائل أي بين الخير وبيني وقيل
ضمير بينهم للفريقين جميعا فيما هم فيه يختلفون من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والإشراك
وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك إدخال الموحدين الجنة وإدخال المشركين النار
فالضمير للفريقين هذا هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم وأما تجويز أن يكون الموصول عبارة
عن المعبودين على حذف العائد إليه وعلى إضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة السياق عليهم ويكون
التقدير والذين اتخذهم المشركون أولياء قائلين ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله إن الله يحكم بينهم
أي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعيد
لما أنه عدا ما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة
يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا إلى الحكم والفصل وإنما ذلك بين فريقي المشركين والموحدين في الدنيا
من الاختلاف في الدين الباقي إلى يوم القيامة وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر عن الموصول
كما قيل إذ ليس في الإخبار بذلك مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم إلا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به
آلهتهم وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للباء إن الله لا يهدي أي لا يوفق للاهتداء إلى الحق
الذي هو طريق النجاة من المكروه والفوز بالمطلوب من هو كاذب كفار أي راسخ في الكذب مبالغ في
الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فإنهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما
الفطرة الأصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى لو أراد
الله أن يتخذ ولدا إلى آخره استئناف مسوق لتحقيق الحق وإبطال القول بأن الملائكة بنات الله تعالى
وعيسى ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الإطلاق
ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا أوليا أي لو أراد الله تعالى أن يتخذ ولدا لاصطفى أي لاتخذ
مما يخلق أي من جملة ما يخلقه أو من جنس ما يخلقه ما يشاء أن يتخذه إذ لا موجود سواه إلا وهو
مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه إليه ومن البين أن اتخاذ الولد منوط
بالمماثلة بين المتخذ والمتخذ وأن المخلوق لا يماثل الخالق حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن
اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد وإليه أشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي تقتضيه الشرطية
تنبيها على استحالة متعلقها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض إرادة وقوعه انتفاءه أي لو أراد الله تعالى
أن يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد في شيء أصلا بل إنما هو اصطفاء عبد ولا ريب في أن ما يستلزم
فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكأنه قيل لو أراد الله أن يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على أن
الامتناع منوط بتحقق الإرادة بل على أنه يتحقق عند عدمها بطريق الأولوية على منوال لو لم يخف
الله لم يعصه قوله تعالى سبحانه تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتأكيد
له ببيان تنزهه تعالى عنه أي تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على أن السبحان مصدر من سبح
إذا بعد أو أسبحه تسبيحا لائقا به على أنه علم للتسبيح مقول على ألسنة العباد أو سبحوه تسبيحا
حقيقا بشأنه قوله تعالى هو الله الواحد القهار استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات
إثر بيان تنزهه تعالى بحسب الذات فإن صفة الألوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية
لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه وبين غيره على
الإطلاق مما يقضي بتنزهه تعالى عما يقولون قضاء متقنا وكذا الوصف بالقهارية لما أن اتخاذ

الواحد بتباين من يكون تحت ملكوت القهر عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه وهو منتحل
للفنا فيما يقتاد الكائنات كيف يتصور ان يتخذ من الاشياء الفانية من يقوم مقامه. وقوله تعالى
خلق السموات والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله الدالة على تفرده تعالى بما ذكر من الصفات
الجليلة اي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح
وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى
فيهما بعد بيان خلقهما وان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات اي يغشي كل واحد
منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه عنه كما يغيب الملفوف باللفافة
او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد
وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى بيان
لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة
الا هو العزيز الغالب القادر على كل شيء من الاشياء التي من جملتها عقاب العصاة الغفار
المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة
وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان
لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله في
الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلي والبداءة بخلق الانسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب
القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس آدم
عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها اي على معنى واحدة او من نفس وحدت
ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا آيتين
دالتين على ما ذكر لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن معتادة
خارجة عن قياس الاولى كما يشعر التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها آية فهو من
التراخي في الحال والمنزلة وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلاث آيات
مترتبة خلق آدم عليه الصلاة والسلام بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلائق الفائتة
للحصر منهما وقوله تعالى وانزل لكم بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم
لكم فان قضاءه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح المحفوظ او احدث لكم باسباب
نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب ثمانية ازواج ذكرا وانثى هي الابل والبقر والضأن من الانعام
والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء
بما قدم والتشويق الى ما أخر فان كون الانزال لنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة المشوقة
الى ما انزل لا محالة وقوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم
واطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد
وقوله تعالى خلقا من بعد خلق مصدر مؤكد اي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق اي خلقا
مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغة مخلقة من بعد
مضغة غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة في ظلمات ثلاث متعلق بيخلقكم وهي ظلمة
الرحم وظلمة البطن وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة اليه تعالى باعتبار
افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع على
الابتداء اي ذلكم العظيم الشأن الذي عددت افعاله الله وقوله تعالى ربكم خبر آخر اي مربيكم فيما ذكر

من الاطوار

من الاطوار وما بعدها وما الحكم المستحق لتخصيص العبادة به له الملك على الاطلاق في الدنيا
والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى لا اله الا هو
والفاء في قوله تعالى فانى تصرفون لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى اي فكيف تصرفون
عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره
من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها ان تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة
شؤونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر فان الله غني عنكم اي فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم
وشكركم غير متأثر من انتفائهما ولا يرضى لعباده الكفر اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم
ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به وان تشكروا يرضه لكم اي يرضى الشكر لاجلكم
ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم
الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء ولا تزر وازرة وزر اخرى بيان لعدم سراية
كفر الكافر الى غيره اصلا اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث
بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون اي كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان
اي يجازيكم بكل منهما ثوابا وعقابا انه عليم بذات الصدور اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة
وهو تعليل للتنبيه واذا مس الانسان ضر من مرض وغيره دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه
مما كان يدعوه في حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض
افراده لقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه نعمة عظيمة
من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد اي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن
القيام به او من الخول وهو الافتخار اي جعله يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو اليه اي نسي
الضر الذي كان يدعو الله فيما سبق الى كشفه من قبل اي من قبل التخويل او نسي ربه الذي كان
يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى
ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا عن ان يعرف
من هو كما مر في قوله تعالى عما ارضعت وجعل لله اندادا شركاء في العبادة ليضل الناس بذلك
عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليزداد ضلالا او يثبت عليه والا
فاصل الضلال لغير متأخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور
حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما اضلال وضلال واما آل فرعون فهم غير قاصدين
بالتقاطهم العداوة اصلا قل تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله ومآله تمتع بكفرك
قليلا اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك من اصحاب النار اي من ملازميها والمعذبين فيها
على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل اذ قد ابيت قبول ما
امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته امن هو قانت آناء الليل
من تمام الكلام المأمور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كأنه
قيل أانت احسن حالا ومآلا ام من هو قائم بمواجب الطاعات ودائب على اداء
وظائف العبادات في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مس الضر فقط كدأبك
ساجدا وقائما اي جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في
معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر يحذر الآخرة حال اخرى على التداخل

او التذلل او اسنيا فقدم السجود لما انه من حكاية حال التهجد والقنوت والقيام كانه قيل انما بالليل بفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة **ويرجوا رحمة ربه** فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجي لا يحذر ضرر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التبكيت بتكليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل بل أمن هو قانت الخ افضل ام من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف **قل** بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل **هل يستوي الذين يعلمون** حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور **والذين لا يعلمون** ما ذكر او شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كالكافر المذكور والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين في اعلى معارج الخير وكون الآخرين في اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون وقوله تعالى **انما يتذكر اولوا الالباب** كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما في قول من قال عوجوا لحي لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار اي انما يتعظ بهذه الآيات الواضحة اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام **قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم** امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولي الالباب ايذانا بانهم هم وفيه بتشريفهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد الاعتناء بشأن المأمور به فان نقل عين امر الله تعالى ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تعالى **للذين احسنوا** تعليل للامر او لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى **في هذه الدنيا** متعلق باحسنوا اي عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك **حسنة** اي حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فالمراد بها حينئذ الصحة والعافية **وارض الله واسعة** فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلا وقوله تعالى **انما يوفى الصابرون** الخ ترغيب في التقوى المأمور به وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اي انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان **اجرهم** بمقابلة ما كابدوا من الصبر **بغير حساب** اي بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض

بالمقاريض

بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل **قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين** اي من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في عبادة الله تعالى الذي هو عبارة عما امر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون **وامرت لان اكون اول المسلمين** اي وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لان احراز قصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضي الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل بدليل قوله تعالى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل زماني او قومي او لانه اول من دعى غيره الى ما دعى اليه نفسه **قل اني اخاف ان عصيت ربي** بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك **عذاب يوم عظيم** هو يوم القيامة وصفه بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهي والاهوال **قل الله اعبد** لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا **مخلصا له ديني** من كل شوب امر صلى الله عليه وسلم اولا ببيان كونه مأمورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على ابلغ وجه وآكده اظهارا لتصلبه في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى **فاعبدوا ما شئتم من دونه** تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كانهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه امروا به كي يحل بهم العقاب **قل ان الخاسرين** اي الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه **الذين خسروا انفسهم واهليهم** باختيار الكفر لهما اي اضاعوهما **يوم القيامة** حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدي واوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وقيل المحذور فيها ما لو كانوا ينتفعون بالخاسرين وذلك غير مقصود في النسق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل في الجنة فخسروا اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وايا ما كان فليس المراد مجرد تعريفهم بكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان انهم هم اما بجعل الموصول عبارة عنهم وعما هم مندرجون فيه اندراجا اوليا وما في قوله تعالى **الا ذلك هو الخسران المبين** استيناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى **لهم من فوقهم ظلل من النار** نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف وقيل هو حال من ظلل والاظهر انه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اي لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكمة بعضها فوق بعض كائنة من النار **ومن تحتهم** ايضا **ظلل** اي اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل الآخرين بل لهم ايضا عند ترديهم في دركاتها **ذلك** العذاب الفظيع الذي **يخوف الله به عباده** ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه **يا عباد فاتقون** ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه موعظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرئ يا عبادي **والذين اجتنبوا الطاغوت** اي البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت من الطغيان بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد به الشيطان **ان يعبدوها** بدل الاشتمال

منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين لها وانابوا الى الله واقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على ألسنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون ويقفون فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون بالاجتناب والانابة بعينهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك اشارة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء وخبره ما بعده من الموصول اي اولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة الذين هداهم الله للدين الحق واولئك هم اولوا الالباب اي هم اصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار بيان لاضداد احوال المذكورين على طريقة الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين واصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه على انها شرطية دخل عليها الهمزة لانكار مضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونها معا اي انت مالك امر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده صلى الله عليه وسلم في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى افانت الخ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار وتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائه الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كأنه قيل أ انت لم حق عليه العذاب فانت تخلصه منه ثم شدد للتنكير فقيل افانت تنقذ من في النار وفيه تلويح بانه تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عبادي فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية وبين ان لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اي لهم علالي بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل المبنية على الارض في الرصانة والاحكام تجري من تحتها من تحت تلك الغرف الانهار من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه وعد واي وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالته عليه سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء ماء استئناف وارد اما لتمثيل الحياة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزهرتها كما في نظائر انما مثل الحياة الدنيا الآية واما للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء وما يترتب عليه من آثار قدرته واحكام حكمته فالمراد بالماء

المطر

المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض اي عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع وعلى النابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الخافض اي في ينابيع ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الالوان والطعوم وغيرها وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ثم يهيج اي يتم جفافه وينشر وعلى الاول يثور من منابته فتريه مصفرا من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا كان لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج ان في ذلك ارشاد اي فيما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه لذكرى لتذكيرا عظيما لاولي الالباب لاصحاب العقول الخالصة من شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك ان حال الحياة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتنون بفتنتها او يحكمون بان من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا واما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الآية الكريمة وانما يليق بذلك لو ذكر ما ذكر من الآثار الجليلة والافعال الجميلة من غير اسنادها الى المؤثر وحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين ان يكون متعلق التذكير والتنبيه شؤونه تعالى وشؤون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنور الرب فانه روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك فقال صلى الله عليه وسلم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله عز وجل افمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح الله صدره اي خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك مستقر على نور عظيم من ربه وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قسى قلبه وحرج صدره ونشأ بتبديل فطرة الله تعالى بسوء اختياره واستولت عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره الذي حقه ان تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم وآياته اشمأزوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب في ضلال من الحق مبين ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضي الله تعالى عنهما وابي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه وابي جهل وذويه الله نزل احسن الحديث هو القرآن الكريم روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا

ملة فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس قالوا لو حدثتنا
فنزلت والمعنى انه في سنده وحسنه سابق الاحاديث وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه
من تفخيم احسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتأكيد الاسناد اليه تعالى وانه
من عنده ولا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي لا يخفى كتابا بدل من احسن الحديث
او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا او لا فان مساغ مجيء الحال من النكرة المضافة
الغاء في وقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما الاتصاف بقوله تعالى متشابها او لكونه في قوة
مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتناء على الحق والصدق
واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في
الاعجاز مثاني صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى
التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا
باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال
رأيت رجلا حسنا شمائل اي شمائله والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصيصه بالصفة والاظهر انه استئناف
مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه ولتقرير كونه احسن
الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا انقبض انقباضا شديدا وتركيبه من القشع وهو
الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا والاعلى معنى زائد يقال اقشعر جلده ووقف شعره
اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق
التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا
بالقرآن وقوارع آياته وعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله
تعالى بدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله اي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر
بالبال عند ذكره تعالى ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلالة بصرف قدرته الى مباديها واعراضه
عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعيده ووعده اصلا او ومن يخذله فما له من هاد
يخلصه من ورطته وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه تعالى يهدي بذلك الاثر من
يشاء من عباده ومن يضلل اي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد
من يؤثر فيه بشيء قط افمن يتقي بوجهه الى آخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين
حال المهتدي والضال والكلام في الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذي مر في نظيريه والتقدير اكل الناس
سواء فمن شأنه ان يتقي نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد
يوم القيامة لكون يده التي كانت يتقي بها المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه
مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين
عطف على يتقي اي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر
وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم
والاشعار بعلة الامر في قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله وما كنتم تكسبونه
في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب استئناف مسوق
لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل منهم من حيث

لا يشعرون

لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها فأذاقهم الله
الخزي اي الذلة والصغار في الحياة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء
ونحو ذلك من فنون النكال ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا
يعلمون اي لو كان من شأنهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امور دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا
به ويتعظوا قرآنا عربيا حال مؤكدة من هذا على ان مدار التأكيد هو الوصف كقولك جاءني
زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من
المستقيم واخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة
على الاولى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ايراد للمثل من الامثال القرآنية
بعد بيان الحكمة في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل
هاهنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة يونس ومثلا
مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته
التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان له انه الشركاء في الاصل
كذلك فلا حاجة اليه والجملة في حيز النصب على انه صفة لرجلا او الوصف هو الجار والمجرور
وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك
حسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة
يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه ورجلا اي وجعل
للموحد مثلا رجلا سالما خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ
سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وكل مصادر من سلم له كذا خلص نعت بها
مبالغة او حذف منها ذا وقرئ سالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن
لما يجري عليه من الضر والنفع هل يستويان مثلا انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على
ابلغ وجه وآكده وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما
او يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلى عليين والآخر في اسفل سافلين وهو
السر في ابهام الفاضل والمفضول وانتصاب مثلا على التمييز اي هل يستوي حالاهما او وصفاهما
والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين لقوله تعالى اكثر اموالا واولادا للايذان
باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل
فيه ومثل رجل الى آخره وقوله تعالى الحمد لله تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه
للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا
على حمده وعبادته وعلى ان بيانه تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل
ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون اضراب
وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك
مع ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تمهيد
لما يعقبه من الاختصام يوم القيامة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله
صلى الله عليه وسلم موته اي انكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم اي مالك امركم
تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في

تضاعيف هذه الآيات واجتهد في الدعوة إلى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد
وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الأنام والأول هو الأظهر الأنسب بقوله تعالى
فمن أظلم ممن كذب على الله فإنه إلى آخره مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شأن الكفر
والإيمان لا غير أي أظلم من كل ظالم ممن افترى على الله سبحانه بأن أضاف إليه الشريك والولد **وكذب
بالصدق** أي بالأمر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
إذ جاءه أي من غير تدبر فيه ولا تأمل **أليس في جهنم مثوى للكافرين** أي لهؤلاء
الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا إلى التكذيب بالصدق من أول الأمر والجمع باعتبار
لفظها أو الجنس الكفرة وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا **والذي جاء بالصدق وصدق
به** الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما أن المراد في قوله تعالى ولقد
آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون موسى عليه الصلاة والسلام وقومه وقيل هو الجنس ليتناول
الرسل والمؤمنين ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا
به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج أو الفريق **أولئك** الموصوفون بما ذكر من المجيء بالصدق
والتصديق به **هم المتقون** المنعوتون بالتقوى التي هي أجل الرغائب وقرئ وصدق بالتخفيف أي
صدق به الناس أداه إليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل صار صادقا به أي بسببه لأن ما جاء به
من القرآن معجزة دالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وقرئ وصدق على البناء للمفعول **لهم ما يشاؤون
عند ربهم** بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الأعمال
أي لهم كل ما يشاؤونه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما أن بعض ما يشاؤونه
من تكفير السيئات والأمن من الفزع الأكبر وسائر أهوال القيامة إنما يقع قبل دخول الجنة **ذلك** الذي ذكر
من حصول كل ما يشاؤونه **جزاء المحسنين** أي الذين أحسنوا أعمالهم وقد مر تفسير الإحسان غير مرة قوله
تعالى **ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا** إلى آخره متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤون لكن لا باعتبار منطوقه
ضرورة أن التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤون في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت
لهم فيها بل باعتبار فحواه فإنه حيث لم يكن إخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتي كان في
معنى الوعد به كما عرفته في قوله تعالى وعد الله فإنه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف
فإنه في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كأنه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤونه من زوال
المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذي عملوا فضلا عما دونه **ويجزيهم
أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون** لعطاء مكنا فيهم وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لإبراز
كمال الاعتناء بمضمون الكلام وإضافة الأسوأ والأحسن إلى ما بعدهما ليست من قبيل إضافة المفضل
إلى المفضل عليه بل من إضافة الشيء إلى بعضه للقصد إلى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيل
على سواه ثم المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف إليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص
والأشج أعدلا بني مروان وإن جاز أن الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الأول
بالنظر إلى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وإن قلت واستصغار حسناتهم وإن جلت والثاني بالنظر
إلى لطف أكرم الأكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة في
الحقيقية وإن أمكن على الأول بناء على أن تخصيص الأسوأ بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الأولوية
ضرورة استلزام تكفير الأسوأ لتكفير الشيء لكنه لا يمكن ذلك في الأحسن كما لأحسن نظمها في سلك
واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الأول لإيذان

باستمرارهم

باستمرارهم على الأعمال الصالحة بخلاف السيئة **أليس الله بكاف عبده** إنكار ونفي لعدم
كفايته تعالى على أبلغ وجه وآكده كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن
يتفوه بعدمها أو يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد إما رسول الله صلى الله عليه وسلم أو
الجنس المنتظم له صلى الله عليه وسلم انتظاما أوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده على صيغة الجمع
إما من الكفاية لإفادة المبالغة فيها أو من المكافأة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عما قالت له قريش إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا ويصيبك مضرتها بعيبك إياها وفي
رواية قالوا أتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل وجنون كما قال قوم هود إن نقول إلا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى **ويخوفونك بالذين من دونه** أي الأوثان التي اتخذوها
آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال **ومن يضلل الله** حتى يغفل عن كفايته تعالى
وعصمته له صلى الله عليه وسلم ويخوفه مما لا ينفع ولا يضر أصلا **فما له من هاد** يهديه
إلى خير ما **ومن يهد الله فما له من مضل** يصرفه عن مقصده أو يصيبه بسوء يخل بسلوكه إذ
لا راد لفعله ولا معارض لإرادته كما ينطق به قوله تعالى **أليس الله بعزيز** غالب لا يغالب منيع لا يمانع
ولا ينازع **ذي انتقام** ينتقم من أعدائه لأوليائه وفي إظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار تحقيق
مضمون الكلام وتربية المهابة **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**
لوضوح الدليل وسبوح السبيل **قل** تبكيتا لهم **أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله
بضر هل هن كاشفات ضره** أي بعدما تحققتم أن خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل
فأخبروني أن آلهتكم إن أرادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك الضر **أو أرادني برحمة** أي بنفع
هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته
بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق إرادة الضر والرحمة بنفسه صلى الله عليه وسلم للرد
في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الأوثان ولما فيه من الإيذان بإمحاض النصيحة **قل حسبي الله** أي
في جميع أموري من إصابة الخير ودفع الشر روي أنه صلى الله عليه وسلم لما سألهم سكتوا فنزل ذلك
عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره أصلا لعلمهم بأن كل ما سواه تحت ملكوته تعالى **قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم** على حالتكم التي أنتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فإن المكانة تستعار
من العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم **إني عامل**
أي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والإشعار بأن حاله لا تزداد إلا قوة بنصر الله
عز وجل وتأييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى **فسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه** فإن خزي أعدائه دليل غلبته صلى الله عليه وسلم وقد عذبهم الله تعالى وأخزاهم
يوم بدر **ويحل عليه عذاب مقيم** أي دائم هو عذاب النار **إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس**
لأجلهم فإنه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد **بالحق** حال من فاعل أنزلنا أو من مفعوله **فمن
اهتدى** بأن عمل بما فيه **فلنفسه** أي إنما نفع به نفسه **ومن ضل** بأن لم يعمل بموجبه **فإنما
يضل عليها** لما أن وبال ضلاله مقصور عليها **وما أنت عليهم بوكيل** لتجبرهم على الهدى
وما وظيفتك إلا البلاغ وقد بلغت أي بلاغ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في
منامها** أي يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها إما ظاهرا وباطنا كما عند
الموت أو ظاهرا فقط كما عند النوم **فيمسك التي قضى عليها الموت** ولا يردها إلى البدن وقرئ قضي على
البناء للمفعول ورفع الموت **ويرسل الأخرى** إلى بدنها عند التيقظ **إلى أجل مسمى** هو الوقت

للمضروب لموتها وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد
فيه كما لا يخفى وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس
فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح التي هي النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى
النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر ان في ذلك اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك
في احدهما والارسال في الاخرى لآيات عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول
رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت
وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والاخرى عن ظواهرها
فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء آجالها ام اتخذوا اي بل اتخذ قريش من
دون الله شفعاء تشفع لهم عنده تعالى قل أولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء
ولا يعقلون عن ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى وهي لانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بيان ان
ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء في شيء لان ذلك فرع كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمقر جميعا
عن ما قدروا ولا وعلى اي تقدير كانوا والعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكور عليه وقد
مر تقريره مرارا قل بعد تبكيتهم وتحقيقا لهم لما ذكر تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها
لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع ماذونا وكلاهما مفقودان هنا
قوله تعالى له ملك السموات والارض تقرير له وتأكيد اي له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد
ان يتكلم في امر من اموره بدون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيامة لا الى احد سواه لا استقلالا
ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة اي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا
واذا ذكر الذين من دونه فرادى او مع ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها
ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان حالهم القبيحتين حيث بين الغايتين فان الاستبشار
هو ان يمتلئ القلب سرورا حتى تنبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه
اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت وفي الثانية ما هو العامل في اذا الفجائية تقديره وقت ذكر
الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي
التجئ الى الله تعالى بالدعاء لما تحيرت في امر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على
الاشياء بجملتها والعالم بالاحوال برمتها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي والاخروي وقوله تعالى
ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا كلام مستانف مسوق لبيان آثار الحكم الذي استدعاه
النبي صلى الله عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر
ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب
الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم
وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم وحـ
ـاق بهم ما كانوا به يستهزئون اي احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا
اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما يذكر من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتيهم

القبيحتين وما بينهما من كمال التنافر عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون
بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه
نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء قال انما
اوتيته على علم اي على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطاه لما لي من الاستحقاق او على علم
من الله تعالى باستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لما ان المراد شيئا من النعمة
بل هي فتنة اي محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله او يصيد الشكر للمبالغة فيه والايذان بان
ذلك ليس من باب الانباء المبني على الكرامة وانما هو امر مباين لها بالكلية وتانيث الضمير باعتبار لفظ النعمة
او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك وفيه دلالة على ان المراد بالانسان
هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم القولة انما اوتيته على علم عندي وهم راضون به فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات
اعمالهم او جزاء ما كسبوا وتسميتها سيئات لانها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها
والذين ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض اي افرطوا في الظلم والعتو سيصيبهم سيئات
ما كسبوا من الكفر والمعاصي كما اصاب اولئك والسين للتاكيد وقد اصابهم اي اصابة حيث قحطوا
سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر وما هم بمعجزين اي فائتين او لم يعلموا اي اقالوا ذلك
ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه له ويقدر لمن يشاء ان
يقدره له من غير ان يكون لاحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا
ان في ذلك الذي ذكر لآيات دالة على ان الحوادث كافة من الله عز وجل لقوم يؤمنون اذ هم المستدلون
بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي افرطوا في الجناية عليها بالاسراف
في المعاصي واضافة العباد وتخصيصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم لا تقنطوا
من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته او لا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء
ولو بعد حين بتعذيبه في الجملة وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك
وما يدل عليه التعليل بقوله تعالى انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد
بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص
المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة
فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير
للدلالة على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي من اسباب النزول الدالة
على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ومجيء حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل
كلام الفضلاء لا يحتمل التامل غير مسلم كيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة
والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون
اذ ليس المدعى ان الآية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما
وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اي القرآن والمامور به دون المنهي عنه
او العزائم دون الرخص والناسخ دون المنسوخ ولعل ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة
من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه لتتداركوا وتتاهبوا له ان تقول نفس
اي كراهة ان تقول والتنكير للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت او للتنويع مسلك ثم ما يسلك عنده

التنبيه والتفخيم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ
يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على
الاصل اي يا حسرتي تعالي فهذا اوان حضورك على ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري في جنب الله
اي جانبه وفي حقه وهو طاعته وعليه قول من قال اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى تقطع
وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى
والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين بدين الله تعالى واهله
ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق
لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا
فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاقوال تحسرا وتحيرا
وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين
رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لما ان تقديمه يفرق
القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية
ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير
الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتأنيث ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يليق
بشأنه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل
والجملة حال قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو وعلى ان الرؤية بصرية او مفعول ثان لها على انها عرفانية
اليس في جهنم مثوى اي مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قيل من رؤيتهم كذلك
وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم مصدر
ميمي اما من فاز بالمطلوب اي ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة
تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب اي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي
هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اما حال اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم
مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوق بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه اي نجا
منه والباء للسببية وقوله تعالى لا يمسهم اما تفسير وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تعالى
ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم اي بنفي السوء والحزن عنهم او للتنبيه اما على حذف المضاف اي ينجيهم
بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشعر به ايراده في حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها
الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء
من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لاسبابها وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف
فيه كيف يشاء له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة
عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيه مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا
يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها والجمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب
كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد
فقال صلى الله عليه وسلم تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء
قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصاب
والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق جميع الاشياء

يتصرف

يتصرف فيها كيفما يشاء بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين
كفروا بآياته التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس والتنزيلية التي من جملتها هاتيك الآيات
الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسران وراءه بهذا وقيل هو متصل بقوله تعالى
وينجي الله وما بينهما اعتراض فتدبر قل أفغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون اي أبعد
مشاهدة هذه الآيات غير الله اعبد وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك
وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما يدل عليه تأمروني
اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع ما
بعدها كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويؤيده
قراءة اعبد بالنصب وقرئ تأمرونني باظهار النونين على الاصل وبحذف الثانية ولقد
اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل عليهم الصلاة والسلام لئن اشركت ليحبطن عملك
كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك
وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل
واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم
لان الاشراك منهم اشد واقبح وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن
دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم ولتكونن من الخاسرين وعطف الخسران عليه
من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن
كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه
وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته تعالى في انفسهم حيث جعلوا له شريكا ووصفوه
بما لا يليق بشؤونه الجليلة وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها
الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل
والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا لقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من
القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات
قبضته وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها بالوقت المبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون
السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على
الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته
عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور هي النفخة الاولى فصعق من في السموات ومن في
الارض اي خروا امواتا او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل جبريل وميكائيل واسرافيل
فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة الثانية ومحل اخرى النصب
او الرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو
حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض
بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم
ظلمات يوم القيامة ولذلك اضيف الى الاسم الجليل ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب
المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفي باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل
به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون

وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الى آخره تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكي بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم يأتكم رسل منكم من جنسكم وقرئ نذر منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى قد اتونا وانذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا تكذبون قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل المقول فبئس مثوى المتكبرين اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا اي فبئس مثواهم جهنم وتكبرهم عن الحق في ان دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد تقدم تحقيقه في سورة الم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقرئ بالتشديد وجواب اذا محذوف للايذان بان لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحيط به نطاق العبارات كانه قيل حتى اذا جاؤوها وقد فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره والآلام طبتم طهرتم من دنس المعاصي او طبتم نفسا بما اتيح لكم من النعيم فادخلوها خالدين كان ما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم وتمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل واحد منا في اي مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم الاستغراق في شؤونه عز وجل وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق وانزل كلا منا منزلته التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضي بينهم والملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة سورة بني اسرائيل والزمر صدق الله العظيم ورسوله

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بامالة الالف واخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين او بنصبها باضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث او للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وتفسيره الكلام فيه وفي قوله تعالى تنزيل الكتاب كالذي سلف في الم السجدة وقوله تعالى من الله العزيز العليم كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لعنوان العزة والعلم ما ذكر هناك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول انما صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب شديد عقابه او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على طاعته في اوامره ونواهيه اليه المصير فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله اي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين كفروا بها واما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل مشكلها وكشف معضلها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضايق الافهام ومزالق الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم الطاعات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله فلا يغررك تقلبهم في البلاد لترتيب النهي او لوجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء امقت منه عند الله تعالى ولا اجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم ماخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم وهمت كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل الذي لا اصل له ولا حقيقة اصلا ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فاخذتهم بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء ايضا لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على اولئك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب ايضا على الذين كفروا اي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التي من جملتها نصرته صلى الله عليه وسلم وتعذيب اعدائه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى انهم اصحاب النار في حيز النصب بحذف لام التعليل اي لانهم مستحقو اشد العقوبات وافظعها التي هي عذاب النار وملازموها

ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول صلى الله عليه وسلم كدأب من قبلهم من الامم المهلكة
فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقا واشد استيجابا وقيل هو في محل الرفع على انه بدل
من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار اي كما وجب اهلاكهم
في الدنيا بعذاب الاستيصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقدير من
النصب على انه نعت لمصدر محذوف **الذين يحملون العرش ومن حوله** وهم اعلى طبقات الملائكة
عليهم الصلوة والسلام واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم
وكناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره
يسبحون بحمد ربهم والجملة استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان اشراف
الملائكة عليهم الصلوة والسلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما
يسعدهم في الدارين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التي
لا تتناهى **ويؤمنون به** ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لاظهار فضيلة
الايمان وابراز شرف اهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى **ويستغفرون
للذين آمنوا** فان المشاركة في الايمان اقوى المناسبات واتمها وادعى الدواعي الى النصح والشفقة وفي
نظم استغفارهم لهم في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم
به واشعار بوقوعه عند الله سبحانه وتعالى في موقع القبول روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى
ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا
في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا
العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى
حتى يصير مثل الوصع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة
العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين قائمتين من قوائمه خفقان
الطائر المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين
ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير
ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا ايمانهم على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح
الآخر **ربنا** على ارادة القول اي يقولون ربنا على انه بيان لاستغفارهم او حال **وسعت كل شيء
رحمة وعلما** اي وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم
والمبالغة في عمومها وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفاء في قوله تعالى **فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك** اي للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما
قبلها من سعة الرحمة والعلم **وقهم عذاب الجحيم** واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجؤار
اي وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن **ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم** اي صلح
مصححا لدخول الجنة في الجملة وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اي وادخلها معهم
هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى
حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله الحقنا بهم ذرياتهم بان يكون قوله ومن صلح عبارة عن
ذرياتهم قال سعيد بن جبير يدخل الرجل الجنة فيقول اين ابي اين امي اين ولدي اين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك
فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعي حصول

الموعود

الموعود بدون توسط شفاعة وتوسط استغفار وعليه يبتنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة
والثواب والاول هو الاولى لان الدعاء بالادخال فيه صريح وفي الثاني ضمني وقرئ صلح
بالضم وذريتهم بالافراد **انك انت العزيز** اي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور **الحكيم**
الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التي من جملتها انجاز الوعد والجملة تعليل لما
قبلها **وقهم السيئات** اي العقوبات لان جزاء سيئة سيئة او جزاء السيئات على حذف المضاف
وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع او المعاصي في الدنيا فمعنى قوله **ومن تق
السيئات يومئذ فقد رحمته** ومن تقها المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا
لهم السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية وما
فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه **هو الفوز العظيم** الذي
لا مطمع وراءه لطامع **ان الذين كفروا** شروع في بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد
ما بين فيما سبق انهم اصحاب النار **ينادون** من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم
الامارة بالسوء التي وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحباب لقوله
تعالى فيلعن بعضكم بعضا اي ابغضوها اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك
على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك **لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم** اي لمقت الله
انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا **اذ تدعون** من جهة الانبياء **الى الايمان**
فتأبون قبوله **فتكفرون** اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها او اقتداء باخلائكم
المضلين واستحبابا لآرائهم اكبر من مقتكم لانفسكم الامارة ومن مقتكم بعضكم بعضا اليوم
فاذ ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما في الظروف من الاتساع وقيل للمصدر المحذوف
اي مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الاصح وقيل كلا المقتين في الآخرة
واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من
مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم
اضرابهم من الاخلاء يأباه **قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين** صفتان لمصدري
الفعلين المذكورين اي اماتتين واحياءتين اثنتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا
بحذف الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحيوة
حتما كأنه قيل امتنا فمتنا موتتين واحييتنا فحيينا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال وعضة
دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف وقيل اراد بالاماتة الاولى خلقهم
امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على ان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة اعم من
ان يكون بالانشاء او بتحويل كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وبجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحياء يبين
الاحياء الاول واحياء البعث وقيل اريد بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية
ما بعد حيوة القبر وبالاحياءين ما في القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث
لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حيوة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم
بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا
ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم **فاعترفنا بذنوبنا** وهو التزام العمل بموجب ذلك الاعتراف
ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به كما في قوله
فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذي ارادوه بقوله **فهل الى خروج من سبيل** من نوع سبيل

له واستشفاعاً بانهم لا ايمانهم قالوا بطريق القنوط الحتم قيل ولا ريب في ان الذين كانوا يكرهونه ويفزعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحيا بعد الموت واما الاحياء الاولى فلم يكونوا ينكرونه لينظموا في سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف به يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع انهم معترفين بها في الدنيا لتوقف حقيقة الغير عليها وكذا حال الموتة والقبر فان مقصدهم الاعتراف بها الاعتراف بالاحيائين وانما ذكروا الاماتة تعليق بهما عليها ما قبل خشية نسبهما عليها وجودا وتمكين سبيل الاذعان اي من سبيل ما فيه ما كان وقوله تعالى **ذلكم** جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل **بانه** اي بسبب انه الشان **اذا دعي الله** في الدنيا اي عبد **وحده** اي منفردا **كفرتم** اي بتوحيده **وان يشرك به تؤمنوا** اي بالاشراك به وتسارعوا اليه وفي ايراد اوصيغة الماضي في الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك **فالحكم لله** الذي لا يحكم الا بالحق ولا يقضي الا ما تقتضيه الحكمة **العلي الكبير** الذي ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله فلا جرم انه لا يجازيكم ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته فلا سبيل لكم الى الخروج **هو الذي يريكم آياته** الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة **وينزل** بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال **لكم من السماء رزقا** اي سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال القدرة لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمه الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجددهما الارادة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة **وما يتذكر** بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها **الا من ينيب** الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمه الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ **فادعوا الله مخلصين له الدين** اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به **ولو كره الكافرون** ذلك وغاظهم اخلاصكم **رفيع الدرجات** خبر ثان لهو على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرفع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات ملائكته اي معارجهم ومصاعدهم الى العرش وهو الخبر الآخر لقوله تعالى هو اخبر عنه بهما ايذانا بعلو شانه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له تعالى بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي بكون علو شانه وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها وانما جعلها عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتوهم لما لا يعقبهما من قوله تعالى **يلقي الروح من امره** فانه خبر لخلاف ذكر مبني على انزال الرزق الجسماني الذي هو المطر اي ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدأ من امره او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطاياهم اي يلقي الوحي

امره على

امره **على من يشاء من عباده** وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم **لينذر** اي الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول صلى الله عليه وسلم او الروح لانها قد تؤنث **يوم التلاق** اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمة لانه تتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا واصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم **يوم هم بارزون** بدل من يوم التلاق اي خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث تحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم **لا يخفى على الله منهم شيء** استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمونه في الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء ما من اعيانهم واعمالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة او مستانف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ اي ينادي مناد لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روي ان يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد في ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله عليها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هي حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت** الى آخره اما من تتمة الجواب لبيان اختصاص حكم الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء بالحق او حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر **لا ظلم اليوم** بنقص ثواب او زيادة عذاب **ان الله سريع الحساب** اي سريع حسابه تعالى اذ لا يشغله تعالى شان عن شان فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق يوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئه فيكون تعليلا للانذار **وانذرهم يوم الآزفة** اي القيمة سميت بها لازوفها اي قربها وقيل الخطة الآزفة وهي مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي **اذ القلوب لدى الحناجر** بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا هي تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت **كاظمين** على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف وجمع السالم باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم **ما للظالمين من حميم** اي قريب مشفق **ولا شفيع يطاع** اي ولا شفيع يشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر اما عائدة الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل **خائنة الاعين**

النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خائنة الاعين على انها
مصدر كالعافية وما تخفي الصدور من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة
على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق
فلا يقضي بشيء الا وهو عدل والذين يدعون يعبدونهم من دونه تعالى لا يقضون بشيء
تهكم بهم لان الجماد لا يقال في حقه يقضي او لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار
قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون
ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم اي مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة للرسل كعاد وثمود واضرابهم كانوا هم اشد
منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين
لمضاهاة افعل من المعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض
مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا
فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق اي من واق يقيهم عذاب الله
ذلك اي ما ذكر من الاخذ بانهم بسبب انهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات
او بالاحكام الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب
لا يؤبه عند عقابه بعقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين
اي وحجة قاهرة وهي المعجزات والعطف لتغاير العنوانين واما لعطف مشاهيرها كالعصا
افردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانها ابهرها كما افرد جبريل وميكائيل مع دخولهما في
الملائكة عليهم الصلاة والسلام الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب اي فيما
اظهره من المعجزات وفيما ادعاه رسالة رب العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو ما ظهر على يده
من المعجزات الظاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم كما قال فرعون
سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد
كف عن قتل الولدان فلما بعث عليه الصلاة والسلام واحس بانه قد وقع ما وقع اعاده عليهم
غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي حكم المنجمون
والكهنة بذهاب ملكهم على يده وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وبطلان لا يغني
عنهم شيئا وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في
موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه
من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه اذا
هم بقتله عليه الصلاة والسلام ويقولون ليس هذا بالذي تخافه فانه اقل من ذلك واضعف
وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهة واعتقدوا انك عجزت عن
معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته انه كان
قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان يعاجل بالهلاك ان
قتله وكان قوله هذا تمويها على قومه وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا ما في
نفسه من الفزع الهائل وقوله وليدع ربه تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه
اخوف ما يخافه اني اخاف ان لو لم اقتله ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي

عبادة عن

عبارة عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه او ان يظهر في الارض الفساد ما
يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو
الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر
بمعنى تظاهر اي تتابع فيها وقال موسى اي لقومه حين سمع ما يقول اللعين من حديث
قتله عليه الصلاة والسلام اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب
صدر عليه الصلاة والسلام كلامه بان تأكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط
الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لانهما الذي يستدعيه واضافه
اليه واليهم حثا لهم على موافقته في العياذة به تعالى والتوكل عليه فان في تظاهر النفوس
تاثيرا قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة
لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجراءة على الله تعالى وقرئ عت
بالادغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا
وقيل كان اسرائيليا او غريبا موحدا يكتم ايمانه اي من فرعون وملئه اتقتلون
رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او كراهة ان يقول ربي الله اي وحده من
غير روية وتأمل في امره وقد جاءكم بالبينات والحال انه قد جاءكم بالمعجزات
الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا
عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال
وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك
صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من ان يصيبكم بعضه
لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك
قدم من شقي الترديد كونه كاذبا او يصبكم بعض الذي يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما
يعدهم كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لان المراد به البعض
نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان
مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما
ان كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الثاني واوهمهم
على المعنى الاول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله
سبيل الصواب ومنهاج النجاح يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني
اسرائيل في الارض اي في ارض مصر لا يقاومكم احد في هذا الوقت فمن ينصرنا من باس الله
من اخذه وعذابه ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان
جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الارض اليهم خاصة
ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوءهم من مجيء باس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه
مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتاثروا بنصحه
قال فرعون بعدما سمع نصحه ما اريكم اي ما اشير عليكم الا ما ارى من قتله وما اهديكم
بهذا الرأي الا سبيل الرشاد اي الصواب ولا اعلمكم الا ما اعلم ولا استر عنكم خلاف
ما اظهر ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما

استنشادا احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل وقال الذي آمن خاطبا لقومه يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لما فيه من نفي ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيمة لانه ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار حسبما حكي في سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض لقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملئكة صفوفا فبينما هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد اي منصرفين عن الموقف الى النار او فارين منها حسبما نقل آنفا ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما الصلوة والسلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف في عصيانه مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه او صفته باعتبار معناه كانه قيل مسرفين مرتابين او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة اتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل انه للجدال المستفاد من يجادلون كذلك اي مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اي بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى عليه الصلوة والسلام بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء

وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا فيما يدعيه من الرسالة وكذلك اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه انهماكا لا يرعوي بحال وصد عن السبيل اي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه قراءة زين بالفتح او بتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وهلاك وعلى انه من صد صدودا اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد على انه عطف على سوء عمله وقرئ وصدودا اي هو وقومه وقال الذي آمن اي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه الصلوة والسلام يا قوم اتبعون فيما دللتكم عليه اهدكم سبيل الرشاد اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها اس كل شر ومنه يتشعب فنون ما يؤدي الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال وان الآخرة هي دار القرار لخلودها ودوام ما فيها من عمل في الدنيا سيئة فلا يجزى في الآخرة الا مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه لا عبرة بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار لا دعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعل بعضهم ما لي من قبيل ما لي اراك حزينا اي ما لك تكون حزينا قوله تعالى تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به اي بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان يوجب العلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بد من لا بد فعل من التبديد اي التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم ان الله يفعل بضم الجيم وسكون الراء فعل وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله بالموت عطف على ان ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى وان المسرفين اي في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون ما اقول لكم وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح وافوض امري الى الله قاله لما انهم كانوا توعدوه ان الله بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق العذاب

بمن خالفهم قبل نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام وحاق بآل فرعون اي بفرعون وقومه
واستغنى بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر
الى الجبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش حوله صفوفا فرجعوا رعبا فقتلهم
سوء العذاب الغرق والقتل والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة مسوقة
لبيان كيفية العذاب او النار خبر مبتدأ محذوف كانه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار
ويعرضون استئنافا للبيان او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من الآل وعلى الاول لا يشترط في الحق
ان يكون الحال نوع ذلك السوء بحيث يصح ان يراد آل فرعون او تعذيبهم بالنار ليكون ابتلائهم بها
من قبل رجوع ما هو اعلى بل يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئ منصوبة
على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار باحراقهم بها
من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضي الله عنه
ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص
واما فيما بينهما فالله تعالى اعلم بحالهم واما التابيد فهذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم الساعة
يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد
عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اي يقال لهم
ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار اي واذكر لقومك وقت تخاصمهم
فيها فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم
في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع على اضمار المضاف اي تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه
مغنون اي دافعون عنا نصيبا الخ او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين
نصيبا الخ او نصب على المصدرية كما في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا فانه في موقع غناء فكذلك نصيبا قال الذين استكبروا انا كل فيها اي نحن وانتم فكيف نغني
عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لان اسم ان بمعنى كلنا لفظا ومعنى
وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل
في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك
ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال
الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم لخزنة
جهنم اي للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع
او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم ابعد دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملائكة
الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف
عنا يوما اي مقدار يوم اي في يوم ما من الايام على ان النظر فلا معيار شيئا من العذاب
في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون
رفعه راسا او تخفيفه قدرا كثيرا منه في زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس في حيز الامكان
لا يكاد يدخل تحت امانيهم قالوا اي الخزنة اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات اي الم
تنبهوا على هذا ولم تك تأتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة على سوء منقلبكم
عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم

لقاء يومكم

لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعاء او تعطيل
اسباب الاجابة قالوا بلى اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير قالوا فالفاء في قوله تعالى فادعوا
فصيحة كما في قول من قال فقد جئنا خراسانا اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان
الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن
فيه مع عروه عن بيان ان سببه من قبلهم كما تفصح عنه الفاء ربما يوهم ان الاذن في حيز
الامكان وانه لو اذن لهم لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم في الاجابة بل
اقناطهم واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به في قولهم وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي في
ضياع وبطلان قوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الى آخره كلام مستانف مسوق
من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي تقتضيه الحكمة وهو ان
شاننا المستمر انا ننصر رسلنا واتباعهم في الحياة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم
من الكفرة بالاستيصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق
لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد
اي يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جمع الاولين والآخرين
بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اي البعد
من الرحمة ولهم سوء الدار اي جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدي به من المعجزات
والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التوراة هدى
وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لاولي العقول السليمة العاملين
بما في تضاعيفه فاصبر على ما نالك من اذية المشركين ان وعد الله اي وعده الذي ينطق به قوله
تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الى قوله تعالى الغالبون او وعده الخاص بك وجميع مواعيده
التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر
لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك الاولى في بعض الاحايين فانه تعالى كافيك في نصرة
دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار اي ودم على التسبيح
ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا
وقيل صل لربك شكرا بالعشي والابكار وقيل هما صلاتا صلوة العصر وصلوة الفجر ان الذين
يجادلون في آيات الله ويجحدون بها بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته تعالى وتقييد
التجادل بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم في امر الدين لا بد من استناده الى سلطان
مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله تعالى ان في صدورهم الا كبر
خبر لان اي ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم والارادة للرياسة والتقدم
على الاطلاق او الارادة ان تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا ان فيها
موقع جدال ما او ان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا للمجادلة في الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه صفة
لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة والنبوة وقيل المجادلون
هم اليهود وكانوا يقولون صاحبنا المذكور في التوراة بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في آخر

الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع الينا
الملك فسمى الله تعالى غنيهم ذلك الكبر فنفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله اي فالتجأ اليه
من كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشيطان انه هو السميع البصير لاقوالكم
وافعالكم قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما
يجادلون فيه من امر البعث على منهاج قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم
وما يستوي الاعمى والبصير اي الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا
المسيء اي والمحسن والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي
فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتأكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفي مساواته للمحسن
فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير
الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات
اي تتذكرون تذكرا قليلا يتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس او الكفار ان الساعة لآتية
لا ريب فيها اي في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا
يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اي اعبدوني
استجب لكم اثبكم لقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي
صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة
للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ على صيغة المبني للمفعول من الادخال
الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس
لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول لغرض ترتيبه مرارا والنهار مبصرا اي يبصر فيه او به
ان الله لذو فضل عظيم لا يوازيه فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم
بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المتفرد بالافعال المقتضية
للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها
السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة
للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره
كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا
يؤفك كل من جحد بآيات الله تعالى اي آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح في الجملة الله الذي جعل لكم
الارض قرارا والسماء بناء بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى
وصوركم فاحسن صوركم بيان لفضله المتعلق بانفسهم والفاء في فاحسن تفسيرية فان الاحسان عين
عين التصوير اي صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات
متهيئين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اي اللذائذ ذلكم الذي نعت بما ذكر
من النعوت الجليلة الله ربكم خبران لذلكم فتبارك الله اي تعالى بذاته رب العالمين اي مالكهم ومربيهم
والكل تحت ملكوته مفتقر اليه في ذاته ووجوده وسائر احواله جميعها بحيث لو انقطع فيضه عنه لا نعدم
بالكلية هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته
وافعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجب تعالى مخلصين له الدين اي الطاعة من
الشرك الجلي والخفي الحمد لله رب العالمين اي قائلين ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما من قال

لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون
الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات او من الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة
عليها فان الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والانفسية وامرت ان اسلم
لرب العالمين اي بان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب اي في ضمن خلق آدم
عليه الصلاة والسلام من تراب تحقيقا لما مر ثم من نطفة اي ثم خلقكم خلقا تفصيليا
من نطفة اي مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا والافراد لارادة الجنس او لارادة
كل واحد من افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوف على علة اخرى له مناسبة لها
كانه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله
تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم
من يتوفى من قبل اي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر
بعده اي فعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون
ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذي يحيي الاموات ويميت الاحياء او الذي
يفعل الاحياء والاماتة فاذا قضى امرا اي اراد امرا من الامور فانما يقول له كن
فيكون من غير توقف على شيء من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات
عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك آمر
ومأمور والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة
به سبحانه الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون تعجيب من احوالهم الشنيعة
وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وسائر الكتب والشرائع وترتيب
الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله الخ بيان لابتناء
جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اي لاحظ الى
هؤلاء المكابرين المجادلين في آيات الله تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال
فيها كيف يصرفون عنها بالكلية قوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب اي بكل القرآن او بجنس الكتب
السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او في حيز النصب او
الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة في بعض
المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة
على تجدد المجادلة وتكررها وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او مطلق الوحي والشرائع
فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته اذ الاغلال
في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على
الاغلال في اعناقهم والجار في نية التأخير وقيل مبتدأ خبره محذوف لدلالة الاول عليه وقوله
تعالى يسحبون خبره على الاول بحذف العائد اي يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن في الظرف وقيل
استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كانه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون
في الحميم وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية
على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لان قوله تعالى الاغلال في اعناقهم في معنى
اعناقهم في الاغلال واضمار للباء ويؤيده القراءة به ثم في النار يسجرون اي يحرقون
اي يحمى التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير الصديق كانه سجر بالحب اي ملئ والمراد انهم يعذبون

بالوان العذاب ويسحبون من باب الى باب ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا اي يقال لهم ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك اي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى شيء ينفعهم في الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض اي تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والاشر والالتفات للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اي ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين اي جهنم والتعبير عنه بمدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى ان يلحقهم ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله بتعذيبهم حق كائن لا محالة فاما نرينك اي فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ذلك فالينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل عليه ما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس وما كان لرسول اي ما صح وما استقام لرسول منهم ان يأتي بآية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح منها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت مجيء امر الله هو اسم مكان استعير للزمان المبطلون اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم اولئك المعاندون المقترحون دخولا اوليا الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها ومنها تأكلون تفصيل لما دل عليه الكلام اجمالا من ان خلقها لغايات متنوعة اي ابتداء الركوب والاكل منها اي تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الازواج الثمانية فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منها يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة

عليها يعم

عليها يعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فاي آيات الله اي فاي آية من تلك الآيات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لاي واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي هو الشائع المستفيض والتانيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة قوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الخ استئناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها وآثارا في الارض باقية بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل هي آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به اي لم يغن عنهم او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالآيات البينات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو علم الانبياء الذي اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم الذي يحسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بهم بالكافرين ما كانوا به يستهزئون من جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا اي عند رؤيتهم عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فهذا الاغناء جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومعناها على ان التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الى آخره هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كانه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم البأس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له صدق رسول الله

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر مبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر مرارا او مبتدأ خبره تنزيل من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر آخر او تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجه الاول بدل منه او خبر آخر او خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية

للعالمين

والمثوبة واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
فصلت آياته ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة
من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او
فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا قرآنا عربيا
نصب على المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من آياته لقوم يعلمون اي معانيه لكونه
على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى
لقرآنا اي كائنا لقوم الخ وتنزيل على انه من الرحمن الرحيم اثبت بصفته او بفصلت بشيرا ونذيرا
صفتان اخريان لقرآنا اي بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان من كتابا ومن آياته
وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم
فهم لا يسمعون سماع تفهم وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن قلوبنا في اكنة اي اغطية متكاثفة
مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر اي صمم واصله الثقل وقرئ بفتح القاف ومن بيننا وبينك
حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما
من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج
اسماعهم له كأن بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسل عليهم الصلاة والسلام فاعمل اي
على دينك وقيل في ابطال امرنا اننا عاملون اي على ديننا وقيل في ابطال امرك والاول هو الاظهر فان
قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين للجواب عنه اي لست من جنس
مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ عنه قولكم
فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مأمور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بيني
وبينكم فان الخطاب في الهكم محكي منتظم للكل لا انه خطاب منه صلى الله عليه وسلم للكفرة كما في مثلكم
والمعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم
الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى اني لست ملكا
وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وف
والفاء في قوله تعالى فاستقيموا اليه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك
موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص في الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة
والعمل وقوله تعالى وويل للمشركين ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم
بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكاة لزيادة التحذير والتخويف من منع الزكاة حيث جعل من اوصاف المشركين
وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل وهم بالآخرة هم كافرون وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة
واختلافهما بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما
فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك
بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا
يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
اي لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل ولا يقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى
اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم
وان واللام لتأكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التأكيد وانما الاعتبا

بأن كفرهم

بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التأكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قيل
بالذي خلق الارض في يومين لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم به اي بالعظيم الشأن الذي قدر
وجودها اي حكم بأنها ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين على ان ما يوجد في كل نوبة يوجد
بأسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيراتها
وترتيب حركاتها وتجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل في حكم الانكار والتوبيخ وجمع
الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بأن يكون مدار الانكار هو التعدد اي وتجعلون له اندادا والحال
انه لا يمكن ان يكون له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من
معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف لما
مر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشأن
الذي فعل ما ذكر رب العالمين اي خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف
يتصور ان يكون اخس مخلوقاته ندا له وقوله تعالى وجعل فيها رواسي اي عطف على خلق داخل
في حكم الصلة والجعل ابداعي وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة
مدفوع بأن الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهي بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة
لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل بهما كلا فصل على ان فيه فائدة التنبيه على ان تجدد
المعطوف عليه كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه
المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اي خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وايا ما كان
فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى من فوقها متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسي
اي كائنة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد
الاعتبار ومطارح الافكار وبارك فيها اي قدر بأن يكثر خيرها بأن يخلق انواع الحيوان التي من جملتها
الانسان واصناف النبات التي منها معايشهم وقدر فيها اقواتها اي حكم بالفعل بأن يوجد
فيما سيأتي لاهلها من الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ
وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام تصريحا بالفذلكة سواء مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لايام
اي استوت سواء اي استواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ
بالرفع اي هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض
وما فيها او بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل السائلين اي الطالبين لها المحتاجين اليها من
المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى الى السماء شروع في بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية
التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى بأمر
المخاطبين وترتيب مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان
اي ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي على غيره وهي دخان اي امر ظلماني عبر به عن مادتها
او عن الاجزاء المتصغرة التي ركبت هي منها او دخان مرتفع من الماء كما سيأتي وانما خص
الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى
فقال لها وللارض اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كأنه قيل فقال لها وللارض التي
قدر وجودها ووجود ما فيها ائتيا اي كونا واحدثا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منهما
وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما
من غير ان يكون هناك آمر ومأمور كما في قوله تعالى طوعا او كرها تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى

فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لاثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال
اي طائعتين او كارهتين وقوله تعالى قالتا آتينا طائعين اي منقادين تمثيل لكمال تأثرهما
بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما امرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا
على مقتضى الحكمة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما
في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات
تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مترتب على تكوينها اي
خلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير للسماء على المعنى او مبهم
وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار
خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقديرها فكان خلق الكل في ستة ايام حسبما نص عليه في مواقع
من التنزيل واوحى في كل سماء امرها عطف على قضاهن اي خلق في كل منهما ما فيهما من الملائكة
والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قال قتادة والسدي فالوحي عبارة عن التكوين
كالامر مقيدا بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او اوحى الى اهل كل منها اوامره وكلفهم ما يليق بهم من
التفصيل الاجمالي في الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير
والايجاد [illegible]
[illegible] ثم استوى الى السماء [illegible]
خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش العظيم
قبل خلق السموات والارض على الماء ثم ان الله تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي
على وجه الماء فخلق منه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا
فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها
يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام
في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات
لكن دحوها وخلق ما فيها متأخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن ان الله تعالى خلق
الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك
الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس الخادم بلفظها مع
السماء فيسلك الامر بالاتيان انشاءها فلا تحملنهما الى انشاء وجودهما وجعلهما على وجه مخصوص يليق بهما
من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه اي ائتي يا ارض مدحوة
قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع على ذلك الوجه كما ينبئ عنه
قراءة آتينا من المواتاة وهي الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الارض
حتى يأتيها ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتأخرة عن دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك مسلك الاولين
ويحمل الامر بالاتيان على تكوينهما اتساقا على الوجه المذكور وليس من ضرورة ان يكون دحوها متأخرا عن
التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكوين السماء الوجه الذي به كان في حصوله
ينقدح في ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور بقبل ذلك وان جعل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك
دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير وجعل ذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السماء ورفع
سمكها وتسويتها وغير ذلك لا الى انفسهما ويحمل البعدية على التأخر في الذكر فالصحيح الاول في الدلالة على القدرة
القاهرة كما قيل واما على [illegible] لكونه مصلح الثنا بذلك

ظهر ولحاظ تمتنع اصل لها وليس مما روي عن الحسن رضي الله عنه نصا في دحو الارض عن خلق
السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو ولا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا
وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل
الاتيان بانهما حقيقيا ايضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا ينقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق
الارض كما لم ينقدح فيه خلق الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني واما
على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في قوله
الاول فعلى ذلك مبني اختلافهم في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الآية وقول الى حمل
الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا التوفيق بين مقام الامتنان تحقيقه وزينا السماء الدنيا
بمصابيح من الكواكب فانها كلها ترى متلألئة عليها كانها فيها والالتفات الى نون العظمة لابراز
مزيد العناية بالامر وقوله تعالى وحفظا مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا اي وحفظناها
من الآفات ومن المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا
ذلك الذي ذكر تفاصيله تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا متصل بقوله تعالى
قل ائنكم لتكفرون الخ ولا تعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان
فقل انذرتكم اي انذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر به صاعقة اي
عذابا هائلا شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق والصعق يقال
صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة
عاد ولا مساغ لجعله ظرفا لانذرتكم او صفة لصاعقة عاد اي كائنة اذ جاءتهم فيه حذف الموصول
مع صلته من بين ايديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم اي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من
جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب
الدنيا او من عذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم
ودعوتهم الى الحق منزلة مجيء انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهما الى الايمان بهما وبجميع الرسل
ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل قد جاؤوهم وخاطبوهم
بقوله تعالى الا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا او على ان مصدرية او ان لا تعبدوا على انها مفسرة
قالوا لو شاء ربنا اي ارسال الرسل لانزل الملائكة كما قيل فان تساعده العادة ما ادعوه من نفي رسالة البشر
وقد مر فيما سلف لانزل ملائكة اي لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل فانا بما
ارسلتم به اي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم كافرون كما انكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روي
ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد صلى الله عليه وسلم فلو التمستم لنا رجلا عالما
بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة
والسحر وعلمت من ذلك علما لا يخفى علي شيء فاتاه فقال يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت
خير ام عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا
وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك
ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم ورجع
الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة
ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة

ولا بحى فلما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه بيديها شدته بالرحم وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا
لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض شروع في بيان ما يخص كل واحدة
من الطائفتين من الجنايات والعذاب اثر ما بين ما يعمهما من الكفر المطلق اي تعظموا فيها على اهلها او تعظموا
فيها واستولوا على اهلها بغير الحق بغير استحقاق للتعظيم والولاية وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بشدتهم
وقوتهم حيث كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل
كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده اولم يروا اي اغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا
شبيها بالمشاهدة والعيان ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة اي قدرة فانه تعالى قادر
بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدر على كل قوي وقادر
وانما اورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم الشدة في القوة وفيه ضرب
من التهكم بهم وكانوا باياتنا المنزلة على الرسل يجحدون اي ينكرونها وهم يعرفون حقيتها
وهو عطف على فاستكبروا لقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء فارسلنا عليهم
ريحا صرصرا اي باردة تهلك وتحرق لشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او
عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا
وقرئ بالسكون على التخفيف او على النعت على فعل ووصف بمصدر مبالغة قيل كن اخر شوال من الاربعاء
الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا وقرئ لتذيقهم على اسناد
الاذاقة الى الريح او الى الايام واضيف العذاب الى الخزي الذي هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما
يعرب عنه قوله تعالى ولعذاب الاخرة اخزى وهو في الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب
للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم
على الحق بنصب الايات التكوينية وارسال الرسل وانزال الايات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية
وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره
ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الضلالة على الهداية
فاخذتهم صاعقة العذاب الهون داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب
مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله تعالى لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل
المراد بهم الكفار من الاولين والاخرين ويرده ما يرد من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس
وقرئ يحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء الله تعالى وبنون العظمة وضم الشين وكسرها الى النار اي الى
موقف الحساب اذ هناك تحقق الشهادة الاتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه
بالنار اما للتنبيه بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها فهم يوزعون
منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما في قوله تعالى يوم يجمع
الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا وهي
عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا ما جاءوها اي جميعا
غاية ليحشرون او ليوزعون حتى اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالى
او يظهر عليها اثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج
وهو الانسب بتخصيص السؤال بها في قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فان ما تشهد به من الزنا

اعظم جنايته

اعظم جناية وقبحا واجلب للخزي والعقوبة مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبة
بتوسطها وقيل المراد بالجلود الجوارح انيشا سؤال توبيخ لما روي انهم يقولون لهن فعنكن كنا
نناضل وفي رواية بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود وفي قوله
تعالى قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي لوقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء اي
انطقنا الله الذي انطق كل ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما
كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شي وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار
في الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله تعالى الذي انطق كل شي
وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم
ثانيا الى جزائه لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم وانما صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد
البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب
الخالد المترتب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى
وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال
لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون
في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون
من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا ولكن ظننتم ان الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح المخفية فلا يظهرها في الاخرة ولذلك اجترأتم على ما
فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى اياها كانت على علم منها بما شهدت به
عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة
نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع
ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم
تستترون الاية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب
ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى
يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكي من الحال جميع اصناف الكفرة فتدبر وذلكم اشارة الى ما ذكر من ظنهم
وما فيه من معنى البعد للدلالة على نهاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم
الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم بسبب ذلك
الظن السوء الذي اهلككم من الخاسرين اذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين
فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى
الغيبة للايذان باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز
الخطاب والقائهم في غاية دركات النار وان يستعتبوا اي يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما
يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام
صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون
لفوات المكنة وقيضنا لهم اي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين اي اخدانا من الشياطين
يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة
فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امور الاخرة حيث اروهم ان
لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول اي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها

ومصداقها وهي قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين في
امم حال من ضميرهم المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في ان المراد
باعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل قد خلت صفة
لامم اي مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء انهم كانوا خاسرين
تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين وقال الذين كفروا من رؤساء المشركين لاعقابهم
او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اي لا تنصتوا له والغوا فيه وعارضوه بالخرافات
من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين
والمعنى واحد يقال لغى يلغي كلقي يلقى اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن
الذين كفروا اي هؤلاء القائلين والعاملين اذ هم الكفار بعينهم والداخلون فيهم دخولا اوليا
عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي جزاء سيئات اعمالهم
التي هي في نفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف
لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك
مبتدأ وقوله تعالى جزاء اعداء الله خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه تعالى وقوله تعالى النار
عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف اي هو النار او ذلك عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما
بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها
او النار مبتدأ هي خبره اي هي بعينها دار اقامتهم على ان في التجريد وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر
مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون منا حديد وقيل هي على معناها والمراد ان لهم في النار
المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون منصوب
بفعل مقدر اي يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تعالى فان جهنم
جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل
اي بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو وقال الذين كفروا وهم
متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون فريقي شياطين النوعين
المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا
الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا بالتخفيف كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطنا اللذين اضلانا وقيل معناها
عطفاها وقرئ بالاختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا اي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما
في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين اي ذلا ومهانة او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله شروع
في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوا اعترافا بربوبيته
تعالى واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا اي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وثم للتراخي في الزمان او في
الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في معناها من الثبات
على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة من جهته تعالى يمدونهم
بما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام
كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا
قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر هو العموم كما
ستعرفه ان لا تخافوا ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه
غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى

كتب لكم

كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء
ضمير الشان وقرئ لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا على انه حال من الملائكة او استيناف وابشروا اي اسروا
بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم في احد المواطن الثلاثة وقوله
تعالى نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا الى آخره من بشاراتهم في الدنيا اي اعوانكم في اموركم نلهمكم
الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على
الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتاييده لهم بواسطة الملائكة عليهم الصلوة والسلام وفي
الآخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والخصام
ولكم فيها اي في الآخرة ما تشتهي انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون افتعال
من الدعاء بمعنى الطلب اي تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها
حال من الضمير في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي للاشباع في البشارة والايذان
باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون
من عظائم الاجر كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اي الى توحيده تعالى وطاعته
عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤذنين والحق ان حكمها
عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال
انني من المسلمين ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اي مذهبه
لا انه تكلم بذلك وقرئ اني بنون واحدة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة جملة مستأنفة سيقت
لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل
ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان اي لا تستوي
الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والاحكام ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي وقوله تعالى ادفع
بالتي هي احسن الى آخره استيناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة حيث اعترضتك من
بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو
واخرج مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم بيان لنتيجة الدفع المأمور به اي فاذا فعلت ذلك
صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها اي ما يلقى هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة
الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا اي شانهم الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من
الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هي الثواب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ
بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده
او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر للمبالغة او لتصرف الشيطان عما وصف به من الدفع
بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك
وفي جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن آياته الدالة على
شؤونه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر كل منهما مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لامره مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير
للاربعة لان حكم جملة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث او لانها عبارة عن الآيات وتعلق الفعل بالكل
مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية

في سلك الاغراض التي لا يقام لها بذاتها وهو المستوي في نظم الكل في سلك آياته تعالى ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعي وعند الحنفي الآية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما وهم لا يسأمون لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت اذا دنا ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربأت اي ارتفعت ان الذي احياها بما ذكر بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث انه على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الاحياء قدير مبالغ في القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون في آياتنا بالطعن فيها وتحريفها وحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيامة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء والاتيان آمنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الخ وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائي في سده مسد الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى وانه لكتاب عزيز اي كثير المنافع عديم النظير او منيع لا تتأتى معارضته بحال [illegible] الكفرة به وقوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدأ محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية اثر الصفتين السابقتين المفيدتين لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الباطل الخ اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى ما يقال لك الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من اذية الكفار اي ما يقال في شانك وشان ما انزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته اي بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى أاعجمي وعربي انكار مقرر للتحضيض والاعجمي يقال للكلام الذي لا يفهمه وللمتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كأحمري والمعنى أكلام اعجمي ورسول او مرسل اليه عربي على ان الافراد مع كون المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ اعجمي اي كلام منسوب الى امة العجم وقرئ اعجمي بالاخبار بان القرآن اعجمي والمتكلم او المخاطب عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب واياما كان فالمقصود بيان ان آيات الله تعالى على اي وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به قل هو للذين آمنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء لما في الصدور من شك وشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر على ان التقدير هو في آذانهم وقر على ان وقر خبر للضمير المقدر وفي آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر ويؤيده قوله تعالى وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في آذانهم ووقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف الموصول

على الموصول

على الموصول الاولى والوقر على هدى وشفاء وللذين وفي في آذانهم اولئك اشارة الى الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما عطف عليه وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للبعد الذي يعدى اولئك اي اولئك الموصوفون بما ذكر من التصامم عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادي من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستأنف مسوق لبيان ان الاختلاف في شان الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي وبالله لقد آتيناه التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك في شان ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك في حق امتك المكذبة وهي العدة بتأخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لقضي بينهم باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبي الامم السالفة وانهم اي كفار قومك لفي شك منه اي من القرآن وتعميم الضمير الاول لليهود والثاني للتوراة مما لا وجه له من عمل صالحا بان آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اي فلنفسه يعمل او فنفعه لنفسه لا لغيره ومن اساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على نفي ان يترك اثابة المحسن لعمله واثابة الغير بعمله ونفي ان يعذب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الانفال اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرة من اكمامها اي من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال الكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم يناديهم اين شركائي اي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى اين شركائي الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا آذناك اي اخبرناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما منا من احد الا وهو موحد لك وما منا احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم آذناك اما لان هذا التوبيخ مسبوق بمثله في موقف آخر او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم اعلموه او لان معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون اي يعبدون من قبل اي غابوا عنهم وظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان اي لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه

الشر اي العسر والضيق فيؤس قنوط فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة
ان القنوط عبارة عن ياس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اي مبالغ في قطع الرجاء من فضل
الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان الياس من رحمة الله تعالى لا يتاتى الا من
الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي
اي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي لا لغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قائمة
اي تقوم فيما سياتي ولئن رجعت الى ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسنى اي للحالة
الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وان نعم الآخرة
كذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها
الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى انما
بغيكم على انفسكم من سورة يونس ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه
واذا انعمنا على الانسان اعرض اي عن الشكر ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد عنه
بكليته تكبرا وتعظما فالجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز ان يراد عطفه
ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا مسه الشر فذو
دعاء عريض اي كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطول بل
والطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شان بعض غير
البعض الذي حكي عنه الياس والقنوط او شان الكل في بعض الاوقات قل ارايتم اي اخبروني
ان كان اي القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من اضل ممن هو في
شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم
سنريهم آياتنا الدالة على حقيقته وكونه من عند الله في الآفاق وهو ما اخبرهم النبي صلى الله
عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح
والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم
هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآفاق في منازل الامم
الخالية وآثارهم وفي انفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق في اقطار السموات والارض من الشمس والقمر
والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار
وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة
والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون واعتذر بان معنى السين مع ان اراءة تلك
الآيات قد حصلت قبل ذلك انه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا
على حقائقها يوما فيوما حتى يتبين لهم بذلك انه الحق اي القرآن او الاسلام او التوحيد اولم يكف
بربك استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شان القرآن وعنادهم المحوج الى اراءة الآيات وعدم
اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم يغن ولم
يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى وقوله تعالى انه على كل شيء شهيد بدل
منه اي الم يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك انه تعالى شهيد
على جميع الاشياء وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق
وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء
شهيد اي مطلع يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم

يكن كذلك لما قوي هذه القوة فلما نصحا مثل هذه النصحة فتأمل واما ما قيل من ان المعنى
او لم يكف انه تعالى على كل شيء شهيد محققا له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق
سائر الاشياء الموعودة فمع استعارة بما لا يليق بجلالة منصبه عليه الصلاة والسلام من
التردد فيما ذكر من تحقق الموعود يرده قوله تعالى الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك
عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه مصرح في ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية
بالضم وهي لغة فيها الا انه بكل شيء محيط عالم بجميع الاشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها
وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله سبحانه وتعالى بكل حرف عشر حسنات

سورة الشورى مكية وهي ثلث وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل
لتناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران للمبتدا المحذوف وقيل حم مبتدا
وعسق خبره وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله
العزيز الحكيم كلام مستأنف وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب
المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وان ايحاءها مثل ايحائها
بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شأنها والكاف في حيز النصب على انه مفعول ليوحي
على الاول وعلى انه نعت لمصدر مؤكد له على الثاني وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثاني
الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اي مثل
ما في هذه السورة من المعاني اوحي اليك عند ايحاء سائر السور والى الرسل عند ايحاء كتبهم
اليهم لا ايحاء مغايرا له كما في قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الآية على ان مدار
المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار
الوحي وان ايحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة او ايحائها مشبها بهما من تفخيمهما ما لا يخفى
وكذا في وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق
وقرئ يوحى على البناء للمفعول على ان كذلك مبتدا ويوحى خبره المفيد الى الضمير او مصدر يوحى مسند
الى الجار والله مرتفع بما دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحي فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان
له او مبتدا كما في قراءة نوحي والعزيز وما بعده خبران له او العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى
له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف
مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالى
وقيل من دعاء الولد كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه مضارع تفطر وهذا
مضارع فطر وقرئ تنفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن اي يبتدئ التفطر
من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما ان اعظم الآيات وادلها على العظمة والجلال
من تلك الجهة وعلى الثاني الدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة
في الارض حيث اثرت من جهة الفوق فلأن تؤثر في جهة التحت اولى وقيل الضمير للارض فانها في
معنى الارضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين
بحمده ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام

وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعاً في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون لمن في الارض فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار وكذلك اوحينا اليك قرآناً عربياً ذلك اشارة الى مصدر اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرآناً عربياً مفعول لاوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم اوحينا اليك قرآناً عربياً لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير فحسب فالكاف مفعول به لاوحينا وقرآناً عربياً حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لتنذر ام القرى اي اهلها وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع اي يوم القيمة لانه يجمع فيه الخلائق قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القرآن لا ريب فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم في الموقف فانهم يجتمعون فيه اولاً ثم يفترقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموع لدلالة لفظ الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم اي في الدنيا امة واحدة قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس رضي الله عنهما في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في رحمته انه تعالى يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب ان مشيئته تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حالة الداخلين فيهما قطعاً فلم يشأ جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير للايذان بان الادخال في الرحمة [...] قيل من للمبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم او كافرين كما قال مقاتل على دين الاسلام كما في قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على الايمان ولكن شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بقوله تعالى من يشاء وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم في رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم في عذابه فالذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الآية على احد الوجهين بان يراد بهم الذين هم في فترة ادريس او في فترة نوح عليهما الصلوة والسلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة متفقة على الكفر بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من انواع الاهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي شاء ان نخلت فيرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر

بعضهم

بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون في الآخرة الى السعير من غير ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ام اتخذوا من دونه اولياء جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون للظالمين ولي او نصير وام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ وجه وآكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء في شيء لان ذلك فرع كون الاصنام اولياء وهو اظهر الممتنعات اي بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء من الاصنام وغيرها هيهات وقوله تعالى فالله هو الولي جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اولياء ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد انه المولى والسيد وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم وهم فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم العظيم الشأن الله ربي مالكي عليه توكلت في مجامع اموري خاصة لا على غيره واليه انيب ارجع في كل المعضلات لا الى احد سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها اوثر في الاولى صيغة الماضي وفي الثانية صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم في شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح والمساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جواز تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او خبر لمبتدأ محذوف او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف للاسم الجليل في قوله تعالى الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف من انفسكم من جنسكم ازواجاً نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة ومن الانعام اي وجعل للانعام من جنسها ازواجاً او خلق لكم من الانعام اصنافاً او ذكوراً واناثاً يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو فيه فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام ازواجاً يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء من الاشياء التي من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة في شأن من لا مثل له وقيل مثل صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض اي خزائنهما يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة انه بكل شيء عليم مبالغ في الاحاطة بها فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وايذان بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان نسبته الى المذكورين عليهم الصلوة والسلام تنبيه على كونه ديناً قديماً اجمع عليه الرسل والخطاب لامته

صلى الله عليه وسلم اى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من ارباب الشرائع واولى العزم من مشاهير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وامرهم به امرا مؤكدا وتخصيص المذكورين بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شأن موسى عليه الصلاة والسلام وتفرد النصارى في حق عيسى عليه الصلاة والسلام والا فما من نبي الا وهو مأمور بما امروا به من الدين وهو الاسلام الذي هو عبارة عن التوحيد وما لا يختلف باختلاف الامم وتبدل الاعصار من اصول الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تأكيد الامر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بايحائه اليه عليه الصلاة والسلام اما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك الآية واما ما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه الصلاة والسلام بالذي الذي هو اصل الموصولات للتفخيم وايثار الايحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة ولما في الايحاء من التصريح برسالته صلى الله عليه وسلم القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عليه الصلاة والسلام للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه صلى الله عليه وسلم ان اقيموا الدين اي دين الاسلام الذي هو توحيد الله تعالى وطاعته والايمان بكتبه ورسله وباليوم الآخر وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ والمواظبة عليه والتشمر له ومحل ان اقيموا اما النصب على انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع كانه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما انه مع افضائه الى خروجه عن حيز الايحاء الى النبي صلى الله عليه وسلم مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى ولا تتفرقوا فيه للانبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهي الى اممهم تمحل ظاهر مع ان الاظهر انه متوجه الى امته عليه الصلاة والسلام وانهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا اي لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كبر على المشركين شروع في بيان احوال بعض من شرع لهم من الدين القديم الذي عظم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة اي الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعي اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب اي يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما تفرقوا شروع في بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى اهل الشرك قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اي وما تفرقوا في الدين الذي دعي اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيته بما شاهدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه في كتابهم او العلم بمبعثه عليه الصلاة والسلام وقيل استثناء

مفرغ

مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في حال من الاحوال الا حال مجيء العلم او الا وقت مجيء العلم بغيا بينهم عداوة وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم في ذلك شبهة ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيمة لقضي بينهم لاوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا اي وان المشركين الذين اورثوا القرآن من بعدهم اي من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم لفي شك منه من القرآن مريب موقع في الريبة او في القلق ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب اهل الكتاب بين هذا واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا لامم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان المراد تفرقهم في الحق تعنتا بعد علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم فان ساق الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستئصال من غير انظار وامهال على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر ما ذكر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتحقيق ان ما شرع لهم دين قديم اجمع عليه اولئك الاعلام عليهم الصلاة والسلام تأكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق اممهم عنه مما يوهم الاخلال بذلك المرام فلذلك اي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل ان شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون فادع اي الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى بان ربك اوحى لها اي فالى ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة اليه كما امرت واوحي اليك ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتأليف لقلوب اهل الكتاب وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها في خاتمة سورة البقرة وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والمخاصمة وقيل معناه لاسوي بيني وبينكم ولا آخذكم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم ولا افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمور به محذوف اي امرت بذلك لاعدل او زائدة اي امرت ان اعدل والباء محذوفة الله ربنا وربكم اي خالقنا جميعا ومتولي امورنا لنا اعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان او عقابا ولكم اعمالكم اي لا يتجاوزكم آثارها لننتفع بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا وبينكم اي لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذه كما ترى محاجزة في مواقف المجاوبة لا متاركة كلية في مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ بآية القتال والذين يحاجون في الله اي في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم واظهر دينه بنصره او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته عليه الصلاة

والسلام واستغنى به قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيل ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم زايلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق ملتبسا به في احكامه واخباره او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن وما يدريك اي اي شيء يجعلك عالما لعل الساعة اي مجيئها الكاتب الناطق بالحق قريب اي شيء قريب او قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى انها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء وكانوا يقولون متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه والذين آمنوا مشفقون منها اي خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اي الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده اي بر بهم يفيض عليهم من فنون الطافه ما لا تكاد تناله ايدي الافكار والظنون يرزق من يشاء ان يرزقه كيف ما شاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة الحرث في الاصل القاء البذر في الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الاعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذر المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اي من كان يريد ثواب الآخرة نزد له في حرثه نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها نؤته منها اي شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده ويبتغيه وما له في الآخرة من نصيب اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة الاسراء ام لهم شركاء اي بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا لهم بالتسويل من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلال لهم ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم عام في عذاب الآخرة ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له القصد للايذان بان حالهم غير مختص برؤية راء دون راء مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات مستقرون في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤون عند ربهم اي ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف ليشاؤون ذلك اشارة

الى ما ذكر

الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه هو الفضل الكبير الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الفضل الكبير هو الذي يبشر الله عباده اي الذي يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره الله تعالى عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من البشر قل لا اسألكم عليه روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا صلى الله عليه وسلم يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت اي ما اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة في القربى اي الا ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا اهل قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة اي يكتسب اي حسنة كانت فيتناول مودة ذي القربى تناولا اوليا وعن السدي انها المودة وقيل نزلت في الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم نزد له فيها اي في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله وقرئ حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب ام يقولون بل يقولون افترى على الله كذبا محمد بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على ان الهمزة للانكار التوبيخي كانه قيل اتمالكون ان ينسبوا مثله صلى الله عليه وسلم وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها قوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه صلى الله عليه وسلم لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينا فحينا تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء على الله تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله صلى الله عليه وسلم وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك فهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته استئناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر اي ومن عادته تعالى انه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له بنصره عليهم انه عليم بذات الصدور فيجري عليها احكامها اللائقة بها من المحو والاثبات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده التوبة هي الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروي عن جابر رضي الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك

وأتوب إليك وكبّر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة
الكذابين وتوبتك تحتاج إلى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي
من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية
وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون كائنا ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز حسبما تقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما يفعلون بالتاء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات
أي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله تعالى وإذا كالوهم أي كالوا لهم والمراد إجابة دعوتهم والإثابة
على طاعتهم فإنها كدعاء وطلب لما ترتب عليها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الدعاء الحمد لله أو
يستجيبون لله بالطاعة إذا دعاهم إليها وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه قيل له ما لنا ندعو فلا نجاب
قال لأنه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو إلى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا بموجب
الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الأرض لتكبروا وأفسدوا فيها بطرا أو لبغى بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما
عليه الجبلة البشرية وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية والكيفية ولكن ينزل
بقدر أي بتقدير ما يشاء أن ينزله مما تقتضيه مشيئته إنه بعباده خبير بصير محيط بخفايا
أمورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي
ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وروي أن
أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا إذا أخصبوا تحاربوا وإذا أجدبوا انتجعوا وهو
الذي ينزل الغيث أي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الإنزال
من بعد ما قنطوا يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر
النون وينشر رحمته أي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان أو رحمته
الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما أوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالإحسان ونشر الرحمة الحميد المستحق للحمد
على ذلك لا غيره ومن آياته خلق السموات والأرض على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع فإنها بذاتها وصفاتها
تدل على شؤونه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات أو الخلق من دابة من حي على إطلاق اسم المسبب
على السبب أو مما يدب على الأرض فإن ما يختص بأحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته إليهما كما في قوله تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح وقد جوز أن يكون للملائكة عليهم الصلاة والسلام مشي مع الطيران
فيوصفوا بالدبيب وأن يخلق الله تعالى في السماء حيوانا يمشون فيها مشي الأناسي على الأرض كما ينبئ عنه قوله تعالى
ويخلق ما لا تعلمون وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه
كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك
العرش العظيم وهو على جمعهم أي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى إذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى
قدير فإن المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته وإذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي تدخل المضارع
وما أصابكم من مصيبة أي مصيبة كانت فبما كسبت أيديكم أي فهي بسبب معاصيكم التي
اكتسبتموها والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة معنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى
السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم
لأسباب أخر منها تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه وما أنتم بمعجزين في الأرض فائتين ما قضي عليكم من المصائب
وإن هربتم من أقطارها كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن

آياته الجواري

آياته الجوار السفن الجارية في البحر وقرئ الجواري كالأعلام كالجبال على الإطلاق لا التي عليها نار
للاهتداء خاصة إن يشأ يسكن الريح أي التي تجري بها وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره
فيبقين ثوابت على ظهر البحر أي غير جاريات لا غير متحركات أصلا إن في ذلك الذي ذكر من السفن التي
تجري تارة وتركد أخرى على حسب مشيئته تعالى لآيات عظيمة في أنفسها كثيرة في العدد دالة
على ما ذكر من شؤونه تعالى لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه إلى ما لا ينبغي ووكل
همته بالنظر إلى آيات الله تعالى والتفكر في آلائه أو لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفه صبر ونصفه
شكر أو يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها
فيغرقن بعصفها وإيقاع الإيباق عليهن مع أنه حال أهلهن للمبالغة والتهويل وإجراء حكمه على
العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما أن المعنى أو يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو
عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة
مثل لينتقم منهم وليعلم إلخ كما في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى ولنعلمه من
تأويل الأحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى
أو إن يشأ يجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص أي من مهرب من العذاب
والجملة معلق عنها الفعل فما أوتيتم من شيء مما تؤتونه وتتمتعون به فمتاع الحياة الدنيا
أي فهو متاع لها تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير ذاتا لخلوص نفعه
وأبقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره أصلا والموصول
الأول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث إن إيتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا دخلت
جوابها الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه تصدق بماله كله فلامه
جمع من المسلمين فنزلت والذين يجتنبون كبائر الإثم أي الكبائر من هذا الجنس والفواحش
وإذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين آمنوا أو مدح بالنصب أو الرفع
وبناء يغفرون على الضمير خبرا للدلالة على أنهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة شأنها
وقرئ كبير الإثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الإثم الشرك والذين استجابوا لربهم وأقاموا
الصلاة نزلت في الأنصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان فاستجابوا له وأمرهم
شورى بينهم أي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل
الهجرة وبعدها إذا حزبهم أمر اجتمعوا فتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون أي في سبيل الخير
ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين إذا أصابهم
البغي هم ينتصرون أي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم
بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فإن كلا
منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فإن الحلم عن العاجز وعن
عوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولجاج اللئام مذموم فإنه إغراء على البغي وعليه قول من قال
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا وقوله فوضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف في موضع الندى وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه
كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه إساءة إلى الغير بالإشارة إلى أن البادي هو
الذي فعله لنفسه فإن الأفعال مستتبعة لأجزيتها حتما إن خيرا فخير وإن شرا فشر وفيه تنبيه
على حرمة التعدي وإطلاق السيئة على الثانية لأنها تسوء من تنزل به فمن عفا عن المسيء

البتة وأصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والإغضاء كما في قوله تعالى فإذا الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولي حميم فأجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد
المعهود إنه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة والمتعدين في الانتقام ولمن انتصر بعد
ظلمه أي بعدما ظلم وقد قرئ به فأولئك إشارة إلى من باعتبار المعنى كما أن الضمير بعدها
باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة إنما السبيل على الذين يظلمون
الناس يبدؤونهم بالإضرار ويعتدون في الانتقام ويبغون في الأرض بغير الحق أي يتكبرون
فيها تجبرا وفسادا أولئك الموصوفون بما ذكر من البغي والظلم بغير الحق لهم عذاب أليم بسبب
ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الأذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله تعالى إن ذلك
الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الأمور أي إن ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم
السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا تؤدي العفو إلى الشر كما أشير إليه ومن يضلل الله فما
له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله تعالى إياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب
أي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل إلى مرد إلى رجعة إلى الدنيا
من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم يعرضون عليها أي على النار ويدل عليها العذاب
والخطاب في الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متضائلين مما
دهاهم ينظرون من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور
ينظر إلى السيف وقال الذين آمنوا إن الخاسرين أي المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا
أنفسهم وأهليهم بالتعريض للعذاب الخالد يوم القيامة إما ظرف لخسروا والقول في الدنيا أو
لقال أي يقولونه حين يرونهم على تلك الحالة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه فقوله تعالى
ألا إن الظالمين في عذاب مقيم إما من تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى لهم وما كان لهم
من أولياء ينصرونهم من دون الله برفع العذاب عنهم حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا ومن
يضلل الله فما له من سبيل يؤدي سالكه إلى النجاة استجيبوا لربكم إذا دعاكم إلى الإيمان على
لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله تعالى أي لا يرده الله
بعدما حكم به على أن من صلة مرد أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ
أي مفر تلتجئون إليه وما لكم من نكير أي إنكار لما اقترفتموه لأنه مدون في صحائف أعمالكم وتشهد عليكم
جوارحكم فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس
بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أي فإن لم يستجيبوا وأعرضوا عما
تدعوهم إليه فما أرسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم إن عليك إلا البلاغ وقد فعلت وإنا إذا أذقنا
الإنسان منا رحمة أي نعمة من الصحة والغنى والأمن فرح بها أريد بالإنسان الجنس لقوله تعالى وإن
تصبهم سيئة أي بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور بليغ
الكفر ينسى النعمة ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتذكر شيئا من سببها بل يزعم أنها أصابته بغير
استحقاق لها وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الأفراد
وتصدير الشرطية الأولى بإذا مع إسناد الإذاقة إلى نون العظمة للتنبيه على أن إيصال النعمة محقق الوجود
كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بإن وإسناد الإصابة إلى السيئة وتعليلها
بأعمالهم للإيذان بندرة وقوعها وأنها بمعزل عن الانتظام في سلك الإرادة بالذات ووضع الظاهر
موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والأرض فمن

تضمينه

تضمينه الملك والتصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيف ما يشاء ومن جملته أن يقسم النعمة والبلية
حسبما يريد يخلق ما يشاء مما تعلمونه ومما لا تعلمونه يهب لمن يشاء إناثا من الأولاد ويهب لمن
يشاء الذكور منهم من غير أن يكون في ذلك مدخل لأحد أو يزوجهم أي يقرن بين الصنفين
فيهبهما جميعا ذكرانا وإناثا قالوا معنى يزوجهم أن تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما ثم جارية أو تلد ذكرا
وأنثى توأمين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل أحوال العباد في حق الأولاد مختلفة
على ما تقتضيه المشيئة فيهب لبعض إما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى وإما صنفين ويعقم
آخرين ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل أو لأن مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما
يتعلق بمشيئته تعالى لا ما يتعلق به مشيئة الإنسان والإناث كذلك أو لأن الكلام في البلاء
والعرب تعدهن أعظم البلايا أو لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف أو
لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لأنه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة إليه في الرابع
لإفصاحه بأنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة وقيل المراد بيان أحوال الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام حيث وهب لشعيب ولوط عليهما الصلاة والسلام إناثا ولإبراهيم عليه الصلاة والسلام
ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا وإناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام عقيمين إنه
عليم قدير مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه مصلحة وحكمة وما كان لبشر أي ما صح لفرد من
أفراد البشر أن يكلمه الله بوجه من الوجوه إلا وحيا أي بأن يوحي إليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما أوحي
إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ذبح ولده وقد روي عن مجاهد أوحى الله الزبور إلى
داود عليه الصلاة والسلام في صدره أو بأن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر
السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى أو من وراء حجاب فإنه تمثيل بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض
خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم الصلاة
والسلام أو بأن يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى أو يرسل رسولا أي ملكا فيوحي ذلك الرسول
إلى المرسل إليه الذي هو الرسول البشري بإذنه أي بأمره تعالى وتيسيره ما يشاء أن يوحيه إليه وهذا
هو الذي يجري بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في عامة الأوقات من الكلام وقيل
قوله تعالى وحيا وقوله تعالى أو يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى من وراء حجاب ظرف واقع
موقعها والتقدير وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا وقرئ أو يرسل بالرفع
على إضمار مبتدأ وروي أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا
كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم ينظر موسى عليه الصلاة
والسلام إلى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية
ثم قالت أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية إنه علي متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المفاوضة
بينه تعالى وبينهم إلا بأحد الوجوه المذكورة حكيم يجري أفعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى
بدونها إما إلهاما وإما خطابا وكذلك أي ومثل ذلك الإيحاء البديع أوحينا إليك روحا من أمرنا
هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة أبدية وقيل هو جبريل عليه الصلاة
والسلام ومعنى إيحائه إليه عليهما الصلاة والسلام إرساله إليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما
الكتاب أي أي شيء هو ولا الإيمان أي بتفاصيلهما في تضاعيف الكتاب من الأمور التي لا تهتدي إليها
العقول لا الإيمان بما يستقل به العقل والنظر فإن درايته صلى الله عليه وسلم له مما لا ريب فيه قطعا
ولكن جعلناه أي الروح الذي أوحيناه إليك نورا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذي

بصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى **وإنك لتهدي** تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور اي وانك لتهدي بذلك النور من نشاء هدايته **الى صراط مستقيم** هو الاسلام وسائر الشرائع والاحكام وقرئ لتهدى اي ليهديك الله وقرئ لتدعو **صراط الله** بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى **الذي له ما في السموات وما في الارض** لتفخيم شانه وتقرير استقامته وتاكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب **الا الى الله تصير الامور** اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويترحمون له صدق رسول الله

سورة الزخرف ثمان وثمانون آية

حم الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فان ذلك يخل بجزالة النظم الكريم **والكتاب** بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تاكيد مضمون الجملة القسمية **المبين** لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه من ابواب الديانة **انا جعلناه قرآنا عربيا** جواب للقسم لكن لا على ان مرجع التاكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التي يعرب عنها قوله تعالى **لعلكم تعقلون** فانها المحتاجة الى التحقيق والتاكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اي جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية **وانه في ام الكتاب** اي في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام بالكسر **لدينا** اي عندنا **لعلي** رفيع القدر بين الكتب شريف **حكيم** ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها ففي الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشان بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بنفسه كاف في الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به كما انه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر اولى منه بالاقسام به واما مستانفة مقررة لعلو شانه الذي انبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعدما بين علو شان القرآن العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل **افنضرب عنكم الذكر** اي ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كانه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اي انهملكم فننحي الذكر عنكم **صفحا** اي اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كانه قيل افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اي افننحيه عنكم جانبا **ان كنتم قوما مسرفين** اي لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشانكم

حتى تموتوا

حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى **وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن** تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى **فاهلكنا اشد منهم بطشا** اي من هؤلاء القوم المسرفين عدة له صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية **ومضى مثل الاولين** اي سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها ان تسير مسير المثل **ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم** اي ليسندن خلقها الى من هذا شانه في الحقيقة وفي نفس الامر لا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امر بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤا او ابوا وقد جوزوا ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى **الذي جعل لكم الارض مهادا** استئناف من جهته تعالى اي بسطها لكم تستقرون فيها **وجعل لكم فيها سبلا** تسلكونها في اسفاركم **لعلكم تهتدون** اي لكي تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد الاصلي **والذي نزل من السماء ماء بقدر** بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح **فانشرنا به** اي احيينا بذلك الماء **بلدة ميتا** خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره **كذلك** اي مثل ذلك الاحياء الذي هو في الحقيقة اخراج النبات من الارض **تخرجون** اي تبعثون من قبوركم احياء وفي التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذي هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس **والذي خلق الازواج كلها** اي اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضي الله عنهما الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك **وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون** اي ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في للرمز الى مكانيتها وكون حركتها اختيارية كما مر في سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها **لتستووا على ظهوره** اي لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى **ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه** اي تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم **وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا** متعجبين من ذلك كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا **وما كنا له مقرنين** اي مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينه لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها **وانا الى ربنا لمنقلبون** اي راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتامل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التي هي الانقلاب الى الله تعالى

فينبغي امره في مسيره ذلك على تلك الاحاطة ولا يخطر بباله في شيء مما يأتي ويذر الا لله تعالى
ومن ضعف ورثه ان يكون ذكره به لانه مشروع **وجعلوا له من عباده جزءا** متصل بقوله تعالى ولئن
سألتهم الى آخره وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما
عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته في حق الواجب الحق من جميع الجهات وقرئ جزؤا بضمتين **ان الانسان
لكفور مبين** ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون **ام اتخذ
مما يخلق بنات** ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم ذلك الولد الذي
نخص صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وقوله تعالى **واصفاكم بالبنين** اما
عطف على اتخذ داخل في حكم الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد والمعنى على الخلاف المشهور ولا التفات
الى الخطاب لتأكيد الالزام وتشديد التوبيخ اي بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما
على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته
وامتناعه اما كان لكم شيء من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة
للعقول من انه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين واعطاكم ايها وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات
وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة **واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن
مثلا** الى آخره استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم
اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم الاعراض عنهم وحكايتها لغيرهم تعجيبا منها اي
اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس الوالد ويماثله **ظل وجهه
مسودا** اي صار اسود في الغاية من سوء ما بشر به **وهو كظيم** مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال
وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له **اومن ينشأ
في الحلية** تكرير للانكار وتثبيت للتوبيخ ومن منصوب بمضمر معطوف على جعلوا اي او جعلوا له من شأنه
ان يربى في الزينة وهو عاجز عن ان يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الجعل واستبعاده وقيل انما بين
المعطوفين لتذكيرها بما في المنقطعة من الانكار وتاكيده والعطف للتغاير العنواني اي واتخذ من هذه
الصفة الذميمة صفته **وهو** مع ما ذكر من القصور **في الخصام** اي الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه الانسان
في العادة **غير مبين** غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه
واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده فيما قبله لانه بمعنى النفي وقرئ ينشأ وينشأ من الافعال والتفعيل
والكل بمعنى ونظيره علاه واعلاه وعلاه **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا** بيان لتضمن
كفرهم المذكور بكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله تعالى انقصهم رأيا
واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع
اشهدوا خلقهم اي احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك
مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة
واشهدوا بالالف بينهما **ستكتب شهادتهم** هذه في ديوان اعمالهم **ويسألون** عنها يوم القيامة
وقرئ سيكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهو قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملائكة
وقرئ يساءلون من المساءلة للمبالغة **وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم** بيان لفن آخر من كفرهم
اي لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه
حق مرضي عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم
بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احداهما ان

عبادتهم

عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد اخطأوا
في الثانية حيث جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار
الرضى والسخط في شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى **ما لهم بذلك** اي بما ارادوا بقولهم ذلك من
كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة
من علم يستند الى سند ما **ان هم الا يخرصون** يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك
الى اصل الدعوى كأنه لما ظهر وجوه فسادها وحكي شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل
ثم اضرب عنه الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل **ام آتيناهم كتابا من قبله** من قبل القرآن
او من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه **فهم به** اي بذلك الكتاب **مستمسكون** وعليه معولون
بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اي لم يأتوا بحجة عقلية او
نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقة
التي تؤم اي تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد
وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبران والظرف صلة لمهتدون **وكذلك** اي والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة
وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى **ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا
وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون** استئناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما
بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان
بان التنعم وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد **قل** حكاية لما جرى بين المنذرين وبين
اممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم اي قال كل نذير من اولئك المنذرين لامتهم **اولو جئتكم** اي اتقتدون
بآبائهم ولو جئتكم **باهدى** بدين اهدى **مما وجدتم عليه آباءكم** من الضلالة التي ليست من
الهداية في شيء وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قال على انه حكاية
امر ماض اوحي حينئذ الى كل نذير لا على انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى
قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية عن الامم قطعا كأنه قالت كل امة لنذيرها انا بما
ارسلت به الى آخره وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما مر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
وجعل حكاية عن قومه صلى الله عليه وسلم على صيغة الجمع للتغليب على سائر المنذرين عليهم
الصلاة والسلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما في نظائر قوله تعالى
كذبت عاد المرسلين تعسف بعيد يرده بالكلية قوله تعالى **فانتقمنا منهم** اي بالاستيصال **فانظر
كيف كان عاقبة المكذبين** من الامم المذكورين ولا تكترث بتكذيب قومك **واذ قال ابراهيم**
اي واذكر لهم وقت قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام **لابيه وقومه** المكبين على التقليد كيف
تبرأ مما هم فيه بقوله **انني براء مما تعبدون** وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال
او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك
يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما اما
مصدرية او موصولة حذف عائدها اي انني بريء من عبادتكم او معبودكم **الا الذي فطرني**
استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام او
صفة على ان ما موصوفة اي انني بريء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني **فانه سيهدين**
اي سيثبتني على الهداية او سيهديني الى وراء الذي هداني اليه الى الآن والاوجه ان السين
للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار **وجعلها** اي جعل ابراهيم كلمة

التوحيد التي تكلم به عبارة عنها كلمة باقية في عقبه أي في ذريته بحيث وصاهم بها كما نطق
به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو
الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل أي جعلها
باقية في عقبه رجاء أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء اضراب
عن محذوف ينساق اليه الكلام كأنه قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بأن وصى به بنيه رجاء
أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول
صلى الله عليه وسلم من أهل مكة وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في الشهوات
وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم أي هؤلاء الحق بالقرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة
واضحها بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرئ متعنا وتمتعت على الخطاب
على أنه تعالى اعترض به على ذاته في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية الخ مبالغة في تعييرهم فان
التمتع بزيادة النعم يوجب عليهم أن يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعلوه
سببا لزيادة الكفر أي أقصى مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من
الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة
به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين أي من احدى القريتين مكة والطائف
على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة
بن مسعود الثقفي وقيل حبيب بن عمرو الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم
يتفوهوا بهذه العظيمة تحسكا على نزوله الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم
مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى أنه لو كان قرآنا لنزل على أحد هؤلاء بناء على ما
زعموا من أن الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا أنها رتبة
روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية
المتحلين بالفضائل الأنسية وأما المزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية
فهم في استحقاق تلك الرتبة بالمعزل وقوله تعالى أهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل
لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم أي أسباب معيشتهم
في الحياة الدنيا قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض أمرها اليهم علما
منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وسائر مبادي المعاش درجات
متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم
وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم
في مهماتهم ويسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا
لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كان في تدبير خويصة أمرهم وما
يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بأنفسهم في تدبير أمر الدين
وهذا البعد من مناط العيوق ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها ورحمة
ربك أي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية
وقوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة استئناف مبين لحقارة حطام الدنيا ودناءة قدره
عند الله تعالى والمعنى أن حقارة بيانه بحيث لولا أن يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا رأوا أهله في

سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لأعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وأدناهم منزلة وذلك قوله
تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة أي متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن
جيء بلفظ الجمع من كان لافراد المتكلمين في الكفر باعتبار لفظها والسقف جمع تخفيفا وسقفا
كتفا بجمع السقوف وسقفا بفتحتين كأنه لغة في سقف وسقوفا ومعارج أي وجعلنا لهم
معارج من فضة أي مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون أي يعلون
السطوح والعلالي ولبيوتهم أي وجعلنا لبيوتهم أبوابا وسررا من فضة عليها أي على السرر
يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا أي زينة عطفا على سقفا أو ذهبا
عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا أي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة
بالصفات المفصلة الا شيء يتمتع به في الحياة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع
الحياة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على أن ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على أنها لام
العلة وما موصولة حذف عائدها أي للذي هو متاع كما في قوله تعالى تماما على الذي أحسن والآخرة
بما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان عند ربك للمتقين أي عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين
أن العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا ومن يعش أي يتعام عن ذكر الرحمن وهو القرآن واضافته الى
اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح أي يعم يقال عشي يعشى اذا كان في بصره
آفة وعشى يعشو اذا تعاشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على أن من موصولة غير متضمنة معنى
الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات
نقيض له شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده
الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه أن يرفع نقيض وانهم أي الشياطين الذين قيض كل منهم لكل واحد ممن
يعشو ليصدونهم أي قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أن مدار افراد الضمائر السابقة
اعتبار لفظها عن السبيل المستبين الذي يدعو اليه القرآن ويحسبون أي العاصون أنهم أي
الشياطين مهتدون لأن اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد
مسلكيهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدأ أو من فاعله أو منهما لاشتمالها على ضميريهما أي
وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون أنهم مهتدون اليه وصيغة المضارع في الأفعال الأربعة
للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تعالى حتى اذا جاءنا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة
على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما أن تكون غاية لأمر ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير في جاءنا وما
بعده لما أن المراد حكاية مقالة كل واحد من العاشين لقرينه لتهويل الأمر وتفظيع الحال والمعنى يستمرون على
ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم
القيامة قال مخاطبا له يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين أي بعد المشرق والمغرب أي
تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثني وأضيف البعد اليهما فبئس القرين أي أنت وقوله تعالى ولن
ينفعكم الخ حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله تعالى توبيخا وتقريعا أي لن ينفعكم اليوم أي
يوم القيامة تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم أي لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي
وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم أي اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا أنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا وعليه
قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي تبين أني لم تلدني لئيمة أي كريمة وقوله تعالى أنكم في
العذاب مشتركون تعليل لنفي النفع أي لن ينفعكم تمنيكم لأنكم وقرناءكم في العذاب كما ينفع الواقعين في
شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل أعبائها وتقسمهم لعنائها لأن كل منهم في الابتلاء

طاقة كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم نفيه بل المعنى لن يحصل
لكم التشفي بكون ذرياتكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب
والعنهم لعنا كبيرا او قولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرها ليتشفوا بذلك كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعاء قومه وهم لا يزدادون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد
النبوة وتصاميا عما يسمعونه من بيناتِ القرآن فنزل افانت تسمع الصم او تهدي العمي وهو انكار تعجيب من
ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشا
عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك
هو التمكن والاستغراق في الضلال المفرط بحيث لا يرعوي لانه متهم يوهم القصد من قبل الهادي وفيه رمز الى انه
لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك
عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة وما مزيدة
للتاكيد بمنزلة لام القسم في انها لا تفارق النون المؤكدة او نرينك الذي وعدناهم اي او اردنا ان نريك
العذاب الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا وقد اراه صلى الله
عليه وسلم ذلك يوم بدر فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الوعد او
اخرناه الى اليوم الآخر وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل انك على صراط مستقيم تعليل
للاستمساك او للامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون يوم القيامة عنه وعن
قيامكم بحقوقه واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم وعلماءهم دينهم لقوله تعالى
فسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على ان المسؤول عنه عين ما نطقت به السنة
الرسل لا ما يقوله اعداؤهم واممهم من تلقاء انفسهم قال الفراء هم انما يخبرون عن كتب الرسل فاذا سألهم
فكأنه سأل الانبياء عليهم الصلاة والسلام اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون اي هل حكمنا
بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والتنبيه
على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد ارسلنا موسى باياتنا متلبسا بها الى فرعون
وملائه فقال اني رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد
بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام الى التوحيد ثم ما اشار الى اجماع الرسل عليهم الصلاة والسلام عليه فلما
جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون اي فاجأوا وقت ضحكهم منها اي استهزؤوا بها اول ما رأوها
ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث
يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر من غير ملاحظة
قصور في شيء منها او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها واخذناهم بالعذاب
كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا ايها
الساحر فاذوه بذلك في مثل تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر
ساحرا لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك بما عهد عندك من
النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان
والطاعة اننا لمهتدون اي لمؤمنون تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون فاجأوا وقت نكث عهدهم بالاهتداء
وقد مر تفصيله في الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد ان
كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها

اربعة انهار الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي اي من تحت قصري او امري
وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الانهار
على ملك مصر فتجري حال منها او للحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبر المبتدأ افلا تبصرون
ذلك يريد به استعظام ملكه ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين اي
ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين اي الكلام قاله افتراء عليه عليه الصلاة والسلام
من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى وام اما منقطعة والهمزة
للتقرير كأنه قال اثر ما عدد اسباب فضله ومبادي خيريته اثبت عندكم واستقر لديكم اني انا خير
وهذه حاله من هذا النحو واما متصلة فالمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فوضع قوله
قوله ام انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل
السبب منزلة المسبب ويجوز ان يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب
فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي عليه
مقاليد الملك ان كان صادقا لانهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب
واسورة جمع سوار وقرئ اساورة وقرئ اساور جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء
من ياء اساوير وقد قرئ كذلك وقرئ القي عليه اساورة واساور على البناء للفاعل وهو الله
تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن
او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم وطلب منهم الخفة في
مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك
سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوي فلما آسفونا اي اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف اذا
اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار
يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو في الاصل مصدر نعت به او جمع سالف كخدم جمع خادم
وقرئ بضم السين واللام على انه جمع سليف اي فريق قد سلف كرغيف ورغف او سالف كصابر وصبر
او سلف كاسد واسد وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومثلا
للآخرين اي عظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب
ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعري لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال هذا لنا ولآلهتنا او لجميع الامم فقال صلى الله عليه وسلم هو
لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة اليست النصارى يعبدون المسيح واليهود
عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا
وارتفعت اصواتهم اذا قومك منه اي من ذلك المثل يصدون اي يرتفع لهم جلبة وضجيج
فرحا وجدلا وقرئ يصدون اي من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق اي يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض
او يزدادون فيه وقيل هو ايضا من الصديد فهما لغتان نحو يعكف ويعكف وهو الانسب بمعنى
الملاجة وقالوا آلهتنا خير ام هو حكاية لطرف من المثل المضروب وقالوه تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل
المموه بما يغرون به السفهاء اي ظاهر ان عيسى عليه الصلاة والسلام خير من آلهتنا فيها وعلم
ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل انه صلى الله عليه وسلم سكت عند ذلك الى ان
نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فان ذلك مع ابهامه لا يخفى به ساحته عليه الصلاة
والسلام عنه من شائبة الانهام من اول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روي انه قال لابن الزبعري خصمتك

وربك الكعبة تصدّ عنه من اول الامر عند سماع الآية الكريمة ثم ردّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
صلى الله عليه وسلم ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل فانما الرخص صلى الله عليه وسلم
هذا الحكم بالهتهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعموم علمًا بما ذكر من الاختصاص بكلمة ما بغير العقلاء
لان اخراج بعض المعبودين عنه عند الحاجة موهم الرخصة في عبادتهم في الجملة فعممه صلى الله عليه
وسلم للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى
ثم بيّن صلى الله عليه وسلم بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ان الملائكة والمسيح
بمعزل من ان يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
الجن الآية وقد مرّ تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فلما كان ما
اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم فبها لكهم على المكابرة والعناد كما نطق به قوله تعالى ما ضربوه
لك الا جدلا اي ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره
ببيانك بل هم قوم خصمون اي لُدّ شداد الخصومة مجبولون على اللجاج قيل لما سمعوا قوله تعالى
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا ادميا
ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم آلهتنا خير ام هو حينئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه الصلوة
والسلام لان المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه الا جدلا وما قالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما
نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما
عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد
صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه صلى الله عليه وسلم وبين آلهتهم الاستهزاء به ويجوز
ان يكون مرادهم التنصل عما انكر عليهم من قولهم للملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كأنهم
قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه
فنحن اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقوله تعالى ان هو الا
عبد انعمنا عليه اي بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل اي امرا عجيبا حقيقا بان يسير
ذكره كالامثال السائرة على الوجه الاول لبيان ان تنزيهه صلى الله عليه وسلم عن ان
ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية
وفيه تنبيه على بطلان رأي من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأي من رأى رأيهم في شأن الملائكة
وعلى الثاني والرابع لبيان انه في نفسه باطل او باطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد
امرنا انه ممن انعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد
خلقنا آدم بوجه ابدع منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يتهم
عبدة الملائكة بكونهم اهدى منهم ويعتذروا بان حالهم اشف واخف من حالهم واما على الوجه الثالث
فهو لرد تجهيلهم وتكذيبهم في افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان عيسى في الحقيقة وفيما
اوحي الى الرسل عليهم الصلوة والسلام ليس الا انه عبد منعم عليه فكيف يرضى عليه الصلوة والسلام
بمعبوديته او كيف يتوهم الرضا بمعبودية نفسه قوله تعالى ولو نشاء الخ تحقيق لان مثل عيسى عليه الصلوة
والسلام ليس ببدع من قدرة الله تعالى وانه تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع من التنبيه على سقوط الملائكة
ايضا من درجة المعبودية اي قدرتنا بحيث لو نشاء لجعلنا اي لخلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال
ليس من شأنكم الولادة ملائكة كما خلقناهم بطريق الابداع في الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين
في السماء يخلفون اي يخلفونكم مثل اولادكم فيما تأتون وما تذرون ويباشرون الافعال المنوطة بمباشرتكم

من ان

من ان شأنهم التسبيح والتقديس في السماء فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية
كيف يتوهم استحقاقهم المعبودية وانتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانه اي وان عيسى لعلم
للساعة اي انه بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصوله بها او بحدوثه بغير اب وباحياء الموتى
دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرئ لعلم اي
لعلامة وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث
ان عيسى عليه الصلوة والسلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده
حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى
عليه الصلوة والسلام فيصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب
ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما ان فيه الاعلام بالساعة
فلا تمترن بها فلا تشكن في وقوعها واتبعون اي واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول
مأمورا من جهته تعالى هذا اي الذي ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير في انه له صراط مستقيم
موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه لكم عدو مبين بيّن العداوة اخرج ابويكم
من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع
الواضحات قال لبني اسرائيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه
وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم الصلوة والسلام كما قال صلى الله
عليه وسلم انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون فيما ابلغه عنه تعالى ان الله هو
ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا اي التوحيد
والتعبد بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عليه الصلوة والسلام او
استئناف من جهته تعالى مقرر لما قال عيسى عليه الصلوة والسلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة
من بينهم اي من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم
اي من بعث اليهم من اليهود والنصارى هو يوم القيمة هل ينظرون اي ما ينتظر الناس الا الساعة ان تأتيهم
اي الا اتيان الساعة بغتة اي فجأة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور
الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في الامور
الدنيوية يومئذ يوم اذ تأتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب
لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم في الدنيا لما كانت لله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل
منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع يا عبادي لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم
الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى ونصب على المدح وكانوا مسلمين اي مخلصين وجوههم لنا جاعلين
انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل منهم فينادي مناد
يا عبادي فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم
ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره
على وجوهكم اي تزينون من الحبرة وهي حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل
يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امر به بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هي
كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة
له وفيها اي في الجنة ما تشتهي الانفس من فنون الملاذ وقرئ ما يشتهيه وتلذ الاعين اي تستلذ مشاهدته

بمشاهدته وقرئ فتلذه وانتم فيها خالدون فان تمام النعمة وكمال السرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة
مقارن بخوف الانقطاع والالتفات للتشريف وتلك الجنة مبتدأ وخبر التي اورثتموها وقرئ ورثتموها
بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة تشبيها جزاء العمل بالميراث لانه يخلف على العامل عليه وقيل تلك
الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر فيتعلق الباء
بمحذوف لا بها اورثتموها كما في الاولين لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب
الافراد فقط منها تأكلون اي بعضها تأكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها
شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع
رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين اي الراسخين في الاجرام فهم الكفار حسبما
ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة المؤمنين بالآيات في عذاب جهنم خالدون خبر ان او خالدون الخبر
وفي متعلقة لا يفتر عنهم اي لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف
وهم فيه اي في العذاب وقرئ فيها اي في النار مبلسون اي آيسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا
هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا خازن النار يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم
بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اي ليمتنا
حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم
لانه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة لقد
جئناكم بالحق في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك
ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق اي حق كان كارهون لا تقبلونه وتنفرون
منه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد والقرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا
كيدا منهم ابتداء على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى
الانتقال من توبيخ اهل النار لحكاية جنايتهم والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار
الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهي لانكار الواقع واستقباحه اي بل ابرم مشركو مكة ما تمرنوا من كيدهم
ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة
لقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في انديتهم ويتشاورون في امور رسول الله صلى
الله عليه وسلم ام يحسبون اي بل ايحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا به انفسهم او غيرهم في مكان
خال ونجواهم اي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا الذين يحفظون
عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا لديهم اي عندهم يكتبون اي يكتبونهما او يكتبون كلما صدر عنهم من
الاقوال والافعال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال اي نسمعهما
ورسلنا لديهم يكتبون قل اي للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتك اياهم بعدم عبادتك ما يعبدون
من الملائكة عليهم الصلاة والسلام ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبوديهم بل انما هو لجزمك باستحالة
ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول
العابدين اي لذلك الولد لاني صلى الله عليه وسلم اعلم الناس بشؤونه تعالى وبما يجوز عليه وما لا يجوز واولاهم
بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الولد تعظيم والده وقيل هذا الكلام على سبيل الفرض على ابلغ الوجوه
واقواها وقد يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد الا بطريق
الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما ايرد عنه ما ابداد ان كان لو المنبئ نعمى امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان

الرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا اول الآنفين المستنكفين منه
او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال
بذلك وقرئ ولد بضم الواو سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي يصفونه به
من ان يكون له ولد وفي اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات حيث
كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شيء منها جزءا منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشان العرش
فذرهم حيث لم يرعووا عن الغي بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا في دنياهم
فان ما هم فيه من الافعال والاقوال ليس الا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون من يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق كما مر في تفسير
البسملة كانه قيل وهو الذي مستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ وهو
الذي في السماء الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه
ولا مساغ لكون الجار خبرا لمبتدأ محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل
الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية وتخصيص لاستحقاق الالهية
به تعالى وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله وتبارك الذي له ملك السموات والارض
وما بينهما اما على الدوام كالهواء او في بعض الاوقات كالطير وعنده علم الساعة اي العلم بالساعة
التي فيها تقوم القيمة واليه ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون
بالتاء ولا يملك الذين يدعون اي يدعونه وقرئ بالتاء مخففا ومشددا من دونه الشفاعة كما
يزعمون الا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص
وجمع الضمير باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على
انه خاص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم اي سألت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر
الانكار لغاية بطلانه فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل
مخلوقا له تعالى وقيله بالجر اما عطف على الساعة اي وعنده علم الساعة وعلم قوله عليه الصلاة والسلام يا رب
الجر فان القول والقيل والقال كلها مصادر على ان الواو للقسم وقوله تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
جوابه وفي الاقسام به من رفع شانه صلى الله عليه وسلم وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى
وقرئ بالنصب على محل الساعة او باضمار فعله وبتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على
الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم واقنط
عن ايمانهم وقل سلام اي امري تسليم منكم ومتاركة فسوف يعلمون حالهم البتة وان تأخر ذلك
وهو وعيد من الله تعالى وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على انه داخل في حيز قل
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا
خوف عليكم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سبق في السورة السالفة انا انزلناه اي الكتاب المبين
في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله او نزل فيها جملة الى السماء
الدنيا من اللوح واملاه جبريل عليه الصلاة والسلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم

نجوماً ثلثاً وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما ان نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها ولما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استيناف يبين ما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا انزلناه الى آخره اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف فيها يفرق كل امر حكيم استيناف كما قبله فان كونها يفرق الامور الحكمية والملابسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرائيل وكذلك الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم الصلوة والسلام وقرئ نفرق بنون العظمة امراً من عندنا نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امراً حاصلاً من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز ان يكون حالاً من كل امر لتخصيصه بالوصف او من ضميره في حكيم وقد يجوز ان يراد به مقابل النهي ويجعل مصدراً مؤكداً ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لان الفرق به او حالاً من احد ضميري انزلناه اي آمرين او مأموراً انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى رحمة من ربك غاية للارسال متأخر عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وباعث متقدم عليه على ان المراد مبدؤها اي انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه او تعليل ليفرق او لقوله تعالى امراً على ان قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفرق فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب في ان كلاً من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فان الغاية من تكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع اي تلك رحمة قوله تعالى انه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك او بيان او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر آخر او استيناف على اضمار مبتدأ ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات وما بينهما اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الى آخره وما بينهما اعتراض يحيي ويميت مستأنفة لما قبلها وكذا قوله تعالى ربكم ورب آبائكم الاولين بانهما مبتدأ وبدل من رب السموات على قراءة الرفع وبيان او نعت لمن قرأ بالجر حملاً على رب السموات وقرئ بالجر بدلاً من رب السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين في اقرارهم يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطاً بهزء ولعب والفاء في قوله تعالى فارتقب لترتيب الارتقاب والامر به على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتماً اي فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان مبين اي يوم شدة

ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب يسمي الشر الغالب دخاناً وذلك ان قريشاً لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فذلك قوله تعالى يغشى الناس اي يحيط بهم هذا عذاب اليم اي قائلين ذلك فمشى اليه صلى الله عليه وسلم ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون هذا قول ابن عباس وابن مسعود وبه اخذ مجاهد ومقاتل رضي الله تعالى عنهم وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتي من السماء قبل يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوماً وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه سياق النظم الكريم قطعاً فان قوله تعالى انى لهم الذكرى الى آخره رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المنبئ عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون او من اين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اي والحال انهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوه من العظائم الموجبة للاقبال عليه ولم يقتنعوا بالتولي وقالوا في حقه معلم مجنون اي قالوا تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى مجنون او يقول بعضهم كذا واخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغى وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلاً انكم عائدون جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب الخ اي انا نكشف عنكم كشفاً قليلاً او زماناً قليلاً انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا عليه من العتو والفساد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى بعد اربعين يوماً فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون يوم نبطش البطشة الكبرى اي يوم القيمة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان مانعة من ذلك اي يوم نبطش ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتي الى آخره وقرئ نبطش بضم النون اي نحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهي التناول بالعنف والصولة او نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ نبطش بضم الطاء وهي لغة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اي امتحناهم بارسال موسى عليه الصلوة والسلام واوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله تعالى وعلى المؤمنين او في نفسه لان الله

وارسلوهم

تعالى لم يبعث نبيا إلا من سراة قومه وكرامهم ﴿أن أدوا إلي عباد الله﴾ أي بأن أدوا إلي بني إسرائيل و
معي أو بأن أدوا إلي يا عباد الله حقه من الإيمان وقبول الدعوة وقيل أن مفسرة لأن مجيء الرسول لا يكون إلا
برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة أي جاءهم بأن الشأن أدوا إلي الخ وقوله تعالى ﴿إني لكم رسول
أمين﴾ تعليل للأمر أو لوجوب المأمور به أي رسول غير ظنين قد ائتمنني الله تعالى على وحيه وصدقني
بالمعجزات القاهرة ﴿وأن لا تعلوا على الله﴾ أي لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله
كالتي سلفت قوله تعالى ﴿إني آتيكم﴾ أي من جهته تعالى ﴿بسلطان مبين﴾ تعليل للنهي أي آتيكم بحجة
واضحة لا سبيل إلى إنكارها وآتيكم على صيغة الفاعل أو المضارع وفي ذكر الأداء مع الأمين والسلطان
مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى ﴿وإني عذت بربي وربكم﴾ أي التجأت إليه وتوكلت عليه ﴿أن ترجمون﴾
من أن ترجموني أي تؤذوني ضربا أو شتما أو تقتلوني قيل لما قال وأن لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل
وقرئ بإدغام الذال في التاء ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾ أي وإن كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا
لي فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا لي بشر وأذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم إلى ما فيه صلاحكم
وخلوا علي عني فاقطعوا أسباب الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن بالله
﴿فدعا ربه﴾ بعد ما أصروا على تكذيبه صلى الله عليه وسلم ﴿أن هؤلاء﴾ أي بأن هؤلاء ﴿قوم مجرمون﴾ وهو تعريض
بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمي دعاء وقرئ بالكسر على إضمار القول قيل كان دعاؤه
اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم وقيل هو قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴿فأسر
بعبادي ليلا﴾ بإضمار القول إما بعد الفاء أي فقال ربه أسر بعبادي وإما قبلها كأنه قيل قال
إن كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي أي بني إسرائيل فقد دبر الله تعالى أن يتقدموا وقرئ بوصل الهمزة
من سرى ﴿إنكم متبعون﴾ أي يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم ﴿واترك البحر رهوا﴾ مفتوحا
ذا فجوة واسعة أو ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه حاله ليدخله
القبط ﴿إنهم جند مغرقون﴾ وقرئ أنهم بالفتح أي لأنهم ﴿كم تركوا﴾ أي كثيرا تركوا بمصر ﴿من جنات
وعيون وزروع ومقام كريم﴾ محافل مزينة ومنازل حسنة ﴿ونعمة﴾ أي تنعم ﴿كانوا فيها فاكهين﴾
متنعمين وقرئ فكهين ﴿كذلك﴾ الكاف في حيز النصب وذلك إشارة إلى مصدر فعل يدل عليه تركوا في
مثل ذلك السلب سلبناهم إياها ﴿وأورثناها قوما آخرين﴾ وقيل مثل ذلك الإخراج أخرجناهم
منها وقيل في حيز الرفع على الخبر أي الأمر كذلك فحينئذ يكون وأورثناها معطوفا على تركوا
وعلى الأولين على الفعل المقدر ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد
بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال بكت عليه السماء والأرض ومنه
ما روي أن المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهابط رزقه وآثاره في الأرض
وقيل تقديره أهل السماء والأرض ﴿وما كانوا منظرين﴾ لما جاء وقت هلاكهم ممهلين إلى وقت آخر أو إلى الآخرة
بل عجل لهم في الدنيا ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل﴾ بما فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا ﴿من العذاب
المهين﴾ من استعباد فرعون إياهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم على الخيفة والضيم ﴿من فرعون﴾ بدل
من العذاب إما على جعله نفس العذاب لإفراطه فيه وإما على حذف المضاف أي عذاب فرعون أو حال من
المهين أي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على الاستفهام على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وتفرعنه
وفي إبهام أمره أولا وتبيينه بقوله تعالى ﴿إنه كان عاليا من المسرفين﴾ ثانيا من الإفصاح عن كنه أمره
في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين إما خبر ثان لكان أي كان متكبرا مسرفا أو حال من الضمير
في عاليا أي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا في الإسراف ﴿ولقد اخترناهم﴾ أي بني إسرائيل

على علم

﴿على علم﴾ أي عالمين بأنهم أحقاء بالاختيار أو عالمين بأنهم يزيغون في بعض الأوقات ويكثر منهم الفرطات
﴿على العالمين﴾ جميعا لكثرة الأنبياء منهم أو عالمي زمانهم ﴿وآتيناهم من الآيات﴾ التي لم يعهد مثلها
في غيرهم ﴿ما فيه بلاء مبين﴾ نعمة جلية أو اختبار ظاهر لينظر كيف تعملون ﴿إن هؤلاء﴾ يعني كفار
قريش لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماديهم في الإصرار على الضلال
والتحذير عن حلول ما حل بهم ﴿ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى﴾ أي ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة
الأولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه إلى إثبات موتة أخرى كما في قولك حج زيد الحجة الأولى ومات
وقيل لما قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا إن هي إلا الموتة الأولى
فقيل المعنى ليست الموتة إلا هذه الموتة دون الموتة التي تعقب حياة القبر كما تزعمون ﴿وما نحن بمنشرين﴾
بمبعوثين ﴿فأتوا بآبائنا﴾ خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿إن كنتم
صادقين﴾ فيما تقدرون من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر أنه حق وقيل كانوا يطلبون إليهم
أن يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات ﴿أهم
خير﴾ رد لقولهم وتهديد لهم أي أهم خير في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما أسباب الهلاك ﴿أم قوم
تبع﴾ هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه
كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذي ملك برا وبحرا أي بحارا
كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم وعنه صلى الله عليه وسلم
ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة
لأنهم يتبعون كما يقال لهم الأقيال لأنهم يتقيلون ﴿والذين من قبلهم﴾ عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود
وأضرابهم من كل جبار عنيد أولي بأس شديد والاستفهام لتقرير أن أولئك أقوى من هؤلاء وقوله تعالى
﴿أهلكناهم﴾ استئناف لبيان عاقبة أمرهم وقوله تعالى ﴿إنهم كانوا مجرمين﴾ تعليل لإهلاكهم ليعلم أن
أولئك حيث أهلكوا بسبب إجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلأن يهلك هؤلاء وهم شركاؤهم
في الإجرام أضعف منهم في الشدة والقوة أولى ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي ما بين
الجنسين وقرئ وما بينهن ﴿لاعبين﴾ لاهين من غير أن يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة
﴿ما خلقناهما﴾ وما بينهما ﴿إلا بالحق﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو أعم الأسباب أي ما خلقناهما ملتبسا
بشيء من الأشياء أو ما خلقناهما بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق الذي هو الإيمان والطاعة والبعث والجزاء
﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الأمر كذلك فينكرون البعث والجزاء ﴿إن يوم الفصل﴾ أي فصل الحق عن الباطل
وتمييز المحق من المبطل أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبابه ﴿ميقاتهم﴾ وقت موعدهم ﴿أجمعين﴾ وقرئ ميقاتهم
بالنصب على أنه اسم إن ويوم الفصل خبرها أي إن ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل ﴿يوم لا يغني﴾
بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم أو ظرف لما دل عليه الفصل لا لنفسه ﴿مولى﴾ من قرابة أو غيرها
﴿عن مولى﴾ أي مولى كان ﴿شيئا﴾ أي شيئا من الإغناء ﴿ولا هم ينصرون﴾ الضمير لمولى الأول باعتبار المعنى
لأنه عام ﴿إلا من رحم الله﴾ بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب
على الاستثناء ﴿إنه هو العزيز﴾ الذي لا ينصر من أراد تعذيبه ﴿الرحيم﴾ لمن أراد أن يرحمه ﴿إن شجرة
الزقوم﴾ وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات ﴿طعام الأثيم﴾ أي الكثير الآثام
والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه ﴿كالمهل﴾ وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي
الزيت ﴿يغلي في البطون﴾ وقرئ بالتاء على إسناد الفعل إلى الشجرة ﴿كغلي الحميم﴾ غليانا كغليه ﴿خذوه﴾
على إرادة القول والخطاب للزبانية ﴿فاعتلوه﴾ أي جروه والعتل الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف

وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء الجحيم اي وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم
كان اصله يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف
العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز
الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا
وقرئ بالفتح اي لانك او عذاب لانك ان هذا اي العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون
فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اي عن الكفر والمعاصي في مقام في
موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم
الميم وهو موضع اقامة امين يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذي هو ضد الخيانة
وصف به المكان بطريق الاستعارة لان المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون
بدل من مقام جيء به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب يلبسون من سندس
واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استئناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ
منه معرب متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك اي الامر كذلك او كذلك اثبناهم
اثابتاهم وزوجناهم بحور عين على الوصف وقرئ بالاضافة اي قرناهم بهن والحور جمع الحوراء
وهي البيضاء والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا وغيرهن
يدعون فيها بكل فاكهة اي يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شيء
منها بمكان ولا زمان آمنين من كل ما يسوءهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون
على الحياة ابدا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد استحالة ذوقه وقيل الا بمعنى سوى كأنه قيل
لا يذوقون فيها الموت سوى الموتة الاولى الممكن ذوق الموتة الاولى حينئذ ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ
مشددا للمبالغة في الوقاية فضلا من ربك اي اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى
وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره
ونيل كل المطالب قوله تعالى فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة
اي انا انزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك
فارتقب ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدخان
ليلة جمعة اصبح
[illegible]
مغفورا له والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام فيه وفي نظمه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحل
الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه مسماة بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت
على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب تنزيل الكتاب على الاول خبر
بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ما قبله اي المؤلف
من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان الذي يجعل عنوانا
للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها
واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب مع غرابته عن
الافادة فاين ترتيبه لها نحو قوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر في صدر سورة الزمر على
التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ان في السموات

لآيات للمؤمنين

لآيات للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية
الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما نفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الآيات
على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله تعالى
وفي خلقكم اي من نطفة ثم من علقة متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة آيات
بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل
آيات عطف على ما قبلها من الآيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب
عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الجار كأنه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون
اي من شأنهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه واختلاف الليل والنهار بالجر على اضمار الجار المذكور في
الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما
انزل الله من السماء عطف على اختلاف من رزق اي من مطر وهو سبب الرزق عبر عنه بذلك تنبيها على
كونه آية من جهتي القدرة والرحمة فاحيا به الارض بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات
بعد موتها وعرائها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح
من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتأخيرها عن انزال المطر مع تقدمها عليه في الوجود
اما للايذان بانه آية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال
المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس بمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع
التي من جملتها سوق السفن في البحار آيات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدأ خبره ما تقدم
من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم ان
والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت
الجر في اختلاف والنصب في آيات وتنكير آيات في المواقع الثلاث للتفخيم كما وكيفا ولعل اختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات
في الدقة تلك آيات الله مبتدأ وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة
وقيل هو الخبر وآيات الله بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلوا او مفعوله اي نتلوها محقين او
ملتبسة بالحق فبأي حديث من الاحاديث بعد الله وآياته اي بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل
لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله الذي هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى
الله نزل احسن الحديث وهو المراد بآياته ايضا ومناط العطف التغاير العنواني يؤمنون بصيغة الغيبة
وقرئ بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثم يسمع آيات الله صفة اخرى لافاك وقيل استئناف وقيل
حال من الضمير في اثيم تتلى عليه حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون
ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ ثم يصر اي يقيم على كفره واصله من اصر الحمار على العانة
مستكبرا عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده
من الاباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع
القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير بسيرته ما هم فيه من الشر والفساد
وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب
كما في قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها مخففة وحذف ضمير الشأن والجملة حال من يصر
اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من آياتنا شيئا
اي اذا بلغه من آياتنا شيء وعلم انه من آياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل
اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة اتخذها

اي الآيات كلها هزوا اي مهزوا بها لما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتانيث لانه في معنى الآية
اولئك اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى
كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد لهم بسبب جناياتهم
المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه
وتعالى من ورائهم جهنم اي من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانهم معرضون
عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف وقدام ولا يغني عنهم
ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تعالى او شيئا من الاغناء ولا ما اتخذوا
من دون الله اولياء اي الاصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام
اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون
في شفاعتهم وفيه تهكم ولهم فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اي
القرآن هدى في غاية الكمال من الهداية كانه نفسها والذين كفروا بآيات ربهم اي بالقرآن ولذا وضع موضع
بآيات ربهم
ضميره وقوله تعالى لهم عذاب من رجز لزيادة تشنيع كفرهم وتفظيع حالهم لهم عذاب من رجز
اي من اشد العذاب اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب
في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية الله الذي سخر لكم البحر
بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه
بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون
ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض من الموجودات بان
جعلها مدارا لمنافعكم جميعا اما حال من ما في السموات وما في الارض او تاكيد له منه متعلق
بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما في السموات اي جميعا كائنا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشياء
كائنة منه مخلوقة له تعالى او خبر لمحذوف وصفة لجميعا اي هي جميعا منه تعالى وقرئ منه
على المفعول له ومنه على انها فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر مبتدا اي ذلك منه ان في ذلك
اي فيما ذكر من الامور العظام لآيات عظيمة الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدائع صنع الله
تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها قل للذين آمنوا
حذف المقول لدلالة الجواب عليه فانه جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط اي قل لهم
اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى
باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يؤملون الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين
ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين
شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما قال وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق
على بئر يقال لها المريسيع فارسل ابن ابي غلامه يستقي فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك
قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب
ابي بكر رضي الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزل الله تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اي امروا بذلك
ليجزي يوم القيامة قوما اي قوم قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها
الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه وما يقصر عنه البيان من الثواب
العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة

الخبيثة والتنكير للتحقير وقيل ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقدير
المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه في الكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنهما
بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى ولان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ
ليجزى قوم وليجزى قوما وقرئ لنجزي بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم ترجعون مالك اموركم فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا
ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب اي التوراة والحكم اي الحكمة النظرية والعملية والفقه في
الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر
في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم على
العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر وتظليل الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي
زمانهم وآتيناهم بينات من الامر دلائل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس
هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون
انصاره اهل يثرب فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته
فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اي عداوة وحسدا لا شكا فيه
ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين
ثم جعلناك على شريعة اي سنة وطريقة عظيمة من الامر اي من امر الدين فاتبعها
باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك من غير اخلال بشيء منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اي
آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له صلى الله
عليه وسلم ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض لا توالهم ولا تتبع اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم والله
ولي المتقين الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه
بالكلية هذا اي القرآن واتباع الشريعة بصائر للناس فان ما فيه من معالم الدين وشعائر
الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم
يوقنون من شانهم الايقان بالامور ام حسب الذين اجترحوا السيئات استئناف مسوق
لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان حال الظالمين والمتقين والهمزة لانكار الحسبان لكن
بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في
الارض ام نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح
الاكتساب ان نجعلهم اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوي الاحوال
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم
في الكرامة ورفع الدرجة قوله تعالى سواء محياهم ومماتهم اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم
حال من الضمير في الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميرهما على ان السواء بمعنى المستوي ومحياهم
ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل
مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في
المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة
الله وفي العذاب الخالد في الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لان
المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم

بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسوآء حال على احاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم
وقد ذكر في الاية الكريمة بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدأ فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال
وايا ما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم في ضمن الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل منه جازمون
بفضلهم على المؤمنين للمبالغة في الانكار والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ
عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على ابلغ وجه وآكده ساء ما يحكمون اي ساء
حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض استئناف مقرر لما سبق من الحكم
فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء
في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما
ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونة
بالحكم والصواب بدون العبث والباطل فحاصل خلقها لاجل ذلك ولتجزى الى آخره او على علة محذوفة
مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون
بنقص ثواب او بزيادة عقاب وتسميته ذلك ظلما مع انه ليس كذلك كما عرف من قاعدة اهل السنة
لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره
عنه تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة
الهوى فكأنه يعبده اي انظر فرأيته فان ذلك مما يقضي منه العجب وقرئ آلهة هواه لان
احدهم كان يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه فكأنه اتخذ آلهة
شتى واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التي فطر الناس
عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الايات والنذر وجعل على بصره
غشاوة مانعة من الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة فمن
يهديه من بعد الله اي من بعد اضلال الله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي
افلا تذكرون الا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون على الاصل وقالوا بيان لاحكام ضلالهم
المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اي ما الحياة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها
نموت ونحيا اي يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفا وما قبلها
وما بعدها ونحيا بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعض ويحيا بعض وقد
جوز ان يريدوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ نحيا بضم النون وما يهلكنا
الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اي غلبه وقرئ الا دهر يمر
وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه
للارواح بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك اي بما ذكر من اقتصار
الحياة على ما في الدنيا واستناد الحياة والموت الى الدهر من علم اي علم مستند الى عقل او نقل ان هم الا
يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شيء يصح ان يتمسك به في
الجملة هذا معتقدهم الفاسد في انفسهم واذا تتلى عليهم آياتنا الناطقة بالحق الذي من
جملته البعث بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب على انه
خبر كان اي ما كان متمسكا لهم شيء من الاشياء الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين في انا
نبعث بعد الموت اي الا هذا القول الباطل الذي يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم

اياه مساق

اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع
حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله
يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم
يجمعكم بعد البعث الى يوم القيامة للجزاء لا ريب فيه اي في جمعكم فان من قدر على البدء قادر على الاعادة
والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالايات دال على وقوعها حتما والاتيان بآبائهم حيث كان
مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه
وهو اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم
وقصورهم في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ولله ملك السموات والارض بيان لاختصاص الملك
المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والاماتة
والبعث والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل
منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية اي جالسة على
اطراف الاصابع والجذو اشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل
جماعات من الجثوة وهي الجماعة كل امة تدعى الى كتابها اي صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على
انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك
وقوله تعالى هذا كتابنا الى آخره من تمام ما يقال لهم حينئذ وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله
تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشانه وتهويلا لامره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى ينطق
عليكم اي يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر آخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله
تعالى انا كنا نستنسخ الى آخره تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشيء منها اي انا
كنا فيما قبل نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة وقوله
تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته تفصيل لما
يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد ذلك الذي ذكر من الادخال
في رحمته تعالى هو الفوز المبين الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن آياتي
تتلى عليكم اي فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم تأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف
المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين
اي قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله اي ما وعده من الامور الآتية او وعده بذلك
حق اي واقع لا محالة او مطابق للواقع والساعة التي هي اشهر ما وعده لا ريب فيها اي في وقوعها
وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها قلتم لغاية
عتوكم ما ندري ما الساعة اي اي شيء هي استغرابا لها ان نظن الا ظنا اي ما نفعل الا ظنا
وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي وقيل ما نعتقده الا ظنا اي لا علما وقيل ما نحن
الا نظن ظنا وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين اي لامكانه
فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا حياتنا الدنيا
وبدا لهم اي ظهر لهم حينئذ سيئات ما عملوا على ما هي عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا
وخامة عاقبتها او جزاؤها فان جزاء السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون من الجزاء
والعقاب وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك المنسي كما نسيتم في الدنيا لقاء يومكم
هذا اي كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم

النار وما لكم من ناصرين اي ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب بانكم بسبب
انكم اتخذتم آيات الله هزوا اي مهزوا بها ولم ترفعوا بها رأسا وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم
ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها اي من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات
الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب
الى غيابة النار ولا هم يستعتبون اي يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه
فلله الحمد خاصة رب السموات ورب الارض رب العالمين فلا يستحق الحمد احد
سواه وتكرير الرب للتأكيد والايذان بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ
برفع الثلاثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء في السموات والارض لظهور آثارها واحكامها
فيهما في موقع الايضاح لتفخيم شان الكبرياء وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم في كل ما قضى وقدر
فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله تعالى عورته
وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف ثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي
في مطالع السور السابقة ما خلقنا السموات والارض وما بينهما بما فيهما من حيث الجزئية
فيهما ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما من المخلوقات الا بالحق استثناء من اعم المفاعيل اي الا
خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا
او من مفعوله اي ما خلقناها في حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه
من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات
جليلة ما لا يخفى واجل مسمى عطف على الحق بتقدير مضاف اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه
امور الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو
آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون
فان ما انذروه يوم القيمة وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر اعمارهم ويجوز
كون ما مصدرية والجملة حالية اي ما خلقنا الخلق الا بالحق وبتقدير الاجل الذي يجازون
عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له قل توبيخا لهم وتبكيتا
ارايتم اخبروني وقرئ ارايتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله من الاصنام اروني
تأكيد لارايتم ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام في ماذا ام لهم شرك مع الله تعالى في السموات
اي في خلقها او في ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق للعبودية فان ما لا مدخل
له في وجود شيء من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء
العقلاء فما ظنك بالجماد وقوله تعالى ائتوني بكتاب الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلي
بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلي اي ائتوني بكتاب الهي كائن من قبل هذا الكتاب اي القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة
دينكم او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة
ان كنتم صادقين في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث
لم يقم عليها شيء منهما وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثرة بكسر الهمزة
اي مناظرة فانها استثارة المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به وخصصتم من علم مطوي عن غيركم واثرة بالحركات
الثلاث مع سكون الثاء اما المكسورة فبمعنى الاثرة واما المفتوحة فهي المرة من اثر الحديث اي رواه

واما الضمير فاسم ما لوثر كالخطبة التي هي اسم ما يخطب به ومن اضل ممن يدعو من دون الله
من لا يستجيب له انكار ونفي لان يكون احد يساوي المشركين في الضلال وان كان سبك التركيب لنفي الاضل
منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير مرة اي هو اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر
المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة الى يوم القيمة غاية لنفي
الاستجابة وهم عن دعائهم الضمير الاول لمفعول يدعو والثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان
الافراد فيما سبق باعتبار لفظها غافلون لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء
ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم الآية واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي مكذبين بلسان الحال او المقال
على ما يروى ان الله تعالى يحيي الاصنام جميعها فتتبرأ عن عبادتهم وقد يجوز ان يراد بهم كل ما يعبد من دون الله
من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويبنى ارجاع الضمائر واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد به
تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق اي لاجله وفي شانه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع
موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم
بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم اي في اول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل هذا سحر مبين اي ظاهر كونه
سحرا ام يقولون افتراه اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم الى حكاية ما هو اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار
التوبيخي المتضمن للتعجب اي بل ايقولون افترى القرآن قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي لا تقدرون
على ان تردوا عني شيئا من عذابه فانه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افتري على الله تعالى كذبا واعرض نفسي للعقوبة
التي لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته
وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم
بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران والرحمة لمن تاب
وآمن واشعار بحلم الله تعالى مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى
الخليل وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم او جمع مقدر بمضاف اي ذا بدع وقد جوز
ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه مصدر كانوا يقترحون عليه عليه الصلوة والسلام آيات عجيبة ويسألونه
عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر عليه الصلوة والسلام بان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم
يقدروا عليه حتى آتيكم بما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم الصلوة
والسلام ما كانوا يأتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرون قومهم الا بما اوحي اليهم وما ادري ما يفعل بي
ولا بكم اي اي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يصدر لنا من قضاياه وعن الحسن رحمه
الله ما ادري ما يصير اليه امري ولا امركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة
وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي الدراية المفصلة
والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول ان ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية
دون ما سيقع في الآخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا
وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه الصلوة والسلام وقد ضجروا من اذية المشركين
حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اأترك بمكة ام اؤمر بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر قد
رفعت لي ورأيتها يعني في منامه وقد جوز ان تكون ما موصولة والاستفهامية اقضى لحق مقام التبري عن الدراية
وتكرير لا لتأكيد النفي المنسحب اليه وتأكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى الضمير تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي

علي معنى قصر افعاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع الى الفهم
وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه
عليه الصلاة والسلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله
تعالى وما انا الا نذير انذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الي مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل
ارايتم ان كان اي ما يوحى الي من القرآن من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به
حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسطت بين اجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في
قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه
عندهم باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك
كفر بما هو من عند الله تعالى ام لا فلا بد من اعتبار الحال في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين
فان كلا منها امر محقق عندهم وانما ترددهم في انهما شهادة وايمان بما عند الله واستكبار عنه والمعنى
اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الواقفين على
شؤون الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من التوراة على مثله اي مثل القرآن من المعاني المنطوية في التوراة المطابقة
لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه
لفي زبر الاولين وقوله ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار تاديتها بعبارات اخرى او على مثل ما ذكر من كونه
من عند الله تعالى وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى فآمن للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقرآن
لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن
ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او امه
فقال عليه الصلاة والسلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل
الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك
رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك
فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن
سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان
لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا اشرنا وابن اشرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله
واحذر وقال سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي
على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه
الصلاة والسلام وشاهد بما في التوراة من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال الشعبي وقال
مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة
واجاب الكلبي بان الآية مدنية وان كانت السورة مكية واستكبرتم عطف على شهد شاهد وجواب
الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فآمن به
من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارايتم ان كان
من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين
فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم
لظلمهم وقال الذين كفروا حكاية لبعض آخر من اقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به اي قال
كفار مكة للذين آمنوا اي لاجلهم لو كان اي ما جاء به عليه الصلاة والسلام من القرآن والدين خيرا ما سبقونا

اليه فان

اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموالي ورعاة قالوه زعما منهم
ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل
عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية
والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق
وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته
اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان السورة مكية لا بد حينئذ من الالتجاء الى الحكم
بان الآية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده
اي واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفي خيريته هذا افك قديم
كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله اي من قبل القرآن وهو
خبر لقوله تعالى كتاب موسى قيل والجملة حالية او مستانفة وايا ما كان فهو رد لقولهم هذا افك قديم
وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا اماما ورحمة حالان من كتاب
موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به
وعمل بموجبه وهذا الذي يقولون في حقه ما يقولون كتاب عظيم الشان مصدق اي لكتاب
موسى الذي هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك لسانا
عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او من نفسه لتخصيصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى
الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي لينذر الذين ظلموا متعلق بمصدق
وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب وبشرى
للمحسنين في حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي وهو بشرى
وقيل على انه عطف على مصدق ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي جمعوا بين التوحيد الذي
هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل
وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب
والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الخوف لا نفي دوام الخوف كما يوهمه كون الخبر
مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك اي الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين اصحاب الجنة
خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى جزاء منصوب اما بعامل مقدر اي يجزون جزاء
او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون من الحسنات
العلمية والعملية ووصينا الانسان بوالديه احسانا وقرئ حسنا اي بان يفعل
بهما حسنا اي فعلا ذا حسن او كانه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين ايضا وبفتحهما
اي بان يفعل بهما فعلا حسنا او وصيناه ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها اي ذات
كره او حملا ذا كره وهي المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل المضموم اسم والمفتوح
مصدر وحمله وفصاله اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم
والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهي به كما اريد بالامد المدة من قال كل حي مستكمل
مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلاثون شهرا تمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله
وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن
اراد ان يتم الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق
ارتباط النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اي اكتمل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة

قيل لم يبعث نبي قبل اربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعني اي الهمني واصل اوزعني
من اوزعته بكذا اي اغريته به ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وان
اعمل صالحا ترضاه التنكير للتفخيم والتكثير واصلح لي في ذريتي اي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي
راسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها نصلي قال ابن عباس رضي الله عنهما اجاب الله دعاء ابي بكر رضي الله عنه
فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا
ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده
جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن
ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
اني تبت اليك عما لا ترضاه او عما يشغلني عن ذكرك واني من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم
اولئك اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم
احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح حسن لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ
يتقبل ويتجاوز بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل
وكذا الجار والمجرور في اصحاب الجنة اي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم وعد الصدق مصدر
مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز الذي كانوا يوعدون
على السنة الرسل والذي قال لوالديه عند دعوتهما له الى الايمان اف لكما هو صوت يصدر
من المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات
الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سيأتي قيل هو في
الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روي
انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قبل اسلامه يرده ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الذين
حق عليهم القول الآية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضي الله عنها من قال
ذلك اتعدانني ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج وقد خلت القرون
من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله يسألانه ان يغيثه ويوفقه للايمان ويلك اي
قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك
آمن ان وعد الله حق اي البعث اضافه الى الله تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطئه في اسناد الوعد
وقرئ ان وعد الله بالفتح اي آمن بان وعد الله حق فيقول تكذيبا لهما ما هذا الذي تسميانه
وعد الله الا اساطير الاولين اباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة اولئك
القائلون هذه المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول وهو قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك
وممن تبعك منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد
مر تفصيله في سورة حم السجدة انهم جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى
رؤوس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين
درجات مما عملوا مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة في مراتب المثوبة وايرادها ههنا
بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اي اجزيتها وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون بنقص ثواب
الاولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة حال مؤكدة للتوفية او استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف
متأخر كأنه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم فجعل

الثواب درجات

الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعذبون بها من قولهم عرض
الاسارى على السيف اي قتلوا وقيل تعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اي
يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ آاذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي اي اصبتم
واخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك
شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم في الدنيا تستكبرون في الارض بغير الحق بغير استحقاق
لذلك وبما كنتم تفسقون اي تخرجون من طاعة الله عز وجل اي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين
وقرئ تفسقون بكسر السين واذكر اي لكفار مكة اخا عاد اي هودا عليه الصلاة والسلام اذ انذر
قومه بدل اشتمال منه اي وقت انذاره اياهم بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء
من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من
بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر اي الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اي من
قبله ومن خلفه اي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه
وبين قوله ان لا تعبدوا الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايذانا باشتراكهم في العبادة المحكية
والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر
عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم واما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه عليه الصلاة والسلام انذرهم وقال
لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين
سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره ففيه ما فيه من تكلف تقريب الاعلام لا بد من نسبة الخلو الى من بعده من الرسل
من تنزيل الآتي منزلة الخالي قالوا اجئتنا لتأفكنا اي لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا
من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين في وعدك بنزوله بنا قال انما العلم اي بوقت نزوله او العلم
بجميع الاشياء التي من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في اتيانه وحلوله وانما علمه عند
الله تعالى فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به من مواجب الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب
ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون حيث
تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة
والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا اما تمييز او حال واما راجع الى ما استعجلوه بقولهم فأتنا بما تعدنا اي فأتاهم
فلما رأوه سحابا يعرض في افق السماء مستقبل اوديتهم اي متوجها اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما في
قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعتا صفتين للنكرة بل هو اي قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل
بل هو رد عليهم اي ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب ريح بدل من ما او خبر لمبتدأ محذوف
فيها عذاب اليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر كل شيء اي تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها وقرئ
يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف اي من اهلها او في بيتها ويجوز ان تكون لاستئنافا
واراد البيان اي كل ممكن فناء مقتضيا منوطا بامر بارئه وتكوينها لكل شيء يكون بعض الاشياء وفي ذكر الامر
والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظم شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى فاصبحوا لا
يرى الا مساكنهم فصيحة اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء
ونصب مساكنهم كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين وقد مر تفصيل القصة في سورة
الاعراف وقد روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة وترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة قيل اول
من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي ان اول ما عرفوا به انه عذاب ذا ولما كان في
الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح

الا وثانية وصرعتهم فأمال الله تعالى الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم
فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي أن هوداً عليه الصلاة والسلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين
خطاً إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود عليه الصلاة والسلام ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من
الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة ولقد
مكناهم أي قررناهم وأقدرناهم وما في قوله تعالى فيما إن مكناكم فيه موصولة أو موصوفة وإن نافية
أي في الذي أو في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى ألم يروا كم
أهلكنا قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع إن ههنا التفصي عن تكرر لفظة ما وهو الداعي
إلى قلب ألفها هاء في مهما وجعلها شرطية أو زائدة مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة
ليستعملوها فيما خلقت هي له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون
منعمها عز وجل ويداوموا على شكره فما أغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل
ولا أبصارهم حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم ولا أفئدتهم حيث لم يستعملوها
في معرفة الله من شيء أي شيئاً من الإغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى إذ كانوا يجحدون بآيات الله متعلق بما
أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث إن الحكم مرتب على ما أضيف إليه فإن قولك أكرمته إذ أكرمني في
قوة قولك أكرمته لإكرامه لأنك إذا أكرمته وقت إكرامه فإنما أكرمته فيه لوجود إكرامه فيه وكذا الحال في حيث
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا إن كنت
من الصادقين ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات
كررناها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
قرباناً آلهة القربان ما يتقرب به إلى الله تعالى وأحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقرباناً
حال والتقدير فهلا خلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقرباً بها إلى الله تعالى حيث كانوا
يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قرباناً
مفعولاً ثانياً وآلهة بدلاً منه لفساد المعنى فإن البدل وإن كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من
صحة المعنى بدونه ولا ريب في أن قولك اتخذوهم من دون الله قرباناً أي متقرباً به مما لا صحة له قطعاً لأنه تعالى
متقرب إليه لا متقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قرباناً متجاوزين الله في ذلك وقرئ قرباناً بضم الراء بل
ضلوا عنهم أي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبتهم أو ضاعوا عنهم أي ظهر ضلالهم عنهم
بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور وذلك أي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم
الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ونتيجة شركهم وقرئ أفكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ أفكهم
على صيغة الماضي فذلك إشارة حينئذ إلى الاتخاذ أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق
وقرئ أفّكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الإفعال أي جعلهم آفكين وقرئ آفكهم على صيغة اسم الفاعل
مضافاً إلى ضميرهم أي قولهم الإفك أي ذو الإفك كما يقال قول كاذب وما كانوا يفترون عطف على إفكهم
أي وأثر افترائهم على الله تعالى أو أثر ما كانوا يفترونه على الله تعالى وقرئ وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض
ما كانوا يفترون من الإفك وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ
صرّفنا بالتشديد للتكثير لأنهم جماعة وهو المصحح لجمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن وما بعده
وهو حال مقدرة من نفراً لتخصصه بالصفة أو صفة أخرى له أي واذكر لقومك وقت صرفنا إليك نفراً كائناً
من الجن مقدراً استماعهم القرآن فلما حضروه أي القرآن عند تلاوته أو الرسول عند تلاوته له على الالتفات
والأول هو الأظهر قالوا أي قال بعضهم لبعض أنصتوا أي اسكتوا لنستمعه فلما قضي أتم وفرغ عن تلاوته

وقرئ على

وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يؤيد عود ضمير حضروه إليه عليه
الصلاة والسلام ولوا إلى قومهم منذرين مقدرين إنذارهم عند رجوعهم إليهم روي أن الجن كانت
تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة
نفر من أشراف جن نصيبين أو نينوى فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافقوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته
وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم
فأنبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل أمره الله تعالى أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه
نفراً منهم جمعهم له فقال عليه الصلاة والسلام إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها
ثلاثاً فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة
في شعب الحجون فخط لي خطاً فقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القراءة وسمعت لغطاً
شديداً حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه
حتى ما أسمع صوته عليه الصلاة والسلام ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل رأيت شيئاً قلت نعم رجالاً سوداً مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني
عشر ألفاً والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك قالوا أي عند رجوعهم إلى قومهم يا قومنا إنا
سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى قيل قالوه لأنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه الصلاة والسلام مصدقاً لما بين يديه أي لما تقدمه
يهدي إلى الحق من العقائد الصحيحة وإلى طريق مستقيم موصل إليه وهو الشرائع والأعمال
الصالحة يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به أرادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة إلى الله
تعالى بعدما وصفوه بالهداية إلى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم إلى ذلك بعد بيان حقيته
ترغيباً لهم في الإجابة ثم أكدوه بقولهم يغفر لكم من ذنوبكم أي بعض ذنوبكم وهو ما كان من خالص حق
الله تعالى فإن حقوق العباد لا تغفر بالإيمان ويجركم من عذاب أليم معد للكفرة واختلف في أن لهم
أجراً غير هذا أولا والأظهر أنهم في حكم بني آدم ثواباً وعقاباً وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز
في الأرض إيجاب للإجابة بطريق الترهيب إثر إيجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين وإظهار
داعي الله من غير اكتفاء بأحد الضميرين للمبالغة في الإيجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وإدخال
الروعة وتقييد الإعجاز بكونه في الأرض لتوسيع الدائرة أي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وإن هرب كل مهرب
من أقطارها أو دخل في أعماقها وقوله تعالى وليس له من دونه أولياء بيان لاستحالة نجاته
بواسطة الغير إثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الأولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة
الجمع بالجمع لانقسام الآحاد إلى الآحاد كما أن في قوله تعالى أولئك بذلك الأجانب أي وأولئك الموصوفون
بعدم إجابة داعي الله في ضلال مبين أي ظاهر كونه ضلالاً بحيث لا يخفى على أحد حيث أعرضوا عن إجابة
من هذا شأنه أولم يروا الهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية أي ألم
يتفكروا ولم يعلموا علماً جازماً متاخماً للمشاهدة والعيان أن الله الذي خلق السموات والأرض ابتداء من
غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ولم يعي بخلقهن أي لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلاً أو لم يعجز عنه
يقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه وقوله تعالى بقادر في حيز الرفع لأنه خبر أن كما ينبئ عنه قراءة
يقدر بغير باء ووجه دخولها في القراءة الأولى اشتمال النفي الوارد في صدر الآية على أن وما في حيزها كأنه قيل

اوليس الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى بلى انه على كل شيء قدير
تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا على النار ظرف
عامل مقول مضمر بقوله اليس هذا بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير ان يخص
بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن ذكره وتأنيثه اذ هو الذي يؤذن به تهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب
وقيل هي الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين
قالوا بلى وربنا اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما في الدنيا وانى لهم
ذلك قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بها في الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم
والفاء في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة
امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم
بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها
وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى
وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر
على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب
على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته
اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولا تستعجل لهم اي
لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا
في الدنيا الا ساعة يسيرة من نهار لما يشاهدونه من شدة العذاب وطول مدته بلاغ [?]
خبر مبتدأ محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ
بلاغا اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة
وقرئ يهلك بالبناء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا صدق رسوله

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك
طريقه يقال صدوا صدودا او منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا
من اهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد
منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم اي ابطلها واحبطها
ضايعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه احكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونه من اعمال البر كصلة
الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان
او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بنصر رسوله واظهار دينه على
الدين كله وهو الاوفق لما ياتي من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا والذين
آمنوا وعملوا الصالحات قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل وآمنوا بما نزل
على محمد خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشأنه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر
ما يجب الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته
بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول حقيته مقابل الباطل واياما كان فقوله تعالى

من ربهم

من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم
سيئاتهم اي سترها بالايمان والعمل الصالح واصلح بالهم اي حالهم في الدين والدنيا بالتأييد والتوفيق
ذلك اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدأ خبره قوله بان الذين
كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك كائن بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان
كما قال مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد
الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له لتضمن بيان سببيتهما لكونه مبتدأ ومنشأ لهما حتما
فلا تدافع بين الاشعار والتصريح في شيء من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب
الذي لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها بيان لابتنائها على البطلان
مبناها وزوالها لما حمل على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لان الكفر والصد نفس المتبع فلا وجه للتصريح بسببيته
لما ذكر بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما للمقدر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان
والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا
بالسببية المشعر بها في الموضعين كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله اي يبين للناس امثالهم
اي احوال الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهو اتباع الاولين الباطل وخيبتهم
وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا
لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم
مما يوجب ان يترتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة
فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول
وفيه اختصار وتاكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له باشنع صورة وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى
ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ او
ثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق
اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ به فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا بعد ذلك
او تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رضي الله تعالى
عنه وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل والاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم
من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدى كعصا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب
آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى
غاية عند الشافعي رحمه الله تعالى لاحد الامور الاربعة او المجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون
مع المشركين حرب بان لا يبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام واما عند ابي حنيفة رحمه الله
فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب اوزارها
بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها آثامها اي حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا ذلك اي
الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستئصال
ولكن لم يشأ ذلك ليبلو بعضكم ببعض فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم
بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا
في سبيل الله اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي جاهدوا وقتلوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم اي فلن يضيعها
وقرئ يضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم
في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم

لهم في الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي
اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه
فيعرفه كل شيء اعطاه الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم
وافرزها من عرف الدار فجنة كل واحد منهم محددة مفرزة والجملة اما مستأنفة او حال باضمار
قد او بدونه يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله اي دينه ورسوله ينصركم على
اعدائكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها او على محجة الاسلام
والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط والبعد والانحطاط ومن حل
تاعس وتعسوا انتصابه بفعل الواجب حذفه سماعا اي فقال تعسا لهم او فقضي تعسا لهم ودل عليه قوله
تعالى واضل اعمالهم عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول ذلك اي ما ذكر
من التعس واضلال الاعمال بانهم بسبب انهم كرهوا ما انزل الله من القرآن لما فيه من التوحيد
وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء فاحبط لاجل ذلك
اعمالهم التي كانوا عملوها مع الاخلال لا يثابوا عليها افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة فان آثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى
دمر الله عليهم استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل
استأصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمره واهلكه ودمر عليه
اهلك عليه ما يختص به وللكافرين اي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم امثالها
امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء امثال ما لاولئك واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار
مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد
من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل
بيد المثل اشد الما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع
الظاهر موضع الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة امثالها ذلك اشارة
الى ثبوت امثال عقوبة الامم السالفة لهؤلاء بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى
لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله
مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية والذين
كفروا يتمتعون اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل الانعام غافلين عن
عواقبهم والنار مثوى لهم اي منزل ثواء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون
او استئناف وكأين كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء
وقوله تعالى من قرية تمييزها وقوله تعالى هي اشد قوة من قريتك صفة لقرية كما
ان قوله تعالى التي اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف واجري احكامه عليهما
كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى اهلكناهم اي وكم من اهل قرية هي اشد قوة من اهل قريتك
الذين كانوا سبب خروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية
منها بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه الصلاة والسلام للايذان باولويتها
به لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة كليب لعمري كان اكثر ناصرا وايسر جرما منك ضرج
بالدم وقوله تعالى فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار

اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهي
حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حالي فريقي المؤمنين والكافرين
وكون الاولين في اعلى عليين والآخرين في اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال
والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة
عن المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم او عنه
وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان المراد تمييز من عليه الصلاة والسلام وبينهم
باباه منصبه الجليل والتقدير اليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان
نير من مالك امره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية كمن زين له سوء
عمله من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه اقبح القبائح واتبعوا بسبب ذلك التزيين
اهواءهم الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه
فضلا عن حجة تدل عليه وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار
لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا
للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التي اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان
والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها
وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله
تعالى فيها انهار الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب لصدر
النظم الكريم وقيل المثل زائد كزيادة الاسم في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ
خبره فيها انهار الخ من ماء غير آسن اي غير متغير الطعم والريح وقرئ غير اسن وانهار من
لبن لم يتغير طعمه بان صار قارصا ولا حازرا كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة
ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وانما هي لذة محضة ولذة اما تأنيث لذ بمعنى لذيذ
او مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على انها صفة انهار وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين
وانهار من عسل مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة
في الجنة بانواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينغصها والتحلية بما يوجب
غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر من فنون الانهار من كل الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة
اي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة
لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من ربهم وقوله تعالى كمن هو خالد
في النار خبر لمبتدأ محذوف تقديره امن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في
النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل
الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار او امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد في النار فعري عن حرف الانكار وحذف
ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة
الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع
امعاءهم من فرط الحرارة قيل اذا دني منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فاذا شربوه قطع
امعاءهم ومنهم من يستمع اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما ان جمعه فيما سيأتي
باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه
حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رضي الله عنهم

ماذا قال آنفا أي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وإن كان بصورة الاستعلام وآنفا
من قولهم أنف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشيء وائتنفه وهو ظرف بمعنى وقتا
مؤتنفا أو حال من الضمير في قال آنفا أولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها
نحو الخير أصلا واتبعوا أهواءهم الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا
إلى طريق الحق زادهم أي الله تعالى هدى بالتوفيق والإلهام وآتاهم تقواهم أي أعانهم على
تقواهم أو أعطاهم جزاءها أو بين لهم ما يتقون فهل ينظرون إلا الساعة أي فما ينتظرون
وقوله تعالى أن تأتيهم بغتة وهي المفاجأة بدل اشتمال من الساعة والمعنى أنهم لا يتذكرون بذكر
أحوال الأمم الخالية ولا بالإخبار بإتيان الساعة وما فيها من عظائم الأهوال وما ينتظرون للتذكر إلا
إتيان نفس الساعة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى فقد جاء أشراطها تعليل لمفاجأتها
لا لإتيانها مطلقا على معنى أنه لم يبق من الأمور الموجبة للتذكر أمر مترقب ينتظرونه سوى إتيان نفس الساعة
إذ قد جاء أشراطها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادي إتيانها فيكون إتيانها بطريق المفاجأة
لا محالة والأشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه عليه الصلاة والسلام وانشقاق
القمر ونحوهما وقوله تعالى فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر
إلى إتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى أي فكيف
لهم ذكراهم إذا جاءتهم على أن أنى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ وإذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا
إلى غاية سرعة مجيئها وإطلاق المجيء عن قيد البغتة لما أن مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها
مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ إن تأتهم على أنه شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم الخ والمعنى
إن تأتهم الساعة بغتة لأنه قد ظهر أماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم إذا جاءتهم فاعلم
أنه لا إله إلا الله أي إذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الإشراك
والعصيان فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي
ربما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الأولى عبر عنه بالذنب نظرا إلى منصبه الجليل كيف
لا وحسنات الأبرار سيئات المقربين وإرشاد له عليه الصلاة والسلام إلى التواضع وهضم النفس واستقصار
العمل وللمؤمنين والمؤمنات تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف وإقامة المضاف
إليه مقامه إشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم إلى الاستغفار والله يعلم متقلبكم في الدنيا
فإنها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ومثواكم في العقبى فإنها موطن إقامتكم فلا يأمركم إلا بما هو خير
لكم فيهما فبادروا إلى الامتثال بما أمركم به فإنه المهم لكم في المقامين وقيل يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه
شيء منها ويقول الذين آمنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد فإذا أنزلت
سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الأمر به أي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر
سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فإذا نزلت
سورة وقرئ فذكر على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى ونصب القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض
أي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الأظهر الأوفق لسياق النظم الكريم ينظرون إليك نظر المغشي
عليه من الموت أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا كدأب من أصابته غشية الموت فأولى لهم أي فويل
لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب وقيل فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول إليه أمرهم
وقيل هو مشتق من الويل وأصله أويل فقلبت العين إلى ما بعد اللام فوزنه أفلع طاعة وقول معروف
كلام مستأنف أي أمرهم طاعة أو طاعة لك الخ أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية لقولهم ويؤيده قراءة

أي يقولون

أي يقولون طاعة وقول معروف أي أمرنا ذلك فإذا عزم الأمر وهو الجد إلى الأمر وهو لأصحابه
مجازا كما في قوله تعالى إن ذلك من عزم الأمور وعامل الظرف محذوف أي خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل
كرهوا وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك إذا حضرني طعام فلو جئتني لأطعمتك
أي فلو صدقوا الله تعالى فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه لكان أي الصدق
خيرا لهم وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوا في
الإيمان وواطأت قلوبهم في ذلك ألسنتهم وأيا ما كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون
بقوله تعالى فهل عسيتم إلى آخره بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع أي فهل يتوقع منكم
إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الملك
وتهالكا على الدنيا فإن من شاهد أحوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين أمرتم
بالجهاد الذي هو عبارة عن إحراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وأنتم مأمورون شأنكم الطاعة
والقول المعروف يتوقع منكم إذا أطلقت أعنتكم وصرتم آمرين ما ذكر من الإفساد وقطع الأرحام وقيل
لعلكم إن أعرضتم عن الإسلام أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتغاور والتناهب
وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا ووأد البنات وفيه أن الواقع في حيز الشرط في مثل هذا
المقام لا بد أن يكون مما يحذر عنه لما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب في أن الإعراض
عن الإسلام رأس كل شر وفساد فحقه أن يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة لما دونه من المفاسد وقرئ
وليتم على البناء للمفعول أي جعلتم ولاة وقرئ توليتم أي تولاكم ولاة جورة خرجتم معهم وساعدتموهم
في الإفساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع بحذف إحدى التاءين فانتصاب أرحامكم حينئذ
على نزع الجار أي في أرحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع وإلحاق الضمير بعسى لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم
فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا أولئك إشارة إلى المخاطبين بطريق الالتفات إيذانا
بأن ذكر هناتهم أوجب إسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية لأحوالهم الفظيعة لغيرهم وهو
مبتدأ خبره الذين لعنهم الله أي أبعدهم من رحمته فأصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه
بسوء اختيارهم وأعمى أبصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الأنفس
والآفاق أفلا يتدبرون القرآن أي ألا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر
حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات أم على قلوب أقفالها فلا يكاد يصل إليها ذكر أصلا
وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر إلى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة
لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب إما لتهويل حالها وتفظيع شأنها بإبهام
أمرها في القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القساوة
وإما لأن المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أنها أقفال
مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الأقفال المعهودة وقرئ أقفلها وإقفالها
على المصدر إن الذين ارتدوا على أدبارهم أي رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون
الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الأفعال والأحوال فإنهم قد كفروا به عليه الصلاة
والسلام من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة وقيل هم اليهود وقيل
أهل الكتابين جميعا كفروا به عليه الصلاة والسلام بعدما وجدوا نعته عليه الصلاة والسلام في كتابهم
وعرفوا أنه المنعوت بذلك وقوله تعالى الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لإن
أي سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السؤل المخفف من السؤل للاستمرار

القتل فمعنى سول له امرا اجنبيا وفيه بقي امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنيا
للمفعول على حذف المضاف اي كيد الشيطان واملى لهم ومد لهم في الاماني والامال وقيل امهلهم
الله ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم
فالواو للحال او للاستيناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم ذلك
اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدي ولا الى التسويل كما قيل اذ ليس شيئا
منهما مسببا عن القول الاتي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم بسبب انهم قالوا يعني المنافقين
المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نعته عليه الصلاة والسلام
في التوراة كما قيل فان كفرهم به عليه الصلاة والسلام ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره
عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين والمشركين على راي القائل بل من حين بعثته عليه الصلاة والسلام
للذين كرهوا ما نزل الله اي لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم
بانه من عند الله حسدا وطمعا في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم في
بعض الامر عبارة قطعا عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا
من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم
بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم
طاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا
يابون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان من المنافع
الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم اسرارهم
اي اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم على الجمع اي جميع اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا
والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء في الدنيا والتعذيب في الاخرة والفاء في قوله فكيف
اذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظرف
كانه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع
على انه خبر لمبتدأ محذوف اي فكيف حالهم وحيلتهم اذا توفتهم الملائكة وقرئ توفاهم على انه اما
ماض او مضارع قد حذف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفتهم
او مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد
على معصية الا تضرب الملائكة وجهه ودبره ذلك التوفي الهائل بانهم اي بسبب انهم اتبعوا
ما اسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا رضوانه اي ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا
بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي عملوها
حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين
في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا
لما نعي عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم فام منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشان
الذي هو اسمها محذوف وان بما في حيزها سادة مسد مفعولي الحسبان والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اي بل احسب الذين
في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين ان لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وللمؤمنين فتبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء
لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى
نون العظمة لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم التي نسمهم بها وعن انس

رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية شيء من المنافقين كان يعرفهم
بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة
واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتاكيد والفاء
لترتيب المعرفة على الاراءة واما ما في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فلجواب قسم محذوف ولحن
القول نحوه واسلوبه واماله الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن
سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم
بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلو اخباركم ما يخبر به
عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على ونحن نبلو
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين
لهم الهدى من بعد ما شاهدوا نعته عليه الصلاة والسلام في التوراة وما ظهر على يديه من المعجزات
ونزل عليه من الايات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا من الاشياء
او شيئا من الضرر او لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف
لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم اي مكايدهم التي نصبوها في ابطال دينه تعالى ومشاقة
رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا يتم لهم الا القتل والجلاء
عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء
اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم من مات
على الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب فلا تهنوا اي لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اي
ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب
النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه تداعوا
للقتال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه
ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على احد القولين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الامر بالطاعة
وقوله تعالى وانتم الاعلون جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى
والله معكم فان كونهم الاعلين وكونه عز وعلا ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوجب
الذل والضراعة وكذا توفيقه تعالى لاجور الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم
اي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم فافردته منه من الوتر
الذي هو الفرد عبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة شيء معتد به
من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير
الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم الحقوق واتلافها وقد مر
في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات
لها ولا اعتداد بها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم اي ثواب ايمانكم بحيث يخل اداؤها بمعاشكم
ولا يسئلكم اموالكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم ان يسئلكموها
اي اموالكم فيحفكم اي يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال
احفى شاربه اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم اي احقادكم وضمير يخرج لله

ويعضده القراءة بنون العظمة اي البخل لانه سبب الاضغان وقرئ يخرج من الخروج بالياء
والتاء مسندا الى الاضغان ها انتم هؤلاء اي انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون
وقوله تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر لذلك وقيل صلة لهؤلاء لانه
بمعنى الذين اي ها انتم الذين تدعون وفيه توبيخ عظيم وتحقير من شانهم والانفاق
في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل اي ناس يبخلون وهو في حيز
الدليل على الشرطية السابقة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان كلا من نفع الانفاق وضرر
البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي والله الغني
دون من عداه وانتم الفقراء فما يامركم به فهو لاحتياجكم اليه فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم
وان توليتم فعليكم وقوله تعالى وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا اي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى
يستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم قوما اخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي عن الايمان
والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل فارس لما روي انه
عليه الصلوة والسلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه
والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل
العجم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله عز وجل ان
يسقيه من
انهار الجنة

سورة الفتح [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحرب او بدونه فانه ما لم يظفر به
منغلق ماخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاسناد افعال العباد اليه تعالى خلقا
وايجادا والمراد فتح مكة وهو المروي عن انس بشره به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه
من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الاخبار الربانية للدلالة على
تحققه لا محالة تاكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة
عن عظم شان المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عليه الصلوة والسلام
في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروي عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه
حرب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سالهم المشركون
الصلح كان فتحا بلا ريب وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما رموا المشركين حتى ادخلوهم
ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سالوا الصلح وقد روي انه عليه الصلوة والسلام
حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا قال بل هو اعظم الفتوح
وقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسالوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان ولقد راوا منكم
ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة
ما لم يصبه في غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبلغ
الهدي محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية اية
عظيمة هي انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها
فدرت بالماء حتى شرب من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلات ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح
له من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له عليه الصلوة والسلام من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا
فتح ابين منه واعظم وهو راس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من

فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها
من قابل وهو المروي عن قتادة رضي الله تعالى عنه وايا ما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل
والايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا
ظاهر الامر مكشوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه
مترتب على سعيه عليه الصلوة والسلام في اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب
والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من افعاله
تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الاخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى ما تقدم
من ذنبك وما تاخر اي جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل
ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاض عليه من النعم الدينية والدنيوية
ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كان
حاصلا قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك
الله اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشان النصر كما يعرب عنه تاكيده
بقوله تعالى نصرا عزيزا اي نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف
صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا صاحبه هو الذي انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادي
الفتح من الثبات والطمانينة اي انزلها في قلوب المؤمنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى
عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها
السكون الى ما جاء به عليه الصلوة والسلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية
واليوم الاخر عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلوة
والزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وانزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا
باعتقاد ذلك ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها
على بعض تارة ويوقع بينها السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وكان الله
عليما مبالغا في العلم بجميع الامور حكيما في تقديره وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض
له تعالى من معنى التصرف والتدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويشكروها
فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم اي يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان
الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اي ما ذكر من الادخال والتكفير عند
الله فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله
حال من فوزا لانه صفته في الاصل فلما قدم عليه صار حالا اي كائنا عند الله اي في علمه وقضائه والجملة
اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفي تقديم
المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء ظن
الامر السوء وهو ان لا ينصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه
ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره
والكره خلا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر
وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين
مع ان حقهما الفاء المفيدة للسببية كما في ما قبلهما للايذان باستقلال كل منها في الوعيد واصالته من غير

استتباع بعضها البعض وساءت مصيرا أي جهنم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزا حكيما
اعادة لما سبق فان فائدتها التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب فالاول لتحقيقها هنا لجنود الله
كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا اي على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم
شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم ولامته وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه
او تصلوا له من السبحة بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما صلاة الفجر وصلاة
الظهر وصلاة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف
الزاي المكسورة وقرئ بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه بزاءين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره
ان الذين يبايعونك على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى انما يبايعون الله خبر ان يعني
مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة نواهيه واوامره وقوله
تعالى يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق
مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ
انما يبايعون لله اي لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث على نفسه اي فمن نقض عهده فانما يعود
ضرر نكثه على نفسه وقرئ بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقى
بعد حذف الواو وتوسل بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرئ بكسرها اي ومن وفى بعهده فسيؤتيه
بنون العظمة اجرا عظيما هو الجنة والآية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب
هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته المسير
الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم عليه
الصلاة والسلام وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب فتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم
قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى الى النبي عليه الصلاة والسلام
بانهم سيعتلون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم فيقوم بمصالحهم
ويحميهم من الضياع وقرئ شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا التخلف
عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بدل من
سيقول او استئناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم اليك باباطيلهم
فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء من النفع ان
اراد بكم ضرا اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع
الضرر عنهما وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اي ومن يقدر على شيء من الضرر ان اراد بكم
ما ينفعكم بحفظ اموالكم واهليكم فاي حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق
ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة
والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه
بعد بيان فساده على تقدير صدقه اي ليس الامر كما يقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من
الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى بل ظننتم الى آخره بدل من كان الله الى آخره
مفسر لما فيه من الابهام اي بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستأصلهم
المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من

الباطلة

الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير تاء التأنيث واما الاهالي
فاسم جمع كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشأن
انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل باسناده الى الله سبحانه او الى
الشيطان وظننتم ظن السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه
بالسوء او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه
الصلاة والسلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال وكنتم قوما بورا اي
هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم
وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف
به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومن لم يؤمن بالله ورسوله كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل
في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته اي ومن لم يؤمن بهما كهؤلاء المخلفين فانا
اعتدنا للكافرين سعيرا لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين ايذانا بان من لم يجمع بين
الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار
مخصوصة ولله ملك السماوات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء يغفر لمن يشاء ان
يغفر له ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم
الفارغة في استغفاره عليه الصلاة والسلام لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة
والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله واما من عداه من
الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون وقوله تعالى اذا
انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم
الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم من غنائم مكة
ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا
في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية في ذي
الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن
شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها الله بهم حسبما امره الله تعالى
وقرئ كلم الله جمع كلمة وايا ما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى بغنائم خيبر لاهل الحديبية
لا قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا فانه
نفي في معنى النهي للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية فسيقولون
للمؤمنين عند سماع النهي بل تحسدوننا اي ليس ذلك بحكم الله بل تحسدوننا ان
نشارككم في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون
اي لا يفهمون الا قليلا اي الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا قالوا هي الباطل ووصف
لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط وسوء الفهم في امور الدين قل للمخلفين من
الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الى قوم اولي بأس شديد
هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وغيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
او المشركون لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام
لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام
وفيه دليل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم

ثقيف وهوازن فإن ذلك كان في عهد النبي فيخص دوام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قال محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فإن الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم الجزية فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة وإن تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية يعذبكم عذابا أليما لتضاعف جرمكم ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج أي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فإن التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة الرخصة ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الأوامر والنواهي يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول أي عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا أليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين هم الذين ذكر شأن مبايعتهم ولهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى إذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به أو بمحذوف هو حال من مفعوله روي أنه عليه الصلاة والسلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعي رسولا إلى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فأخبرهم أنه عليه الصلاة والسلام لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال عليه الصلاة والسلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت دونه وأن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الأرض وكانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلاثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف على يبايعونك لما عرفت من أنه بمعنى بايعوك لا على رضي فإن رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والإخلاص عند مبايعتهم له عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى فأنزل السكينة عليهم عطف على رضي أي فأنزل عليهم الطمأنينة والأمن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح وأثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ وآتاهم ومغانم كثيرة يأخذونها أي مغانم خيبر والالتفات إلى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان وكان الله عزيزا غالبا حكيما مراعيا لمقتضى الحكمة في أحكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها هي ما يفيئه على المؤمنين إلى يوم القيامة في أوقاتها المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه أي مغانم خيبر وكف أيدي الناس عنكم أي أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم فقذف في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح ولتكون آية للمؤمنين أمارة يعرفون بها صدق الرسول في وعده إياهم عند رجوعه من الحديبية بما ذكر من المغانم والفتح ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة إما بمحذوف مؤخر أي ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف أو بما تعلق به علة أخرى محذوفة من أحد الفعلين أي فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس لتغتنموها ولتكون الآية إلى آخره فالواو على الأول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة ويهديكم بتلك الآية صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تذرون وأخرى عطف على هذه أي فعجل

لكم هذه

لكم هذه المغانم ومغانم أخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى قد أحاط الله بها صفة أخرى لأخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة إلى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر إلى قدرتهم أي قد قدر الله عليها واستولى وأظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل إن أخرى منصوب بمضمر يفسره قد أحاط الله بها أي وقضى الله أخرى ولا ريب في أن الإخبار بقضاء الله إياها بعد اندراجها في جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وإنما الفائدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شيء قديرا لأن قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا أي أهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر لولوا الأدبار منهزمين ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل أي سن الله غلبة أنبيائه سنة قديمة فيما مضى من الأمم ولن تجد لسنة الله تبديلا أي تغييرا وهو الذي كف أيديهم أي أيدي كفار مكة عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة أي في داخلها من بعد أن أظفركم عليهم وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة إلى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم أولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم بذلك أو يجازيهم هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف أي ونحر الهدي وبالرفع على وصد الهدي وقوله تعالى معكوفا حال من الهدي أي محبوسا وقوله تعالى أن يبلغ محله بدل اشتمال من الهدي أو منصوب بنزع الخافض أي محبوسا من أن يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه على أن المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي أن خيامه عليه الصلاة والسلام كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه عليه الصلاة والسلام والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى أن تطؤوهم أي توقعوا بهم وتهلكوهم بدل منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم أي من جهتهم معرة أي مشقة ومكروه كوجوب الدية أو الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والإثم في التقصير بالبحث عنهم وهي مفعلة من عره إذا عراه ودهاه ما يكرهه بغير علم متعلق بأن تطؤوهم أي غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف أيديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيبه لكن كفها عنكم ليدخل بذلك الكف المؤدي إلى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فإنهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها الأمن مستضعفين تحت أيدي الكفرة وأما الرحمة الأخروية فهم وإن كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين في إقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لإقامتها على الوجه الأتم إدخال لهم في الرحمة الأخروية وقد جوز أن يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الإسلام من المشركين وقوله تعالى لو تزيلوا إلى آخره فإن فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه

اقتضى تحقق المباينة بين الفريقين بالإيمان والكفر قبل التنزيل حتماً أي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض
وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم والجملة
مستأنفة مقررة لما قبلها إذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية أو بعذبنا على الظرفية
وقيل بمضمر هو أحسن الله إليكم وأياً ما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة
وتعليل الحكم به والجعل إما بمعنى الإلقاء فقوله تعالى في قلوبهم الحمية أي الأنفة والتكبر متعلق
به أو بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له أي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم
حمية الجاهلية بدل من الحمية أي حمية الملة الجاهلية أو الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله
تعالى فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين على الأول عطف على جعل والمراد تذكير
حسن صنيع الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني
على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كأنه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب فأنزل إلخ وعلى الثالث على المضمر تفسيراً له
والسكينة الثبات والوقار يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش
سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبي
صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل
ذلك وكتبوا بينهم كتاباً فقال لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب
باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول
الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال
صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل الله السكينة
عليهم فتوقروا وحلموا وألزمهم كلمة التقوى أي كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول
الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه وإضافتها إلى التقوى لأنها سبب التقوى
وأساسها أو كلمة أهلها وكانوا أحق بها متصفين بمزيد استحقاق لها على أن صيغة التفضيل للزيادة
مطلقاً وقيل أحق بها من الكفار وأهلها أي المستأهل لها وكان الله بكل شيء عليماً فيعلم حق كل شيء
فيسوقه إلى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا أي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه
إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤوسهم وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه
ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم فلما تأخر قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل
ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت أي صدقه عليه الصلاة والسلام
في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه أراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى بالحق إما صفة
لمصدر مؤكد محذوف أي صدقاً ملتبساً بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين
الراسخ في الإيمان والمتزلزل فيه أو حال من الرؤيا أي ملتبسة به ليست من قبيل أضغاث الأحلام وقد جوز أن
يكون قسماً بالحق الذي هو من أسماء الله تعالى أو نقيض الباطل وقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام جواب له
على الأول وجواب قسم محذوف على الثاني أي والله لتدخلن إلخ وقوله تعالى إن شاء الله تعليق للعدة
بالمشيئة لتعليم العباد أو للإشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت أو غيبة أو غير ذلك أو هو حكاية
قاله ملك الرؤيا أو رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ملك قاله عليه الصلاة والسلام لأصحابه آمنين حال
من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى محلقين رؤوسكم ومقصرين أي محلقاً
بعضكم ومقصراً آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة لا تخافون حال مؤكدة
من فاعل لتدخلن أو آمنين أو محلقين أو مقصرين أو استئناف أي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما

تعالى

تعالى عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه
أي فعلم عقيب ما أراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية إلى تقديم ما يشهد بالصدق
علماً فعلياً فجعل لأجله من دون ذلك أي من دون تحقق مصداق ما أراه من دخول المسجد
الحرام آمنين إلخ فتحاً قريباً وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وإنجازه من غير تسويف
ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين وأما جعل ما في قوله تعالى ما لم
تعلموا عبارة عن الحكمة في تأخير فتح مكة إلى العام القابل كما جنح إليه الجمهور فيأباه الفاء فإن
علمه تعالى بذلك متقدم على إراءة الرؤيا قطعاً هو الذي أرسل رسوله بالهدى أي ملتبساً
به أو بسببه ولأجله ودين الحق وبدين الإسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس
الدين بجميع أفراده التي هي الأديان المختلفة بنسخ ما كان حقاً من بعض الأحكام المتبدلة بتبدل
الأعصار وإظهار بطلان ما كان باطلاً أو بتسليط المسلمين على أهل سائر الأديان إذ ما
من أهل دين إلا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على
أنه تعالى سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون دونه فتح
مكة وكفى بالله شهيداً على أن ما وعده كائن لا محالة أو على نبوته عليه الصلاة والسلام
بإظهار المعجزات محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى رسول الله بدل أو بيان أو نعت أي ذلك
الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبينة
للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدأ خبره أشداء على الكفار رحماء بينهم وأشداء
جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم
في الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقرئ أشداء ورحماء
بالنصب على المدح أو على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى ركعاً
سجداً أي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الأول
خبر آخر أو استئناف وقوله تعالى يبتغون فضلاً من الله ورضواناً أي ثواباً ورضاً إما
خبر آخر أو حال من ضمير تراهم أو من المستتر في ركعاً سجداً أو استئناف مبني على سؤال نشأ
من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلاً من الله
إلخ سيماهم أي سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها
لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره في وجوههم أي في جباههم وقوله تعالى
من أثر السجود حال من المستكن في الجار أي من التأثير الذي يؤثره كثرة السجود وما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قوله عليه الصلاة والسلام لا تعلبوا صوركم أي لا تسموها إنما هو فيما إذا
اعتمد الجبهة على الأرض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما إذا
حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد إلا خالصاً لوجه الله عز وجل وكان الإمام زين العابدين وعلي بن عبد
الله بن العباس رضي الله تعالى عنهم يقال لهما ذو الثفنات لما أحدثت كثرة سجودهما في مواقعها منهما
أشباه ثفنات البعير قال قائلهم ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات
وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الأرض وقيل استنارة وجوههم
من طول ما صلوا بالليل قال عليه الصلاة والسلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ
من إثر السجود بكسر الهمزة ذلك إشارة إلى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى مثلهم

أي وصفهم العجيب الشأن الجاري في الغرابة مجرى الأمثال. وقوله تعالى في التوراة حال من مثلهم والعامل معنى الإشارة. وقوله ومثلهم في الإنجيل عطف على مثلهم الأول كأنه قيل ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها. وقوله تعالى كزرع أخرج شطأه الخ تمثيل مستأنف أي هم كزرع أخرج فراخه. وقيل هو تفسير لذلك على أنه إشارة مبهمة. وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الإنجيل على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التوراة. وقرئ شطأه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا. فآزره فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة أو من الإيزار وهي الإعانة. وقرئ فأزره بالتخفيف وأزّره بالتشديد أي شد أزره وقواه. فاستغلظ فصار غليظا بعدما كان دقيقا. فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق. وقرئ سؤقه بالهمزة. يعجب الزراع بقوته وكثافته وحسن منظره. وهو مثل ضربه الله عز وجل لأصحابه صلى الله عليه وسلم قلوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس. وقيل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما فإن الكفار إذا سمعوا بما أعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك أشد غيظ. ومنهم للبيان. عن النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة. صدق الله ورسوله الكريم

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن ما في حيزه أمر عظيم يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالإيمان لتنشيطهم والإيذان بأنه داع إلى المحافظة عليه ووازع عن الإخلال به. لا تقدموا لا تفعلوا التقديم على ترك المفعول للقصد إلى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بأمر من الأمور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع أي يفعل الإعطاء والمنع أو لا تقدموا أمرا من الأمور على أن حذف المفعول للقصد إلى تعميمه والأول أوفى بحق المقام لإفادته النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني. وقد جوز أن يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منه ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف إحدى التاءين من تتقدموا. وقرئ لا تقدموا من القدوم. وقوله تعالى بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الإنسان تهجينا لما نهوا عنه. والمعنى لا تقطعوا أمرا قبل أن يحكما به. وقيل المراد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى لتعظيمه والإيذان بجلالة محله عنده عز وجل. قيل نزل فيما جرى بين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما لدى النبي صلى الله عليه وسلم في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد. واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الأقوال والأفعال التي من جملتها ما نحن فيه. إن الله سميع لأقوالكم عليم بأفعالكم فمن حقه أن يتقى ويراقب. يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد النهي عن نفس القول والفعل وإعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الإيقاظ والتنبيه والإشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه أي لا تبلغوا

باصواتكم

باصواتكم وراء حد يبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته. وقرئ لا ترفعوا بأصواتكم على أن الباء زائدة. ولا تجهروا له بالقول إذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض أي جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم أخفض من صوته عليه الصلاة والسلام وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهاب المعظم وحافظوا على مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها. وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة. قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر يا رسول الله والله لا أكلمك إلا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله. وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكلم عليه الصلاة والسلام كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه. وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقوله تعالى أن تحبط أعمالكم إما علة للنهي أي لا تجهروا خشية أن تحبط أو كراهة أن تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أو للنهي أي لا تجهروا لأجل الحبوط فإن الجهر حيث كان بصدد الأداء إلى الحبوط فكأنه فعل لأجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا. وليس المراد بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فإن ذلك كفر بل ما يتوهم أن يؤدي إليه مما يجري بينهم في أثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا أن رفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة والسلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشيء ولا ما يقع منهما في حرب أو مجادلة أو معاندة أو إرهاب عدو ونحو ذلك. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته. وعن أنس أنه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه الصلاة والسلام فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال عليه الصلاة والسلام لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة. وأما ما روي عن الحسن من أنها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته عليه الصلاة والسلام فقد قيل محمله أن نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص. وأنتم لا تشعرون حال من فاعل تحبط أي والحال أنكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه. وقوله تعالى إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله الخ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الإخلال به أي يخفضونها مراعاة للأدب أو خشية من مخالفة النهي. أولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لما مر مرارا من تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فإن الامتحان سبب المعرفة. واللام صلة لمحذوف أو للفعل باعتبار الأصل أو ضرب الله قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى فإنها لا تظهر إلا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب إذا أذابه وميز إبريزه من خبثه. وعن عمر رضي الله عنه أذهب عنها الشهوات. لهم في الآخرة مغفرة عظيمة لذنوبهم وأجر عظيم لا يقادر قدره. والجملة إما خبر آخر لأن كالجملة المصدرة باسم الإشارة أو استئناف لبيان جزائهم إحمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم. إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أي من خارجها من خلفها أو قدامها ومن ابتدائية دالة على أن المناداة نشأت من جهة الوراء وأن المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبتدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو

قبل بيانه دونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة
من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة
والقبضة والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة
فنادوه عليه الصلاة والسلام من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه الصلاة
والسلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز
ان يكون الحجرة التي كان عليه الصلاة والسلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه الصلاة
والسلام وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم في وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد
اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم
اكثرهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم
صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما
في خبرها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك
وبلغني انك قائم وحتى تفيد بنفسها ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه
عليه الصلاة والسلام فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها
ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم
ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان اي الصبر المذكور خيرا لهم
من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب
والاسعاف بالمسئول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف
وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما
عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا اي فتعرفوا
وتفحصوا روي انه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه مصدقا الى
بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم
فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه
الصدقات فرجع وفي ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل
في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا حذار ان تصيبوا
قوما بجهالة ملتبسين بجهالة حالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما
فعلتم في حقهم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة
يدور مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار
ما قيد به من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين في فيكم
والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة كذلك وهي
انكم تريدون ان يتبع عليه الصلاة والسلام رايكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد
والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق
تصديقا لقول الوليد وانه عليه الصلاة والسلام لم يطع رايهم واما صيغة المضارع فقد قيل
انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم لان عنتهم

الوقوع م

انما تلزم

انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب
الرئيس مرؤوسا لا من اطاعته في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة
وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه الصلاة والسلام لهم في
ذلك فان المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم
يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي تفيده صيغة المضارع يفيد تارة بالنسبة الى ما يتعلق به
من الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر
تعلقه بما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار واخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الازمان
المتجددة وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره فيتعين ان يكون
ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها
التي يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع
ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في شيء ما من تلك الامور الكثيرة
اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار
باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة في الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان
واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت بل هو الاستمرار الامتناعي لامتناع تلك
الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها
بل وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما ولعلك تعلم ان الحقيق بالاعتبار هو الوجه
الاول لانه اوفق بالقياس المقتضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة
لو المفيدة الاول على صيغة المضارع المفيدة الثاني على ان اعتبار الاستمرار واردا على النفي على
خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس ولم يكن فيه مزيد
مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث يحمل على استمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في
نفي استمرار الحزن مزيد فائدة ولما اقتضى انتظام الكلام مع مراعات موجب القياس حق الانتظام
فالعدول عنه تمحل لا يخفى وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الى اخره تجريد للخطاب
وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف الاولين واحمادا لافعالهم
اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك
اتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم
عما يليق بها مما لا خير فيه من اثارها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة
والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل لم يكن
ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر
والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اي السالكون الى
الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذي في قوله تعالى وما اتيتم من زكاة تريدون
وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي وانعاما تعليل لحبب او كره وما بينهما
اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ
في العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم
الله فان بغت احداهما على الاخرى اي تعدت عليها ولم تتأثر بالنصيحة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء

اي ترجع الى امر الله اي حكمه او الى ما امر به فان فاءت اليه واقلعت عن القتال حذرا من قتالكم
فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما
قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك
حيث قيل واقسطوا اي واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون ان الله يحب المقسطين فيجازيهم
احسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف
والنعال وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فيء
الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون
اخوة استئناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان
الموجب للحياة الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية
موجبة للمصالحة ووضع المظهر موضع المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الاصلاح
فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج
وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم
به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم اي منكم
من قوم آخرين ايضا منكم وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي او لموجبه اي
عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم
القوامون على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر
نعت به فشاع في الجمع واما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما
للتغليب او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او
للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجري بين بعض وبعض ولا نساء من
نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي من الساخرات فان مناط الخيرية في الفريقين ليس ما
يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي عليها يدور امر السخرية غالبا بل انما
هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية
عند الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى
فهل عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا
فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه
واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا
بلقب السوء فان النبز مختص به عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين
ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به فان الاسم هاهنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في
الناس بالكرم او باللؤم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان
الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية
بنت يهوديين فقال عليه الصلاة والسلام هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله
عليه وسلم او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه
فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتأمل في كل ظن حتى
يعلم انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله

تعالى ومنه

تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه
ما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق
الاستئناف التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كأنه
يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا اي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من
معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا
السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم
وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه
ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد
بهته وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير لما
يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وشرعا
وعقلا مع مبالغات من فنون شتى من الاستفهام التقريري واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا
من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول
اخا للآكل ميتا واخراج تماثلهما مخرج امر بين غني عن الاخبار وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على
الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه
قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه اي جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك ما
امرتم باجتنابه والندم على ما صدر منكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وافاضة
الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي ان
رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه
عليه الصلاة والسلام فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه الصلاة والسلام
انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم
من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تأكيدا للنهي السابق بتقرير الاخوة المانعة
من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل
والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب
وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم
والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزي احد الى غير آبائه
لا للتفاخر بالآباء والقبائل وتدعي التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ لتتعارفوا على
الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب
المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقي كأنه قيل ان الاكرم عند الله تعالى هو الاتقى فان فاخرتم
ففاخروا بالتقوى وقرئ بأن بالفتح على حذف لام التعليل كأنه قيل لا تتفاخروا بالانساب لان اكرمكم
عند الله اتقاكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى
فعليه بالتقوى قال عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما
الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم
الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى ان الله عليم بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب

انما نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدب فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه الصلوة والسلام بما فعلوا قل لم تؤمنوا اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم كما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة يشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالايمان والتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا اي ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم شيئا من اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرئ لا يالتكم من الالت وهي لغة غطفان او شيئا من النقصان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة هم الصادقون اي الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روي انه لما نزلت الآية جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرونه بذلك بقولكم امنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم وقوله تعالى والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم تذييل مقرر لما قبله اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك ان اسلموا اي يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي باسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفي كونه ايمانا وسمي اسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة ق اربعون وخمس آيات مكية بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد اي ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اي لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب

عما ينبئ

عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كانه قيل والقرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما اوفق شيء لقضية العقول واقربه الى التلقي بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا اي لم يكتفوا بالشك فالرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما ينبئ عنه وصف القرآن بالمجيد كانه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن ان لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه عليه الصلوة والسلام منذرا بالقرآن واضمارهم اولا للاشعار بتعينهم بما اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم من البعث على ان هذا اشارة الى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله تعالى عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو اشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واعرق في كونه كفرا أئذا متنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل في اذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اي احين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحيوة حينئذ وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار ذلك اشارة الى محل النزاع رجع بعيد اي عن الاوهام او عن العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب فناصب الظرف حينئذ ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء او تاكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم من غير تامل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت اي وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن او الاخبار بالبعث فهم في امر مريج اي مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة انه ساحر او كاهن افلم ينظروا اي اغفلوا او عموا فلم ينظروا الى السماء فوقهم بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها اي رفعناها بغير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع وما لها من فروج من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تاخير هذا لمراعاة الفواصل والارض مددناها اي بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اي ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها لارساء الارض بها وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبا بالفعل الاخير او بفعل مقدر بطريق الاستئناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب اي راجع الى ربه متفكر في بدائع صنائعه وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا

وما بينهما على الوجه الأخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده **فأنبتنا به** أي بذلك الماء **جنات** كثيرة أي أشجاراً ذوات أثمار **وحب الحصيد** أي حب الزرع الذي شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما وتخصيص إنباته بالذكر لأنه المقصود بالذات **والنخل** عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الأشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل **باسقات** أي طوالاً أو حوامل من أبسقت الشاة إذا حملت فيكون من باب أفعل فهو فاعل وقرئ باصقات لأجل القاف **لها طلع نضيد** أي منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف أو من ضميرها في باسقات على التداخل أو الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى **رزقا للعباد** أي ليرزقهم علة لقوله تعالى فأنبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل أنبتنا الأول بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى أنبتنا لأن الإنبات رزق **وأحيينا به** أي بذلك الماء **بلدة ميتا** أرضا جدبة لا نماء فيها أصلا بأن جعلناها بحيث ربت وأنبتت أنواع النبات والأزهار فصارت تهتز بها بعدما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لأن البلدة بمعنى البلد والمكان **كذلك الخروج** جملة قدم فيها الخبر للقصد إلى القصر وذلك إشارة إلى الحياة المستفادة من الإحياء وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد رتبتها أي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها وفي التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالإحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث وتحقيق للمماثلة بين إخراج النبات وإحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه إلى أفهام الناس وقوله تعالى **كذبت قبلهم قوم نوح** الخ استئناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام عليها وتعذيب منكريها **وأصحاب الرس** قيل هم ممن بعث إليهم شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل كما مر في سورة الفرقان على التفصيل **وثمود وعاد وفرعون** أي هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده **وإخوان لوط** قيل كانوا من أصهاره عليه الصلاة والسلام **وأصحاب الأيكة** هم ممن بعث إليهم شعيب عليه الصلاة والسلام غير أهل مدين **وقوم تبع** سبق شرح حالهم في سورة الدخان **كل كذب الرسل** أي فيما أرسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث الذي أجمعوا عليه قاطبة أي كل قوم من الأقوام المذكورين كذبوا رسولهم وتكذيبهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وإفراد الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة إلى التوحيد والإنذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر وأما على تقدير عدمها وهو الأظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث وإلى ذلك كان يدعوهم تبع **فحق وعيد** أي فوجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم **أفعيينا بالخلق الأول** استئناف مقرر لصحة البعث الذي حكيت أحوال المنكرين له من الأمم المهلكة والعي بالأمر العجز عنه يقال عيي بالأمر وعيي به إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كأنه قيل أقصدنا الخلق الأول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الإعادة **بل هم في لبس من خلق جديد** عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والإشعار بخروجه عن حدود العادات والإيذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بمعرفته **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه** أي ما تحدثه به نفسه وهو

ما يخطر

ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والضمير لما إن جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا أو للإنسان إن جعلت مصدرية والباء للتعدية **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** أي أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لأنه موجبه وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق وإضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل سمي وريدا لأن الروح ترده **إذ يتلقى المتلقيان** منصوب بما في أقرب من معنى الفعل والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه إلى ما لا شيء أخفى منه وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وإنما ذلك لما في كتبتهما وحفظهما للأعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه بإحاطته تعالى بتفاصيل أحواله خبرا من زيادة لطف به في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه الصلاة والسلام إن مقعد ملكيك على ثنيتك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز أن يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى أنا أقرب إليه مطلعون على أعماله لأن حفظتنا موكلون به **عن اليمين وعن الشمال قعيد** أي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أي مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئا ومن أجل الطوي رماني وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير **ما يلفظ من قول** ما يرمي به من فيه من خير أو شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول **إلا لديه رقيب** ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فإن كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه وإلا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان عن البيان والإفراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما أن كلا منهما رقيب لما فوض إليه لا لما فوض إلى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى **عتيد** أي معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر ومن لم يتنبه له توهم أن معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لإثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وقيل إنما يكتبان ما فيه أجر أو وزر وهو الأظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر **وجاءت سكرة الموت بالحق** بعدما ذكر استبعادهم البعث والجزاء وأزاح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة أتبع عليهم ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الأحوال والأهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي إيذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء إما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى أحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذي نطقت به كتب الله ورسله أو حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي لا بد أن يكون لا محالة من الموت أو الجزاء فإن الإنسان خلق له وإما للملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن أي ملتبسة بالحق أي بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغايات الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى أنها السكرة التي كتبت على الإنسان بموجب الحكمة وأنها لشدتها توجب زهوق الروح أو تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الإضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت **ذلك** أي الموت **ما كنت منه تحيد** أي تميل وتنفر عنه والخطاب للإنسان فإن النفرة عنه شاملة لكل فرد من أفراده طبعا **ونفخ في الصور** هي النفخة الثانية **ذلك** أي وقت ذلك النفخ على حذف المضاف **يوم الوعيد**

اي يوم انجاز الوعد الواقع في الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود والاشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس البرة والفاجرة معها سائق وشهيد وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اي معها ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه واعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل وقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تانيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة باعتبار الشخص كما في قول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرور فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة وقال قرينه اي الشيطان المقيض له مشيرا اليه هذا ما لدي اي هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائي واضلالي وقيل قال الملك مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهو بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او على ان الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده قراءة من قرأ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر مبتدأ متضمن لمعنى الشرط خبره فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استؤنف استئناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته فانه مبني على سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان هو بالذات في ضلال بعيد من الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال تعالى لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى السنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين

فاتبعتموه

فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا حاجة الى الاختصام في هذا الوقت والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد يجوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول لدي الى آخره ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول او الفاعل اي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض المؤمنين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على وجه الكمال وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق لهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما اشير اليه آنفا اي وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها يطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر او ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من الاحوال والاهوال ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اي قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى غير بعيد تاكيد للازلاف اي مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث او بتأويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى الجنة والتذكير لان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت ومقولا لهم او مقولا في حقها هذا ما توعدون لكل اواب اي رجاع الى الله تعالى بدل من للمتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به ولا يوصف الا بالذي او مبتدأ خبره ادخلوها بتاويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي او من مفعوله او صفة لمصدره اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب عنه او هو غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه يرجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى

لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عالمون بموجب قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى **ادخلوها بسلام** متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملائكته **ذلك** اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الامور **يوم الخلود** اذ لا انتهاء له ابدا **لهم ما يشاؤون** من فنون المطالب كائنا ما كان **فيها** متعلق بيشاؤون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده المحذوف من صلته **ولدينا مزيد** هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل ان السحاب يمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد **وكم اهلكنا قبلهم** اي قبل قومك **من قرن هم اشد منهم بطشا** اي قوة كعاد وفرعون **فنقبوا في البلاد** اي خرقوا ودوخوا وتصرفوا في اقطارها وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم ابقدرتهم على التنقيب وقيل هي عاطفة في المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرئ بالتخفيف **هل من محيص** اي هل لهم من مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستأنف وارد لنفي ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اي ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم **ان في ذلك** اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة **لذكرى** لتذكرة وعظة **لمن كان له قلب** اي قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير **او القى السمع** الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون منع الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى **وهو شهيد** اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عري قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا **ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما** من اصناف المخلوقات **في ستة ايام وما مسنا** بذلك مع كونه مما لا تفي به القوى والقدر **من لغوب** من اعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا **فاصبر على ما يقولون** اي ما يقوله المشركون في شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او على ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه **وسبح بحمد ربك** اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها **قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة **ومن الليل فسبحه** وسبحه بعض الليل **وادبار السجود** واعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلى بادبار السجود النوافل بعد المكتوبات **واستمع** اي لما يوحى اليك من احوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به **يوم يناد المناد** اي اسرافيل او جبريل عليهما الصلاة والسلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور

المتفرقة

المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر **من مكان قريب** بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة مثل كن في البدء **يوم يسمعون الصيحة** بدل من يوم ينادي الخ وهي النفخة الثانية **بالحق** متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى **ذلك يوم الخروج** اي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور **انا نحن نحيي ونميت** في الدنيا من غير ان يشاركنا في ذلك احد **والينا المصير** للجزاء في الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا **يوم تشقق الارض عنهم** بحذف احدى التاءين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق **سراعا** مسرعين **ذلك حشر** بعث وجمع وسوق **علينا يسير** اي هين وتقديم الجار والمجرور للتخصيص **نحن اعلم بما يقولون** من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه **وما انت عليهم بجبار** بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت منذر **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما توجبه اقوالهم وتستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية وآيها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم **والذاريات ذروا** اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال **فالحاملات وقرا** اي السحب الحاملة للسحاب وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر **فالجاريات يسرا** اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية في مهابها او السحب الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اي جريا ذا يسر **فالمقسمات امرا** اي الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد جوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو ما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجري في الجو باسطة له وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فان حملت الامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فهي لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى ينعقد سحابا فتجري به باسطة له الى ما امرت به فتقسم المطر فقوله تعالى **انما توعدون لصادق وان الدين لواقع** جواب القسم وفي تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله **والسماء ذات الحبك** قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي وهي اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك كالنعم والحبك كالابل **انكم لفي قول مختلف** اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه عليه الصلاة والسلام تارة شاعر واخرى ساحر وفي شأن القرآن الكريم تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير وفي هذا الجواب تأكيد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح

بهما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة في هذا القسم
تشبيه اقوالهم في اختلافها وما في اغراضها بطرايق السموات والارض في تباعدها واختلاف غاياتها وليس ذلك
يؤفك عنه من افك اي يصرف عن القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم من صرف اذ لا صرف افظع منه
واشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر
افك من افك عن ذلك القول وقرئ من افك اي من افك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان
قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى
لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون
وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة من الجهل والضلال ساهون غافلون
عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة
لكن بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون جواب للسؤال
اي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر مبتدأ محذوف اي هو يومهم
والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول
وقوله تعالى هذا الذي كنتم به تستعجلون جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا
ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذي صفته
ان المتقين في جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها آخذين ما آتاهم ربهم اي قابلين
لما اعطاهم راضين به على ان كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك
في الدنيا محسنين اي لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم
ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار اليه عليه الصلاة والسلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم
تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا يهجعون في طائفة
قليلة من الليل على ان قليلا ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة لمصدر وما مزيدة في الوجهين
ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما
يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة
والهجوع الذي هو وقت القرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون
من الليل قليلا بل يحيونه كله لان ما النافية لا يعمل فيها ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون
اي هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كانهم اسلفوا في ليلهم باقتراف
الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به
لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفي اموالهم حق اي نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله
واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة
وفي الارض آيات للموقنين اي دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط
لما فوقها وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر
وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة فانها تتلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف
الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم
في صحتهم وعلتهم وفي انفسكم اي وفي انفسكم آيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل
دلالته على انفراده من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال
البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اي الا تنظرون

فلا تبصرون

فلا تبصرون بعين البصيرة وفي السماء رزقكم اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء
السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة
او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره قوله تعالى فورب السماء والارض
انه لحق على ان الضمير لما وعلى الاول فالضمير لما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار لاسم
الاشارة مثل ما انكم تنطقون اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحققه ونصبه
على الحال من المستكن في لحق او على انه وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن
وهو ما ان كانت عبارة عن شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحل الرفع على انه صفة لحق ويؤيده
القراءة بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا بطريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجماعة
كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك
آخر معهما عليهم الصلاة والسلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم عليه
الصلاة والسلام او لانهم كانوا في حسبانه كذلك المكرمين اي المكرمين عند الله تعالى او عند ابراهيم
حيث خدمهم بنفسه وبزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل او
للمكرمين ان فسر باكرام ابراهيم فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال اي ابراهيم سلام اي
عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه الصلاة والسلام
احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم
عليه الصلاة والسلام للسلام الذي هو علم الاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس او لان اوضاعهم
واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لان تخاطبهم به تخجيلا
او سألهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل ولا تكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه الصلاة والسلام لتفقدها
الضيافة فراغ الى اهله اي ذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى ويبادر
به حذرا من ان يكفه ويعذره او يصير منتظرا والفاء في قوله تعالى فجاء بعجل سمين فصيحة تفصح
عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب
بعصاك البحر فانفلق فذبحه فحنذه في تنور فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد قال
الا تأكلون انكار لعدم تعرضهم للاكل فاوجس منهم خيفة اضمر في نفسه خيفة لتوهم انهم جاءوا للشر
وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاءوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل ربك قيل مسح جبريل عليه
الصلاة والسلام بجناحه العجل فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه وفي سورة الصافات
وبشرناه اي بواسطتهم بغلام هو اسحاق عليه الصلاة والسلام عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت
امرأته سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير
ومحل النصب على الحالية او المفعولية ان جعلت اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمني فصكت
وجهها اي لطمت من الحياء لما انها وجدت حرارة الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما
يفعل المتعجب وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك اي مثل ذلك القول قال
ربك وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا انا نقوله من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم
فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال لها انظري الى سقف
بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عليه الصلاة
والسلام ايضا حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر هاهنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك

ساده اكتفاء بما ذكرها هنا وفي سورة هود قال اي ابرهيم عليه الصلوة والسلام لما علم انهم ملائكة
ارسلوا لامر فما خطبكم اي شانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي بعدما قلبنا قراهم وجعلنا
عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة حجارة من طين متحجر من السجيل مسومة
مرسلة من اسمت الماشية اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة
هود عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى فاخرجنا الى آخره حكاية من
جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه الصلوة والسلام بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة
وبين ابرهيم عليهم الصلوة والسلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع
اخر كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك الى آخره من كان فيها اي في
قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن آمن بلوط عليه الصلوة والسلام فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين اي غير اهل بيت قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين
نجوا ثلثة عشر وتركنا فيها اي في القرية آية اي علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل هي تلك
الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن للذين يخافون العذاب الاليم اي من شانهم ان يخافوه
لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فانهم لا يعتدون به
ولا يعدونها وفي موسى عطف على قوله تعالى وفي الارض او على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في
موسى آية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف
اي كائنة وقت ارسالنا وقيل بتركنا الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من
المعجزات الباهرة فتولى بركنه اي فاعرض عن الايمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل
فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء وقرئ بركنه بضم
الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كان نسبة ما ظهر على يديه عليه الصلوة والسلام
من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم شان القدرة الربانية ونهاية قماءة
فرعون وقومه ما لا يخفى وهو مليم اي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من
الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت
دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر والقاح شجر وهي الدبور او الجنوب ما تذر
من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم وبلي وتفتت من عظم او
نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلثة
ايام قيل قال لهم صالح عليه الصلوة والسلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث
مسودة ثم يصيبكم العذاب فعتوا عن امر ربهم اي فاستكبروا عن الامتثال به فاخذتهم
الصاعقة قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح عليه الصلوة والسلام من اصفرار وجوههم
واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه الصلوة والسلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما
كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي
من الصعق وهم ينظرون اليها ويعاينونها فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم
جاثمين وما كانوا منتصرين لغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح فان
ما قبله يدل عليه او واذكر ويجوز ان يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف

على مفعول فاخذناه من قبل اي من قبل هؤلاء المهلكين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين
عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بايد اي بقوة وانا لموسعون
لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها
وما بين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها فنعم
الماهدون اي نحن ومن كل شيء اي من الاجناس خلقنا زوجين اي نوعين ذكرا وانثى وقيل
متقابلين السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبحر والبر ونحو ذلك لعلكم تذكرون
اي فعلنا ذلك كله كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على
اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى ففروا الى الله مقدر بقول خوطب به النبي صلى الله
عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ما حكي من آثار غضبه الموجبة للفرار
منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار اليها كانه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى
الله الذي هذه شؤونه بالايمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على
جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كانه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله تعالى الى
آخره وقوله تعالى اني لكم منه نذير مبين تعليل للامر بالفرار اليه تعالى او لوجوب الامتثال به اي
اني لكم من جهته تعالى مظهر لما يجب ان يحذر منه من العذاب المنذر به وفي امره تعالى للرسول صلى الله
عليه وسلم بان يأمرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليله بانه عليه الصلوة والسلام ينذرهم
من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى
ولا تجعلوا مع الله الها آخر نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به
قوله تعالى اني لكم منه اي من الجعل المنهي عنه نذير مبين فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء
متضمنة لمعنى الافراد يقال فر منه اي هرب وافر منه غيره كما قيل وفروا من ان تجعلوا معه تعالى
اعتقادا او قولا الها آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار عن العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير
كما قيل بل بالنهي عن سببه وايجاب الفرار عنه كذلك اي الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم
له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى ما اتى الذين من قبلهم الى آخره تفسير له اي ما اتاهم من رسول من
رسل الله الا قالوا في حقه ساحر او مجنون ولا سبيل الى انتصاب الكاف باتى لان ما النافية لا يعمل ما بعد
ما النافية فيما قبلها اتواصوا به انكار وتعجيب من حالهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تكاد تخطر
ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله
تعالى بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح
من التواصي واشنع منه من الطغيان الشامل للكل الداعي الى صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم
بمقتضى طبائعهم فتول عنهم فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء فما انت بملوم
على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود وذكر اي افعل التذكير والموعظة
ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر فان الذكرى تنفع المؤمنين اي الذين
قدر الله تعالى ايمانهم او الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون استئناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا
بعبادته تعالى مما يدعوه عليه الصلوة والسلام الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل
تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم
مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية

علي ما هي ثمرة لها متولة لترتب الغرض علي ما هو غرض لها فان استتباع افعاله تعالى للغايات تجليل لتتميما
لانواع فيها قطعاكيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل علي عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها
بالغرض بمعني الباعث علي الفعل بحيث لولاه لم يفعل لافضائه الى استكمال الفاعل به وهو الكامل بالفعل من كل
وجه وتاما بمعني نهاية كمالية يفضي اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من افعاله تعالى بل كلها جارية
علي ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحققه معنى التعليل على
ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها
فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة
فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادي وتاخذ المقدمات الموصلة اليها
لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل
المعنى الا لنامرهم بعبادتي كما في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء
الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده
قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقوله قال مجاهد واختاره معناه الا ليعرفوني
لانه لو لم يخلقهم لم يعرفوا وجوده وتوحيده وقوله عليه الصلاة والسلام فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت
ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق اطلاق اسم السبب
على المسبب التنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة
الفلاسفة ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعاليا
عن ان يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة
ارزاقهم اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم
ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما
يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع على
انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالجر على انه صفة للقوة على تأويل الاقتدار
او الايد فان للذين ظلموا اي ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه
او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة ذنوبا اي نصيبا وافرا من العذاب مثل ذنوب
اصحابهم مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب
وهو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون اي لا يطلبوا مني ان اعجل في المجيء به يقال استعجله
اي حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى فلا تستعجلوه
وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا وضع الموصول موضع
ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل
لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى من
يومهم الذي يوعدون للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الانسب لما في صدر
السورة الكريمة من الاتيان بالاولى هو الاوفق لما قيل من حيث انهما من العذاب الدنيوي عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت
في الدنيا

سورة الطور مكية وهي تسع واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام

الله عز وجل وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن
او الواح موسى عليه الصلاة والسلام وهو الانسب بالطور او ما يكتب في اللوح او ما يكتبه الحفظة في رق
منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او للاشعار
بانهما ليسا مما يتعارفه الناس والبيت المعمور اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين
او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمارته بكثرة غاشيته من الملائكة والسقف المرفوع اي السماء
ولا يخفى حسن موقع العنوانات المذكورة والبحر المسجور اي المملوء وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى
واذا البحار سجرت والمراد به الجنس روي ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب
ربك لواقع لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى ما له من دافع اما خبر ثان لان او صفة لواقع
ومن دافع اما مبتدأ للظرف او مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتاكيد وتخصيص هذه الامور
بالاقسام بها لانها امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته
تعالى بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله
تعالى يوم تمور السماء مورا ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور
الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب وقيل هو تحرك في تموج قيل تدور السماء كما تدور الرحا وتتكفأ
باهلها كما تتكفأ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها وتسير الجبال سيرا اي تزول عن وجه الارض
فتصير هباء وتاكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اي مورا عجيبا
وسيرا بديعا لا يدرك كنههما فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يومئذ
يقع فيه ذلك الذين هم في خوض اي اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون يوم يدعون
الى نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى
اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا اي مدعوين ويوم اما بدل
من يومئذ او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه النار اي يقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي
يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى افسحر هذا توبيخ
وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فتقديم الخبر لانه
محط الانكار ومدار التوبيخ ام انتم لا تبصرون اي ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر عنه
كما كنتم عميا عن الخبر ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا
بل نحن قوم مسحورون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا
ما شئتم من الصبر وعدمه سواء عليكم اي الامران في عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه وقوله
تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه
سواء في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم اي في اية جنات واي نعيم على ان التنوين للتفخيم او في جنات
ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين
وفاكهين على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر او خبر آخر ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم
على ان ما مصدرية او على خبر ان او حال باضمار قد اما من المستكن في الخبر او في الحال واما من فاعل آتاهم او من مفعوله
او منهما واظهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا
واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه
او بمقابلته وقيل الباء مزيدة وما فاعل هنيئا اي هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر
مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى الصفة بالتاويل

للمشهور والسامع ان التزويج مما يتعدى الى المفعول الثاني لما فيه من معنى الوصل والالصاق والسببية او المعنى
صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى والذين آمنوا الذين
كلام مستانف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم
في الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله تعالى واتبعتهم ذريتهم عطف على آمنوا وقيل
اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع اي اتبعتهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الاباء
واعتبار هذا القيد للدلالة على ان ثبوت الحكم في الايمان الكامل اصالة لا الحاق وقرئ ذرياتهم بالجمع للمبالغة في
الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقرئ
اتبعتهم الحقنا بهم ذريتهم في الدرجة كما روي انه عليه الصلاة والسلام قال ان الله تعالى يرفع
ذرية المؤمن الى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وما التناهم وما نقصنا
الاباء من عملهم من شيء بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنتقص مثوباتهم
وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضيل والاحسان وقرئ التناهم بكسر اللام
من الت يالت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت والتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من
ولت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اي
بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله
تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل
وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضيلا عليهم وعلى ابائهم لنتم
سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان دان منحط المنزلة وهو ايمان الذرية كانه قيل بشيء من الايمان
لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم كل امرئ بما كسب رهين قيل هو فعيل بمعنى المفعول
والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى
الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن اي دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضي عدم
المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الاباء شيء فالجملة تعليل لما قبلها
وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم على ما كان لهم من مبادي التنعم وقتا فوقتا
مما يشتهون من فنون النعماء والوان الآلاء يتنازعون فيها اي يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال
رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عنه بالتنازع كأسا اي خمرا تسمية لها باسم محلها لا لغو
فيها اي في شربها حيث لا يتكلمون في اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تأثيم ولا يفعلون ما يؤثم
به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعل في دار التكليف كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن
الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح ويطوف عليهم اي بالكاس غلمان لهم اي مماليك
مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم
اي مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
وعنه عليه الصلاة والسلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يسأل كل بعض منهم بعضا الاخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا
ومسؤولا لا انه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا قالوا اي المسؤولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة انا كنا
قبل اي في الدنيا في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته
او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة

في المسام

في المسام انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا
سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل عليك من
الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمده
وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون ام يقولون
شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو في
الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اي بل يقولون ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فاني معكم
من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي وفيه عدة كريمة باهلاكهم ام تأمرهم احلامهم
اي عقولهم بهذا اي بهذا التناقض في المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الامور والمجنون
مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع اوصاف هؤلاء في واحد وامر الاحلام
بذلك مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحدود في المكابرة والفساد ولا يحومون حول الرشد
والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام
يقولون تقوله اي اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التي
لا تخفى على احد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجزت عنه كافة الامم
من العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى
ان كانوا صادقين فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له
عليه الصلاة والسلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة
لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات
الاتيان به ودواعي الامر بذلك ام خلقوا من غير شيء اي ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث
ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لا شيء من عبادة وجزاء ام هم الخالقون لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه
ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقهم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير
موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك اي خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا
النبوة من شاؤوا ويمسكوها عمن شاؤوا او عندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة
اختياره ام هم المسيطرون اي الغالبون على الامور يدبرونها كيف شاؤوا حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا
الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون
فيه صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الامور التي يتقولون فيها رجما
بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه
ام له البنات ولكم البنون تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا
عن الترقي الى عالم الملكوت والتطلع على اسرار الغيب والالتفات الى الخطاب لتشديد ما في ام المنقطعة من الانكار
والتوبيخ ام تسألهم اجرا رجوع الى خطابه عليه الصلاة والسلام واعراض عنهم اي بل اتسألهم اجرا على تبليغ
الرسالة فهم لاجل ذلك من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم
الغيب اي اللوح المحفوظ والمثبت فيه الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي او اثبات ام يريدون
كيدا هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة فالذين كفروا هم المكيدون ووضع الموصول
موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيه دخولا
اوليا هم المكيدون اي هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وبال كيدهم وهو ما اصابهم
يوم بدر وهم المغلوبون في المكيدة من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله

عما يشركون أي عن إشراكهم أو عن شركة ما يشركونه وإن يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم أي هو في الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ يلقوا يومهم الذي فيه يصعقون على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة أو من أصعقته وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الأولى كما قيل إذ لا يصعق بها إلا من كان حيا حينئذ ولأن قوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا أي شيئا من الإغناء بدل من يومهم ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع وليس ذلك إلا ما دبروه في أمره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر وأما النفخة الأولى فليست مما يجري في مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما في الأول من الاختصاص ينبئ عن اختصاصه بهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفع العذاب عنهم وإن للذين ظلموا أي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل أي وإن لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون ما لاقوه من القتل أي قبله وهو القحط الذي أصابهم سبع سنين أو وراءه كما في قوله يريك القذى من دونها وهو دونها وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الأمر كما ذكر وفيه إشارة إلى أن فيهم من يعلم ذلك وإنما يصر على الكفر عنادا أو لا يعلمون شيئا أصلا واصبر لحكم ربك بإمهالهم إلى يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان ومعاناة الهموم فإنك بأعيننا أي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والإيذان بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح أي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا بحمد ربك على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم من أي مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء أي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه أفرد لبعض الليل بالتسبيح لأن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل وإدبار النجوم أي وقت إدبارها من آخر الليل أي غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشاء وإدبار النجوم صلاة الفجر وقرئ أدبار النجوم بالفتح أي في أعقابها إذا غربت وخفيت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه وأن يدخله جنته صدق الله ورسوله

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم إذا هوى المراد بالنجم إما الثريا فإنه اسم غلب لها أو جنس النجوم وهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويا بوزن قبول إذا غرب وهويا بوزن دخول إذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل في إذا فعل القسم فإنه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال كما في قولك آتيك إذا احمر البسر وفي الإقسام بذلك دليل على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه أما على الأولين فلأن النجم شأنه أن يهتدي به الساري إلى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذي يهتدي به السابلة إلى سواء السبيل ما ضل صاحبكم أي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة وما غوى أي وما اعتقد باطلا قط أي هو في غاية الهدى والرشد وليس فيما ينتمي إليه من الضلال والغواية في شيء أصلا وأما على الثالث فلأنه تنويه بشأن القرآن كما أشير إليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قيل والقرآن الذي هو علم

في الهداية

في الهداية إلى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد صلى الله عليه وسلم وما غوى والخطاب لقريش وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان صاحبيته لهم للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله عليه الصلاة والسلام ما نفي عنه بالكلية وباتصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى والرشاد فإن طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوي على الوجه الأخير ظاهر وأما على الأولين فلأن النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وإنما يهتدي به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى في تدلي جبريل من الأفق الأعلى فدنوه منه عليه الصلاة والسلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل وأما حمل هويه على انتثاره يوم القيامة أو على انقضاض النجم الذي يرجم به أو حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الأرض أو ظهوره منها فمما لا يناسب المقام وما ينطق عن الهوى أي وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلا فإن المراد استمرار نفي النطق عنه كما مر إن هو أي ما الذي ينطق به من القرآن إلا وحي من الله تعالى وقوله تعالى يوحى صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي علمه شديد القوى أي ملك شديد قواه وهو جبريل عليه الصلاة والسلام فإنه الواسطة في إبداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الأسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده أسرع من رجعة الطرف ذو مرة أي حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فإنه إلى قوله تعالى ما أوحى بيان لكيفية التعليم أي فاستقام على صورته التي خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من المشرق فسد الأرض من المغرب وملأ الأفق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير النبي صلى الله عليه وسلم فإنه رآه فيها مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الأمر وقوله تعالى وهو بالأفق الأعلى أي أفق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنا أي أراد الدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى أي استرسل من الأفق الأعلى مع تعلق به فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق فكان أي مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين أي مقدارهما فإن القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عليه الصلاة والسلام كما في قولك هو مني معقد الإزار أو أدنى أي على تقديركم كما في قوله تعالى أو يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد الملبس فأوحى أي جبريل إلى عبده عبد الله تعالى وإضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما أوحى أي من الأمور العظيمة التي لا تفي بها العبارة أو فأوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما أوحى قيل أوحي إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى يدخلها أمتك ما كذب الفؤاد أي فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى أي ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه الصلاة والسلام أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب أي صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته أفتمارونه على ما يرى أي أتكذبونه

افتجادلونه على ما يراه معاينة او بعد ما ذكر من احواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة فكان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده **ولقد رآه نزلة اخرى** اي وبالله لقد رأى جبريل في صورته مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر **عند سدرة المنتهى** هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة وقيل اليها ينتهي علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اي سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى والى ربك المنتهى **عندها جنة المأوى** اي الجنة التي يأوي اليها المتقون وارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى **اذ يغشى السدرة ما يغشى** ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني في كل حين اي يأتيني والاول هو الاليق بالمقام وفي ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى فالخبر عن المفعول للتشويق اليه اي ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك رضي الله تعالى عنهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه الصلوة والسلام يغشاها رفرف من طير خضر **ما زاغ البصر** اي ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه **وما طغى** وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** اي والله لقد رأى الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء وأري من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان تكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اي شيئا عظيما من آيات ربه وان تكون من مزيدة **افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى** هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعم الحاج وقيل كان يلت السويق على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهي شجرة كانوا يعبدونها

فبعث

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد بعدها ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك تمنى عندها اي تراق وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمته عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره في الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات له تعالى وقيل المعنى افرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع لكم في الآخرة وقيل اظننتم ان هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى **ألكم الذكر وله الانثى** فانه توبيخ مبني على التوبيخ الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب انفسهم على جنابه تعالى حيث نسبوا اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة تحقيقا لتسني بناء التوبيخ الثاني عليه بظاهره ان ليس في شيء من التقادير المذكورة من تلك النسبة عين ولا اثر واما ما قيل من ان هذه النسبة مفعول ثان للرؤية وحذفوها عن العائد الى المفعول الاول لان الاصل المخبر عنه ان اللات والعزى ومناة ألكم الذكر وهن اي تلك الاصنام فوضع موضعهن الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمما لا يليق بشان التنزيل بل عن امثاله لاقتضائه اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جانب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه **تلك** اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية **اذا قسمة ضيزى** اي جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت في الوصف وقرئ ضئزى بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرئ ضيزى على انه مصدر وصف به كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى **ان هي** الضمير للاصنام اي ما الاصنام باعتبار الالوهية التي تدعونها **الا اسماء** محضة ليس تحتها مما تنبئ هي عنه من معنى الالوهية شيء ما اصلا وقوله تعالى **سميتموها** صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى وان قيست الى المسمى فمعناها جعله مسمى بالاسم وانما اختير ههنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التي سموها آلهة اسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الآية لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام فليس في سلكها ما فيه مزيد فائدة بل انما هي

في سلب الالوهية عنها كما هو زعم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء
الموصوف يقتضي انتفاء الوصف بطريق الاولوية اي ما هي الا اسماء خالية عن المسميات تضعونها
انتم وآباؤكم بمقتضى اهوائكم الباطلة ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان
يتبعون التفات الى الغيبة ايذانا بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم
لغيرهم اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق توهما
باطلا وما تهوى الانفس اي تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء ولقد جاءهم من ربهم الهدى
قيل هي حال من فاعل يتبعون او اعتراض وايا ما كان ففيها تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس
وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول
عليه الصلاة والسلام وانزال الكتاب اقبح ام للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالي
من بيان ان ما هو عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعا
اصلا والهمزة للانكار والنفي اي ليس للانسان كل ما يتمناه فلله الآخرة والاولى فان اختصاص
امور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لان لا يكون للانسان امر من الامور وقوله تعالى وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا اقناط لهم مما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم
عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي
الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اي وكثير من الملائكة لا تغني
شفاعتهم عند الله تعالى شيئا من الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد ان يأذن الله لهم في
الشفاعة لمن يشاء ان يشفعوا له ويرضى ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما
من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل وعن الشفاعة له بالف معزل فاذا كان حال
الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ان الذين لا يؤمنون بالآخرة وبما فيها
من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين عن سمات
النقصان على الاطلاق تسمية الانثى اي يسمون كل واحد منهم بالانثى بان يسموهم بنات
وهي التسمية بالانثى وفي تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها في الشناعة والفظاعة
واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا وقوله تعالى وما لهم به
من علم حال من فاعل يسمون اي يسمونهم والحال انه لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها اي بالملائكة
او بالتسمية ان يتبعون في ذلك الا الظن الفاسد وان الظن اي جنس الظن كما يلوح به
الاظهار في موقع الاضمار لا يغني من الحق شيئا من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة
الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به في
العمليات وما يؤدي اليها فأعرض عن من تولى عن ذكرنا اي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم
للتوسل به الى وصفهم بما في حيز صلته من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اي فاعرض عن
من اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الاولين والآخرين المذكر
لامور الآخرة او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها
والمرهوب عنها ولم يرد الا الحيوة الدنيا راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهي عن دعوته
والاعتناء بشأنه فان من اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته
وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي ما
اداهم الى ما هم فيه من التولي وقصر الارادة على الحيوة الدنيا مبلغهم من العلم لا يكادون

الى غيره

الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان الافراد
فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة
اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو اعلم
لزيادة التقرير وللايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى
اصلا وبمن اهتدى من شأنه الاهتداء في الجملة اي هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال
ابدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غير فلا تتعب نفسك في دعوتهم فانهم من القبيل الاول
وفي تعليل الامر بالاعراض عن الاعتناء بامرهم باقتصار العلم بحال
الفريقين عليه تعالى رمز الى انه تعالى يعاملهما بما يوجبه علمه بهما فيجزي كلا منهما بما يليق به
من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سيأتي صريحا ولله ما في السموات وما في الارض
اي خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى ليجزي الخ متعلق
بما دل عليه اعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه
تعالى باحوالهم الا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما
ليجزي الذين اساءوا بما عملوا اي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا
لحاله او بسبب ما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى اي الذين اهتدوا بالمثوبة الحسنى التي
هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بضل واهتدى ليؤول امره الى ان يجزي بحسنى
وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين
الذين يجتنبون كبائر الاثم بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد
الاجتناب واستمراره او بيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من
الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش
وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم اي الا ما قل وصغر فانه مغفور لمن يجتنب الكبائر وقيل
هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا ولا
عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر
الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل للاستثناء المذكور وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة
به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل له ان يغفر لمن يشاء
من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين
بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى هو اعلم
بكم اي باحوالكم يعلمها اذ انشأكم في ضمن انشاء ابيكم آدم عليه الصلاة والسلام من الارض
انشاء اجماليا حسبما مر تحقيقه مرارا واذ انتم اجنة ووقت كونكم اجنة في بطون امهاتكم
على اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم التي لولا المغفرة
الواسعة لاصابكم وبالها فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم
لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض
مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي
بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته هو اعلم
بمن اتقى المعاصي جميعا وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بان فيهم من يتقيها بأسرها وقيل كان

نائم يعلون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الرجاء
او الرياء فاما من يعتقد ان ما عمل من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه ويرجو ثوابه ولم يقصد
التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرايت الذي تولى اي عن
اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا اي شيئا قليلا او اعطى قليلا واكدى اي قطع العطاء من
قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اي الصلابة كالصخرة فلم يمكنه ان يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة
كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال لم تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال
اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطاه بعض المشروط
وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض الامور وقيل في ابي جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وكان يقول
والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى لا لان اوله لا يناسب
لما بعده من قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى الى اخره اي عنده علم بالامور الغيبية
التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى اي
وفى واتم ما ابتلى به من الكلمات او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله
ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام حين القي في النار
فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى انه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفانا فان
وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه التي هي التوراة اشهر عندهم واكثر الا تزر
وازرة وزر اخرى اي انه لا تحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس اخرى وان هي المخففة من الثقيلة
وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف والجملة بدل مما في صحف موسى او خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما في صحفهما فقيل هو الا تزر الخ والمعنى انه لا يؤاخذ
احد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة
سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره وقوله
تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه
والبيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبياء عليهم الصلاة والسلام
واستغفار الملائكة عليهم الصلاة والسلام ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك بالايجاد
مما لا يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله فقط فلكونها مناط نفعها على منها على
الذي هو الايمان والعمل الصالح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدون جعل النافع نفسه عمله وان كان انضمام
عمل غيره اليه وان مخففة وما بعدها معطوفة عليها وكذلك قوله تعالى وان سعيه سوف يرى اي
يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة في صحيفته وميزانه من رايت الشيء ثم يجزاه اي يجزى الانسان
سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء
ثم يفسره بقوله تعالى الجزاء الاوفى او يبدل هو عنه كما في قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا
وان الى ربك المنتهى اي انتهاء الخلائق ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا
وقرئ بالكسر على الابتداء وانه هو اضحك وابكى اي هو خلق قوتي الضحك والبكاء وانه هو
امات واحيا لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره والقاتل ينقض البنية ويفرق الاتصال وانما
يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة
اذا تمنى تدفق في الرحم وتخلق او يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وان عليه النشاة الاخرى
اي الاحياء بعد الموت من الله تعالى على العادة وقرئ النشاءة بالمد وهي ايضا مصدر نشا وانه

هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتأثل من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال
او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى اي رب معبودهم وهي العبور وهي
اشد ضياء من الغميصا وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة تشبيها له عليه الصلاة والسلام به لمخالفته اياهم في دينهم
وانه اهلك عادا الاولى هم قوم هود عليه الصلاة والسلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء
لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عاد لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام وعادا لولى
بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى فنقل حركتها الى لام التعريف وثمودا عطف على عادا لان ما
لا يعمل فيه وقرئ ثمود بالتنوين فما ابقى اي احدا من الفريقين وقوم نوح عطف عليه ايضا
من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون
الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه الصلاة والسلام حتى لا يكون
به حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت بهم
اهوى اي اسقطها الى الارض بعد ان رفعها على جناح جبريل عليه الصلاة والسلام الى السماء فغشاها
ما غشى من فنون العذاب وفيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباي آلاء ربك تتمارى
تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك
او لكل احد واسناد فعل التماري الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد تعلقه فان صيغة التفاعل
وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا
ومفعولا معا لكنها قد يجرد عن المعنى الثاني فيراد بها المعنى الاول فقط كما في تداعوا ثم انه
قد يجرد عنه ايضا فيكتفي بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما في ما نحن فيه فان المتمارى فيه متعدد
الالاء فتدبر وتسمية الامور المعدودة آلاء مع ان بعضها نقم لانها ايضا نعم من حيث انها ناصرة
للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر الاولى
هذا اما اشارة الى القرآن والنذير مصدر او الى الرسول صلى الله عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر
واياما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اي هذا القرآن
الذي تشاهدونه نذير من جنس الانذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر من جنس
المنذرين الاولين والاولى على تاويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفي
تعقيبه بقوله تعالى ازفت الازفة اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيامة اي دنت الساعة
الموصوفة بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس لها
نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها الان نفس كاشفة قادرة
على كشفها بان تخبر بها الا الله تعالى فانه المخبر لها او ليس كاشفة لوقتها الا الله كقوله تعالى لا يجليها لوقتها
الا هو او ليس لها من غير الله تعالى كشف على ان كاشفة مصدر كالعافية افمن هذا الحديث اي القرآن
تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع كونها ابعد شيء من ذلك ولا تبكون حزنا على ما فرطتم في شانه
وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة وانتم سامدون اي لاهون او مستكبرون من سمد البعير
اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير وقيل
خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد
بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا والجملة
حال من فاعل لا تبكون وتكون مضمونها على الوجه الاخير قيد المنفي والانكار راجع على نفي البكاء

والنجوم جميعا وعلى الوجه الاول قيد النفي والانكار متوجه الى نفي البكاء ووجود الضحك والاول اوفى بحق
المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى **فاسجدوا لله واعبدوا** لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر
من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع
اي واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي انزله واعبدوه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والنجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق
القمر قال ابن عباس رضي الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطاء عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيمة
ويرده قوله تعالى **وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد
شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات
اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد او الاستحكام اي وان يروا آية من آيات الله تعالى
يعرضوا عن التامل فيها والتفكر في حقيقتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مستمر مطرد دائم ياتي به محمد
عليه الصلاة والسلام على ممر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر وقيل مستحكم لا يمكن
ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا والاول هو الانسب لغلوهم في
المكابرة وتوطينهم ما سيأتي لرده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة **وكذبوا** اي النبي
صلى الله عليه وسلم وما عاينوا مما اظهر الله تعالى على يديه من المعجزات **واتبعوا اهواءهم** التي زينها
الشيطان لهم او كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا
والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق وقوله تعالى **وكل امر مستقر** استئناف
مسوق لاقناطهم عما علقوا به امانيهم الفارغة من عدم استقرار امره عليه الصلاة والسلام
حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثبات امره ورسوخه اي وكل امر من الامور مستقر اي منته الى غاية
يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها
حقيته وعلو شانه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة
الى التصريح به وقيل المعنى كل امر من امرهم وامره عليه الصلاة والسلام مستقر اي سيثبت
ويستقر على حال خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على
انه مصدر او اسم مكان او زمان اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمانه وبالكسر والجر على انه صفة
امر وكل عطف على الساعة اي اقتربت الساعة وكل امر مستقر **ولقد جاءهم** اي في القرآن
من الانباء اي انباء القرون الخالية او انباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده
اي وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء **ما فيه مزدجر** اي ازدجار من تعذيب او وعيد
او موضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه موضع ازدجار ومظنة له والافتعال
للدلالة على المبالغة والدال بدل من التاء وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها **حكمة
بالغة** غايتها لا خلل فيها وهو بدل من ما او خبر محذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها
موصولة او مخصصة بصفتها فيسوغ نصب الحال عنها **فما تغن النذر** نفي للاغناء او انكار له
والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونها مظنة للاغناء وصيغة

للمضارع

للمضارع للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمرارها وما
منصوبة اي فاي اغناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار **فتول
عنهم** لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة **يوم يدع الداع** منصوب بيخرجون او باذكر
والداعي اسرافيل عليه الصلاة والسلام ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن
فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا **الى شيء نكر** اي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم
العهد بمثله وهو هول القيمة وقرئ بالتخفيف ونكر بمعنى انكر **خشعا ابصارهم** حال
من فاعل يخرجون والتقديم لان العامل متصرف اي يخرجون **من الاجداث** اذلة ابصارهم من
شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ
خاشعة على الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة حال **كانهم جراد
منتشر** في الكثرة والتموج والتفرق في الاقطار **مهطعين الى الداع** مسرعين مادي اعناقهم
اليه او ناظرين اليه **يقول الكافرون** استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال
واهله بسوء الحال كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون **هذا يوم عسر** اي
صعب شديد وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة
كذبت قبلهم قوم نوح شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها
وبيان لعدم تأثرهم بها تقريرا لفحوى قوله تعالى فما تغني النذر اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك
قوم نوح وقوله تعالى **فكذبوا عبدنا** تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه
فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما
خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا
لانه من جملتهم وفي ذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة
تفخيم له عليه الصلاة والسلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه **وقالوا مجنون** اي لم يقتصروا
على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون **وازدجر** عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع الاذية
وقيل هو من جملة ما قالوا اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته **فدعا ربه اني** اي باني
وقرئ بالكسر على ارادة القول **مغلوب** اي من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم **فانتصر**
اي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه
فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون **ففتحنا ابواب السماء
بماء منهمر** منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة
الابواب **وفجرنا الارض عيونا** اي جعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة واصله فجرنا عيون الارض
فغير قضاء لحق المقام **فالتقى الماء** اي ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقاء الماءين
لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف النوعين
والماوان بقلب الهمزة واوا **على امر قد قدر** اي كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت
اي على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله تعالى وهو
هلاك قوم نوح بالطوفان **وحملناه** اي نوحا عليه الصلاة والسلام **على ذات الواح** اي اخشاب
عريضة **ودسر** ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها
من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها **تجري باعيننا** بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا **جزاء لمن كان
كفر** اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه الصلاة والسلام لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله

تعالى على القلب ورحمة وأي نعمة وأي رحمة وقد جوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير
والاستتار في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر أي للكافرين ولقد تركناها أي السفينة
أو الفعلة آية يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة وقيل على
الجودي دهرا طويلا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة فهل من مدكر معتبر بتلك الآية الحقيقة
بالاعتبار وقرئ مذتكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالا والإدغام فيها فكيف كان عذابي
ونذر استفهام تعظيم وتعجيب أي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى
الإنذار ولقد يسرنا القرآن جملة قسمية وردت في آخر القصص الأربع تقريرا لمضمون ما سبق
من قوله تعالى ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر وتنبيها على أن كل
قصة منها مستقلة بإيجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم يقع واحدة في حيز الاعتبار
أي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا
فيه من الوعيد والوعد للذكر أي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر إنكار ونفي للمتعظ على أبلغ وجه
وآكده حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة
نظمه وعذوبة ألفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام كذبت عاد أي هودا عليه الصلاة
والسلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له عليه الصلاة والسلام روما للاختصار ومسارعة إلى بيان
ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر لتوجيه قلوب السامعين نحو
الإصغاء إلى ما يلقى إليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده
كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابي وإنذاراتي لهم وقوله تعالى إنا أرسلنا
عليهم ريحا صرصرا استئناف ببيان ما أجمل أولا أي أرسلنا عليهم ريحا باردة أو شديدة
الصوت في يوم نحس شؤم مستمر أي شؤمه أو مستمر عليهم إلى أن أهلكهم أو شامل لجميعهم كبيرهم
وصغيرهم أو مشتد مرارته وكان يوم الأربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي أنهم دخلوا الشعاب
والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم وصرعتهم موتى كأنهم أعجاز نخل منقعر أي منقلع عن
مغارسه شبهوا بأعجاز النخل وهي أصولها بلا فروع لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم وتطرحهم أجسادا
جثثا بلا رؤوس وتذكير صفة نخل للنظر إلى اللفظ كما أن تأنيثها في قوله تعالى أعجاز نخل خاوية للنظر
إلى المعنى فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار
وما قيل من أن الأول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب
الدنيوي ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر
أي الإنذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح أو بالرسل عليهم الصلاة والسلام فإن تكذيب أحدهم تكذيب
للكل لاتفاقهم على أصول الشرائع فقالوا أبشرا منا أي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده
واحدا أي منفردا لا تبع له أو واحدا من آحادهم لا من أشرافهم وهو صفة أخرى لبشرا وتأخيره عن الصفة
المؤولة للتنبيه على أن كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ
أبشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى نتبعه خبره والأول أوجه للاستفهام إنا إذا أي على تقدير
اتباعنا له وهو منفرد ونحن أمة جمة لفي ضلال عن الصواب وسعر أي جنون فإن ذلك بمعزل من
مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر أي نيران جمع سعير فعكسوا
عليه لغاية عتوهم فقالوا إن اتبعناك كنا إذن كما تقول أألقي الذكر أي الكتاب والوحي عليه من بيننا
وفينا من هو أحق بذلك منه بل هو كذاب أشر أي ليس الأمر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع

علينا بما

علينا بما ادعاه وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه الصلاة
والسلام وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول
العذاب أي سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الأشر الذي حمله أشره وبطره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرئ
ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ أو على حكاية ما أجابهم به صالح وقرئ الأشر كقولهم حذر في حذر
وقرئ الأشر أي الأبلغ في الشرارة وهو أصل مرفوض كالأخير وقيل المراد يوم القيامة ويأباه قوله تعالى
إنا مرسلو الناقة فإنه استئناف مسوق لبيان مبادي الموعود حتما أي مخرجوها من الهضبة حسبما
سألوا فتنة لهم أي امتحانا فارتقبهم أي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على أذيتهم ونبئهم
أن الماء قسمة بينهم مقسوم لهم يوم ولها يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره
صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم هو قدار بن سالف أحيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي
الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف فقتلها
والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة عاد إنا أرسلنا
عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام فكانوا أي فصاروا كهشيم المحتظر
أي كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته
في الشتاء وقرئ بفتح الظاء أي كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا أي ريحا تحصبهم أي ترميهم بالحصباء إلا آل
لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الأخير منه أي ملتبسين بسحر نعمة من عندنا
أي إنعاما منا وهو علة لنجينا كذلك أي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة ولقد
أنذرهم لوط بطشتنا أخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه
عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا أعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي أنهم لما
دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط فذوقوا
عذابي ونذر أي فقلنا لهم على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال والمراد به الطمس فإنه من جملة ما أنذروه من العذاب
ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم
حتى يسلمهم إلى النار وفي وصفه بالاستقرار إيماء إلى أن ما قبله من عذاب الطمس ينتهي إليه فذوقوا عذابي ونذر
حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر مر ما فيه
من الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لإبراز كمال الاعتناء بشأنها
لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة إيجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر
آل فرعون للعلم بأن نفسه أولى بذلك أي وبالله لقد جاءهم الإنذارات وقوله تعالى كذبوا بآياتنا كلها
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كأنه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا
وهي الآيات التسع فأخذناهم أخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب خير
قوة وشدة وعدة وعدة أو مكانة عند الله تعالى من أولئكم الكفار المعدودين والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم
مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الأمور فهل تطمعون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكانا
وأسوأ حالا وقوله تعالى أم لكم براءة في الزبر إضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر إلى التبكيت بوجه
آخر أي بل ألكم براءة وأمن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية فلذلك تصرون
على ما أنتم عليه وقوله تعالى أم يقولون نحن جميع منتصر إضراب من التبكيت المذكور إلى التبكيت بوجه آخر من التبكيت
والالتفات للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم

لقوتهم اي بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو الحزم والرأي امرنا مجتمع لا نرام ولا نضام او منتصر
من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد لفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم الجمع
رد وابطال لذلك والسين للتأكيد اي يهزم جمعهم البتة ويولون الدبر اي الادبار وقد قرئ كذلك
والتوحيد لارادة الجنس او لان كل واحد منهم يولي دبره وقد كان ذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب
سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم
فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت
تأويلها وقرئ سنهزم الجمع اي الله عز وجل بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم
بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه والساعة ادهى وامر اي في اقصى غاية من الفظاعة
والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدي الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع اضمارها
لتربية تهويلها ان المجرمين من الاولين والآخرين في ضلال وسعر اي في هلاك ونيران مسعرة
وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى يوم يسحبون منصوب
اما بما يفهم من قوله تعالى في ضلال اي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون على وجوههم واما
بقول مقدر بعده اي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا مس سقر اي قاسوا حرها والمها وسقر
علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول
حال من ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه بقدر اي ملتبسا بقدر معين اقتضته
الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل
يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على انه مبتدأ وخلقناه خبر وما امرنا الا واحدة اي كلمة واحدة
سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر
في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم
اي اشباهكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر يتعظ بذلك وكل شيء فعلوه من
الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل في الزبر في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر
مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما
يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتكامل الترغيب والترهيب بين حسن حالهم بطريق الاجمال
فقيل ان المتقين اي من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشأن ونهر اي انهار كذلك والافراد
للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر بضم الهاء كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي
وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر اي مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه
وسلطانه فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شأنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر
في كل غب بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر والله اعلم صدق الله وصدق رسوله

سورة الرحمن مكية او مدنية وقيل فيها مكي ومدني

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة
من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها ان القرآن قد يسر لتذكر الناس واتعاظهم
ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما افاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية
والدنيوية والانفسية والآفاقية وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بموجب شكرها وبدأ بتعليم
القرآن فقيل علم القرآن لانه اعظم النعم شأنا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية

والدنيوية

والدنيوية وعيار على سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرنو اليه احداق الامم الا وهو منشاؤه
ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان
بانه من آثار الرحمة الواسعة واحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره ثم قيل
خلق الانسان علمه البيان تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه
على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين
الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث
اخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودهما على منهاج التعديد الشمس والقمر
بحسبان يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك الامور الكائنات السفلية
وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم اي النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض
ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان اي ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد
من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط
المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر
لما سواه تعالى كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجمل الاول عن
العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينهما وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما ان الشمس
والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد
لامر الله عز وجل والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ احكامه
وقضاياه ومتنزل اوامره ومحل ملائكته وموقع من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه
ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان اي شرع العدل وامر به بان وفر كل مستحق
ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام
بالعدل قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى
وانزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو
قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام
عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا
في الميزان على انها مفسرة لما في الشرع من معنى القول او لا ناهية اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف
وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا
لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان
اي لا تنقصوه امر اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي
هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتأكيدا للامر باستعماله والحث عليه
وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين ايضا
على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة
على الماء للانام اي للخلق قيل الانام كل ذي روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان
وقوله تعالى فيها فاكهة الخ استئناف مسوق لتقرير ما افادته الجملة السابقة من كون الارض موضوعة
لمنافع الانام وتفصيل المنافع التي اشير اليها وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن ان يكون الجار
والمجرور حالا وفاكهة مرتفعا على الفاعلية اي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هي اوعية
الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطي من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه

والحب وهو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ذو العصف هو ورق الزرع وقيل هو التبن والريحان قيل هو الرزق اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب ذو العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او واخص ويجوز ان يراد ذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والريحان فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل اصله روحان قلبت واوه ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين الروحان وهو ماله روح قاله القرطبي فباي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لآلهتهم به تعالى في العبادة من دواعي اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الآيات المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب لها لا محالة اي فاذا كان الامر كما فصل فباي فرد من افراد الآلاء تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق خلق الانسان من صلصال كالفخار تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي بين الآية الناطقة باحدها وبين ما ناطق بالآخر وخلق الجان اي الجن او ابا الجن من مارج من صاف من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم رب المشرقين ورب المغربين بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج البحرين وقرئ بالجر على انه بدل من ربكما فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك مرج البحرين اي ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما في مرأى العين وقيل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله تعالى او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فباي آلاء ربكما تكذبان وليس فيهما شيء يقبل التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فنسبة خروجهما الى البحرين مع انهما انما يخرجان من الملح على ما قيل لما انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب او لانهما لما التقيا صارا كالشيء الواحد فساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع انهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان بنون العظمة فباي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار اي السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء وحذف الياء كقول من قال لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرئ بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن في البحر كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل فباي آلاء ربكما تكذبان

من خلق

من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه كل من عليها اي على الارض من الحيوانات او من المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان هالك لا محالة ويبقى وجه ربك اي ذاته عز وجل ذو الجلال والاكرام اي ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه صلى الله عليه وسلم انه مر برجل وهو يصلي ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذي الجلال والاكرام على انه صفة ربك واياما كان ففي وصفه تعالى بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء يسأله من في السموات والارض قاطبة ما يحتاجون اليه في ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر تفسيره في قوله تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام كل يوم اي كل وقت من الاوقات هو في شأن من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفني آخرين ويأتي باحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين قيل فيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فباي آلاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبقى حينئذ الا شأن واحد وهو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل مستعار من قول المتهدد لصاحبه سأفرغ لك اي سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم ايها الثقلان هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهما او لانهما مثقلان بالتكليف فباي آلاء ربكما التي من جملتها التنبيه على ما ستلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب تكذبان باقوالكما واعمالكما يا معشر الجن والانس هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفي بما كلفوه ان استطعتم ان قدرتم على ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اي ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن اقطار السموات والارض فانفذوا منها وخلصوا انفسكم من عقابي لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اي بقوة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد روي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به فباي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل الاخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اي كائن من نار والتنوين للتفخيم ونحاس اي دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤوسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا

ونحاساً وقرئ ونُحُسٌ جمع نحاس مثل لحاف ولُحُف وقرئ ونَحْسٍ اي يعجل بالعذاب فلا تنتصران
اي لا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصي
لطف واي لطف ونعمة اي نعمة فاذا انشقت السماء اي انصدعت يوم القيامة فكانت
وردة كوردة حمراء وقرئ وردةٌ بالرفع على ان كان تامة اي حصلت سماء وردة فيكون من باب
التجريد كقول من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة نحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان خبر
ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كانت اي كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما
يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اي تكون من الاحوال والاهوال
ما لا يحيط به دائرة المقال فبأي آلاء ربكما تكذبان مع عظم شانها فيومئذ اي يوم اذ تنشق
السماء حسبما ذكر لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون
من القبور ويحشرون الى الموقف ذوداً ذوداً على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم
اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان
المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسأل عن ذنبه انسي ولا جني فبأي آلاء ربكما تكذبان مع كثرة
منافعهما فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي اليه واما ما قيل مما انعم الله على عباده
المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم استئناف يجري
مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن
فيؤخذ بالنواصي والاقدام الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ
مقصوداً بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوه وخذوا حذركم ونحوهما واخذ به اذا كان المأخوذ شيئاً من ملابسات
المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقول المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك
اي يجمع بين نواصيهم واقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة بالنواصي
وتارة بالاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
على ارادة القول اي يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على ان الجملة اما استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ
من حكاية الاخذ بالنواصي والاقدام كانه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال لهم او حال من
اصحاب النواصي والاقدام لان الالف واللام عوض من المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها
اي بين النار يحرقون بها وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون منه
وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان وقد اشير الى سر كون بيان
امثال هذه الامور من قبيل الآلاء مراراً ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد الآلاء الفائضة
عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم ان ما عدد
فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان انفسها آلاء جليلة واصلة
اليهم في الآخرة كذلك حكايتها الواصلة اليهم في الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعي في تحصيل
ما يؤدي الى نيلها من الايمان والطاعة واما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو في شان
من النعم الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها
من حيث ايجابها للشكر والثبات على ما يؤدي الى استدامتها واما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ
لكم وبين هذه الآية من الاحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة فليست هي من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها
الموجبة للانزجار عما يؤدي الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها
ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامه تعالى على

احوالهم

احوالهم من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى
الرب للتفخيم والتهويل او هو مقحم للتعظيم جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني فان
الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل
الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية
وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ذواتا افنان صفة لجنتان
وما بينهما اعتراض وسطيته تنبيهاً على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ
والافنان اما جمع فن اي ذواتا انواع من الاشجار والثمار واما جمع فنن وهي الاغصان المتشعبة
من جذوع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي آلاء ربكما تكذبان
وليس فيها شيء يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان صفة اخرى لجنتين اي في كل واحدة منهما
عين تجري كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس
والحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى
من خمر لذة للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله
عز وجل فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان معروف
وغريب او رطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفاً فبأي آلاء
ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لان من خاف في معنى الجمع او نصب على المدح
على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها
وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارهما من الثمار قريب يناله
القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائماً
وان شاء قاعداً وان شاء مضطجعاً وقرئ جنى بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
فيهن اي في الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف
حيث يقصد تعدد موقف الجنتين في قوله تعالى متكئين وقيل فيما فيهما من الاماكن والقصور وقيل
في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن
ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي لم يمس الانسيات
احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى
متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف
لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصيصها بالاضافة فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى كأنهن
الياقوت والمرجان اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها كالتي قبلها اي مشبهات بالياقوت
في حمرة الوجنة والمرجان اي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضاً من كباره
قيل ان الحورية تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء
فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان استئناف مقرر لمضمون
ما فصل قبله اي ما جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
ومن دونهما جنتان مبتدأ وخبر اي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين
جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى مدهامتان
صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق
بالانكار والتوبيخ اي خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب عليهما النبت

للجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض وعلى الأولين الأشجار والفواكه فبأي
آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان أي فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة عطف
جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء
وعن هذا قال أبو حنيفة رضي الله عنه من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لا يحنث فبأي آلاء
ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن خيرات صفة أخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير
كالذي مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات لأن خير الذي بمعنى أخير لا يجمع وقد قرئ على الأصل
حسان أي حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى حور بدل من خيرات
مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة أي مخدرة أو مقصورات
الطرف على أزواجهن وقيل إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان كالذي مر من نظيره في جميع الوجوه فبأي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى متكئين نصب على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف إما اسم جنس أو اسم جمع واحده
رفرفة قيل هو ما تدلى من الأسرة من عالي الثياب وقيل هو ضرب من البسط أو البسط وقيل الوسائد
وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لأطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف
ورفرف السحاب هيدبه وعبقري حسان العبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد للجن
فينسبون إليه كل شيء عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف على أحد
الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة إلى عباقر اسم البلد فبأي
آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى تبارك اسم ربك تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر
في السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الأنام أي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة
من اسم الرحمن المنبئ عن إفاضة الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها جحود
نعمائه وتكذيبها وإذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الأقدس الأعلى وقيل
الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والإكرام
وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على أنه نعت للاسم عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله تعالى عليه صدق رسول الله

سورة الواقعة مكية وهي ست وتسعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

إذا وقعت الواقعة أي إذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة
للإيذان بتحقق وقوعها لا محالة كأنها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كأنه قيل
كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب إذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كأنه قيل إذا وقعت الواقعة
يكون من الأهوال ما لا يفي به المقال وقيل بالنفي المفهوم من قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة أي لا يكون
عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب في نفيها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى يا ليتني
قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الأول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على أن الكاذبة مصدر كالعاقبة
أي ليس لأجل وقعتها أو في حقها كذب أصلا بل كل ما ورد في شأنها من الأخبار حق صادق لا ريب فيه
وقوله تعالى خافضة رافعة خبر مبتدأ محذوف أي هي خافضة لأقوام رافعة لآخرين وهو تقرير
لعظمتها وتهويل لأمرها فإن الوقائع العظام شأنها كذلك أي أنها تكون يومئذ من حط الأشقياء

الى الدركات

إلى الدركات ورفع السعداء إلى الدرجات ومن زلزلة الأشياء وإزالة الأجرام عن مقارها بنثر
الكواكب وإسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وقرئ بالخفض على الرفع للتشديد في
التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى إذا رجت الأرض
رجا أي إذا زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة
أي تخفض وترفع وقت رج الأرض إذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض
أو بدل من إذا وقعت وبست الجبال بسا أي فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس
السويق إذا لته أو سيقت وسيرت من أماكنها من بس الغنم إذا ساقها كقوله تعالى وسيرت
الجبال وقرئ رجت وبست أي ارتجت وذهبت فكانت أي فصارت بسبب ذلك هباء غبارا
منبثا منتشرا وكنتم إما خطاب للأمة الحاضرة والأمم السالفة تغليبا أو للحاضرة
فقط أزواجا أي أصنافا ثلاثة فكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود أو في الذكر فهو زوج وقوله
تعالى فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة تقسيم
وتنويع للأزواج الثلاثة مع الإشارة الإجمالية إلى أحوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فأصحاب
الميمنة مبتدأ وقوله ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة
خبر الأول والأصل ما هم أي أي شيء هم في حالهم وصفتهم فإن ما وإن شاعت في طلب مفهوم الاسم
والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير
لكونه أدخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله تعالى وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع
من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كأنه قيل فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة
في نهاية سوء الحال واختلف في الفريقين فقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشأمة
أصحاب المنزلة الدنية أخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم
والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار
وقيل أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها
بمعاصيهم وقوله تعالى والسابقون السابقون هم القسم الثالث من الأزواج الثلاثة ولعل تأخير
ذكرهم مع كونهم أسبق الأقسام وأقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن إيرادهم
بعنوان السبق مطلقا معرب عن إحرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلم فيهم أيضا فقيل هم الذين سبقوا
إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل
هم الذين صلوا إلى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وقيل هم السابقون
إلى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات وأيا ما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين
اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبي النجم أنا أبو النجم وشعري شعري وفيه من تفخيم شأنهم والإيذان
بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون إلى الطاعة السابقون إلى الرحمة
والسابقون إلى الخير السابقون إلى الجنة وقوله تعالى أولئك إشارة إلى السابقين وما فيه من معنى البعد مع
قرب العهد بالمشار إليه للإشعار ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء وخبره ما بعده أي أولئك الموصوفون
بذلك النعت الجليل المقربون أي الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت إلى حظائر القدس
نفوسهم الزكية هذا الظاهر ما ذكر في تقريب هذه الجمل والمشهور والذي يقتضيه جزالة التنزيل أن قوله تعالى
فأصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى وأصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فإن المترقب
عند بيان انقسام الناس إلى الأقسام الثلاثة بيان أنفس الأقسام وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين

بعد ذلك باسناده اليها والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة والآخر اصحاب المشأمة والثالث السابقون
خلا انه اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة تنبئ عن ترامي
احوالهما في الخير والشر تنبيها اجماليا مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا
على ان ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبرها على ما رواه سيبويه في امثالها بل على انها خبر لما
بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا
بديعا اصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذا الحال في اصحاب المشأمة واما القسم الاخير فحيث
قرن بيان محاسن احوالهم بذكرهم لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ
والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم واولئك مبتدأ ثان او بدل من الاول وما بعده خبر له او للثاني والجملة
خبر للاول وقوله تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اي كائنين في جنات
النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه
مزيد مزية وقرئ في جنة النعيم وقوله تعالى ثلة من الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلة
جمة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليه الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الانبياء
العظام والرسل الكرام الفخام وقليل من الآخرين اي من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه الصلاة
والسلام ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من سابقي هذه الامة لا تمنع
اكثرية تابعي هؤلاء من تابعي اولئك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من
الآخرين لان كثرة كل من الفريقين في نفسها لا تنافي اكثرية احدهما من الآخر وسيأتي ان الثلتين من هذه
الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والآخرين ههنا ايضا متقدمو هذه الامة ومتأخروهم
واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر على سرر موضونة حال اخرى من المقربين او من ضميرهم في الحال
الاولى وقيل خبر آخر للضمير المقدر والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت والمتواصلة من الوضن
وهو النسج متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اي مستقرين
على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب
الاخلاق والآداب يطوف عليهم حال اخرى او استئناف اي يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون
اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل
الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي ذلك عن علي رضي الله تعالى عنه
وعن الحسن رضي الله تعالى عنه وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب بآنية لا عرى لها
ولا خراطيم واباريق اي آنية ذات عرى وخراطيم وكأس من معين اي من خمر جارية من العيون
قيل انما افرد الكأس لانها لا تسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر
صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون اي لا يفرق بعضهم بعضا ولا ينزفون اي لا يسكرون من نزف الشارب
اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه ويأخذون خيره وافضله ولحم طير
مما يشتهون اي يتمنون وقرئ ولحوم طير وحور عين بالرفع عطفا على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر
اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور
او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئ بالنصب اي ويؤتون حورا
كأمثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله
جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا ولا تأثيما اي ولا نسبة
الى الاثم اي لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر الا قيلا اي قولا سلاما سلاما

او ولهم ح

بدل من قيلا

بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا
ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم
والمسلم عليه الا سلام الآخر بدأ او ردا وقرئ سلام على الحكاية وقوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب
اليمين جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت سبكها واما محلها فالرفع
على انها خبر للمبتدأ او معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى في سدر مخضود وهو على الاول خبر ثان
للمبتدأ او خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب اليمين من علو الشأن
اي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد شوكه اي قطع وقيل مخضود
اي منثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا اثناه وهو رطب وطلح منضود قد نضد
حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة
طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله تعالى
عنه انه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل امحوها فقال ان القرآن لا يهاج
ولا يحول وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نحوه وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت
كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم اينما شاؤوا وكيفما ارادوا بلا تعب
او مصبوب سائل يجري على الارض في غير اخدود كأنه مثل حال السابقين باقصى ما يتصور لاهل
المدن وحال اصحاب اليمين باكمل ما يتصور لاهل البوادي ايذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة
بحسب الانواع والاجناس لا مقطوعة في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن متناولها
بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على
وهناك فاكهة الى آخره كقوله تعالى وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر
او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش
عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون
ويدل عليه قوله تعالى انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمار لهن لدلالة ذكر الفرش
التي هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا او اعدناهن من
غير ولادة ابتداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا
جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن
ابكارا وذلك قوله تعالى فجعلناهن ابكارا وقوله تعالى عربا اترابا جمع عروب وهي المتحببة
الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة
وكذا ازواجهن واللام في قوله تعالى لاصحاب اليمين متعلقة بانشأنا او جعلنا او باترابا كقولك
هذا ترب لهذا اي مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اي كائنات لاصحاب اليمين او
خبر لمبتدأ محذوف اي هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين
وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف خبرت به عنه اصحاب اليمين اي هم ثلة من الاولين وثلة من الآخرين
وقد مر الكلام فيهما وعن ابي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين اي من سابقي
هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة في آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما في هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتي واصحاب
الشمال شروع في تفصيل احوالهم التي اشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن
حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى ما اصحاب الشمال عين ما فصل في نظيره وكذا في قوله تعالى

في سموم وحميم السموم حر نار تنفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة وظل من يحموم
من دخان أسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير ما في الجملة سمي ذلك ظلا
ثم نفي عنه وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل وقرئ لا بارد
ولا كريم بالرفع أي لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى إنهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل
لابتلائهم بما ذكر من العذاب أي إنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بأنواع
النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا
بنقائضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم أي الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام
الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم أئذا متنا
وكنا ترابا وعظاما أي كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة
وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية وإذا متمحضة للظرفية
والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى أئنا لمبعوثون لا نفسه لأن ما بعد إن واللام والهمزة
لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للإنكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص إنكاره
به فإنهم منكرون للإحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه
إليه في حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بإن لتأكيد الإنكار لا لإنكار
التأكيد كما عسى يوهمه ظاهر النظم فإن تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى
أفلا تعقلون على رأي الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار
إنكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم
له ومرجعه إلى إنكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال
ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى أوآباؤنا الأولون لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن
في لمبعوثون وحسن ذلك الفصل بالهمزة يعنون أن بعث آبائهم الأولين أبعد من الوقوع وقرئ أو آباؤنا
قل ردا لإنكارهم وتحقيقا للحق إن الأولين والآخرين من الأمم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم وفي تقديم
الأولين مبالغة في الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشد من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب
الوجودي لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجتمعون إلى ميقات يوم معلوم أي إلى ما وقتت
به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم إنكم أيها الضالون عطف على إن الأولين
داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا أو رتبة المكذبون بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم لآكلون
بعد البعث والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر
وتفسيره أي مبتدئون الأكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو صفة لشجر أي كائن من زقوم
فمالئون منها البطون أي بطونكم من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث من الحميم
أي الماء الحار في الغاية وتأنيث ضمير الشجر أولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة
فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للأكل وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله
على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا أي لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الإبل
التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع أهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع هيام
بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى
أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في أحشائهم ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا
ملؤوا منه بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي

ينقطع امعاء

ينقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو أيضا مصدر وقرئ
بالكسر على أنه اسم للمشروب هذا الذي ذكر من أنواع العذاب نزلهم يوم الدين أي يوم الجزاء
فإذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار
واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاي تخفيفا والجملة
مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله
تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيت
والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها أي فهلا تصدقون بالخلق فإن ما لا يحققه العمل ولا يساعده
بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا عليه بالإنشاء فإن من قدر
عليه قدر على الإعادة حتما والأول هو الوجه كما ستحيط به خبرا أفرأيتم ما تمنون أي تقذفونه
في الأرحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها أأنتم تخلقونه أي تقدرونه
وتصورونه بشرا سويا أم نحن الخالقون له من غير دخل شيء فيه وأم قيل منقطعة لأن ما بعدها
جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق الإثبات
لا بطريق التأكيد لأصالته نحن قدرنا بينكم الموت أي قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت
معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا بالتخفيف وما نحن
بمسبوقين أي إنا قادرون على أن نبدل أمثالكم لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتي مكانكم
أشباهكم من الخلق أو لا يطاق ولا تقدرون بمثلها وننشئكم فيما لا تعلمون قال
الحسن رضي الله تعالى عنه أي نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم
في الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن إعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير
وقته وعلى الأول يتعلق على إما بالحال من فاعل قدرنا أو بعامل متعلق بالتقدير ومعنى اللام وما بينهما
اعتراض ولقد علمتم النشأة الأولى أي خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هي
فطرة آدم عليه الصلاة والسلام من التراب فلولا تذكرون فهلا تتذكرون أن من قدر عليها فقدر
على النشأة الأخرى حتما فإنها أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل
على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون بالتخفيف وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة
وهو يرى النشأة الأولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو لا يسعى لدار القرار أفرأيتم ما تحرثون
أي تبذرون حبه وتعملون في أرضه أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون تنبتونه وتردونه نباتا
يرف أم نحن الزارعون أي المنبتون له لا أنتم والكلام فيه كما مر آنفا لو نشاء لجعلناه حطاما
هشيما متكسرا متفتتا بعد ما أنبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك
تفكهون تتعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما تعبتم
فيه وأنفقتم عليه أو على ما اقترفتم لأجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة
وقد استعير للتنقل في الحديث وقرئ تفكهون أي تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الأصل
إنا لمغرمون أي لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ
أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون
أي قائلين أو تقولون إنا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا أو محارفون محدودون لا حظ لنا
ولا بخت ولا مجدودون أفرأيتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة
منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به أأنتم أنزلتموه من المزن أي من السحاب واحده

مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب **ام نحن المنزلون** لسقيكم بقدرتنا **لو نشاء جعلناه**
اجاجا ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام هاهنا مع اثباتها في الشرطية الاولى للتعويل
على علم السامع والفرق بين المطعوم والمشروب في الاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستانفتان
مسوقتان لبيان ان عصمته تعالى الزرع والماء مما يخل بالتنعم بهما نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال
مستوجبة للشكر فقوله تعالى **فلولا تشكرون** تحضيض على شكر الكل **افرأيتم النار التي تورون**
اي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد **ءانتم انشأتم شجرتها** التي منها الزناد
وهي المرخ والعفار **ام نحن المنشئون** لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبئ
عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر
الاشجار التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن
نفخ الروح بالانشاء في قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر كذلك وقوله تعالى **نحن جعلناها**
تذكرة استئناف مبين لمنافعها اي جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش
لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم او تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم
وقيل تبصرة في امر البعث فانه ليس ابدع من اخراج النار من الشجر الرطب **ومتاعا** ومنفعة
للمقوين للذين ينزلون القوى وهي القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان المقيمين
والنازلين بقرب منها ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين خلت
مزاودهم وبطونهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما يهمهم في حيز الانتفاع بها في الاكل الا
بالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروي والفاء في قوله تعالى **فسبح**
باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه
تعالى اما تنزيها له تعالى عما يقول الجاحدون بوحدانيته تعالى الكافرون بنعمه مع عظمها وكثرتها
او تعجبا من امرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور امرها او شكرا على تلك النعم
السابقة اي فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى او بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة
للاسم او الرب **فلا اقسم** اي فاقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف
المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه
واما ما قيل من ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم
شأن المقسم به **بمواقع النجوم** اي بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها
والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير او لان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى واوان
نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها ومجاريها فان له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته
وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقوله تعالى **فانه**
لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فيه اعتراض قصد به المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده
حيث اعترض به بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى **انه لقرآن كريم** اي كثير النفع لاشتماله
على اصول العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي او كريم عند الله تعالى وقوله
لو تعلمون بين الموصوف والصفة وجواب لو اما متروك اريد به نفي علمهم او محذوف ثقة بظهوره
اي لعظمتموه او لعملتم بموجبه **في كتاب مكنون** اي مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه
من سواهم وهو اللوح **لا يمسه الا المطهرون** اما صفة اخرى لكتاب فلا يطلع على اللوح الا المطهرون من الملائكة

المنزهون

المنزهون عن الكدورات الجسمانية من اوضار الاوزار او للقرآن والمراد بالمطهرون من الاحداث
فيكون نفيا بمعنى النهي اي لا ينبغي ان يمسه الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله صلى الله
عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه الى من يظلمه وقيل
لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى
طهره والمطهرون اي انفسهم وغيرهم بالاستغفار وغيره **تنزيل من رب العالمين** صفة اخرى
للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلا **افبهذا الحديث** الذي ذكرت
نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله يعني القرآن الكريم **انتم مدهنون** اي متهاونون
كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به **وتجعلون رزقكم** اي شكر رزقكم **انكم**
تكذبون اي تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل
الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه
الى الانواء والاول هو الاوفق لسياق النظم الكريم وسباقه فان قوله تعالى **فلولا اذا بلغت الحلقوم** الى
آخره تبكيت مبني على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على
كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم ومن حيث شرابهم وسائر اسباب معايشهم
كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية اي فهلا اذا بلغت النفس او الروح وقيل
نفس احدكم الحلقوم فتداعت الى الخروج **وانتم حينئذ** ايها الحاضرون حول صاحبها **تنظرون**
ما فيه من الغمرات **ونحن اقرب اليه** علما وقدرة وتصرفا **منكم** حيث لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه
من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان تقدروا على دفع ادنى شيء منها
ونحن المتولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت **ولكن لا تبصرون** لا تدركون ذلك
لجهلكم بشؤوننا وقوله تعالى **فلولا ان كنتم غير مدينين** اي غير مربوبين من دان السلطان
رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعي
عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى **ترجعونها** اي النفس الى مقرها وهو العامل في اذا والمحضض عليه
بلولا الاولى والثانية مكررة للتأكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين
كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فلولا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم **ان**
كنتم صادقين في اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم
خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى **فاما ان كان من المقربين** الخ شروع في بيان حال
المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اي فاما ان كان الذي بين حاله من السابقين من الازواج
الثلاثة عبر عنهم باجل اوصافهم **فروح** اي فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة
لانها سبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة **وريحان** ورزق **وجنة نعيم** اي ذات تنعم **واما ان**
كان من اصحاب اليمين عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف ينبئ عن
شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الاخيرين وقوله تعالى **فسلام لك من اصحاب اليمين** اخبار من جهته
تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية لانشاء سلام بعضهم على بعض والتفعيل لما يليك
والالتفات الى الخطاب لكل واحد منهم للتشريف **واما ان كان من المكذبين الضالين** وهم اصحاب
الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون
ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب **فنزل** اي فله نزل كائن **من حميم** يشرب بعد اكل الزقوم
كما فصل فيما قبل **وتصلية جحيم** اي ادخال في النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان عذابها وقيل

ذلك عليك في القبر من سموم النار ودخانها **{إن هذا}** أي الذي ذكر في السورة الكريمة **{لهو حق اليقين}** أي حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى **{فسبح باسم ربك العظيم}** لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقية ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب عليه تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الامور التي من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا صدق رسول الله

سورة الحديد عشرون وتسع آيات مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

{سبح لله ما في السموات والأرض} التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ذهب وابعد فيهما وحيث اسند ههنا الى غير العقلاء ايضا فان ما في السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر في آية الكرسي اريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده واللام اما مزيدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له او للتعليل اي فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح ماضيا وفي بعضها مضارعا للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من شأنه التسبيح الاختياري ان يسبح الله تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون **{وهو العزيز}** القادر الغالب الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء **{الحكيم}** الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى **{له ملك السموات والأرض}** اي التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات وقوله تعالى **{يحيي ويميت}** استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضمير له ليس كما ينبغي **{وهو على كل شيء}** من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة **{قدير}** مبالغ في القدرة **{هو الأول}** السابق على سائر الموجودات لما انه مبدئها ومبدعها **{والآخر}** الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهي فانية **{والظاهر}** وجودا لكثرة دلائله الواضحة **{والباطن}** حقيقة فلا تحوم حوله العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الصفتين المكتنفتين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في جميع الاوقات والظهور والخفاء **{وهو بكل شيء عليم}** لا يعزب عن علمه الظاهر والخفي **{هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش}** بيان لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا **{يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها}** مر بيانه في سورة سبأ **{وهو معكم أينما كنتم}** تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وقوله تعالى **{والله بما تعملون بصير}** عبارة عن احاطته باعمالهم فتأخيره عن الخلق لما ان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه وقوله تعالى **{له ملك السموات والأرض}** تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى **{وإلى الله ترجع الأمور}** اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا واشتراكا ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا **{يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل}** مر تفسيره مرارا وقوله تعالى **{و}**

{عليم} اي مبالغ في العلم **{بذات الصدور}** اي بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي يظهرونها **{آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه}** اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الانفاق فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله عز وجل من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء ممن قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به **{فالذين آمنوا منكم وأنفقوا}** حسبما امروا به **{لهم}** بسبب ذلك **{أجر كبير}** وفيه من المبالغة ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل **{وما لكم لا تؤمنون بالله}** استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على ان لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى المسبب والسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في أتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في أأضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى **{والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم}** حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اي واي عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى **{وقد أخذ ميثاقكم}** حال من مفعول يدعوكم وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم **{إن كنتم مؤمنين}** لموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراءه **{هو الذي ينزل على عبده}** حسبما يعن لكم من المصالح **{آيات بينات}** واضحات **{ليخرجكم}** اي الله تعالى او العبد بها **{من الظلمات إلى النور}** من ظلمات الكفر الى نور الايمان **{وإن الله بكم لرءوف رحيم}** حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى **{وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله}** توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم في ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ اي واي شيء لكم في ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى **{ولله ميراث السموات والأرض}** حال من فاعل لا تنفقوا او مفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الاموال وغير ذلك لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد وهو من اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كأنه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال

انه لا يبقى لكم شيء بل يبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير
وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت
درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق
حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه
في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره
ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من
انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله
الرفع على الابتداء اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين اعظم درجة وارفع
منزلة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة
الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد
احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة
الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا اي وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة
الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله تعالى والله
بما تعملون خبير بظاهره وباطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الاية في ابي بكر رضي
الله تعالى عنه فانه اول من آمن واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على
الهلاك وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق
في سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق
ماله في سبيل الله تعالى رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه
وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار
المعنى كانه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم
اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون
وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا
على تقدير مبتدأ اي فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع والنصب يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر
تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذي يرى
بين ايديهم وبايمانهم وقيل هداهم وبايمانهم كتبهم اي يسعى امامهم عملهم الصالح بين
ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يؤتون
نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم
نورا من نوره على ابهام رجله ينطفئ تارة ويلمع اخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط
وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدر بقول هو حال او استئناف
اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة هو الفوز العظيم
الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات

يستضيئون

بذلك

بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم اي انتظرونا يقولون ذلك
لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او
انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين
ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم من
جهة المؤمنين او من جهة الملائكة قيل ارجعوا وراءكم اي الى الموقف فالتمسوا نورا
فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة
او ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا اخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا
لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم بين الفريقين
بسور اي حائط والباء زائدة له باب باطنه اي باطن السور والباب وهو الجانب الذي يلي
الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف الذي يلي النار من قبله من جهته العذاب وقرئ
فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يفعلون
بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن في الدنيا معكم يريدون
به موافقتهم لهم في الظاهر قالوا بلى كنتم معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم
محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم في امر الدين وغرتكم
الاماني الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله اي
الموت وغركم بالله الكريم الغرور اي غركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور
بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرئ تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اي ظاهرا
وباطنا مأواكم النار لا تبرحونها ابدا هي مولاكم اي اولى بكم وحقيقته مكانكم الذي يقال
فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي
وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها
وبئس المصير اي النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله استئناف ناع عليهم
تثاقلهم في امور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب
والترهيب وروي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا
عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا
بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم
على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن اي الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكر الله وتطمئن به
ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من انى
الامر اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرئ لما يأن وفيه
دلالة على ان المنفي متوقع وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد
به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف
كما في قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا
ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التي من
جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله تعالى وقرئ نزل بالتخفيف ونزل مبنيا
للفاعل وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات

للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهي عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فطال عليهم الأمد أي الأجل وقرئ الأمد بتشديد الدال أي الوقت الأطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة وكثير منهم فاسقون أي خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابيهم بالكلية اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بإحياء الأرض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الآيات التي من جملتها هذه الآيات لعلكم تعقلون كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين إن المصدقين والمصدقات أي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق أي الذين صدقوا الله ورسوله وأقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فإنه في حكم الذين اصدقوا أو صدقوا على القراءتين وعقب بأنه يؤدي إلى الفصل بين أجزاء الصلة بأجنبي وهو المصدقات وأجيب بأن المعنى غير فصل وقيل إن المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كأنه قيل وأخص المصدقات من بينهم كما تقول الحالين الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم تنبيها على أن مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الأجر كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن إلى التصدق الداعية إلى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كأنه قيل والذين أقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم على البناء للمفعول مسند إلى ما بعده من الجار والمجرور وقيل إلى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف أي ثواب التصدق وقرئ على البناء للفاعل أي يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم أجر كريم مر ما فيه من الكلام والذين آمنوا بالله ورسله كافة وقد مر بيان كيفية الإيمان بهم في خاتمة سورة البقرة أولئك إشارة إلى الموصول الذي هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لما مر مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى هم مبتدأ ثالث خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع ما بعده خبر لأولئك والجملة خبر للموصول أي أولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله تعالى وهم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله بالوحدانية ولهم بالإيمان أو على الأمم يوم القيامة وقوله تعالى لهم أجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على أنه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على أنه خبر ثان للموصول أو الخبر الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الأول على الوجه الأول للموصول والأخيرين للصديقين والشهداء أي لهم مثل أجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف أداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين تمام ما للفريقين الأول من الأجر والنور وبين تمام ما للأخيرين

بل بين

بل بين تمام ما للأولين من الأصل والأضعاف وبين ما للأخيرين من الأصل بدون الأضعاف وأما على الوجه الثاني فمرجع الكل ما ذكر أولا والمعنى لهم الأجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك الموصوفون بتلك الصفة القبيحة أصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها أبدا اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد بعد ما بين حال الفريقين في الآخرة شرح حال الحياة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني وأشير إلى أنها من محقرات الأمور التي لا يركن إليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وأنها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث أعجب الكفار أي الحراث نباته أي النبات الحاصل به ثم يهيج أي يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعدما رأيته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وإنما لم يقل فيصفر إيذانا بأن اصفراره مقارن للجفاف وإنما المترتب عليه رؤيته كذلك ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لأنه في معنى الوصف وقيل الرفع على أنه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف أي مثل الحياة الدنيا كمثل الخ وبعدما بين حقارة أمر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها أشير إلى فخامة شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الأليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور أي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة إلى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور إن ألهتك عن طلب الآخرة فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا أي سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم في المضمار إلى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم أي إلى موجباتها من الأعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أي كعرضهما جميعا وإذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية أعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل وأن الإيمان وحده كاف في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء تفضلا وإحسانا من غير إيجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه ما أصاب من مصيبة في الأرض كجدب وعاهة في الزرع والثمار ولا في أنفسكم كمرض وآفة إلا في كتاب أي إلا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى أو في اللوح من قبل أن نبرأها أي نخلق الأنفس والمصائب والأرض إن ذلك أي إثباتها في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا أي أخبرناكم بذلك لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم أي أعطاكم الله تعالى منها فإن من علم أن الكل مقدر يفوت ما قدر فواته لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما أتاكم من الإتيان وفي القراءة الأولى إشعار بأن فوات النعم يلحقها إذا خليت وطباعها وأما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما أوتيتم والمراد به نفي الأسى المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فإن من فرح بالأمور الدنيوية وعظمت في

نفسه اختيال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح
من الياس الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالباً
ويأمر غيره به او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره
بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان
الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر
بالبينات اي الحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم
الناس بالقسط اي بالعدل روي ان جبريل عليه الصلوة والسلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح
عليه الصلوة والسلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع
به العدوان وانزلنا الحديد قيل نزل آدم عليه الصلوة والسلام من الجنة ومعه خمسة اشياء
من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن
الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تعالى وقضاياه
واحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى فيه بأس شديد لان آلات الحروب انما تتخذ منه ومنافع للناس
اذ ما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم
الله من ينصره ورسله عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه
قيل ليستعملوه وليعلم الله علماً يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر
الاسلحة في مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية اي وليعلم الله من ينصره
ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل
ينصر او مفعوله اي غائباً منهم او غائبين منه وقوله تعالى ان الله قوي عزيز اعتراض تذييلي
جيء به تحقيقاً للحق وتنبيهاً على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته في اعلاء كلمته
واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غني بقدرته
وعزته عنهم في كل ما يريده ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى لقد ارسلنا
رسلنا الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اي وبالله لقد ارسلناهما وجعلنا في ذريتهما
النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم اي
من الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى الحق وكثير منهم فاسقون
خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم
ثم قفينا على آثارهم برسلنا اي ثم ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا
رسولاً بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه الصلوة والسلام والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلنا اليهم
او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح
الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ
رآفة على فعالة ورحمة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شأن اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم رحماء بينهم ورهبانية منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر اي وابتدعوا رهبانية
ابتدعوها واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اي وجعلنا في قلوبهم رأفة
ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اي وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية
واستحداثها وهي المبالغة في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة

نسبة
الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كأنها
نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين
بعد رفع عيسى عليه الصلوة والسلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل
فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم
للعبادة وقوله تعالى ما كتبناها عليهم جملة مستأنفة وقيل صفة اخرى لرهبانية والنفي
على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع
اي ما فرضناها نحن عليهم رأساً ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى
فما رعوها حق رعايتها من حيث ان النذر عهد مع الله تعالى لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به
رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل
اي ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشيء من الاشياء الا ليبتغوا رضوان الله تعالى
ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعوها
كلهم بل بعضهم فآتينا الذين آمنوا منهم ايماناً صحيحاً وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع
الاجر اجرهم اي ما يخصهم من الاجر وكثير منهم فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل
الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث
والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به
مما لا يساعده المقام يا ايها الذين آمنوا اي بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله اي
بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي اطلاقه ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم
كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم الصلوة والسلام لكن لا على معنى
ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقة قبل النسخ ويجعل لكم نوراً تمشون به يوم
القيمة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر
والمعاصي والله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق
بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم
كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم
ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وان في قوله تعالى الا يقدرون على شيء من فضل الله
مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول يعلم
اي ليعلموا انه لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا
بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى وان الفضل بيد الله عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى
يؤتيه من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى والله ذو الفضل
العظيم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير
اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من
اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من اجرهم لانكم في الايمان
لا تفرقون بين احد من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون
اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة
وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا

هذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما أوتوا من سعادة الدارين على أن عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك عبارة عن علمهم بقدرتهم عليه وقوله تعالى وأن الفضل بيد الله الخ عطفا على أن لا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله

سورة المجادلة مدنية وآيها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله بإظهار الدال وقرئ بإدغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها أي تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها وقرئ تحاورك وتحاولك أي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزام الخزرجية ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما أظنك إلا حرمت علي فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفي رواية ما أراك إلا قد حرمت عليه في المراجعة كلها فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووجدي وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت إلى الله فنزلت ويحتمل تعدد الإشعار بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للمجادلة لكنا نتوقع أن ينزل الله تعالى في الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لها عندي في أمرك شيء وأنها كانت ترفع رأسها إلى السماء وتقول اللهم إني أشكو إليك فأنزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها إجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بقولها كما هو المعنى بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما أي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فإن إلحاحها في المسألة ومبالغتها في التضرع إلى الله تعالى ومدافعته عليه الصلاة والسلام إياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الإجابة وقيل هي حال وهو بعيد وقوله عز وجل إن الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق أي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاوركما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها إلى السماء وسائر آثار التضرع وإظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الألوهية وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم شروع في بيان شأن الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه بطريق الاستئناف والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في سورة الأحزاب فالحق بها لفقها تشبيهها بها في محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فإنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم وقرئ يظاهرون من أظاهر ويتظاهرون ويتظهرون وقوله تعالى ما هن أمهاتهم خبر للموصول أي ما نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ أمهاتهم بالرفع على لغة تميم إن أمهاتهم أي ما أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة إلا من ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخلن بذلك في حكم الأمهات وأما الزوجات فأبعد شيء من الأمومة وإنهم ليقولون بقولهم ذلك منكرا من القول على أن مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فإنه أمر محقق بل كونه منكرا أي عند الشرع وعند العقل والطبع أيضا كما يشعر به تنكيره وقطعه وقوله تعالى [illegible] وزورا أي محرفا عن الحق وإن الله لعفو غفور أي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر ما سلف منه على الإطلاق

والذين

والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه أمرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما أوليا أي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا أي إلى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى أن تعودوا لمثله أبدا فإن اللام وإلى تتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقوله تعالى بأن ربك أوحى لها وقوله تعالى وأوحي إلى نوح فتحرير رقبة أي فتداركه أو فعليهم أو فالواجب إعتاق رقبة أي رقبة كانت وعند الشافعي رحمه الله يشترط الإيمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول أي المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا أي من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا إلى الفرج بشهوة وإن وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر وإن أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى ذلكم إشارة إلى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به أي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فإن الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجب الكفارة والله بما تعملون من الأعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير أي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد أي الرقبة فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ليلا أو نهارا عمدا أو خطأ فمن لم يستطع أي الصيام بسبب من الأسباب فإطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف إن مس في خلال الإطعام ذلك إشارة إلى ما مر من البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره ومحله إما الرفع على الابتداء أو النصب بمضمر معلل بما بعده أي ذلك واقع أو فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك إشارة إلى الأحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين أي الذين لا يعملون بها عذاب أليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين إن الذين يحادون الله ورسوله أي يعادونهما ويشاقونهما فإن كلا من المتعاديين كما أنه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير أن لورود المحادة في أثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا أي أخزوا وقيل خذلوا وقيل أذلوا وقيل أهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قال المعنى سيكبتون على طريقة قوله تعالى أتى أمر الله وقيل المضي لتحقق الكبت كما كبت الذين من قبلهم من كفار الأمم الماضية المعادين للرسل عليهم الصلاة والسلام وقد أنزلنا آيات بينات حال من واو كبتوا أي كبتوا لمحادتهم والحال أنا أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الأمم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام وصحة ما جاء به وللكافرين أي بتلك الآيات أو بكل ما يجب الإيمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا أوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار أو بمهين أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا أي كلهم بحيث لا يبقى منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين

في حالة واحدة فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان صدورها عنهم أو بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الأشهاد تخجيلاً لهم وتشهيراً لحالهم وتشديداً لعذابهم وقوله تعالى أحصاه الله استئناف وقع جواباً عما نشأ مما قبله من السؤال إما عن كيفية التنبئة أو عن سببه كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهي أعراض متقضية متلاشية فقيل أحصاه الله عدداً لم يفته منه شيء فقوله تعالى ونسوه حينئذ حال من مفعول أحصى بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور وقيل لم ينبئهم بذلك فقيل أحصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا أن ما عاينوه من العذاب إنما حاق بهم لأجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه أمر من الأمور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر للإحصاء وقوله تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض استشهاد على شمول شهادته تعالى كما في قوله تعالى ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه وفي قوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون أي ألم تعلم علماً يقينياً متاخماً للمشاهدة أنه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتباراً لتأنيث النجوى وإن كان غير حقيقي أي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر أي من مسارتهم على أن نجوى مضافة إلى ثلاثة أو على أنها موصوفة بها إما بتقدير مضاف أي من أهل نجوى ثلاثة أو بجعلهم نجوى في أنفسهم مبالغة إلا هو أي الله عز وجل رابعهم أي جاعلهم أربعة من حيث إنه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة إلا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر إما لخصوص الواقعة فإن الآية نزلت في تناجي المنافقين وإما لأن التناجي في الأغلب للمتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ولا أدنى من ذلك أي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا أكثر كالستة وما فوقها إلا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا أكثر بالرفع عطفاً على محل من نجوى أو محل ولا أدنى بأن جعل لا لنفي الجنس أينما كانوا من الأماكن ولو كانوا تحت الأرض فإن علمه تعالى بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت بتفاوت الأمكنة قرباً وبعداً ثم ينبئهم وقرئ ينبئهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيامة تفضيحاً لهم وإظهاراً لما يوجب عذابهم إن الله بكل شيء عليم لأن نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكل سواء ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول عطف على يعودون داخل في حكمه أي يتناجون بما هو إثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول صلى الله عليه وسلم وذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين إليه عليه الصلاة والسلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ وينتجون بالإثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك والسام الموت والله سبحانه وتعالى يقول وسلام على المرسلين ويقولون في أنفسهم أي فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول أي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبياً حسبهم جهنم عذاباً يصلونها يدخلونها فبئس المصير أي جهنم يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم في أنديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وقرئ فلا تناجوا بحذف إحدى التاءين وتناجوا بالبر والتقوى أي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم واتقوا الله الذي إليه

تحشرون

تحشرون وحده لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فيجازيكم بكل ما تأتون وما تذرون إنما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالإثم والعدوان من الشيطان لا من غيره فإنه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين آمنوا خبر آخر أي إنما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم أنها في نكبة أصابتهم وليس بضارهم أي الشيطان أو التناجي بضار المؤمنين شيئاً من الأشياء أو شيئاً من الضرر إلا بإذن الله أي بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فإنه تعالى يعصمهم من شره وضرره يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا أي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني أي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس وقرئ في المجلس على أن المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون تنافساً في القرب منه عليه الصلاة والسلام وحرصاً على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعاً أي في موضع جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم أي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها وإذا قيل انشزوا أي انهضوا للتوسعة على المقبلين أو لما أمرتم به من صلاة أو جهاد أو غيرهما من أعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والإيواء إلى غرف الجنان في الآخرة والذين أوتوا العلم منهم خصوصاً درجات عالية بما جمعوا من أثر في العلم والعمل فإن العلم مع علو رتبته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وإن كان في غاية الصلاح ولذا يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل بالأمر وقرئ يعملون بالياء التحتانية يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول في بعض شؤونكم المهمة الداعية إلى مناجاته عليه الصلاة والسلام فقدموا بين يدي نجواكم صدقة أي فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الأمر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والزجر عن الإفراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في أنه للندب أو للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وإن كان متصلاً به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولاً وعن علي رضي الله تعالى عنه إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته عليه الصلاة والسلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق للأغنياء مناجاة في مدة بقائه إذ روي أنه لم يبق إلا عشراً وقيل إلا ساعة ذلك أي التصدق خير لكم وأطهر أي لأنفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم منبئ عن الوجوب لأنه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات أي أخفتم الفقر من تقديم الصدقات أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين فإذ لم تفعلوا ما أمرتم به وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بأن رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم وإذ على بابها من المضي وقيل بمعنى إذا كما في قوله تعالى إذ الأغلال في أعناقهم وقيل بمعنى إن فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أي إذا فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأطيعوا الله ورسوله في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط والله خبير بما تعملون ظاهراً وباطناً ألم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين أي ألم تنظر إلى الذين تولوا أي والوا قوماً غضب الله عليهم وهم اليهود

وكما انبأنا عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستأنفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اي يقولون انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله وهم يعلمون حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روي انه عليه الصلاة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له عليه الصلاة والسلام علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه الصلاة والسلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي يظهرونه لاهل الاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بالفعل واما على القراءة الاولى فهو عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا اي الناس عن سبيل الله في خلال امنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه تعالى شيئا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة باموالنا وانفسنا واولادنا اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها هم فيها خالدون لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اي لله تعالى يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون في الآخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على شيء من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية الا انهم هم الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية ليس وراءها غاية حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اي استولى عليهم من حاذ الابل استولت عليها وجمعها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اي ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه لا بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب الشيطان لطاغيهم اي جنوده واتباعه في كل ما يأتون ويذرون حتى جعلهم رعية يتحركون بما يشاء الشيطان لا يذكرون الله اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون قال ابو عبيدة حزب الشيطان جنده ان الذين يحادون الله ورسوله عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مراده من حاد الله ورسوله [illegible] الحكم اولئك بما فعلوا من التولي والموادة في الاذلين اي في جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والآخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من حاده كذلك كتب الله استئناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة والسيف او بما يجري مجراه او باحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح

الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى يوادون من حاد الله ورسوله مفعوله الثاني او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة اخرى له اي قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة اعداء الله ورسوله والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد ولو كانوا اي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها اباءهم اي الذين اوابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام في او قد تقدم على التفصيل مرارا اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم وامسهم رحما وما فيه من معنى البعد لفخامة درجتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره كتب الله في قلوبهم الايمان اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اي قواهم بروح منه اي من عند الله تعالى وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم الخ بيان لآثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية اي ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابد الآبدين وقوله تعالى رضي الله عنهم استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى اولئك حزب الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين والكلام في تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر في مثلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة صدق الله وصدق رسوله الكريم

سورة الحشر مدنية وهي اربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وتكرير الموصول هاهنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي انه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون عليه الصلاة والسلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا للنبي صلى الله عليه وسلم وعاهدهم على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما كان يوم احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه الصلاة والسلام فامر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عليه الصلاة والسلام عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله تعالى والله على كل شيء قدير وقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى واحكام حكمته اثر

وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الإطلاق في التمهيد لما حج البتة تعالى بهذه العنوانات
بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام أو على جعل مشعرا الاسم الإشارة كما في
قوله تعالى قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أي بذلك وعليه
قول رؤبة بن العجاج كأنه في الجلد توليع البهق كما هو المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي أخرج
إلخ فيه إشارات في الإخراج حكمة باهرة وقوله تعالى لأول الحشر أي في أول حشرهم إلى الشام وكانوا
من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من جزيرة العرب إلى الشام أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم
إجلاء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إياهم من خيبر إلى الشام وقيل آخر حشرهم يوم القيامة لأن المحشر
يكون بالشام ما ظننتم أيها المسلمون أن يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة شكيمتهم
وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله أي ظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم من بأس الله وتغيير النظم
بتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في أنفسهم
أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم ويجوز أن يكون مانعتهم خبرا
لأن وحصونهم مرتفعا على الفاعلية فأتاهم الله أي أمر الله تعالى وقدره المقدور لهم
من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف فإنه مما أضعف قوتهم
وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة وقيل الضمير في أتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين
أي فأتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم الله العذاب والنصر وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم ليسدوا
بما نقضوا منها من الخشب والحجارة أفواه الأزقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا
معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وأيدي المؤمنين حيث كانوا يخربون بيوتها إزالة
لمتحصنهم وتمكينا من مجال القتال فكأنهم وإسناد هذا إليهم لما أنهم السبب فيه
فكأنهم كلفوهم إياه وأمروهم به قيل الجملة حال أو تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير
وقيل الإخراب التعطيل أو ترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم فاعتبروا يا أولي الأبصار
فاتعظوا بما جرى عليهم من الأمور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي إليه الأفكار واتقوا مباشرة ما أداهم
إليه من الكفر والمعاصي أو انتقلوا من حال الفريقين إلى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب بل
توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موقعه ولولا أن كتب الله عليهم
الجلاء أي الخروج من أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل
ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استئناف غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان أنهم إن
نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ذلك أي ما حاق بهم وما سيحيق
أي بسبب أنهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح ومن يشاق الله
وقرئ يشاقق الله كما في الأنفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه الصلاة
والسلام وليوافق قوله تعالى فإن الله شديد العقاب وهو إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد
أي له أو هو علة له أي شديد العقاب له أو تعليل الجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد
العقاب وأيا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه
قيل ذلك الذي حاق بهم من العذاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاق
الله تعالى كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فإذن لهم عذاب شديد ما قطعتم من لينة أي
أي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها منقلبة عن واو لكسر ما قبلها كديمة وتجمع على ألوان
وقيل من اللين وتجمع على لين وهي النخلة الكريمة أو تركتموها الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما في

تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على أصولها كما كانت من غير أن تتعرضوا لها
بشيء وقرئ على أصلها اكتفاء بالضمة أو على أنه جمع كرهن وقرئ قائما على أصوله ذهابا
إلى لفظ ما فبإذن الله فذاك أي قطعها وتركها بأمر الله تعالى وليخزي الفاسقين أي وليذل اليهود
ويغيظهم أذن في قطعها وتركها لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما
شاءوا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعف حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة
وقطع أشجارهم وإحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع إن كانت الألوان ما عدا العجوة
والبرنية اللتين هما كرام النخل وإن كانت هي الكرام ليكون غيظهم أشد وقوله تعالى وما أفاء الله على
رسوله شروع في بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل
بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع وما أعاده إليه من ماله وفيه إشعار بأنه كان حقيقا بأن يكون له
عليه الصلاة والسلام وإنما وقع في أيديهم بغير حق فرجعه الله تعالى إلى مستحقه لأن الله تعالى خلق
الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به إلى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين منهم أي من بني النضير
فما أوجفتم عليه أي فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب
هي ما يركب من الإبل خاصة كما أن الراكب عندهم راكبها لا غير وأما راكب الفرس فإنما يسمونه فارسا ولا واحد لها
من لفظها وإنما الواحد منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة
ولا قتالا شديدا وذلك لأن قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا إليها مشيا وما كان فيهم راكبا إلا
النبي صلى الله عليه وسلم فافتتحها صلحا من غير أن يجري بينهم مسايفة كأنه قيل وما أفاء الله على رسوله
منهم فحصل بلا كد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله على من يشاء أي سنته تعالى
جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبي صلى الله عليه وسلم
على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير أن يقتحموا مضايق الخطوب ويقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في أموالهم
والله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها وقوله تعالى
ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى بيان لمصارف الفيء بعد بيان إفاءته عليه الصلاة والسلام من غير
أن يكون للمقاتلة فيه حق وإعادة عين العبارة الأولى لزيادة التقرير ووضع أهل القرى موضع ضميرهم
للإشعار بشموله لعقاراتهم أيضا فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف
في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله تعالى إلى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لأن
ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإمام على قول وإلى العساكر والثغور على قول
وإلى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسة كالغنيمة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس
كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور كي لا يكون أي الفيء الذي حقه أن
يكون للفقراء يعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهو ما يدول للإنسان أي يدور من الغنى والجد
والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها أو بالضم في المال وبالفتح في النصرة
أي كيلا يكون جدا بين الأغنياء منكم يتكاثرون به أي كيلا يكون دولة جاهلية تتداوله الرؤساء
منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم لما يغترف
فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح
بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون إمساكه تداولا بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء
وقرئ بالرفع على أن كان تامة أي كيلا يقع دولة على ما فصل في المعاني وما آتاكم الرسول أي ما أعطاكم
من الفيء أو من الأمر فخذوه فإنه حق لكم أو فتمسكوا به فإنه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن أخذه أو عن

لمخالفته فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفته عليه الصلاة والسلام ان الله شديد العقاب فيعاقب من
يخالف امره ونهيه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول صلى الله عليه وسلم
لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقراء ببني
النضير فتعسف ظاهر الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى
الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا
ومرضاة في الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب
تفخيم شانهم ويؤكده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهي حال مقدرة اي ناوين لنصرة الله
تعالى ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واي نصرة
اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما
فعلوا ظهورا بينا والذين تبوءوا الدار والايمان كلام مستانف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة
من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم احسن رضا واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم
اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن
التبوء معنى اللزوم وقيل تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا
وقيل المعنى تبوءوا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض
عنه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشاه من قبلهم اي من قبل هجرة المهاجرين فقيل
على المعاني الاول من قبل تبوء المهاجرين على الآخرين ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة
ولزومه واخلاصه على المعاني الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة
شعائره واحكامه ولا ريب في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار
بعضها لا عن اخلاصهم قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر اليهم
خبر للموصول اي يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولا يجدون في صدورهم اي
في نفوسهم حاجة اي شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اي ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة
كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اي مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون اي يقدمون
المهاجرين على انفسهم في كل شيء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امراتان كان ينزل عن احداهما
ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اي حاجة وخلة واصلها خصاص البيت
وهي فروجه والجملة في حيز الحال وقد عرفت مرارا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قسم اموال
بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة
وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم
في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم
لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح في ان قوله تعالى والذين تبوءوا
الدار والايمان الخ مستانف غير معطوف على الفقراء والمهاجرين نعم يجوز عطفه على اولئك فان
ذلك انما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصدق دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون الخ
استئنافا مقررا لصدقهم او حالا من ضمير تبوءوا ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ
به ايضا اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل اي ومن يوق بتوفيق
الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار
معناها هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار

وثناء

وثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد والذين جاءوا من بعدهم هم الذين هاجروا بعدما
قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية
قد استوعبت جميع المؤمنين وايا ما كان فالموصول مبتدا خبره يقولون الخ والجملة مسوقة لمدحهم
بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين والسبق بالايمان كما ان ما عطفت
عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار اي يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اي في الدين الذي هو
اعز واشرف عندهم من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم
ولا تجعل في قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهما الحقد للذين آمنوا على الاطلاق ربنا انك رؤوف رحيم
اي مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة
والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين
واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب
وقوله تعالى يقولون الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار
قولهم او لاستحضار صورته وقوله تعالى لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب للتبليغ
والمراد باخوتهم اما توافقهم في الكفر وصداقتهم وموالاتهم واللام في قوله تعالى لئن اخرجتم
اي من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم جواب القسم اي والله لئن اخرجتم
لنخرجن معكم البتة ونذهبن في صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم اي في شانكم احدا يمنعنا
من الخروج معكم ابدا وان طال الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير
القتال منوط بقوله تعالى وان قوتلتم ولان وعدهم على ذلك التقدير ليس بمجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم
الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعاوننكم على
عدوكم على ان دعوتهم على خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة انها لو كانت لكانت عند استعدادهم للنصر
واظهار كفرهم ولا ريب في ان ما يفعل عليه الصلاة والسلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك
نصرتهم واما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعي ان خروجهم معهم
لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم
المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الخ تكذيب لهم في كل واحد
من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك
فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة
واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اي المنافقون
بعد ذلك اي يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او ليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة
المنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية على انها مصدر من المبني للمفعول في صدورهم
من الله اي رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يدعون عندهم رهبة
عظيمة من الله تعالى ذلك اي ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله بانهم بسبب انهم قوم
لا يفقهون اي شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم اي اليهود
والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم جميعا اي مجتمعين متفقين في موطن من المواطن الا في
قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط
رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار بالامالة فتحة الدال وجدر وجدرها

الجدار بأسهم بينهم شديد استئناف سيق لبيان أن ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم
في أنفسهم فإن بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد وإنما ضعفهم وجبنهم بالنسبة إليكم بما قذف الله
في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا ألفة بينها
ذلك بأنهم قوم لا يعقلون أي لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم
فتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحد فيقعون في تيه الضلال بين تشعب قلوبهم حيث تشتد
تخوفه ولتفرق فونه وأما ما قيل من أن المعنى لا يعقلون أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم فبمعزل
من السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم أي مثل المذكورين
من اليهود والمنافقين كمثل أهل بدر وبني قينقاع على ما قيل إنهم أخرجوا قبل بني النضير قريبا في زمان
قريب وانتصابه بمثل إذ التقدير كوقوع مثل الذين ذاقوا وبال أمرهم أي سوء عاقبة كفرهم
في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم لا يقادر قدره والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك في الدنيا
والآخرة لكن لا على أن حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين
فهي ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فإنه خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال
أخوانهم اليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين أولا وخيبتهم ثانيا وقد أجمل في النظم الكريم حيث أسند
كل من الخبرين إلى المقدر المضاف إلى الفريقين من غير تعيين ما أسند إليه بخصوصه ثقة بأن السامع
يرد كلا من المثلين إلى ما يماثله كأنه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل
المنافقين في إغرائهم إياهم على القتال حسبما نقل عنهم إذ قال للإنسان اكفر أي أغراه على الكفر
إغراء الآمر للمأمور على المأمور به فلما كفر قال إني بريء منك وقرئ أنا بريء منك إن أريد بالإنسان
الجنس فهذا التبري من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى إني أخاف الله رب العالمين
وإن أريد به أبو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول إبليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وإني
جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله الآية فكان عاقبتهما
بالنصب على أنه خبر كان واسمها أنهما في النار وقرئ بالعكس وقد مر أنه أوضح خالدين فيها
وقرئ خالدان فيها على أنه خبر أن وفي النار لغو وذلك جزاء الظالمين أي الخلود في
النار جزاء الظالمين على الإطلاق دون هؤلاء خاصة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله في
كل ما تأتون وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد أي أي شيء قدمت من الأعمال
ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتفخيم
كأنه الأعر لا يعرف كنهه لغاية عظمه وأما تنكير نفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن لذلك
اليوم الهائل كأنه قيل فلتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتأكيد والأول في أداء
الواجبات كما يشعر به ما بعده من الأمر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى
إن الله خبير بما تعملون أي من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله أي نسوا حقوقه تعالى
وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجبه ونواهيه حق رعايتها فأنساهم بسبب ذلك أنفسهم
أي جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يخلصوها أو أراهم يوم القيامة من
الأهوال ما أنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي أصحاب
النار الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار وأصحاب الجنة الذين اتقوا الله فاستحقوا
الخلود في الجنة ولعل تقديم أصحاب النار في الذكر للإيذان من أول الأمر بأن القصور الذي
ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين

المتفاوتين

المتفاوتين بزيادة ونقصان وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره
بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات
والنور إلى غير ذلك من المواقع وأما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم
الفاضل فيه لأن صلته ملكة لصلة المفضول والأعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في الآية الكريمة
على أن المسلم لا يقتص بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر لأن المراد عدم الاستواء في
الأحوال الأخروية كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا
قوله تعالى أصحاب الجنة هم الفائزون فإنه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين أي
هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه لو أنزلنا هذا القرآن العظيم الشأن المنطوي على فنون
القوارع على جبل من الجبال لرأيته مع كونه علما في القسوة وعدم التأثر مما يصادمه خاشعا
متصدعا من خشية الله أي متشققا منها وقرئ مصدعا بالإدغام وهذا تمثيل وتخييل
لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون أريد به توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره
فيه هو الله الذي لا إله إلا هو وحده عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عن الحس من الجواهر
القدسية وأحوالها وما حضر له من الأجرام وأعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود
وتعلق العلم القديم به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا
إله إلا هو كرر لإبراز الاعتناء بأمر التوحيد الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا
ما وقرئ بالفتح وهي لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به
للمبالغة المؤمن واهب الأمن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ
لكل شيء مفيعل من الأمن بقلب همزته هاء العزيز الغالب الجبار الذي جبر خلقه على ما أراد أو
جبر أحوالهم وأصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانا أو البليغ الكبرياء والعظمة
سبحان الله عما يشركون تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى أو عن إشراكهم به تعالى إثر تعداد صفاته
التي لا يمكن أن يشاركه تعالى في شيء منها شيء ما أصلا هو الله الخالق المقدر للأشياء على مقتضى
حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالأشكال المختلفة المصور
الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد له الأسماء الحسنى لدلالتها على المعاني الحسنة يسبح له
ما في السموات والأرض ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم
الجامع للكمالات كافة فإنها مع تكثرها وتشعبها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر صدق رسول الله

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وذلك أنه
لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب إلى أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريدكم فخذوا حذركم وأرسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالخبر فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا
روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضربوا
عنقها فأدركوها ثمة فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى

الله عليه وسلم وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او لاضربن راسك فاخرجته من عقاصها فاستحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا
غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ليس فيهم من يحمي اهلي
فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقبل عذره **تلقون اليهم بالمودة** اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم
والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له
انما يشترط في الاسم دون الفعل او استيناف **وقد كفروا بما جاءكم** اي كفروا لاجل ما جاءكم
من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى
جعلوا ما هو سبب للايمان سببا للكفر **يخرجون الرسول واياكم** اي من مكة وهو اما حال من فاعل
كفروا او استيناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى **ان تؤمنوا
بالله ربكم** تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والالتفات من التكلم الى الغيبة
للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية **ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء
مرضاتي** متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقوله تعالى **تسرون اليهم
بالمودة** استيناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة
وانا اعلم اي والحال اني اعلم **بما اخفيتم وما اعلنتم** ومطلع رسولي على ما تسرون فاي طائل
لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء
على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما تسرون وما تعلنون **ومن يفعله منكم** اي الاتخاذ
فقد ضل سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب **ان يثقفوكم** اي ان يظفروا بكم **يكونوا
لكم اعداء** اي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها **ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء** بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم **وودوا لو تكفرون** اي تمنوا ارتدادكم
وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوكم ايضا **لن تنفعكم ارحامكم** قراباتكم **ولا
اولادكم** الذين توالون المشركين لاجلهم فتتقربون اليهم محاماة عليهم **يوم القيامة** بجلب نفع او دفع
ضر **يفصل بينكم** استيناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اي يفرق الله بينكم بما اعتراكم
من الهول والرعب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون
حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شانه وقرئ يفصل ويفصل على البناء للمفعول ونفصل ونفصل مبنيا
للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون **والله بما تعملون بصير** فيجازيكم به **قد كانت لكم
اسوة حسنة** اي خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى **في ابراهيم
والذين معه** اي من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال
من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف **اذ قالوا** ظرف لخبر
كان **لقومهم انا برآء منكم** جمع بريء كظريف وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء كرجال وبراء
على الوصف بالمصدر مبالغة **ومما تعبدون من دون الله** من الاصنام **كفرنا بكم** اي بدينكم
او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبآلهتكم **وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
ابدا** اي هذا دابنا معكم لا نتركه **حتى تؤمنوا بالله وحده** وتتركوا ما انتم عليه من الشرك
فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة **الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك**

استثناء

استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه الكافر وان كان
جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب النار كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى
به اصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سياتي من قوله
تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه من الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء
الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة
للاستثناء عليه قطعا هذا واما عدم كون استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه الكافر مما
يؤتسى به لو لم ينه عنه فكذا في غاية البطلان لما ان مورد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين
امره وقد عرفت ان استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه كان قبل ذلك قطعا وانما لم يؤتسى
به مما لم يجب الائتساء به لجواز تعلق في الجملة ويجوز ان استغفاره عليه الصلاة والسلام لم يتعلق النهي
كما هو المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه ثم الانسلاخ لما وجه الاستثناء الى العدة
بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي انه الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه الصلاة
والسلام وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك ربي
لورودها على طريق التوكيد وقوله تعالى **وما املك لك من الله من شيء** من تمام القول المستثنى
محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اي استغفر لك وليس في طاقتي الا الاستغفار فمورد
الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر
الى الله تعالى وقوله تعالى **ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير** الخ من تمام
ما نقل عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر
التوكل والانابة والمصير الى الله تعالى اي قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله عز وجل في
جميع امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى **ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا** بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه **واغفر لنا** ما فرط منا من الذنوب **ربنا
انك انت العزيز** الغالب الذي لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه **الحكيم** الذي لا يفعل
الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار هذا واما جعل الآيات
تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى لما امرهم بان يتوكلوا وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا
مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم
لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم ومن معه **اسوة حسنة** تكرير للمبالغة في الحث على الائتساء به
عليه الصلاة والسلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**
بدل من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل
عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى **ومن يتول فان الله هو الغني الحميد** فانه مما يوعد
بامثاله الكفرة **عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم** اي من اقاربكم المشركين
بان يوفقهم في الدين وعدهم الله تعالى ذلك لما راى منهم من التصلب في الدين والتشدد في معاداة آبائهم
وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم وقد انجز وعده الكريم حين اباح لهم
ذلك الفتح ولاطفهم الله واسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم **والله قدير** اي
مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة **والله غفور
رحيم** فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم من موالاتهم من قبل ولما بقي
في قلوبكم من ميل الرحم **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم** اي لا

لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فإن قوله تعالى أن تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا إليهم تفضوا اليهم
بالقسط أي العدل إن الله يحب المقسطين أي العادلين روي أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت
مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول
فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها وقيل
المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه
إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وهم عتاة أهل مكة وظاهروا
على إخراجكم وهم سائر أهلها أن تولوهم بدل اشتمال من الموصول أي إنما ينهاكم عن أن تتولوهم
ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في موضع العداوة أو هم الظالمون لأنفسهم
بتعريضها للعذاب يا أيها الذين آمنوا بيان لحكم من يظهر الإيمان بعد بيان حكم فريقي الكافر
إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على
ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الإيمان روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
للتي يمتحنها بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت من بغض زوج ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض بالله
ما خرجت إلا حبا لله ورسوله الله أعلم بإيمانهن لأنه مطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراض
فإن علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد اللتيا والتي
من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهاد بالأمارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته
علما للإيذان بأنه جار مجرى العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن إلى الكفار أي إلى أزواجهن الكفرة
لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فإنه تعليل للنهي عن رجعهن إليهم والتكرير إما لتأكيد
الحرمة أو لأن الأول لبيان زوال النكاح الجديد وآتوهم ما أنفقوا أي وأعطوا أزواجهن مثل ما
دفعوا إليهن من المهور وذلك أن صلح الحديبية كان على أن من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت
الحارث الأسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومي
وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امرأتي فإنك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا فنزلت
لبيان أن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها
ما أنفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم أن تنكحوهن فإن إسلامهن حال بينهن وبين
أزواجهن الكفار إذا آتيتموهن أجورهن شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذانا بأن ما أعطي أزواجهن
لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب أي لا
يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من كانت له امرأة
كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي رحمه الله
هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرئ
ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف إحدى التاءين من تتمسكوا واسألوا ما أنفقتم من مهور
نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما أنفقوا من مهور أزواجهم المهاجرات ذلكم الذي ذكر حكم
الله وقوله تعالى يحكم بينكم كلام مستأنف وحال من حكم الله على حذف الضمير أي يحكمه الله أي جعل الحكم
حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روي أنها لما نزلت
الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من مهور المهاجرات إلى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئا
من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وإن فاتكم أي سبقكم وانفلت منكم شيء من أزواجكم
إلى الكفار أي أحد من أزواجكم وقرئ كذلك وإيقاع شيء موقعه للتحقير والإشباع في التعميم أو شيء

من مهور

من مهور أزواجكم فعاقبتم أي فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر شبه الحكم به على المسلمين
والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون
فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من مهر المهاجرة التي
تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه إن فاتكم فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة
فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ فأعقبتم وعقّبتم بالتشديد وعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وكسرها
قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وفاطمة بنت أمية و
بروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت أبي جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله الذي
أنتم به مؤمنون فإن الإيمان به يقتضي التقوى منه تعالى يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات
يبايعنك أي مبايعات لك أي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فإنه عليه الصلاة والسلام لما
فرغ عن بيعة الرجال شرع في بيعة النساء على أن لا يشركن بالله شيئا أي شيئا من الأشياء أو شيئا
من الإشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن أريد به وأد البنات وقرئ
ولا يقتّلن بالتشديد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن كانت المرأة
تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كني عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها
لأن بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ولا يعصينك في معروف أي
فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع أن الرسول صلى الله عليه
وسلم لا يأمر إلا به للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الأمور
المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن أي على ما
ذكر وما لم يذكر لوضوح أمره وظهور أصالته في المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر أركان الدين وشعائر
الإسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة إليها مع كمال الرغبة فيها من غير
دعوة لهن إليها واستغفر لهن الله زيادة على ما في ضمن المبايعة فإنها عبارة عن ضمان الثواب من قبله
عليه الصلاة والسلام بمقابلة الوفاء بالأمور المذكورة من قبلهن إن الله غفور رحيم أي مبالغ
في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن إذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته
عليه الصلاة والسلام لهن يومئذ فروي أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس
على الصفا ومعه عمر أسفل منه فجعل عليه الصلاة والسلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن
وروي أنه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن
وروي أنه عليه الصلاة والسلام بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب قطري والأظهر الأشهر ما
قالت عائشة رضي الله عنها والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط إلا بما أمر
الله تعالى وما مست رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول إذا أخذ عليهن قد بايعتكن
على ما ذكر وكانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا أيها
النبي إذا جاءك المؤمنات إلى آخر الآية فإذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن
يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي أنها
نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم
بها أو لعلمهم بأنه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات كما يئس
الكفار من أصحاب القبور أي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لأنهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا
حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الأليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى

كما يئسوا من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا إلى الدنيا أحياء والإظهار في موقع الإضمار للإشعار بعلة يأسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

صدق

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في نظيره يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون روي أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من أنه نزل قوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً بين الإخلال وقد روي أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لسارعنا إليه فنزلت هل أدلكم على تجارة إلى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم فولوا يوم أحد وفيه أن النظام أن ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما أخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالاً لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فنزلت وقيل إنها نزلت فيمن يتمدح كاذباً حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين فنداؤهم بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم وليس بذاك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت ألفها تخفيفاً لكثرة استعمالهما معاً كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لأي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف على أن مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وإنما وجها إلى قولهم تنبيهاً على تضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به أيضاً وقد كانوا يحسبونه معروفاً ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه أن المنكر هو ترك الموعود كبر مقتاً ضمير فيه مبهم مفسر بالنكرة بعده وأن تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل ثم قصد فيه التعجب من غير لفظه وأسند إلى أن تقولوا ونصب مقتاً على التفسير دلالة على أن قولهم ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبير عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما يقوله المتمدح وانتحال المنتحل وادعاء المنافق وأن مناط التعيير والتوبيخ هو إخلافهم لا وعدهم كما أشير إليه وقرئ يقاتلون بالفتح ويقتلون وصفاً مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أي صافين أنفسهم أو مصفوفين وقوله تعالى كأنهم بنيان مرصوص حال من المستكن في الحال الأولى أي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه إلى بعض ورصف حتى صار شيئاً واحداً وقوله تعالى وإذ قال موسى لقومه كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين أي واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني إسرائيل حين ندبهم إلى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون إلى قوله تعالى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون وأصروا على ذلك وآذوه عليه الصلاة والسلام كل الأذية يا قوم لم تؤذونني أي بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به وقوله تعالى وقد تعلمون أني رسول الله إليكم جملة حالية مؤكدة لإنكار الأذية ونفي سببها وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره أي والحال أنكم تعلمون

عليها قطعياً مستمراً بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها إهلاك عدوكم وإنجاؤكم من ملكته أني رسول الله إليكم لإرشادكم إلى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا إلى طاعتي فلما زاغوا أصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام واستمروا عليه أزاغ الله قلوبهم أي صرفها عن قبول الحق والميل إلى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الإزاغة ومؤذن بعلته أي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة إلى البغية لا هداية موصلة إلى ما يوصل إليها فإنها شاملة للكل والمراد بهم إما المذكورون خاصة والإظهار في موقع الإضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به أو جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولاً أولياً وأياً ما كان فوصفهم بالفسق نظراً إلى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم وأما ما قيل بصدد بيان أسباب الأذية من أنهم كانوا يؤذونه عليه الصلاة والسلام بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى وإذ قال عيسى ابن مريم إما معطوف على إذ الأولى معمول لعاملها وإما معمول لمضمر معطوف على عاملها يا بني إسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم إلى تصديقه في قوله تعالى إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة فإن تصديقه عليه الصلاة والسلام إياها من أقوى الدواعي إلى تصديقهم إياه وقوله تعالى ومبشراً برسول يأتي من بعدي معطوف على مصدقاً داع إلى تصديقه عليه الصلاة والسلام من حيث إن البشارة به واقعة في التوراة والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الإرسال لا الجار فإنه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل أي أرسلت إليكم حال كوني مصدقاً لما تقدمني من التوراة ومبشراً بمن يأتي من بعدي من رسول اسمه أحمد أي محمد صلى الله عليه وسلم يريد أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعاً ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات أي بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا سحر مبين مشيرين إلى ما جاء به أو إليه عليه الصلاة والسلام وتسميته سحراً للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام أي أي الناس أشد ظلماً ممن يدعى إلى الإسلام الذي يوصله إلى سعادة الدارين فيضع موضع الإجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي هو دعاؤه عباده إلى الحق هذا سحر أي هو أظلم من كل ظالم وإن لم يتعرض لظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يرشدهم إلى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم إليه يريدون ليطفئوا نور الله أي يريدون أن يطفئوا دينه أو كتابه أو حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الإرادة تأكيداً لها كما زيدت لما فيها من معنى الإضافة تأكيداً لها في لا أبا لك أو يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بأفواههم بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس ليطفئه والله متم نوره أي مبلغه إلى غايته بنشره في الآفاق وإعلائه وقرئ متم نوره بالإضافة ولو كره الكافرون إتمامه إرغاماً لهم والجملة في حيز الحال هو الذي أرسل رسوله بالهدى بالقرآن أو بالمعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الأديان المخالفة له ولقد أنجز الله عز وجل وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام ولو كره المشركون ذلك وقرئ هو الذي أرسل نبيه يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم

من عذاب اليم وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل
الله باموالكم وانفسكم استيناف وقع جوابا عما نشا مما قبله كانهم قالوا كيف نعمل وماذا نصنع فقيل
تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الامر جيء به للايذان بوجوب الامتثال فكانه قد وقع فاخبر عن وقوعه
ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم
اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة خير لكم على الاطلاق
او من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتبر بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه
خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم
فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب الامر المدلول عليه بلفظ الخبر او الشرط او الاستفهام مدلول عليه
الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة
لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك
اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه
واخرى اي ولكم الى هذه النعم الجليلة نعمة اخرى عاجلة تحبونها وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون
العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول
بدل او بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف وفتح قريب اي عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة
وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص او على المصدر اي تنصرون نصرا عطف على محذوف مثل قل وبشر المؤمنين
يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى امنوا كانه قيل آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون
اي وبشرهم يا ايها الرسول بما وعدتهم عليه عاجلا وآجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله
وقرئ انصارا لله بالاضافة لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم انصار الله كما قال عيسى ابن
مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله تعالى قال
الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص
والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم
عيسى من انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا
اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين
وكفرت طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا الذين آمنوا على عدوهم اي فقويناهم بالحجة او بالسيف
وذلك بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام فاصبحوا ظاهرين غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه والحمد لله وحده

سورة الجمعة احدى عشرة آية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات
الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون قيل بدت
الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم اي كائنا من جملتهم اميا مثلهم
يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة اخرى لرسولا معطوفة
على يتلو اي يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة
اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب
قوتها العملية وتغذيتها المتفرع في تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة

للايذان

للايذان بان الكل من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود
لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى
بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث
النبوية من الاحكام والشرائع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة
افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه الصلاة والسلام من الغير وان هي المخففة
واللام هي الفارقة وآخرين منهم عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين
منهم اي من الاميين وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عليه الصلاة والسلام وتعليمه
يعم الجميع لما يلحقوا بهم صفة لآخرين اي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم البالغ في
العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم من بين كافة البشر ذلك الذي امتاز به من
بين سائر الافراد فضل الله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية واحسانا والله ذو الفضل العظيم
الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعم الآخرة مثل الذين حملوا التوراة اي علموها وكلفوا العمل بها ثم لم
يحملوها اي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الآيات التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيها
معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبني
بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المعبر عنه بمثل القوم هو المخصوص
بالذم والموصول صفة للقوم اي بئس مثلا مثل القوم مثل الذين كذبوا الى آخره او على ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص
بالذم الموصول بحذف المضاف اي بئس مثل القوم المكذبين مثلهم او على ان الموصول صفة للقوم والمخصوص
بالذم محذوف وقد عنى بهم اليهود الذين كذبوا بما في التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين التكذيب في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها
للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا اي تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس كانوا يقولون
نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان
هودا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت اي
فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين جوابه محذوف لدلالة
ما قبله عليه اي ان كنتم صادقين في زعمكم وواثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه من اهل الجنة
احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرار الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار بما سيكون منهم والباء
في قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما دل عليه النفي اي يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي
الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة صنائعه عبر بها تارة عن النفس
واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الظاهر على الاضمار للدلالة على التسجيل عليهم بانهم
ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الامور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل للتي قبلها
مقررة لمضمونها اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما
سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما يعرب عنه قوله تعالى
قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عليه
الصلاة والسلام لو تمنوا الموت لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون
على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال الكفر فانه ملاقيكم لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء
لتضمن الموصول معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى

عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي بأن يجازيكم
بها يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة أي فعل النداء لها أي أذن لها من يوم الجمعة بيان لإذا
وتفسير لها وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل إن الأنصار
قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما
نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة
فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه
فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة كانت في الإسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فهي أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء
والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة
في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله أي امشوا واقصدوا
إلى الخطبة والصلاة وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم أي السعي إلى ذكر الله وترك البيع خير لكم
من مباشرتهما فإن نفع الآخرة أجل وأبقى إن كنتم تعلمون أي الخير والشر الحقيقيين أو إن كنتم من
أهل العلم فإذا قضيت الصلاة أي أديت وفرغ منها فانتشروا في الأرض لإقامة مصالحكم
وابتغوا من فضل الله أي الربح فالأمر للإطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله
وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع واذكروا الله كثيرا ذكرا
كثيرا أو ذكرا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة لعلكم تفلحون كي تفوزوا بخير الدارين
وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها روي أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد
فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة
فقاموا إليه خشية أن يسبقوا إليه فما بقي معه صلى الله عليه وسلم إلا ثمانية وقيل
أحد عشر وقيل اثنا عشر وقيل أربعون فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا
جميعا لأضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق
وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير إليها لأنها المقصودة أما الآن فالانفضاض للتجارة مع الحاجة
إليها والانتفاع بها إذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض إلى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل
تقديره إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوا انفضوا إليه فحذف الثاني لدلالة الأول عليه وقرئ
إليهما وتركوك قائما قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فإن ذلك نفع محقق مخلد
بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين فإليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها في أمصار المسلمين

سورة المنافقون مدنية وهي إحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

إذا جاءك المنافقون أي حضروا مجلسك قالوا نشهد إنك لرسول الله مؤكدين كلامهم
بإن واللام للإيذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم
ونشاطهم وقوله تعالى والله يعلم إنك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين
قوله تعالى والله يشهد إن المنافقين لكاذبون تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من أنهم قالوا
عن اعتقاد كما أشير إليه وإماطة من أول الأمر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب إلى منطوق كلامهم

أي والله

أي والله يشهد إنهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب وإظهارهم
في موقع الإضمار لذمهم والإشعار بعلة الحكم اتخذوا أيمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم
جنة أي وقاية عما يتوجه إليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي وغير ذلك واتخاذها جنة عبارة
عن إعدادهم وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل
فإن ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخطاب باتخاذها جنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها
أيضا كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكي عنهم ولا ريب في
هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ إيمانهم أي ما أظهروه على ألسنتهم من الشهادة
جنة عبارة عن استعماله بالفعل فإنه وقاية دون دمائهم وأموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا
فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد وهو الإعراض عن سبيله تعالى إنهم ساء ما كانوا يعملون من
النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين ذلك إشارة إلى ما تقدم
من القول الناعي عليهم أنهم أسوأ الناس أعمالا أو إلى ما وصف من أحوالهم في النفاق والكذب والاستتار
بالإيمان الصوري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لما مر مرارا من الإشعار ببعد منزلته
في الشر بأنهم أي بسبب أنهم آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الإسلام ثم كفروا
أي ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر
عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ
فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الإيمان ولا يعرفون صحته أصلا وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم
لضخامتها ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم وإن يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة
ألسنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر
من أمثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه الصلاة والسلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم
وقيل الخطاب لكل أحد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى كأنهم خشب
مسندة في حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وكلام مستأنف لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجالس
رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحا خالية
عن العلم والخير وقرئ خشب على أنه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباء وهي الخشبة التي
دعر جوفها أي فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر يحسبون كل
صيحة عليهم أي واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على وجل
من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم هم العدو أي هم الكاملون في العداوة
والراسخون فيها فإن أعدى الأعادي العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي والجملة
مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم أصلا فإن الفاء في قوله تعالى فاحذرهم
لترتيب الأمر بالحذر على كونهم أعدى الأعداء قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم
ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى أنى يؤفكون تعجيب من حالهم أي كيف يصرفون
عن الحق إلى ما هم عليه من الكفر والضلال وإذا قيل لهم عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم
رسول الله لووا رءوسهم أي عطفوها استكبارا ورأيتهم يصدون يعرضون عن القائل أو عن الاستغفار
وهم مستكبرون عن ذلك سواء عليهم أستغفرت لهم كما إذا جاءوك معتذرين من جنايتهم وقرئ
آستغفرت بإشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة
بدلالة أم وقرئ استغفرت بإشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل ألفا أم لم تستغفر لهم كما

اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاستغفار والاعتذار لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفرات ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم والاظهار في موقع الاضمار لبيان علة الحكم او الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا وقوله تعالى هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى ولله خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدي الى انفضاض الفقراء من حوله عليه الصلاة والسلام ببيان ان خزائن الارزاق بيد الله تعالى يعطي من يشاء ولكن المنافقين لا يفقهون ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان جهجاه بن سعيد اجير عمر رضي الله تعالى عنه نازع سنانا الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابي فقال للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اي ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روي ان عبد الله بن ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ومن يفعل ذلك اي التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون تحصيله من جهتكم ادخارا للآخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت اي يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني اي امهلتني الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفا على لفظه وقرئ بالرفع اي وانا اكون عدة من الصالح ولن يؤخر الله نفسا اي ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى آخره والله خبير بما تعملون فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق صدق الله وصدق رسوله الكريم

سورة التغابن مدنية ... آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم به المهيمن عليه

وهو المولي لاصول النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم كافر اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ وحمل على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله ومنكم مؤمن مقدر ايمانه مما لا يدعو اليه سياق النظم الكريم ولا يساعده المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث سواكم في احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الباطنة والظاهرة ما نيط بها جميع الكمالات البادية والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة واليه المصير في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى فيما خلقن له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد الوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وما تعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم ايها الكفرة نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة اي الم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة بانه بسبب ان الشأن كانت تأتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسلهم الذين اتتهم كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اي بالرسل وتولوا عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم واستغنى الله اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غني عن ايمانهم وطاعتهم حميد يحمده كل مخلوق بلسان الحال

وهو المولي

او يستحق الحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم
يتعدى الى مفعولين لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه بلى اي
تبعثون وقوله وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اي لتحاسبن ولتجازون باعمالكم جملة مستقلة
داخلة تحت الامر واردة لتاكيد ما افاده كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق امر اخر متفرع
عليه منوط به ففيه تاكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك اي ما ذكر من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق
القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى فامنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف
ثقة بغاية ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فامنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور
الذي انزلنا وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات
بنون العظمة لابراز كمال العناية بامر الانزال والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه
خبير فمجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد
والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتاكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم
ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله يجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم
او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والاخرون اي
لاجل ما فيه من الحساب والجزاء ذلك يوم التغابن اي يوم غبن فيه بعض الناس بعضا بنزول
السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري
مقعده في النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده في الجنة لو احسن ليزداد
حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا ما يقع في امور
الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر اي الله عز وجل وقرئ بنون العظمة عنه
سيئاته يوم القيمة ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرئ ندخله
بالنون ذلك اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه لانطوائه
على النجاة من اعظم الهلكات والظفر باجل الطلبات والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
النار خالدين فيها وبئس المصير اي النار كان هاتين الايتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن
ما اصاب من مصيبة من المصائب الدنيوية الا باذن الله اي بتقديره وارادته كانها بذاتها
متوجهة الى الانسان متوقفة على قبوله تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها للثبات
والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه
وقرئ يهد على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على ان يكون مثل سفه نفسه وقرئ يهدا
قلبه بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء من الاشياء التي من جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم
ايمان المؤمن ويهدي قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر للتاكيد والايذان بالفرق
بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله تعالى فان توليتم اي عن طاعة الرسول
وقوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين تعليل للجواب المحذوف فلا باس عليه اذ ما عليه الا
التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة في مقام اضمار لتشريفه
عليه الصلوة والسلام والاشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته عليه الصلوة والسلام محض التبليغ
ولزيادة تشنيع التولي عنه الله لا اله الا هو جملة من مبتدا وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غيره وفي
اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون
غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة

التوكل والامر به فان الالوهية تقتضيه للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة
يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة الله تعالى ويخاصمونكم
في امور الدين او الدنيا فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي او للازواج
والاولاد جميعا فالمامور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثاني اما الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما
الحذر عن مجموع الفريقين لاشتماله على العدو وان تعفوا عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة
بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا باخفائها
وتمهيد معذرتها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين
ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا
فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الاولين قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم
فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون عشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن
جمعنا الله في دار الهجرة لن نصيبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا
اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم في الاثم من حيث لا تحتسبون
والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي في
تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه
واطيعوا اوامره وانفقوا مما رزقناكم في الوجوه التي امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا
لانفسكم اي افعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور
المذكورة خيرا لانفسكم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا
جوابا للاوامر اي يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل
مرامهم ان تقرضوا الله بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص
وطيب النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه ويغفر لكم ببركة
الانفاق ما فرط منكم من الذنوب والله شكور يعطي الجزيل بمقابلة القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة
مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه خافية العزيز الحكيم المبالغ في القدرة
والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع الله عنه موت الفجاءة والحمد لله وحده

[illegible] الطلاق [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب
لامته ايضا للتشريف عليه الصلوة والسلام واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة
ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عليه الصلوة والسلام وتغليبه عليهم لا لان نداءه عليه
الصلوة والسلام كندائهم فان ذلك لاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق به
به لشموله للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما في قوله تعالى
اذا قمتم الى الصلوة فطلقوهن لعدتهن اي مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت من شهر كذا
فان المراة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد
ان يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله
في السنة واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء كوامل واتقوا الله ربكم في
تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة في

يجاب الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضي عدتهن واضافتها
اليهن وهي لازواجهن لتاكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن ولا يخرجن
ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبدادهن اما اذا
اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لهما لا يعدوهما الا ان ياتين بفاحشة مبينة استثناء
من الاول قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن
ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها
فاحشة وتلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن
يتعد حدود الله اي حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل
امر التعدي والاشعار بعلة الحكم في قوله تعالى فقد ظلم نفسه اي اضر بها وتفسير الظلم
بتعريضها للعقاب ياباه قوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استئناف
مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله
بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن
تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون
احتراز الناس عنه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق
الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي صلى الله عليه وسلم كما توهم فالمعنى
ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث
في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلت فيبدل ببغضها محبة
وبالاعراض عنها اقبالا اليها ويتسنى تلافيه برجعة او استئناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن
اخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن معاشرة وانفاق لائق او فارقوهن بمعروف
بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند
الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى
عن الشافعي انه للوجوب في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهداء عند الحاجة خالصا
لوجهه تعالى ذلكم اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى ومن يتق الله الخ جملة اعتراضية
مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله
تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد لها بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق
للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور يجعل له مخرجا
مما عسى يقع في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب ويرزقه
من حيث لا يحتسب اي من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج
الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله فينجيه مما يخزيه عاجلا او آجلا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن
شدائد يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله
فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله واصبر

واكثر من

واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب
ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه
اي كافيه في جميع اموره ان الله بالغ امره بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بتنوين
بالغ ونصب امره اي يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ برفع
امره على انه مبتدأ وبالغ خبره مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وامره مرتفع به على
الفاعلية اي نافذ امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى قد جعل الله
لكل شيء قدرا اي تقديرا او توقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض
الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره تعالى لا يبقى الا التسليم للقدر
والتوكل على الله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن وقد قدروه بستين سنة
وبخمس وخمسين ان ارتبتم اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر
واللائي لم يحضن لصغرهن اي فعدتهن ايضا ذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله
عليه واولات الاحمال اجلهن اي منتهى عدتهن ان يضعن حملهن سواء كن
مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما اشتهر من قول ابن
مسعود رضي الله تعالى عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة
البقرة وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله في شان الاحكام
ومراعاة حقوقها يجعل له من امره يسرا اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة
الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته
في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب للجميع كما يفصح عنه قوله تعالى امر الله انزله اليكم لما انها
لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان
يؤمن بالله من سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته فان
الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة وقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم
استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من الحث على التقوى كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات
فقيل اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى من وجدكم اي من وسعكم
اي مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا
عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان كن اي المطلقات اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن
حملهن فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لهن فان ارضعن لكم بعد
ذلك فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف اي تشاوروا وحقيقته ليأمر
بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة وان تعاسرتم
اي تضايقتم فسترضع له اخرى اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على
المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وان قل
اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها وفيه
تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله بعد
عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكأين من قرية اي كثير من اهل قرية عتت اي اعرضت عن امر

ربها ورسله بالعتو والتمرد والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا هائلا لا خسر وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا للقول تعالى الذين آمنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل عليه الصلوة والسلام لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه ابداله قوله تعالى رسولا منه او لانه مذكور في السموات او ذو ذكر اي شرف كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كأنه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذي العرش مكين او هو النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى يتلو عليكم آيات الله مبينات نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها اي حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات اي بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه الصلوة والسلام او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله اي ليحصل لهم الرسول ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم وقدر انه سيؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الآيات المبينات يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق التداخل وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع على انه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض قال الجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل

من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدون منه وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها سبع ارضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر لتعلموا ان الله على كل شيء قدير متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمر يعمهما اي فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء وان الله قد احاط بكل شيء علما لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء اصلا وقرئ ليعلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه عليه الصلوة والسلام شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل تبتغي مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان ما دعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته لذلك والله غفور مبالغ في المغفرة قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد هاهنا والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه فلا يامركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه وهي حفصة حديثا اي حديث تحريم مارية او العسل او امر الخلافة فلما نبأت به اي اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته اليها وقرئ انبأت به واظهره الله عليه اي اطلع الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم على افشاء حفصة عرف اي النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعضه بعض الحديث الذي افشته قيل هو حديث الامامة روي انه عليه الصلوة والسلام قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها اباها واعرض عن بعض اي عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نبأها به اي افشاها الحديث قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه خافية ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في العتاب فقد صغت قلوبكما الفاء للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت وان تظاهرا عليه باسقاط احدى

التائبين وقرئ على الأصل وبتشديد الظاء وتظهّرا أي تتعاونا عليه بما يسوؤه من الإفراط
في الغيرة وإفشاء سره فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين أي فلن يعدم من يظاهره
فإن الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه قال
ابن عباس رضي الله عنهما أراد بصالح المؤمنين أبا بكر وعمر وقد روي أن ذلك عمر فيما أوحى النبي صلى
الله عليه وسلم وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة عليهم الصلاة
والسلام فإنه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وإن جبريل عليه الصلاة والسلام
ظهير له بالتأييدات الإلهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير أمور الرسالة وتمشية أحكامها الظاهرة
ولأن بيان مظاهرتهما له عليه الصلاة والسلام أشد تأثيرا في قلوب بنتيهما وتوهينا لأمرهما
فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما إذا أريد به جنس الصالحين والملائكة على تكاثر عددهم
وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك أي بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الأعظم ظهير
أي فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فماذا تفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء
ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث أن
نصرة الكل نصرة الله تعالى لهم ومظاهرتهم أفضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل
الأنسب أن يجعل ذلك إشارة إلى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيانا لتعدد مظاهرة
الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكري من أفضلية المقدم فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة
صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه الصلاة والسلام إيذانا بأعلوية رتبة
مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفضلها على مظاهرة جبريل عليه الصلاة والسلام عسى
ربه إن طلقكن أن يبدله أي يعطيه عليه الصلاة والسلام بدلكن أزواجا خيرا منكن
على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلق حفصة
وأن في النساء خيرا منهن فإن تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب
وقوعه وقرئ أن يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات أو منقادات
مصدقات قانتات مصليات أو مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات
متعبدات أو متذللات لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم
سائحا لأنه يسيح في النهار بلا زاد ومهاجرات وقرئ سيحات ثيبات وأبكارا وسط
بينهما العاطف لتنافيهما يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات وأهليكم
بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم عبارة
عن النفس الكل على تغليب المخاطبين أي قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم نارا وقودها الناس والحجارة
أي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وفي المؤمنين بأنفسها هذه النار المعدة للكافرين كما نص
عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها ملائكة أي تلي أمرها وتعذيب أهلها وهي
الزبانية غلاظ شداد غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء
على الأفعال الشديدة لا يعصون الله ما أمرهم أي أمره على أنه بدل اشتمال من الله أو فيما أمرهم
به على نزع الخافض أي لا يعصون في قبول الأمر ويلتزمونه ويفعلون ما يؤمرون أي
ويؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل وتوان وقوله تعالى يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا
اليوم مقول لقول قد حذف تعويلا على دلالة الحال عليه أي يقال لهم ذلك عند إدخال الملائكة إياهم النار
حسبما أمروا به إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي بعدما نهيتم عنها

أشد النهي وأمرتم بالإيمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى
الله توبة نصوحا أي بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على الإسناد المجازي وهو وصف
التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقتها وذلك أن يتوبوا عن القبائح
لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من
القبائح موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف أصلا وعن علي رضي الله تعالى عنه
أن التوبة يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم
واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها
في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعاصي وعن شهر بن حوشب أن لا يعود
ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أي توبة ترفو خروقك في دينك
وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح إذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة
تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل
بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فإن النصح والنصوح
كالشكر والشكور أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له عسى
ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ورود بصيغة الإطماع
الجري على سنن الكبرياء والإشعار بأنه تفضل والتوبة غير موجبة وأن العبد ينبغي أن
يكون بين خوف ورجاء وإن بالغ في إقامة وظائف العبادة يوم لا يخزي الله النبي ظرف
ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي وفيه تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والفسوق
واستحماد للمؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين
أيديهم وبأيمانهم أي على الصراط وهو على الأول استئناف أو حال وكذا قوله تعالى يقولون أي
وعلى الثاني خبر آخر للموصول أي يقولون إذا طفئ نور المنافقين ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا
إنك على كل شيء قدير وقيل يدعون تقربا إلى الله مع تمام نورهم وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب
أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلا وقيل السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم
كالريح وبعضهم حبوا وزحفا أولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا يا أيها النبي جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما من
القتال والمحاجة ومأواهم جهنم يدعون فيها عذابا غليظا وبئس المصير أي جهنم أو
مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل في أمثال هذه المواقع عبارة عن إيراد حالة
غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها في الغرابة أي جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومثلا
على أن مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى امرأة نوح وامرأة لوط أي حالهما
مفعوله الأول أخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء وقوله تعالى
كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية لهما إلى الخير والصلاح أي كانتا في عصمة
نبيين عظيمي الشأن متمكنتين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما وقوله تعالى
فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الخيانة العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبي صلى الله عليه
وسلم أي فخانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الإيمان والطاعة وقوله تعالى فلم
يغنيا إلى آخره بيان لما أدى إليه خيانتهما أي فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله أي من

عذابه تعالى شيئا اي شيئا من الاغناء وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار مع الداخلين اي مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون اي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت اعدى اعداء الله وهي في غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف للمحذوف في اسلوب المثل اي ضرب الله مثلا حالها اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين روي انها لما قالت ذلك اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها ونجني من فرعون وعمله اي من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل اي وضرب مثلا للذين امنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا التي احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها اي في مريم من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وقرئ كتابه اي بجميع كتبه ... وكانت من القانتين اي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هارون اخي موسى عليهما الصلوة والسلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع اسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وآيها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك فان ما لا يتصور نسبته الى الله تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما ينسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ لتجرد عن التكلف لافادة انما ذلك من الخيرات والدار حيث انشاها وابقاها بحسب حدوثها وحدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه سبحانه وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضة قدرته التصرف الكلي في كل الامور وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة شروع في تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعها لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة واما ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله تعالى خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحيوة فمعنى خلقه حينئذ تقديره او ازالة الحيوة وايا ما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطاري وبالحيوة ما قبله وما بعده لظهور مدارتيهما لما ينطق به قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق اي خلق موتكم وحياتكم ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنع الله تعالى والتدبر في آياته المنصوبة في الانفس والآفاق وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى وهو العزيز الغالب الذي لا يفوته من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثاني في كونه مدار البلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى طباقا صفة لسبع سموات اي متطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به المفعول او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقا وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات وضع فيه خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان في ابداعها نعما جليلة او استيناف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفي اي ما ترى فيه شيئا من تفاوت اي اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب حيث اخبر به اولا بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد رجعة وان كثرت ينقلب اليك البصر خاسئا اي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه

بطرد عن ذلك تطرقاً ابا الصغار وانقيادة وهو حسير اي كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله
تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن
شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد زينا اقرب السموات
الى الارض بمصابيح اي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كانها
كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق
تحار في فهمه الافكار وطراز فائق يهيم في دركه الانظار وجعلناها رجوما للشياطين اي وجعلنا
لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها
ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون والانسب للمقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو
ما يرجم به واعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير بعد الاحراق في الدنيا بالشهب وللذين كفروا
بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير وللذين
عليهم وبئس المصير اي جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اي لجهنم وهو متعلق بمحذوف
وقع حالا من قوله تعالى شهيقا لانه في الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا اي سمعوا كائنا
لها شهيقا اي صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع وقالوا الشهيق في الصدر والزفير
في الحلق وهي تفور اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها لانهم من
طرح فيها فتلقاهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يرده قوله تعالى تكاد تميز اي تتفرق وتتقطع
من الغيظ اي من شدة الغضب عليهم فانه صح في تقدير آثار الغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها
تغيظا وزفيرا فاين هو من شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال
من فاعل تفور او خبر آخر وقوله تعالى كلما القي فيها فوج استئناف مسوق لبيان حال اهلها
بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها اي كلما القي فيها جماعة من الكفرة سالهم خزنتها
بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة الم يأتكم نذير
يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب عن نجواهم
ايضا قالوا اعتراف منهم بانه تعالى قد ازاح علاتهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير جامعين
بين حرفي الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسرا على ما فاتهم
من السعادة في تصديقهم وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك
اي قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اي واحد حقيقة او حكما كانبياء بني اسرائيل
فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما انزل الله تعالى عليه من آياته فكذبنا ذلك
النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه من الآيات افراطا في التكذيب وتماديا
في النكير ما نزل الله على احد من شيء من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم اي
ما انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها الا في ضلال كبير بعيد عن الحق
والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليب غيره عليه مبالغة في التكذيب
وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعموم المنزل عليه حتما
واما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية
لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا ادخاله تحت عبارتهم [illegible] اجماع الامة
على ما لا اختلاف فيه من الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعصار واين هم من ذلك وقد حال
الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية

عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام اي اهل نذير او منعوت
به فيتفق كلا حرفي الخطاب والجمعية من غير حاجة الى احد الوجوه الثلاثة على التقدير الاول
لم يحتج لاعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقد يجوز ان يكون
الخطاب من جهة كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في
الدنيا او هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد
حكوه للخزنة فتأمل وان على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او
يعقل لو كنا نسمع كلاما او نعقل شيئا ما كنا في اصحاب السعير اي في عدادهم ومن
اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في تضعيف
التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا
بذنبهم الذي هو قولهم فكذبنا بآيات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر
مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قعدك الله اي فاسحقهم الله اي ابعدهم من
رحمته سحقا اي اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم الله فسحقوا اي بعدوا سحقا
اي بعدا كما في قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحتا او مجلف اي لم
تدع فلم يبق الا مسحت او مجلف وعن هذيل الجهنيين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام
في قوله تعالى لاصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون
في عدادهم بطريق التغليب ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون عذابه غائبا
عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة عظيمة
لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر
بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيوحى اليه عليه الصلاة
والسلام فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا
فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر
والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما
يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها
بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ
ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى
بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور
تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه
الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه
كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم
بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور
القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله تعالى
الا يعلم من خلق انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اي الا يعلم السر والجهر من
اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التي هما من جملتها وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير
حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفي اي الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه

وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخالق لا يتاتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ عن الافادة لان نظم الكلام حينئذ الا يكون عالما وهو مبالغ في العلم [هو الذي جعل لكم الارض ذلولا] لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه التاخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند وروده فضل تمكن والفاء في قوله تعالى [فامشوا في مناكبها] لترتيب الامر على الجعل المذكور اي فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذلل فان منكب البعير ادق اعضائه وانباها عن ان يطاه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتاتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل [وكلوا من رزقه] والتمسوا من نعم الله تعالى [واليه النشور] اي المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه والآية [ءامنتم من في السماء] اي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تاويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء اي ءامنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان [ان يخسف بكم الارض] بعدما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتاكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اي من ان يخسف [فاذا هي تمور] اي تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان [ام امنتم من في السماء] اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر اي بل امنتم من في السماء [ان يرسل عليكم حاصبا] اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هو سحاب فيه الحجارة [فستعلمون] عن قريب البتة [كيف نذير] اي انذاري عند مشاهدتكم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء [ولقد كذب الذين من قبلهم] من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم [فكيف كان نكير] اي انكاري عليهم بانزال العذاب اي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التاكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى [اولم] اغفلوا ولم ينظروا [يروا الى الطير فوقهم صافات] باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمهن صفا [ويقبضن] اجنحتهن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر في ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات [ما يمسكهن] في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع [الا الرحمن] الواسع رحمته كل شيء بان براهن على اشكال وخصائص وهياهن للجري في الهوى والجملة مستانفة او حال من الضمير في يقبضن [انه بكل شيء بصير] يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى [امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن] تبكيت لهم بنفي ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عقابه تعالى كما هو الانسب بما سياتي من قوله تعالى ان امسك رزقه كقوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا في المعنيين معا خلا ان الاستفهام ثمة متوجه الى نفس المانع وتحققه وههنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه

وام منقطعة

وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التامل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهامية وهي مبتدا وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وايثار هذا لتحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم ان ام متصلة لقوله تعالى اولم يروا الى الطير من القول بان من استفهامية مما لا تعريج له اصلا وقوله تعالى [ان الكافرون الا في غرور] اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال اي ما هم انهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط وان آلهتهم تحفظهم من باس الله الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم الاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى [امن هذا الذي يرزقكم] كما مر [ان امسك] اي الله عز وجل [رزقه] بامساك المطر وسائر مباديه كالذي مر تفصيله وقوله تعالى [بل لجوا في عتو ونفور] مبني على مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر التمام التبكيت والتعجيز لم يتاثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو اي عناد واستكبار وطغيان ونفور اي شراد عن الحق وقوله تعالى [افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى] الى آخره مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحاليهما وتحقيقا لشان مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسالك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الجهل عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الى آخره والمكب الساقط على وجهه يقال كببته فاكب على وجهه وتحقيقه صار ذا كب وكذلك قشع الغمام والمعنى افمن يمشي وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه [امن يمشي سويا] اي قائما سالما من الخبط والعثار [على صراط مستقيم] مستوي الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف فالخبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة [قل هو الذي انشاكم] انشاء بديعا [وجعل لكم السمع] لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها [والابصار] لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل [والافئدة] لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة [قليلا ما تشكرون] اي باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم

قل هو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم وبثكم فيها لا غير واليه تحشرون للجزاء لا الى
غيره اشتراكا واستقلالا فابنوا اموركم على ذلك ويقولون من فرط عتوهم وعنادهم
متى هذا الوعد اي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ان كنتم صادقين
يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه الصلوة والسلام
في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين بما تخبرونه
من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته قل انما العلم اي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه غيره
كقوله تعالى قل انما علمها عند ربي وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا محالة واما
العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار والفاء في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة معربة
عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه ولما
كان المترقب محققا متحققه في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده لان المقدر هنالك امور واقعة على
ما قبله بالفاء وههنا امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستيناف وقوله تعالى زلفة
حال من مفعول رأوا اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل اي مزدلفا
او على انه مصدر نعت به مبالغة او ظرف اي رأوه في مكان ذي زلفة سيئت وجوه الذين كفروا
بان غشيتها الكآبة ورهقتها القترة والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل
المساءة به وقيل توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم هذا الذي كنتم به تدعون اي تطلبونه في الدنيا
وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى اي تدعون ان لا بعث
ولا حشر وقرئ تدعون وقد روي عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد قل
ارأيتم اي اخبروني ان اهلكني الله اي اماتني والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه
صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتأخير آجالنا
فنحن في جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي
لا ينجيكم منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل
نفي الانجاء به قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها آمنا به وحده
لما علمنا ان الكل ما سواه فاما نعمة او منعم عليه وعليه توكلنا لا على غيره اصلا لعلمنا
ان ما عداه كائنا ما كان عار من النفع والضر فستعلمون عن قريب البتة من هو في ضلال
مبين منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية قل ارأيتم اخبروني ان اصبح
ماؤكم غورا اي غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به
فمن يأتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الملك فكانما
[illegible]
احيى ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء
الساكنين ويحتمل ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن
بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف
والتانيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسم الحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدي باحد
الطريقين المذكورين في موقعها او اسم السورة منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر
لمبتدأ محذوف فالواو في قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه وما

ما كان فان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر
وان اريد به الجنس فاستحقاق ما في ايدي الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى
كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا للتعظيم وقرئ بادغام النون في الواو
وما يسطرون الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به اصحابه
كما قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم على ان ما موصولة او وسطرهم على انها مصدرية وقيل
للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم
ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء
متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كانه قيل انتفى عنك الجنون
ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى
معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام لتشريفه عليه الصلوة والسلام
والايذان بانه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه
صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه عليه الصلوة والسلام اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة
مع جزمهم بانه عليه الصلوة والسلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية
من حصافة العقل ورزانة الرأي وان لك بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك
لاعباء الرسالة لاجرا لثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مقطوع لقوله تعالى عطاء غير
مجذوذ او غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم
لا يدرك شأوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله
عنها عن خلقه عليه الصلوة والسلام فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون والجملة
معطوفة على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس رضي الله عنهما فستعلم ويعلمون
يوم القيمة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امرك بغلبة
الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم
اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر بايكم المفتون اي بايكم الذي فتن بالجنون
والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم الجنون
ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن
هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد
منهم فتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد اي هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة الدارين
وهام في تيه الضلال متوجها الى ما يقتضيه الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين
النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره وهو اعلم بالمهتدين الى سبيله الفائزين
بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه
من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى فلا تطع المكذبين
لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه الصلوة والسلام وضلالهم او على جميع ما فصل
من اول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم اي دم على ما انت عليه من عدم طاعتهم
وتصلب في ذلك او نهي عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضميره عليه الصلوة والسلام استجلابا
لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فانه تعليل للنهي او

للمداهنة وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر اي احبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الامور
فيدهنون اي فهم يدهنون حينئذ او فهم الآن يدهنون طمعا في ادهانك وقيل هو عطف على
تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك ويأباه ما سيأتي من بدئهم
بالادهان على ان ادهانهم امر محقق لا يناسب ادخاله تحت التمني واما ما قيل ان المعتبر في جانبهم
حقيقة الادهان الذي هو اظهار الملاينة واضمار خلافها واما في جانبه عليه الصلوة والسلام
فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط واما اضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار
بل هو في غاية الكراهة لهم وانما اعتباره بالنسبة اليه عليه الصلوة والسلام وفي بعض المصاحف
فيدهنوا على انه جواب التمني المفهوم من ودوا وانه بعد حكاية لودادتهم وقيل على انه عطف
على تدهن بناء على ان لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها
مصدر يقع مفعولا لودوا كأنه قيل ودوا ان تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها
محذوف وكذا مفعول ودوا اي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع
كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن
الطاعة لكونه ادخل في الزجر مهين حقير الرأي والتدبير هماز عياب طعان مشاء
بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم
والنميمة السعاية مناع للخير اي بخيل او مناع للناس من الخير الذي هو الايمان والطاعة
والانفاق معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف
وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم وهي مأخوذ من الزنمة وهي الهنة من الجلد
الماعز تقطع فتخلى متدلية في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه
واقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا في قريش وليس بسنخهم ادعاه ابوه المغيرة
بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده في زهرة ان كان
ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى ولا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا
بالبنين وقوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين استئناف جار مجرى
التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط
لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب باياتنا وفيه انه
يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك وقرئ
أأن كان على معنى الان كان ذا مال كذب بها او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على الشرط
للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة
سنسمه على الخرطوم بالكي على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد
جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين
بها عن سائر الكفرة انا بلوناهم اي اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا
اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان
ياخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه
المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة
اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق
علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها

داخلين

داخلين في الصباح ولا يستثنون اي لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط
من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله تعالى ولا اخرج الا ان يشاء الله
بمعنى واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعل ابوهم والجملة مستأنفة فطاف عليها
اي على الجنة طائف من ربك اي بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدئ من جهته تعالى
وهم نائمون غافلون عما جرى به المقادير فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرمت ثماره
بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اي احترقت فاسودت وقيل كالنهار اي
يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا
اي نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين في الصباح ان اغدوا اي اغدوا على ان ان مفسرة
او بان اغدوا على انها مصدرية اي اخرجوا غدوة على حرثكم بساتينكم وضيعتكم وتعدية
الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال او الاستيلاء ان كنتم صارمين قاصدين الصرم
فانطلقوا وهم يتخافتون اي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفي وخفت وخفد
ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اي الجنة اليوم عليكم مسكين ان
مفسرة للتخافت لما فيه من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة
في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك هاهنا وغدوا على حرد قادرين اي على نكد لا غير
من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان
ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد
والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم
وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على
النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ بذلك اي لم يقدروا
الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اي غدوا قاصدين
الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة فلما رأوها قالوا في بديهة
رؤيتهم انا لضالون اي طريق جنتنا وما هي بها بل نحن محرومون قالوه بعدما تأملوا ووقفوا
على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول اي لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا
على انفسنا قال اوسطهم اي رأيا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون
اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من
فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا سبحان
ربنا انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم او لانه تنزيه له تعالى عن ان
يجري في ملكه ما لا يشاؤه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا فان منهم من
اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين
متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا وقرئ بالتشديد اي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة
والاعتراف بالخطيئة خيرا منها انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة
او لتضمنها معنى الرجوع وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا
الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير
منها قالوا ان الله تعالى امر جبريل عليه الصلوة والسلام ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من
ارض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا وقال ابو خالد اليماني

دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم. وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتني تعبا. وعن الحسن رضي الله تعالى عنه قول أصحاب الجنة إنا إلى ربنا راغبون لا أدري إيمانا كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة فتوقف في أمرهم والأكثرون على أنهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيري. **كذلك العذاب** جملة من مبتدأ وخبر مقدم لإفادة القصر والألف واللام للعهد أي مثل الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا **ولعذاب الآخرة أكبر** أعظم وأشد **لو كانوا يعلمون** أنه أكبر لاحترزوا عما يؤديهم إليه. **إن للمتقين** أي من الكفر والمعاصي **عند ربهم** أي في الآخرة أو في جوار القدس **جنات النعيم** جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما على نعيم الدنيا. وقوله تعالى **أفنجعل المسلمين كالمجرمين** تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فإنهم كانوا يقولون إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده **ما لكم كيف تحكمون** تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وإيذانا بأنه لا يصدر عن عاقل **أم لكم كتاب** نازل من السماء **فيه تدرسون** أي تقرؤون **إن لكم فيه لما تخيرون** أي ما تختارونه وتشتهونه وهمزة إن لكم بالفتح لأنه مدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين وتخير الشيء واختاره أخذ خيره **أم لكم أيمان علينا** أي عهود مؤكدة بالأيمان **بالغة** متناهية في التوكيد وقرئ بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين **إلى يوم القيامة** متعلق بالمقدر في لكم أي ثابتة لكم إلى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون أو ببالغة أي أيمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه وافرة لم تبطل منها يمين **إن لكم لما تحكمون** جواب القسم لأن معنى أم لكم علينا أيمان أم أقسمنا لكم **سلهم** تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاطهم عن رتبة الخطاب أي سل المشركين **أيهم بذلك** الحكم الخارج عن العقول **زعيم** أي قائم يتصدى لتصحيحه **أم لهم شركاء** يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم **فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين** في دعواهم إذ لا أقل من التقليد وقد نبه في هذه الآيات الكريمة على أنه ليس لهم شيء يتوهم أن يتشبثوا به حتى التقليد الذي لا يفيد من تشبث به وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة **يوم يكشف عن ساق** أي يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقيل ساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان أي يوم يكشف عن أصل الأمر فيظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل أو للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل وللمفعول والفعل للساعة أو الحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف الأمر أي دخل في الكشف وناصب الظرف فليأتوا أو مضمر مقدم أي اذكر يوم إلى آخره أو مؤخر أي يوم يكشف عن ساق يكون من الأهوال وعظائم الأحوال ما لا يبلغه الوصف **ويدعون إلى السجود** توبيخا وتعنيفا على تركهم إياه في الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم فيه **فلا يستطيعون** لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه تعقم أصلابهم أي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث فتبقى أصلابهم طبقا واحدا أي فقارة واحدة **خاشعة أبصارهم** حال من مرفوع يدعون على أن أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره فيها **ترهقهم** تلحقهم وتغشاهم **ذلة** شديدة

وقد كانوا

وقد كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقرير أو لأن المراد به الصلاة أو ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف **وهم سالمون** متمكنون منه أقوى تمكن أي فلا يجيبون إليه ويأبونه وإنما ترك ذكره ثقة بظهوره **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث** أي كله إلي فإني أكفيكه أمره أي حسبك من الإيقاع به والانتقام منه أي خل أمره إلي وتخل بيني وبينه فإني عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الأمر على ما قبلها من أحوالهم المحكية أي وإذا كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقرآن وتوكل علي في الانتقام منه وقوله تعالى **سنستدرجهم** استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الأمر السابق إجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في يكذب باعتبار لفظها أي سنستنزلهم إلى العذاب درجة فدرجة بالإحسان وإدامة الصحة وازدياد النعمة **من حيث لا يعلمون** أنه استدراج وهو الإنعام عليهم بل يزعمون أنه إيثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع أنه سبب لهلاكهم **وأملي لهم** وأمهلهم ليزدادوا إثما وهم يزعمون أن ذلك لإرادة الخير بهم **إن كيدي متين** لا يدفع عليه ولا يدفع بشيء وتسميته ذلك كيدا لكونه في صورة الكيد **أم تسألهم** على الإبلاغ والإرشاد **أجرا** دنيويا **فهم** لأجل ذلك **من مغرم** أي غرامة مالية **مثقلون** مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك **أم عندهم الغيب** أي اللوح أو المغيبات **فهم يكتبون** منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك **فاصبر لحكم ربك** وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم **ولا تكن كصاحب الحوت** أي يونس عليه الصلاة والسلام **إذ نادى** في بطن الحوت **وهو مكظوم** مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء فإنه أمر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى وإذ منصوب بمضاف محذوف أي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه أي لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه **لولا أن تداركه نعمة من ربه** وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه **لنبذ بالعراء** بالأرض الخالية من الأشجار **وهو مذموم** مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لأنها هي المنفية لا النبذ بالعراء كما في الحال الأولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهي عنه أمرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى **فاجتباه ربه** عطف على مقدر أي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بأن رد إليه الوحي وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون وقيل استنبأه إن صح أنه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة **فجعله من الصالحين** أي من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلا يكون تركه أولى روي أنها نزلت بأحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين من المسلمين وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف **وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم** وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى أزلقه ويزهقونك وإن هي المخففة واللام دليلها والمعنى أنهم من شدة عداوتهم لك ينظرون إليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر إلي نظرا يكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين إذ روي أنه كان في بني أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث إن العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية **لما سمعوا الذكر** أي وقت سماعهم القرآن على أن لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه **ويقولون** لغاية تحيرهم في أمره عليه الصلاة والسلام ونهاية تجهيلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة بأحكام الطبائع وتنفيرا للناس عنه **إنه لمجنون** وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه الصلاة والسلام رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل **وما هو إلا ذكر للعالمين** على أنه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان

فيهم وتعجيب السامعين من جرأتهم على تفوه تلك العظيمة اي يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين
اي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره ومحيط
بجميع حقائقه مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم والله تعالى الموفق

سورة الحاقة مكية وآياتها ثنتان وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اي الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة او التي يحق فيها الامور
الحقة من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من حقه يحقه
اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولي العلم وايا ما كان
فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافها بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء
خبرها ما الحاقة على ان ما مبتدا ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والاصل ما هي اي اي
شيء هي في حالها وصفتها فان ما يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع الضمير تاكيدا لهولها
هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان تكون ما الاستفهامية
خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان
ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدا وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى وما ادراك اي واي
شيء اعلمك ما الحاقة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على
معنى ان عظم شانها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت
حالها فهي اعظم من ذلك فلا يتسنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك خبره ولا مساغ
ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدا وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب على اسقاط
الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام
معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة
خبرا لقوله تعالى الحاقة وتوكيد لهولها كما مر كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحاقة التي
تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف
والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها
والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه الصلاة والسلام اثر تقرير انه ما ادراه
عليه الصلاة والسلام بها واحوالها كما في قوله تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية ونظائره خلا
ان المبين هناك نفس المسؤول عنها وههنا حال من احوالها كما في قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر
ليلة القدر خير من الف شهر فان المبين هناك نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ها هنا
هول الحاقة وعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما الحاقة كذبت
بها ثمود وعاد فاهلكوا فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة
او الرجفة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت لها صرصرة او شديدة البرد تحرق
ببردها عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم
يقدروا على ردها وقوله تعالى سخرها عليهم الى آخره استئناف جيء به بيانا لكيفية اهلاكهم
بالريح اي سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعات

جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته
او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر لفعله
المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة الاربعاء الى غروب
الاربعاء الاخرى وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها
وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفي
الجمر وقيل مكفي الظعن فترى القوم ان كنت حاضرا حينئذ فيها اي في مهابها او في تلك الليالي والايام
صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل خاوية اي اصول نخل متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من
باقية اي بقية او نفس باقية او بقاء على انها مصدر كالكاذبة والطاغية وجاء فرعون ومن
قبله اي ومن تقدمه وقرئ ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه والمؤتفكات
اي قوم لوط اي اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ التي من جملتها تكذيب البعث
والقيامة فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح
فاخذهم اي الله عز وجل اخذة رابية اي زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء
اذا زاد انا لما طغى الماء بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه عليه
الصلاة والسلام فيما اوحي اليه من الاحكام التي من جملتها احوال القيامة حملناكم اي في اصلاب
آبائكم في الجارية في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء
ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة في فانها ليست صلة للحمل بل متعلقة بمحذوف
هو حال من مفعوله اي رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا
وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صوري لنجعلها اي الفعلة
الفعلة التي هي عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال قدرة
الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها اي تحفظها والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء
ان تحفظه في غير نفسك من وعاء وقرئ تعيها بسكون العين تشبيها له بكبد اذن واعية اي
اذن من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكيره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير
للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ
اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر
بيان عظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره
للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد النفخة الاولى التي عندها
خراب العالم وحملت الارض والجبال اي قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة
او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اي فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضهما ببعض ضربة واحدة
حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ
فحينئذ وقعت الواقعة اي قامت القيامة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي اي السماء يومئذ
واهية ضعيفة مسترخية بعدما كانت محكمة والملك اي الخلق المعروف بالملك على ارجائها اي جوانبها
جمع رجا بالقصر اي تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجؤون الى اكنافها وحافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم
فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملائكة عن النبي صلى الله عليه
وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله تعالى باربعة اخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية

امد دل ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم
على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي
ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب
اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم اثمانية ام ثمانية الاف
وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان تكون الثمانية من الروح او من خلق
آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء
العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشؤونه تعالى اجل من كل ما يحيط به فلك
العبارة والاشارة يومئذ تعرضون اي تسالون وتحاسبون عبر عنه تشبيها له بعرض السلطان
العسكر ليعرف احوالهم روي ان في يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ
واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة
الثانية لكن لما كان اليوم اسما للزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل
الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال من فاعل تعرضون اي تعرضون غير خاف
عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة في العدل او غير خاف
يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية فاما من اوتي كتابه بيمينه
تفصيل لاحكام العرض فيقول ابتهاجا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه ثلاث لغات
لحوقهن ها يا رجل وها يا امراة وهاؤما يا رجلان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة
ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه
اذ الاولى الاضمار حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط
في الوصل واستحب اثباتها في الامام اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعل التعبير عنه بالظن
للاشعار بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية
غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة كما يقال دارع في النسبة بالحرف
او جعل الفعل لها مجازا فهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في
جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف
وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول
والجمع باعتبار المعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا بما اسلفتم بمقابلة ما قدمتم
من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي الماضية في الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروي
يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم
وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الاية واما من اوتي كتابه بشماله وذلك لما
فيه من قبائح الاعمال فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهد من سوء العاقبة
يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى فضمير
ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اي يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه
انه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد يجوز ان يكون للحيوة الدنيا اي يا ليت الحيوة الدنيا كانت الموتة
ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول محذوف او استفهامية
للانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه اي ملكي وتسلطي على الناس

او حجتي

وحجتي التي كنت احتج بها في الدنيا او تسلطي على القوى والالات فعجزت عن استعمالها في العبادات خذوه
حكاية لما يقول الله تعالى يومئذ لخزنة النار فغلوه اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي لا تصلوه
الا الجحيم وهي النار العظيمة ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها
اي طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع
حراكا وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به وثم لتفاوت
ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك في السلسلة في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل
على طريق الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك
اعظم العقوبات ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا عن ان يبذل من
ماله وقيل ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار
مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل
وقسوة القلب فليس له اليوم ها هنا حميم اي قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه
ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين اي من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا
الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطا المقابل للصواب دون المقابل للعمد وعن
ابن عباس هم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقيل يجوز ان يراد بهم الذين يتخطون الحق
الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم اي فاقسم على ان لا مزيدة للتاكيد او محمول على نفي الاقسام
لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى بما تبصرون وما لا تبصرون
كما مر في سورة الواقعة اي اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والاخرة وقيل بالاجسام والارواح
والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم الكل انه اي القرآن لقول رسول يبلغه
عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله تعالى وهو النبي او جبريل عليهما الصلوة والسلام وما هو بقول
شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون ايمانا قليلا تؤمنون ولا بقول كاهن كما تدعون ذلك تارة
اخرى قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون على ان القلة بمعنى النفي اي لا تؤمنون ولا
تتذكرون قيل ذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر
بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاني
القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تامل قطعا
وقرئ بالتاء فيهما تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل عليه الصلوة والسلام ولو تقول
علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة
من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين اي بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب
عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه
بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة فان قاتلهم اذا اراد ان يوقع بجيده تلقاها
عليها باليمين فما منكم ايها الناس من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد
فانه عام وانه اي القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم
وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم ثواب المؤمنين وانه لحق اليقين الذي لا يحوم حوله ريب
فسبح باسم ربك العظيم اي فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى
اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا والله سبحانه الموفق

سورة المعارج اربع واربعون آية

سأل سائل اي دعا داع بعذاب واقع اي استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث حيث قال انكارا واستهزاء
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال
اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحارث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم في علي رضي الله تعالى عنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا
حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل
هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل بعذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى اثر
او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل اي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق
وقوعه اما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهري واما في الآخرة
فهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب اي كائن للكافرين او صلة لواقع او متعلق بسال اي دعا
للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ليس له دافع صفة اخرى لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفة
او بالكافرين او من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة للعذاب او استئناف من الله متعلق بواقع او بدافع اي
ليس له دافع من جهته تعالى ذي المعارج ذي المصاعد التي يصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهي او هي
عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض تعرج الملائكة والروح اي جبريل عليه الصلوة والسلام
افرده بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس اليه
اي عرشه تعالى او الى حيث تهبط منه اوامره تعالى وقيل هو كقول ابرهيم عليه الصلوة والسلام
اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني به في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما يعده الناس وهو بيان
لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى انها من الارتفاع بحيث لو
قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج
الملائكة والروح الى عرشه تعالى في يوم كان مقداره مقدار خمسين الف سنة اي يقطعون في يوم ما يقطعه
الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان
والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات
والمحاسبات وايا ما كان فذلك في حق الكافر واما في حق المؤمن فلا لما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه
انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال عليه الصلوة والسلام والذي نفسي
بيده انه ليخفف على المؤمن حتى انه يكون اخف من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تعالى
فاصبر صبرا جميلا متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك
مما يضجره عليه الصلوة والسلام او كان عن تضجر واستبطاء للنصر وسال سائل او سال سيل
فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام انهم يرونه اي العذاب الواقع او يوم
القيمة على تقدير تعلق في يوم بواقع بعيدا اي يستبعدونه بطريق الاحالة ولذلك [illegible] به
ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة
الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل متعلق بقريبا اي
يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع او بمضمر مؤخر اي يوم تكون السماء كالمهل
يكون من الاهوال والاحوال ما لا يوصف او بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل
الاقرب ان قوله تعالى سال سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة
وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر
او ابو جهل او الفهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسأل به خبيرا وقوله تعالى

ليس له الى آخره استئناف مسوق لبيان وقوع المسئول عنه لا محالة وقوله تعالى ليس له دافع الخ
استئنافا مسوقا لبيان ان الحاصل صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه
قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الى آخره متعلق بليس له دافع او بما يدل هو عليه
اي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب في مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت وتكون الجبال
كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا
بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما اي لا يسأل
قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للفاعل اي لا يطلب
حميم حميما او لا يسأل منه حاله يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما
يمنعهم من التساؤل الا اشتغال كل منهم بحال نفسه وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه
وسواده والاول ادخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استئناف
يود المجرم اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى لو يفتدي من عذاب يومئذ اي العذاب الذي
ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة
ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود
افتداءه ببنيه الى آخره والجملة استئناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى وقيل
هي بمنزلة الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك الا ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه
فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين
عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته اي عشيرته التي فصل
عنهم التي تؤويه اي تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين او الخلائق
ومن للتغليب ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد
الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات
كلا ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير انها اما للنار المدلول عليها
بذكر العذاب او هو مبهم ترجم عنه الخبر الذي هو قوله تعالى لظى وهو علم للنار منقول من اللظى بمعنى
اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص او حال مؤكدة والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة
الرأس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير للقصة ولظى مبتدا
ونزاعة خبره تدعو اي تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين
والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل ليا بهم من ادبر اي عن الحق
وتولى اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكوته وحقوقه وتشاغل
به عن الدين وزهى باقتنائه تجبرا وتكبرا ان الانسان خلق هلوعا الهلع سرعة الجزع عند مس
المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى اذا مسه الشر اي الفقر او
المرض ونحوهما جزوعا مبالغا في الجزع مكثرا منه واذا مسه الخير اي السعة والصحة منوعا مبالغا
في المنع والامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها
واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا الا المصلين استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية
من المطبوعين على القبائح الماضية لاباء نفوسهم عن الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق
والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة
الناشية من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل

والذين في أموالهم حق معلوم أي نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقرباً إلى الله تعالى وإشفاقاً على
الناس من الزكاة المفروضة والصدقات الموظفة للسائل الذي يسأله والمحروم أي الذي لا يسأله فيظن أنه
غني فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين أي بأعمالهم حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية
والمالية طمعاً في المثوبة الأخروية حيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء والذين هم من عذاب
ربهم مشفقون خائفون على أنفسهم مع ما لهم من الأعمال الفاضلة استقصاراً لها واستعظاماً لجنابه
عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون وقوله تعالى إن عذاب
ربهم غير مأمون اعتراض مؤذن بأنه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذاب الله تعالى وإن بالغ في الطاعة والذين
هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين سلف تفسيره في سورة
المؤمنين فمن ابتغى أي طلب لنفسه وراء ذلك وراء ما ذكر من الأزواج والمملوكات فأولئك المتعدون
هم العادون المتعدون لحدود الله تعالى والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشيء من
حقوقها والذين هم بشهاداتهم قائمون يقيمونها بالعدل إحياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر
مع اندراجها في الأمانات لإبانة فضلها وقرئ لأمانتهم وبشهادتهم على إرادة الجنس والذين
هم على صلاتهم يحافظون أي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير
ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخراً باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات وتكرير
الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قوله إلى الملك القرم وابن
الهمام وليث الكتائب في المزدحم إيذاناً بأن كل واحد من الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن
خطير مستتبع لأحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للآخر أولئك
إشارة إلى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان
بعلو شأنهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره في جنات أي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها
ولا يدرك كنهها وقوله تعالى مكرمون خبر آخر أو هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة
الفواصل أو خبر ثان والأول حال من الضمير في الخبر أي مكرمين كائنين في جنات فمال الذين كفروا قبلك مهطعين
مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك عن اليمين وعن الشمال عزين أي
فرقاً شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى كان المشركون
يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقاً حلقاً وفرقاً فرقاً ويستهزئون بكلامه عليه الصلاة
والسلام ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت
أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم بلا إيمان كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ إنا خلقناهم
مما يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون كما في قول الأعشى أأزمعت من
آل ليلى ابتكاراً وشطت على ذي هوى أن تزارا وهو تكميل النفس بالإيمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك
فهو بمعزل من أن يتبوأ مبوأ الكاملين فمن أين لهم أن يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وإنكار
البعث وقيل معناه إنا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون
لندخلن الجنة قبلهم وقيل إنهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل الإيمان
والطاعة ولم يتخلق بأخلاق الملائكة لم يستعد دخولها ولا يخفى ما في الكل من التمحل والأقرب أنه كلام
مستأنف قد سيق تمهيداً لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم
قوماً آخرين فإن قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الأولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح

عنه الفاء

عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب والمعنى إذا كان الأمر كما ذكر
من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم
أي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين
بمغلوبين إن أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم فذرهم فخلهم
وشأنهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الأولى كما توهم فإن قوله تعالى يوم يخرجون
من الأجداث بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الإخراج سراعاً حال من مرفوع يخرجون
أي مسرعين كأنهم إلى نصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون
وسكون الصاد أيضاً يوفضون يسرعون خاشعة أبصارهم وصفت أبصارهم بالخشوع مع أن الموصوف
الكل لما أن آثاره تظهر فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذي ذكر ما سيقع فيه من الأحوال
الهائلة اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل
سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون صدق الله وصدق رسوله

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك أي بأن أنذرهم على أن أن مصدرية
حذف منها الجار وأوصل إليها الفعل فإن حذفه مع أن وأن مطرد وجعلت صلتها أمراً كما في قوله تعالى
وأن أقم وجهك لأن مدار وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والإنشائية
ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف إلا بالجمل الخبرية
وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بهما
فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهي والمضي والاستقبال
كأنه قيل أرسلناه بالإنذار وقيل المعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز
أن تكون أن مفسرة لما في الإرسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الإعراب وعلى الأولين فالنصب عند
سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرئ أنذر بغير أن على إرادة القول من قبل
أن يأتيهم عذاب أليم عاجل أو آجل لئلا يبقى لهم عذر ما أصلاً قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
إرساله عليه الصلاة والسلام بالوجه المذكور كأنه قيل فماذا فعل عليه الصلاة والسلام فقيل قال لهم يا قوم
إني لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة الأمر وقوله تعالى أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون
متعلق على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم أي بعض ذنوبكم وهو ما كان في الجاهلية فإن الإسلام
يجبه ويؤخركم إلى أجل مسمى هو الأمد الأقصى الذي قدره الله تعالى لهم بشرط الإيمان والطاعة وراء
ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فإن وصف الأجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم إليه بالإيمان والطاعة
صريح في أن لهم أجلاً آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى إن أجل الله أي ما قدره لكم على تقدير بقائكم
على الكفر إذا جاء وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا إلى الإيمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق
شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير إلى الأجل المسمى فتؤخروا إليه وهو دليل واضح
وقت إنذار العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل أن يأتيهم عذاب أليم فإنه أجل موقت له حتماً وحمله على الأجل المسمى
لو كنتم تعلمون شيئاً لسارعتم إلى ما أمرتكم به قال أي نوح عليه الصلاة والسلام مناجياً ربه تعالى وحاكياً له
تعالى وهو أعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعدما بذل في الدعوة

غاية الجهود وجاوز في الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل قال رب اني دعوت قومي الى الايمان والطاعة ليلا ونهارا اي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي الا فرارا مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم اي الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم اي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم اي بالغوا في التغطي بها كأنهم طلبوا من ثيابهم ان تغشاهم او لتغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم واصروا اي اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي وطاعتي استكبارا شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او اريد بدعوتهم جاهرتهم صفة لمصدر اي دعوتهم دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدر في موقع الحال اي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي انه كان غفارا للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يجب ما سلف منهم من المعاصي ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع في قلوبهم واحب اليهم من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم انهم ان آمنوا يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه يرسل السماء عليكم مدرارا اي كثير الدرور وقيل السماء المظلة لان المطر منها الى السحاب ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية ما لكم لا ترجون لله وقارا انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ولله تعالى بمعنى وقيل الامر وقارا ولو تأخر لكان صفة له اي اي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له وقد خلقكم اطوارا اي والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه بالكلية وهي انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأكم خلقا آخر فان التقصير في توقير من هذه شؤونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الامل اي ما لكم لا تأملون لله تعالى توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والاول هو الذي تستدعيه جزالة التنزيل لتوجه الانكار الى الكفرة واستبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد دخولا اوليا لعدم رجائهم لتعظيم الله تعالى اياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد ولذلك مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف وفي قوله ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضي ان يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اي عذركم في ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما لكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية يقولون لم ارج اي لم ابال وقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا

اي طابقة

اي مطابقة بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا اي منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه في السماء الدنيا لما انها لطائف محاسن السموات فما فيها يكون في الكل او لان كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كأنه في الكل وجعل الشمس سراجا تزيل ظلمة الليل ويتبصر اهل الدنيا في ضوئها وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور في الجملة والله انبتكم من الارض نباتا اي انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى مصدرا او لنبتم المقدر اي انبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الاخرى كما مر في قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث والحشر اخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين جعل ومفعوليه مع ان حقه التأخير لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اي كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفة لها قال نوح اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه اي قال مناجيا له تعالى رب انهم عصوني اي تموا على عصياني فيما امرتهم به مع ما بالغت في ارشادهم بالعظة والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارتهم في الآخرة فصاروا اسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها مكرا كبارا اي كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم الناس عنه واغراؤهم وتحريضهم على اذية نوح عليه الصلاة والسلام وقالوا لا تذرن آلهتكم اي لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اي ولا تذرن عبادتها ولا تخصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من اولاد آدم عليه الصلاة والسلام ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد اضلوا اي الرؤساء كثيرا خلقا كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اي قال رب انهم

عصوني فقال ولا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط
وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما
في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده ما سبق من دعائه عليه الصلوة والسلام مما خطاياهم
اي من اجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يرها جعلها نكرة وجعل
خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم اغرقوا بالطوفان لا باسباب اخر فادخلوا نارا المراد
بها اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون
من جانب او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار
اما لتعظيمها وتهويلها او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون
الله انصارا اي لم يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى
وبانها غير قادرة على نصرهم تهكما بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عطف
على نظيره السابق وقوله مما خطيئاتهم الى آخره اعتراض وسط بين دعائيه عليه الصلوة والسلام للدلالة
على ان ما اصابهم من الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه الصلوة والسلام وبينهم
من الاحوال والاقوال والاخرى عن حكاية دعائه بهذا وديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام فيعال من الدار
او من الدور اي احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل
بسيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا
يلدوا الا فاجرا كفارا اي الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى ان يعترض عليه
من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم
ومن اعقابهم بعدما جربهم واستقرأ احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لي ولوالدي ابو لمك بن متوشلخ
وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحوى وقرئ ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي
اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه الصلوة
والسلام بخروجه الا بعدما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات
عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا قيل غرق
معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العذاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم باراءة هلاك اطفالهم
الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه الصلوة والسلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى
وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب
آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة نوح عليه الصلوة والسلام كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه الصلوة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي فقرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد
في وعد انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشأن استمع اي القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد حذف
لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم
النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على
انه عليه الصلوة والسلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته
فسمعوها فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم

انا سمعنا قرآنا كتابا مقروءا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر
وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اي بذلك القرآن ولن نشرك بربنا احدا
حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا قال وهو وما بعده من الجمل المصدرة بان في
احد عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا
اي ارتفع عظمة من جد فلان في عيني اي عظم ملكه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو
البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقرئ بالكسر وكذا
الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراجها تحت القول واما اندراج الجمل
الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط بتحقيقه
وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا
بالكسر اي صدق ربوبيته كانه تعالى عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد
والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيهه تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد
فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا
اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة للحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة
الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا
عالمين بقول سفيههم بل من قبيل اعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا
في حقه تعالى كان شططا واما تعلقهما بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا
فغير ظاهر وهو اعتذار منهم على تقليدهم لسفيههم اي كنا نظن ان لن يكذب على الله احد ولذلك اتبعنا
قوله كذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدر محذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه
ومن قرأ لن تقول بحذف احدى التاءين فكذبا مصدر مؤكد لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا امسى في واد قفر وخاف يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه
يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى فزادوهم اي
زاد الرجال العائذون الجن رهقا اي تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم
وانهم ظنوا كما ظننتم اي الانس ايها الكفرة ان لن يبعث الله احدا الى آخره تكلم بعض الجن والآية مع ما قبلها
من جملة الكلام الموحى به والاولى ايضا كذلك فهي على كل تقدير عطفا على انه استمع فلا معنى لادراجها تحت ما ذكر
من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى وانا لمسنا السماء وما بعده من الجمل المصدرة بان ينبغي ان تكون معطوفة
على ذلك على ان الوحي عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات حاكية لما
بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه
فوجدناها ملئت حرسا اي حراسا اسم جمع كالخدم مفرد اللفظ فلذلك قيل شديدا قويا وهم الملائكة
الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار الكواكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها من السماء
مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اي لاجل السمع
او بمضمر هو صفة لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الآن في مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا
له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس قيل حدث
هذا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انه كان قبل المبعث ايضا لكنه كثر بعد البعثة وزاد
زيادة شديدة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض
فذلك قولهم وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا

الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره
وانا منا الصالحون اي الموصوفون بصلاح الحال في شأن انفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير
والصلاح حسبما يقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ومنا دون ذلك
اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون في صلاح الحال على الوجه المذكور لا في الايمان والتقوى كما توهم فان
هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى كنا طرائق قددا واما حالهم بعد استماعه فيحكيه قوله تعالى
وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون الخ اي كنا قبل هذا ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال
او كانت طرائقنا قددا اي متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اي علمنا الآن ان لن
نعجز الله اي ان الشأن لن نعجز الله كائنين في الارض اينما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا اي هاربين وانا لما سمعنا
الهدى اي القرآن الذي هو الهدى بعينه آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله فلا يخاف فهو لا يخاف
بخسا اي نقصا في الجزاء ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس لاحد حقا ولا رهق ظلم احد حتى يخاف
جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله تعالى ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة
المؤمن واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق الذي هو الايمان والطاعة
فمن اسلم فاولئك اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما
القاسطون الجائرون عن سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا
ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى اوحي الي ان الشأن لو استقام الجن او الانس
او كلاهما على الطريقة التي هي ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا اي لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء
الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة
المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يستكبر عن السجود لآدم عليه الصلاة والسلام
ولم يكفر وتبعه ولده في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه
لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم في الفتنة
ونعذبهم على كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه ندخله عذابا
صعدا اي شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله
عطف على قوله تعالى انه استمع اي واوحي الي ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا
تدعوا اي فلا تعبدوا فيها مع الله احدا غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام وقيل المعنى لان كل ناحية منه
مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل مواضع السجود على ان المراد به السجود على الاعضاء السبعة وقيل السجدات على انه جمع مسجد مصدر ميمي
وانه من جملة الموحى اي واوحي الي ان الشأن لما قام عبد الله اي النبي صلى الله عليه وسلم وايراده بلفظ العبد للاشعار
بما هو المقتضي لقيامه وعبادته للتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اي يعبده وذلك
قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله في الاحقاف كادوا اي الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم تعجبا
مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء اصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم
يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه الصلاة والسلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين
واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهي بمعنى اللبدة ولبدا
جمع لابد كساجد وسجدا ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر
ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا بربي في العبادة ليس ذلك
ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتي وقرئ قال على انه حكاية لقوله عليه الصلاة والسلام للمتراكمين عليه

عليه والاول

عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا نفعا من كلي المتقابلين
ما ذكر في الاخر قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا ملجأ ومعدلا وهذا
بيان لعجزه صلى الله عليه وسلم عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك
فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا اي لن اجد من دونه
ملتحدا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان
لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا
ومن الله صفة له اي لا املك لكم الا تبليغا كائنا من الله تعالى ورسالاته التي ارسلني
بها ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ بفتح
الهمزة على فحقه او فجزاؤه ان له نار جهنم خالدين فيها في النار او في جهنم والجمع باعتبار المعنى
ابدا بلا نهاية وقوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف
الكفار لانصاره عليه الصلاة والسلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا
رأوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا
وحمل ما يوعدون على ما رأوه يوم بدر يأباه قوله تعالى قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون
ام يجعل له ربي امدا فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له
واستهزاء به فقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته فما ادري متى يكون عالم الغيب بالرفع على انه بدل من
ربي او بيان له وقرئ بالنصب على المدح وقوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا اذ يكون النظم حينئذ لم يحصل
لعالم الغيب احد فلا يظهر عليه احدا وفيه من الاخلال ما لا يخفى ومن جعله خبر مبتدأ محذوف اي هو عالم الغيب والجملة
استئنافا مقررا لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده اي تعلم الغيب على الاطلاق
اي فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه
الا من ارتضى من رسول اي الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه
بيان من ارتضى بالرسول تعلقا اما لكونه من مبادي رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها
واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها في
الآخرة وما تتوقف هي عليه من احوال الآخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية
التي بيانها من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت قيام
الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة
وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل
لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعي احد لاحد من الاولياء ما في رتبة
الرسل عليهم الصلاة والسلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى فانه يسلك من بين
يديه ومن خلفه رصدا تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اي فانه تعالى
يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره
عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية
له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة
من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي يريد
اظهاره لمن ارتضى من رسول والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع
جوانب المرتضى ليعلم ان الشأن قد ابلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو

ان يتعلق بموجود حاصل بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعدما ابلغها الرصد اليهم كذلك قوله تعالى **واحاط بما لديهم** اي بما عند الرصد والرسل عليهم الصلوة والسلام حال من فاعل يبلغوا باضمار قد وقيد له على الحق للشهود يجي بها تحقق استغنائه تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور اي يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليرتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا **واحصى كل شيء** مما كان وما سيكون **عددا** اي فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شيء وقيل هو حال اي معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصاء واياما كان ففائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلي اجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم الى آخره معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك واحاط بما لديهم الى آخره فبمعزل من السداد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة والحمد لله

سورة المزمل ثماني عشرة آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها بادغام التاء في الزاي وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل بتخفيف الزاي من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه الصلوة والسلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه الصلوة والسلام على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليه الصلوة والسلام وبوادره ترعد فقال زملوني فحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيصه بوصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه الصلوة والسلام لعلي رضي الله تعالى عنه حين غاضب فاطمة رضي الله تعالى عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما هو امر النبوة اي حمله والزمل الحمل فان تحمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعلية القيام او للامر به فان تحمله عليه الصلوة والسلام لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة **قم الليل** اي قم الى الصلوة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلوة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها **الا قليلا** استثناء من الليل وقوله تعالى **نصفه** بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل اي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في كله في الكثرة في الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عراء الاعتبار عن الفائدة خلاف الظاهر **او انقص منه** اي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الاولى **قليلا** اي نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف الليل **او زد عليه** اي زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى

تخييره

تخييره عليه الصلوة والسلام بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية وان اعتد بتساوي النصفين مع كونه تعسفا ظاهرا فالحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا وقيل والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله اعلم بما في كتابه الجليل **ورتل القرآن** في اثناء ما ذكر من القيام اي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف **ترتيلا** بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا **انا سنلقي عليك** اي سنوحي اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى **قولا ثقيلا** وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلوة والسلام مأمور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه الصلوة والسلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله تعالى عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا **ان ناشئة الليل** اي ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية او ان العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ **هي اشد وطأ** اي هي خاصة اشد ثبات قدم وكلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اي اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص **واقوم قيلا** واشد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات **ان لك في النهار سبحا طويلا** اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من تسبيخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه **واذكر اسم ربك** ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم **وتبتل اليه** اي وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه الصلوة والسلام عن العوائق الصادة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل **تبتيلا** مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل **رب المشرق والمغرب** مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره **لا اله الا هو** وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم وجوابه **لا اله الا هو** والفاء في قوله تعالى **فاتخذه وكيلا** لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى **واصبر على ما يقولون** مما لا خير فيه من الخرافات **واهجرهم هجرا جميلا** بان تجانبهم ولا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى **وذرني والمكذبين** اي دعني واياهم وكل امرهم الى فاني اكفيكهم **اولي النعمة** ارباب التنعم وهم صناديد قريش **ومهلهم قليلا** زمانا قليلا

ان لدينا انكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل مقابل تثقيل الكفر ايمانا بنا ابو الشدائد لتنعمهم وجحيما
وطعاما ذا غصة ينشب في الحلق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب
هو لا الايقاد قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال
اي تضطرب وتتزلزل ظرف لما استقر الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اي عذابا واقعا
يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل
بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيله اذا نثره واسبل انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة
رسولا شاهدا عليكم يشهد يوم القيمة بما صدر منكم من الكفر والمعاصي كما ارسلنا الى فرعون
رسولا هو موسى عليه الصلاة والسلام ولم نعينه لعدم دخله في التشبيه فعصى فرعون
الرسول الذي ارسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا ارسلنا اليكم
رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا
فعصاه وقوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا خارج من التشبيه جيء به للتنبيه على انه
سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل وخيم
لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخم فكيف تتقون اي كيف تقون انفسكم ان كفرتم
بقيتم على الكفر يوما اي عذاب يوم يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي
شيبا شيوخا جمع اشيب اما حقيقة او تمثيلا لان الهموم والاهوال اذا تفاقمت على الانسان
ضعفت قواه واسرعت فيه الشيب وقد يجوز ان يكون تخييلا ووصفا لليوم بالطول وليس بذاك السماء منفطر
اي منشق وقرئ متفطر ومتشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اي شيء منفطر عبر عنها
بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه
بالشيء وقيل لتاويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب اي ذات انفطار والباء في قوله تعالى
به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل والمصدر
مضاف الى فاعله او اليوم وهو مضاف الى مفعوله ان هذه اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة
تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج
الموصل الى مرضاته تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل منهما استعير الادنى
لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى
وقرئ بالجر عطفا على ثلثي الليل وطائفة من الذين معك اي ويقوم معك طائفة من اصحابك
والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر على تقديرهما احد سواه فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ
مبنيا يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي علم ان الشان
لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام
المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه فاقرءوا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر
عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم
القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن في ليلة
لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية علم ان سيكون منكم مرضى
استئناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف وآخرون يضربون في الارض يسافرون
فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم وآخرون
يقاتلون في سبيل الله والكل ان الامر كما ذكر وينتظم في صدد الداعي الى الترخيص فاقرءوا ما تيسر منه

من غير

من غير تحمل المشاق واقيموا الصلاة اي المفروضة وآتوا الزكاة الواجبة وقيل هي زكاة الفطر اذ لم يكن
بمكة زكاة ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا اريد به الانفاق
في سبيل الخيرات او اداء الزكاة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان مما ذكر
وما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثاني
مفعولي تجدوه وهو تأكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف
التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو عن تفريط
ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي اول سورة نزلت روي عن
جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت
عن يميني وعن يساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه
فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول
ما نزل سورة اقرأ الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل
عليه الصلاة والسلام وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر
وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه
وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم
المفعول من دثره اي الذي دثر بالفضل قم اي من مضجعك او قم قيام عزم فانذر اي افعل الانذار واحدثه وقيل
انذر قومك لقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا وروي
انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل
على تكبير الصلاة والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ما كان اي اي شيء حدث فلا تدع تكبيره اي للدلالة
على ان المقصود الاول من الانذار والقيام ان يكبر ربه وينزهه عن الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع
من جهة انه ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه وثيابك فطهر مما ليس بطاهر فانه واجب في الصلاة واولى واحب
في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان تطويلها
يؤدي الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عليه الصلاة والسلام من رفض العادات المذمومة
وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال وتبعيدها عن مستقبحات الخصال فقد ورد طاهر الذيل والاردان
اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ودنس الثياب للغادر والرجز فاهجر اي واهجر العذاب بالثبات على هجر ما
يؤدي اليه من الاثم وقرئ بضم الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا
اي رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا الكثير على انه نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض
من الموهوب له اكثر مما اعطاه فهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص
برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن الآداب او للتنزيه
وقرئ تستكثر بالسكون لشبه ثرو بعضد او بالابدال من تمنن على انه من المن في قوله تعالى
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لان من يمن بما يعطي يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار ان وقد اعملها
كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وقرئ باثباتها في قراءة ابن مسعود ان تستكثر

كما يؤدي الوعاء بالدفع ولربك اي لوجهه تعالى ولامره فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرائض فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوما هائلا يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر والتقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال من المستكن فيه وقوله تعالى غير يسير تأكيد لعسره عليهم مشعر بتيسيره على المؤمنين واختلف في ان المراد به يوم النفخة الاولى او الثانية والحق انها الثانية اذ هي التي يختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذي هو الاصعاق يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا حال اما من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فتهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه لكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما او وحيدا في الشرارة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر من نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له في الطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة آلاف دينار وقال الثوري الف الف دينار وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كانوا عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد واستنكار لطمعه ولحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى انه كان لآياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمه مع سبوغها مما يوجب حرمانها بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا سأغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة او الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد واستحقاق له او بيان لعناده لآيات الله تعالى اي فكر ماذا يقول في شأن القرآن وقدر في نفسه ما يقوله فقتل

كيف قدر

كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني ثم نظر اي في القرآن مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى ان هذا الا قول البشر تأكيد لما قبله ولذلك اخلي عن العاطف سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا وما ادراك ما سقر اي اي شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدأ اي اي شيء هي في وصفها فان ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى لا تبقي ولا تذر بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما ادراك ما سقر اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة للبشر مغيرة لاعالي الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة تدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اي ملكا او صنفا او صفا او نقيبا من الملائكة يتولون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اطوع الخلق لله تعالى واقومهم بحقه والغضب له تعالى واشدهم بأسا روي ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فنزلت اي وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي وما جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم

العدد القليل لتعذيب أكثر الثقلين لعلمهم أنه ليس كما ذكروا وعليه مدار ما سيأتي من استيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين إيماناً قالوا المخصص لهذا العدد أن اختلاف النفس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثني عشر والطبيعية السبع أو أن جهنم سبع دركات ستة منها لأصناف الكفرة وكل صنف يعذب منها بترك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعاً من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك أو صنف أو صف يتولاه وواحدة لعصاة الأمة تعذب فيها بترك العمل نوعاً يناسبه ويتولاه واحد وأن الساعات أربع وعشرون خمس منها مصروفة في الصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف إلى ما يؤاخذ به بأنواع من العذاب يتولاها الزبانية ليستيقن الذين أوتوا الكتاب متعلق بالجعل على المعنى المذكور أي ليكتسبوا اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقاً لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا إيماناً أي يزداد إيمانهم كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك أو كمية بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما أنزل ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وإنما لم ينظم المؤمنون في سلك أهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالاً فإن انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الإيمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض شك أو نفاق فيكون إخباراً بما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون المصرون على التكذيب ماذا أراد الله بهذا مثلاً أي أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب وإفراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للإشعار باستقلاله بالشناعة كذلك يضل الله من يشاء ذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهداية ومحل الكاف في الأصل النصب على أنها صفة لمصدر محذوف وأصل التقدير يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء إضلالاً وهداية كائنين مثل ما ذكر من الإضلال والهداية فحذف المصدر وصفته وأقيم مقامه ثم قدم على الفعل لإفادة القصر فصار النظم مثل ذلك الإضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء إضلاله لصرف اختياره إلى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات إلى جانب الهدى لا إضلالاً وهداية أدنى منهما وما يعلم جنود ربك أي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون إلا هو إذ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو إجمالاً فضلاً عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة وما هي أي سقر أو عدة خزنتها أو الآيات الناطقة بأحوالها إلا ذكرى للبشر إلا تذكرة لهم كلا ردع لمن أنكرها أو إنكار ونفي لأن تكون لهم تذكرة والقمر والليل إذ أدبر وقرئ إذا دبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه قولهم صاروا كأمس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار إذا خلفه والصبح إذا أسفر أي أضاء وانكشف إنها لإحدى الكبر جواب للقسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع قاصعاء أي لإحدى البلايا أو الدواهي الكبر على معنى أن البلايا الكثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظيرة لها نذيراً للبشر تمييز أي لإحدى الكبر إنذاراً أو حال مما دلت عليه الجملة أي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على أنه خبر بعد خبر أو لأن

مثبتا

مثبت المحذوف لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر بدل من للبشر أي نذيراً لمن شاء منكم أن يسبق إلى الخير فيهديه الله تعالى أو لم يشأ ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وأن يتقدم أو يتأخر مبتدأ في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة ولو أريدت لقيل رهين لأن فعيلاً بمعنى مفعول لا تدخله التاء إلا أصحاب اليمين فإنهم فاكون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل هم الأطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه الصلاة والسلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بأيمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء أصحاب اليمين كأنه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل حال من أصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بالتساؤل أن يسأل بعضهم بعضاً على أن يكون كل واحد منهم سائلاً ومسؤولاً معاً بل صدور السؤال عنهم مجرداً عن وقوعه عليهم فإن صيغة التفاعل وإن وضعت في الأصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معاً بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً كما في قولك تراءى القوم أي رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيقصد بها الدلالة على الأول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون عن المجرمين يسألونهم عن أحوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه وقوله تعالى ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون أي يسألونهم قائلين أي شيء أدخلكم فيها فإنما وقع عنه ما تكلف فيه المتكلفون قالوا أي المجرمون مجيبين للسائلين لم نك من المصلين للصلاة الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الإطعام لا على نفي استمرار الإطعام كما مر مراراً وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة وكنا نخوض مع الخائضين أي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين أي بيوم الجزاء أضافوه إلى الجزاء مع أن فيه من الدواهي والأهوال ما لا غاية له لأنه أدهى لهولها وأنهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتأخير جنايتهم هذه مع كونها أعظم من الكل لتفخيمها كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارناً لسائر جناياتهم المعدودة مستمراً إلى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم حتى أتانا اليقين أي الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعاً والفاء في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة لترتيب إنكار إعراضهم عن الصواب بغير سبب على ما قبلها من موجبات الإقبال والاتعاظ بهم من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبراً لما الاستفهامية وعن متعلقة به أي فإذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الإقبال عليه وتعاضد الدواعي إلى الإيمان به وقوله تعالى كأنهم حمر مستنفرة حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل أي مشبهين بحمر نافرة فرت من قسورة أي أسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل جماعة الرماة الذين يصيدونها شبهوا في إعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما أفزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قراطيس تطوى وتنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا

كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع لهم عن اقتراحهم الآيات بل لا يخافون
الآخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه اي القرآن تذكرة
واي تذكرة فمن شاء ذكره اي فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة الدارين وما يذكرون بمجرد مشيئتهم الذكر كما هو
المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته في افعاله
في قوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما يذكرون بعلة من العلل
او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله او حال ان يشاء الله ذلك وهذا تصريح بان افعال العباد بمشيئة الله
عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى اي حقيق بان
يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل المغفرة اي حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذبه

سورة القيمة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة
مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هي للنفي لكن لا لنفي الاقسام بل لنفي ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه
كان معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واما
ما قيل ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه من قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل
ان لا نفي ورد لكلامهم كانهم قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك وقيل اقسم بيوم القيمة
من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم بالنفس اللوامة
اي النفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرها في التقوى فحينئذ لطرفين من البراعة التي في
القسم لسياق اما بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس لما روي عنه عليه الصلوة
والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازد
وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام
بالاقسام فان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة وقيل بنفس آدم عليه الصلوة
والسلام فانها لا تزال تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى
ايحسب الانسان الن نجمع عظامه وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع
واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب الانسان ان الشان لن
نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب
وبعدما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار قالوا ان عدي بن ابي ربيعة ختن
الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام بلى اي نجمعها حال كوننا
قادرين على ان نسوي بنانه اي نجمع سلاميات بنانه ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها
فكيف بكبار العظام او على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون
اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله او اضراب
عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام اي بل يريد ليدوم على فجوره
فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبل من الزمان لا يرعوي عنه يسئل ايان يوم القيمة استبعادا

او استهزاء

او استهزاء فاذا برق البصر اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح
الراء وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي انفتح وانفرج وخسف القمر
اي ذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما الله تعالى من المغرب
وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وتذكير
الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اي يوم اذ يقع هذه الامور اين المفر اي
الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اي موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع كلا
ردع عن طلب المفر وتمنيه لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو
وزرك الى ربك يومئذ المستقر اي اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى
مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤا الانسان يومئذ اي يخبر كل
امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب
بالثاني واخر اي لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة
وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من ماله فتصدق به في حياته وبما اخر
فخلفه او وقفه او وصى به او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة
على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما ينبئ عنه كلمة على وما سيأتي من الجملة الحالية
وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة
او التاء للمبالغة ومعنى بل الترقي اي ينبؤا الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله
شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى ولو القى معاذيره اي ولو جاء بكل
معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه من التمسك في نصرته او من قرن غاية ... اي هو بصيرة
على نفسه تشهد عليه جوارحه فتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبؤا باعماله
ولو اعتذر الى آخره والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار
وهو الستر اي ولو ارخى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل
عليه الصلوة والسلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه
فامر عليه الصلوة والسلام بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضي اليه وحيه ثم
يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اي بالقرآن لسانك عند القاء الوحي
لتعجل به اي لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك بحيث لا
يذهب عليك شيء من معانيه وقرآنه اي اثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه اي اتممنا قراءته
عليك بلسان جبريل عليه الصلوة والسلام واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التأني
فاتبع قرآنه فكن مقفيا له ولا تراسله ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل عليك من معانيه
واحكامه كلا ردع له صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وترغيب له في الاناة وقوله
تعالى بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة على تعميم الخطاب للكل اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم
من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة على تعميم الخطاب
للكل اي بل انتم يا بني آدم وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين
باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اي وجوه
كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم
على ان وجوه مبتدأ ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة في قوله تعالى الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتدأ او نعت لناضرة

والى ربها متعلق بناظرة وصح وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل الاعلى ان ناضرة صفة
لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث
لم يكن ثبوت النضرة للوجوه الذي يتحقق لم يخبر به والمعنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه مستغرقة في مطالعة
جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيفية ولا على جهة وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه
نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر
وان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى **ووجوه يومئذ باسرة** شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة **تظن**
تتوقع اربابها **ان يفعل بها فاقرة** داهية عظيمة تقصم فقار الظهر **كلا** ردع عن ايثار
العاجلة على الاخرة اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين
العاجلة من العلاقة **اذا بلغت التراقي** اي بلغت النفس اعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة
النحر عن يمين وشمال **وقيل من راق** قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية
وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي **وظن**
انه الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها **والتفت الساق بالساق** التفت
ساقه بساقه والتوت عليها عند حلول الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الاخرة
وقيل هما ساقاه حين يلفان في كفنه **الى ربك يومئذ المساق** اي الى الله والى حكمه يساق لا الى
غيره **فلا صدق** ما يجب تصديقه من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي نزل عليه او فلا صدق
ماله **ولا صلى** ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله تعالى ايحسب الانسان
وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة كما مر **ولكن كذب** ما ذكر من الرسول
والقرآن **وتولى** عن الطاعة **ثم ذهب الى اهله يتمطى** يتبختر افتخارا بذلك من المطو فان المتبختر يمد
خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه **اولى لك فاولى** اي ويل لك واصله
اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل من الويل بعد
القلب كادنى من يدون وقيل من آل يؤول بمعنى عقباك النار **ثم اولى لك فاولى** اي يتكرر عليه ذلك مرة
بعد اخرى **ايحسب الانسان ان يترك سدى** اي يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك
في قبره فلا يبعث وقوله تعالى **الم يك نطفة من مني يمنى** الى اخره استئناف وارد لابطال الحسبان
المذكور فانهم لما كانوا استبعدوا الاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق **ثم كان علقة** اي بقدرة
الله تعالى لقوله ثم خلقنا النطفة علقة **فخلق** اي فقدر بان جعلها مضغة **فسوى** فعدله وكمل نشأته
فجعل منه اي من الانسان **الزوجين** اي الصنفين **الذكر والانثى** بدل من الزوجين **اليس ذلك** العظيم الشأن
الذي انشأ هذا الانشاء البديع **بقادر على ان يحيي الموتى** وهو اهون من البدء في قياس العقل روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

سورة الانسان [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى استفهام وتقرير فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى **على الانسان** قيل زمان قريب **حين**
من الدهر اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد **لم يكن شيئا مذكورا** بل كان شيئا منسيا غير
مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة منفية حال من الانسان اي غير مذكور
او صفة اخرى لحين على حذف العائد الوصفي اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس [illegible]

في قوله

في قوله تعالى **انا خلقنا الانسان من نطفة** لزيادة التقرير وآدم عليه الصلاة والسلام
وهو المروي عن ابن عباس وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي قال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه
مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك
انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة
وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الحين المذكور ههنا
هو الزمن الطويل الذي لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى قوله عليه الصلاة والسلام [illegible]
بيان لخلق بنيه **امشاج** اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وصف النطفة به
لان المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة
فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما
كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقال القرطبي وقد
روي هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة
ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى **نبتليه** حال من فاعل خلقنا اي مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما
سيأتي او ناقلين له من حال الى حال من طريقة الاستعارة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه نصرفه
في بطن امه نطفة ثم علقة الى اخره **فجعلناه سميعا بصيرا** ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية
ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب
عليه قوله تعالى **انا هديناه السبيل** بانزال الآيات ونصب الدلائل **اما شاكرا واما كفورا** حالان من
مفعول هديناه اي مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حاليه جميعا او التقسيم والتفصيل
اي هديناه الى ما يوصل اليها في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر وبعضهم كفور او على وصف السبيل بوصف
سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب اي اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بجبر
منا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران
وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط **انا اعتدنا للكافرين** من افراد الانسان الذي هديناه السبيل **سلاسل**
بها يقادون **واغلالا** بها يقيدون **وسعيرا** بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما
في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية ولان الانذار
اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان في وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب **ان الابرار** شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر
بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب
وشاهد واشهاد قيل هو من لا يخالفه اي يطيعه وقيل من يمتثل امره تعالى وقيل من يؤدي حق الله تعالى
ويوفي بالنذر عن الحسن البر من لا يؤذي الذر **يشربون من كاس** اي من زجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق
على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية او بيانية **كان مزاجها** اي ما يمزج به
كافورا اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كاس
وقوله تعالى **عينا** بدل من كافور وعن قتادة يمزج لهم الكافور ويختم لهم بالمسك وقيل يخلق فيها رائحة
الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير
مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى **يشرب بها عباد الله** صفة
عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من
وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى يشربون العين
بتلك الكاس **يفجرونها تفجيرا** اي يجرونها حيث ما شاؤوا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل
يجري جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى **يوفون بالنذر** استئناف مسوق

بها تقادون واغلالا بها تقيدون مع

بيان ما لأجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الأبرار إجمالا كأنه
قيل ماذا فعلوا حتى رزقوا تلك المرتبة العالية فقيل يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجبه الله
تعالى عليهم ويخافون يوما كان شره عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا في الأقطار غاية الانتشار
من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه أي
كائنين على حب الطعام والحاجة إليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون أو على حب الإطعام
بأن يكون ذلك بطيب النفس أو كائنين على حب الله تعالى أو إطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الأنسب
لما سيأتي من قوله تعالى لوجه الله تعالى مسكينا ويتيما وأسيرا أي أسير كان فإنه صلى الله عليه وسلم
كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه أو أسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك
والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك
إنما نطعمكم لوجه الله على إرادة قول هو في موقع الحال من فاعل يطعمون أي قائلين ذلك بلسان الحال
أو بلسان المقال إزاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للأجر وعن الصديقة
رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فإذا ذكر دعاءهم دعت
لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا أي شكرا
إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا وهو في الشدة والضراوة قمطريرا شديد العبوس فلذلك نفعل
بكم ما نفعل رجاء أن يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم إرادة الجزاء والشكور أي إنا نخاف عقاب
الله تعالى إن أردناهما فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا
أي أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم
على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وإيثار الأموال جنة بستانا يأكلون
منه ما شاؤوا وحريرا يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الحسن والحسين
رضي الله عنهما مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله تعالى
عنه لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما رضي الله عنهم إن برئا مما بهما أن يصوموا
ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلاثة أصوع من شعير
فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا
فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله تعالى
من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم
وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي بيد
الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم فأقبلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون
كالفراخ من شدة الجوع قال عليه الصلاة والسلام ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم وقام فانطلق معهم
فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه الصلاة
والسلام وقال خذها يا محمد هنأك الله تعالى في أهل بيتك فأقرأه السورة متكئين فيها على الأرائك
حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير إبراز الضمير والأرائك هي السرر في الحجال
وقوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا إما حال ثانية من الضمير أو من المستكن في متكئين والمعنى
أنه يمر عليهم هواء معتدل لا حار ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى أنه
مضيء بذاته لا يحتاج إلى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها حال مثلها
أو صفة لمحذوف معطوف على جنة أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين
كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع على أنه خبر لظلالها والجملة
في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية قالوا معناه أن ظلال
أشجار الجنة قريبة من الأبرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى أنه لو كان هناك شمس مؤذية

كانت

لكانت أشجارها مظلة عليهم مع أنه لا شمس ثمة ولا قمر وذللت قطوفها تذليلا أي سخرت ثمارها
لمتناوليها وسهل أخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية أي تدنو ظلالها عليهم
مذللة لهم قطوفها أو معطوفة على دانية أي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير
رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب
الكوب الكوز العظيم الذي لا أذن له ولا عروة كانت قواريرا قواريرا من فضة أي تكونت جامعة بين
صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة لأكواب وقرئ قوارير الثاني
أيضا قواريرا بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير قدروها تقديرا صفة لقوارير
ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم وأرادوا أن تكون على مقادير وأشكال معينة موافقة
لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل
الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر
اشتهائهم وقرئ قدروها على البناء للمفعول أي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقولا
من قدرت الشيء ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا أي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان
الشراب الممزوج به أطيب ما يستطيب العرب وألذ ما يستلذ به عينا بدل من زنجبيلا وقيل
يمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كأسا كأنه قيل
ويسقون فيها كأسا كأس عين أو نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة
انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة
الباء والمراد بيان أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل فيها نقيض اللذع الذي هو السلاسة ويطوف
عليهم ولدان مخلدون أي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء إذا رأيتهم حسبتهم
لؤلؤا منثورا لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم
وانعكاس أشعة بعضهم إلى بعض وإذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي
على معناه أن بصرك أينما وقع في الجنة رأيت نعيما وملكا كبيرا أي هنيئا واسعا وفي الحديث
أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل لا زوال
له وقيل تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم عاليهم ثياب سندس خضر قيل عاليهم
ظرف على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة أخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم
ولدان فوقهم ثياب إلى آخره أو حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب إلى آخره وقرئ عاليهم
بالرفع على أنه مبتدأ خبره ثياب أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر
حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس وإستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع
الأول وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على
أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا أساور من فضة عطف على
يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى أساور من ذهب لإمكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فإن
حلي أهل الجنة تختلف حسب اختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم
حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال بإضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا
للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين
كما يرشد إليه إسناد سقيه إلى رب العالمين ووصفه بالطهورية فإنه يطهر شاربه عن دنس الميل
إلى اللذات الحسية والركون إلى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا

بنفاسة سعي النهاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار **ان هذا**
على اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون الكرامات **كان لكم جزاء** بمقابلة اعمالكم
وكان سعيكم مشكورا مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب **انا نحن نزلنا عليك القرآن**
تنزيلا اي مفرقا منجما لحكمة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان **فاصبر**
لحكم ربك بتاخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة **ولا تطع منهم آثما او كفورا** اي كل
واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان
في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي
على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا
كفر وقيل الاثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا
في الكفر شديد الشكيمة في العتو **واذكر اسم ربك بكرة واصيلا** وداوم على ذكره في جميع الاوقات او دم
على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما **ومن الليل فاسجد له** وبعض الليل فصل له ولعله
صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد كلفة وخلوص **وسبحه ليلا طويلا**
وتهجد له قطعا من الليل طويلا **ان هؤلاء** الكفرة **يحبون العاجلة** وينهمكون في لذاتها الفانية **ويذرون**
وراءهم اي امامهم لا يستعدون له او ينبذون وراء ظهورهم **يوما ثقيلا** لا يعبأون به وصفه بالثقل
لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة فهو كالتعليل لما امر به ونهي عنه
نحن خلقناهم لا غيرنا **وشددنا اسرهم** اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب **واذا شئنا**
بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم **تبديلا** بديعا لا ريب فيه وهو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا
غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية **ان**
هذه تذكرة اشارة الى السورة والآيات القريبة **فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا** اي فمن شاء
ان يتخذ اليه سبيلا اي وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اي تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله
تعالى **وما تشاؤون الا ان يشاء الله** تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ
السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي وما تشاؤون اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت
من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا في الكسب وانما التاثير
والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ تشاؤون بالتاء والياء وقرئ الا ما شاء الله وقوله تعالى
ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى
مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستاهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته
وقوله تعالى **يدخل من يشاء في رحمته** بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته اي يدخل
في رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه
لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة **والظالمين** وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر **اعد لهم**
عذابا اليما اي متناهيا في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشاء
في رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا للمضمر وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا والله تعالى اعلم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات

ذكرا اقسام

ذكرا اقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة ارسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف
الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوائف اخرى نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن
بالوحي او نشرن الشرائع في الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن
بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء **عذرا او نذرا** للمحقين او للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع
ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار
بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال
بالاقسام بهن ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من
الاستحقاق او اقسام برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه
كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون
وسائر الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله
تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين
يكفرونها وينسبونها الى الانواء واسناد القاء الذكر اليهن لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة
فيهن او كفرت او اقسام بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ
ونشرن آثار الهدى في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف
العالمين والعرف اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال الملائكة
للعذاب معروف للانبياء عليهم الصلوة والسلام وللمؤمنين او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على
الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محى الاساءة ومن انذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية
من ذكرا او على العلية وقرئا بالتثقيل **انما توعدون لواقع** جواب القسم اي ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن
لا محالة **فاذا النجوم طمست** محيت ومحقت او ذهب بنورها **واذا السماء فرجت** صدعت وفتحت
فكانت ابوابا **واذا الجبال نسفت** جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت
من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة **واذا الرسل**
اقتت اي عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين
لهم قبله او بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما **لاي يوم اجلت**
مقدر بقول هو جواب لاذا في قوله تعالى واذا الرسل اقتت او حال من مرفوع اقتت اي يقال لاي يوم اخرت الامور
المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى **ليوم الفصل** بيان ليوم التاجيل
وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق **وما ادراك ما يوم الفصل** ما مبتدأ ادراك خبره اي اي
شيء جعلك داريا ما هو وضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل
مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هائلا لا يقادر قدره
ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه **ويل**
يومئذ للمكذبين اي في ذلك اليوم الهائل وويل في الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به الى
الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته **الم نهلك الاولين** كقوم
نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه **ثم نتبعهم الآخرين** من نظائرهم
السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم نتبعهم وقرئ ثم نتبعهم بالجزم
عطفا على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتاخرين اي هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم
الصلوة والسلام **كذلك** مثل ذلك الفعل الفظيع **نفعل بالمجرمين** اي سنتنا جارية على ذلك **ويل يومئذ**

اي يوم اذ اهلكناهم للمكذبين بآيات الله تعالى وانبيائه وليس فيه تكرير لما ان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا الم نخلقكم من ماء مهين اي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم اي مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر او ما فوقها او ما دونها فقدرنا اي فقدرناه وقرئ مشددا او فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل فنعم القادرون اي نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا الكفات اسم ما يكفت اي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اي الم نجعلها كفاتا تكفت احياء كثيرة على ظهرها وامواتا غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها وقيل تنكير احياء وامواتا لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي اي جبالا ثوابت شامخات طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كـ[illegible] ودواجن واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم وللاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا فيها انهارا ومنابع ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا او كرها ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شان الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم ولان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل ولا يغني من اللهب اي غير مغن لهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع قصرة كانه جمالت فانه جمع جمل والتاء لتانيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل تضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع جمال او جمالة وقرئ جمالات جمع جمالة وهي الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لما ان السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي قص واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين الحق والباطل والمحق والمبطل جمعناكم

وشعبة

خطاب

خطاب للامة المحمدية صلى الله عليه وسلم والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب ان المتقين من الكفر والتكذيب في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اي مستقرون في فنون الترفه وانواع التنعم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر اي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين في عقائدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به المكذبون في الدنيا ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع واذا قيل لهم اركعوا اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلاة او بالركوع لا يفعلون اذ روي انها نزلت حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال عليه الصلاة والسلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده اي بعد القرآن الناطق باحاديث الدارين واخبار النشاتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يؤمنون اذا لم يؤمنوا به عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عما على انه حرف جر ادخل على ما الاستفهامية [illegible] قصد الخفة لكثرة استعمالها وقرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شان المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة اي عن اي شيء عظيم الشان يتساءلون اي اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء [illegible] خال عن لحوق المعوضة عن اوصاف نفائسها وانما وصفت لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة وحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب وقيل كانوا يتساءلون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم اي يدعونهم وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة الفعل كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد منهم الآخر وقد يجرد عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في قولنا تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما في الآية الكريمة فالمعنى عن اي شيء يسأل هؤلاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وربما يجرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد بها [illegible]

تعديد متعلق معنى وحكمة الفعل كما في قوله تعالى فبأي الآء ربك تتمارى وقوله تعالى **عن النبإ العظيم** بيان للشأن المسئول عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع قرينه وخروجه عن دائرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسئل عنه كانه قيل عن اي شيء يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبني على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل عن الثانية استفهام مضمر كانه قيل اعن النبأ العظيم والنبأ الخبر الذي له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى **الذي هم فيه مختلفون** بعد وصفه بالعظم تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى **كلا سيعلمون** فانه صريح في ان المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليهم يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما ادى اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقية في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه الصلوة والسلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في ... فان ذلك عار عن صنع الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى **ثم كلا سيعلمون** تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى **الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا** الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام

والتبكيت

والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساؤها بها كما يرسى البيت بالاوتاد **وخلقناكم** عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة انا جعلنا الخ او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة ان يقال قد جعلنا **ازواجا** اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امور المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل **وجعلنا نومكم سباتا** اي موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو الاوفق بالمقام كما ستعرفه **وجعلنا الليل** اي الذي يقع النوم فيه غالبا **لباسا** يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد ادخل فانه جعل كاللحاف للنوم الذي يجعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحيوة في قوله تعالى **وجعلنا النهار معاشا** اي وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا له او نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعايش والحوائج **وبنينا فوقكم سبعا شدادا** اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن **وجعلنا سراجا وهاجا** هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واياما كان يقتضي انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلالئ من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء **وانزلنا من المعصرات** هي السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سواء اريد بها السحائب او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه ان الرياح هي التي تنشي السحاب وتدر اخلافه فصلحت ان تجعل مبدأ للانزال **ماء ثجاجا** اي منصبا بكثرة يقال ثج الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه **لنخرج به** اي بذلك الماء **حبا** يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما **ونباتا** يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الانسان **وجنات** الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير بن ابي سلمى كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا وعلى الارض ان

الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والأول هو المراد وقوله تعالى **ألفافا** أي ملتفة
تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالأوزاع والأخياف وقيل الواحد لف ككن وأكنان أو لفيف كشريف
وأشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضراء وخضر وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم أن فيما ذكر من
أفعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الأول باعتبار قدرته تعالى
فإن من قدر على إنشاء هذه الأفعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان
على الإعادة أقدر وأقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فإن من أبدع هذه المصنوعات على نمط
رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة إلى الخلق يستحيل أن يفنيها بالكلية ولا يجعل
لها عاقبة والثالث باعتبار نفس الفعل فإن اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها
كل يوم وكذا إخراج الحب والنبات من الأرض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه
الأفعال الآفاقية والأنفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للإيمان به فما لكم
تخوضون فيه إنكارا وتتساءلون عنه استهزاء وقوله تعالى **إن يوم الفصل كان ميقاتا**
شروع في بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد إن كنتم صادقين
ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد
إجمالا أي إن يوم فصل الله عز وجل بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الأولين
والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدا
توقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا للخلائق ينتهون إليه ولا ريب في أنها عبارة عن التقريب الذي أشير إليه
على أن الدنيا تنتهي عند النفخة الأولى وقوله تعالى **يوم ينفخ في الصور** أي نفخة ثانية بدل من يوم
الفصل أو عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فإنه زمان
ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه
إسرافيل عليه الصلاة والسلام عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه
شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر بالنفخ فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة غير من شاء الله تعالى
وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم يؤمر بالأخرى فينفخ
نفخة لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون والفاء
في قوله تعالى **فتأتون** فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيذانا بغاية سرعة
الإتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى الموقف عقيب ذلك
من غير لبث أصلا **أفواجا** أي أمما كل أمة مع إمامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم أو زمرا
وجماعات مختلفة الأحوال متباينة الأوضاع حسب اختلاف أعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله
تعالى عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال عليه الصلاة والسلام يا معاذ سألت عن أمر
عظيم ثم أرسل عينيه وقال يحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة
الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم
وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم
مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم
يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما
الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمي فالذين يجورون

في الحكم

في الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء الذين خالف قولهم
أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم وأما المصلبون على جذوع
من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات
ومنعوا حق الله تعالى في أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء **وفتحت السماء**
عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق وقرئ فتحت بالتشديد وهو الأنسب بقوله تعالى
فكانت أبوابا أي كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كأنها ليست إلا
أبوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الأرض عيونا كأن كلها عيون تتفجر وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق
السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أي أمره وبأسه في ظلل من الغمام
والملائكة وقيل الأبواب الطرق والمسالك أي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء **وسيرت
الجبال** أي في الجو على هيئاتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب أي تراها رأي العين ساكنة في مكانها والحال أنها تمر مر السحاب الذي تسيره الرياح
سيرا حثيثا وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت نحوا من الأنحاء لا تكاد تبين حركتها وإن كانت في غاية
السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج
وقد أدمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما ينطق به
قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال على تلك الهيئات
الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى **فكانت
سرابا** أي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا أي
غبارا منتشرا وهي وإن اندكت وانصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد
النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله
الواحد القهار فإن اتباع الداعي الذي هو إسرافيل عليه الصلاة والسلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون إلا بعد
النفخة الثانية **إن جهنم كانت مرصادا** شروع في تفصيل أحكام الفصل الذي أضيف إليه اليوم إثر
بيان هوله وقدم بيان تقديم حال الكفار عن أهل البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار
الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه أي إنها كانت في حكم الله تعالى
وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها **للطاغين** متعلق بمضمر وقع نعتا لمرصادا
أي كائنا للطاغين وقوله تعالى **مآبا** بدل منه أي مرجعا يرجعون إليه لا محالة وإما حال من مآبا قدمت عليه
لكونه نكرة ولو تأخر لكان صفة وقد جوز أن يتعلق بنفس مرصادا على أنها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة
ولا يخفى بعده فإن المتبادر من كونها مرصادا لطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل إنها مرصاد لأهل الجنة ترصدهم
الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة
من الرصد كالمعطاء والمعنى أنها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم أحد وقرئ أن بالفتح على تعليل قيام الساعة
بأنها مرصاد للطاغين **لابثين فيها** حال مقدرة من المستكن في للطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى
أحقابا ظرف للبثهم أي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر إلى غير نهاية فإن الحقب لا يكاد يستعمل
إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها وليس فيه ما يدل على تناهي تلك الأحقاب والحقب ثمانون سنة أو سبعون
سنة وقوله تعالى **لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا** جملة مبتدأة مخبرة عنهم بأنهم
لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما

وغساقا وقيل البرد النتن وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم جزاء اي جوزوا
بذلك جزاء وفاقا ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا على انه
فعال من وفقه كذا اي لاقه انهم كانوا لا يرجون حسابا تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور اي
كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم وكذبوا بآياتنا الناطقة بذلك كذابا اي تكذيبا مفرطا
ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف
وهو مصدر كذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا
اي وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب و
كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية اي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ
في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شيء من الاشياء التي من جملتها اعمالهم
وانتصابه بمضمر يفسره احصيناه اي حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر
مؤكد لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة من واد واحد او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في
صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب
وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبئ عن التشديد في التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل
ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه
الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا شروع في بيان محاسن احوال المؤمنين اثر
بيان سوء احوال الكفرة اي ان للذين يتقون الكفر وسائر قبائح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع فوز وقيل
نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وقوله تعالى حدائق واعنابا اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة
وكروما بدل من مفازا وكواعب اي نساء فلكت ثديهن وهن النواهد اترابا لدات وكاسا دهاقا
اي مترعة يقال ادهق الحوض اي ملأه لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في الكاس لغوا ولا كذابا اي
لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف اي لا يكذب او لا يكاذبه جزاء من ربك
مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك
والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم مزيد
تشريف له صلى الله عليه وسلم عطاء اي تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء
حسابا صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما
بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن صفة له وقيل صفة للاول وايا ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته
الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى لا يملكون منه خطابا استئناف مقرر لما افادته الربوبية
العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه
وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدأ مضمر وقيل الثاني نعت الاول وقيل الاول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون
خبر آخر وهو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان
ولا يملكون خبره والجملة خبر الاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه على رأي من يقول به وقرئ الاول بالجر على ان يكون
مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعت الاول ولا يملكون استئنافا او على حاله ففيه ما ذكر من الاضمار عند الجر
والعطاء وجمعا في البدلية وما في المرفوع او المنصوب مدحا تابعا لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما قيل في
قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما
بعده او على انه خبر لمبتدأ مضمر وما بعده استئناف او خبر ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي
لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه

بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه وآكده وقيل ليس في ايديهم مما يخاطب الله تعالى به
من امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه يوم يقوم
الروح والملائكة صفا قيل الروح خلق اعظم من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو
ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا اعظم منه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه اذا كان يوم القيامة قام هو وحده
صفا والملائكة كلهم صفا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا بملائكة
لهم رؤوس وايد وارجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول ابي صالح ومجاهد وقال ابن مسعود هو
السماء ملك الا ومعه واحد منهم تنزل الوحي وقيل هم اشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل هو
جبريل عليه الصلاة والسلام وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد والملائكة
صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله
تعالى لا يتكلمون وقوله تعالى الا من اذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض
الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء ربوبيته وتهويل
يوم البعث الذي عليه مدار الكلام الا من اذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اي حقا
فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما لا لما يعني ان الروح والملائكة مع
كونهم افضل الخلائق واقربهم اليه تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه
فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال ثم يشكله مع تجويز ان يكون يوم ظرفا لا يملكون
فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقيل الا من اذن الى آخره منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا
يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موقع الاضمار
للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ذلك اشارة الى يوم قيامهم
على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول
والفخامة ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين
غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال اليوم الحق اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف
ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقه بها حسب
القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما
ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان
والطاعة وقال قتادة مآبا اي سبيلا انا انذرناكم اي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وما
بعده من الدواهي او بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن عذابا قريبا هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق
اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان يرونه بعيدا ويرونه قريبا لقوله تعالى كانهم يوم يرونها
لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم
بدر وبيانه قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي
عذابا كائنا يوم ينظر المرء اي يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف
او ينظر اي شيء قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر ويأباه ذلك قوله تعالى
ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معناه يا ليتني كنت ترابا
في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص
للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء

الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
من قرا سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمة صدق الله وصدق رسوله

سورة النازعات مكية وهي ست واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا
اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما او ارواح الكفرة كما قاله علي رضي الله تعالى عنه وابن مسعود وسعيد
ابن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها
ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار
وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات
والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنواني بمنزلة التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم
وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات
الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام
من غير انضمام الاوصاف الباقية اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما كما في قوله يا لهف
زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد اي اغراقا في النزع
حيث تنزعها من اقاصي الاجساد قال ابن مسعود رضي الله عنه روح الكافر ينزع من جسده من تحت كل
شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين ثم يغرقها في جسده ثم ينزعها حتى اذا كادت تخرج يردها
في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وانتصاب نشطا
وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان
يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيسبقون الى
ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه
ودلالة ما بعده من احوال القيمة وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها
يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما
بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى
برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا في السير فتدبر امرا نيط بها
كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب
قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بانفس الغزاة او بايديهم
التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو
فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من دار
الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها
لانها من اسبابه وهذا الذي يليق بشان التنزيل هو الاول وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب
بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة اي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل
زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض
والجبال وقوله تعالى تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة
مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك

مجاهد

فانها عبارة

فانها عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان البعث لا
يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى
حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف
منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كانه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة
اي يوم ترجف وجفت القلوب وقيل قلوب مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة للقلوب مسوغ
لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها خاشعة جملة من مبتدأ وخبر وقعت
خبرا للقلوب وقد مر ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا
ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب
وثبوت الخشوع لابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت
مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصود الافادة تحكما على ان الوجيف الذي هو عبارة عن شدة
اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل اشد من خشوع البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما
فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة
بالعموم والشمول تهوين للخطب في موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء
حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير كما في شر اهر
ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة
اي شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن اماكنها
كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون أإنا لمردودون في الحافرة حكاية لما
يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته
الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار اي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين
منه أإنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة اي في الحالة الاولى يعنون الحيوة من قولهم رجع فلان في حافرته
اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة
راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او لقول اربابها مجازا على تسمية القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة
وهي بمعنى المحفورة وقوله تعالى أإذا كنا عظاما نخرة تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى الحالة منافية
له والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اي أإذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها
ابعد شيء من الحيوة وقرئ اذا كنا على الخبر واسقاط حرف ونخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي
الاجوف الذي يمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر آخر متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا
بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره
الى ما انكروه من الردة في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذا كرة خاسرة لتكذيبنا بها وقوله
تعالى فانما هي زجرة واحدة تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التي عبروا عنها بالكرة
فان مدار ذلك كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة اي حاصلة
بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي راجعة
الى الرادفة فقوله تعالى فاذا هم بالساهرة حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة فاذا هم احياء
على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها
بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة

جارية الماء وفقدها نائمة قيل لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هي
وجه الأرض وقيل هي أرض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الساهرة أرض من
لم يعص الله تعالى عليها خلقها حينئذ وقيل هي أرض يجددها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هي اسم
الأرض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض وقال
الثوري الساهرة أرض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء
على شفير جهنم وقوله تعالى هل أتاك حديث موسى كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى
هل أتاك أي ألم يأتك هذا أو لما أتاك عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه الصلاة والسلام في
استماع حديثه كما تقول هل أتاك حديث فلان لمخبرك به وإن لم يعرب بأنه قبل هذا وهو المناسب
من الإيجاز في الاقتصاص لمن قد أتاك حديثه وقوله إذ ناداه ربه بالواد المقدس ظرف
الحديث لا للإتيان لاختلاف وقتيهما طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا
وغير منون فمن نونه تأوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى أو المقدس أي
نداءين أو المقدس مرة بعد أخرى اذهب إلى فرعون على إرادة القول وقيل هو تفسير للنداء أي
ناداه اذهب وقيل هو على حذف أن المفسرة ويؤيده قراءة عبد الله أن اذهب لأن في النداء معنى القول
إنه طغى تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به فقل بعدما أتيته هل لك رغبة وتوجه إلى أن تزكى
بحذف إحدى التاءين من تتزكى أي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد وأهديك
إلى ربك وأرشدك إلى معرفته فتخشى إذ الخشية لا تكون إلا بعد معرفته عز وجل قال عز وجل
إنما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لأنها ملاك الأمر من خشي الله تعالى
أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يخاطبه بالاستفهام
الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل
لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى والفاء في قوله تعالى فأراه الآية الكبرى
فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الأخرى فإنه عليه الصلاة
والسلام ما أراه إياها عقيب هذا الأمر بل بعدما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى
من الاستدعاء والإجابة وغيرهما من المراجعات وبعدما جرى بينه وبين فرعون ما جرى
من المحاورات إلى أن قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين والإراءة إما بمعنى
التبصير أو التعريف فإن اللعين حين أبصرها عرفها وادعى سحريتها أنها كانت آية تمت
وإظهارها للخلق ونسبتها إلى غيره عليه الصلاة والسلام بالنظر إلى الظاهر كما أسندها إليه نون العظمة
في قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا بالنظر إلى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو
قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فإنها كانت المقدمة والأصل والأخرى كالتبع لها أو هما جميعا
وهو قول مجاهد فإنهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب أنت وأخوك
بآياتي باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الأمور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما مر في تفسير
في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته التسع لما أن ما عداهما من الآيات التسع
إنما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعدما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة
كما مر في سورة الأعراف ولا ريب في أن هذا مطلع القصة وأمر السحرة مترقب بعد فكذب بموسى أو
تسمية معجزته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد بعدما علم صحة الأمر ووجوب الطاعة أشد

عصيان

عصيان وأقبح حيث اجترأ على إنكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين وقومه منكرين
لعبادة الله عز وجل وتورك العظمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية
لا برسالته عليه السلام من الأسر والقسر فقط ثم أدبر أي تولى عن الطاعة وانصرف عن المجلس
يسعى أي يجتهد في معارضة الآية أو أدبر بعدما أقبل أي لما شاهد يسعى ثم وضع موضع الإدبار مجازا
عن وصفه بالإقبال وقيل أدبر هاربا من الثعبان فإنه روي أنه عليه الصلاة والسلام لما ألقى
انقلبت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى
على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون
ألفا وقيل إنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول
يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذي أرسلك إلا أخذته فأخذه فعاد عصا ويأباه أن
ذلك كان قبل الإصرار على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى فحشر
أي فجمع السحرة لقوله فأرسل في المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده أي ما يكيد به من السحرة
والآلات وقيل جنوده ويجوز أن يراد جميع الناس فنادى في المجمع بنفسه أو بواسطة المنادي
فقال أنا ربكم الأعلى قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة فأخذه الله نكال الآخرة والأولى
النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذي ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه من
تعاطي ما يفضي إليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به
نكال الآخرة والأولى وهو الإحراق في الآخرة والإغراق في الدنيا وقيل مصدر لأخذ أي أخذه أخذ نكال
الآخرة وقيل مفعول له أي أخذه لأجل نكال الآخرة ونصب على نزع الخافض أي أخذه بنكال الآخرة
والأولى وإضافته إلى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون
فيهما فإن ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فإن العقوبة الدنيوية تقع من بعدهما وتمنعه من تعاطي ما
يؤدي إليها لا محالة وقيل الكلمة الآخرة والأولى قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من إله غيري
قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة والإضافة إضافة المسبب إلى السبب إن في ذلك أي فيما ذكر
من قصة فرعون وما فعل وما فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى أي لمن شأنه أن يخشى وهو من شأنه
المعرفة وقوله تعالى أأنتم أشد خلقا خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم
بطريق التوبيخ والتبكيت بعدما بين كمال سهولته بالنسبة إلى قدرة الله عز وجل بقوله فإنما هي زجرة
واحدة أي أخلقكم بعد موتكم أشد أي أشق وأصعب في تقديركم أم السماء أي أم خلق السماء على عظمها وانطوائها
على تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة أدناها كقوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق
الناس وقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى بناها
إلى آخره بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه
من الأفعال من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى رفع سمكها بيان للبناء
أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها
فعدلها مستوية ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها
مما لا يعلمه إلا الخالق العليم من قولهم سوى أمر فلان إذا أصلحه وأغطش ليلها أي جعله مظلما
يقال غطش الليل وأغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلمه وقد مر تحقيقه في قوله تعالى وإذا أظلم عليهم قاموا
ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم وأخرج ضحاها أي أبرز نهارها عبر عنه بالضحى لأنه أشرف
أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن إحداثه

بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة اتم في الانعام واكمل في الاحسان واضافة الليل والضحى
لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز ان يكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اي ابرز ضوء شمسها
والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها **والارض بعد ذلك دحاها** اي
بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم في اقطارها وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها **اخرج
منها ماءها** بان فجر منها عيونا واجرى انهارا **ومرعاها** اي رعيها وهو في الاصل موضع الرعي
وقيل هو مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف لانها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فان
السكنى لا تتاتى بمجرد البسط والتمهيد بل لابد من تسوية امر المعاش من الماكل والمشارب حتما واما ما قيل من انه
حال من فاعل دحاها باضمار قد عند الجمهور او بدونه عند الكوفيين والاخفش كما في قوله تعالى او جاؤكم
حصرت صدورهم **والجبال** منصوب بمضمر يفسره **ارساها** اي اثبتها واثبت بها الارض ان تميد
باهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها
بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في انفسها فضلا عن
اثباتها للارض وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع
تقدم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر الماكل والمشرب مع ما فيه
من دفع توهم رجوع ضميري الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تاخر دحو الارض عن
خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر
عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض
وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وقد مر في سورة حم السجدة ان قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان الآية ان حمل ما فيه من الخلق
وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقديم خلق الارض
وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش كان قبل خلق السموات
والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه
الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق
منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء
ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام في آخر ساعة
منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة هذا هو الاقرب كما قيل وقد اوّل هذه الآية بان يجعل ذلك اشارة الى
ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية على البعدية
في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود لما عرفت من ان انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف
على شريطة التفسير ثم ذكر بعده ليفيد القصر وتعيين البعدية في الوجود وفائدة تاخيره في الذكر
اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بان المراد
في الالزام هاهنا ما فيها من المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل
احواله اكمل وليس ما روي عن الحسن رحمه الله تعالى نصا في تاخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط
الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير
حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة واما اذا
حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب

اصلا اذا حملت ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة
المذكورة وقوله تعالى **متاعا لكم ولانعامكم** اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة
ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما ياكله
الانسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل
هو مصدر مؤكد لفعله المضمر اي متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى اخرج منها
ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى **فاذا جاءت الطامة الكبرى** اي الداهية العظمى
التي تطم على سائر الطامات اي تعلوها وتغلبها وهي القيامة او النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي
يساق فيها الخلائق الى المحشر وقيل التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار شروع في بيان
احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها
عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع **يوم يتذكر الانسان ما سعى** قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه
منصوب باعني كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض او جعله متعلقا بالجواب فيجوز ان
يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على راي الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد ما عمل من خير
او شر بان يشاهده مدونا في صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة او طول الامد كقوله احصاه
الله ونسوه ويجوز ان تكون ما مصدرية **وبرزت الجحيم** عطف على جاءت اي اظهرت اظهارا بينا لا يخفى
على احد **لمن يرى** اي كائنا من كان يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف
ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد وعلى انه خطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى **فاما من طغى** الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله
تعالى فاما ياتينكم مني هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الناس قسمين فاما من طغى الخ
والذي يستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤون ما لم
تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل اي فاما من عتى وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان
وآثر الحياة الدنيا الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة
الابدية بالايمان والطاعة **فان الجحيم** التي ذكر شانها **هي المأوى** اي هي مأواه واللام سادّ مسد الاضافة
للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان
وهي اما ضمير فصل او مبتدأ قيل نزلت الآية في النضر وابيه الحارث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان
واما من خاف مقام ربه اي مقامه يوم يرى ما قدمت يداه يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى
ونهى النفس عن الهوى عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر
بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها **فان الجنة هي المأوى** له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان في ابي
عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى استشهد رضي الله تعالى عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الانسان
اي فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى
علمت نفس ما قدمت واخرت فقوله تعالى وبرزت الجحيم عطف عليه بصيغة الماضي للدلالة على التحقق
او حال من الانسان باضمار قد وبرزت على الاختلاف ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى
فاما من طغى الخ تفصيل لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسيم له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين
يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى
ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وق

تعالى **فيم أنت من ذكراها** انكار ورد لسؤال المشركين عنها اي في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم
به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حفي عنها اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها
في شيء لان ذلك فرع علمك به وانى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل
فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار
وبيان لبطلان السؤال اي فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء
المبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه
المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى **الى ربك منتهاها** اي على هذا الوجه يرجع اليه تعالى منتهى علمها
اي علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها
ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما على الوجه الاول فمعناه
اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء فلم يسألونك عنها وقوله تعالى **انما انت منذر من يخشاها**
على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته
عليه الصلاة والسلام في ذلك الشأن فان انكار كونه عليه الصلاة والسلام في شيء من ذكراها مما يوهم
بظاهره ان ليس له عليه الصلاة والسلام ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان ان المنفي عنه
عليه الصلاة والسلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عنها فالمعنى انما انت
منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال
كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه
وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله عليه الصلاة والسلام
وهو خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام
بعثت انا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة
تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى
مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها**
تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجيء المنذر به لا سيما على الوجه الثاني اي كأنهم يوم يرونها
لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد او ضحاها فلما ترك اليوم اضيف ضحاه وما رد لما ادمجوه
في سؤالهم لانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها الا
عشية او ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا او في القبور لا يقتضيه المقام وانما الذي يقتضيه
اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار ورد الاستبطاء والجملة على الاول حال
من الموصول فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول للمنذر كما ان قوله تعالى كأن لم يلبثوا الا ساعة
من نهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم ... كأن لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة لما شاهدوا الشدة
هنالك في الاحوال الظاهرة من البرزخ والهيآت وفيما هي فيه من الاعتقاد كأنه قيل تنذرهم مشبهين
يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنفة لا محل لها
من الاعراب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله عز وجل في القبر والقيامة
حتى يدخل الجنة
قدر صلاة مكتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم وهو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة
الفهري وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة

ابنا ربيعة

ابنا ربيعة وابو جهل والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم
الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما
علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه الصلاة والسلام بالقوم فكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه
ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ
عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الرأيين اي لان جاءه الاعمى والتعرض
لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام بالقوم والايذان
باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كأنه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات في قوله تعالى
وما يدريك لذلك فان المشافهة ادخل في تشديد العتاب اي واي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض
عنه وقوله تعالى **لعله يزكى** استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شأنا
منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادراكه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك اي لعله
يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن الكبرياء او على
اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه عليه الصلاة والسلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه
مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه
اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر اصلا وقوله تعالى **او يذكر** عطف
على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى **فتنفعه الذكرى** بالنصب على جواب لعل وقرئ
بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في لعله
للكافر فالمعنى انك طمعت في ان يزكى ويذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما
يدريك ان ذلك مرجو الوقوع **اما من استغنى** اي عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي
ينطوي عليها القرآن **فانت له تصدى** اي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده
واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه الصلاة والسلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من
شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء في الصاد وقرئ تصدى اي تعرض ومعناه
يدعوك الى التصدي داع الى الحرص والتهالك على اسلامه **وما عليك الا يزكى** وليس عليك بأس
في ان لا يزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية
للانكار اي اي شيء عليك في ان لا يزكى ومآله النفي ايضا **واما من جاءك يسعى** اي حال كونه مسرعا طالبا لما
عندك من احكام الرشد وخصال الخير **وهو يخشى** اي الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك
وقيل الكبوة والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك **فانت عنه
تلهى** اي تتشاغل يقال لها عنه والتهى وتلهى وفي تقديم ضميره عليه الصلاة والسلام على الفعلين تنبيه
على ان مناط الانكار خصوصيته عليه الصلاة والسلام اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للمستغني
ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه الصلاة والسلام بمضمونهما
روي انه عليه الصلاة والسلام ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني **كلا** ردع
له عليه الصلاة والسلام عما عوتب عليه من التصدي للمستغني عما دعاه اليه من الايمان والطاعة
والتلهي عمن [illegible]
[illegible] ستر شده وقوله تعالى **انها تذكرة** اي موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها
بيان لعلو رتبة القرآن العظيم الذي استغنى عنه من تصدى عليه الصلاة والسلام له وتحقيق حقيقة

بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى **فمن شاء ذكره** اي حفظه واتعظ به ومن
رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة الى الاهتمام بامره والضميران للقرآن وتانيث الاول لتانيث
خبره وقيل الاول للسورة والثاني للتذكرة والتذكير لانها في معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة
والآيات وان كانت متصفة بما سياتي من الصفات الشريفة لكنها ليست مما القي على من استغنى
عنه واستحق بسبب ذلك ما سياتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة
واما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد اخطا واساء الادب وخبط خبطا يقضي منه العجب فتامل وكن
على الحق المبين وقوله تعالى **في صحف** متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب
فيها والحث على حفظها اي كائنة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لانها **مكرمة** عند الله
عز وجل **مرفوعة** اي في السماء السابعة او مرفوعة المقدار والذكر **مطهرة** منزهة عن مساس
ايدي الشياطين **بايدي سفرة** اي كتبة من الملائكة عليهم الصلوة والسلام ينتسخون الكتب من اللوح
على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بايدي رسل من الملائكة يسفرون بالوحي بينه تعالى
وبين الانبياء على انه جمع سفير من السفارة وحملهم على الانبياء عليهم الصلوة والسلام بعيد فان
وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد
السفارة اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار او على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قالوا ان هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء
متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها
وقال القرطبي ان المراد بقوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة **كرام** عند الله
عز وجل او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم **بررة** اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى
من قولهم فلان يبر خالقه اي يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه **قتل الانسان** دعاء عليه والمراد
من استغنى باشنع الدعوات وقوله تعالى **ما اكفره** تعجب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه الدعاء عليه
والمراد به اما من استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان
به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه وتقارب
قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى **من اي شيء خلقه**
شروع في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدا فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم
الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام عن مبتدا خلقه ثم بيانه بقوله
تعالى **من نطفة خلقه** تحقير له اي من اي شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه **فقدره**
فهياه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه وقوله تعالى **ثم**
السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر اي ثم سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم والهمه ان يتنكس
او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار
بعمومه **ثم اماته فاقبره** اي جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض
جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد
الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية والنعيم المقيم **ثم اذا شاء انشره** اي اذا شاء
انشاره انشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشية وفي تعليق الانشار بمشيته تعالى ايذان
بان وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرئ نشره **كلا** ردع للانسان عما هو عليه **لما يقض ما امره**
بيان لسبب الردع اي لم يقض بعد من لدن آدم عليه الصلوة والسلام الى هذه الغاية مع طول المدى

وامتداده

وامتداده ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد عن تقصير كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة
ولا ريب في ان مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب
للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه احد من افراده كيف لا وقد قال
صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل
عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم اما على ان المحكوم عليه هو المستغني او هو الجنس لكن لا على
الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان
لظلوم كفار للاشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم
واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق الايجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع افراده
ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا
يتخلف عنه احد اصلا هذا وقيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده اي حقا لم يعمل بما امر به
وقوله تعالى **فلينظر الانسان الى طعامه** شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تعداد
النعم المتعلقة بحدوثه اي فلينظر الى طعامه الذي يدور عليه امر معاشه كيف دبرناه
وقوله تعالى **انا صببنا الماء صبا** اي الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث
الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستيناف وقرئ انى بالامالة اي كيف
صببنا الماء اي صببناه صبا عجيبا **ثم شققنا الارض** اي بالنبات **شقا** بديعا
لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على ما بالكراب بحمل اسناده
الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه ياباه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى **فانبتنا فيها**
حبا فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتيب بينه وبين الامطار ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة
وانما الترتيب بين الامطار وبين الشق بالنبات على التراخي المعهود وبين الشق المذكور وبين انبات
الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق
الارض بالنبات لا يكاد يتم بدون ابدو ويتسع الى تلك الرتبة على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة
من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تاكيد الفعلين بالمصدرين
فتوسيط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى **وعنبا** عطف على حبا وليس من
لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض
وقضبا اي رطبة سميت بمصدر قضبه اي قطعه مبالغة لانها يتكرر قطعها وبكثرة نفس القطع
وزيتونا ونخلا الكلام فيهما وفي امثالهما كما في العنب **وحدائق غلبا** اي عظاما وصف به الحدائق
لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب **وفاكهة وابا** اي مرعى
من ابه اذا امه اي قصده لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيا له لانه متهيئ للرعي او فاكهة
يابسة تؤب للشتاء وعن الصديق رضي الله تعالى عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي
ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرا هذه الآية فقال كل قد
عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري
ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه **متاعا لكم ولانعامكم** اما مفعول له
اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات
لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اي متعكم بذلك متاعا او لفعل مرتب
عليه اي متعكم بذلك فتمتعتم متاعا اي تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال

الثلاثة في معنى التمتيع **فاذا جاءت الصاخة** شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبدا
خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر به لفظ
المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلائق اي
يصيخون لها من صخ لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصخون
بها وقيل هي الصيحة التي تصخ الاذان اي تصمها لشدة وقعها وقيل هي ماخوذة من صخه بالحجر اذا
صكه وقوله تعالى **يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه** اما منصوب باعني
تفسيرا للصاخة او بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على راي الكوفيين وقيل بدل
من اذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر الخ اي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسال عن حالهم
كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه واما تعليل ذلك بعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او للحذر من مطالبتهم
بالتبعات فياباه قوله تعالى **لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه** فانه استئناف وارد لبيان سبب
الفرار اي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به واما الفرار حذرا
من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي
صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابراهيم عليه الصلاة والسلام من ابيه ونوح عليه الصلاة والسلام
من ابنه ولوط عليه الصلاة والسلام من امراته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى ان الرجل يفر من اصحابه
واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اي
من عناه الامر اذا اهمه اي اوقعه في الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا
قصده كما قيل وقوله تعالى **وجوه يومئذ مسفرة** بيان لمآل امر المذكورين وانقسامهم الى السعداء
والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدا وان كانت نكرة لكونها في حيز التنويع ومسفرة
خبره ويومئذ متعلق به اي مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما ان ذلك من قيام الليل وفي الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار
الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله **ضاحكة مستبشرة** بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة
الدائمة **ووجوه يومئذ عليها غبرة** اي غبار وكدورة **ترهقها** اي تعلوها وتغشاها **قترة** اي سواد وظلمة
اولئك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال اي اولئك
الموصوفون بسواد الوجوه وغبرتها **هم الكفرة الفجرة** الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل الى سواد
وجوههم الغبرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير عشرون وتسع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت اي لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها عن
مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء واما لف ضوئها
المنبسط في الآفاق المنتشر في اقطارها على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال
اللازم لزوال الملزوم او القيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض
وعن ابي صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تكويرها ادخالها في العرش ومدار التركيب
على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور لا على الابتداء **واذا
النجوم انكدرت** اي انقضت وقيل تناثرت وتساقطت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه لا يبقى يومئذ
نجم الا سقط وعنه رضي الله عنه ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدي ملائكة

من نور فاذا مات من في السموات تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى ان
الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
واذا الجبال سيرت اي عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لا في الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية **واذا
العشار** جمع عشراء وهي انفس ما تكون عند اهلها واعزها عليهم **عطلت** تركت مهملة لاشتغال
اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات
وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف **واذا الوحوش حشرت** اي جمعت
من كل جانب وقيل بعثت قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا اقتص منها
صارت ترابا ولا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاووس ونحوه وقرئ
حشرت بالتشديد **واذا البحار سجرت** اي احميت واوقدت فصار بعضها الى بعض حتى تعود بحرا
واحدا من سجر التنور اذا ملاه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن
الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف **واذا النفوس زوجت**
اي قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها او بعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس
الكفرة بالشياطين **واذا الموءودة** اي المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق
او لحوق العار بهم من اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا
بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل
كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان
ولدت ابنا حبسته **سئلت باي ذنب قتلت** توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ
والسخط واسقاط عن درجة الخطاب بالكلية في تبكيته كما في قوله تعالى اانت قلت للناس اتخذوني
وامي وقرئ سالت اي خاصمت او سالت الله عز وجل قاتلها وانما قيل قتلت على الخطاب
حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد ايضا
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه
الآية **واذا الصحف نشرت** اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء
فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل
وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف
من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم
اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير الاعمال **واذا السماء كشطت** قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب
عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور
والقافور **واذا الجحيم سعرت** اي اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا
بني آدم وقرئ سعرت بالتخفيف **واذا الجنة ازلفت** اي قربت من المتقين كقوله تعالى
وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا اي فيما بين
النفختين وهن من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان المراد حشر الوحوش جميعا
من كل ناحية لا لبعثها للقصاص وست في الآخرة اي بعد النفخة الثانية وقوله تعالى **علمت
نفس ما احضرت** جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما في سياقها وسياق ما عطف
عليها من الخصال مبداه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم

الصحف

ما تعلم في كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد وعند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الا أنه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتعظيما للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر فحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها وأما حضور أنفسها على ما قالوا من أن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه الصلاة والسلام في حق من يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك ألا يرى أن العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان وأياما كان فاسناد احضارها الى النفس مع أنها تحضر بأمر الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية لأنها لما عملتها في الدنيا فكأنها أحضرتها في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لأن الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه هاهنا لأنها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أو لبعض منها للإيذان بأن ثبوته لجميع أفرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا بل هو من قبيل ما جيء بعبارة تدل على خلافه والرمز الى أن تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر أفرادها وتكثر أعدادها مما لا يستقل بها بالنسبة الى جناب الكبرياء الذي أشير الى بعض بدائع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه وأما ما قيل من أن هذا من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وأبلغ منه قول من قال قد أترك القرن مصفرا أنامله وتقول لمن قال للجيش سل عن عدد فرسانه رب فارس عندي وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه أراد اظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يزيد فمن لوائح النظر الجليل لما أن الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الأمثلة مما يقبل الافراط والتمادي فيه فانه في الأول كثرة ما يود وفي الثاني كثرة ما يترك وفي الثالث كثرة الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادي في التكثير حسبما فصل وأما فيما نحن فيه فالكلام المعكوس عنه علمت كل نفس ما أحضرت كما صرح به القائل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه وانما الذي يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتأمل ويجوز أن يكون ذلك للإشعار بأنه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة أن تكون تلك التي علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما يندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك أن ندمه مرجو لا متيقن به أو نادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يجتنب أمرا يرجى فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع **فلا أقسم بالخنس** أي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر من الدراري الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى **الجوار الكنس** لأنها تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها

لاختفائها تحت ضوئها من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهي بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها **والليل اذا عسعس** أي أدبر ظلامه أو أقبل فانه من الأضداد وكذلك سعسع قال الفراء أجمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا **والصبح اذا تنفس** لأنه أول النهار يقبل ادباره قريب من تنفس الصبح ومعناه أن الصبح اذا أقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح **انه** أي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة **لقول رسول كريم** هو جبريل عليه الصلاة والسلام قاله من جهة الله عز وجل **ذي قوة** شديدة لقوله تعالى شديد القوى وقيل ذي قوة في أداء طاعة الله عز وجل وترك الاخلال بها من أول الخلق الى آخر زمان التكليف **عند ذي العرش مكين** ذي مكانة رفيعة عند الله تعالى عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان **مطاع** فيما بين ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه **ثم أمين** على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الأمانة وتفضيلا لها على سائر الأوصاف **وما صاحبكم** هو رسول الله صلى الله عليه وسلم **بمجنون** كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه الصلاة والسلام خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليه الصلاة والسلام على النبي عليهما السلام حيث عد فضائل بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه الصلاة والسلام انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما **ولقد رآه** أي وبالله لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام **بالأفق المبين** بمطلع الشمس الأعلى **وما هو** أي رسول الله صلى الله عليه وسلم **على الغيب** على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب **بضنين** أي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين أي بمتهم من الظنة وهي التهمة **وما هو بقول شيطان رجيم** أي قول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه كهانة وسحر **فأين تذهبون** استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور أنه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب **ان هو** أي ما هو **الا ذكر للعالمين** موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى **لمن شاء منكم** بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى **أن يستقيم** مفعول شاء أي لمن يشاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير **وما تشاؤن** أي الاستقامة مشيئة مستتبعة لها في وقت من الأوقات **الا أن يشاء الله** تعالى أي الا وقت أن يشاء الله تعالى تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله تعالى لها **رب العالمين** مالك الخلق ومربيهم أجمعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير أعاذه الله تعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت أي انشقت لنزول الملائكة لقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس **واذا الكواكب انتثرت** أي تساقطت متفرقة **واذا البحار فجرت** فتح

بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا
واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند من فسره بالتجفيف وقيل
ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا
للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل ايضا بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور
بعثرت اي قلب ترابها واخرج موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث
مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث
بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين
الخلائق لا ازمنة متعددة بحسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه
كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى ما قدمت واخرت ما اسلفت من عمل خير او شر او من سنة حسنة
او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس ايضا ما قدمت من معصية واخرت من
طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدمت من اموال لنفسه وما اخرت لورثته وقيل ما قدمت من فرض
واخرت من فرض وقيل اول عمله وآخره وقيل علمها بهما علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم اي اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي
التامة والعواقب الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه
تعالى للايذان بان ليس مما يصلح ان يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت
فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة
بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل
ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى الذي
خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر
على ذلك بدءا اقدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها وتعديلها
عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك
بالتشديد اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه في اي صورة ما شاء ركبك اي
ركبك في اي صورة شاءها واختارها من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى
وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى بل تكذبون بالدين
اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون
عن ذلك بل تجترئون على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالمعاد والبعث راسا او بدين الاسلام الذي هما من جملة
احكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كانه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه
عليكم نعمي وارشادي لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث ولا نشر بل انتم
تكذبون هذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى وان عليكم لحافظين حال من فاعل تكذبون
مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقيق ما يكذبون به اي تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم
كراما لدينا كاتبين يعلمون ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا
بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الامور
حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم استئناف مسوق
لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى

وقوله تعالى

وقوله تعالى يصلونها اما صفة لجحيم او استئناف مبني على سؤال نشأ من تهويلها كانه قيل
ما حال اهلها فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به وما هم عنها بغائبين
طرفة عين فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة كما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها
استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما يفيده من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما
كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي صلى الله عليه
وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين
ثم ما ادراك ما يوم الدين تفخيم لشان يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل امره بعد تهويل
بيان انه خارج عن دائرة دراية الخلق على اي صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو اطم من ذلك
واعظم اي واي شيء جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما
هو راي سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدا ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة
هو ما لا يوم الدين اي اي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها
الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال فيجاب كاتب او طبيب وفي
اظهار يوم الدين في موضع الاضمار تاكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
والامر يومئذ لله بيان اجمالي لشان يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق
انجاز الوعد فان نفي ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل ما في
القرآن من قوله تعالى ما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوي عنه ويوم مرفوع
على انه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس
لنفس من النفوس شيئا من الاشياء الخ او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه
صلى الله عليه وسلم الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون ويلبس
بذلك فانه عار عن افادة ما لم يفده ما قبله وقيل انه بدل من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق تجويز
الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف والله سبحانه وتعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة صدق رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين
خريفا قبل ان يبلغ قعره وايا ما كان فهو مبتدا وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف البخس في الكيل
والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان
اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه الصلاة والسلام وبها رجل يعرف بابي
جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت
بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها
عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا
فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا
منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الى آخره صفة كاشفة
للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل اي اذا اكتالوا من الناس مكيلهم
بحكم الشراء ونحوه ياخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة

الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي كلمة اذا والاخلال بالمعنى بل في نفس الامر
بموجب الجور فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا
باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس الكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان
ذلك للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس فيه اقتضاء بلا شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان تكون لهم على احد
شيء بطريق الشراء ونحوه مع ان الشائع فيما بينهم فيما يكون به معنى الاستيفاء لاخذ ما لهم عليهم وافيا
من غير نقص لخروجه لما ذكر عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون ذلك لذمهم والدعاء عليهم
وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدي نفعا فان اعتبار كون
المكيل لهم حالا كان او مالا لا يشتد على كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا الحال فيما نقل عن الفراء
من ان من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك
واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتامل وقد جوز ان يكون على متعلقا بيستوفون ويكون
تقديمها على الفعل لافادة خصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون
لها وانت خبير بان القصد بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب
تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره على ذلك بطريق القلب او الافراد والتعيين حسبما يقتضيه المقام
ولا ريب في ان الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم
الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير في قوله تعالى
واذا كالوهم او وزنوهم للناس اي اذا كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه **يخسرون** اي ينقصون يقال
خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا اي جنيت لك
وجعل البارز تاكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار
والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم
منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم
في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى **الا يظن اولئك انهم**
مبعوثون استيناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى
المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى
الشيء متعرضا لوصفه تحقق اضافته بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون
بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية
وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون
بذلك الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون **ليوم عظيم** لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه
ويحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا مما يتخالجه
الشك فاوهام لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى **يوم**
يقوم الناس لرب العالمين اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل بمبعوثون
او مرفوع المحل خبر لمبتدا مضمر او مجرور بدل من ليوم عظيم مبني على الفتح لاضافته الى الفعل
وان كان مضارعا كما هو راي الكوفيين ويؤيده الاخيرين القراءة بالرفع والجر وفي هذا
الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله تعالى خاضعين
ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف
وامثاله ما لا يخفى **كلا** ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى

ذكر

ان كتاب الفجار لفي سجين الى آخره تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق
وسجين علم لكتاب جامع لديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين
منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق
في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم موحش وهو مسكن
ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة
اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تعالى **وما ادراك ما سجين**
تهويل لامره اي هو بحيث لا تبلغه دراية احد وقوله تعالى **كتاب مرقوم** اي مسطور بين الكتابة
او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم
وقوله تعالى **ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين** اما مجرور على انه صفة ذامة
للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم **وما يكذب به الا كل معتد** اي متجاوز عن
حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته
للمبدا **اثيم** اي منهمك في الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة
الباقية وحملته على انكارها **اذا تتلى عليه آياتنا** الناطقة بذلك **قال** من فرط جهله واعراضه
عن الحق الذي لا محيد عنه **اساطير الاولين** اي هي حكايات الاولين قال الكلبي المراد بالمعتدي
الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحارث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة
وقرئ أإذا تتلى على الاستفهام الانكاري **كلا** ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب
له فيه وقوله تعالى **بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** بيان لما ادى بهم الى تلك الكلمة العظيمة
اي ليس في آياتنا ما يصح ان يقال في شانها مثل هذه المقالة الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها
ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدا في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة
الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود
قلبه فلذلك قالوا ما قالوا والرين الصدا يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا
ويقال ران فيه النوم رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء **كلا** ردع وزجر عن الكسب الراين
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم
باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون
عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته **ثم انهم لصالوا الجحيم** اي داخلوا النار وثم لتراخي الرتبة
فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة **ثم يقال لهم** توبيخا وتقريعا من جهة
الزبانية **هذا الذي كنتم به تكذبون** فذوقوا عذابه **كلا** ردع عما كانوا عليه ليعقد ردع وزجر
اثر زجر وقوله تعالى **ان كتاب الابرار لفي عليين** استيناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد
بيان سوء حال الفجار متصل بما قبله من بيان سوء حال كتابهم وفيه تاكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم
من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه ما عملت الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من
جمع على فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه
مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام في قوله تعالى **وما ادراك**
ما عليون كتاب مرقوم كما مر في نظيره وقوله تعالى **يشهده المقربون** صفة اخرى لكتاب اي
يحضرونه ويحفظونه او يشهدون بما فيه يوم القيامة **ان الابرار لفي نعيم** شروع في بيان محاسن
احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شان الفجار **على الارائك** اي على الاسرة في الحجال ولا

بكاد تطلق الارايكة على السرير عندهم الا عند كونه في الحجلة ينظرون اي الى ما شاؤا مد اعينهم
اليه من رغايب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار
وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي بهجة التنعم وماءه ورونقه
والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص
برؤيته راء دون راء يسقون من رحيق شراب خالص لا غش فيه مختوم ختامه مسك اي
مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اي مقطعه
رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك اشارة الى الرحيق وهو
الانسب لما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما في من معنى البعد وما الاشعار بعلو رتبته وبعد
منزلته فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون
بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فالنعمل العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل
فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالب في الشيء النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدي
نفست الشيء انفسه نفاسة والتنافس التفاعل من النفاسة وهو حرص واحد من الشخصين على الشيء
واصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اي يضن
به ومزاجه من تسنيم عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اي
ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة
او لانها تأتيهم من فوق روي انها تجري في الهواء
متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا نصب على الاختصاص وجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا
لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة والباء
مزيدة او بمعنى من وقوله تعالى ان الذين اجرموا الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جي بها تمهيدا لذكر
بعض احوال الابرار في الجنة كانوا في الدنيا من الذين آمنوا يضحكون اي يستهزئون بفقراء المؤمنين كعمار وصهيب وخباب
وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا
من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى افي الله شك واما لمراعاة الفواصل
واذا مروا اي فقراء المؤمنين بهم بالمشركين وهم في انديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا يتغامزون
اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم الى اهلهم انقلبوا فكهين
متلذذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم
ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين وقيل فكهين مسرورين وقيل فرحين و
متفكهين وقيل ناعمين وقيل معجبين واذا رأوهم اينما كانوا قالوا ان هؤلاء لضالون اي نسبوا
المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم بطريق التأكيد وما ارسلوا عليهم على المسلمين حافظين حال
من واو قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم
ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤا عليه
من القول من وظايف الرسل من جهته تعالى ويجوز ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان
هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم
نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن او بالعبارة كما في قولك حلف لافعلن فاليوم الذين آمنوا
اي المعهودون من الفقراء من الكفار اي من المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين يضحكون
حين يرونهم اذلاء مغلوبين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العز والكبر ورهقهم الوان العذاب

التنعيم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اي فاليوم هم من الكفار يضحكون
لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى على الارائك ينظرون حال من فاعل يضحكون اي يضحكون
منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها
فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون منهم فيأباه قوله تعالى هل
ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فان تسخيرهم في ان تضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد
للمجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام في الثاء وعنه صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت اي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله تعالى عنه
تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت اي انقادت واذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت
ارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه امر الامر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم فهو من الجملة ونظيرتها الآتية منزلة قوله تعالى اتينا طائعين
في الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه
فيما سلف وحقت اي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم تكن كذلك بل في نفسها وحد
ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لكن لا على ان المراد
خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التي يتأتى لها كل مقدور
ولا يتخلف عنها امر من الامور فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه واذا الارض مدت
اي بسطت بازالة جبالها واكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا
ولا امتا او زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى امده اي زاده والقت ما فيها اي رمت ما في جوفها
من الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق شيء
منه كانها تكلفت في ذلك اقصى جهدها واذنت لربها في الالقاء والتخلي وحقت اي وهي حقيقة
بذلك اي شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال
المنسوبة الى السماء وقوعها في الوقت الممتد الذي هو مدلولها قد مر سره فيما مر يا ايها الانسان
انك كادح الى ربك كدحا اي جاهد مجد الى الموت وما بعده من الاحوال التي مثلت باللقاء
مبالغ في ذلك فان الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا
خدشه فملاقيه اي فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى
فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا الى آخره قيل جواب اذا
كما في قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله
تعالى يا ايها الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايماء الى قصور العبارة عن بيانه
او للتعويل على دلالة ما مر في سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى
يا ايها الانسان تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض
وقيل هو يا ايها الانسان الخ باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا يناقش فيه ولا اعتراض
وعن الصديقة رضي الله تعالى عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله
مسرورا اي عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين فرحا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه

وقيل إلى أهله في الجنة من الحور والغلمان وأما من أوتي كتابه وراء ظهره أي يؤتى كتابه بشماله
من وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يسراه
من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا أي يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك لمن يدعو
فهذا وقتك فانك وإلى أمثالك ويصلى سعيرا أي يدخلها وقرئ ويصلى كقوله تعالى
وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كما في قوله تعالى ونصليه جهنم إنه كان في أهله أي فيما
بين أهله وعشيرته في الدنيا مسرورا مترفا بطرا مستبشرا كدأب الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا
يخطر ببالهم أمور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله وعاقبته كما هو سنة
الصالحين والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى إنه ظن أن لن
يحور تعليل لسروره في الدنيا أي ظن أن لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبا بالمعاد وأن مخففة
من أن سادة مع ما في حيزها مسد مفعولي الظن أو أحدهما على الخلاف المعروف بلى إيجاب لما
بعد لن وقوله تعالى إن ربه كان به بصيرا تحقيق وتعليل له أي بلى ليحورن البتة إن ربه
الذي خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد أن يرجعه
ويحاسبه ويجازيه عليها حتما وقيل نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأسد وأخيه الأسود
فلا أقسم بالشفق هي الحمرة التي تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب أو البياض الذي يليها سمي به
لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب والليل وما وسق وما جمعه وما ضمه يقال
وسقه فاتسق واستوسق أي جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي إلى مكانه من الدواب
وغيرها والقمر إذا اتسق أي اجتمع وتم بدرا ليلة أربع عشرة لتركبن طبقا عن طبق أي لتلاقن
حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لأختها في الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة
وهو الأوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها
أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرئ لتركبن بالإفراد على خطاب
الإنسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله للأفراد كالقراءة الأولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس
وليركبن بالياء أي ليركبن الإنسان ومحل عن طبق النصب على أنه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا لطبق
أو حال من الضمير في لتركبن مجاوزين أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى فما
لهم لا يؤمنون لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجيب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأهوالها الموجبة
للإيمان والسجود أي إذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين أي أي شيء
يمنعهم من الإيمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون جملة
شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها أي فأي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم
واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد
هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رءوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله على
وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة أنه سجد فيها وقال
ما سجدت إلا بعد أن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس رضي الله عنه صليت خلف أبي بكر
وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فسجدوا وعن الحسن رضي الله تعالى عنه هي غير واجبة بل الذين كفروا
يكذبون بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون
عند تلاوته والله أعلم بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي
والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب علما فعليا تفصيليا فبشرهم

بعذاب أليم لأن علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات استثناء منقطع إن جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل إن أريد به من آمن
منهم بعد ذلك وقوله تعالى لهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع أو غير ممنون به عليهم استئناف مقرر لما
أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله تعالى أن يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات ويكون فيها
الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها
وأصل التركيب للظهور واليوم الموعود أي يوم القيامة وشاهد ومشهود أي ومن يشهد في ذلك
اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للإبهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه
وصفهما أو للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة عيسى عليه الصلاة
والسلام وأمته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا إلى آخره وقيل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسائر
الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالي
وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو
غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد صلى الله عليه وسلم
قتل أصحاب الأخدود قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والأصل لقتل كما في قول من قال
حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث ولا صال وقيل تقديره لقد قتل والأظهر أن الجملة
خبرية والأصل أنه جواب القسم محذوف كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء إنهم أي كفار مكة ملعونون
كما لعن أصحاب الأخدود فإن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان وتصبيرهم
على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا
بذلك ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله بمنزلة أولئك المعذبين
ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والأخدود الخد في الأرض ونحوهما
بناء ومعنى الحق والأخقوق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم إليه
غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه ومال قلبه إليه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس
قيل كانت الدابة أسدا فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان
الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء وعمي جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله
من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع عن دينه
فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به إلى
قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس
في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه
فوقع في صدغه فوضع يده عليه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد
في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست
فقال الصبي يا أماه اصبري فإنك على الحق وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ما هي إلا غميضة فصبرت
وقيل أخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل

وعن علي رضي الله تعالى عنه أن بعض ملوك المجوس وقع على أخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت
له المخرج أن تخطب الناس فتقول إن الله قد أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك إن الله حرمه فخطب فلم يقبلوا
منه فقالت ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فأمرت بالأخاديد
وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب الأخدود وقيل لما تنصر نجران رجل ممن كان على
دين عيسى عليه الصلاة والسلام ودعاهم فأجابوه سار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم
بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفا في الأخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن طول الأخدود
أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا النار بدل اشتمال من الأخدود ذات الوقود وصف لها بغاية
العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوهجها من الحطب وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى إذ هم
عليها قعود ظرف لقتل أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات
الأخدود كما في قوله وبات على النار الندى والمحلق وقوله تعالى وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهود أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحدا لم يفرط فيما أمر به أو أنهم شهود يشهدون بما فعلوا
بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وينطق
به الروايات المشهورة وقد روي أن الجبابرة لما ألقوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم
النار فاحترقوا ونجى الله تعالى المؤمنين منها سالمين وإليه ذهب الربيع بن أنس والواحدي
وعلى ذلك حمل قوله تعالى ولهم عذاب الحريق وما نقموا منهم أي ما أنكروا منهم وما عابوا إلا أن يؤمنوا
بالله العزيز الحميد استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله ولا عيب
فيهم غير أن ضيوفهم تلام بنسيان الأحبة والوطن ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا
منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى الذي له ملك السموات والأرض للإشعار بمناط إيمانهم
وقوله تعالى والله على كل شيء شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فإن علمه تعالى بجميع الأشياء
التي من جملتها أعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
أي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم إما أصحاب الأخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون
في الأخدود وإما الذين بلوهم في ذلك بالأذية والتعذيب على الإطلاق وهم داخلون في جملتهم
دخولا أوليا ثم لم يتوبوا أي عن كفرهم وفتنتهم فإن ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير كافر
قطعا وقوله تعالى فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لإن أو الخبر هو الظرف وعذاب مرتفع به على
الفاعلية وهو الأحسن والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ولا ضير في نسخه بإن خلافا للأخفش
والمعنى لهم في الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار أخرى عظيمة تتسبب
فتنتهم المؤمنين إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الإطلاق من المفتونين وغيرهم لهم بسبب
ما ذكر من الإيمان والعمل الصالح جنات تجري من تحتها الأنهار إن أريد بالجنات الأشجار فجريان الأنهار
من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فإن أشجارها
ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا ذلك إشارة إلى الجنات الموصوفة
والتذكير لتأويلها بما ذكر للإشعار بأن مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه المتنافسون فإن اسم الإشارة
متعرض للذات المشار إليه من حيث اتصافه بأوصافه المذكورة لا للذات فقط كما هو شأن الضمير فإذا
أشير إلى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما وأما ما أنه يفيده قوله تعالى
جنات الآخرة من حيازتهم لها فإن حصولها لهم بمثابة حيازتهم لها قطعا وأيا ما كان فما فيه من
معنى البعد للإيذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره

ما بعده

ما بعده أي ذلك المذكور العظيم الشأن الفوز الكبير الذي تصغر عنده الدنيا وما فيها من
فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الأول هو مصدر أطلق على
المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله إن بطش ربك لشديد استئناف خوطب به النبي
صلى الله عليه وسلم إيذانا بأن لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض
لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام والبطش الأخذ بعنف وحيث
وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذه إياهم بالعذاب
والانتقام كقوله تعالى وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد
إنه هو يبدئ ويعيد أي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لأحد في شيء منهما ففيه
مزيد تقرير لشدة بطشه أو هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة وهو الغفور
لمن تاب وآمن الودود المحب لمن أطاع ذو العرش على أنه صفة ربك المجيد العظيم في ذاته
وصفاته فإنه واجب الوجود وتام القدرة وكامل الحكمة وقرئ بالجر على أنه صفة لربك أو
للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد بحيث لا يتخلف عن إرادته مراد من أفعاله تعالى
وأفعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى هل أتاك حديث الجنود استئناف
مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن
لتسليته صلى الله عليه وسلم بالإشعار بأنه سيصيب قومه ما أصاب الجنود فرعون
وثمود بدل من الجنود لأن المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي
بالكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا
وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون الله تعالى وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وقوله
تعالى بل الذين كفروا في تكذيب إضراب عن مماثلتهم في ذلك بل هم أشد منهم في استحقاق العذاب
واستيجاب العقاب فإنهم مستغرقون في تكذيب شديد للقرآن الكريم أو قيل ليس جنايتهم مجرد
عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك
لكن لا أنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكونه ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح أمره
وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم
فوت المحاط المحيط وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد رد لكفرهم وإبطال لتكذيبهم وتحقيق للحق أي ليس
الأمر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الإلهية في النظم والمعنى وقرئ قرآن
مجيد بالإضافة أي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ أي من التحريف ووصول الشياطين إليه وقرئ
محفوظ بالرفع على أنه صفة قرآن وقرئ في لوح وهو الهواء أي ما فوق السماء السابعة التي فيها اللوح
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا
عشر حسنات

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق الطارق في الأصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا إذا جاء ليلا قال الماوردي
وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وإنما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه إلى طرق الباب
غالبا ثم اتسع في التوسع حتى أطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة مدلج
سدكا بأرحلنا ولم يتعرج والمراد ههنا الكوكب البادي بالليل إما على أنه اسم جنس أو كوكب معهود
وقيل الطارق النجم الذي يقال له الكوكب الصبح وقوله تعالى وما أدراك ما الطارق تنويه

بشأنها ثم تفخيم بالاقسام به وتنبيها على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدأ وادري خبره والثانية خبر والطارق مبتدأ [illegible] اي واي شيء اعلمك ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ عما قبله كأنه قيل ما هو فقيل هو النجم المضيء في الغاية كأنه يثقب الظلام والافلاك بضوئه فينفذ فيها وقيل المراد به الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود فقيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنهه وان ذلك مما لا يبلغه افكار الخلق ثم تفسيره بالنجم الثاقب تفخيم لشأنه واجلال لمحله مما لا يخفى وقوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها فان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اي ان الشأن كل نفس لعليها حافظ يحصي عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل فلينظر الانسان مم خلق مستوجب على الانسان ان يتفكر في مبدأ فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملي على حافظه ما يرديه وقوله تعالى خلق من ماء دافق استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب اي صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهو النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصتا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب انه الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه اي ان الذي خلقه ابتداء مما ذكر على رجعه اي اعادته بعد موته لقادر لبين القدرة يوم تبلى السرائر اي يتعرف ويتصفح ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه فما له اي للانسان من قوة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينصره به والسماء ذات الرجع اي المطر سمي رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا والارض ذات الصدع هو ما يتصدع عنه الارض من النبات او مصدر من المبني للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عنه وعن المطر بالرجع وكذلك في تشقق

الارض

الارض بالنبات المحاكي للنشر حسبما ذكر في مواقع من التنزيل لا في تشققها بالعيون انه اي القرآن الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده لقول فصل اي فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كأنه نفس الفصل وما هو بالهزل ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة انهم اي اهل مكة يكيدون في ابطال امره واطفاء نوره كيدا حسبما تفي به قدرتهم واكيد كيدا اي اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون فمهل الكافرين اي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك اي لا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه لمكايدتهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى امهلهم بدل من مهل وقوله تعالى رويدا اما مصدر مؤكد بمعنى الفاعل او نعت لمصدر محذوف اي امهلهم امهالا رويدا اي قريبا كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة هو في الاصل تصغير رود مصدرا رود بالضم وله في الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا اي متمهلين وفي ايراد البدل بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده بما يدل على احد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

سورة الاعلى [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى اي نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اي خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه وقوله تعالى والذي قدر اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا الحال فيما بعده اي قدر اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها فهدى اي فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا او اختيارا او يسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات فلو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرأيت في كل منها ما يحار فيه العقول يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان تمسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك عينها بورقها وترجع باصرة باذن الله عز وجل وروي ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما ياكله من فمه حيث قيض الله تعالى له طائرا قد جعل غذاءه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فاه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه وامثال ذلك كثيرة واما فنون هداياته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية مما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير والذي اخرج المرعى اي انبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف فجعله بعد ذلك غثاء احوى اي دريا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد ذلك

وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم إثر بيان
هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن
الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه الصلاة والسلام لهداية الناس أجمعين والسين إما للتأكيد
وإما لأن المراد إقراء ما أوحي إليه حينئذ وما سيوحى إليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في
ضمن الوعد بالإقراء أي سنقرئك ما نوحي إليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام
أو سنجعلك قارئا بإلهام القراءة فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ والإتقان مع أنك أمي لا تدري ما الكتاب
وما القراءة ليكون ذلك آية أخرى لك مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الإعجاز
ومن حيث الإخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي والألف لمراعاة الفاصلة كما في قوله فأضلونا السبيلا
استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أي لا تنسى مما تقرؤه شيئا من الأشياء إلا ما شاء الله أن تنساه
أبدا بأن نسخ تلاوته والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة والإيذان بدوران المشيئة على عنوان
الألوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روي
أنه صلى الله عليه وسلم أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي أنها نسخت فسأله فقال صلى الله عليه وسلم
نسيتها وقيل نفي النسيان رأسا فإن القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان حينئذ نفي
النسيان بالكلية وهو النفي رأسا إلا ما قد ينسى ثم يذكر إنه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما
قبله أي يعلم ما ظهر وما بطن من الأمور التي من جملتها ما أوحي إليك فينسي ما يشاء إنساءه
ويبقي محفوظا ما يشاء إبقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم ونيسرك لليسرى عطف
على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات إلى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق
التيسير به عليه الصلاة والسلام مع أن الشائع تعلقه بالأمور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى
ويسر لي أمري للإيذان بقوة تمكينه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار
ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جبل عليها كما في قوله عليه الصلاة والسلام اعملوا
فكل ميسر لما خلق له أي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علما
وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طرق تلقي الوحي والإحاطة بما فيه من أحكام
الشريعة السمحة والنواميس الإلهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه الصلاة والسلام وتكميل غيره كما
يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فذكر إن نفعت الذكرى أي فذكر الناس حسبما يسرناك له بما
يوحى إليك واهدهم إلى ما في تضاعيفه من الأحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعدما استتب لك
الأمر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يذكرهم
ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد حرصا على إيمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم
إلا كفرا وعنادا فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بأن يكون من يذكره
كلا أو بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير إلا عتوا ونفورا من
المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فأعرض عن من تولى
عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكورين واستبعاد لتأثير الذكرى فيهم وقيل هو أمر بالتذكير على الإطلاق
على طريقة الوعظ ... والأول هو اللائق
تعالى سيذكر من يخشى أي سيتذكر بتذكيرك من من شأنه أن يخشى الله تعالى حق خشيته أو من يخشى
الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في أمر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وقيل
بمعنى إذ كما في قوله تعالى وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين أي إذ كنتم وقيل هو بمعنى ما أي إن ذكرتنا

نفعت الذكرى فإنها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير إن نفعت الذكرى أو لم
تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي ويتجنبها أي
الذكرى الأشقى من الكفرة لتوغلهم في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
وعتبة بن أبي ربيعة الذي يصلى النار الكبرى أي الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى
نار جهنم ثم لا يموت فيها حتى يستريح ولا يحيى حياة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لأن
التردد بين الموت والحياة أفظع من الصلي قد أفلح أي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى أي تطهر من
الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر
للصلاة وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما أن عند الإخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الآخرة
يتوقع السامع الإخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى أي أقام
الصلوات الخمس كقوله تعالى أقم الصلاة لذكري ولعل تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى أي تصدق صدقة
الفطر وذكر اسم ربه أي كبر يوم العيد فصلى صلاة العيد بل تؤثرون الحياة الدنيا إضراب عن مقدر
ينساق إليه الكلام كأنه قيل إثر بيان ما يؤدي إلى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات الفانية
فتسعون لتحصيلها والخطاب إما للكفرة فالمراد بإيثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والإعراض
عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وإما
للكل فالمراد بإيثارها ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي
وترتيب المبادي والالتفات على الأول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة ولتشديد العتاب
في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى والآخرة خير وأبقى حال من فاعل تؤثرون مؤكد
للتوبيخ والعتاب أي تؤثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير في نفسها لما أن نعيمها مع كونه في غاية ما
يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات
وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره إن هذا إشارة إلى ما ذكر من قوله تعالى قد أفلح من تزكى وقيل إلى ما في السورة
جميعا لفي الصحف الأولى أي ثابت فيها معناه صحف إبراهيم وموسى بدل من الصحف الأولى وفي إبهامها
ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى روي أن جميع ما أنزل الله تعالى من كتاب
مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عليه الصلاة والسلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس
ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحف والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل أتى على الإنسان الآية قال قطرب
أي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام أريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق إلى
استماعه والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي حقها أن يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة
من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم بأهوالها وهي القيامة
من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الآية وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن
فوقهم غواش والأول هو الحق فإن ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار وأهلها بل ناطق بأحوال أهل
الجنة أيضا وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة إلخ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من الاستفهام التشويقي كأنه قيل من جهته عليه الصلاة والسلام ما أتاني حديثها ما هو فقيل

وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت تلبله قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يكن اتاه عليه الصلاة والسلام
حديثها فاخبره جبريل عليه الصلاة والسلام عنها فقال وجوه يومئذ الخ فوجوه مبتدأ ولا باس
بتنكيرها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى **عاملة ناصبة** خبران آخران لوجوه
اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهو جر السلاسل والاغلال والخوض في النار
خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء
والتذت بها فهي يومئذ ناصبة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة وقوله تعالى
تصلى اي تدخل **نارا حامية** اي متناهية في الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات
لوجوه وقد مر غير مرة ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها
صفة له ولا ريب في ان صلي النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متناسبة في الانتساب الى الوجوه
معرفة وجها لا يجعل بعضها عنوانا للموضوع فيجعل لغوا غير مقصود الافادة وبعضها مناطا
للافادة بحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استينافا مبينا لتفاصيل احوالها **تسقى من
عين آنية** اي متناهية في الحر كما في قوله تعالى وبين حميم آن **ليس لهم طعام الا من ضريع** بيان
لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته
وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون
ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك وقيل طعام يبغضه اهل النار والزقوم والغسلين
لآخرين **لا يسمن ولا يغني من جوع** اي ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما
هو شيء يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه
لا يفيدهم شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم
وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة
لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني
عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم
عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في احشائهم الى ادخال شيء حتى يملؤها ويخرج
ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل واستغناء به
عن الغير او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع
والتهابه في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة
قوة به في الجملة وهو المعنى بما روي انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع
فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع
امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني من جوع ما وتأخير نفي الاغناء منه لمراعاة
الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان
ضرورة استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذا كرر لا لتأكيد النفي وقوله
تعالى **وجوه يومئذ ناعمة** شروع في رواية حديث اهل الجنة بعد حكاية سوء
حال اهل النار تسمية بتذكير الحكي حسبما يقتضيه الكلام في اعراب الجملة كالتي قبلها
وانما لم تعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله
تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة **لسعيها راضية** اي لعملها الذي عملته في
الدنيا حيث شاهدت ثمرته **في جنة عالية** مرتفعة المحل او علية المقدار **لا تسمع** اي انت

او الوجوه

او الوجوه **فيها لاغية** لغوا او كلمة ذات لغو فان كلام اهل الجنة كله اذكار
وحكم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية **فيها عين جارية** اي
عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس ما احضرت **فيها سرر مرفوعة** رفيعة السمك
او المقدار **واكواب** جمع كوب وهو اناء لا عروة له **موضوعة** اي بين ايديهم **ونمارق** وسائد
جمع نمرقة بالفتح والضم **مصفوفة** بعضها الى بعض **وزرابي** اي بسط فاخرة جمع زربية **مبثوثة**
مبسوطة **افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت** استيناف مسوق للتقرير ما فصل من حديث الغاشية
وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة
للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالى
كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل اي ينكرون ما ذكر من
البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه عن قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب اعينهم
يستعملونها كل حين الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات
في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيآتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء
بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى
ان اظماءها ليبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما
لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض
حيث يستعملها في ذلك كيف ما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير **والى السماء** التي يشاهدونها
كل لحظة بالليل والنهار **كيف رفعت** رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا امساك بحيث لا يناله الفهم
والادراك **والى الجبال** التي ينزلون في اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها **كيف نصبت** نصبا
رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد **والى الارض** التي يضربون فيها ويتقلبون عليها **كيف سطحت**
سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق وقرئ
سطحت مشددا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى
افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقيقة البعث والنشور
ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة
والفاء في قوله تعالى **فذكر** لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اي فاقتصر على
التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى **انما انت مذكر** تعليل للامر وقوله
لست عليهم بمصيطر تقرير له وتحقيق لمعناه اي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد
كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء
قيل هي لغة تميم فان سيطر عندهم متعد ويقوي هذه سيطر وقوله تعالى **الا من تولى وكفر**
استثناء منقطع اي لكن من تولى منهم فان لله تعالى الولاية والقهر **فيعذبه الله العذاب الاكبر** الذي
هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب
الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول انه قرئ الا على التنبيه وقوله تعالى **ان الينا ايابهم** تعليل
لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر اي الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا
وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم
على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من اوب كفعال من كذب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم
قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى في الثانية **ثم ان علينا حسابهم** في المحشر لا على غيرنا وثم

للتراخي في الرتبة لا في الزمان فان الرتب لرمادي بين ايابهم وحسابهم لا من حيث كون ايابهم اليه تعالى
وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية
على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلتها في الشدة من غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم سبحانه وتعالى بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلاته
وليال عشر هي عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها
للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر اي الاشياء كلها شفعها
ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة وقد
كثرت فيهما الاقوال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر
بالفتح في العدد وبالكسر في الترة وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء والليل اذا يسر اي يمضي كقوله
تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد بذلك لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور
النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اي صلي فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ باثباتها
على الاصل هل في ذلك قسم الى اخره تحقيق وتقرير لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا جليلة
حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به بان يؤكد به
الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير
بتاويل ما ذكر كما مر تحقيقه واما الى الاقسام بها واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه
وبعد منزلته في الفضل والشرف اي هل فيما ذكر من الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يراه حقيقا بان يقسم
به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر او
في اقسامي بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر
العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة
ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه
محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد الى اخره فانه استشهاد
عليه الصلاة والسلام بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم المشاركين لقومه عليه الصلاة والسلام في
الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الاية وقوله تعالى الم تر انهم في
كل واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب هؤلاء ايضا لاشتراكهم
فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود عليه
الصلاة والسلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم
عاد الاخيرة قال عماد الدين ابن كثير كل ما ورد في القران خبر عاد الاولى الا ما في سورة الاحقاف وقوله تعالى
ارم عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان
ارم اسم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة وايا ما كان فامتناع صرفها للتعريف
والتانيث وقرئ ارم باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم ذات العماد صفة لارم اي ذات القدود
الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام
والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم

وقرئ بعاد ارم

وقرئ ادم اي ذات العماد والادم العلم اي بعاد ذي اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم وقرئ ارم
ذات العماد اي جعلها الله تعالى رميما بدلا من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة
وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد فملك الدنيا
ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة وهي
مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار
والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله
تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه
مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها
رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم
التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم اي
لم يخلق مثلها في عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع فكان ياتي الصخرة العظيمة
فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق
على اسناده الى الله تعالى وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس
ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين
الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد الذين جابوا الصخر بالواد اي قطعوا صخر الجبال واتخذوا
فيها بيوتا لتحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا وقيل هم اول من نحت الجبال والصخور والرخام
وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد وصف بذلك لكثرة جنوده
وخيامهم التي كانوا يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد اما مجرور
على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا
الكلام في قوله تعالى فاكثروا فيها الفساد اي بالكفر وسائر المعاصي فصب عليهم اي انزل
ربك انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد
سوط عذاب اي عذابا شديدا لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت
في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم في الاخرة بمنزلة السوط
عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة
عن اراقة شيء مائع او جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمراره
ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب
بقطرات الشيء المصبوب وقيل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد
فسر بالنصيب والشدة ايضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ في تشبيهه
بالمصبوب الى اعتبار ذكر ما يتعلق به العذاب كما في المعنى الاول ولنا لكل واحد من هذه المعاني مما قيل
لا استمرار في نفسه وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه
صلى الله عليه وسلم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام وقيل هو جواب للقسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان
الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم
لا يفوتونه وقوله تعالى فاما الانسان الى اخره متصل بما قبله كانه قيل ان الله تعالى بالرصد
مراقب لاحوال العباد ومجازيهم باعمالهم خيرا او شرا فاما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح

انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذاتها اذا ما ابتلاه ربه اي عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى فاكرمه ونعمه تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء فيقول ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل به عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدا الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التاخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي واما اذا ما ابتلاه اي واما هو اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة فيقول ربي اهانن ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شيء بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ اكرمني واهانني باثبات الياء واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف كلا ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيهما في كلتا الحالتين قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب على قوله الاخير بعيد وقوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايات الناس المتشافهة بالتوبيخ لتشديد التقريع وتاكيد التشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون ولا تحاضون بحذف احدى التاءين من تتحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اي على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالتاء والياء وتاكلون التراث اي الميراث واصله وراث اكلا لما اي ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان وياكلون انصباءهم او ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون بالياء كلا ردع لهم عن ذلك اذا دكت الارض دكا دكا استئناف جيء بطريق الوعيد تعليلا للردع اي اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسرت وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية فلم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء واياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وجاء ربك اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته وقيل جاء امره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا اي مصطفين او ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام مع سبعين الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا يومئذ بدل من اذا والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اي يتذكر ما فرط فيه بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال تتجسم في النشاة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى وانى له الذكرى اعتراض جيء به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى لعدم وقوعه في اوانه وانى خبر مقدم والذكرى مبتدا

وله متعلق بما تعلق به الخبر اي ومن اين يكون له الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت لحياتي وهو بدل اشتمال من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى ان كان ممكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفي الفعل يعتقد انه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة فيومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه يومئذ اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والفساد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية احوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها تترقى في معارج الاسباب والمسببات الى المبدا الموثق بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شؤونها عن غيرها بالكلية وقيل هي النفس المطمئنة المؤمنة المتوقية الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام او على لسان الملك عندما يحاسب الناس وهو الاظهر وقيل عند الموت وقيل عند البعث ارجعي الى ربك اي الى موعده او الى امره راضية بما اوتيته من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلي في عبادي في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي وادخلي جنتي معهم وانتظمي في سلك المقربين واستضيئي بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي في اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي فهذا ايضا يكون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضي الله تعالى عنهما والظاهر العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر الله له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام وما عطف عليه على ان الانسان خلق مغمورا في مقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما لتشريفه صلى الله عليه وسلم بجعل حلوله عليه الصلاة والسلام به مناطا لاعظامه بالاقسام به او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان انه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما

لا يخفى فيه وهو ابلغ المرسال عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها ويعضدوا بها الشجرة ويستحلون اخراجك
وقتلك وفيه تسلية له عليه الصلاة والسلام بالوعد بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله
تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له عليه الصلاة
والسلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت فاحل عليه الصلاة والسلام ما شاء وحرم
ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله
حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي
ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد
فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه الصلاة والسلام الا الاذخر
ووالد عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم وبقوله تعالى وما ولد اسماعيل والنبي صلى الله عليه وسلم
حيثما ينبئ عن المعطوف عليه فان حرم ابراهيم ومنشأ اسماعيل ومسقط رسول الله صلى الله
عليه وسلم والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم كتنكيره والد وابراهيم بعنوان الوالد ترشيح
لمضمون الجواب وايماء الى انه متحقق في حقه الوالدية والولدية وقيل آدم عليه الصلاة والسلام ونسله
وهو انسب بمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا يتسنى من اعتبار التغليب
وقيل كل والد وولده لقد خلقنا الانسان في كبد اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد
من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ثم اتسع فيه حتى
استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى ايحسب لبعضهم الذي كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكابد منهم كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة
مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع
قطعا ولا تزل قدماه اي ايظن هذا القوي المارد المتضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد ان
مخففة من ان واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف اي ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد يقول
اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر
ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق وان الله تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين
يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل
والشرب وغيرها وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع
فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في
الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة اي اي شيء اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة
تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة فك رقبة اي هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة
اي مجاعة يتيما ذا مقربة اي قرابة او مسكينا ذا متربة اي افتقار وحيث كان المراد بالاقتحام
هذه الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما
او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرئ
فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بثم للدلالة على تراخي
رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اي اوصى
بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته تعالى
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه

للايذان

للايذان ببعد منزلتهم في الشرف والفضل اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة المذكورة
اصحاب الميمنة اي اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة
او بالقرآن هم اصحاب المشأمة اي الشمال او الشؤم عليهم نار مؤصدة مطبقة من آصدت الباب
اذا اطبقته واغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها اي ضوئها اذا اشرقت وقيام سلطانها وقيل ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك
والضحا بالفتح والمد امتداد النهار وكاد ان يتنصف والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل
اذا تلاها طلوعا عند طلوعها وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اي جلى الشمس
فانها تتجلى عند انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التي تبسطه او جلى الظلمة او الدنيا او الارض
وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اي الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض وحيث
كانت الواوات العاطفة نوائب الواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا
في قولك اقسم بالله حقهن ان يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا والسماء وما
بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم الشان الذي بناها وجعلها ما
مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام في قوله تعالى والارض وما طحاها اي بسطها من كل جانب
ونفس وما سواها اي انشأها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه
الصلاة والسلام او للتكثير وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقواها اي افهمها اياهما وعرفها
حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة
الفواصل قد افلح من زكاها اي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها
بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى وقد خاب من
دساها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به ايضا اصالة اي نقصها
واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى
فالهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد واما الجواب فحذف تعويلا على دلالة قوله تعالى
كذبت ثمود بطغواها عليه كانه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام وهو على
الاول استيناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح
الطغيان والباء للسببية اي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجراءته على الله
تعالى او صلة للتكذيب اي كذبت بما اوعدت به من العذاب ذي الطغوى لقوله تعالى فاهلكوا
بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو ايضا مصدر كالرجعى اذ انبعث اشقاها
منصوب بكذبت او بالطغوى اي حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف وهو من تصدى
لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث
وفضل شقاوته على من عداه مباشرته العقر مع اشتراك الكل في الرضا به فقال لهم اي لثمود رسول
الله اي صالح عليه الصلاة والسلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية
عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في اضافة الناقة الى الله تعالى في قوله تعالى ناقة الله اي ذروا

ناقة الله وسقياها ولا تذودوها عنها في نوبتها فكذبوه اي في وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها
بسوء فيأخذكم عذاب اليم وقد جوز ان يكون ضمير لهم للاشقين ولا يلائمه ضمير سقياها فعقروها
اي الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه
صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس
فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها
الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي والتعرض بذلك مع دلالة الفاء عليه للتنبيه على انه عاقبة الذنب ليعتبر
به كل مذنب فسواها اي الدمدمة بينهم لم يفلت منهم احد من صغيرهم وكبيرهم او فسوى
ثمود بالارض او سواها في الاهلاك ولا يخاف عقباها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر
المعاقبين من الملوك فيبقي بعض الابقاء وذلك انه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه
لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شانه الخوف والواو للحال او للاستيناف وقرئ فلا يخاف وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل احدى وعشرون آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اي يغشى الشمس لقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه بظلامه
والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى
اي والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ما يتوالد وقيل هما آدم وحواء وقرئ
والذكر والانثى وقرئ والذي خلق الذكر والانثى وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى جواب القسم
وشتى جمع شتيت اي ان مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
الخ تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لاحكامها فاما من اعطى حقوق ماله واتقى محارم الله
تعالى التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد او بالملة الحسنى
وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى
يسر وراحة من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واما من بخل اي بماله فلم يبذله في سبيل الخير
واستغنى اي زهد فيما عند الله تعالى كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الاخرة
وكذب بالحسنى اي بما ذكر من المعاني المتلازمة فسنيسره للعسرى اي للخصلة المؤدية الى العسر
والشدة كدخول النار وتقديم ما يشعر باختيارهما ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما
ادنى رتبة مما بعدها في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة
لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول بالاعطاء الطاعة والثاني
بالبخل بما امر به مع كونه مخالفا للظاهر يأباه قوله تعالى وما يغني عنه ماله اي لا يغني او
اي شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به اذا تردى اي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك
او تردى في الحفرة او في قعر جهنم ان علينا للهدى استيناف مقرر اي ان علينا بموجب
قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما
يؤدي اليه من طريق الضلال وما يؤدي اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال
من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين ان الهداية هي الدلالة على ما يوصل
الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان لنا للآخرة والاولى اي التصرف الكلي فيهما كيف
ما نشاء من الافعال التي من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا

كلما في

كل ما في الدنيا والآخرة فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التائين من تتلظى
اي تتلهب وقرئ على الاصل لا يصليها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها
صليا لازما وقد صرح به بقوله تعالى الذي كذب وتولى اي كذب بالحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها
اي سيبعد عنها الاتقى المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها
الابدي واما من دونها ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم
صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق الذي يؤتي ماله يعطيه ويصرفه في وجوه
البر والحسنات وقوله تعالى يتزكى اما بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة لا محل له او في حيز النصب
على انه حال من ضمير يؤتي اي يطلب ان يكون عند الله تعالى زكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة وما
لاحد عنده من نعمة تجزى استيناف مقرر لكون ايتائه للتزكي خالصا لوجه الله تعالى اي ليس لاحد
عنده نعمة من شانها ان تجزى وتكافا فيقصد بايتاء ما يؤتي مجازاتها وقوله تعالى الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى استيناف منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل من نعمة فان الرفع اما على الفاعلية
او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
لا لمكافاة نعمة والآيات نزلت في حق ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين اشترى بلالا في جماعة كان
يؤذيهم المشركون فاعتقهم فلذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وقد روى عطاء
والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي
صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر رضي الله تعالى عنه ان بلالا يعذب
في الله فعرف مراده عليه الصلاة والسلام فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف
فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت
وقوله تعالى ولسوف يرضى جواب قسم مضمر اي وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على
اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضا وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر والله الموفق

سورة الضحى بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار فان قلت تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التي كلم
فيها موسى عليه الصلاة والسلام والقي فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد
به النهار كما في قوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى اي سكن
اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق
ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه الصلاة والسلام وبالليل ليلة المعراج وقوله
تعالى ما ودعك ربك جواب القسم اي ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف اي ما تركك وما قلى
وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او للقصد الى نفي صدور الفعل عنه تعالى
بالكلية مع ان فيه مراعاة للفواصل روي ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما لتركه
الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت
ردا عليهم وتبشيرا له عليه الصلاة والسلام بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب
المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام وحيث تضمن ما سبق
من نفي التوديع والقلى انه تعالى مواصل له بالوحي والكرامة في الدنيا بشره عليه الصلاة والسلام بان ما

سبوته في الآخرة أجل وأعظم من ذلك فقيل **وللآخرة خير لك من الأولى** لأنها باقية صافية عن الشوائب
على الإطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما أوتي عليه الصلاة والسلام من شرف النبوة وإن كان مما
لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو في الدنيا عن بعض العوارض القادحة في تمشية الأحكام مع
عندما أعد له عليه الصلاة والسلام في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الأنبياء والرسل يوم الجمع
يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون أمته شهداء على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم
بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة إلى
المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة أمره عليه الصلاة والسلام أي لنهاية أمرك خير من بدايته لا
يزال يتزايد قوة ويتصاعد رفعة وقوله تعالى **ولسوف يعطيك ربك فترضى** عدة كريمة شاملة
لما أعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الأولين والآخرين وظهور الأمر وإعلاء الدين بالفتوح
الواقعة في عصره عليه الصلاة والسلام وفي أيام الخلفاء الراشدين وغيرهم من الملوك الإسلامية
وفشو الدعوة والإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها إلا الله
عز وجل وقد أنبأ ابن عباس عن شمة منها حيث قال له عليه الصلاة والسلام في الجنة ألف
قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت على الخبر لتأكيد مضمون الجملة
والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك الخ لا للقسم لأنها لا تدخل على المضارع
إلا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الإعطاء كائن لا محالة وإن تراخى لحكمة
وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأكيد قد استثنى النحاة منها صورتين
إحداهما أن يفصل بينها وبين الفعل حرف التنفيس كهذه الآية وكقولك والله لسأعطيك
والثانية أن يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لإلى الله تحشرون وقد قال أبو علي الفارسي
ليست هذه اللام هي التي في قولك إن زيدا لقائم بل هي التي في قولك لأقومن ونابت سوف عن إحدى نوني
التأكيد فكأنه قيل وليعطينك وكذلك اللام في قوله تعالى وللآخرة الخ وقوله تعالى **ألم يجدك
يتيما فآوى** تعديد لما أفاض عليه عليه الصلاة والسلام من أول أمره إلى ذلك الوقت من
فنون النعم العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح
صدره والهمزة لإنكار النفي وتقرير المنفي على أبلغ وجه كأنه قيل قد وجدك الخ والوجود
بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روي أن أباه
مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب
وعطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك إيواؤه وقرئ فأوى وهو من أواه أو من أوى له إذا رحمه
وقوله تعالى **ووجدك ضالا** عطف على ما يقتضيه الإنكار السابق كما أشير إليه أو على المضارع
المنفي بلم داخل في حكمه كأنه قيل أما وجدك يتيما فآوى ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدي
إليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان وقيل ضل في صباه في بعض شعاب
مكة فرده أبو جهل إلى عبد المطلب وقيل ضل مرة أخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب سبعا
وتضرع إلى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فإن لمحمد ربا
لا يخذله ولا يضيعه وإن محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر فذهب عبد المطلب وورقة
ابن نوفل فإذا النبي صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يلعب بالأغصان والأوراق وقيل أضلته
مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في
طريق الشام حين خرج به أبو طالب يروى أن إبليس لعنه الله تعالى أخذ بزمام ناقته في ليلة

مظلمة

مظلمة فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فنفخ نفخة وقع منها إلى أرض الهند ورده إلى القافلة
فهدى فهداك إلى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما أوحي إليك من الكتاب المبين وعلمك
ما لم تكن تعلم أو أزال ضلالك عن جدك وعمك **ووجدك عائلا** أي فقيرا وقرئ عديما
فأغنى فأغناك بمال خديجة رضي الله تعالى عنها أو بما حصل لك من ربح التجارة أو بما أفاء
عليك من الغنائم قال عليه الصلاة والسلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك وأغنى قلبك
فأما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحقر وقرئ فلا تكهر أي فلا
تعبس في وجهه **وأما السائل فلا تنهر** فلا تغلظ ولا تزجر له القول بل رده ردا جميلا
قال إبراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النخعي السائل يريد
الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول تبعثون إلى أهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل هاهنا الذي يسأل
عن الدين **وأما بنعمة ربك فحدث** بشكرها وإشاعتها وإظهار آثارها وأحكامها أريد بها
ما أفاض الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة منها
والمعدومة والمعنى إنك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء
فلا تنسى نعمة الله تعالى عليك واقتد بالله وأحسن كما أحسن الله تعالى إليك فتعطف على اليتيم
فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان
معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الأمر هدايته عليه الصلاة والسلام للضال وتعليمه الشرائع
والأحكام حسبما هداه عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الضحى
جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل سائل ويتيم

سورة الم نشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلا لأحوال النفس ومخزنا لسائر أمورها من العلوم والإدراكات
والملكات والإرادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة
القدسية وتحليتها بالكمالات الاستعدادية حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة
والإفادة فما صدتك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقك
التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل أريد به ما روي أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه
وسلم في صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر أو نموذج
جسماني فيما سيظهر له عليه الصلاة والسلام من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام
الإنكاري عن انتفائه للإيذان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلى وزيادة
الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للإيذان من أول الأمر بأن الشرح من منافعه
عليه الصلاة والسلام ومصالحه مسارعة إلى إدخال المسرة في قلبه عليه الصلاة والسلام وتشويقا
إلى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى **ووضعنا عنك وزرك**
عطف على ما أشير إليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا إلخ
وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر آنفا من القصد إلى
تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب أطراف
النظم الكريم أي حططنا عنك عبأك الثقيل **الذي أنقض ظهرك** أي حمله على النقيض وهو صوت
الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي إلى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه الصلاة

والسلام مما كان يثقل عليه ويتعاظم من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرائع
او من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووقصمه عن معرفته وتعليم الشرائع وتمهيد قواعده
بعد ان يبلغ ويبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عليك وزرك ورفعنا لك
ذكرك بعنوان النبوة واحكامها اي بحيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة
وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه مع ملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وسماه رسول الله ونبي
الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى فان مع العسر يسرا تقرير لما قبله
ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين كانه قيل خولناك ما خولناك
من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية
سرعة مجيء الميسور كانه مقارن للعسر ان مع العسر يسرا تكرير للتأكيد او عدة مستانفة بان العسر
مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة فرحتان
عند لقاء ربه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون الثاني
عين الاول سواء كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول فاذا
فرغت اي من التبليغ وقيل من الغزو فانصب فاجتهد في العبادة شكرا لما اوليناك من النعم السالفة
ووعدناك من الآلاء الآنفة وقيل فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وقيل اذا فرغت من
دنياك فانصب في صلاتك والى ربك وحده فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافك
لا غيره وقرئ فرغب اي فرغب الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكرم وشرف ومجد من قرأ سورة الم نشرح فكأنما جاءني وانا مغتم ففرج عني والله الموفق

سورة والتين مكية [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله تعالى من بين الثمار بالاقسام بهما
لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة جليلة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم
ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل
ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروي انه اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم
سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة
بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم
ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه
بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته المباركة المشهود لها في التنزيل
ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة تطيب الفم وتذهب بالحفر وسمعته يقول هو سواكي وسواك
الانبياء قبلي وقيل المراد جبلان من الاراضي المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا
لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانهما
منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون
الذي عليه بيت المقدس وهو اختيار الطبري [illegible]
وعن ابن عباس التين مسجد نوح عليه الصلاة والسلام الذي بني على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس
وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس رضي الله عنه

هو تينكم

هو تينكم هذا الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت [illegible] وعكرمة وابراهيم
النخعي وعطاء ومجاهد وقتادة والكلبي وطور سينين هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه
وسينين وسيناء علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليهما [illegible]
الاعراب بالواو والياء والاقرب ان يلزم الياء ويحرك النون بحركات الاعراب وهذا البلد
الامين اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانته انه
يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه
لانه مأمون الغوائل كما وصف بالآمن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي امن ووجه الاقسام
بها ابانة شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخيرات والبركات [illegible] لقد خلقنا
الانسان اي جنس الانسان في احسن تقويم اي كائنا في احسن ما يكون من التقويم والتعديل
صورة ومعنى حيث براه الله تعالى مستوي القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحياة والعلم
والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي [illegible] الصفات
السبحانية وآثارها [illegible]
الرحمن [illegible]
حالة في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعملها كيف تشاء فاذا ارادت
فعلا من الافاعيل الجسمانية تتكيف اليها في القلب بالروح الحيواني الذي هو اعدل الارواح واصفاها واقواها
منها وافقها مناسبة الى العالم المجرد لتلقاه روحانيا وهو يكيف بواسطة سالة الشرايين من الارواح الى
الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك تتحرك من الاعضاء ما يليق
بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيحصل بعد ذلك بهذه الطريقة ان عرف نفسه على هذه
الكيفية من صفاتها وافعالها تستبين في مدارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على انه سبحانه
منزه عن كونه داخل العالم او خارجا عنه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيه
من الملائكة الذين هم جنده لعلى شؤونه مما ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني الذي هو نسخة
العالم الاكبر والنموذج منه وقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين اي جعلناه من اهل النار الذين هم
اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها
لكان في اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة لقوله تعالى
ومن نعمره ننكسه في الخلق [illegible] فاسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل سافلين
او صفة لمكان محذوف اي رددناه مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى
الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين فلهم اجر غير ممنون غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء
الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة مع تخاذل نهوضهم [illegible]
وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب
في قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين للرسول عليه الصلاة والسلام اي فاي شيء يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء
بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريقة الالتفات لتشديد
التوبيخ والتبكيت اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق الانسان من نطفة
وتقويمه سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء
فاي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان أليس الله بأحكم

الحاكمين اي اليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة والتين اعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرا ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل او لا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما نزل عليه عليه الصلوة كما ينطق به حديث الزهري وهو المشهور وقوله تعالى **باسم ربك** متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرا ملتبسا باسمه تعالى مبتدئا به ليتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام للاشعار بتبليغه عليه الصلوة والسلام الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله **الذي خلق** لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحيوة وما يتبعها من الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم اي الذي انشا الخلق واستاثر به او خلق كل شيء وقوله تعالى **خلق الانسان** على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشانه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المامور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير رَوما لتفخيم فطرته وقوله تعالى [من علق] الى جمع جامد تنبيها لكمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالتيه الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعل هذا هو السر في تخصيصه بالذكر من سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه عليه الصلوة والسلام على تمكينه تعالى من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى **اقرا** اي افعل ما امرت به تاكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى **وربك الاكرم** الى آخره فانه كلام مستانف وارد لازاحة ما بينه عليه الصلوة والسلام من العذر بقوله عليه الصلوة والسلام ما انا بقارئ يريد ان القراءة شان من يكتب ويقرا وانا امي فقيل له وربك الذي امرك بالقراءة مبتدئا باسمه الذي هو الاكرم **الذي علم بالقلم** اي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى **علم الانسان ما لم يعلم** بدل اشتمال من علم بالقلم اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية الجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى **كلا** ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر وقوله تعالى **ان الانسان ليطغى** اي ليتجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمرتدع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى **ان رآه استغنى** مفعول له اي يطغى لان راى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لراى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني

اجوزه بعضهم في الرؤية البصرية ايضا وجعلوا من ذلك قول عائشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى **ان الى ربك الرجعى** تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر اي ان الى مالك امرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى **ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى** تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها كل من يتاتى منه الرؤية ويقضي منها العجب روي ان ابا جهل قال في ملا من طغاة قريش لئن رايت محمدا يصلي لاطان عنقه فرآه عليه الصلوة والسلام في الصلوة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه صلى الله عليه وسلم واستعظام النهي وتاكيد التعجيب منه والرؤية ههنا بصرية واما ما في قوله تعالى **ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى** وما في قوله تعالى **ارايت ان كذب وتولى** فقلبية معناها اخبرني فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئي اجري الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها فان ذلك في حيز التردد بل باعتبار اوصافها التي هي كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لارايت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثاني سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لارايت لا يكون الا جملة استفهامية والمعنى اخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او كان آمرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذا اذا كان الحق مع من ينهاه عن الصلوة **ارايت ان كذب وتولى** ... حيث اخبر انه على الهدى وامر بالتقوى ... والامر بالتقوى ... اي اخبرني ان كذب بالحق وتولى عن الطاعة ... **الم يعلم بان الله يرى** ... عبدا اذا صلى ... كلا لئن لم ينته ...

الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى كأنه تعالى قال يا كافر اخبرني ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله تعالى امرا بالتقوى اتنهاه وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة **كلا** ردع للناهي اللعين وخسوء له واللام في قوله تعالى **لئن لم ينته** موطئة للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر **لنسفعا بالناصية** فلنأخذن بناصيته الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لأسفعن وكتبه في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة فتنظر بها الى ناصية المذكور **ناصية كاذبة خاطئة** بدل من الناصية وانما جاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ **فليدع ناديه** اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدى فيه القوم اي يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت **سندع الزبانية** ليجروه الى النار قال الزبانية الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب الى الزبن ثم غير واصلها زباني فقيل زبانية على التعويض انتهى عن المبرد والمراد ملائكة العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا **كلا** ردع بعد ردع وزجر بعد زجر **لا تطعه** اي دم على ما انت عليه من معاصاته **واسجد** وواظب على سجودك وصلواتك غير مكترث به **واقترب** وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى **وما ادراك ما ليلة القدر** لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى **ليلة القدر خير من الف شهر** فانه بيان اجمالي لشأنها اثر تشويقه عليه الصلاة والسلام الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد باذرائها وقد مر كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزال كله الى السماء الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه الصلاة والسلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي من ان ينزل في قرآن فالانسب ان يجعل الضمير حينئذ للسورة التي هي جزء من القرآن لا للكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تعريض من يريدها باحياء الليالي الكثيرة رجاء موافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه

وسلم ذكر

وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من الف شهر مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل اري النبي صلى الله عليه وسلم اعمار العباد كلها فتقاصر اعمار امته وخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل انه كان ملك سليمان عليه الصلاة والسلام خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى **تنزل الملائكة والروح فيها** استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هو خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة اي تتنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء الى الارض او الى السماء الدنيا **باذن ربهم** متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله اي ملتبسين باذن ربهم اي بامره **من كل امر** اي من اجل كل امر قضاه الله عز وجل لتلك السنة او قابل الى قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه **سلام هي** اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين **حتى مطلع الفجر** اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

سورة لم يكن مكية وقيل مدنية [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى [illegible] اتباع [illegible] حادث بعد انبيائهم [illegible] **والمشركين** اي عبدة الاصنام [illegible] **منفكين** اي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع منهم ما شاع من اهل الكتاب واعتقدوا صحته [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] **حتى تأتيهم البينة** التي كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق [illegible] **رسول** بدل من البينة

عبّر عنه عليه الصلاة والسلام بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى يتلو صفة اخرى له او حال من الضمير في متعلق الجار صحفا مطهرة اي منزهة عن الباطل لا ياتيه من بين يديه ولا من خلفه او عن ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه الصلاة والسلام من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضميرها في مطهرة ويجوز ان تكون الصفة او الحال الجار وحده وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الى آخره كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذكرهم فيما سبق بعنوان يجري اسم الجنس للطائفتين ولما كان المشركون باعتبار انقيادهم على الرأي المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي تفرقوا والحال انهم ما امروا في كتابيهم الا لاجل ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اي جاعلين دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله تعالى كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام من انهم لا ينفكون من دينهم الى مبعثه ويعدون ان يتفقوا منه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعل ما هو سبب لانفكاكهم من دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك عما انا فيه حتى يغنيني الله فاذا اغناه ازداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست في الفسق الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما يتسنى بعد الثبات والعلي على التقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بانتقال التفرق على الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند

كمجوزه

كمجوزه القائل فلا تقاتل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيمة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي النار الا انها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة وتلبس صورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين في سورة الاعراف خالدين فيها حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اي اولئك البعداء المذكورون هم شر البرية اي الخليقة اي اعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرئ البريئة على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لمحاسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب اولئك المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة هم خير البرية وقرئ خيار البرية وهو جمع خير كجيد وجياد جزاؤهم بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر واياما كان فالمراد جريانها بغير اخدود خالدين فيها ابدا متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكونه ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم ووصف الجنات بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتأكيد الخلود بالابد ما فيه من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي الله عنهم استئناف مبين لما يتفضل عليهم ربهم زيادة على ما ذكر من اجزية لاعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وابيح لهم ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ذلك اي ما ذكر من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية التي هي من خصائص العلماء بشؤون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلية الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض اي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اي الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره او زلزالها الداخل في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاي وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وفهم ما قلت خرجها الغادي وقد

قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية
لقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها اي ما في جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع
البيت واظهار الارض في موقع الاضمار لزيادة التقرير او للايماء الى تبديل الارض غير الارض او لان
اخراج الاثقال حال بعض اجزائها وقال الانسان اي كل فرد من افراده لما يدهشهم من الطامة
التامة ويذهب بهم من الدهشة العامة ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة من الزلزال ولفظت
ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوها من الامور الهائلة وقد سيرت الجبال في الجو وصيرت هباء
وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا فالاظهر هو الاول على ان المؤمن يقول بطريق الاستعظام والكافر
بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيهما ويجوز ان يكون اذا
منتصبا بمضمر اي يوم اذ زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان المقال حيث ينطقها الله
تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انها تشهد على كل
احد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ اخبارها من الانباء بان ربك اوحى لها اي تحدث اخبارها
بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث على الحال المبهم ويجوز ان تكون بدلا من اخبارها كانه قيل
تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء ويقدرونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها
يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من قبورهم الى الموقف للحساب اشتاتا متفرقين
بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما في قوله تعالى فتاتون افواجا وقيل يصدرون
عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اي جزاء اعمالهم خيرا
كان او شرا وقرئ ليروا بالفتح وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذا قرئ يره بالضم والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع
الشمس من الهباء ورؤيا ما كان فعلى تقدير رؤيته بما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائها من الاولى
مخصصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن
المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معها الجزاء ولا عدمه
بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته
وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته
واما الكافر فترد حسناته تحسرا ويعاقب بسيئاته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب
اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اي تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات
مع العدو فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل
اي ضابحات فالموريات قدحا الموريات اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فاورى اي فالتي
تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة فالمغيرات اسند
الاغارة التي هي مباغتة العدو للنهب او القتل او الاسر اليها وهي حال اهلها ايذانا بانها العدة
في اغارتهم صبحا اي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو

ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى فاثرن به عطف على الفعل الذي
دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن به اي فهيجن بذلك الوقت
نقعا اي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان
الايراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة
وقرئ فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار فوسطن
به اي فتوسطن بذلك الوقت او فتوسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء والفاآت
للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب
على العدو وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اي لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد
بالانسان قرادة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بني كنانة سرية
واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فابطأ عليه الصلاة والسلام خبرها
شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة
له باغارتها على القوم وتعنيفا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة
بالاقسام بها من البلاغة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد ارجف
هؤلاء في حق اصحابها ما ارجفوا انهم متمادون في الكفران وانه على ذلك اي وان الانسان على كنوده
لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه لحب الخير اي المال كما في قوله تعالى ان
ترك خيرا لشديد اي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا
الامر وقوي له اذا كان مطيقا له حافظا وقيل لشديد اي بخيل اي انه لاجل حب المال
وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء
الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون
اموالهم ويحرزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور الى آخره تهديد
ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل من القبائح
او لا يلاحظ خبرا بحاله او لا يعلم في القبور من الموتى وان ما ملكوهم اذ ذاك بعثر اي بعث من
العقلاء وقرئ بحثر وبعث وتبعثر وبحث على بنائهم للفاعل وحصل اي جمع محصلا او
ميز خيره من شره وقرئ حصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما في الصدور من الاسرار الخفية
التي من جملتها ما اخفيه المنافقون من الاسرار الخفية التي من جملتها ما اخفيه المنافقون من الكفر
والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اي المبعوثين كني عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير
العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك تاتيا على نقائهم في حال الحياة كما فعل نظيره بعد الاحياء
الاول حيث التفت الى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الآية بعد قوله تعالى ثم سواه
ونفخ فيه من روحه ايذانا بانه صلحت حينئذ للخطاب بعد نفخ الروح وبعد ما قبل ذلك ما اشير اليه
هنالك بهم بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في
القبور وتحصيل ما في الصدور لخبير اي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا
به لا ينبئ عن تقييده بذلك اليوم علمه الاطلاق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله
بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرئ
ان الله بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات

اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعاً صدق رسول الله

سورة القارعة مكية وآيها إحدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والأرض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى **ما القارعة** على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر من أن محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مدار إفادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة أي أي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل وقوله تعالى **وما أدراك ما القارعة** تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل إلى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لأن أدرى يتعدى إلى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ الأول أي وأي شيء أعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم بإعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وفتحه لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعاً كما هو رأي الكوفيين أي هي يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفتها اذكر يوم يكون الناس إلخ فإنه يدريك ما هي هذا وقيل إنه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الناس إلخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الناس إلخ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** أي كالصوف الملون بالألوان المختلفة المندوف في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعي الذي هو إسرافيل عليه الصلاة والسلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون إلا بعد النفخة الثانية وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى **فأما من ثقلت موازينه** إلخ بيان إجمالي لتحزب الناس إلى حزبين وتنبيه على كيفية الأحوال الخاصة بكل منهما إثر بيان الأحوال الشاملة للكل قيل الموازين إما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع

ميزان

قال ابن

قال ابن عباس إنه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال قالوا توضع فيه صحائف الأعمال فينظر إليه الخلائق لإظهار المعدلة وقطع المعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل به قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا الميزان لا يتوصل به إلا إلى معرفة مقادير الأجسام فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الأعمال التي هي أعراض منقضية وقيل إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان أي فمن رجحت مقادير حسناته **فهو في عيشة راضية** أي ذات رضى أو مرضية **وأما من خفت موازينه** بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته **فأمه هاوية** أي فمأواه هاوية هي من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي أن أهل النار تهوي فيها سبعين خريفاً وقيل إنها اسم للباب الأسفل منها وعبر عن المأوى بالأم لأن أهلها يأوون إليها كما يأوي الولد إلى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبي أن المعنى فأم رأسها هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوساً والأول هو الأوفق لقوله تعالى **وما أدراك ما هيه نار حامية** فإنه تقرير لها بعد إبهامها والإشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت وإذا وصل القارئ حذفها وقيل حقها أن لا يدرج لئلا يسقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف وقد أجيز إثباتها مع الوصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة والله أعلم

سورة التكاثر مكية وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم

ألهاكم التكاثر أي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الإسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيداً وأعز عزيزاً وأعظم نفراً فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى ألهاكم التكاثر بالأحياء **حتى زرتم المقابر** حتى إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكماً بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لأخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ أألهاكم على الاستفهام التقريري **كلا** ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن لا يكون معظم همه مقصوراً على الدنيا فإن عاقبة ذلك وخيمة **سوف تعلمون** سوء عاقبة ما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم **ثم كلا سوف تعلمون** تكرير للتأكيد وفي ثم دلالة على أن الثاني أبلغ من الأول أو الأول عند الموت أو في القبر والثاني عند النشور **كلا لو تعلمون علم اليقين** أي لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى **لترون الجحيم** جواب قسم مضمر أكد به الوعيد وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد إبهامه تفخيماً **ثم لترونها** تكرير للتأكيد أو الأولى إذا رأتهم من مكان بعيد والثانية إذا وردوها أو المراد بالأولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة **عين اليقين** أي الرؤية التي هي نفس اليقين فإن علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين **ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم** أي عن النعيم الذي ألهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فإن الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما

فاما من تمتع بنعمة الله وتقوى بها على طاعة الله وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل
الآية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم
الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية صدق الله تعالى وصدق رسوله الكريم

سورة العصر ثلاث آيات بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب
كما اقسم بالضحى او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور
القارة والمارة ان الانسان لفي خسر اي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في مباغيهم
والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا
الفاني الخسيس بالباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة
ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله
تعالى وتواصوا بالحق الى آخره بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا
سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله
في كل عقد وعمل وتواصوا بالصبر اي عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى
الطاعات التي يشق عليها اداؤها وعلى ما يبلو الله عز وجل عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه
تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به ولان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله
تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس
عما تتوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة ... بسم الله الرحمن الرحيم

ويل مبتدأ خبره لكل همزة لمزة وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة
الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة
للدلالة على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضري بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم
وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك ويستهزأ به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان ضيابا للغيبة
وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من
جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب
مثل ذنوبهم الذي جمع مالا بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا
للتفخيم والتكثير الملائم لقوله تعالى وعدده وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده
اي جمع المال وعدد قومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل
ماض بفك الادغام يحسب ان ماله اخلده اي يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موقع
الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله
يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد
صاحبه في الحياة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بمخلد وروي ان الاخنس كان له اربعة
الاف دينار وقيل عشرة الاف والجملة مستأنفة او حال من فاعل جمع كلا ردع له عن ذلك الحسبان الباطل

وقوله تعالى

وقوله تعالى لينبذن جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع اي والله ليطرحن بسبب
تعاطيه للافعال المذكورة في الحطمة اي في النار التي شأنها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شأنه
كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى وما ادراك ما الحطمة لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور
التي تدركها عقول الخلق وقوله تعالى نار الله خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لشأن المسؤول عنها اي
هي نار الله الموقدة بامر الله عز وجل وسلطانه وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل امرها
ما لا مزيد عليه التي تطلع على الافئدة اي تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان
الفؤاد الطف ما في الجسد واشده تألما بادنى اذى يمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة
ومنشأ الاعمال القبيحة انها عليهم مؤصدة اي مطبقة من اوصدت الباب واصدته اي
اطبقته في عمد ممددة اما حال من الضمير المجرور في عليهم اي كائنين في عمد ممددة بان تؤصد عليهم الابواب
وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وقرئ عمد بضمتين عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة الفيل خمس آيات ... بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه
الصلاة والسلام بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اي
الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة
وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان
بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته
وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فان ذلك من الارهاصات لما روي ان القصة وقعت في السنة التي
ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي
بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد
فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن
الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف
وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع
فابى وعبى جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او
غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره
وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره
وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ورمي ابرهة فتساقطت انامله
وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ
النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب
مائتي بعير فخرج اليه في شانها فلما رآه ابرهة عظم في عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا
سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فنزل ابرهة عن
سريره وجلس معه على البساط وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما
ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم
في قديم الدهر لا تكلمني فيه الهاك ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه

ثم رجع وأتى باب الكعبة وأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فإذا هو بطير من نحو اليمن فقال إنها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية فأرسل حلقة الباب ثم انطلق مع أصحابه ينتظرون ماذا يفعل أبرهة فأرسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين يستطعمان وقرئ ألم تر بسكون الراء للجد في إظهار أثر الجازم وقوله تعالى ألم يجعل كيدهم في تضليل إلى آخره بيان لما فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كأنه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وإبطال بأن دمرهم أشنع تدمير وأرسل عليهم طيرا أبابيل أي حزق وجماعات جمع إبالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل أبابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها ترميهم بحجارة صفة لطير وقرئ يرميهم بالتذكير لأن الطير اسم جمع أو لإسناده إلى ضميره تعالى من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم للديوان الذي يكتب فيه أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقي صفرا منه أو كتبن أكلته الدواب وراثته أشار بأول حاله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله تعالى أيام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش ... مكية بسم الله الرحمن الرحيم

لإيلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من إهلاك أصحاب الفيل لإيلاف إلى آخره وقيل تقديره أعجبوا لإيلاف وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده أنهما في مصحف أبي سورة واحدة وبلا فصل والمعنى أهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم فلا يجترئ عليهم أحد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين مختطف ومنهوب والإيلاف من قولك آلفت المكان إيلافا إذا ألفته وقرئ لإلاف قريش أي لمؤالفتهم وقيل يقال ألفته إلفا وإلافا وقرئ لإلف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى إيلافهم رحلة الشتاء والصيف بدل من الأول ورحلة مفعول لإيلافهم وإفرادها لإطلاق المراد رحلتي الشتاء والصيف لأمن الإلباس وفي إطلاق الإيلاف عن المفعول أولا وإبداله هذا منه تفخيم لأمره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل إليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيهما بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل أريد به القحط الذي أكلوا فيه الجيف والعظام وآمنهم من خوف عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب الفيل وخوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم عن النبي صلى الله عليه

وسلم من قرأ سورة قريش أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها والله أعلم

سورة الماعون ... آية بسم الله الرحمن الرحيم

أرأيت الذي يكذب بالدين استفهام أريد به تشويق السامع إلى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ أرأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم جواب شرط محذوف على أن ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء أو بالإسلام إن لم تعرفه أو إن أردت أن تعرفه فهو الذي يدع اليتيم أي يدفعه دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الإشارة المتعرض لوصف المشار إليه موضع الضمير للتشنيع بعلية الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد وقيل هو أبو جهل كان وصيا ليتيم فأتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل أبو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم أي يتركه ويجفوه ولا يحض أي أهله وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين وإذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله فويل للمصلين لربط ما بعدها بشرط محذوف كأنه قيل إذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤون أي يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون أي الزكاة أو ما يتعاور عادة فإن عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الإسلام وسوء المعاملة مع الخالق والخلق أحق بذلك ... ووضع المصلين موضع ضميرهم ... صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت الذي غفر له إن كان للزكاة مؤديا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الكوثر ... بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر وقرئ أنطيناك الكوثر أي الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال أتدرون ما الكوثر إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير ... ورواه ... الثلج ... وأوانيه ... فقراء المهاجرين الدنسو الثياب والشعث الرؤوس ... وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فإن ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو أولاده وأتباعه ... والقرآن الحاوي لخير الدنيا والدين ... فصل لربك ... والسلام ...

ولن يعطيها احدا غيرك من العالمين مستوجبة للمامور به اي استيجاب اي فدم على الصلاة لربك الذي افاض عليك هذه النعم الجليلة التي لا يضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص **ان شانئك** اي مبغضك كائنا من كان **هو الابتر** الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل وايا ما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر صدق الله وصدق رسوله

سورة الكافرون مكية وآيها ست بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتاتى منهم الايمان ابدا روي ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرا عليهم فايسوا **لا اعبد ما تعبدون** اي فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم **ولا انتم عابدون ما اعبد** اي ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي **ولا انا عابد ما عبدتم** اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الاسلام **ولا انتم عابدون ما اعبد** اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما في ما اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل انها مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى **لكم دينكم** تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى **ولي دين** تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لآلهتكم واستلامي اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني

كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرون فكانما قرا ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر والله اعلم

سورة النصر مدنية وآيها ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله والفتح اي اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك والفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتوحات فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق به امره عليه الصلاة والسلام بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء للايذان بانهما متوجهان نحوه عليه الصلاة والسلام وانهما على جناح الوصول اليه عليه الصلاة والسلام عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض ما في حيزها اعني رؤية دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن **ورأيت الناس** اي ابصرتهم او علمتهم **يدخلون في دين الله** اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها فالجملة على الاول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى **افواجا** حال من فاعل يدخلون اي يدخلون فيه جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا او اثنين اثنين روي انه عليه الصلاة والسلام لما فتح مكة قالت العرب بعضهم لبعض اما اذا ظفر باهل الحرم وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول **فسبح بحمد ربك** فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله عليه الصلاة والسلام امر بان يداوم على ذلك استعظاما لنعمه لا باحداث التسبيح لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك وفضل تسبحه على نعمه روي انه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما تقوله الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام **واستغفره** هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى عن عائشة رضي الله عنها انه كان عليه الصلاة والسلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عليه الصلاة والسلام اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قراها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال عليه الصلاة والسلام انها لكما تقول فلم ير عليه الصلاة والسلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لقد اوتي هذا الغلام علما ولعل ذلك للدلالة على تمام الدعوة وكمال امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله

تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاخترنا لقاء الله تعالى فعلم أبو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا. وعنه عليه الصلاة والسلام دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه إنه نعيت إلي نفسي فبكت فقال لا تبكي فإنك أول أهلي لحوقاً بي. وعن ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع. وقيل هو أمر بالاستغفار لأمته. ﴿إنه كان تواباً﴾ منذ خلق المكلفين أي مبالغاً في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعاً للقبول. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة المسد خمس آيات مكية بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تبت﴾ أي هلكت ﴿يدا أبي لهب﴾ هو عبد العزى بن عبد المطلب وإيثار التباب على الهلاك وإسناده إلى يديه لما روي أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تباً لك ألهذا دعوتنا وأخذ حجراً ليرميه عليه الصلاة والسلام به. ﴿وتب﴾ أي وهلك كله. وقيل المراد بالأول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاديات وقد فعل ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب. وقيل الأول إخبار عن هلاك عمله لأن الأعمال تزاول غالباً بالأيدي والثاني إخبار عن هلاك نفسه. وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك. وقيل الأول دعاء والثاني إخبار. وذكر كنيته لاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح. وقرئ أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب. وقرئ أبي لهب بسكون الهاء. ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ أي لم يغن عنه حين حل به التباب على أن ما نافية أو أي شيء أغنى عنه على أنها استفهامية في معنى الإنكار منصوبة بما بعدها أصل ماله وما كسب به من الأرباح والنتائج والمنافع والوجاهة والأتباع أو ماله الموروث من أبيه والذي كسبه بنفسه أو عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم أو عمله الذي ظن أنه منه على شيء كقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما كسب ولده. وروي أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة أسد في طريق الشام بين العير وقد كان صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثاً حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الأمر كما أخبر به القرآن. ﴿سيصلى﴾ بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتأكيد الوعيد وتشديده أي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة ﴿ناراً ذات لهب﴾ أي ناراً عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصاً في أنه لا يؤمن أبداً حتى يلزم من تكليفه الإيمان بالقرآن أن يكون مكلفاً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبداً فيكون مأموراً بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فإن صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار إلى الجواب المشهور من أن ما كلفه هو الإيمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم إجمالاً لا الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الإيمان بعدم إيمانه المستمر. ﴿وامرأته﴾ عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير. وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين

الناس يحمل الحطب بينهم أي يوقد بينهم النائرة. ﴿حمالة الحطب﴾ بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على أن الإضافة غير حقيقية إذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع. وعن قتادة أنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتماً. وقرئ بالرفع على أنه خبر وامرأته مبتدأ. وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصباً ورفعاً. وقرئ ومريئته بالتصغير للتحقير. ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر في محل النصب على الحالية. وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية. وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر. والمسد ما يفتل من الحبال فتلاً شديداً من ليف المقل. وقيل من أي ليف كان. وقيل من لحاء شجر باليمن. وقد يكون من جلود الإبل وأوبارها. والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيساً لحالها وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف. قال مرة الهمداني كانت أم جميل تأتي كل يوم بإبالة من الحسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينا هي ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فأخنقها بحبلها. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل هو الله أحد﴾ الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الإيذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد وإليه يشير كل مشير وإليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي أصله القصد أطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة إلى الرابط لأنها عين الشأن الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شيء مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن. وهمزة أحد مبدلة من الواو وأصله وحد [illegible] وقال أهل اللغة [illegible] رجل أحد [illegible] أو خبر ثان. ﴿الله الصمد﴾ أي هو السيد المصمود إليه في الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته. وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال. وقيل الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للإشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل عن استحقاق الألوهية وتعرية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى بين أولاً ألوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات إليه في وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقاً للحق

قد شاد اهم الى سنن الواضح ثم صحح ببعض احكام جزئية متدرجة تحت الاحكام السابقة فقيل **لم يلد** تنصيصا على ابطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي اي لم يلد عنه ولد لانه لا يجانسه شيء ليمكن ان يكون من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه **ولم يولد** اي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا او لاحقا والتصريح به مع كونه معترفا به للتقرير لما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية انه لم يولد الاعتراف بانه لم يلد ثم هو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون كما مر تحقيقه **ولم يكن له كفوا احد** اي لم يكافئه احد ولم يماثله من صاحبة وغيرها وله صلة كفوا قدمت عليه مع ان حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز ان يكون خبر الصلة ويكون كفوا حالا من احد وليس بذاك واما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطرها على اشتات المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوي انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عليه الصلاة والسلام انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت قيل وما وجبت يا رسول الله فقال وجبت له الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل فعل بمعنى مفعول وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما والبطون عن الاولاد وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يتعوذ منه وانجائه منه وتقوية رجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى وتنبيه على ان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه فكما قيل فيه ذلك لا ريب العائذ وقدرته تعالى على ذلك التحريض على الالتجاء اليه **من شر ما خلق** اي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهو كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم ان الاستعاذة هاهنا من المضار البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا للاضافة الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشرور بالكلية مع ان الدرجة فيما قبل من زيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة **ومن شر غاسق** اي ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه

فيه

فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى **اذا وقب** اي دخل ظلامه في كل شيء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله تعالى من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للمرض الا في ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه **ومن شر النفاثات في العقد** اي ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفاثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روي عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما انه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فكان عنده اسنان من مشطه عليه الصلاة والسلام فاعطاها اليهود فسحروه عليه الصلاة والسلام فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبنات له وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر فمرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل عليه الصلاة والسلام عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهي الصخرة التي توضع في اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فجاؤا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه الصلاة والسلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه الصلاة والسلام كانما انشط من عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث فقال عليه الصلاة والسلام اما انا فقد عافاني الله عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضي الله عنها ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها **ومن شر حاسد اذا حسد** اي اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات ومبادي الاضرار بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك لان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير عن النبي صلى الله عليه وسلم وكرم وشرف من قرأ سورة المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى صدق رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام **برب الناس** اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى **ملك الناس** عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى **اله الناس** فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امورهم وسياستهم والتولي لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة

على التصرف الكلي فيهم احياءً وامانةً وايجاداً واعداماً وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام
جميع العالمين في سلك ربوبيته سبحانه وتعالى وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة
المرضية عنده سبحانه وتعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه اليه تعالى
بالمربوبية والمملوكية والمعبودية في ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة
وامره سبحانه وتعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان
المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته سبحانه وتعالى وملكوته رمز الى
انجائهم من ملكة الشيطان لعنه الله تعالى وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية
فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله
وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة **من شر الوسواس** هو اسم
من الوسوسة وهو الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان
خذله الله تعالى وطرده سمي بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة **الخناس** الذي عادته ان يخنس
اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه سبحانه وتعالى **الذي يوسوس في صدور الناس** اذا غفلوا
عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع او النصب على الذم **من الجنة**
والناس بيان للذي يوسوس على انه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس
والجن او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل بيان
للناس على انه يطلق على الجن ايضا حسبما يطلق على النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه
واقرب منه ان يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع
الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله سبحانه
وتعالى الا من تداركه سوابغ عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن
ذكره ووفقنا لاداء حق شكره قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة
والارشاد وهادي الغواة الى سنن الرشاد يا ربي اليك متاب اني تاب عليك توكلي واليك
متاب انت المغيث لكل خائف ملهوف والمجير من كل هائل مخوف والذي حرمك المأمون مرتجى آمل
ريب المنون والملجي الى حرزك الحصين واوى الى ركنك العزيز فاسألك من خزائن برك المخزون
في مخازن سرك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من امور الدنيا والدين واعوذ بك من
فنون الفتن والشرور لا سيما الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان
بزخارفها وزينتها فاعذني بحمايتك واعني بعنايتك وافض علي من شوارق الانوار الربانية
وبوارق الآثار السبحانية ما يخلصني من العوائق الظلمانية ويجردني من العلائق الجسمانية
وهذب نفسي الابية من خبث الطبائع والاخلاق ونور قلبي القاسي بلوامع الاشراق ليستعد
للعثور على سرائر الانس فيتهيأ للصعود في حظائر القدس ويمشي على مناهج الحق والهدى وترشد
الى مسالك البر والتقى واجعل العمر في ابتغاء رضاتك فاسعد ايامي يوم لقائك يوم يقوم
الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرني مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا هذا آخر ما تيسر من تفسير كتاب الله العزيز المنسوب
الى الشيخ الامام العالم العلامة ابي السعود مفتي زمانه تغمده الله برحمته ورضوانه ورضي عنه
في الدارين وجعله من حزب الفريقين بمحمد وآله آمين يقول كاتبه محمد [illegible]

تسهلفي

ويمكن

في الانتهاء ونشكر على نعمائه التي لا انحصار لها ولا انتهاء ونصلي ونسلم على سيدنا محمد المخلوق
اولا والمبعوث آخر الانبياء صلاة وسلاما دائمين لا انقراض لها ولا انتهاء وبعد فقد وافق
الفراغ من نسخ هذا الكتاب المعظم شأنه عند اولي الالباب الذي هو لب اللباب وهو
تفسير القرآن العظيم المنسوب الى الشيخ الامام والحبر الهمام ابي السعود مفتي الانام
نور الله روحه رحمة ربه ما طلع نجم وغاب ومالمع برق وهطل سحاب انه كريم رحيم
وهاب على يد العبد الفقير الراجي عفو ربه الغفور الرحيم احمد بن عبد القادر
ابن ابراهيم الحنفي مذهبا البكري نسبا الشبرمنتي بلدا الغوبعي
وطنا عفى الله عنه يوم الحساب وتجاوز عن زلله وخطاياه رب
الارباب وجعل مصيره حسن مآب بفضله انه كريم رحيم وهاب
في العشر الاخير من شهر القعدة الحرام من شهور عام تسع وتسعين
وتسعمائة احسن الله تعالى ختامها على المسلمين بخير آمين
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين
آمين والحمد لله رب العالمين حمدا
كثيرا دائما ابدا الابدين آمين
آمين